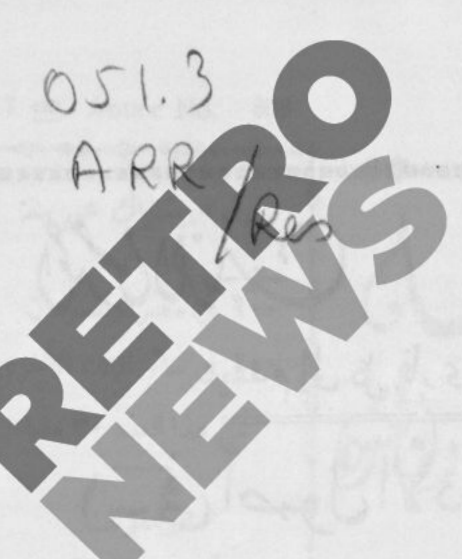
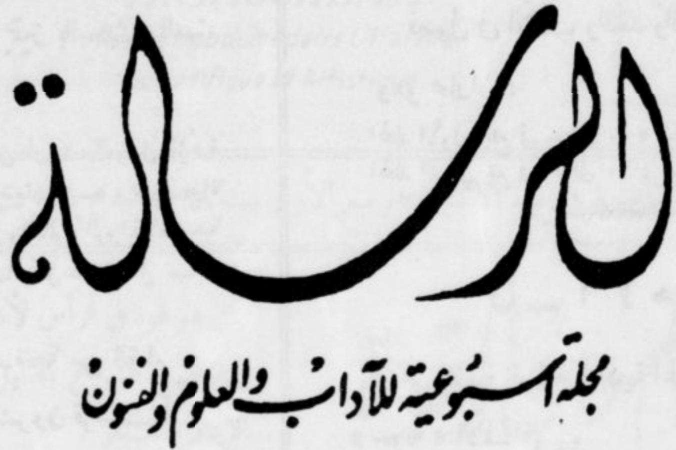






عدد ممتاز

العدد ٨٠٩ — ٣ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



أحمد حسن الزيات

يقدم إلى كل قارىء يتذوق الأدب و يعشق البلاغة كتبه الآتية :

١ ـ فى أصول الأدب

كتاب فى الأدب والنقد ؛ يتميز بالبحث والعمق والتحليل الدقيق والرأى المبتكر .

من موضوعاته : الأدب وحظ العرب من تاريخه ، العوامل المؤثرة في الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة العربية فى العلم والعالم ، الرواية المسرحية والملحمة وتاريخهما وقواعدهما وأقسامهما وكل ما يتصل بهما ، وهو بحث طريف يبلغ نصف الكتاب .

طبعة جديدة مزيدة فى [illegible]٠ صفحة من القطع المتوسط وثمنه خمسة وعشرون قرشاً

٢ ـ تاريخ الأدب العربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات فى ٥٢٥ صفحة وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

٣ ـ دفاع عن البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع فى ١٩٠ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

٤ ـ وحى الرسالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

وهو مجلدان :

المجلد الأول يقع فى حوالى ٥٠٠ صفحة وثمنه أربعون قرشاً
المجلد الثانى يقع فى حوالى ٤٠٠ صفحة وثمنه أربعون قرشاً

٥ ـ آلام فرتر

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى .

صور فيها : عواطف الشاب فى وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة ... وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) : « كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة » .

ترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ...

طبعت خمس مرات وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

٦ ـ رفائيل

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين » .

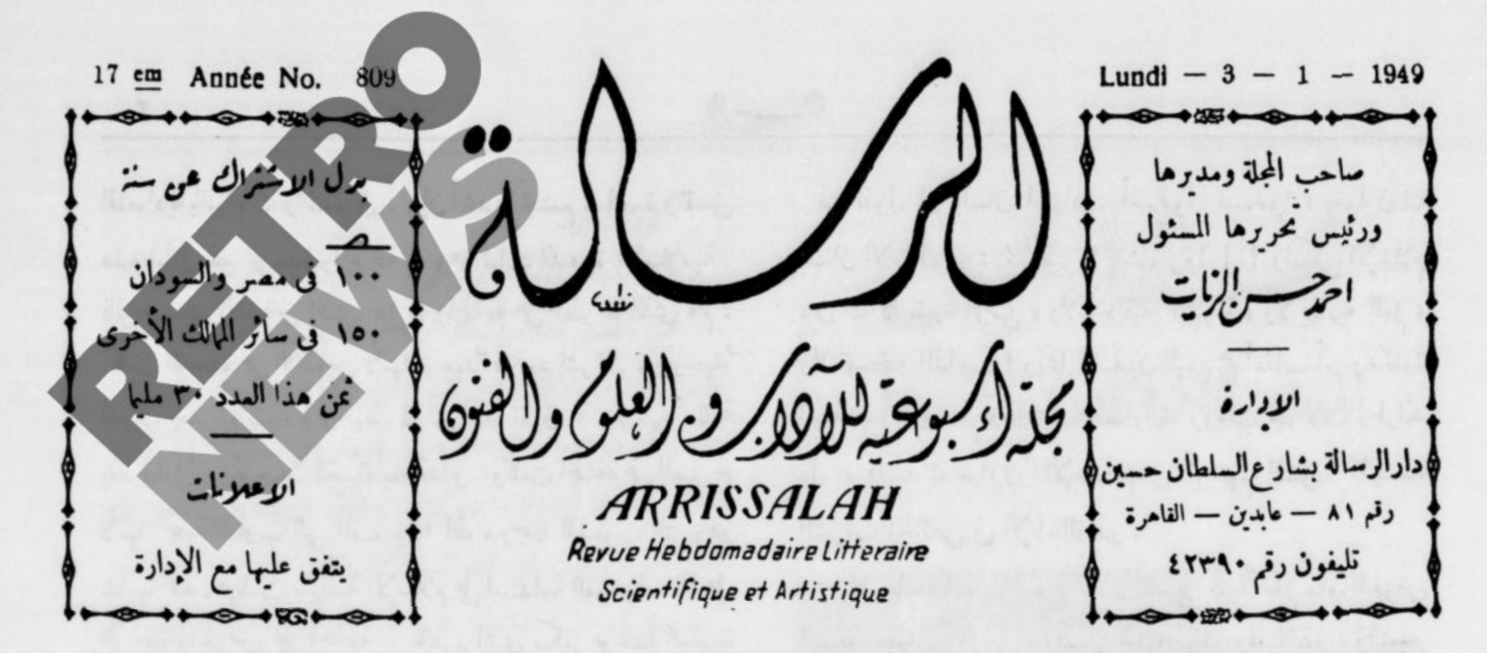
قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حبه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب ... وهى « كآلام فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب . طبعت أربع مرات وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

٧ ـ من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد


17 em Année No. 809

Lundi — 3 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ٣ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الإسلام دين القوة



الإسلام دين القوة؛ وهل في ذلك شك؟

شارعه هو الجبَّار ذو القوة المتين؛ ومبلغه هو محمدٌ الصبَّار ذو العزيمة الأمين؛ وكتابه هو القرآن الذي تحدى كل إنسان وأعجز؛ ولسانه هو العربي الذي أخرس كل لسان وأبان؛ وقواده الخالدون هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيصر؛ وخلفاؤه المصريون هم الذين رفعوا عروشهم على نواصي الشرق والغرب.

فمن لم يكن قوى البأس، قوى النفس، قوى الإرادة، قوى العزيمة، قوى العقيدة، قوى الإنسانية، قوى الأمل، قوى العدة، كان مسلماً من غير إسلام، وعربياً من غير عروبة!

الإسلام قوة في الرأس، وقوة في اللسان، وقوة في اليد، وقوة في الروح.

هو قوة في الرأس لأنه يفرض على العقل توحيد الله بالحجة، وتصحيح الشرع بالدليل، وتوسيع النص بالرأي، وتعميق الإيمان بالتفكر.

وهو قوة في اللسان لأن البلاغة هي معجزته وأداته؛ والبلاغة قوة في الفكرة، وقوة في العاطفة، وقوة في العبارة.

وهو قوة في اليد لأن موحيَه — وهو الحكيم الخبير — قد علم أن العقل بسلطانه واللسان ببيانه لا يغنيان عن الحق شيئاً إذا ما أظلم الحس وتحكمت النفس وعميت البصيرة؛ فجعل من قوة العضل ذائداً عن كلمته وداعياً إلى حقه ومنفذاً لحكمه ومؤيداً لشرعه. كتب على المسلمين القتال في سبيل دينهم ودينه؛ وفرض عليهم إعدادَ القوة والخيل إرهاباً لعدوهم وعدوه؛ وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثله. ولكن القوة التي يأمر بها الإسلام هي قوة الحكمة والرحمة والعدل، لا قوة السفه والقسوة والجور؛ فهي قوة مزدوجة، أو قوة فيها قوتان: قوة تهاجم البغي والعدوان في الناس، وقوة تدافع الأثرة والطغيان في النفس.

والإسلام بعد ذلك قوة في الروح لأنه يمحص جوهرها بالصيام والقيام والاعتكاف والارتياض والتأمل.

وأنت إذا عرضت على الفكر السليم الحكيم مرامي العقيدة الإسلامية، وجدتها كلها تتجه إلى القوة، أو إلى ما تحصل به القوة؛ فالصلاة نظافة جسدية بالوضوء، وطهارة روحية بالذكر، ورياضة بدنية بالحركة. والزكاة تقوية للضعيف بالتصدق، وتنمية المال بالتطهير، وتمكين للمجتمع بالتعاون. والحج قوة اجتماعية بالتعارف والتآلف، وقوة سياسية بالتشاور والتحالف، وقوة

اقتصادية بالبياعات والتسوق . وإن أشد ما تجتمع به القوة وتتسق عليه الحال هو الوحدة والجماعة ، وهما لباب الدعوة الإسلامية . فالوحدة هي الأساس الذي حمل ، والجماعة هي الصرح الذي قام . كانت الوحدة هي الأساس لأنها توحيدٌ لله بعد إشراك ، وتوحيدٌ للعرب بعد شتات ، وتوحيدٌ للرأي بعد تفرق ، وتوحيدٌ للغة بعد تبلبل ، وتوحيدٌ للقبلة بعد تدابر . وكانت الجماعة هي الصرح لأنها جمعة القلوب التي ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التي رفع شأنها محمد . ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذي يكفر بوحدة العقيدة والأمة يُقتل ، والطائفة التي تبغي على جماعة المسلمين تقاتَل . والصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أُديت في جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات كل يوم ، ثم تكبر في صلاة الجمعة كل أسبوع ، ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم في أداء الحج مرة — على الأقل — في كل عمر .

على ذلك كان إسلام محمد وأبي بكر وعمر ؛ وعلى ذلك كانت عروبة خالد وسعد وعمرو . كان العرب والمسلمون حينئذ يحملون المصحف للحق والسيف للباطل ؛ وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة ، حتى بلغوا من القوة أن قيل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش ؛ وبلغوا من المروءة أن سيَّر المعتصم جيشاً لإنقاذ امرأة . فلما شتت الوحدة ، وتفرقت الجماعة ، وصارت سيوف المسلمين خُشُباً يحملها خطباؤهم على المنابر ، ومصاحفهم تمائم يعلقها مرضاهم على الصدور ، أصبحت دولهم تبعاً لكل غالب ، وتراثهم نهباً لكل غاصب ؛ وبلغوا من التخاذل والفشل أن الأندلسيين يُجليهم النصارى عن أقطارهم بالأمس فلم يجدوا الرشيد ؛ وأن الفلسطينيين يشردهم اليهود عن ديارهم اليوم فلا يجدون المعتصم !

إن مسلمي هذا الزمن الأخير صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم في الدنيا على أخلاق العبيد ؛ يُطأطأ إشرافهم فلا يندى لهم جبين ، وتُنقص أطرافهم فلا يحمى لهم أنف ، وتنزل بهم الشدة فيتخاذلون تخاذل القطيع عاث فيه الذئب ، ويغير عليهم العدو فيتواكلون تواكل لأخوة دبّ فيهم الحسد ، وتجمعهم الخطوب فيُفرّقهم الطمع والهوى ، ويلجأون إلى جمعية الدول المتحدة فيخذلهم العدو والصديق ؛ كأن الإسلام الذي كان عامل قوة وائتلاف ، قد انقلب اليوم علة ضعف واختلاف ! وكأن الذين كنا نقول لهم بلسان الجهاد : أسلِموا تَسلَموا ، يقولون لنا بلسان الاضطهاد : تنصَّروا تنصُروا ! ! ولكن الإسلام دين الله لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ؛ وإنما المسلمون اليوم هم أعقاب أمم وعكارة أجناس وبقايا نظم ورواسب حضارات وربائب جهالات وطرائد ذل ، ففسدت مبادئ الإسلام في نفوسهم المشوبة كما يفسد الشراب الخالص في الإناء القذر .

إن جامعة الدول العربية كانت تعبيراً جميلاً لحلم ساور النفوس الطيبة حقبة من الزمن . ولكن الحلم قد يقع وقد لا يقع ، والتعبير قد يصدُق وقد لا يصدُق . ولو كان ميثاق هذه الجامعة قبساً من نور الله وهدياً من سنة الرسول ، لما رأيناها في نكبة فلسطين تعد ولا تنجز ، وتقول ولا تفعل . ولو ظل أمرها قائماً على الخطب الحماسية والوعود المغرية والتصريحات البليغة والاجتماعات المتعاقبة ، لظلت في نفوس العرب والمسلمين مناط الثقة ومعقد الرجاء ومثابة الأمن ؛ ولكن طالعها السيء ابتلاها وهي لا تزال في زهو النشأة وصفو المآدب بحرب الصهيونية المهينة ، فتحمست الدول السبع ، وسيَّرت كتائبها الظافرة إلى عصابات اليهود في فورة من الأناشيد والخطب ؛ فلما صار الأمر جداً والكلام فعلاً وقفوا على أطراف الميادين وقفة الحائر القلق : هذا يتجه إلى بريطانيا وفي يده التاج الناقص ؛ وذاك يلتفت إلى أمريكا وفي كفه العقد المبرم ؛ والآخرون يتهيبون الأمر وينتظرون في ظلال الهدنة المفروضة ما تلده الأحداث ويقرره مجلس الأمن !

وليس من هؤلاء الآخرين المنتظرين والحمد لله مصر ؛ فقد قضت عليها حمايتها للاسلام ورعايتها للعروبة وأمانتها للجامعة أن تقف وحدها في الميدان الغادر تكافح في صدق وصبر جيوش اليهود وقواد الروس وأسلحة الأمريكان ومكر الإنجليز ؛ ثم لا تتلقى من أخواتها الشقيقات إلا هتافاً كهتاف الحمام وحناناً كحنان الأوز : بروق باسمة من غير غيث ، وصكرك ضخمة من غير رصيد ! !

لقد تكشفت مأساة فلسطين — وا سوأتاه — عن قلوب شتى ووجوه متعارضة . والإسلام — كما رأيت — وحدة وجماعة . فمن فصم العروة بعد توثيقها ، ونقض باليمين بعد توكيدها ، وفرق الكلمة بعد توحيدها ، فهو مسلم من غير إيمان ، وعربي من غير شرف ، وإنسان من غير ضمير !

احمد حسن الزيات

شفاء الروح

لصاحب العزة محمود بك تيمور

أخى المؤمن:

قصارى ما يطمح إليه فؤادك أن تكون سعيداً، وإنك لتسعى جاهداً غير وان، باذلا كل مرتخص وغال، لا قبلة لك إلا أن تحظى بتلك السعادة المنشودة.

ولكنك تظلم نفسك إن عددت السعادة فيما يتراءى لك من عروض الحياة، كالغنى والجاه. فهذه العروض التى يستعصى عليك منالها، والتى تحسب الخير أجمع فيها، ربما كانت هى باعثة الشقاء، ومدعاة العذاب.

وأنت فقد تجاهد وتجالد، حتى تبلغ مأربك من هذه العروض، وما هى إلا أن يتجلى لك ما خفى عنك، فتعرف بعد لأى أنك كنت مخدوعاً تظن السراب ماء، وأن الغنى والجاه وما إليهما من مظاهر الحياة إنما هو زيف زائل وزخرف باطل.

ويوم تقف على القمة بعد أن صعدت فى السلم الذى استهواك، ترى أنك لم تظفر من جوهر السعادة بطائل، وأن من حولك غيوم الحياة وظلماتها مطبقة عليك، وأنك لم تنكشف عنك البأساء والضر ...

ولو سمت نفسك إلى أن تستكنه سر ذلك، لعلمت على يقين أن الظاهر قد غرك، فقفوت أثره، واسترسلت فى طلبه، فلم تعن بالمخبر واللباب!

أخى المؤمن:

إن للسعادة لمنبعاً فياضاً هو «الروح» ...

فمن تنكب عنه، لم يظفر برشفة منه، ولو أدلت إليه السماء بأسباب، ومن فطن له بلغ السعادة من أقرب باب!

ولا تبلغ الروح هذا المبلغ من إسعاد الإنسان إلا إذا توافر لها الصفاء والنقاء، فإذا هى تشف وتخف، وإذا هى تسمو إلى آفاق علوية ترفعت عن الشوائب والأدران.

فهل لى أن أكاشفك بما أسميه «تجربة» أو «وصفة» تنيلك ما تريده لروحك من صفاء وتطهر، حتى تصل إلى شفاء النفس وتتوافر لك السعادة الحقة؟

لست أخوّفك بما يروعك سماعه، أو بعييك فهمه، أو يتعاصى عليك إنفاذه ..

إنها وسيلة بالغة الشيوع، قريبة التناول، بيد أن الناس قلما يلتفتون إلى سرها المظيم، وأثرها الناجع، فهم لا يتخذونها على النحو الذى يحقق تلك الغاية الغالية ...

أخى المؤمن:

نُصحى إليك أن تضع مصحفاً فوق وسادك، لا تتخذه تميمة من التمائم، ولا تعويذة من التعاويذ ... وإنما تتخذه نبعاً فياضاً تستقى منه لروحك صفاء، ولنفسك شفاء!

ليكن من دأبك فى إصباحك ألا تقع عينك أول ما تقع إلا على هذا الكتاب الخالد، فرتل منه ما تيسر، واملأ سمعك بتلك الآيات البينات، تمتعك بسحر البيان، وروعة الإيقاع؛ واترك حكمتها البالغة تسرى فى وليجة نفسك، فتضىء من جوانبها ما أظلم، وتجلو منها ما صدىء، فإنك لا تلبث أن تحس روحك قد انسكب عليها فيض يكفل لها الطهر، ويثير فيها الانتعاش ...

أنعم بذلك بدءاً لنهارك الوضاح!

لتصبحن وقد شاع فى أسارير بك بشر، وامتلأت نفسك بالثقة، ولتقبلن على عملك ناشطا فى تيمن وانشراح

وليكن كذلك من دأبك فى ليلك أن يكون ذلك المصحف آخر ما تقع عليه عينك قبل أن تسلم أجفانها للمنام، فرتل من آى القرآن ما وسعك أن ترتل، تطهيراً لنفسك مما علق بها من

غبار يومك ؛ ونم على وقع تلك الأهازيج العوية سابحا فى أحلام طيبة كلها روح وريحان ...

أعمل بتلك السنة لا تنحرف عنها يوما ، واتخذها لك منهجاً وإماما ، وانظر كيف تصير من حال إلى حال ، وكيف يتكامل لك حظك من سعادة النفس ونعيم الروح ...

ولا تنس هذا القرآن العظيم فى غدوّ ولا رواح . فإن ألمت نازلة ، أو حزب أمر ، فاجعل من آيِهِ لك مفزعاً تستظل فيه من حر ما تجد ، وإنك لشاعر من ساعتك بأن الغمة لا سلطان لها عليك ، وأن لك جلداً لا يهن ، وعزيمة لا تخور ...

أخى المؤمن :

مزية جليلة لك أن يكون ذلك الذخر الخالد من كلام الله قرآناً دانياً منك ، تلتمس فيه علاج نفسك ، وصفاء روحك ، وتعتلك به ناصية السعادة بمعناها الأسمى ، ذلك لأن هذا القرآن الكريم ينأى بك عن مكاره الأرض ، ليصل بينك وبين السماء !

محمود تيمور

الرأى العام

فى تعاليم الإسلام

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى

من أهم الدعائم التى تقوم عليها عظمة الأمــة ، وتستقيم بهــا أحوالهــا ؛ أن يكون فيها « رأىٌ عام » ناضج مهيب ، يستلهمه قادتها والقــائمون بأمرها ، ويخشاه من تحدثهم نفوسهم بالبغي عليها ، أو الانحراف عن الصراط السوى فى تدبير شئونها .

وأهل السياسة ، ورجال الاجتماع ، يحكمون للأمة أو عليها بحسب « الرأى العام » فيها ، فإذا كان من عادة الأفراد أن يهتموا بالشئون العامة ، ويحرصوا على أن يكون لهم توجيه فيها ، ووزن لقيمتها ، وتمييز بين الصالح والفاسد منها ؛ كانت الأمة بخير ، وكانت جديرة بأن تعيش وتكافح فى معترك هذه الحياة ، وتتبوأ بين الشعوب مكانة حسنة . وإذا كان الأفراد معنيين بشئونهم الخاصة فحسب ، يقصرون عليها جهودهم ، وينفقون فيها كل نشاطهم ، ولا يعنيهم بعد ذلك أصلحت أحوال المجتمع الذى يعيشون فيه أم فسدت ؛ فالأمة على خطر عظيم ، وهى سائرة بخطى واسعة إلى الفساد ثم الانحلال ثم الهلاك !

وهذا الأصل العلمى له شواهد من واقع الأمم فى القديم والحديث ، وله فى عصرنا الحاضر على وجه أخص أمثلة من الأمم القوية والأمم الضعيفة لا أحسبنى فى حاجة إلى الإطالة بذكرها . وإنما أريد أن أقول : إن هذا الأصل الذى آمن به علماء الاجتماع ، وأصبح من الحقائق المسلم بها ، قد جاء به الإسلام ، فقرره الكتاب الكريم ، وبينته السنة المحمدية فى جلاء ووضوح منذ أربعة عشر قرناً !

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وهذه الآية هى أساس المسئولية التضامنية بين جميع أفراد الشعب ، إذ توجب على الأفراد أن يكونوا دعاة إلى الخير ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، فيؤلفوا بذلك « رأياً عاماً » يُلزم كل إنسان بالاستقامة على النهج ، والتزام الصراط المستقيم ، فيما هو مولى عليه من شئون خاصة أو عامة .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن « من » فى قوله تعالى « ولتكن منكم » للتبعيض ، وأن المعنى على ذلك وجوب الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجوباً كفائياً ، أى « أنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين ، ولو أخل بها الكل ، أثموا جميعاً » ورأى بعضهم أن « من » فى الآية ليست تبعيضية ، وإنما هى تجريدية ، كما تقول : لقيت من فلان أسداً ، وأنت تريد أن تقول لقيته هو ، والمعنى

على هذا ، كونوا أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وهذا الرأى الأخير هو الحق ، وهو الذى نصير إليه ، ونقول به وذلك لأمور : منها أن الله سبحانه وتعالى يقول فى آية أخرى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وفى هذه الآية أسند الفعل صراحة إلى ضمير الأمة .

ومنها أن الله ذكر المنافقين والمؤمنين فى آيتين من سورة التوبة فقال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم » « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله » .

جمل من صفات المنافقين ودأبهم الذى طبعوا عليه أنهم ملتوون عن سبيل الحق ، يمقتون الصلاح والخير ، ويميلون إلى الفساد والشر، فيأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم عن أعمال البر والتعاون فيبخلون ، ولا يصح أن يكون الكلام على إرادة بعض من المنافقين دون بعض ، فإنه فى صدد ذكر خصائصهم وما يعرفون به ، وفى مقابل ذلك جمل من صفات المؤمنين ولاية بعضهم بعضا ، أى الأخوة والمحبة والتناصر والتعاون على البر والتقوى ، وجمل من صفاتهم أيضاً الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله ، ولا يصح أن يكون الكلام هنا أيضاً على إرادة بعض من المؤمنين دون بعض ، لا سيما وقد ذكر من الأوصاف إقامة الصلاة ومابعدها من الفرائض العينية التى تجب على كل فرد .

ومنها أن الله تعالى ختم الآية الأولى بقوله : « وأولئك هم المفلحون » أى الفائزون بما قضت به سنته من النجاح فى الدنيا ، والنجاة فى الآخرة ، وختم الآية الأخيرة بقوله : « أولئك سيرحمهم الله » أى سيشملهم برعايته وتوفيقه وفضله ، ولا يصح أن يكون الفلاح خاصاً بالقائمين بفرض الكفاية دون غيرهم ، ولا أن تكون الرحمة مقصورة عليهم ، مع أن الله قد أباح للآخرين أن يتركوا الفعل اعتماداً على كفاية حصوله ممن قام به ، وإلا لكان بمثابة أن يبيح أمراً لا يتصل به سبب من أسباب الفلاح والرحمة .

ومنها أن الله تعالى قال فى سورة العصر « إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فجمل الحكم بالخسارة عاماً يشمل جميع الناس ، ثم استثنى المؤمنين العاملين المتواصلين بالحق والصبر ، والتواصى بالحق هو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فمن لم يقم بها فهو فى خسر ، وهذا حكم عام لجميع الأفراد ، يقابل الحكم بالفلاح ، والوعد بالرحمة فى الآيتين السابقتين .

من هذا يتبين أن القرآن الكريم يعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شأن المؤمنين ودأبهم ، وأن كل مؤمن مكلف به تكليفاً عينياً كما هو مكلف بالصلاة والزكاة وإطاعة الله ورسوله ، وهذا طبعاً فى حدود الاستطاعة والقدرة والأمن من ترتب مفسدة أعظم ووقوع فتنة أكبر ، وإلاسقط أو وجب الكف عنه .

وقد جاءت السنة المطهرة بما جاء به الكتاب الكريم ، فمن ذلك ما رواه المحدثون عن أبى بكر رضى الله عنه من أنه قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس . إنكم تقرأون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » وفى رواية « ليس من قوم يُعمَل فيهم بمنكر ، ويُفسَد فيهم بقبيح ، فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم » ، ومن ذلك ما رواه أحمد وابن ماجه والبيهقى وغيرهم من قوله صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وما رواه مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

والحديث الأخير يعم بالخطاب سائر المؤمنين ، ويكلف بتغيير المنكر كلاً على حسب استطاعته : باليد أو باللسان أو بالقلب ، والتغيير بالقلب عبارة عن مقت الفاعل وعدم الرضى بفعله ، وهو وسيلة صحيحة لردع أهل الفساد ، فإن شعور المفسد بمقت القلوب له ونفور النفوس من فعله ، واحتقار الناس إياه ؛ كفيل برده عن

الإفساد من قريب أو من بعيد ، وهو أشبه بملاج الإيحاء لأنه بمثابة نهي صامت مُلحّ يتمثله المرتكب للقبيح مدويًا في أذنه ، مثابراً على تبكيته وتأنيبه .

وقد مثل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حال المؤمن بالنسبة لأخيه فقال : « المؤمن مرآة المؤمن » كما مثل لنا حال الأمة بحال راكبين في سفينة أراد بعضهم أن ينقر فيها ، فإن أخذوا على يده نجوا ونجا معهم ، وإن تركوه هلكوا وهلك معهم .

هذا كله تربية للأمة ، وتكوين لشخصيتها ، وخلق لقوة المقاومة فيها ، تحصيناً لها من الفساد ، ودفعاً بها في سبيل الرشاد .

وقد قص علينا القرآن أمر بني إسرائيل لما انهدم فيهم هذا الأصل ، وساهموا فيه وداهنوا ، فقال : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » واللعن عقوبة شديدة فظيعة ، هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، والحرمان من توفيقه ورعايته ، ولاشك أن أمة تصاب بذلك هي أمة هالكة بائرة ، وقد ذكر الله سبب هذا اللعن الذي عوقبوا به على لسان داود وعيسى بن مريم فبين لنا أنه العصيان والاعتداء وعدم التناهي عن المنكر ثم ذم صنيعهم في ذلك بهذه العبارة البليغة المؤكدة بالقسم : « لبئس ما كانوا يفعلون » .

كما قصت علينا السنة النبوية ذلك لنعتبر به ، فقد روى أبو داود وغيره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل ، كان الرجلُ يلقى الرجلَ فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل » وكان متكئاً فجلس وقال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد المسيء ، ولتأطرنه على الحق أطرا[1] — أو تقصرنه على الحق قصراً — أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، أو ليلعننكم كما لعنهم » .

وقد تحدث الله جل علاه عن « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » فقال وعداً ، واشتراطاً عليهم : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز : الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

فبعث بذلك في كل فرد من أفراد المؤمنين رغبة النصر والقوة والعزة على شرائط يؤديها من بينها هذا الركن الأساسي العظيم ، وقد وفى الله للمؤمنين بوعده حين وفوا له تعالى بما شرط عليهم ، فلما كان شأنهم قول الحق ، والإنكار على الظلم ، وبذلَ النصح ، وتقويم المعوج ، والدعوة إلى الخير والمعروف ، أصلح الله شأنهم ، وأعز دولتهم ، وأخاف أعداءهم ، ولما جاملوا في الحق ، وتسامحوا في درء المفاسد ، ودفع المنكرات ، وضعفوا عن مجابهة المبطلين ، ضرب الله بعضهم ببعض ، وأصابهم بالانحلال ، وأصبحوا أفراداً ممزقين ، يتجاورون في الأوطان ، دون أن يجمعهم وصف الأمة المتعاونة المتكاتفة ذات « الرأي العام » الناضج المهيب .

« وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

محمد محمد المدني

المفتش بالأزهر

(١) أطره يأطره — من بابي ضرب وكتب — : عطفه وثناه .

الإسلام في تركيا

للأستاذ محمد فريد وجدي



مر على تركيا عهد كانت فيه كسائر الأمم الشرقية تحت وصاية رجال الدين. فكان للدولة شيخ للاسلام له رأى مسموع فى الشئون الحكومية والسياسة الدولية، وكان له ألوف من الأتباع منبثين فى جميع الولايات يؤيدهم الشعب فى إملاء إرادتهم على الولاة. وكان يقوم إزاء هؤلاء الممثلين للدين رجال انتحلوا لأنفسهم صفة التصوف، وليس أكثرهم منها فى شيء، يطعّمون عقلية الناس بوجهات نظر فى الدين قد تنافيه أو تحد من سماحته. وكان الشعب التركى فى الثلاثة القرون الأخيرة قد تعب من مواصلة الجهاد، ولكن التارات التى لأوروبا عليه لم تخمد جذوتها، بل زادت اشتعالا انتهازاً للفرصة، فكان هذا الشعب الجرئ الصبور يتحمل الشدائد ولا تلين له قناة نحو قرنين متواليين.

فى هذه الأثناء أكثرت تركيا من البعوث العلمية لأوروبا، وأكثرت من حصة ألمانيا فى الثقافة العسكرية؛ وألمانيا كانت معشش الفلسفة المادية فى القرن التاسع عشر كله، حيث نبغ شيوخ الإلحاد وممثلوه، فاقتبس منهم شبان الأتراك أكثر نظرياتهم، ولما عادوا إلى أوطانهم أشاعوها، فوجدت رواجاً بين المتعلمين، وساعد على هذا الرواج تشدد بعض الشيوخ فى رجعية ظاهرة البطلان.

فلما حدثت الحرب العامة فى سنة ١٩١٤ وانتهت بهزيمة ألمانيا وأنصارها، وكانت تركيا منهم، وتقرر الصلح، شعرت تركيا بأن خصومها يريدون الإجهاز عليها، فثارت ثورة استبسال تيقظت فيها جميع مصادر قوتها ووسائلها، وتجلت فيها روح عزتها وكرامتها، ووقفت للدول المنتصرة على حدود بلادها والسيف فى يدها تذود عن وجودها بذماء من حياة بقيت لها. فأخضع الله أعداءها لهذا المظهر الرائع من حوادث البطولة النادرة، وكان جزاؤها أن أعطيت كل ما طالبت به من حقوقها الاجتماعية كافة، وحدودها الطبيعية كدولة. فكان هذا حادثاً فذاً لم يشهد له التاريخ نظيراً.

أدركت تركيا أن ما كانت قائمة عليه من الأصول، ونابتة تحت أعبائه من التقاليد، لا يصلح أن يقيمها على طريق الأحياء كدولة عصرية، فعمدت إلى إزالته جملة بما فيه من خير وشر، لتنتحل شخصية الأمم الراقية طفرة، وغاب عنها أن ذلك إنما يمكن أن يكون والدماء لم تهدأ من غليانها بعد؛ ولكن بعد أن يسكن جأش الأمة، ويهدأ بالها، وتطمئن على كيانها، تتيقظ مطالبها الروحية، وحاجاتها الوجدانية، وأخصها الدين، وأين هو؟ التمس الناس حفاظه فوجدوهم قد لبسوا القبعات واندمجوا فى الشعب يعملون لكسب قوتهم!

نعم، وجدوا المساجد مفتحة الأبواب تستقبل جماهير المصلين، ولكن أين الدروس الدينية، وأين الوعاظ والمرشدون، وأين القضاة والمفتون؛ بل أين الطلبة المعممون، وأين أساتيذهم الموقرون؟!

الثورة قد أتت على كل هذه التقاليد، حتى إنك كنت لو سألت عن مصير هذه الحالة، قيل لك إن الحكومة ستصنع للدين وتدريسه نظاماً لا يمكن معه أن تستغل سذاجة العامة للدس عليه ما ليس فيه، أو لإظهاره على غير ما هو عليه من النزاهة المثالية، والروح الوثابة، والمظهر المهيب. ثم يعقب ذلك سكوت طويل!

وكانت البلاد التركية غاصة بالملاجىء الدينية، والتكايا المذهبية

تأوى إليها عشرات الألوف من أهل البطالة يستغلون بساطة النساء وضعفاء العقول ، فكان الناس لا يجدون منهم رجلا يتلكأ فى مشيته تحت جبته الفضفاضة ، إلا خفوا إليه يقبلون يده ، ويتلمسون البركة من الاتصال به ، غير مفكرين فى الأسباب المادية ، والعوامل المادية ؛ فكانت هذه الحالة من التعويل على الأوهام سببا رئيسيا فى تقاعس الدهماء عن التفكير فى معترك الحياة ، وعن افتقارها إلى علم ومال ودؤوب . فكان النجاح فى نظرهم تابعا للحظوظ تصيب هذا وتخطىء ذاك ، ومن تصب ترفعه إلى أعلى مما يتوق إليه ، ومن تخطىء تقذف به إلى مكان سحيق !

هذه كانت الحالة العقلية للشعب التركى على نحو سائر العقليات الشرقية التى ينتظمها جميعا رباط وثيق .

فكان رجال الثورة لا يجرؤن على إعادة الحرية الدينية خشية أن تفقدهم كل ما حصلوه بجهادهم المنيف . وبعد أن مضى نحو ربع قرن على هذه الحالة نشأ رأى معتدل ناضل عن الحرية الدينية فى نطاق حدده المسؤولون عن حفظ كيان الشعب ، وإبعاد الغوائل عنه . أول من اقتحم هذه العقبة كان (جلال بايار) الذى كان رئيسا للوزارة وزعيما للحزب الديمقراطى . فطلب إلى الحكومة أن تحترم دين الأمة وهو الإسلام ، وأن تسمح بالعمل على نشره وبتدريسه فى المدارس الابتدائية والثانوية .

فقبلت الحكومة هذا الطلب واشترطت شروطا كلها ضمانات قوية لسلامة الإسلام من العبث ، فشرطت أن لا يدرس كتاب فى المدارس إلا إذا أقرت الحكومة على تدريسه فيها . واشترطت كذلك أن لا يدرس الدين إلا للذين حصلوا على معلومات دراسية فى مدارس الحكومة أو التى تعترف بها . وهذا الشرط وإن ظهر مبالغا فيه ، إلا أنه يمكن قبوله على اعتبار أن الذهن الخالى من المعلومات ، لا ينبغى أن يتعلم إلا ما لابد منه من النطق بالشهادتين ، وحفظ آيات من القرآن ليصلى بها . ولعلهم منعوا تعليم الجهال العلوم الدينية لكيلا يتبعوا سبيل قدماء الشيوخ فى التحكم بنصوص الدين على كل شىء ، وبتكفير المسلمين على أقل ما يتخيل أن فيه مساسا بالعقيدة . هذا فضلا عن مثوله بين المتعلمين على حال لا يتفق والمتفقه فى الدين من الجهل ببسائط العلوم الطبيعية ، وأوليات الشؤون التاريخية والاجتماعية . ومثل هذا وإن كان لا يخشى منه أقل تأثير على المتعلمين ، ولكنه يعتبر كلامه عند العامة من العلم فى صميم الصميم .

الخلاصة أن الأتراك بعد أن طال صمتهم عن الشؤون الدينية التى كانوا يعتبرونها شخصية محضة للأفراد ، عادوا فاعترفوا رسميا بأن دين الأمة التركية الإسلام ، واستخدموا هذا التعبير فى اكتساب هوى الشعوب العربية . وكل هذا كان من ضروريات الثورة ، فإن أخص مميزاتها إحداث انقلابات تعقبها انتقالات . وقد حدث مثل هذا الأمر فى كل أمة . ففى الثورة القريبة منا ، وهى الثورة الفرنسية أنكروا الدين والخالق جل وعز ، ثم عادوا بعد عشرات من السنين إلى ما كانوا عليه ، ولكن كانت الثورة أتت على كل ما يخشونه مما يوهن حركة الازدياد عن ثمرات الثورة ، أو يضيع الحقوق التى اكتسبت منها .

الأمر الذى نريد لفت النظر إليه فى الثورة التركية أنها سمحت بتأسيس كلية لتعليم أصول الدين الإسلامى ، ومدارس أخرى لتخريج من يتولون التعليم الدينى ، ولكنها اشترطت أن يكون طلبتها ممن أتموا دراستهم الثانوية فى المدارس الحكومية وحصلوا على شهادة الثقافة منها .

وأحسن من هذا وأعظم أثرا فى خدمة الإسلام الحق وحماية الأمة من تسرب التعاليم الضارة إليها باسم الدين أن الحكومة التركية شرطت أن لا يطبع كتاب دينى ويدرس فى المملكة التركية إلا بعد أن يعرض على مجلس النواب ليدرسوه ويتباحثوا فيه ويقروه ..

هذا وحده خير ما أثمرته ثقافة القرن العشرين للاسلام ، فإن أى كتاب يكون قد قش بين دفتيه من حق وباطل ، وجمع بين غث وسمين ، لا يمكن أن يتغفل مئات من النواب وألوف من رجال الصحافة والكتابة ، ويحصل على تصريح بالطبع فيفسد عقيدة المسلمين .

هذه الرقابة الثمينة وحدها سيكون من أخص آثارها قطع دابر البدع التى شاعت بين المسلمين حتى حلت محل الدين نفسه لديهم . ولأول مرة — بعد قليل من السنين — سيشهد مصلحو المسلمين أن شعبا إسلاميا عدد أفراده عشرون مليونا يدينون بالإسلام خالصا من البدع التى شوهت جماله زهاء ألف من السنين فى بقاع أخرى من بلاد المسلمين .

محمد فريد وجدى

يا أيها العرب!

للأستاذ علي الطنطاوي



يا أيها المستمعون إليَّ، مقبلين عليَّ، ويا أيها السامعون وهم معرضون، يلهون في القهوات أو يتبخترون في الطرقات، إلى العالم في مكتبه، والعامل في معمله والمرأة في بيتها، والطفل في مدرسته إلى من يتفيأ الظلال من جنات الشام، ويترشف الزلال من نيل مصر، ومن يتنعم بفيء النخيل على شط دجلة، ومن يضحى بشمس القفار من فلوات الحجاز، ومن شرَّق من العرب ومن غرَّب ...

يا أيها العرب جميعاً .. هل تدرون ما هو أعظم خطب يمكن أن ينزل بنا. وما هي أدهى مصيبة يخشى أن تصيبنا؟ لا، ليست الاستعمار الأجنبي، فسنجاهد حتى لا يبقى في ديار العروبة، ومنازل الإسلام غاصب أجنبي، وليست مشكلة إسرائيل، فسنحارب حتى نسلم (إسرائيل) إلى عزرائيل، ولكن المصيبة أن نكفر بأنفسنا، وأن نجهل أقدارنا، وأن لا نعرف فوق الأرض مكاننا، وأن نحسب أننا خلقنا لنكون أبداً أضعف من الغربيين، وأجهل منهم، وأن ننسى أن أجدادنا لما خرجوا يفتحون الديار، كانوا أقوى منا على عدونا، وأنهم أقدموا بسيوف ملفوفة بالخرق على عدو كان أكثر عدداً وأقوى عُدداً وأضخم عمراناً، وأكثر علماً ومالاً. فظفروا به، وانتصروا عليه. وأن الأيام دول، والدهر دولاب، يهبط العالي، ويعلو الذي هبط، ويذلّ العزيز، ويعزّ الذي ذلّ، وإن دار علينا الدهر حيناً، فافترقنا وتباعدنا، ولفّنا بعد إشراق النهار ليل مظلم، أغمضنا فيه عيوننا، وأغمدنا فيه سيوفنا، فلم نبصر اللص يدخل علينا، ولم نَنْهَدْ إليه لنردّه عنا، وحسبنا لطول الليل أن لا صباح له، فقد طلع الآن الصباح، وانقضى الليل، وهبّ النائمون يمشون إلى الأمام ...

إلى الأمام! وإلا فما هذه الثورات، وما هذه الوثبات؟ وما هذه الوحدة في العواطف، حتى لتهتز الشام لكل حادث في العراق، وتغضب مصر لكل عدوان على الشام، ويثور المشرق لنصرة المغرب، وتقوم مراكش لتأييد أندونسيا، وتهبّ الباكستان للدفاع عن فلسطين؟

إلى الأمام! وإلا فما لمصر، صارت فيها الفكرة العربية ديناً وكانت من قبل تعيش عامتها في ظلام العزلة، وتحيا (بعض) خاصّتها في ضلال الفرعونية؟

إلى الأمام! وإلا فهل كانت تظن فرنسا ويظن عبيدها أن سيقطع الله دابرها من سورية ومن لبنان، ومن لبنان يا أيها السادة! وهل كان يظنُّ الانكليز أنهم سيضطرون إلى الخروج من وادي مصر، وأن العراق سيقطع اليد التي تحاول أن توقع معاهدة ليس فيها خيْر العراق، وهل كان يظن أحد أن الهند، الهند ستتحرر وأنها ستكون في الدنيا دولة إسلامية فيها مئة مليون.

إن هذه الظاهرات، وهذه الثورات، حركات السائل الناري في باطن الأرض، إنها الهزَّة، ثم تكون الرجفة، ثم يكون الزلزال. ثم ينفجر البركان بالحمم، وتفتح أبواب جهنم، فلا يقف أمامها شيطان من الشياطين، ولو كان له مال (حاييم)، ودهاء (جون بول)، وقوة (الدب)، وإقدام (العم سام).

لسنا اليوم كما كنا من خمسين سنة، كنا نخاف أوربة لأننا نجهل ما عندها، وكنا نخشاها لأننا ما عرفناها، أما اليوم فقد هتك الستار، وكشفت الأسرار، وعرفنا أن هذه المدنية مدنية الظفر والناب وأنها حضارة الذئاب ...

فيا أيها العرب، فوق كل أرض، وتحت كل سماء، لقد جئت الليلة، ليلة هجرة محمد، أستحلفكم بقبر محمد، وبالمسجد

(*) أذيعت من دمشق ولم تنشر

الأقصى ، وبعهد عيسى ، وبأمجاد الماضى ، وبآمال الآتى ، أن تثقوا بربكم ، وأن لا تعتمدوا إلا على نفوسكم ، وأن تعلموا أن النازلات امتحان للهمم ، وتمحيص للأمم ، وأن لا تكفروا بالبطولة التى صبها فى دمائكم يا أيها العرب ، سيد العرب محمد ، وأن تأخذوا من سيرة محمد الذى اجتمعتم الليلة للاحتفال بذكراه دروس البطولة والعزم والنضال .

وأن تذكروا موقف محمد يوم كانت المدينة على حافة الخطر وكانت معرّضة لأقوى هجوم يمكن أن تقوم به جزيرة العرب ، وكان على الطريق إليها ثلاثة جيوش فيها عشرة آلاف مقاتل ، والمسلمون كل المسلمين يومئذ ثلاثة آلاف، وأن المدينة قد (تسقط) بين ساعة وساعة ، ويقضى على الإسلام ، فما ذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ذا صنع المسلمون ؟

هل تحيروا حتى لا يدرون ما ذا يصنعون ، فجلوا يرتجلون الخطط ، ويبتدعون الآراء ؟ هل كفوا أيديهم عن العدو وأطلقوا ألسنتهم عليه ، فرموه بالخطب والتصريحات ؟ هل أضاعوا الفرصة وأمضوا الأيام فى الاجتماعات والمؤتمرات ؟ هل اختلفوا وتنازعوا؟ وهل فكر الأغنياء فى أن يستأجروا بيوتاً فى الأرياف ليفروا إليها ، إذا نزلت الملمات وكانت (الغارات) ؟

لا يا سادة .. لم يفكر فى الفرار إلا (المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) . أما المسلمون فكانوا يعلمون أن المسلم الذى يفرّ من بلده إذا دهمه العدو لا يكون مسلماً ، وأن الإسلام يفرض القتال عند ذلك على الرجال والنساء فرض عين كفرض الصلاة .

لا ، ولم يعتكف رسول الله فى مسجده ، ليدعو عليهم ، ولو دعا لاستجاب الله دعاءه ، ولكنه أراد أن يأتى البيوت من أبوابها ، ويجر النتائج بأسبابها ، ويعلم هذه الأمة كيف تصنع إذا دهمتها المخاوف ، وحاقت بها الأخطار ، وشرع يحفر الخندق والخندق هو (الملجأ الفنى) من (غارات) تلك الأيام ، ولم يكن العرب يعرفون الخنادق بل هى من طرائق العجم فى قتالها .

وكذلك كان محمد يعدّ لعدوه أحدث المخترعات الحربية ، ويفاجئه بـ (أسلحة جديدة) لم يسمع بها . لم يأمر بحفر الخندق وهو مقيم فى داره ، هادئ هانئ مستريح ، بل عمل معهم ، بيده قبل أيديهم ، حمل التراب حتى غطى بطانه التراب ، وجاعوا فجاع معهم ، وربط على وسطه من الجوع الحجر ، وكان أقواهم يداً ، وأثبتهم قلباً ، عرضت صخرة لم تعمل فيها المعاول ، ولم تؤثر فيها سواعد الرجال ، فلجأوا إلى محمد ، فلم يستطع أن يكسرها إلا ساعد محمد ، وهو يعمل بلا قميص شأن الرياضى القوى ، لا شأن هؤلاء (المشايخ) الذين يمشون ورؤوسهم محنيّة ، وأطرافهم متخاذلة ... كأنْ قد هدّهم المرض !

أعدّ الخندق لـ (الدفاع السلبي) ، ثم خرج مع المسلمون لـ (الدفاع الإيجابى) ، وولى على المدينة ابن أم مكتوم ما اختاره لعصبية أسرة ، ولا لجامعة حزب ، ولا لصلة قرابة ، بل لأنه أحق بالولاية وأولى بها ، ولم ينازعه أحد ولايته لأن الأمة التى تشتغل بالجزئيات ، وتتنازع على الكراسى ، والعدو على الأبواب لا تستحق الحياة .

وأحاط العدو بالمدينة ، واشتد الخطب وعظم البلاء ، وقلّت الأقوات ، وجاءت فى خلال ذلك قاصمة الظهر بأن الحلفاء من يهود قريظة ، خانوا العهد ، وأخلفوا الوعد ، وغلبت عليهم نجاسة طباعهم ، ونذالة أخلاقهم ، صفة اليهود أبداً ، أينما كانوا وحيثما وُجدوا . فلم يفارق محمداً ثباته وعزمه ، وبعث يتحقق الخبر ، وأمر رسوله أن يعلن إن وجده كذباً لتقوى العزائم ، وتشتد الهمم ، وإن وجده صدقاً لحن له به ، ولم يخبر به الناس ، لئلا تكون الأسرار العسكرية حديث المجالس ، وأسمار السمار .

وأحسّ بالأمر المنافقون ، وما تخلو أمة من (منافقين ...) ومن دعاة الشر وبغاة الهزيمة ، فأعلنوا ما كان مضمراً ، و(زاغت الأبصارُ ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ ، وتظنون بالله الظنونَ ، هُنالك ابتُلى المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً . وإذْ يقولُ المنافقون والذين فى قُلوبهم مرضٌ : ما وعدَنا اللهُ ورسوله إلا غُروراً . وإذْ قالتْ طائفةٌ منهمْ يا أهل يثرب لا مُقام لكمْ فارجعوا ، ويستأذنُ فريقٌ منهمُ النبيّ يقولونَ إنّ بيوتنا عورةٌ ، وما هى بعورةٍ ، إنْ يُريدُونَ إلا فِراراً) . واجتمع على المسلمين العدو القوى والبرد والجوع وخيانة الحليف وتثبيط المنافق ، فقضى رسول الله على (الانقسام الداخلى) وصبر على الحصار ، ثم صمد

للهجوم ، واستعمل كل سلاح ، فحفر الخندق ، وحارب بالسيف وحارب بالحيلة . فكان الظافر فى الحرب الدفاعية ، وفى الحرب الهجومية . وفى حرب السياسة ، وفى حرب الأعصاب . وكان له النصر المؤزّر .

واذكروا بعد ذلك كم جزنا من امتحان ، وكم نجونا من خطوب . يوم كرّ علينا الشرق كله بهمجيته وكثرته وقسوته جيوش التتر يقودها الكلب الكَلِب : هولاكو . فرت كالسيل الحاطم ، فاجتاحت دول الإسلام (وما كان ينبغى أن يكون للاسلام إلا دولة واحدة) ؛ حتى إذا عبثت بالخلافة ، وداست بغداد ، وفعلت فى دنيا المسلمين الأفاعيل ، ولم تبق منها إلا ولايات متباعدات ضعيفات . وقف لها شيخ واحد . شيخ لم يتخذ الدين سُلّماً للدنيا ، ولا الصلاح شبكة المال . ولم يكن همّه مشيخة يزهى بها ، ولا ضياع يقتنيها ، ولا سيارة يركبها . ولا وظيفة يحظى بها . لم يكن يمدُّ يده للناس يقول قبلوها واملأوها مالاً ، ولا يقول تصدقوا بأموالكم ليأخذ هو الصدقات ، قد احتقر الدنيا فى جنب ما عرف من نعيم الآخرة ، وهان عليه أهلها ملوكهم وسوقتهم لما وقر فى نفسه من عظمة الله شيخ اسمه العز بن عبد السلام .

أثار هذا الشيخ مصر ، حتى انتصر جيش مصر الضعيف على جيوش التتر القوية ، وحفظ اللهُ به فى عين جالوت الدين والدنيا ، وأنقذ به الإسلام والحضارة . وما انتصر جيش مصر إلا بالإيمان الذى أثاره فى النفوس هذا الشيخ .

واذكروا يوم كرّ علينا الغرب كله . يقذفنا بالجنود من كل لون . ويرمينا بالأسلحة من كل نوع . وكنا دويلات وإمارات متخاذلات متقاتلات . فنصرنا الله على الغرب كله برجلين اثنين وما انتصرا إلا بالإيمان والإخلاص ، وإن تركة صلاح الدين الأيوبى بطل الدنيا ، كانت ستة عشر ديناراً ، لم يورث غيرها !

* * *

يا أيها المستمعون جميعاً . سألتكم بالله : انسوا لحظة واحدة جاهكم ومطامعكم ، وحبكم وبغضكم ، ومشاغل بيوتكم وأسواقكم وفكروا فى نفوسكم ، فيما كان عليه أجدادكم ، وما انتهت إليه حالكم . هل صنعتم مثلما صنع النبى يوم الخندق ، هل عندكم اليوم مثل الملك صلاح الدين . هل لديكم مثل الشيخ عز الدين هل أعددتم لليوم العبوس عدته . هل أحسستم إلى هذه الساعة أنكم فى حرب ؟

يا ناس !

هل تعيش أمة فى الحرب مثلما كانت تعيش فى السِّلم . لا تنقص شيئاً من لهوها وتبذيرها وغفلتها ، وإضاعتها أموال العامة وأموال الخاصة فيما لا ضرورة له ، ولا جدى منه ، وإنفاقها فى (الكماليات) التى يذهب ثمنها إلى عدوها ، فيرجع إليها رصاصاً وقنابل تنزل على دورها وصدورها ؛ هل تختلف أمة على الصغائر ، وتتنازع على المناصب ، والعدو قد غشيها فى أرضها ؟ هل ينفق فى الأمم الحية المحاربة قرش واحد إلا فى شراء النصر ؟

يا ناس !

إنى أكون خائناً لدينى ولأدبى إذا أنا غششتكم فى يوم هجرة نبيكم ، أو كتمت الحق عنكم . إنكم طالما تنكرتم لدينكم ونسيتم أقداركم ، واحتقرتم نفوسكم ، وأضعتم سلائقكم الخيّرة ، وخلائقكم النبيلة ، فى تقليد الأوربيين فى التافه من شئونهم ، وفى إعظام الأوربيين والرعب منهم . ولا سبيل لكم إلى النصر إلا بأن تعودوا فتتخلقوا بأخلاق النضال التى خلق بها أجدادكم نبيكم ، أجلوا كل اختلاف بينكم إلى نهاية هذه الحرب ، وأرجئوا كل نفقة لا ضرورة لها ، ولهو لا داعى إليه . وواجهوا العدو صفاً واحداً ، وقلباً واحداً ، قد وقفتم على الظفر قواكم كلها وأموالكم ، واعلموا أنه لن ينفعكم والله منصب ولا مال ، إن تركتم عدوكم يقوى بضعفكم ، ويشتد بتخاذلكم ، ويزيد بنقصكم إن الدنيا مقبلة على غمرات سود ، ومرتقبة أحداثاً جساماً ، وستكون معركة لا يخرج منها إلا البطل . فيا أيها العرب : تيقظوا وتنبهوا وثقوا بربكم وعودوا إلى خلائقكم . واعرفوا أقداركم ، واعتمدوا على نفوسكم ، وأيقنوا (إن فعلتم) أنكم منصورون منصورون منصورون …

يستحيل أن تغلبكم كلاب يهود !

(دمشق) **على الطنطاوى**

الشهيد

للأستاذ محمود الخفيف

(إلى روح تلميذي الشهيد ا . و . الذي قتل في سبيل الله)

رأى الموت جهماً فما أحجما وأوحى له الكبرُ أن يَبسِما
فتى همه كان خوض الردى وكم شق موجاً له أقتما
وظل على صهوات الحتوف إلى أن هوى ، البطل المعلما

فتى كان في الخُلق أوفى الخصال كما شاء أن يتناهى الكمالْ
كما اعتدل الرمح عودٌ له وحد الحسام له والصقال
كأن من الصخر قلباً له وكم رفَّ قبلُ لسحر الجمال

فتى ما درى قط معنى القعود ولا عرفت روحُه من قيودْ
له همة إن تداعى الرجال يقصر عنها العُقابُ الصَّيود
على اللهو ضنٌّ بأيامه وبالدم في كل يومٍ يجود

له دعوة المجد أشهى نشيد وأحلى الغناء رنينُ الحديدْ
إذا ساورته طيوف المنى مشى للمنايا بعزمٍ جديد
وإن باح صَبٌّ بأحلامه عن النصر حُلماً له لن يحيد

فتى كان في السلم حلو الشباب وإن كان مراً غداة الضرابْ
وضيء المحيا ترى كِبْرَهُ وقد مازجته السجايا العِذاب
إذا الليل ضجَّ بِسُمَّارِهِ توقدَ روحٌ له كالشهاب

وإن عصف الرأي كان الأريبا وكان الرفيق البليغ الأديبا
وإن نُدِبَ الناسُ للصالحات تردَّى من الفضل ثوباً قشيبا
فتى أكملَ الحب أوصافَه فبات إلى كل قلبٍ حبيبا

وكم رشقته سهام الجفون وأوما حيث استوى السامرون
وقار البطولة في ناظريه وإن ضجَّ في مسمعيه المجون
وتصحو له ناعسات العيون ويغفو فما مسه من فتون

فتى كان وهو الأبيُّ الطليق أسيرَ هوى قلبه لا يُفيقْ
وكم ذاقَ من نشوةٍ قلبُه وكمْ ذاق مثلَ عذاب الحريق
وعف هواهُ فما اعتاقهُ ولا صدَّهُ عن سواء الطريق

وهام بها زهرة ناضره أسيرته وله آسره !
ويعمي الضلالة في حبها وتوحي هداه له الساحره !
وفي كل طُهرٍ يري وجهها ويَنشق أنفاسها العاطره

فتى عرفته السهولُ الفِساحْ فكم هام فيها يحيِّي الصباحْ
ويملأُهُ السهلُ حُريةً وتوحي إليه الروابي الطماح
وكم أبهجته مجالي الضحى ولذَّ الأصيلُ له في الرَّواح

وكم راعهُ مهرجانُ الربيع وأسكره كلُّ لحنٍ بديع
وأوحى له الخُلدَ مِنْ عيشه مُنًى ناضراتٍ وشملٌ جميع
عَفيٌّ على الرخصِ مستكبِرٌ خفيفٌ إلى كل حُسنٍ مطيع

وكم كان يأمل فيه الأمل ويرصدُ من عزمه ما اكتمل

لطمة على خد...

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ١ —



هذا المجلس الحافل بأسباب الأنس والمسرة، الحالي بالزهر والريحان، وبالقيان والندمان على الربوة المعشبة الظليلة في أعلى «اليرموك» — قد حان أن يطوى بساطه فليس فيه بعد اليوم أنيس ولا سامر...

وهذه الأباريق في أيدي السقاة المُرْد يطوفون بها على ندمان الملك ليفرغوا في كأس كل نديم جرعة من خمر وفي قلبه لذعة من جمر — يوشك أن يفرغ ما فيها من الشراب وتفرغ منها أيدي السقاة والندمان...

وهذه الأقداح المترعة في أيدي القوم تتلامس حافاتها كأن رنينها ضحكات غانيات سكارى — قد حان أن تتحطم ويراق ما فيها من الشراب فتنتشي الأرض ويصحو السكارى...

وهذه النمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة والكراسي المنضودة عن يمين صاحب العرش وشماله — يوشك أن ينتثر عقدها ويشتت جمعها، فليس في أعلى «اليرموك» بعد اليوم عرش ولا تاج ولا صاحب سلطان، وتغدو «مملكة غسان» ذكرى، ويخمل ذكر «جبلة» وآباء جبلة من ملوك قحطان في الشام...

* * *

كذلك كان «جبلة بن الأيهم» ملك غسان يحدث نفسه وأصحابه من حوله يخالسونه نظرات خاشعة فيها قلق وريبة، قد جمدت في أيديهم أقداح الشراب فلا تدنو منها شفة، وأعولت في آذانهم رنات المثاني والعيدان فلا تهتز لها نفس هزة طرب، وعبقت أرواح العطر والبخور في جو المجلس خانقة، فلا يكاد ذو نفس من ندامى الملك يملأ رئتيه...

أكان قلقهم وانقباضهم لأنهم يعلمون ما يجيش به نفس الملك في تلك اللحظة من الخواطر السود، أم كان ذلك لأنهم لا يعلمون...؟

وكانت جارية عاطفة على عودها في صدر المجلس تداعب أوتاره بأنامل رخصة وهي تغني من شعر حسان:

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلق في الزمان الأول
يسقون من ورد البريص عليهمو ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهمو ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه أعفة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

ورفع الملك رأسه وهتف في صوت تتبين فيه مرارة اليأس والأسى:

وشيخ أب كم تأمى به ... وأم دعا قلبها وابتهل
وتُلقى على غده أمة ... رجاها وترقب فيه البطل

أجاب إلى الموت داعي الفداء ... وجن اشتياقا ليوم اللقاء
وخاض المنايا على هولها ... وأوغل في حرها كيف شاء
وكيف تعاف الردي نفسه ... وفي مصرع الحر أقوى البقاء؟

وكم بعث الموت من عاصفه ... بها الأرض من حوله راجفه
وكم جن فيها جنون القتال ... وزلزل من أنفس واجفه
وكم أقدم البطل المستميت ... ومن فوقه رعدة قاصفه

وكم بات تنزف منه الجراح ... وأناته أغنيات الكفاح
ويغفو وفي نفسه ومضة ... تريه المنية نصراً يتاح
فبالموت يحيا موات النفوس ... وتنبعث العزمات الصحاح

(البقية في العدد القادم) الخفيف

— حسبك يا فتاة !

وخيم الصمتُ على المكان ، وتماقت بالملك عُيونُ ندمانه وبطانته ؛ وتسلل القيان والغلمان واحداً إثر واحد ليهيئوا للملك وأصحابه خلوة ليست كما ألف الملك وألفوا من خلوات الأنس والسعادة ...

وانحدر الملك عن سريره ليقتعد الأرض ، ووضع عن رأسه تاجه ، وانحدر أصحابه عن كراسيهم فجلسوا بين يديه ، وقد أيقنوا أن أمراً ذا بال يوشك أن يحدث أو يسمعوا نبأه ...

ومضت فترة صمت قبل أن يبدأ الملك حديثه إلى ندماه من أشراف غسان ولخم وجذام ؛ ثم نطق :

— قد علمتم يا بني العم ما كان من أمر العرب والروم في هذه الأرض ، فليس لأصحاب « هرقل » بعد اليوم مقام في الشام بعد أن غلبهم هؤلاء العرب النازحون من البادية على أرضهم وديارهم ، وأجلوهم عن أركة ، وتدمر ، وحوران ، وبصرى ، ودمشق ، وأجنادين ، وأذاقوهم الهوان عند «اليرموك» وفي حمص وتوشك أن تسقط في أيديهم حلب وقنسرين في الشمال ، وبيت القدس في الجنوب ...

وصمت الملك برهة ، وهو يُجيل عينيه فيمن حوله ، ثم استأنف :

— وقد علمتم يا بني العم ما كان لنا من الجاه والسلطان في هذه البقاع ، حيث أقمنا لأبناء غسان في الشام عرشاً لم يزل يتوارثه آباؤنا ملكا عن ملك منذ قرون حتى آل إلينا ، لا العرب من أبناء عمومتنا في المشرق يطمعون أن ينالوه ، ولا الروم في الشمال ؛ فكانت مملكة الغساسنة هي الحجاز بين العرب والروم ، وهي لهؤلاء وأولئك سوق التجارة ، وموئل السلام والحضارة ، قد سالمنا العرب لأنهم إخوتنا في النسب ، وشركاؤنا في التجارة ، وسالمنا الروم لأنهم منا حيث علمتم من الحلف والمودة ، قد رضوا منا بالأتاوة ندفعها كل عام إلى قيصرهم في القسطنطينية ، وبالكتيبة من شبابنا يحاربون معهم تحت رايتنا إذا احتاجوا في بعض حروبهم إلى المدد والمعونة ؛ ولم يكن يدور في وهمي يا بني العم أن تسخر المقادير منا ومن حلفائنا الروم سخريتها هذه الأليمة ؛ فنصبح ذات يوم لنرى عرب المشرق قد دخلوا علينا الشام من أقطارها وباتوا يهددون عرش الغساسنة وعرش قسطنطين في وقت معاً ؛ ولكن كل ذلك قد كان ولم يكن لنا بدفعه يدان !

قال كبير القوم :

وقاك الله يا مولاي وجنَّبك العوادي ، إن بيننا وبين العرب ما نعلم من النسب ، ومن حسن الجوار والمودة ؛ وقد علمنا إلى ذلك أنهم لم يطرقوا ديارنا غزاة ولا فاتحين ، ولكنهم أهل دين يدعون إليه ، وأصحاب كتاب يؤمنون بما فيه ؛ قد آمنوا بموسى وعيسى ومحمد ؛ فليس بيننا وبينهم من أسباب الخصام إلا أن نؤمن بما آمنوا ، وقد سبقناهم إلى النصرانية ، حين كانوا غارقين في الوثنية يتعبدون لآلهة من طين ؛ فلا علينا إذا سبقونا إلى الوحدانية وثباً أن نتبعهم ونؤمن بنبيهم ؛ فإن ذلك خليق بأن يجتثَّ بيننا وبينهم أسباب الخصام والعداوة ، ولأن ندفع الأتاوة لملك عربي من أبناء عمومتنا في يثرب ، خيرٌ من أن نكون خولاً لقيصر الروم في القسطنطينية ؛ وإني لآمل يامولاي أن يكون جبلة بن الأيهم في الإسلام أعز سلطاناً منه في الجاهلية ويتسلسل ملك الغساسنة في أبنائك وحفدتك على عرش الشام إلى يوم الدين !

ورفَّت ابتسامة على شفتي الملك وهو يقول :

— هو ما قلت يا ابن العم ؛ وإنما بدأتُ الحديث معكم رجاء أن ننتهي إلى ذلك الرأي ؛ فقد عزمتُ منذ اليوم أن أكتب إلى عمر ، أمير المؤمنين في يثرب ، أعلمه بذلك وأستأذنه في القدوم عليه مُسلماً ...

— ٢ —

كان مقدم جبلة بن الأيهم إلى المدينة يوماً مشهوداً ، قد احتشد له الخلق من كل فج ليشهدوا موكب الملك الغساني في أبهته وسلطانه ، قد لبس ثياب الوشي منسوجاً بالفضة والذهب ، وعلى رأسه تاج الغساسنة تتضوأ خرزاته تحت الشمس ، ويتدلى منه قرط مارية جدته الذي تتحدث به أمثال العرب ، وقد تكنفه عن يمين وشمال ، وأمام ووراء ، خمسمائة من فرسان عك وجفنة ، يلبسون مثله ثياب الوشي ، وتلمع على رءوسهم بيضاتهم ، وتبرق مقابض السيوف في أيديهم .

موكب لم تشهد المدينة مثله منذ كانت ، فلم يبق بها يومئذ أحد إلا خرج يتفرج ، حتى النساء والصبيان ، وحتى الشيوخ والعجزة ؛ صورةٌ فريدة من أمجاد غسان ، أو هي صورة من أمجاد الإسلام في مطلع فجره لم يزل يتحدث عنها التاريخ حتى اليوم ، وإلى الغد ، وإلى الأبد !

والتقى جبلة بن الأيهم وعمر بن الخطاب ، وشهد ملك غسان أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وأقام جبلة بالمدينة حتى جاء موسم الحج ، فأعد عدته للرحلة إلى مكة ليؤدي الفريضة المكتوبة .

— ٣ —

في صعيد مكة — حيث يلتقي المسلمون كل عام من مشارق الأرض ومغاربها يطوفون بتلك البنية التي أقامها إبراهيم وإسمعيل منذ القدم — لا يتميز ملكٌ من سُوقة ؛ كل الطائفين عُراة إلا من إزار غير مخيط يستر أبدانهم ، ليس على رءوسهم تيجان ولا عمائم ولا قلانس ، حفاة إلا من خفاف لا تستر الأقدام من ظاهر ، حُشودٌ هائلة قد وفدت من الشام واليمن ، ومن عمان والبحرين وحضر موت ، ومن مصر وبلاد البربر ، ومن المدائن والقادسية ، ومن وراء الجبال والرمال والبحار الصاخبة بالموج ؛ لا عربيٌّ في ذلك الحرم ولا أعجمي ، كلهم مسلمون يدينون بهذا الدين الواحد ، هو «جنسهم» حين ينتسبون ، وهو رباط قلوبهم حين يلتقون وحين يفترقون ، تحيتهم حين يلتقون سلام ، وحديثهم تلبيةٌ وتسبيح ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . مشهدٌ عميقُ الأثر ، بليغ الدلالة على أسمى معنى من معاني الإخاء والمساواة والمحبة …

وكان جبلة الغساني يطوف مع الطائفين حول البيت ، عاري الرأس ليس عليه تاج ولا ديباج ، إلا إزاراً غير مخيط قد لفّ جسده وتدلى عن كتفيه وانجر وراءه … وعن يمينه وشماله ، وقدامه ومن ورائه ، آلاف من الطائفين قد اتزروا مثل إزاره ، يتزاحمون بالمناكب ويطأ بعضهم أقدام بعض ، ولهم ضجيج وعجيج وهتاف باسم الله صاعدٌ إلى السماء …

وتعثر جبلة في زحمة الطائفين وهمّ أن يقع ، حين وطئ إزاره طائفٌ من فزارة فحله ، وحمى أنف الملك الغساني فالتفت وراءه مُغضباً ليرى الفزاريّ الذي وطئ إزاره ، فبرز بزرة أصحاب السلطان ولطم أنف الفزاري فهشمه …

وعبرت لحظة اضطراب لم تطل ، ثم استأنف الحجيجُ طوافه وهُتافه ؛ لم يقطع ضجيجهم وعجيجهم إلا صيحة هاتف مستصرخ : واعمراه ! !

واستمع عمر إلى دعاء المستصرخ فدعاه إليه …

— من أنت يا رجل ؟

— امرؤ من فزارة …

— وما دعاك إلى الصراخ في بيت الله وحين طواف الحجيج ؟

— طائف من الطائفين لطمني فهشم أنفي وأسال دمي !

— أتعرفه ؟

— لا أعرفه اسماً ولكني أعرفه صفة …

— إذن نُقيدك منه !

ووقف الفزاريُّ وإلى جانبه غلام عمر يتصفحان وجوه الناس حين مُنصرَفهم من الطواف ، حتى مرّ جبلة فأشار إليه الفزاري : هو ذاك !

وسيق ملكُ غسان إلى مجلس أمير المؤمنين عمر ، فأُوقف بين يديه ووقف الفزاري يحاذيه كتفاً إلى كتف …

— ما ذا تقول يا أخا فزارة ؟

— هذا لطمني فهشم أنفي !

— وما تقول يا جبلة ؟

— إنه وطئ إزاري فحله ، فلولا حُرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه !

قال عمر مغضباً :

— على رسلك يا جبلة ! أما أنت فقد أقررت ، فإما أن ترضيه وإما أقدته منك !

— أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة !

— يا جبلة ، إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضُله بشيء إلا بالتقوى !

— رويدك يا عمر ، لقد — والله — رجوتُ أن أكون

فى الإسلام أعزُّ منى فى الجاهليـة ؛ وقد كنتُ من الشرف والمهابة فى الجاهلية حيث علمتَ !

— وإنى لأرجو لك من العزة بالإسلام ما ترجوه لنفسك ؛ ولـكنه أخٌ مسلم يطلب قوداً من أخٍ مسلم !

— إذن أعود إلى النصرانية ... لا يلطمنى بدوىٌّ بوّالٌ على عقبيه !

— إن تنصرت ضربت عنقك !

انطبقت شفتا جبلة على كلام كثير لم يلفظه ، على حين ارتفعت أصوات كثيرة من وراء .

أولئك شيعة الفزارى وقومُ جبلة يتلاحَوْن حتى توشك أن تقع بينهم فتنة .

وغامت سحابة من الهم على جبين الملك ، وصمت برهة ثم نطق :

— أخّرنى إلى غد يا أمير المؤمنين .

— لك ذلك يا جبلة !

— ٤ —

لم ينكر أحد فى البادية أمر تلك القافلة التى تُغِذُّ السير فى جنح الليل متجهة إلى الغرب ؛ ليس فى سِمات هذا الرَّكب ما يبعث الريبة ... جماعة من البدو أو من الحضر على ظهور دوابهم ، قد جعلوا يترب وراء ظهورهم إلى غاية يقصـدونها ، وما أكثر قوافل البدو والحضر على ذلك الطريق فى تلك الأيام . لعلهم بعض المتطوعة يقصدون إلى الشام مدداً للمجاهدين ، أو لعلهم بعض التجار ... لم يخطر فى وهم أحد رآهم أنهم أشراف لخم وجذام وغسان ، وأن معهم جبلة بن الأيهم ، صاحب القرط والتاج وعرش جلق الفيحاء ...

وانتهت القافلة إلى تخوم الروم ، ثم استأنفت السير إلى القسطنطينية . وفى ضيافة قيصر ، أقام جبلة بن الأيهم ، آخر ملوك غسان ، عزيزاً مكرّماً ، قد أقطعه القيصر قصراً ملوكياً ، وأوقف على بابه القهارمة والحجاب والعدد الجم من الرجال والفرسان ؛ وفى مجلسه من ذلك القصر الملوكى كلُّ ما تتوق إليه نفسُ من أسباب الترف والبهجة ، وكل مظاهر العز والسلطان . ملِكٌ له عرش وتاج ، وقهارمة وحجاب ، ووزراء ومستشارون ؛

ولـكن حدود مملـكته لا تتجاوز جدران قصره ؛ وما ذا يعنيه أن تكون مسـاحة مملـكته ، ما دام له مجلسه وعرشه وتاجه وكلٌّ من حوله يأتمرون بأمره ، ويمنون لسلطانه ؟ وما هى أبهة المُلك إلا ذاك ؟ ...

وترادفت السنون ، وانبسط ملك العرب فى الشرق والغرب ، وفى الشمال والجنوب ، حتى ناخموا الروم فى صميم بلادهم ...

ووفد رجل من أصحاب عمر بن الخطاب إلى القسطنطينية ذات يوم رسولا إلى قيصر فى شأن مما يتراسل من أجله الملوك ، فرغبت نفس الرجل فى زيارة جبلة فى قصره ذاك ؛ فلم يزل يتلطف فى الإذن حتى أذن له ... فدخل إليـه مجلسه ... ورأى رجلا أصهب ذا سبال ، وكان عهده بجبلة أسمر أسود اللحية والرأس ؛ فلـما نظر إليه أنـكره ، ثم عرفه ، ذلك أن جبلة دعا بسُحالة الذهب فذرّها فى لحيته حتى عاد أصهب ، وكان قاعداً على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب . فلما عرف جبلة الرسول رفعه معه إلى السرير ، وجعل يسائله عن المسلمين ، وعن عمر ، وعما فتح الله على المسلمين من البلدان والممالك ، والرسول يجيبه عن كل ما يسأل ، وجبلة يسمع وشفتاه تختلجان ، وعلى وجهه تتعاقب ألوان ...

ثم أومأ جبـلةُ إلى خادم بين يديه ، فذهب مسرعاً ، وإذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوُضعت ، ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة ، فأكل جبلة وأكل ضيفه ، فلما رُفع الطعام جىء بطساس الفضة وأباريق الذهب ، فغسلوا أيديهم ؛ ثم أومأ جبلة إلى خادم بين يديه ، فمر مسرعاً ، وإذا خدم معهم الـكراسى مرصعة بالجوهر ، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ، ثم اقتربت أصـوات ناعمة ، وإذا عشر جوار مطمومات الشعر متكسرات فى الحلى عليهن ثياب الديباج لم يرَ مثل جمالهن ذو عينين ، فأقعِدن عن يمين الملك ، ثم اقتربت أصوات ناعمة ، وإذا عشر جوار أخرى ، فأجلسن على الكراسى عن يساره ، ثم سمع صوت رقيق فاتن ، وإذا جارية كأنها الشمس حسناً ، على رأسها التاج ، وعلى ذلك التاج طائر ذو جناحين ، وفى يمناها جامة فيها ماء ورد ، فأومأت الجارية إلى الطائر ، فطار عن رأسها حتى وقع فى جامة ماء الورد ، فاضطرب فيـه لحظة ؛ ثم

أومأت إليه ثانية ، فطار حتى نزل على صليب فى تاج جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشـه من ماء الورد على التاج ؛ وابتسم جبلة ، ثم التفت إلى الجوارى اللاتى عن يمينه ، فاندفعن يتغنين : يخفقن بعيدانهن ويقلن من شعر حسان :

لله در عصـــابة نادمتهم ... ...

ثم التفت إلى الجوارى اللاتى عن يساره ، فاندفعن يتغنين :

لمن الدارُ أقفرتْ بمعان . بين أعلى اليرموك فالصمان

ولمعت دمعتان فى عينى جبلة ، ثم انحدرتا حتى توارتا فى لحيته ، واختلجت شفتاه اختلاجة هم وأسى . قال له ضيفه العربى دهشا :

— أتبكى يا جبلة وأنت من هـذا النعيم فيما لا يخطر على قلب بشر ؟!

قال جبلة وقد تتابعت عيناه :

— هيهات هيهات يا أخى ؛ تمنيتُ لو لم يكن كلُّ ما كان وعشتُ بين العرب واحداً من قومى !

قال صاحبه :

— ويلطمك فزارى على أنفك فيهشمه كما هشمت أنفه !

— ويلطمنى فزارى على أنفى أو يلطمنى عمر ؛ فذاك أعزُّ لى من شتات دارى وجوار غير أهلى ...

ثم غلبه مدمعه ، وحضرته أشجانه ؛ فراح ينشد :

تنصرت الأشرافُ من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضررْ
تكنّفنى منها لجاجٌ ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... رجعت إلى الأمر الذى قال لى عمر
وياليتنى أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيراً فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشـام أدنى معيشـــة ... أجالس قومى ذاهب السمع والبصر !

— ٥ —

قال عمر ، وقد عاد إليه رسوله من القسطنطينية فوصف له ما رأى وما سمع :

— رجوت أن يشرح الله صدره للاسلام ويفىء إلى الخير ؛ فهلا منّيته — لو أناب إلى الله — بأن يكون فى الإسلام عزيزاً ممنَّعاً ؟

قال الرجل :

— أحسبه — يا أمير المؤمنين — أهلا للانابة والفىء إلى الله ، لو ضمن أن يكون له فى الإسلام عرش وتاج ، وأن يزوجه أمير المؤمنين إحدى بناته ليكون له إلا الإمارة سبب !

فابتسم عمر وقال :

— أما صهرى فهو — والله — كفء ؛ وأما الإمارة فوددت لو أنه علم أنها ليست مغنما يُرجى ولكنها تكليف يفدح . إذهب إليه عن أمرى فادعه إلى الحضور على شرْطه !

وعاد الرسول من حيث أتى يريد جبلة فى قصره بالقسطنطينية ليبلغه رسالة عمر ، ولكنه لم يكد يبلغ حاضرة الروم حتى لقى الناس قافلين من تشييع جنازة جبلة بن الأيهم !

ومات آخر ملوك الغساسنة على الجاهلية وغلبته شقوة الأبد ؛ ترفعاً بنفسه عن المساواة برجل من قومه !.

محمد سعيد العريان

عبقرية محمد الإنسانية

للأستاذ أنور المعداوى

[مهداة إلى الزيات الإنسان]



إنسان عظيم ... وذلك أصــدق ما يقال فيه وغاية ما يقال .

محمد الرسول فى مواقف الرسالة ، ومحمد البطل فى مواقف البطولة ، ومحمد الصديق فى مواقف الصداقة، ومحمد الوالد فى مواقف الأبوة ، ومحمد فى كل موقف من مواقف العبقرية يحتل من نفسى مكاناً لا يدانيه مكان ... ولـكن جانباً من جوانب هذا العظيم الذى يملو أبداً فرق مستوى الأقران والنظراء ، يهزنى هزاً عنيفاً كلما تمثلته فى طوايا الخاطر أو بعثته من ثنايا الشعور ؛ ذلك هو محمد الإنسان !

قد ينظر غيرى إلى الجانب الإنسانى فى حيـاة الرسول من خلال المنظار الذى ألفه الناس ، حين يتخيلون الإنسانية مجموعة فضائل يجوز أن يشترك فيها العظيم وغير العظيم ... هذا المنظار الذى ينظر من خـلاله إلى إنسانية محمد ممثلة فى الرحمة والمودة والألفة والإيثار والعطف ، لا يهيئ لصاحبه أن يضـع يده على مفتاح هذه الشخصية الفذة فى حقيقتها البعيدة ، هناك فى أعمق الأعماق وأبعد الأغوار .

إنسانية محمد لا توزن فى رأيى بذلك الميزان الذى يقام لـكل رجل يمكن أن تجتمع فيه تلك الصفات ، لتضـع بعد ذلك فى مواجهة اسمه كلة « إنسان » ... وإنمـا توزن الإنسانية فى هذا العظيم بميزان اللحظة النادرة من لحظات حياته ، حين يقف وحده متفرداً فى مجال يعز فيه التفرد على كل شـــبيه وكل نظير . وما أكثر اللحظات النادرة فى حياة محمد الإنسان !

أنا أريد أن أنظر إلى عبقرية الإنسانية فى شخصية الرسول من خلال منظار آخر ؛ منظار يحدد الزوايا التى تفترق فى المشهد الإنسانى عن نظائرها فيما تعارف عليه الناس .. إذا قلنا إن محمداً إنسان لأنه رحيم فما أكثر الرحماء ، وإذا قلنا إنه إنسان لأنه وفى فمـا أكثر الأوفياء ، وقل مثل ذلك فى سماحة الطبع والمودة والألفة والإيثار والعطف ؛ فما أكثر ما كان يملك أصحابه من كل هذه الفضائل والسمات ... ولـكن محمداً كان يفترق عنهم جميعاً فى هـذا المجال ؛ مجال المفاضلة بين « الإنسان » فى صفاته العليا التى تقررها موازين القيم والأوضاع ، وبين « الإنسان العظيم » فى صـفاته المثلى التى يعجز عن تقريرها موازين القيم والأوضاع !

محمد الإنسان النادر لا يوزن إلا بميزان يبحث عن الندرة الخلقية التى تضمه وحده فى كفة ، وتضع فى الـكفة الأخرى ما شاء لها أن تضع من الناس ... ولن يتهيأ للباحثين أن ينفذوا إلى أغوار حقيقته الإنسانية ، إلا إذا وقفوا طويلا أمام تلك المشاهد التى تعرض لهم نماذج من حياة ذلك القلب العظيم ؛ نماذج لا تتعدد منها الصور ولا تتكرر الألوان .

سأنظر إذاً إلى محمد الإنسان على ضـوء اللحظة النادرة من لحظات حياته ؛ تلك التى قلت عنها إنه يقف فيها متفرداً حين يعز التفرد على كل شبيه وكل نظير . لحظات « الضعف الإنسانى » فى حياة الرسول هى وحدها دون غيـرها التى تهدى السالـكين إلى معالم الطريق ؛ طريق الوصول إلى حقيقته الإنسانية ... وإنه لضعف الأقوياء والقادرين حين يشرفون على الدنيا من أعلى قمة من قمم الأخلاق ، ليخفضوا للناس جناح الضعف من الرحمة .

هذا « الضعف الإنسانى » فى حياة محمد ناجم من كونه إنساناً عظيما قبل أن يكون نبياً عظيما يحمل مشعل الهداية إلى

جيل من بعده أجيال... إن الرحمة فى موضعها أمر لا غرابة فيه؛ ولكن الرحمة فى غير موضعها أمر تكتنفه الغرابة من كل نواحيه. وهكذا كان محمد: فهو فى موقف الرحمة حيث تطلب الرحمة «رجل عظيم» ولكنه فى موقف الرحمة حيث لا ينتظرها أحد «إنسان عظيم». وهذه هى اللحظة النادرة التى لا يشاركه فيها أحد من الناس، لحظة «الضعف الإنسانى» المنبعث من غلبة الإنسانية على طبيعته وتغلغلها فى كل خليقة من خلائقه! وهى التى يسميها الباحثون رحمة دون أن يفرقوا بينها وبين الرحمة التى يقدم عليها غير العظيم أو يقدم عليها العظيم وهو غير إنسان.

يقول الأستاذ العقاد فى معرض الحديث عن إنسانية محمد: «النبى لا يكون رجلا عظيما وكفى. بل لا بد أن يكون إنساناً عظيما فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء، وتهيؤه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم. فيكون عارفاً بها وإن لم يكن متصفاً بها، قادراً على علاجها وإن لم يكن معرضاً لأدوائها، شاملا لها بعطفه وإن كان ينكرها بفكره وروحه؛ لأنه أكبر من أن يلقاها لقاء الأنداد، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة، وأخبر بسعة آفاق الدنيا التى تتسع لكل شىء بين الأرض والسماء؛ لأنه يملك مثلها آفاقاً كآفاقها، هى آفاق الروح».

هذه الكلمات التى يسوقها الأستاذ العقاد عن محمد الإنسان تنطبق كل الانطباق على «الرجل العظيم» لا على «الإنسان العظيم»... لأن الرجل الذى يشمل الناس بعطفه، ثم يفسر هذا العطف على أنه أكبر من أن يلاقى الأمور لقاء الأنداد وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة؛ هذا الرجل إذا وضع فى الميزان صاحب طبيعة خلقية تنبع فيها الرحمة من منابع العظمة النفسية تلك التى تنظر إلى كل شىء نظرة القمم إلى السفوح أو نظرة الكبير إلى الصغير... وفرق بين رحمة يفرضها على صاحبها التعاظم والكبرياء، ورحمة يفرضها التواضع الموصول الروابط بالإنسانية فى أوسع آفاقها، وأرفع مزاياها.

أما قول الأستاذ العقاد بأن محمداً لا بد أن يكون إنساناً عظيما لأنه نبى عظيم، فهو فى رأيى لا يثبت ولا يؤكد إنسانية محمد فى كثير ولا قليل، لأن محمداً كان إنساناً عظيما بأدق معانى الكلمة قبل أن يبعث رسولا إلى الناس، والدليل على ذلك من تاريخ حياته مهيأ ميسور لكل من يلتمس الدليل... وذلك أمر لا ريب فيه ولا جدال!

بعد هذا نعود إلى المجال الذى يجب أن يبحث فى رحابه عن محمد الإنسان، مجال اللحظة النادرة من لحظات «الضعف الإنسانى» فى حياته! هناك حيث تبدو الرحمة فى غير موضعها لترفع الغطاء عن حقيقة هذا الإنسان العظيم:

مات عبد الله بن أبىّ، زعيم المنافقين فى عهد الرسول، ورأس الفتنة التى كانت تنشر سمومها فى صفوف المسلمين، عبد الله بن أبى الذى لم يسلم محمد من كيده وشره ولسانه، عبد الله بن أبى الذى نزل فيه وفيمن على شاكلته حكم السماء: (استغفر لهم؛ أولا تستغفر لهم إن تستغفرْ لهم سبعين مرّةً فلن يغفر اللهُ لهم)...

مات هذا المنافق فصلى عليه محمد بعد موته، ثم تخلى لأهله عن قميصه ليكفنوه فيه! ثم يقول لعمر حين يعتب عليه عتاباً بلغ حد التعنيف والإنكار: «أخر عنى يا عمر، لو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له زدت»!... ثم يقول لمن يسأله لم دفعت إليه بقميصك وهو كافر: «إن قميصى لن يغنى عنه من الله شيئاً، وإننى أؤمل من الله أن يدخل فى الإسلام كثيراً بهذا السبب»!... ولم يلبث محمد إلا قليلاً حتى سمع رأى السماء: (ولا تُصلِّ على أحد منهم ماتَ أبداً ولا تقم على قبره)!

هذا هو محمد الإنسان متفرداً فى مجاله، متوحداً فى فضائله وأعماله... لقد كان قادراً على قتل عبد الله بن أبى، ولكنه لم يفعل، وكان قادراً على أن يشيعه باللعنات ولكنه لم يفعل، لأنه إنسان... إنسان يتسع قلبه للدنيا بما فيها: من خير وشر، من فضيلة ورذيلة، من إيمان ونفاق، من وفاء وتنكر للوفاء. ويتسع للدنيا بمن فيها: سواء أكان فيها عمر بن الخطاب، أم عبد الله بن أبى، أكان فيها على زوج ابنته فاطمة، أم هبار بن الأسود قاتل ابنته زينب!... هذه هى اللحظة التى تتجلى فيها الندرة فى الطبيعة الخلقية؛ «لحظة الضعف الإنسانى» الذى يدفع

الرسول الكريم إلى لون فذ من الصفح والرحمة ؛ هناك حيث يأتى الصفح والرحمة على غير ترقب وانتظار ... إن الرحمة كما سبق أن قلت حين تأتى فى موضعها تكون سمة من سمات « الرجل العظيم » ، ولكنها حين تأتى فى غير موضعها كما حدث هنا تكون سمة من سمات « الإنسان العظيم » ، وفى هذا النطاق تجد محمداً ولا تجد سواه !

ويدفعنا ذكر هبار بن الأسود إلى أن نورد هنا شيئاً من قصته ، فيها لحظة أخرى من لحظات التفرد فى عبقرية محمد الإنسانية ... كانت زينب بنت الرسول فى طريقها من مكة إلى المدينة ، تلبى دعاء الشوق الأبوى المنبعث من قلب أبيها العظيم ، وكان يرافقها نفر من أهله وصحبه ليكونوا لها ملاذاً من كيد الكائدين وعدوان المعتدين ، ولكن قطاع الطريق ممن خرجوا على طاعة الرسول وكلمة السماء قد اعترضوا طريق القافلة المؤمنة والركب الآمن ، لتتندى رمال الصحراء بعد قليل بأطهر دم سال على رمال الصحراء . لقد كان دم زينب أراقته رمية رمح من يد الجارم الآثم هبار بن الأسود ؛ وحين يبلغ الأمر محمداً الوالد يتلقاه كما يتلقى الآباء مصارع الأبناء ؛ بالحزن العميق والأسى الدفين ، واللوعة التى تهز فى القلب الكبير مكامن الألم والعذاب ! ...

ويهدر محمد الزعيم دم هبار بأى مكان وجد ، وبأى بلد نزل ، وبأى حى من أحياء العرب أو العجم حل متخفياً أو سافراً بغير قناع . وينطلق أصحاب محمد فى إثر ابن الأسود لا يتركون فجاً من فجاج الصحراء ولا بقعة من بقاع الأرض ، ولكنهم يعودون صفر الأيدى من ذلك المعتدى الأثيم ... ويعود الوالد المفجوع إلى حزنه وأساه !

وفى يوم من الأيام التى لا تنسى فى حياة الرسول يقتحم مجلسه رجل يخفى وجهه تحت لثامه ؛ رجل لا يملك عينيه من الدمع ، ولا قلبه من الوجل ، ولا لسانه من طلب الصفح والمغفرة وينظر الإنسان العظيم إلى هذا الذى يستجير به ويفزع إليه فيجده قاتل ابنته هبار بن الأسود ، يدفع إليه برمحه ليصنع به ما صنع بزينب جزاء ما اقترفت يداه ! ... وهنا يختفى محمد الوالد المفجوع فى أعز ما يملك من دنياه ، ولا يبقى إلا محمد « الإنسان العظيم » فى أكرم ذروة من ذرى « الضعف الإنسانى » ؛ هناك حيث يخفض لهبار جناح الضعف من الرحمة ... وهناك حيث يخرج هبار وقد غفر له ... وهناك حيث يقف محمد متفرداً فى مجال الندرة الخلقية حين يعز التفرد على كل شبيه وكل نظير !

ولحظة ثالثة وما أكثرها من لحظات ... لحظة قد يمر بها المجالى فلا يقفون أمامها طويلاً ليتأملوها تأمل المترقبين فى البحث عن جوهر النفوس ومعدن القلوب ، حين يصهرها وهج الرحمة فى بوتقة « الضعف الإنسانى » ؛ ضعف الأقوياء والقادرين !

طفل يموت ... وما أكثر ما يموت الأطفال وغير الأطفال فيتجلد الآباء أمام شبح الموت ووقع المصيبة ؛ لا يترقرق فى مآقيهم دمع ، ولا يعصف بقلوبهم حزن ، ولا يذهب بصبرهم وقدة شعور ملتاع ، وقد يكون المفجوعون أناساً لا حظ لهم من مقارعة الخطوب ولقاء الشدائد ومغالبة الأهوال ! ولكن موت إبراهيم يهز فى نفس محمد كوامن الشجن ، ويهز فى عينى محمد عصى الدموع ، محمد الذى لم تهزه الدنيا بكل ما ادخرته له من محن يرفض منها الصبر وتخور معها العزيمة ، محمد الذى توكأت على كتفيه عوادى الزمن يسير وراء إبراهيم متوكئاً على كتفى عبد الرحمن بن عوف! ومعذور ابن عوف حين يستكثر البكاء على الرسول وينكر البكاء على الرسول ؛ لقد كان ينظر إلى « الرجل العظيم » الذى بكى ، ناسياً أن الذى بكى هو « الإنسان العظيم » ! ... ومعذور ابن عوف إذ نظر إلى محمد فوجده يبكى على غير ترقب وانتظار ؛ لقد كان عهده به جلداً أمام المصائب ، قهار للخطوب ، ولكنه نسى لحظات « الضعف الإنسانى » التى تكشف عن صدق الإنسانية حين تنتفض من جيشان العاطفة أمام أصعب الأمور وأيسر الأمور

لحظات « الضعف الإنسانى » هى وحدها الميزان الذى توزن به إنسانية محمد دون غيرها من الموازين ، وتوزن به إنسانية محمد دون غيره من الناس ... وهى هنا لحظات ثلاث ، وإنها لقليل من كثير ، وما أكثرها على قلتها فى حساب الشعور والوجدان .

أنور المعداوى

حداء الركبان

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

مَنْ هؤلاء الصامتون ؟ تكلموا !

مَن هؤلاء المحجمون ؟ تقدَّموا ! !

ما بالكم تُقضَى الأمورُ بغيركم ويكونُ دونكم القضاءُ ويُبرم ؟

تتكلم الأسلاتُ فوق رءوسكم وتعج حولكم الوغى وتُدمدم

وتكاد كفُّ الطامعين تصيبكم وتنال ما ترجو المطامع منكمو

الغانمون الأرضَ بعد محمدٍ أضحوا وهم في كل أرض مغنم

مَن هؤلاء الحائرون . كأنما طال الطريق بهم فلم يتقدموا

فعلى غواربهم ضنًى وتهدُّمٌ وعلى ملامحهم أسًى وتجهُّمُ

وكأنهم من سوء ما صنعت بهم أقدارُهم في الكون لم يتبسموا ! .

صبراً إذا مشت الرياح بركبكم وأناخ كلكلَه الزمانُ عليكمو

صبراً إذا الحادى استبان سبيلَه

فإذا الطريق على الرواحل مُظلم

صبراً إذا انبهر الحداةُ فلا ترى في الركب من يشدو ومن يترنم

هذى سبيلٌ سار فيها قبلكم مترسم في إثرهِ مترسم

غَلبتْ وتغلبُ كلَّ من سئم السُّرى

ويكاد يغلبها الذى لا يسأمُ

ما هذه البيداء إلا أنها تِيه يضل به الدليل المقدمُ

ما هذه الصحراء إلا أنها ساحٌ يَخُور بها الكميُّ المُعْلَمُ

ما هذه الموماة إلا أنها ليل تحَارُ به النجوم فتُعتم

ما هذه الفيفاء إلا أنها بحرٌ تحيط بشاطئيه جهنم

هى قبر كلِّ مجاهد لم يَطوِهِ في خمسة الأشبار كونٌ أعظَمُ

أكلت لحومَ الخالدين ولم تزل يعتادها النَّهم النَّديم فتنهمُ

بالأمس كان وقودها في حرِّها جيشٌ من الشرك الأثيم عرمرم

فإذا دعاء الجاهلية خافت وإذا ثراء الجاهلية مُعدم

وإذا الطواغيت التى قد أشركوا بالله فوق رءوسهم تتحطم

مَن هؤلاء الهائمون كأنما لم يَهْدِ نَهجَهُمُ الكتابُ المحكم

يبدو العياء من الليالى فوقهمْ ويُرى الغبارُ من السنين عليهمُو

فكأنهم أنضاء ركبٍ لم يَبِنْ للواحة الخضراء فيهم مَعْلَمُ

تتخبط الأحداث بين صفوفهم وتموجُ بالخطب الجسيم وتُقحَمُ

أعياهمو خَبَبُ الطريق فوقَّفوا

وأخافهم فَزَعُ الطريق فأحجموا

ما بالهم لم يُجْدِ في أسقامهم طبٌّ ولم ينفع لديهم مرهم

عجباً أتبرأ علةٌ في أمة ويصحُّ جسم والطبيبُ المسقِمُ ؟!

يا أيها الركبان إن سبيلكم للمجد والعلياء أن تتقدموا

لا يُيْئِسَنَّكم الطريقُ إذا بدا وعليه أشواكٌ وفيه تجشُّمُ

يكفى الصياحُ فما الحياة عبارةٌ جوفاء فارغةٌ يرددها الفمُ

الحق تحميه الصوارم والقنا والعدل تحفظه الضحايا والدمُ

والقوة الغلباء ليس يردها إلا القويُّ الغالب المتغلم

محمد عبد الغني حسن

الحديث الشريف

هل تنقيحه ممكن؟

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

يموج العالم الغربى اليوم بمتلاطم من المذاهب والنظريات والحقائق التى بلبلته حين تكاثرت عليه ، فصار لا يدرى ما يأخذ ، أو ما يدع .

والعالم الإسلامى عرضة لتلك الأمواج تتوافد عليه فتحدث فيه بعض ما أحدثت فى عالم الغرب من اضطراب فى الفكر والاعتقاد ، وذلك رغم ما يملكه المسلمون من معايير وثيقة للحق والباطل تتجلى فى كتاب الله وسنة الرسول .

ولعل من بوادر البلبلة الوافدة ما يبدو لبعض الناس فى بعض الأحاديث الشريفة من مخالفة للعقل يقترح من أجلها تنقيح كتب الحديث القديمة أو تنقيح الأحاديث نفسها فى كتب جديدة .

وتمحيص الحديث لا يمكن من الناحية النظرية إلا عن طريقين : تمحيص المتن أو تمحيص السند . فأما تمحيص الأسانيد فقد قام به أئمة الحديث على صورة لم تدع زيادة لمستزيد . ونخل الأسانيد فوق ذلك أمر غير ممكن . وأما نقد متون الأحاديث فلا يزيد على أن يكون تحكيما للرأى فى الدين بحيث يصبح الدين رأيا ويصبح الرأى هو الدين .

إن القدماء كانوا على حق حين حكموا أن الطريق الوحيد المأمون فى تصفية الأحاديث هو طريق تمحيص السند ، لأنه بعد أن قامت الحجة القاطعة على رسالة الرسول صلوات الله عليه ، وأنه لا ينطق عن الهوى فى كل ما بلغه الناس عن الله ، لم يبق لتمييز الحق من الباطل إلا أن تثبت القول عن الرسول . وتمحيص الأسانيد المتصلة إلى الرسول هو الطريق البديهى لهذا الإثبات .

فمن آيات الله الباهرة فى حفظ هذا الدين أن وفق علماء المسلمين للقيام بتلك المهمة الكبرى قبل أن يفوت وقت إمكان القيام بها فلو تأخرت إلى ما بعد تلك العصور التى تمت فيها لأصبح القيام بها مستحيلا ، إذ لو وجد العلماء الراغبون فى بذل الجهد القادرون على التمحيص ، لما وجد مايفحص أو يمحص بعد موت جميع الشهود .

فمن فضل الله علينا وعلى الناس جميعا أن كان الدين وعلومه شغل العلماء الشاغل عصوراً طويلة حتى تم حفظ اللغة ، وحفظ القرآن ، وحفظ الحديث ، وإلا أصاب الإسلام ما أصاب غيره من التحريف والتبديل والتضييع .

ولست أدرى كيف يمكن إذا كان الحديث ثابتا عن الرسول أن يمتد إليه عقل ، مهما قدر ، بتنقيح أو تعديل ! لست أدرى كيف يمكن أن يجوز عند العقل أن قولا ثابتا عن الرسول الذى قطع العقل برسالته عن الله يصح أن يكون محل بحث غير بحث يرمى إلى استنباط المعنى منه ، لا إلى تصحيح أو تنقيح شىء فيه .

إن الدين قد جاء الانسانية بكثير مما لم تكن تعرف ، وكثير مما لا يمكن أن تعرف إلا عن طريقه ؛ وكل أخبار الغيب لا يمكن أن نعرف إلا عن طريقه . والمسألة ليست مسألة ما ذا نفهم من الدين ، أو ماذا نعقل ، أو ماذا يتفق مع ما نعرف أو نعلم عن غير طريقه ، ولكن المسألة هى أمر الواقع الذى كان والذى بلغه الرسول للناس عن الله سبحانه . فاذا ثبت أن أمراً قد وقع أو قولا قد صدر عن الرسول وجب قبول هذا الواقع وذاك القول مهما بدا للعقل غريباً أو عجيباً أو غير مفهوم .

إن الدين صادر عن خالق الخلق ، وقد تناول جميع الفطرة ماضيها وحاضرها ومستقبلها : بالإجمال فيما اقتضت الحكمة الإلهية إجماله ، وبالتفصيل فيما اقتضت تفصيله . والعقل الذى يمكن أن يحيط بالفطرة لم يخلقه الله بعد ، وهو على أى حال عقل المجموع لا عقل الفرد والعلم الذى يتسع حتى لا يند عنه شىء من الفطرة لم يوجد ، ولن يوجد أبدا . فسيظل الإنسان يعلم ويزداد علما من غير أن يصل إلى نهاية العلم .

وإذا كان الأمر كذلك فهل من المعقول أن يتطلع الإنسان إلى فهم كل شىء فى الدين كأن ليس فى دين الله ما يسمو عن عقل الإنسان ؟ وإذا كان فى الدين ما يسمو عن عقل الإنسان ويزيد عن علمه ، فهل من المعقول أن يحكم الإنسان عقله وعلمه فى الدين ، فلا يقبل من الحديث إلا ما طابق ذلك العقل على محدوديته ، وذلك العلم على قلته ؟ ألا يكون ذلك غروراً يضل

الإنسان به عن الله ، ويصبح به إلهه هواه ؟

ما هو المقياس الذى يمكن أن يقيس به الإنسان متون الحديث ومعانيها ليقبل منها ما يوافقه ، ويرفض أو ينقح منها ما يخالفه حتى يزول الخلف ؟ إن الحق القاطع لا يختلف . ذلك أمر معروف مقطوع به . فهل يمكن أن يتناقض نص قاطع وأمر واقع عرفه الإنسان بالعلم المستقل عن الدين ، كالعلم الطبيعى مثلا ؟ إن هذا غير ممكن ؛ فالدين من عند خالق الفطرة ، واليقينى من العلم الطبيعى هو جزء من الفطرة ، بمعنى أنه وصف حقيق صادق لجزء منها ، والفطرة متجانسة متساندة فلا يمكن أن أن يناقض بعضها بعضا . وإذن فلا يمكن أن يناقض علم دينا أو دين علما إذا كان العلم صحيحا وإذا كان الدين من عند الله . لكن الدين بحكم تناوله جميع الفطرة يجمل القول أو يبهمه فيما لا يتعلق بضرورى لسعادة الإنسان الآن ، وفيما ضاق عنه علمه الحاضر أو علمه وقت أن نزل القرآن ؛ فيفهم الإنسان من القول المجمل أو النص المبهم بقدر عقله وعلمه ؛ بل لعله لا إجمال ولا إبهام هناك إلا بقدر ما يكون فى العبارات الكلية عند من لا يعرف جزئياتها ، فهى تبدو مجملة أو مبهمة لكثرة ما فيها من المعنى الذى استغلق على الإنسان ؛ حتى إذا ازداد علمه باطراد تقدمه ، فهم من النص ما لم يكن يفهمه ، واطلع منه على دنيا من الحقائق جديدة يتجدد بها له وللانسانية الحجج عصراً بعد عصر : أن الإسلام دين الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن القرآن كتاب الله ، وأن ما ثبت عن الرسول لا يجوز أن ينقحه ، وإن وجب أن يتفهمه ، الإنسان .

سيقال طبعاً إن الثابت عن الرسول صلوات الله عليه مختلف فى درجة الثبوت ، فالمتواتر من الحديث قليل أو أقل من القليل ، لا يكاد يجاوز أو يبلغ أصابع اليدين عداً . وهذا لا اختلاف فى قبوله ولا فى أنه فوق التنقيح . والثابت غير المتواتر هو الصحيح على تفاوت فى درجة الصحة ، وهذا لا يفيد إلا الظن ، أى ترجيح أنه من قول الرسول على تفاوت فى درجة الرجحان ؛ وهذا هو الذى يصح أن يكون عرضة للتنقيح عند اللزوم .

إنى أقول أولا إن احتياط علماء الحديث رضوان الله عليهم من الناحية العقلية المنطقية الصرفة ، هو الذى جعلهم يضيقون دائرة المتواتر ذلك التضييق . وإلا فكثير من الحديث يلتحق بالمتواتر لتعدد طرقه وسلامة أسانيده . ولئن لم يتواتر هذا الكثير من ناحية اللفظ فهو متواتر أو يكاد من ناحية المعنى . ولو دقق علماء التاريخ فى ثبوت التاريخ تدقيق علماء الحديث فى ثبوت الحديث لما كاد يثبت من التاريخ شيء . فمسلك علماء الحديث فى نقد الأسانيد كان غاية فى التشديد . كانوا يضعفون الحديث إذا عرف عن أحد رواته سهوة ، أو أحصى عليه هفوة يرونها تخل بالكرامة . وكانوا ينبذون الحديث إذا عرف عن أحد رواته أنه كذب ولو مرة . وهذا تشديد كبير لأن الذى يكذب مرة ليس معناه أنه يكذب كل مرة ، أو أن الكذب له عادة . والذى يكذب على الناس ليس بضرورى أن يكذب على الرسول الذى توعد الكاذب عليه بالنار . لذلك لست أشك فى أن من بين ما رفضه علماء الحديث صحيح غير قليل ، فينبغى أن يكون ما قبلوه بالغاً فى الصحة كل مبلغ ، جديراً أن تتلقاه العقول بالطمأنينة والقبول .

فالرجحان هو أقل ما يمكن أن يوصف به ما صححه أولئك العلماء الأعلام المدققون . أى أن ما وصفوه بالظنى والراجح هو فى الواقع فوق ذلك بكثير ، ولكنهم وصفوه بأقل ما يمكن أن يوصف به ، لأن العقل لا يقطع بغير هذا . أى أن الأحاديث الصحيحة عند العقل هى قطعية الرجحان . وما كان قطعى الرجحان هكذا فى الثبوت عن الرسول فأى حكمة يا ترى هناك فى القول بتنقيحه ؟ أفمن الممكن إنزاله عن مرتبة الراجح مع أن رجحانه مقطوع به ؟ أم من الممكن إعلاؤه عن مرتبة الراجح إلى مرتبة اليقينى ؟ ليس هذا ولا ذاك ممكنا عند العقل اليوم ، وإذن فلا محل هناك للقول بتنقيح صحيح حديث رسول الله صلوات الله عليه .

ويجب ألا يغرب عن البال ، أن الأحاديث الصحيحة وإن وصفت بأنها راجحة الثبوت عن النبى عليه الصلاة والسلام فان الإجماع منعقد على العمل بها فى الدين : أجمع على ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، وأجمع على ذلك العلماء عصراً بعد عصر إلى عصرنا هذا . فمن يحدث نفسه بترك حديث صحيح لمجرد أنه لا يفهمه أو أنه يستغرب معناه يعرض نفسه للخروج على إجماع المسلمين ويعرضها الخروج على الإجماع لما فى ذلك من خطر حقيق عليه ، لا عند الناس ولكن عند الله :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم وساءت مصيرا » . فالإجماع واجب الاتباع بالكتاب بهذه الآية على الأقل ، والسنة بعدة أحاديث .

العلوم الدينية

بين القرآن وعلماء الإسلام

للأستاذ عطية الشيخ
المفتش بالمعارف



مصادر الاسلام أربعة، هي القرآن والسنة والإجماع والقياس، ومن بين هذه الأربعة ثلاثة خلافية بين الفرق والمذاهب الإسلامية، تفاصيلها في علم الكلام لمن أراد البحث، أما المصدر المتفق على نصه فهو القرآن الكريم، والاختلاف في التفسير لا يضر، إذ القرآن الكريم كنز لا تفنى غرائبه، ولا تنتهي عجائبه. وكلما تقدم العلم، وارتقى الفكر، وانفسح مدى المعارف الإنسانية، وزادت تجارب الناس ومشكلاتهم، كما حدث هذا، وضح ما في القرآن من إعجاز، وتبين للعقلاء أنه كلام رب العالمين «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله».

على أن هناك تفسيراً للقرآن لا يقبل الشك، وهو سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت أخلاقه القرآن، كما حدثت بذلك الصديقة رضى الله عنها. ولهذه السيرة تلاميذ، أحاطوا بها ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها، وهؤلاء التلاميذ المخلصون، هم نجوم الأمة المنيرة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، انعكست عليهم أضواء شمس القرآن، بعد غروب بدر نبيه، واسترشدت بهم الأمة بعد فقد الصادق الأمين، فهدوها إلى صراط مستقيم، ورفعوا لواء الإسلام في كل حزن وسهل، وطافوا به كل مطرح ونشروه في كل واد، عالمين أنه سلوك يهدى لا جدل يردد، وقلب يصغي لا لسان يلوك، وسنة تتبع لا دروس تتلى، فأعجبت بسلوكهم الشعوب المنحلة، وشغفت بطريقتهم الأرواح المجهدة، واقتدى بهديهم المتعبون والمثقلون، ودخل أهل الدنيا في دين الله أفواجا، ولم يمض إلا عشرون عاما حتى كانت العربية لسان كل سنخ وجنس، والشريعة السمحة قانون كل صقع ودولة، والمسلمون مثلا أعلى لكل متعلم ومسترشد.

ثم أتخم الإسلام بكثرة ما حمل من أوشاب الأمم، ومختلف الحضارات، وما أثر فيه من مشاكل العلوم القديمة، والنحل المختلفة، وما دسه فيه أعداؤه من رجال الأديان الأخرى التي خرت أمام سطوته، وعنت لعظمته، فخلف من المسلمين خلف بعد أن وقفت فتوحه، متأثرين بكل ما ذكر، وجعلوا من عقيدة الفطرة مشاكل ذرية، ومن غذاء الروح عقداً فلسفية، ووضعوا مصطلحات، واخترعوا علوماً، وتركوا ميدان الحسام وجاهدوا بأسلات اللسان، وهجروا صهوات الخيل، إلى مذاكرات الليل، وطرحوا خصام الكافرين، إلى جدال غيرهم من المسلمين، فأفسدوا من الإسلام مذاقه، وعكروا صفوه، وقسموا الأمة طرائق، وقطعوها حزائق، وكانوا أنكى على الإسلام ممن خصمه بحد الحسام.

ورضى المستجدون على الإسلام والطارئون عليه من ملوك الأعاجم والترك، بعد أن دالت دولة العرب، بفهم الإسلام على هذا الوضع، لمشابهة العلوم الإسلامية المبتدعة، لما ألفوه من علوم الأديان الأخرى، وثنية وسماوية، فعظموا هؤلاء المبتدعين، ورفعوا شأنهم، ورأوا في تعظيمهم تعظيم الإسلام نفسه. وكيف لا يفعلون هذا، وقد فعله من حولهم من ملوك الروم للقساوسة والرهبان، ومن أعيان اليهود للأحبار، ومن ملوك الهند للكهان؟ أو لعل هؤلاء الحكام الجدد رأوا في هذا السلوك خدمة لعروشهم، بصرف الناس عن خدمة الدين بما خدمه به فقهاؤه الأوائل من جزيرة العرب، إذ أن فهم الإسلام هذا الفهم الأول، يعكر عليهم ما أخذ يحيط بهم من ترف ونعيم ولهو واستمتاع، ومن كان كذلك يعنيه أن يفصل بين ما لقيصر وما لله

على أن كل إنسان في ذات نفسه في قبول ما يقبل أو رفض ما يرفض، فإن ذلك متعلق بقلبه وبعمله هو. هو أمر بينه وبين الله، بل ونرجى له النجاة ما صدق النية لله في ذلك. لكنه إذا بدأ يدعو غيره إلى ما يشبه أن يكون خروجا على إجماع المسلمين، فإنه عندئذ يعرض نفسه لأخطار لا يقدم على التعرض لها عاقل من الناس.

محمد أحمد الغمراوي

وأن يجمل الدين فى المساجد والكتب ، والملك المضود فى الدنيا وزهرتها ، وإلا لقام له من يقول : « لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناك بالسيف » ، ومن يقول : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، ومن يطبق قول أبى بكر : « أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم » ومن يقول : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، إنما أهلك بنى إسرائيل أنهم كانوا يقيمون الحد على ضعفائهم دون أقويائهم » .

أقول منذ فهم الإسلام هذا الفهم ، ووضع هذا الوضع ، وجمل علوما جدلية ونظريات علمية ، وقواعد جافة ، أخذ بناؤه ينقض حجراً حجراً ، وعموده يميد شبراً شبراً ، وأرضه تنتقص رقعة رقعة ، ووحدته تتجزأ فرقة فرقة ، حتى لم يبق منه إلا الذماء . أفلم يأن للبقية الباقية من المسلمين ، الحراص على استرداد مجدهم ، والحفاظ على ما بقى لهم ، أن يعيدوا للاسلام جدته ، ويفروا إلى القرآن ، ويسعهم من الدين ما وسع الصحابة رضوان الله عليهم ، ويتركوا كل هذه التركة الثقيلة التى ما فتئوا يسمونها علوم الدين ؟ والدين منها برىء ، ويضيعون وقتهم فى مدارستها ويبنون المعاهد والمدارس لها . ثم لا يكون منهم مثل خالد أو عمرو أو عمر ، ولا ينبغ فيهم مثل من نبغ من الأميين ؟ ! لست أول من نادى بذلك الرأى ، بل قد سبقنى إليه الغزالى حجة الإسلام ، وبرهن بما لا يقبل الشك على أن ما يسميه الناس علوم الإسلام ليست من الدين فى شىء ، وأن معرفتها لا تقرب إلى الله قيد شعرة ، وأن عامة المسلمين أخلص عقيدة وأصفى قلباً وأقرب إلى الله من علماء هذه العلوم . وفى الأثر ما يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى بعض أصحابه عن الجدال فى الدين ، والتنطع فيه ، والخوض فى النظريات التى أولها كلام وآخرها خصام ، والسؤال عما لم يرد .

أقول إن الأمة أحوج إلى فهم علوم الدنيا من كيمياء وطبيعة ورياضة وطب وهندسة ... الخ ، لأنها علوم تعين على الحياة ، وكسب الرزق ، والقوة وفهم قدرة الله ، وهو ما أمر الدين به ، بل هذه العلوم مأمور بالبحث فيها بنص القرآن ، وما من علم حديث إلا له آيات تحض على البحث فيه ، مع ذكر شىء من مبادئه الأولى ، حتى وقر فى ذهن المسلمين منذ القدم أن القرآن الكريم حوى كل علم يمكن أن يبحث فيه السلف أو الخلف ، وفسروا قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » هذا التفسير . ولولا الإطالة لأحصينا فى هذا المقال الآيات التى تحض وتأمر بالتعمق فى العلوم الكونية . أما ما يسمونه بالعلوم الدينية ، بحسب الوضع الذى صارت إليه ، فليس لها سلطان فى الكتاب العزيز أو ماضى السلف الصالح ، ولم يفد منها الإسلام إلا الضعف والتفرق والضياع . فياليت الذين أهملوا مؤلفات ابن الهيثم ، وزيجات الخيام ، وقانون ابن سينا ، وبحوث بنى موسى بن شاكر ، ومسائل جبر والخوارزمى ، ومستحدثات البيرونى . يا ليت هؤلاء الذين ضيعوا هذا المجد وحاربوه وجروا وراء الفرق بين المعجزة والكرامة ، والواجب والمندوب ، والاجماع والقياس ، والحيض والاستحاضة . يا ليتهم علموا أن العلوم الأولى أقرب إلى الله من الثانية ، وأدخل فى الاسلام منها ؛ إذاً لما أصبح المسلمون عبيداً للأوربيين الذين وقعوا على ذخائر العرب فانفسح أفقهم العقلى ، ووصلوا إلى هذه المخترعات التى أثاروا بها الأرض وعمروها ، وحددوا الأفلاك وفحصوها ، وحللوا العناصر وركبوها ، فدانت لهم الأمم ، وعنت لهم الشعوب .

القرآن الكريم وهو الأصل المتفق عليه للاسلام ، والمصدر القطعى الثبوت والدلالة ، ما تعرض للبحوث التى سموها علوم الاسلام إلا لماماً ، حتى إن الصلاة وهى عماد الدين لم تتبين فيه أوقاتها وطريقتها ، لا استهانة بها ولكن لأن أهم أركانها صفاء القلوب ، وخشية المعبود ، وأما أقوالها وأفعالها فتوقيفية يسيرة المتناول على الذكى والغبى . وكذلك الزكاة ، والصيام ، والحج ، وهى قواعد الاسلام ، يشير إليها القرآن الكريم إشارات خفيفة تاركا كل تفصيل وتوضيح للروح لا للعقل ، وللذمة والضمير لا للحدود والأقيسة .

أما القصص التهذيبى الذى أهمل المسلمون طرائقه فى التعليم الخلقى فهو أكثر ما فى القرآن . وأما الإيمان بالغيب والإسلام لله فهو لب التنزيل . وأما البحث فى النفوس وخلقتها ، والأجنة ونحوها ، والأمم وتاريخها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ، والكون وما يصير إليه ، والرزق وما يحصل به ، والأمم وكيف تحيا ولم تموت ، وحسبان الشمس والقمر ،

طبيب أديب

للأستاذ عباس خضر



عاش هذا الرجل ببغداد فى القرن السادس الهجرى ، فى الوقت الذى كان قد مضت فيه حقبة طويلة على اكتمال الحركة العلمية فى العصر العباسى ونضج ثمارها ، وانتقلت من مراحل النقل والترجمة والشرح والتلخيص والتمحيص ، إلى طور الإنتاج والاختراع والإنشاء . وكان هذا التقدم العلمي على عكس التدهور والاضطراب السياسيين ، أو قل إن الازدهار العلمى قد عمر أكثر من الازدهار السياسى .

ولا أسترسل فى ذلك ، فلنعد إلى صاحبنا ، وهو أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب الأديب . قالوا : إنه كان أوحد عصره فى صناعة الطب ، وكان إلى ذلك أديباً ، له شعر جيد ورسائل بليغة . ولم يجذبنى ما رووا عنه من الشعر والنثر ومن البراعة فى فنون العلاج الطبى ، بمقدار ما راعتنى صفات أخرى فيه ، يسمونها فى عصرنا « واجب الطبيب الإنساني » وقد عرفه واجباً عملياً قبل أن يأتى زماننا فيردده كلاماً طلياً ..

كانت داره بجوار المدرسة النظامية فى بغداد ، فكان يتفقد معلميها وطلبتها ، إذا مرض أحدهم نقله إلى داره وقام عليه فى مرضه ، فإذا شفى أذن له فى الانصراف ووهب له دينارين .

وعرض لبعض الأمراء النائين مرض عضال ، فقيل له ليس لك إلا ابن التلميذ وهو لا يقصد أحداً . فقال : أنا أتوجه إليه ، فلما وصل أنزله ومن معه فى ضيافته ، وعنى بمعالجته ، فلما برئ الأمير وتوجه إلى بلاده أرسل إلى ابن التلميذ مع أحد التجار مالا كثيراً وهدايا ثمينة ، فامتنع من قبولها وقال : إن على يميناً ألا أقبل من أحد شيئاً . فقال التاجر : هذا مقدار كثير . قال : لما حلفت ما استثنيت . وأقام التاجر شهراً يراوده فلا يزداد إلا إباء . فقال له عند الوداع : ها أنا أسافر ولا أرجع إلى صاحبي ، وأتمتع بالمال فتتقلد منته وتفوتك منفعته ولا يعلم أحد أنك رددته . فقال : ألست أعلم فى نفسى أنى لم أقبله ؟ فنفسى تشرف بذلك علم الناس أو جهلوا !

وقد اعتاد معاصرونا أن ينتسبوا إلى شرف المهنة ، ولكن ابن التلميذ كان الأمر عنده أبعد غوراً ، كانت أصوله فى نفسه ، فقد درس الفلسفة ومزج الحقائق الخلقية بنفسه ودرس الطب مقروناً بالفلسفة المكونة للإنسان الجدير بلقب « الحكيم » فكل مايعنيه هو شرف نفسه الذى يشترك فيه كل إنسان راق ، والذى ينبع منه « شرف المهنة » إن كان لا بد من هذه التسميه . ولعل اتصاف الأطباء بتلك الأصول الخلقية فى ذلك الزمن واقتران دراستهم الطبية بالدراسة الفلسفية ، وإطلاق كلمة الحكمة على كل ذلك ، لعل ذلك هو الأصل الذى ينزع إليه إطلاق العامة لفظ « حكيم » على الطبيب .

وكان ابن التلميذ رئيس المستشفى العضدى ببغداد وقد فوض إليه الخليفة رياسة الطب فيها ، فكان من شأنه الإشراف على الأطباء وإقرارهم على مزاولة المهنة بعد اختبارهم ومعرفة ما عند

والقمر ، وما فى الأرض والسماء من قوى وعبر ، فهى كل القرآن وهى موضوع العلم الحديث ، ومن يتبحرون فيها هم علماء الدين الذين يخشون الله ويخدمون الأمة ، ويرفعون شأن الملة .

علوم الإسلام ، هى الصناعة والزراعة والطب والهندسة وما لف لفها . وأما علوم الكلام والفقه والأصول وما جاراها ، فليست من الاسلام فى شىء . وقد بلغت وما أنا إلا حريص على نهوض المسلمين ، والسلام على من اتبع الهدى .

عطيه الشيخ
المفتش بالمعارف

كل منهم فيها ، وفى أحد مجالس الاختبار حضر شيخ له هيئة ووقار ، ولم يكن عنده من صناعة الطب إلا التظاهر بها ، وإن كان له دربة يسيرة بالمعالجة ، فلما انتهى السؤال إليه قال له أمين الدولة :

— ما السبب فى كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه حتى نعلم ما عنده من هذه الصناعة ؟

— يا سيدنا ، وهل شىء مما تكلموا فيه إلا وأنا أعلمه وقد سبق إلى فهمى أضعاف ذلك مرات كثيرة !.

— فعلى من كنت قد قرأت هذه الصناعة ؟

— يا سيدنا ، إذا صار الإنسان إلى هذه السن ما يليق به إلا أن يسأل كم من التلاميذ له ، ومن هو المتميز فيهم ، وأما المشايخ الذين قرأت عليهم فقد ماتوا من زمان طويل .

— يا شيخ ، هذا شىء قد جرت العادة به ولا يضر ذكره ومع هذا فا علينا ، أخبرنى أى شىء قرأته من الكتب الطبية ؟

— سبحان الله العظيم ... صرنا إلى حد ما يسأل عنه الصبيان ! يا سيدنا ، لمثلى لا يقال إلا أى شىء صنفته فى صناعة الطب وكم لك فيها من الكتب والمقالات ، ولا بد أن أعرفك بنفسى .

ودنا إلى أمير الدولة وقال له فيما بينهما :

— إعلم أننى قد شخت وأنا أوسم بهذه الصناعة ، وما عندى منها إلا معرفة اصطلاحات مشهورة فى المداواة ، وعمرى كله أتكسب بها ، وعندى أولاد ، فسألتك بالله ألا تفضحنى بين هؤلاء الجماعة وألا تمنعنى التكسب لعيالى .

— لك ذلك ولكن على شريطة ، وهى أنك لا تهجم على مريض بما لا تعلمه ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلا لما قرب من الأمراض .

— هذا مذهبى مذ كنت .

ورفع أمين الدولة صوته والجماعة تسمع : يا شيخ اعذرنا فإننا ما كنا نعرفك والآن فقد عرفناك ...

ومن الظريف ما حدث بعد ذلك ، فقد التفت كبير الأطباء إلى أحدهم وقال له :

— على من تعلمت هذه الصناعة ؟

— يا سيدنا ، أنا من تلاميذ هذا الشيخ الذى قد عرفته وعنه أخذت صناعة الطب .

وكان أمين الدولة نصرانياً ، عاش فى تلك البيئة الإسلامية السمحة مكرماً مقدراً أكبر التقدير ، يحظى بهبات الخلفاء وعطفهم ، ويحل المنزلة التى تليق به فى نفوس معاصريه من الأشراف والشعراء ، ومما وجه إليه من الشعر ما كتب له الطغرائى يشكو ألماً فى ظهره :

يا سيدى والذى مودته عندى روح يحيا بها الجسد
من ألم الظهر أستغيث وهل بألم ظهر إليك يستند ؟

وقد حسده طبيب يهودى اسمه أبو البركات على منزلته لدى الخليفة العباسى المستضىء بأمر الله ، فاحتال للدس عليه بحيلة وضيعة ، كتب رقعة نسب فيها إلى أمين الدولة أموراً تحط من قدره ، وأوعز إلى من ألقاها فى طريق الخليفة ، فلما قرأها الخليفة رأى أن يتحقق من صدق ما تحتويه ، فلما استقصى الأمر وجده اختلاقاً ، وعرف أن كاتبها أبو البركات ، فغضب عليه ووهب دمه وماله وكتبه لأمين الدولة ، ولكن شرف النفس منعه أن يتعرض لخصمه بسوء ، فسقط أبو البركات وانحطت منزلته .

وقال أحد الشعراء فى الطبيبين ، وكانت كنية أمين الدولة أبا الحسن :

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه أبو البركات فى طرفى نقيض
فهــذا بالتواضع فى الثريا وهذا بالتكبر فى الحضيض

وقد جمع هذا الحكيم المهذب (أمين الدولة) قواعد السلوك النبيل وأسباب الحياة الراقية فى رسالة كتبها إلى ولده رضى الدولة ، والمتأمل فى حياته من خلال ما يروى عنه يراها تطبيقات على ما ضمنه رسالته ، قال فيها :

« وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بأن عقلته وملكته لا قرأته ورويته ، فإن بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ المذكور وتلزم صاحبه ، ومن طلبها من دونه فإما أن لا يجدها وإما أن لا يعتمد عليها إذا وجدها . ولا تثق بدوامها ، وأعوذ بالله أن ترضى لنفسك إلا بما يليق بمثلك أن يتسامى إليه بعلو همته وشدة أنفته وغيرته على نفسه ، ومما قد كررت عليك الوصاة به ألا تحرص على أن تقول شيئاً لا يكون مهذباً فى معناه ولفظه ،

ويتعين عليك إيراده ، فأما معظم حرصك فتصرفه إلى أن تسمع ما تستفيده لا ما يلهيك ويلذ للأغمار وأهل الجهالة ، نزهك الله عن طبقتهم . فإن الأمر كما قال أفلاطون الفضائل مرة الورد حلوة الصدر ، والرذائل حلوة الورد مرة الصدر . وقد زاد أرسطوطاليس فى هذا المعنى فقال : إن الرذائل لا تكون حلوة الورد عند ذى فطرة فائقة ، بل يؤذيه تصور قبحها إذ يفسد عليه ما يستلذه غيره منها ، وكذلك يكون صاحب الطبع الفائق قادراً بنفسه على معرفة ما يتوخى وما يجتنب كالتام الصحة يكفى حسه فى تعريفه النافع والضار . فلا ترض لنفسك حفظك الله إلا بما تعلم أنه يناسب طبقة أمثالك ، واغلب خطرات الهوى بعزمات الرجال الراشدين »

وهذا الأسلوب غريب فى عصره الذى بدأ بوضع مثله السيء ابن العميد الذى لم تختم به الكتابة كما قيل ، بل ختمت بمن قبله ثم بعثت بابن خلدون .

ورسالة أمين الدولة المتقدمة أشبه بكتابة الأساتذة الأوائل كابن المقفع والجاحظ ، فأنت تراه يركب التعبير مطهماً فارهاً إلى حيث يقصد . وبعض الكتاب يركبه التعبير فيتسكع به ، وآخرون يركبون التعبير المزيل فلا يصل بهم إلا مبهور الأنفاس

ولأمين الدولة شعر جيد ، قال فى ولد له غير نجيب :

أشكو إلى الله صاحباً شكسا تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا تكسبه النور وهو يكسفها

وتطل الفلسفة من خلال شعره إذ يقول :

لولا حجاب أمام النفس يمنعها عن الحقيقة فيما كان فى الأزل
لأدركت كل شئ عز مطلبه حتى الحقيقة فى المعلول والعلل

كما تبدو الحكمة فى قوله :

لا تحقرن عدواً لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة فى الجرح الممد يد تنال ما قصرت عنه يد الأسد

وله شعر فى الألغاز ، على طريقة عصره ، وقد أحسن التعبير عن الميزان إذ قال لغزاً فيه :

ما واحد مختلف الأهواء يعدل فى الأرض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الرشاد كل رائى
أخرس لا من علة وداء يغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إذ ناداه ذو امتراء بالرفع والخفض عن النداء

ومن بديع مدحه قوله :

لا يسترع إلى الملات ممتذراً إذا الضنين رأى للبخل تأويلا
يبادر الجود سبقاً للسؤال يرى تعجيله عند بذل الوجه تأجيلا

وله مؤلفات كثيرة فى الطب ، وقد روى بعض المؤرخين نوادر تدل على حذقه فى العلاج وصواب حدسه فى معرفة الداء ، منها أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها فى الحياة هى أم فى المات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدها وصب الماء البرد عليها صباً متتابعاً كثيراً (كالدش) ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفئ قد بخر بالعود والند ، ودثرت بأصناف الفراء ساعة ، فعطست وتحركت وقعدت ، وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها

ومن ذلك أن دخل عليه رجل منزوف يرعف دماً فى زمن الصيف ، فأمره أن يأكل خبز شعير مع باذنجان مشوى ، ففعل ذلك ثلاثة أيام ، فبرئ . وقال فى تعليل ذلك : إن دم المريض قد رق ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .

وقد عمر أمين الدولة ، إذ بلغ أربعاً وتسعين سنة . ومن تجمله فى كبره أن كان عند المستضيء بأمر الله ، فلما أراد القيام توكأ على ركبتيه ، فقال له الخليفة : كبرت يا أمين الدولة ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وتكسرت قواريرى . ففكر الخليفة فى قوله هذا ، وأنه لا بد يقصد شيئاً بتكسر القوارير . ثم علم أن الخليفة السابق كان قد وهبه ضيعة تسمى قوارير ، وظلت فى يده ، ثم وضع الوزير يده عليها منذ ثلاث سنين . فتعجب الخليفة من حسن أدب أمين الدولة وأنه لم ينه أمرها إليه ، وأمر بإعادة الضيعة إلى صاحبها وألا يعارض فى شيء من ملكه .

وبعد فهذا واحد من سلف بنوا صرح الحضارة فى العصور الإسلامية ، وعنهم أخذ الغربيون إبان نهضتهم العلمية فى أعقاب القرون الوسطى . فإن كنا الآن نأخذ من الغرب فإنا نقتضيه ديناً عليه لأمثال أمين الدولة بن التلميذ .

عباس خضر

من أمجاد الإسلام

أسطول معاوية

للأستاذ محمود غنيم

بلغ أسطول معاوية زهاء ١٧٠٠ سفينة كاملة العدد والعدة ، وقد أخضع البحر الأبيض ووصل الى أسوار القسطنطينية فحاصرها حيناً من الزمان .



لمن السفينُ يَلُحْنَ كالأعلامِ ... فوقَ العُبابِ نواشرَ الأعلامِ (١)

يمخُرْنَ باسم الله موجَ حضارةٍ ... واسمِ الهدى ومبادىء الإسلام

يهتِفْن بالتكبير لحناً شاجياً ... فتُجيبُ أمواجُ الخِضَمِّ الطامي

وَيَثِبْنَ آونةً أسودَ عرينةٍ ... ويطرن آونةً حمامَ سلام

يُمطِرن بالجزر الدماء . وربما ... كان الدمُ المَوَّارُ صوبَ غمام

بعضُ الدَّمِ الموارِ ليس بآثمٍ ... لكنه طُهرٌ من الآثام

هذى سفينُ الله سارت عَيْلماً ... مترامياً فى عيلمٍ مُترام

لم تدفع الريحُ الهبوبُ قلاعها ... بل أقلعت بالوحى والإلهام

وحرارةِ الإيمان وهي حرارةٌ ... ما زادها الآذى غيرَ ضرام

إن تَسْرِ فالجُزرُ الحرامُ مباحةٌ ... أو تُرسِ فالشُطآنُ فى استسلام

أزجى معاويةُ السفينَ تسيرُ أو ... ترسو بكل غضنفرٍ ضِرغام

فكأن بحرَ الرومِ أصبح مُنبِتاً ... بعد الفلا للغاب والآجام

بدم الشهادةِ خضبوه فضاعَ من ... أرجانه أرَجُ العباب الدامى

جمح العُبابُ فأسلسوه كأنما ... قبضتْ عليه أكفُّهم بزمام

جالت سنابكُ خيلهم فى لُجِّهِ ... جولانَها فى مَهْمَهٍ وَرِجام

ولهم نفوس صافيات صفوَ ما ... بقراره من لؤلؤٍ وتُؤام

لله بحرُ الروم وهو بُحَيرةٌ ... عربيةُ اللَّهوات والأرحام

ومعاقل اليونان وهى محاربٌ ... مكتظةٌ بالصُوَّم القُوَّام

لله « رودس » إذ تُصيخُ « وقبرصُ » ... لِصَدَى الأذانِ مرتَّلَ الأنغام

خاض المياهَ كأنما هو حوتُها ... مَن كان يطوى البيدَ بالأقدام

ورعى البحارَ ومنُ يقيمُ بهن من ... أممٍ رعاةُ النوق والأغنام

حكم البحارَ فما طغى طغيانَها ... نفرٌ يُجيدُ العدلَ فى الأحكام

حصروا ظِلالَ الروم عن أمواجها ... فتحررتْ من رِبقة الأعجام

نفذُوا إلى أسوار « قسطنطينَ » فى ... عزمٍ كحدِّ السيف غيرِ كهام

ورمَوا معاقلَه وإن لم تستجب ... لسهامهم . سلمت يمينُ الرامى

أُطُمٌ عززن على الحنيفة حقبةً ... ثم استجبن على مدى الأيام (١)

محمود غنيم

---

(١) الأعلام الأولى : الجبال . والثانية : الرايات .

(١) لم يتمكن أسطول معاوية من فتح القسطنطينية . وإنما تم ذلك فى جهد محمد الفاتح .

الدعوة فى الإسلام

تبليغ لا إلزام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى



لا أريد فى هذا المقال أن أرد على من زعم أن استعمال السيف فى الإسلام كان للدعوة إليه ، فهذا أمر قد كتب الباحثون فيه قبلى ، والكلام فيه يكون معاداً لا فائدة فيه ، وليس شئ أثقل على نفسى من الكلام المعاد ، لأنه يضيع زمن الكاتب والقارئ ، والزمن أثمن من أن يضيع فى الكلام المعاد ، والحديث المكرر .

وإنما أريد فى هذا المقال أن أنبه إلى أن الدعوة إلى الإسلام لا تكون أيضاً بما دون استعمال السيف مما فيه شائبة إلزام ، ولو كان مثل هذا الإلحاح الثقيل الذى استعمله بعض المتنطعين فى الدين مع الأستاذ نقولا الحداد ، وشكى منه المرة بعد المرة فى مجلة الرسالة الغراء .

فالدعوة فى الإسلام قد حددت بأنها تبليغ عن الله لا غير ، وهذا التحديد قد ورد فى الآية — ٦٧ — من سورة المائدة (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين) فلم يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية إلا بتبليغ دعوة ربه ، والله تعالى هو الذى يهدى إليها بعد تبليغه من يريد هدايته ، ويضل عنها من يريد إضلاله ، فإذا بلغ فقد أدى رسالة الله تعالى ، وليس عليه بعد هذا أن يلح أو يستجدى فى الدعوة إلى الإسلام ، لأن دعوته أكرم من أن يستهان فيها بالإلحاح أو الاستجداء ، لأنهما يعرضان الكريم إلى المهانة والاستثقال ، ويؤديان إلى عكس المقصود منهما وهو الاستجابة للدعوة .

وهذا إلى أنا قد أمرنا أن ندعو إلى الإسلام بالحكمة ، كما قال تعالى فى الآية — ١٢٥ — من سورة النحل (أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وجادلهم بالتى هى أحسنُ إنَّ ربك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين) فإذا بلغ شخص الدعوة أو كان قد عرفها بنفسه كان الإلحاح فى تبليغها إليه من باب تحصيل الحاصل ، وهو عبث تأباه الحكمة التى أمرنا أن ندعو بها إلى الإسلام ، وإنما تقضى الحكمة أن نتركه من باهتمامنا لنشتغل بتبليغ من لم نبلغه ، فقد يكون أقرب منه إلى إجابة الدعوة .

وإذا رجعنا فى هذا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وجدناه يكتفى بتبليغ الدعوة لمن لم تبلغه ، ويترفع فى التبليغ عن كل ما يقف بالدعوة موقف المهانة ، فلا يلح فيها على من يجد منه ترفعاً عنها ، ولا يستجدى فيها من يجد منه استثقالا لها ، ولا يضطغن عداوة على من بلغه فلم يستجب له ، بل يبقى ما بينهما كما كان قبل أن يبلغه دعوته .

فها هو ذا يبدأ دعوته فلا يبدؤها بالإلحاح على قومه ، ولا بعرضها على كل شخص منهم ولو لم يأنس منه الإجابة إلى الإسلام ، بل لا يدعو إلا من يأنس منه الإجابة إلى دعوته من أهله وأصحابه ، فكان أول من آمن به زوجه خديجة بنت خُويلد ، وقد دخل عليه ابن عمه على بن أبى طالب بعد إسلام خديجة بيوم فوجدهما يصليان ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما هذا ؟ فقال له : هذا دين الله الذى بعث به رسله ، فأدعوك إلى الله ، وأن تكفر باللاَّت والعُزَّى . فقال له على وكان غلاماً صغيراً : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم . فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب — يعنى أباه — فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تردده لم يلح عليه ، ولم يقف منه موقف الملحّ المستجدى ، بل قال له : إن لم تسلم فاكتم . وكان لهذا الموقف الكريم أثره فى نفس على ، فلم يلبث أن أسلم ، ثم أسلم زيد بن حارثة ، وكان النبى صلى الله

عليه وسلم بنبناه ، ثم أسلمت أم أيمن ، وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأربعة كانوا من أهله ، وكانوا أقرب الناس إليه ، وقد دعا معهم أبابكر بن أبي قحافة من بني تيم ، وهم بطن من قريش ، وكان أقرب أصدقائه إليه ، ولهذا بدأ بدعوته دون غيره من أصحابه ، فأسرع إلى التصديق به ، وقال له : بأبي أنت وأمي ، أهل الصدق أنت ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . وهكذا بدأت الدعوة عرضاً كريماً لا إلحاح فيه ولا استجداء ، فكان إسلام من أسلم في ذلك الوقت إسلاماً كريماً قوياً ، لأنه كان استجابة خالصة للدعوة ، ولم يكن فيه أثر يشينه لإلحاح أو استجداء أو نحوها .

وهذا عمه أبو طالب قام بكفالته وهو صغير ، فلما بعث في سن الأربعين قام بحمايته من قومه وهو على دينه ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم منه هذه الحماية ، واكتفى بأن بلغه دعوة الإسلام ، ولم يغير ما بينهما عدم استجابته له ، بل كان ينزله من نفسه منزلة العم الذي قام بكفالته وهو صغير ، ولا يثقل عليه من جهة ما يدعو إليه وهو كبير ، ولا يوقعه في حرج ينفره منه أو يبغضه فيه ، حتى توفى أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يكتفى منه بحمايته له ، ولا يغيره عليه بقاؤه على شركه ، بل كان يحبه حب ابن الأخ لعمه ، ويتمنى لو يسلم من شدة حبه له ، حتى نزل في هذا قوله تعالى في الآية — ٥٦ — من سورة القصص (إنَّك لا تهدى مَنْ أحببتَ ولكنَّ اللهَ يهدى من يشاءُ وهو أعلمُ بالمهتدينَ) .

وهذا صفوان بن أمية بن خلف كان من أشد قريش عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ من أمره أن أرسل عمير بن وهب إلى المدينة ليغتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أهدر دمه في فتح مكة ، لأنه عد فيها من مجرى الحرب ، كالذين يعدون مجرى حرب في عصرنا الحديث ، فلما فتحت مكة هرب منها إلى جدة ليركب البحر منها إلى اليمن ، فأتى ابن عم له إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يؤمنه ، فقال له : هو آمن . وأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة علامة يعرف بها أمانه ، فذهب إليه فأدركه قبل أن يركب البحر ، وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما علم منه أنه قد أمنه طلب منه أن يمهله بالخيار شهرين ، فقال له : أنت بالخيار أربعة أشهر .

فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم إلى إجابته إلى ما طلب من الإمهال على الشرك ، بل كان طلبه أن يمهله شهرين فأمهله أكثر مما طلب ، وأعطاه مهلة أربعة أشهر ، ولم يستعمل معه إلزاماً أو إلحاحاً أو استجداء ؟ تكريماً لدعوته أن تمتهن إذا ألح عليه أو استجداه ، وهي أكرم من أن تعرض للامتهان والاستثقال ، وإنما شأنها أن تكون هي المطلوبة بعد التبليغ لمن يدرك فضلها ، ويعرف شرف ما تدعو إليه ؛ ويعلم نبل ما تأمر به .

وهكذا صين الإسلام في عهده في الأول عن العرض المهين ، وحفظ الداعون إليه كرامته ، وضنوا به عمن لا يعرف له قدراً ، ولا يدرك له فضلاً ، فعزَّ وكرم على الناس ، كما يعز ويكرم كل معزَّز مكرم ، وأقبلوا عليه راغبين من أنفسهم ، كما يقبلون على كل عزيز عند أهله ، بعيد عن كل ما يدعو إلى امتهانه أو استثقاله .

وقد بلغ من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في التلطف في الدعوة أن يقول لمخالفيه فيما أمره الله به في الآية — ٢٤ — من سورة سبأ (قُلْ من يرزقكم من السماواتِ والأرض قُلِ اللهُ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فيلقى إليهم دعوته في هذه الصورة من الشك ، ليتأملوا فيها وهم في تؤدة ورفق ، فإن آمنوا بها آمنوا بعد إدراكهم لصحتها ، ورغبتهم في الإيمان بها ، فلا قسر ولا إلجاء ، ولا إلحاح ولا استجداء ، فمن آمن فلنفسه لا لغيره ، ومن ضل فعليها لا على غيرها ، ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى .

عبد المتعال الصعيدي

استغاثات..

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

الله ... والشرق



ربَّاهُ ضاعَ السِّرُّ من يديَّا وأطبقَ اللّيلُ على عينيَّا
ولم أجد فوق الحياة شيًّا يُطفِى العذابَ المادرَ الخفيَّا

إلاّ نِدائى فى الدُّجى .. يا ربّ !

طرقتُ بالأنغام كلَّ بابِ وطُفتُ بالرَّحيقِ والأكوابِ
ولم أدعْ أفقًا بلا شراب وعُدتُ لا أحمل فى عِيابى

غيرَ الأسى يَشقى الأسى فى قلبي !

عبرتُ بالسُّهولِ والأجبالِ وَبالضحَى المُحيِّرِ الخيالِ
وبالغروب السَّاحِرِ الزَّوالِ وبالدُّجى المُغمُومِ السَّآلِ

وباللّيالى سِرتُ كلَّ دربِ

وغُصتُ فى الصُّدورِ للأعماقِ وطِرتُ حتّى أعولتْ آفاقِ
وَضجَّ تحتى واشتكى بُراقى واندهشَ الطيرُ لما ألاقى

مِنْ عَوْدَتى الكُبرى بغيرِ حبّ !

حفِظتُ من جَنبىّ هذا الشَّجنَا وصاحبانى الشَّجو يُدعى أرغُنا
ولم نَزل نَشدُو ونَسقِى الزَّمنا فهل رأينا لِلأغانى أذُنا

تُصْغِى لهذا الوَهجِ المُنصبِّ !

حمّتْ بنا القُيودُ والسلاسِلُ وهاجتِ الأوكارُ والبلابلُ
وراغ فينا الغاصبُ المخاتلُ واختلطتْ فى لَيلنا النوازلُ

يا ربُّ فجراً عاجلاً للكَربِ !

نحن بَنُو الشَّرقِ الأُباةُ الصِّيدُ نحيَا به كأنّنا عبيدُ
يا طَيْرُ هذا خُلدُكَ الرَّغيدُ فكيفَ أنت الحائرُ الشريدُ

ووارِدُ النَّبعِ طريدُ الغرْبِ !

لا هُمَّ صُبَّ النارَ فى السَّواعِدِ واضرِبْ بها فى هذهِ الشدائِدِ
أغلالُنا شابت، وكم مِنْ حاصدٍ ومنجلٍ يَفرى المنايا هامِدِ

يا نارُ فينا إن صَبَرْنا شُبّى ..

ملَّ ثَرانا صدأَ القُيودِ وفِرْيةَ الميثاقِ والوُعودِ
وباطِلاً زيَّنَ لِلعُهودِ شريعةَ اللاهينَ بالوُجودِ

لهوَ المراعى بِعُواءِ الذئبِ ..

وَيلاهُ منهُمُ فى زمانِ النِّيلِ سبعون عاماً خيّموا فى الغِيلِ
عاثوا وخانوا حُرْمةَ النَّزيلِ حتى دهتهُمْ صيحةٌ لِلجيلِ

فجرجرُوا أعلامَهمْ فى التُّربِ !

ولم تزل منهمُ لدىُ الْقَتالِ ُحثالة ٌحطَّت عَلَى الرِّمالِ
من بَدر فليرحم جوى سُؤالى.. إنى بهم من أتعس الْجهَّال !
علامَ لم تلحقْ بباقى الرَّكْبِ ؟!

ماذا دهاهم فى جَنوب الوادى ! ُجفُّوا فشبُّوا الُخلف فى الْبلادِ
وأضرَموها فتنةً تنادى بالظُّلم والتعذيب والفساد
وما لهَا إلا الصدى ُملبِّ

وصفدُّوا فى غابه الأحرارَا فـــلأوا قلوبهم أوَارَا
مِن أين جاءوا شرَّداً حيارى؟ وكيفَ جاسُوا هذه الديارا ؟
يا لعنةَ اللهِ عليهم هُبِّى !!

من أين يا «هاو» ألِفتَ الموكبا فرُحْتَ فى الخرْطوم تمشى عجباً!
وحولكَ الأفواهُ تحدو القِربَا والرايةُ الخضراء تنزُو غضباً..
لقصةٍ زيفَّتها للشعبِ

نسِيتَ عهدَ التاجِ والقواقِع وسيرةَ القُرْصانِ والزوابع
وأُمَّةً قامت عَلَى المناقِع تريدُ شرْكَ الشمسِ بِالمطامِع
ولو تُطيقُ لا دَّعت فى الغيبِ !

فى المسجد الأقصى تراءت ثعلباً تخفى وتُعطى لليهود الحطبا
ذلَّت لهم لما أرَوْها الذَّهبا وحــذروا أيامَها المُنقلَبَا
فانقلبت تسعى لهم فى الدَّرْبِ .

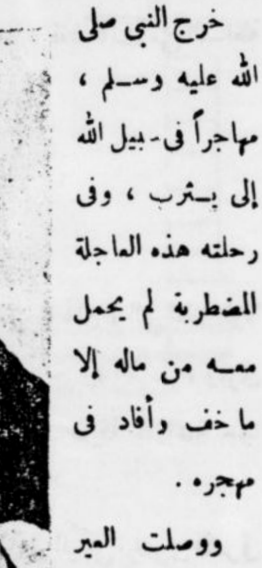
رباهُ ما فى الشرقِ ُجرحٌ لا يَئِنْ
ولا عَلَى آلامِـــــــهِ قرَّ وطنْ
فى كل وادٍ منهُ من بَغى الزَّمنَ
نارٌ وأحرارٌ وبلوى وفِتَنْ
رباهُ زلزل قيدهُ يا ربّ !!

محمود حسن اسماعيل

تاريخ العمارة والفنون الإسلامية
بيت الرسول ومسجده بيثرب

للأستاذ مصطفى كامل ابراهيم

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »
قرآن كريم



خرج النبى صلى الله عليه وسلم ، مهاجراً فى سبيل الله إلى يثرب ، وفى رحلته هذه العاجلة المضطربة لم يحمل معه من ماله إلا ما خف وأفاد فى مهجره .

ووصلت العير إلى قباء قرب يثرب ومكث بها بضع عشرة ليلة أقيمت فيها الصلوات فى مواعيدها وفى قباء أقيم أول مسجد فى الاسلام ، وذلك الذى نزلت فيه الآية الكريمة : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . فلم تكن مكة إذن بالمكان الذى يستطيع النبى أن يقيم به مسجداً ، ولا أن يذهب بصحبه إلى الكعبة للصلاة بها .

وفى اليوم الخامس على رواية ، والعاشر على رواية أخرى ، قام موكب الرسول الكريم فى رعاية ربه ، يحف به المهاجرون والأنصار متجهاً إلى يثرب ، وأهل يثرب تشرئب أعناقهم ليروا القادم الكريم . فرأوا رجلا يملأ العيون والقلوب والأسماع ... رأوا المثل الكامل للكمال والجلال جميعا .

وحملته راحلته حتى أناخت حيث أمرها الله أن تنيخ ؛

فكان مربداً[1] لغلامين يتيمين فى المدينة من بنى النجار ، وسأل الرسول : لمن المربد ؟ فأجاب معاذ بن عفراء : إنه لسهل وسهيل ابنى عمرو ، وهما يتيمان له وسيرضيهما ، ورجا محمداً أن يتخذه مسجداً . فأرسل محمد إلى ملأ من بنى النجار وقال لهم : ثامنونى بحائطكم هذا ، فقالوا لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . فلم يرض إلا أن ابتاعه بعشرة دنانير ، وأمر أن تبنى داره فى هذا المكان . وأقام فترة بنائه فى دار أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى ودأب المسلمون من المهاجرين والأنصار على مشاركته فى بنائه حتى أتموه وما كان بناء الدار يرهق أحداً ، فقد كانت من البساطة بما يتفق وتعاليم محمد .

— ١ —

وصف الدار :

ودار الرسول كدور العرب الرقيق الحال ، التى كانت ولا زالت تبنى فى الأنحاء المتواضعة من شبه جزيرة العرب ، وقرى الشام ، والعراق . فالدار عبارة عن حجرات ضيقة متراصة جنباً إلى جنب ، وأمامها فناء مكشوف .

وقد بنى أولا الحجرتان المتجاورتان فى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء لعائشة وسوداء ، لتكونا بمنأى عن مجلس الرسول وأصحابه فى الناحية الشمالية من الفناء . ومساحة كل حجرة (٧ × ٧) أذرع ينبت باللبن يكاد سقفها الجريد تمسه اليد . ثم أضيفت الحجرات إليهما من الناحية الشمالية كلما زاد عدد أفراد الأسرة حتى بلغت ٩ حجرات . والحجرات جميعا تكاد تتفق فى السذاجة ، وخلوها من مظاهر الترف — اللهم إلا بيت عائشة كما سنبين بعد — فأثاثها حصير يستعمل للنوم ، وقرب بها ماء أوعسل أولبن معلقة على الجدران ؛ ويحجب الحجرات عن الأنظار سجف من وبر أسود معلقة على أبوابها التى تفتح على الفناء .

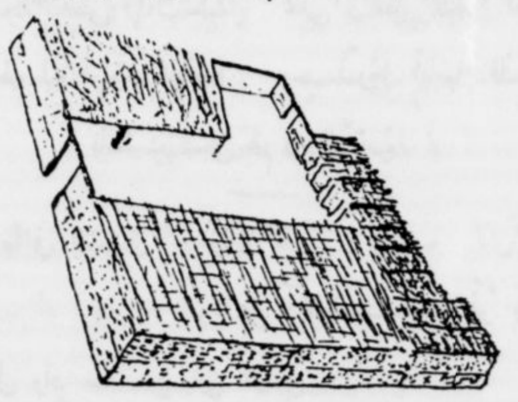
والفناء مربع الشكل طول أحد أضلاعه ١٠٠ ذراعا (٥١ متراً) ، بنى جدرانه — بالحجارة لارتفاع ٣ أذرع ، ثم أكمل الجدار إلى سبعة باللبن (بالطوب النى) وفتح فيه أربعة أبواب ، باب الرسول فى الشمال ، وباب المؤمنين فى الجنوب ، وباب جبريل (باب عثمان) فى الشرق ، ثم باب عاتكة (باب الرحمة) فى الغرب ، وقد تم البناء عام ٢ هـ .

وكان يستعمل الفناء لأغراض الأسرة كالطبخ والغسل وتربية الماشية وما إليه . وليس فى حكم المنطق ما يمنع من أن يستخدم الرسول وزوجاته والمؤمنين الجزء الشمالى من الفناء المواجه لبيت المقدس لأغراض دينية : كاقامة الصلاة فى مواعيدها ، وأن يجلس الرسول إلى الناس يحدثهم فى الدين ويناقشهم ويفصل فى قضاياهم . ثم أن هذا الفناء أدى غرضا إنسانيا آخر : فآوى الفقراء من المسلمين تحت صفة (سقف) أقيمت لهم فى الركن الجنوبى الغربى من الفناء ، فسموا لذلك بأهل الصفة ، وأجريت عليهم الأرزاق إلى أن بنى لهم دورا .

ولقد شكى المسلمون إلى النبى حرارة الشمس ساعة الصلاة فأقام لهم فى الجهة الشمالية من الفناء سقفا من سعف النخل والخصف والأذخر ، وغطى بطبقة من الطين يعتمد على قوائم وعوارض من جذوع النخل ، ودام هكذا ١٦ شهراً .

ولما مكر اليهود بالنبى ، ونزلت الآية الكريمة على رسول الله وهو قائم يصلى بالناس (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) قرأها وتوجه إلى ناحية الجنوب وتبعه المسلمون .

ونقل السقف إلى الناحية الجنوبية المواجهة للكعبة ، ونقلت الصفة إلى الركن الشمالى الغربى وسد باب المؤمنين فى الجنوب



(شكل ١) رسم يبين دار الرسول ومسجده عام ١١ هـ

ولم يكن الفناء يضاء ليلا إلا ساعة الصلاة ، وذلك بأن يوقد فى وسط الفناء شعلة من قش ، حتى شدت المصابيح بعد ٩ سنوات إلى جذوع النخل التى اعتمد عليها سقف رواق القبلة .

(١) المربد : مكان تجفيف التمر .

ولما التحق الرسول بالرفيق الأعلى فى ١٣ من شهر ربيع الأول عام ١١ هـ دفن فى حجرة عائشة ، وهى الحجرة التى قضى فيها أخريات أيامه .

ولما تولى أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — ترك الدار كما هى ، واتخذ كرسى الخلافة بها على نحو ما كان يفعل الرسول ، ولما توفاه الله رقد بجوار الجسد الطاهر فى حجرة عائشة ابنته وهى الأولى من ناحية الجنوب .

الزيادة فى أيام عمر :

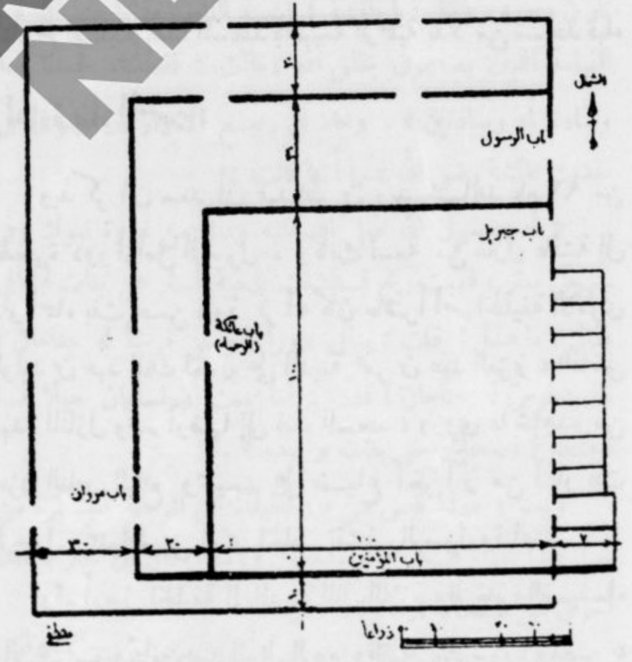
كان لزاماً على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أن يزيد فى مساحة المسجد ليواجه الزيادة المطردة فى عدد المسلمين والذين يفدون على مقر الخلافة من الأمصار . فأمر عام ١٧ هـ بهدم حائط الفناء — ولم تمس دور الأرامل — وزاد فى إبعاده من الشمال بقدر ٣٠ ذراعا ، ومن الجنوب بقدر ١٠ أذرع ومن الغرب بقدر ٢٠ ذراعا وهكذا أخذ الفناء شكلا مستطيلا طوله ١٤٠ ذراعا وعرضه ١٢٠ ذراعا وكان ارتفاع الحائط حول الفناء يبلغ قامة الرجل .

وزاد عمر فى عدد أبواب الفناء فأصبحت ستة : باب مروان وباب عاتكة ، وباب الرسول ، وباب الفناء ، وبابان آخران فى الحائط الشمالى . وقد كان المسلمون ينفضون أيديهم من التراب بعد كل ركعة ، فكانت تحدث أصواتاً أثناء قراءة القرآن الكريم ، فأمر عمر بأن تفرش الأرض بالحصى من وادى العقيق .

ولما توفى دفن بجوار سلفيه الكريمين .

الزيادة فى أيام عثمان :

ومما يؤثر عن عثمان — رضى الله عنه — أنه كان لا يتحرج من أن يمتع النفس بشىء من نعمة الله . فأخذ يبتعد عن التقشف الذى أرهق نفسه به عمر ، فهذب من مقام الخلافة بحيث تتناسب وجلالها واتساع رقعة الدولة التى كانت تستظل بها . وخصوصا أن عماله فى الأمصار — والأمويون على وجه الخصوص — كانوا يحيطون أنفسهم بأبهة الملك . فأمر فهدمت جدران الفناء فى سنة ٢٤ هـ ، وزاد فيه من الناحية الشمالية بقدر ٢٠ ذراعا ومن الغرب بقدر ٣٠ ذراعا ، وأصبحت أبعاد البناء ١٦٠ ذراعا × ١٥٠ ذراعا ، ولم تمس دور الأرامل ، ولم يزد شيئا من ناحية القبلة ، وبنيت الحوائط من الحجر المنحوت وغطى بسقف من خشب الساج .



(شكل ٢) رسم تخطيطى لبيت الرسول ومسجده والزيادات التى طرأت عليه حتى عهد عثمان

ولما قتل عام ٣٥ هـ (٦٥٥ م) دفن بالغرفة المجاورة للغرفة التى دفن بها الرسول وصاحباه . وتولى الخلافة على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — ونقل مقر الخلافة إلى الكوفة فى رجب سنة ٣٦ هـ ، وبذا فقدت الدار أهميتها الرسمية ، كما فقدتها المدينة نفسها .

ولقد عز على أهل يثرب أن ينتزع منهم مقر الخلافة ، وهى التى ظلت فيهم طيلة أيام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأن تبرحهم العزة والتكريم التى ما برحتهم منذ أن وطئت قدما الرسول الطاهرتان أرضهم ، فتعلقت قلوبهم بمسجد الرسول لأن فيه قبره المشرف وقبر أبو بكر الصديق ، وقبر عمر الفاروق ، وقبر عثمان بن عفان ، ولأن هذا المسجد إنما يحمل ذكريات الرسول ، فجعلوه كعبتهم ، وأحاطوه بعنايتهم وتبجيلهم ، وما برحوا يقيمون فيه الصلوات ويجلسون فيه إلى فقائهم ، واتجهت قلوب المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى مقام الرسول يشدون إليه الرحال للزيارة والتبريك عملا بالحديث الشريف :

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » .

فلما كان عام ٥٤ هـ أقيمت ذكرى الهجرة فى الفناء لأول مرة ، وقد كانت حفلات ذكرى الحج تقام فى قباء ومن ذلك التاريخ اصطبغ هذا المسجد بالصبغة الرسمية بدلا من مسجد قباء

إعادة بناء المسجد :

ويذكر ابن سعد أن عبد الله بن يزيد شاهد عام ٩١ من الهجرة دور أرامل الرسول ، وكانت تسعة من منزل عائشة إلى دار أسماء بنت حسن ، وذكر أنه كان حاضراً أمر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك لعامله على المدينة عمر بن عبد العزيز ، القاضى بهدم المنازل وضم أرضها إلى فناء المسجد ، وروى ما شاهده من حزن الناس البالغ وبحيبهم على ضياع آخر أثر من آثار بيت الرسول وتمنوا لو بقى ليرى الخلف تقشف الرسول وقناعته .

وقد أرسل الخليفة إلى المدينة المال اللازم والرخام والفسيفساء والأخشاب وثمانين من العمال الروم والقبط من سوريا ومصر ، فأزالوا البقايا القديمة من حجرات نساء النبى وبعض المنازل المجاورة وأقاموا بإشراف صالح بن كيسان المسجد الجديد من الحجر المنحوت ، وحملوا سقفه على ٦ أعمدة فى الاتجاه الشرقى الغربى و ١٤ عموداً فى الجهة الشمالية منها ١٠ أعمدة تشرف على الصحن و ٤ أعمدة فى الرواق وبلغت مساحته ٢٠٠ فى ٢٠٠ ذراعاً .

— ٢ —

الأذان للصلاة :

وكان المؤمنون يجتمعون إلى النبى للصلاة حين مواقيتها بغير دعوة ، حتى إذا اكتمل عقدهم أقيمت الصلاة . على أن اشتغال الناس بأمور عيشهم قد يفوت عليهم وقت الصلاة أو يؤخرهم عن مواعيدها . . وليس أحسن من أن يؤذن فى الناس كلما حلت فيأتون رجالا من كل فج عميق ، ففكر فى البوق الذى يدعو به اليهود لصلاتهم ولكنه كرهه فأمر بناقوس كناقوس النصارى ولكنه بعد مشورة عمر وطائفة من المؤمنين على رواية ، وبأمر الله على لسان الوحى على رواية أخرى ، عدل عن الناقوس أيضاً إلى الأذان — وقال لعبد الله بن زيد ، « قم مع بلال فألقها عليه ليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك » فارتقى بلال منزلا عالياً لامرأة من بنى النجار كان بجوار المسجد ، وصار يرسل الدعوة مع كل ريح بصوت ندى جميل :

هنالك أذّن للرحمن فامتلأت أسماع يثرب[1] من قدسية النغم

وهكذا أصبح الأذان صفة لازمة للصلاة الجامعة ، وصار لابد للمؤذن من مكان مرتفع فى عمارة المسجد يدعو منه المصلين فلما اتخذ المسلمون المعبد الوثنى (Temenos) فى دمشق للصلاة كان له أبراج فى أركانه الأربعة فأمر معاوية باتخاذها مآذن وهذه أول المآذن .

محراب القبلة :

لم يكن لمسجد الرسول محراب يبين اتجاه القبلة ، والمحاريب بالمساجد ، إنما ظهرت بعد اتصال المسلمين بالمسيحيين والأخذ بفنونهم . والمحاريب المجوفة معروفة فى كنائس المسيحيين قبل الإسلام ، ولكن المحراب المسطح يغلب عليه الابتكار الإسلامى .

وقد كان المسلمون يتحرجون أن تبدو مساجدهم وعليها مسحة وثنية ، أو يهودية أو مسيحية ، أو أن تبدو مظاهر عباداتهم متفقة ، فى قليل أو كثير ، مع مظاهر عبادات الأديان الأخرى ، فحافظوا على شخصية الإسلام وطابعه المميز سواء فى مخبره أو مظهره . وقد فطن المؤلفون العرب إلى أن المحراب متخذ من حبنية الكنيسة فنسبوا إلى الرسول حديثا : « أن ظهور المحاريب التى تجعل المساجد تشبه الكنائس من علامات الساعه » .

وكتب السيوطى رسالة سماها « أعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب[2] » ، ويميل الآثاريون إلى الاعتقاد بأن المحراب الأول فى الإسلام صنعه العمال الروم والقبط الذين أرسلهم عبد الملك بن مروان إلى المدينة لإعادة بناء المسجد النبوى أو ذلك الذى صنعه قرة بن شريك ، عامل الوليد فى مصر عام (٨٩ — ٩٦ هـ) (٧٠٩ — ٧١٥ م) .

منبر النبى :

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إنما يخطب الناس وهو

(١) فى الأصل « مكة » من نهج البردة لشوقى بك .
(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٢ مجاميع

قائم مستند إلى أحد جذوع النخل التي تحمل سقف المسجد ؛ إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا فصُنع له منبر خشبي من ثلاث درجات ووضع في صدر حائط القبلة ، وكان النبي وقت الخطبة يجلس على الثالثة العليا ويضع أرجله على الثانية ، وكان أبو بكر يجلس على الثانية ويضع أرجله على الأولى ؛ إشعاراً للناس بهيبة الراحل العظيم ، وإقراراً في نفوسهم بأنه هو خليفته ومهما بلغ به التعظيم والتكريم فلن يبلغ مبلغه . ولقد يظهر أن للرجل فكرة دينية تخفى تحت هذا التصرف ... فقد كانت حركة الردة على أشدها ، ومدعو النبوة في كل واد يهيمون ، يؤلبون الناس على الإسلام ، تخشى أن يتطلع الناس إليه على أنه صورة ثانية من الرسول فيطالبونه بما لا يستطيعه من وحي أو حديث ، فيضطرب الأمر وتفشو الفتنة ، أو لعل له هدفاً سياسياً فالقوم يعلمون أن الرسول لا ينطق عن الهوى ، وأنه على خلق عظيم ، فأراد الصديق أن يقر في نفوسهم بأنه لا يتلقى وحياً ، وأن الخطأ جائز عليه فلا يمكن أن يقاس برسول الله على كل حال .

هذا التواضع وهذه السياسة قد ورثها عمر بن الخطاب فخطب الناس وهو جالس على العتبة الأولى للمنبر وجعل رجليه على الأرض إلا أن عثمان بن عفان لم يجد ما يدعوه إلى الجلوس مكان عمر ، ولا مكان أبي بكر ، وليس لديه ما يمنع من جلوسه مكان النبي نفسه . ولا شك بأن إغفال سنة سلفية وصعوده الدرجات إلى مكان النبي أمام الناس قد هزت الناس هزات نفسية عنيفة ، لها مغزاها في سير الحوادث أيام عثمان .

ومنبر النبي مكرم بحديثه الشريف « ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة » .

والمنبر إنما هو كرسي مرتفع أدخل في المسجد للنبي ليكفيه عناء الوقوف مدة إلقاء الخطبة . وقد كان المنبر معروفاً في المعابد المسيحية ، وكان في كنائس الروم والقبط يجلس عليه القساوسة لإلقاء الوعظ حتى استغنى عنه بالمذبح . ولقد هذب الإسلام من هيئته على مر العصور وأضفى عليه من روحه بما جعل له مغزى وطابعا إسلاميا مميزاً وعالجه المفننون حتى أخرجوه تحفة لها مقامها الكريم بين منتجات الفن الرفيع .

— ٣ —

لم تكن يثرب غارقة في البداوة حتى لا يظهر بها أثر من الفن أو الصنعة فوجود اليهود بها — وهم أهل تجارة وحيلة في جلب المال — مما يرجح وجود الفنون بها . وقد كان في حجرة عائشة — رضي الله عنها — بعض التماثيل مما يتلهى به فتيات العرب وستور محلاة بالصور يفسره حديث السيدة عائشة قالت :

« قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة في بقرام [1] فيه تماثيل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوّن وجهه ، وقال : يا عائشة ! أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ، قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين » . وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

« قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وفي سهوتي ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات [2] لي فقال : ما هذا ؟ قلت : بناتي ، ورأى بينهن فرساً له جناحان ، قال : فرس له جناحان ؟ قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؟ فضحك حتى بدت نواجذه » .

وبعد ، فهذا قبس من نور ألقيناه على المرحلة المبكرة من حياة هذا المقام الكريم وسنحاول في مقال تال أن نجلو صفحة أخرى من صفحاته الزاخرة الزاهرة .

القاهرة — مصطفى كامل إبراهيم

(١) السهوة : الطاق . والقرام الستر .
(٢) البنات : التماثيل الصغار يلعب بها .

مراجع البحث نجملها فيما يلي :

القرآن الكريم وكتب السيرة الشريفة .
Eanlıg NusliM Ärchlleerurc لكريزل طبقات ابن سعد .
تاريخ الأمم والملوك للطبري
مسالك الأبصار للعمري
الفن الإسلامي في مصر للدكتور زكي محمد حسن
التصوير عند العرب لتيمور باشا والدكتور زكي محمد حسن
خطط المقريزي
حياة محمد للدكتور هيكل باشا

ابن حزم الأندلسي

مجموعة من المواهب والعبقريات

للأستاذ قدري حافظ طوقان



ابن حزم مجموعة من المواهب والعبقريات؛ وزير وابن وزير، ومن أصحاب الجاه الواسع العريض. هذا في ميدان الحياة العامة. أما في المعارف والعلوم فهو فيلسوف لمع في الدين والشعر والأدب والتاريخ

نشأ في قرطبة في القرن الحادي عشر للميلاد من أسرة قال عنها الفتح بن خاقان: «بنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد وحسب». وهو من بيت عريق بالمجد حافل بالترف والنعيم. لكن ذلك لم يدم، فقد تنكر له الزمان، وتعرض للنكبات والمصائب، وأصابه الاعتقال والتغريب والإغرام الفادح. لحقه الأذى والكيد من كل جانب، ولم ينعم بالاستقرار والاطمئنان.

انصرف ابن حزم إلى العلم بكل عزائمه، وأخلص له ولم يخلط به مأرباً آخر. وهذا ما يميزه عن كثير من الذين يمنون بالعلم والأدب؛ ولم يقف عند هذا الحد، بل «تفرغ لنشره بين الناس فنفع به خلقاً كثيراً»؛ ذلك لأنه كان يؤمن بأن للعلم زكاة هي نشره وإذاعته.

نشأ في بداية أمره في جو ساعد على بروز مزاياه النفسية والفكرية، فظهرت عبقريته متعددة النواحي، وتعمق في البحث والدرس فكان المرجع لأعيان الفكر في زمانه والأزمان التي تلت، ومصدراً من المصادر المعتمد عليها التي يستشهد بها رجال الدين والعلماء.

وقد اعترف بفضله وعلمه الأقدمون والمحدثون، فقال عنه أفاضل القدماء: «... ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه وجدل وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعليم القديم من المنطق والفلسفة ...»؛ وقال الذهبي: «ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة»؛ وقال صاعد: «برز ابن حزم على فحول العلماء بالأندلس حتى تفرد دونهم بميزات»؛ وشهد الغزالي بفضله: «وعظم حفظه وسيلان ذهنه». ولقد درس بعض تآليفه المستشرقون ورجال التاريخ في أوربا وأمريكا، فأنصفوه بعض الإنصاف واعترفوا بأثره في الفقه والعلوم. قال رينيه باسيه: «ابن حزم عالم عربي أندلسي، متفنن في علوم جمة، وهو فقيه مشهور ومؤرخ وشاعر مبرز، دقيق الملاحظة، شيق الأسلوب».

وتناول آراءه جولدزيهر وشرينر وإسرائيل فرد لبندر ونيكل وبتروف، فشرحوها وعلقوا عليها وأبانوا أثره في الفقه والمنطق والتاريخ. ويعترف سارطون في كتابه مقدمة لتاريخ العلم بفضل ابن حزم وعلمه فيقول: «ابن حزم أعظم عالم في الأندلس، ومن أكبر المفكرين المبتكرين المسلمين فيها».

ترك ابن حزم مؤلفات ضخمة تدل على سعة اطلاعه وغزر علمه وعظيم أدبه؛ وقد «ملأ المغرب بعلمه وكتبه ومذهبه، وشغل أهله طرفاً صالحاً من حياته أحقاباً طوالا، حتى لكأنه أمة وحده لا فرد من أمة»؛ اعتز به الأندلس وباهى بفضله العراق الذي كان يومئذ يموج بحضارة ما رأى التاريخ لها مثيلاً.

ويتجلى من كتبه ورسائله أنه كان يتمتع بفكر ثاقب وبصيرة نافذة وملاحظة دقيقة؛ فهم الشريعة حق الفهم وأفهمها بإخلاص وصدق للناس. وكان صريحاً ومخلصاً للحق إلى أبعد الحدود؛ وقد ضاق علماء عصره وحكامه بصراحته وإخلاصه، فأشهروا عليه الحرب العوان، فأحرقوا كتبه واضطهدوه شر اضطهاد، وصبوا عليه النكبات والمتاعب. ويمكن القول إنه «ملأ

الأندلس حركة فكرية عنيفة آثارها سلبية وإيجابية ، وجعل مجالس العلم وأقطاب الفكر معسكرين أنصاراً وخصوماً » .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن حيوية ابن حزم لم تنقطع بموته ، بل أودعها كتبه وتآليفه فاستمرت تعمل عملها زمناً طويلاً . وإن المتصفح لأدبه وأسلوبه يجد أن فيهما ثورة على التقليد ، فلم يتقيد بأسلوب من تقدموه ، ولم يلتمس فى أدبه طريقهم ، وهو يقول فى هذا الشأن : « وما مذهبى أن أنضى مطية سواى ، ولا أتحلى بحلى مستعار » . وهذا (كما يقول الأستاذ سعيد الأفغانى): « السر فى تأثير بلاغته وأخذها بمجامع القلوب ، ونفاذها إلى أعماق النفوس » . ولهذا لا عجب إذا امتاز بأسلوب خاص ، وأدب له لونه الخاص ، وقد حلق به عالياً فجعله « أديباً عالياً سبق عصره قروناً عديدة » .

وابن حزم صاحب رأى مستقل يأخذ بالعقل ويخالف بالعقل ، لهذا نراه حارب الخرافات وهاجمها بشدة ، حتى إنه استعمل ألفاظاً نابية لا يليق بمثله أن يأتى بها مما يعطى فكرة عن شدة ألمه من الأخذ بالأوهام والاعتقاد بالخرافات . كان يدعو إلى الأخذ بالعلم الصحيح والاعتماد على العقل ، يتجلى ذلك فى كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) بشأن النجوم وأثرها فى الناس وهل تعقل ؟ قال ابن حزم : « زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى وتسمع ... وهذه دعوى بلا برهان . وصحة الحكم بأن النجوم لا تعقل أصلاً ، وأن حركتها أبداً على رتبة واحدة لا تتبدل عنها . وهذه صفة الجماد المدبر الذى لا اختيار له . وليس للنجوم تأثير فى أعمالنا ، ولا لها عقل تدبرنا به إلا إذا كان المقصود أنها تدبرنا طبيعياً كتدبير الغذاء لنا ، وكتدبير الماء والهواء ونحو أثرها فى المد والجزر ، وكتأثير الشمس فى عكس الحر ، وتصعيد الرطوبات (التبخير) . والنجوم لا تدل على الحوادث المقبلة » .

ومن هذه الآراء يتضح أن ابن حزم لا يأخذ رأياً إلا بعد أن يمحصه ويسلط عليه العقل والبرهان ، فإن أجازه العقل وأمكن البرهنة عليه أخذ به ، وإلا فهو غير مقبول لديه .

وخالف ابن حزم الأقوال التى تشير إلى أن النيل وجيحون ودجلة والفرات تنبع من الجنة ، وتهكم على قائليها . وبعد أن فند هذه الأقوال بين أن لهذه الأنهار منابع معروفة فى الأرض على ما هو موضح فى كتب الجغرافيا .

ولابن حزم آراء علمية ونظريات فلسفية « هى فى الطبقة الأولى من القيمة الذاتية الحقيقية » كما يقول الدكتور عمر فروخ .

ومن هذه النظريات الجديرة بالذكر والاعتبار نظرية المعرفة ، وقد عقد لها فصلا خاصا فى كتابه : (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) . وتتركز الأسئلة فى هذه النظرية على ما يلى :

كيف تعرف الأشياء ؟ وما نعرف عنها ؟ وما الدليل على صحة المعرفة ؟ ولقد بحث فى هذه النظرية اليونان ، لكن بحثهم لم يكن من العمق والسعة بحيث يجعلها كاملة ، إلى أن جاء الفيلسوف الألمانى (كانت Kamt) فى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد ، فبحثها بحثاً وافياً شاملا جعل مؤرخى الفلسفة الأوروبية يقولون : إن الفضل فى إيجاد نظرية المعرفة وفى شرحها ، يعود أولا إلى كانت .

ولكن الدكتور عمر فروخ فى كتابه عبقرية العرب درس الآراء التى وردت فى كتاب ابن حزم وقارنها بما قاله (كانت) فتبين له أن نظرية المعرفة قد عرضت لابن حزم قبل (كانت) بسبعة قرون ونصف قرن .

يرى ابن حزم أن المعرفة تكون (١) بشهادة الحواس — أى بالاختبار الما تقع عليه الحواس ، (٢) بأول العقل — أى بالضرورة وبالعقل من غير حاجة إلى استعمال الحواس الخمس ، (٣) ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواس وأول العقل .

ويرى ابن حزم أن الغرض من الفلسفة والشريعة يجب أن يكون إصلاح النفس حتى تستعمل (النفس) الفضائل وتكون فى دائرة السيرة الحسنة المؤدية إلى السلامة فى المعاد وحسن السياسة للمنزل والرعية جاء فى كتاب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) ما يلى : « الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها ، والغرض المقصود نحوه بتعلمها ، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها

فى المعاد وحسن سياستها للمنزل والرعية . وهذا نفسه ، لا غيره ، هو الغرض من الشريعة . هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء فى الفلسفة ، ولا بين أحد من العلماء فى الشريعة .. »

وابن حزم من المقدمين فى الظاهرية والمتحمسين لها . ومذهب الظاهرية هو مذهب الجماعة الذين يقبلون ما جاءت به الآيات الكريمة والأخبار الموثوقة من الحديث والسنة ، ولا يتأولون شيئاً على ما لم تجر به سنة العرب فى فهم لغتهم . وقد وضع فى الظاهرية تآليف قيمة تعرض فيها لمسائل فقهية ومشاكل دينية وكان فيها مبتكراً ، إذ طبّق الأصول الظاهرية على العقائد . ومن آرائه التى أودعها كتبه يتبين أنه كان من الذين (انتقضوا على التوسل بالأولياء ومذاهب الصوفية وأصحاب التنجيم) . كان يميل إلى المناظرة والهجوم على خصومه والذين يخالفون فى آرائه ، لكنه كان يتوخى دائماً إنصاف الخصوم ويتجنب التضليل واختلاق التهم .

ولابن حزم رسالة لطيفة قيمة هى رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ، شرح فيها مذهبه فى المفاضلة سالكا طريقاً منطقية محكمة . ولقد أحسن الأستاذ سعيد الأفغانى فى نشرها ، فقدم بذلك خدمة علمية جليلة يشكر عليها أجزل الشكر .

وفى هذه الرسالة النفيسة كان ابن حزم مبتكراً فى الطريقة التى اتبعها فى ترتيب موضوعاتها . وكانت على النمط الآتى : تقرير للأسس ثم بسط الدعوى ، ثم استعراض آراء الخصوم وشبههم وأخيراً دفع للشبه وبرهان للدعوى ؛ وهى كما يقول الأستاذ الأفغانى « طريقة محكمة كاملة » تعلم الحوار المضبوط ، والمناقشة الدقيقة ، والجدل الصحيح القوى ، وفوق ذلك ، فقد دلت هذه الرسالة على « براعة فى تحليل النصوص وجودة الاستنباط ، ودقة الفهم لها ... »

يرى ابن حزم فى هذه الرسالة أن العامل يفضل العامل فى عمله بسبعة أوجه لا ثامن لها وهى : الماهية وهى عين الفعل وذاته والكمية وهى العرض فى العمل والكيف والكم والزمان والمكان والإضافة . ثم يشرح كلاً من هذه الأوجه فى قالب جذاب يستهوى القارئ وبأسلوب سهل فيه ابتكار وفيه إحكام ومنطق .

والآن لا يتسع المجال لشرح آرائه ونظرياته ، ولكن يمكن القول أنه ترك تراثاً ضخماً لم يصل إلينا منه إلا القليل ، وهى تبحث فى الفقه والأدب والأخلاق والفلسفة وأخلاق النفس والأصول ، والامامة والسياسة والمنطق والإيمان والفرق الإسلامية والاجماع والتاريخ . ولعل أشهرها كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، وكتاب طوق الحمامة ، ورسالة المفاضلة وقد مر ذكرها .

وهذه كلها تدل على علم واسع وعقل حصيف وفكر خصيب وإنه كما يقول الأستاذ الأفغانى « أحدّ ذهنية انبثقت عنها الأندلس فى جميع عصورها » وهو يمثل العبقرية الأندلسية أروع تمثيل . وقد سما نبوغه وارتفع درجات جعلت المؤرخين والباحثين يعتبرونه من المقدمين فى تاريخ تقدم الفكر والعلم ومن أعلام العلماء الخالدين ...

فدرى حافظ طوقان

الأندلس الثانية

للأستاذ ابراهيم الوائلي

مواكب النصر ودنيا الظفر ... كيف تلاشى الأمل المنتظر
أيستنيم الشرق مستخذيا ... وفى زواياه يدب الخطر ؟

بالأمس كنا نتحدي الورى ... لما زحفنا زحفة واحده
فاصطبغت بالدم تلك الذرى ... تشهد أنا أمـــة خالده
واليوم قد عادت بنا القهقرى ... سياسة موتورة حاقده

بالأمس كنا ونشيد الكفاح ... أغنية نهفو لاسجاعها
قد رتلتها نبرات الســلاح ... فاهتزت الدنيا لإيقاعها
واليوم من قد حصبتها الرياح ... عادت إلى تحقيق أطماعها

بالأمس كنا وصهيل الجياد ... ترن فى الآفاق أصداؤه
وحلم «صهيون» بأرض المعاد ... طارت على الساحل أشلاؤه
واليوم عـدنا وحديث الجهاد ... طيف وفى « الرملة » أنباؤه

أبعد أن دوّت على « الفوطتين » ... أيام غسان تناجي الحرم
وانتفض التأريخ فى الرافدين ... يبعث فينا سيرة المعتصم
نعود من تلك (بخفّي حنين) ... ولعنة التاريخ بين الأمم ؟!

قالوا : أطل السيف من غمده ... وعاودت « مكة » قرآنها
وانطلق التاريخ من مهده ... يكتب للأمة عنوانها
فضاحك النيل ربى « نجده » ... وصافحت بغداد عمانها

ثم انثنينا بعد ذاك الظفر ... تخدعنا أحبولة الطامعين
وزمرة كنا فصرنا زمر ... تعبث فينا حيل الماكرين
فأين يا أمتنا المســـتقر ... إن نحن ضيعنا تراث السنين !

ما هكذا تبلغ آمالهـــا ... من جانبت خطتها الظافره
ففى غد تندب أوصالهـــا ... وقد أطّتها اليد الغادره
يا من مشت تحمل أثقالها ... ماذا وراء الخطوة الحائره

إنا لنخشى بعد هذا النضال ... فى شرقنا « أندلساً » ثانيه
ففى ذرى القدس وخلف الجبال ... قد رصدتنا الفئة الباغيه
وفى ربى « نجد » وحول « القنال »
ما كان فى « الشط » و « حبّانيه »[1]

مواكب « اليرموك » عودى فـذى
أيامنا تستصرخ (ابن الوليد)
وجدّدى ذاك النضال الذى ... ربع به كل قوى عنيد
فليس غير السيف من منقذ ... يا راية الفتح اخفقى من جديد

حرب أردناها لنشر السلام ... فى وطن قد مزقته النوب

(١) إشارة إلى (لشعيبة) قاعدة الإنجليز فى البصرة ، و (حبانيه) قاعدتهم الأخرى قرب بغداد على الفرات .

بيت المقدس

في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوي



لم تكن بلاد الشام يوم هاجمتها جحافل الغرب في أواخر القرن الخامس بمستطيعة أن ترد هذه الجيوش المتدفقة عليها من كل صوب ، فلم تكن وحدة تحت سلطان واحد ، وإنما كان النظام الإقطاعي يمزّق شملها ، ويفتّت قواها . فسقطت فلسطين وكثير من بلاد الشام في أيدى الغزاة المتعقبين ، وقاست البلاد المفتوحة من ويلات التدمير والنهب وسفك الدماء ، ما لا يستطيع التاريخ أن ينساه ، وكان نصيب بيت المقدس عندما اجتاحوه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة منأ كبر الأنصباء ؛ فقد جرت به مذبحة من أبشع المذابح التي عرفها التاريخ . يقول ميشو Michaud المؤرخ الفرنسي في كتابه تاريخ الحروب الصليبية Histoire des Croisades (ج١ص ٢٣٦) في حديثه عن بيت المقدس: « سرعان ما صارت المذبحة عامة : ذبح المسلمون في الطرقات وفي المنازل ، ولم يعد في بيت المقدس ملجأ للمغلوبين ؛ فبعض الذين فروا من الموت ألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار ، والآخرون جروا جماعات يختبئون في القصور والأبراج ، وبخاصة المساجد ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفرّوا من أن يتبعهم الصليبيون ، أما وقد صار الصليبيون سادة المسجد الأقصى الذي دافع المسلمون عن أنفسهم حيناً فيه ؛ فقد جددوا فيه المناظر المحزنة ، دخله المشاة والفرسان ، واختلطوا بالمهزومين ، وفي وسط أشنع ضوضاء ؛ كنت لا تسمع إلا الأنين وصيحات الموت ، لقد كان المنتصرون يسيرون على أكوام من الجثث ليتبعوا من يحاول الفرار عبثاً . وقال شاهد عيان هو « ريمون داجيل » ارتفعت الدماء إلى ركب الخيل وأعنّتها في المسجد ، وكل الذين أبقى عليهم التعب من الذبح أو أمروا طمعاً

فكان منا أن ملكنا الزمام	حين تلاقينا وشب اللهب
فيا ربوعاً دب فيها الخصام	تذكرى بالأمس دنيا العرب
تذكرى تأريخ وادى الفرات	يوم تحدى صلف « الإنجليز »
فلم تخفه النار والطائرات	حين مشى وهو قوى عزيز
ودجلة تهزأ بالماخرات	وحلم « مود » ورؤى « همفريز »
واذكرى ما كان في (ميسلون)	يوم أتت (باريس) في كبرياء
وخلفها الغرب الأثيم الخئون	قد بثت الغدرة للأبرياء
فانتفضت (جلّق) بعد السكون	وسجلت تأريخها بالدماء
وإن نسيت النيل وهو الغضوب	فاستعرضى أمواجه الثائره
ترى بلاداً ما ثنتها الخطوب	عما تريد الأمة الساهره
من الشمال الحر حتى الجنوب	لما تزل جبارة قاهره
والمغرب الأقصى وأعلامه	
و (الريف) تحميه الأسود الغضاب	
قد روعت (باريس) أيامه	وجللت تأريخها بالضباب
وزلزل الغرب وأصنامه	حين تقرتها أكف الشباب
فيا دماء طويت في الرغام	تحية الشعر لزاكى الدم
ويا جراحاً نخرت في العظام	سوف تمرين على بلسم
ويا حياة لُفّعت بالظلام	لا بد من فجر فلا تسأمى

(القاهرة) ابراهيم الوائلي

فى أن يفدوا أنفسهم بفدية كبيرة قتلهم الصليبيون؛ لقد أكرهوا على أن يلقوا أنفسهم من أعالى البروج والبيوت، ويكونوا طعاماً للنيران، وكانوا يخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ويجرونهم فى الميادين العامة، حيث يذبحونهم فوق أكداس الموتى، ولم يثنهم دموع النساء ولا صيحات الأطفال. لقد كانت المذبحة هائلة وكانت الجثث مكدسة، لا فى القصور، ولا فى المساجد، ولا فى الشوارع فحسب، ولكن فى أخفى الأماكن وأبعدها. ولم تنته المذبحة إلا بعد أسبوع. ويتفق المؤرخون الشرقيون والإفرنج على أن عدد القتلى يبلغ سبعين ألفاً؛ وبعدئذ أمر من بقى من المسلمين الذين لم ينجوا من القتل إلا ليقعوا فى استعباد مخيف، أن يدفنوا الأجسام المشوهة لأصدقائهم وإخوانهم، فأخذوا ينقلون — وهم يبكون — هذه الجثث خارج بيت المقدس، وساعدهم فى ذلك بعضُ الصليبيين الذين دخلوا المدينة أخيراً، فلم يظفروا بكثير من الأسلاب، وأخذوا يبحثون عن بعض الغنائم بين الموتى». وقال ابن الأثير فى تاريخه الكامل (ج ١٠ ص ١١٧) وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من الفضة وزنه أربعون رطلا بالشامى، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلا، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء».

خرج المستنفرون بعد سقوط بيت المقدس إلى بغداد، فحضروا فى الديوان وقطّعوا شعورهم، واستغاثوا وبكوا، وقام خطيبهم فى الديوان، فأورد كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذكروا ما دهم المسلمين بذلك المكان المعظم؛ من قتل الرجال وسبي الحريم والأولاد ونهب الأموال، ولكن الخليفة لم يكن فى يده من الأمر شىء بل كان يعتمد على السلاجقة، فأرسل على عجل ثلاثة رجال من حاشيته إلى السلطان بركياروق وأخيه محمد، وقد كانا معسكرين يتقاتلان عند حلوان، وتوسل إليهما أن يتركا ما بينهما من النزاع، وأن يسيروا إلى العدو المشترك. غير أن هذا النداء لم يجد أذناً مصغية، فسرعان ما كان الإخوان يقتتلان تاركين الفرنج يؤسسون لهم ملكا ببلاد الإسلام. ولم يصغ أحد إلى تلك الصيحة التى أرسلها الشاعر:

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراجم

فإيهاً بنى الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرا بالمناسم

أتهويمة فى ظل أمن وغبطة ... وعيش كنوّار الخميلة ناعم

وإخوانكم بالشـــام يضحى مقيلهم ... ظهور المذاكى أو بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وتلك حروب من يغبْ عن غمارها ... ليسلم يقرع بعـــدها سن نادم

ظل بيت المقدس فى أيدى الصليبيين أكثر من تسعين عاما. وكان من أكبر أمانى نور الدين محمود أن يسترده للمسلمين، ولكنه مات قبل أن يحقق أمله. فلما ملك صلاح البلاد واتحدت مصر والشام تحت سلطانه صمم على أن يستعيد الوطن المغتصب فأرسل إلى جميع أجزاء امبراطوريته يستنفر الناس لقتال الفرنج وكتب إلى الموصل وديار الجزيرة وبلاد الشام يدعوهم إلى الجهاد، ويحثهم عليه، ويأمرهم بالتجهز له، فأقبلت الجيوش من كل حدب، ومضى صلاح الدين على رأس جيشه فالتقى بالفرنج عند حطّين، ودارت عندها معركة لم يذق الفرنج لها مثلا منذ قدموا من ديارهم ومضوا بين أسير وقتيل. لم ينتظر صلاح الدين حتى يجمع العدو شمله البدد، بل مضى يتابع انتصاراته، وأخذت مدن العدو تسقط فى يده الواحدة إثر الأخرى، حتى إذا سقطت عسقلان والبلاد المحيطة بالمقدس شمر عن ساعد الجد، وذهب إلى بيت المقدس يريد فتحه، وهنا رأى العدو أنه لاقبل له بالجيش الزاحف فاستكان وطلب الأمان، وفتحت المدينة أبوابها لاستقبال صلاح الدين يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣، وأباح السلطان لسكانها الروم والفرنج المدنيين أن يعيشوا فى بلاده، وأن يستمتعوا بحقوقهم المدنية إذا شاءوا، أما المحاربون فعليهم أن يخرجوا بنسائهم وأطفالهم خلال أربعين يوماً، على أن يدفع كل رجل عشرة دنانير، وكل امرأة خمسة وكل طفل ديناراً،

فإذا لم يستطع واحد أن يدفع فهو أسير ؛ غير أن السلطان لم ينفّذ ذلك حرفياً ، فقد دفع هو نفسه فدية عشرة آلاف ، ودفع أخوه الملك العادل فدية سبعة آلاف ، بينما مضى عدة آلاف بدون فداء . وقد حمل الناس والكهنة ذخائرهم من غير أن يتعرضوا لأذىً ما ؛ بل قدمت الدواب لكثير منهم ، ممن لا يجدون ما يركبون .

لقد كانت إنسانية صلاح الدين على النقيض من وحشية اولئك الصليبيين الذين غزوا القدس وفتحوه ، ومن قسوة أمرائهم ؛ فإن كثيراً منهم مضوا إلى أنطاكية غير أن أميرها بيمند طردهم وأبى أن يقبلهم وأغلق صاحب طرابلس مدينته فى وجوههم ، فمضوا إلى بلاد الإسلام حيث استقبلوا هناك أحسن استقبال . وقد عدّد ميشو Michaud أنواعا من قسوة الصليبيين ضد إخوانهم اللاجئين من بيت المقدس .

أصلح صلاح الدين ما تخرب من المدينة ، ورمّ ما تهدم من المساجد ، وحكم المدينة حكما يسوده العقل والحرية ، ثم أمر بإحكام سور بيت المقدس ، وأنشأ مدرسة ورباطا وبيمارستانا ووقف عليها الأوقاف الدارّة .

كان لاستعادة بيت المقدس أثر بالغ فى نفس المسلمين ، يقصر القلم دون وصفه . وقد اجتهد المؤرخون فى وصف دخول صلاح الدين بيت المقدس ، ولا زالت خطبة الجمعة الأولى التى خطب بها محيى الدين محمد بن الزكى أمام صلاح الدين محفوظة بنصها فى كتب التاريخ . أما الشعراء فقد فاضت قرائحهم بتمجيد صلاح الدين فأنشدوه أو أرسلوا إليه ما يعبرون به عن مدى الإعجاب والتقدير ومن ذلك ما قاله الشريف النسابة المصرى :

أترى مناماً ما بعينى أبصر القدس يفتح والفرنجة تكسر

ومليكهم فى القيد مصفود ولم ير قبل ذلك لهم مليك يؤسر

قد جاء نصر الله والفتـــح الذى وعد الرســـول فسبحوا واستغفروا

فتح الشآم وطهر القدس الذى هو فى القيامة للأنام المحشر

من كان هذا فتحه لمحمد ماذا يقال له وما ذا يذكر ؟ !

يا يوسف الصديق أنت لفتحها فاروقهـا عمر الإمام الأطهر

ولأنت عثمان الشريعة بعـده ولأنت فى نصر النبوة حيدر

ملك غدا الإسلام من عجب به يختـال ، والدنيا به تتبختر

ولكن هذا الفتح المظيم على ضخامته لم يله العماد الكاتب عن التفكير فيما بقى بأيدى الصليبيين من بلاد ، وأن العبء الملقى على عاتق صلاح الدين هو تطهير البلاد كلها من رجسهم فكتب يقول :

قل للمليك صـــلاح الدين أكرم من يمشى على الأرض أو من يركب الفرسا

من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى « صور » فإن فتحت فاقصد « طرابلسا »

أثر على يوم « أنطرسوس » ذا لجب وابعث إلى ليل أنطاكية العسسا

واحتل ساحل هذا الشام أجمعه من العداة ومن فى دينه وكسا

ولا تدع منهمو نفسا ولا نفسا فإنهم يأخذون النفس والنفسا

أراد الصليبيون بعد موت صلاح الدين فجمعوا جموعهم ومضوا إلى الشام يعيثون فيه فساداً ، ثم رأوا أن أفضل طريق للتغلب على عدوهم الملك العادل ملك القدس والشام إنما هو ضرب العادل فى مكان حيوى منه ، وكانت مصر هى المكان الحيوى المختار . فما إن قوى الصليبيون بأسطول وأمداد جديدة حتى وجدوا فى أنفسهم الشجاعة للنزول على دمياط فى صفر سنة ٦١٥ ، ولما سقطت المدينة فى أيديهم خاف المعظم عيسى أن يسقط بيت المقدس فى أيديهم فمضى إليه وخرّبه ، وخرج معظم من كان بالقدس من الناس ، ووقع فى البلد ضجة عظيمة ، وخرجت النساء والبنات والشيوخ وغيرهم إلى الصخرة والأقصى وقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم ثم خرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأهليهم ، وامتلأت بهم الطرقات ، ولم يبق فى القدس إلا نفر يسير ، ونقل المعظم ما كان فى القدس من الأسلحة وآلات القتال وقد شق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط عرض الكامل — بعد موت أبيه العادل — أن يرد إليهم مملكة بيت القدس وجميع ما فتحه صلاح الدين على أن يردوا إليه دمياط فحسب ، ولكن هذا العرض المغرى قوبل بالرفض من جانب الصليبيين وطلبوا ثلاثمائة ألف دينار عوضاً عن تخريب القدس ليعمروه بها .

ويقول لان بول فى كتابه : تاريخ مصر فى القرون الوسطى

(ص ٢٦٣) : إن أعظم فرصة أتيحت الصليبيين قد أضاعوها ، وإن فيليب أوغسطس عندما سمع نبأ رفضهم قال : إنهم مجانين بلهاء إذ يرفضون مملكة مقابل مدينة ولم يلبث الصليبيون أن انهزموا فى مصر وتركوها ، فلم تفدهم حملتهم شيئاً

لم يحاول الصليبيون استرجاع بيت المقدس ، ولا يعود ذلك لأسباب حربية فحسب ، ولكن روح الصليبيين قد تغيرت . فصليبيُّو سوريا يفضلون مدنهم الساحلية الغنية المليئة بتجار الطليان والتى يحفُّ بها الأراضى الخصبة الزراعية على أراض داخلية خربتها حروب الفرنج مع صلاح الدين ، أما الرغبة الملحة فى امتلاك مدينة المسيح فقد أطفأتها شهوة الثروة ، ومع ذلك لم تمت هـذه الروح وظلت حية فى نفوس أساقفة روما الذين دفعوا فردريك الثانى إلى أن يشن حرباً صليبية جديدة فأقلع إلى الشام ونزل بمدنه الساحلية سنة ٦٢٥ ، وكانت هذه الفترة التى نزل فيها فترة نزاع بين الكامل وابن أخيه الملك الناصر ، فرأى الكامل بعد مفاوضات بينه وبين الإمبراطور الصليبى أن تعقد بينهما معاهدة ، نزل بمقتضاها سلطان مصر عن بيت المقدس بشرط أن تبقى على ما هى عليه من الخراب ، ولا يجدد سورها ، وأن يكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج وأن الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى يكون بأيدى المسلمين لا يدخله الفرنج إلا للزيارة فقط ، ويتولاه قوم من المسلمين ، ويقيمون فيه شعائر الإسلام : من الأذان والصلاة . ويقول باركر فى كتابه الحروب الصليبية (ص٧٩) : «إن الإمبراطور ظفر بهذه المعاهدة بحسن استخدامه لقواه السياسية وباستغلال لما رآه من نزاع بين الملك الكامل ومنافسيه فى سوريا»

أغضبت هذه المعاهدة المسلمين واستعظموها ، ووجدوا لها من الوهن والألم ما لا يمكن وصفه ، واشتد تشنيع الملك الناصر داود بدمشق على عمه الملك الكامل ، ونفرت قلوب الرعية وقد رأوا الفرنج يتسلمون بيت المقدس فى أول ربيع الآخر سنة ٦٢٦ وجلس الحافظ سبط بن الجوزى بجامع دمشق ، وذكر فضائل بيت المقدس ، وحزن الناس لاستيلاء الفرنج عليه ، وشنّع على هذا العمل فاجتمع فى ذلك المجلس ما لا يحصى عدده من الناس وهم فى ثورة عنيفة وأنشد الحافظ قصيدة أبياتها ثلاثمائة بيت منها .

على قبة المعراج والصخرة التى ... تفاخر ما فى الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات

واضطر الملك الكامل إلى أن يرسل رسولا إلى البلاد وإلى الخليفة لتسكين الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ الفرنج القدس ، بل لقد اضطر الملك الكامل نفسه إلى أن يقنع نفسه بأنه لم يأت أمراً إدًّا ، فكان يقول : إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس وأديرة خراب ، والمسجد على حاله ، وشعار الإسلام قائم ، ووالى المسلمين متحكم فى الأموال والضياع . ولكن ذلك لم يقنع أحداً من المسلمين ، والله لم يقنع الكامل نفسه .

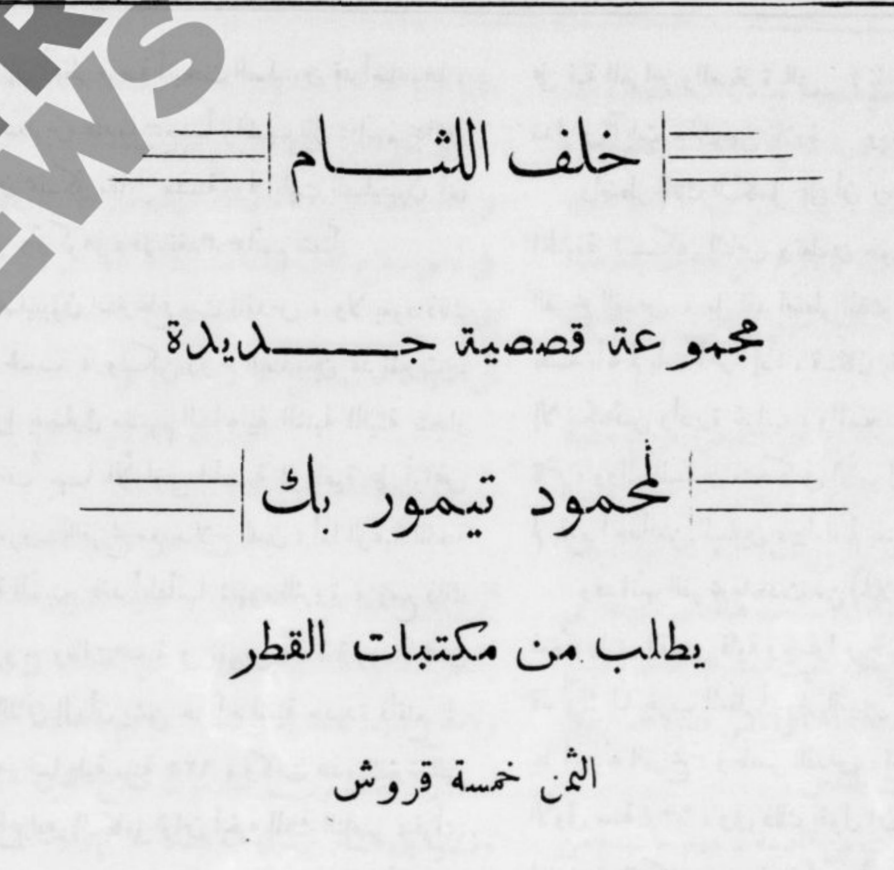
وقد انتهز الفرنج ما حدث من الخلاف بعد موت الملك الكامل فعمَّروا فى القدس قلعة وجعلوا برج داود أحد أبراجها ، وكان قد ترك لما خرب المعظم أسوار القدس فمضى الناصر داود وقد علم بما أحدثه الفرنج ، وحاصر القدس واستولى عليه عنوة فى جمادى الأولى سنة ٦٣٧ ، وفى ذلك يقول ابن مطروح :

إذا غدا بالكفر مستوطناً ... أن يبعث الله له ناصراً
فناصر طهره أولا ... وناصر طهره آخرا

يريد بالناصر الأول صلاح الدين ، ومنذ ذلك التاريخ وبيت القدس بيد المسلمين .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول



مطبعة الرسالة



العدد ٨١٠ — الاثنين ١٠ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

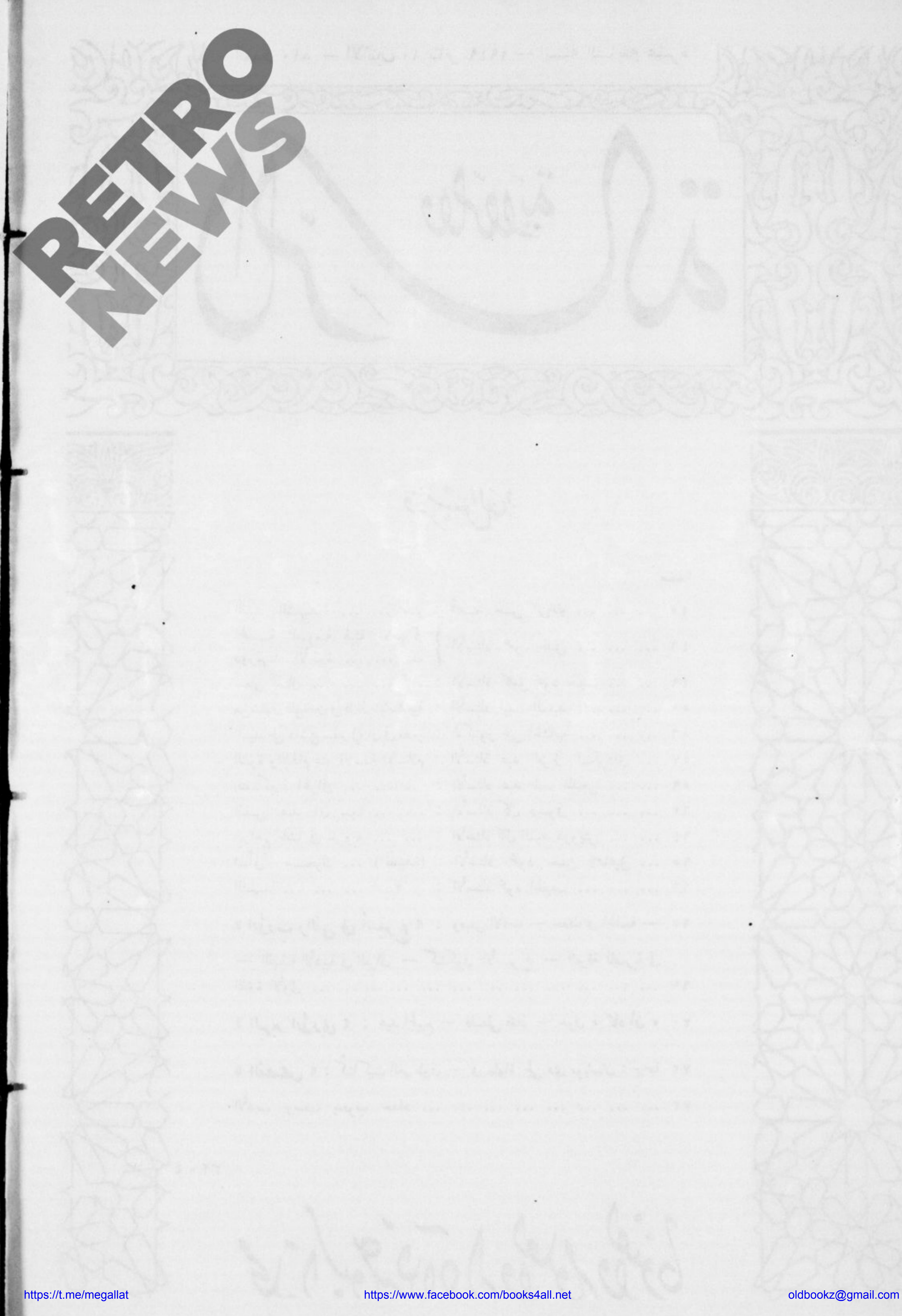


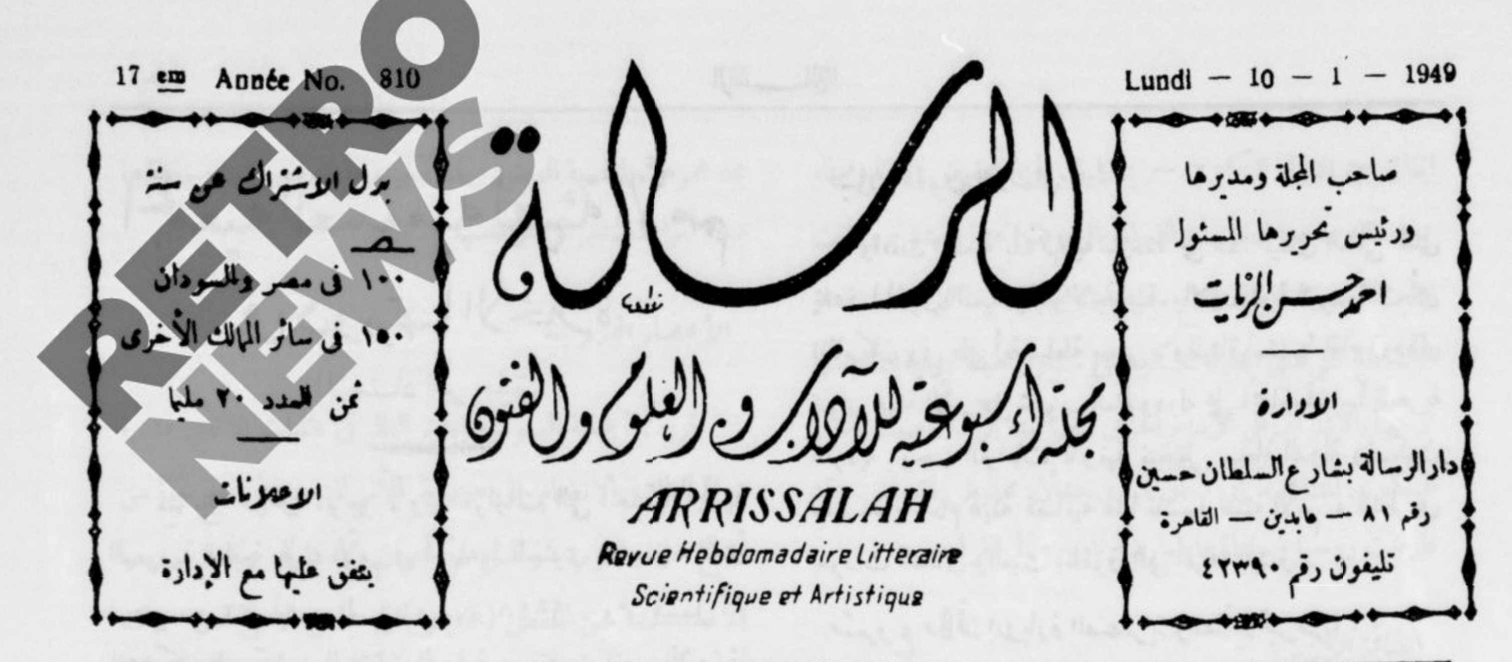
فهرس العدد

صفحة

٣٢٠٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





17 em Année No. 810

Lundi — 10 — 1 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ١٠ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الفقيـــد الشهيد !

من الخطوب ما يدهم المرء فيصيبه بجمود فى الحس وخمود فى الذهن فلا يشعر ولا يفكر . ومن الأهوال ما يفجأ الآمن فيرميه بالدهش والتبلد فلا يقدم ولا يؤخر . وتلك كانت حالى حين أقبل علىَّ صديق يقول وهو يقلب كفيه ، ولا يملك مسارب عينيه : قُتل النقراشى الساعة برصاص أخ مسلم ! ! فبرق بصرى لما قال ، وأقمت شاخصاً لا أطرف ، ذاهلاً لا أعى ! وتسامع الناس بالخبر المشئوم ، فاعتُقلت ألسن ، واخضلّت أعين ، ولهفت قلوب ؛ وظل أكثر السامعين بين مصدق ومكذب ، حتى أُسند الخبر إلى مدير الدقهلية ، فاستيقنوا جميعاً وقوع الكارثة التى طالما تمناها الإنجليز لمصر ، وابتغاها اليهود للعرب . وتجمع أهل المنصورة زمراً فى المقاهى والطرق والحوانيت يطيلون فى الثناء على الصريع العظيم ، ويستعينون بالعزاء على الخطب الجسيم ، ويحاولون أن يعللوا هذا الجرم الفظيع فلا يجدون باعثاً عليه لا من واقع الأمر ، ولا من عمل الرجل ، ولا من مصلحة الوطن ، ولا من سياسة الدين !

وثاب إلىَّ وعيى بعد ذهول المفاجأة فشعرت بصدرى يضطرم ، وبصبرى يرفض ، وبدمعى ينهل ، وبخاطرى يتمثل النقراشى الصديق وهو يزورنى معزياً فى وفاة ولدى ؛ ويتمثل النقراشى المجاهد وأنا أزوره مستضيئاً برأيه فى مشكلات بلدى ؛ ويتمثل النقراشى الوزير وهو يغلّب عقله على هواه ، ويؤثر رضا الله على رضاه ، ويضحى بالصداقة فى سبيل العدل ، وبالحزبية فى سبيل الوطن ؛ ويتمثل النقراشى الرئيس وهو ينهج فى سياسته نهج الصدِّيق ، ويسمت فى حكمه سمت الفاروق ، فيحدد مطالبنا المبهمة ، ويشدد عزائمنا الموهونة ، وينشر فضائلنا المطوية ، وينعش آمالنا الذاوية ، ويحرر أعناقنا المغلولة ، ويطلق أيادينا المقيدة ، ويرفع رءوسنا المطأطئة ؛ ثم يقف فى مجلس الأمن على ملأ من الأمم ومسمع من العالم ، يقرّع انجلترا بالحق فتفحَم ، ويلوى عنقها بالحجة فتكابر ؛ ثم يسيِّر جيشنا الأصيل الحر إلى إنقاذ فلسطين وينفخ فيه من روح ابراهيم فيصنع المعجزة ويُدني المستحيل على قلة عَدده ونقص عُدده!

نعم، تمثل خاطرى النقراشى فى هذه الأحوال وفى هذه الأعمال ، ثم تمثل فى الوقت نفسه هذا الإنسان العامل الكامل ، الشريف العفيف ، المؤمن المخلص ، الشجاع الحازم ، صريعاً بالنار كلص أرداه الشُّرَط ، ملطخاً بالدم كخائن رماه الجنود ! فأسائل نفسى كما يسائل كل مصرى نفسه : لماذا قتل محمود فهمى النقراشى ؟ ألأنه اشترى دنياه بدينه ، أم لأنه مالأ عدوه على وطنه ، أم لأنه اتبع هواه فى حكمه ؟ أم لأنه ضن بجهده ونفسه على خدمة أمته ؟ أم لأنه استغل السلطان فاقتنى الضياع والعقار على حساب ذمته ؟ !

لا تستطيع النفس العاقلة أن تجيب صاحبها عن هذه الأسئلة إلا بالنفى ، لا أفرق فى ذلك بين حزب وحزب ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين عدو وصديق . فلا يبقى إلا أن نرجع إلى تاريخ الشهداء الدامى فنسأل العقل المأفون ، والجهل المفتون ، والدين المزيف ،

الجمعية العمومية لهيئة الأمم في دورتها الأخيرة

للأستاذ عمر حليق

فيما يلي عرض موجز لأبرز القرارات التي اتخذتها الجمعية العمومية التابعة لهيئة الأمم في اجتماعها السنوي بباريس ، الذي استمر من ٢٢ سبتمبر إلى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ، وهي تشمل أهم المشاكل التي تواجه العلاقات الدولية ، وتتصل اتصالا وثيقا بشؤون السلم والحرب .

فلسطين :

أنشأت الجمعية العمومية لجنة التوفيق بين العرب واليهود مؤلفة من الولايات المتحدة وأمريكا وتركيا . وللجنة معظم الاختصاصات التي كانت للكونت برنادوت الذي اغتاله اليهود وتناسته المحافل الدولية بفضل مؤامرة الصمت التي ارتكبتها الصحافة العالمية وتأثرت بها هيئة الأمم تأثراً سلبياً هداما .

وقرار الجمعية العمومية هذا ، يدعو السلطات المعنية بشأن فلسطين إلى الاتفاق مباشرة أو بواسطة اللجنة . وهذا التزام شنيع يفرض على الدول العربية الاعتراف بالكيان الذي أقامه اليهود في المناطق التي يسيطرون عليها في فلسطين . وهو اعتراف آخر بسياسة الأمر الواقع التي تناقض ميثاق الأمم المتحدة والتي لم تكن في يوم ما أساساً لاستقرار سياسي وطيد . والقرار يدعو كذلك إلى جعل مدينة القدس منطقة دولية .

ميثاق حقوق الإنسان :

وافقت الجمعية بأكثرية ساحقة على هذا الميثاق العالمي الذي يحدد الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للفرد تحت أي نظام كان وفي ظل أية سلطة يعيش . والميثاق مقدمة لقانون دولي تنوي هيئة الأمم حمل شعوب العالم ودوله على اتخاذه أساساً للحرية الفردية بموجب التزامات قانونية تتخطى سلطة الدولة وتكون مقيدة بأحكام هيئة قضائية عليا تنشئها هيئة الأمم ، للنظر في حوادث التعدي والعبث بالحقوق التي أقرها الميثاق .

مشروع مكافحة الإبادة العنصرية ومعاقبة مجرميها :

وهو قرار كان لضغط اليهودية العالمية الفضل الأول في إقراره ؛ إذ أنه يحاول ضمانة الأقليات والعنصرية من بطش الدولة ، وهو بطش حاق باليهود في عهود التاريخ القديم والمعاصر بسبب ولائهم المزدوج الذي يتصنع خدمة الدولة التي تأويهم بينما هو يتخذ هذه الدولة وسيلة لتحقيق أهداف أنانية ، مستمدة من صميم العقلية اليهودية الانتهازية وهي عقلية رجعية ، لأنها لا تزال تعيش في ظلال التلمود وشريعته العتيقة ، دون أن تحاول التأثر بالتطور الفكري الذي أولد حركات تقدمية في السلوك الديني والتفكير الديني والنظرة الدينية تجاري التطور العلمي الذي يعيش عليه المجتمع الإنساني المعاصر .

مشكلة البلقان :

اتخذت الجمعية العمومية للمرة الثانية خلال عامين قراراً ضد جارات اليونان لمساعدتهم الثوار الشيوعيين . والقرار يزيد عاما في عمر لجنة البلقان الدولية التي أوفدتها الأمم المتحدة لتراقب الحالة وتحاول فض النزاع في البلقان . وقد فشلت اللجنة فشلا ذريعاً وفقدت مهابتها ومهابة الهيئة الدولية التي أوفدتها . واتخذت الجمعية كذلك قراراً بتكليف جمعية الصليب الأحمر الدولية ، بالسعي لإعادة الأطفال اليونانيين الذين خطفهم الثوار وبعثروهم في بلغاريا وألبانيا ويوغسلافيا .

تخفيض التسلح :

رفضت الجمعية العمومية المشروع الروسي الداعي لتخفيض التسلح بمعدل الثلث خلال سنة واحدة . ووافقت الجمعية عوضا عنه على مشروع بريطاني يقضي بتكليف لجنة تخفيض التسلح — التي أنشأها مجلس الأمن منذ عامين وعجزت عن إنتاج أي

والطبع الشرير ، والقدر الأعمى : بأي ذنب طعن عمر ، واغتيل غاندي ، وصرع أحمد ماهر ، وقتل النقراشي ؟ !

أربعة شهداء لا أجد لهم في تاريخ الشرق خامساً في عظمة النفس ، ونقاء الضمير ، ووفاء الذمة ، وطهارة اليد ، وصدق العهد ، وشرف المسعى ، ونبل الغاية ؛ وإن مصارعهم الأليمة ستظل وصمة في جبين الدهر ، ولعنة في تاريخ الإنسان ! !

هذه كلمة اليوم ، وإنها لقطرة دم من فؤاد ينزف أسى على مقتل النقراشي ستتبعها قطرات ! وللنقراشي في ذمة كل مصري ديون ، فهو حري أن تذرف عليه قطرات القلوب لا عبرات العيون !

(المنصورة) أحمد حسن الزيات

اتفاق بين الدول الكبرى — بتكليف لجنة تخفيض التسلح هذه بمواصلة مساعيها لتخفيض التسلح بالرغم من هذا الفشل . وكلفت اللجنة بصورة خاصة بوضع مقترحات عملية دقيقة لإحصاء مقدار الأسلحة التي لدى الدولة لتكون في متناول هيئة دولية ينتظر منها أن تتولى الإشراف على الإنتاج الحربي ومراقبته إذا ما توصلت الدول الكبرى المتنافسة إلى اتفاق مبدئي بشأن تخفيض التسلح . وقد عارضت روسيا وحلفاؤها معارضة نارية هذا القرار .

الطاقة الذرية :

وافقت الجمعية على توصيات لجنة الطاقة الذرية التي تألفت منذ ثلاث سنوات . وهذه التوصيات مبطنة اللغة والمقاصد لا ترمى إلى معالجة جوهر الموضوع . وقد أوصت الجمعية العمومية لجنة الطاقة الذرية هذه بمتابعة أعمالها لإنشاء هيئة دولية لمراقبة الإنتاج الذري وتوجيهه توجيها سلميا .

والخلاف بين الروس وحلفاء الغرب على مسألة مراقبة الطاقة الذرية هو أزمة في الثقة . فروسيا ترغب في أن تدمر أمريكا القنابل الذرية المخزونة لديها ووضع جميع وسائل الإنتاج الذري تحت إشراف هيئة دولية للمراقبة والتوجيه السلمي . وقد رضيت أمريكا بجزء من هذا الاقتراح وهو القاضي بوضع وسائل الإنتاج الذري تحت إشراف هيئة مراقبة دولية ، ولكن أمريكا أصرت على أن تذعن روسيا لمراقبة هذه الهيئة دون قيد أو شرط وأن لا تضع في وجهها العراقيل وتحاول المخادعة . وقد رفض السوفيات التقيد بالتزامات المراقبة هذه بدعوى أن في ذلك تعديا على سيادة الدولة .

الجمعية الصغرى :

وهي بمثابة دمية للجمعية العمومية التي تجتمع مرة في العام . والجمعية الصغرى محاولة يائسة لتعزيز أحداث الدول الصغرى أمام جبروت (الفيتو) . وهي تجتمع بصورة مستديمة على غرار ما يفعل مجلس الأمن . وقد اتخذت الجمعية العمومية قراراً يقضي بمد عمر هذه الجمعية الصغرى عاما آخر ، وأعلنت روسيا وحلفاؤها معها أنها ستستمر في مقاطعتها .

الأعضاء الجدد :

قررت الجمعية العمومية إعادة النظر في طلبات الاثنتي عشرة دولة الطالبة الانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة (سبع منها من أتباع حلفاء الغرب ، وخمس من أعوان روسيا) . وكانت روسيا قد استعملت حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن عدة مرات للحيلولة دون دخول الدول السبع ، من أتباع المعسكر الإنجلوسكسوني ، بينما عجزت الدول الخمس التي زكتها موسكو عن الحصول على الأغلبية المطلوبة من مجلس الأمن بسبب ضغط الولايات المتحدة وبريطانيا على باقي أعضاء مجلس الأمن دون أن يضطر الإنجلوسكسون لاستعمال الفيتو أسوة بالروس .

مناطق الوصاية :

كانت مناطق الانتداب موضع انتقاد شديد من لجان هيئة الأمم التي كلفت بزيارتها والتحقيق في وضعيتها والسماع لشكاوى أهلها . وقد اتخذت الجمعية العمومية قرارات تطالب الدول المنتدبة بأن توسع شؤون التعليم والتدرج نحو الحكم الذاتي في خطى سريعة . وقد أوصت كذلك بإنشاء جامعة في مكان مناسب في القارة الأفريقية لتخريج الأساتذة الجامعيين وسد حاجة شعوب المستعمرات للتعليم العالي .

لجنة الشرق الأوسط الاقتصادية :

بحثت الدول العربية في انتزاع قرار يفرض على الأمم المتحدة الإسراع في تأليف لجنة الشرق الأوسط الاقتصادية التي وضعت الدول الكبرى العراقيل في طريقها خلال الأشهر القليلة الماضية . وهذه اللجنة واحدة من أربع لمناطق جغرافية في أوروبا وأمريكا الجنوبية والشرق الأقصى ، تسعى لمساعدة شعوب ودول تلك المناطق على تحسين أحوالهم الاقتصادية عن طريق المعونة الفنية

دون أن تتقيد تلك الدول بالتزامات التسرب الأجنبي الاستعماري، وهو تسرب قاست الدول الشرقية من شروره ألوانا . وكان أحد المندوبين العرب قد اقترح وضع بترول المملكة السعودية والعراق وإيران ، تحت إشراف هذه الهيئة الدولية لخير الدول صاحبة البترول وإبعاد عملية الامتصاص التي تقوم بها شركات الاحتكار الأمريكية في نجد والكويت والبحرين وغيرها ، ولا تنال هذه المناطق العربية من أرباح هذا الذهب السائل إلا نسبة تافهة ؛ ولا تكاد تنال من منافعه الاقتصادية الإنشائية إلا بمقدار ما يسمح الاستغلاليون من أصحاب شركات الاحتكار الأمريكية .

مجلس الأمن :

انتخبت مصر لتحل محل سوريا في مجلس الأمن لمدة عامين



رسم كاريكاتوري لجمعية هيئة الأمم المتحدة في قصر شايو

ابتداء من مطلع عام ١٩٤٩ . وانتخبت كوبا والنرويج لمثل هذا المنصب ولنفس المدة .

محكمة العدل العليا :

أعيد انتخاب مندوبي مصر والصين وكندا وبولنده ويوغسلافيا قضاة في محكمة العدل العليا . واتخذت الجمعية العمومية قراراً يسمح للدول التي ليست منضمة لهيئة الأمم ولكنها وقعت على ميثاق محكمة العدل العليا بالمشاركة في انتخاب القضاة .

وألفت الجمعية العمومية كذلك لجنة للقضاء الدولي مؤلفة من ١٥ عضواً . واتخذت الجمعية كذلك قرارات عديدة أخرى تتعلق بنواح ثانوية من الشؤون الرئيسية . منها التنديد بالتلاعب في المعاملات التجارية ، والتجارة بالمواد الغذائية في السوق السوداء .

ومنها كذلك إنشاء مراكز دولي في هيئة الأمم المتحدة لتدريب بعثات من مختلف الدول على الشؤون الإدارية وفنونها المتشعبة ، وهو نوع من التخصص أخذ يحتل مكانة كبرى في معاهد العلم الراقية وأصبحت الحاجة ماسة إليه خصوصاً فيما يتعلق بشؤون التعاون الدولي الذي تمثله هيئة الأمم . واتخذت الجمعية كذلك بروتوكولا دوليا لمراقبة المخدرات وقيدته بالتزامات أدبية وقانونية قاسية ضد الدول التي تخل باتباعه ، وفي البروتوكول نص على استعمال العقوبات في بعض الحالات ضد الدولة أو الدول التي لا تتقيد بقوانين هذه المراقبة .

وقد احتلت الناحية الاجتماعية مكانة ملحوظة في قرارات هيئة الأمم ، منها اقتراح بلجيكي يسأل المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للهيئة أن يضع مشروع ميثاق عالمي وضمته الارجنتين لحماية المسنين من الشيوخ والعجزة وتوفير الطمأنينة الاقتصادية لهم .

وقرار آخر يقضي بأن تقوم دائرة الشؤون الاجتماعية في هيئة الأمم في لايك سكسس بتقديم المعونة الفنية مجانا للدول والحكومات الراغبة فيها وخصوصاً ما يتعلق بالخدمات الاجتماعية وتنظيمها وتدريب الوطنيين في الشعوب التي لا تسمح ميزانياتها باستخدام الخبراء الأجانب .

هذا ملخص لأبرز قرارات الجمعية العمومية التي قضت شهرين ونصف الشهر في مناقشات حادة تجاوب أصداؤها في أركان العالم الذي يرتبط الآن بشبكة من المواصلات الفكرية السريعة.

ولعل أظرف تعليق على اجتماع باريس هذا وعلى أعمال هيئة الأمم إجمالا هذا الرسم الكاريكاتوري الذي ظهر في جريدة فرنسية تصدر في العالم الجديد تدعى « لافرانس أميريك » .

(نيويورك) **عمر حليق**

سُـعار المـــال

للأستاذ كامل محمود حبيب

هذا هو المال ، له ألَق براق يخطف البصر ويخلب الاب ويستلب الفؤاد ، وله سحر جذاب يأسر القلب ويستهوى النفس ويطمس على الرأى .

فرويدك — يا صاحبي — فإن سعار المال يوشك أن يركبك فتنزلق فتصبح وما بك طماح إلا جمع المادة . أنت الآن على حافة الهاوية ، فتعال أسر إليك حديثاً علك تجد فيه متعة أو زجراً أو لهواً :

إن الـكَلَب للمادة يصدئ العقل ويشل الفكر ويبلد الذهن وينفث فى القلب الفظاظة والغلظة ، ويستل الإباء والأنفة ، ويورث المهانة والضعة .

وذو الـكَلَب لا يرعى حقاً ، ولا يبقى على ود ، ولا يتورع عن رذيلة ، ولا يرتدع عن دنيئة ، ولا يتذمم عن مأثم ، ولا يترفع عن صَغار ؛ غايته أن يجمع المال ويكدسه ، ثم لا يعنيه فى هذا السبيل أطوّقه العار أم استذله المسى !

وأنت فتى عُقد عليك أمل منذ تخرجت فى الجامعة ، وعلقت بك الأبصار منذ عُينت فى وظيفة حكومية ، ومنذ صرت بين اخوتك وأهلك رجلاً وإنساناً ، فيا ضيعة الأمل إن تلفتوا فلم يجدوا فيك الرجل ولا الإنسان !

يا عجبا ! كيف يركبك « سُعار المال » ، وأنت يا صاحبي رجل ، فتصبح وما بك طماح ... !

***

أتذكر يوم كان راتبك الحكومى سبعة جنيهات ، يوم كان ميراثك يغل عليك فى السنة خمسين جنيهاً فحسب ! لقد كنت رضى النفس طيب القلب سمح السجايا ، تتأنق فى ملبسك ومأكلك ومسكنك ، وترف رفيفاً جميلا على رفاقك ، وتفيض على صحابك من كرمك ، وتحبو اخوتك الصغار بعطفك ؛ فكانت أحاديث الحب والاحترام تحوم حواليك حيث أنت ، يتضوّع من خلالها عبير الإخلاص والوفاء . وكنت أنت تتهلل بشراً وإيناساً ، يفيض وجهك طلاقة ومرحاً ؛ وكنا نأخذ عليك كثرة المزاح والفاكهة ونلومك على أن ترى الحياة هزلا وهذراً ، لا تستأهل أن يُعنَّى المرء نفسه بما تجئ وبما تذر ، فسخرت منها حيناً وضحكت عليها حيناً . أفكانت تلك طبيعة رُكّبت فيك ، أم هى أخلاق تخلقتها إلى حين ؟ !

والآن ، حين ارتفع راتبك إلى العشرين من أثر التنسيق ، وحين زادت غلة ميراثك إلى المئات من أثر الحرب ، وحين سحرك حب الغنى ، وحين ركبك « سُعار المال » ... نسيت أنك عضو فى أسرة ، وأنك أخ بين إخوة ، وسحبت على الماضى ذيل النسيان ، ففقدت أهلك وذويك ، وأغضيت عن الود والقرابة ، وغاض منك البشر والإيناس ، وامحت فيك سمات البشاشة والمرح ، وانطويت على نفسك تدفن آمالك المادية فى أضعاف أخيلتك ، وتطوى خواطرك الأرضية بين ثنايا وحدتك ، وحالت ابتسامتك ، وأصابك الشُّهوم ، فذوت نضارتك وتغضّن جبينك ، وعشت ساعات طوالا تتأمل فى « خريطة مساحية » تقلّبها وتقلبها وتضع علامات هنا وهنالك ، وتقول لنفسك : « آه لو اشتريتُ هذه وهذه وهذه ... وآه لو استبدلت هذه بتلك وتلك بهذه ! » ورحت تسلك إلى غايتك سبلا مادية وطرقاً ملتوية .

هذا هو شغلك فى فراغك وفى عملك ، وأنت تعلم يا صاحبي أنك تثقل على نفسك وتحملها ما لا طاقة لها به ، فهذه أمانيّ لن ترتفع بك إلى غايتك ، ولو حرصت !

نعم ، أنا أعرف خلجات نفسك ونبضات قلبك ، فلا تقل إننى أستعين على عوادى الزمن — وأنا شاب — خيفة أن تعصرنى على حين فجأة ؛ ولا تقل إننى أهيئ لأولادى حياة ناعمة وأضمن لهم حق التربية والتعليم ، فالمدرسة تبهظ الأب فى غير رحمة ، والحكومة تسخر من الموظف حين تدفع له راتبه أول الشهر لتتقاضاه — من بعد — أقساطاً ثمناً للكتب والعلم ؛ والأب بينهما يستمرئ السغب والعرى ليشترى لأولاده مكاناً فى المدرسة . لا تقل ذلك فإن للثراء مسارب أولها التوفيق وآخرها الشح والكزازة !

***

وأذهلتك أخيلة الثراء فأسففتَ . وخيِّل إليك أن زوج أختك قد غلبك على بعض مالك ، فذهبت إلى أختك تحاسبها على ذنب لم تقترفه ، وأمطرتها بحديث فيه الجفاف والتقريع ؛ وأحست هي منك الجفوة والخشونة ، فلم تجد في طبيعتها النسائية ما تدرأ به عن نفسها إلا الدمع فأجهشت للبكاء تستنزل عطفك وتستنهض مروءتك ، ولكن قسوة المادة قتلت فيك الرجولة فاندفعتَ تصليها شواظاً من قارص الكلام ... وراحت هي تبكي !

لعلها — يا صاحبي — كانت تبكي فيك الإنسانية ! !

وتحاماك أهلك حين جاءك صاحب دين يستقضي دينه فمطلته ثم أنكرت عليه حقه ، ثم سخرت منه لأنه لم يكتبه عليك . وطلب هو الغوث من عميد أسرتك ، فما تعوَّقت في الدفع ولا تمهلت !

واستعانك أحد ذوي قرابتك في شأن حزَبه ، فطلبت إليه ثمن جهدك !

وراعني — يا صاحبي — أن ينفث فيك سعار المادة سمومه فتطمس على عقلك وتدفعك إلى آخر الشوط ، فتتهجم على أخيك الأكبر بكلمات وضيعة طائشة تودعها رسالة ، ثم تبعث بها إليه في غير خشية ولا حرج ، بعثت إليه برسالة وهو على خطوات منك!

أنسيت أنك عشت عمراً من عمرك ترى فيه الأب والأخ في وقت معاً ، فكنت تجد إلى جانبه راحة قلبك وهدوء بالك ، وكنت تفزع إليه إن حزبك أمر أو فدحك حادث ؟ ! ونسيت أنك حين أردت أن تتزوج أرسلت إليه — دون أبيك — تسأله الرأي وتستعينه على أن يخطب إليك ابنة « فلان بك » فأبرع إلى أبيها يحتال للأمر ، إرضاء لك ، حتى أصاب التوفيق ! ؟

وتزوجت أنت من ابنة « البك » ، وهو رجل ذو مركز وجاه وثراء ، تقلَّب في وظائف القضاء حتى كاد أن يبلغ ، وانعطف على نفسه — منذ نشأته الأولى — فعاش في منأى عن صخب الحياة وضجيجها ، فأفاد صحة ومالا . ولصقت أنت إلى « البك » واتخذته مثلك الأعلى ، ولكنك كنت منه كالقزم من المارد ، وتصاغرت نفسك في عينيك فما لك مال ولا جاه ولا مركز إلا صبابات ، وتراءى لك أن المال وحده يسمو بك فتتطاول إلى حيث « سعادة البك » ، فأخذتك شهوة المادة وركبك سعار المال . ولكن كيف السبيل وأنت عاجز اليدين قليل الحيلة ! فاندفعت تسلك إلى المال سبلا فيها الصغار والخسة ، أيسرها أنك استخذيت « لسعادة البك » ، فعشت في داره يمولك ويعول أولادك ، وسكنت أنت إلى هذا الوضع الوضيع لقاء دريهمات تدخرها ، لا تغني من كرامة ولا تسمن من إباء ، ثم استخذيت مرة أخرى فأقامك على بعض شأنه — احتقاراً لك منه وامتهاناً — أجر ما أطعمك وأسكنك !

وتهاوت نفسك صغاراً وضعة فما حاولت أن تستشعر رجولتك إلا أمام أختك ، وإلا حين كتبت إلى أخيك الأكبر رسالتك تقول : « . . وظننت أن تقدمك عليَّ في السن يخولك السيادة أو يؤهلك للسبق . ولئن كنت أنت بكر أبوينا فما يعنيني ذلك من أن أسبقك في العلم والجاه والمال !

وأنت دأبت على أن تمطلني حقي رغبة منك في أن تستلبه أو تضيِّعه عليَّ ، رغم أننا أعقاب أب واحد نقتسم تراثه على سواء ، لي مثل ما لك من حق ومن مال في ما ترك أبي — رحمه الله — وإن مواقفك مني في كل مناسبة توحي إليَّ بأنك تنفس عليَّ أشياء تورث الحقد بين جنبيك ، فإما سلمتني كل حق في مدى ثلاثة أيام من تاريخه ، وإما رفعت أمرك للقضاء ... »

وسكت عنك أخوك لأن امتهن رأيك ، فما تجني عليك وما مطلك وما غالك ... سكتَ ولكنك أنت لم تسكت !

***

ما ذا عسى أن تكون — بعد هذا — إن جرفك التيار ؟ هذه النار أنت وحدك حطبها ، فارعو واحفظ عليك مالك كيف شئت ، ولكن لا تغض عن حق الأخوة ولا عن حق القرابة !

وإذا جرفك التيار — يا صاحبي — فستكسب المادة ، ولكن بعد أن تفقد نفسك ، وسيركبك الندم حين لا تستطيع أن تسد الثغرة وقد انفرجت ، ولا أن تلم الشمل وقد تشعث !

كامل محمود حبيب

في ذكرى المولد النبوي الشريف :

من شئون الموظفين في النظم الإسلامية

للأستاذ لبيب السعيد

بين التراث الإسلامي في تضاعيف مكتبته الجليلة صحائف عن شؤون الموظفين يجدها الباحث متفرقة هنا وهناك . وهي صحائف تحوى معاني عجيبة عميقة فيها اتجاه راشد قصّرت عنه النظم الجديثة في بعض وجهاتها ، ومن ثم كانت تلك الصحائف جديرة أن تستقصى و تُستلهم وتسترشد .

* * *

قامت جماعة المسلمين فاستوجب قيامها نظاماً يعتمد بالضرورة على موظفين يقومون بواجباته ، ويحملون أمانته . لقد أمر النبيُّ أتباعه أن يؤمروا عليهم حتى في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات فكأنه نبه على وجوب التولية فيما هو أكثر من ذلك [١] ، وقد اضطلع هو نفسه صلوات الله عليه بكل ما يتعلق بولاة الأمور في المدينة ، فولى في الأماكن البعيدة والقريبة ، وأمّر على السرايا وبعث على الأموال الزكوية السعاة[٢] .

واقتضت الظروف حتى في بدء الإسلام تعدد الوظائف على نحو أبعد مما قد يُظن ؛ فعهدُ الرسول لم يخلُ من وظائف الوزارة ووظائف الكتابة بأنواعها ، ووظائف السفراء والقضاة وفارضي النفقات ورجال الأمن والتعليم والصحة والمال والحرب والغنائم والمترجين وغيرها ، ولو لم يصطلح على بعض هذه التسميات وقتئذ بل لقد وجدت وظائف هي بطبيعتها مما لا يقوم إلا حيث التمدن ودقة الإدارة كصاحب السر ورئيس التشريفات ورجال الحاشية الخاصة[٣] .

* * *

والوظيفة في الإسلام تكليف شاق ، وجهود محشودة لخير الأمة . يقول النبي « ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل الجنة معهم [١] . » والإسلام يقتضي من يلي أية رعية أن يرفق بها ؛ يقول الرسول : « إن شر الرعاء الحطمة » يريد المنيف الذي لا يرفق برعيته بل يحطمها[٢] .

والراعي إن لم يبسط لرعيته جناح رحمته فهو من دعوة الرسول في خطر ؛ يدعو عليه السلام — وكأننا نحس قلبه الرحيم يخفق في دعوته — : « اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به[٣] » . وغش الراعي رعيته كبيرة تشقيه في الآخرة : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة »[٤] . فأما العادلون ، فالحديث يشير إلى فضلهم ومنزلتهم بعبارة وضيئة فيها بلاغة مؤثرة : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا »[٥] .

ولذلك ، ترغب السنة إلى من كان فيه ضعف عن القيام بالوظائف أن يجتنبها ، وتقرر أنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها [٦] ، ولكن السنة مع هذا ترغب في ولاية من استجمع شرائطها وقوى على أعمالها[٧] وتعتبر الوظيفة لمن يتخذها ديناً يتقرب به إلى الله ويعمل فيها الواجب جهد طاقته من أفضل الأعمال الصالحة[٨] .

والنظم الإسلامية تتحرى في تعيين الموظفين الأمثل فالأمثل ، وتعتبر في صراحة قاطعة العدول عن هذا خيانة كبيرة . ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى عمر بن الخطاب : « من قلد رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين »[٩] .

سنت النظم الإسلامية للموظفين مبادىء تبصر الدنيا على هدى الدين ؛ ولهذا نرى عصارات الدين القوية تسرى في أعمال الموظفين كبيرهم وصغيرهم فتؤتي أكرم الثمرات . يكتب عمر

(١) الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ٥ (٢) نفس المصدر ص١٨
(٣) راجع التراتيب الادارية لمحمد الكتاني في الرباط جـ ١ ص ٣ وما بعدها وص ٣٨٠ ، جـ ٢ ص ١٤٤

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢١ ص ٢١٥
(٢، ٣) نفس المصدر ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .
(٤) نفس المصدر ص ٢١٤ (٥) نفس المصدر ص ٢١١
(٦) نفس المصدر ص ٢١٠ (٧) الكتاني ص ١٤
(٨) بن تيمية ص ٦ (٩) ابن تيمية ص ٨

ابن الخطاب إلى عامله أبي موسى : وإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته (١) . ويقول له : واعلم أن للعامل مرداً إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته (٢) .

والمسلمون يرون التزام الموظفين العدل أصلا أساسياً في نجاح الدولة لا يغني عنه أي عمل صالح حتى الإيمان ؛ فما يروى : « الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة » (٣) .

ومما يمثل النظم الإسلامية في آداب الموظف ماعده القلقشندي من آداب الكاتب ، قال : ومنها لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه للسلطان من أعمال ... والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعم الوخيمة والترفع عن المكاسب اللئيمة ؛ فإن ذلك يجمع القربة إلى الله تعالى والحظوة عند السلطان ، وجميل السيرة عند الرعية ، حتى إن هذه الطريقة قد تقدم بها عند السلطان المتخلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا على من لا يقاربونه في غناء ولا كفاية ، وحصلوا على الأموال السنية والمنازل العلية ، وقرب بها من كان بعيداً على من كان قريباً ، ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة ،واستدنى لأجلها من لا يترشح لخدمة السلطان(٤)

والموظفون في النظم الإسلامية يخضعون لمراقبة بالغة . قيل عن عمر إن علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كان كعلمه بمن بات معه في مهاد واحد ، وعلى وساد واحد ، فلم يكن له في قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحي عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده ، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح . (٥) وعلى نحو هذا كان الكثيرون من خلفاء المسلمين . (٦)

وبعض التصرفات الشخصية البحت لكبار موظفي الدولة الإسلامية لم يكن بمنجاة من تعقب الحكومة ؛ تزوج حذيفة ابن اليمان أجنبية ، فطلب إليه عمر أن يطلقها على كونها حلالا

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٧
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٨
(٣) ابن تيمية ص ٤ . (٤) صبح الأعشى ج ١ ص ٧١
(٥) كتاب التاج المنسوب للجاحظ ص ١٦٨
(٦) راجع نفس المصدر ص ١٦٩ ، ١٧٠

لأن « في نساء الأعاجم خلابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم . (١)

والموظف الذي يمني نفسه من الضمير والواجب عليه وزر عمله . يقول أبو يوسف للرشيد : وأنا أرى أن تبعث قوماً من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد ... إلى أن قال : وإذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك واحتجان شيء من الفيء أو خبث طعمته أو سوء سيرته فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، وأن تقلده شيئاً من أمور رعيتك أو تشركه في شيء من أمرك ؛ بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من غير أن يتعرض لمثل ما تعرض له . وإياك ودعوة المظلوم فإن دعوته مجابة . (٢)

على أن التقارير التي ترد إلى الحكومة من الموظفين يجب أن تكون صادقة ودقيقة ، فكاتبوها — كما يقول أبو يوسف للرشيد — : ربما مالوا مع العمال على الرعية وستروا أخبارهم وسوء معاملتهم للناس ، وربما كتبوا في الولاة والعمال بما لم يفعلوا إذا لم يرضوهم ، وهذا مما ينبغي أن تتفقده وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار ... وتتقدم إليهم في أن لا يستروا عنك خبراً من رعيتك ولا من ولاتك ، ولا يزيدوا فيما يكتبون به عليك خبراً ، فمن لم يفعل منهم فنكل به ، ومتى لم يكن أصحاب البرد والأخبار في النواحي ثقات عدولا فلا ينبغي أن يقبل لهم خبر في قاض ولا وال . (٣)

ومع هذا فروح المبادئ الإسلامية تتيح للموظفين حرية في السير إلى أهدافهم العليا هي فوق منال موظفي زماننا . ومن النصوص الكثيرة في هذا الشأن ماورد من أن زياداً كتب إلى الحكم بن عمرو الغفاري : وإن أمير المؤمنين معاوية كتب إلى يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة واقسم ما سوى ذلك . فكتب إليه : إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ! والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله لجعل له منهما مخرجاً ! ثم نادى الناس فقسم فيهم ما اجتمع له من الفيء . (٤)

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٧ (٢) الخراج ص ٦٣
(٣) نفس المصدر ص ١١٤ ، ١١٥ (٤) العقد الفريد ج١ ص٦٩

والإسلام فى احترامه للانسانية وحمايته للحق يقرر وجوب الإنكار على الموظفين — مهما تكن مراتبهم — فيما يخالف الشرع . قال صلى الله عليه وسلم : « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع » يريد أن الإثم والعقوبة على من رضى وتابع (١)
وإنه صلوات الله عليه ليدعو المسلمين دعوة صريحة إلى الصدوف عن مشايعة الحاكم الظالم ورفض معاونته إذ يقول لما ذكر الظلمة : « من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض » (٢)

ولا ينبغي للموظف أن يزدهيه منصبه ، أو أن يهين حتى فيما دق وهان صغيراً لصغره . كتب على إلى بعض عماله : واخفض للرعية جناحك ، وألن لهم جانبك ، وآس بينهم فى اللحظة والنظرة والإشارة والتحية ، حتى لا يطمع العظماء فى حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك . (٣) وقد صدق فى هذا الشأن عمل المسلمين الأولين قولهم .

والإسلام إذ يفيض على أتباعه جميعاً كريم الرعاية وعظيم الالتفات يحرص على إبلاغ ولى الأمر حاجات كل فرد ، لا يمنع من ذلك ضآلة شأن الفرد أو ضعته . يقول النبي (ص) : « أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، فإنه من أبلغ سلطانه حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » (٤) . ويقول عمر الفاروق فى خلافته : لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا ، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقتطع دونى ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، وأما هم فلا يصلون إلى . (٥)

ورواتب الموظفين فى النظام الإسلامى تناسب الحاجة والبلد ، ومن دواعى زيادتها أن يبدى الموظف فى عمله كفاية وحكمة . والنبي صلى الله عليه وسلم يوصى أئمة المسلمين بعده بموظف أحسن صنعاً فى بعض الأمور ، فيكتب له بهذا كتاباً ويختمه ، فيظل الموظف يأخذ — فيما ذكر ابن سعد فى طبقاته — أشياء من خلفاء المسلمين حتى عهد عمر بن عبد العزيز . (٦)

(١) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٤٣ (٢) ابن تيمية ص ٧
(٣) نهج البلاغة للشريف الرضى ج ٢ ص ٥٤
(٤) الكتانى ج ١ ص ١٣
(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٩
(٦) الكتانى ج ١ ص ١٧٢

والراتب يتسق ومركز الموظف . بلغ المعتضد أن عامله على فارس أظهر أبهة فى ولايته وأنفق فوقعت له بذلك هيبة فى نفوس الرعية فزاد المعتضد رزق عامله ليستعين به على مروءته . (١)
وكما تستقطع الضرائب الآن من الرواتب ، كانت الزكوات المستحقة تخصم من الأعطيات (٢) .

والحالة الاجتماعية التى لم تلتفت إليها النظم التوظيفية الحديثة إلا متأخراً لها فى النظام الإسلامى اعتبار ، يروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفئ قسمه فى يومه فأعطى صاحب الأهل حظين وأعطى الأعزب حظاً (٣) .

وإنصاف الموظفين ليست نتائجه بالشئ الذى تغفى عنه الحكومة الإسلامية ؛ فعلى يوصى أحد عماله أن يسبغ الأرزاق « فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك » (٤)

ولعمر بن عبد العزيز لفتة عالية إذ يقال له : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتى دينار فى الشهر وأكثر من ذلك؟ فيقول : أراه لهم يسيراً إن عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ، وأحب أن أفرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم (٥) . وكان من أهم ما جرت عليه الإدارة فى عهد المأمون التوسعة على العمال ؛ يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان؛ رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل، وعقد له على الشرق طولاً وعرضاً وجعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم (٦)

ورواتب الموظفين تجرى عليهم من بيت مال المسلمين لأنهم فى عمل المسلمين (٧) . وقد كان الرشيد قال : يجرى على القاضى إذا صار إليه ميراث من المواريث ، فأجاب قاضيه أبو يوسف : لا إنما يعطى للقاضى رزقه من بيت المال ليكون قيما للفقير والغنى والصغير والكبير ، ولا يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع إذا صارت إليه مواريثه رزقاً (٨) .

وقد وجد فى النظم الإسلامية نظام تقرير المكافآت والمعاشات : أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيس بن مالك الأرحبي من همذان لما استعمله على قومه عربهم وأعاجمهم

(١) نقلا عن الإدارة الإسلامية لمحمد كرد على ص ١٧٨
(٢) الكتانى ج ١ ص ٢٢٤ (٣) نفس المصدر
(٤) كرد على ص ٦٠ (٥) نفس المصدر ص ١٥٤
(٦) نفس المصدر ص ١٠٤ (٧) الخراج ص ١١٥

ومواليهم ، فأقطعه من ذرة (نسار) مائتى صاع ، ومن زبيب (خيوان) مائتى صاع ، «جار له ذلك ولعقبه من بعده أبداً أبداً أبداً [١] » . وعمر بن عبد العزيز أمر أن يرفعوا إليه كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية ، وفرض للعوانس الفقيرات ، وكان لا يفرض للمولود حتى يفطم ، فنادى مناديه : لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام [٢] .

والوظفون يجدون رعاية اجتماعية عند العجز ؛ كتب عمر ابن عبد العزيز إلى أمصار الشام أن يرفعوا إليه كل أعمى فى الديوان أو مقعد أو من به فالج أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فأمر لكل أعمى بقائد ولكل اثنين من الزمنى بخادم . [٣]

والاتجار ليس من شأن موظفى الدولة ؛ اجتمعت لأبى هريرة أموال كثيرة فقرر أن خيله تناسلت وسهامه تلاحقت وأنه اتجر ؛ فقال له عمر بن الخطاب : أنظر رأس مالك ورزقك فخذه ، واجعل الآخر فى بيت المال . [٤]

وقد عرفت النظم الإسلامية مبدأ عدم تكرار الراتب ، فعمر بن عبد العزيز أمر أن لا يخرج لأحد من العمال رزق فى العامة والخاصة ، فإنه ليس لأحد أن يأخذ رزقاً من مكانين ، فى الخاصة والعامة . [٥]

وما ينبغى للموظفين أن يستعملوا شيئاً من وسائل النقل الخاصة بالدولة ، فأصحاب البريد يجب أن لا يحملوا على دواب البريد إلا من تأمر الحكومة بحمله فى أمور المسلمين فإنها للمسلمين . [٦] وفى هذا المقام يذكر أبو يوسف أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد ، فحمل مولى له رجلا على البريد بغير إذنه ، فدعاه . فقال : لا تبرح حتى تقومه ثم تجعله فى بيت المال . [٧]

والوظائف العسكرية تقتضى كشفاً طبياً يجرد فيه الشبان من ثيابهم للاطلاع على عيوب أجسامهم [٨] ، ولم يكن يقبل فيها الصبيان . [٩]

(١) كرد على ص ١٥ (٢) نفس المصدر ص ١٠٥
(٣) نفس المصدر ص ١٠٤ ، ١٠٥ (٤) المصدر نفسه ص٣٩
(٥) المصدر نفسه ص ١٠٥ (٦) الخراج ص ١١٥
(٧) نفس المصدر (٨) كرد على ص ٩٤
(٩) الكتانى ص ٢٣١ ، ٢٣٢

والثقة بالوظفين واجبة ، يقول طاهر بن الحسين لولده عبدالله : ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ، فإن إيقاع التهم بالبداء والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . [١]

* * *

وقد سبقت النظم الإسلامية إلى الأخذ بمبدأ اللامركزية منذ عهد الرسول . روى أن السعاة الذين كان يبعثهم على الزكاة كان الواحد منهم أحياناً يرجع إلى المدينة وليس معه شىء منها إذا وجد لها موضعاً يضعها فيه . [٢]

ومن النصوص التى تذكر فى هذا المقام فتعجب ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عامله باليمن : « أما بعد فإنى أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعنى ولا تعرف مسافة ما بينى وبينك ، ولا تعرف أحداث الموت ، حتى لو كتبت إليك أن اردد على مسلم مظلمة شاة لكتبت أردها عفراء أو سوداء فانظر أن ترد إلى المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى » . [٣]

وما أجمل ما كتب إلى عامله على الكوفة : « إنه يخيل إلى أنى لو كتبت إليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلى : أذكر أم أنثى ؟ ، ولو كتبت إليك بأحدها لكتبت إلى : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت بأحدها لكتبت : أضأن أم معزى ؟ ، فإذا كتبت إليك فنفذ ولا ترد على . [٤]

وبمثل هذا كتب أبو جعفر المنصور إلى مسلم بن قتيبة . [٥] والمأثور عن المأمون أنه كان يحرص الحرص كله على الانتفاع برجاله ويطلق لهم حريتهم فى العمل . [٦]

وامتد الأخذ بهذا المبدأ إلى الوزراء ؛ كان العباس ابن الحسن وزير المكتفى يقول لنوابه بالأعمال : أنا أوقع لكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة . [٧]

وللشعب حق شكوى الوظفين ، حيث يقف وإياهم على قدم

(١) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص١٢٤ (٢) ابن تيمية ص ١٨
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٩٧
(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩ (٥) كرد على ص ١٢٦
(٦) نفس المصدر (٧) نفس المصدر ص ١٨٠

المساواة ، يسوى الحكم بينهم فى الموقف حتى يظهر الحق ، فإن توجه قبل الموظف اقتص منه إن كان هناك داع للقصاص ، أو عامله بما تقضى به الشريعة ، أو اعزله (١) . وقد وقع للفاروق عمر ولعمر بن عبد العزيز أن مثل كل منهما وهو أمير المؤمنين مع خصمه أمام القاضى (٢) .

ومن آيات عمر بن الخطاب فى العدل توجيهها إلى الرعية : « من ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علىّ إلا أن يرفعها إلىّ حتى أقصه منه (٣) .

والنظم الإسلامية تتجافى عن الوساطة وتتكرم عن المحسوبية فى شؤون الموظفين ؛ توسط مولى عمر بن الخطاب أن يكتب كتاباً إلى عامله بالعراق ليكرم من قصدوا إليها ، فانتهره عمر وسبه ، وقال : أتريد أن يظلم الناس ؟ وهل هو إلا رجل من المسلمين يسعه ما يسعهم به (٤) . وعلى يكتب إلى الأشتر النخعى حين سيره إلى مصر : ... ثم انظر فى أمور عمالك ، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة وأثرة ... ولقد انتهى إلى علم معاوية أن ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم عامله على الكوفة أساء السيرة فى إمارته فعزله وأقصاه عن الحكم (٥) . والهادى فى عهده القصير منع أمه الخيزران من التدخل فى أمور السلطان لقضاء حوائج الناس (٦) .

والنظم الإسلامية تسمو بها مثلها العليا وإخلاصها الأمين فتحارب الخيانة والرشوة بين الموظفين فى جميع صورها من غير رحمة . ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلول — وهو اصطلاحا الخيانة فى الغنيمة — فعظمه وعظم أمره (٧) . ولقد أبى على أحد عماله بأسلوب ينضح بالغضب والجد أن يحتجز من الصدقات التى جمعها شيئاً بدعوى أنه أهدى إليه . (٨)

وتسد الروح الإسلامية منافذ التحايل ، فالهدايا للموظفين هى الرشا ، والهدية إذا دخلت من الباب خرجت الأمانة من الطاقة . ولقد حفل تاريخ عمر بن الخطاب بالثورة على بعض

(١) نفس المصدر ص ٣٨ (٢) نفس المصدر ص ٥٠ ، ٩٧
(٣) نفس المصدر ص ٢٩ (٤) نفس المصدر ص ٥٠
(٥) نفس المصدر ص ٦٩ (٦) نفس المصدر ص ١٣٧
(٧) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢١٦
(٨) نفس المصدر ص ٢١٩ ص ٢٢٢ . الخراج ص ٤٦ ، ٤٧ والطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن القيم ص ٢٢٧

عماله كلما رأى تغير حالهم فى العمالة عما كانت قبلها ، ولم يطامن من ثوراته أن من هؤلاء العمال أمثال أبى هريرة وعمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى (١) . والموظفون أنفسهم يستبشعون عدم الأمانة وينفرون منه . كتب عمرو إلى عمر محتجاً : معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم والاجتراء على كل مأثم ، فاقبض عملك فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها . (٢)

وصحائف الموظفين المسلمين حافلة بأمثال كثيرة للموظفين الذين لم تشره نفوسهم إلى المال وهو تحت أيديهم وخرجوا من أعمالهم بالصفة التى دخلوها بها . ومن القواعد الكريمة التى استقرت فى النظم الاسلامية أن جور الراعى هلاك للرعية ، وأن استعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة . (٣)

ومن جميل ما وقع لحبيب بن مسلمة أحد قواد المسلمين أنه سار يريد بلداً فى أرمينية فجاءه بالطريق رسول بطريقها وأهلها يسأله الصلح وأن يكتب لهم ، فكتب حبيب إليهم كتاباً ضمنه قوله : وقد قبلت هديتكم وحسبتها من جزيتكم . (٤)

أما بعد : فالموظفون كما تريدهم النظم الإسلامية قلوب واعية وضمائر لا يأخذها الإغفاء . وما أحرانا وتلك روعة نظمنا الاسلامية السالفة ، أن نتفقدها ونتعهدها ونتزود منها لنظمنا الخالفة

لبيب السعيد

(١) العقد الفريد ج ١ ص ١٦ ، ٣٨
(٢) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى ج ١ ص ٦٤
(٣) الخراج ص ٣ ، ٤ (٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٠٩

الســـيد على داشتى

سفير إيران في مصر

للدكتور يحيي الخشـــاب

سمعت الأندية العلمية والأدبية فى العام الماضى بحدث من الطراز الأول ، برع فى فن الطب وأولع بالأدب من مختلف اللغات ، وشغف بالبحث العلمى شغف العلماء أصحاب الاختصاص؛ ذلك هو الدكتور قاسم غنى سفير إيران الذى حاضر الأطباء فى تاريخ الطب ، وحاضر الأدباء فى الأدب الفارسى وصلته بالآداب الإسلامية ، وشكل لجنة لإحياء ذكرى فيلسوف الإسلام ابن سينا ، والذى استمع إليه صحبه فى كثير من التقدير والاستحسان كما قرأ له أصدقاء الرسالة بحثه القيم فى تاريخ الطب عند المسلمين ، وقد نشرته الرسالة تباعاً . وغادر الدكتور غنى مصر بعد أن ترك فيها جماعة من الأصدقاء المعجبين بعلمه وأدبه وكتابته ، وهذا من خير ما يتركه سفير فى بلد أدى فيه السفارة .

ومصر إذ تودع الدكتور قاسم غنى تستقبل سفيراً جديداً لإيران هو السيد على داشتى ، وهو الصحفى الكبير والزعيم البرلمانى الذى يعرفه الإيرانيون ، والذى اشتهر عند المشتغلين بالدراسات الشرقية كأحد بناة النهضة الإيرانية الحديثة . فقد اتخذ من الصحافة الحرة وسيلة للدعوة إلى الحرية والعدل والأمن وهو الذى وقف فى ثبات وجسارة يطالب بالإصلاح فى آخر العهد القاجارى ، وظل فى كفاحه الصحفى مصلحاً اجتماعياً وداعية إلى ما فيه خير بلاده بكل ما يملك من جهد .

والذين يدرسون تاريخ إيران الحديث ، فى مصادره الأصلية يعرفون ما كان للسيد على داشتى من فضل فى توجيه سياسة حكومة بلاده نحو الإصلاح الاجتماعى الذى يجعل من كل فرد مواطناً صالحاً لخدمة أمته .

والسيد على داشتى رجل دين ، فقد بدأ حياته العلمية يطلب العلوم الشرعية فى كربلاء ، حتى إذا حذقها وألم بأصولها وفروعها أدرك أن الرسالة الأولى للصحفى هى أن يبين للشعب الخبيث من الطيب ، والزائف من الحق . ولا تزال مقالاته التى جعل عنوانها « الإصلاح الدينى » خير ما كتب فى إيران لنقد عادات الناس الرذيلة وبعدهم عن لباب الدين وأصوله ، وانحرافهم إلى ترهات لا تمت إلى الدين بصلة . وفيها دعا الناس إلى اتباع أحكام القرآن الكريم وسنة النبى عليه الصلاة والسلام وسيرة السلف الصالح فى صدر الإسلام .

ولكن كتابة المصلح لم ترق للشعب فإن الخرافات عنده قد امتزجت بالحقيقة. فقد كان من يفرق بين الغث والسمين ، ويفصل بين الحق والباطل ، ويدعو الناس إلى سبيل لا عوج فيه ؛ كان من يفعل هذا موضع سخط العامة ونقمتهم ، ولقى السيد داشتى من هذا السخط ما حمله على الانتقال من شيراز إلى طهران .

وفى طهران أصدر جريدته « شفق سرخ » أى : الشفق الأحمر ، وأخذ يناضل فيها عن رأيه ويدعو الناس إلى الخير ، تارة باسمه وتارة باسم مستعار . وتمتاز كتابته بهذا الطابع الذى امتاز به فى حياته الأدبية وفى منهجه السياسى ؛ طابع الصدق فى القول والإخلاص فى العمل . وقد اتخذ الأحرار من جريدته منبراً يذيعون منه آراءهم وينادون بما يرون من وجوه الخير والإصلاح.

وقد تعرض الرجل فى حياته لكثير من الأذى فى سبيل أداء رسالته ، فكما أن الشعب لم يتقبل دعوته فى إصلاح الدين بما ينبغى لها من الاتباع والإعجاب ، فكذلك كانت حملته السياسية على حكومة « وثوق الدولة » سنة ١٩١٩ سبباً فى إبعاده عن البلاد . فقد كانت كتابته فى الصحف من أشد ما وجه لسياسة المجاملة للانجليز ، وقد لجأت الحكومة إلى حظر نشر مقالاته فى الجرائد فلجأ إلى المنشورات يكتبها وتوزع فتنتشر بين الناس . وقبض على الرجل وسئل عمن يكتب المنشورات فلم يبال وأعلن أنه صاحبها وكاتبها ، فلم تر الحكومة من وسيلة لإسكاته غير نفيه من البلاد .

ولم تكن هذه سابقة فى الجهاد كافية لأن يعيش الرجل بها ويبنى مجده عليها ؛ بل ظل صلب العود ، شديد المراس ، ثابت الرأى ، وصمد فى شيخوخته صموده فى شبابه . وقد حمل منذ سنوات حملا على أن لا يخرج من داره أربعة أشهر ثم اضطر إلى ترك بلاده فسار إلى فرنسا حيث مكث سنة ونصف سنة .

النبوة والإلهـــام
عند فلاسفة الإسلام

للأستاذ عبد العزيز السكرداني

تقترن بفكرة النبوة فكرة الوحي — فما من نبي إلا وهو يوحى إليه ، وما من نبي إلا وهو يستلهم الله أسرار الملكوت .

ولقد جاءت نصـــوص الكتب السماوية مؤيدة لذلك ومؤكدة له ؛ غير أن فلاسفة الإسلام لم يقنعوا بمجرد التسليم بالمنقول ، بل أرادوا — كدأبهم — أن يفسروا المنقول بالمعقول وأن يدللوا بمنطق العقل على منطق الوجدان ؛ فتمخضت عن ذلك نظرية النبوة ... ومن قبلها نظرية الألوهية ؛ نقول «من قبلها» لأن إبداع نظرية للنبوة ، يستوجب حتما بحث فكرة الله باعث الأنبياء والرسل ، والكلام في الموحى إليه يستلزم بالضرورة الكلام — بداءة — في الموحي الذي أوحى !

ولقد نظر فلاسفة الإسلام فوجدوا أن « أرسطوطاليس » يتعثر في هـذه السبيل تعثراً ملحوظاً . والظاهر أنه شغل بدراساته في الأخلاق والنظم عن حل عقدة الخالق الأعظم موجد الوجود وبارىء الكون — ففضلاً عن أنه تردد بين الوحدة والتعدد مرات ، فإنا نراه يصور « المحرك الأول » تصويراً يتنافى مع النظرة الدينية الإسلامية . حقاً لقد أجاد « أرسطو » تعليل الحركة ، فبين أن كل متحرك يتحرك بشيء آخر ، وأن الكائنات الحية المتحركة بذاتها في الظاهر ، يختلف المحرك فيها عن المتحرك من حيث أنها مؤلفة من جملة وظائف تحرك الواحدة منها الأخرى ... إلا أنه عندما انتهى إلى فكرة « المحرك الأول » تخبط تخبطاً كبيراً ، فهو يقول عنه إنه « المحرك الساكن » أو المحرك إسماً لا فعلاً — يعني بذلك أن الله — جل شأنه — لا يحفل شئون الكون ولا يسيره بإرادته ، وكل صلة الكون به أنه يتجه إليه في حركته ويستهدفه كغاية . !

. ولقد قال « أرسطو » أيضاً بسرمدية المادة ... فكيف يتفق ذلك وما جاء بالقرآن من أن الله خالق المادة « فاطر السموات والأرض » ؟

... لذلك لم يتردد فلاسفة الإسلام في القول بخلق المادة وإن سلموا مع « أرسطو » بقدمها ؛ وقد أدى بهم الاشتغال بهذا الموضوع إلى ابتداع نظرية تعرف بنظرية العقول العشرة . ومن

وقد شارك السفير في الحياة السياسية في بلاده ؛ فهو نائب قديم بالبرلمان ، وهو زعيم يشار إليه ، وقد أفلح بتوجيهه السليم في أن يكون أبرز شخصية في البرلمان الإيراني ، وكثيراً ما كان لآرائه الأثر الصالح في توجيه سياسة بلاده .

ولم تصرفه حياته الصحفية وجهاده السياسي عن العلم والأدب فقد أتم ثقافته الدينية بالإحاطة بالآداب الغربية فحذق اللغة الفرنسية وقرأ آثار الفرنسيين الأدبية ونقل إلى اللغة الإيرانية كثيراً من الكتب التي يراها متمشية مع رسالته في الإصلاح الاجتماعي ، فترجم مثلا «سر تفوق الانجليز السكسونيين» و« سر تطور الأمم » وغيرها .

وقد رأى جماعة من أصدقائه أن يجمعوا مقالاته التي دبجها في الصحف فجمعوها باسم « سايه » — أي الظلال — وذلك أثناء إقامته الأخيرة في باريس .

ومن كتبه « فتنة » ويحوي ثلاث قصص اجتماعية «فتنة» و « حوادث تلك الليلة » و « رسالة من سيدة » .

***

وقد رأت الحكومة الإيرانية أن تعهد إلى السيد علي داشتي بالسفارة الإيرانية في مصر ، فأوفدت رجلا من أعظم رجالها ، وهو خير خلف لخير سلف . وقد أدركت من أول حديث لي معه أنه شديد العناية بإحياء الصلات الثقافية بين مصر وإيران ، حريص على « إحياء ذلك العهد الذي طواه الزمن ، عهد اتصال الفرس بالعرب اتصالا قريباً وثيقاً ، أيام كان العرب يمنون بنقل آثار الفرس إلى لغتهم ويحرصون على ذلك حرصاً شديداً تمليه عليهم نهضتهم العظيمة ليفيدوا من هذا الأدب القديم الغني كل ما يمكن أن يفيدوه ، وأيام كان الفرس ينقلون عن العرب كل ما يمكن أن يحيي أممهم وأن يرد إليها مجدها القديم » .

يحيي الخشاب
رئيس فرع اللغات الشرقية بكلية الآداب

خلال هذه النظرية نستشف تصوراً فلسفياً لفكرة الوحى والإلهام تنجلى به الصلة بين الله وأصفيائه من عباده .

وتجمل نظرية العقول العشرة أن الله بفيضه قد صدر عنه العقل الأول ، وعن الأول صدر الثانى ، وعن الثانى الثالث. إلى أن نصل إلى العقل العاشر أو العقل الفعال ، وهو أدنى هذه العقول جميعاً وأقربها إلى عالمنا الأرضى . عن هذا العقل الفعال صدرت المادة فهى قديمة وهى حادثة فى آن ، ومن هذا العقل الفعال يستمد الأنبياء والهداة رسالاتهم ، لأن الله « يفيض » عليهم عن طريق هذا العقل الفعال .

... هذا هو التصور الفلسفى لفكرة الوحى عند فلاسفة الإسلام ، ويبقى الآن أن نستعرض الحجة الإقناعية التى ساقها أولئك الفلاسفة للتدليل على صحة ذلك التصور . والواقع أن المستعرض لبراهينهم فى هذا المجال ، لا يشق عليه أن يلاحظ عن أسلوبهم فى البحث ... اقترابه — فى طرائقه التدليلية — من أسلوب علماء النفس المحدثين ، عندما يعالجون تعليل الظواهر الجديدة بالتأمل والملاحظة ؛ فهم — أعنى فلاسفة الإسلام — يقررون أنه باطراد التجربة وتواتر الرواية يمكننا أن نطمئن إلى صحة الزعم بأن هنالك طائفة من الأشخاص تتكشف لهم أستار الغيب حال نومهم ، فيحلمون أحلاماً هي فى جوهرها صوراً رمزية لحقائق ما تزال فى ضمير الغيب مخبوءة ... بل لقد يحصل أن تتجاوز هذه الرؤى لغة الرمز والتلويح ، إلى الإفصاح والتصريح، فيشاهد الحالم الوقائع ويستمع إلى المحاورات والكلمات ، كما لو كان يشاهد رواية الغيب تمثل على مسرح القدر ! ثم هم لا يكتفون بالوقوف فى استقرائهم لهذه الظاهرة الفذة عند هذا الحد ، بل تراهم يجهرون بأن هذه القدرة على الاستيحاء ... ربما واتت أشخاصاً حال يقظتهم ، متى كان هؤلاء الأشخاص قد بلغوا — من صفاء الروح ونقاوة الضمير ورهافة الوجدان حظاً عظيما . ولعل الأنبياء والرسل فى الطليعة من أولئك الأشخاص .

يتبين من هذا جميعه أن نظرية الوحي والإلهام نظرية تعتمد على المشاهدة والاستقراء ، وظاهرة يؤكدها — عند فلاسفة الإسلام — اطراد التجربة وتواتر الرواية ؛ فإذا عن لنا بعد هذا الاستعراض السريع للنظرية ، أن نقارن فى أذهاننا بين ما يقول به فلاسفة الإسلام فى هذا الخصوص ، وما يقول به علماء النفس المحدثين فى نظريتهم عن العقل الباطن — فإنه قد يخيل إلينا حيال هذه المقارنة أننا أمام رأيين يعارض الواحد منهما الآخر ، فينبغى ترجيح واحد منهما على الآخر عند الانتخاب .

... غير أننا — فى الواقع — لن نرى ما يسوغ عقد هذه المقارنة ... إذا ما تنبهنا إلى أنه قد ثبت بالبحث العلمى أخيراً أن كلا من الرأيين ينطوى على جانب من الصواب ، ويساهم — بنصيب — فى تجلية حقيقة الأحلام وتفسير حقيقة الوحى والإلهام ، ذلك أن هناك اتجاهاً يميل إلى الحد من تعميم تطبيق نظرية العقل الباطن على جميع الحالات الفردية على زعم أنه قد ثبت أخيراً بالتجربة والمشاهدة قصور النظرية بمفردها عن تفسير بعض هذه الحالات . ومن الوجه المقابل ، لوحظ أن ظاهرة استكناه المجهولات والغيبيات عن طريق الأحلام أو فى أحوال الغيبوبة الروحية أو أحوال اليقظة الوجدانية — صارت — فى هذه السنوات الأخيرة — موضع رعاية ومحل التفات من طائفة من العلماء الروحانيين والنفسانيين بعد أن كان الرأى عند جمهرة العلماء أنها من قبيل الضلالات والأوهام .

عبد العزيز الكرواني

أساليب التفكير :

التفكير الخـــرافى

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

جلى أن الحيوانات العليا وعلى رأسها الإنسان لا تسلك سلوكا غريزيا خالصاً ، ولا تتصرف بحكم الفطرة وحدها ، بل تستخدم قدراً من الذكاء العملى ، بفضله يتحقق التوازن بين الفرد وبين الظروف التى تكتنفه ، وبه يتوسل إلى تحقيق رغباته الفطرية كالحصول على الغذاء ، أو الاحتماء من الأخطار ، أو حماية الصغار ، أو اجتذاب الجنس الآخر للتزاوج والتناسل .

والإنسان شأنه شأن الحيوان ، يسعى إلى تحقيق نفس هذه الأغراض وإن تعقدت وتعددت ، مستخدما نفس القدرة على التفكير العملى وإن زاد حظه منها .

بيد أنه بعد أن يرضى مطالبه المعزبة هذه فيتغذى ويحتمى ويأمن الخوف والجوع على نفسه وبنيه ، ويستمتع بجماعة يهرع إليها ويختلف ، ويتبادل وإياها المشاعر والعواطف طبقاً لدافع التجمع الذى غرس فيه ؛ بعد أن يشبع هـذه المطالب يستغل تفكيره فى محاولة الكشف عن علل الحوادث التى تقع تحت ناظريه ، واستجلاء أسرار ما يدركه من ظواهر الطبيعة والحياة . فالإنسان إذ يشبع ميوله ورغباته الفطرية لا يقف مكتوف اليدين أمام موكب الحياة والأحياء ، ولا يقف مشـاهداً سلبيا فى عالم تتتابع أحـداثه وتتدافع مشاهده فى سرعة وتعدد وتداخل وتجدد وتغاير .

وكيف يقف هذا الموقف وقد فطر على حب الاسـتطلاع لكل جديد غريب لا تفاديا لما قد ينجم عنه من ضر ، أو طمعاً فيما قد يفيد من خير فحسب ، شأن الحيوان الذى يستطلع من أجل أغراضه الحيوية ؛ ولـكن الإنسان يستطلع فضلا عن ذلك من أجل الاستطلاع فى ذاته ، ويطلب المعرفة للمعرفة ، ويشتهى العلم للعلم فى كثير من الأحيان ؛ وبذلك يستبين لون جديد من ألوان التفكير لا نصادفه لدى العجماوات ؛ ذلك هو التفـكير النظرى نضيفه إلى التفـكير العملى الذى سبقت الإشارة إليه[1] .

والإنسان فى ذلك سواء : الطفل أو الرجل ، البدائى الهمجى أو المدنى المتحضر ، المجنون أو العاقل . كل منهم قد يسعى إلى معرفة علل الحوادث والظواهر وغاياتها ونتائجها من أجل المعرفة ، أى أنهم جميعاً يفكرون تفـكيراً نظرياً إلى جانب التفكير العملى الذى يحفظ عليهم حياتهم .

ولـكن المرء إذ يفكر تفكيراً نظرياً يذهب مذاهب ثلاثة ، أو هو ينهج مناهج ثلاثة متباينة وإن اتحدت فى الغاية وأعنى بها المعرفة . فهو إما أن يلاحظ الظاهرة ويشاهدها ويفتش عن أسبابها ومسبباتها مستعيناً بالملاحظة المباشرة والمشاهدة الموضعية دون تأثر بالمخاوف والرغبات ، أو استعانة بالأخيلة والأوهام ، أو خضوع للعقائد والآراء الشائعة ؛ وحينئذ يقال إنه يفـكر تفـكيراً علمياً وينهج نهجاً موضوعياً . وإما ألا يكتفى بهذا التفكير الذى يرجع المعلولات إلى عللها والمسببات إلى أسبابها ، بل يتجاوز هذا البحث فى الجزئيات إلى البحث فى أمور عامة لا ينالها إلا دراك العادى كالخير والشر ، والخلق والعدم ، والروح والمـادة ، والأصل والمصير ، بقصد الوصول إلى تفسير شامل للـكون أو لجانب من جوانبه تفسيراً منطقياً لا تناقض فيه ، بالاعتماد على الاسـتدلال أو الاستنتاج العقلى البرىء من الخيال وتأثير الأهواء .

إن فعل المرء ذلك قيل إنه يتفلسف . أما الاحتمال الثالث فينصب على امرئ تحكمه أهواؤه ، امرئ لا يخضع لمنطق العقل الذى يأبى التناقض ، فلا يرجع المعلومات إلى عللها الحقيقية ، ولا ينسب المسببات إلى أسبابها اللاعة ، ولا يرد الظواهر الطبيعية إلى ظواهر من نفس العالم الطبيعى .

ولـكنه امرؤ يفترض لهذه الأمور جميعاً أسباباً أو عللا من ابتداع مخيلته ، ومن نسج واهمته متأثراً بعقائد مغروسة فى نفسه ، مدفوعاً بأهواء متناقضة .

ولهذا نقول إنه يفكر تفـكيراً خرافياً أو تفـكيراً دينياً إذا قصدنا المعنى العام لـكلمة دين الذى يطلق على أية عقيدة ترسخ فى النفس دون مبرر منطقى أو ذريعة عقلية .

***

(١) انظر مقالنا «التفكير بين الانسان والحيوان» فى العدد ١٤٣٥ من الرسالة .

بعد هذه المقدمة التي لا مفر منها يحسن أن أتناول أساليب التفكير الثلاثة بالتفصيل مبتدئا بأدناها ، وأقلها قدرة على إصابة الحقيقة ، وأسبقها ظهوراً في حياة الإنسان الفكرية : التفكير الخرافي الذي يسود تفكير الأطفال والمجانين والبدائيين من الشعوب أولئك الذين يتشابه أسلوبهم حين يعرضون لتفسير الظواهر .

الإنسان البدائي مثلا يبدهه عديد من ظواهر الطبيعة يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل : العواصف تطوح بمسكنه ، والبرق يخطف الأبصار ، والمطر يهمي بقوة لا تدفع ، والظلام يبتلع كل شيء ثم لا يلبث أن يتقهقر من جديد أمام ضوء النهار ، وتواصل الشمس رحلتها اليومية من جديد عبر الأفق؛ والكواكب والنجوم كل في فلك يسبحون ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا القمر بمقدوره أن يبلغ الشمس . تغمر الأرض مياه الأمطار ثم لا تلبث أن تتلاشى في شعابها ، وإن من الحجارة والصخر لما يتفجر منه ماء عذب سلسبيل ، وإن من البذرة الضئيلة المدفونة في باطن الأرض لتخرج دوحة وارفة الظلال .

وهنالك الزلازل والبراكين والأعاصير تقض مضجعه وتجلب الخراب والدمار دون أن يستطيع لها دفعاً .

والموت يرزأ الكائنات فيخرمها ويسكنها سكوناً أبديا ؛ وبطون الأمهات تأتي إلى العالم بمخلوقات جديدة من حيث لا يدري ولا يحتسب .

أمور تثير العجب والدهشة ، وتدعو الطفل أو البدائي أو المتحضر إلى التأمل بغية الاهتداء إلى سرها .

أما البدائي القديم فيرتعد فرقا من هذه الظواهر مجتمعة أو من بعضها على أقل تقدير ، وذلك لقوتها وحتميتها وضعفه إزاءها وجهله بحقيقتها . ولكنه رغم خوفه منها ، مشدوه بجبروتها ، معجب بقدرتها ، طامع في نعمتها ، فناسبٌ إياها إلى فعل إرادة خافية يتصورها على نحو ما يتصور إرادته هو ، أو قوة مستورة ، أو روح عظيم يحرك العالم دون أن يتبين ، ويدبر الكائنات والأحداث على نحو تحريك أرواحنا للجسد ، وتدبير نفوسنا للوظائف الحيوية . هذه القوى أو الأرواح أو النفوس أو الآلهة ، لا بد أن تعبد ولا بد أن يبتهل لها ويتوسل إليها[1] . ومن هنا كانت الطقوس والسحر والتماويذ والعادات الغريبة ، ومن هنا كان تفسير البدائي للظواهر التي يدركها يستند إلى خيال جامح ، ويهتدي بخليط عجيب من الخارف والرغبات ومتباين العواطف والأهواء، ويتنكب أية محاولة لدراستها دراسة واقعية موضوعية خوفاً وفرقاً من ناحية ، واقتناعاً أو بالأحرى إيماناً ويقيناً بما أوحت به مخيلته وما صورت له التقاليد الموروثة من تفسيرات تجد هوى في نفسه ولدى عقليته الساذجة قبولا من ناحية أخرى .

وهذا هو السر فيما يتسم به التفكير البدائي من تناقض ، وفيما تصادف التفسيرات الخرافية من قبول ويقين مكين لدى الإنسان في بداوته .

وليس ذلك عجيباً إذا فهمنا نفسية الإنسان على حقيقتها : إذا تحمس لرأي حماساً لا يقبل النقاش بأي حال فهو رأي أكثر استناداً إلى رغبات وأهواء كامنة منه إلى أسباب ومبررات منطقية، وإذا كان تفكيره مرده إلى عواطف ونزعات نفسية كان الخيال رائده وملهمه .

فالتعصب الأعمى مظهر من مظاهر الأهواء الخافية ، والخيال خادم مطواع للعواطف والأهواء والنزعات .

تلك قاعدة عامة تصدق في كل زمان ومكان ، لدى الأفراد وبين الشعوب .

تأمل مثلا طفلا غريراً في الظلام ، يملؤه الخوف والفزع، يسمع نأمة أو يلمح أمراً عارضاً فيندفع نحوك صارخاً مرتعداً ثم لا يلبث أن يحكي كيف رأى مارداً يدق الطبل في الظلام وما الطبل في حقيقة الأمر إلا دق رفيق على الباب؛ وما العيون القادحة بالشرر إلا شعاع من نور ضئيل نفذ من ثقب من خلال الباب ، ولكن الخوف في جوانح الطفل والقصص المسمومة التي يحملها في ذهنه عن شياطين الجان ومردة الظلام ، ثم رغبته في التهويل ، كل هذه تتضافر على إثارة الخيال ، والخيال جامح لدى الأطفال جموحه لدى الشعوب البدائية .

---

(١) أنظر مقالنا « الشعور الديني عند الطفل » في عدد يونيو ١٩٤٧ من مجلة علم النفس .

فكل جبل نائ ، أو غابة كثيفة ، أو كهف مظلم ، أو شجرة ضخمة متشابكة الأغصان ، أو جدول دافق ، أو نبع منبجس ، مسرح للأرواح التي لا تُرى .

الأرواح في كل مكان : هنالك أرواح الأرض ، وشياطين الهواء ، وجنيات المزارع ، وعرائس الماء . وكل ما يحدث في هذه البقاع إنما هو من أفعال هذه الشياطين .

وحيث أن الإنسان البدائي قديماً كان في غابر الأزمان ، أو قائماً بيننا في المجتمعات الزراعية ، تهدده الطبيعة بأحداثها من عواصف ومجاعات وأمراض ، ويحدوه الجهل والخوف ، وتسيطر عليه التقاليد والأوهام والخيالات ، فلا بد أن يتصور هذه الأرواح أقرب إلى الخبث والمضرة منها إلى الخير والمنفعة ، وإلى الطغيان والجبروت منها إلى الرحمة والوداعة .

ألا ترى إلى جموع الفلاحين في مصر أو في غير مصر ، أولئك الذين يقضون حياتهم نهباً للمخاوف ومسرحاً للعقائد الوهمية كيف يفسرون الحوادث ردها إلى علل خفية ما أنزل الله بها من سلطان ؟ فالبقرة ماتت لأن فلاناً شهق في وجهها شهقة تنفث الحسد والحقد الدفين ، وفلان لا يصيبه مرض لأنه يحمل حجاباً حصل عليه من مغربي يجيد السحر وفن التعاويذ ، وفلان أصابه شلل عقب اجترائه على ولي من أولياء الله الصالحين ، في حين يبرأ غيره من الفالج لأنه رأى ولي الله في منامه يدعوه إلى رحابه فلبى الدعوة وقدم النذر . وما لنا نذهب بعيداً وقد فسر كثير من عامة القوم وباء الكوليرا في العام الماضي بأنه ناجم عن فساد سيرة الناس ونذير بقرب وقوع الساعة ، واستعباد الغرب للشرق بانتشار فساد الأخلاق في ربوع الشرق وغير ذلك من التفسيرات التي لا تشير إلى العلة الطبيعية ، وهي الجرثومة التي أتت من مكان ما واستقرت في بلدة القرين فكان الوباء ، وحاجة الغرب إلى مواد أولية وأسواق بكر ومواقع استراتيجية تحمى هذه المواطن فكان استعباد الغرب المتفوق بعلمه وعدده ، للشرق الغني بثروته الدفينة ، الفقير في علمه المتخلف في نظمه .

وهكذا كلما زدنا علماً وثقافة قل عنصر الخوف من الطبيعة وحل محله ميل إلى مواجهتها ، وتتبع ظواهرها لتلمس عللها الحقيقية بدلا من الهرب منها واجترار تفسيرات خيالية لها .

فالخوف — خالق الأوهام ومقيد الحريات — يتراجع دائماً أمام سلطان العلم ، رفيق الأمن ومحرر العقول من الأوهام والأباطيل .

على أن تفكيرنا اليومي — نحن المثقفين — طالما تتسلل فيه نزعة خرافية خاصة إذا كنا في حالة من القلق النفسي أو الخوف أو الحزن ، تلك الحالة التي يكون فيها المرء أكثر ما يكون عرضة للوساوس ، وأقل ما يكون تحرزاً من الوهم ، والتفسيرات الخرافية يتقبلها ليطمئن قلبه ويرد السكينة إلى نفسه .

فالإنسان مهما سما علمه ودق حسه وزكا عقله إنسان أولا وأخيرا : ينخلع قلبه من الأهوال ، ويخفق فؤاده بالحب والهوى ، ويضيق صدره بالغيظ والحزن ، فيهرع إلى رحاب القلب الحاني ليستريح من تمرد العقل الجاف ولو إلى حين .

وهنالك ينعم بأحلامه وأخيلته . ناهيك بقصور العقل الإنساني الذي لا يني عن السعي لتفسير الوجود تفسيراً خالياً من التناقض ، ولكنه يعجز في كثير من الأحيان عن بلوغ غايته ، فيقعد الإنسان ملوما محسوراً ، حائراً إزاء عوالم مغلقة مبهمة ، غارقاً في بحر لجي من الظواهر والمشاهد والحوادث — لولا فضل من خيال يسارع إليه يستمد منه التفسيرات الخرافية وقد عزت عليه التفسيرات العلمية الواقعية . فيهدأ الصوت الثائر المطالب بالمعرفة إلى حين يتزود بالوسائل الأمتن والأدوات الفكرية الأقوى يهجم بها على ظواهر الطبيعة ويمزق الأستار ويقتحم ما وراءها من أسرار ليحيل في نهاية الأمر ظلام الرحاب النائية نوراً يبهر الأبصار .

فالتفكير الخرافي إذن — الذي يمتزج فيه التفكير بالخيال — ليس متاعاً تافها ولكنه على قصوره عنصر بالغ الأهمية في الحياة الفكرية ، ومقدمة لا بد عنها في تطور التفكير البشري ، بل هو الوثبة الأولى في طريق العلم والعرفان ، ومحاولة مجدية لكشف أسرار الطبيعة إذا تهذبت وتخلصت رويداً من تأثير المخاوف والأخيلة بنور الفلسفة وضياء العلم .

عبد المنعم المليجي
مدرس الفلسفة بحلوان الثانوية

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (١)

(١) النفس عند ابن سينا (١)

للأستاذ كمال دسوقي

لعل حظ طلاب المسابقة فى كتاب النجاة لابن سينا هذا العام أوفر من حظ زملائهم فى كتاب « الإشارات » بالعام الماضى لجملة أسباب :

فليس « النجاة » أولا كتاب ألغاز ورموز وأحاجى كالإشارات ولم يقصد به ابن سينا إلى التعمية والإبهام والغموض الذى قصد بالآخر ؛ لأنه لم يعرض فيه للحكمة المشرقية التى تناولها فى الإشارات ، بل أجمل فيه ذكر مسائل من الفلسفة اليونانية — والأرسطية خصوصاً — كان قد فصل القول فيها فى كتابه « الشفاء » ومن قبل فى كتابه « الحاوى للعلوم الحكمية » ؛ حيث كان لا يزال لأرسطو على تفكيره سلطان كبير . فأنتم هنا بصدد فلسفة عقلية خالصة — بل كما سأبين لكم — بصدد علم نفس فلسفى .

ثم إن طبعة هذا الكتاب التى بين أيديكم (طبعة الكردى ١٩٣٨) هى أحسن حالا بكثير من طبعة غيرها من الكتب فى الفلسفة الإسلامية ؛ من حيث عناية الناشر بمظاهرها وتصحيحها وإمدادها بين الحين والحين بشذرات تفسيرية موجزة ، وإن كانت قليلة الفائدة ، وتبويب فصول الكتاب ومقالاته ، ثم التقديم بين نشرته هذه بكلمة عن حياة الفيلسوف وآثاره ؛ رجع فيها — كما رجع غيره من ناشرى كتب ابن سينا — إلى ما دونه الشيخ الرئيس من تاريخ حياته ، ورواه عنه تلميذه الجورجانى . وتجدون نصه الكامل فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ٢ ص ١ — ١٦) وفى مقدمة كتاب منطق المشرقيين لابن سينا وفى غير ذلك مما نقل عن ابن أبى أصيبعة المذكور .

واختيار مقالة النفس بالذات من بين مقالات هذا الكتاب اختيار موفق ؛ فإن ابن سينا — فيما أرى — عالم نفس مغمور ، ولولا أن علم النفس الجديث قد أصبح لا يقيم لتاريخ تطوره كبير وزن بعد أن اتخذ لنفسه أخيراً صبغة العلم التجريبى ؛ لوجب أن يكون لابن سينا فيه شأن كبير . بل لعلكم تلاحظون اتجاهه النفسى هذا حتى فى تسميته كتبه : الشفاء ، النجاة ، الإشارات والتنبيهات ... الخ .

وقد كتب ابن سينا فى النفس وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، فصنف « رسالة فى النفس » للأمير نوح بن منصور السامانى الذى ألحقه بخدمته وأطلق يده فى مكتبته منذ أن نجح — دون أطباء عصره — فى علاجه وشفائه من مرضه ، فنحا فيها النحو الأرسطى الكامل تقريباً فى كتابه De Anima سواء فى إثبات وجود النفس ، وفى تعريفها وتصنيف ملكاتها ، وقد وقد نشر هذه الرسالة إدوارد فنديك فى مصر سنة ١٣٢٥ هجرية (وتجدون نسخة منها بقاعة المطالعة بمكتبة الجامعة) . كما أنه كتب رسائل أخرى مستقلة عن النفس باسم رسالة النفس الناطقة وأحوالها ، ورسالة فى أقسام العلوم العقلية ؛ هذا عدا قصصه الرمزية الكثيرة التى كتبها أخيراً ، والتى لا تعنيكم كثيراً لأنه حين كتبها كان قد تشرب الروح الصوفى المشرقى الذى قلت إن كتاب النجاة يعفيكم منه بما لم يعف « الإشارات » إخوانكم من قبل .

وتناول ابن سينا النفس فى كتبه الكبيرة كذلك ، وجعل لها فى كل منها موضعاً ثابتاً من قسم خاص لا تتغير مهما تجددت تواليفه وكتاباته ، فإن طريقة ابن سينا فى التأليف — كما يظهركم عليه تاريخ حياته وأقوال تلاميذه — كانت أن يحدد أولا رءوس موضوعاته ، ثم يتولى كلا منها بالشرح والإفاضة ؛ لأن مادته كانت حاضرة فى ذهنه أبداً منذ أن استوعب حكمة القدماء وفلسفة اليونان حدثاً ، مما يجعلك تلمس نفس الروح فى مختلف كتبه ؛ قبل أن يمزج فلسفة اليونان بالتصوف الشرقى والحكمة المشرقية .

فما هو إذن موضع الحديث عن النفس فى كتب ابن سينا ؟

تشغل النفس من غالبية كتابات ابن سينا القسم الأخير من الطبيعات على حد تقسيمه هو والفارابى من قبله العلوم العقلية إلى نظرى وعملى ، والنظرى إلى علم طبيعى أولى، وعلم رياضى متوسط، وعلم إلهى أعلى (وإن كان هو فى كتبه لا يتعرض للرياضيات

— العلم الأوسط — بل يضم محلها العلم الطبيعى ، ويسبقه بالمنطق كمقدمة . فتصنيفه شىء ، وخطته فى كتبه شىء آخر) فلن تجد كتاباً لابن سينا لا يبدأ بالمنطق ، ولا يثنى بالطبيعيات ، ولا يختتم بالإلهيات — حتى إن كتابه الإشارات قد سار على هذا النمط ، وحتى قال المؤرخون إن القسم المنطقى الذى سقط من كتاب الشفاء هو الذى نشر منفرداً فى « منطق المشرقيين » .

والحكمة الطبيعية ذاتها تنقسم عنده قسمين : فمنها ما يقوم مقام الأصل ، ومنها ما يقوم مقام الفرع ، ومنها المبادىء الثابتة والأعراض اللاحقة كالحركة والسكون ، والزمان والمكان ، والخلاء ، والتناهى واللاتناهى ، والتماس والالتحام والاتصال ، والتتالى . أما ما يقوم مقام الأصل فالنفس آخره ، ويسبقها دائماً :

(١) البحث فى الأمور العامة لجميع الطبيعيات كالمادة ، والصورة ، والحركة والمحرك الأول ... الخ مما هو موضوع « سمع الكيان » عند أرسطو .

(٢) والبحث فى أحوال الأجسام التى هى أركان العالم ، كالسموات والعوالم المختلفة ، مما ورد « فى السماء والعالم » .

(٣) والبحث فى الكون والفساد ، والنشوء والبلى والاستحالة ، والأجسام التى لكل منها والقابلة لها ... الخ مما جاء فى « الكون والفساد » لأرسطو .

(٤) والبحث بعد ذلك فى العناصر الأربعة وما يعرض لها من حركات التخلخل والتكاثف ، ويتناول الشهب والغيوم والأمطار والرعد والبرق والصواعق والرياح والزلازل والجبال والبحار ... الخ

هذه أربعة أقسام رئيسية كبرى من مباحث الطبيعيات الأولى ، تتلوها أربعة أخرى تتناول تفصيل القول فى الكائنات المعدنية (كما فى الآثار العلوية وكتاب المعادن لأرسطو) ثم الكائنات النباتية (كتاب النبات) فالكائنات الحيوانية (كتاب طبائع الحيوان) وأخيراً القول فى معرفة النفس والقوى الدراكة (الإدراكية) التى فى الحيوانات ، وخصوصاً التى فى الإنسان وبيان أن التى فى الإنسان لا تموت بموت البدن ، وأنها جوهر روحانى إلهى مفارق (مما يشتمل عليه كتابا « الحس والمحسوس » و « النفس » لأرسطو) .

وهذا القسم الأخير هو موضوعكم ، وإن كان يلزم وضعه فى موضعه من الإطار الذى أوجزت لكم للعلوم عند ابن سينا .

كما سيلزمكم معرفة موضع النفس ذاتها من سلسلة الموجودات فى مذهبه — مما سأشرح لكم فى مقال تال . والحديث عن النفس يتناول جزءاً كبيراً من طبيعيات النجاة ، ويعرض لموضوعات متشعبة كثيرة ، ويذكر تعريفات وتقسيمات مختلفة للنفس وقواها وملكاتها وأفاعيلها ووظائفها — مما هو سمة عامة من سمات البحوث النفسية فى العصور الوسطى المسيحية والإسلامية ؛ أعنى كثرة تفريع الملكات والقوى والنفسية ؛ مما كان محل سخط الفلاسفة النفسيين منذ عصر النهضة فى العصر الحديث ، ومما سيجعل مهمتكم فى دراسة هذا الباب شاقة عسيرة شيئاً .

ولعلكم تستطيعون أن تتبينوا معى — من خلال هذه الكثرة المختلطة من الموضوعات — أنه يمكن تصنيفها تحت الرءوس الآتية :

(١) التقسيم الأرسطالى للنفس إلى نباتية وحيوانية وناطقة مع تعريف كل منها وذكر قواها وأفاعيلها ، ويلحق ذلك القول فى الحواس الظاهرة والباطنة (ص ١٥٧ — ١٦٣)

(٢) الحديث عن النفس الناطقة ، وتقسيمها إلى نظرية وعملية ، أو عالمة وعاملة ، ومراتب كل منهما ، وطرق اكتساب النفس الناطقة النظرية للعلوم ، والتفرقة بين قواها المختلفة وترتيبها بحسب رياستها (ص ص ١٦٣ — ١٧١ .

(٣) البحث فى النفس من حيث وجودها ، أو إثبات وجودها ؛ ويشمل الحديث عن جوهرية النفس وتجردها عن البدن ومفارقتها له ، والأدلة على ذلك ، وأنها حادثة وخالدة ؛ لا تقبل الفساد ولا التحلل أو التناسخ ، ثم الاستدلال بوحدتها على صلتها بما يسميه العقل الفعال — مما يمهد به للانتقال إلى قسم الإلهيات — كما سترون فى ترتيبه للموجودات ، فالموضوعات عند ابن سينا متصلة الحلقات ، يلحق بعضها ببعض ، ويمهد بعضها لبعض . وبتعمل وصناعة غير قليلين سنستطيع اقتطاع النفس من موكب موضوعاته هذه المتدفق ، لنلقى عليها نظرة تحليلية فى مقالاتنا التالية

كمال دسوقى

ابراهيم باشا في حروبه

للأستاذ كمال السيد درويش

لقد كان ابراهيم باشا قائداً حربياً ممتازاً، كان ميالا للحروب منذ نشأته المبكرة، وكان كما وصفه معاصروه: «شديد الشغف بالقتال، ولا يطيب نفساً إلا فى جو الحروب»، جو المعارك الطاحنة والمواقع الفاصلة، ذلك الجو المملوء بالعمل والنشاط والحركة اضطلع ابراهيم بالحملات التى أسندت إليه منذ شبابه، وكان النصر حليفه فى كل ميدان من الميادين التى خاضها. توجه إلى قتال الوهابيين، وكانوا عدواً صعب المراس شديد الحماس، يسيطر على شبه جزيرة العرب، قد أسكرته خمرة الانتصار على جيوش والى العراق، كما أسكره التحرر من حكم العثمانيين، وكان عجز السلطان عن إخضاعهم من عوامل بعث الثقة فى نفوسهم وتقوية إيمانهم بمذهبهم الجديد حتى أصبحوا يرون أنفسهم على الحق، والعالم الإسلامى كله على الباطل!

هذا هو العدو الذى توجه ابراهيم لقتاله، ولقد نجح فى إسدال الستار على تلك الحركة الوهابية، وعلى تلك الدولة الفتية، بعد أن استولى على عاصمتها الدرعية. وعاد قاهر الوهابيين وحاكم بلاد العرب إلى مصر لتتلقاه بأهازيج النصر والفخار.

ونظر ابراهيم فوجد محمد على قد أسند إلى الكولونيل سيف مهمة إنشاء جيش حديث، فلا يجد غضاضة، وهو القائد المظفر، فى الانضمام كجندى عادى إلى الجيش الحديث، وينبهه الكولونيل سيف فى لهجة الآمر إلى أن مكانه — لقصر قامته — فى آخر الصفوف لا فى أولها. ويدرك ذلك ابراهيم فيطيع أمر رئيسه فى الحال.

ويذهب إلى السودان بعد ذلك ليساعد أخاه اسماعيل فى إكمال فتحه، ثم يحول المرض بينه وبين إتمام مهمته، بعد أن وصل إلى قرب نهر السوباط فيعود إلى مصر من جديد.

وتشتد الثورة فى اليونان، ويعجز السلطان عن إخضاعها، فيلجأ إلى تابعه القوى محمد على باشا الذى يسند قيادة الحملة إلى نجله ابراهيم.

وكانت ثورة اليونانيين كثورة الوهابيين، كلتاهما كانت تلهبه العقيدة ويشمله الحماس. كانت الحرية أنشودة الثوار، بل أنشودة الشعوب الأوربية بأسرها ضد الحكومات الرجعية التى كانت تجثم فوق صدرها. ولذلك كان العدو الذى واجهه ابراهيم فى بلاد اليونان كالعدو الذى واجهه فى بلاد العرب مستميتاً فى كفاحه، مستبسلاً فى نضاله، مضحياً بكل ما لديه، ومع ذلك استطاعت الجيوش المصرية تحت قيادة ابراهيم أن تتغلب على قوات الثوار بالرغم من تأييد الشعوب الأوربية لها.

ويعود ابراهيم من حرب اليونان ليستعد لخوض أعظم مرحلة فى كفاحه الحربى الطويل، وليسطر أروع الصفحات لا فى تاريخه العسكرى فحسب، بل فى التاريخ العسكرى خلال القرن التاسع عشر.

عاد ابراهيم ليخوض الحرب ضد جيوش السلطان نفسه، فتسقط على يديه مدينة عكا الحصينة، ثم يهزم العثمانيين بعد ذلك فى دمشق، ثم يستولى على حمص وحلب، ويقضى على الجيش العثمانى فى بيلان، ثم ينتصر انتصاراً حاسماً فى قونيه، ويتوغل فى بلاد الأناضول حتى يصل إلى كوتاهيه، وينزل السلطان مضطراً على شروط الصلح، وعند ذلك تبدأ عبقرية ابراهيم كإدارى فى الظهور، فيلتفت إلى بلاد الشام لتنظيمها من جديد ولانتشالها من الفوضى والانحلال.

ويعود السلطان إلى دس الدسائس وتحديه، فيتقدم ابراهيم إلى جيش السلطان، ويقابل قائده حافظ باشا فى نصيبين، وتبدأ الموقعة ولا تستمر سوى ساعتين حتى كان القائد العثمانى قد ركن مع جيشه إلى الفرار.

هذه نظرة عامة نلقيها على حياة ابراهيم التى ملئت بالكفاح والنضال، حتى إذا أنعمنا النظر قليلاً راعتنا عبقريته الحربية وأيقنا أنه لم ينجح هذا النجاح إلا بعد أن اتخذ له من الخطوات ما هو كفيل بتسجيله.

لم يحارب ابراهيم أعداءه فقط، بل كان وهو فى بلاد العرب يحارب ضد الصحراء المترامية بما فيها من جبال وهضاب وكثبان وأعاصير طالما اقتلعت الخيام فتركت الجند فى العراء يصلون حر نهارها الشديد وبرد ليلها القارس. وفى بلاد اليونان حارب ضد الجبال المرتفعة والأنفاق الضيقة والوديان العميقة، والعدو خبير بذلك كله معتصم به وبالجزر المنتشرة فى ذلك البحر، تحيط بها أمواجه فتحميها وتحميه وتنتشر بينها قراصنته حتى تترصد العدو

لتزديه . وكذلك حارب فى هضبة الأناضول وفى فصل الشتاء ، وحدثت موقعة قونيه ودرجة الحرارة فوق الصفر بقليل .

كان ذلك فى الحادى والعشرين من شهر يونية سنة ١٨١٨م حين كان أحد الجنود يوقد النار فأطارتها العاصفة على معسكر الجيش فاندلعت إلى خيمة منصوبة على قرب من مستودع الذخيرة فاحترقت الخيمة وامتدت نارها إلى المستودع فانفجر لساعته ونسف ذلك الانفجار من القنابل والرصاص ما ذهب بنصف ذخيرة الجيش ، ودب الذعر ، واختل النظام ، وكاد الموقف الرهيب يودى بالحملة كلها . فالجيش يحاصر الدرعية عاصمة الوهابيين ، وصحراء نجد تحيط به من جميع الجهات ، والعدو يتنبه على صوت الانفجار فيتهيأ لانتهاز الفرصة وتجديد الهجوم .

ولكن ابراهيم يقابل خبر الكارثة وحرب الطبيعة بصدر رحب وثبات عجيب ، وينظر لمن حوله من القواد والجند نظرة الواثق من الفوز ، المتأكد من النصر ، ثم يقول فى صوت هادئ عميق : « لقد فقدنا كل شىء ، ولم يبق لدينا إلا شجاعتنا فلنتدرع بها ، ولنهاجم العدو بالسلاح الأبيض » !

وكان ذلك فى يوم ١٧ مايو سنة ١٨٢٥ حين تمكنت بعض سفن اليونانيين من الاقتراب من ميناء مودون حيث كانت بعض سفن أسطول ابراهيم راسية ، واستطاعت الحراقات اليونانية خلسة إشعال النار فى سفينة من تلك السفن المصرية ، وكانت الريح شديدة ، فاندلعت النار إلى باقى السفن ، وتعذر إطفاؤها ولم ينج بحارتها إلا بعد عناء شديد ، وخسر ابراهيم معظم سفنه فى هذا الحريق ، وامتدت النار إلى المدينة ، فتناولت مخازن البارود فنسفتها أيضاً ؛ ومع أن ابراهيم كان يشدد حصاره على المدينة فى ذلك الحين ، فقد تقبل ضربة الطبيعة وغضبها بنفس الروح التى تقبل بها ضربتها أمام الدرعية ، واستمر يقاتل أمام أسوار مودون حتى استولى عليها .

أما بعد ، فهذه بعض المواقف التى تجلى فيها ثبات ابراهيم أثناء حروبه ، ذلك الثبات الذى كان له أكبر الأثر فى تغيير مجرى الحوادث وإظهار عبقرية ابراهيم كقائد حربى ممتاز .

كمال السيد درويش

مدرس بمدرسة الرمل الثانوية

وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

اسألى سحرك ..

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

آه من لحن على نهديكِ لم أعزفهُ آه !
شاردٌ عن سحر أوتارى كأحلام الحياه
كلما أطلقتُ روحى خلفهُ فى الصدر تاه
وقعيه .. واسمعى مثلى الأغانى مِن هواه
ودَعينى فى الليالى السُّود أمشى فى خُطاه
واتبعينى ، فأنا دربٌ بعيدٌ منتهاه

آه من طير على جفنيكِ لم يهدأ بأيكِ
ضاربٌ فى أفق الأحلام ، مظلومٌ لديك
كلما همّ ، لواهُ صائدُ السحر إليك
اتركيه كيفما شاء يُغنى فى يديك
واتركينى أتلاشى نغمةً فى جانبيك
أخطف السرّ وأمضى طائراً مرّ عليك

آه من ليل رهيب فى خيالى من ملاكْ
مُترعٍ بالشكّ والأوعاد فى جنبىّ حالك
خيمت منه معانٍ لاهثاتٌ فى خيالك
اسأليها ، فهى تدرى ما الذى طاف ببالك
واسمعيها ، حُرَقاً تهوى على ذكرى وصالك
يوم كنا فى سبيل الحب نشتاق المهالك

آه من نهر بأعطافك مرهوبِ النواحى
رحتُ فى أمواجه ألقى من الشوق جراحى
وأنادى الريح ، لو هبت بِناى وصباح
وصلاةٍ لشراعى فوق هامات الرياح
اتركى الزورق يجرى فيه نشوانَ الجناح
ودعيه سابحاً ما شاء فى تلك البطاح

تسأليني ... لِمَ لمْ يشغلك عن حبى شاغل ؟
اسألى الطير ... علامَ الأيك فى جنبيه هادلُ ؟
واسألى النهر ... علامَ الموجُ فى شطيه زاجل ؟
واسألى بحرَكِ من أجراهُ فى قاعِ جداول ؟
واسألى الماضى فما زالت به تغلى المراجلْ
واسألى نفسَكِ من أغرى على الحبّ العاذلْ

الشهـــيد

للأستاذ محمود الخفيف

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

محدى الردى لم يدَع موضعا | إذا الروعُ جدَّ مضى أروعا
تدور إليه قــلوبُ الرجال | إذا قضت الحربُ أن تفزعا
وما أوهن الدأبُ إصراره | ولا كدَّه الهولُ أو ضعضعا

وجاهــد فى الله مستيقنا | وبشر أصحــابهُ مؤمنا
وذكرهم جنة الصابرين | وكيف أعدت لهم مسكنا
وكيف يخوض اللظى باسما | ويستقبل الموتَ من آمنا

وما يذكرُ اليوم إلا الجهادْ | وإن طال عمن أحبَّ البِعادْ
فلا شىء إلا خيالٌ يُلمُّ | تضىء الوهادُ به والنِّجاد
وينساه حين يضىء الصباحُ | ويمحو الضحى ما احتواه الرقاد

وينسى الربيعَ ووشى الزَّهرْ | وصفو الضحى وسكونَ النهَرْ
وينسى من الصيف آصاله | وسحر العشايا به والبُكَر
فما غــيرُ نارٍ أحاطت به | وما غير رمل برى أو صخر

ضحوكٌ ووجه الضحى عابِس | والموت فى نفسه هاجِسُ
توحشت الأرضُ من حولِه | وما ضلَّ قلبٌ له آنس
يزيد هـدًى عنده الموقنون | ويبرأ من بأسه اليائس

وأحــدق يوماً به فيلقُ | فرحب بالموت إذ أطبقوا
وقاتل حتى استحال القتالُ | وحتى هوى البطلُ المرهقُ
فلله جسمٌ له نازفٌ | ولله روحٌ له تزهقُ !

تبسم إذ يردُ الموردا | وحين تربد وجهُ الردى
فتى همه كان خوض الحتوف | وكم بات يرتقبُ الموعــدا
وما زال يركبُ أهــوالها | إلى أن قضى الله فاستُشهدا

على الأرض سالت دماء الشهيد | فلله موتُ الكمىِّ النجيدْ
لئن فاته النصر فليهنه | بلاءٌ له ، ماله من مزيد
هنيئاً له أقربُ الحسنيين | إلى قلبه ، وعُلى لن تبيد

تندت جفونى لهــذا الدم | يسيل من البطل المرتمى
سقى تربةً بالنجيع الصبيب | غريبٌ إلى أهلها ينتمى !
حبست دموعى وكفكفتها | وعزيت بالأروع المسلم

كمىُّ الوغى جسدٌ هامدُ | ألا كم بكى عزمه قائدُ
صريعُ عُلى وأخو عمره | صريعُ هوى واجدٌ ساهدُ
وما خرَّ إلا إلى سجدة | ولا كلَّ يوما له ساعدُ

غدا ينبِتُ العزَّ هذا الدمُ | وقد بليت تلكمُ الأعظمُ
إذا الدم جاد الشباب به | فما يهنُ المجــدُ أو يهرم
وقد جاد بالنفس جود السما | ح حين قضى نحبه يبسم

طواه الردى فى ربيع الحياه | ولم يطفُ نوراً له إذ طواه
سينسى اسمه الناس فيما نسوا | ويمضى وما جفَّ دمعُ النعاه
ولكنما شهــداء العلى | على الدهر فينا النجوم الهداه

غدا فكرةً فى ضمير الزَّمن | تضوىء فى ظلمات المحن
يسير على ومضها المدلجون | وينشط من عزمهم ما وهن
ففيها الفداء وفيها العزاء | وفيهــا لكلِّ فؤادٍ سكن

محمود الخفيف

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

وميض الأدب :

صدر أخيراً كتاب « وميض الأدب بين غيوم السياسة » لمعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا ، وقد نشره الأستاذان أحمد عبد المجيد الغزالي والعوضي الوكيل . وهو كتاب أدب خالص ، لا كما قال الناشران في كلمتهما إنه من أدب السياسة ، وما إخال المؤلف إلا يعني بعنوانه أنه إنتاج أدبي استطاع أن يفرغ له بعض الفترات في خلال اشتغاله بالسياسة . فأكثره دراسات لشعراء معاصرين ، بعضها ألقي في حفلات تأبين وذكرى شعراء فارقوا الحياة ، والباقي مقدمات لدواوين شعراء أحياء ، بعضها نشر وبعضها لم ينشر .

والكتاب يدل على أصالة أدبية لدى مؤلفه الكبير ، ولولاها لما ومض هذا الأدب بين غيوم السياسة . ومعاليه رجل كريم ، حتى في الأدب ، وقد خيل إلي وأنا أقرأ بعض الفصول أنها « مآدب » يأدب إليها من يتحدث عنهم ، وإن معاليه لناقد ذوالقة حصيف لولا هذا « الكرم » .

وفي الكتاب شيء لا أدري ماذا أسميه ، وأكبر الظن أنه من عمل من قام بجمع مواد الكتاب . فيه مقالة كانت قد نشرت في الرسالة بعنوان : « أدباء معاصرون أرشحهم للخلود » ، وقد كتب بإزائها في الكتاب أن الرسالة افتتحت بها عددها رقم ٧٨٠ ولكن حدث في الكتاب تغيير وتبديل وتقديم وتأخير وحذف وزيادة ... ومن ذلك أن جاء في الكتاب : « إذا ما ذكر الناثرون كان في أولهم الأساتذة الأعلام : العقاد وهيكل والزيات والمازني » وبعد الكلام على الأول والثاني جاء عن الثالث « أما الزيات فهو أرق كتاب العصر ديباجة ، وأنقاهم أسلوبا وأسلسهم بيانا » . وأصل الكلام في الرسالة هكذا « إذا ما ذكر الناثرون كان أول من أذكره ، وأول من يستأثر بإعجابي الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات ، فهو أقوى كتاب العصر ديباجة وأنقاهم أسلوبا وأعرفهم بالصيغ العربية الصحيحة ، ومن أراد البيان العربي في أسمى درجاته فعليه بما يكتبه الزيات » .

ولا يخالجني شك في أن الباشا لا يصنع هذا ، ولكن هل يعلم به معاليه ؟

حدث في الجامعة :

أشرت من قبل إلى ما حدث في الجامعة من التحقيق مع أحد خريجي كلية الآداب وهو الأستاذ كمال منصور، لأنه كتب مقالا في « البلاغ » عن موقف الجامعة من الدكتور طه حسين بك .

وقد عقد له في الأسبوع الماضي مجلس تأديب برياسة مدير الجامعة وعضوية عميد كلية الآداب والأستاذ أمين الخولي الأستاذ بالكلية . وقرر المجلس فصل « المتهم » من معهد الدراسات العليا فصلا نهائيا .

والمقال الذي حوكم كاتبه وفصل من أجله ، يتضمن بيان جهود الدكتور طه في خدمة الجامعة وخاصة كلية الآداب وفضله على أساتذتها ، ثم مقابلة ذلك بالتنكر والجحود ومعارضة رجوعه إلى الكلية أستاذاً زائراً ، ثم مطالبة الجامعة بأن تعيد الدكتور طه إلى كلية الآداب ليعيد لها الحياة ويرجع إليها مكانتها .

ولا شك أن الجامعة قد ضاقت ذرعا بذلك المقال ، واعتبرته جريمة يستحق مرتكبها حرمانه متابعة الدراسات العليا بها ، ولكن أين موطن المؤاخذة في ذلك الكلام ؟ لا يجد المتأمل فيه إلا ما عسى أن يفسر به الجزء الخاص بتنكر الأساتذة للدكتور طه ونكران فضله عليهم الذي قال الكاتب إنه فضل مادي وأدبي فإن هذا يمكن أن يفسر أو « يكيف كما يقول القضائيون » بأنه تطاول من طالب على أساتذته ، ولكن أما كان يليق بالأساتذة أن يفسحوا صدورهم إزاء خريج يرى من حقه أن يفضي بما يرى فيضربوا المثل في احترام حرية الرأي ؟ ومن أولى من أساتذة الجامعة باحترام حرية القول وإن نالهم منه رشاش ؟

ولو أن الجامعة أغضت عما كتب لمرت العاصفة بسلام وقال الناس : كلام ... ولكنها غضبت فأنزلت العقاب . فأصبح

الكلام حادثة فى تاريخها . وما الذى يمنع قائلا أن يقول إن غضب الجامعة على المقال وعقاب صاحبه يؤيد ما تضمنه ، لأن رجالها يحاربون حقا طه حسين فيضطهدون من يؤيده ويقف إلى جانبه ، ويذهبون فى ذلك إلى أبعد حد فيقضون لأنفسهم بإبعاده عن الجامعة وحرمانه الدراسة فيها .

النهضة الأدبية فى العراق :

ألقى معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى محاضرة فى الجلسة الخامسة لمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عن « النهضة الأدبية العربية فى العراق » بين فيها ظروف الحركة الأدبية العراقية فى العصر الحديث ، وعرض مظاهرها وخصائصها وتحدث عن طبقات الأدباء والشعراء ، من عصر الوزير داود باشا إلى الوقت الحاضر . ومما قاله أن مما منى به الأدب أخيراً فى العراق فقدان خطة عامة مرسومة للنهوض بالأدب وباللغة العربية فى البلاد ، ومن نتائج ذلك تشتت فى الجهود الأدبية يخشى بعضهم أن يتطور إلى بلبلة فكرية ، وقد تباعدت الشقة بين جيلنا الماضى والجيل الجديد ، وأصبح حل هذه المشكلة بالتوفيق بين الجيلين شغل الفكر الشاغل ، وقد واجهت مصر مشكلة من هذا القبيل بلا شك ولكنها لم تبلغ حد المشكلة التى نواجهها فى العراق وبعض البلاد العربية الأخرى لأن النهضة فى مصر سارت منذ عهد محمد على إلى اليوم فى مراحل تدريجية تبعاً لخطة رسمها قادة الرأى فى مصر فأدى ذلك إلى نوع من الاستقرار الفكرى الأدبى ، تغبطون عليه الآن . أما النهضة فى العراق فلم تكن تدريجية خاضعة لخطة مرسومة ، بل كانت اندفاعا سريعاً إلى الأمام ، على أن فى العراق اليوم بالرغم من ذلك كله ، طبقة من رجال العلم وأخرى من رجال الأدب والشعر ، أما شعراء العصر وشعراء الشباب فى العراق ، ومثلهم على ما أظن شعراء العصر فى مصر والشام ، فهم فريقان : فريق يترسم شعراء الجيل فى الماضى القريب مع شىء من التجديد . وقد نشرت لعدد من هؤلاء الشعراء دواوين لطيفة ، ومنهم أحمد الصافى ومحمود الحبوبى ومهدى الجواهرى والقلد وعلى الخطيب وصالح الجعفرى وشعراء الرابطة العلمية الأدبية المعروفة فى النجف ،

كشكول الأسبوع

* قال لى الأستاذ محمد رضا الشبيبى إنه يلاحظ أن أكثر الكتاب فى مصر — وفيهم أساتذة كبار — لا يحفلون فى كتاباتهم بالبلاغة العربية والبيان العربى الحر الأصيل ؛ وقال : أما الكتاب اللبنانيون ، فيتجهون إلى المعنى اتجاهاً كلياً ، وتبدو الألفاظ والتراكيب قلقة فيما يكتبون .

* كتب الأستاذ توفيق الحكيم بعنوان « الشعراء فى خطر » يقول : إن الشعر صار اليوم إلى كساد لضعف الثقافة فى الشعوب التى تتعلم على نطاق واسع تعلما سطحياً ، وإن الطبقة التى تتذوق الفنون العليا تكاد تنقرض .

* من التوقيعات التى نكتب فى الرد على طلب استعارة كتاب بدار الكتب : « فى الخارج » و « بالطبعة » و « مفكوك » ، وآخرما جد منها « لا يوجد نور بالمخزن ! »

* يتحذلق بعض المذيعين بالتعليق على البرامج ، ومن طرائف ذلك ما علق به أحدهم فى هذا الأسبوع على حديث « الشيخوخة » للدكتور أحمد زكى بك ، قال : سمعتم قبل أن تدرككم الشيخوخة حديث الشيخوخة ... وأذكر مرة أنى سمعت أحدهم يقول : قال الأولون « لسانك حصانك إن صنته صانك ، وإن خنته خانك » ؛ وكان ذلك فى تقديم حديث « ضبط اللسان » للدكتور أحمد أمين بك .

* يدل إحصاء ما ظهر من المؤلفات فى مصر سنة ١٩٤٨ الذى قامت به إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف على أن المؤلفات الأدبية وحدها بلغت فى هذه السنة ٩٤ كتاباً .

* قررت الحكومة اللبنانية أن تجعل من المبنى الذى أنشأته لمؤتمر اليونسكو جامعة جديدة .

* ألفت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية لجنة لإخراج كتاب فى جغرافية الأقطار العربية يكون مرجعاً موثوقاً به للمعلمين والمثقفين . ويجرى تأليفه على أن يكتب كل موضوع من موضوعاته ذو اختصاص به . ويرجى أن يتم ذلك فى سنة ١٩٤٩ .

* تشرف وزارة الشؤون الاجتماعية على إخراج فلم عن حياة محمد على الكبير .

ولولا هذه الطبقة الناهضة لخيل إلينا أن القريض العربي قد مات . وأما الفريق الآخر من شعراء الشباب ، فهو يميل إلى مجاراة الغربيين ويحاول أن يتعاطى النظم على طريقتهم المعروفة ، وعددهم قليل . وقد مالت طبقة تضم بعض حملة الشهادات الجامعية والعالية وغيرهم من الأدباء ، إلى فن من فنون الأدب الحديث وهو فن القصة ، فراحوا يخرجون القصص ترجمة وتأليفاً ، ولا يزال هذا الفن في دور النشوء ، وكثير من كتابه مقلدون . وفي البلاد عدد من العلماء والباحثين المنقطعين للدراسات على اختلاف موضوعاتها وكثرتهم في بغداد والموصل والنجف ، وفي حواضر عراقية أخرى ، ولهم أبحاث تنشر في بعض المجلات المصرية والسورية ، نذكر منهم منير القاضي ومحمد بهجت الأثري ومصطفى جواد وعباس العزاوي وداود الجلبي وصادق كونة .

وقد دار بجلسة المؤتمر نقاش في بعض ما تضمنته المحاضرة ، واشتجرت الآراء خاصة في مسألة الخطة التي ترسم للأدب وهل من صالح الأدب أن يترك ميدانه حراً أو توضع له مناهج ؟ ولعلي أستطيع أن آتي بشيء من ذلك في الأسبوع الآتي .

الفرقة المصرية في الفترة الأولى :

انتهى في آخر ديسمبر الماضي موسم الفرقة المصرية بمسرح الأوبرا ، وبدأت تعمل به الفرق الأجنبية من أول يناير . وتقوم الفرقة برحلات تمثيلية خارج القاهرة ، تعود بعدها إلى العمل في مسرح حديقة الأزبكية .

وقد أمضت الفرقة نصف موسمها في هذا العام إلى الآن ، وهي مرحلة يحسن أن نسائل الفرقة ماذا فعلت فيها ، وننظر أحققت رسالتها أو شيئاً منها إلى الآن ، والغاية من هذا أن نتبين طريقها وما فيه من عقبات ، وهل هو طريق طبيعي يؤدي إلى ما تهدف إليه الدولة من رعايتها .

الغرض من الفرقة المصرية ترقية التمثيل العربي باعتباره فناً من الفنون الجميلة ، وهي بحسب هذا الغرض الفرقة الوحيدة في مصر التي يرجى منها إنهاض المسرح المصري ، وأن تكون مركزاً ونواة للتمثيل المسرحي الرفيع . وقد استهلت الفرقة موسمها الحالي ومهدت له بدعاية واسعة ، ومضت فيه إلى الآن . وتكشف برنامجها عن رواية مؤلفة جديدة واحدة هي « سر الحاكم بأمر الله » وبعض الروايات المقتبسة ، ثم روايات كثيرة قديمة من تأليف المدير العام للفرقة الأستاذ يوسف وهبي بك ، كان قد مثلها قديماً على مسرح رمسيس القديم ، وهي دون المستوى الفني الذي يلائم الفرقة والذي يتفق مع كلمة « ترقية التمثيل العربي » وإنما تعتمد على تملق عواطف الجمهور تملقاً يؤذي أذواق طلاب الفن الرفيع .

وحقاً إن الحكومة ضنينة على الفرقة ولم تمنحها الإعانة الكافية ، فلا تزال إعانتها أحد عشر ألف جنيه في العام ، وهو مبلغ ضئيل لا يكفي لمطالب النهوض بالفرقة واتجاهها إلى تأدية رسالتها ، لأن الجمهور لا يكفيها نفقاتها ، ولكن لا ينبغي أن يفضي ذلك إلى أن تتحول إلى فرقة تهريجية تستجلب الجمهور بالإنتاج الرخيص ، فهي لم تنشأ لتكون أداة للربح وإنما يراد بها ترقية فن التمثيل ، ولا حاجة بنا إلى أن تهبط ذلك الهبوط بالانحراف عن مستواها ، ففي فرق شكوكو وبديعة وغيرهما الكفاية .

على أن يوسف وهبي يستبد بأمور الفرقة استبداداً عجيباً ، فهو يأخذ مرتباً شهرياً مائة جنيه وربع إيراد « شباك التذاكر » والباقي ينفق على مطالب الفرقة ومرتبات سائر الممثلين والممثلات الذين يعملون فيها جنوداً مخلصين مع قائدهم المغوار عميد الممثلين . وهو ينشر الإعلانات في الصحف مشيداً بنفسه على حساب الفرقة أيضاً ، وقد استحدث نوعا باهظا من الإعلانات وهو مقالات تصدر من إدارة الفرقة في مدح مديرها العام ··· وتنشر هذه المقالات مأجورة ! وهو يحرص على أن يظهر بمظهر الزعيم النقذ ، لا الموظف العامل ، فمنذ جاء إلى الفرقة دأب على وضعها صفراً على شماله ، وإبراز نفسه ، المؤلف ، والمخرج ، والفتى الأول ، و ··· الخ ، كأن وزارة الشؤون الاجتماعية ألفت الفرقة المصرية و « ألفت » يوسف وهبي . ولم يبق إلا أن تسمى الفرقة « يوسف وهبي للتمثيل والموسيقى » .

وقد كان الأستاذ زكي طليمات يسير على طريقة ديمقراطية ، يعمل في خدمة الفرقة ويقدم أفرادها ويكاد ينكر نفسه . وأخيراً أفسح ليوسف وهبي وتركه يطمن نفسه برواياته ، ولكن الطمنات تصيب صميم الفرقة ، فهما من هذه الناحية يشتركان في المسئولية عن المصير الذي تنحدر إليه الفرقة الآن .

عباس خضر



عيد الجميع :

ورد كتاب من ليبيا . برقة . بإمضاء « الشعب الدرناوى » أى شعب درنة . ولما كانت عادتى أن أرد على كل رسالة تأتينى مهما كان نوعها ، فلم أدر لمن أرسل رد هذه الرسالة لأن مرسلها لم يذكر عنوانه . فلم تبق لى حيلة إلا أن أرسل الرد على صفحة من مجلة الرسالة لأن لهذه المجلة نصيباً فيها . وهابعض ماجاء فيها :

جناب ... الأستاذ ... نقولا الحداد الموقر

« بعد التحية . الشعب الدرناوى فى قطر برقة المعجب بنخوتكم العربية والمعتز بقلمكم السيال الكاوى الصهيونية فى مجلة الرسالة ... (إلى ما هنالك من الثناء والاطراء مما لا أستحقه) يتشرف بتقديم أطيب التهانى لفضيلتكم بمناسبة حلول عيد ميلاد سيدنا المسيح عيسى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . ونرجو الله أن يعيد هذا العيد عليكم وعلى كافة العروبة بالنصر المبين ، والاتحاد الدائم . كما أنه يتضرع إليه تعالى بأن يبقيكم لأننا لا زلنا فى حاجة ماسة لأمثالكم لنهتدى بنور أقلامكم فى مثل هذه الظروف العصيبة والمرحلة الدقيقة . وختاماً تقبلوا من جميع قراء مقالاتكم القيمة على صفحات الرسالة فائق الاحترام » .

« ليبيا . برقة . الشعب الدرناوى »

أقول :

أغلى ما فى هذه التحية الكريمة من شعب درنة أنها تجمل العروبة دين المسلمين والنصارى (علاوة على دينهما الأصليين) كما هو الواقع اليوم . المسلمون يعايدون النصارى بعيد ميلاد عيسى ، والنصارى يعايدون المسلمين بعيد مولد النبي عليه أطيب السلام وعيدى رمضان والأضحى . فالمسلمون والنصارى يتبادلون التهنئة فى هذه الأعياد بالتزاور والبريد والجرائد - الأمر الذى يدل على أن كلا الفريقين أدركا أن بين النصرانية والإسلام ليس إلا الزمن والتاريخ .

فالمسيح جاء فى وقت كان لا بد من مجيئه فيه لكى يعلم هؤلاء اليهود الجوييم (الأنجاس) أن جميع الشعوب هم شعب الله وأنه لم يختر بنى إسرائيل دون سائر الأمم شعباً خاصاً له كما يزعمون . وقد ضرب لهم مثل السامرى الذى عنى بجريح اعتدى عليه اللصوص واغتصبوا ما معه ، بعد أن مر به كاهن ولاوى وفريسى من اليهود ولم يسعفوه . وإنما السامرى الذى ينبذه اليهود عنى به وأخذه إلى منزله وضمد جراحه الخ . ثم سأل المسيح اليهود من من هؤلاء هو الإنسان الذى يختاره الله . أليس الذى صنع معه الرحمة ؟

ولما رأى اليهود أنه يساوى بهم السمرة المنبوذين صلبوه . فنظرية أن « الله رب العالمين » ضد عقيدتهم .

ولما جاء محمد صلى الله عليه وسلم كان زمن آخر يستلزم أن يأتى النبي محمد لكى يطهر البلاد العربية من الأوثان والأصنام وينظم الحياة الاجتماعية للعرب وغيرهم ، ولكى يوطد التوحيد ويعلمهم أن « الله رب العالمين » أجمعين . فحاربه اليهود . وأمرهم معه معروف

عيسى ومحمد عليهما أطيب السلام كانا يرميان إلى غاية واحدة وهى تقويم الإنسانية وإصلاح البشرية . وقد نجحا . وأصبح ثلاثة أرباع الكرة الأرضية من أتباعهما . أفليس من الجهل المطبق أن يفرق التعصب بين العرب ؟ أو ليس نعمة من الله أن تكونت العروبة فربطت بين الفريقين ؟

أجل ، إن العروبة هى الحصن الحصين لحفظ كيان العرب كلهم يتماسكون تحت لواء العروبة لكى يدرأوا هذا الخطر الذى شرعنا منذ الآن نحسه — يهود يغزون لبنان ، ويهود يحاولون أن يغزوا حدود مصر . وغداً وبعد غد يحاولون أن يغزوا كل ما حول فلسطين بين النيل والفرات ، لا سمح الله .

فتنبهوا أيها العرب ...

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة مصر

فلسطى فقط :

نشرت مجلة الرسالة الغراء لأحد موظفى المجمع اللغوى رداً على ما سبق أن نشرته فى الأهرام الغراء تحت عنوان « فلسطى » نسبة إلى فلسطين .

وليثق حضرته أن ما كتبه لم يكن غائباً عنى حين كتبت ما كتبت ، وأن النسبة إلى فلسطين — بالرغم من كل ذلك — هي « فلسطي » فقط للأسباب الآتية :

أولا : أن القاموس بعد أن ذكر الحالين الإعرابيتين لفلسطين وأجاز إعرابها بالحروف وإعرابها بالحركات قال : « والنسبة فلسطى » ... وهذا أسلوب صريح فى أن هذه النسبة ملتزمة فى الحالين ، ولو كانت تجوز نسبة أخرى لنص عليها .

ثانياً : أن المتتبع لكلام العرب الذين يعتد بنطقهم ، ويحتج بقولهم : لا يجد فيه إلا « فلسطياً وفلسطية » قال الأعشى :

تخله فلسطياً إذا ذقت طعمه على ربذات الني حمش لثاتها

وقال ابن هرمة :

كأس فلسطية معتقة شقت بماء من مزنة السبل

وهذا دليل على أنها النسبة الوحيدة التى استعملها العرب ، وأنها واجبة الالتزام فى الحالين ، وإن وافقت القياس فى حال الإعراب بالحروف ، وخالفته فى حال الإعراب بالحركات ..

وإذا كان حضرته يقول إن استقامة الوزن فحسب هى التى دفعت الشاعرين إلى إيثارهذه النسبة فليأت حضرته بكلام منثور لعربى حجة ورد فيه « فلسطين أو فلسطينية » . .

ثالثاً : جاء فى لسان العرب بعد ذكر حالى الإعراب لفلسطين : (قال أبو منصور وإذا نسبوا إلى فلسطين قالوا فلسطى) ثم استشهد لسان العرب لهذه النسبة بالبيتين السابقين .

وهذه العبارة مضافاً إليها هذا الاستشهاد تدل أوضح دلالة على أن العرب كانوا يلتزمون هذه النسبة فى كل حال .

رابعاً : نقل الأستاذ عن لسان العرب بعد الكلام عن قنسرين قوله : « والقول فى فلسطين و . و . كالقول فى قنسرين » وليعلم حضرته أن اللسان لا يعنى بهذا القول النسبة ، وإنما يعنى جواز إعرابها بالحروف وجواز إعرابها بالحركات .

ولو أنه أراد النسبة لكان أولى أن يفصلها عند الكلام عن فلسطين نفسها ؛ وإن سبق التزامه هناك للنسبة الواردة فقط : يحدد ما عناه هنا ، ويلتفت إليه ..

خامساً : لقد ورد فى النسبة إلى قنسرين : (قنسرى وقنسرينى) وكان من الممكن أن تقاس عليها لو لم يرد فى نسبتها شئ عن العرب .. أما وقد ورد فيها « فلسطى » فقط فقد أصبح القياس متعذراً . .

وبعد :

فقد تجنى الأستاذ هلالى — وهو بالمجمع اللغوى — على اللغة واللغويين حين قال : (اختلف اللغويون فى النسبة إلى فلسطين أهى فلسطى أم فلسطينى ... الخ) إذ الحق أن اللغويين لم يختلفوا فى النسبة إلى فلسطين ، بل لم يختلفوا فى النسبة إلى قنسرين .. وإن معنى الاختلاف أن كل فريق منهم يلزم نسبة خاصة لا يجيز غيرها ، وهو ما لم يحدث فى فلسطين التى التزم اللغويون النسبة المسموعة عن العرب وهي « فلسطى » . كما لم يحدث هذا فى قنسرين التى اتفق اللغويون على جواز « قنسرى وقنسرينى » تمشياً مع الوارد فيها وتطبيقاً لقواعد النسب عليها .

ابراهيم بربرى
المدرس بمعهد طنطا

حول « كاد أنه » :

نشر فى البريد الأدبى كلمة أشار فيها بأن الفعل المضارع الواقع فى موضع خبر كاد لا يقترن بأن وذلك هو القياس المطرد إلى آخره ، وهذا القول غير صحيح من عدة أوجه ؛ إذ أن الرأى المتفق عليه عند النحاة أن (كاد) يترجح تجرد خبرها من أن كقوله تعالى : (يكاد زيتها يضيء) (وما كادوا يفعلون) فيكون الكثير فى خبرها أن يتجرد . كما أنه يجوز اقتران خبرها بأن مع القلة ، وهذا بخلاف ما نص عليه الأندلسيون من أن اقتران خبرها بأن مخصوص بالشعر .

وقد جاء مقترناً بأن فى غير الشعر كقول الرسول عليه السلام (وما كدت أن أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب) ، والحديث الشريف يتفق مع القرآن فى أن القرآن لا يأتى باللغات الشاذة وإلا لما كان معجزاً ، فكذلك الحديث لا يأتى باللغات الشاذة ، والله تعالى يقول (وما ينطق عن الهوى) ، وقول الشاعر:

كادت النفس أن تفيض عليه مذ ثوى حشو ريطة وبرود

والشعر العربى إذا تعددت فيه الأمثلة فلا يكون ذلك ضرورة ولا شاذاً وإنما هو قاعدة مسلم بها

فاروق أحمد سلام
معهد اسكندرية الدينى



كتاكيت العم طـــون !

في ملهاة لجي دي موباسان

كان كل من يسكن حول مدينة « تورنفنت » يحب العم أنطوني مجيل ، طوني السمين ، طوني العزيز ، أو طون ، كانوا يسمونه عليه تحبباً !

وطون هذا ، رجـل سمين ، منفوخ البطن ، أشبه ببرميل نبيذ ، منتفخ الأوداج ، أحمر الوجه ، غائر العينين ، لا تستطيع أن تعرف طوله من عرضه ، ولا عاليه من سافله !

وكان الناس يتساءلون في دهشة : كيف يستطيع الزبون أن يداف إلى الحانة ، والعم طون ، قد وقف على بابها وسد الطريق؟!

كان يبيع الـكونياك ، وكان ينادي على بضاعته بصوت ناعم — هنا يا رجال ، تجدون أحسن أنواع الـكونياك !

وكان له زبائن يترددون على حانته ، لا ليشربوا الـكونياك فقط ، ولـكن ليستمعوا إلى نكات العم طون ، ويأنسوا بظرفه ، وخفة دمه ، فالعم طون « ابن نـكتة ! » يستطيع أن يحمل حجارة القبر على الضحك ! !

كان من عادته أن يجلس مع زبائنه ، يلتفون هم في حوله ، وبأيديهم أكواب الخمر ، يشربون ، ويضحكون ، فإذا وجد أن أحدهم لا يضحك لنكتة ألقاها ، لـكزه في بطنه ليحمله على الضحك ! كان يلقي نكاته ، ويسخر من هذا وذاك ولـكن من غير أن يؤذي أحداً ، أو يجرح شعوره !

من أجل هذه الروح المرحة ، أحب الناس العم طون ... أحبوه حباً عظيما ، ووفدوا عليه من ضـواح بعيدة ليستمتعوا بنكاته ، وليشربوا عنده ما فيه القسمة من أكواب الـكونياك التي كان العم طون يقطرها بنفسه !

وكثيراً ما كان يقف على باب حانته ، يحيي هذا ، ويهتف لذاك قائلا : مرحبا ... مرحباً يا ولدي !

كان يدعو كل من يراه يا ولدي ، ولـكن الناس كانوا يتساءلون في دهشة ، لماذا لم يرزق العم طون أولاداً ، وقد مضى على زواجه أكثر من ثلاثين عاماً ؟ !

وقد يترامى إلى أذنيه هـذا السؤال الحائر على شفاههم ، فيغمزهم بطرف عينه . ويقول لهم هامساً : إن زوجتي ، هذه الدجاجة العجوز ليست من المظامة بحيث تستطيع أن تنجب عظيما مثلي !!

وكانت زوجته تتورعليه ، ولم تكن بأقل غرابة من زوجها ، فقد كانت امرأة فلاحة ، غليظة الطبع ، حادة المزاج ، لا تبدو إلا غاضبة ، مكشرة ، إذا مشت ، فعلى رؤوس أصابعها ، فتبدو ، وكأنها تقفز قفزاً ، واهتز أعلاها ، وامتدت أردافها !

وكانت على شجار دائم مع زوجها ، وكان هو يخافهـا ، ويتحاشى وقاحتها ، ولـكنه لم يكن يكف عن التحرش بها ، ليضحك منها !

وكان الزبائن يضحكون لهـذا الشجار الدائم ، ويغرقون في الضحك ، حين يبدأ العم طون يسخر من زوجته ! وتبلغ الضجة أعلاها ، حين تشير الزوجة الهرمة إلى زوجها المنفوخ ، وتقول : صبراً ... صبراً ، أيها المتكرش الـكسول ، سيأتيك يوم تنفجر فيه هذه النفخة الـكذابة ... انك والله لرجل كسول ، لا تصلح إلا لربطك مع الخنازير !!

والعمة طون ، مولعة بتربية الدجاج وتفريخها ، وكان لها في هذا المضمار باع طويل وخبرة واسعة ، ولم تكن لتخلو أكبر الموائد في باريس من دجاج العمة طون !

على هذه الحالة مضى ركاب الزمن بالعم طون ، يمزح ويمرح ويبيع الـكونياك ، حتى حدث أن أصيب بما أقعده عن العمل ، وقلب حياته رأساً على عقب !.. دب الشلل في جسمه ، ولم يعد يستطيع الحركة ، فأعدوا له سريراً في مكان يشرف على ما يجري في الحانة ، وأرقدوه فيه

وقلت نكاته ، ولـكنه لم يتخل عن مرحه وظرفه ، فهو مازال يبادل أصدقاءه النكات وهو راقد على ظهره !.. كان يميز الأصوات فيعرف أصحابه !

— مرحباً سلستين ، يا ولدى . . الست أنت سلستين ؟

فيرد عليه سلستين : كيف حالك يا عم ؟ أوه ! ... لم أعد أصلح للطراد أبداً !!

وتثور العمة طون ثورتها المعهودة ، وتقول : انظروا كيف ينام على ظهره كالثور العجوز ، ولم يعد فيه نفع ولا فائدة !

وكم يكون منظره مثيراً للضحك حين يراها ، وهى تقترب منه كالصاعقة ، فينكمش فى فراشه ، خائفاً وجلا من ضرباتها التى يتلقاها على بطنه الكبير ، فيكون لها دوى الطبل !

وذات يوم أراد أن يلعب أحد الزبائن دوراً مضحكا ، على هذه المرأة العجوز التى لا يعجبها العجب ، فقال لها ، أتدرين ماذا كنت أفعل لو كنت مكانك ؟

فرمته بنظرات خبيثة ، وقالت له : ماذا كنت تفعل؟

فأجابها متكلفاً الجد : إن جسد العم طون أشبه بفرن تتأجج فيه النار ، فلماذا لا تضعين تحته بعض البيض فيفقس كما تفعلين مع دجاجك ؟ ! فهمست متعجبة : أيمكن هذا حقاً ؟

— ولم لا ؟ ما الفرق بين أن نضع البيض فى صناديق حارة وبين أن نضعه تحت فراش يبعث أكثر من هذه الحرارة ؟

وراحت العمة طون تفكر فى هذا الاقتراح ، وتجهد عقلها المتحجر فى التفكير فى هذا الاقتراح العظيم !!

وبعد ثمانية أيام ، جاءت إلى زوجها تحمل عشر بيضات ، وقالت له : لقد وضعت الآن عشر بيضات تحت دجاجتى السمراء ، وهذه عشر بيضات أخرى ، ضمها تحت ذراعيك ، وحافظ عليها لئلا تنكسر ! فصاح العم طون — ما ذا تعنى ؟ !

— أعنى أنك سترقد على هذا البيض كما تفعل مع الدجاج ، وسننتظر ما يحدث !

ورفض العم طون بكل إباء وشمم ، أن يرقد على البيض كدجاجة صغيرة ، وحاول أن يحتج على تصرف زوجته ، ولكنها صاحت فيه ، ليس من المعقول أن تبقى هكذا نائماً على ظهرك ، تأكل وتشرب ، ولا تنفعنا بشىء ! !

وأمام تهديداتها وغضبها الذى يتحاشاه ، قبل العم طون أن يضع البيض تحت ذراعيه ! وظل جامداً فى مكانه ، لا يتحرك خوفاً على البيض أن ينكسر ، وبدا عليه الاهتمام العظيم ، وقد حمل الأمر على محمل الجد !

وسرعان ما سرى النبأ بين الزبائن ، فبدأ عليهم العجب ، وراحوا يتساءلون ، ترى كيف يفرخ الرجل !!

وما كادت تبلغ الساعة الثالثة ، حتى ساءت صحته ، وبدا عليه ما يبدو على المرأة التى حانت ساعة وضعها ، وتصبب العرق من جبينه ، ولم يعد يسمع ضجة الناس المحتشدين فى الحانة يترقبون حدوث الأعجوبة !

وأقبلت العمة طون فرحة مستبشرة ، وقالت : لقد فقست دجاجتى السمراء سبع بيضات ، وفسدت ثلاث !

تخفق قلب العم طون ، وسأل نفسه : وأنا ... كم من البيض سيفسد ؟! وأحس بدغدغة تحت ذارعه الأيسر ، تخفق قلبه ، وبكل احتراس ، مد يده تحت ذراعه ، وقبض على شىء ناعم صغير ، كان يحاول التملص منه بقوة ، نخاف عليه ، وأرخى أصابعه ، فقفز على لحيته ، ثم على صدره !

كانت الحانة محتشدة بالناس ، فلما رأوا الحيوان الصغير يقفز على صدر العم طون اندفعوا نحوه ، والتفوا على شكل دائرة حول فراشه ، وشقت الجمع المحتشد العمة طون ، وأمسكت بالكتكوت الصغير ، وهى أسعد ما تكون ! ! وصاح العم طون فجأة :

وهذا واحد آخر يلعب تحت ذراعى اليسرى !

وشمرت العمة عن ذراعيها ، واستعدت كأمهر قابلة ، لاستقبال الكتكوت الجديد! وأخذ الحاضرون يفحصون هذه الكتاكيت فى كثير من الدهشة والعجب والحيرة !

وقفزت أربعة كتاكيت أخرى ، فانتفخت أوداج العم طون لهذا النصر الباهر الذى فاق به الدجاج الممتاز ، العريق النسب !. ثم صاح فى صوت مرتفع فى حين كانت زوجته قد حملت الكتاكيت لتعطيها لدجاجتها السمراء — وهذا واحد آخر ...

وارتفعت ضجة العجب فى جو الحانة ... وأصر العم طون على الاحتفاظ بآخر الكتاكيت فى فراشه ... فقد كان يشعر بحب عميق لكتاكيته ، كما تشعر المرأة نحو وليدها ! ولكن العمة طون لم تقتنع ، فأخذت منه الكتكوت الأخير بكل قسوة ، وأرسلته لعناية دجاجتها السمراء !

إنصرف القوم ، وهم يفسرون هذه الحادثة الغريبة فى بابها ، شتى التفاسير ، فاقترب صاحب الاقتراح الخبيث فى أذن العم طون وهمس فيها : أتدعونى لحفلة العماذ أيها العم ... أليس كذلك ؟!

فأجاب العم طون طبعاً ... طبعاً يا ولدى !

(البصرة عراق) **يوسف يعقوب حداد**



مطبعة الرسالة

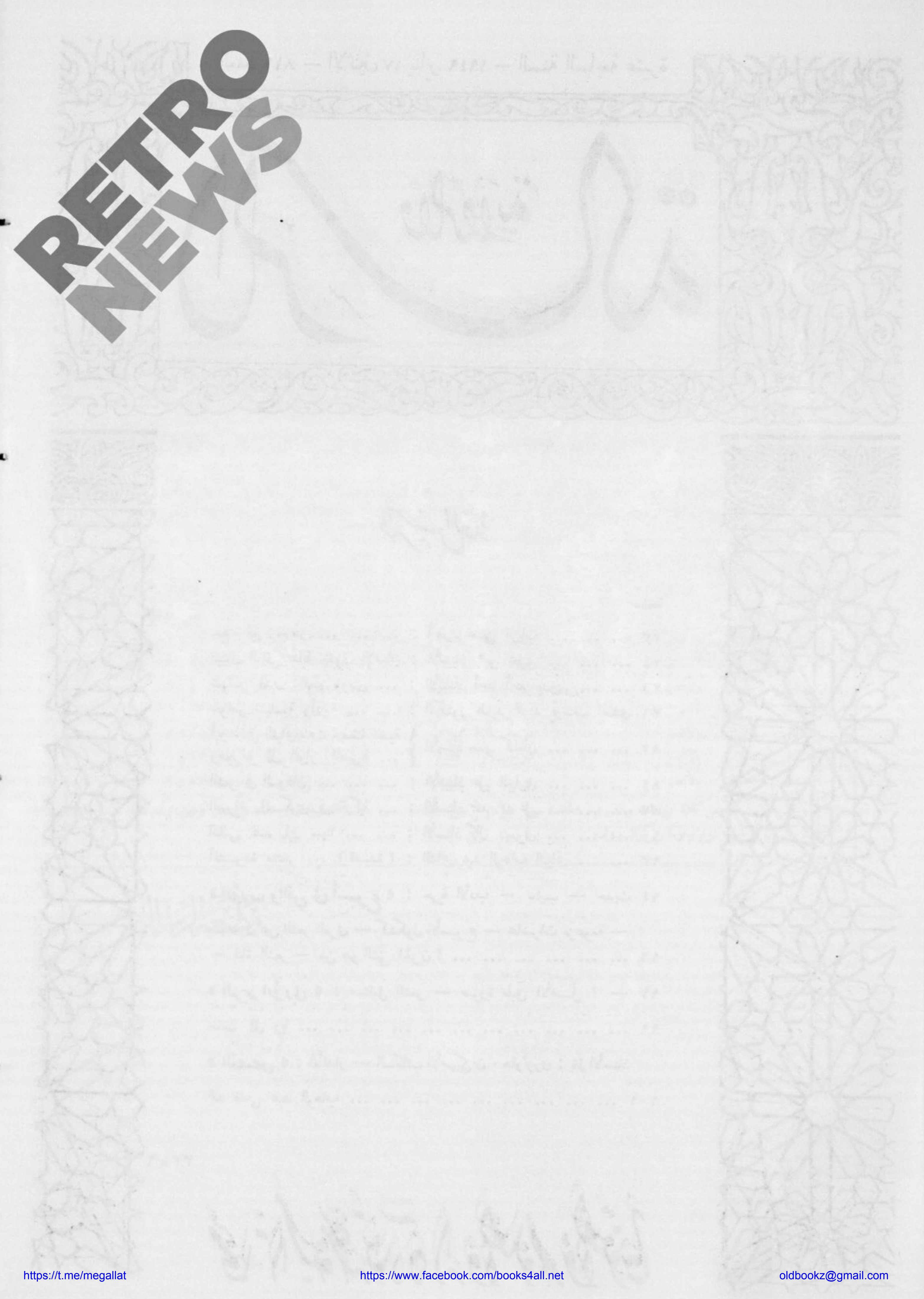


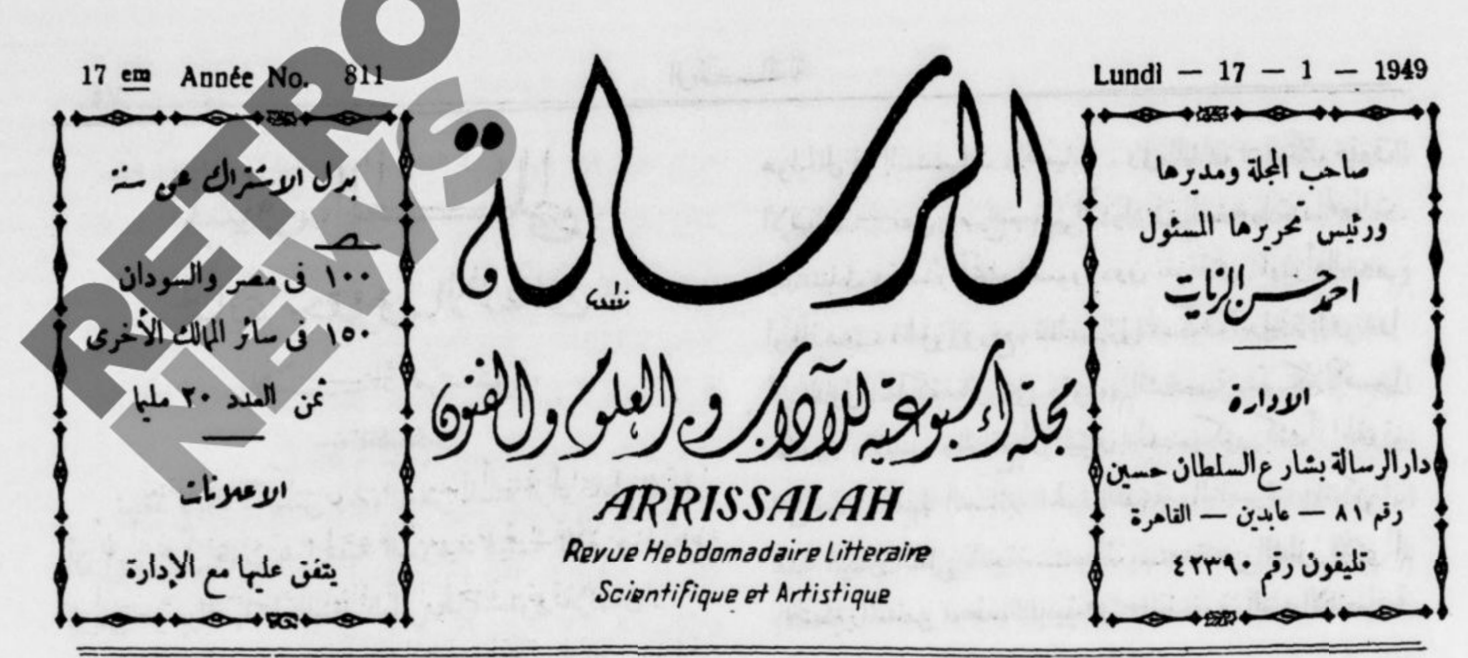
العدد ٨١١ — الاثنين ١٧ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



فهرس العدد

٣٢٠٦




17 em Année No. 811

Lundi — 17 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ١٧ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

حج غير مبرور

رد جلسائى التحية إلى رجل ألقاها عليهم وهو يدخل القهوة فى زى أنيق ورؤاء حسن ؛ ثم أتبعوه النظر حتى جلس فى جماعة من ذوى الهيئات قابلوه بنشاط وصافحوه بقوة ؛ ثم عادوا بأبصارهم وأفكارهم إلى تشقيق الحديث ، فقال أحدهم لجاره : أشهدت الحفلة التى أقامها بعد عودته من الحج فى الأسبوع الماضى لمستقبليه ومهنئيه ؟ فأجابه جاره : أوه ! نعم شهدتها . ولقد بلغتْ هذا العام من ضخامة المادة وفخامة المظهر مبلغاً صغَّر سوابقها فى أعين الناس على كثرة ما كان يجمع لها وينفق فيها !

فقال جارى : إن العجيب من أمر هذا الرجل أنه يحرص كل الحرص على أداء الحج فى كل سنة ، وهو لا يقيم الصلاة ، ولا يؤتى الزكاة ، ولا يصوم رمضان ، ولا يكاد يتشهد ! فكيف يقوم دينه على ركن واحد والإسلام كما نعلم إنما يقوم على أركانه الخمسة ، وكلما تهدم منها ركن تقوض من بُنيته بناء ؟ فرد عليه شيخ مستنير الفكر بأنه اغتر على مايظهر بقول المتزيدين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا حتى ليذهب الرجل إلى مكة وهو موقر النفس بالجرائر ، مثقل الضمير بالكبائر ، فيعود منها وهو نقى الصحيفة كيوم ولدته أمه ! وإن كثيراً من مطففى الكيل وقطاع الطرق وروّاد الفحش يبسطون لأنفسهم العنان فى المنكر اتكالا على حِجة يغتسلون بها فيعودون بزعمهم أبراراً كالأطفال وأطهاراً كالملائكة ! ولكن الأعجب فى أمر هذا الحاج أنه تاجر وليس له متجر نراه ، وغنى وليس له مورد نعرفه . يقضى عامه من الحجة إلى الحجة وهو فارغ البال من هموم العيش ، مستريح البدن من مؤونة العمل ، يتنقل بالنهار فى المدن وبين الناس ، ويتقلب بالليل فى المواخير وبين الندامى ، حتى إذا اقترب ميقات الحج ، وهفت النفوس المؤمنة إلى مشرق الدين ومهبط الوحى ، فطم نفسه عن رضاع الكأس ، وأصم أذنه عن نداء المنكر ، وأخذ يعدُّ الجواز والجهاز لأداء هذه الفريضة . وقد لاحظ مخالطوه أن موسم الفيضان فى رزقه يبدأ بعد رجوعه من الحجاز ، فيبسط أنامله العشر بأوراق النقد ، يولم بها الولائم ، ويقدم منها الهدايا ، ويدرك عليها اللذائذ ؛ والمعروف أن الزكاة هى التى تبارك المال وتنميه لا الحج ، وأن العمل هو الذى يجلب الرزق ويبقيه لا التبطل ؛ ولكن هذا الرجل لغز لا يحل ، وسر لا يدرك ! فابتسم أحد الحضور وقال : وما ذا عندك لى إذا كشفت المخبوء وشرحت الغامض ؟ فقال له الشيخ : ثمن القهوة وأزيدك طلباً آخر . فقال الرجل : إن حال الحاج ابراهيم كحال كثير من خاصة الُحجاج ، يذهبون إلى مكة محرِمين ، ويعودون منها مجرمين ! ألم تلاحظ وأنت من جيرة هذا الحاج أنه يجلب من الحجاز مقادير كبيرة من التمر والحلوى على خلاف ما جرت به العادة ؟ قال الشيخ : بلى ، وما السر فى ذلك ؟ قال : السر أنك إذا شققت تمرة من يابس التمر ، أو فتحت علبة من علب الحلوى ، وجدت فيها الكنز الذى ينفق منه طول العام . وهذا

الميثاق العـــــالمى
لحماية حقوق الانسان
للأســـتاذ عمر حليق

تعتقد لايك سكسس ومعها بعض ألسنة الرأى العام الدولى أن أبرز عمل قامت به الجمعية العمومية لهيئة الأمم فى اجتماع باريس هو موافقتها على الميثاق العالمي لحماية حقوق الإنسان .

ولو أننا تناسينا مؤقتاً فقدان السلطة العملية التى ما فتئت هيئة الأمم المتحدة تسعى لتحقيقها ، واتخذنا الناحية النظرية مقياساً لهذا الميثاق – لتبين لنا خطورة هذه الخطوة التاريخية التى سجلت فيها الأمم المتحدة – نظرياً على الأقل – حمايتها للفرد أيان كان وضد أىّ كان – ضد الدولة الناشمة ، وضد الأنظمة الظالمة ، وضد النظرة القومية الضيقة التى تحاول أن تنال من حقوق الفرد باسم الصالح القومى فإذا هى تعصف بأهم دعائم القومية الحقة وهى حرية الفرد وحقوقه .

ولا غرابة إذن أن ينفرد بالتصويت ضد هذا الميثاق ممثلو دول أوربا الشرقية الذين يفرضون أنفسهم على الشعب بقوة الحديد والنار ؛ ودولة اتحاد جنوب أفريقيا حيث تحول القومية العنصرية الضيقة دون المساواة فى الحقوق بين السكان الأوربيين وهم قلة ، والسكان الوطنيين الأفريقيين وهم كثرة . وقد صوتت كذلك ضد الميثاق المملكة السعودية لعدة أسباب كلها مستمدة من طبيعة النظام المحافظ الذى يعيش عليه المجتمع السعودى .

وقد احتاط واضعو الميثاق خلال نقاش دام عامين ونصف العام لتدعيم الميثاق بدعائم عملية فأوصوا بإنشاء محكمة دولية للنظر فى شكاوى الأفراد ضد الذين يعتدون على حقوقهم سواء كان المعتدون الدول التى يعيشون فى ظلها أم دول أجنبية كما هو الحال فى المستعمرات والمحميات . وفى الميثاق – ميثاق حقوق الإنسان – نص صريح يعطى الأفراد فى المستعمرات والمحميات والمنتدبات فى سائر أنحاء المعمورة دون تفرقة فى اللون أو العنصر أو المذهب ، الحق فى رفع مظالمهم إلى المحكمة الدولية إذا وجدوا أن الدول الحاكمة جائرة على حقوقهم الشخصية منتهكة لأسسها ظاهراً أو باطناً . والواقع أن الميثاق الجديد يكرر كثيراً الحقوق التى نصت عليها الدساتير الحرة القديمة والمعاصرة ، ولكن فى هذا الميثاق العالمى ناحية مستحدثة مستمدة من التطور الذى ألم بالتفكير المعاصر ، هذه الناحية هى حماية حقوق الفرد الاقتصادية بالإضافة إلى حماية حقوقه السياسية .

هذه الحقوق الاقتصادية تقر بأن الإنسان خلق حراً له من الحقوق ما لجميع إخوانه فى الإنسانية لا يحول بينه وبين هذه المساواة لون أو عنصر أو محتد أو مذهب أو عقيدة فكرية ، وأن له مساواة مطلقة فى الإمكانيات الاقتصادية يرعاها له القانون ويثبتها له بمجرد كونه إنساناً يعيش . والميثاق الجديد لا يحاول أن يتخذ من الفرد مادة ليصنع منها دولة قوية أو حكومة مطلقة السيادة حرة التصرف فى شؤونه سواء كان هذا التصرف متمشياً مع حرية الفرد غير ماس بحقوقه أم كان مخالفاً لها كما هو الحال فى الدول الديكتاتورية .

الميثاق الجديد إذن لا يتخذ الإنسان مادة تُبنى بها الدولة ، بل يعترف للفرد بحرية الرأى والتفكير والتعبير تحت أى نظام وفى وجه أية سلطة . والميثاق يتخطى حدود الدولة إلى مرجع دولى أعلى ، أحكامه وقراراته تقيد الأمم المتحدة بالتزامات قانونية وأدبية وترغمها على رفع الضيم وإزالة المظلمة . وتدرس لايك سكسس الآن الخطوات العملية لإنشاء هذه المحكمة العليا بعد أن تقر برلمانات الدول المشتركة فى هيئة الأمم ميثاق حقوق الإنسان هذا ليصبح فرعاً من القانون الدولى له سلطة راسخة فى أسس النظام العالمى . قلت إن الأمم المتحدة فى الجمعية العمومية بباريس وافقت على هذا الميثاق باستثناء روسيا وحلفائها من دول أوربا الشرقية ، وباستثناء اتحاد جنوب أفريقيا والمملكة السعودية العربية التى قال مندوبها السيد جميل البارودى إن التقاليد ونظام الحكم القائم فى نجد والحجاز يخالف بعض المواد التى نص عليها ميثاق حقوق الإنسان هذا فيما يتعلق بسلطة الحكومة وبعض السلطات

السكرتير قبل أن تسألنى عنه نوع من الحشيش المزمزم المبارك مما يجلبه أتقياء الحجاج من منابت آسية العجيبة ، إلى أرض الحجاز المقدسة الحبيبة ! فصحنا جميعاً دهشين : والجرك ؟ فمرّض الرجل ابتسامته وقال : صلوا على النبي ياجماعة ! والله لو كان على حدودنا تفتيش ، لما دخل مصر أفيون ولا حشيش ! احمد حسن الزيات

المذهبية والأنظمة الاجتماعية .

أما معارضة السوفيات وحلفائهم فكانت تستند إلى نقطتين في الفلسفة الماركسية .

فالميثاق العالمي الجديد يعترف للفرد بالحرية الاقتصادية بمعنى أن لكل إنسان الحق في امتلاك أسباب الرزق ووسائله والسعي لتنميتها بشتى الطرق المشروعة دون أن يتقيد بالتزامات الاقتصاد الموجه الذي تدعو وتعمل له الشيوعية عملا بالمبدأ الماركسي القائل « من كلٍّ حسب طاقته ، إلى كل حسب حاجته » . ولذلك فإن روسيا السوفياتية وحلفاءها الشيوعيين وجدوا في هذه الحرية الاقتصادية التي نص عليها الميثاق مخالفة للمبدأ الشيوعي فرفضوا الأخذ بها .

ونقطة المعارضة السوفياتية الثانية هي نص الميثاق على أن للفرد الحق في رفع مظالمه ضد الدولة حين تعتدى على حقوقه وتنتهكها إلى محكمة عالية ستنشأ لهذه الغاية كما أسلفت . وقد احتج الروس بأن في هذا التخطي — تخطي الفرد سلطة الدولة إلى سلطة عالية — تعديا على سيادة الدولة ، وهذا ما لا يرضى به الروس والغريب في منطق السوفيات هذا أنه يخالف الهدف الرئيسي للعقيدة الماركسية الذي يسعى لإزالة الدولة كنظام اجتماعي بعد أن تتحقق سلطة الطبقات العاملة (البروليتارية Prolitariat.)

وقد رد مندوب الفليبين الجنرال رومولو على هذه المعارضة الروسية قائلا أن الميثاق ينص في مقدمته على أنه ميزان العدالة لجميع الشعوب في جميع الأمصار ، فإذا أخطرت دولة في مؤتنف الزمن أنها تتنازل عن بعض أوجه سيادتها لتحقق نظاماً عالمياً جديداً يدين بمبادئ إنسانية راسخة لصالح الإنسانية جمعاء ، فلا بأس من هذا التنازل . وإلا فلماذا تحاول الأمم أن تحل مشاكلها ومشاكل السلم والحرب والرخاء عن طريق التعاون والتكافل الدولي ؟

هذا الميثاق الجديد الذي نحن بصدده هو وليد مناقشات — بعضها بلغ منتهى الحدة — استمرت عامين ونصف العام لعب فيها الدكتور شارل مالك مندوب لبنان في هيئة الأمم ورئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي دوراً رئيسياً اعترف به وقدره مندوبو الأمم المتحدة في عبارات التقريظ التي أعقبت مرور الميثاق في الجمعية العمومية في جلساتها الختامية بقصر شايو بباريس . فقد كان الدكتور مالك مقرراً للجنة التي وضعت الميثاق ، وقد صاغ كثيراً من مواده في بلاغة وحكمة استدعت الفخر والإعجاب . لأن الدور الذي قام به المندوب العربي دل على الكفاية الكامنة في الشعوب الصغيرة إذا أعطيت الفرصة وتوفرت لها الرعاية قامت بخدمات فريدة .

وبعد . فإن ميثاق حقوق الانسان لا يزال حبراً على ورق . ترى هل يقدر له أن يلعب الدور الذي لعبه في تطور الحرية الفردية « الماجنا كارتا » وتعاليم الثورة الفرنسية ؟

الجواب في مدى التعاون الذي سيسود العلاقات الدولية في السنين القادمة ، ومدى رسوخ الاستقرار في عالم مضطرب .

(نيويورك) عمر حليق

أبو خليل القباني

باعث نهضتنا الفنية

وهجرته إلى الديار المصرية

للأستاذ حسني كنعان

— ٤ —

خضع الوالي « فاضل باشا » لإرادة عبد الحميد جبار بني عثمان وأغلق مسرح القباني ومنعه عن العمل على كره منه ، ولو توانى وقتئذ في تنفيذ الإرادة السنية ، لكان طعمة للأسماك في بحر مرمرة مقبرة الأحرار السلبيين ... ففرح خصومه الذين كان على أيديهم هذا الصفر ، وجزع عليه عشاقه وعارفو فضله وهم الأغلبية الساحقة في البلاد ، ولكنها إرادة الجبار المجتثة من إرادة الله . فلم يجرؤ أحد على ردها . وما كان علماء دمشق جميعهم راضين عن إقفال هذا المسرح ، لأنهم كانوا يرونه مهذباً للأخلاق معواناً على الوعظ والارشاد ، وبث الأخلاق الفاضلة وتجنب الرذيلة ، حتى أن شيوخ القباني الذين كانوا ينكرون عليه هذه النزعة في مطلع حياته أضراب المفتي الشيخ محمود حمزة ذي النزعة الصوفية ، والشيخ واعظ السجدة وكبار العلماء المنقضين ، كانوا لا يتورعون عن حضور مجالسه ومشاهدة رواياته الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية المأخوذة من صور حياة البيئة التي ولد فيها ودرج في أفيائها ، لأنهم ما كانو ليروا فيها من الأمور المحرمة ما يخالف مبادئهم . أما الذين كانوا يناوئونه من أرباب العمائم الذين اتخذوا من هذه « الخرقة » التي تستر رءوسهم الفارغة وسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية في ذلك العهد ... وهم ليسو على شيء من العلم ، ولقد لاق القباني من جور هذه الفئة وعنوها وفتنتها وشغبها ما زهده في الحياة وجعله يقيم في منزله معتزلا الناس لا يرى أحداً ولا يراه أحد ...

ولقد طال اعتزاله الناس والبعد عنهم حتى كادوا ينسونه ، وإذا ما فكر مفكر منهم فيه خاب جفوة السلطان وغضبه ... وكان هؤلاء الخصوم المرتزقون المتكسون الذين طالما قادوا من أعطيات صاحبهم ومنحه ومبراته يغتنمون فرصة جور سلطانه وكلب زمانه فيركبونه بالشغب والازعاج كلما أبصروه على سبيل المصادفة في طريقهم حتى أنهم كانوا يتبعونه الصبية المأجورين لهذه الغاية فيترسمون خطاه ، ويسمعونه من المدائح « والقريديات »[1] والأهازيج الموضوعة من أجل إغاظته وإزعاجه ما يندى له جبين الفضيلة والأخلاق كقولهم له :

أبو خليل النشواني   يا مزيف البنات
إرجع لكارك أحسن لك   إرجع لكارك نشواني
أبو خليل مين قال لك   على الكوميدي مين دلك
إرجع لكارك أحسن لك   إرجع لكارك قباني
أبو خليل القباني   يا مرقص الصبيان
إرجع لكارك أحسن لك   أبو خليل القباني

وكانت هذه الأهازيج تقض مضجعه ومضجع مريديه ، ولكن من ذا الذي يعارض ويدافع عنه وهو يجفو من السلطان والناس في مثل هذه الساعات يظهرون معاداتهم لمثل من يكون هذا شأنه معهم ؟

وكان القباني كثيراً ما يبقى شارد النوم موزع الفكر واللب من جراء ما يلقاه إلى أن أخذ يفكر في الخروج من هذا المحيط الضيق الذي ضيقوا عليه فيه واسماً . وفي ليلة من ليالي الشتاء العابس نبا به مضجعه وند النوم عن مقلتيه لشدة ما عراه من الفكر والهواجس ؛ وما أكثر الليالي الطوال التي كان يشرد فيها النوم عن عينيه ! وكان قد رنق النوم أجفانه في الفجر فهب بعد ساعتين من هجعته على أثر سماع هاتف خيل إليه أنه يهيب به قائلا : أيها الراقد المتناوم المؤرق هب من ضجعتك واطرد عنك الهم والحزن ، فإن مستقبلا لامعاً بعد لك وهو ينتظرك في غير هذي البقعة الضيقة ... قم وابحث عن غير هذه المواطن التي تدفن فيها العبقريات : ...

إذا ضاق صدرك من بلاد   ترحل طالباً أرضاً سواها
فإنك واجد أرضاً بأرض   ونفسك لم تجد نفساً سواها

نخف على أثر سماعه صوت الهاتف وجعل يخطر في غرفته ذهاباً وإياباً ويصيح بملء صوته : وجدتها وجدتها ...

---

(١) القريديات : هي الشعر العامي

مشاهدة أنوارك ، ومعاينة أضوائك ومجاورة مقربيك ، وموافقة سكان ملكوتك ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من الملائكة والصديقين ، والأنبياء والمرسلين » . وأثر عنه مناجاة جاء فيها : « إلهي وإله جميع الموجودات : من المعقولات والمحسوسات ، ياواهب النفوس والعقول ، ومخترع ماهيات الأركان والأصول ، يا واجب الوجود ، ويا فائض الجود ، يا جاعل القلوب والأرواح ، ويا فاعل الصور والأشباح ، يا نور الأنوار ، ومدبر كل دوار ، أنت الأول الذي لا أول قبلك ، وأنت الآخر الذي لا آخر بعدك . الملائكة عاجزون عن إدراك جلالك ، والناس قاصرون عن معرفة كمال ذاتك . اللهم خلصنا عن العلائق الدنية الجسمانية ، ونجنا من العوائق الردية الظلمانية . أرسل على أرواحنا شوارق أنوارك ، وأفض على نفوسنا بوارق آثارك . العقل قطرة من قطرات بحار ملكوتك ، والنفس شعلة من شعلات نار جبروتك . ذاتك ذات فياضة ، تفيض منها جواهر روحانية ، لامتمكنة ولا متحيزة ولا متصلة ، ولا منفصلة ، مبرأة عن الأحياز والأين ، معراة عن الوصل والبين ، فسبحان الذي لا تدركه الأبصار ، ولا تمثله الأفكار . لك الحمد والثناء ، ومنك المنع والعطاء ، وبك الجود والبقاء ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون »

والظاهر أن نسبته إلى التعطيل جاءت من انه كان يرى رأى المعتزلة الذين لا يرون الصفات شيئاً خارجا عن الذات ، وهو يقول عن ذلك في كتابه : هيا كل النور : « والصفة لا تجب بذاتها وإلا ما احتاجت إلى محلها ، فواجب الوجود ليس محلا للصفات ولا يجوز أن يوجد هو في ذاته صفات . فإن الشيء الواحد لا يتأثر عن ذاته . ونحن إذا تصرفنا في عقولنا يكون الفاعل شيئاً والقابل شيئاً آخر . فواجب الوجود واحد من جميع الوجوه ؛ ولكن ليس معنى هذا نفي الصفات عن واجب الوجود . وقد أثبت لله هذه الصفات ؛ إذ قال في هيا كل النور . « وله من كل متقابلين أشرفهما ، وكيف يعطي الكمال من هو قاصر ؟ وكل ما يوجب تكثيراً من تجسيم أو تركيب ممتنع عليه تعالى ؛ والحق لا ضد ولا ند له ، ولا ينتسب إلى اين ، وله الجلال الأعلى ، والكمال الأتم ، والشرف الأعظم ، والنور الأشد : ليس بعرض فيحتاج إلى حامل يقوم به وجوده ، ولا بجوهر فيشارك الجواهر في حقيقة الجوهرية ، ويفتقر إلى مخصص دلت عليه الأجسام باختلاف هيئاتها . فلولا مخصصها لما اختلفت أشكالها ومقاديرها وصورها وأعراضها وحركاتها . وما أوردناه من مناجاته ودعائه ، وما قدم به كتابه هيا كل النور يدل على أنه يثبت لله صفات الكمال الأسمى ...

والشهاب يسير في إثبات وجود واجب الوجود ، وما هو عليه من كمال على طريق الفلاسفة الذين يعتمدون على الدليل العقلي ؛ كما ترى ذلك في كتابه المشارع والمطارحات (ص ١٢٧) . وكتابه هيا كل النور .

لست أدري كيف نسبوه إلى الإلحاد وما أوردناه من كلامه لا يدل على إلحاد ولا زندقة ؟ وكيف نحكم بالإلحاد على رجل يقول : « فوحد الله ، وأنت بتعظيمه ملآن ، واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان ، ولو كان في الوجود شمسان ، لانطمست الأركان » ؛ ويثبت وحدانية واجب الوجود بقوله في هيا كل النور (ص ٥) : « لا يصح أن يكون شيئان هما واجبا الوجود لأنهما لو اشتركا في وجوب الوجود فلابد من فارق بينهما ، فيتوقف وجود أحدهما أو كليهما على الفارق ، ولا يمكن أن يكون شيئان لا فارق بينهما فإنهما يكونان واحداً » ويقول (ص ١٢) : « ويجب على المستبصر أن يعتقد صحة النبوات » ؛ ويرى أرواحنا نوراً حادثاً خلقه الله إذ يقول (ص ٦ من هيا كل النور) : « ونفوسنا الناطقة أنوار حادثة ولها مرجح ولا توجدها الأجسام ، إذ لا يوجد الشيء ما هو أشرف منه ، فرجحه أيضاً نور مجرد ، فإن كان واجب الوجود فهو المراد ، وإن أمكن فينتهي إلى واجب الوجود الحي القيوم . وكان يدعو واجب الوجود نور الأنوار ، ولست أرى في ذلك أكثر مما أجده في قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » .

أما مذهبه في التصوف فمذهب الإشراقيين الذين يرون المعرفة إنما تنال بإشراق منه تعالى على قلوب مريديه ، وله في ذلك كتاب حكمة الإشراق ، ويحدثنا عن ذلك بقوله في الهيكل الثامن : « النفوس الناطقة من جوهر الملكوت ، وإنما يشغلها عن عالمها هذه القوى البدنية ومشاغلها ، فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية ، وضعف سلطان القوى بتقليل الطعام والشراب ،

وتكثير السهر ، تخلص النفس أحياناً إلى عالم القدس ، وتتلقى منه المعارف والمغيبات ، في نومها ويقظتها ، كمرآة تنتقش بمقابلة ذي نقش ... فيشاهد [المريد] صوراً عجيبة تناجيه ، أو يسمع كلمات منظومة ، أو يتجلى الأمر الغيبي » ؛ ومن أجل ذلك يرى أجسادنا المظلمة لا تستطيع أن تلج ملكوت السموات الذي تصل إليه الروح التي هي نور من أنواره تعالى ، منه مشرقها وإليه مغربها ، وهي لذلك تحن إلى مصدرها . وله في ذلك شعر قاله على مثال أبيات ابن سينا العينية بدأه بقوله :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لمغناها القديم تشوقا

وله أيضاً شعر على مذهب المتصوفة الذين يشتاقون الوصول إلى الحق ، والاتصال بالنور الأسمى ، كقوله :

أبداً تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح
وإذا همو كتموا تحدث عنهمو عند الوشاة المدمع السفاح

وكان الشهاب يؤمن بكرامات الأولياء التي قد يكون منها أن تخضع العناصر لإرادة الصوفي ، وقد قال عن ذلك في كتاب الهياكل (ص ١٢) . « وقد تطرب النفوس المتألهة طربا قدسيا ، فيشرق عليها نور الحق الأول تعالى ، فتخضع لها العنصريات ، ولما رأيت الحديدة الحامية تتشبه بالنار بمجاورتها ، وتفعل فعلها ، فلا تتعجب إن أشرقت النفس ، واستضاءت بنور الله تعالى ، فأطاعتها الأكوان إطاعتها للقديسين » .

فالشهاب — كما يبدو لي — رجل صوفي ، جمع إلى ثقافته الدينية ، وعقيدته الإسلامية ، ثقافته بفلسفة الإغريق وحكمتهم ، من غير أن يخرجه ذلك عن حدود الإسلام ، ومن أجل هذا أرى صلاح الدين قد تسرع بإصدار الحكم عليه بالقتل ، وأن العلماء الذين أفتوا بذلك ، فتبعهم صلاح الدين — كانوا مخطئين ؛ فليس ما خالف مذهب أهل السنة يعد كفراً وزندقة . ويقال : إن الملك الظاهر ندم على قتله ، وانتقم من الذين أفتوا بإباحة دمه ، وقبض على جماعة منهم ، واعتقلهم .

هذا ، ولابد أن قد كان لهذا القتل أثره في إخفات صوت الفلسفة ، وخنق كل صوت لا يدين بمذهب أهل السنة .

وقد اختلف معاصروه في تقديره في حياته وبعد مماته ؛ فهذا عبد اللطيف البغدادي يقول عند ما دخل الموصل : وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف ، ويعتقدون أنه قد فاق الأولين والآخرين ، وأن تصانيفه فوق تصانيف القدماء ، فهممت لقصده ، ثم أدركني التوفيق ، فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه ، وكان أيضاً معتقداً فيها ، فوقفت على التلويحات واللمحة والمعارج ، فصادفت فيها ما يدل على جهل الزمان ، ووجدت لي تعاليق كثيرة لا أرتضيها ، هي خير من كلام هذا الأنوك .

أما سيف الدين الآمدي فيراه كثير العلم قليل العقل ، ويروى أن الشهاب قال له : لا بد أن أملك الأرض ، فقال الآمدي : من أين لك هذا ؟ قال : رأيت في المنام كأني شربت ماء البحر . فقال الآمدي لعل هذا يكون اشتهاء العلم أو ما يناسب هذا . ولكن الآمدي لم يرجع عما وقع في نفسه . وربما كان ذلك منسوبا إلى الآمدي كذبا ، لأنا نستبعد ذلك على رجل مثل السهروردي أو كان ذلك صادراً عن رأيه في كرامات الأولياء ، وقد سبق لنا عرضه .

أما بعد موته ، فقد كتب كاتب على قبره بعد دفنه بظاهر حلب :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة ، قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الأيام قيمتها فردها غيرةً منه إلى الصدف

قال ابن خلكان : وأقمت بحلب سنين ، للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين في أمره ، وكل واحد يتكلم على قدر هواه ، فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد ، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح ، وأنه من أهل الكرامات ؛ وأكثر الناس على أنه كان ملحداً لا يعتقد شيئاً .

وللشهاب من المؤلفات كتاب التنقيحات في أصول الفقه ، وكتاب الألواح العمادية ، وهو مجالة في المبدأ والمعاد على رأي الإلهيين ، وكتاب التلويحات في ثلاثة علوم : المنطق ، والطبيعي ، والإلهي ، وكتاب المقاومات ، وهو لواحق على كتاب التلويحات ، وكتاب هياكل النور ، وقد شرحه جلال الدين محمد بن أسعد

الدوانى ، وكتاب علم الهدى وأسرار الاهتدا ، وكتاب اللمحات وكتاب المعارج ، وكتاب حكمة الإشراق ، وهو متن مشهور ، شرحه الأكابر — كما قال فى كشف الظنون — ومنهم قطب الدين الشيرازى ، وكتاب المشارع والمصارحات . وهى كتب فى المنطق والفلسفة والتصوف وله رسالة العزبة الغربية على مثال رسالة الطير لابن سينا ، ورسالة حى بن يقظان له كذلك ، وقد أشار فيها إلى حديث النفس على اصطلاح الحكماء .

ونختم هذه الترجمة بذكر ما وصفه به بعضهم من أنه كان زرى الخلقة ، دنس الثياب ، وسخ البدن ، لا يغسل له ثوبا ولا جسما ولا يداً ، ولا يقص ظفراً ولا شعرا ، وكان القمل يتناثر على وجهه ، ويسعى على ثيابه ، وكل من يراه يهرب منه . وعندى أن ذلك من وضع شانئيه ، ولو كان كما وصفوا ما خشى صلاح الدين منه فتنة أن يتبعه أحد .

وبعد فأرجو أن أوفق إلى دراسة كتب هذا الرجل ، فعساى أدرك سر قتله ، لأنى أرجح — إلى اليوم — أنه قتل مظلوما .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

خواطر سياسـية وأدبية

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

إن للأقوام أمزجة وطباعاً كما أن للأفراد ميزات وخصائص . وقد عرفت حينما كنت بالهند أن مما يمتاز به الشعب المصرى شدة التأثر بالحاضر ، وانشغال القلب بالحال إلى حد تكييف الماضى به وعدم المبالاة بالمستقبل فى بعض الأحيان ، وربما اتخذت هذه الميزة مظهرين لها أعنى قوة الانفجار والوثوب لمكافحة الشر المستفحل الماثل أمام العين ، والركون إلى كل قليل أو كثير يبشر بالخير ولو إلى وقت ما .

كنت أعرف هذا على طريق الإجمال قبل ورودى مصر ، ثم صادف أن ألقيت عصا التسيار بشط وادى النيل وقضيتها معروضة على مجلس الأمن ، فحرصت على أن أتتبع الحوادث والتطورات مع آراء الرجال واتجاهات الأحزاب إزاءها ، كما أقرأها على صفحات الجرائد وأشاهدها بعينى فى الشوارع والأندية .

فبينما أنا معجب كل الإعجاب بروح العداء للاستعمار الأجنبى السياسى (أخص بالذكر « السياسى » لأننى مع الأسف لم ألمس نفس تلك الروح فى ميادين الاقتصاد والتقاليد الاجتماعية ومنهاج الفكر) التى أيقنت أنها عمت الشعب كافة ، إذا بسيل من الكلمات تتدفق على صفحات الجرائد داعية إلى خطة التقرب من الدب نكاية بالأسد على أثر تأييد روسيا لمطلب مصر الخاص بالجلاء (دون اتحاد السودان معها) ، فأسهب المحررون والكتاب فى التنويه بصداقة روسـيا وضرورة استيراد القمح منها وإنشاء العلاقات الاقتصادية والتجارية معها هى ومن تسايرها من الأمم مثل بولندا دون الأمم الانجلوسكسونية .

وقفت حائراً أمام هذا الموقف المفاجئ أفكر فى نفسى فى مدى جدوى مثل هذه الحماسة البالغة فى الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر عليه فى ميدان السياسة الدولية فى القرن العشرين ، ولكن الأمر كان بالطبع موكولا إلى الأيام أن تثبت هل ستستقر سياسة العرب على هذا التحول الجديد أم لا ؟

* * *

ثم حدث أن رأيت الشبان يثورون على البن ويثأرون من أصله « البرازيلى » ، وما لبثت ثائرتهم أن سكنت بمجرد محو اسم البرازيل من واجهة المحل مع بقاء جميع الأوضاع كما هى حسبما أعلم ، كما أنهم يفتتنون بلصق لافتات « إنقاذ فلسطين » على أبواب المحلات الكبرى بشارع فؤاد وهم يعلمون حق العلم أن أصحابها اليهود هم فى الحقيقة عماد الصهيونية فى الشرقين الأدنى والأوسط ، وإنهم إنما يستغلون الوطنية والجنسية المصرية بدون أن يشاركوا المصريين فى آمالهم أو يواسوهم فى آلامهم .

* * *

هذا ، ومما زادنى دهشة أن اتفق زعماء الأحزاب على ركوب سيارة واحدة تطوف بهم حول القنصليات لتأدية واجب الشكر لبعض الدول والشكاية إلى بعضها الآخر ، وخطب ود (أو بالأحرى صوت) جميعها ، وربما كانوا مصيبين فى خطتهم هذه تظاهراً بإجماع رأيهم واتحاد كلمتهم ، ولا سيما إذا هم عجزوا عن الظهور فى مظهر أروع من ذلك ، ولكن آلمنى كثيراً البيان الذى أدلوا به أمام سفير فرنسا . ومن شاء فليراجع « الأهرام »

فقد لهجت ألسنتهم بذكر الآمال الجليلة التي كان العرب عقدوها بفرنسا منذ بداية العصر الحديث ، ومن بينها الأمل الضائع (لا قدر الله له أن يتحقق) في مزاحمة فرنسا للاستعمار البريطاني في مصر !

أنا واثق بأن كلا من هؤلاء الزعماء الكرام لا يريد إلا الاستقلال التام لبلاده ، ولكن من الصعب أن يجد أحد أي مبرر ولو في أشد الأوقات حرجاً لتوجيه مثل هذه الدعوة إلى دولة قد ذاق العرب في مختلف الجهات ولا يزال إخوانهم في المغرب يذوقون الأمرين من جراء استعمارها ، وعلى الأقل فهي الغاية لقصر النظر في الأحوال والظروف الطارئة من يوم إلى يوم

***

لم يمض إلا وقت قليل حتى كشرت روسيا عن أنيابها ، فكانت من أشد الأنصار لتقسيم فلسطين ، وبلغ الحال أن بدأ ممثلو العرب وزعماؤهم يستغلون موقف روسيا المداني لتخويف أمريكا وبريطانيا بعد أن ضيعوا أنفاسهم واتعبوا أقلامهم يستنجدون بصداقتها ضد تينك الدولتين منذ بضعة أشهر فقط .

وأخيراً لم يتمالك عرب فلسطين أن بادروا إلى رفع أعلام أمريكا على بيوتهم والهتاف بحياتها في الميادين والشوارع حينما خيل إليهم أن أمريكا نفضت يدها من مشروع التقسيم . وما من شك أن مثل هذه المظاهرة لايمكن أن تكون طبيعية ، إنما كانت مدبرة من الزعماء الذين تسرعوا في الاعتزاز بأنفسهم والتبشير لشعبهم والتسليم لأمريكا بما يتاجرون به من صداقة العرب .

لا أدري ما ذا صنعوا بتلك الأعلام في اليوم التالي حينما صرح الرئيس ترومان بأن العرب أو زعماءهم جاوزوا الحزم في حمل موقف أمريكا الجديد على التبرؤ من فكرة التقسيم . لا أدري ماذا صنعوا بتلك الأعلام ؟ هل نكست ومزقت وحرقت ، أو ادخرت لمناسبات أخرى في المستقبل ؟ وعلى كل حال فقد تبين أن السياسة القصيرة المدى التي نعيش بها من اليد إلى الفم ربما تؤدي إلى مهازل وفضائح ومآسي ، وإنما مرد ذلك إلى أن الزعامة لا تزال بأيدي رجال لا يتصدى فكرهم نطاق التحين للفرص ، فهم يتهيبون ويماطلون في كل خطوة إيجابية جريئة ترمي إلى قلب الأوضاع وخلق الظروف المواتية لقضيتهم ، وذلك أول الوهن .

***

إنما سردت ما سردت من تأثراتي لأهم ما وقع في العالم العربي السياسي أثناء البضعة أشهر الماضية لأخلص منها إلى الكلام عن أهم حادث في العالم الأدبي ، أعني ظهور « الفتنة الكبرى — عثمان بن عفان » من تصنيف الدكتور طه حسين . وقد اتفق لي أن قرأت انتقاد الأستاذ محمود محمد شاكر لهذا الكتاب قبل أن تتاح لي الفرصة لمطالعة الكتاب نفسه .

نعم ، قرأت انتقاد الأستاذ على صفحات « الرسالة » ، فعجبت لما بذل من جهد في سبيل إقامة الحجج والبراهين على عداء اليهود المسلمين والإسلام . وما أغناه عن ذلك فإنها حقيقة أظهر من الشمس لكل ذي عينين نبه عليها القرآن وأكدها النبي وصدقتها التجارب المتكررة . إنما جبن المسلمون فتعمدوا نسيانها والإعراض عن الشهادة بها حينما ذهبت ريحهم فأصيبوا بمركب النقص في تفكيرهم حتى بدأوا يلتمسون الرقي والتقدم في محاكاة الأمم الغربية المتحكمة فيهم ، فأقاموا حياتهم السياسية الحديثة على أساس النظريات الأجنبية غير الإسلامية من القومية والوطنية ، وأرادوا أن يستمدوا القوة من الاشتراك في الماء والهواء وبعض الأغراض المادية التي هي الأصل عند الكفار ، والمشركين الذين لا يعيشون إلا لها . أما المسلم ، فإنما يعيش بها لتحقيق المبادئ السامية والقدور العالية والأخلاق الفاضلة ومقاييس الصواب والخطأ والحلال والحرام التي هي المقومات الجوهرية لكل حلف دائم ليتتبع ولاء صادقاً ، والتأمين على الغش وطغيان طائفة على أخرى ، ولكن أتى على المسلمين زمن سولت لهم أنفسهم فيه أن يخجلوا ويتبرءوا من كل ما ينم عن فكرة دينية ، حتى ولو كان من المبادئ المقررة والحقائق التاريخية الثابتة لكي يتسنى لهم الحصول على لقب « المستنيرين » من عدوهم الذي بهرهم بقوته وشوكته .

قد فعل المسلمون ذلك وظنوا ولا يزال كثير منهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً ، ولذلك استبشرت بخير كثير حينما قرأت مقال الأستاذ محمود محمد شاكر يحدثنا فيه عن العلاقات بين المسلمين واليهود عسى أن تسفر محنة فلسطين عن نعمة عظمى ، ألا وهي الانقلاب في الفكر السياسي عند العرب بحيث يتأكدون أن التسامح لا نقام له أي وزن إلا إذا جاء من قوى يقظ شديد المراس مستكمل العدة ، مستقل بنفسه ، قادر على قلب ظهر المجن

المذهبية والأنظمة الاجتماعية .

أما معارضة السوفيات وحلفائهم فكانت تستند إلى نقطتين في الفلسفة الماركسية .

فالميثاق العالمي الجديد يعترف للفرد بالحرية الاقتصادية بمعنى أن لكل إنسان الحق في امتلاك أسباب الرزق ووسائله والسعي لتنميتها بشتى الطرق المشروعة دون أن يتقيد بالتزامات الاقتصاد الموجه الذي تدعو وتعمل له الشيوعية عملا بالمبدأ الماركسي القائل « من كلّ حسب طاقته ، إلى كل حسب حاجته » . ولذلك فإن روسيا السوفياتية وحلفاءها الشيوعيين وجدوا في هذه الحرية الاقتصادية التي نص عليها الميثاق مخالفة للمبدأ الشيوعي فرفضوا الأخذ بها .

ونقطة المعارضة السوفياتية الثانية هي نص الميثاق على أن للفرد الحق في رفع مظالمه ضد الدولة حين تعتدي على حقوقه وتنتهكها إلى محكمة عالية ستنشأ لهذه الغاية كما أسلفت . وقد احتج الروس بأن في هذا التخطي — تخطي الفرد سلطة الدولة إلى سلطة عالية — تعديا على سيادة الدولة ، وهذا ما لا يرضى به الروس والغريب في منطق السوفيات هذا أنه يخالف الهدف الرئيسي للعقيدة الماركسية الذي يسعى لإزالة الدولة كنظام اجتماعي بعد أن تتحقق سلطة الطبقات العاملة (البروليتارية Prolitariat)

وقد رد مندوب الفلبيين الجنرال رومولو على هذه المعارضة الروسية قائلا أن الميثاق ينص في مقدمته على أنه ميزان العدالة لجميع الشعوب في جميع الأمصار ، فإذا أخطرت دولة في مؤتنف الزمن أنها تتنازل عن بعض أوجه سيادتها لتحقق نظاماً عالياً جديداً يدين بمبادئ إنسانية راسخة لصالح الإنسانية جمعاء ، فلا بأس من هذا التنازل . وإلا فلماذا تحاول الأمم أن تحل مشاكلها ومشاكل السلم والحرب والرخاء عن طريق التعاون والتكافل الدولي ؟

هذا الميثاق الجديد الذي نحن بصدده هو وليد مناقشات — بعضها بلغ منتهى الحدة — استمرت عامين ونصف العام لعب فيها الدكتور شارل مالك مندوب لبنان في هيئة الأمم ورئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي دوراً رئيسياً اعترف به وقدره مندوبو الأمم المتحدة في عبارات التقريظ التي أعقبت مرور الميثاق في الجمعية العمومية في جلساتها الختامية بقصر شايو بباريس . فقد كان الدكتور مالك مقرراً للجنة التي وضعت الميثاق ، وقد صاغ كثيراً من مواده في بلاغة وحكمة استدعت الفخر والإعجاب . لأن الدور الذي قام به المندوب العربي دل على الكفاية الكامنة في الشعوب الصغيرة إذا أعطيت الفرصة وتوفرت لها الرعاية قامت بخدمات فريدة .

وبعد . فإن ميثاق حقوق الانسان لا يزال حبراً على ورق . ترى هل يقدر له أن يلعب الدور الذي لعبه في تطور الحرية الفردية « الماجنا كارتا » وتعاليم الثورة الفرنسية ؟

الجواب في مدى التعاون الذي سيسود العلاقات الدولية في السنين القادمة ، ومدى رسوخ الاستقرار في عالم مضطرب .

(نيويورك) عمر حليق

أبو خليل القبـــانى

باعث نهضتنـــا الفنية

وهجرته إلى الديار المصرية

للأستاذ حسنى كنعان

— ٤ —

خضع الوالى « فاضل باشا » لإرادة عبد الحميد جبار بنى عثمان وأغلق مسرح القبانى ومنعه عن العمل على كره منه ، ولو توانى وقتئذ فى تنفيذ الإرادة السنية ، لكان طعمة للأسماك فى بحر مرمرة مقبرة الأحرار السلبيين ... ففرح خصومه الذين كان على أيديهم هذا الصفر ، وجزع عليه عشاقه وعارفو فضله وهم الأغلبية الساحقة فى البلاد ، ولكنها إرادة الجبار المجتثة من إرادة الله . فلم يجرؤ أحد على ردها . وما كان علماء دمشق جميعهم راضين عن إقفال هذا المسرح ، لأنهم كانوا يرونه مهذباً للأخلاق معواناً على الوعظ والارشاد ، وبث الأخلاق الفاضلة وتجنب الرذيلة ، حتى أن شيوخ القبانى الذين كانوا ينكرون عليه هذه النزعة فى مطلع حياته أضراب المفتى الشيخ محمود حمزة ذى النزعة الصوفية ، والشيخ واعظ السجدة وكبار العلماء المنقضين ، كانوا لا يتورعون عن حضور مجالسه ومشاهدة رواياته الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية المأخوذة من صور حياة البيئة التى ولد فيها ودرج فى أفيائها ، لأنهم ما كانو ليروا فيها من الأمور المحرمة ما يخالف مبادئهم . أما الذين كانوا يناوئونه من أرباب العمائم الذين اتخذوا من هذه « الخرقة » التى تستر رءوسهم الفارغة وسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية فى ذلك العهد ... وهم ليسو على شئ من العلم ، ولقد لاقى القبانى من جور هذه الفئة وعثوها وفتنتها وشغبها ما زهّده فى الحياة وجعله يقيم فى منزله معتزلا الناس لا يرى أحداً ولا يراه أحد ...

ولقد طال اعتزاله الناس والبعد عنهم حتى كادوا ينسونه ، وإذا ما فكر مفكر منهم فيه خاف جفوة السلطان وغضبه ... وكان هؤلاء الخصوم المرتزقون المتكسبون الذين طالما قادوا من أعطيات صاحبهم ومنحه ومبراته يغتنمون فرصة جور سلطانه وكلب زمانه فيركبونه بالشغب والازعاج كلما أبصروه على سبيل المصادفة فى طريقهم حتى أنهم كانوا يتبعونه الصبية المأجورين لهذه الغاية فيترسمون خطاه ، ويسمعونه من المدائح « والقريديات »(١) والأهازيج الموضوعة من أجل إغاظته وإزعاجه ما يندى له جبين الفضيلة والأخلاق كقولهم له :

أبو خليل النشواتى — يا مزيف البنـــات
إرجع لكارك أحسن لك — إرجع لكارك نشواتى
أبو خليل مين قال لك — على الكوميدى مين دلك
إرجع لكارك أحسن لك — إرجع لكارك قبانى
أبو خليل القبـــانى — يا مرقص الصبيـــانى
إرجع لكارك أحسن لك — أبو خليل القبـــانى

وكانت هذه الأهازيج تقض مضجعه ومضجع مريديه ، ولكن من ذا الذى يعارض ويدافع عنه وهو مجفو من السلطان والناس فى مثل هذه الساعات يظهرون معاداتهم لمثل من يكون هذا شأنه معهم ؟

وكان القبانى كثيراً ما يبقى شارد النوم موزع الفكر واللب من جراء ما يلقاه إلى أن أخذ يفكر فى الخروج من هذا المحيط الضيق الذى ضيقوا عليه فيه واسماً . وفى ليلة من ليالى الشتاء العابس نبا به مضجعه وند النوم عن مقلتيه لشدة ما عراه من الفكر والهواجس ؛ وما أكثر الليالى الطوال التى كان يشرد فيها النوم عن عينيه ! وكان قد رنق النوم أجفانه فى الفجر فهب بعد ساعتين من هجمته على أثر سماع هاتف خيل إليه أنه يهيب به قائلا : أيها الراقد المتناوم المؤرق هب من ضجعتك واطرد عنك الهم والحزن ، فإن مستقبلا لامعاً يعد لك وهو ينتظرك فى غير هذى البقعة الضيقة ... قم وابحث عن غير هذه المواطن التى تدفن فيها العبقريات : ...

إذا ضاق صدرك من بلاد — ترحل طالباً أرضاً سواها
فإنك واجد أرضاً بأرض — ونفسك لم تجد نفساً سواها

نخف على أثر سماعه صوت الهاتف وجعل يخطر فى غرفته ذهاباً وإياباً وبصيح بملء صوته : وجدتها وجدتها ...

(١) القريديات : هى الشعر العامى

فصاحت به ربة الدار حانقة غاضبة ومن هي التي وجدتها يا رجل ... ؟ كفاك كفاك هراء ، لقـد أمرضتني والله وأزغت عقلي بهذه الموجات الجنونية التي تواتيك الفينة بعد الفينة لا نوم ولا راحة ولا استـكانة ولا شغل لك إلا بهذه الهواجس والفـكر . إن الذي ألقاه منك ويلقاه بنوك الصغار قد يضيق الصدر منه ، ويعز الصبر عليه ، لا عمل لك ولا شغل إلا هذه المهاترات . ارجع إلى صناعتك الأولى وأرحنا من هذا العنـاء وخلصنا من شبح الـكوبة ، قل لى : بالله ما الذي جنيته من الأموال وما الذي اكتنزته من وراء هذه الصناعة صناعة التمثيل؟ إنك والله ما جنيت منها سوى التعب ومعاداة النـاس وجور السلطان ، وعار الأبد . إنك منذ مزاولتك هذه الصـناعة قد ألبستني ثوب العار ، كما جلبت لنفسك ولرهطك مذلة الأبد بهذه « الضربويات » التي نسمعها والتي درجت على ألسن الناس مدرج الأمثال . وهل إنسان في الـكون يطيق سماع عبارات كالتي توجـه إليك ، وفيها التحقير والتشهير ، وأنت إلى هذا لا تستطيع أنت وصحبك أن تصنعوا شيئا ، أرأيت أن عبارة :

أبو خليـــل يا بومـــه يا بو اللفـــه الرومى

اعطيني من ذقنك شمره لأصـــلح ها لبيتونى (١)

لو وجه مثلها إلى أحقر إنسان في العالم أكان يصبر عليها ويرضى هذا الذل .؟

وهنا استشاط القباني من الغضب والحنق وصاح بها مجيباً : على رسلك يا امرأة ، وما تضيرنى هذه الأهازيج والأقوال ، ولو كانت هذه العبارات تضر إنساناً أو تحول دون وصوله إلى غاياته وبلوغ أمنيته ، لأضرت بالعظماء وبالنبيين قبلى ، لأنهم كانوا يلاقون من عنت الناس وجورهم ما لا يقاس ما لقيته بشئ تجاه مالقوه ، ومع هذا فقد مضوا فى عملهم . صابرين مستـكينين إلى أن أدوا رسالاتهم تامة غير منقوصة ، وجنوا ثمار جهودهم بأن خلدوا لهم ولأمتهم أحسن الذكر . فـكونى متفائلة يا امرأة . والذى آمله منـك التشـجيع ، وليس كالمرأة الصالحة معوان للرجل . فاستحيت هنا « أم خليل » ولامت نفسها قائلة « وأنا مالى أم علي تندب على » وهنا نهض القباني المؤرّق المتعب المكدود الذهن من فراشه وهو يردد قوله وجدتها والله وجدتها وجدتها ... ثم أمسك بيده قلماً وورقة و كتب بها رسالة إلى صديق له فى الاسكندرية يدعى « سعد الله بك حلابو » وهو حمصى الأصل ومن أكبر تجار هذه المدينة الساحلية العظيمة ، وله مراكب تجارية تمخر عباب البحر وتنقل البضائع الصادرة والواردة إلى المدن والقرى الساحلية .

يستطلع رأيه فى الرسالة بالشخوص إلى الاسكندرية . ولما اطلع حلابو على الرسالة وفهم فحواها طار فرحاً ، وجعل يمر بها على أصدقائه ويزف لهم بشرى شخوص هذا النابغ إلى الديار المصرية ، وكانت شهرته قد بلغت مسامع الـكثيرين من المصريين . ولم تـكن فرحة صديقه بالتي تذكر أمام فرحـة هؤلاء المشتاقين من هواة الفن الذين يرغبون فى اجتلاء طلعة هذا النابغ الذى طبقت شهرته الآفاق . وفى الحال أجابه صديقه التاجر الحمصى يزين له المجيء إلى الاسكندرية ، وأفهمه أن القطر المصرى فى انتظار قدومه وفى انتظار الحظوة بمشاهدة روائع فنه . وكان على أهبة السفر ساعة أتاه الجواب بلزوم الهجرة إلى القطر العزيز « بوتقـة » العبقريين ، إذ ما من فنان أو مشرد طريد من بلاده مضطهد أمها إلا لقى فى هذا القطر أهلا يحضنونه ويحدبون عليه ، وأنا أعرف كثيراً من الفنانين الطريدين الذين أنـكرتهم بلادهم قد بسم لهم دهرهم على جنبات هـذا الوادى الخصيب وكانوا من ألمع الشخصيات فى فنهم ...

لم يأخذ القبانى معه أسرته ولم يأخذ معه جوقته إلى الديار المصرية يوم نزح إليها مهاجراً مشرداً طريداً كما ترى ... بل ذهب بمفرده ، وكان سرور القوم به عظيما جداً ، وما استقر قدمه فى الاسكندرية حتى خف إليه عشاق فنـه من كل صوب ، وبلغ من شهرته أن غدت الوفود المهنئة تفد عليه من القاهرة ، وكان مغتبطاً مسروراً بما لقى من ضروب الـكرم وحسن الوفادة

وأخيراً حبب إليه عشاق الفن أن يؤم القاهرة ويفتح بها مسرحاً . وهناك أقاموا له مسرحاً فى الأزبكية ، فاستقدم على الفور كبار رجالات جوقته من دمشق وأخذ يزاول العمل بهمة

---

(١) البيتون باللغة الشامية هو الحناء

الشعر فى السودان

للأستاذ على العمارى

-٦-

لم يكن غرضى فى هذه الأحاديث أن أعسر الحساب مع شعراء المدرسة القديمة، ولا أن أتتبع هفواتهم، وأخطاءهم، وإنما أردت أن أكون مؤرخا. وهذا هو الهدف الرئيسى لهذه البحوث، فإذا صحب ذلك شىء من النقد فإنما هو استطراد واستتباع، وليس من الإنصاف أن نغوص فى ثنايا هذا الشعر محققين مدققين، وحسبنا أن نقف هذا الموقف (السمح) وأن نلمس هذا الشعر لمساً خفيفاً رفيقاً وأن تبرز صفاته العامة، ونكشف سماته المشتركة، دون أن ندخل فى التفاصيل فنحكم لشاعر على شاعر، أو نضع الشعراء فى طبقات كما كان يفعل بعض النقاد القدامى، فذلك مالا أريده، أو بالأحرى ما أعتقد أنه عن غرضى بمنأى، وإنما كان الإنصاف فى مسلكى الذى سلكته لأنه يكفينا من هؤلاء الشعراء أنهم قالوا الشعر فى تلك الأيام الخوالى بل قالوه فى أغراض لم تكن البيئة مهيأة لقبول القول فيها.

ولعلى بهذه الكلمات أكون قد أجبت ذلك الفاضل الذى كتب إلى (يلومنى) على أنى أكتب بقلم المؤرخ لا بقلم الناقد وأتجاوز عن أشعار كان الواجب يقتضينى أن أكشف للقراء بهرجها، ثم أمضى إلى الغرض.

فى حديثى السابق تحدثت عن شعر النسيب، وذكرت أن كبار العلماء قد خاضوا فيه، وفى حديث أسبق تحدثت عن مكانة المدائح النبوية وكثرتها عند السودانيين، وكان وقع فى نفسى حين وجهت النظر إلى كتابة هذا البحث أنى سأظفر بقصائد رائعة فى الغزل على طريقة (ابن الفارض) فإن جميع الأسباب كانت مهيأة لهذا الغزل الإلهى، فكثير من العلماء الزهاد شعراء، وقد بدت رغباتهم فى شعر الغزل. ولشعر ابن الفارض مكانة خاصة عند المتصوفين من هؤلاء العلماء، ولكن شد ما أخذ منى العجب حين لم أجد من هذا النوع شيئاً تطمئن إليه النفس، ولاشك أن خلو الشعر السودانى من هذا النوع — وقد تهيأت أسبابه — أمر يدعو إلى العجب.

ولمكان الدين عند الشعراء لا تجد الهجاء غرضاً ذا بال فى أشعارهم، والذين قالوا فى هذا الغرض لم يطيلوا فيه، بل ربما ذكر البيت والبيتين ومروا به مروراً سريعاً. ومن القليل أن ترى هجاء مستقلا، وهو — مع ذلك — لا يعدو الطريقة العامة من الرمى بالنفاق والغدر والكبر، وربما رق الهجاء وتبذل ولكنه بعد ليس أليم الوخز، ولا نافذ السهم، يقول الأستاذ صالح عبد القادر يهجو ذليلا أحدث نعمة فطغى أن رآه استغنى، فى قصيدة مطلعها.

لا تفرحنّ بنعمة ... إن الزمان له انقلاب

وبعد أن وصف الزمان وأنه محكم يرفع الذئاب إلى مرتبة الأسود، وينقل الملك المظيم من سرير الملك إلى أعماق القبر قال:

ولقد رماك الدهر حـ ... ـتى هنت فى نظر الكلاب
أنا على مـاضيك لم ... نسدل ستاراً أو حجاب
أنسيت نومك فى الترا ... ب فصرت تحكم فى الرقاب
أنسيت أيام (البليلة) ... والبسارة والهباب
فغدوت تأكل ما علمـ ... ـت وماجهلت من (الكباب)
جـل المهيمن إنه ... يهب الأنام بلا حساب

لا تعرف الملل والكلال، ثم استقدم أفراد أسرته وسكن القاهرة ناسياً بما لقيه من تشجيع وتنشيط كل ما لقيه فى دمشق من ذل ومهانة ...

وكان التمثيل مجهولا فى هذه البلاد التى قطنها، ولذا أقبل أهلها على مشاهدة رواياته إقبالا منقطع النظير، وعاد إليه حظه الباسم وحياته المرحة. ومن أشهر رواياته التى فتن المصريين بها رواية عنترة، أنس الجليس، ناكر الجميل، « متريدات » « عفيفة » ملتقى الخليفتين، « الكوكبين » « الأمير محمود » « السلطان حسن » « أسد الشرى » « لويسا » وغيرها من الروايات التى سحر الناس بها، وزيادة فى الافتتان بهذه الروايات طبعها عازفو فضله وتداولتها الأيدى، وأمست شغل الناس الشاغل ...

ينبع — دمشق حسنى كنعان

وإذا وصل بنا القول إلى هذا الشعر الفكاهى فإنا نقول إن الفكاهة ليس لها مكان فى البيئات المتدينة ، بل إن الشعب السودانى لا يكاد يقبل عليها ، وربما كان لذلك أسباب كثيرة غير التدين ، ومن الممكن أن نقول أنه ليست هنا فكاهة مستقلة . ولقد دأبت بعض المجلات السودانية على أن تنشر طرائف يتفكه بها القراء فكان اعتمادها على ما ينشر فى المجلات المصرية ، ونتيجة لهذا قلت الفكاهة فى الشعر السودانى ، على أنا نلمحها لمحاً فى بعض القصائد ، فهى لا تكاد تأخذ إليها نظر القارىء ولا فكره . وربما جاءت فى أثناء الهجاء ، أو فى معرض شكوى ، أو فى رثاء شىء فقده شاعره ، وقد تكون الشكوى مرة عميقة ولكن الشاعر يسوقها فى شعر خفيف يظنه القارىء يميل إلى الفكاهة ، وما هو إلا الجد فى معرض الهزل ، يقول الشاعر الشيخ حسيب فى (مرتبه) .

أمرتبى مالى أراك (م) قصرت عن نيل المراد
أشكوك أم أشكو إليك نوازل المحن الشداد
الشهر باق جله وبقاك آذن بالنفاد
أنا إن حييت سأشترى حظى بأطراف الحداد
أما اليراع فإننى لم أجن منه سوى الكساد
يا صاحب الدرجات والقانون والرأى السداد
أطلق فداك مرتبى بعض القيود لكى يزاد
رفقاً بمن قيدته بقيود (ثامنة) شداد
فكأننى وكأنه ظمآن آل فى وهاد
وكأننى متقلد من غير ما سيف نجاد

ولقد أعجبنى حقاً هذا التشبيه ، تشبيه موظف فى الدرجة الثامنة ، والحياة عليه قاسية ، ومرتبه لا يفى بضروريات عيشه ، برجل متقلد نجادا ، ولكن ليس معه السيف ، فيخاله الناس صاحب سيف يرد به حوادث الأعداء ، فإذا هو أعزل ليس له من السيف إلا حمالته التى لا تدفع عدواً ، وهذا يسميه الناس موظفا ، ويرونه يروح ويغدو على عمله ، وربما حسدوه ، فإذا هجمت عليه عوادى الأيام ، وحزبته ضرورات العيش ، فتش فى جيوبه ليجد ما يردها ، ولكنه لا يجد إلا نجاد السيف ؛ أما السيف ففى أوهام الناس وخيالاتهم .

وهذه قصيدة فى رثاء ساعة فقدها الشاعر فبكاها ، وليس لشعراء السودان اتجاه — إلا قليلا — للقول فى الأشياء الصغيرة ، وكأنهم لا يرون الشعر إلا ما كان فى مدح أو هجاء أو رثاء ، ولكن هذا الشاعر تظرف فقال فى ساعته :

لى ساعة معروفة بالصدق فى جنح الظلام
لا البرد يوقفها ولا يودى بسرعتها الغمام
اغتالها الدهر الخئون ، وليس سلما للكرام
لم يغن عنها حصنها جيب القباء أو الحزام
أحفيظة الوقت الثمين وخير ساعات الأنام
أصبحت بعدك فوضويا لا أساس ولا نظام
أبداً تحث على المضى إلى الأمام إلى الأمام
تفديك ساعات تؤخر أو تقدم أو (تنام)

أما الجد فهو السمة الغالبة على الشعر السودانى كله ، ولا سيما حين يفخر الشاعر أو يصور بعض أحوال قومه ، فهذا[1] يقول :

أيها الدهر أنا من معشر حكموا الرأى وهزوا العلما
فاسأل العالم عنا إننا أمة كنا وكانوا عدما
من لقومى إنهم قد أهملوا ما بنى آباؤهم فانهدما
يا بنى قومى أفيقوا أنكم ما خلقتم لتعيشوا (غنما)
ليتنى أعرف ما أخركم سادة كنتم فصرتم خدما
ولقد يحزننى أنى أرى رأيكم مختلفاً منقسما

وذاك[2] يقول :

كم وقفة لى أبكيت الجماد بها أسمعته وهززت النيل والهرما
حليت عاطل جيد الدهر منه بما ودالغوانى لوأن جيدها نظما (كذا)
مضى زمان وقلبى ممتل ألما وفى فؤادى أسى كالنار مضطرما
حزناً على أمة بالنيل نائمة تشكو الأواروأخشى أن تموت ظما

وأما القول فى الخمر فهو قليل ، وطبعى أن يقل القول فى هذا الغرض لسيادة التدين على النفوس ، على أنا نجد بعض الشعراء يتغاضى عن عواطف الناس ، ويقول فيها ما يحلو له ، فهذا عثمان هاشم يجاهر بالقول فيها ، مع ما لبيته من مكانة دينية يقول :

أدر الراح علينا باليمين تحت ظل الورد بين الياسمين

---

(١) هو الأستاذ صالح عبد القادر محرر مجلة (هنا أم درمان) .

(٢) هو الأستاذ عبد الرحمن شوق .

ضن رب الحان للشرب بها واصطفاها إذ رآنا قادمين
ملأ الأقداح منها بعد ما راضها بالمزج من ماء معين
فشربناها غبوقاً فى الدجى ووصلناها صبوحاً بالأذين

وأنا شديد الإعجاب بهذه الاستعارة الفذة (راضها بالمزج) فإن الخمر — على ما أعرف من قراءاتى — تكون كالفرس الجموح فإذا صب عليها الماء هدأت وسكن بعض سورتها ، وكم بين رياضتها بالمزج فى قول هـذا الشاعر ، وبين قتلها بالماء فى قول حسان بن ثابت :

إن التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كم بينهما من مشابه يعرفها الخبيرون !

هذا . وبقى أن نسرج النظر قليلا فى أسلوب هذا الشعر ، فنقول إن الطبائع العربية ، واللهجات العربية أظهر ما تكون فى سكان السودان ، وكثير من الكلمات العربية الفصيحة يستعملها العامة كما يستعملها الخاصة ، وهنا — كما فى كل مكان — ألفاظ خاصة لها حظوة فهى كثيرة الدوران على الألسن ، فإذا فتشنا عن هذه الألفاظ لا نجد لها فى الشعر أثراً ، كما أنا نفقد الألفاظ الجزلة ، والأساليب الضخمة ، مع أن كثيراً من الشعراء كانت لهم أقدام رواسخ فى اللغة والأدب ، لكن الشعراء مقرمون بالبديع ، وربما تكلفوه تكلفاً ، فالجناس والتورية ، وحسن الابتداء وحسن التخلص ، من مقاصدهم الشعرية ، فمن التورية قول أحدهم في صديق له اسمه شوقي :

إن نسوا ودك يا شوقى فما أنا إلا حافظ ما جهلوا

وقول الآخر :

ولست بخائف حصرا وعيا وشوق فيه يملينى نشيدى

ومن الجناس قول الشيخ عبد الله عبد الرحمن يخاطب الأستاذ على بك الجارم حين زار السودان :

أما استعارات البيان فإنها عبء ينوء به الشباب ثقالا
يجرون أميالا ولا يجرونها ويرون فى طرقاتها الأوحالا
ها (عرضحالى) يا على مقدماً ماحائل من دون عرضى حالا

ومن حسن التخلص قول الشيخ محمد عمر البنا :

وليل بت فيه سمير أنس قرير العين مشروح الفؤاد
كأن صفاء أنجمه علينا أيادى الشهم عثمان الجواد

وللشعراء ولوع بالتأريخ الشعرى ، وله أمثلة كثيرة فى أشعارهم ، وقد ينظمون شعراً يمكن قراءته على وجهين ومن ذلك قول الحبر الجليل الشيخ الأمين[1] الضرير من قصيدة نبوية كبيرة :

حمداً لمن أبدى لنا سبحانه من أمننا بهداه إذ قد صانه
نسباً صريحاً عن خنى ومكانه فى القرب لم يدرك رسول ذوثنا

فيمكن جعل هذين البيتين ثلاثة ، فتكون نهاية البيت الأول (أمننا) ونهاية البيت الثانى (عن خنى) وهكذا كل القصيدة .

وبعد فقد امتد بنا نفس القول فى شعر هؤلاء الشعراء الذين كانوا الهداة الرائدين ، وما بلغنا الغاية ، ولكننا سنكتفى بما قلناه ، لنفرغ لشعر شباب السودان ، ونرى إلى أى شوط جروا فى نهضتهم الشعرية ، ونأمل أن نبلغ من ذلك وطرا ، ونستعين الله ، وبه التوفيق والسداد .

على العمارى
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

(١) الشيخ الأمين محمد الضرير كان من علماء السودان الأعلام ، ويقول عنه صاحب (شعراء السودان) : « كان سيداً مطاعاً فى عشيرته ، نافذ الكلمة عند الحكام ، شجاعاً ، منتصرا للحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وهو عدا ذلك شاعر من الشعراء الفطاحل تنم قصائده عما حوى ذلك الصدر الرحيب من سعة الاطلاع ، والتبحر فى اللغة والأدب » وأقول . وهو كذلك وقد ربى جيلا من علماء السودان وأدبائه لا يزالون يقرون له بالفضل ، ولا يزال العلم والفضل فى ذريته ، وتلاميذه (على) .

الصراع الفكرى فى تركيا (*)

عرض وتلخيص

للأستاذ محمد محمد على

إن التفاعل بين الأفكار الإسلامية والغربية موضوع على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للعرب فضلا عن الأتراك الذين احتلوا مركز الصدارة فى العالم الإسلامى خمسة قرون ...

اتصل الأتراك بالإغريق ، بعد دخولهم الإسلام فى أوائل القرن الحادى عشر ، ثم عن طريق الفلاسفة ، وفى السنوات الأولى من العهد الإسلامى كان الأتراك فى شك من نجاح الإسلام المطرد . بيد أن مقدرة الدولة العربية على تنظيم شئونها الاقتصادية والاجتماعية وقفت أمامهم ، ثم إن « شخصية » الإسلام الواقعية والحازمة لاءمت المزاج التركى . ولقد دافعوا فى يوم من الأيام بحرارة عن دينهم الجديد .

ويرى البيرونى — أكبر رياضى القرن الحادى عشر — أن الحضارة الإسلامية كانت امتداداً للحضارة اليونانية . ومع ذلك فيجب أن نقرر أن المؤثرات اليونانية كانت ضعيفة ، إذ كتب الفلاسفة وناقشوا المشكلات الفلسفية واللاهوتية ، لكن الفكر الإسلامى لم يتقدم إلا بين الجماعات المعارضة وبين هؤلاء الأحرار الذين اشتهروا فى تاريخ الإسلام مثل المعتزلة أو العقليين .

ولعل الفارابى — الذى لا ينفى أصله التركى — أحد الفلاسفة الإسلاميين الذين حاولوا شرح الأفكار الإسلامية كما جاءت فى القرآن مع فلسفة أرسطو وأفلاطون . فقد كان أول فيلسوف إسلامى أعطى أهمية كبرى للأفلاطونية الحديثة فى الفلسفة الشرقية ، كما كان أول من عرض مشكلة العلاقة بين الروح والعقل . وجاءت أعمال الغزالى فى القرن الثانى عشر مكملة لأعمال الفارابى . وتطورت الروحانية حتى الأزمنة الحديثة واتخذت فى النهاية شكلا مغايراً ، وتميزت بتغلب العاطفة على العقل ، ثم فقدت طابعها الفلسفى .

بلغ الفكر الإسلامى هذا الطور فى القرن الثالث عشر حينما سيطر السلاجقة على هضبة آسيا الصغرى ، وهم سلالات الأتراك العثمانيين وأجداد سكان تركيا الحاليين . وكان يدرس فى مدارسهم الفقه والإلهيات فحسب ، وتشكلت الدراسة دائماً بطابع القرآن الكريم والسنة الشريفة . وفى النصف الثانى من القرن ظهر الشاعر الصوفى والفيلسوف الكبير جلال الدين الرومى [1] فندد بالجهل الذى خيم على الناس تجاه المسائل الفلسفية . ومن الواضح أن العلوم العقلية والفلسفة اليونانية فى مظهرها الحقيقى لم تكن قد ظهرت بعد حيث يقطن الأتراك اليوم .

وفى القرن الخامس عشر ، بعد تكوين الامبراطورية العثمانية بقرن ونصف ، كان الفكر الإسلامى لا يزال متخذاً الطابع المدرسى من دراسة الأدب والفقه ؛ ولئن كانت تناقش الفلسفة والعلوم العقلية وأفلاطون وأرسطو ، فإننا لا نلمح أى أثر للروح الفلسفية الانتقادية التى ميزت الفلسفة اليونانية . وفى ذلك الوقت كان الشاب الذى لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره : محمد الفاتح قد اتصل بجيرانه الأوربيين . وقد دخل القسطنطينية عام ١٤٥٣ على أنقاض الحضارة الغربية فى الشرق . واهتم السلطان الفتى بالمدرسة الفلسفية اليونانية التى كانت أساساً لجميع الأفكار فى العصور الوسطى فى غربى أوربا ، وبلغ اهتمامه بدراسة اللاهوت حداً جعله شغوفاً بالمسيحية وكانت رغبته فى الواقع هى الدراسة المقارنة للدينين العظيمين والميتافيزيقا ، وذلك ليوجد الاختلاف بين العقل والروح . كان يحاول أن يخلق تفاعلا وتداخلا بين الحضارتين الإسلامية والغربية ، على أن يكون للنظرة الانتقادية المحل الأول .

لكن ينبغى أن نقرر أن هذه الجهود لم تكلل بالنجاح ، وأن تركيا عادت يوماً إلى جمود العصور الوسطى الذى استمر حتى

(*) ملخص مقال الأستاذ عبد الحق عدنان أديفر المنشور فى عدد يولية سنة ٩٤٧ من مجلة الشرق الأوسط التى تصدر فى واشنطن أربع مرات فى السنة . والأستاذ رئيس تحرير الطبعة التركية من دائرة المعارف الإسلامية . وهذا المقال الذى نعرض ملخصه اليوم كان قد تقدم به إلى مؤتمر الشرق الأدنى الذى عقد فى جامعة برنستون بالولايات المتحدة من ٢٣ — ٢٥ مارس ١٩٤٧ .

(١) راجع الدراسة التحليلية التى كتبها الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ فى العدد ٧٩٥ من الرسالة .

القرن التاسع عشر بل والعشرين ، في الفترة ما بين فتح القسطنطينية ومعاهدة كارلوتز ١٦٩٩ وصلت الجيوش التركية إلى وسط أوربا وأنشأت علاقات مع الأمم الغربية . غير أن هذه القوة العسكرية عجزت عن تكوين صلات فكرية بين الشرق والغرب . بل إن النزعة الحديثة في عصر النهضة عادت القهقرى أمام روح الجمود التي سادت في البلاد الإسلامية .

وبلغت تركيا شأواً كبيراً من التوسع في القرن السادس عشر ، إبان حكم سليمان الكبير . ومع ذلك لم يتقدم التفكير الفلسفي والعلمي خطوة واحدة مع التقدم السياسي في عصر المجد والعظمة هذا . وقد لاحظ الأستاذ « كريبر » أنه ليس من الضروري أن يتفق العصر الذهبي لحضارة مع التفوق والرقي لوطنها فبعد هذا التوسع لم تمط الفرصة لتطور النهضة في تركيا أمام النزعة التقليدية في الفكر الإسلامي . وقد عبر جغرافي القرن السابع عشر كاتب جلبي عن يأسه من الأحوال التي أطاحت بالمعارف الإنسانية من معاهد التعليم التركية : « وعلى ذلك سينظر الناس إلى الكون بعيون الثيران ! » . ويوضح ذلك أن نظام كورنيكس ذكر لأول مرة عام ١٦٨٥ في الترجمة التركية للأطلس الأعظم Atlas Magor .

ويمكن القول إن عام ١٧١٦ تقريباً يعين بدء الاحتكاك بالفكر الغربي ، عند ما كان هناك تجديد وإصلاح في الجيش التركي ؛ إذ أدخلت الرياضيات الحديثة في برامج المدرسة الهندسية العسكرية . وفي عام ١٧٢٨ أسس الكاتب التركي إبراهيم متفريقا Muteferrica أول مطبعة ، وبدأ ينشر ما يؤلفه ويحرره عن الحضارة والعلوم الغربية .

ولما شبت نيران الثورة الفرنسية ظهر اتجاه على جديد . إذ أعجب السلطان سليم الثالث بالحركة الفكرية السياسية — في العالم المتمدن — التي جذبت انتباهه إلى الحضارة الغربية . ففي أوائل القرن التاسع عشر فتحت مدرسة طبية حديثة .

ثم جاء عام ١٨٣٩ فبدأ عهد إصــــلاح جديد ؛ هو عهد « التنظيمات » أو تنظيم الإصلاح . وقد عم تأثيره كل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية . وبالنظر في هذا الاحتكاك بين التفكير الغربي والتفكير الإسلامي فإنه يلوح للباحث أن لا بد من وجود تفاعل وتداخل بين وجهات النظر . إنما هذا التقدم لم يظل قائماً ، لأن طبيعة الدولة الأوتقراطية والدينية ، تعارضت مع تبادل الآراء واحتكاك الحضارات . بل إن هذه الفترة التي استمرت حتى الثورة التركية الصغرى ١٩٠٨ امتازت بالرغبة في المحافظة على المظهر الديني للاسلام أمام تيار العلوم الحديثة . حتى أن الكتاب المحدثين الذين درسوا في الخارج ، لم يترددوا في الذود عن الأفكار الدينية البحتة ، والمعارضة للحقائق العلمية . على أن هؤلاء لم يؤمنوا بما كانوا عنه يدافعون ؛ إنما دفعهم إلى عملهم هذا ما ظهر من ضرورة الإبقاء على النظام القديم . وفي أواخر عهد عبد الحميد الثاني ، كانت موجة العداء للفكر الغربي شديدة ، بفعل ثورة ١٩٠٨ ، إذ أخرجت كلمة « حكمة » من القواميس بأمر الحكومة ! وبالرغم من كل هذا فقد كانت الأفكار الغربية تنتشر . وقد ترجم أحمد مدحت كتاب ج . و . درابر . تاريخ الصراع بين الدين والعلم . وفي معرض نقده لأفكار المؤلف ، أكد المترجم أن ليس هناك معارضة للعلم في الإسلام .

ولئن كان المثقفون في عهد التنظيمات قد حافظوا على العقلية الشرقية ، فإنهم اقتبسوا الجانب الفني من الحياة الحديثة ، واستطاعت قلة منهم التوفيق بين المعتقدات الاسلامية والعلم الحديث . فكانت الجمعية العلمية العثمانية (١٨٩٧ — ٩٨) المعهد الوحيد الذي كان مشغوفاً بالأفكار الغربية ، إذ جمعت بين المثقفين الأتراك الذين يعرفون لغة أوربية على الأقل ، وأخرجوا : « المجلة العلمية meimua i funun » أول نشرة تركية يستطيع المرء أن يطالع فيها أبحاثاً رائعة . وقد اتخذوا وجهة نظر فلسفية علمية ، ولم يلقوا بالا إلى الجمود الديني للعلماء الرسميين [علماء الرسوم Ulema i rusum] ولسوء الحظ لم تعمر هذه الجمعية طويلاً وذهبت معها مجلتها . وباختفائها صادرت الحكومة كل الانتاج الفكري الفلسفي . وفي نهاية عهد التنظيمات لا يكاد الباحث يعثر على أي أثر لاحتكاك الأفكار الشرقية والغربية في تركيا . ومع ذلك فإن غزو التفكير الغربي كان سائراً إلى الأمام بفضل المدرسة الأدبية التي عرفت باسم Servet i funun ومجلتها

وقامت الثورة التركية الصغرى في ١٩٠٨ وامتد لهيبها إلى النواحي السياسية ، وتبع ذلك نشاط ثقافي ، فأدخلت الفلسفة

وعلم الأديان المقارن فى دراسات كلية الآداب بجامعة اسطنبول ومهدت الحرية السياسية الطريق لحرية التعبير وأصبح فى الامكان نقد الأديان . وفى أول العهد الدستورى ترجمت كتابات وآراء بعض الماديين فى القرن التاسع عشر مثل لدڤيج بختر ، وإرنست هيكل كما كثرت المناقشات حول آراء ڤولتير وروسو وباقى الانسكلوبيديين .

كان الصراع الفكرى على أشده — وإن لم يكن واضحاً ، واتخذ كل جانب موقفاً عدائياً تجاه الآخر. وفى وسط هذه المعركة قام الاجتماعى التركى زيا جوك ألب بدور الوسيط بين الجماعات المتحاربة ، وحاول أن يوفق بين التفكير العملى الغربى وبين التفكير الإسلامى الدينى . وهو كتلميذ مخلص لدور كهيم قد ميز بين المدنية Civilisation والحضارة Culture . ورأى أن تركيا ينبغى أن تقتبس من المدنية الغربية على أن تحتفظ بشخصيتها القومية . ولطالما نصح مواطنيه بألا يهملوا الإسلام وحضارته ولا يغضوا الطرف عن المدنية الغربية . ولئن كان واضحاً فى إعلانه عن ضرورة الاقتباس من العلوم والفنون الحديثة ، فإنه كان غامضاً فى مسألة الفلسفة . رأى أن يكون للأتراك فلسفة قومية لكنه لم يحدد ما يجب أن تكون عليه هذه الفلسفة ، إذ كان متردداً بين آراء دور كهيم الاجتماعية وفلسفة برجسون الروحية . إلا أنه لم يعمل على إعادة الوفاق بين الاتجاهين ؟ لأن هذا كان عملا شاقاً .

لقد كان لتعاليم زياجوك ألب تأثير عميق على تلاميذه وأصدقائه أعضاء جمعية الاتحاد والترقى الصغرى . وفى رأيه أن قانون الأسرة الذى وضعه من قبل فقهاء المسلمين لا يجوز إجراء تعديل فيه . وكان لسان هذه الحركة : مجلة جمعية الاتحاد الترقى yeni MeJmua التى ظهرت رغم طابع الدولة الدينى — التى كان يرأسها الخليفة صاحب السلطتين : الدينية والزمنية .

غير أن أسوأ خطر وقع فيه زياجوك ألب هو ترجمته كلمة علمانى laic بـ (لا دينى) ، الأمر الذى أدى إلى نشر العداوة بين شيوخ المسلمين .

وقد عبر عن الاتجاه الإصلاحى فى ذلك الحين مجلة « الصراط المستقيم » التى عرفت بعد باسم « سبيل الرشاد » والتى صبت جام سخطها على زعماء الحركة التحررية التى قادها زيا جوك .

وامتازت هذه الفترة من تاريخ تركيا بتغييرات الحكومة الفجائية وبأعمال المعارضة التى كان من هدفها السياسى تحريك الأتراك المسلمين ضد حكومة الاتحاد والترقى وذلك بتفسير محاولة الجمعية فى الإصلاح بأنها إلحاد فى الإسلام .

وبعد عام ١٩١٢ لم تكن هناك فرصة للنشاط الثقافى بسبب حروب طرابلس والبلقان ثم أوربا . وكانت الحكومة التى أسستها قوات الاحتلال قد قضت على كل العواطف الدينية بين الناس حتى تقضى على بوادر الحركة التحررية والاستقلالية . إذ تطورت هذه الحركة أخيراً ، وأصبحت منظمة قوية حالفها النجاح بعد أربع سنوات من اليأس . وليس من شك فى أن الأتراك — باهتمامهم بهذا الكفاح — لم يكن لديهم فرصة لمناقشة المسائل الثقافية .

وأنشأت الحكومة التركية الجديدة فى أنقرة ، وأطاحت بالسلطنة عام ١٩٢٣ وتركت الخليفة فى اسطنبول بغير سلطة ولا قوة ، ثم ألغت الخلافة بعد ذلك بعامين ، مع المحاكم الشرعية وكل المعاهد الدينية فى أنحاء البلاد . وصبغ الدستور الجمهورى بالصبغة العلمانية ، وذهبت جهود المدافعين عن الإسلام مع الريح أمام تشدد الجمهورية فى التصريح بهذا التفكير . وكانت التيارات الغربية قوية جارفة ، لدرجة أنه كان يصعب على المرء أن يطلق عليها تفكيرا ، بل هى « تقاليد رسمية للالحاد » وبتفسير لغة الأستاذ جب الخيالية ، يقال إن تركيا قد أصبحت مقبرة جيلة ... !

ولم تتردد الجمهورية فى أن تعلن أنها حامية العلوم والمدارس الفكرية ، وحاولت أن تجعل الدراسة فى جميع المعاهد على أسس الخير والحق والجمال ! وظهر الجيل الجديد بعد عشرين عاماً من غير أن يتذوقوا لتعاليم الدين طعما . واليوم يحتل الفكر الغربى الجديد محل الفكر الإسلامى القديم . وليس فى الإمكان أن نحدد تاريخاً لظهور النزعة الحديثة مع التداخل بين الأفكار الإسلامية والغربية فى تركيا ، فليس هناك تفاعل حقيقى ، إنما هناك طغيان للأفكار الغربية .

وفى ديسمبر ١٩٤٦ تقدم نائبان فى الجمعية الوطنية — أثناء

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٢)

(١) النفس عند ابن سينا (٢)

للأستاذ كمال دسوقي

حدثتكم فى المقال السابق عن موضع دراسة النفس من العلوم العقلية عند ابن سينا ، أعنى أين يقع علم النفس من قائمة العلوم ولوحة المعارف عنده ، وأين كان يعالجها فى معظم كتبه ؛ فربطتها لكم بما يسبقها من الأمور الطبيعية الكلية التى قلت لكم إنها دائماً آخرها ، وبما يتلوها من القول فى الإلهيات ؛ التى قلت لكم إنها تمهد لتناولها فى نقطة « العقل الفعال » . واليوم أحدثكم عن موضع النفس ذاتها من سلسلة الوجودات المادية والروحية ، وصلتها بما فوقها وما تحتها — قبل الدخول فى تفصيل قواها وملكاتها — فإن النفس تشغل فى مذهب ابن سينا فى الوجود مكاناً لا يقل دقة واطراداً عن المكان الذى رأيتم أن علم النفس يشغله فى تصنيف العلوم العقلية عنده .

وحين نقول الإلهيات théologie فإنما نعنى بها ما كان يسميه أرسطو ما بعد الطبيعة Metaphyzique فإن الإسلاميين قد حولوا هذا العلم لأرسطى إلى ما يرضى عقائدهم ، ويؤيد إيمانهم ؛ حولوا ميدانه إلى « النظر فى الواحد ولواحقه بما هو واحد » أى النظر فى الله الواحد والكثرة التى تنشأ عنه ؛ لأن كل موجود عند ابن سينا يصح أن يقال له فى ذاته واحد (النجاة ص ٩٨) ، وكان أرسطو حين نظم هذا العلم وعرض فيه آراء سابقيه يحدد موضوعه بأنه « البحث فى الوجود بما هو موجود » فلا يعترض عليه أن يبحث فى الواحد ويدلل على الألوهية ، بل يترك له تحقيق ذلك إن استطاع .

على أن مشكلة ابن سينا فى هذا الصدد لم تكن إثبات الوجود ، ولا واجب الوجود بقدر ما كانت مشكلة صدور الخلق عن الخالق ، وكيف ينشأ هذا الوجود المتكثر — الذى لا شك فى كثرته — عن الإله الواحد — الذى لا شك فى وحدانيته ؛ خصوصاً وأن الواحد عنده وفى مذهبه لا يصدر عنه إلا واحد ، وواحد فقط ؟

ولما كان مذهب أرسطو وحده لا يعينه على إثبات هذه النظرية لانتقاله من الكثرة إلى الواحد ، ولما فيه من تفسير مادي عقلى قد يتعارض مع الدين — مما يتحاشاه كل فيلسوف متأثر بالدين ، فإن مذهب أفلوطين كان أقرب إلى إثبات ذلك منه . وأفلوطين قد ذهب إلى أن الخلق يفيض عن الخالق ، وأن الوجود يصدر عنه بمحض الجود . فيتبعه الإسلاميون فى هذا ، كما تبعوه فى غيره ؛ سواء من علم منهم أنه لأفلوطين — على اختلاف بينهم — فأوقعهم ذلك فى القول بقدم العالم من حيث لا يشعرون .

ويذهب ابن سينا فى ذلك إلى تصنيف الموجودات من حيث الجهة إلى واجب الوجود ، وكل واجب أو ممكن فهو إما بذاته أو بغيره ، ومن هذين التقسيمين الثنائيين مجتمعين تنقسم

مناقشة ميزانية وزارة المعارف — بسؤال عن مستقبل المعاهد الدينية ، وخاصة تلك التى يدرس الشعائر الدينية فيها أفراد معينون ، إذ أن هذه الدراسات لا ترعاها الحكومة ، وأن هؤلاء الأفراد المعينين ليسوا متخصصين فى طرق إعداد المعلمين . فأجابت الحكومة إجابة تهرب من السؤال ، إذ خشيت رد الفعل الدينى الذى قد يهدد نظم الجمهورية الحديثة . وبعد أيام انتقلت هذه المناقشة إلى اللجنة المركزية للحزب الحكومى . وهذا الحادث — الذى لا يعتبر غير غريب فى الغرب — ذو أهمية كبرى فى تركيا اليوم ، لأنه فى العشرين السنة الأخيرة لم يكن ممكنا حدوث مثل هذه المناقشة فى أى نوع من الاجتماعات السياسية أو الثقافية .

وعندما يبزغ نور الروح الانتقادية فى تركيا ، فإن التفاعل بين الأفكار الاسلامية والغربية سيتخذ شكلا موحدا واضحا . وربما ينتج عن هذا التفاعل إصلاح دينى فلسفى فى حدود الشكل العلمانى للجمهورية . غير أنه عندما يحدث إصلاح من هذا النوع هل تستطيع تركيا أن توجد منابع تراثها الثقافى وتخلق حركة ثقافية متكاملة ؟

تلخيص
محمد محمد على
قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

الموجودات إلى واجب الوجود لذاته ، وممكن الوجود بذاته ، ثم إلى ممكن بذاته واجب بغيره .

وواجب الوجود عنده — كما تجدون فى المقالتين الأولى والثانية من إلهياته هو الوجود الذى متى فرض غير موجود عرض منه محال ؛ أما ممكن الوجود فهو الذى إذا فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال . فالواجب الوجود هو الضرورى الوجود ، والممكن الوجود هو الذى لا ضرورة فيه بوجه — يعنى فى وجوده أو فى عدمه — فليس وجوده أولى من عدمه إن انعدم ، ولا العكس إن وجد ، فهو الذى ليس ضروريا ولا ممتنعاً . وواجب الوجود — كما قلنا — قد يكون واجباً بذاته وقد لا يكون بذاته ، فواجب الوجود لذاته « هو الذى لذاته لا لشىء آخر » ، أى أن مجرد افتراض العدم فيه محال . وأما واجب الوجود لا بذاته « فهو الذى لو وضع شىء مما ليس هو صار واجب الوجود » . فالأربعة مثلا واجبة الوجود لا بذاتها بل بفرض اثنين واثنين مجموعين أو مضروبين . والاحتراق واجب الوجود أيضاً لا بذاته ، بل بفرض تلاقى القوة المحرقة بالقوة المحترقة (ص ٢٢٤) .

وأدلته فى إثبات واجب الوجود كثيرة ليس عليكم أن تحيطوا بها ، وحسبكم أن تتبينوا أن كثرتها إنما جاءت من تسليمه بها قبل البدء فى البرهنة على ما يريد . فأعانه « سبق الأصرار » هذا كما يقال فى لغة القانون ، و « الفكرة الثابتة » هذه — كما يقال فى علم النفس ؛ على أن ينتزع كثيراً من البراهين يؤيد بها قضيته . وإلا فما كان له أن يثبت — وما كان لقارئه أن يفهم أن « كل شىء يكون كافياً فى أن يوجد بذاته فهو واجب الوجود » لو لم يتمثل فى قرارة نفسه صورة الله الذى يؤكد له الوجود والوحدانية والخير وأنه عقل وعاقل ومعقول ، وأنه عاشق ومعشوق ، وأنه لذيذ وملتذ ... ولماذا لا يلتذ من يشعر بكماله حين يتأمل نفسه .

ذلكم أن تأمل الله لذاته هـذا يحدث له لذة من ناحية ، ويحل مشكلة ابن سينا من ناحية أخرى . فمن هذا التأمل يصدر الفيض الإلهى ويكون الخلق . فينشأ أولا عقل أول هو واجب الوجود بالله ممكن بذاته . وهذا العقل الأول حتى الآن واحد وروحى ، ولكنه يتأمل الله من ناحية ، ويتأمل ذاته من ناحية أخرى . فمن تأمل العقل الأول لله ينشأ العقل الثانى ، وعن تأمله لذاته ينشأ الفلك الأول جسمه ونفسه . ثم إن هذا العقل الثانى من حيث أنه واجب الوجود بالأول يتعقل هذا الأول فينشأ العقل الثالث ، ويتعقل من ناحية أخرى ذاته — من حيث هو ممكن الوجود بذاته — فينشأ جسم الفلك الثانى ونفسه ، وهكذا يظل كل عقل يتأمل وجوبه بغيره فينشأ عنه عقل أدنى . ويتأمل إمكانه بذاته فينشأ عنه جسم ونفس الفلك المرتبط به حتى ينتهى الأمر إلى العقل العاشر المدبر لعالم الكون والفساد ، وهو العقل الفعال الذى تتصل به نفوس البشر .

فالعالم العلوى إذن يتركب من سلسلة متراكبة Hiérarchie كل حلقة فيها تحتوى على ثلاثة أشياء : عقل ، وفلك ، ونفس . وعلى رأسها جميعاً واجب الوجود لذاته الذى لا يبدع إلا العقل الأول ، وهذا يبدع لأول مرة ثلاثة أشياء . عقلا ثانياً ، وفلكا نفسياً ، وجسمياً . وهكذا تتكرر العملية حتى تخلص لنا عشرة عقول وتسعة أفلاك ؛ آخرها فلك القمر وكرة الهواء المحيطة بالأرض

وأترك لكم تصور هذا العالم العلوى كما تشاءون ، ولكنى أود أن تلاحظوا منى على هذه النظرية الفروض الآتية :

أولا : افتراضها منذ البدء أن الله واجب الوجود لذاته ، وأنه عقل وعاقل ومعقول .

ثانياً : تسليمها بأنه واحد ، وأنه لا يصدر عن الواحد إلا الواحد — بالنسبة لله على الأقل .

ثالثا . قيامها على تعقل الله لذاته وتأمله لنفسه — وكذلك الأمر فى العقول الأخرى كل بدوره — كأساس للخلق ، ومبدأ للجود الإلهى . كما أريدكم أن تقفوا بعقولكم طويلا عند مناقشة مآخذها التالية .

أولا : أنها — وقد وضعت قانوناً عاماً ، هو أنه لا يصدر عن الأحد إلا الواحد - قد قصرت تطبيقه على واجب الوجود وحده ثم تجاوزته فى الحال مع العقل الأول لجعله يخلق ثلاثة أشياء بدلا من شىء واحد . مما يجعلها متناقضة مع ذاتها منذ اللحظة الأولى — إلا أن يكون ابن سينا قد قصد « بالواحد » هنا الله وذلك ما لا يدل عليه قوله هذا الذى سبق أن بينت لكم مرجعه فعودوا إليه ، فقد لا تجدون فيه هذا التناقض الذى أجد .

ثانياً : وما قلته فى الوجود تنشأ عنها الكثرة ، يقال مثله فى الروحية تنشأ عنه المادية . فقد أراد ابن سينا من توسيط العقل الأول بين الله والموجودات أن يبعد عنه صدور الكثرة من ناحية والمادة من ناحية أخرى ؛ لأن الله ليس بمادى ، ولذا كان العقل

الأول الصادر عنه غير مادي أيضاً ، ولكن كيف يتأتى لهذا العقل الأول أن يخلق بتأمله (الذى هو عقل روحى) مادة الجسم الأول نفسه ؟ هذا تناقض وغموض آخر .

ثالثاً : أن هذا المذهب يقف بالفيض عند الفلك العاشر ، فلك القمر وكرة الأرض ؛ أى العقل الفعال . ولا يبين لنا كيف تفيض أشياء هذا العالم عن العقل الفعال ، وهل هى تفيض عنه بعلم الله أو بغير علمه ، فذلك – فيما أظن – هو الذى حدا بابن سينا إلى أن يقصر علم الله على الكليات دون الجزئيات . (النجاة ص ٢٤٧) . واعتبر الغزالى ذلك كفراً صريحاً ؛ لأنه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض . « كما أنك إذ تعلم الحركات السماوية كلها ، فأنت تعلم كل كسوف وكل اتصال وانفصال جزئى ، فكذلك الإله يعلم الجزئيات ولا يعزب عنه شيء شخصى » (الغزالى : المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق الثالثة ص ٩٥) ، رداً على ابن سينا (النجاة ص ٢٤٨) .

والنتيجة الضرورية لهذا المذهب الأول بقدم العالم – وإن لم يستطع ابن سينا أن يقول به صراحة . فإن الله قديم ولا شك . وما دام العالم ينشأ عنه تعقله لذاته على هذا النحو ، وتعقله لذاته صفة لا تنفك عنه ، فلا بد أن يصدر عنه هذا الفيض منذ الأزل لا سيما أن العقل الأول واجب الوجود به ؛ بمعنى أنه يفترض وجوده منذ افتراض وجود خالقه تبعاً لتعريفه هو لواجب الوجود فوجوب وجوده ضرورى لا من حيث أنه ممكن بذاته ؛ بل من حيث هو واجب بالله . وبمثل ذلك يكون العقل الثانى ضروريا بالأول . وهكذا تستمر السلسلة ويتم الخلق بهذا الفيض الأزلى القديم عن الله الأزلى الواجب الوجود .

ومهما يكن من أمر هذه النظرية فهى لا تعدو أن تكون مزيجاً من نظرية أرسطو فى عقول الأفلاك ، ومن مذهب أفلوطين فى فلسفة الإشراقية التى ظلت مورداً يفيض بالخصب والوفرة فى كل فلسفات الأديان . وقد جارى ابن سينا هذه الأفلاطونية المحدثة ، فقال بما قالت به من خيرية الله ، ونزوع الكائنات إلى أن تنجذب بالشوق ، وأضاف إليها ما كان قد تأثر به من قول أرسطو – وما كان شائعاً لعصره – من حركة الأفلاك السماوية حركة دائرية حول عقولها لتصل إلى الواحد ، وازدياد شوقها أبداً للوصول إليه وإن كان ذلك الوصول بعيداً عنها ؛ إذ الكواكب فى رأى ابن سينا حيوانات مطيعة لله تعالى (ص ٢٥٨) ، ولكل منها عقل يديره كما أن له نفساً تحركه . وقد ساهم هو فيما كان شائعاً بين معاصريه من أن كل كوكب من كواكب الأفلاك يشبه إلهاً من آلهة اليونانيين ، فالشمس للحرارة ، والقمر للرطوبة والمريخ للغضب ... الخ وهذه الأفلاك التسعة أجسام سماوية تؤثر حركتها فى نفوسنا وأجسامنا – مما تأثر فيه الفارابى فى « مدينته الفاضلة » ، ومما عابه عليه ابن رشد حين طعن الغزالى بأقواله هذه على الفلسفة .

أرأيت إذن موضع النفس فى ترتيب الموجودات عند ابن سينا ؟ الأفلاك لها نفوس تحرك أجسامها فى العالم العلوى ، والأجسام النباتية والحيوانية والإنسانية لها نفوس تحركها فى العالم السفلى ، وبين العالمين يقف العقل الفعال وسيلة وواسطة اتصال . وفوق العالم العلوى كله الجوهر الفارق غير الجسم ، والصورة المجردة ؛ الذى هو الله ، والعقول العشرة المدبرة التى تتأمله وتتعقله ، وتحت العالم السفلى كله الهيولى أو المادة الأولى التى هى محل نيل الوجود فى كل موجود ، وفى كل طبقة فيما بين ذلك جملة موجودات ذات مواد وصور متنوعة شتى .

وحسبكم إذن هاتان المقالتان فى التقديم لدراسة النفس عند ابن سينا ، ولنشرع منذ المقال التالى فى تحليل الفصل المطلوب إليكم دراسته .

كمال دسوقى

أنشـــودة منتحر (*)

للشاعر عبد الوهاب البياتى

« ليلى » أحس على فمى شفة   صـفراء تصـبغ بالدماء فمى
وجنـاحَ خفاش يطيرُ على   قبرى فيملأْ بالرؤى حُلمى
وأرى يداً سوداء تصـفعنى   وتشـد شعرى شـد منتقم
وأرى غطاء القـبر متفتحاً   وجحافل الديدان والظـلم

وأرى عيوناً كلـما اختلجت   أهدابهـا رفتْ على غسق
الريح معولة كأن صـدى   إعوالهـا ما زال فى الأفق
وأنا وأحـلامى وملهمتى   والحب حول الموقد الحنـق
وذوائب النيران راقصة   فى جوفه وسـنانةَ الحدق

نتلو عليهـا وهى جالسـة   أقصوصة أبطالهـا قتلوا
كانوا على قلـع فداهمهم   جوٌ مطيرٌ عاصـفٌ هطلُ
فتحطم القلع الصـغير ولم   ينج الذين إلى المـدى رحلوا
فتجـود عينـاها بلؤلؤةٍ   وعلى فمى تتهـافت القُبَلُ

وبلحظة ما زلت أذكرها   وعويلها ما زال فى أذنى
همت عيون الليل وانتحرت   بيض النجوم على فم الدَّجن
فتبسمت ليـلى وما ابتسمت   إلا لتحبس دمعة الحزَن
لـكنها انحدرت ... لتقتلنى   وتضىء للديدان فى كفنى

والنور يعكس ظلها قلقاً   فأكاد أرشف ذلك الظلا
عبرى ... تقول : أكنت فى خدر ؟
أم كنت فى حـلم وقد ولى
مالى أراك صفرت فى نظرى   لما اغتصبت من الهوى قبُلا ؟
وشـحبت حتى لم تعد حلماً   هلا أعدت رسائلى هـلا !!

يا لحظة ما زلت ... أذكرها   كالخنجر المسموم فى كبدى
عودى إلىَّ ! لعل ملهمتى   عادت إليك فتدفئى لى يدى
عودى إلى ! فقد عفا كفنى   وامتد صمت القبر فى خَلدى

وامتصت الديدان — جائعة —   حتى خطايا حُبىَ النكِد
ما زلت أذكر موقفى وأنا   فى ظلها متلطف . . غزِل
ما زلت أذكر ليلة — هربت   روحى — وتبق وهى تشتمل
ما زلتُ أذكر دمعَها همِلاً   وشفاهَها تطفو بها القُبَل
والريح ماطرةٌ ... وملهمتى   تُخفى رسـائلَنا وترتحل

والعَدْوَةُ السوداء ... والقمر   ما زال يسخرُ مِنَى القمرُ
والبحر يفتح صـدره حدباً   ويضمنى فى صـدرِه النهر
والموجُ يفهقُ هاصراً رئتى   حتى تراقصَ وهى تنفـجر
والريح تهمس وهى عابرة :   ظلٌ على المرآة ينتـحر

ما زلت أذكر لحظة هربتْ   منى وراء الريح والزمن
ما زلت اذكر — والربيع على   قبرى يحوك الورد من كفنى —
... كفاً مشوهة ... وساحرة   شمطاء تغسل باللظى بدنى
ويداً تدحرجنى إلى نفقٍ   خاوٍ فتصفعنى يد العفن

« ليلى ! » أحس على فمى شفة   صـفراء تصبغ بالدماء فمى
وجناحَ خفاش يطـير على   قبرى فيملأْ بالرؤى حُلُمى
وأرى يداً سـوداء تصفعنى   وتشد شَعرى شـد منتقم
وأرى غطاء القـبر منتفخاً   وجحافل الديدان والظلم

« بغداد »   عبد الوهاب البياتى

(*) من ديوان (ملائكة وشياطين)

الأدب والفن في أسبوع

حرية الأدب :

أمن الأوفق للأدب أن تكون له خطة مرسومة ، أم تترك الحرية للأديب فى اختيار الخطة التى يجب أن يسلكها ؟ هذا هو السؤال الذى أثار به الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك نقاشا حمى وطيسه فى إحدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوى ، تعقيبا على محاضرة الأستاذ محمد رضا الشبيبى فى « النهضة الأدبية فى العراق » التى قال فيها : إن مما منى به الأدب أخيراً فى العراق فقدان خطة عامة مرسومة للنهوض بالأدب وباللغة العربية فى البلاد

قال الدكتور طه حسين بك : أعتقد أن معالى الأستاذ المحاضر لم يرد التحدث عن خطة مرسومة للأدب بل عن خطة للنهوض بالثقافة فى العراق ، وهذه الخطة — من غير شك — تساعد على نهضة الأدب وتحول بينه وبين التورط فى كثير من الأزمات الثقافية .

وقال الدكتور أحمد أمين بك : أنا لا أوافق على أن يكون الأدب طليقا كل الطلاقة ، وأرى أن يوضع له منهج لا يصادر حرية الأديب ، ولمجمعنا أن ينظر مثلا أغاية الأدب أن يلتذ به كما يلتذ بلون الزهرة وطيبها ، أم ترى غايته خدمة المجتمع والنهوض به ؟

فقال الدكتور طه : أنا لا أعرف للأدب غاية إلا التعبير عما فى نفس الأديب ، والأديب الذى يحترم نفسه قد لا يكتب ليلذ القارىء بل ليغيظه ويحنقه ، كما أنه لا يكتب ليخدم غرضاً اجتماعياً بعينه .

وقال الأستاذ الشبيبى : إنى آسف لأنى طويت صفحة كاملة من صحف هذه المحاضرة تتعلق بموضوع حرية الادب ، وأن الأدب لا ينبغى أن ترسم له خطط ، وأنا أوافق على التفرقة بين الأدب والثقافة من حيث حرية الأول وتنظيم خطة للثانية .

ثم قال الدكتور أحمد أمين بك : إنما أريد للأديب توجيهات وللأدب غاية ، فقيام النقد الأدبى على أساس صحيح معناه أن هناك عناصر وقواعد عامة يشير عليها النقاد ، فالحرية المطلقة التى يدعون إليها هى هدم للنقد الأدبى ، وأنا أريد من المجمع أن يضع توجيهات عامة فى الأدب يسترشد بها الناقد والأديب ، ويصح أن ندخل فى حسابنا عند وضع هذه القواعد كون الأدب ذا فائدة اجتماعية أو أنه يطلب لذاته .

وشبه الأستاذ العقاد الأدب بالوردة ، فلا يجب أن يخدم المجتمع .

وكان ختام المناقشة فى الموضوع قول الدكتور طه : إن القوة التى ترسم خطة للأديب لم تخلق بعد ، وأرجو ألا تخلق ، فالأديب حر ، والناقد حر ، وليس هناك ما يصح أن نسميه خطة للأدب ولو كان نقدا .

تعقيب :

تفرعت المناقشة فى حرية الأدب إلى المسألة الثانية وهى خدمته المجتمع ، والأمر فى مسألة الحرية واضح ، فلن يستطيع أحد أن يلزم الأديب بأن يسير على نهج معين أو يتجه إلى غاية مرسومة ، وحقاً إن غاية الأدب التعبير عما فى نفس الأديب كما قال الدكتور طه ، ولكن ما هى نفس الأديب وماذا فيها إن لم يكن الشعور بما يضطرب فى حياته التى هى جزء من حياة المجتمع ؟ أليست نفس الأديب نفس إنسان يحس بما يدور حوله ويتأثر به ، ويعيش مع الناس فى بؤسهم ونعيمهم ويشعر نحوهم بتبعات وواجبات ؟ أوليس فى نفس الأديب ذخيرة من هذا كله فيعبر عنها بأسلوبه الفنى ويؤثر فى النفوس بصوره الأدبية ويوجهها إلى مثل عليا ؟ وهو فى ذلك يتمتع بتمام حريته لم يقسر على شىء ولم يرسم له أحد طريقاً ولم يخرج عن نطاق التعبير عما فى نفسه .

لا شك أن الأصل هو ما فى النفس ، والتعبير صورة له ، فإذا كان الأدب لا يخدم المجتمع فمعنى ذلك تجريد النفس من الشعور الاجتماعى أو كبت هذا الشعور ، والأول ينفى القيمة الإنسانية عن الأدب ، والثانى لا يتفق والحرية فى التعبير .

على أن الأديب حينما يستجيب للمجتمع إنما يستجيب لنفسه لأنه جزء منه ، فإن لم يستجب له كان أدبه أدب عزلة وجمود .

حديث مستشرق عن الشعر العربي :

انتهزت كلية الآداب فرصة وجود مستشرق إنجليزى فى

رحلة بالشرق الأوسط ، وهو الدكتور ألفرد جيوم أستاذ الأدب العربي بجامعة لندن ، فدعته إلى إلقاء محاضرة بالجمعية الجغرافية الملكية ، فلبى الدعوة وألقى يوم السبت الماضي محاضرة موضوعها « الشعر العربي » بدأها بالإشارة إلى الصعوبات التي تعترض المستشرق عند قراءة الشعر العربي من حيث الوقوف على معانيه ، وقال إنه كثيراً ما يغمض عليه معنى بيت فيبحث ويسأل عنه على غير طائل ، فيتذكر قول شاعر انجليزي سئل عن معنى بعض شعره : عندما قلت هذا الشعر كان هناك اثنان يعرفان معناه الله وأنا ، أما الآن فالله وحده هو الذي يعرفه .

وقال إنه لا يقف عند القصائد التي تصور البيئة المحلية فاذا رأى قصيدة في وصف الناقة خطر له أن يسلك مع قائلها طريقة أبي العلاء المعري في رسالة الغفران ، وذلك بإحياء الشاعر وإسماعه قصيدة في وصف السيارة تتضمن أسماء أجزائها ، وما يتعلق بها من المصطلحات انتقاما منه ...

أما الذي ينال إعجابه فهو ما في الشعر العربي من التعبير عن العواطف الإنسانية ، والمشاعر الروحية وتصوير جمال الطبيعة ، فهذا يسر له كل إنسان يتمتع بالحاسة الفنية في كل أمة ، وقال إن القصائد التي تعبر عن ذلك في شعر العرب تعد من روائع الآداب العالمية ، وأتى بقطعة من شعر عمر بن الفارض ووقف عند بعض أجزائها وقفة المتذوق الفطن ، وعلق عليها قائلا : إننا في هذا الوقت الذي يضطرب فيه العالم في خضم المنافع والماديات نستروح بروح الشعر وشعر الروح مما قاله منذ قرون ذلك الشاعر الصوفي العربي الذي يعد من أعظم شعراء الدنيا .

وأتى بقطع لمختلف الشعراء في مختلف العصور ، ودل على مواطن الجمال فيها ، وقد ذهب في اختياره بعض القطع ، واستحسانها مذهب ابن قتيبة في قوله : ليس كل الشعر يختار لجودة اللفظ والمعنى بل لأسباب أخرى منها إصابة التشبيه .

وختم الدكتور جيوم محاضرته بأنه يعتبر نفسه سعيداً لأنه يدرس الأدب العربي لطائفة من شباب الإنجليز بجامعة لندن فيقرب إليهم موارد الشعر الذي يعبر عن روح الأمة العربية التي لا تقيم على ضيم .

وقد كان المحاضر — على التواء لهجته — دقيقاً في التعبير والإعراب ، ومما استرعى التفاتي إليه انسجام إلقائه ونبراته مع ما يتحدث عنه ، فكان يلقي ما أعده في الورق وكأنه يرتجل بلغته الأصيلة .

كشكول الأسبوع

* أعلنت دار الهلال أنها ستعيد نشر روايات تاريخ العرب والإسلام لجورجي زيدان ضمن سلسلة « روايات الهلال » التي اعتزمت إصدارها .

* تلقت مشيخة الأزهر من لجنة نوبل أن اللجنة ترحب بأن يتقدم لها علماء الأزهر برسائلهم وبحوثهم لنيل جائزة نوبل .

* نشأ خلاف بين الدكتور محمد عوض محمد بك مدير معهد الدراسات السودانية وبين الدكتور زكي محمد حسن عميد كلية الآداب على بعض الشؤون المتعلقة بالمعهد وقد دعا ذلك إلى التفكير في استقلال معاهد الدراسات العليا عن كلية الآداب .

* طلب استديو مصر من وزارة الشؤون الاجتماعية الموافقة على تعريب نطق فلم « هملت » الذي عرض أخيراً بمصر . وقد وافقت الوزارة على ذلك .

* تقرر إنشاء محطة إذاعة مؤقتة في مكة لإذاعة مناسك الحج في الموسم القادم .

* قال الأستاذ شفيق غربال بك في حديث بجريدة الزمان : إن الإذاعة لم تستغل حتى الآن بالقدر الكافي لخدمة الثقافة العامة .

* في الإذاعة ركن للفلاح لا يعرف الفلاح عنه شيئا لأنه لا يستمع إلى الإذاعة ، وهي نعمة ...

* تساءل الأستاذ فتحي رضوان المحامي في مقال بالهلال : ما هي الأفكار الجديدة التي بشر بها شيوخ هذه الأيام فلقيت رواجا ؟ ومن منهم ثبت على شيء من الأفكار المتطرفة التي بدأوا بها حياتهم ؟

محاضرات مزعومة :

لا يزال بنفسى أثر من الروايات (البوليسية) ، التى كنا نقرؤها فى الصغر ، فعلى رغم الزمن الذى مضى مذ « شب عمرو عن الطوق » فإن تلك القراءة لم تنمح آثارها وإن خدعنا الظاهر لأنها غائرة فى الأعماق أو فى العقل الباطن كما يعبر علماء النفس .

ذلك أنى ارتبت فى اسم من الأسماء ، التى تنشر دائماً فى « محاضرات اليوم » بالأهرام ، فحلت بى روح المغفور له (أرسين لوبين) وجلست فى الشرفة أنظر إلى الأفق البعيد وأنفث دخان السيجار لترسم خطوطه المتموجة فى الفضاء سطور الشك ...

كيف أوتى صاحبنا المقدرة على أن يلقى محاضرة كل يوم والمفروض أن المحاضرة فكرة تحتاج إلى وقت لتنضج فى الذهن ، وتختمر قبل أن ترتجل إن لم تحبر ... ؟ ألا يمكن أن يكون فى الأمر دخل لروح العصر عصر السرعة ، فيكتفى بعنوان المحاضرة ليجيز نشر الاسم الكريم ولا حاجة إلى العناء بالتفكير والإلقاء ؟

ثم نفذت الخطة ، وهى بطبيعة الحال تختلف عن خطط سلفى (أرسين لوبين) فلست أحتاج إلى جرأته الخارقة وقدرته الفائقة على سرعة الانفلات من المسدس المصوب إليه ... والتغلب على جميع أفراد العصابة بقبضة يده ... كل ما فى الأمر أن أذهب إلى المكان المبين لإلقاء المحاضرة ، فألفيه مزعوماً ، كدولة إسرائيل ، حذو النعل بالنعل !

ودلت تحرياتى أيضاً — وأنا لا أزال متقمصا روح أرسين لوبين — على أن بعضهم لديه بطاقات طبعها ، متضمنة أنه سيلقى محاضرة ، وقد ترك فى الطبع بياضاً لعنوان المحاضرة ، فما عليه إلا أن يسود هذا البياض ، ويرسل البطاقة إلى الصحف ، لتنشر النبأ .

لا شك أن « محاضرات اليوم » فى الأهرام باب نافع من حيث ما قصد منه وهو أن يكون دليلا لطلاب ثمرات العقول والقرائح إلى مجناها فى القاعات والأندية ، ولكن هذا القصد شىء والواقع شىء آخر ، فالزميلة الغراء تخدع بما يرسل إليها فتنشره دون نظر فيما يشتمل عليه من الأعاجيب ، ولست أدرى — ما دامت مقتنعة بأن فلانا وفلانا وفلانا يلقون محاضرات كل يوم — لم لا تصنع لأسمائهم (أكلشيهات) بدل أن يتعب عمال المطبعة فى صف حروفها كل يوم .

ومن تلك المحاضرات التى يعلن عنها — ماعدا التى لا تلقى — نوع يلقيه فى المساجد أئمتها ، وفى الكنائس أحبارها ، وهى دروس فى الوعظ تؤدى بحكم الوظيفة ، وهى فى ذلك كخطب الجمع أو كالدروس المدرسية ، فتصور كيف تكبر المهزلة إن نشر كل مدرس فى مدرسة ، وكل خطيب فى جامع ، أنباء الدروس والخطب .. !

وللباحث الاجتماعى أو النفسى أن ينظر كيف يتهافت بعض الناس على الشهرة ولو لم يملكوا أسبابها ...

فتاة الشعر :

نشرت « المصرى » ، قطعتين من الشعر للأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، تحت صورة فتاة حسناء ، لست أدرى مكانها من الشعر ، أهى صورة التى يقصدها بالغزل ، أم هى صورة « عمومية » يبغى بها جذب الأنظار ، على طريقة بعض المحال التجارية و (صالونات) الحلاقة ... ؟ على أن الأستاذ وشعره ليسا فى حاجة إلى ذلك ، فهو أديب معروف ، وما أرى الصورة إلا جانية على القطعتين المنشورتين ، وهما من الشعر النابض ، فالقارئ إما عادى لا يقرأ الشعر ، وما لهذا حساب ؛ وإما مستنير مثقف فيرى فى نشر الشعر مقترنا بالصورة لونا من الإسفاف ونوعا من التعويض ، فيعرض عنه .

وليست هذه أول مرة ينشر فيها الأستاذ الخميسى شعراً مع صورة ، وبعض شعراء الشباب يلجؤون إلى هذا الصنيع دون أن تعبر الصورة عن معنى معين يقصده الشاعر ، ومن هؤلاء الأستاذ عزت حماد منصور بجريدة « البلاغ » فهل هى فكرة جديدة كفكرة « فتاة الغلاف » و « فتاة الحائط » فهى إذن « فتاة الشعر » ؟

من هو الشقى الحزين ؟

الآنسة أمانى فريد إحدى الفتيات اللائى ينشر لهن شعر فى الغزل ... وهو تطور جديد فى أدبنا بصرف النظر عن قيمة هذا الشعر ومكانه من الأدب ، وهو شىء طبيعى فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، عصر التحرر ...



مستقبل الشعر:

تساءل الأستاذ « توفيق الحكيم » فى عدد أخير من « أخبار اليوم » عن مستقبل الشعر والشعراء . وهل آن لدولة الشامخة أن تودع العالم بين صخب التطور وجلبة الاندفاع إلى المستقبل الذى تهرول نحوه الشعوب فى سرعة لا تعرف البطء ، وعزم لا يدركه الكلال .

والذى رفع الأستاذ « الحكيم » إلى هذا التساؤل هو ما راه من أفول يصيب نجم تلك الدولة الهرمة ، ثم حاول أن يعلل له بما كان من أمر هذه الديمقراطية التى جعلت الآداب موجهة إلى الطبقات الوسطى والدنيا قبل أن تكون موجهة إلى الخاصة ، وهذه الطبقات فى رأى الأستاذ غير مهيئة لتاق هذه الرساله الرفيعة ، وأخيراً هذه السرعة المجنونة التى تلوذ بالسطح وتنفر من الغوص إلى القرار . والشعر فن يعتمد على التركيز والإيجاز ، فهو فى حاجة إلى شىء من الذكاء وشىء من الاستقرار يهيئان لفهمه والاستمتاع به .

والأستاذ « الحكيم » بعد هذا العرض وذلك التدليل متشائم ، ينظر إلى مستقبل هذا الفن الجيل نظرة الآسف المتحسر . فهل لهذه النظرة من أساس؟ وهل منطق الحوادث وأدلة الماضى والمستقبل تقف إلى جانبه ؟

يخيل إلىّ أن الحق بجانب هذه النظرة التشاؤمية . فما هى الدعائم التى ينهض عليها الشعر ؟ وما هى الروح التى تنفخ فى جذوته المقدسة فتشملها وتذكى لهيبها ؟ وهل آن لهذه الدعائم أن تتقوض ، أو لتلك الروح أن تلفظ الأنفاس فى المستقبل القريب أو البعيد ؟

إذا استطعنا أن نجيب على هذا السؤال كان لنا فى الإجابة غناء عن تشاؤم الأستاذ أو تفاؤل غيره .

دعائم الشعر فى نظرى تنقسم قسمين :

قسما يخص الشاعر الذى ينشىء الشعر . وقسما يتصل بالقارىء . أما فيما يخص الشاعر فإن الدوافع التى تدفعه إلى قول الشعر لن ينضب معينها إلا إذا نضب معين الحياة ، واستجابة الأحياء لما تلقاهم به من ألوان الحوادث والتجارب التى تمتنع على العد ، وتستعلى على الإحصاء ؛ فدوافع الشعر ستظل خالدة خلود الطبيعة والإنسان . وعلى هذا فالشاعر ضرورة إنسانية باقية ، وحاجة روحية خالدة . وإن أقفرت بعض الفترات من وجود العبقريين من الشعراء ، فليس معنى ذلك أن الزمن سيظل بأمثالهم عقيما .

وفى التاريخ الإنسانى لجميع الأمم شواهد ناصعة على ذلك ، وهى شواهد لا تقبل الجدل ولا اللجاج .

ففى الأدب العربى والإنجليزى والفرنسى وسائر الآداب ما يقيم الدليل على أن الشعر لم يمت وإن مرت به عصور أوشكت فيها روحه أن تفيض ، وأنفاسه أن تختنق .

وهنا تتراءى لنا مشكلة لا بد من إثارتها فى هذا المجال . فقد كان الأسلوب الشعرى هو الغالب فى العصور القديمة ، وكان النثر تقعد به مكانته دون التعبير عن العواطف الجائشة ، والإحساس المتدفق الفوار . أما فى العصر الحديث فقد نهض النثر نهضة عظيمة ، وراح يزاحم الشعر مزاحمة ظاهرة فى هذا المجال . فأدب المقالة اليوم هو فى الذروة من حيث استيفاء

وقد أنكر محرر جريدة « الزمان » على فتاة متخرجة فى كلية الآداب قصيدة غزلية نشرتها لها إحدى الصحف ، ذاهباً إلى أن هذا ليس من موروث عاداتنا ولا من طبيعة مجتمعنا ولا من طبيعة المرأة من حيث ميلها إلى أن تكون هى المطلوبة . وختم كلمته بفتح الموضوع للاستفتاء العام .

وأى شىء بقى من عاداتنا وتقاليدنا ؟ وهل وقفت المرأة عند طبيعتها تلك ؟

أعود إلى الآنسة أمانى ، فقد نشرت « البلاغ » أبياتا بتوقيعها عنوانها « لوعة » جاء فيها هذا البيت :

أرانى شقياً حزيناً فيا نفس أين الرجاء

وسياق الأبيات أنها هى المتكلمة ، فكيف تكون « شقياً حزيناً » ؟ هلا راجعت الأبيات وتأملتها قبل أن تدفع بها إلى النشر لتعرف ما ذا صنع الشق الحزين ... ؟

عباس خضر

أغراضه ؛ وهى أغراض تشترك فى كثير من الأحيان مع الشعر وما يقال عن المقالة يقال عن القصة فى هذا الباب . فالأدب التمثيلى الشعرى عند « شكسبير » قد حلت محله مسرحيات (برنادرشو) النثرية ، ومسرحيات « شوقى » حلت محلها مسرحيات « توفيق الحكيم »

وهناك شىء آخرله خطورته على تضييق دائرة التعبير الشعرى وهو ما شاع فى العصر الحديث من وسائل الثقافة الفنية المختلفة التى زاحمت الكتاب سواء ما كان منه شعراً أم نثراً ، وأخطر هذه الوسائل هى السينما والصحافة والمذياع .

وهكذا نلاحظ أن مجال الشعر قد أخذ يضيق ويضيق حتى أصبحت دائرته لا تكاد تجاوز التعبير عن الحالات التى لا يغنى فيها عن التعبير الموزون تعبير سواه .

أما دعامة الشعر الثانية وهى التى تتصل بالقارىء فيبدو أنها الظاهرة التى أخافت الأستاذ « الحكيم » وجعلته يتساءل هذا التساؤل الوجل فى « أخبار اليوم » ، فنسى أن يذهب بالتعليل إلى أصوله القريبة والبعيدة

فالقراء اليوم مدبرون عن الشعر منصرفون إلى أدب السطوح لا الأعماق — إن صح هذا التعبير — .

وهذا حق .. ولكن هذا لا يعود باللائمة على القراء « الأغبياء ! » ، لأن المسألة راجعة فى أصولها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التى يحياها العالم اليوم ، فنحن نجوز فترة المخاض التى يضطرب لها كيان البشرية ، وتميد معها دعائمها وأركانها . فالمشاكل الاقتصادية اليوم تحتل المكان الأول فى نفس الانسانية المعاصرة ، وحتى يجىء اليوم الذى تحل فيه هذه المشاكل على نحو يرضى سنة التقدم ، ويشبع رغبة التطور ، فستظل مشاكل الفن وحاجات الروح مسائل ثانوية فى (جدول الأعمال) .

إن الإنسان فى هذه الحقبة من الزمن محتاج ليكسب عيشه إلى ساعات لا تقل عن الثمان ، هذا فى الطبقة الوسطى ، أما فى الطبقات الدنيا فهو فى حاجة إلى أكثر من هذا القدر بكثير أو قليل . فكيف نطلب إلى أمثال هؤلاء أن يخلوا إلى ديوان ليتذوقوا فيه قصيدة عصماء ؟ وهم ما زالوا يكافحون من أجل رغيف (أغر) ؟ ! إننا نطالبهم بالمستحيل . فهل من أمل فى تغيير هذه الحال؟ يخيل إلى أن الجواب هنا يجب أن يكون بالإيجاب ، فنحن مقبلون — على رغم العوائق — على العصر الاشتراكى ما فى ذلك شك . والاشتراكية هى الأمل المرموق الذى تتطلع إليه شعوب العالم ، وتنتزى شوقاً إلى تحقيقه .

ويوم يعم العالم النظام الاشتراكى ، فان هذا الصراع من أجل العيش سينتهى إلى قرار ، وعندئذ تنطلق القوى الروحية المطمئنة لتعمل فى كل أفق من الآفاق ، وإنها لرحيبة بعيدة الأغوار .

فنحن نستطيع بعد هذا كله أن نطمئن الأستاذ « الحكيم » على مستقبل الشعر ، لأن الرجاء فى مستقبل روحى باهر هو رائد الانسانية المكافحة فى هذا الجيل الذى نعاصره ، وإن كنا إلى جانب ذلك نعتقد أن الشعر سيضيق مجاله عند الحد الذى لا يغنى فيه إلا القول الموزون . ولا خسارة هناك من هذا الأمر ، فان النقصان فى هذا الفن سيزيده فى ذاك ، وسيظل الشعر مشعلا من مشاعل الفن المضيئة المتلألئة التى يبهر بريقها الأنظار ، وإن علاه فى هذه الحقبة شىء من الغبار .

ماهر فنديل

طلخا الابتدائية

صورة طبق الأصل !

كثيراً ما أقرأ مقالا بعينه أو قصيدة بعينها فى أكثر من مجلة واحدة فى زمان واحد ومكان واحد ، كما وقع فى كلمة الأستاذ أنور المعداوى حول كتاب « زوجات » للأستاذ الصاوى ؛ فقد تفضل الأستاذ الناقد فكتب كلمة حول هذا الكتاب فى مجلة (العالم العربى) عدد ديسمبر الجارى ، ثم أردفها بصورة أخرى (طبق الأصل !) نشرها فى (الرسالة) الغراء عدد (٨٠٧) ، وهذا عين ما وقع فى قصيدة الشاعر توفيق عوضى (حب المنطق) فقد تفضل بنشرها فى (الرسالة) عدد (٨٠٦) ، ثم فى (الثقافة) عدد (٥٢١) . وبعد ، فلست أدرى الحكمة من هذا التقليد الجديد ، كأنى أجهل أسبابه ومبرراته ودواعيه ونكتة البلاغة فيه

قد يجوز أن أنشر قصيدة فى مصر ، ثم أنشرها بعينها فى الحجاز ، أو فى أى رقعة من رقاع (الجامعة العربية) ، وذلك لبعد الشقة ، ونزوح المحلة ، ولتوثيق الصلات الأدبية بين أبناء الضاد ... أما أن ينشر مقال ، وتنشر قصيدة ، فى المكان الواحد والزمان الواحد ، فى أكثر من مجلة واحدة ، فذلك ما لا يجوز ، أو قد يجوز ، ولكنى على كل حال لا أعرف عبرة جوازه ... فأكون لمن يتفضل بالعبرة من الشاكرين !

(الزيتون) عدناده



الأقـــدار

للكاتب الأمريكي ن . هاوثورن

أن معرفتنا الحوادث التي تؤثر على حياتنا ومصيرنا في الواقع معرفة طفيفة ضئيلة فهناك من هذه – الحوادث – إذا شئت أن تسميه حوادث – ما يدنو منا ، ثم ينزح عنا ، دون أن يكون له أي أثر على أنفسنا ، أو يفشى قربه ، أو يلاقي ضوءاً أو ظلا عن وجوده . وهذا ما حدث لدافيد سوان .

نحن لا يهمنا من حياة دافيد سوان سوى تلك التي تربطه بها منذ بلوغه العشرين من العمر عندما كان قادماً من مسقط رأسه في طريقه إلى مدينة بوسطون ليعمل في حانوت عمه . ويكفي أن نعرف أنه ولد في نيوها مشاير من أبوين محترمين ، وأن ثقافته عادية تزيدها دراسة عام في أكاديمية جايلنتون. وكان يشعر بالجهد وعناء السير ووطأة القيظ بعد أن قطع شوطاً كبيراً من الطريق منذ شروق الشمس حتى ظهر يوم من أيام الصيف الحارة . فعزم على أن يستريح في أقرب مكان تكتنفه الظلال وينتظر قدوم مركبة السفر وكأنما تهيأ له هذا المكان ، فسرعان ما بدت أشجار باسقة حول خلاء يتوسطه نبع من الماء العذب الدافق فطبع قبلة على صفحته من شفتيه الظمآنتين ثم استلقى على الأرض وقد توسد لفافة تحوي ملابسه الداخلية . كانت الشمس تجاهد في فتح ثغرة بين الأفنان حتى تصل إليه ، وانجاب ستر ذلك الغبار المتصاعد من الطريق بعد أن هطل المطر في الليلة الماضية . وارتاح الشاب لتلك الحشائش التي يرقد عليها وكأنه نائم على فراش وثير . وتمتم النبع يهمس بجواره ، وتأرجحت الأفنان تحت السماء الزرقاء . ثم استولى عليه نوم عميق تتخلله أحلام عابرة لا يهمنا أمرها ، فكل اهتمامنا موجه إلى ما يحدث بعيداً عن أحـــلامه .

كان الناس غادين رائحين على طول الطريق راكبين أومترجلين فيمرون عليه وهو راقد تحت سلطان الكرى في خلوته وقد

حنت إلى ريا :

قرأت في الرسالة الغراء في العدد ٨٠٦ ص ١٣٩٧ في مقال الأستاذ أحمد أحمد بدوي قصيدة الصمة بن عبد الله التي مطلعها :

حننت إلى ريا ونفسك ساعدت   مزارك من ريا وشعبا كما معاً

منسوبة إلى القشيري ، والمعروف أنها للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحرث بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب ، كما ذكر أبو تمام في ديوان الحماسة (ص ٥٤ الجزء الثاني الطبعة الثانية) ، وهو شاعر غزل مقل من شعراء الدولة الأموية قالها في بنت عم له هويها يقال لها « ريا » ، فخطبها إلى عمه ، فزوجه إياها على خمسين من الإبل ، فسأل أباه ذلك ، فساق عنه تسعاً وأربعين ، فأبى عمه إلا الخمسين كاملة ، فلج أبوه ولج عمه فتركها مغاضباً ورحل إلى الشام فتبعتها نفسه ، وجاش صدره بهذه القصيدة .

عبد الجليل السيد حسن

تصحيح كلمة :

لاحظت أن الأديب المتمكن الأستاذ عدنان أسعد في تنبيه عثرات الأقلام وتطبيعات الصحف ألف أن يجعل من كلمة – مانع – صفة للشيء المستحسن الجميل حتى لقد ذكرها في تعقيباته أكثر من مرة . في الجزء الخامس من المجلد الأول من مجلة « الكتاب » الزاهرة وفي العدد ٧٨٢ من « الرسالة » النيرة ويبدو لي أن التوفيق أخطأه إذ وجدت أبا الفرج الأصفهاني في أغانيه ج ٢ ص ٥٠ ط دار الكتب المصرية يروي شعراً على لسان المجنون يقول فيه :

أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا   من الصيف يوم لافح الحر مانع

وقد ذكر الشراح أن المانع هو الطويل خلافا لما ذكره الأستاذ ، وله مني تحية إعجاب .

(السباعية)   محمد الشاذلي حسن

ألقت عليه الأشجار ظلالها. وكان منهم من لا يلتفت يمنه أو يسرة فلا يدرى وجود دافيد ، ومنهم من يرمقه وهو يبتعد عنه سارحاً فى أفكاره، ومنهم من يضحك عندما يشاهده راقداً يغطى فى نومه ، ومنهم أولئك الذين امتلأت قلوبهم بالبغضاء ، فيبعثون إليه فيضاً من كلمات الضغينة والحقد .

وأطلت أرملة متوسطة العمر عليه ، ثم حدثت نفسها قائلة : أنه يبدو فاتناً فى نومه. ورآه مدرس وقور فعزم على أن يزج بالشاب المسكين فى موضوع محاضرته التى سيلقيها ذلك المساء ، فيشبه حاله بحال سكير أفرط فى الشرب حتى نام بجوار الطريق . كانت كل هذه الخواطر بما فيها ذم ومدح ، وسرور وغضب ، وإعجاب واحتقار ، لا تهم دافيد فى شىء . فقد كان بمنأى عنهـا وهو غارق فى نومه .

وأقبلت مركبة يجرها زوج من الجياد القوية سرعان ما وقف أمام ملجأ دافيد . كانت إحدى عجلاتها قد انزلقت بعيداً عنها ، مما روع التاجر المسافر وزوجه قليلا ، فترجلا عن المركبة ، إلى أن يتم استبدال عجلة بأخرى، وقصد إلى ملجأ دافيد تحت الأشجار التى تظلله . وتمتم النبع المتفجر يشكو تطفل الدخيلين ، وتأثر الهدوء الشامل الذى كان يرن على المكان ، فمادا أدراجهما فى خفة وسكون ، خشية أن يوقظا النائم. وهمس السيد الكهل قائلا ما أعمق نومه ! انظرى كيف يتنفس فى هـدوء . وددت لو أنام مثل هـذا النوم فى مقابل تنازلى عن نصف ثروتى . أنه الصحة والسعادة وصفاء الضمير .

فقالت السيدة — ذلك بجانب الفتوة والشباب . إن الرجل الكهل وإن كان صحيح البدن لا ينام مثله .

وكان التاجر وزوجـه كلما أطالا النظر إلى دافيد ، ازداد اهتمامهما به ، وهو نائم فى ذلك المكان بجوار الطريق تحنو عليه تلك الأشجار ، وكأنه يرقد فى مسكن خاص لا ينازعه فيه منازع ، وقد انسدلت فوقه ستائر فاخرة من الظلال ، وأقبلت الشمس وقد وجدت أشعتها فرجة تنفذ منها خلال الأفنان ، أقبلت تقبل وجهه . وشعرت السيدة بحنان الأمومة يطغى على قلبها ، فأحنت فننا تظلل به وجه الشاب ، ثم همست تقول لزوجها .

— يبدو أن العناية الالهية قد وضعته فى طريقنا ، وقادتنا إليه . إني أرى شبها بينه وبين ولدنا الراحل . ألا نوقظه ؟

فتردد التـاجر هنيهة ثم قال — لماذا ؟ إننا لا ندرى شيئا عن أخـــلاقه .

فأجابت السيدة — ألا ترى هذه الملامح الطيبة ؟! ألا تلاحظ هذا النوم البرىء ؟!

كانت همساتها تردد فى المكان ، ومع ذلك لم تسرع دقات قلب دافيد ، ولم تبهر أنفاسه ، ولم تشف ملامحه عن أى اهتمام لما يدور حوله ، ولم يشعر « بالحظ » فوقه وعلى أهبة الاستعداد لأن يغمره بالذهب . لقد فقد ذلك التاجر وحيده ، ولم يعد له وريث سوى قريب بعيد لا يميل إليه ، ولا تعجبه أخلاقه . ولهذا كان دافيد على قاب قوسين أو أدنى من الثروة والغنى .

ووددت السيدة تحاول إقناع زوجها — ألا نوقظه ؟

وهنا سمع صوت السائق وراءهما يقول — أن المركبة على أهبة الرحيل .

فجفل الزوجان ، واحمر وجههما ، ثم أسرعا يبتعدان عن النائم وهما يعجبان ويتساءلان كيف خطر لهما أن يحاولا إيقاظ هذا الشاب . وتهالك التاجر على مقعد المركبة ثم سرحت به أفكاره بعيداً عن دافيد ، ودفعته إلى الاهتمام بمشروع ملجأ للعاطلين .

ولم تكد المركبة تبتعد حتى أقبلت فتاة حسـناء فى خطى رشيقة ، تشف عن قلب صغير يرقص فى صدرها . ولعل ابتهاجها ومرحها وحركاتها هى التى دعت (وهل هناك ضرر من قولى؟!) إلى تهـدل جوربها الحرير (أن كان حريريا !) فانتحت جانبا بجوار المكان الذى يرقد فيه الشـاب ، وانحنت تحاول تثبيت جوربها . وسرعان ما علا وجهها حمرة خجل كاحمرار الوردة عندما أبصرت ذلك النائم المستلقى بجـوار النبع ، وهمت بالهرب فى هدوء عنـدما لاحظت خطراً يهدد الشاب . كانت تحوم فوق رأسه نحلة ضخمة ، وتدور حول المكان فى طنين عال ، فتارة تطير بين الأفنان ، وتارة تندفع مخترقة أشعة الشمس ، ثم تختفى فى الظلال ، وأخيراً حطت على جفن الشاب . وكانت الفتاة تعرف ما تسببه لدغة النحلة من ضرر فهاجمتها بمنديلها ونحتها عنه . ثم وقفت تلهث ، وقد بدت حمرة الخجل على وجنتيهـا ، وجعلت تختلس النظر إلى ذلك الشاب الغريب ، وتمتمت تحدث نفسها ولم تزل حمرة الخجل تعلو وجنتيها « كم هو جميل الطلعة ! » .

كيف لم يساوره أثناء نومه حلم سعيد ، حلم يستطيع فيه أن يلاحظ هـذه الفتاة بين أبطال حلمه ؟ ولماذا لم تشرق ابتسامة ترحيب على وجهه ؟ لقد قدمت إليـه تلك العذراء التى وافقت روحها روحه ، والتى كان يتوق إلى رؤيتها ، ويصبو إلى لقائها . إنها هى الوحيدة التى يتمنى أن يحبها الحب الفريد الكامل ، وهو

الوحيد الذى يستطيع أن يتربع فى أعماق قلبها . وها هى ذى الآن قد انعكست صورتها على صفحة ماء النبع بجواره ، تلك التى ستختفى عن أنظاره إلى الأبد إذا لم يستيقظ ويرها .

وتمتمت الفتاة قائلة ما أعمق نومه !

ثم عادت أدراجها وقد ثقلت خطواتها . كان والدها تاجراً ريفياً ناجحاً ، وكان يبحث فى ذلك الوقت عن شاب يساعده فى أعماله ويشاركه فى تجارته . وهكذا اقترب « الحب » من دافيد كما اقترب منه « بلاحظ » دون أن يدرى عنه شيئاً .

وابتعدت الفتاة عن المكان عندما أقبل رجلان واقتحما الخلوة . بوجهين قاتمين وملابس رثة قذرة . كانا من أولئك المتشردين الذين يتعيشون على ما يرسله لهم الشيطان . وهاهما قد أقبلا لاقتسام ما ربحاه من المقامرة . وإذ بهما يشاهدان الشاب وهو نائم فهمس أحدهما إلى الآخر قائلا — ألا ترى تلك اللفافة التى تحت رأسه ؟ .

فأومأ الآخر بإيجاب ، وغمز بعينه ، ثم نظر شزراً . فقال الأول — أراهن على قدح من الخمر ان لم يكن هذا الشخص يملك محفظة عامرة بالأوراق المالية أو يخفى نقوده الفضية فى مخبأ داخل هذه اللفافة ، ذلك إذا لم نجدها فى جيوب سراويله .

فقال الآخر — وإذا ما استيقظ ؟ .

فأشار زميله إلى مقبض خنجره المثبت داخل سترته ، فتمتم الشقى الثانى قائلا — هذا يكفى ! .

واقترب من النائم ، وسدد أحدهما الخنجر صوب قلبه ، فجعل الآخر يبحث فى ثنايا اللفافة التى كان يتوسدها . وكانت ملامحهما تنطق بالشر والجريمة والخوف وهما منحنيان فوق ضحيتهما . حتى ليكاد أن يخيل إلى الشاب — إذا ما استيقظ ورآهما — أنهما من الشياطين . ولو كانا قد ألقيا نظرة إلى صورتيهما المنعكستين على صفحة ماء النبع ، لما عرفا نفسيهما وهما فى هاتين الصورتين البشعتين . ولكن الشاب كان نائماً فى هدوء لم يعهده من قبل .

وهمس أحدهما قائلا — يجب أن أحرك هذه اللفافة .

وتمتم الأخر — إذا ما تحرك سأقضى عليه .

وأقبل فجأة كلب يشم الأرض تحت الأشجار ثم ألقى نظرة فاحصة على الشقيين ، وأخيراً عاد أدراجه .

فقال أحدهما — لن نستطيع عمل شئ بعد ذلك . إن صاحب الكلب بالقرب منه .

فقال الآخر إذاً دعنا نشرب ثم نرحل .

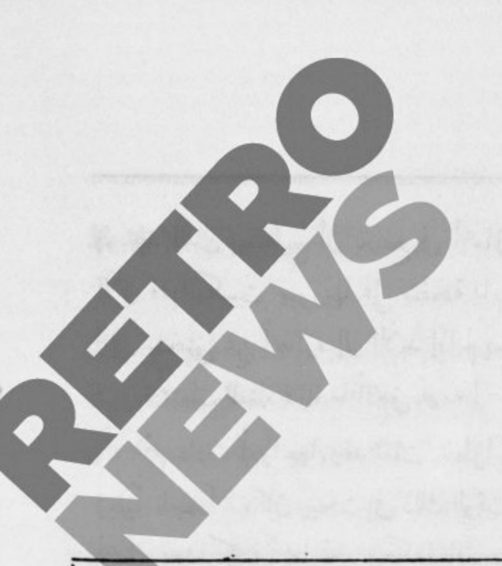
وأعاد الرجل خنجره إلى طيات ثيابه ، ثم أخرج قارورة من الشراب ، وجعل ينهل منها هو وزميله وأخيراً نزحا عن المكان وهما يضحكان . وبعد ساعات كانا قد نسيا ذلك الشاب غير مدركين أن الملك الذى يدون ما يجرى من حوادث قد سطر فى صفحتيهما إثماً ضد روحيهما ، إثماً دائماً بدوام الخلود . أما دافيد فكان لا يزال غارقاً فى سبات هادىء فلم يشعر بشبح الموت وهو يجثم فوقه ، ولا بضياء الحياة الجديدة التى منحت له عندما انسحب ذلك الشبح . ونام ملء جفونه نوماً أبعد عنه الجهد والتعب . وأخيراً أخذ يتململ وتحركت شفتاه ثم تمتم وكأنه يتحدث مع أطياف أحلامه النهارية . وسرعان ما استيقظ عندما سمع صليل عجلات مركبة السفر وهى تنهب الطريق مقبلة نحوه . فنظر إليها ثم صاح — أيها السائق . أتأخذ معك مسافرا ؟ .

فأجاب السائق — أصعد — فهناك مكان فى أعلى المركبة .

وصعد الشاب مغتبطاً وسارت المركبة صوب بوسطون .

ولم يلق دافيد نظرة على ذلك النبع بما جلبه له من أحلام متقلبة . ولم يعرف أن شبح « الثروة » قد ألقى ظله الذهبى على مياهه ، ولم يدرك أن ملاك « الحب » قد تنهد فى هدوء واختلط صوته بصوت أمواجه ، ولم يشعر أن شبح الموت كان على وشك أن يصبغ تلك المياه بدمه . حدث كل هذا فى ذلك الظرف الوجيز من الزمان الذى كان فيه نائماً ؛ فنحن فى نومنا لا نشعر ولا نسمع وقع خطوات الحوادث وهى تمر علينا مراً . أليس فى استطاعة قوة الهية مهيمنة أن تجعلنا قادرين على التنبؤ — ولو بقدر بسيط — بتلك الحوادث الخفية الفجائية التى تلق بنفسها فى طريقنا ؟

محمد فتحى عبد الوهاب



مطبعة الرسالة



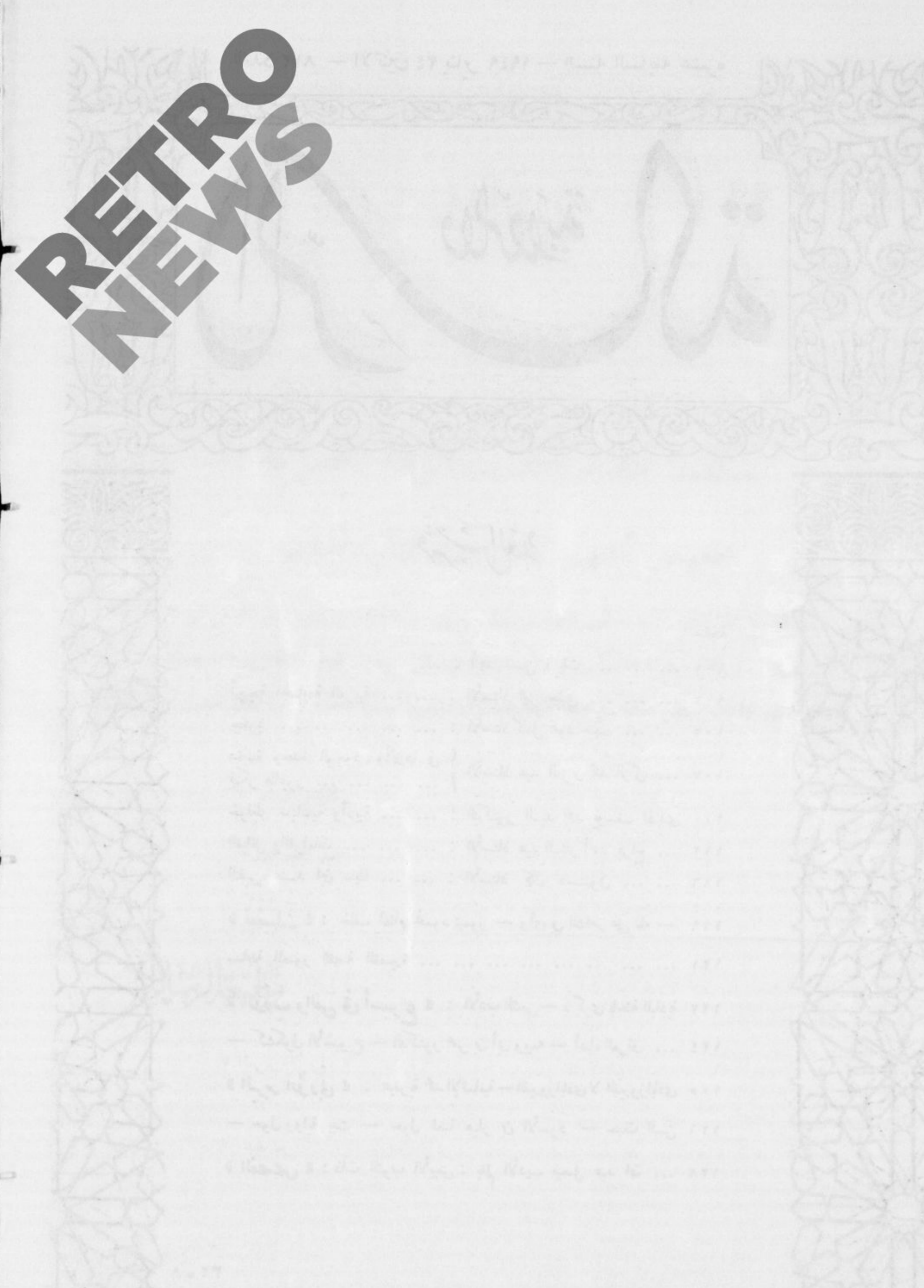
العدد ٨١٢ — الاثنين ٢٤ يناير ١٩٤٩ — السنه السابعه عشره



فهرس العدد

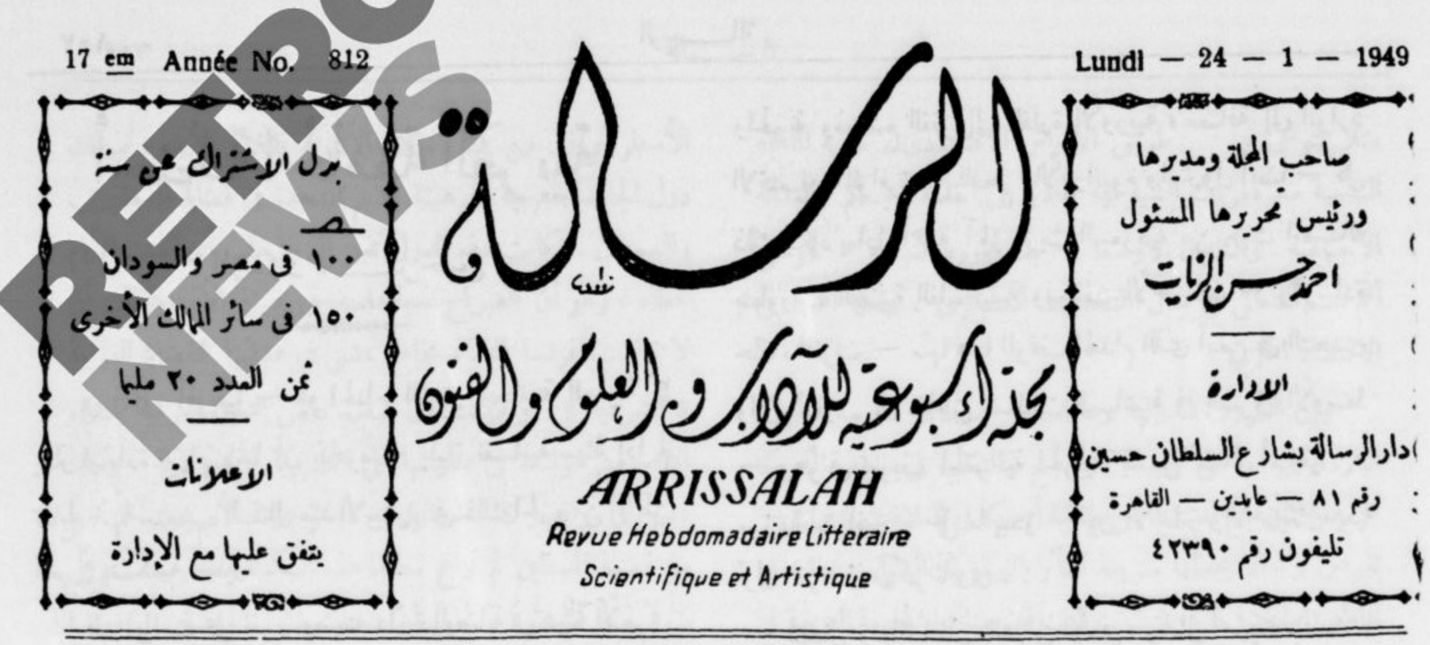
٣٢٠٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17 em Année No. 812

Lundi — 24 — 1 — 1949



بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ٢٤ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

احمد حسن الزيات

أجنحة الجامعة العربية

للاستاذ عمـــر حليق

فى شمالى أفريقيا – أو الجناح الغربى للجامعة العربية كما يحلو لسعادة عزام باشا أن يدعوه – بلبلة نفسانية سيئة إذا لم تعالج فانها ستصيب النضال ضد الاستعمار فى ذلك الجزء من الوطن العربى بنكسة خطيرة.

فقد اطلعت على تقرير وضعته دائرة الوصاية فى هيئة الأمم فى لايك سكسس عن حالة العرب فى ظل السيطرة الفرنسية، فاذا به يذكر صراحة أن فرنسا كانت تنتظر غضبة نارية من عرب مراكش والجزائر وتونس لموقف فرنسا المداجى من قضية فلسطين تكون أشد وأعم من هذه الحماسة وهذا الجود بالمال والمتطوعين الذين بدوا من عرب المغرب منذ أن اتخذ هذا التحدى الصهيونى هذه الخطورة

وليست هذه الكلمة محاولة للانتقاد، ولا هى كذلك محاولة للدفاع والتبرير، وإنما هى عرض لهذه البلبلة النفسانية التى تجتاح الوعى القومى هناك، والتى دفعت ضعاف النفوس من أمثال فرحات عباس إلى أن يقول فى جريدة لامبسيون المغربية :

« إن الوحدة العربية مهزلة ليس فيها من عناصر الجد شىء. إننا جزء من الوحدة الفرنسية فمصلحتنا وكياننا وحتى اتجاهاتنا العاطفية تتطلب ذلك ».

والواقع أن التطورات فى مجرى الحملة الفلسطينية تركت أثراً لعينا فى مناطق السيطرة الفرنسية والأسبانية فى شمالى أفريقيا فى موقف السلطات الاستعمارية وفى نشاط حركات التحرر الوطنية.

والحقيقة التى قل أن تعالجها ألسنة الرأى العام العربى هى تشابك الصراع بين حركات التحرر الذى فى شمالى أفريقيا وبين مثيلاتها فى الشرق الأدنى وخطورة هذا التشابك فى معالجة هذه الحركات جميعها . فهو مستمد من حيوية الموقع الاستراتيجى لشمالى أفريقيا العربية فى خطط الانجلو سكسون العسكرية التى تمد الآن للفصل فى هذه الحرب الباردة التى تدور رحاها بين الروس وحلفاء الغرب.

إن موقع شمالى أفريقيا الاستراتيجى للملاحة البحرية والجوية ومواضع القفز إلى القارة الأوربية، مضافة إلى الموارد الاقتصادية الوافرة من الفحم والأورانيوم والبترول أيضا – كل ذلك يكاد يعادل أهمية آبار الزيت السعودية من حيث اتصاله بتطورات القضية الفلسطينية وموقف الأمريكان – وهم سادة حلفاء الغرب – منها هذا الموقف الهدام الذى أمعن فى التحدى والاستهتار . إن مناطق العمليات السياسية فى الشرق الأوسط – وهو فى تعريف الجغرافية الحربية يشمل شمالى أفريقيا – موزعة جغرافيا – على ما يبدو – بين الانجليز والأمريكان بينما ترك لفرنسا مركز ثانوى.

فمجال بريطانيا قلب الشرق الأدنى، ومجال أمريكا جناحاه. ولبريطانيا أوتاد يبدو أنها متينة فى الآونة الحاضرة على الأقل فى شرق الأردن وبرقة والسودان، ولأمريكا أوتاد كذلك فى نجد ومنطقة النفوذ الفرنسية فى شمالى أفريقيا ومنها القسم الذى يطل على المحيط الاطلنطى مجاوراً لجبل طارق.

ولذلك فان إمعان أمريكا فى تحدى شعور العرب فى قضاياهم القومية الحيوية لن يتأثر إلا إذا شعرت بتزعزع جدى لأوتادها فى المملكة السعودية والمغرب العربى.

ذلك لأن سياسة أمريكا الخارجية مشوبة بطابع الارتجال والتقلب ومراعاة الظروف الطارئة بسبب كونها (أى أمريكا) الآن فى حرب اقتصادية وسيكولوجية مع أكبر خطر يهدد حاضرها ومستقبلها وهو الشيوعية السوفياتية.

صحيح أن الأمريكان كرأسماليين أصليين شركاء للاستعمار الأوربى؛ وصحيح أن الكيان الاقتصادى للرأسمالية الأمريكية يتطلب توسعا جغرافيا فى أسواق الاستهلاك والمواد الخام؛ وصحيح أن السياسة الأمريكية فى الداخل والخارج مشوشة تتأثر بمطامع الانتهازيين من الساسة المحترفين وعقليتهم المادية (البرجماتيزمية) وهى عقلية ترتكب الجرائم باسم الحريات الديمقراطية – كل هذه حقائق مسلم بها، ولكن الذى يجب إدراكه أن فى الولايات المتحدة الأمريكية الآن اتجاهات عملية تضع البلاد على أسس المجهود الحربى، وقد وضعتها فعلا فى مجال الإنتاج والتدريب العسكرى . هذا المجهود الحربى هو الذى يفرض على سياسة أمريكا فى الخارج أن تتأثر بالاعتبارات المحلية (المعنوية والمادية) لمناطق نفوذها وعملياتها ضد الاتحاد السوفياتى . فمشروع مارشال

مثلا يتوخى عن طريق الانماش الاقتصادى ، تقوية المناعة النفسية ضد مغريات الشيوعية المادية فى أنظمة الحكم والعدالة الاجتماعية . والشرق الأوسط — بعد أوروبا الغربية — هو من أهم هذه المناطق فى مجال التخطيط العسكرى ، ولعله أهمها فى الاقتصاد الحربى .

وإن الظروف الدولية وما تسميه الصحافة الغربية بالحرب الباردة تفرض على طبيعة التأرجح والتقلب فى سياسة أمريكا — هذا التأرجح المستمد من طفولة أمريكا فى العلاقات الدولية — تفرض ارتجالا يجعلها سريعة التأثر بالترمومتر السياسى والنفسى لمناطق عملياتها كما ذكرت . ولذلك فان جناحى الجامعة العربية فى شرق جزيرة العرب وفى المغرب الأقصى هما أمضى سلاح تستطيع الجامعة أن تشهره فى وجه الأمريكان وهم أسياد المعسكر الغربى .

والجامعة العربية كمنظمة إقليمية لها خطورتها فى السياسة الدولية ، وكهيئة تمثل رغبة العرب ومصلحتهم فى التكاتف والتعاون ورعاية الاستقرار والرفاهية فى الوطن العربى الأكبر تستطيع بل هى ملزمة أن تضع سياسة إيجابية عمليـة لجناحيها الخطيرين . وللجامعة كذلك مساعدات هائلة متوفرة فى ذينك الجناحين ؛ ففورة الشعور القومى ، والتعلق بالعروبة ، والتطلع إلى الوحدة العربية ، متأججة فى المغرب العربى ؛ وقادته فى القاهرة يرتمون فى أحضان الجامعة ويلحون فى طلب المعونة العملية . وإذا كان من الإنصاف أن نعترف بأن اشتغال الجامعة بمشكلة فلسطين وهى كبرى المشكلات يجمل هذه المعونة العملية المطلوبة صعبة ، فان من المهم أن نعترف بأن الصراع فى شمالى أفريقيا وزعزعة الأوتاد الأمريكية من شبه الجزيرة العربية هو جزء رئيسى من الصراع فى فلسطين بل هم حيوى له .

والمشاكل القومية حين تكون متحدة الأهداف لا تتبع فى معالجتها سياسة إنصاف الحلول ، ولعل أضعف نقطة فى مسلك الجامعة هو فقدان توزيع العمل فى سياستها .

إن حركات التحرر فى شمال أفريقيا إذا لم تستطع الآن أن تتخذ شكل حرب ضد الاستعمار فلا أقل من أن تتخذ شكل قلاقل جدية ، على النحو الذى شغل به الأمير عبد الكريم الخطابى الفرنسيس والأسبان سنوات طوالا . ولعل فى إثارة هذه القلاقل الآن عواقب جسيمة الأخطار ، ولكن الذى يبرر الدعوة لها هى وحدة الصراع العربى الشامل وتشابك القوى الغربية التى تتحد مصلحتها فى تفرقته . وقد كان كاتب هذه الأسطر يراقب عن كثب خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة مسلك دول الجامعة العربية فى هيئة الأمم المتحدة فى قضايا فلسطين والسودان . وكانت هذه الدول تميل إلى الأخذ برأى أثبتت الأيام خطأه ، وهو أن الصراع الدبلوماسى فى هيئة الأمم يتطلب أن لا تناصب فرنسا العداء مخافة تمضى فى عدائها للقضايا العربية « الشرقية » . وكذلك كان موقف بعض الدول العربية بادىء الأمر من هولندة فى عدوانها على الجمهورية الأندونوسية . وكلنا عليم بأن مواقف كلتا الدولتين فى داخل هيئة الأمم وفى خارجها من قضية فلسطين لم تراع مطلقا هذه الكياسة العربية . وعلى ضوء هذا الجحود ، يجب أن يحدد موقف الجامعة من فرنسا تحديدا حازما . ففتور الجامعة الدبلوماسى على الأقل نحو مصير باى تونس المرحوم محمد المنصف ، ونحو قانون الانتخابات للفرنسيين فى تونس ، وفى فضائح انتخابات الجزائر وفساد قانونها ، وفى موقف المقيم العام الفرنسى من سلطان مراكش ، هذه السلبية تركت ولا شك أثراً سيئاً فى حركات الإخوان العرب فى ذلك الجزء من الجسم العربى ، كما ولدت فتوراً فى حدة الاستنكار الذى كانت فرنسا تنتظرها من المراكشيين والجزائريين والتونسيين لموقف فرنسا من قضية فلسطين ولموقفها من نشاط اليهود فى مجهودهم الحربى فى فرنسا نفسها وفى المغرب العربى ذاته .

لقد استمدت الجامعة العربية كيانها التى ترعاه أفئدة الملايين من المصلحة العربية المشتركة بالإضافة إلى أسس الشعور الثقافى الشامل المشترك . وعلى ضوء هذه المصلحة الحيوية ، وبفضل هذا الشعور الأصيل خطت وستخطو الجامعة قدما والحق فى جانبها ، والعدالة رائدها ودستورها ، والله والعروبة معها .

وعلى أساس هذه المصلحة وهذا الشعور يجب أن يعالج جناح الجامعة العربية الشرقى فى نجد والكويت والبحرين .

إن القائمين على الأمر فى ذلك البحر من السائل الذهبى ، لا يبدو أنهم يقدرون خطورة موقفهم فى سياسة الجامعة العربية ، فضلا عن السياسة الدولية إجمالا . ولعل العذر هو فجاجة الرأى وفقدان المشورة المجردة من الانتهازية الأنانية التى تستغل صفاء النفس البدوية وسذاجة وعيها السياسى فى عالم معقد .

بل الواقع أن أمراء المملكة السعودية والكويت والبحرين لا يقدرون خطورة ارتمائهم فى أحضان الأمريكان والبريطانيين وهم على مرمى القنابل الروسية فى حوض من البترول يستهوى آلة الحرب النهمة .

وإذا كانت مصلحة الهدف الذى تعمل له الجامعة العربية يتطلب تركزاً وسياسة إيجابية لذلك القسم الهام من الجسم العربى فان صميم الكيان لتلك المناطق العربية يتطلب تحديدا جديدا فى علاقتهم مع الأمريكان ، ويتطلب تجرداً من التزامات ثقيلة وعواقب وخيمة . فهذه الالتزامات وحدها قد تكون مبررا يتخذه الروس فيما يضمرونه من شر لآبار البترول التى يمتصها الأمريكان . هل قدر الأمراء الذين يلهون بحفنة من الدولارات الأمريكية مغبة وضميتهم الخطيرة ؟

إن المصلحة القومية ، وحتى المصلحة الشخصية الأنانية لأولى الأمر والشعب فى شرقى جزيرة العرب تفرض الاندماج الكلى فى سياسة التنظيم الاقليمى الذى تعمل له الجامعة العربية فى صدق وإخلاص ، فهذا الاندماج ضرورى بل أساسى لتناسق المصلحة المشتركة .

ويبدو أن السعوديين والكويتيين وسكان البحرين وأمراءهم وشيوخهم يسلكون مسلك الذين يعتقدون أنهم الرابحون فى إعطاء امتيازات البترول للأمريكان . ولعل السبب أنانية جماعة من المرتزقة العرب الذين يحيطون بأولى الأمر هناك ؛ هذا بالإضافة إلى سذاجة الوعى وفقدان التوجيه الذى تستطيع الجامعة أن توليه .

ولا حاجة للافاضة فى شرح سذاجة هذا التفكير ؛ فحصة المملكة السعودية مثلا من أرباح شركات البترول الأمريكية التى تستغل آبارها الفنية تبلغ خمسة فى المائة أى ١٨ مليون دولار حصة السعوديين من الضرائب وغيرها ، بينما أرباح الشركة تزيد على ٣٦٠ مليون دولار ! هذا إذا أخذنا أرقام الشركات الأمريكية على أنها صادقة !

وطبيعى أن سياسة الجامعة العربية فى جناحها الشرقى لن تتطلع أو تتوخى امتلاك آبار البترول أو حتى إدارتها ؛ ولكن النصيحة الرشيدة و « إثبات الوجود » كفيلة بأن تعزز الهدف لرعاية المصالح العربية فى هذا المجال الأقليمى .

فهناك فائدة مزدوجة تعود بالربح المادى وغير المادى على الحكومات والشعوب على السواء فى المملكة السعودية والكويت والبحرين حين تمتلك السلطات المحلية هناك آبار البترول . فهذا الامتلاك يتطلب تحديد الموقف إزاء الشركات المحتكرة ، وهذه الخطوة لا تعنى ترك البترول يعفن فى طبقات الأرض . فى أمريكا الجنوبية دول وشعوب ، تنقصها الخبرة الفنية والتقدم الحضرى ، ومع ذلك فقد أقصت الأمريكان عن منابع الذهب الأسود كما حدث فى المكسيك ، وابتاعت لاستخراج البترول فى بلادها الخبرة الفنية والإدارية ، وسلمت من الاستغلال الأجنبى ومن ذيوله والتزاماته الخطيرة ، مع العلم بأن المكسيك ودول أمريكا اللاتينية ليست هدفا مباشراً لقنابل الروس كما هو حال نجد والكويت والبحرين .

والبترول فوق ذلك مادة رائجة كأحسن ما يكون الرواج . والتنافس حتى بين الشركات الأمريكية نفسها على أشده فى سبيل الحصول عليه . ألم يفز شيخ الكويت بشروط على أجحافها خير من شروط السعوديين فى الامتياز الأخير على امتلاك آبار الكويت أوفر آبار البترول فى العالم ، وقد تنافس عليها فريقان من الشركات الأمريكية ؟

ودول الجامعة العربية فى السياسة الدولية ، شأنها شأن كثير من الدول الآسيوية تتفادى مناصرة أى المعسكرين المتطاحنين اللذين يستعدان لتقويض حضارة الغرب . وإن مصلحة الجامعة بالإضافة إلى مصلحة أولى الأمر فى شرق الجزيرة العربية تتطلب التعاون والتكاتف لتوطيد سياسة الحياد الاقتصادى ، لتعزز المصلحة السياسية والقومية .

وعلى ضوء هذه المصالح المتشابكة المتضامنة المتماسكة يجب أن يتجه العرب منفردين وفى جامعتهم نحو امتيازات البترول الأمريكية وهذا يفرض على الجامعة توزيعاً فى العمل . فسياسة البترول إذا أخذت مأخذ الجد احتاجت إلى خبرة فنية (تكنولوجية) وفى الإدارة والتوجيه . وهذه نواح على فداحة المجهود لتوفيرها هى فى الواقع استثمار جم الفائدة فى سياسة عملية فعالة مثمرة .

وسياسة الجامعة العربية إذا تطلبت فى جناحها الغربى (شمالى أفريقيا) سياسة نحد فان النشاط فى الجناح الشرقى يحتاج إلى توجيه وتركيز فنى فى خطوات عملية يكون الإخلاص والكفاءة والعلم روادها . وكلا النهجين جزء من المصلحة الأساسية المشتركة ، فهما متمهان لعمليات الصراع فى فلسطين ، وهما متممان لتحرير الخمسة والعشرين مليونا من المدنيين فى ظل الاستعمار الفرنسى الشنيع ، ولدفع الأذى عن الإنسانية البسيطة التى تلعب بالنار على مقربة من البارود الرومى .

وهما أساسيان لتدعيم التنظيم الإقليمى والتكتل الجغرافى الذى تعمل له الجامعة . وهما بعد هذا وذاك انتصار للحق والعدالة .

(نيويورك) **عمر حليق**

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية

جحـــــود...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا أخي ، كيف صرت بعدي ؟ ها هي الأيام تمر في غير وناء ولا تلبث فلا أراك ولا أسمع عنك ؛ وتصلب قلبي وتحجرت مشاعري فما عدت أجد فقدك ولا أحس بعدك . إني إخالك قد فرغت — منذ أن تدابرنا — إلى عملك الحكومي ، تبذل فيه طاقتك وتصرف إليه غايتك ؛ وتهيأت لمصالحك الخاصة — كما تقول — فاستنفدت جهدك واستغرقت وسعك ، فما أصبح في وقتك فضلة تصل فيها ذوي قرابتك أو تزور صحابتك . واغترقت في سراب كاذب فتصنعت بالكبرياء وتخلقت بالترفع ، وإني لأعجب من أسلوبك ، فما أراك تلبس هذا الرياء إلا أمام أهلك فحسب

فأنت في ديوانك الحكومي لقي في ناحية من حجرة بين أكداس من الورق ، همل بين همل من الموظفين . ورئيسك يرى فيك المثل الأعلى للموظف الجد ! والموظف الجد في رأي رئيسه هو من يمشي عينيه في القراءة والتحديق ، ويبري أنامله في الكتابة والتسطير ، ويقوس ظهره في الانحناءة والخضوع ، ويهدر كرامته في الاستكانة والخنوع ، ويلغي عقله فلا يتأبى على عمل ولا يجادل في رأي . لهذا فهو يغفلك ويهملك. أرأيت أصحابك وهم يحاولون أن يتحدثوا إليك في التليفون ، إن رئيسك يهر فيهم هريراً مفزعاً ، وينكر وجودك في إصرار امتهاناً لقدرك ، ويتجاهل مكانك في عناد احتقاراً لك !

يا أخي ، لقد تصلب قلبي ، وتحجرت مشاعري ، فما عدت أجد فقدك ولا أحس بعدك ؛ غير أني أشعر — حين تحوم خواطري حواليك — بخيبة أمل ... خيبة أمل الأب يلقى من وحيده وقد اشتد عوده ونما غراسه وبلغ مبلغ الرجال ... يلقى منه العقوق والجحود جزاء له على أبوته ، وعلى أن بذل دمه وماله وعمره ليكون ابنه رجلاً بين الرجال . أفتصيب الأب حمى الندم حين يحس خيبة الأمل من أثر العقوق ؟ لست أدري ... !

لقد كنت — يا أخي — أمل أسرة : أبي وأنا وأنت ؛ وقد ماتت أمي عنا صغيرين !

أما أبي — رحمه الله — فقد تنشأ — أول ما تنشأ — في الأزهر ، وتنشق عبيره ، وذاق حلوه ومره ، وانطبع بطابعه . والأزهر يسم بنيه بسمات فيها الورع والتقى والاستسلام إلى القضاء والقدر والرضا بالواقع والعزوف عن لذائذ الحياة وأطماعها . ونمت هذه الخصال في أبي منذ أن كان صبياً واشتد غراسها على الأيام ، تغذيها حياة الريف وهي هادئة رتيبة في منأى عن مصطرع الحياة ومعترك النوازع ؛ فما تكالب على المادة من حرص ، ولا اندفع في غمرات الدنيا من جشع ، ولا تزاحم على نفع من طمع ، ولا خلبه المال من شهوة ؛ فعاش على حيد الحياة يأخذ نفسه بالزهد والقناعة ، ويروضها على التقشف والخشونة ، ثم لا يحفل — من بعد — أفاضت غلات أرضه عن جود وسخاء ، أم ضنت عن شح وضيق . ونحن — أنا وأنت — فرحة قلبه ، وبهجة فؤاده ، ونور عينيه ، يضمنا حنانه ، ويرسلنا عطفه ، ومنتهى أمانيه أن يرانا — إلى جانبه — رجلين !

وكنت أنا أكبر ابنيه ، وأحس أبي — والسنون تمر — أنه في حاجة إلى من يتخذه رفيقاً وصاحباً وعوناً ، فتلفت فإذا أنا إلى جانبه ، فألقى بأعباء الحياة بين يدي وقال : « احمل » ! فحملت العبء وحدي وأنا ما زلت في سن الصبا وفورة الشباب ! حملت العبء وانصرفت عن المدرسة في نشوة وطرب ، تكتنفني خواطري الصبيانية ، وفي نفسي أنني رجل وأنني رب هذا البيت ، وما فيه غير أبي وهو بين صلواته وتسابيحه في شغل ، وغيري وبين يدي شئون الدار والغيط أصرفها كيف أشاء ، وأنت في المدينة تلميذاً بالمدرسة الابتدائية . وأخذني أبي — رحمه الله — بالنصح في غير غلظة ولا جفوة ، وأنا أهتدي مرة وأضل مرة ، وهو من ورائي يدفعني إلى غاية !

وعشت فلاحاً بين فلاحين ، أبذر الحب وأرجو الثمار من الرب وصرت الأيام تشعرني بأن أبي هو صاحبي ، وأنك أنت — يا أخي — ابني ، وأنني صاحب الدار والأرض والغلة جميعاً .

وأحس أبي مني الرجولة ، فراح يزين لي أن أتزوج من فتاة من ذوي قرابتي لنجد ريح المرأة في الدار بعد جدب ؛ والمرأة تشيع في الدار الحياة والحركة ، وتبعث فيها النظافة والنظام ، وتنفث فيها السعادة والمرح ؛ وهي تشد أزر الرجل وتعينه على شواغله وتمسح عنه وعثاء الحياة وعناء العمل . وأصغيت إلى حديث أبي وفي النفس نوازع جارفة تدفعني إلى أن ألبي رغبته ، ولكني رفضت في رفق وأنا أقول : « يا أبي ، إن الزوجة تصرفني عن أخي وهو في المرحلة الأخيرة من الدراسة ، وأنا أخشى أن

تشغلني الزوجة عن أن أوفر له حاجاته — وما بنا ثراء — فينهار البناء أو يوشك وهو أملنا » ... وسكت أبي وسكت ...

وقضيت سنوات شبابي الأول أبذل غاية الجهد في الغيط لأوفر لك حاجاتك في البيت وفي الجامعة، وهي تزداد رويداً رويداً على حين تعصرنا أزمات عنيفة من الجمود الاقتصادي الذي سبق الحرب العالمية الثانية، ومن هبوط أسعار المحاصيل إلى درك لا تكفي معه غلات أفدنة أن تسد حاجة طالب واحد، وللجامعة طلبات تقول للطالب: إما أن تكون غنياً أو تكون جاهلاً!

ورضينا — أنا وأبي — أن نقنع بالقليل ونجتزئ بالتافه، أشعر بالضيق في صبر، وأحس الحاجة في تعفف، وأنا شاب تتجاذبني أطراف الحياة وملذاتها فأدفعها عني، أدفعها لأنك أنت تستنفد كل مالنا في غير شفقة ولا رحمة!

أما أنت — أيها الفتى المدلل — فقد تخرجت في الجامعة، وما تذوقت طعم الحاجة، ولا أحسست مس الضيق، وقضيت أيام المدرسة في هدوء وطمأنينة، نخصك بالشهي من الطعام، وأنا في شظف من العيش؛ ونحبوك بالغالي من اللباس، وأنا أتوارى خلف أسمال؛ وتنعم بالدفء شتاء وبالراحة صيفاً، وأنا أصارع الأجواء في صبر يعركني زمهرير الشتاء ويفريني سعير الصيف... ثم توظفت في الحكومة!

ولما مات أبي — رحمه الله — خلوت بي تقول: « يا أخي، إنك أنت أخي وأبي في وقت معاً، ولقد نزلت عن رغبات نفسك في سبيلي وأنت في مستهل العمر، والآن لم يبق لي في هذه القرية غير عطفك وحنانك، وغير حبك وإخلاصك، فقم على زراعة أرضي كيف تشاء، ثم أعطني فضل ما يزيد على حاجتك ... »

وانسرب حديثك إلى قلبي يخفف وطأة الصدمة، ورضينا معاً أن أستأجر منك ميراثك كله (بأجر المثل)، فما كفيك عناء السفر وجهد التحصيل ...

وبعد سنة واحدة حدثتني حديثاً فيه الرجاء تقول: « يا أخي، إن الأسعار ترتفع في غير هوادة، وإن حاجات العيش في المدينة تكلفني فوق ما أطيق، وأنا أدفع نفسي عن كثير من حاجاتها، فهل ترضى أن نرفع إيجار الفدان إلى كذا وكذا ... لأجد سعة من المال؟ »... ونزلت عند رأيك، وأنا أحس أن في كلامك شيئاً غريباً علي، وأنه يستر حديثاً بعده، وأن نبرات صوتك تتحدث بأمر. وبرغم أنك تعرف مواسم الدفع والتحصيل، فقد سلكت سبلاً — حين طالبتني بحقك — أشعر معها بالحرج والعنت

وبعد سنة أخرى جئت تقول: « أظنك تعلم — يا أخي — أن إيجار الفدان قد ارتفع إلى كذا وكذا ... وأن هذا السعر يبهظك ويشق عليك، فهل تنزل لي عن أرضي ليستأجرها غيرك؟ » قلت: « يا أخي، إن كان الأمر هو أمر السعر فحسب، فأنا دائماً أدفع لك أجر المثل، وإن كان غير ذلك، فاكشف لي عن دخيلة نفسك » ... فأصررت أنت على قولك: « إني أريد أن يستأجرها غيرك شفقة مني عليك، ثم إني أطمع أن أحس بملكية ميراثي من أبي! » ورأيت في تشبثك التافه خلقاً لم أعرفه عنك من قبل! ثم جاء عمك يقنعك، فعدلت عن رأيك، ورضيت أنت ورضيت. وخيل إلي أنك ندمت على أن نزلت عند رأي عمك، فأردت أن تفزعني عن أرضك في أسلوب وضيع، فأخذت تتطاول علي — على ملأ من الناس — تريد أن تشعرني بأنني عبد فضلك، فكنت أدفعك عن هذا الرأي في هوادة، وأنزع عنك هذه العقيدة في لين، وأسلوبك يبعث في الغضاضة والضيق! ورحت أوحي إليك بأننا صنوان، وأن ما أربحه من أرضك لا يغني من جوع، ولا يرد غائلة العسر، ولا يرتفع بي إلى الغنى، ولكن كبرياء الوظيفة، وزيف المدينة، وبريق الثراء المزعوم، كانت كلها قد كدرت صفاء قلبك، وطمست على صواب رأيك، فتعاليت على أخيك الفلاح، وأنفت أن تكون في لباسك الأفرنجي إلى جانبه، وهو في جلبابه، ونسيت ما كان منه أيام أن كنت ...

يا أخي، إنك لن تكون شيئاً، إن أنت قطعت وشائج القربى أو صرمت أواصر النسب!

وتماديت في غوايتك دون أن تبادلني الرأي، فأرسلت رجلاً من أوشاب الفلاحين ليستولي على أرضك — وقد زرعتها — ويقول: « هذا حقلي استأجرته من مالكه » ... ومالكه هو أنت يا أخي! وعجبت ... ولكن الرجل نشر أمامي (عقد إيجار) يدل على أنك أنت كاتبه!

ونظر الفلاحون بعضهم إلى بعض وزمّت شفاههم على ابتسامات فيها السخرية وفيها الإشفاق، وشعرت أنا — لأول مرة في حياتي — بأنك قد أدميت قلبي، وجرحت نفسي، وامتهنت كرامتي، وبأنني أصبحت بين الفلاحين شيئاً تافهاً!

ورضيت — يا أخي — أن تخول هذا الرجل أن يفتات على حقي، وأن ينازعني ملكية غيط، وأن يقف مني موقف الند للند ... وثارت ثائرتي .. فطردت صاحبك من الغيط ... وطردتك من نفسي ...

كامل محمود حبيب

عقيدة وحدة الوجود
وأثرها في فكر طاغور

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

ان حقيقة وحدة الوجود هى حجر الزاوية فى الديانة الهندوكية مثلها فى ذلك مثل التوحيد فى الإسلام والتثليث فى المسيحية . فلا عجب إذا استلهم طاغور الهندوكى هذه الحقيقة وجعلها محور تفكيره وينبوع مشاعره وانفعالاته . فلقد سبقه متصوفة الإسلام فى التأثر بها بالرغم من تعارضها فى جهات كثيرة مع تعاليم الدين الإسلامى ، وادعى الحلاج أنه الحق أى الله ، ووضع ابن عربى تصميم فلسفة تدور حول وحدة الوجود . فإن استقى طاغور أخيلة قصصه وإلهامات أشعاره من معين عقيدته الدينية وجدّ بفكره فى إبرازها فى صورة حية بسيطة تشعر بصدق صحتها وسهولة تحقيقها ، فليس ذلك إلا لطغيان عاطفة دينية قوية على مشاعره رغبته فى التعبير بمختلف الوسائل الفنية والفكرية التى تيسرت له عن عقيدة يؤمن فى قرارة نفسه أنها حق ، فانتفع بشتى مقومات الحضارات الشرقية والغربية سواء أكانت قديمة أم حديثة ، واتخذ منها أسساً ليدعم بها عقيدة وحدة الوجود ، ويوضح ما يكتنفها من غموض ، ويرغب الغير فى تصديقها ، ويحض الهنود على اختلاف مهنهم وأعمالهم على تحقيق اتحادهم بالله والخليقة .

وتقرر عقيدة وحدة الوجود الهندوكية أن الله يستقر فى أعماق النفس الإنسانية ، ويظهر فى الحيوان ، ويبرز فى النبات ، ويتجلى فى الماء والنار ، وينتشر فى سائر مكونات الكون . وأن الله حقيقة حية حاضرة فى كل مكان ، دائمة الاتحاد بالوجود ، وتتخذ مظاهر متنوعة تبدو فى صور محتويات الطبيعة المتعددة من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، وتشمل جميع هذه الأشياء وتضمها فى وحدة مطلقة أبدية ، وتمنحها حقائق روحية خلاف مظاهرها المادية .

ويعلل طاغور حلول الله فى الخليقة بأن الله حينما امتلأ بالسرور فاضت عنه الخليقة ، فالكون عند طاغور هو الصورة التى يتجلى فيها سرور الله ، لأن طبيعة السرور أن لا يبقى على حالة مجردة ، ويبحث على الدوام عن قالب مقيد بقانون يصب وجوده فيه ، فإن الفنان الذى تمتلىء نفسه بالسرور عند اكتمال فكرته الفنية يسرع عادة فى استعراضها مثلا فى صورة الغناء الذى يخضع لقواعد الموسيقى ، أو فى قالب الشعر الذى يخضع لقانون تطور المعانى وقواعد العروض . وكذلك سرور الله يرتسم فى صورة النفس الإنسانية التى تتقيد بالقوانين الأخلاقية ، كما يبدو فى صور مكونات الطبيعة التى ترتبط برباط القوانين الطبيعية .

وعلى الإنسان أن يسعى لمعرفة هذه القوانين لا على أنها غايته القصوى فى الحياة ، بل لأن معرفتها يبعث فى النفس ذلك السرور الذى صدرت بسببه الخليقة عن الله ، ومن ثم يعى الله الذى حل فى كل شىء ، ويشعر بتلك الوحدة المتماسكة التى تضم أجزاء الكون

إلا أن المرء لن يحظى بغايته الدينية ما لم يظهر أولا الله الكائن فى قرارة النفس ، ويبرزه فى عالم الشعور مثل ما تبرزه الشجرة من الحبة . ولن يحصل على كماله الروحى إلا عند ما يتلاشى شعوره بذاتيته ويدمجه فى كل ما حوله من كائنات ، وبغير ذلك لن يدرك أحد حقيقة وحدة الوجود . ولكن إذا تمكن الإنسان من أن يحس بوجود الله فى دفينة نفسه فكيف يمكنه أن يعى الله فى كل شىء فى العالم ويندمج فيه ، لأن عدد ما يحتويه العالم من مخلوقات لا يدركه الحصر؟ ولكن يتفادى طاغور هذه الصعوبة على رغم أن الإنسان قبل أن يفنى روحه فى الوجود عليه أن يصل إلى أغوار نفسه ويدرك الله الكامن بها . وعن طريق وعى حقيقة كون الله فى النفس الإنسانية واتحاده بها يكشف الإنسان عن تغلغل الله فى سائر محتويات الوجود ، ويتخذ من تلك الحقيقة مصباحاً يهتدى به فى وعى اتحاد الله بمختلف نواحى الكون وإدراك الوحدة الكبرى التى تربط أجزاء الوجود . شأن الإنسان فى هذا الإدراك شأن كشف العلم عن قوانين بسيطة عامة عن طريق بحثه مجموعة من الظواهر والحوادث يستعين بها بعدئذ فى فهم الظواهر والحوادث المتشابهة التى لم يكن قد بحثها من قبل . فلا بد للانسان إذن أن يدرك أولا حقيقة عامة تنير له سبل معرفة كل ما يريد أن يعرفه عن وحدة الكون . فإن عرف مبدأ استقرار الله فى

أعماق النفس الإنسانية واتحاده بها يمكنه أن يسترشد به فى الغوص فى مجاهل الوجود تدريجياً إلى أن يتجلى له الله فى صور الأشياء جميعاً فى صورة بعد صورة ، حتى يجد نفسه غارقاً فى لا نهايته الفسيحة التى تضم كل محتويات الوجود وتوحدها فيعجز عن أن يميز بين حقيقته الفردية وحقيقة الله الكلية ، لأن تدفقه المستمر نحو الله الذى يتوسم فى الكون صيره الله وأصبح لا يحس بوجود خلاف وجوده الذى هو وجود الله .

فمفتاح وعى الله ووعي الوجود هو وعى الروح ، وأول خطوة يجب أن تخطى نحو تحقيق الكمال الروحى هى أن المرء يعرف أنه روح فى جوهره ، ولا يستطيع أحد أن يعرف ذلك ما لم يكن لديه نور من ذات نفسه يحدس به صورة الله فى النفوس الإنسانية ؛ وذلك لا يتأتى إلا بعد خضوع النفس لسيادة قانونها الأخلاق ، وقيام الإنسان بعمل صالح مفيد ، ثم أدائه فروض الدين ، لأن سيطرة القوانين الأخلاقية على الحياة الإنسانية تحررها من نزوة الشهوة وتخلصها من إغراء مفاتن الدنيا ، وتطهر النفس وتمدها لإدراك وحدة الوجود . بينما قيام المرء بعمل يعود على بنى الإنسان بالخير ، يعبر عما يختلج فى نفسه من مشاعر إنكار الذات وقدرة على تعدى ذاته الفردية إلى شىء عام خارج عنها . أما أداء الشعائر الدينية اليومية من صلاة وصوم ودعاء بإخلاص صادق ينم عن إيمان قوى ، فإنه يزيل كل ما يعوق اجتهاد النفس فى سبيل كشف الله فى داخلها ، ويعد الوعى الروحى بالتقوى والصلاح والورع التى تفسح الطريق نحو اللانهاية .

وما إن يتم بالروح الطاهرة الخيرة النشيطة إدراك اتحاد الله بالنفس البشرية بالبداهة الروحية والحدس الفطرى يجب أن تستنير بهذه الحقيقة فى إدراك الله فى الطبيعة عن طريق كشف القوانين الطبيعية التى يدخل تحت نطاقها كثير من الظواهر المتشابهة والحوادث المتكررة والأشياء المماثلة التى أحل الله سروره فى كل منها على صورة القانون الخاضعة له ، ثم يستضىء بهذه القوانين العلمية فى الإحساس بانسجام أجزاء الكون وتوافقها الذى يوحى بتذوق جمال وحدة الطبيعة واتحادها بالله .

ولكن إدراك الله فى النفس وفى الطبيعة وإحساس وحدة الوجود أمر جزئى لا يكفى لتحقيق الكمال الروحى الذى لا يتوصل إليه إلا عن طريق الحب الذى يغمر النفس عند الإحساس بذلك السرور الذى يتولد من إدراك حقيقة وحدة الوجود ، وذلك يحدث حين تصير فكرة وحدة الوجود حية فى النفس واضحة للعقل ، ويعيشها الإنسان فى كل عمل يأتيه ، وفى كل قول يصدر عنه ، حتى يصبح إدراك هذه الوحدة أكثر من مجرد فكرة ذهنية ، وينبعث من الإنسان وعى يشع نوره من معرفة الله القيم فى كل شىء ، فيشمل هذا الوعى سرور مبهج ينجم عنه حب عميق لكل شىء يستقر فيه الله ، وحب الغير أسمى ما يصل إليه الإنسانية من درجات الرقى الروحى ، ففيه يتلاشى الشعور بالفردية ويختفى التباين بين الله والطبيعة والإنسانية ، وتعرف الروح أن حقيقتها تتضمن أكثر من وجودها الشخصى ، وتوقن أنها حرزت على وحدتها التامة مع الخليقة التى يتوسم سرور الله فى كل وجه من وجوهها .

* * *

ولم يتورع طاغور من أن يسير مع الدين الهندوكى إلى آخر مداه ، ويؤمن معه بأن الإنسان يجب أن يسعى ليتحد بالله حتى يصير هو والله حقيقة واحدة . إلا أنه حاول أن يخرج نفسه من هذا المأزق ، وينفى عن الإنسان أصالة الربوبية بادعائه أن القول بأن الروح يجب أن تصبح الله ، لا يقصد به أن روح الفرد هي الله بالفعل ، إنما يقصد به أن الله هو المثل الأعلى اللانهائى الذى ينبغى أن يتحول إليه الروح . ومثل الروح فى ذلك مثل ماء النهر المتدفق نحو البحر ، فإنه يستطيع أن يقول « أنا البحر » ، ولكنه لا يستطيع أن يزعم أن البحر جزء منه أو ترعة فيه ، وتستطيع الروح كذلك أن تكون الله ، كما يصير النهر بحراً ، ولكنها لا تستطيع أن تدعى أن الله جزء منها ، أو تنكر أن غايتها الأخيرة أن تغوص فى لانهائيته ، ثم تنمو وتزداد فيه على الدوام حتى تشمله جميعه وتصير حركاتها متفقة مع أنغام هذه الحقيقة اللانهائية .

وإن استطاع طاغور أن يفلت من هذا المأزق ، فلقد واجهته مشكلة أخرى مستعصية ، وهى كيف يتحد الإنسان المحدود بالله الغير محدود ، فإنهما متناقضان والجمع بينهما مستحيل ؟ ولكن طاغور لم يجد صعوبة كبرى فى دفع هذا الإشكال دفعاً سلبياً ، وبين أن اجتماع اللانهائى لا يظهر ما فيه من تناقض إلا المنطق ، أما فى الحقيقة ، فليس هناك مشكلة على الإطلاق . والمنطق بجدله لا ينفى فقط اتحاد الله بالإنسان والكون ، بل يستطيع كذلك

يعقد البديهيات ويدلل على أن البعد بين نقطتين مهما تقاربتا يصح أن يكون بعداً لا نهائياً لا يمكن اجتيازه ، إذ من الممكن تقسيم هذا البعد إلى أبعاد صغرى لا متناهية العدد يستحيل عبرها إذا أخذت كل منها على حدة . هذا فضلا عن أن العقل الذى يستعين بالمنطق فى كسب معرفته ليس إلا آلة أو جزءا من الإنسان ، ولا يستطيع أن يحصل على معلومات إلا من الأشياء التى تقبل التقسيم والتحليل والترتيب ، فقصل العقل بين الله والإنسان والأشياء ، ولكنها فى الحقيقة متحدة اتحاداً تاماً .

وإن مايبدو فى هذه الوحدة من تناقض لايخل بهذه الوحدة ؛ لأن تناقض الوجود فى حد ذاته لا يتعارض مع وحدته ، فإن ما يشاهده الإنسان فى الطبيعة من تضاد بين الحرارة والبرودة والحركة والسكون يثبت أن فى الكون مجموعة من القوى المزدوجة المتضادة تعمل فى اتحاد كامل مثل اتحاد اليد اليمنى واليد اليسرى وإن كانتا تعملان فى ناحيتين مختلفتين ، فإن هذا الاختلاف لم يسبب أى تنافر فى نظام الكون ، بل قامت فيه وحدة ناتجة عن ملاءمة قوى الطبيعة بعضها لبعض والتناقض بين اللانهائى والنهائى من هذا النوع ، ولا يمنع من اتحادهما ، بل لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فإن الله فى حاجة لعودة الإنسان إلى اللانهايته التى انبعث منها حتى تتحقق وحدة الوجود ، بينما الإنسان فى حاجة إلى الله ، لأن كماله لايتم إلا إذا أفنى ذاته المحدودة فى ذات الله الغير محدودة ، وإن ما يوجد بينهما من تناقض ظاهر يزول بالسرور والحب المتبادلين واللذين يوفقان بين لانهاية الله وبين نهاية الإنسان ، ويجمعان بين أغراضهما بحيث يصبح هدف الله وهدف الإنسان هدفاً واحداً ، ألا وهو بلوغ أعلى درجات وحدة الوجود التى لا تتحقق بالإنسان من دون الله ، ولا بالله من دون الإنسان ، ولكن باتحادهما جميعاً.

***

وبالرغم من أن طاغور ساير الدين الهندوكى فى تصوره حقيقة وحدة الوجود ، وحاول إزالة ما يكتنف هذه الحقيقة من غموض ، إلا أنه فى الوقت نفسه لم يساير الهندوكيين مسايرة الأعمى وعمد على ألا تكون حقيقة وحدة الوجود عقيدة جامدة بعيدة عن متناول العامة ، وتبلغ من السمو والرفعة بحيث لا يستطيع الوصول إليها إلا خاصة الخاصة ، ويتطلب الشعور بها جهوداً شاقة فوق قدرة الإنسان العادى ، فأخرج هذه العقيدة من كهف الزاهد النائى إلى حياة عامة الناس ، وأعطى لها من الحيوية والشيوع بحيث مكن الرجل التقى الصالح والعالم والفنان ورجل السياسة والمصلح الاجتماعى وأرباب الأعمال الاقتصادية والصانع والزارع من تحقيق هذه الوحدة بعد أن كان تحقيقها قاصراً فى العصور القديمة على هؤلاء الزهاد الهاجرين الحياة المعذبين لأنفسهم وأجسادهم .

ويبدو أن طاغور أحس بأن ما كان يتبعه زهاد قدماء الهند من أساليب ، أو ما كان يسلكه متصوفة الإسلام من طرق ، أو ما كان يحياه المتعبدون المسيحيون من رهبنة ، أصبح لايلائم الحياة العصرية التى تجد وراء الرقى المعنوى والكمال المادى كما يحرم المواطنين من القيام بواجباتهم الاجتماعية ، فلو فرضت هذه الاجتهادات الدينية والرياضيات النفسية على الإنسان المعاصر لحل أكثر مما يطيق ، وما ثابر على ممارستها ، وقد يدب فيه نوع من اليأس يثنيه عن تحقيق غايته الدينية ، وإن قدر أن يحاكى الزهاد القدماء لقصر فى مسئولياته العائلية وفى واجباته الوطنية ، وما استطاع أن يساهم بأى نصيب فى تقدم المجتمع الإنسانى .

فسهل طاغور سبل تحقيق الذات بحيث جعل الاتحاد بالله عن طريق الشعور بالسرور الذى يشمل الروح عند خضوع النفس للقوانين الأخلاقية وأدائها الشعائر الدينية وقيامها بعمل نافع خير يدل على صدق استسلام النفس التام لسيطرة القانون الخلقى ، ثم ملاحظة أن سرور الله يمتد فى الكون فى صورة القوانين الطبيعية وإن معرفة هذه القوانين وإحساس ما تنطوى عليه الطبيعة من توافق رائع وانسجام خلاب يتم للانسان تحقيق وحدته بالوجود الذى حل فيه سرور الله .

وبذلك جعل طاغور الاتحاد بالله على أساس متين من الأخلاق والدين ، ويتوصل إليه عن طريق مسوغات الحياة الراقية الحديثة من عمل وعلم وفن ، وبين للهندى أن عقيدة وحدة الوجود ليست دين الخاصة ، إنما هى دين الجميع .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

خواطر سياسية وأدبية

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

(بقية ما نشر فى العدد الماضي)

كتاب (الفتنة الكبرى) والدكتور طه حسين :

وبما أن الأستاذ محمود محمد شاكر خص اليهود بالذكر وأن إخواننا العرب ربما تفضلوا بالقاء دروس فى القومية والوطنية على مسلمى الهند أود أن أضيف كلمة عن علاقات المسلمين بالوثنيين والمجوس حتى أثبت أن الكفر ملة واحدة وأن نظرية المواطنة الحديثة لا تكسر من عدائها وشرها ، كما أن التسامح والمعاملة الحسنة لم تؤمن أية حكومة إسلامية فى أى عصر من عصور التاريخ من جميع أنواع الدسائس والأعمال الهدامة والجاسوسية لصالح الدول المجاورة المعادية . ولولا خوف مجانبة القصد لكان فى وسعى أن أقيم الأدلة على أن الإجراءات التى ربما اتخذت ثم أهملت ثم جددت ضد غير المسلمين فى مختلف أدوار الحكم الإسلامى — العربى منه والعجمى — لم تكن إلا رد فعل لما تجلى فى أعمالهم من عدم الولاء وروح الطابور الخامس . ولم يتعد قدر تلك الإجراءات إلا فى بعض الأحوال قدر الأحكام العرفية والخطوات الاحتياطية التى لا تحجم أية حكومة فى أيامنا هذه عن اتخاذها ضد رعايا الحكومة المعادية والمائلين لها . وخلاصة القول أن المسلمين أمة مستقلة لا بد أن يعيشوا بهذه الصفة فى سياستهم واقتصادهم وجميع شؤونهم حتى يتأتى لهم التعهد بسلامة الأرواح والأموال وحرية العقيدة وحسن الجوار للذين جعلهم الله فى ذمتهم ، وهذا الوضع أى كون المسلمين فريقاً ذا قوة وشوكة راعياً لحقوق الكفار والمشركين لمجرد الوفاء بالعهد والتمسك بالخلق الكريم لا لضغط اقتصادى أو مالى أو سياسى خارجى أو داخلى مع كونه قادراً على نبذ العهد إلى الخائنين فى أية لحظة — هذا هو الوضع الوحيد الذى يضمن عدم اجتراء الذميين على أية حركة مضادة للدولة الإسلامية وحسن تقديرهم للمعاملة الشريفة التى يلاقونها على أيدى المسلمين ، فإنى وإن كنت أؤيد الشاعر فى قوله « ومن لا يظلم الناس يظلم » أعتقد أن كل من ليس بقادر على الظلم لا بد أن سيظلم؛ إذ الإنسان لا يزال بعيداً عن العهد الذى يعترف فيه للحق الأعزل والعدالة التى لا تسندها القوة . أما الوضع الحالى السياسى فى الممالك العربية فلا يسعنى إلا أن أقول إنه قائم على أساس علاقة الإسلام مع العروبة مثل علاقة الخليفة العباسى مع وصيف وبغا وهو إنما يؤدى إلى تنويم المسلمين وحرمانهم مما هم جديرون به .

أما ما يتعلق بكتاب الدكتور طه نفسه فيجب أن أعترف أنى بدأت فى دراسته وفى نفسى شىء مما قرأت وسمعت عن العواصف التى ربما أثارتها مجهوداته العلمية السابقة فى المحيط الأدبى وأنا متأكد من أن آفة الأديب أن تكون باكورة أعماله متميزة بطابع النقد اللاذع الهدام للآراء المألوفة ، فإن مثل هذا العمل وإن يكن وسيلة ناجحة فى لفت الأنظار إلى براعته ، فانه ربما يضع الكاتب فى موقف حرج بحيث يسمه بسمة الغرابة ، فالقراء لا يرضون منه — فيما بعد — إلا أن يأتى برأى شاذ فى كل ما يتناوله ، وقلما يقبلون منه أن يقرر رأياً سبق أن عرفه الناس . ثم إن مثل هذا الأديب — مع أنه يتحفز إلى النقد مدفوعاً بطبيعته وبنوع من الإيعاز من قرائه ، فهو يجتهد دائماً فى الاحتفاظ بالحياد وعدم المحاباة والترفع عن التعصب حتى لا ينحط قدر الصادر منه . وينتج من ازدواج هذين العاملين أنه ربما يضطر إلى المصانعة مع الغير والقسوة على ذويه ، فهو يوجه النقد إلى ما ينتمى إلى نفسه ويلين ويتحذر حينما يخاف أن يتهم بالمجاراة مع عواطف الجمهور فيما يتعلق بالغير . ثم أقبلت على قراءة « الفتنة الكبرى » وأنا مستعد للمفاجآت فدرسته بنهم وشوق ، وفرغت منه وأنا ملىء بالإعجاب ببراعة المنهج وحسن الترتيب ، وسرد الوقائع ، واستقصاء الملابسات ، وتحليل الظروف ، وتفقد الأسباب الخارجية والعلل النفسية ، ما عدا الأسلوب النقى الرائع الممتاز . ولئن كان هناك شىء يبرر ما خيل إلى البعض من التعمد إلى التلطيف فيما يتعلق بقصة عبد الله بن سبأ فانه لا يسع أحداً أن ينكر السبب الرئيسى للفتنة ألا وهو سوء إدارة الحكومة بيد عثمان الشيخ العطوف السمح ، حسن النية ، ضعيف التدبير بحيث انفسح المجال أمام بنى أمية للتغلب على موارد الدولة والاستئثار بمناصبها . ثم الغلبة على نفس الخليفة ورأيه عن طريق

قلبه . ولا شك أن عبد الله بن سبأ وأمثاله لم يكن ليتأتى لهم أن يعملوا ما عملوا — سواء أكان عملهم خطيراً أم ضئيلا — بدون أن يجدوا أمامهم أحوالا مهيأة للاستغلال . ويحق أكد الدكتور طه أن عبد الله بن سبأ إنما استغل أحوالا نتجت عن مصدر آخر.

ولكني دهشت حينما رأيت الدكتور طه يعاود مراراً القول بأن الأحوال والظروف طغت على عثمان كما كان لا بد وأن تطغى على أي واحد حل محله — يعاود الدكتور طه هذا القول بعد أن تبين أسباب الفتنة بوضوح وجلاء تامين ، ولا أفهم معنى لاتهام الأحوال والظروف إلا أن يكون محاولة لتبرئة عثمان كما حاول الآخرون إلقاء اللوم على عاتق عبد الله بن سبأ وأمثاله للغرض نفسه ظناً منهم بأن مكانة عثمان الدينية لا بد أن تعصمه من أي خطأ سياسي أو زلل إداري . ولنتساءل : ما هي الأحوال التي جدت بعد وفاة عمر ؟ إن أعظم مشكلة واجهتها الخلافة الإسلامية في نشأتها هي كثرة الفتوح وتنظيم الموارد وتصريف الريع الوارد من الأمصار ، وقد فرغ عمر في حياته من تدبير جميع هذه الأمور تدبيراً عاماً شاملاً بحيث لم يكن على من يخلفه إلا أن يخطو خطوه ويحذو حذوه ، وهذا ما عاهد عليه عثمانُ عبدَ الرحمن ابن عوف وقت البيعة ، ولكنه لم يستطع أن يهتدي بهدى عمر في تسيير دفة الإدارة ولم يلبث أن سلط آل أبي معيط كما كان عمر قد تنبأ بذلك .

وقد عرض الدكتور طه لنقد بعض التقاليد الدستورية عند المسلمين في ذلك العهد ولكني أخشى أن يكون استسلف لذلك النقد موازين ومقاييس من حياة الأمم الغربية السياسية المعاصرة ، أولا ترى الدكتور طه يفرض فرضاً بأن الحكم النيابي الغربي هو المثل الأعلى لكل شعب وكل إقليم وكل عهد فيبادر إلى القول بأن المسلمين كانوا خليقين بأن يفكروا في نظام الشورى (أظن عن طريق عقد المؤتمرات وتنظيم حملات الانتخاب ومساومة الآراء) حتى يجيء أقرب إلى النظام المعمول به في فرنسا أو بريطانيا في أيامنا هذه . انظر إليه يزدري شأن مجلس الشورى بوصفه مجلس المرشحين لا مجلس المشيرين في موضع ، ويشكو من «الانتداب بدون توكيل في موضع آخر . ولعله قد تنبه إلى أن واضع نظام مجلس الشورى أعني عمر من الذين لا يؤخذ عليهم خطأ ولو في القرن العشرين فتكلف التماس العذر لنفسه بأن قال : إن عمر إنما هو مستوحى من صميم روح المجتمع الإسلامي بما أن الإسلام لا يخول حق التصويت لكل ذي حنجرة بل يجعل بهمة انتخاب الخليفة من اختصاص أهل الحل والعقد ؛ أما الجمهور فليس عليهم إلا الإذعان لما يتفق عليه رأي أهل الحل والعقد . قد ورد ذلك صريحاً في أقوال الفقهاء والقضاة أمثال الماوردي ، كما أنه ثبت أيضاً بالعمل فيما يتعلق بانتخاب الخلفاء الثلاثة الأول ؛ وإذن يجب أن لا نهمل الفرق بين الديموقراطية التي تبتني على تعداد الرؤوس فقط والأخرى التي لا تخول حقاً إلا بعد مراعاة التقوى والكفاية وحسن البلاء كما نبه عليه الدكتور طه نفسه . ولا يفوتنا أن النظام الذي وضعه عمر قد نجح نجاحاً تاماً بحيث أن منشأ الخلافات التي نشأت فيما بعد لم يكن هو طريق الانتخاب بل سوء الإدارة فقط . فلنأسف لا على أن نظام الشورى كان ناقصاً من أية جهة بل على أن الظروف حالت دون نموها واتساعها وتوطيدها .

وكذلك يتنافى مع روح الإسلام أن يعترف في النظام السياسي بوجود أية طبقة خاصة كالأنصار وغيرها حتى يراعى «تمثيلها» ، إنما الاعتبار كل الاعتبار بالصفات الشخصية بصرف النظر عن الطبقة التي ينتمي إليها صاحب التقوى والكفاية ؛ كما أن المسلم يستبعد منه أن يمقت الثروة في أيدي الصالحين المخلصين للدين أو استغلالها بالطرق المشروعة ، إنما يستنكر استخدام النفوذ في الحكومة أو الصلة بالخليفة للحصول عليها والاستئثار بها . فلنحذر من التعبير عن أحداث الفتنة الكبرى بالنزاع بين الطبقات على حد ما عرفناه من دراستنا للنظريات الغربية فإن ما حدث أيام عثمان لم يكن إلا ثورة عامة ضد آل أبي معيط ، وإن اتسع نطاقها شيئا فيما بعد .

وأخيراً تكلم الدكتور طه عرضاً عن الرق في الإسلام ، وذلك بلهجة اعتذار ربما يكون منشأها طعن الغربيين في الإسلام من هذه الناحية ، ولا شك أن الإسلام اهتم بوضع كل ما يمكن من المشروعات والأوامر لتقصير مدى رق الأسير ولكن النظام — كما اعتقدنا — لم يوضع لحل الرق القائم إذ ذاك فقط بل إنه نظام دائم مستمر كلما استمر المسلمون في حياة الجد والعمل والتعمير والتمدين ، والمسلمون في هذا العصر خليقون بأن يدرسوا نظام الرق في الإسلام كأحسن نظام عرفته الانسانية للشفقة بأسرى الحرب وتحسين حالهم وتوجيههم وإرشادهم وكفالتهم بدون إحداث أي تغيير مفاجيء في اقتصاد البلاد .

السيد محمد يوسف الهندي

القبـــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(تتمة قبيلة تميم)

— ٥ —

(١) من الظاهرات المنتشرة بين كثير من البلاد العربية القاف الصعيدية والجيم القاهرية . أما أولاهما فهي من آثار القبائل العربية عامة وبخاصة النجديين ، ويستثنى من قبائل العرب قريش الذين ينطقون بالقاف الصريحة . وأما أخراهما وهي الجيم القاهرية فهي من آثار القبائل اليمنية . فتميم ومن جاورها ينطقون القاف كما ينطقها الآن أهل الصعيد وأغلب مديريتي الشرقية والبحيرة . وأهل اليمن كانوا ينطقون الجيم كما ينطقها الآن أهل القاهرة وأكثر الوجه البحري . ولم يرد هذان النطقان للقاف والجيم في القراءات الصحيحة للقرآن .

(٢) بنو تميم يقلبون العين والهاء حاء ويدغمون أحدهما في الآخر في مثل معهم ومع هـذا فيقولون : « محُّم ، محّاذا » ولم يفعلوا مثل ذلك فيما إذا تقدم الهاء على العين . على أن هذا القلب في مثل معهم والم أعهد (١) لم يرد في القراءات الصحيحه للقرآن وقد سبق أن التميميين يسكنون الوسط تخفيفاً على طريقتهم إذا سكنوا تاء « وتد » قلبوها دالا وأدغموها فيما بعدها فقالوا « ود » بالتشديد . ويبدو أن التميميين ميالون إلى الإدغام فيما تماثلت مخارجه من الحروف أو تجانست أو تقاربت . ولعل هذا يفسر لنا السر في أن أبا عمرو بن العلاء التميمي أحد القراء السبعة اختص في القراءات بما يسمونه الإدغام الكبير ، وذلك ما سأشرحه عند ترجمته إن شاء الله .

(٣) بعض تميم يقلبون تاء ضمير الفاعل طاء إذا كان لام الـكلمة صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء ، فيقولون في مثل فحصت وعرضت وأحطت وحفظت « فحصط وعرضط وأحط وحفظط » ويظهر أن الذين يفعلون ذلك منهم يميلون إلى تقوية التاء حتى تشبه الطاء فقد ورد في معاجم اللغة أن كلمة « أفلطني » لغة تميمية قبيحة في « أفلتني » ولـكن هـذا التضخيم التميمي لم يرد في القراءات .

(٤) إذا جاءك فعل لم تسمع مصدره ففي شافية ابن الحاجب قال الفراء : النجديون يقيسونه على فعول دائماً سواء كان متعدياً أم لازماً . وأعتقد أننا على هدى هذا النص يمكننا أن نفسر المصادر المختلفة لفعل واحد ، فإذا كان للفعل مصدر واحد أو أكثر نستطيع أن نعرف على الأقل أن ما كان منه على وزن فعول هو من نطق النجديين ، وما كان على وزن فعل من نطق الحجازيين فخذ أي جزء من أي معجم فستجد مثلا « زحف زحفاً وزحوفاً وفتك فتكا وفتوكا وودق إلى الشيء ودقاً وودوقاً وعجف نفسه عن الطعام يعجفها عجفاً وعجوفاً .. » وغيره كثير . وإني لأستنتج من هذا — وأعتقد أني على صواب في استنتاجي — أن كل فعل جاء له مصدر واحد فإن كان على وزن فعل — بفتح فسكون — فقط احكم بأن أصل هذه الـكلمة حجازي وعنهم أخذته القبائل؛ وإن كان مصـدره على وزن فعول — بضمتين — فحسب احكم بأن أصل هذه الـكلمة نجدي وعنهم أخذته بقية القبائل .

على أننا في المصباح نجد بعض الاختلاف فيما روى عن الفراء إذ يقول : حكى عن الفراء : « كل ما كان من الثلاثي « متعدياً » فالفعل بالفتح والفعول جائزان في مصدره » فهذا النص يقصر الأمر على المتعدى لـكنه يجيز لنا صوغ المصـدر على الوزنين . وفي المصباح أيضاً نقلا عن الفارابي : قال الفراء : « باب فعل بالفتح يفعل بالضم أو الـكسر إذا لم تسمع له مصـدراً فاجعل مصدره على الفعل أو الفعول . الفعل لأهل الحجاز والفعول لأهل نجد » وهذا النص بين القبائل ويقصر الأمر على ما لم يسمع مصدره ويسكت عن كون الفعل متعدياً أو لازماً فهو يكاد يتفق

(١) في تفسير الألوسي : لغة تميم في أعهد « أحهد وأحد » وقيل « أحهد » لغة هذيل « وأحد » لغة تميم .

مع نص « الشافية » إلا أنه قيده بما كان ماضيه مفتوح العين ومضارعه مضمومها أو مكسورها ، ومع اختلاف هذه النصوص فإن ذلك لا يمنع ما استنتجته أولا بل يزيده توكيداً .

٥ — أهل الحجاز يؤنثون « الصراط والطريق والسبيل والزقاق والسوق والبر والشعير والتمر والبسر والذهب » بمعنى أنهم يشيرون إليها بالتأنيث ويؤنثون لها الفعل ويصفونها بالمؤنث ويعيدون إليها الضمير مؤنثاً فيقول مثلا : « هذه الطريق كانت واضحة وهى التى سلكتها » أما بنو تميم فيذكرون ذلك كله يقولون : « هذا الطريق كان طريقاً واضحاً وهو الذى سلكته » وإنى لأستنتج من هذا ومما ورد غيره منسوباً تأنيثه إلى الحجازيين أن كل اسم مفرد استعمل مذكراً ومؤنثاً ، فالأصل فى تذكيره التميميون ، وفى تأنيثه الحجازيون .

هذا والقرآن الكريم استعمل « الصراط » بالتذكير على لغة تميم « اهدنا الصراط المستقيم . هذا صراط مستقيم » وكذلك استعمل « الطريق » بالتذكير على لغتهم « فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً . يهْدى إلى الحق وإلى طَريق مُستقيم » .

أما « السبيل » فإنه فى قراءات القرآن استعمل على اللغتين : بالتذكير والتأنيث : « هذه سبيلى . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » . وقرأ حمزة والكسائى وخلف والأعمش وأبو بكر عن عاصم : « وليستبين سبيل المجرمين » بالتذكير ورفع سبيل .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصين واليزيدى والحسن وحفص عن عاصم « ولتستبين سبيل المجرمين » بالتأنيث ورفع سبيل . أما نافع وأبو جعفر فبتاء الخطاب ونصب سبيل وليس فى قراءتهما هذه شاهد لأى لغة منهما . وجاءت الآية « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » فقرأ ابن أبى عبلة « لا يتخذوها سبيلا » . هذا ولم يرد « السوق » فى القرآن إلا مجموعاً على « أسواق » فلا يتضح فى مفرده تذكير ولا تأنيث . ولم يرد فيه « البر » بمعنى القمح ولا الشعير ولا البسر ولا الزقاق وورد فيه « الذهب » مما لا يظهر فيه تذكير أو تأنيث « ملْ الأرض ذهباً » ومن ذهب . من الذهب » وقد قيل فى الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » إن التأنيث فيها على لغة الحجازيين .

٦ — لغة بنى يربوع بطن من تميم يكسرون ياء التكلم إذا أدغمت فى ياء قبلها فشددت يقولون بنىِّ ومصرخىِّ . وقد قرأ حمزة والأعمش « بمصرخىِّ » على لغة بنى يربوع ، وكذلك قرأ يحيى بن وثاب وحمران بن أعين . وقرأ جميع القراء ما عدا حفصاً عن عاصم « يا بنىِّ إنها إن تك .. » على لغة بنى يربوع بالكسر

٧ — بلعنبر « بنى العنبر » من تميم يقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف : (ا) عند الطاء (ب) عند القاف (حـ) عند الغين (ء) عند الخاء ، إذا كن بعد السين ولا يبالى أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة . ويقولون فى سراط وبسطة وسرقت ومسغبة وسخر « صراط وبصطة وصرقت ومصغبة وصخر » وقد ورد فى المعاجم : الصاق لغة فى الساق عنبرية . هذا وفى لغة قريش يقولون الصراط فى السراط . وقد قرئ فى السبعة وغيرها : السراط والصراط[1] كما قرئ بسطة وبصطة ومسيطر ومصيطر وكباسط وكباصط وبسطت وبصطت . وعلى العموم كل ما ولى السين فيه طاء قرئ بالسين وبالصاد قراءة صحيحة . ولعل قريشاً تشارك فى هذا الحرف عند الطاء .

أما ما كان بعده قاف مثل « سقر » أو خاء مثل « سخر » أو غين مثل « مسغبة » فلم يقرأ بقلبها صاداً فى قراءة صحيحة . على أننا من معرفة هذه القاعدة يمكننا أن نلغى كثيراً من مواد المعاجم التى استقلت بنفسها ونردها إلى أصلها الذى تفرعت عنه فإن كل ما جاء بوزن واحد وحروفه متفقة إلا فى السين والصاد وكان فى الكلمة قاف أو غين أو خاء أو طاء بعد السين أو الصاد فالأصلى منهما ما كان بالسين وأما ما كان بالصاد فهو متأثر بلغة بلعنبر من تميم فلا داعى لاستقلاله بمادة منفصلة فى المعاجم لأنه فرعى ويكفى ضمه إلى أصله المتفرع عنه والإشارة إلى أنه متأثر ببعض بنى تميم أو على الأقل إذا جعلناه فى مادة منفصلةَ أشرنا إلى أنه نطق لبعض بنى تميم . ولى بحث فى مثل هذا نشر منذ أعوام .

٨ — أهل الحجاز يضعون لفظة «الزوج» للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً . أما بنو تميم فيقولون زوج للرجل وزوجة للمرأة قال الفرزدق :

(١) كما قرئ بإشمام السين حرف الزاى وهى لغة قبيلة كلب وهذا ما سأعرض له فى القبائل الأخرى .

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى   كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

والقرآن الكريم جرى على استعمال الحجازيين «أسكن أنت وزوجك الجنة . أمسك عليك زوجك . وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج » .

٩ — لفظة «جبريل» كقنديل لغة أهل الحجاز . أما التميميون فينطقونه جبرئيل « بفتح فسكون فكسر فهمزة مكسورة فياء : قال عمران بن حطان .

والروح جبريل منهم لا كفاء له   وكان جبريل عند الله مأمونا

وقال جرير :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد   وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

أما حسان بن ثابت فقد استعمل اللغتين فقال :

وجبريل رســـول الله فينا   وروح القدس ليس له كفاء

وقال :

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة   مدى الدهر إلا جبرئيل أمامها

هذا وقد قرأ ابن عامر وأبو عمرو ونافع وحفص جبريل على لغة أهل الحجاز ، وقرأ حمزة والكسائى والأعمش وأبو بكر عن عاصم جبرئيل على لغة بنى تميم .

١٠ — أهل الحجاز يقولون «أنا منك براء» على وزن فضاء؛ أما التميميون فيقولون أنا منك برىء على وزن جرىء .

والقرآن الكريم استعمل اللغتين « إننى براء مما تعبدون . وأنا برىء مما تشركون » .

١١ — « الزنا » يتلفظ به مقصوراً فى أغلب اللغات . أما تميم وأهل نجد فإنهم يتلفظون به ممدوداً .

قال الفرزدق :

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه   ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

١٢ — « الوتر » بمعنى الفرد أو بمعنى الذحل وهو الثأر . فأهل الحجاز يفتحون الواو فى الوتر بمعنى الفرد ويكسرونها فى معنى الذحل . وقيس وتميم يسوونهما فى الكسر . أما أهل العالية[1] فإنهم بالعكس من الحجازيين يفتحونهـا فى الذحل ويكسرونها فى الفرد . وقد قرأ بكسر الواو فى «والشفع والوتر» حمزة والكسائى وخلف والحسن والأعمش . وقرأ باقى القراء بالفتح على لغة الحجازين .

(١٣) لغة تميم وأهل نجد ما عدا قبيلة أسـد يقولون حج البيت — بكسر الحاء — ولغة أهل العالية [1] والحجاز وأسد بفتح الحاء . وقد قرأ بالكسر حمزة والكسائى وحفص وقرأ باقى السبعة بالفتح .

١٤ — استحى يستحى بياء واحدة لغة تميم وقد ورد :

ألا تستحى [2] منا ملوك وتتقى   محارمنـــا لا يبأو الدم بالدم

ولغة الحجازيين استحيا يستحيى وفى القرآن الكريم « إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما » وقد قرأ ابن كثير [3] فى رواية شبل وقرأ ابن محيصين ويعقوب « يستحى » بياء واحدة .

١٥ — صاعر خده يصاعره لغة الحجازيين وصعر بالتشديد وقد قرأ « ولا تصاعر خدك للناس » نافع وأبو عمرو والكسائى وخلف واليزيدى والأعمش . وقرأ الباقون « ولا تصعر » على لغة بنى تميم .

١٦ — قشط الشىء « بالقاف » لغة تميم وأسد .. وقد قرأ « قشطت » بالقاف ابن مسعود والشعبى وإبراهيم بن يزيد النخعى أما قريش [4] فتقول « كشطت » بالكاف وبها قرأ القراء .

١٧ — هناك كلمات يحدث فى حروفها تقديم أو تأخير بين

---

(١) قال السيوطى فى المزهر « أهل العالية هم أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها » . وقال الأمير فى حاشيته على المغنى «العالية= =هى ما فوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ماوراء مكة وما والاها» . وعلى كلا النصين يكون اطلاق أهل الحجز فى لفظة الوتر قاصراً على قريش . هذا وفى اللسان : العالية ، فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة وهى الحجاز وماوالاها وقال أيضاً هى أماكن بأعلى أراضى المدينة ، والظاهر أن العالية جزء من الحجاز ونجد .

(١) كذا نص صاحب اتحاف البشر وقد تبين لى من اختلاف النصوص والمصادر أن الحجازيين إذ ذكر معهم أهل العالية كان المراد بالحجازيين قريشاً ، وإذا انفرد أهل العالية أو انفرد الحجازيون شمل أحدهما الآخر « بمعنى إذا اجتمعا افترقا » وإذا افترقا اجتمعا » .

(٢) كذا أورده أبو حيان فى البحر أما لسان العرب فأورده « ألا تنتهى عنا ملوك ... »

(٣) كذا فى البحر أما إتحاف البشر فقد ذكر ابن محيصين فحسب ولم يذكر يعقوب ولا رواية شبل عن ابن كثير .

(٤) فى تاج العروس مادة قشط قال «وقيس تقول كشطت بالكاف» وفى مادة كشط « قال وقريش تقول كشطت بالكاف » وهو ما أرجحه إذ أن قيسا يغلب أن تشارك النجديين، وقريش هى التى تقابل الأغلب أهل نجد وقد يكون بعض قيس مشاركا قريشا .

الحجازيين والتيميين وغيرهما ، وهو ما يدخل فيما يسمى القلب المكاني . ويحدث ذلك من السماع الخاطىء أول الأمر ثم ينتشر ذلك المسموع مع خطئه حتى يصبح لغة قائمة بنفسها . ونحن نجد في كتب اللغة كثيراً من هذا النوع وما نص عليه منها قليل ، من ذلك أن الحجازيين يقولون « الصاعقة والصواعق » ، وفج عميق وعثى في الأرض أفسد فيها . ولعمرى قد حصل كذا . وجذبت الشيء» ويشاركهم في ذلك كثير من القبائل ؛ بينما يقول التيميون الصاقعة والصواقع وبها قرأ الحسن « من الصواقع حذر الموت » « ومن كل فج معيق » وبها قرأ ابن مسعود « وعاث في الأرض فساداً . والقراءات كلها على لغة الحجازيين «ولا تعثوا في الأرض مفسدين» كما يقول التيميون جبذا الشيء. ورعملى قد حصل كذا .

١٨ — الـكلمة لغة تميم فيها على وزن «عبرة» بكسر فسكون وقد قرأ أبو السمال العدوى جميع ما ورد منها في القرآن بلغة تميم . وجمعها عندهم كلم بكسر ففتح . قال رؤبة : « لا يسمع الركب بها رجع الكلم » على وزن « عبر » وأغلب التيميين يسكنون اللام في جميعها جرياً على عادتهم التي شرحتها من قبل . أما لغة الحجازيين في « الـكلمة » فبفتح فكسر وجمعها « كلم » بفتح فكسر . وأغلب القراء على لغة الحجازيين فيهـا . وهناك لغة ثالثة في الـكلمة لم تنسب وهى فتح فسكون ففتح على وزن « جلة » .

١٩ — « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير » قرئ بفتح الراء من « ربيون » فيما رواه قتادة عن ابن عباس وهى لغة تميم ، أما غير تميم فلغتهم فيها إما بكسر الراء وهى الأغلب أو ضمها وهى قليلة .

٢٠ — لغة تميم أرجأه يرجئه ولغة قيس [1] وأسد أرجى يرجى فهو مرج بدون همز وقد قرئ « ترجئ من تشاء منهن » وأرجئه وأخاه » بالهمز ابن كثير وأبو عمر وابن عامر ويعقوب وأبو بكر . وقرأ الباقون ترجى وأرجه بدون همز .

٢١ — لغة تميم آصدت الباب فهو مؤصد بالهمز ولغة غيرهم أوصدت فهو موصد وقد قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم « عليهم نار مؤصدة » بالهمز وقرأ باقي السبعة موصدة بدون همز

٢٢ — « الهدْى » وهو ما يهـدى في الحج من الذبائح ينطقه الحجازيون على وزن فعل بفتح فسكون أما تميم وسفلى [1] وقيس فينطقونه الهدى على وزن فعيل وقد قرأ مجاهد والزهرى وابن هرمز على لغة تميم « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله » وروى ذلك أيضاً عصمة عن عاصم .

٢٣ — في الأمالي : تميم وقيس تقولان شايحت بمعنى حاذرت وفي لغة هذيل بمعنى جددت في الأمر .

٢٤ — في النوادر لأبي زيد : تميم تقول في الأعسر الألفت وفي ألفة وهو العين اللسان الألف .

٢٥ — في تاج العروس مادة « عش » تميم تقول غس في البلاد في معنى دخل ومضى قدما .

٢٦ — السدقة في لغة تميم الظلمة وفي لغة قيس الضوء .

٢٧ — تقول تميم للقادم من الحج « مبرور مأجور » بالرفع وغيرها ينصبهما هذا وإني إذ أختم الـكلام عن أشهر ما روى لتميم مما كان له أثر في القراءات أو اللغة وقواعدها يمكنني أن أستخلص المميزات اللغوية وهى ما يسمونها Choracteristics الخاصة بتميم فهى تحرص على الإمالة وتحقيق الهمزة وقد تبالغ فيه وتسكن الوسط المتحرك في الكلمة وتتجه إلى إدغام ما تماثل من الحروف أو تجانس ويشاركها في أكثر ذلك جيرانها سكان نجد

استدراك :

١ — ذكرت في المقال الأول أن أبا عثمان المازنى من تميم والصحيح أنه من مازن ربيعة لا مازن تميم .

٢ — روى البيت « اليوم أعلم ما يجئ به ... » في المقال الثالث وصحته اليوم أجهل ما يجئ به ... »

٣ — ذكر شارح القاموس في المقدمة أن الوتم معناه قلب الـكاف شينا مع أن الوتم هو قلب السين تاء والشنشنة هى قلب الـكاف شينا .

(١) هنا نجد المقابلة بين تميم من ناحية وقيس وأسد من ناحية أخرى ولم يرد ذكر للحجازيين ولعل أهل الحجاز يقولون أرجى فهو مرج لأن ذلك أقرب إلى مبدئهم وهو تخفيف الهمزة ويبدو أن قيسا وأسدا في هذا اللفظ تأثرتا بالحجازيين لمجاورة أغلب قيس للحجاز ومجاورة أسد لقيس

(١) سفلى قيس هى البطون المتفرعة منها التى تسكن نجد مجاورة لتميم ، وعليا قيس هى البطون التى تجاور الحجازيين .

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٣)

(١) النفس عند ابن سينا (٣)

للأستاذ كمال دسوقى

كان ابن سينا فى المقالة الخامسة بصدد الحديث عن المركبات وما تتركب منه من عناصر ، وكيف يتم هذا التركيب ؛ فتناول النار ، فالأرض بطبقاتها من بر وبحر وطين ؛ فالهواء ما كان منه بخاراً أو برداً أو دخاناً أو ريحاً ... فكأن العناصر عنده هى العناصر الأربعة المعروفة لكم منذ الأيونيين : الماء والهواء والنار والتراب . لاتوجد صرفاً خالصة ، بل باختلاط وتمازج . والجديد هنا أن هذه العناصر « طوع الأجرام العالية الفلكية » ، وأن الكائنات الفاسدة (يعنى الفانية المحسوسة) تتولد من تأثير تلك (يعنى العناصر) وطاعة هذه (يعنى الأفلاك) ؛ لأن الفلك وإن لم يكن حاراً ولا بارداً فإنه قد ينبعث منه فى الأجسام السفلية حرارة وبرودة بقوى تفيض منه عليها ... » . اربطوا قوله هذا

٤ — ناقض أبو حيان نفسه فى تفسيره حين ذكر أن عسى لا تلحق بسى الضمائر عند تفسير قوله تعالى « هل عسيتم إن توليتم » مع أنه قال عكس ذلك عند قوله تعالى « قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال .. » إذ ذكر أنها تلحقها بسى وهو الصواب الذى روته أيضاً كتب النحو ، ولعل الخطأ لسهو منه أو من الطباعة .

مصادر البحث :

يرى المتتبع لهذا البحث أن مصادره التى ذكرت عرضاً فى المقالات الخمس هى تسعة وعشرون كتاباً يضاف إليها تاريخ ابن خلكان والكامل للمبرد والمقتضب لابن جنى والمفصل للزمخشرى وخزانة الأدب للبغدادى والنشر لابن الجزرى والأصنام لابن الكلبى وبلوغ الأرب للألوسى والكتاب لسيبويه .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

(فى صفحة ١٥٢ ومنتصف ١٥٣) بمطلع فصلكم السادس فى النفس حيث يقول : « وقد يتكون من هذه العناصر أكوان أيضاً بسبب القوى الفلكية إذا امتزجت العناصر امتزاجاً أكثر اعتدالا مما سبق ذكره من المركبات ؛ كالنبات والحيوان والإنسان التى نفوسها موضع حديثه فى هذا الفصل .

وعند ابن سينا أن الأفعال النباتية والحيوانية والإنسانية تكون من قوى زائدة على مجرد الجسمية وطبيعة المزاج ، وأنه كلما حدث اعتدال أكثر فى تركيب هذه العناصر وانسجامها كانت أكثر قبولا لقوة نفسانية أرق من الأولى . وتلمسون فكرة التدرج هذه فى تقسيم النفوس النباتية والحيوانية والإنسانية وفقاً لدرجة كل منها فى هذا الاعتدال من تعريفه لهذه النفوس . والنفس هى كمال أول لجسم طبيعى آلى — نفس التعريف الذى قال به أرسطو — فإن كانت نباتياً فهى كماله من حيث التوالد والنمو والغذاء ؛ وإن كان حيوانياً فمن جهة إدراكه للجزئيات وتحركه بالإرادة ؛ وإن كان إنسانياً فمن حيث هو يفعل الأفعال باختيار الفكر واستنباط الرأى. وتذكركم هذه التعريفات — فيما أرجو — بما بين لكم أساتذتكم من الاطراد المكسى فى نقص الما صدق تبعاً لاتساع المفهوم ؛ خصوصاً وأن هذه الصفات الواردة فى التعريفات المذكورة كلها أساسية وجوهرية تنتقل من العام إلى الخاص ؛ مما يترتب عليه أن تكون صفات الأعم (النبات) موجودة فى الأخص (الانسان) ، لا العكس

وهنا نقبل على أقسام كل من هذه النفوس الثلاثة : فقوة الغذاء وقوة النمو وقوة التوالد هى ما تنقسم إليه النفس النباتية ، ولن يتعذر عليكم فهم تعريفها واستيعابها . أما النفس الحيوانية فلها فوق صفات النفس النباتية السابقة ، وكما ترون من تعريفها ، قوتان : الحركة والإدراك الجزئى . والحركة إما ببعث الشوق والنزوع للحركة بقوة الشهوة (اللذة) أو بقوة الغضب (الألم) ، وإما بفعل الأعصاب يقع عليها التأثير Stimulus من خارج فيرتد إلى العضلات فى حركة رد فعل او استجابة Reaction . وكلاهما نظرية علمية لا تزال قائمة فى علم النفس إلى اليوم — الأولى تستند إلى علم الأخلاق ، ويأخذ بها أصحاب الدوافع أو مدرسة القصد Purposivism فى علم النفس والأخرى يؤيدها علم وظائف

الأعضاء (الفزيولوجيا) ، وخصوصاً دورة الجهاز العصبي بطرقه الصاعدة التي توصل التأثير من الحواس إلى المخ والنخاع الشوكى Afferent Nerves ، ثم بطرقه الهـابطة التي ترتد بالحركة إلى العضلات أوغيرها من مناطق الفعل الحركية efferent Nerves مما لا يزال يفسر به كل فعل عصبي أو منعـكس شرطى . فابن سينا فى هذين القسمين الجزئيين يقدم لنا تفسيراً مزدوجاً للحركة الإرادية وغير الإرادية يسبق به علماء النفس المحدثين بقرون .

ونعرد إلى قوة الإدراك فى النفس الحيوانية ، فنجدها تنقسم عنده إلى إدراك ظاهر وإدراك باطن ، أما الإدراك الظاهر فأبوابه الحواس الخمس المعروفة (أبواب المعرفة الخمسة) The Five Gates of knowledge كما نقلها جون ملتون Jon Milton وهى البصر والسمع والشم والذوق واللمس لأربعة الأزواج المتضادة بنفس ترتيبها حسب أهميتها لدى كوندياك Condillac وغيره من علماء النفس المحدثين ، وبنفس تفسيرها تقريباً . فالمؤثر من الخارج يقع على عضو الحس فينبهه وينطبع فى الذهن فيفسره المخ . وهنا جدل طويل حول الرأى القديم الذى كان يظن بحاسة البصر غير ذلك ، وتأييد للرأى العلمى الصحيح . هـذه هى الحواس الخمس التى تم بها الإدراك الظاهر ، وكان ابن سينا قد قال : الخمسة أو الثمـانية — ولـكنه لم يذكر إلا هذه الخمسة ، فهو إذن يريد بذلك الأربعة الأولى ثم يقسم اللمس إلى الأربعة الأزواج المـذكوره : الحرارة والبرودة ، واليبس والرطوبة ، والصلابة والليونة ، والخشونة ونعومة الملمس — بوصفها أربع قوى لجنس اللمس الواحد . وعلى أى حال فقد وجدنا من علماء النفس المحدثين من يقول بثمانى حواس فعـلا بدلا من خمس ، ولـكنه يزيد حينئذ على الخمس آنفة الذكر : حاسة للتعب ، وحاسة الاتزان فى الوضع ، ثم حاسة الاتجاه . وليست هذه على أى حال ظاهرية .

أما الإدراك الباطن فهوإدراك صور أو إدراك معان : الصور هى التى تدركها الحواس أولا ، ثم تفسرها القوى الباطنة — كالتى ذكرنا ، والمعنى تدركه القوى الباطنة وحدها ، أى يتمثله الذهن وحده دون إهابة بالحواس . وهو إدراك سـلبى بلا فعل ترتسم فيه سورة الشيء فحسب ؛ أوإدراك إيجابى فعال active فيه تركيب للصور والمعانى وتحليلها — وهو تقسيم فعلى إلى فاعل إيجابى ، وقابل أو منفعل سـلبى . ثم هو إدراك أول مباشر يقع للشخص من نفسه — أى إدراك ذاتى Subgective أو يؤديه إليه شيء آخر يأتى عليه من خارج — إدراك موضعى Obgective

تبينوا هـذه التصنيفات الثلاثة للادراك جيداً ، وميزوها بوضوح ، ثم انظروا إلى ابن سـينا وهو يشرّح المخ ليوزع فى مناطقه المختلفة نفوذ هذه القوى الإدراكية . فالمخ ينقسم باعتبار المـكان — فى موضعه من تجويف الرأس — إلى مقدم ووسط ومؤخرة . فى المقدم يوجد الحس المشترك (وهو ينقل كلمة فنطاسيا من اليونانية Phantasma بمعنى الإبانة أو الإظهار ليدل بها على المخيلة أو المصورة للشيء بعد غيابه . وفى الوسط توجد المفـكرة فى الإنسان (والمتوهمة فى الحيوان) التى تجمع وتفصل هـذه الصور magination . وفى المؤخرة توجد الحافظة أو الذاكرة Memory التى تُختزن فيها المعانى الذهنية كما يجمع الحس المشترك الصور الحسية .

وأخـيراً تأتى النفس الناطقة وتنقسم عنده إلى نفس عاملة (عملية) وأخرى عالمة (نظرية) ؛ الأولى تتعلق بالتدبير والتصرف ؛ والثانية باكتساب العلوم والمعارف . الأولى مبدأ يحرك بدن الإنسان إلى تدبير أموره الجزئية الخاصـة — أى إلى السلوك بحرية واختيـار ؛ وذلك بفعل قوتى النزوع والوهم . فالنزوع يبعث فيها الفعل والانفعال كالضحك والبكاء والخجل ... الخ مـما يتعلق بمواقف الإنسان ذاتها وكيف يخرج منها . والوهم يبعث على تدبير الأمور والعمل والاختراع . وهذا العقل العملى ذاته يولد — بالاشتراك مع العقل النظرى — مبادئ الأخلاق والمعاملات والتصرف ، وهى التى يجب أن يكون لها السيطرة على قوى البدن الأخرى حتى يكون سلوك الإنسان فاضلاً ، فلو تغلبت القوى الأخرى كالشهوة والانفعال والغضب ... الخ ؛ لنشأت الأخلاق الرذيلة .

تلك هى النفس العملية التى تتعلق بسياسة البدن السفلى وقيادته إلى الفضيلة . فالنفس — وإن كانت جوهراً واحـداً — تتجه إلى أسفل لتسوس البدن ، فتـكون عملية ، وتتجه كذلك إلى

أعلى لتتلقى العلم النظرى وتستفيد به ، فتكون حينئذ نظرية عالة عالية لا صلة لها بالبدن ولا يؤثرانه بأى نوع من الصلات . إذ هى تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، وتجردها منها إن كانت غير مجردة ثم تنطبع بها .

وهذا العقل النظرى بطبيعته قابل لهذه الصور — قابل لها بالقوة En Puissance وقابل لها بالفعل Eu acte

(١) يقبلها بالقوة قبولا مطلقاً من حيث أنه محل قبول هذه الصور، وإن لديه الاستعداد لقبولها متى شاء أو صحت الظروف ، فيسمى حينئذ عقلاً هيولانياً ، لأنه يشترك فيه أفراد النوع باستعداد فطرى.

(٢) ويقبلها بالقوة قبولا ممكنا بعد أن يكون قد تهيأ للاستعداد الهيولانى السابق بتحصيل هذه الصور والكمالات العقلية ، فأصبح مهيأ لفعلها متى أراد بلا واسطة ، فيسمى حينئذ عقلاً ممكناً (أو ملكة Faculté)

(٣) ويقبلها بالقوة قبولا ممكنا كذلك ، بأن يكون العقل الممكن فى المرحلة الثانية قد تم له تحصيل هذه الصور والكمالات وأصبحت له ملكة كاملة يستطيع بها أن يفعل متى أراد ، ولو لم يكن فاعلاً فى لحظة ما . وتسمى هذه ملكة أو كمال قوة أو قوة كمالية (نسبة إلى الكمال لا الكلى) .

والأولى من هذه القوى النظرية هى التى يمكن أن يقال إنها بالقوة بحق ، فإذا ما بدأت تحصل المعقولات الكلية والمقدمات العقلية والبديهيات فى المرحلة الثانية (القوة الممكنة) وصارت عقلاً بالملكة ؛ ثم إذا تم لها كمال التحصيل والتخزين لهذه الصور المعقولة المدخرة التى تطالعها وترجع إليها فى نفسها متى أرادت ، فتعقلها وتعقل أنها تعقلها — بلا عسر أو تكلف — فى المرحلة الثالثة (كمال القوة) ؛ فهنا فى هذين العقلين يكون العقل بالفعل لا بالقوة . ومسألة القوة والفعل فى هذه العقول الثلاثة نسبية عند ابن سينا ، فكل واحد منها يكون بالفعل لما قبله وبالقوة لما بعده . ذلكم أن صفة « الفعل » إنما يكتسبها الواحد من هذه العقول لا من ذاته ، بل باستفادته من عقل هو أبداً بالفعل En acte لا بالقوة (هو العقل الفعال الذى سبقت الاشارة إليه) ولذا يسمي ابن سينا العقل فى أوج تعقله وإدراكه وكماله العقل المستفاد intellect acquise .

بل إن ابن سينا يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيحدثنا عما يسميه العقل القدسى ، فيمن كمل استعدادهم من الناس ، وهم قلة ، لأن يتصلوا بالعقل الفعال دون عناء ، ولأن يحصلوا على هذه المعقولات وكأنها من عند أنفسهم وحاضرة فيهم ، وذلك بما لديهم من الحدس والعيان والمكاشفة intu ion ، وهى أرق وسائل المعرفة الفيضية هذه التى تدرج بك فيها . وحجته هنا مقنعة وبليغة ، وهى أنه يتصور أن أية معرفة عقلية تقوم على القياس والمنطق فهى استنباط نتيجة من حد أوسط مشترك بين مقدمتين ، كما تعرفون فى منطق الاستدلال ؛ بينما توجد معرفة أخرى أرق يقوم فيها الحدس والذكاء المفرط ذاتهما باختصار هذا الحد الأوسط والوصول مباشرة إلى النتيجة . وهذه النظرية فى المعرفة هى أصح ما فى مذهب ابن سينا فى العقل الإنسانى بعد تقسيمه إياه إلى نظرى وعملى ، لا يزال يقول بها من بعده الغزالى والصوفية، ويرجعون فى هذا العصر الحديث، حين يجعلون الحدس والعيان قوة إدراك مباشرة تنعدم فيها الواسطة . وغاية ما يؤخذ عليه فيها عدم تحديد مصطلحاته واشتراكها فى تسمية شىء واحد . فنحن الآن نفهم بالذكاء inrelliqence القدرة على إدراك المواقف خلال الحدود الوسطى ، وبالعيان والحدس الوصول إليها عفواً وتجربة وبلا وساطة .

لقد تدرجنا بك مع ابن سينا حتى الآن فى سلسلة من الكائنات النفسية عجيبة الترتيب والتصنيف ؛ من أقلها شأناً حتى أعظمها قدراً ؛ من قوة التوالد فى النفس النباتية حتى العقل القدسى فى النفس الإنسانية . وعليك بعد هذا أن تقلب هذه السلسلة التصاعدية رأساً على عقب ، وتنظر إليها نظرة تتبين منها أن كل قوة من كل نفس من هذه النفوس تقوم على خدمة الأعلى منها ، لا يقتصر الأمر على مملكة النفوس هذه ، بل إن القوى الطبيعية تقوم فى خدمتها جميعاً . والله المسئول أن يمينكم على أن تتسع عقولكم لتدخل فيها عقلية ابن سينا هذه الكبيرة .

كمال دسوقى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

خلف اللثام لمحمود تيمور :

ظاهرة فى فن محمود تيمور تتكشف للناقد الذى يتتبع آثاره القصصية بعين لا تنام ، فهو فى آثاره الأولى غيره فى آثاره الأخيرة ... ولو تناولت إحدى قصصه الطويلة أو القصيرة فى بدء حياته الأدبية ، لرأيتها تختلف اختلافاً واضحاً عن مثيلاتها فيما يكتب من قصص فى هذه الأيام . قصاص اليوم يختلف عن قصاص الأمس ؛ يختلف عنه فى الخامة والأفق ، ومنهج التصور وطريقة التعبير ... وإذا سألتنى أيهما خير من الآخر لقلت لك فى غير تردد : قصاص اليوم بلا جدال !

محمود تيمور فى إنتاجه القديم كاتب قصة « محلية » ، وخامة هذا اللون من القصص خامة محدودة إذا ما وزنتها بميزان « العالمية » فى الفن ... أعنى أنك لو نقلت أدب تيمور القديم إلى لغة أخرى لما نظر إليه قراء هذه اللغة نظرتهم اليوم إلى أدبه الحديث . أما أفق تيمور فهو على التحقيق أوسع مدى مما كان منذ خمسة عشر عاما ، وكذلك طريقته فى رسم الشخوص وتشريح النفوس وانتزاع الحوادث من منابعها الأصيلة ... وأسلوب تيمور هو الآخر قد انتقل من حال إلى حال ؛ لقد كان يميل فى سابق أيامه إلى أن يكتب بعض قصصه باللغة الدارجة ، ولكنه يعود اليوم إلى حظيرة الفصحى عودة شغف وإخلاص وإيثار ، وإذا القصة على سنان قلمه قطعة أدبية رائعة تزخر بإشراق اللفظ وسلامة العبارة .

قصاص الأمس متأثر بالقصة الفرنسية ، وقصاص اليوم متأثر بالقصة الروسية ، والفارق بين القصتين فارق ملموس ... إذا نظرت فى القصة الفرنسية وجدتها تعنى فى الكثير الغالب بالمفاجأة ، ولا تخلو المفاجأة من الافتعال فى بعض الأحيان ! ومن السمات التى تغلب على القصة الفرنسية السرعة والحركة والمبالغة ، ولكن هذه السمات لا تصلح للقصة ذات الفكرة النفسية والسبحات الروحية ، تلك التى تحتاج إلى العرض الهادىء المركز المتزن . ولا تعنى القصة الفرنسية كل العناية برسم الرتوش الداخلية والخارجية فى ثنايا العرض القصصى ؛ ونقصد بالرتوش الداخلية ما يصاحب هذا العرض من لقطات تصويرية للنفوس والشخوص ، أما الرتوش الخارجية فنعنى بها تلك الظلال التى تلف الفكرة القصصية بوشاح من الوصف التخيلى الصادق للجزئيات ، فى نطاق الملامح والسمات . على النقيض من هذا كله تجد القصة الروسية ؛ فهى قلما تحفل بالمفاجأة ، وإنما تقدم إليك لوحة نفسية تزخر بصراع العواطف ، وظلالا إنسانية يمكن أن يجد القارىء فيها صورة نفسه . وهى حين تمضى فى طريقها من رسم النماذج البشرية وصب الفكرة فى قالبها الذى ينقل من الخيال إلى الواقع ، لا تخطىء حين توزع الضوء ، ولا تسرف حين تحدد الظل ، ولا تستمد اللون إلا من أعماق النفس وأغوار الحياة .. إننى أتحدث هنا موازنا بين الأدبين الروسى والفرنسى فى مجال القصة الفنية القصيرة ، أما فى مجال القصة الطويلة فقد تعلو القصة الفرنسية عند بعض كتابها من أمثال بلزاك وفلوبير فوق مستوى مثيلتها فى أدب القصة الروسية ! وثمة فارق آخر بين القصتين :

فى القصة الفرنسية قد تجد الفكرة فى ذروة النضج الفنى ولكنها لا تسمى كثيراً وراء هدف ؛ وفى القصة الروسية تجد الفكرة والهدف يسيران جنباً إلى جنب ؛ الهدف الفلسفى الذى يصبغ الفكرة القصصية بصبغة النظرات العميقة ، تلك التى تحاول جاهدة أن تنفذ إلى ما وراء المجهول .

على ضوء هذه الموازنة نستطيع أن ننظر إلى ماضى تيمور الأدبى وحاضره ، وليس معنى ما ذكرت أن تلك السمات التى تتسم بها القصة الفرنسية والروسية هى بعينها التى تتمثل فى أدب تيمور بين الأمس واليوم ، كلا .. كل ما قصدت إليه هو الإشارة إلى أن تيمور متأثر بتلك السمات هنا وهناك !

من هذا الإنتاج الأخير الذى تنعكس عليه ظلال من أدب القصة الروسية هذا الكتاب الذى أخرجته الطبعة منذ قريب ، ونعنى به « خلف اللثام » .. هو فى رأيى خير مجموعة من الأقاصيص قرأتها لمحمود تيمور ، ولا أحسبنى غالياً إذا قلت إن فيه أقصوصة لم أقرأ خيراً منها عند قصاص مصرى حتى ولا عند تيمور نفسه ، وهى أقصوصة « المستعين بالله الكاتب هاردى » .. هناك كاتب يستلهم قلمه وكاتب يستلهم قلبه ، وميزة تيمور أنه يستلهم قلبه دائماً !

إنه فى هذه الأقصوصة يحلق فى أفق مشرق من الروحانية الوضيئة . وهو فى الأقصوصة الأولى « خلف اللثام » يحلق فى نفس الأفق ويملك ريشة الفنان وقلب الإنسان ، ولكنه للأسف قد لجأ إلى طريقة جديدة فى معالجة الفكرة القصصية جعلتها تحفل بالغموض والإبهام ، طريقة تهب عليك منها رائحة « المذهب

السريالى » ، ذلك المذهب الذى شاعت تعاليمه أخيراً فى الأدب الفرنسى ... أما خطر هذه الطريقة فيتمثل فى انعدام الربط بين الحوادث والأفكار مما ينتج عنه بعض التفكك فى البناء الفنى للقصة ، هذا عدا الغموض الذى اضطررت بسببه إلى أن استفسر من الأستاذ المؤلف عن بعض المواقف التى لم تتضح لى فى ثنايا العرض القصصى ! ...

أما تيمور فيعتقد — كما قال لى — أنه لم يتأثر بمذهب السير ريالزم فى كتابة هذه الأقصوصة ، ومع ذلك فما زلت أحس كلما رجعت إليها أننى أقرأ شيئاً من انتاج عميد هذا المذهب فى الأدب الفرنسى المعاصر .. مسيو أندريه بريتون ! ومهما يكن من شىء فإن هذه الظاهرة قد تمثلت فى أقصوصة واحدة من كتاب « خلف اللثام » .

وهناك أقصوصة ثالثة نسج تيمور خيوطها من صميم البيئة المصرية وهى « تأمين على الحياة » ... فى هذه الأقصوصة نماذج بشرية رسمت الريشة خطوطها فى دقة وعناية ، وبخاصة تلك الصورة الوصفية التى قدمها تيمور لكاتب المحامى وكذلك الصورة النفسية ، ولولا ذلك الموقف الذى خالف فيه تيمور منطق الحياة والواقع لمضت الأقصوصة إلى نهايتها بغير هنات ...

أما هذا الموقف فأعنى به حين يتقدم كاتب المحامى بصنيعته صبى اللبان إلى إحدى شركات التأمين فتقبل أن تؤمن على حياته بمبلغ ضخم من المال ، على الرغم من أن حياة الصبى معرضة بين لحظة وأخرى لخطر الفناء ... من يصدق أن صبياً تحالفت على كيانه عشرات العلل والعاهات يؤمن على حياته الضائعة بألوف الجنيهات؟!

وهناك أقصوصة رابعة تتجلى فيها موهبة القصاص المفتوح العينين والقلب والذهن ، وهى « شيخ الخفر » ، إنها صورة صادقة من حياة الريف ، هناك حيث تلتقى سذاجة النظرة وإلهام الفطرة وحرارة الإيمان ، ولو دبت قدم الشيطان فهو دبيب إلى حين !

بعد ذلك يقدم تيمور خمس أقاصيص أخرى لا يتسع المجال هنا للحديث عنها ، فليرجع إليها القارىء إذا شاء ليطبق عليها ما أوردته من دراسة لفن تيمور فى بداية هذه الكلمة .

رأى فى الشاعر على طه :

هذا الرأى للدكتور طه حسين بك ... أما أين اطلعت عليه ففى آخر عدد تلقيته من جريدة « بيروت المساء » اللبنانية تحت عنوان : « طه حسين يبايع عمر أبو ريشه » .

سؤال من بضعة أسئلة وجهها مندوب الصحيفة اللبنانية إلى الدكتور طه ، وجواب من الدكتور على سؤال المندوب الصحفى ، وبهذا الجواب العجيب أقام الميزان لشاعرية الشاعرين فانخفض شاعر وارتفع شاعر ... فى ميزان الدكتور طه لا فى ميزان النقد المبرأ من تحكم الهوى وغلبة العاطفة ! ولولا أننى أثق بجريدة « بيروت المساء » كل الثقة ، لارتبت فى أن الحديث الذى نشر قد ناله شىء من التصحيف أو شىء من التحريف !

أدلى الدكتور طه بهذا الرأى يوم أن حل ضيفاً على لبنان منذ قريب لحضور مؤتمر اليونسكو بدعوة من الحكومة اللبنانية أدلى به كما قلت لك إلى مندوب جريدة « بيروت المساء » حين راح يسأله عن دنيا الشعر العربى بعد أن رحل عنها شوقى وحافظ . وعند ما أجاب الدكتور بأن مكان الشاعرين قد ظل مع الأسف شاغراً لم يشغل ، سأله المندوب الصحفى مرة أخرى عن رأيه فى مكان الشاعر على طه ... وهنا ابتسم الدكتور طه ثم قال : « بالله لا تحرجنى ! هذا شاعر لا يعرف قواعد اللغة العربية . ولقد حاولت عبثاً أن أفهمه بأن فعل الأمر من « سقى » يختلف مع المفرد المذكر عنه مع المفردة المؤنثة ، ولكنه لم يفهم ... هل تصدق أنه يقول فى الحالين « إسقنيها » ، مع أنه يجب أن يقول للمفرد المذكر « إسقنيها » وللمفردة المؤنثة « إسقينيها » ؟ ولكنه للأسف لا يعرف قواعد اللغة العربية !

بعد هذا تحول الدكتور طه إلى الشاعر السورى عمر أبو ريشه ليشيد بفنه ومزاياه ، وليخصه بعطفه وتقديره ، وليتحدث عن أثر شعره فى نفسه يوم أن جمع بينهما لقاء أسمعه الشاعر فيه بعض مقطوعاته ، وخلص الدكتور طه من هذا كله إلى أنه ليس هناك شاعر عربى معاصر يستحق إعجابه ويبيعته غير عمر أبو ريشه !

هذا هو الرأى الذى سجلته الصحيفة اللبنانية للدكتور طه حسين وأود أن أعقب عليه فأسأله : هل حدث حقاً هذا الذى دار بينه وبين الشاعر على طه ؟ وإذا كان ، ففى شرع أى ميزان من موازين النقد يجوز للناقد أن يقدر أقدار الشعراء على ضوء خطأ نحوى أو لغوى يقعون فيه ؟! ... وإذا أبيح للدكتور أن ينظر إلى الشاعر المصرى هذه النظرة التى تنكر كل موهبة من مواهبه وتلغى مكانه من قائمة شعراء الطليعة لمجرد خطأ واحد وقع فيه ، ففى أى مكان يا ترى يمكن أن يضع شاعراً كالمتنبى وقد حفل شعره بكثير من الأخطاء اللغوية ؟ !

لقد كنت أود أن يكون رأيه فى الشاعرين وليد دراسة

وموازنة لا وليد هوى ومجاملة ، لأن ميزاناً تحرك كفتيه العاطفة سيكون مآله كمآل ميزان الآمدى حين أجهد نفسه فى الانتصاف للبحترى والنيل من أبى تمام . لقد ذهبت أحكامه وبقى الشاعران كل فى مكانه الذى حددته الأجيال ! أما الشاعر على طه فلا أعتقد أن مكانه يمكن أن يؤثر فيه مثل هذا الرأى الطائر ، أو ينال منه هذا الحكم الجائر ...

ولو كان فى المجال متسع للافاضة لقدمت لقراء الرسالة نماذج من شعر الشاعرين ، مع دراسة نقدية كاملة لتلك النماذج الشعرية دراسة تطيل الوقوف عند طاقة وطاقة ، وعند موهبة وموهبة ، وعند أفق وأفق ، وهذا هو الميزان الذى يجب أن يقام للشاعرين ليحدد الفارق فى مجال التحليق بين قدرة جناح وجناح ! .

إننى أدافع هنا عن الشاعر على طه دون معرفة بيننا ولا سابق لقاء!

مسابقة المصور للقصة القصيرة :

أعلنت مجلة المصور عن مسابقة للقصة القصيرة قدمت لها بكلمة عجيبة ، أثارت فى نفسى كثيراً من الشك حول فهم القائمين على أمر تلك المسابقة لأصول الفن القصصى ، وهذه هى الكلمة :

« القصة القصيرة من أرفع وأروع فنون الأدب التى يزداد اهتمام الغربيين بها يوماً بعد يوم . ولا عجب فهى خير ما يناسب عصر السرعة الذى نعيش فيه ، وهو عصر لا يكاد معظم الناس يجدون فيه من وقتهم ما يسمح لهم بمطالعة قصة حافلة بعبارات الوصف ، والتحليل ، والوقوف عند التفاصيل . وهذا هو الذى تتحاشاه القصة القصيرة التى تمتاز بسرعة الحركة ، ودقة الحبكة وشدة التركيز ، وعنصر المفاجأة فى الختام . ولعل هذا العنصر أهم أركانها على الإطلاق .

وقد رأى « المصور » فى عهده الجديد أن يدعو للنهوض بهذا النوع من القصة الذى ما زال يحبو عندنا فى المهد ؛ بينما نراه ناضجاً مكتملا عند الغربيين ، وقد نبغ فيه من أشهر أدبائهم : مارك توين ؛ وإدجار ألن بو ، وأوهنرى ، وسومرست موم ، وموباسان وغيرهم . و « المصور » إذ يدعو أعلام القصة الطويلة فى مصر والعالم العربى إلى تخصيص جانب من عنايتهم لتحقيق هذه النهضة المنشودة ؛ لا يفوته أن ما يبذله كاتب القصة القصيرة من جهد ووقت فى حبك سياقها وسبك ختامها ، لا يقل — إن لم يزد — على ما يبذله الكاتب فى وضع القصة الطويلة »

وإذا كانت هذه الكلمة قد حفلت بالعجب فى طبيعة النظرة إلى فن القصة القصيرة ، وفى طبيعة المعايير التى وضعت لأصولها الفنية ، فإن العجب يصبح أمراً عادياً لا غرابة فيه إذا أنعمت النظر وأطلت التأمل فى هذا الشرط :

« يجب ألا تزيد كلمات القصة التى تدخل المسابقة على ٦٠٠ كلمة »

شىء واحد خرجت به من هذه الكلمة التى قدم بها المصور المسابقة ، وهو أن القائمين على أمرها ينظرون إلى فن القصة القصيرة على ضوء الذوق الصحفي دون سواه ... إنهم يتصورون القصة شيئاً أشبه ما يكون بالريبورتاج الصحفى ، ذلك الذى خلق للتسلية وملء الفراغ ! وهذا واضح من قولهم أنهم يريدون قصة لا تزيد كلماتها على ٦٠٠ كلمة ، لماذا ؟ لأن معظم الناس لا يجدون من وقتهم ما يسمح لهم بمطالعة قصة حافلة بعبارات الوصف والتحليل والوقوف عند التفاصيل ! ... ولست أدرى من الذى أقنعهم بأن عنصر المفاجأة فى ختام القصة يعد أهم أركانها على الإطلاق ، ولا من الذى أفهمهم أن ما يبذله كاتب القصة القصيرة من جهد لا يقل إن لم يزد على ما يبذل الكاتب فى وضع القصة الطويلة ! كلام لا يقوله أبسط الملمين بأصول الفن القصصى ؛ لأن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت ، ولكن هناك أناساً ينشدون « الفرقعة » فى نهاية كل قصة ولو كانت هذه الفرقعة على حساب الفن ! ... والقصة الطويلة بعد هذا هى وحدها القياس الفنى الكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، ولا كذلك الأمر فى القصة القصيرة ؛ لأن العمل الفنى فيها محدود بفترة من الزمن تصورها الريشة فى عدد محدود من الصفحات ، وكذلك زحمة الحوادث والشخصيات ؛ ومن هنا يستطيع كل قصاص أن يقبض على زمام القصة القصيرة بقليل من الجهد الفنى ، ولا يستطيع الناقد فى القصة القصيرة أن يحكم على الطاقة الفنية التى تحدد الفارق بين فنان وفنان ، لأنها طاقة تعمل فى ميدان ضيق قد تتقارب فيه الملكات القاصة ، تقاربا يصعب معه وزن القيم الفنية بميزانها الدقيق الذى يمكن الناقد من إصدار حكم على الأثر الفنى الذى لا رجعة فيه ... ومع ذلك تسمع من يقول لك إن لهذا الجهد الذى يبذله كاتب القصة القصيرة لا يقل إن لم يزد على الجهد الذى يبذله كاتب القصة الطويلة !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب الشعبي:

شمل التعقيب على محاضرة الأستاذ الشبيبي في مجمع اللغة، موضوعا آخر غير موضوع حرية الأدب الذي تحدثت عنه في الأسبوع الماضي، ذلك الموضوع هو الأدب الشعبي، فقد قال الأستاذ ماسينيون: سمعنا حديثاً طيباً عن النهضة الأدبية في العراق وأرى أن كل نهضة يجب أن ترجع إلى اندفاع غريزي في الشعب كله نحو التقدم والترقي، وأنا أعرف أن في الشعب العراقي قوة غريزية أو شوقاً للشعر والأدب، فهل أمكنت الإفادة من تلك القوة الغريزية وهذا الشوق لتصفية الأسلوب وترقية الأدب؟

وما أحسبه قصد الأدب العامي، فما في هذا تصفية أسلوب وترقية أدب، وإنما يرى إلى أن يكون الأدب الفصيح نابعاً من غريزة الشعب مصوراً لمشاعره. ولكن الدكتور أحمد أمين بك قال: إن العناية بالأدب الشعبي واجبة، فكل مؤرخي الأدب، إن في العراق أو في مصر، يميلون إلى الاستقراطية الأدبية ولا يؤرخون إلا للمتعلمين الذين ينتجون على النمط (الكلاسيكي)، ودعا الأدباء إلى أن يؤرخوا للزجل والموشحات والروايات العامية لأنها تدل على حالة الشعب أكثر مما يدل عليه الأدب الارستقراطي.

وقال معالي الرئيس لطفي السيد باشا: ربما كان هذا الضرب من الكتابة أقرب إلى علم أحوال الإنسان منه إلى الأدب.

وقال الأستاذ العقاد: إن الارستقراطية الفنية والفكرية يجب أن تسود، وأنا أشترى أرستقراطية واحدة كهذه بمائة مليون إنسان لا غرض لهم من الحياة إلا أنهم يأكلون ويشربون.

وقال الأستاذ الشبيبي: أعتقد أن أدبنا في الفترة الحاضرة ليس أدبا أرستقراطياً، بل هو أدب ديمقراطي يعبر عن الحياة الواقعة، أما أن يعد الأدب أرستقراطيا لأنه مصوغ في لغة فصيحة فقول لا أوافق عليه.

ثم قال الدكتور طه حسين بك: العربية الفصحى للآن هي لغة الأدب، ونحن مجتمعون هنا لندرسها وحدها، وقال إن الإنتاج الأدبي يجب أن يستمد قوته وبعض خصائصه من البيئة التي يعيش فيها أي من البيئة الشعبية، وبعد أن فرق بين أدب الفصحى والأدب العامي قال: نحن حريصون على أرستقراطيتنا الأدبية حرصنا على الديمقراطية السياسية.

وقد جنح الدكتور طه إلى الارستقراطية الأدبية على اعتبار أنها أدب الفصحى، ولكن هل يصح أن تطلق الارستقراطية على الأدب الذي يستمد قوته من البيئة الشعبية؟ ألسنا نتجه الآن إلى الشعب، نعلمه العربية الفصيحة ونكتب له بها معبرين عن قضاياه ومسائله؟ بل ألسنا نحن من صميم الشعب؟ وماذا نصنع بالأرستقراطية التي نشتريها إذا فرطنا في مائة مليون إنسان بدل أن نرفعهم ونحييهم بأدبنا؟

إنني لا أفهم أرستقراطية الأدب إلا أن تكون ذلك النوع الذي كان يتحلى بأصحابه الحكام والأمراء لقاء ما يرزقونهم، أما الأديب الذي يأكل ويشرب من ثمن أدبه وكتابته، الذي يدفعه إليه الشعب، فما ينبغي له أن يسقط الشعب من حسابه. إن الشعب في الحياة التي نهدف إليها هو كل شيء، فيه نبتنا، وإليه نتجه، وبه يجب أن نرتقي، وعنه يجب أن نعبر، حتى ينسب أدب الفصحى إليه فيقال له «الأدب الشعبي»، أما الأدب العامي من زجل وموشحات و ... الخ فهو شيء آخر، الكتابة فيه «أقرب إلى علم أحوال الإنسان منه إلى الأدب» كما قال أستاذ الجيل.

وأما الأرستقراطية فهي كلمة ممقوتة مرذولة في السياسة وفي الأدب وفي كل شيء.

ذكرى باحثة البادية:

احتفل الحزب النسائي الوطني يوم الأحد الماضي بذكرى باحثة بادية ملك حفني ناصف بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على وفاتها وقد تكلم في هذا الحفل عدد من النساء وبعض الرجال، ودار كلام السيدات والآنسات كله حول حقوق المرأة وظلم الرجل لها وأن المحتفل بذكراها كانت من المجاهدات في هذا الميدان؛ ولم تمن إحداهن بأن تجلو شخصية باحثة البادية من جوانبها المختلفة،

وخاصــة الناحية الأدبية ، فلم يكن الحفـل إلا مناحـة على حرمان المرأة المصرية حق الانتخاب ودخول البرلمان . .

وأنا أحب أن أقول لهؤلاء السيدات والآنسات : لو كان عندنا عدد من مثيلات باحثة البـادية لـكان للمرأة المصرية اليوم شأن غير ماهى عليه الآن فباحثة البـــادية أول امرأة مصرية أمسكت القلم ودافعت عن حقوق المرأة ودعت إلى تعليم البنت ، واستعانت على ذلك بأدبها وما أوتيت من البيان ، فـكم واحدة عنـدنا اليوم تـكتب أو تنظم كباحثة البادية ؟ وهذا الحفل المقـام لذكراها لولا آنسـتان من الجامعة لـكان مأتماً للغة العربية وبيانها ، والآنستان هما نعمت بدر ، وعزيزة هيكل ، فقـد وقفت كل منهما موقف الفتاة المتعلمة التى تتكلم بلغة بلادها

ولا أنكـر على النهضـة النسائية فى مصر ما آتت من ثمرات فى نواحى حياتنا المختلفة ولـكنها نهضة خرسـاء وإن كانت تنطق بالهذر .. فالقـلم لا يزال عصياً على أناملهن ، وميدان الأدب خال منهن إلا قليلا . وأقل ما يدل على ذلك أنه ليس لدينـا جماعة نسوية

كشكول الأسبوع

* انتهت دورة مؤتمر المجمع اللغوى لهذا العام بجلسة يوم الاثنين الماضى ، وقد عقد المؤتمر فى هذه الدورة أربع عشرة جلسة . وبعـد ذلك يستأنف مجلس المجمع (الذى يتكون من الأعضاء المصريين فقط) أعماله ، ومما ينظر فيه ملء الـكرسى الخالى به منذ عام .

* دعت الجامعة العربية إلى عقد مؤتمر فى القاهرة لتنسيق برامج الإذاعة اللاسلـكية للدول العربية ، على أثر مالوحظ من خلافات جوهرية فى الإذاعات المختلفة وخاصة إذاعة شرق الأردن ، بشأن مسألة فلسطين وسواها من المسائل التى تهم البلدان العربية .

* جاء من باريس أن اجتمع فيها الملحقون الثقافيون بسفارات ومفوضيات دول البحر الأبيض المتوسط ، وقرروا عقد مؤتمر للثقافات والمدنيات الخاصة بدول البحر الأبيض فى العام القادم فى مصر باعتبارها أم حضارات البحر الأبيض ، على أن تبرز كل دولة فى المؤتمر ما قدمته بلادها إلى الحضارة الحديثة .

* يعمل بمنظمة اليونسكو بصفة دائمة ثلاثة موظفين مصريين ، إثنان منهم يهوديان ... وقد اتضح أن اليهود الذين يشغلون المراكز الرئيسية فى اليونسكو يستغلون مراكزهم فى مناصرة الحركة الصهيونية والترويج لها بين وفود الدول فى هذه المنظمة .

* يعارض الأستاذ ساطع الحصرى إنشاء مركز إقليمى للتعاون الثقافى بالشرق الأوسط يتبع اليونسكو . وقد قال فى كتـاب إلى مدير اليونسكو : لماذا ننشىء « حظائر » إقليمية داخل نطاق اليونسكو ما دمنا ندعو أمم الأرض إلى التعاون فى ميادين العلم والتربية والثقافة ؟

* بدت أخيراً ظاهرة عجيبة فى الإعلان عن الأفلام الجـديدة ، ففى كل منها يقال إنه إنقاذ للفلم المصرى من أزمته الحاضرة ، ثم لا يلبث الفلم الجديد نفسه أن يكون من أسباب هذه الأزمة .

تستطيع أن تحتفل بذكرى أديبة كباحثة البادية احتفالا وافياً لائقاً .

ثم أسأل : هل الرجل يظلم المرأة حقاً ؟ قد ينكر عليها أمراً من الأمور ، ويمنعها شيئاً من الأشياء ، وقد يفعل ذلك جاهلا ، وقد يكون له فيه رأى ووجهة نظر ، ولـكن المحقق أنه لا يريد أن يظلمها ، وخاصة لأنها محبوبة لديه أثيرة عنده ، فالمسألة مسألة رأى واتجاه لا ظلم وهضم حقوق ، والحقيقـــة الظاهرة أن أكثر ما ظفرت به المرأة من عمل الرجل ودفاعه ، فـكيف يكون محامياً عنهـا ومتعصباً ضـدها فى آن ؟ ومن الخطأ الشائع أن يعـد الرجل والمرأة خصمين متنازعين ، فما هما إلا أليفان متعـاونان متـكاملان .

وقد لاحظت أن جميع من خطبن من السيدات والآنسات بدأن بقولهن : سيداتى وآنساتى وسادتى . والمفهوم أن الرجل يقول ذلك مجاملة للجنس الرقيق أفلا يجدر بالجنس الرقيق أن يكون رقيقاً فى مجاملة الرجل وعدم الجور على حقوقه ..؟

ولم يخل الحفل من بعض الطرائف ، فقد قال أحد الخطباء إن المرأة اليابانيـة فى الحرب

الأخيرة كانت تسأل ابنها وهو ذاهب إلى الميدان : من سيخطر ببالك وأنت تتقدم الصفوف لقتال الأعداء ؟ فيقول : لن يكون فى خاطرى غير الوطن وقد أذكر أمى فتسرع الأم إلى الانتحار حتى لا تشرك الوطن فى خاطره . وأهاب الخطيب بالحاضرات أن تكون المرأة اليابانية لهن مثالا يحتذينه .. فأجبنه :

« لا .. كله إلا الانتحار ! »

وقال الأستاذ عبد الحميد حمدى فى كلمته إنه وإن كان يؤيد المرأة فى المطالبة بحقوقها السياسية إلا أنه يرى الوقت الحاضر غير ملائم لدخولها مجال الانتخابات لما يلابسها من الفوضى . فقالت إحداهن : نعين فى مجلس الشيوخ . أقول : ولكن عضو الشيوخ يشترط فيه ألا تقل سنه عن الأربعين فهل هناك امرأة بلغت الأربعين ..؟

الدكتور عمر بن أبي ربيعة

نحن الآن أمام لون جديد من شعر الغزل ، فقد كان الشاعر يتغزل فى حبيبة لا يعرفها الناس ، فأقصى ما يصرح به أنها « ليلى » وإن شئت فقل « زوزو » وكم فى النساء من « ليلى » وما أكثر « زوزو » !

وكذلك كانت تصنع من جرؤت على التغزل فى الرجال ، وإن كانت مرات هذه الجرأة تكاد تحصى .

أما الذى جد فى هذا الفن من الشعر فقد وقع فى هذا الأسبوع ، فهذه صفحة من مجلة « العالم العربى » أول ما يطالعك فيها صورتان ، كتب تحت أولاهما « أمانى فريد الهائمة » والثانية صورة الدكتور إبراهيم ناجى ، ولكل منهما قصيدة غزل صريح فى الآخر ، عنوان إحداهما « إلى الدكتور إبراهيم ناجى » وعنوان الأخرى « إلى الهائمة أمانى فريد »

قالت الهائمة للدكتور :

تعال إلى القلب بعد العذاب فقد مر عمرى وولى سدى
يناديك قلبى هوى واشتياقاً خالك لست تجيب الندى
أبيت على لهفة للقاء ولكن أخاف حديث العدا
فكم ليلة يا قرير الجفون تركت جفونى بها مسهدا

وقبل أن أدع « قرير الجفون » الذى لا يجيب الندا برد على الهائمة ، أقول إن عمرها لم يول سدى بعد .. فهي لا تزال فى الريعان .. وإنها لا تخاف العدا ، وهذا ظاهر جداً ...

ثم يقول الدكتور ناجى للهائمة به (كما يقول) أمانى فريد :

فأنت الوجود وأنت الخلود وأنت النداء وأنت الصدى
وكيف بغيرك تحلو الحياة ويعذب موردها موردا
وأنت النعيم وأنت العذاب وأنت مواردها والصدا

ثم يجيب نداءها :

تناديننى ! إن قلبى إليك غدا هاتفاً ، وشعرى منشدا

وينفى ما زعمته من أنه قرير الجفون :

تظنيننى ناعماً بالرقاد وإنى الذى خاصم المرقدا

وبعد فليعلم النادى والرائح أن الدكتور ناجى يحب الهائمة أمانى فريد ، وأنه هو « الملهم » لها .. ولكن هل يدينان بالتوحيد فى الحب ؟ أو بصريح العبارة — فلم يعد فى الأمر ما يمنع الصراحة — ألا يحب كل منهما أو يهيم بآخر أو بأخرى ؟ أما الهائمة أمانى فلم تصرح بعد فى شعر ولا كتابة — فليس يعنينا ما وراء الأدب من خصوصيات — بحبيب غير ناجى ، وليس لفضولىّ أن يسأل لم تحبه ، فالهوى ذو أعاجيب ، على أنها لن تعدم منه الشعر .. يقوله لها ... وحسبه منها — كما قال بشار — الحديث والنظر ...

وأما « الهيم به » وهو الدكتور ناجى ، فقد غبطته مرة أو قل نفست عليه أن حظى بثلاث من حسان الملاهى جمع بينهن فى شعر قاله فيهن بمجلة « الاستديو » وهذه الهائمة أمانى هى الرابعة ... ولا شأن لنا — كما قلت — بما وراء الأدب والشعر من خصوصيات . فهو إذن ليس كشعراء بنى عذرة ، وما « شهر زاد ومديحة يسرى وسهام رفقى والهائمة أمانى » إلا كصاحبات عمر بن أبى ربيعة ...

أدباء العراق

أتينا فى عدد ماض من الرسالة على ملخص المحاضرة التى ألقاها معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى فى مؤتمر المجمع اللغوى عن النهضة الأدبية فى العراق ، متضمناً أسماء طائفة من الأدباء العراقيين . وقد اطلعت على نسخة مصححة من أصل المحاضرة فوجدت بها أسماء عدد آخر من أدباء العراق ، باحثين وكتاب وشعراء ، منهم الأساتذة الأزرى والسماوى واليعقوبى ومحمد باقر الشبيبى ومهدى البصير من الشعراء المجيدين ، والدكتور جواد على والدكتور سوسه وعبد الحميد الدخيلى وكوركيس عواد من الكتاب والباحثين .

عباس خضر



عبقرية محمد الإنسانية :

قال الأستاذ العقاد فى معرض الحديث عن إنسانية محمد : « النبي لا يكون رجلا عظيما وكفى ، بل لا بد أن يكون إنساناً عظيما فيه كل خصائص الأنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء وتهيئه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم فيكون عارفاً لها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها وإن لم يكن معرضاً لأدوائها ، شاملا لها بعطفه وإن كان ينكرها بفكره وروحه ، لأنه أكبر من يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ، وأخبر بسعة آفاق الدنيا التى تتسع لكل شىء بين الأرض والسماء ، لأنه يملك مثلها آفاقا كآفاقها هى آفاق الروح » .

وعلق الأستاذ أنور المداوى على هذه الكلمة تعليقين فى مقال نشر بالرسالة الغراء (عدد ٨٠٩) . قال فى الأول « هذه الكلمات التى يسوقها الأستاذ العقاد عن محمد الأنسان تنطبق كل الانطباق على الرجل العظيم لا على الأنسان العظيم ؛ لأن الرجل الذى يشمل الناس بعطفه ثم يفسر هذا العطف على أنه أكبر من أن يلق الأمور لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ، هذا الرجل إذا وضع فى الميزان صاحب طبيعة خلقية تنبع منها الرحمة من منابع العظمة النفسية ، تلك التى تنظر إلى كل شىء نظرة القمم إلى السفوح ، أو نظرة الكبير إلى الصغير . وفرق بين رحمة يفرضها على صاحبها التعاظم والكبرياء ، ورحمة يفرضها التواضع الموصول الروابط بالأنسانية فى أوسع آفاقها وأرفع مزاياها » .

وإنى أرى أن الصفات التى ذكرها العقاد تنطبق على الأنسان العظيم كما يراه العقاد الذى يفسر الأنسانية العظيمة بأنها الأنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء الخ. ولا يقصرها على الرحمة فى غير موضعها ، أو الرحمة حيث لا ينتظرها أحد كما يفسرها الأستاذ المداوى ؛ فهذه الصفة تدخل ضمن الصفات التى ذكرها العقاد للأنسانية العظيمة الشاملة ، وليست هى وحدها الصفة التى يصح أن توصف بها هذه الأنسانية ؛ ومن ثم كان قول العقاد أشمل وأعم .

وقال الأستاذ المداوى فى تعليقه الثانى : « أما قول الأستاذ العقاد بأن محمداً لا بد أن يكون إنساناً عظيما لأنه نبى عظيم ، فهو فى رأيى لا يثبت ولا يؤكد إنسانية محمد فى كثير ولا قليل ؛ لأن محمداً كان إنساناً عظيما بأدق معانى الكلمة قبل أن يبعث رسولا إلى الناس . والدليل على ذلك من تاريخ حياته مهيأ لكل من يلتمس الدليل ... وذلك أمر لا ريب فيه ولا جدال »

وإنى لا أرى فى قول الأستاذ العقاد ما ينفى الأنسانية العظيمة عن محمد قبل أن يكون نبيا ؛ لأن العقاد لم يقصر هذه الأنسانية على الأنبياء دون غيرهم ، وإنما جعلها من خصائص النبى التى يجب أن تكون متوفرة فيه ليكون أهلا للنبوة ، وهى بهذا تكون سابقة للنبوة فيه لا حقة لها .

وعلى ذلك فمحمد إنسان عظيم قبل رسالته ، وإنسان عظيم بعد الرســالة .

محمد محمود عماد
محام

الفيروزابادى لا الفيروزابادى :

أستأذن الأستاذ السيد عباس خضر فى نشر ما هو آت :

جاء فى رده على السيد أحمد عزيز بيتوغن فى الصفحة ١٤١١ من عدد مجلة « الرسالة » ٨٠٦ عبارة « قاموس الفيروزابادى » . وهنا أقول :

ألا يرى الأستاذ الكريم أن الأصح هو كلمة « الفيروزاباذى » كما قال ذلك ابن خلكان لنسبته إلى فيروزاباذ بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت وضم الراء المهملة وبعد الواو الساكنة راء مفتوحة معجمة وبعد الألف باء موحدة وبعد الألف ذال معجمة بلدة بفارس . ويقال هى مدينة جور . قاله الحافظ ابن السمعانى فى كتابه الأنساب . وقال غيره هى بفتح الفاء ج ١ ص ٦ وهذا ما اعتمده العالم المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا فى كتابه المسمى «ضبط الأعلام» . وإذا كان لديه ما ينقض هذا أرجو الإدلاء به .

أحمد الظاهر
من أعضاء محكمة الاستئناف — عمان

حول رواية بيت :

في « البريد الأدبي » العدد (٨٠٣) كنت كتبت كلمة حول كتاب « النقد الأدبي » أرد بها ما وقع فيه صاحب الوساطة في قول أبي تمام :

ألم يقنعك فيـــه الهجر حتى (بكات) لقلبه هجراً يبين

حين قال ؛ إنه لم يعرف لهذه اللفظة (بكات) معنى ، وبهذا أيضاً قال الأستاذ مؤلف الكتاب . وكان جوابي عليهما وهو جواب اجتهاد : يغلب على الظن أن تصحيفاً لحق باللفظة فأخرجها عن المعنى ، ولعل الأصل (وكات) .

واليوم أعود — والعود أحمد — لأقول : رواية البيت الثابتة في الديوان هي :

ألم يقنعك فيـــه الهجر حتى (قرنت) لقلبه هجراً يبين

على أن رواية (بكات لقلبه هجراً يبين) رواية صحيحة ؛ فمعنى بكل خلط . وفي اللسان : البكل : هو الخلط . قال الكميت :

يهيلون من هذاك في ذاك بينهم
أحاديث مغرورين بكل من البكل

وبكله إذا خلطه وبكّل عليه : خلّط .. الخ

وإذاً فلا تصحيف ولا تحريف ، والحق أحق أن يقال فيتبع .

« الزيتون » عمر ناجي

حول قصة هبار بن الأسود :

كتب الأستاذ أنور المداوي في العدد الممتاز من الرسالة الغراء مقالا تحت عنوان : « عبقرية محمد الإنسانية » وأورد في مقاله الممتع قصة « هبار بن الأسود » بأنه اعترض السيدة زينب بنت رسول الله وهي في طريقها من مكة إلى المدينة ملبية دعاء الشوق الأبوي المنبعث من قلب أبيها العظيم فرماها رمية أراقت دمها الزكي على رمال الصحراء . فتلقى النبي الكريم مصرع ابنته كما يتلقى الآباء مصارع الأبناء ، وحزن حزناً شديداً وأهدر دم هبار بأي مكان وجد وبأي واد حل .. إلى آخر ما سطر الأستاذ . وجاء في كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل باشا ص ٥١٢ أن هبّاراً والحويرث أفزعا السيدة زينب رضي الله عنها فزعاً أجهضها فرضت وظلت متهدمة العافية حتى لاقت ربها ...

وبين الروايتين بون شاسع ، واختلاف وخلاف .. فأي الروايتين يمكن أن يقطع بصحتها عشاق الأدب ؟ وخاصة عشاق السيدة الشريفة ؟

هذا ما أردت الاستفسار عنه على صفحات الرسالة الغراء .

حسن ابراهيم شغل
المدرس بأدفو

حدث السن :

كتب الأديب إسماعيل أبو ضيف الأزهري في « الرسالة » تعقيباً على تعبيري في مستهل مقالي (الفتوة عند الصوفيين) (والفتى هو الشاب حدث السن) قال : حدث السن تركيب لم يرد في متون اللغة ، بل نص في بعض الكتب على منعه . وذكر ما جاء في الأمالي للقالي (الحدث : الشاب ، فإذا أضيف إلى السن قالوا : حديث السن ولم يقولوا حدث السن) .

ويخيل إلي أن الأديب تسرع في تعقيبه وأنه عند ما وقع نظره على ما ورد في الأمالي أسرع إلى قلمه يدبج تعقيبه ، ولم يجشم نفسه بعض الجهد في الرجوع إلى بعض متون اللغة التي قال عنها لم يرد فيها هذا التعبير وأن بعضها نص على منعه

فقد ورد في القاموس باب الثاء فصل الحاء : (ورجل حدث السن وحديثها بيّن الحداثة ...)

وكذلك ورد في لسان العرب ج ٢ ص ٤٣٧ فصل الحاء حرف الثاء : (ورجل حدث السن وحديثها ورجال أحداث السن وحدثانها وحدثاؤها ...)

عبد الموجود عبد الحافظ



أقصوصة تركية :

ذات الثوب الأبيض

مترجمة عن التركية

وقفت أمام حديقة البيت سيدة فى مقتبل العمر ، ذات ثوب أبيض ، ولبثت واقفة هناك ، أمام البيت ، تحدق إليه ، وبصرت بها الخادم التى كانت تتنقل آنذاك بين شجيرات الورد تقطف أنضره فتلقيه فى سلة صغيرة تدلت من مرفقها ، فخالتها قد وقفت تجتلى النظر مما حفلت به الحديقة من الورد . على أن عينى السيدة الشابة الدعجاوين ، ظلتا مثبتتين بنوافذ البيت ، تحدقان إليه ، فثار فضول الخادم فأقبلت عليها تسألها :

— هل تريدين أحداً يا سيدتى ؟. ولكنها لم تجب ، بل راحت تطلع إليها ساهمة كأنها نشوى حلم عميق ، ثم اختلجت شفتاها تتمتمان :

— كلا ، لا أريد أحداً ، كنت أنظر إلى البيت فقد أعجبت به .

وراحت الخادم هى الأخرى تحدق فيها ، وأسرفت فى النظر إليها حتى لكأنها تهم بالتهامها ، ثم ندت عن شفتيها صرخة ، وهوت السلة إلى الأرض ، وتناثر ما فيها من الورد ، وروعت السيدة ، فارتدت خطوة إلى الوراء ، وسألتها الخادم بصوت أجش : — ألك يا سيدتى ، شقيقة تشبهك ؟

— كلا — ولكن مستحيل أن يكون مثل هذا الشبه ! فقالت السيدة الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين ، وقد رفت على شفتيها ابتسامة باهتة ، تكاد لا تبين :

— هل تريننى أشبه أحداً ؟.

فقالت الخادم وهى تشير بيدها إلى الورد المنثور على الأرض.

— نعم ، وهذا الورد الذى أقطفه لها هى ... ، ولاح على السيدة العجب فسألتها — حسن ، وهذه السيدة ، أين هى ؟ هل كنت تنتظرينها ؟.

فهمست الخادم ، وهى تهز رأسها أسى — تلك السيدة ... ماتت ؟..

— إذن ، فأنت حاملة هذا الورد إلى قبرها.

وفتحت الخادم باب الحديقة وهى تقول : كلا ، ليس من يعرف قبرها سواه ، سيدى يعرفه وحده . هل تتفضلين بالدخول ؟ وترددت الشابة ذات الثوب الأبيض ، والعينين الدعجاوين ، فقالت الخادم كأنها كانت تتوقع هذا : — لا أحد فى البيت ، تفضلى ، فسيدى فى رحلة منذ أشهر .

ودخلت السيدة حديقة البيت ، وأقبلت الخادم على وردها المنثور تلمه ، وشرعتا تسيران معاً نحو البيت .

وعادت الخام تسألها — هل تسكنين هنا يا سيدتى ؟.

فهمست السيدة الشابة ، ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين ، وهى غريقة أفكار تماوج فى ذهنها — كلا ، كنت أزور أصدقاء لى هنا .

— وهل كنت تسكنين هنا من قبل ؟.

— قبل خمس سنوات ... ، وحينما ضمهما البيت كانت السيدة تتطلع إلى ما حولها باهتمام وتأمل . ووقفت الخادم فى البهو النير ، ذى البسط الوبرية ومقاعد الخيزران ، وقالت :

— هل أريك البيت ؟

— شكراً ، أرجو أن لا أكلفك كثيراً ، ولكن .

كلا . أنا أريد ذلك ... ووضعت سلة الورد على منضدة ، ثم فتحت الباب المقابل وقالت — هذا ... هذا هو مكتب سيدى .

وكان جو الحجرة معتماً ، يوحى بالإحساس بالظلمة ، برغم النور المنساب من نوافذها ، وكان كل ما فيها يوحى بالكآبة : النوافذ ذات السجف الزرقاء ألدا كنة اللون ، والأرائك القاتمة اللون ، والرفوف العالية ، تحف بالحيطان وقد رصت عليها الكتب ، وكانت السيدة تتطلع إلى ما حولها فى سهوم واستغراق والخادم تصل حديثها — يبكر سيدى عادة فى اليقظة من نومه ، وما إن يغسل وجهه حتى يؤم مكتبه هذا ، ويشرع فى عمله ، حتى إذا انقضت من الصباح ثلاث ساعات أو أربع ، ترك حجرته هذه فيستحم ، ثم يتناول فطوره . . فإن كان الجو صحوا جلس فى الحديقة أوخرج إلى الطريق، وبعد تجوال ساعة يعود فيضطجع حتى يحين أوان الغداء ... وبعد أن ينهض .

راحت الخادم تحدثها بالتفصيل عن حياة سيدها وشؤونه ،

وهى تصغى لذلك كله ... ثم سألتها — أو ليس للسـيد عمل خارج البيت ؟

— إن لديه عملا ، ولـكن ليس دائماً ، يؤديه بين يوم وآخر أو بين كل ثلاثة أيام ... وفى كل عام يسافر إلى الخارج للترويح عن نفسه شهرين من الزمن .

— كم مدة قضيتها هنا ؟

— أربع سنوات .

— وهل سيدك مولع بالنساء ؟

— كلا — وهل يشرب الخمر ؟

— قليلا ، وفى المناسبات . وخرجنا من حجرة المكتب إلى البهو ، وكان أكثر نوراً منها ، يحس المرء فيه برطوبة الزوايا التى لا ينفذ إليها شعاع الشمس على أن بسطه الوبرية ، ومقاعده الحمراء اللون ، والرسوم الزيتية الملقة على الجدران ، كل هذا يبعث إلى القلب بشـعور الدفء والغبطة واللذة العميقة . ولم نتحدثا بشىء فى البهو ، فقد أطبق عليهما الصمت ، وكانت الخادم تفكر فى أمر هـذه السيدة الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين . وأما السيدة فقد راحت فى ذهول وحيرة تتأمل كل شىء ، القصف ، والخوان الـكبير ، وجهاز الراديو ، والرسوم الملقة على الجدران ؛ كانت تتطلع إلى هذا كله فى صمت عميق ، ثم اضطربت شفتاها ، وقالت فى تردد ، وفى نبرات صوتها ما ينم عن أسى وحيرة يتلاطمان فى أعماق نفسها : هل لى أن أرى الطابق الأعلى ؟

— بالطبع . وحينما ارتقتا إلى الطابق الأعلى ، قالت الخادم وهى تشير بيدها إلى باب غرفة على يسار البهو — يزور سيدى بين حين وآخر ضيوف ، فيحلون هنا . لـكل حجرة من هذه الحجرات خزانة ثياب ، فيها منامات ومناشف ، وفيها كل ما يحتاج الإنسان إليه من أسباب الراحة . إن كل ما ترينه يا سيدتى لينبئك بشغف سيدى بالحياة الرتيبة .

— وهل سيدك وحده هو الذى يفعل كل هذا ؟ .

— نعم ، وهمست كأنها تحدث نفسها ... يا للعجب ! وقالت والخادم تفتح باب إحدى حجرات الضيوف ، وقد خالج صوتها نغم عذب بفيض رخامة وعذوبة .

— هل أستطيع أن أرى غرفة نومه ؟ — بالطبع .

وفتحت الخادم باباً كبيراً على اليسار ، وقالت — تفضلى .

ولـكن الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين ، تلكأت فى الدخول ، إذ لم تجـد فى نفسها القدرة على ذلك ، فراحت تتطلع من الباب . وكانت الحجرة تسبح فى نور أبيض ، كل ما فيها كان يسطع به ، حتى النوافذ ، وآلة التلفون... وكان جوها يغمر القلب سكينة وغبطة ، ثم دخلت الحجرة بخطى وئيدة وطفقت تتطلع كشأنها فى كل شىء ، ولـكن عينيها علقتا بصورة وضعت على منضدة بيضاء ، بين ستارين أبيضين ، وقد حفت بها ورود بيضاء ، فسارت إليها غير واعية ، والخادم واقفة كالصنم ، ترقب حركاتها ، وتتابع خطاها ، فقد كشف هذا كله من أمرها ما قوى الريبة فى نفس الخادم ، ثم دنت السيدة من المنضدة الصغيرة البيضاء ، ومالت عليها ، وراحت تتطلع إلى الرسم ثم امتدت إليه يداها . لكأنها تحلم ، وتناولته ، وأدنته من عينيها وكانت الخادم إلى جانبها تقول لها :

هذه زوج سيدى التى ماتت ، وفى كل يوم لا بد من تغيير الورد ، فليس من شىء يخرجه عن طوره ويحنقه على إلا أن أهمل تغيير هذا الورد الأبيض الذى يحف بصورتها .

وكانت إذ تقول هذا ، تنقل عينيها بين الصورة والسيدة ، لشد ما يتشابهان ! العينان الدعجاوان ... والأسنان النضيدة كعقد من اللؤلؤ ، والفم الصغير ، والشفتان الغليظتان كأنها عناب يقطر خمراً وشهوة ... والأنف الأقنى ، والذقن المستدير ! ما أشد ماتتشابهان فى هـذا كله ... ولـكن محيا السيدة الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين تظلله سحابة رقيقة من إعياء وخور ، كان شاحباً قليـلا ، كلا ... هذا التشابه لا يمكن أن يكون بين شخصين إلى هذا الحد ... وكان قلب الخادم يخفق وهى تحدث نفسها بهذا كله ... وكان ثمة شعور مبهم يعتصر قلبها فى قلق وحيرة ، ويهتف فى أعماق نفسها أن ثمة أمراً يوشك أن يحدث ، ولـكنها لا تكاد لفرط اضطرابها أن تتبينه جلياً .

وكانت السـيدة تتطلع إلى الصورة ... وعلى حين فجاة صرخت ، ولوحت بالصورة ثم ألقت بها فى ركن الحجرة . وفزعت الخادم فصرخت هى أيضاً : ماذا ؟ ماذا فعلت ؟ ولـكن السيدة الشـابة ذات الثوت الأبيض والعينين الدعجاوين والمحيا الشاحب الحزين ، ألقت بنفسها على حافة السرير محطمة العصب منهوكة القوى ، متعبة الحس ... ثم دفنت رأسها بين يديها ، وقالت بصوت أجش محموم .

كلا ، سأبقى هنا ، لن أخرج . وسأنتظره ، والورد الأبيض لن يكون للصورة بعد الآن ... احمليه إلى .

أنقرة

فيصل عبد الله

الحكومة الملكية المصرية

وزارة المالية

قرض الحكومة المصرية ٢½٪ سنة ١٩٥٩ – ١٩٦١ لقضية فلسطين

مجموع الاصدار ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه منه ١١٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه اعتمد الاكتتاب فيها و ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه معروضة للاكتتاب العام

سعر الإصدار ١٠٠ ٪

١ – سندات هذا القرض صادرة تنفيذاً للقانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٤٨ المنشور بالعدد رقم ٨٤ فى ٢١ يونيه سنة ١٩٤٨ من الجريدة الرسمية ، لمواجهة المصروفات الإضافية اللازمة لقوات الدفاع المصرية لقضية فلسطين .

٢ – تعلن الحكومة المصرية أنها قد تلقت اكتتابات فى هذا القرض بلغ مجموعها ١١٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه اعتمدت بأكملها، والباقى وقدره ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه معروض للاكتتاب العام .

٣ – رخصت الحكومة المصرية للبنك الأهلى المصرى فى قبول الاكتتاب فى القرض المذكور .

٤ – تكفل موارد الخزانة العامة سداد القرض وفوائده .

٥ سندات هذا القرض لحاملها ، وهى بالعملة المصرية .

٦ – رأس مال القرض وفائدته معفيان من كل ضريبة مباشرة أو غير مباشرة ، حالية او مستقبلة ، فيما عدا رسم الأيلولة على التركات .

٧ – فائدة القرض ٢½ ٪ (اثنان ونصف فى المائة) سنويا ، وتدفع كل ستة شهور بواقع نصف الفائدة السنوية فى ١٠ فبراير و ١٠ أغسطس من كل سنة بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة .

٨ – تدفع فوائد الستة الشهور الأولى فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٤٩ عن نصف سنة بالكامل .

٩ – تقدم طلبات الاكتتاب بعشرين جنيها أو بمضاعفات العشرين جنيهـــا .

١٠ – يدفع المكتتب عند الاكتتاب ٢٠ ٪ من قيمة السندات المطلوب الاكتتاب فيها ، أما الباقى وقدره ٨٠ ٪ فيجب دفعه فى ميعاد لا يجاوز ٩ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وتحتفظ الحكومة لنفسها بحق قبول أى اكتتاب بكامل قيمته أو بجزء منه ، وسيخطر المكتتبون فى أقرب فرصة بقيمة القرض المخصصة لهم ، وفى حالة قبول جزء من الاكتتاب فإن رصيد المبلغ الذى سبق إيداعه يحتفظ به لاستخدامه فى أداء الـ ٨٠ ٪ الباقية والواجبة الدفع فى ميعاد لا يجاوز ٩ فبراير سنة ١٩٤٩ ، ويترتب على عدم أداء الـ ٨٠ ٪ فى تاريخ استحقاقها اعتبار التوزيع لا غيا من تلقاء نفسه وبدون حاجة لاتخاذ أية إجراءات ، وسقوط الحق فى المطالبة بالمبلغ المدفوع.

١١ – تصدر شهادات مؤقتة بعد التوزيع وتسديد الرصيد الباقى .

١٢ – تصدر الحكومة فيما بعد سندات لحاملها بالفئات الآتية :

٢٠ ج ١٠٠ ج ٥٠٠ ج ١٠٠٠ ج ملحقا بها كوبونات الفوائد .

١٣ – يجوز لوزارة المالية فى أى وقت ابتداء من ١٠ فبراير سنة ١٩٥٩ أن تقوم بسداد القرض بالقيمة الاسمية أو أن تستهلكه استهلاكا جزئيا بالقيمة الاسمية بطريق الاقتراع .

١٤ – يعلن عن الاستهلاك الجزئى بطريق الاقتراع فى الجريدة الرسمية قبل الميعاد المحدد للاستهلاك بشهرين على الأقل

١٥ – تنشر أرقام السندات المستهلكة فى الجريدة الرسمية قبل التاريخ المحدد لرد قيمتها بثلاثين يوما على الأقل .

١٦ – تحتسب الفائدة عن السندات المستهلكة إلى اليوم السابق لليوم المحدد لرد قيمتها .

١٧ – تدفع قيمة السندات المستهلكة إلى حاملها بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة .

١٨ – أما السندات التى لم تستهلك قبل ١٠ فبراير سنة ١٩٦١ فترد قيمتها الاسمية لحاملها بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة فى التاريخ المذكور .

١٩ – يسقط الحق فى المطالبة بقيمة السند بعد مضى خمس عشرة سنة من تاريخ استحقاق قيمته ، ويسقط الحق فى المطالبة بقيمة الكوبون بعد مضى خمس سنوات من تاريخ استحقاقه .

٢٠ – يمكن الحصول على نسخ من هذا الإعلان ومن نماذج طلبات الاكتتاب من البنك الأهلى المصرى ومن البنوك الأخرى بالقاهرة وبالاسكندرية ، ومن السماسرة المعتمدين لدى إحدى بورصتى الأوراق المالية بالمملكة المصرية .

٢١ – يبدأ الاكتتاب بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة والاسكندرية فى أثناء ساعات العمل بالبنك المذكور من يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٤٩ ، وللحكومة أن تقفل باب الاكتتاب فى أى وقت تشاء بعد هذا التاريخ .

فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٩ .

وزير المالية

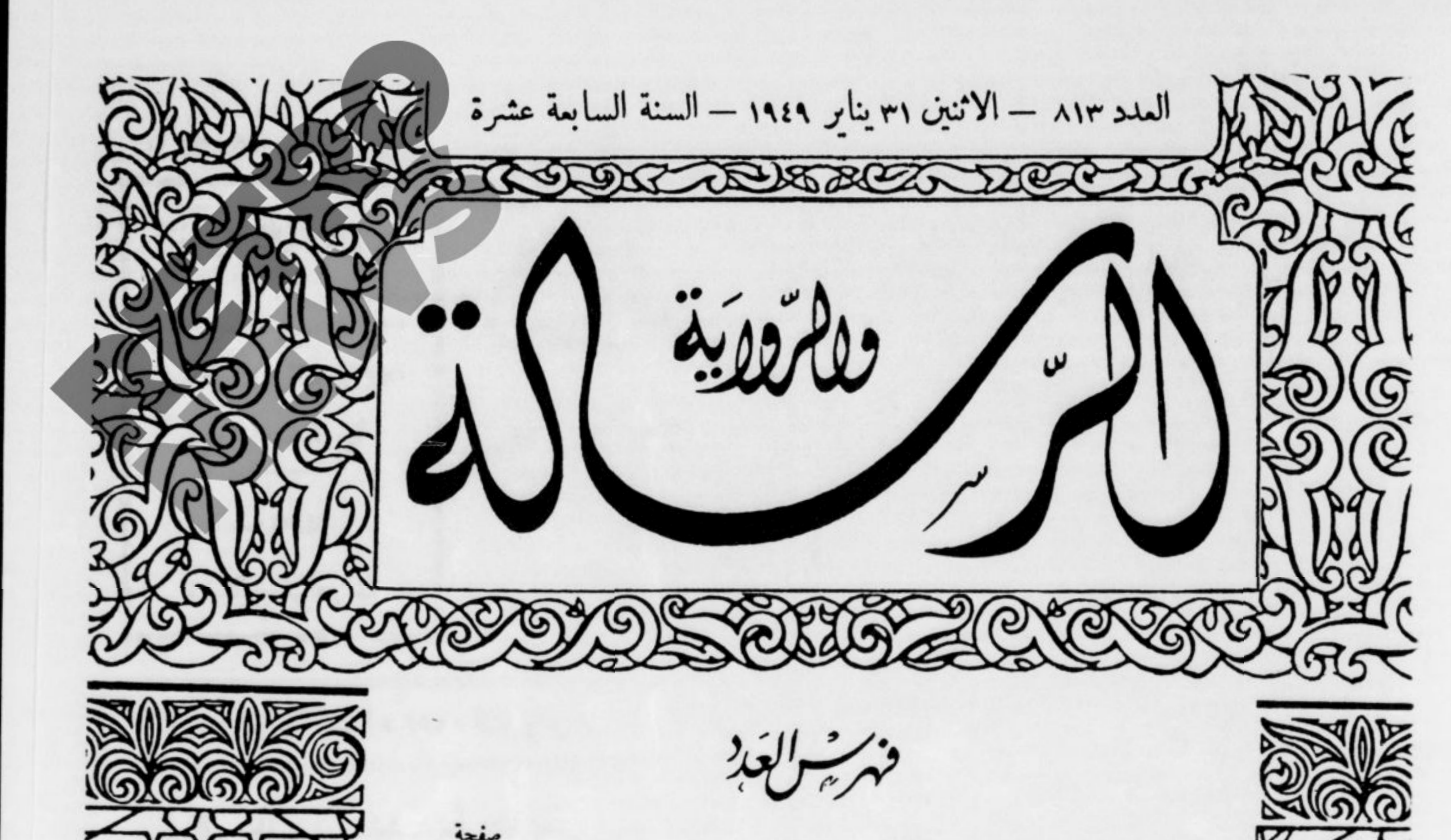
ابراهيم عبد الهادي

٥١١١٦

مطبعة الرسالة

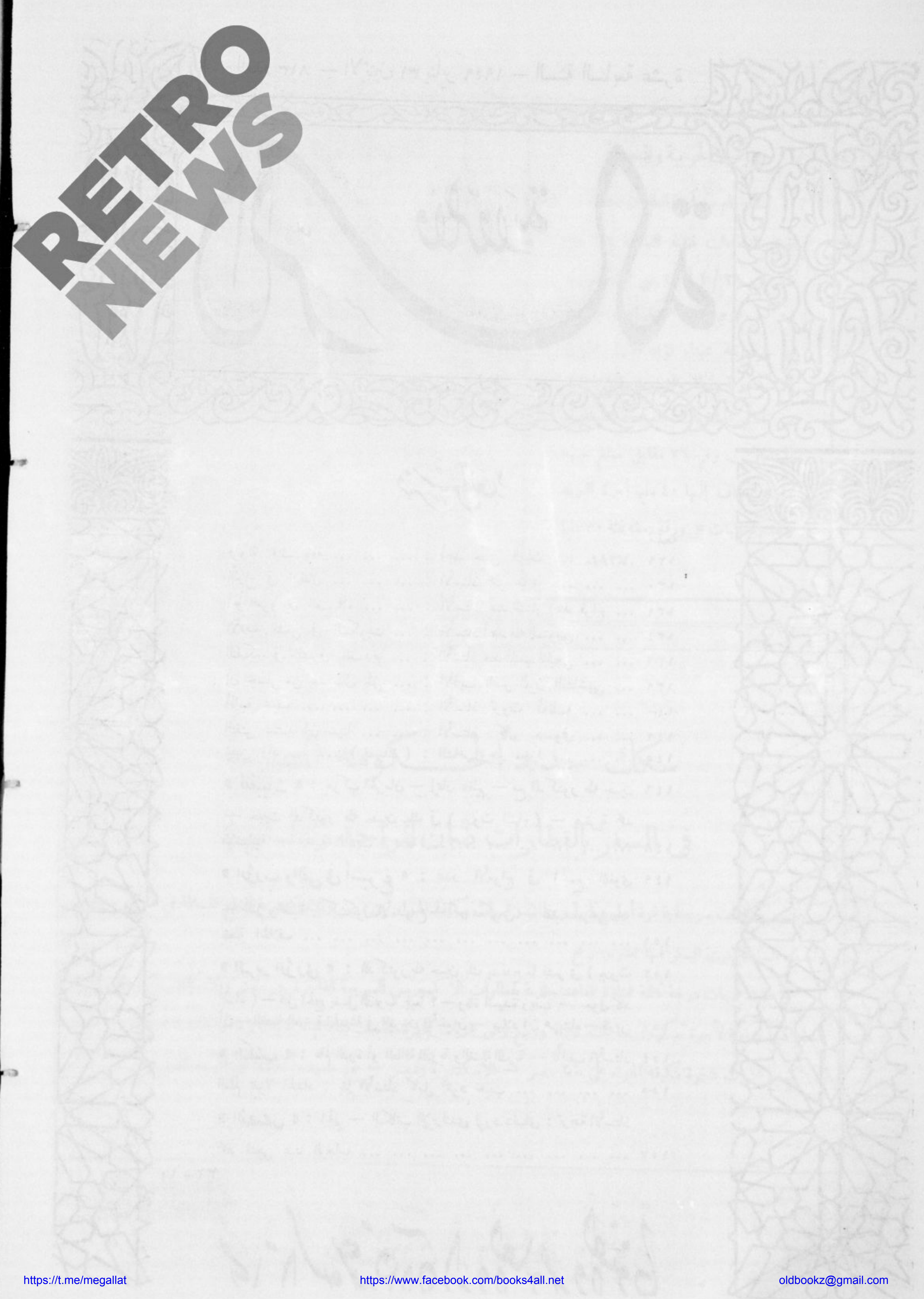


العدد ٨١٣ — الاثنين ٣١ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



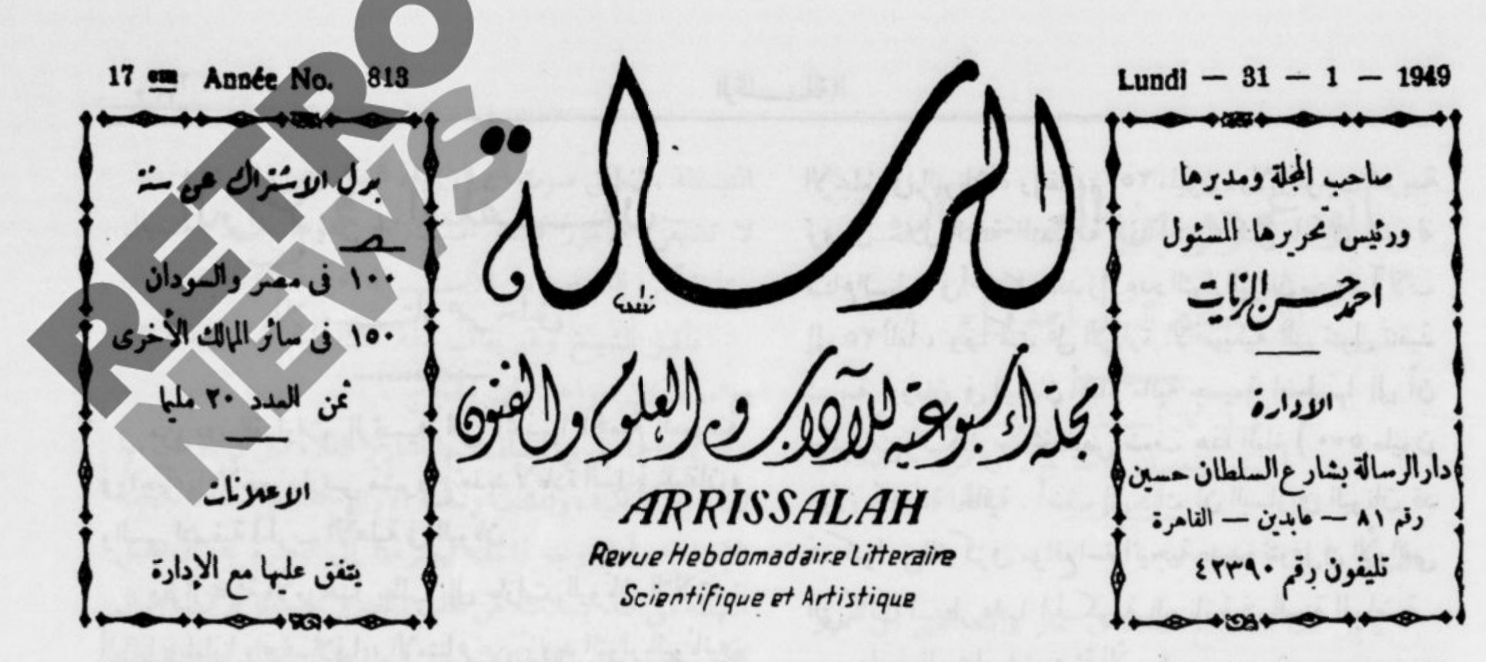
فهرس العدد

٣٢٥١٠



17 ème Année No. 813

Lundi — 31 — 1 — 1949



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٣١ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

قروية فيلســوفة

لا يا صديقى ! لا أريد أن تبيضّ صحيفتى ! كان العشاق لا يطيقون الرقيب وله عين ، فكيف يطيقونه اليوم وله عين ولسان ، وقلم وسلطان ؟ دعنا من حديث شرق الأردن والعراق والجامعة ، وتعال أحدثك حديثاً رفيقاً رقيقاً ، إن خلا من الفائدة فلا يخلو من اللذة ، وإن بعد عما يشغل الناس فلا يبعد عما يشغل النفس :

أم عامر قروية شيخة ، تمد الستين فى سرها ، ولكنها كسائر النساء لا تجاوز الثلاثين فى جهرها . وهى فى سبيل التدليل على استحارة شبابها واكتمال قواها تتحامل على نفسها ، فتحلب الجاموسة ، وتملأ الزير ، وتخبز الفطير ، وتكنس الدار ، وتكسح الزريبة ، وتعلف الماشية ، وتطهو الطبيخ ، وتحمل فى عنقها مفاتح الحبوب والنقود واللبن والكرار ، فلا يستطيع أحد من أولادها وأحفادها أن يصل إلى شىء من أولئك إلا عن يدها . فإذا أشفقت عليها كَنّتاها ورغبتا فى أن تميناها على شأن من شؤون المنزل ، قالت لهما فى كبرياء وأنفة : أنا لا أزال صبية مثلكما ! عليكما الغيط ، وعلىّ البيت ! والحق أن السيدة أم عامر قوية ذكية : تمرست بالشدائد فازدادت مِرّة ، وتصرفت فى الأمور فاكتسبت خبرة ، واضطربت فى المعاش على هوى الزمن القلّب فتملت بالتجربة ، وتفلسفت بالسليقة ؛ فكلامها حِكم ، وحديثها أمثال ، ورأيها حجة . ومن أجل ذلك تميزت شخصيتها فى المجتمع الريفى فأصبحت كالعرّافة فى العهد القديم ، تستخيرها كل امرأة ، وتستشيرها كل أسرة . وهى إلى ذلك طويلة الأنف تدسه فى كل منزل ، شَرْفاء الأذن ترهفها إلى كل مجلس ؛ فلا يقع فى العزبة حادث أو حديث إلا كان عندها علمه ومن لدنها ذيوعه .

رأيتها صباح يوم من أيام ديسمبر جالسة فى الجرن تنزع الأغلفة عن أمطار الذرة المندّاة ، وحفيدها الصغير نائم على كتفها ، وكلبها الأبقع رابض بقربها ، وحمائم البرج القريب ينتهزن غفلتها النادرة فيقمن من وراء ظهرها على جانب المفرش يقتلعن الحب من قوالحه . وكان الفلاحون ونساؤهم قد خرجوا إلى الحقول ، صغارهم ليسيموا الأنعام فى البرسيم النضر ، وكبارهم ليطهروا المصارف من الغرين الراسب ، فلم يبق فى الضيعة إلا عجوز تستدفئ بالشمس ، أو طفلة تلعب فى الطين ، أو دجاجة تبحث فى الأرض . فأغرانى هدوء المكان ، ودفء الجو ، وما سمعته عن حال العجوز ، على أن أذهب إليها . فحييتها ، ثم جلست إزاءها على أعواد الذرة اليابسة وسألتها : كيف حالك يا أم عامر ؟ فأجابت العجوز بلهجة تنم على الرضا والغبطة : حالى خير حال والحمد لله ! العيش مخبوز ، والماء فى الكوز ، فما ذا أبغى فوق ذلك ؟ فقلت لها : وهل يقنع ابن آدم ؟ تبغين الأرض المملوكة ، والدار المشيدة ، والثوب الحرير ، والمركب الفاره ، واللحم فى كل وجبة ! فقالت وهى تضحك : هبنى ياسيدى أصبحت (بدراوية) ، عندى

(البقية على صفحة ١٥٥)

احمد حسن الزيات

النزاع في البلقان

للأستاذ عمر حليق

من بين القرارات الرئيسية التي اتخذتها الجمعية العمومية في اجتماعها الأخير بباريس مشروع جديد لإعادة السلم في البلقان، والسعي لتصفية الحرب الأهلية في اليونان.

وقرار هيئة الأمم هذا يطلب إلى جارات اليونان الثلاث: ألبانيا وبلغاريا ويوغسلافيا، الامتناع عن تزويد الثوار اليونانيين بالأسلحة والمساعدة المادية والمعنوية، ويوصي اللجنة الدولية التي أنشأتها هيئة الأمم لفض النزاع في البلقان بمتابعة أعمالها.

وقد خولها هذا القرار صلاحيات جديدة من شأنها إذا نفذت أن تضع نهاية مرضية لهذا الصراع المؤسف المزمن الذي ابتدأ بين اليونان وجاراتها منذ أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها.

وهذا المشروع الذي نحن بصدده، هو من وضع الصين وبريطانيا وفرنسا وأمريكا مشتركين. وقد نال أصوات جميع أعضاء هيئة الأمم باستثناء روسيا وحلفائها في دول أوربا الشرقية

وكان رأي الروس لحل مشكلة البلقان يرمي إلى وقف أعمال لجنة البلقان الدولية التي ألفها مجلس الأمن في السنة الماضية، وسحب الجنود الأجانب من جميع الجنسيات من اليونان، ثم حمل الدول المتنازعة على الدخول في مفاوضات لإيجاد تصفية نهائية.

وطبيعي أن هدف الروس في هذه الدعوة هو إقصاء الجنود الأمريكيين والبعثات العسكرية الإنجلوسكسونية التي تدير الجيش النظامي اليوناني، وترك الحالة مرهونة بالقوة الكامنة لدى الثوار اليساريين اليونان والتي ترعاها حكومة موسكو في شكل لا يتخذ صورة المساعدة العلنية التي يقوم بها الأمريكان في اليونان وتركيا، والتي تتخذ شكل السيطرة السياسية والاقتصادية التامة، خصوصاً في اليونان. وقد كتب هانسون بولدوين الملحق العسكري لجريدة النيويورك تايمس الأمريكية منذ مدة يقول إن انتصار روسيا في حرب البلقان يكشف عن وسيلة الصراع التي تدفع فيه روسيا الولايات المتحدة إلى حرب اقتصادية تستنفد القوى الاقتصادية الأمريكية وتعقد العلاقات والتيارات الاقتصادية والتجارية في عالم ما بعد الحرب. وقد عد هذا الكاتب عمليات روسيا في اليونان انتصاراً لأن مُضي عام على احتلال الأمريكان مكان الإنجليز في اليونان، وإنفاقهم ٢٥٠ مليون دولار بموجب شريعة ترومان خلال السنة المنصرمة، قد أنتج عكس ما كان يقدر له صناع السياسة في أمريكا. فقد زاد عدد الثوار اليونان من ١٠ آلاف إلى ٢٥ ألفاً، وتراكمت على الإدارة الأمريكية التي تتولى تنفيذ شريعة ترومان في اليونان أعباء مالية جسيمة اضطرتها إلى أن تطلب من الكنغرس تخصيص ضعف هذا المبلغ (٥٠٠ مليون دولار) للسنة الحالية. أضف إلى ذلك أن اليساريين اليونان قد تمكنوا من التركز في مواقع استراتيجية جديدة تتوغل في الأراضي التي كانت تسيطر عليها الحكومة اليونانية في السنة الماضية.

ولنعد إلى محاورات هيئة الأمم:

لقد رفض المشروع الروسي بأكثرية ساحقة، وكانت حدة النقاش بين الروس وحلفاء الغرب بصدد المشكلة البلقانية في جلسات هيئة الأمم من أعنف ما شهدته هذه المؤسسة من نقاش. فقد حمل المسيو فيشينسكي وهو قانوني ضليع وخطيب مصقع على لجنة البلقان الدولية وطالب بحلها معدداً الأخطاء والتحيز الذي بدا منها بفضل ما سماه «مهزلة التدخل» الأمريكي في أعمالها وتوصياتها وفي سعيها لتوطيد الملكية اليونانية أمام مقاومة ما سماه فيشينسكي العناصر التقدمية الشعبية.

ولعل من الطريف مقارنة فيشينسكي في تعداده أخطاء لجنة البلقان بدفاع زميله ومواطنه يعقوب مالك المندوب الروسي الدائم في مجلس الأمن عندما تعاقب المندوبون العرب بالخطب والمذكرات على الكشف عن تآمر وأخطاء لجنة التقسيم الدولية بفلسطين ولجنة مراقبة الهدنة...

وحاول المندوب الروسي أن ينفي التهم عن حلفائه البلغاريين والألبانيين واليوغسلافيين فقال إن أزمة النزاع في اليونان ليس مبعثها تدخل جارات اليونان، ولكن مبعثها فساد النظام والإدارة السياسية في حكومة أثينا، وأن أية محاولة لتعزيز هذه الحكومة لن يضمن استقرار السلم في البلقان وهي منطقة في مسيس الحاجة إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، وهو إصلاح لا يتم إلا بتوطيد السلم الحقيقي. أما أجوبة اليونان عن ادعاءات الروس فإنها تشير إلى أن اليونان فريسة عدوان منظم من جاراتها الشيوعية، وهذا العدوان يتخذ شكل اعتداء حربي مسلح يشترك فيه الجنود البلغاريون والألبانيون واليوغسلافيون مع الثوار اليونان برعاية حكومة موسكو ومساعدتها المادية والمعنوية. ولذلك فإن مأساة الصراع في اليونان ستنتهي حتماً إذا امتنعت روسيا وأعوانها

عن تغذية الثوار اليونانيين . ويقول ممثلو حكومة اليونان فى هيئة الأمم إن الشعب اليونانى فى منطقة الحكومة وفى منطقة الثورة على السواء يرغب فى السلم ، ولن يتم له تحقيق هذه الرغبة إلا بوقف تدخل الدول المجاورة .

ويعزز رأى اليونان أصوات سادة هيئة الأمم المتحدة وهم الإنجلوسكسون ، وقد استطاعوا إقناع أعضاء الهيئة بتخويل اللجنة الدولية فى البلقان صلاحيات جديدة يعززها من الخلف نفوذ لايك سكسس عسى أن يستقر السلام فى تلك المنطقة التى هى برميل البارود فى حروب أوربا الشرقية .

ويقول تقرير نشر فى لايك سكسس مؤخراً إن اللجنة الدولية المذكورة معززة بقرار الجمعية العومية قد نجحت مبدئياً فى تقريب وجهات النظر بين الحكومة اليونانية وجاراتها على أسس جديدة قد تسفر — إذا استمر هذا الجو الهادئ نسبياً الآن فى البلقان — عن خطوات عملية جدية لتصفية نهائية ...

(نيويورك) **عمر حليق**

أبو عمرو بن العـــــلاء

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله فى كل شىء كان ينبغى أن يؤخذ بقول أبى عمرو بن العلاء)
يونس بن حبيب

الفرج :

ما بال هذا الشــيخ العلاء بن عمار وابنه الفتى أبى عمرو يضربان فى إحدى صحارى اليمن مصعدين إليها ؟

أما أكبرهما فيجلله الشيب ويغشيه الوقار وتنبىء طلعته عن عراقة النسب وكرم النجار وإن كانت تبدو عليه رهبة الخائف وخشية المطلوب .

لـكن الفتى أبا عمرو — وقد خنق بضعاً وعشرين سنة — تتبين فى تقاسيم وجهه مخايل النجابة ولمحات الذكاء ، ويطالعك بالبصيرة النفاذة والفكر اللماح ، وتتوسم فيه لهفة التعطش إلى انتهال المعارف وارتشاف العلوم .

وبينما الصمت باسط أجنحته على هذا الفضـــاء المترامى إلا ما تسمعه من همس أخفاف الإبل وهى تلامس صفحة الرمال المنبسطة ، انطلق صوت أعرابى يغذ السير وهو ينشد :

لا تضيقن بالأمور فقــد تفــــرج غماؤها بغير احتيال
ربما تـكره النفوس من الأمـــر له فرجة كحل العقــــال

فأقبل الشيخ وهو يغالب لهفة تملك عليه نفسه يسأله عما وراءه فكان جوابه : مات الحجاج .

لك الحمد يا ربي ! نطقت بها أسارير العلاء قبل أن يترطب بها لسانه بين فكيه ، وأخذت وسامة الارتياح تجلو عن صفحته جهامة الإفزاع ؛ وأدار وجه راحلته ليصرفها إلى البصرة بعد أن تقبل التهنئة من فتاه بسلامته من طلب الحجاج مما جمله يركب أهوال الصحراء فى طلب النجاة وقد ضم إليه ابنه خشية أن تمتد إليه يد الإيذاء . أما أبو عمرو فهو — كما يحدث عن نفسه — كان أكثر فرحاً بالإنشــاد من سماعه بنبأ الوفاة . أليس ذلك الأعرابى يقول : « له فرجة كحل العقال » بفتح الفاء من الفرجة لما كان مخرجاً من الهم المنوى وهو يحفظها من قبل بالضم لما كان بين الشيئين الحسيين؟

نسب أبى عمرو :

اشتهر بكنيته أبى عمرو واسمه الحقيق زبان بن العلاء بن عمار ابن العريان بن عبد الله بن الحصين ، وينتهى إلى مازن من تميم ، كان من أشراف العرب ووجهائها مدحه الفرزدق بقوله :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وغضب مرة فهجاه ثم جاء إليه معتذراً فقال أبو عمرو :

هجوت زبان ثم جئت معتذراً من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ويكفى فى مكانته من قبيلته أن أباه كان من الرجال الذين اتجهت إليهم أنظار الحجاج فطلبه للقضاء عليه .

نشأته وشيوخه :

ولد بمكة فى أواخر العقد السابع من القرن الأول الهجرى ، وبها وبالمدينة كان تلقيه لـكتاب الله حيث كان يسارع إلى حفظه كل فتى من أهل الحرمين وغيرهما من الأمصار إذ ذاك . وكان علماؤها يتلقون روايات القرآن المختلفة عن رسول الله ويختارون منها ما وافق شروطهم فى الاختيار ؛ وكانت رواية هذا أو بمضه تعد — بجانب رواية الحديث — أعظم ما يهتم به المتعلمون وأكرم ما يسـعى إليه الراغبون . ولـكن أبا عمرو لم يدع أحداً من نابهى القراء إلا تلقى عنه القراءة وعرضها عليه . وأقدم من أخذ عنه من أهل مكة مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ هـ وعطاء ابن أبى رباح المتوفى سنة ١١٤ ، وعكرمة بن خالد المخزومى المتوفى

سنة ١١٥، وعبدالله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٠، ومحمد بن محيصين أحد القراء الأربعة عشر المتوفى سنة ١٢٣، وحميد بن قيس الأعرج المتوفى سنة ١٣٠

وأخذ من شيوخ المدينة عن يزيد بن رومان المتوفى سنة ١٢٠ وأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة المتوفى سنة ١٣٠ وشيبة بن نصاح المتوفى سنة ١٣٠ وقد تلقى عن هؤلاء الثلاثة أيضاً نافع أحد القراء السبعة . ورحل إلى البصرة والكوفة فأخذ من شيوخ البصرة عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر اللذين توفيا سنة ٩٠ القرآن والنحو ؛ وأخذ عن الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ أحد القراء الأربعة عشر القرآن ، وعن عبد الله بن أبي إسحق الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ : القرآن والنحو، وتلقى بالكوفة القرآن عن سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٧ فأبو عمرو وهو أحد السبعة المشهورين إلى عهدنا هذا مع بقية العشرة إلى الأربعة عشر، أخذ عن كل من سبقه فى السن وشارك من قاربه إلا ابن عامر بدمشق فإنه لم يأخذ عنه ولم يشاركه. ولعل أبا عمرو لم يكن — كما يبدو من طلب الحجاج لأبيه — من المقربين إلى خلفاء بنى أمية ، فلم يحاول أن يقدم عاصمتهم ويأخذ عن قارئها عبد الله بن عامر ، وبخاصة إذا علمنا أنه زار دمشق فى دولة العباسيين . ثم استقر به المقام فى البصرة إلا ما ندر حيث تهيأت له إمامة القراءات والأدب بعد أن طوف بالأمصار وخاض البوادى

علمه :

ليس بالكثير على رجل كأبي عمرو ، وقد أخذ عن أعلام الإسلام وأجلة العلماء أن تكون له مكانته فى العلم ملحوظة ، فيقول فيه تلميذه أبو عبيدة : كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر . وأن يقول تلميذه الأصمعى : سألت أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابنى فيها بألف حجة . وأن يعتز أبو عمرو بما وفقه الله إليه فيقول: لقد حفظت فى علم القرآن ما لو كتب ما قدر الأعمش على حمله . ويقول ما رأيت أحداً قبلى أعلم منى . ويزيد الأصمعى على ذلك : ولم أر بعد أبي عمرو أعلم منه . وفيه يقول تلميذه يونس بن حبيب : « لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله فى كل شىء كان ينبغى أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء »

وهو إلى جانب شيوخه الذين فاق بعددهم كل من عاصره كانت دفاتره ملء بيته إلى السقف .

أدبه :

يروى أبو عمرو الشيبانى : ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حماد إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه . وإن كتب الأدب واللغة لتروى شروح أبي عمرو للشعر وروايته له وذوقه الأدبى فى تخير أجودها ، فأبو الفرج فى أغانيه يقول : كان أبو عمرو يرى أن بشار بن برد أبدع الناس بيتاً حيث يقول:

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم

وأنه أمدح الناس بقوله :

لست بكفى كفه ابتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

وأنه يقول : أحسن شعر قيل فى الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة :

تقول ألا تبكى أخاك وقد أرى مكان البكا لكن بنيت على الصبر

وأنه لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان يقول : أبو النجم أبلغ فى النعت من العجاج :

وكانت له موازنات بين الشعراء ، فهو يشبه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . وكانت له تشبيهات جميلة ؛ من ذلك قوله : عليكم بشعر الأعشى فإنى شبهته بالبازى يصيد ما بين العندليب إلى الكركى . وكان يقول : إنما شعر ذى الرمة نقط عروس تضمحل عما قليل ، أو أبعار ظباء لها شم فى أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعار . وعرض عليه قول عدى بن الرقاع :

لولا الحياء وأن رأسى قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سِنة وليس بنائم

فقال : أحسن والله ، وكان عنده شيخ مدنى جالس فقال والله لو سمعت لحن معبد فى هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك أكثر . وكان أبو عمرو لكثرة تنقله واتصاله بأهل البادية يعرف فصحاء القبائل فيقول : « أفصح الناس أهل السروات » ولقد بلغ من قدرته أن وضع — كما اعترف — بيتاً من الشعر دسه فى شعر الأعشى وهو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فلم يلبس صنعه إلا بشاو .

إقبال الناس عليه وتلاميذه :

إن رجلاً بلغ من العلم والأدب والمكانة ما بلغه أبو عمرو يكون قبلة الناس فى مجتمعاته ؛ فلقد روى أن الحسن مر بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال من هذا ؟ فقالوا أبو عمرو . فقال لا إله إلا الله ! كادت العلماء أن تكون أرباباً . كل عز لم

يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول » .

ولقد نبغ من تلاميذه من أصبحوا حجة فى الأدب واللغة والنحو والقراءات ؛ فأبو عبيدة والأصمعى وأبو زيد الأنصارى والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب ويحيى بن المبارك اليزيدى ومعاذ بن مسلم وسيبويه كلهم غرس يده وفيض بحره وثمرة علمه فكل فضل ينسب إليهم يشاركهم فيه ، وكل علم إنما هو الذى فتح لهم أبوابه وأنار لهم سبله .

زهده :

إن هذه النفس الصافية التى انقطعت للعلم ونشره قد لجأت إلى بارئها وأخلصت له راجية أن يشملها بعفوه شاكرة له توفيقه وجزيل نعمه ، فما كان يدخل شهر رمضان حتى ينقطع عن إنشاد الشعر ويختم القرآن كل ثلاث ليال مرة . وكان نقش خاتمه :

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

ولما بلغ به النسك مداه أحرق جميع دفاتره التى كانت ملء بيته إلى السقف لينقطع إلى قراءة القرآن .

أصول قراءته وأثر شيوخه وقبيلته فيها :

كان لشيوخ أبى عمرو فى القراءة أثر ولقبيلته أثر .

١ — فتسهيل الهمز عادة لغوية للحجازيين تخالف قبيلة أبى عمرو ، لكنه تأثر بشيوخه فكثيراً مايشارك نافعاً وابن كثير وأبا جعفر وابن محيصين وهم قراء مكة والمدينة الذين أخذ عنهم أو شاركهم فيمن تلقوا عنه .

٢ — والإمالة عادة لغوية لقبيلته تميم ومن شاركها من سكان نجد ؛ لهذا كانت الإمالة من أصول قراءة أبى عمرو إلا أن إمالته لم تكن كبرى ، بل هى بين الصغرى والكبرى ؛ فليس كقراء الكوفة ولا كقراء الحجاز ، بل بين المذهبين . وغالباً مايشاركه فى الإمالة الأزرق من رواية ورش عن نافع إلا أن إمالة الأزرق صغرى ، وقد يزيد أنه يميل ما لا يميله أبو عمرو ، وقد تكفلت كتب القراءات بشروط كل منهم فيما يمال .

٣ — تسكين الوسط المتحرك من تخفيف قبيلة أبى عمرو ، ولهذا كان التخفيف مما يسلكه فى قراءته وقد يشاركه فيه غيره ومع هذا قد يتفق مع نافع وابن كثير وأبى جعفر وابن محيصين فى فتح ياء المتكلم إذا وقعت بعدها همزة قطع مفتوحة مثل إنى أعلم ، ويتفق مع نافع وأبى جعفر فى فتحها إذا وقعت بعدها همزة قطع مكسورة مثل من أنصارى إلى الله .

٤ — الإدغام : يظهر أن الإدغام من عادة قبيلة تميم اللغوية . وللادغام فى القراءات أسباب وشروط وموانع فإذا وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام . وأسبابه :

١ — تماثل الحرفين بأن يتحدا مخرجاً وصفة كالباء فى الباء

٢ — التجانس : بأن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة كالدال فى التاء .

٣ — التقارب : بأن يتقاربا مخرجاً أو يتقاربا صفة أو يتقاربا مخرجاً وصفة . وقد اختص أبو عمرو بما يسمونه الإدغام الكبير فهو يحرص عليه ويمتاز به عن غيره من القراء ، وقد يشاركه بعضهم فى نوع منه ، وقد تكفلت بتفصيل ذلك كتب القراءات

أما اختلاف القراء فى أن الفعل بالغيبة أو الخطاب ، أو أنه رباعى أو ثلاثى أو أن الاسم منون أوغير منون ، وما شابه ذلك مما ليس من الأصول العامة ، ولا يعرف إلا عند فرش الحروف أى تلاوة الآيات ، فإن أبا عمرو كثيراً ما يوافق شيوخه الحجازيين فيما اختاروه .

وفاته :

فى سنة ١٥٤ هـ تقريباً توفى أبو عمرو فى الكوفة عند عودته من دمشق حيث كان فى زيارة لواليها عبد الوهاب من بنى العباس . قال أبو عمرو الأسدى : لما أتى نعى أبى عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه ، فأنى لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبيهاً له آخر الزمان . والله لو قسم علم أبى عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء وزهاداً . والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه . ويروى ابن الجزرى أن قراءة أبى عمرو فى القرن الثامن ومفتتح التاسع كان عليها الناس بالشام والحجاز واليمن ومصر » . ولقد كانت إلى عهد قريب منتشرة بصعيد مصر ، ثم طغت عليها رواية حفص عن عاصم . رحم الله أبا عمرو رحمة واسعة .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

مصادر البحث: (١) النشر (٢) إتحاف فضلاء البشر (٣) المكرر (٤) غاية النهاية (٥) الأغانى (٦) ابن خلكان (٧) بغية الوعاة (٨) نزهة الألبا (٩) أخبار النحاة (١٠) دائرة المعارف الإسلامية (١١) معجم الأدباء

الأدب الشعبي في الكويت

للاســـتاذ أحمد طه السنوسى

إن إمارة الكويت بحكم بيئتها ونشأتها وتكوينها قد خلقت لهـا أدباً شعبياً مشبعاً بظروف تلك النشأة والبيئة والتكوين ، فهى تقع بين بصرة العراق فى الشمال والغرب ، والمملكة العربية السعودية فى الجنوب بمدتوسط من المنطقة المحايدة ، والخليج العربى (الفارسى سابقاً) فى الشرق ؛ وهى إمارة حديثة التكوين تاريخها لا يتجاوز الثلاثة قرون ، وقد كان أكثر أهلها من القبائل النجدية والأحسائية ، وبذلك نرى أن مرتمها عربى قح ، كما نرى أن النجدية والأحسائية كان لهـا أكبر الأثر فى أدبها الشعبى ، فبدا قوياً صريحاً فيه الإلهام الصحراوى وفيه الصلابة البدوية وفيه شىء من الجفاف ، ولكن الصحراء كثيراً ما أضفت عليه الجمال البارع وأمدته بروحها البريئة فى غمرات عذبة حنون .

وقد طرق الأدب الشعبى الكويتى جميع أغراض الشعر فأجاد فيها وأبدع ، ولكنه لم يبلغ فى ذلك شأواً بعيداً ؛ لأن الكويتيين لا يولونه كثيراً من العناية والتدليل ، إذ أن شعراءهم الكبار بأدبهم وأشعارهم الفصحى قد طغوا بها بعض الشىء على ذلك الأدب الشعبى المسكين .

بيد أن هناك فئة ممن استهوى الأدب الشعبى أفئدتهم وحفزهم على تشجيعه ، فقامت فى سبيله مدرسة ابن فرج وابن فوزان ، وامتازت تلك المدرسة بإلهام عذب وخيال خصب ومعان سامية ووشى جذاب ، وبعد ذلك ولجت الكويت باب التطور والارتقاء وكانت على بابه منذ قليل ، وتطورت فيها الحالة الثقافية والعلمية والأدبية ، وكان قمينا بالأدب الشعبى آنذاك أن يثب بنفسه ويظفر الطفرة الملائمة للتطور ، ولكن التطور الحديث أضعف شوكة الأدب الشعبى على عكس ما كان متوقعا .

وأنا أرى أن السبب فى ذلك أن النفوس كانت مهيأة لاستقبال التطور استقبالا أنساها كل شىء ، كما أميل إلى القول بأن الأدب الشعبى كان فى بدايته قوياً صارماً فيه صلابة وجفاف إن استثنينا بعضه ، ونفسية الشعب الكويتى نفسية ساكنة وديعة تميل إلى خيال الحقيقة لا إلى حقيقة الخيال ، كما أن تطور الحالة الأدبية والعلمية لم يكن تطوراً كاملا تم فى لحظات ، بل ما زال إلى اليوم يدلف فى دربه اللاحب ليصل إلى الأنوار والأضواء ، وبذلك وجد التطور هوى فى النفوس الكويتية ، هوى فيه مقدمات وتمهيدات تدعو للتطلع والاستطلاع عما يبقى من أضوائه فى ثنايا الأفق . هذا وكانت النفوس متعطشة إلى الاستزادة من الثقافة والعلم ، فوجهت همها لتكملة ما يأتى به التطور ولمساعدة أشمته على النفاذ ولحشد جموع استقباله ، فتضاءل الأدب الشعبى وهو ينظر كاسف البال إلى ذلك الأعراض ، ولكنه ربما يسره فى قرارة نفسه منتظراً ساعة النتيجة السعيدة لحداثة التطور ، فتؤوب إليه النفوس وتدفع العلوم الطريفة والفنون الجديدة مريديه لأن يحتفلوا ويحفلوا به ويهيئوا له الظرف المناسب ليأتى بالثمرة المرجوة منه والتى آتت بعض أكلها حين لاقى الإقبال والابتسام ، فكان مهداً لإصلاح النفوس وكان حافزاً للهمم وكان دافعاً للحماسة وكان موقظاً للعزيمة والبسالة كما كان سبيلا للدعاية الصالحة ...

* * *

كان العيد يزهو بدلاله ويرفل فى غلائل نخوته ، وكان يومه مشرقا مزدهراً ، ونظر أحد الفقراء فى الكويت إلى مباهجه ومسراته التى حرم منها ، ثم أخذ يقول :

وين القماش اللى من الدر جبنا الله عليهم وإن كلوا من تمبنا
هذى السنة صارت علينا فضائح أنتم تبون إفلوس واحنا مفاليس
قل أنتم أهل الجودات وأهل المروة
مـــير شىء حدث فيسكم يا نامى توه
أشوف بالوقت تاخدونا قوه ياما حديتونا بمجر ودبابيس

ونحن إذ نستمع لهذا القول قد نفهمه وقد لا نفهمه ، وأستطيع أن أشرح بعض المعانى لبعض كلماته على سبيل المثال ليتسنى لنا فهمه والحكم عليه .

فوين : أين ، القماش : اللؤلؤ ، اللى : الذى ، جبنا : أتينا ، تبون : تريدون ، إفلوس : دراهم ، مير : لكن ، توه : الآن ، حديتونا : سقتونا ، والمجر جمع مجر : عصا ملوسة الرأس ، والدبابيس جمع دبوس وهو عصا فى رأسها قطعة من قار أو حديد .

ولندع هذا وننظر إلى هذا الشعر الشعبي الذى طالما أحبه الأطفال الكويتيون ورددوه .

يا هل (أهل) الشرق مروا بى على القيصرية (حى كويتى)
عضـــدوا لى وتلقون الأجـــر والثواب
واطلبوا دختر (طبيب) المشـــاق يكشف على
كود (يمـكن) يمسح على جرحى ويبرا صوابى

وقال الشاعر الشعبي الكويتى الكبير (فهد بورسلى) :

يا طـــير بلى كلمـــا طار   زاد العنا والهم فيّه
من يبتلى بحب البـــكار (الأبكار)
ضاجت (ضاقت) عليه أرض وسيعية (واسعة)
وقفت أنا والبـــال محتار   يا هل النظر ردوه عليّه
مامن جريب (قريب) يأخذالثار   من ساهى العين السجية

وفهد بورسلى أضعه فى مرتبة كبرى من الشعراء الشعبيين فى الكويت ، ولكن المأخذ الأوحد الذى آخذه عليه هو أن شعره يشوبه قليل من الانحلال فى تركيبه ، بيد أنه شاعر له من لطف المشاعر وجميل الإشارات وبديع اللفتات وبهيج المعانى ما يقدمه فى صفوف الشعراء .

وقال محمد فوزان :

أهلا عدد ما هللوا بالمساجد   أوعدد ماركب سرى يخبط البيد
بكتاب من نظمه سواة القلايد   ومرصع بالدر يزهى على الغيد

وقال عبد الله الفرج فى الغزل :

عزيز لشـــلى ما يونى ونينه   ومسهد بين التجافى والأبعاد
ما يختفى منـــه غرام بيبينه   نوحه إذا نام الخليلون يزداد
ويلومك اللى ما بدا بالضفينه   ولا شغف قلبه من الخود مياد

ولى ملاحظة على أقوال هذين الشاعرين الكبيرين (ابن فرج وابن فوزان) فكثيراً ما أرى شعرهم محتفظاً بالصبغة الفصحي ، فتلتق فيه كلمات عربية فصيحة كثيرة لو أنعمت النظر فى قراءتها وفى بحثها على حدة ألفيتها ترجع بالفكر إلى كلمات الشعر الجاهلى ، أما وقد زار ابن فوزان بعض البلاد الرائعة كلبنان الجميل ووجد الرقة والعذوبة فى الألفاظ الشعرية السهلة لا فى التضخم الجاهلى ، فسوف يتحول وسوف يضفى بدائع الثقافة الجديدة مع الألفاظ الحرية على شعره الشعبي الرائع فيزداد حلاوة وعذوبة ويبزغ لنا من جديد مختالا حالماً تسرح العقول فى سكرات من الحنين حين تتلاعب به لوامع الشفاه .

وقال أحد شعراء الكويت النبطيين :

لانبتلى ذا الناس فى شيل الأثقال   تبلى بهم مثل الطفل فى رضاعه
لو طاح منهم طايح ما حد شال   حمله ولو شول لك الله كراعه
رجل بليا مال ما هو برجال   لو هو على الشدة طويل ذراعه

وقال أحدهم فى الهجاء :

ناس أرانب وألسنتهم حدايد   والدهر معطيهم اقبال وتصميد
واللى على قلبه مدق السمايد   والمتنى جوفـه يحب المواليد

ومن طريف الغزل قول أحدهم :

شاقول يا هل الهوى شاقول   وهـذا نصيبى من الخلانى
ومضمراً والشـــمر منسول   ليجيت أحب النحر غطانى

والحب بفتح الحاء عندهم هو التقبيل ، ولعل تلك الكلمة مستعملة فى الجو الريفى المصرى . ونستطيع أن نلمس الجمال والبراعة فى الشطر الثانى من البيت الثانى ، إذ قد طغى جماله فتتزاحم فى الفكر أخيلة حالمة تشعر المرء بالانتعاش فى قرارة نفسه ، كما تشعر عند تلاوة الشطر الأول من نفس البيت .

أما الرثاء ، فإن الكويتيين كما عرفتهم لا تحتل الأحزان والأشجان مكانا من قلوبهم ، وإن احتلت فالصمت والهدوء ديدنهم . ولقد تعجب إذا مات لأحدهم عزيز فتراه ساكنا لا يفعل ما يفعل سواه فى متباين الأقطار العربية . وقد تعجب لدهشته من كثرة عباراتك المواسية ورثائك وتفجعك من هول المصاب ؛ لأنه يرى الموت أمراً محتوما ولاراد لقضائه ، فهو فيلسوف فى هذا الظرف الحزين ، وبالرغم من ذلك فقد اخترق الأدب الشعبي الطريق ليبين لنا أن الكويتى وإن كان فيلسوفاً ساكنا إلا أن فى فؤاده من الحزن دمماً لا يتعدى نطاق القلب وسويدائه ؛ فأخرج الشعراء درراً شعبية فى الرثاء تؤثر فى النفس تأثيراً عميقاً ، من هذا قول أحدهم :

الله من خطب دهانا بالأبكار   أدعى القلوب تشب فيها السماير
يا موت حسبك من تسقيه الأحرار
كاسات ليمات تفت الســراير
وسط اللحود وبين ملتف الأحجار
فى ذمة المولى رهين القـــباير

ولقد احتل الأدب الشعبي مكانة عظمى من الأغانى والأناشيد

أساليب التفكير :

التفكير فى الشرق القديم

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

كل منا يسعى إلى استكناه أسرار الوجود، وكشف الستر عن خباياه، تتتابع على مشهد منه ظواهر الطبيعة، وتتوالى أمام ناظريه مواكب الأحياء، وتترى تحت سمعه وبصره أحداث الإنسان: فيعمل الفكر بغية اكتشاف أسباب هذه الأمور، والبواعث التى تحدثها وتسيرها، والغايات التى تتجه إليها والحكمة الكامنة وراءها. وجملة القول أن الإنسان يحاول تفسير ما يبصر وما يسمع وما يعى، وتختلف تفسيراته تبعاً لتقدمه الفكرى ومرتبته من التطور العقلى.

من أجل ذلك اختلفت تفسيرات الطفل عن تفسيرات الراشد المكتمل، وتفسيرات المجنون عن تفسيرات العاقل المتزن، وتفسيرات البدائى عن تفسيرات المتمدن المتحضر. اتفق الجميع على أمر واحد: هو البحث عن الحقيقة ما امتدت بهم أسباب الحياة، ولكنهم يسلكون سبلا ثلاثا أقصرها وأسلمها سبيل العلم، وأرحبها طريق الفلسفة، وأدناها وأكثرها التواء ودورانا حول الحقيقة طريق التفكير الخرافى.

وقد حدثت القراء فى مقال سابق عن التفكير الخرافى فى حياة الفرد، وانتهيت معه إلى أنه برغم بعده عن الحقيقة الموضوعية، وانحرافه عن القصد فى محاولة بلوغ الواقع، يعد وثبة أولى فى طريق العلم والعرفان، ومحاولة ساذجة لكشف أسرار الوجود، ومرحلة لازمة فى التطور الفكرى لا بد مسلمة إلى ما هو أرق: إلى الفلسفة والعلم.

والبشرية فى تطورها الفكرى كالفرد فى تطوره الفكرى. لم تكشف عن قوانين الجاذبية، ومدار الأفلاك، والقوة الكهربائية، والطاقة الذرية، إلا بعد جهاد عنيف، وكفاح فكرى شاق دام آماداً طوالا، ومحاولات مضنية كان أولها التفكير الخرافى الذى يسم العقل البشرى فى طفولته.

الكويتية بأنواعها، وأنا أذكر بيتاً من نشيد نبطى هو:

لابق (يا أصحابى) حناشبوب الحرايب (الحروب)
وانطفت حنــا ســنا نارهــا

كما أذكر أغنية من (أغانى الموازم) وهى نوع من الغناء تطرق إليه الأدب الشعبى الكويتى:

وأمسى الضحى باديا فــريج (فريق) مصبح
جبينا المطوع (أتينا الشيخ) يحدث أمى الأبصار
يقول: طرد (أى طالب) الهوى نارن (نار) شمالى
والله لا أسمــع حــديثه لو يجنه (يجن)
واتبع هوى البيض فى هرجن (الكلام) يقالى

وملاحظتى الأخيرة عن هذا الأدب الشعبى أنه لم يتبذل فى القول، ولم يتخذ عامى الكلام سبيلا للنكات الفاحشة والأغراض السقيمة بل هو ذو أغراض طيبة تجنى الكويت من ورائها كل خير وكل فائدة.

وما هو إلا قليل من العناية وقليل من التشجيع ومزيد من الثقافة الجديدة التى أفعمت سماء الكويت وأرضها تضفى على الأدب الشعبى حتى يكون فى مصاف الآداب الشعبية. وأنا أرى أن الكويت فى حاجة ماسة إليه لتتخذه وسيلة لدعايتها الوطنية، وقد جربت فيه ذلك فوجدت الدرع الفولاذى والفكر العبقرى.

ولا يغيب عنا أن اللهجة الكويتية الأثر البين فى الأدب الشعبى فى الكويت، وسأبحث تلك اللهجة فى مقال مقبل بحثاً مستفيضا، إذ أن قراء العربية فى حاجة ماسة لأن يعرفوا الشىء الكثير عن الكويت، وقد ارتقت رقيا باهراً فى أوقات قصيرة؛ بيد أن وهن الدعاية وقلة أساليب التعارف ووسائلها بين أقطار العالم العربى يحول دون إبداء الحقيقة والمعرفة الصحيحة، وما أحوجنا إلى إبدائها ونحن فى فترات أحوج ما تكون فيها إلى التآزر والتضامن فى جميع عناصر الحياة.

أحمد طه السنوسى

فالتراث الفكرى الذى خلفته أجيال البشر يبين أن أول مرحلة من مراحل التفكير كانت مرحلة دينية صرفة ، يمتزج فيها التفكير بالخيال .

ونحن نعلم أن الفكر الإنسانى بزغ أول ما بزغ فى الشرق القديم : عند المصريين والفرس والأشوريين والبابليين والهنود والصينيين . ونظرة عامة إلى ما خلف هؤلاء من محاولات تفسيرية تكشف عن غلبة العاطفة الدينية ، وسيطرة التقاليد الموروثة ، والجنوح إلى الخيال .

ولا بد لتفكير يصدر عن الأهواء والعواطف ، ويستمد المعارف من الخيال والأوهام ، ويستهدف السعادة فى الدنيا والآخرة ، لا بد لتفكير هذا شأنه أن ينتج عقائد دينية ، وفنوناً جيلة ، وحكمة أخلاقية ، كل ذلك فى مزيج واحد متفاعل لا فرق فيه بين علم وفن ودين وأخلاق ، حتى لنجد علماء القرون الغابرة هم شعراؤها وحكماؤها و كهنتها فى آن واحد .

ألا ترى إلى الكهنة المصريين فى العهد الفرعونى يرعون الدين ، ويحمون الفضيلة ، ويحملون رسالة العلم ، ويرفعون لواء الحكمة ، ويوجهون سياسة الدولة ، ويتحكمون فى مصير الشعب ؟ أولم يكن شعراء العرب فى بداوتهم ، وشعراء اليونان قبل عصر الفلسفة قادة الفكر وقادة المجتمع فى هذه الربوع ؟ فامرؤ القيس والنابغة والأعشى وزهير فى جزيرة العرب ، وهو ميروس وصحبه ممن طمست الأحقاب أسماءهم فى بلاد اليونان .[1]

وهل ننسى أن زرادشت حكيم الفرس كان داعية دينية لعقيدة تحمل بين ثناياها فلسفة ناشئة ؟

وهل كان بوذا الحكيم الذى خلد فى تاريخ الفكر بحكمته الأخلاقية وتحرره الفكرى وآرائه السياسية ، إلا كاهناً لإحدى القبائل الهندية الكبرى وابناً لشيخها ؟

وجملة القول أن التفكير الخرافى فى الشرق القديم يتصف بخصائص ثلاث : الخضوع لسلطان الدين أى التقاليد الموروثة المقدسة ، والاتجاه الخيالى ومن هنا كانت صلته الوثيقة بالفن ، والنزعة الأخلاقية .

وعلينا الآن أن نستعرض أمثلة من الفكر الشرقى القديم

(١) انظر كتاب قادة الفكر للدكتور طه حسين .

مبتدئين بالتفكير فى مصر القديمة .

لم يكن للمصريين دين واحد ، بل أديان عدة اختلفت باختلاف الأقاليم ، وتطورت مع تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى وادى النيل . وقد برزت الديانة المصرية القديمة كعامل هام فى حياة الشعب ، فى عهد مشيدى الأهرام كخوفو وخفرع وأوناس ، وفى عهد الملوك الغزاة كتحتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى[1] .

والذى يهمنا فى هذه الديانة هو تصور المصريين للكون ، وسذاجة تفسيراتهم لأحداثه : فهذا أمنحتب الرابع ، الذى عبد آتون (قرص الشمس) فسمى لذلك « أخناتون » أى روح آتون ، ينشد مخاطباً قرص الشمس معتبراً إياه علة الظواهر الطبيعة ، وقوة روحية تدبر الكائنات :

« يا شمس النهار ، يا من تخشاه البلاد القاصية
أنت موجد حياتهم
أنت الذى خلقت فى السماء نيلا
لكى ينزل عليهم ولهم .
يتساقط الفيضان على الجبال كالبحر الزاخر
فيسقى مزارعهم وسط ديارهم .
ما أبدع تدابيرك يا إله الأبدية ... »

هذا ولم يكتف المصريون بعبادة الشمس من حيث هى مصدر الحياة ، وإنما قدسوا النيل ، واتخذوا من السماء إلها ، ومن الكواكب أربابا ، كما يتبين من دعاء ورد فى إحدى أوراق البردى ذلك نصه : «أنت الإله الأكبر ، سيد السماء والأرض ، خالق كل شيء ، يا إلهى وربى وخالق ، قوِّ بصرى وبصيرتى لأستشعر مجدك ، واجعل أذنى صاغية لأقوالك ... »

وهكذا يتبين تأليه المصريين لقوى الطبيعة بحكم بداوتها الفكرية ، شأنهم فى ذلك شأن الطفل : موضوعات الدين فى ذهنه صور حسية خيالية ، لم ترق بعد إلى المستوى العقلى التجريدى؛ الطفل الذى يميل بحكم طوره العقلى إلى أن يضفى على الكائنات جامدة كانت أو حيوانية صفاته الإنسانية ؛ فيرى الشمس والقمر

(١) أنظر كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين تأليف الأستاذ أنطون زكرى .

والنجوم حاصلة على صفات الكائنات الإنسانية ، من قدرة وإرادة وفهم ، الأمر الذى يجعله حينما يصطدم بحائط أو باب صدمة تؤلمه ، ينهال عليه ركلا ، مفرغاً فيه حنقه كما لو كان الحائط أو البـاب ذا إرادة شريرة ، وكما لو كان يحس الألم كما يحسه هو .

وهذا يذكرنا بأحد الأباطرة القدماء الذى انهال على مياه البسفور ضرباً بالسلاسل لأنه اجترأ فاكتسح أسطوله .

فسلوك المصريين القدماء إزاء قوى الطبيعة المعبودة ، وسلوك الطفل إزاء الباب ، وسلوك الامبراطور الحانق على البسفور سلوك ناجم عن تصور خرافى للحوادث ، وتعليل وهمى لها

آمن المصرى القديم بخلود الروح . ولا يسع من يستعرض مقابره ونقوشه ومعابده إلا أن يستوثق من سيطرة هذه العقيدة على ذهنه سيطرة أذهلته عن واقع الحياة ، ومن شوقه المتحرق للعالم الآخر ، شوقاً أطلق الخيال يجوب فى آفاق هذا العالم المجهول، فيرسم صورة لحياة الروح بعد مغادرة الجسد ، صورة هى لوحة فنية لا أثر للعقل فيها ، ولا فضل للبرهان فى تثبيتها ، إنما الفضل كل الفضل للخيال الذى أنتجها ، والعاطفة الدينية التى ألهمتها .

هذا « أوزوريس » الإله الصالح (رمز الخير والعدالة) يرأس محكمة العدل الكبرى ، يجلس على عرشه فى صدر قاعة يكلل سقفها القناديل وعلامات الحق ، وأمامه أحفاده أبناء « حورس » وآلهة أركان العالم الأربعة ، ومعهم اثنان وأربعون قاضياً ، بعضهم برؤوس بشرية ، وبعضهم برؤوس حيوانية ، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزاً للمعبودة (معت) ، ممثلة الحق والاستقامة والعدل ، وفى يد كل منهم سيف لقتل الخاطىء ، ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر فى كفتى الميزان الذى يزن الحسنات والسيئات .

وأمام « أوزوريس » وحش مفترس متحفز لافتراس الميت إذا رجحت كفة خطاياه . ثم يقف الميت على باب قاعة العدل خائفاً مرتعداً فى الساعة الرهيبة التى يقرر فيها مصيره ، ويترافع عن نفسه ، ثم يصدر الحكم بالبراءة أو الإدانة ؛ حتى إذا انتهت المحاكمة أمر « أوزوريس » بالفائزين إلى الجنة وبالخاسرين إلى الجحيم .

هذه أفكار الخلود والثواب والعقاب ، كما يصورها كتاب الموتى تصوراً حسياً خيالياً ، دون برهان ودون تفكير عقلى خالص.. إنما هى محاولة فكرية لمعرفة ما وراء الموت ، ومصير المذنب ونهاية المحسن، محاولة استخدمت فيها الوسيلة الوحيدة التى يسمح بها ذلك الطور من النمو العقلى : طور الخرافة والعاطفة .

وما دمنا بصدد الحديث عن المذنب والمحسن ، أو عن الخير والشر فلننتقل إلى « زرادشت » ، أبرز حكماء الفرس ، الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، وخلف ديناً لا يزال له أتباع حتى اليوم فى ربوع الهند وغيرها .

وقف زرادشت حائراً فى عالم متناقض فيه الخير والشر ، والجمال والقبح ، والسعادة والشقاء ؛ وأعمل فكره محاولا تفسير شطرى الوجود فتصور العالم نهباً لروحين متصارعين : أورموزدا وأهريمان . الأول إله الخير ، صانع السماء والأرض والبشر والملائكة الأبرار ؛ والثانى إله الشر ، علة الموت ومفشى الرذائل ومحدث الأمراض والشياطين . الأول يؤلف مع ملائكته وأتباعه الصالحين حزب الحق ، والثانى يؤلف مع شياطينه والكفار المنافقين حزب الباطل . والحرب بين الحزبين سجال . ولكن زرادشت حكيم متفائل ، يدفعه تفاؤله إلى تصور نهاية سعيدة للرواية الكونية ، إذ يغلب الخير فى النهاية ويصبح العالم كلا واحداً متجانساً إلى أبد الآبدين .

(البقية فى العدد القادم) عبد المنعم عبد العزيز المليجي

إن جسمي من بعد خالي لخَل

للأديب ناصر الدين النشاشيبي

(بمناسبة ذكرى وفاة العلامة النشاشيبي)



أبكيك اليوم يا خالي في يوم ذكراك وكأنني فقدتك في أمسي القريب، وأتوجع عليك بعد عام في مرارة القريب وأسى الحبيب، فلا أدري أأحدثك عن نفسك — وأنت أشد الناس عداوة للحديث عن نفسك. أم أنقل إليك أخبار وطنك وأنباء أمتك — وأنت أحرص أمة محمد على أرض الرسل ومسرى الأنبياء، وأشد الناس فخراً بخير أمة أخرجت للناس... فيبكيك حديثي، ويشجيك نواحي وأنيني، ويزعجك في مثواك الأخير صيحات بلدك الممزق، وأمتك المشردة، وتراثك الضائع، وأملنا المفقود !!

كيف أبكيك وما عرفتك إلا جباراً في جميع نواحي حياتك؛ إن تحدثت خرجت كلماتك كالقذائف من أعماق نفسك، وإن خطبتَ — وما عرفتك خطبت — إلا بكيت وأبكيت. وما سمعتك تحدّثت إلا أثرت وتأثرت، وما قرأت لك إلا تمثلتك أحد الصحابة في إيمانك وصوفيتك، وما من مرة ورد ذكرك على لسان الناس إلا رجعوا بذاكرتهم إلى عصر النبي وأيام الجاحظ وأبي عبيدة والمبرد وصفوة الأدب الخالد... يتجسرون على بحور العلم وقد مسها الجفـــاف، وموسوعة الأدب والعبقرية وقد احتواها — ويا أسفي — التراب !!

هذا حديثي إليك بل بكائي عليك على صفحات رسالة صاحبك إمام النثر كما كنت تدعوه. وهو يسألني عن « النقل » فلا أجده، وعن الحديث فلا أسمعه، وعن المجلس فلا نبصره، ثم نفتقدك في أيام الشـتاء — أيامك في قاهرة المعز — فنجد مكانك المعتاد وقد أقفر من الصحب والخلان، وزوارك العارفين والمعترفين وقد تخلفوا عن الركب وانقطعوا عن الزيارة، وما زالوا في دهشة من أمرك، وحيلة من مصيرك، يسألون ويتساءلون :

— كيف ..؟ كيف تخلفت، وكيف غبت، وكيف انقطعت يا أعز الراحلين .؟!

إن قلبي ليبكيك بلسان الكثيرين من تلاميذك وزملائك وقد عشت لهم مخلصاً ومتفانياً في أدبك، وجاهدت في سبيلهم بجهادك القوي في سبيل المعرفة، ومشيت معهم نحو دنيا النور والعلم فما كلت لك عزيمة، وما وهنت لك إرادة، وما عرفت معنى للضعف وأنت تصل الليل بالنهار في دراساتك وأبحاثك متنقلاً بين القاهرة « موئل العرب والعربية » وبيروت (وبيروت مدينة تهذيبي) وحلب الشهباء بلد صديقك إبراهيم « سلام على إبراهيم » ! وبغداد حصن السمدون « وأمة منها السعدون لن تموت » ! وكنت في كل أطوار حياتك المثل الأول لمن يحيا في سبيل فكرة — فكرة محمد ولغة محمد ! ولمن يجاهد في سبيل مبدأ — مبدأ العرب والعربية. وهذه الإشارات تملأ أرجاء قصرك — « يا محمد . ! ! » وهذه الآيات البينات تزين أسوار بيتك — « أنا عبدك يا رسول الله .! » وهذا الضعف في كبرياء القوي وهذه القوة في تواضعَ المسلم وهذا الإخلاص للغة الكتاب « أنا عبدها .. أنا عبد عبدها .. أنا عبد كل عبد يسود بعبديتها » وهذا تراثك في محمد ولغته ورجاله وهذا « إسلامك الصحيح » و « بستانك » و « كلماتك » و « نقلك » و « خطبك » وكل ما كتبت ونقلت وصححت وراجعت الدليل الصادق على أنك عشت وما عشت إلا لإسلامك، وعملت وما عملت إلا للغتك ولغة نبيك !

نشأت ثائراً على الدنيا وأنت وحيد أبويك فثرت عليهما وعلى الأهل والقربى. وترعرعت بين الخير والنعيم فدفعته بيديك ورغبت عنه لتشبع نفسك بصوفية الأقدمين، وزهد المؤمنين، ومشيت في خطوات الحياة لا أنيس لك إلا الشاعر أو ديوانه ،

أنانيـــة مجرب

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب رقيق العاطفة ، جياش الحس ، يلذ له أن يقف منك موقف الناصح ، ولكنه إذا فعل سار على نهج لا تكلف فيه حتى لا تملك تلقاء حديثه إلا أن تعيره الأذن الواعية والروح المقبلة . وأنت حبيب إلى نفسه ، مقرب إليها ، إذا قبلت منه نصحه . وأنت أكثر حباً إلى نفسه وأكثر قرباً منها إذا ظهرت أمامه خالياً من التجاريب مقبلا على دنياك إقبال الطفل . إنه إذ ذاك يفرح أن جرب هو ولم يجرب من هو أكبر منه ، وأن يقف هو إلى هذا الأكبر موقف الناصح المرشد الذي خبر من الماضي ما يكشف به عن القابل .

لعلي بهذا الوصف أكون قد ألقيت الضوء على عيبه الواحد . فإنك لتراه بعد هذا شفيف الروح ، مهذب اللفظ ، مرح الدعابة واسع الاطلاع ، دقيق اللفتة . أما عيبه الذي ذكرت فأمره عليّ يسير . إن صلتي به توثقت حتى لا يزيفها غش أو توهنها مصارحة ؛ فتراني إذا نصح ناقشته مقبلا على النقاش في غير ضيق فقد مرن مني على هذا الأمر حتى أصبح بعد لكل نصيحة نقاشاً ، ولكل حكمة اكتسبها من نثار تجاربه حججاً وبراهين وأمثالا . وأنا مع ذلك حبيب إلى نفسه مقرب إليها لا يمل نقاشي ولا أمل نصائحه .

أقبل يوماً على مجلسنا تعلو وجهه سمات الجد والرزانة فعرفت أن حالة النصيحة قد أدركته وأنه يريدني على أن أسمع بعضاً منها ؛ وكم أكون كريماً لديه لو سمعتها جميعها .. عرفت هذا فانتحيت به ناحية وقلت :

— مالك ؟

— إسمع ، لقد أثبتت تجاربي أن كل الناس أشرار .. وأنه يجب على الإنسان أن يقبل على أصدقائه شاكا في ولائهم ، حذراً من شرهم ، فليس في الناس صديق ، وليس فيهم إلا الخؤون ، وإنك إذا توقعت منهم الخير ثم فجئك الشر دكت الواقعة من كيانك مهما تفهت ، أما إذا توقعت الشر ثم طالعك الخير فإن ذلك يفرحك ، ولكن حذار مع هذا أن تأمن الجانب وتطمئن فقد يمهد الخير للشر كما يمهد الدفء للحريق .. إبق على شكك وحذرك فالكل شرير .

ولا جليس معك إلا الكاتب أو رسالته ، ولا شاغل لديك إلا البحث والدرس واستقصاء والتحقيق ، فحرمت نفسك الزوج والولد بعد أن حرمت والدبك لذة الحرص على صحتك والعناية بنشأتك والفوز بقوتك ، وكأنك أردت لنفسك طريقاً خاصاً في أسلوب حياتك ، ونسجت لذاتك منوالا فذاًفي جوانب تفكيرك ، فكنت كما عرفك الناس ، فريداً في أسلوب أدبك ، وحيداً في تصوير خطك ، ذليقاً — في عفة — في لسانك ، ثائراً في انفعالات عواطفك وأعصابك ، متوقداً في ذهنك وتفكيرك ، بسيطاً في ملبسك ، منطوياً على نفسك البريئة ، وروحك العذبة وقلبك الذي ما خفق إلا بالحب والوفاء . هكذا نشأت ، وهكذا ترعرعت ، وفي سبيل هدفك صرفت وضحيت .

وبيتك كعبة الحجاج من أهل الفضل والفضيلة ، ومجلسك قبلة الأنظار من أهل العلم والمعرفة ، وأنت .. أنت الروح في كل مجلس ، وأنت الحجة في كل حديث ، وأنت المتمكن من كل قول ، وأنت الرقة في كل سمر ، وأنت الراعي لكل تراث .!

أين أنت ؟ ولمن خلفت عربك وعربيتك ؟ ولمن تركت « رسالتك » و نقلك » ؟ ومن أولى منك « يا إمام العربية » بتراث العربية ؟ وأنت خادمها ، وأنت عبدها ، وأنت لها ، وأنت المدافع في كل حين عنها ، وأنت القائل منذ أربعين عاماً أو يزيد :

فإني بأرض الشرق أخدم أمتي وأرجو لها في كل واقعة نصرا
أخوض غمار الكون بالعلم والتقى ولا أسأل القوم العظام لي الأجرا

يا أبا عبيدة ! إني عليك لمكلوم ، ولفقدك لحزين ، وإن حرمتني الأيام منك في حياتك — وأنا في مهد الصبا ، ومقعد الدراسة — ثم حرمتني منك بعد أن حرمك الموت من نعمة الحياة ، فإن ذكراك ستبقى حية عندي ما حييت ، وستبقى خالدة على مدى الأيام ما بقيت العربية . !

يا خالي ...

عليك رحمة الله .. وإلى اللقاء ..!

ناصر الدين النشاشيبي

— حسبك .. حسبك فإننى أرى النوبة قد عادتك ،ولكنك فى هذه المرة على غير مألوفك من الأدب ؟ فها أنت ذا ترمينى فى وجهى بالشر وسوء الطوية ..ألست واحداً من أصدقائك الأشرار؟ بل إنك لتزيد فتريدنى أن أظن بك السوء بلا موجب أراه أنا ! ولكن أتريدنى حقاً أن أصدقك ؟ أجادٌ أنت فيما تقول ! أمشى مع الناس فلا أرى غير الشر ولا يخالجنى غير الحذر والخوف ! أى تجارب تلك التى أوحت إليك بهذه الشرور ؟ أو تكون مجرباً حقاً إذا قلت هذا ؟ ما أسهل هذا الأمر وما أصعبه ! إن المجرب يا صديقى — فى رأيى — هو الذى يعرف معايير الناس ويزن كلاً بميزان .. يمدحه أحدهم فيصل إلى باعث هذا المديح .. ففى الناس من يبذل المدح ثمناً لخدمة له عندك . ومنهم من يبذله ثمناً لمديح مثله . ومن الناس من يمدح رغبة منه فى المجاملة ، ومنهم الصادق فى مدحه ، وهذا هو النوع الأمين النادر ، انك لواجده صادقاً فى نقده أيضاً إذا نقد .. المجرب هو الذى يفرق بين كل هذه الأنواع ، والمجرب هو الذى يعطى لكل من هؤلاء مكانه الحقيق به من نفسه . أما إذا سوّيت بينهم جميعاً ورميتهم كلهم بالشر . فأنت غر لا تعرف الناس ، ولم تجربك الأيام ولا جربتها. يعز عليك أن تقتنع .. أعلم ذلك ، ولكن ربك ما الذى بعث فى نفسك كل هذه الثورة ؟ هل من جديد ؟

— الجديد هومعرفتى أننى الغيرى الوحيد بين هؤلاء الناس . أنت تعرف صديقنا فلانا ، كنت أؤثره وأحبه ، توطدت بيننا الصداقة فأصفيته ودى ، لكنه عرف أننى مقدم على مشروع تجارى فسبقنى إليه ، واستعان بسلطان كبير أطاح من يدى الفرصة إلى يده .. أرأيت أنانية كتلك الأنانية ؟!

— نعم .. رأيت أكثر منها .

— أين ؟

— أنانيتك أنت .. إنك — والحمد لله — لا تعرف عن التجارة شيئاً وهى مهنته . وأنت — والحمد لله — فى بسطة من رزقك وبحبوحة من عيشك ، وهو يسعى وراء رزقه ، ويشقى فى سبيله ، لماذا تعترض طريقه ؟

— ولكننى صديقه ، كان يجب أن يستأذننى .

— أو كنت تأذن ! . يا صاحبى إننى أنا وأنت وكل إنسان فى العالم أنانى بطبعه ، إنك لترى الأنانية فى كل خطرة ينشغل بها ذهنك ، وفى كل خلجة يختلج بها قلبك .. إن الخير فى ذاته نوع من الأنانية . إنك إذ تقوم بذلك الخير ترجو شيئاً من شيئين : إما ذكراً طيباً فى الدنيا ، أو مثوى كريماً فى الآخرة . وأنت على الحالين أنانى . قد يسمو بك شعورك فتفعل الخير ترضى به نزعة فى نفسك ، وأنت فى هذه الحال أيضاً تنظر إلى نفسك فتريحها بعمل الخير .. لن تقتنع ..أعلم ذلك ولكنه الحق . وتريد صاحبك على أن يترك قوته لك حتى لا ترميه بالأنانية .. إنه أنانى ولكن دعه يأكل ، والله ما الأنانى إلا أنت .

— الآن تشعر بأنك تمزح .. أتسوى بين التناحر وعمل الخير .. إن منمنى صديقى عن كسب موشك كان فى عمله مثل من يقوم بالمعروف . وتدعى بعد هذا أنك تعرف المجرب وغير المجرب ، وتبيح لنفسك أن تلقى هذه المحاضرة الطويلة عن التجربة

— قلت إنك لن تقتنع .. ولكن يجب أن أصحح ما قام بذهنك .. لا . . أنا لا أسوى بين العملين ، لكننى أرى فى كل منهما أنانية وإن تفاوتت نسبتها . . إن فى كل منهما صورة من الأنانية تختلف قبحاً وجمالاً .. ألا ترى ..

لم يطمئن صديقى أن يصبر أكثر من ذلك ولم تسعفه الحجة فقام عنى مغضباً دون أن يسلم ، ويعلم الله أين مكانى من نفسه الآن .. ولكننى ما زلت أعتقد أننى حبيب إليها قريب منها .

ثروت أباظة

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٤)

(١) النفس عند ابن سينا (٤)

للأستاذ كمال دســوقى

لا يفوتنى قبل أن أتقدم بكم إلى موضوعنا اليوم أن أنبهـكم إلى هذه الصلة الوثيقة بين العقل بقسميه النظرى والعملى عند ابن سينا وبين تصنيفه للعلوم العقلية . ولما كنت أخشى ألا يتيسر لـكم الوقوف على هذا التصنيف فى كتابه الشفاء ، أو فى مقدمة منطق المشرقيين أو فى رسالته فى أقسام العلوم العقلية ، فانى مُجمل لـكم الحديث عن لوحة تقسيمه للعلوم هذه التى ينبغى أن تقفوا عليها وأن تربطوها بأقسام العقل النظرى والعملى التى حدثتكم عنها فى المقال السابق .

ذلـكم أن العلوم تنقسم عند ابن سينا كذلك إلى نظرية وعملية . فالنظرى منهـا ما كانت غايته حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق وجودها بفعل الإنسـان ، كالله والـكواكب ، والأرض ، والأعداد ... الخ اعتقادا غايته الوصول إلى الحق Truth والبحث عن الحقيقة Vérité . أما العملى فيتجاوز حصول الاعتقاد إلى حصول رأى عملى فيما هو من تدبير الإنسان وكسبه ؛ حصولا من شأنه أن يؤدى بنا إلى الخير Goodness أو Bien ، فهنا تفرقة للأشياء من حيث وجودها بارادتنا أو بغير إرادتنا وكيفية علمنا بها على هذا الأساس .

والعلوم النظرية عنده ثلاثة : العلم الأدنى (الطبيعيات) ؛ وموضوعه هذه الأمور التى حدودها ووجودها يتعلقان بالمـادة والحركة ، كأجسام الأفلاك التى تحدثنا عنها ، والعناصر الأربعة وكل ما هو جسمى على الإطلاق . مما يتغير عليه الحركة والسكون والـكون والفساد والتغير والاستحالة . ولهذا العلم مبادئ أصلية نظرية هى التى ذكرناها حين كنا نتحدث عن موضع النفس من مذهب ابن سينا ، وتطبيقات فرعية كالطب والتنجيم والفراسة والـكيمياء مما يقوم على المبادئ الأصلية السابقة . ثم العلم الأوسط (الرياضيات) وموضوعه أمور يتعلق وجودها بالمادة وإن تجردت حدودها منها ، كعلم العدد (الحساب) والهندسة (علم السطوح والأشكال والمقادير) وعلم الهيئة (الأفلاك وأوضاعها وحركاتها) والموسيقى (علم النغم والإيقاع واللحن والاتفاق ..) هذه مبادئه الأصلية ، وله كذلك فروع تطبيقية كالمساحة والحيل (الميكانيكا) وعلم المناظر والمرايا وجر الأثقال ونقل الميـاه ... الخ . وأخيراً العلم الأعلى (الإلهيات) التى ليست أمورها ذات تعلق بمـادة أو حركة والتى تبحث فى ذات الواحد الحق وصفاته من هُوِيّة identité ووحدة وعلّية Causolité ... الخ . وله هو الآخر أصول وفروع لا داعى للاحاطة بها .

أما العلوم العملية فهى التى موضوعها الأفعال التى تشترك مع غيرنا أفراداً وجماعات — وهذه بطبيعة الحال أمور من محض فعلنا وإرادتنا . فان كانت لتدبير يختص بشخص واحد بما يحقق له السعادة فهي علم الأخلاق ، وإن كانت تبحث فى تدبير الإنسان لأسرته وزوجه وولده ومملوكه (خادمه) بما يحقق سعادتهم أيضاً فذلك تدبير المنزل ، وإن كانت هذه الأمور تتناول صنوف الرياسات والسياسات والمجتمعات والمدن الفاضـلة فذلك هو علم السياسة ... هذه هى العلوم العملية عند ابن سينا ، وهذا تصنيفه للعلوم كلها وتصنيف الفارابى قبله . والمنطق هنا يجعله ابن سينا مقدمة وآلة Organon للعلوم فحسب ، وإن كان فى تقسيم كتبه فعلاً يجعله القسم الأول منها ، ثم يتبعه بالطبيعيات فالإلهيات — على نحو ما بينت لـكم من قبل — ونـكتفى بهـذا التقسيم لابن سينا؛ لأنه أرسطالى من جهة ، ولأنه أدنى إلى موضوعنا فى تقسيم النفس إلى نظرية وعملية ، من جهة أخرى . وإلا فان له تقسيـما آخر مختلفاً بعض الشيء (فى مقدمة منطق المشرقيين) لا داعى لذكره .

ويهمنى -- ويهم ابن سينا كذلك — أن تميزوا بين أنواع الإدراك المختلفة التى تحصّلها كل ملـكة من ملـكات العقل ؛ فان له هنـا نظرية فى المعرفة جديرة بالاعتبار ، ونظراً فى طبيعة الإدراك من حيث علاقته بالشيء المدرَك . فاذا كان الإدراك هو أخذ صورة المدرَك مجردة عن المادة أىّ نحو من التجريد ؛ فان الحس يدرك الأشياء مع لواحقها المادية ، كالتكثر ، والانقسام ، والـكم (العـدد) والـكيف (الخصائص والصفات) والأين (المـكان) والوضع ... الخ . والخيال يجرد صورة الشيء المدرَك

من المادة تجريداً تاماً تقريبا ، يستوى معه وجود الأصل أوعدمه ولكنه لا يجردها من الملائق ، بل تظل ملابسة لها فى الخيال . أما الوهم فإنه يدرك المعانى التى قد توجد فى مادة ولكنها ليست فى ذاتها مادية كالخير والشر والملائم وغير الملائم ، إدراكا جزئياً لا يبرأ من لواحق المادة والحس والخيال . وأما العقل — أوالحاكم العقلى كما يسميه — فيدرك الصور مجردة عن المادة من كل وجه وعن علائقها ولواحقها من أى نوع .

ولا يخفى عليكم أن ابن سينا يمهد للدخول فى إثبات وجود النفس بوصفها جوهراً مفارقاً للبدن ، فيقيم لكم التناقض واضحاً جلياً من مادة الشىء المدرَك — حتى فى غيبته عن الحس — وجوهرية العقل المدرِك ؛ بين تعلق هذا الأول بالمادة والمكان والجهة ، وتجرد ذلك الثانى منها . يريد أن يخلص من ذلك إلى أنه لاشىء مما يدرك الجزئيات المادية إلا وهو مادى ، وأن لا شىء أيضاً مما يدرك الكليات العقلية إلا وهو مجرد ، وأن يدلل على أن الإدراك الحسى والخيالى والوهمى — نظراً لتعقلها جميعاً بصور جزئية خيالية على نحو ما أسلف القول — فهى إنما تقع بالآلة الجسمانية التى ليست مجردة من المادة ولا مفارقة للوضع الجسمى .

أما الجوهر الذى هو محل المعقولات المجردة فمجرد كذلك عن المادية والجسمية — فهو ليس جسما ولا حالا فى جسم بوصفه صورة أو قوة له . وحجته هنا تقوم على إنكار ما أثبته فى الفصل السابق للقوى الإدراكية الجزئية على القوى المدركة العقلية — أعنى الانقسام المادى فى القوى الحاملة أو القابلة للادراك ، نتيجة لانقسام المدرَك ذاته . فلما كانت المدركات الحسية مقسمة ومتجزئة بدليل أنك تدرك الشىء الواحد — كالإنسان مثلا — متفاوتاً فى الكبر أو الصغر ، وأن هذا التفاوت لا بد أن يكون من جانب المدرِك أو المدرَك ، فقد كانت القوى الدراكة الجزئية منقسمة كذلك . وإذن فهى فى مكان ووضع وجهة ، وبالتالى فهى مادية كدركاتها ، متصلة بها غير مفارقة .

وطريقة ابن سينا فى إثبات تجرد جوهر العقل من المادة أن يبرهن على أن هذا الجسم الذى سيحل فيه المدرَك العقلى إن كان جسما — فهو إما غير منقسم (جزء لا يتجزأ كالذرة — باعتبار ما مضى — وكالجوهر الفرد أو النقطة الرياضية) أو مقدار منقسم فعلاً . فان كان الأول فهو غير معقول ؛ لأن النقطة وهى منفردة لا تقبل شيئاً من الأشياء وإلا أصبحت ذات وجهات (حجم) ولم تعد نقطة ، ولأنها وهى طرف من خط هى نهايته فلا بد أن يكون لجزء من هذا الخط نصيب مما تقبله ؛ وحينئذ يكون للنقطة وجهان أحدهما غير الآخر ومخالف له . فالوجه الذى هو نهاية الخط غير الوجه الملاصق له من الناحية الأخرى . وإلا كانت النقطة منفصلة عن الخط ولم تكن هي نهايته ، وهذا خُلف مع ما افترضه من قبل ، ومع إبطاله فى مواضع أخرى للجوهر الفرد فثبت إذن فساد القول بأن جوهر العقل شىء غير منقسم .

ويتضح كذلك فساد أن يكون شيئاً منقسما تبعاً لانقسام الصورة العقلية التى يدركها مثلا . إذ لو كانت الصورة العقلية منقسمة لم يأت من مجموعها شبيه بها إلا بالزيادة والكم والمقدار مما سبق أن قلنا إنه خاص بالصور الخيالية — كما أن أحد أجزائها لن يدل على معنى الكل وإلا كان هو الكل ولم يكن ثمة انقسام . هذا إذا كان القسمان متشابهين؛ أما إذا كانا غيرمتشابهين فانه يترتب على ذلك أن حد الصورة العقلية (الذى هو الجنس والفصل كما درستم فى بابى الكليات الخمس والتعريف) يكون منقسما . وهو عند ابن سينا محال لأنه يبين هنا — وفى قسم المنطق من قبل — أن الأجناس والفصول متناهية وغير منقسمة ، كذلك لا تنقسم الصورة العقلية إلى جنس من ناحية وفصل من ناحية أخرى ؛ كل على حدة (بعد أن ثبت فساد انقسام كل على نفسه) وإلا كان نصف الصورة العقلية يحتوى نصف الجنس ونصف الفصل ، وفى هذا خلف مع ما سبق إثباته ؛ أو إذن لحل الجنس والفصل كل موضع الآخر وهو محال . فالصورة العقلية هى إذن مبادئ بسيطة قابلة لتركيب معقولات أكبر ، دون أن يكون لها أجناس أو فصول ، ودون أن تنقسم فى الكم إلى أجزاء متشابهة أوغيرمتشابهة ؛ وبالتالى فهى لاتحل فى مقدار، والقابل لهذه المعقولات المجردة فينا هوجوهر غير جسمى أومادى.

ولابن سينا هنا حجة أخرى على تجرد الجوهر العقلى من المادة — مؤداها أن تجريد الصورة العقلية عن المكان والوضع والكم والأين وسائر المقولات فهو باعتبار وجودها الذهنى وتصورها العقلى لا فى وجودها الواقعى الخارجى ، ومثل هذه

الصورة العقلية المفارقة لمادتها لا يمكن لذلك أن تكون فى جسم ، وإلا فلو أن هذه الصورة العقلية المجردة قد انطبقت فى جسم ذى جهات وأقسام لنتج محال وخلف لما فرضناه فى البدء . وخلاصة القول أن محل المعقولات والجوهر القابل للصورة المجردة هو مثلها مجرد — ولا يمكن أن يكون جسما أو فى جسم بحال . على عكس الصور المنطبقة فى المادة والتى هى أشباح لأمور جزئية منقسمة لكل قسم منها نسبة بالقوة أو بالفعل لجزء من الشىء المادى أو لكله .

وإذ برهن ابن سينا بهذين الدليلين على تجرد الجوهر العقلى من المادة والجسمية انتقل إلى النتيجة المنطقية التى تلزم هذا البرهان بالضرورة ، وهى أن تعقل القوى العقلية المذكورة ليس يحدث بالآلة الجسمية . وله فى ذلك حجج ثلاث : أولاها أنه لو كان تعقُّل هذه الصور بآلة جسدية لم تستطع أن تعقل ذاتها وتشعر أنها تعقل (كالحس مثلاً أو الخيال والوهم التى تحس أو تتخيل وتتوهم أشياء خارجة عنها — دون أن تشعر بفاعليتها هذه) — أما العقل — فانه يعقل الصور الكلية . ويعقل أنه يعقلها — مما يدل على أنه ليس بينه وبين ذاته آلة أخرى وسيطة وبالتالى أنه يعقل بذاته — وحجة أخرى هى أن الحواس وما من شأنه إدراك الصورة الحسية الجزئية يوهنها دوام العمل ، ويصيبها بالعجز والكلال (وأمثلته هنا كثيرة وواضحة) بينما القوة العقلية لا يزيدها التعقل إلا جلاء وجدة ، وصفاء وقوة ودربة ؛ ما لم يُفسد عليها الخيال والحس هذه الملكة . والحجة الثالثة على أن القوة العقلية ليست جسمية أنها ليست خاضعة للضعف أو الشيخوخة شأن سائر القوى البدنية فى سن معينة . بل لا تزال قوية فتية بعد هذه السن بكثير ما لم يطرأ عليها طارئ مرضى أو نحوه . فان صح أن النفس يتعطل فعلها عند مرض البدن كما يُتوهم — أو عند الشيخوخة ، فما ذلك إلا لأن النفس — كما بينا من قبل — لها فعل بالقياس إلى البدن (إدارته وسياسته) وفعل بالقياس لذاتها (التعقل والتفكير) فبأيهما اشتغلت انصرفت عن الآخر لا تجمع بين الاثنين مطلقاً ، بل نسبياً ؛ كما لا يتم فعلها إلا بالبدن فهو عالة على النفس ، وشر لا بد منه .

وآية احتياج هذه القوة العقلية إلى معونة القوى الحسية الحيوانية أنه لا يتم لها معرفة ولا تعقل إلا إذا أمدتها هذه البدنية بمادة المعرفة الغفل (الخام Matiére Brute) ، فعندئذ تبدأ النفس عملها على أنحاء أربعة :

(١) التجريد والتعميم وانتزاع الكلى من الجزئيات ، واستخلاص التصور الذهنى Concept .

(٢) ومن هذه التصورات الذهنية المجردة تقوم أحكام وقضايا سالبة وموجبة هى التى نسميها فى المنطق التصديقات Judge—Ments — التصورات تقوم فى الحس المشترك والتصديقات فى الخيال والوهم .

(٣) ثم إن المقدمات الكلية التى تستقيم عليها الأقيسة والبراهين العقلية لا بد أن تكون من واقع الحياة والتجربة ، وأن يكون سبيلها الملاحظة والمشاهدة والتعميم الذى يؤدى إليه الاستقراء induction والحواس هى وسيلة الاستقراء الأولى .

(٤) وكذلك الخبرة والمسلمات والبديهيات التى نحصلها وتصدق بها لشيوعها وتواترها وجلاء الحق فيها ؛ أى نحصلها بالسماع كما يقول العرب، أو Par oui -ditre كما يقول الفرنسيون ؛ هذه إنما نكتسبها بالسمع أو التعليم والتلقين أو التقليد tradiiion وقد لا نصدق بها بعد .

وبهذا يكون ابن سينا قد أقام الدليل واضحاً قوياً على أن النفس الناطقة ليست فى ذاتها جسما ، وأنها لا تحل فى جسم ، لأن صورها المعقولة التى هى محلها ليست جسمية . وثبت إذن أن النفس الإنسانية جوهر روحانى مفارق Séparée .

كمال دسوقى

شهرزاد!...

للشاعر زهير ميرزا

شهرزاد! ... حلمك الفاتن أندى من عبير
ولياليك غرامٌ بين أحضان الدهور
كأسك الفنُّ . ومغناك أغاريدُ المصور
ونداماك عشيقٌ فاتر اللحظ الكسير
صرعته خمرةُ السحر فناما
وارتوى منك بياناً وغراما
وتراءى تحتَ عينيك هُياما
وسقاك السُّمرَ ؛ فاسقيه الهوى فى كأس نور
وامنحيه اليوم من ثغرك قُبله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله!

جوّكِ العاطرُ أطيافٌ وأشباحٌ حيارى
ونداه هامسُ الألفاظ ترويه العذارى
رنّمتهُ شفتاك اليوم لحناً لا يُبارى
ورواهُ الدهرُ فاستلقاه خفّاقٍ ونارا
كلما مرّتْ بيالى شهرزادُ
سكرَ الخاطر واشتاق الفؤادُ
وطوى الأزمانَ يرعاه السُّهادُ
فرأى العاشق والمعشوق فى الحب سُكارى
فارْشفى من شَفَةِ الأزمان نَهله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله!

ما لهذا الليل لا يطويه فجرٌ وضياه
أترى يصغى كما يصغى إليك الندماء ؟
أم تراهُ من حديث السحر أغفى حيثُ شاءوا
ليت مصباحك يا ساحرةَ الليل يُضاء!
كلما أدركك الصبحُ ولاحا
صمت الصدّاحُ لا يروى الصّداحا
وأفاق الليلُ من سُكرٍ فباحا
ومضى يرقبك السمارُ حسيرى والمساء
فإذا أقبل ... هاتى السحر كله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله!

حدثى عن شاطىء الفتنة أوعن «سندباد»
وابعثى «الصيادَ» للبحر بأحلامٍ غواد
واجمعى كلَّ حبيبين على أنق وساد
واطوى أيامك يا ساحرةَ الليل ... ونادى :
هذه الفتنةُ من ذاكَ الخيال!
لك عرشان : من السحر الحلال
ومن القصة فى ثوب الكمال
من ترى يملكُ أسمى منهما يا شهرزادى ؟! ...
رتلى الآيات فى أعذب حله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله!

(دمشق) زهير ميرزا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

موكب الحرمان :

كان لقلبه فى محراب فنها صلوات ... وفى محراب فنها كم صلت قلوب ، ولكنى لا أعرف قلباً أطال السجود مثل قلبه ! كان يقدسها وهى ترسل النغم فينصت الوجود ، يوم كان فى أنغامها أنين وحنين ، وفى ألحانها تبريح وتسبيح ... وكانت حين تغنى له وتغنى نفسها فى غنائها ، أشبه براهبة متعبدة ، تندت من دموعها صفحات الكتاب المقدس ! وأقام لها فى معرض الفكر صوراً فاتنات ، وحشد لها الخيال يمدها بكل مافى إبداعه من ألوان وظلال كانت إنسانة ، وكانت فنانة ، وخيل إليه يوماً أنها سمت بفنها وإنسانيتها إلى الحد الذى تشعر عنده الكلمات بأنها فى حاجة إلى عون الوحى والإلهام ! ... وكانت قصة هواها أنشودة حلوة : بمثلها لم يحظ فى الفن يوماً وتر ، ولم يشد يوماً فى اليم ملاح ، كلا . ولم يسمع شراع ... وأسطورة عذبة : بمثلها لم يحظ فى الوهم يوماً خيال ، ولم يصدح فى البيد يوماً رعاة ، كلا . ولم يكتب يراع ! وكان معبد القديسة يملأ النفوس رهبة ورحمة وحناناً ... كان الترتيل يهز جوانبه بين حين وحين ، فتهتز المشاعر ، وتتملق الأنفاس ، وتهوّم الأرواح ... وكانت أغانيها نشوة الشعور فى موكب الأفراح ، وفرحة القلوب فى عرس الحياة !

وفى ومضة البرق لفها الليـل ، فقد كل شىء ... معبد القديسة ؟ لقد خيم فى جنباته الصمت وشاع السكون ! معرض فكره وصوره الفاتنات ؟ لقد محت ريشة القدر كل ما فيها من ألوان وظلال ! ... وها هوذا النبع قد جف ، والزهر قد ذبل ، والمطر قد ذهب إلى غير معاد ! لقد لقيت مصرعها فى حادث لا يزال يذكره الناس ، وذهبت بأحلامها وأحلامه إلى هناك ، إلى وادى العدم ... والنيل الحبيب الذى بارك أمسياتهما لا يزال يجرى ، والقمر الساحر الذى رعى حبهما لا يزال يبزغ ، والليل الساكن الذى كتم سرهما لا يزال يقبل كلما ولى نهار !

أما هو ، فياسوء ما فعلت به بعدها الأيام ! لقد طوى القلب على أحلامه ، وعاش من بعـده على أطلال الذكريات ... ولقد سار وحده فى موكب الحرمان : يهتف للأنة الحائرة ، ويصفق للزفرة المحرقة ، ويعود آخر الأمر وملء نفسه أشلاء آمال ! ... وأما حياته ، فياسوء ما أصبحت : لقد أصبحت أقباساً من وهج اللوعة ، وفنوناً من عبقرية الألم ، وخريفاً لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس !

كتبت هذه الكلمة منذ عام فى مجلة « الأديب » اللبنانية ، ثم تلقيت عقب نشرها بضع رسائل من هنا وهناك ، بعضها يدور حول كلتين : « من هو ؟ » و « من هى ؟ » ... بينما يدور بعضها الآخر حول التوكيد بأن بطلة هذه القصة القصيرة هى فقيدة الفن « أسمهان » ، ولكن من هو بطل القصة ؟ ! ...

وأما اليوم أعيد نشر هذه الكلمة تعقيباً على مايكتبه الأستاذ التابعى عن ذكرياته حول هذه الفنانة فى « آخر ساعة » ، ولأقول لمن كتبوا إلى مستفسرين أن « مى » التى أشرت إليها لم تكن إلا المطربة « أسمهان » ... أما « هو » ، فليس واحداً من أولئك الذين عرف الناس قصة صلاتهم بها ، ولا أعتقد أن واحداً منهم يعلم شيئاً عن هـذا الغرام العاصف الذى جمع بين قلبها وقلبه ، وغلف قصة القلبين بغلاف من الصمت والكتمان !

وكم كنت أود أن أذيع قصتها على الناس من رسائلها إليه ، ذلك الإنسان الذى لا يعرفه أحد . ولكنه من أسرة ... وفى بيته زوجة وفية عزيزة عليه ، وأبناء صغار أحباء إلى قلبه !

إيمان عظيم :

قرأت لصديق الأستاذ على أدهم كلمة قيمة فى « الثقافة » عن الألم والإيمان فى حياة الشاعر الألمانى هنريك هاينى ، وقد استوقفنى فيها ذلك الحوار الرائع بين هاينى الشاعر وإمانويل نخت الفيلسوف ، حول حقيقة الله بين الوجود والعدم ، أو بين الإثبات والإنكار ... قال هاينى لفخت[1] :

— « قل لى يا أستاذ بصراحة : هل تعتقد بالحياة الأخرى ؟ وهل تؤمن بأن الروح خالدة ؟ وأجاب نخت فى تؤدة ووقار :

— إنى أعتقد بوجود عالم الأفكار غير المنظور .

— ولكنك لا تصدق بوجود إله ... إله حى قيوم ؟

فأجاب الأستاذ فى غير تردد وقد هز رأسه : لا أصدق به ! فأرخى هاينى جفنه الشـلول ، وارتمى على وسادته ، ولاذ بالصمت » ثم استأنف الصديقان حديثهما مرة أخرى حول وجود الله

(١) ما بين الأقواس للأستاذ على أدهم .

وكانت دهشة الفيلسوف بالغة حين رأى الشاعر وقد تحول عن نزعة الإلحاد التي عصفت بعقيدته ردحاً من الزمن ، إلى نزعة إيمان عميق تغلغلت في فجاج روحه ، تحت وطأة مرض طويل ألزمه الفراش وبرحت به آلامه ! وهنا قال هايني :

« إنني في حاجة إلى الله ، ففي الليل حينما تأوي زوجتي إلى فراشها أشعر بالوحدة ، وينفر مني النوم ، وأظل أتقلب في الفراش وأتحول من جنب إلى جنب ، ويغشي جسمي الألم ويدب به من الرأس إلى القدم ، وفي كل لحظة أعتقد أن نهايتي قد دنت وحانت منيتي ... وفي مثل تلك اللحظات يؤنس وحشتي أن أفكر في أن هناك في السموات — أو في أي مكان آخر — من أستطيع أن ألجأ إليه في كربتي وضائقتي ، ومن أتهمه وأدينه وألقي عليه التبعة ...» ولعل هذه الكلمات الأخيرة هي وحدها التي تركت أثرها العميق في نفسي وحسي . إن فيها دفقات هائلة من حرارة الشعور في القلب الإنساني ؛ الشعور الذي تنبلج أمامه أنوار الحقيقة والإيمان في لحظات الشدة والضيق وحيرة الرجاء ، هناك حيث يتجه الضعفاء بقلوبهم إلى رحاب الله ينشدون العون ، حين يعز النصير على أرض البشر ! إنها ليست كلمات ، بل أنات . هتكت ستار الصبر والجلد ، وتركت مكانها من حنايا الضلوع وشغاف القلب ، وخرجت إلى الناس تروي لهم قصة الألم والإيمان !

إنه هايني الإنسان ... هايني الذي هتف مرة في غمرة من غمرات عذابه : لن أنتسب بعد اليوم إلى الملحدين والجاحدين ، لقد أصبحت أومن بأن أوائل الأشياء وأواخرها هي في الله !

مع الدكتور طه حسين :

كنت أتحدث منذ شهرين مع الدكتور طه حسين بك عن الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ، وكان بدء الحديث سؤالاً مني للدكتور عما إذا كان قد التقى بسارتر في خلال تلك الفترة التي تغيب فيها عن مصر ليقضيها في فرنسا ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك إلى شخصية سارتر الأدبية والفلسفية ، وإلى حقيقة المكان الذي يشغله في الأدب الفرنسي المعاصر .

وسارتر — كما لابد أن يعرف المتتبعون لأخباره من القراء — فيلسوف وجودي ملحد ، أصدر البابا أمراً يمنع دخول كتبه الفلسفية إلى مدينة الفاتيكان لما فيها من إنكار سافر لوجود الله ! وهو بعد ذلك أديب ارتقى سلم المجد الأدبي في وثبة واحدة بدلا من ارتقائه في وثبات ؛ ومن العجيب أنه إلى ما قبيل الحرب العالمية الثانية لم يكن شيئاً مذكوراً يلفت النظر ويثير الاهتمام ، ولكنه الآن يحتل مكانه في الطليعة من كتاب فرنسا الأحياء ، ويكاد مجده الأدبي يغطي على أمجادهم جميعاً عن جدارة واستحقاق !

أما شخصيته الأدبية ، فتتمثل في تعدد ملكاته ومواهبه .. إنه كاتب تراجم فذ لا يلحق به ، وكتابه الذي أخرجه عن « بودلير » يعد في رأي الفن خير كتاب أخرج في موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى. وله في ميدان النقد الأدبي نظرية جديدة لا أحسب أن أحداً قد سبقه إليها ؛ وهي نظرية تنادي بأن الأدب صورة القارئ لا صورة البيئة كما يقول « تين » ... وهو بعد ذلك كاتب مسرحي يغذي المسرح الفرنسي من وقت إلى آخر بإنتاجه الفريد المتميز !

في هذه الأشياء كلها كنت أتحدث مع الدكتور طه حسين ، ولقد قال الدكتور فيما قال : إنه يخشى على مجد سارتر الأدبي بسبب ميله إلى السهولة فيما يكتب في هذه الأيام ، وإنه لم يرض عن مسرحيته الأخيرة « الأيدي القذرة » يوم أن شاهدها تمثل في أحد المسارح الباريسية .

وأعقب على هذه اللفتة فأتساءل : ترى لو نظرنا إلى مجد سارتر الأدبي هذه النظرة بسبب ميله اليوم إلى السهولة فيما يكتب فكيف تكون نظرتنا إلى هؤلاء الذين يكتبون اليوم في مصر ، ولا يهمهم ملء الفراغ الروحي الذي تحسه الجماهير بقدر ما يهمهم ملء الفراغ الذي تحسه أعمدة الصحف والمجلات ؟ !... إن أخطر الخطر على الكاتب أن يظن أنه قد بلغ أوج الشهرة وقمة المجد ، وألا ضير عليه من الوقوف على السطوح دون التغلغل إلى الأعماق ، وهذا هو ما يلقاه المتعطشون إلى المعرفة في هذه الأيام حين يقرأون لبعض كبار الكتاب فلا يخرجون بشيء !

إن المسألة عند سارتر ضرب من الميل إلى السهولة ، ولكنها عندنا ضرب من الاستهانة بالقيم والأذواق !

حديث الدكتور طه حسين بك في (بيروت المساء) :

في مكان آخر من « الرسالة » تقرأ الكلمة التي بعث بها إليها الدكتور طه حسين بك ، والتي نفى فيها ذلك الحديث الذي نسبته إليه جريدة « بيروت المساء » اللبنانية حول الشاعرين : علي محمود طه ، وعمر أبو ريشه ؛ ويسرني كما يسر الذين ينشدون حقائق الأمور أن يبادر الدكتور الفاضل بتكذيب ما نشر منسوباً إليه ، وأن يكون رأيه في الشاعر المصري منذ أيام هو رأيه فيه منذ سنين ، دون أن يغض من قيمة هذا الرأي أخطاء نحوية أو

لغوية يقع فيها الشاعر، وما أكثر ما يخطئ الشعراء والكتاب المعاصرون في العربية كما يقول الدكتور طه حسين !

أما حديث الدكتور عن الشاعر على طه في الجزء الثالث من « حديث الأربعاء »، فقد اطلعت عليه منذ أمد بعيد، ومازلت أذكر كل ناحية من نواحيه في مجال الإشادة بحسنات الشاعر والإشارة إلى سيئاته، ولعل ما كتبه الدكتور في « حديث الأربعاء » هو الذي أثار دهشتي عند ما وقفت على حديثه الذي نسبته إليه الصحيفة اللبنانية، لأن الفارق بين رأيه اليوم في الشاعر ورأيه بالأمس فارق بعيد !

وإذا كان أديبنا الكبير قد بادر فذكر في كلمته أن شيئاً مما نسب إليه لم يحدث أن أفضى به إلى « بيروت المساء »، فإنني أبادر بتوجيه الشكر إليه خالصاً من الأعماق، وأشكره مرة أخرى على هذه التحية الكريمة التي تفضل فخصني بها في ثنايا كلمته؛ أما دفاعي عن الشاعر على طه، فهو دفاع عما أعتقد أنه الحق ... وليثق الدكتور طه أن له في نفسي مكاناً يستحقه رجل له في حساب الشعور أكرم الذكريات ...

عبقرية محمد الإنسانية :

تحت هذا العنوان كتبت في عدد « الرسالة الهجرى » مقالا خالفت فيه الأستاذ العقاد في طبيعة نظرته إلى شخصية محمد الإنسانية؛ وأعتقد أنني أوضحت جوهر الخلاف إيضاحاً لا يحتاج مني إلى أكثر مما أوردت من تفصيل، كما لا يحتاج من غيري إلى تعقيب ... ولكن الأستاذ محمد محمود عماد يعقب على ما كتبت في عدد « الرسالة » الماضي بكلمة عجيبة تبعد كل البعد عن الأفق الذي أدرت فيه حديثي عن محمد الإنسان !

إن جوهر الخلاف بيني وبين الأستاذ العقاد هو أنه يزن إنسانية محمد بميزان العظمة النفسية، بينما أزنها أنا بميزان اللحظة النادرة من لحظات « الضعف الإنساني » ... فوقف الرسول من عبد الله بن أبي، أو من هبار بن الأسود، هذا الموقف الذي يعز مثيله على الأقران والنظراء، ينظر إليه العقاد من زاوية تنطبق — كما قلت — على الرجل العظيم، لا على الإنسان العظيم، لأن محمداً في أمثال هذه المواقف — كما يرى العقاد — أكبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة !

هل كان الرسول حين شمل عبد الله بن أبي بالصفح والرحمة والمغفرة، ينظر إليه على أنه أهون من أن يعامله معاملة الند للند، أو معاملة النظير للنظير ؟ إن هذا المنظار الذي ينظر العقاد من خلاله إلى معدن النفوس وجوهر القلوب، يحمل من الرحمة المحمدية ضرباً من التعاظم والكبرياء، وهذا ما ننزه عنه كمال الإنسانية في هذا الإنسان العظيم !

أما تعليقي على قول الأستاذ العقاد بأن النبي لا يكون رجلاً عظيما وكفى، بل لا بد أن يكون إنساناً عظيما، فلم أقصد من ورائه إلى أن العقاد قد نفى الإنسانية عن محمد قبل أن يكون نبياً كما فهم الأستاذ عماد ... وإنما قصدت إلى أن اشتراط الإنسانية لنبوة محمد أمر لا داعي لإثباته، لأن محمداً كان إنساناً بأدق معاني الكلمة قبل أن يبعث رسولاً إلى الناس ! ولم يحدث أنني قصرت إنسانية محمد على الرحمة كما يغالط الأستاذ عماد، ولكنني قصرتها على لحظات « الضعف الإنساني » ... وتحت هذه اللحظات يمكن أن تندرج الرحمة وما يماثلها من شتى الفضائل والصفات.

وإذن، فلا مبرر لقوله بأن حديث العقاد عن إنسانية محمد كان أشمل وأعم !

تحية الأديب للرسالة :

كتبت مجلة « الأديب » اللبنانية في عددها الأخير مايلي:

« لاحظنا كما لاحظ معنا كثيرون — والملاحظة تؤلم — غيبة مجلة « الرسالة » عن معرض الكتاب في مدينة اليونسكو في الوقت الذي رأينا فيه عشرات المجلات التي لا ترتفع إلى مكانة « الرسالة » فكراً وقدراً تحتل صدر الجناح المصري، عرضة لأنظار مفكري العالم ! ... حرام أن يغمط حق مجلة قادت ولا تزال تقود الرأي والفكر في العالم العربي ست عشرة سنة؛ بينما يفسح لغيرها ممن لا يعرف لها في التوجيه أو الأدب أو العلم أي سبيل يذكر ! نحن نفهم أن يمنع عرض مجلة « الأديب » في الجناح اللبناني — بينما تعرض بعض الوريقات الصفراء — لأن الأديب كانت وما تزال تقاوم في هذا البلد لرسالتها التوجيهية السامية، وقد عرف هذا البلد « السعيد » بأنه مقبرة لأبنائه المخلصين النابهين ... ولكن أن يهمل عرض « الرسالة » في الجناح المصري، فهذا موضع دهشتنا ! »

هذه اللفتة الكريمة من الزميلة اللبنانية، وهذه التحية الصادقة، تستحقان من أسرة « الرسالة » كل ثناء وتقدير. أما التعقيب على هذا الأمر الذي يثير الدهشة والعجب، فسنفرد له مكاناً خاصاً في العدد المقبل إن شاء الله ؟

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عد الأمواج في المجمع اللغوى :

استمع الأعضاء فى جلسة من جلسات مؤتمر المجمع اللغوى إلى تقرير للجنة اللهجات بالمجمع يتضمن الخطة التى وضعتها لاستقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية وتدوينها فى معاجم وأطالس لغوية ، وفى التقرير تفصيل لهذه الخطة لا تنتهى فيه إلى غاية مرجوة من هذه الدراسة .

استمع الأعضاء إلى ذلك التقرير ، ثم دارت بينهم المناقشة فى موضوعه ، فاعترض بعضهم على اهتمام المجمع بهذه الدراسة ، ومن هؤلاء المعترضين الجارم والعوامرى والشبيبى والمغربى وعبد الوهاب عزام ، وتلتقى آراؤهم فى أنه أولى بالمجمع أن يوجه عنايته إلى موضوعات أهم من هذا الموضوع . وساق الدكتور عبد الوهاب عزام بك حكاية ظريفة ، قال : خطر لى عند ما سمعت هذا البحث مثل سمعته فى مدينة « ماردين » بتركيا ، كان رجل جالساً على شاطئ البحر ذات يوم فمر به صاحب له فسأله : متى أتيت إلى هنا ؟ قال الأول : أنا هنا منذ الصباح . فسأله صاحبه : وما ذا تفعل؟ فأجاب : أعد الموج . عند ذلك سأله صاحبه : كم عددت ؟ فما زاد على أن نظر إلى موجة وقال : هذه واحدة . فعدُّ الأمواج قد يكون ذا متعة وفائدة ولكنه يشغل عن أمور أهم منه . ولئن كانت دراسة اللهجات أكثر فائدة من عد الأمواج فإن بينهما مع ذلك بعض الشبه .

ويرى الشيخ عبد القادر المغربى أن دراسة اللهجات العامية تنافس عمل المجمع ، فعمل المجمع تثبيت اللغة الفصيحة ، فإن قام بتلك الدراسة فإنه يعطى العامية بذلك اعتباراً فى أعين الناس يعرضون به عما نعلمهم من الفصيح . وقال : قد يكون بحث اللهجات مفيداً لأولئك الغربيين المستعمرين الذين ينزلون بالبلاد العربية المختلفة ذات اللهجات المختلفة ليشتغلوا بالتجارة أو ليسموا بالفتنة ، أما اشتغالنا نحن بهذا العمل فحرام حرام .

ودافع عن الموضوع فريق آخر ، منهم ماسينيون وطه حسين وأحمد أمين ومنصور فهمى ، وقد رأوا جميعاً أن العلم يطلب لذاته ولا يسأل عن فائدته . وتولى الدكتور طه حسين الرد على الدكتور عزام والشيخ المغربى فقال : ليس للعالم عمل إلا أن يعد الموج ، فعد الأمواج لا يخيف ، أما ما يخشاه زميلنا الشيخ المغربى من تثبيت العامية فخشية مبالغ فيها .

وجنح بعض الأعضاء إلى بيان فوائد دراسة اللهجات ، كالأستاذ فريد أبو حديد الذى بين فائدتها فى درس التاريخ ، ومما قاله أن اللغة وثيقة الاتصال بالقوم الذين يتكلمونها ، فدراسة اللهجات بما تكشفه من اتصال بينها تدل على صلات كانت بين الأقوام الذين يتكلمونها .

ثم انتهى المؤتمر إلى الموافقة بالأغلبية على الخطة التى تقدمت بها لجنة اللهجات .

ويلاحظ أن مؤيدى دراسة اللهجات العامية لم يجيبوا عن سؤال المعارضين : أليس لدى المجمع مسائل أهم من هذه الدراسة وأولى بعنايته وجهده ؟ فقد ذهبوا إلى تمجيد البحث العلمى واستنكروا السؤال عن الفائدة ، وحتى من بين منهم الفائدة لم يذكر أهميتها بالنسبة لبقية أغراض المجمع .

وعبد الله الفقير إليه ، كاتب هذه السطور ، يريد أن يحمل نفسه لا على التسليم بقدسية البحث العلمى فقط ، بل يفرض أن لدراسة اللهجات العامية فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى ، كما يعبر مؤلف « ثمار الإنشاء » ويريد أيضاً أن يحنى رأسه ولو قليلاً أمام عظمة علماء اللغات فى فرنسا وفى غير فرنسا ، ولكنه يريد مع ذلك أن يعرف هل مجمع فؤاد الأول — للغة العربية أو للبحوث العلمية ؟ أليست مهمته الأولى المحافظة على سلامة اللغة العربية وتلبية حاجة الناس إلى التعبير الفصيح بمواجهة المستحدث وتصحيح الخطأ وغير ذلك . فهل فرغ من هذه المهمة ، بل أقول هل بلغ شيئاً ذا بال من النجاح فيها حتى يعد الأمواج ويسعى وراء الحقيقة المطلقة فى عالم البحث غير ناظر إلى الأهم والمهم والفائدة ؟

إن الناس يرمون المجمع بالتباطؤ والتثاقل فى إنجاز الأعمال ذات المنافع القريبة ، فالمجمع حين يوغل فيما وراء هذه المنافع يضيف إلى ما يرمى به العقم وعدم الإنتاج المفيد .

القلم والقنبلة :

دافع الأستاذ عبد العزيز الشوربجى المحامى عن أحد المتهمين فى قضية القنابل ، فأشار إلى المقالات السياسية التى كان يكتبها المتهم ، وتساءل : كيف يتصور أن تلق هذه اليد القلم وتمسك بدلا منه المسدس والقنبلة ، واليد التى تكتب دفاعاً عن مصر تعود فتنكب مصر ، واليد التى أسالت المداد من عصارة الذهن وفى وضح النهار تعود فتسفك الدماء فى الظلام ؟ إلى أن قال : هل رأيتم أن كاتباً أو صحفياً انقلب مجرماً فوضوياً ؟ وحقاً لم نر أحــداً من المشتغلين بالكتابة أو الصحافة قد ارتكب هذا النوع من جرائم القتل وسفك الدماء أو اشــترك فى تدبيرها . ولكنى أنظر إلى الموضوع من جانب غير الجانب الخطابى الذى نظر منه الأستاذ الشوربجى ، فليس كل من كتب صاحب عقيدة ، وكثيراً ما تشترى الأقلام وتؤجر الصحف .

صاحب القلم لا يحمل القنبلة ، وما حاجته إليها وقد أفرغ طاقته بسنان القلم ، وسكب جهده على الورق ؟ إنه يعبر عن ثورته ولا يختزنها ، فليس به بخار مضغوط تفجره القنبلة أو يطلقه المسدس . يصنع حماسه كلمات من نار ، فلا يبقى منه ما يصلح لصنع الرصاص أو (الديناميت) ، يصول ويجول ولكنه لا يعرف ميداناً غير القرطاس .

وإن صاحب القلم يضنى نفسه بالكتابة والتحبير ، ولكنه يجد فى قلمه متنفساً يخفف عن أعصابه ، وما أجدر الكتابة الحرة أن تحسب فيما يشفى من الأمراض العصبية أو يعصم منها .

ومن هنا ندرك قيمة حرية التعبير عن الرأى فى صيانة الأمن العام ، وإنك لتجد أكثر الأمم استقراراً وخلواً من القلاقل ، هى التى نالت حظاً موفوراً من حرية الفكر لأن القوى تتجه إلى اصطراع الأفكار ولا تنحرف إلى التخريب والتدمير .

أمر معكوس :

لمصر في فرنسا ملحق ثقافى يفهم الإنسان من وضعه الرسمى

كشكول الأسبوع

* وقع اختيار وزارة المعارف على الأستاذ محمود الخفيف ليكون مديراً لإدارة التعاون الثقافى الشرق بوزارة المعارف .

ويعد هذا الاختيار الموفق اتجاهاً طيباً نحو الانتفاع بالكفايات الأدبية فى المناصب الثقافية بالوزارة .

* تلقت إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، كتاباً محولا إليها ، من اتحاد مترجمى المؤلفات الأدبية بباريس ، يطلب فيه المعاونة بتعيين مراسل له فى مصر أو هيئة أدبية يتبادل معها جميع ما يتعلق بترجمة المؤلفات الأدبية من الفرنسية وإليها ، لتقديمه إلى الناشرين . وتعد الإدارة منشوراً فى هذا الموضوع ليوزع على دور النشر والهيئات الثقافية فى مصر .

* اشترطت مجلة المصور فى مسابقتها القصصية ألا تزيد القصة على ٦٠٠ كلمة . وقد كتب أحد الأدباء قصة المسابقة فجاءت فى ٦٠٠ كلمة وكلمة وهو لا يريد أن يحذف أى كلمة من صميم القصة ، فأشار عليه بعضهم أن يحذف العنوان .. لأنه لم يشترط أن يكون للقصة عنوان ! .

* جاء فى مقال للأستاذ على أمين بالعدد الأخير من مجلة « آخر ساعة » قوله : « ففرت فاهى ! » فهو يحسب أن « فاه » كلمة واحدة فتضاف إلى ياء المتكلم .. والأستاذ كاتب ظريف ، وليته يحسن علاقته بسيبويه ..

* دأبت إحدى الجمعيات على الإعلان فى الصحف عن اجتماعات أسبوعية لقراءات أدبية من فلان وفلان وفلان .. وقد غضب أحد أعضاء الجمعية لأمر من الأمور ، فقرر أن يكتب إلى الصحف أنه سيجلس يوم كذا فى منزله ويقرأ فى كتاب من كتب الأدب ... وبذلك يستغنى عن الجمعية ! .

* جاء فيما كتبته مجلة « الكتاب » عن التأليف فى سنة ١٩٤٨ أن الإنتاج الفكرى نقص فى هذه السنة إلى ٣٩٠ كتاباً ، وكان فى سنة ١٩٤٧ قد بلغ ٤٨٠ كتاباً .

والطبيعي أن مهمته تنظيم العلاقات الثقافية بين البلدين على أن يكون الهدف رعاية جانب بلاده من الوجوه المختلفة، فيدعو إلى ثقافتها ويبرزها ويبين آثارها في الحضارات والثقافات بمختلف الوسائل.

ولكن ملحقنا الثقافي في باريس يعكس الأمر، فقد أذاع من مذياع باريس يوم الخميس الماضي حديثاً عن العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا في عهد محمد علي الكبير أشاد فيه بفضل فرنسا مؤيداً بما توصلت إليه همته ونشاطه الفائقان من الوثائق والمستندات.

أثر فرنسا في النهضة الثقافية بمصر معروف لم ينكره أحد، وله مكانه في التاريخ، ولكن ما لهذا نبعث الملحقين الثقافيين، ولو أن هذا من أغراضنا لكفانا مؤونته الفرنسيون أنفسهم.

ثم هل الظروف الحاضرة ملائمة لمثل ذلك؟

نقد مسرحي:

كنت ناوياً في أول الموسم المسرحي الحالي أن أتابع الروايات التي تمثلها الفرقة المصرية فأتناولها بالنقد واحدة واحدة، وبدأت فعلا بالمسرحية الأولى «سر الحاكم بأمر الله» وكتبت عن غيرها، ولكني عند ما وجدت مستوى ما تعرضه الفرقة هابطاً فتر حماسي، وخمدت رغبتي في المعاونة بالنقد على إحياء هذا الفن الذي تلتقي فيه عدة فنون.

وما كنت أدري، ولم يعجبني الخوخ، أني سأضطر إلى شرابه... فأكتب عن «أوبريت الحمار».

هي «تمثيلية» عرضتها فرقة شكوكو على مسرح حديقة الأزبكية، ونقلتها الإذاعة في سهرة ليلة الجمعة الماضية، وهي تتلخص في أن حماراً (يمثله أحد أفراد الفرقة) يظهر على المسرح وعلى إحدى أذنيه عداد وعلى الأخرى (نفير) وصاحبه (شكوكو) يسميه (تكس) ويأتي (واحد خواجه) ويركب (التكس) ويغني له شكوكو: «يا حوحو... حا. يا ميمي... شي»، ثم ينزل الستار.

وهي تعتبر مسرحية غنائية من نوع (الأوبريت) ولا بد أن شكوكو يقصد بها إحياء هذا الفن مع شيء من الإبداع والتجديد يبدو في خلوها من وجهة وطنية أو اجتماعية، مما كان يتجه إليه أهل هذا الفن من الجيل القديم... ومما يذكر أن هذه (الأوبريت) يدور فيها صراع عنيف بين (الخواجة) والحمار الذي يزعم صاحبه أنه (تكس) وهو كسائر ما في المسرحيات العالمية صراع خالد... وهي لذلك «مؤثرة!» وقد أخرجها شكوكو، واشترك أيضاً في التمثيل، وألفها مؤلف نسيت اسمه.

بقي أن أذكر المهم، وهو الذي اضطرني إلى شراب الخوخ ذلك أن مجلس الوزراء قرر من نحو شهر انتقال مسرح حديقة الأزبكية من اختصاص وزارة الأشغال إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لاستخدامه في «ترقية التمثيل» وذلك أيضاً أن الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية جادة في نقل روائع الفنون إلى مستمعيها لا في مصر فقط، بل إلى كل من ينطق بالضاد في أنحاء المعمورة، كي يقف الجميع على ما يعرض في مسارح القاهرة من تمثيليات رائعة خالدة...

أوليس يدعو كل ذلك إلى أن تنقد تمثيلية الحمار نقداً مسرحياً يلائم مكانها من «ترقية التمثيل»؟!

نقطة الخلاف:

رداً على الأستاذ أحمد الظاهر من أعضاء محكمة الاستئناف بعمان — أقول:

«فيروزاباذ» كلمة فارسية وهي علم على البلد المعروف، وقد نطقها العرب بالدال وبالذال، كبغداد وبغداذ. ومن سنن العرب إبدال الحروف في لغتهم، وإبدال الذال دالا إذا جاءت متطرفة في الكلمات الفارسية. وقد وردت كلمة «الفيروزابادي» بالدال المهملة في شرح ديباجة القاموس وتاج العروس وفي معجم فرنسيس الإنجليزي الفارسي المطبوع في سنة ١٨٥٢ م.

وبعد: فالخلاف بين السيد الظاهر وبيني ليس كبيراً كالخلاف بين القاهرة وعمان.. فليس بيننا والحمد لله «عقبة» وإنما هو خلاف على «نقطة».

وللأستاذ تحيتي وشكري على ما في كلمته من روح طيب وأدب جم.

عباس خضر



الدكتور طه حسين بك يصحح ما نشر في (بيروت المساء):

أخي الزيات :

نقلت (الرسالة) في عددها الأخير حديثاً نشر عني في إحدى الصحف البيروتية ونسب إلى فيه أني أغض من شأن صديق الأستاذ على محمود طه وأبايع صديق الأستاذ عمر أبو ريشه ، فأحب أن أؤكد أني لم أبايع هذا ولم أغض من شأن ذاك ، وما كان لي أن أفعل ؛ فأنا أحب الشاعرين جيماً وأحفظ لهما مودة ثابتة . وإذا لم تخن الذاكرة فقد كتبت فصلا خاصاً منذ وقت طويل أثنيت فيه ، بالحق ، على شعر الأستاذ علي محمود طه . ولا يغير من رأيي فيه أنه يخطيء في العربية هنا وهناك . وما أكثر ما يخطيء الشعراء والكتاب المعاصرون في العربية !

وأظنك توافقني على أن صحة اللغة شرط أساسي من شروط الشعر الجيد .

أما الأستاذ عمر أبو ريشه فقد قلت غير مرة وما زلت أقول إني أكبر شعره وأعجب به ؛ وليس هنا موضع التفصيل لأسباب هذا الإعجاب ، ولكن الإعجاب بشاعر شيء ومبايعته شيء آخر. وما أعرف أني بايعت شاعراً أو كاتباً قط؛ وما أظن أني سأبايع شاعراً أو كاتباً قط ؛ فهذا نوع من السخف لم أشارك ولا أريد أن أشارك فيه .

وقد كنت دائماً شديد الحرص على هذه الحرية التي تبيح للناقد أن يقول للأديب اخطأت إن أخطأ وأصبت إن أصاب . وقد جاوزت السن التي ينزل الناس فيها عن حريتهم .

فليطمئن الكاتب الأديب الذي دافع مشكوراً عن صديق الأستاذ على محمود طه فقد دافع عنه في غير حاجة إلى الدفاع . وليقرأ إن شاء حديثاً لي عن الأستاد على محمود طه صورت فيه رأيي في جيد الشعر ورديئه وفي صوابه وخطأه ، وهذا الفصل منشور في الجزء الثالث من حديث الأربعاء كتب منذ خمسة عشر عاماً ولم يتغير رأيي في الشاعر الصديق إلى الآن .

ولك وللكاتب الأديب تحيتي صادقة وشكري خالصاً .

(الزمالك) طه حسين

هل الحج يغسل الذنوب جميعاً ؟

... قرأت مقالكم « حج غير مبرور » فأوافقك في جانب منه كل الموافقة ويوافقك معي كل من في قلبه قدر من الإيمان — وأخالفك في جانب آخر كل المخالفة ويخالفك معي كثير .

فأما ما أوافقكم عليه ، فهو إنكار ما يفعله ذلك الفاسق الفاجر وتقبيح ما يأتيه ، وتنفير المسلمين من أمثاله ، وتنبيه أولي الأمر على الضرب على يده .

وأما ما أخالفكم عليه ، فتجاهلكم لحديث شاع على ألسنة المسلمين في شتى العصور والأمصار ، واعتز به كل مؤمن وسكن إليه قلبه ، وروته كتب الحديث الكبيرة وغير الكبيرة . ألا وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . رواه البخاري ومسلم والدارقطني وغيرهم كثير مع اختلاف يسير في اللفظ واتفاق في المعنى .

ويرى ابن حجر أن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب . وخصصها الطبري في تفسيره بالمظالم التي تاب عنها صاحبها وعجز عن وفائها . ورأى الترمذي قصرها على حقوق الله خاصة .

ولو كنتم فضلتم رأياً على رأي مما ذكرنا ، ما رأينا بأساً قط ؛ ولكنكم يا مولاي قلتم : « اغتر على ما يظهر بقول المتزيدين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا ... فيعود منها وهو نقي الصحيفة كيوم ولدته أمه » فمن هم الشيوخ الذين تقصد ؟ آلأزهريون أم ابن حجر ومن ذهب مذهبه ؟ طبعاً الأزهريون — وما الذي تزيدوه ؟ لم يتزيدوا شيئاً اللهم إلا إيثار وجهة على وجهة ، وزيادة الرجاء في عفو الله .

وأخشى ما أخشاه أن يتجرأ من لا صلة له بالدين على إنكار ما لا يوافق مزاجه من الأحاديث وآراء العلماء استناداً على ما فهم أو ما دلت عليه عبارتكم من إنكار حديث سلم به

المسلمون ولهجوا به فى مشارق الأرض ومغاربها .

ولكم فى الختام أطيب التحيات .

محيي الدين حمودة

المدرس برأس التين الثانوية

(الرسالة) : يا سيدى ، إن الشيخ الذى قال ذلك لم يورد الحديث ولم يشر إليه حتى تقول إنه أنكره أو شكك فيه ، إنما أنكر تزيد القائلين بأن الحج (وحده) يمحص الذنوب ويمحو الخطايا .. وبين أثر هذا التعميم فى تأمين المجرم وتهوين الجريمة . والتزيد ملحوظ فى تفسير المتساهلين المبالغين من الحجريين الذين قالوا إن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب من غير قيد ولا شرط ، ففتحوا الباب لكل عاص وسهلوا الحجاب لكل مجرم . أما الحديث بنصه فى البخارى ومسلم ، وتفسيره للطبرى أو الترمذى ، فلا تعقيب عليه ولا جدال فيه .

وفاة السيدة زينب :

قرأت فى عدد « الرسالة ٨١٢ » كلمة الأستاذ حسن ابراهيم شقل عن سبب وفاة السيدة زينب فمن لى أن أنقل كلمات موجزات من كتب الثقات لإزالة الأشكال :

١ — خرجت زينب — صلوات الله على أبيها وعليها — مع ابن كنانة من مكة ، فخرجوا فى أثرها ، فأدركها هبار بن الأسود فجعل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها ، فألقت ما فى بطنها وأهريقت دماً .

٢ — ماتت زينب فى سنة ثمان من الهجرة ، وكان سبب وفاتها سقوطها من بعيرها لما طعنه هبار ، سقطت على صخرة فأهريقت دماً ، ولم تزل مريضة بذلك حتى ماتت .

٣ — خرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود فروعها وهى فى هودجها وكانت حاملا فيما يزعمون ، فلما وقعت ألقت ما فى بطنها ، فبرك حموها ونثر كنانته وقال : والله لا يدنومنى رجل إلا إذا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه ... الخ

المصادر : ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى للمحب الطبرى ص ١٥٦ من طبعة القاهرة ؛ حيث ترجم لها فى خمس صفحات .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى ج ٩ ص ٢١٦ من طبعة القاهرة ، حيث بسط ترجمتها فى خمس صفحات كذلك .

عبد الله معروف

حول كاد أبداً :

قال الأستاذ فاروق أحمد سلام بمعهد اسكندرية الدينى فى معرض رده على من قال إن تجرد المضارع الواقع فى خبر كاد من أن قياس مطرد ، أن الحديث الشريف يتفق مع القرآن فى أن القرآن لا يأتى باللغات الشاذة وإلا لما كان معجزاً فكذلك الحديث لا يأتى باللغات الشاذة قال تعالى وما ينطق عن الهوى وقول الشاعر : كادت النفس أن تفيض عليه — والشعر العربى إذا تعددت فيه الأمثلة فلا يكون ذلك ضرورة ولا شاذا وإنما هو قاعدة مسلم بها .

وأنا أقول : حقاً إن الحديث لا يأتى بالشاذ وهذا إذا تأكد صدوره من فى فم المعصوم بلفظه فمن الجائز أن يكون مرويا بالمعنى ؛ وفى هنا نقل الأمير فى حاشيته على المغنى نقلا عن السيوطى قال أن التحقيق أن الأحاديث لا يحتج بها فى العربية لدخول المولدين فى رواتها بل والأعجام ، وعدم الثقة بأن هذا اللفظ النبوى لجواز الرواية بالمعنى . وشنع ملا على قارى بأن الأصل أن الرواى لم يغير اللفظ وحمله على الإصلاح مقدم .وقد استشهدوا بكلام العرب مع أن رواته مولدون ؟ ولكن يقال أن الغرض فى الحديث المعنى ، ولذا صححوا جواز روايته بالمعنى ؛ وأما كلام العرب فالمقصود الأهم فيه اللفظ لإثبات اللغة فلا يبعد على هذا تساهلهم فى الحديث بما لا يتساهل فى مثله

فمند التحقيق العلمى ترى تعليله واهياً من الوجهة العلمية والاستشهاد بالآية فى غير موضعها ، فإنه يستدل بها على كمال صدق الرسول عليه السلام فيما يبلغ عن ربه فإذا نطق فإنما بنطق عن إخلاص وحق . ومما لاجدال فيه أنه إذا صح كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حجة بلا نزاع ، فهو سيد الفصحاء وإمام البلغاء . وحجته بألفاظ القرآن قطعية ، لأن المتن مقطوع به فتنظيره بالحديث غير وجيه فإنه غير مقطوع به فرد الاستشهاد بالحديث لما طرأ عليه من روايته بالمعنى وعدم الجزم بوروده لا التشكك فى حجية كلام المعصوم . والعبارة التى كتبتها فى مجلة الرسالة هى بنصها فى ابن عقيل على ألفية ابن مالك ولا يغيب عن الأذهان



عالم الذرة

أو الطاقة الذرية والقنبلة الذرية

تأليف الأستاذ العالم نقولا الحداد

ما يستطيع إنسان أن يجهل أن الأستاذ نقولا الحداد عالم أصاب من العلم نصيباً كبيراً ، وأديب ضرب فى الأدب بسهم وافر ، وهو بين هذا وذاك فى نشاط مستمر ودأب لا يستقر ، يخرج على الناس — دائماً — بقصة مستملحة أو بحث طريف ، وهو سبّاق إلى الجُلَّى ، فهو أول من نشر باللغة العربية كتاباً مسهباً فى نظرية النسبية لأينشتين ، وهو من أوائل من نشروا بحوثاً مستفيضة عن الطاقة الذرية . وكتاب « عالم الذرة » من الكتب الجليلة الفريدة فى نوعها ، أحاط بتاريخ الذرة منذ أن كانت خيالا فى أذهان العلماء ، لا تسمو إليها التجارب العملية ، ولا ترقى إلى كنهها العقيدة الراسخة ، إلا تكهنات فرضية ، أو معادلات رياضية ، إلى أن أصبحت شراً مستطيراً تعصف بالزرع والضرع والناس فى طرفة عين .

ولا يسعنى — بعد إذ استوعبت كتاب الأستاذ نقولا كله — إلا أن أهمس فى أذنه فأقول : يا سيدى ، قد يعجز العالم عن أن يكون معلماً ، وذلك حين لا يستطيع أن ينزل إلى مستوى تلميذه ، أو أن يرقى بتلميذه إلى مستواه هو . وأنت فى كتابك أردت أن تكون معلماً ... ولكن ...

ولقد كان يخيل إلى وأنا أهم أن أقرأ الكتاب أننى سأجده كتاباً وسطاً على نمط ما كتبه « كيلاواى » فى الذرة ، أو ما كتبه غيره من علماء الغرب . ولكن كتاب « عالم الذرة » كان بحثاً عالياً عرض لنظريات العلماء الذريين منذ رذرفورد وموزلى عرضاً علمياً مختصراً . ثم تحدث عن ترتيب العناصر الدورى لمنديليف دون أن يوطئ لهذا الحديث بكلمات تكون بمثابة المدخل .

أن النحويين واللغويين لا يعول عليهم فى روايتهم للحديث فكم من حديث استشهدوا به وهو غير صحيح وإذا تمسك به طالبتاه بتصحيح الرواية ، فما قالته الرسالة صحيح لا غبار عليه .

على الطوبجى
من علماء أسيوط

القصة العربية الحديثة فى القرنين الأخيرين :

« يعد الأستاذ محمد نجم ، أستاذ الأدب العربى فى الجامعة الأميركية ببيروت دراسة وافية عن القصة فى الأدب العربى الحديث ، وهو يرجو الأدباء الذين عالجوا كتابة هذا الفن من الأدب أن يكتبوا إليه نبذاً مفصلة عن حيواتهم وثقافتهم وإنتاجهم الأدبى مع ذكر التواريخ الدقيقة إن أمكن . كما يرجو هؤلاء الأدباء أن يرسلوا إليه نسخاً من كتبهم. وهو مستعد لشراء الكتب بالأثمان التى يحددها أصحابها ، وعنوان المراسلة هو ص . ب ٢٢٠٨ القاهرة » .

(١) ميلاد ابن عربشاه :

فى ص ١٣٢١ من عدد (الرسالة) ٨٠٣ « ولد أحمد بن عربشاه بدمشق عام ٧٩١ » . والذى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ج ٧ ص ٢٨٣) أن مولده سنة ٧٩٠ وفى الصفحة نفسها « ودفن بالخانقاه الصالحية » والصواب « الخانقاه الصلاحية » على ما فى ترجمته فى (تاريخ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) قبرس :

فى ص ١٢٧٢ من عدد (الرسالة) ٨٠١ (قبرص) بالصاد والصواب (قبرس) بالسين . قال المؤرخ الثبت عز الدين بن الأثير فى كتابه (اللباب فى الأنساب) المطبوع بالقاهرة ، فى ص ٢٤٠ من الجزء الثانى : قبرس بضم القاف وسكون الباء وضم الراء وفى آخرها سين ، وهى جزيرة فى بحر الروم ...

محمد أسامة

وإن القارئ ليحس اضطراباً فى الصفحات الأولى من الكتاب وكان الأجدر بالأبواب الثلاثة الأولى أن تكون على النظام الآتى :

١ — العناصر. ٢ — الجزئ وتركيبه فى العناصر والمركبات .

٣ — الذرة وعلاقتها بالجزئ .

٤ — تركيب الذرة من نوعى الشحنات .

٥ — الألكترون والبروتون . ٦ — الأفلاك الذرية .

ولن يجد المرء صعوبة فى أن يوفى المواضيع السابقة حقها من الشرح والإيضاح فى أسلوب رقيق سهل ، فتكون أقرب مأخذاً وأسرع إلى الفهم ، كما فعل المؤلف حين أراد أن يوضح العلاقة بين مناطق الألكترونات فى الذرة ، وبين الخواص الكيميائية الدورية التى نبهت مندليف إلى ترتيب العناصر فى جدوله .

ويتمسك المؤلف برأى أينشتين فى أن الطاقة والمادة شىء واحد ، وهو بحث علمى رياضى صعب يجب أن ننقله فى كتاب عام أنشئ ليوضح فكرة جديدة فى سهولة ويسر .

وفى ص ٦٨ ينصح المؤلف القارئ فيقول : « ويلاحظ القارئ أن فى سياق الحديث بعض النقط الفنية عويصة قد يتعب ذهنه فى إنعام النظر فيها . إذ لا يمكن التوسع فى تبسيطها لأنه يستلزم مضاعفة صفحات الكتاب ، والكتاب مجال محدود لا يسمح بذلك التوسع ، فللقارئ أن يتجاوز هذه النقط إذا لم يشأ التريث للفهم » . وكان فى قدرة المؤلف أن يسد النقص الذى يومئ هو إليه لو أنه أغفل كثيراً من المواد الجافة المعروضة ليحل محلها الشرح الوافى المبسط للنقط الهامة .

وفى الكتاب هنات يسيرة أعرضها فى ما يأتى :

١ — خرج المؤلف عن المألوف فى ترجمة بعض المصطلحات العلمية .فنى صفحة ٢٩ Magnetic Feild بالجو المغناطيسى الجاذبى والصحيح المجال المغناطيسى . وترجم Electric Field بالجو الكهربائى والصحيح المجال الكهربائى . وفى صفحة ٣٤ ترجم Centrifugal force بالقوة الدافعية والصحيح القوة الطاردة المركزية

٢ — قال المؤلف فى ص ٥٢ : الجرافيت وهو الفحم الجوى المضغوط . والصحيح أن الجرافيت صورة من صور الكربون توجد فى الطبيعة فى سيبيريا وسيلان والهند وانجلترا وكاليفورنيا ويمكن الحصول عليه صناعياً من تسخين خليط من الفحم الحجرى أو فحم الكوك ومن الحديد بنسبة ٩٧ : ٣ فى فرن كهربائى فينتج نوع نقى من الجرافيت الصناعى ويتبخر الحديد من أثر الارتفاع الشديد فى درجة الحرارة .

قروية فيلســـوفة

(بقية المنشور على الصفحة الأولى)

الآلاف من الحقول ، والمئات من المجول ، والقناطير من الذهب ، والصناديق من الحلى ، والأصونة من الثياب ، فهل أنال من كل أولئك غير ملء الجوف وستر الجسم ؟ إن الحلاوة التى تجدها فى قالب السكر الصغير ، هى بعينها الحلاوة التى تجدها فى قمع السكر الكبير . وإن اللذة التى تذوقها فى رطل اللحم الذى تشتريه ، هى نفسها اللذة التى يذوقها البدراوى فى الخروف الذى يذبحه . وإن الدائرة الضيقة التى أضطرب فيها أنا وعيالى ، تجمع من متاع النفس والجسم ما تجمعه الدائرة الواسعة التى يركض فيها الباشا هو وأهله . فالمسألة إذن مسألة قلة وكثرة ، لا مسألة نعيم وبؤس . ومادام القليل يكفيك من الكثير ، والصغير يغنيك عن الكبير ، فإن فضول العيش شغل وهمّ وفتنة . اسمع أقص عليك من بعض أمرى ما يثبت فؤاد القانع ، ويغير اعتقاد الطامع ...

بقية الحديث فى العدد القادم

احمد حسن الزيات

---

٣ — وجاء فى ص ١٥ : إذا كانت ذرة ما كذرة الراديوم مثلاً تنفث ذريرة (ألفا) التى كتلتها (أى وزنها) ٤ ... الخ فاعتبر الكتلة هى الوزن فى حين أن الكتلة هى مقدار ما يحويه الجسم من المادة ، أما الوزن فهو مقدار جاذبية الأرض للجسم . وبينهما بون شاسع .

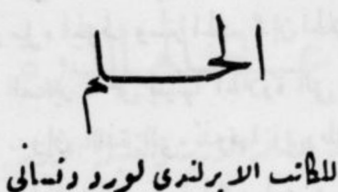
٤ — وفى ص ٦٧ كتب : كتلة × سرعة = زخماً

والصحيح أن الكتلة × السرعة = العزم

وفى نفس الصفحة ذكر أن : السرعة هي مدى انقذاف القدار فى الثانية . والصحيح أن سرعة جسم متحرك هى معدل إزاحته فى الثانية . على أن هذه الهنات لا تضع من القيمة العلمية والفنية لكتاب هو الأول فى بابه صدر عن عالم مختص يقرأه القارئ المثقف واثقاً مما يقرأ مطمئناً إلى ما يفهم ، وإذا كان المأخذ الجوهرى الذى أخذناه عليه هو ارتفاع مستواه عن ذهن القارئ العادى فإن معظم القراء أصبحوا اليوم من الثقافة بحيث لا يجدون صعوبة فى إدراك الحقائق العلمية مصبوبة فى أى قالب ؛ فهم يحتاجون إلى الاستزادة أكثر مما يحتاجون إلى الاستفادة . فللأستاذ المؤلف الشكر على ما بذل ويبذل من الجهد المظيم ونشر الثقافة وإفادة النشء وخدمة الأمة .

كامل محمود حبيب





الحلم

للكاتب الإيرلندي لورد دنساني

رأيت في المنام أني اقترفت جرماً فظيعاً رفضوا من جرائه أن يدفنوني في الأرض أو في البحر، بل لم يكن لي مكان حتى في الجحيم.

عرفت ذلك وأنا في انتظار مصيري عندما أقبل أصدقائي وقتلوني سراً في احتفال ديني أضاءوا فيه الشموع، ثم حملوني بعيداً عن لندن، رحلوا في دجى الليل وساروا في طرق موحشة بين صفين من الديار الصغيرة حتى وصلوا إلى النهر، وكان في صراع مع مد البحر بين الضفاف الموحلة وفي ظلام الليل الدامس، فعرتهما دهشة فجائية من رؤيتهما أصدقائي وقد انعكست أنوار شموعهم على صفحة الماء. أدركت كل ذلك بينما كانوا يحملون جثتي المتيبسة، فقد كانت روحي لا تزال بين عظامي لأنه لم يكن لها مأوى في السماء

ونزلوا بي درجاً أخضر موحلاً، فدنوت شيئاً فشيئاً من الطمي المرعب. وهناك حفروا حفرة قليلة النور وأرقدوني فيها بين المهملات. ثم ألقوا فجأة بشموعهم في النهر، فانطفأت شعلتها وانسابت تندفع مع المد صغيرة شاحبة. وجعلت أراقب شروق الفجر وأشاهد أصدقائي يتسللون خفية الواحد تلو الآخر وقد توشحوا معاطفهم.

وأقبل الطمي وغطى كل شيء عدا وجهي. ورقدت هناك بين المفقودات والأحجار المتداعية والمهملات وكل ما هو في طي النسيان، وقد تخلصت من إحساساتي، لأني كنت ميتاً — قتيلا ولم يبق لروحي التعسة سوى الإدراك والتفكير. وبزغ الفجر فأبصرت الديار المهجورة تزخر بها حافة النهر، وقد أطلت عليّ نوافذها الميتة تحدق في بأعين لا حياة فيها، نوافذ يجثم وراءها الشر وقد خلت من أرواح البشر. وازددت جهداً وأنا أتطلع إلى تلك المهملات فأشعر بالرغبة في البكاء دون أن أبكي لأني في عداد الأموات. ثم عرفت ما لم أكن أعرفه من قبل — أن هذه الديار المهجورة كانت تود أن تبكي مثلي طوال الأعوام التي مرت عليها. ولكنها بكاء لا حياة فيها، وكم كنت أود أن تبكي هذه الأشياء المتراكمة المهجورة فأشعر بالراحة لبكائها، ولكنها كانت أيضاً ميتة كفيفة البصر، وكان حالي مثل حالها، فقد حاولت البكاء فلم يتساقط الدمع من عيني.

وكنت أعرف أن النهر يستطيع لو أراد، أن يعتني بنا، ويحنو علينا، ويغني لنا. ولكنه كان يندفع جاريا دون أن يفكر في شيء سوى ما يحمله معه من سفن فاخرة.

وأخيراً فعل المد ما لم يفعله النهر، وأقبل وغطاني، فانتشت روحي بعد أن رقدت تحت الماء الخضر، وخالجها اعتقاد أنها مدفونة في البحر. وما انحسر الماء حتى رجعت إلى الطمي بين المهملات وعدت إلى مشاهدة الديار المهجورة وعادت إلى معرفتي بأننا جميعاً أموات. ثم بدا لي نفق حالك وممرات سرية ضيقة تخترق ذلك الحائط الكئيب الواقع خلفي وقد غطته الأعشاب الخضر، فأقبلت منها الجرذان تتسلل لتقرضني، وابتهجت روحي عندئذ، واعتقدت أنها ستغدو حرة، فتخترق نطاق تلك العظام الملعونة التي رفض دفنها. ولكن سرعان ما ولت الجرذان هاربة مبتعدة عني، ثم جعلت تتشاور فيما بينها، ثم لم تعد إلى بعد ذلك. وهنا عرفت أني ملعون حتى بين الجرذان، وحاولت عندئذ البكاء دون جدوى. ثم أقبل المد وعاد يتأرجح حتى غطى الطمي المهول، وأخفى الديار المهجورة، وواسى الأشياء المهملة، وأراح روحي فترة وهي مدفونة في مياهه. وأخيراً هجرني وابتعد.

وهكذا أصبح المد يقبل ثم يعود سنين عديدة، إلى أن وجدني بعضهم، فانتزعوني من الطمي ودفنوني دفناً لائقاً. وما أن رقدت في أول رمس حتى عاد أصدقائي وأخرجوني منه وأعادوني إلى حفرتي في الطمي

وكم من المرات تجد عظامي مدفناً لها على كر السنين، وفي كل مرة يكمن أحد هؤلاء الرجال الرعيبين، حتى إذا ما أتى المساء يقبل فيحفر ثم يخرجني من رمسي ويحملني ويعود بي إلى حفرتي الأولى.

وفي ذات يوم مات رجل من هؤلاء الذين فعلوا بي هذا الفعل المروع. وسمعت روحه تتصاعد فوق النهر عند الغروب. وحينئذ أشرق في روحي الأمل.

ومرت الأسابيع عندما وجدوني مرة أخرى، فأخرجوني من ذلك المكان المتقلقل ودفنوني في أعماق الأرض المقدسة. وعاود روحي الأمل في أن تظل هناك أبدا. ولكن سرعان

ما أقبل رجال متشحون بالمعاطف ويحملون الشموع ، وأعادونى إلى الطمى . لقد أصبح ذلك الأمر لهم تراثاً وتقليداً . وسخرت منى المهملات فى قلوبها الصم عند عودتى ، فقد كانت تنفر منى لتركى الظمى . وكنت لا أزال أذكر أنى لا أستطيع البكاء .

ومرت السنين تجرى كما يجرى النهر صوب البحر حيث الزوارق ترحل وتعود والسفن الهائلة الهائمة يبتلعها الموج ، وما زلت راقدا بلا أمل ، لأنى لا أجرؤ أو آمل دون سبب ، نتيجة حسد المهملات المروع وغضبها الشديد .

وفى ذات يوم هبت عاصفة هوجاء ، أقبلت جنوباً من بعيد ، قادمة من البحر ، ثم عرجت على النهر تصاحبها الريح الشرقية العاتية ، وتغلبت على الجزر وهى تسير فى خطى واسعة فوق الطمى الغافل . وابتهجت المهملات واختلطت بغيرها من الأشياء المبتهجة ، وانساقت السفن الفاخرة وهى تطفو من أعماق الماء ، وأخذت العاصفة عظامى من مرقدى الموحش ، فشعرت بأمل يترعرع فى نفسى فى أنه لن يعكر على الجزر صفو مرقدى بعد ذلك . وعندما انحسر المد كانت العاصفة قد ولت تقتفى أثر النهر صوب الجنوب ، ثم عادت إلى مقرها بعد أن بعثرت عظامى بين جزر كثيرة على طول السواحل . وكادت روحى أن تتحرر من أغلالها عندما ارتفع المد الدافق تحت ضوء القمر وعبث بما تركه الجزر ، ولم عظامى من هذه الجزائر وعاد بها من هذه السواحل ، ثم ذهب ينثنى صوب الشمال حتى وصل إلى مصب التيمس ، وهناك تحول غرباً والتقى بالنهر وصعد معه حتى اقبل إلى الحفرة فألقى فيها عظامى . ثم انحسر المد فشاهدت أعين الديار الميتة ، وشعرت بغيرة المهملات التى لم تحملها العاصفة .

ومرت قرون على ذلك التنازع بين المد والجزر ، ولا زلت تحت قبضة الطمى بين هذه المهملات الموحشة ، وأنا عاجز عن التحرر من أغلاله . واشتقت إلى حنان الأرض الدافئة ، وأحضان البحر الخضم .

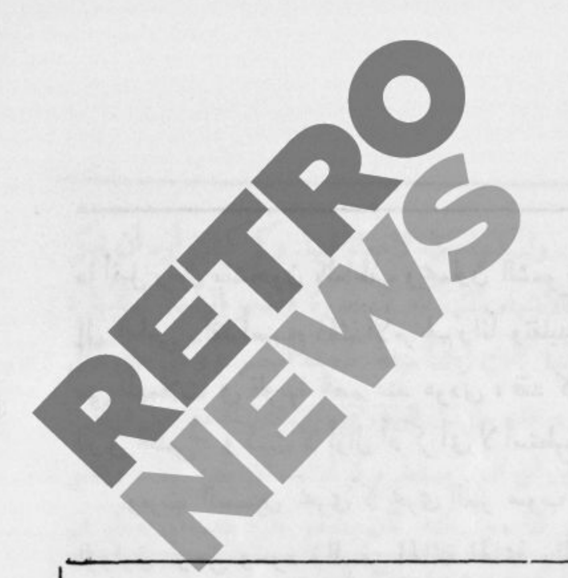
وكان الناس بعض الأحيان يعثرون على عظامى فيدفنونها . ولما كانت التقاليد لا تزال على حالها من الوجود فقد أصبح خلفاء أصدقائى يقومون دائماً بإعادتى إلى الطمى . وأخيراً انقطع إبحار السفن ، وخبا ضوء النهار ، ولم يعد يطفو على الماء إلا جذوع الأشجار القديمة وقد اقتلعتها الريح من جذورها . وشعرت مع الزمن بنمو الأعشاب بجوارى وأخذت الطحالب تنبت فوق الديار الميتة . جعلت أراقب هذه التطورات سنين عديدة إلى أن تأكدت تماماً أن لندن فى طريقها إلى الفناء . وحينئذ أشرق الأمل مرة أخرى ، مع أنى كنت أعرف أن كل من يجرأ على أن يأمل وسط الطمى يثير عليه غضب المهملات الملقاة على ضفتى النهر . وشيئاً فشيئاً تداعت الديار المخيفة ، ووجدت لها مدفناً لا نقاً بين الأعشاب والطحالب . ثم تفتحت الأزهار البرية واستطالت النباتات المتسلقة ، وأطلت فوق الآكام . وحينئذ عرفت أن الطبيعة قد انتصرت وأن لندن قد أصبحت أطلالا . وأقبل آخر إنسان إلى الحائط بجوار النهر فى معطف رث من تلك المعاطف التى كان يرتديها أصدقائى ، وحدق ليرى إذا كنت لا أزال هناك ثم رحل ولم أشاهده بعد ذلك . لقد رحلوا جميعاً كما رحلت لندن .

وبعد أيام ، أقبلت الطيور الشادية ، ونظر بعضها إلى بعض عندما شاهدتنى ، ثم طارت بعيداً عنى وجعلت تتشاور فيما بينها ، فقال أحدها « أنه لم يأثم فى حقنا ، وإنما أثم ضد الإنسانية » فقالت « إذن دعونا نحنو عليه » .

ثم حطت بالقرب منى وأخذت تغرد . واستمعت إلى شدو الثات منها عند الشروق ، على ضفاف النهر ، وفى عنان السماء وخلال الغابات ، وتعالى غناؤها عندما سطع الضوء ، وازدحمت فوق رأسى حتى أصبحت آلافا مؤلفة ، ثم ملايين ، فلم أر أخيراً إلا أجنحة تصطفق تحت قبة السماء وارتفعت روحى من عظامى الراقدة فى الحفرة الموحلة ، وأنا أستمع إلى هذه الأغاريد الشجية ، وأخذت تتعالى فى عنان السماء مع الألحان . وبدا لى كأنما قد شق طريق بين الطيور ، ارتفعت فيه روحى وظلت ترتفع حتى دلفت إلى الجنة من أحد أبوابها الصغيرة وقد فتح على مصراعيه فى نهاية السماء . وعندئذ عرفت أنى قد انتشلت من ذلك الوحل ولن أعود إليه مطلقاً ، فقد وجدت فجأة أنى أستطيع البكاء .

وفى نفس اللاحظة فتحت عينى فوجدتنى فى فراشى بلندن ، وسمعت الطيور تغرد فوق شجرة فى الخارج تحت أشعة الصباح الخلابة . وكانت عينى مندأة بالدموع ، فإن إرادة الإنسان أضعف ما تكون أثناء النوم . وهببت من فراشى وفتحت النافذة ، وبسطت ذراعى فوق الحديقة الصغيرة ، وباركت الطيور التى أنقذتنى شدوها من حلمى الطويل المخيف المزعج .

محمد فتحى عبد الوهاب



مطبعة الرسالة

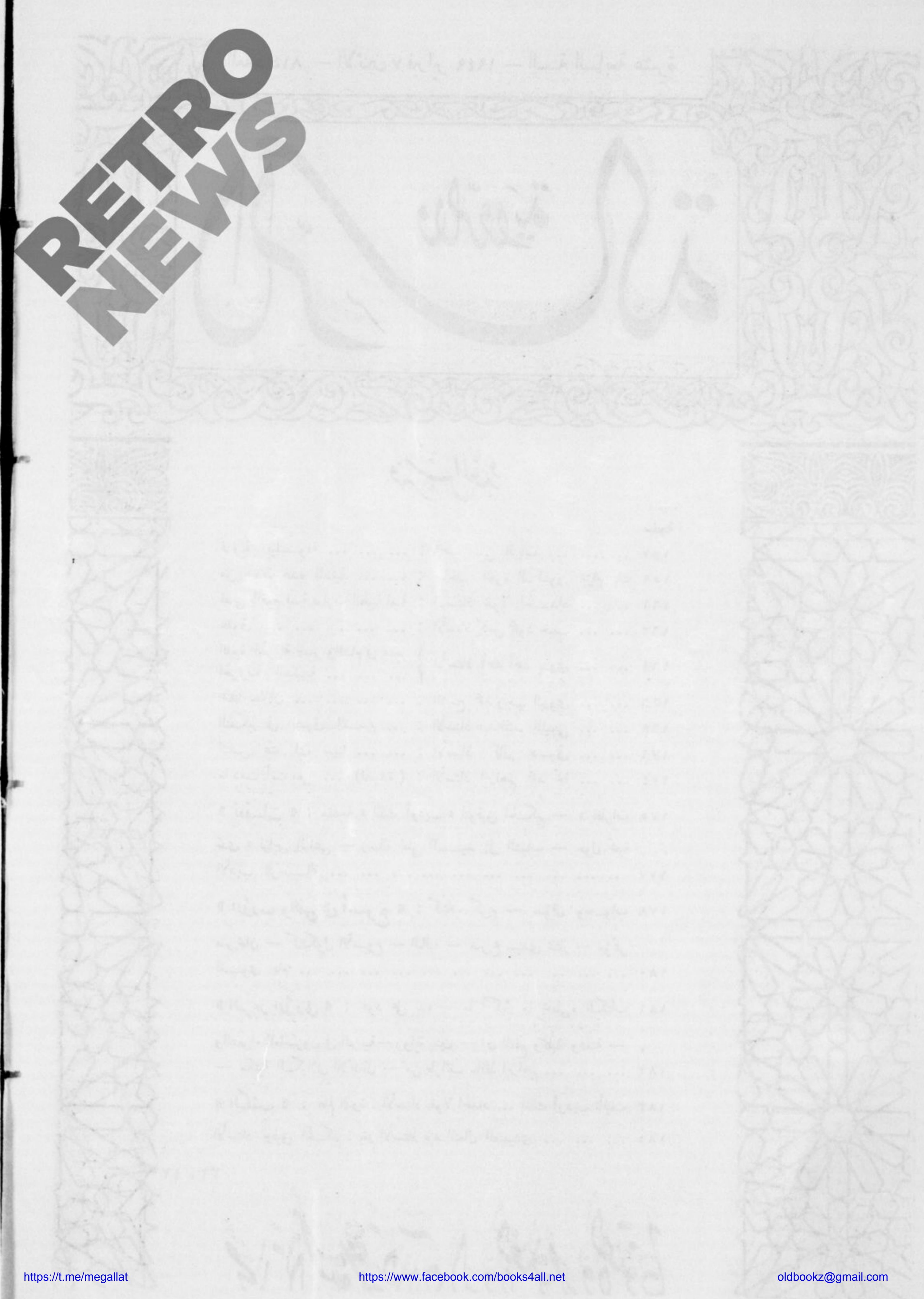


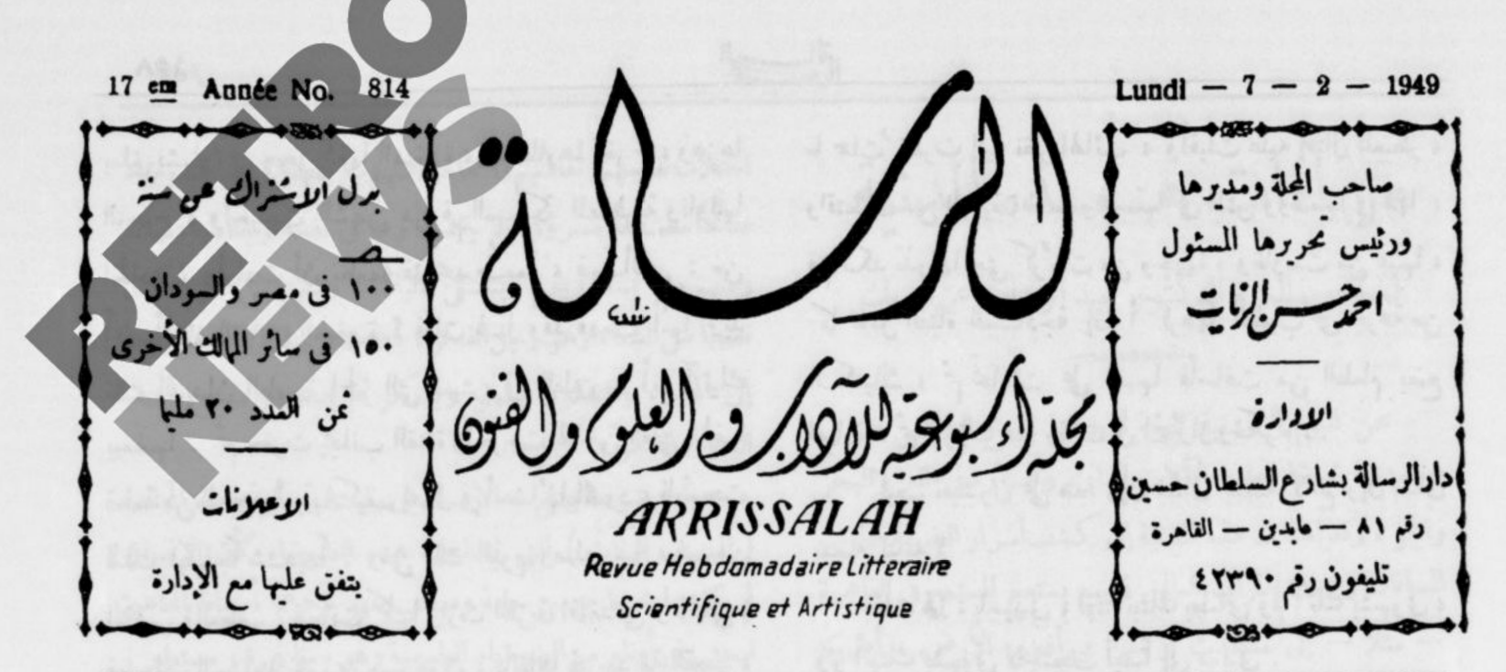
العدد ٨١٤ — الاثنين ٧ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



فهرس العدد

٣٢٠١٢




17 em Année No. 814

Lundi — 7 — 2 — 1949

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨١٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٧ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

قروية فيلســـوفة

— ٢ —

قالت أم عامر — والمعنى لها واللفظ لي — : نشأت كما تنشأ القرويات الفقيرات ، على التلول كالدجاج وأنا طفلة ، وبين الحقول كالذئاب وأنا صبية . آكل الجشب وأستمرئه ، وأشرب الكدر وأستسيغه ، والبس الخشن وأستلينه ، وأفترش المدر وأستوطئه ، وأعالج الصعب وأستسهله . والذي أحلى المر في فمي ، وجمل القبيح في عيني ، وألان الغليظ لجانبي ، صحةٌ كصحة الظبي الشادن لم تجنح يوماً لراحة ولم تحتج أبداً إلى دواء ؛ وصرامة على عنف الطبيعة لا تفرّق طاقتها بين صبح ومساء ولا بين صيف وشتاء ؛ ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء ... فأنا أشارك أمي في عمل البيت ولا تستثن غير الكانون ، وأعاون أبي في شغل الغيط ولا تستثن غير المحراث . وفي الفترات القصيرة القليلة بين عمل وعمل ، يجدونني في الحارات أمرح أو في القنوات أصيد ...

أذكر أني كنت ذلت يوم جالسة على حافة الجدول المنساب أتندى أنا وأختي الصغيرة على خوان من النجيل ، رأيت ابنة الباشا مالك الأرض وسيد الناس مقبلة ، يقدُمها كلبها الذئبي الضخم ، ويتبعها خادمها النوبي النحيل ، وفي يدها شص تطويه على قصبته وتنشره . وابنة الباشا صبية لا تجاوز العاشرة ، فهي في مثل سني ، تقيم طول عامها في المدرسة بالقاهرة ، فلا تُلِمُّ بالريف إلا أياماً في أوائل الخريف ... أقبلتْ حتى وقفت بإزائي وحيّت ثم ألقت شصها في الماء وجعلت تنظر إليه وتنظر إليّ ... فدعوتها إلى الطعام على عادتنا ، فشكرت واعتذرت ثم قالت وهي تبتسم :

أنا كلين الحشيش كالبهائم ؟

فقلت لها : ليس هذا حشيشاً ، وإنما هو بقلة من أحرار البقول نسميها السريس ؛ وأنا آكله ليخفف من ملوحة المش ويكسر من حرارة البصل .

فقالت وهي تمط شفتيها الرقيقتين : ولكن اللحم خير منه

فقلت لها : نعم خير منه ؛ ولكن موسمه لم يجن بعد .

فنظرت إليّ نظرة المتعجب المهم وقالت :

موسمه ! وهل للحم موسم ؟

فأجبتها : نعم ، إن للحم مواسم خمسة لا نأكله إلا فيها : نصف شعبان ، وأول رمضان ، والعيد الصغير ، والعيد الكبير ، وليلة عاشوراء . فقالت : وما ذا تأكلون بقية العام ؟

فقلت : نأكل الحبوب والبقول واللبن الرائب والجبن الأريش والمش المعتّق ... فبدت على قسماتها الجميلة مخايل الشك في قولي ، وهمّت أن تقول شيئاً لولا أن رأت غمّاز الشص يغطس ويعوم فشغلت به ، وجذبت الشص من الماء ، فإذا به

يملق بشبارة فى حجم كفها الصغيرة ، فاستطارها الفرح ، وهزها النجاح ، وأخرجت الشص من فم السمكة المضطربة وناولتها الخادم ، وأرادت أن تطعمه فلم تجد طُعماً ، فسألتنى : من أين يأتون بالشمابين الصغيرة ؟ فقلت لها وقد فهمت أنها تريد تلك الديدان الطويلة الحمر التى تعيش فى الطين : أنا آتيك ببعضها . ثم حفرت بجانب القناة وأخرجت لها من باطن الحفرة قطعة من الطين وأريتها كيف يجول فى أحشائها الدود ، فابتهجت لذلك ابتهاجاً شديداً . ومن ذلك اليوم وصلنى بها سبب من الأنس والعطف ، فكانت كلما زارت القرية افتقدتنى وطلبتنى ، فيرسلنى إليها أهلى فخورين مسرورين ، فألقاها فى حديقة القصر ، أو فى ساحة الجرن ، فنعدو على مخضوضر النبات ، أو نرتجح على فروع الشجر ، أو نصطاد على حوافى الماء ، أو نستبق على ظهور الحُمر ، أو نتهادى على مماشى الحقول ، وقدرتى على كل أولئك فوق قدرتها ، وكلنى أعلى من كلها ؛ فأنا أشأوها فى العدْو ، وأمهرها فى الارتجاح ، وأكثرها فى الصيد ، وأسبقها فى الرهان ، وأحملها فى اجتياز المواحل ، وآخذ بيدها فى تخطّى الحفَر ، وهى ترى ذلك كله فتعجب وتقول :

كيف تستطيعين ما لا أستطيع وأنت لا تطعمين اللحم ، ولا تأكلين الفاكهة ، ولا تذوقين الشكولاتة ؟

فأقول لها : إن الله يعطينا القوة لأنه خلقنا للعمل ، ويعطيكم الثروة لأنه خلقكم للانفاق !

وترعرعت سيدتى « جيهان » وشبّت ، فانقطعت عن حياة المدرسة واتصلت بحياة القرية ، فكنت عندها فى منزلة بين الصديقة والخادمة ؛ أقضى معها آخر النهار فى حديقتها ، أو أول الليل فى غرفتها ، أطرفها بأخبار القرية ، وأطربها بأغانى الريف ، وأنا أراها كل يوم تفتر وتضعف وتذوى ، وهى ترانى كل ليلة أنشط وأقوى وأنتعش ، فيشتد عجبها ، وتزداد حيرتها ، وتحاول أن تعرف الأسباب التى جعلتنى قوية على الفاقة والحرمان والكد ، وجعلتها ضعيفة على الغنى والسرف والرفاهة .

فمن هذه المحاولات أنها طلبت منى أن آتيها خفية بوجبة من المش والبصل والسريس وخبز الذرة ، ولم يكن فى الأرض سريس يومئذ ، فاستبدلت به الجلوين وجئت بما طلبت ، وكانت تنتظرنى وحدها فى كشك الحديقة . فلما وضعت بين يديها ما حملتُ نظرت إليه نظر الهائب ، وأقبلت عليه إقبال المضطر ، واقتطعت من الرغيف لقمة وغمستها فى المش ووضعتها فى فمها ، فلم تكد تذوقها حتى كرّشت من وجهها ، وخاوصت من عينيها ، كما تفعل الفتاة الساذجة إذا أكرهها الطبيب على جرعة من الكنياك ، ثم تحاملت على نفسها فأساغت من الطعام بضع لقيمات ، ثم تقززت عنه وقالت فى اشمئزاز وتكرّه :

كيف تعيشون على هذا وإن مذاق بعضه لأليم وإن مذاق بعضه لتافه ؟

فقلت لها : ياسيدتى ، لقد أتيتك بطعامى ولم آتك بشهوتى ، ولو أتيتك بشهوتى لاحتجت أيضاً إلى معدتى .

واعتلت صحة الآنسة جيهان من سأم الراحة ومعاناة الترف ، فقلّبوها بين المصايف والمشاتى ، ونقّلوها بين الجبال والأبحر ، وعرضوها على طب مصر وطب أوربا ، حتى شبا وجهها ، ونضر عودها ، وثاب إليها جسمها ، فزوجوها من أحد الباشوات القارونيين فلم تجد عنده أكثر مما وجدت عند أبيها . نعم ، وجدت لذتين لم تجدهما من قبل : متعة الزوج وفرحة الولد ؛ ولكنهما لذتان شائعتان بين الإنسان والحيوان تجدهما كل زوجة تحب وكل والدة تلد . وها هى ذى قد بلغت الغاية فى الثراء الضخم والجاه العريض ، أبوها باشا وأخوها باشا وزوجها باشا وابنها باشا ، وكل أولئك لم يعصمها من السكر والروماتزم والكُباد والسمن والرهل والأرق ، فلا تأكل إلا أقل الأكل ، ولا تنام إلا أيسر النوم ، ولا تتحرك إلا أثقل الحركة . وها أنا ذى لا أنفكّ على الحال التى كنت عليها : أبى فقير وزوجى ضرير وابنى الأول خفير وابنى الثانى أجير . ومع ذلك لا أزال شابة على رغم السنين ، قوية على رغم العمل ، صحيحة على رغم النصَب ، سعيدة على رغم الفقر ، أدبر أمرتى ككل سيدة ، وأصيب لذتى ككل حرة ، وأرضى قسمتى ككل مسلمة ... وما أظن سيدتى جيهان تكره أن أكون أنا فى ثروتها وأن تكون هى فى صحتى ، أليس كذلك يا سيدى ؟

فقلت لها وأنا معجب بمنطقها وبيانها : بلى كذلك يا أم عاصر ! وإن لله فى ذلك حكمة ، إن صحة الفقراء تعويض من ثروة الأغنياء ، وإن السعادة من عند الله يمنحها من يشاء ويمنعها مَن يشاء !

احمد حسن الزيات

من آفات هذه المدنية

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

نحن اليوم فى مدنية عجيبة لم يعرفها تاريخ العالم من قبل . هى مدنية تسيطر عليها الآلات الدائرة والسائرة فى البر والبحر والجو ، وقد اهتدت هذه المدنية إلى كشف أسرار الطبيعة فطوت المسافات وجمعت أطراف العالم . فاليوم يستمع المستمع فى القاهرة — مثلا — إلى متحدث أو مغن فى أقصى الأرض ، أمريكا أو استراليا ، كما يستمع إلى جليسه . ويكلم من هو فى أبعد البلاد كما يكلم القريب منه الذى يبصره ويسمعه .

وكل هذه الأعاجيب من الآلات السائرة والطائرة والجهازات الناقلة الأصوات الملغية المسافات — كل هذه يسخرها الإنسان لمقاصده ، ولكنها هى كذلك تسخر الإنسان وتذهب بكثير من سعادته وسلامته وسكونه وراحته . وإن ترك أمرها فوضى عاش الإنسان بها شقياً . لا أتحدث فى تسخير هذه الآلات للحرب والقتل وما إليهما ؛ ولا أذكر ما لقيه العالم من شرها وضرها وفظاعتها وأهوالها ، ولكن أقصد إلى أمر واحد أقصر عليه الحديث وهو أمر يبدو يسيراً ، أو يخفى خطره وأثره ، وهو عند التفكير عظيم خطير ، أعنى راحة الإنسان وسكونه فى ضوضاء هذه المدنية التى لا تفرق بين بعيد وقريب ، ولا تميز بين نهار وليل . الإنسان فى شقاء ظاهر وخفى من هذه المدنية ، مسلوب أحب الأمور إليه وألزمها له : الراحة والسكون والدعة والطمأنينة ، والحرية فى تصريف وقته ، والاختيار فى ترتيب أعماله على الأوقات .

أحسب أن كثيراً مما يصيب الناس فى أجسامهم وأنفسهم من علل ، وكثيراً مما يقع فى أقوالهم وأفعالهم من زلل ، يرجع إلى هذا الداء الدخيل — إلى قلق الإنسان وتعبه واضطرابه فى ضوضاء هذه المدنية شاعراً أو غير شاعر .

وقد حدثنى أحد الأطباء أن أمراضاً كانت نادرة فى العصور الماضية فشت اليوم بين الناس بالجهد الجسمانى والنفسانى الذى تكلفهم به المعيشة فى العصر الحاضر .

والناس فى هذا الأمر يختلف حظهم من التعب والنكد على اختلاف نفوسهم وثقافتهم وأعمالهم ، فمنهم من ينطلق فى هذه الضوضاء سائحاً مصفقاً مسروراً لا يقدر أثرها فى نفسه وجنايتها عليه . ومنهم من يسأم ويبرم ويشق قليلا . ومنهم من هو أكثر نصيباً من الشقاء وهو رجل الفكر ، فهو يشق بها على قدر احتياجه إلى الهدوء والسكون ليعمل ويفكر ثم يستريح من عناء العمل والفكر .

ولعل شر ما يبتلى به الإنسان فى راحته وسكونه هذه المجاهر (الميكروفونات) التى تضاعف هذه الضوضاء كأن الإنسان لم يكفه ما يحيط به من جلبة وصخب فهو يزيدهما أضعافا بالمجاهر ليعيش فى أفظع من الضوضاء الطبيعية وهو منها فى شر مستطير .

وهذه الذيمات المسلطة على خلق الله بالليل والنهار ، تحرمهم القرار ، وتغنمهم السكون ؛ هى إحدى آفات هذه المدنية ، ومن أضرها بالإنسان — إن لم يحسن الإنسان تدبيرها — هذا المذياع آلة عجيبة خطيرة تسمع كل ما فى العالم من أصوات ، وتأخذ منها ما شاءت أو ما شاء صاحبها . فى سلطانها كل الأصوات الذائعة فى العالم . فتمثل إنساناً جاهلا أحمق يعطى هذه القوة ، ويمكن من هذه المعجزة ، يستطيع متى شاء أن يسلط على جيرانه ما يشاء من أصوات العالم مجهوراً بها مدوية . وهذه آلة يسيرة ، وستزيدها العلم والصنع يسراً ورخصاً . فكل عاقل وأحمق وعالم وجاهل وغنى وفقير يستطيع أن يسيطر على الناس بهذه الآلة فيحرمهم الدعة والقرار ، وينغص مضاجعهم بالليل والنهار ، ويصير بلاء مسلطاً لا حيلة فيه ولا مفر منه ولا قدرة عليه .

تمثل إنسان هذا العصر ، هذا المخلوق البائس الذى يعيش فى المدن — تمثله فى النهار يسير فى خطر من الترامات والسيارات وما إليها ، وقد صبت على رأسه أصوات المنبهات والمخدرات والزامرات والصافرات على اختلاف الأصوات والنغمات ، فهو يمشى فى خطر أن يداس بهذا السيل المستمر من المعجلات ، وينبه إلى هذا الخطر أن نفع التنبيه بهذه المنبهات المفزعة التى تغلو فى رفع الصوت لتسمع السابلة وسط هذه الضوضاء الفظيعة ، وتتنافس فى رفع الصوت ليمتاز صوت كل واحدة من الأخرى . والإنسان المسكين يخطو مرة ويقف أخرى وينظر أمامه حيناً وحيناً وراءه وعن يمينه وشماله .

إن هذا البلاء عظيم يحتمله الناس بما اعتادوه وألفوه ، وبما استكانوا له واستسلموا وصبروا عليه يأساً من الابتعاد عنه والخروج منه .

وهذا الإنسان البائس يرجع إلى داره مكدوداً — ولا أقول يرجع إلى مسكنه فليس هنا سكون — والدور فى المدن متراحمة متلاصقة ذات طبقات كثيرة فيسلط عليه تاجر من أهل الحى مثلا مجهراً يعلن به عن بضاعته.

وأشهد لقد سمعت أكثر من مرة إعلان تاجر عن سلعه بمجهر، يسخر قارئا يقرأ القرآن الكريم حيناً، ثم مناديا ينادى فى الناس بما عنده من جبن وزبد وزيتون وغيرها.

وقد سألت أين هذا البلاء المبين فقيل بعيد جداً. فقلت هذا ما يصيب البعيدين منه فكيف بالقريبين! تساءلت أليس فى البلد قانون؟ أليس لقوانينها سلطان؟ ألا يشعر الناس بما هم فيه من شقاء؟ ألا يعربون عن شعورهم؟ ألا يثورون على هذا العذاب المسلط ويعملوا على الخلاص منه؟

وقد أدخل التجار من حيث لا يشعر الناس بدعة هذه المجاهر فى الحفلات ولا سيما فى المآتم. فترى جمعاً فى سرادق يسمعه ويتمداه صوت متكلم أو قارىء أو مطرب؛ ولكن البدعة التى استحكمت سريعاً تقضى باتخاذ المجهر فيسلط هذا البلاء على الدانى والقاصى من خلق الله. وربما يستمر ساعات متوالية فلا يستطيع الإنسان أن يستريح أو ينام أو يقرأ أو يكتب. فأى شر أكبر من هذا؟

وقد سمعت مرة صوتاً فظيعاً يسمع على بعد أميال فنظرت فإذا جماعة قد وسعتهم حجرة واحدة وقد وضعوا مجهراً خارج الحجرة وأرادوا أن يتصدقوا على الناس بإشراكهم فيما يسمعون، والصدقة خير ما كان أعم وأشمل، فليرفع هذا المجهر ماوسعه الجهر والتبليغ. وأما من يضيق بهذا الصوت فلا وزن له عند الله ولا عند الناس؛ إن ضاق بصوت القرآن فلا دين له. وإن ضاق بالغناء فلا شعور له.

وسمعت مرة صوتاً عالياً مدويا فى شارع من شوارع القاهرة التجارية المزدحمة وفهمت مما سمعت حفلة لعيد ميلاد طفلة، والخطباء يتبارون فى التهنئة. وعرفت أن أبا الطفلة لم يولد له منذ سنين. ولهذا كان الاحتفال وتبارى الخطباء. هذا يسمعه السابلة فى شارع من الشوارع المكتظة التى لها من ضوضائها ما يغنيها عن كل ضوضاء.

ثم تمثل هذا الرجل المكدود الذى تتناوبه أصوات السابلة فى الطريق يأوى إلى داره يلتمس الراحة ليلا — ودع راحة النهار — فإذا جيرانه قد فرغوا من أعمالهم ومن طعامهم وجلسوا إلى المذياع، وتنافسوا فى الجهر بما يذاع، إما رغبة فى الصوت الرفيع، وإما إعجاباً بالغناء أو القصة، وإما تصدقا على الجيران المحرومين من هذه النعمة. فيرسلون أصواتاً تسمع على أميال، وقد يكون المستمع واحداً أو اثنين أو فئة قليلة، ومحطة الإذاعة أصلحها الله تعين هؤلاء السفهاء على إقلاق الناس وإزعاجهم وتكدير صفوهم وتنغيص عيشهم، والحيلولة بينهم وبين ما يريدون من استراحة أو عمل بما تمد هؤلاء السفهاء به من أغان وأقوال يرغب فيها الجهلة ويرغب فيها العلماء ويحبها السفهاء ويكرهها الحكماء. ثم تمد لهم الإذاعة فى محبتهم بإذاعة حفلة غناء تدوم ساعات، أو نقل قصة تمثيل إلى ما بعد منتصف الليل بساعة أو أكثر أى إلى ما قبل الفجر بساعتين فى الصيف.

ولو أن القائمين على الإذاعة فكروا فيما يصيب الناس من هذه الإذاعة لأقلوا منها وجعلوا لها حداً لا تتجاوزه.

ما حاجة الناس إلى إذاعات بعد منتصف الليل؟ بل ماحاجتهم إلى إذاعة بعد العاشرة؟ ألا يفكر القوام على الإذاعة فى سوء تصرف الناس بهذه الآلات التى صار ضرها أكثر من نفعها، وإثمها يربو على لذتها؟ ينبغى أن تعرف أخلاق جمهورنا وعاداتهم حين توضع برامج الإذاعة.

ثم لماذا لا تستعمل الإذاعة فى تعليم الناس حسن الاستعمال وحسن الاستماع؟ لماذا لا يذاع على الناس كل أسبوع تحذير من الجهر بالإذاعة وإيذاء الناس بها، ويعرف الناس بالترغيب والترهيب ما يجب عليهم لينتفعوا بما يسمعون أو يلهوا بما يذاع عليهم، فى غير إخلال براحة الناس، ولاجناية على من لا يريد أن يستمع ومن أحوج إلى إمضاء وقته بالتفكير والعمل، أو الراحة.

ثم أين قوانين الحكومات لتحمى الناس من هذا الشر الذى يزداد كل يوم ذيوعاً وإيذاء وإضراراً. أين وزارة الشئون الاجتماعية لتفكر فى هذا الأمر وتروّى فيه وتصف له دواءه بالنصيحة أو بالعقاب.

إن الأمر خطير كل الخطورة، وأثره فى معيشتنا وفى أحوالنا النفسية بعيد. فليتعاون الناس على درء هذا الشر الذى لا يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ...

عبد الوهاب عزام

قصة

قصتي يا قوم قصة صارت الظبية لصة !

للأستاذ نقولا الحداد

تزوّد السيد ف . م بمئة ألف جنيه دولارات واسترلينيات وليرات إيطالية الخ ، ومضى إلى معامل سكودا في تشكوسلوفاكيا فابتاع من أدوات التدمير والهلاك ما ثمنه ٧٥ ألف جنيه ، وأخذ فاتورة بمئة ألف !

ثم شحن البضاعة في باخرة تمخر نهر الدانوب . وكان على الباخرة أن تقف في تريستا لكي تفرغ وسقا وتحمل وسقا آخر ثم استقل طائرة إلى تريستا وانتظر هناك ثلاثة أيام دون أن تصل الباخرة ، فلما استخبر عنها مكتب وكالة الباخرة علم أنها أصيبت بقنبلة من ناحية مجهولة فاخترقتها وتعطلت ولم يسعها إلا أن تجنح بميناء تريستا . وقد دخلها الماء وابتلت البضائع . فجعل السيد ف . م يستخرج بضاعته الجهنمية من الباخرة ويجففها ويهيء مالم يتلف منها للشحن . وبقي هناك بضعة أيام مشغولاً بهذا العمل المضني .

وفي ذات يوم بينما كان يتغدّى في مطعم فاخر زاخر بالآكلين إذ وقفت أمامه حسناء والتمست منه أن يأذن لها بالجلوس إلى مائدته إذ لم تجد مائدة خالية تجلس إليها . فرحب بها . ولم تنته فترة الغداء حتى صارا معرفتين ، ثم صارا صديقين . والتقيا مساء في حانة زاهرة باهرة زاخرة بالحضار والراقصين والراقصات . ولم يخرجا من الملهى إلا عاشقين متعانقين .

وقد علم صاحبنا من حسنائه أنها تسمى راحاب رحماني من بيروت ، وأنها جاءت مع أخيها إلى تريستا في طريقهما إلى ميلانو لعمل تجاري ، وأنه تركها هناك مؤقتاً فإذا وُفق في المهمة التي جاء لها استدعاها وإلا عاد خائباً . وهي في انتظاره أو انتظار خبر منه .

وقبل أن ينتهي صاحبنا من تهيئة بضاعته للشحن توسطت حسناؤه بينه وبين شار لها بثمن مُغر . فرفض أن يبيع . ولما كانت مسمسرة في هذه الصفقة وكانت تود أن تتم ، بذلت جهدها في إقناعه أن يبيع وأن يعود إلى سكودا فيشتري غيرها . فتردد ، وطلب ثمناً أعلى ، فلم تتم الصفقة .

ولما رأت الحسناء أنها لم تنجح في هذه السمسرة أشارت عليه أن يشحن بضاعته في باخرة يونانية صغيرة راسية في تريستا ، وهي مبحرة إلى بيروت حيث يريد أن يفرغ شحنته . فرضي ، لأن الأجرة كانت رخيصة . وشحن البضاعة إلى بيروت .

وأخبرته الفتاة بعد ذلك أن أخاها كتب إليها ألا تنتظره ، لأنه لم يوفق في مهمته ، وأوعز إليها أن تتبعه إلى بيروت . واتفق الحبيبان على أن يسافرا بالطائرة معاً إلى عاصمة لبنان . وهناك ينتظر الباخرة التي تحمل بضاعته الجهنمية .

ولما حان موعد قيام الطائرة كان صاحبنا ينتظر حسناءه في المطار . وإذا هي قادمة تهرول تقول له إنها آسفة أن لا تركب الطائرة لأن جواز سفرها مع أخيها وقد تلفنت له أن يعود إلى تريستا لكي تسافر معه في طائرة أخرى . ووعدت صاحبنا أنه ستلقاه في بيروت وتبادلا العنوانين . وركب الطائرة آسفاً لهذه الخيبة آملا أن يعوّض عنها في بيروت .

وبقي السيد ف . م في بيروت يترقب قدوم الباخرة التي تحمل فوزه بالسلاح المرجو المنتظر بفارغ الصبر ، وقد غنم منه عمولة مقدارها ٢٥ في المئة . ومضت ثلاثة أيام وهو يسأل عن هذه الباخرة في وكالات البواخر فما وقف على خبر عنها ولا أثر لها .

وما لبث أن علم من أحد معارفه أن محطة الإذاعة في (عزرائيل) تذيع خبراً غريباً كل ساعتين . فأصغى في الميعاد ، فإذا صوت رخيم يقول : إن دولة عزرائيل تشكر الحكومة ر د ي هدية السلاح الفاخرة التي أهدتها إياها ؛ وستكافئها عليها خير مكافأة . وراحاب ترجو من صديقها أن يعذرها لأنها لن تتمكن من لقائه في بيروت ، وتشكر له ألف شكر إهداءه إياها تذكرة الطائرة من تريستا إلى بيروت ، وتحسبها من قيمة السمسرة التي كانت تتوقعها منه لو تمت صفقة بيع الأسلحة . ثم تهنئه بسلامته ، لأنه لو صحب البضاعة في الباخرة المظنونة يونانية ، لغرق هو في البحر وسلمت البضاعة . لذلك أسدت النصح إليه أن يعود إلى بيروت بالطائرة ، لأن راية عزرائيل التي كانت تخفق فوق الباخرة لم تكن لتحميه !

وهكذا عاد صاحبنا إلى حكومته بالخيبة ، ورضي من الغنيمة بالأوبة . والذنب على الحب الذي يرد البصير أعمى والحكيم أحمق ، فيضحي بخدمة الأوطان ، في سبيل خدمة الحسان !

نقولا الحداد
٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

عقـــوق ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا بنى ، أى شيطان ثار فى دمك وسيطر على رأيك فأعمى بصيرتك وأطاش عقلك وأصم أذنيك ، فذهبت تولى أباك العقوق والجحود والنكران بعد البر والطاعة والشكر . لقد كان حديث أبيك — وهو يقص قصتك — يتقطر أسى ولوعة ، وإن قلبه ليبكى بكاء يُسمع ويُرى !

إنى لا إخالك تذكر يوم ماتت عنك أمك طفلاً تدرج فى فناء الدار ، وإن الأيدى لتتلقفك فى شفقة حيناً وفى شماتة حيناً . والأبصـار تحوم حواليك ساعة ثم تنصرف ، إلا بصراً واحداً ما يبرح يتعلق بك ، هو بصر أبيك . وإن العبرات المصطنعة لتتدفق باردة هينة فيها الـكذب والخداع ، إلا عبرات إنسان واحد كانت تنسكب ساعة وتنهمر ساعات ، وهى فى الحالين تتضرم وتتوقد لأنها عبرات القلب ، تلك هى عبرات أبيك ! وإن الأذرع لتنفرج لتضـمك فى فتور وتراخ ، ثم تلقى بك جانباً فى غير اكتراث ، إلا ذراعين تودان لو استطاعتا بضمة واحدة أن تدفعا بك إلى داخل القلب ، هما ذراعا أبيك ! وإن الألسن لتتحدث حديثاً طويلا فيه الثرثرة واللغو ، إلا لساناً واحداً لم ينطق بكلمة واحدة لأن حديث قلبه كان يشغله ، ذلك هو لسان أبيك !

وكان أبوك — إذ ذاك — فتى فى ريق الشباب وعنفوان الصبا ، لا يستطيع أن يكبت نوازع جسمه ، ولا أن يكتم ثورة دمه ، وهو إن أراد التوى عليه الأمر وتعسر ، وما به فاحشة ولا فجور . وتنازعه أمران : أيتزوج فياتى بك فى قفر ويضيعك فى تيه ، أم يقتل شيطانه بين جنبيه وما له بذلك طاقة ؟ واصطرع الرأيان فى رأسه سنوات حتى بلغت سن المدرسة ، فأرسلك إلى المدينة وتزوج هو .

ولم تصرفه الزوجة عنك ولا شغله الأولاد ، فأحاطك برعايته وعنايته ، ورأت زوجة أبيك شدة حدبه عليك ، فأمسكت عن أن تتناولك بحديث إلا لماماً خشية أن تجد منه الجفوة والغلظة ، وهو صعب المراس وعر المرتقى . فما استشعرت — فى يوم ما — فقد أمك ولا افتقدت حنانها .

وعشت عمر المدرسة والجامعة بين اخوتك فى الذؤابة لا تجد مس الغربة وأنت فى دار أبيك ، ولا تحس الوحدة وأنت بين اخوتك ، وأبوك يحبوك بعطف الأب وحنان الأم ، وبجد اللذة والسعادة فى أن يراك قرير العين هادئ البال .

وتخرجت فى الجامعة ، والجامعة تعلم الحذر والحيطة ، وتسمو بالعقل ليكون قيداً يغل اليدين والرجلين ، وترتفع بالفكر ليكون سداً بين الشباب والحياة ، فهى تلفظ الشاب من بين جدرانها لتذره يضرب — على غير هدى — فى بيداء مطموسة المعالم ، إلا أن يجد السبيل إلى باب الوظيفة .

تخرجت أنت فى الجامعة ، وجلست على حيد الطريق تنتظر أن ينفتح أمامك الباب السحرى — باب الوظيفة — وقد عز عليك أن تجد مفتاحه . وأبوك من ورائك يعينك على أمرك برأيه وجهده ، ويخفف عنك صدمة التمطل بكلمات فيها الرحمة والعقل .

وطال بك الانتظار وأنت ملتصق بباب الوزير مرة وبباب المدير مرة ، ولج بك الشوق إلى الوظيفة ، فبذلت من ماء وجهك ، ونزلت عن حيائك ، وتغاضيت عن كبريائك ، ثم بدا عليك الوجوم والضيق من أثر اليأس ، ونسيت أن الوهن والضعف قد تسربا إلى العمل الحكومى فى غير هوادة ولا لين ، وأن الأمر المهين ليقف بين قلم الموظف الحكومى وقرطاسه وقفة ينطوى دونها العمر . والموظف لا يجد إلى العمل دافعاً من نفسه ولا من رئيسه ، والرئيس لا يعنيه من العمل إلا أن يحس بالعزة فى مكتبه وبالـكبرياء فى ديوانه ، وهو يتلذذ حين يتعبد مرءوسيه فى غير سبب ، ثم تضيع حاجات الناس بين إهمال الموظف وغطرسة الرئيس

ومضت الأيام وطلبك نائم ، فهولن يتحرك إلا بيد الوسيط ، والوسيط أحد رجلين : رجل يتغفلك ليستلبك من مالك ثم يطير عنك إلى غير رجعة ؛ ورجل يساومك ليتقاضى ثمن الوظيفة على دفعتين ... وكلاهما كاذب محتال !

وعيل صبرك فوقعت على أحد الرجلين يخدعك عن وقتك ومالك ، فاندفعت إلى أبيك تطلب زيادة من المال فى لغة الرجاء والاستجداء ، ثم فى أسلوب الإصرار والعناد ، على حين لم تكشف له عن حقيقة الأمر . وعجب أبوك أن تزيد حاجتك إلى المال زيادة تبعث الشك وتوقظ الريبة ، وهو رجل ذو دين وورع ، يوقن بأن الإسراف مرض لا يصيب إلا رجلين : رجلا به لوثة ، فهو يطمع أن تكون كل حاجات الأرض ملـكا له ، فهو يشترى هذا وذاك ليشبع بهم نفسه فحسب ؛ ورجلا به خلل أخلاق ، فهو

يبعثر ماله بين الخمر والنساء . وخشى أن تكون قدترديت فى الهاوية ، فأرسل إليك يقول : « إننى أحس منك إسرافاً جاوز القصد ، وإفراطاً تعدى الحد ، فإما اعتدلت من تلقاء نفسك ، وإما قومتك بطريقة لا ترضيك » .

وأخذتك العزة بالإثم أن جاءك كتاب من أبيك يتهمك بأمر ، وخشيت أن يقبض يده فيبدو عجزك أمام الوسيط المحتال ، وله عندك حاجات ما تنتهي ؛ فما تنفس الصبح حتى كنت قد أرسلت إلى أبيك خطاباً تقول فيه : « أبى ، الآن ، وقد بلغت مبلغ الرجال ، أرجو أن تحدد لى ميراثى من أبى تحديداً لا يدع مجالا لشك ، وأن تنزل لى عنه أشرف عليه بنفسى وأستغله لصالحى . وأظنك لن تجد فى ذلك غضاضة على نفسك ، فهذا الميراث بين يديك منذ نيف وعشرين سنة ، أنال منك فضلة لا تشفى غلة ولا تنقع صدى ، على حين أن غيرى يرتع فيه كيف يشاء ، ينعم بغلاته ، ويتقلب فى نعمائه . وهذا ظلم لن أقيم عليه بعد اليوم ... لهذا فأنا فى انتظار يوم قريب تسميه لى لأستلم أرضى كلها ... »

لا ريب — يا بنى — فلقد كانت كلماتك جافة قاسية أصابت هدفاً من قلب أبيك ، فأحس بالأسى ينسرب إلى نفسه أن رأى ابنه الأكبر يغلظ له فى الحديث ، ويسف فى العبارة ، ويجازى النعمة بالكفران ، ويقابل الإحسان بالعقوق !

لقد كانت كلماتك تتلظى لهيباً يكوى قلب أبيك ويفرى كبده ، وشعر — والحزن يوشك أن يقتله — أنه يريد أن يفضى بذات قلبه إلى رجل من خلصائه ، وخشى — بادئ ذى بدء — أن يتحدث بأمر خطابك إلى واحد من الناس ، فتكون أنت عاره إلى الأبد ، فعزم على أن يطوى عن الناس خلجات قلبه ، ولكنه ناء بأن يحمل العبء وحده بعد أن رزح تحته أياماً ، فجلس إلى أخيه — عمك أنت — ينشر أمامه خطابك وفى عينيه عبرات ، وفى قلبه هم !

وانزعج عمك لما قرأ ، وشمله الوجوم والبث ، فما تلبث حتى كان إلى جانبك يستوضحك الأمر !

وضل عقلك الفج ، وانحط منطقك الوضيع ، فخيل إليك أن عمك جاءك يستجدى مالك ، وتراءت الحياة أمامك أعداداً من الجنيه والعشرة والمائة ، فأخذت تدفع حجج عمك وبراهينه فى ضلال وخفة وأنت تقول : « أما أبى ، فأنا لا أنكر فضله ، فهو قد دفعنى عن القرية صغيراً لا أنس لدع القرية ، ومرارة الوحدة ، وقسوة الحياة ، وقذف بى بين ناب الخادم ، وظفر صاحب الدار التى أسكنها ، ثم هو يرسل إلى الطعام والمال ، فلا أجد ريح الطعام ، ولا ألمس لذة المال ، فمشت ضائماً جائعاً ، والخادم وصاحب الدار يستمتعان معاً بالمال والطعام ، وأبى لا يرانى إلا مرتين فى السنة . ولى أنفة لا تسمح لى بأن أشكو .. وهكذا قضيت طفولتى — وهى أسعد أيام العمر — منطوياً على نفسى فى ذلة وانكسار ، أدفن همى — رغم أنفى — فى كتاب خشية أن يشى بى الخادم لأبى فيذيقنى وبال أمرى ، وله عصا تفرى الجلد وتحطم العظم ... وساقتنى الظروف إلى المدرسة وأرغمتنى على أن أفرغ إلى الدرس ، ووجد أبى اللذة والراحة فى أن أعيش بعيداً عن أهلى ودارى وأترابى ... وأغلقت قلبى على حسرات ، ومرت السنون ... والآن ، أراه يريد أن يسلبنى مالى ، فإن كانت هذه هى الأبوة ، فما على من بأس إن أنا قطعت هذه الوشيجة ، أو صرمت هذه الصلة ... »

وأراد عمك أن ينزع عنك الأفكار السود بمنطقه القروى ، فترفع منطق المدينة وعقل الجامعة عن أن يلقيا السمع إلى حديث القلب النابض من أعماق القرية ، فانطلق عمك من لدنك فى شجوه وشجونه ينفض جملة حديثك أمام أبيك !

ليت عمك اطلع على الغيب فرأى بعينى بصيرته ما تخبئه الأقدار ، إذن لكتم هذا الحديث عن أبيك !

وسمع أبوك الحديث كله فى صمت ، ثم انتفض انتفاضة الجزع والخيبة ، فأصابته إغماءة شديدة ، فما انجابت عنه الغمرة إلا ليجد نفسه مصاباً بالشلل ! وذهبت أعوده ، فقص لى قصتك ... وإن حديثه ليتقطر أسى ولوعة ، وإن قلبه ليبكى بكاء يُسمع ويرى على أن فقدك أنت ... أيها العاق !

الآن أصبحت موظفاً حكومياً ، وبين يديك أرضك تستغلها كيف شئت ، فهل وجدت السعادة والطمأنينة ؟

لقد مات أبوك من أثر صدمة العقوق ، فقل لى بما ذا كانت تحدثك نفسك وأنت تسير على رأس جنازته لأنك ابنه الأكبر ؟ هل ذاب قلبك حسرة حين أفزعتك لذعات الندم ؟

واهاً لك يا من ركبك الغرور والشيطان ، فيخيل إليك أنك شىء ، فتأمن سخط أبيك وغضب الملك ونقمة السماء ... وما هى كلها عنك ببعيدة !

كامل محمود حبيب

القوة الحربية لمصر والشام
في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

كون المعز لتثبيت عرشه جيشاً لجبا كان أكثره من قبيلة كتامة التى ساعدت الأسرة المالكة ، وأخلصت لها فى بلاد المغرب ، وعلى يديها تم فتح مصر ، ولكن جيش الفاطمية لم يحتفظ بوحدة عنصره خوفاً من استبداد هذا العنصر ، فكون خلفاؤهم فرقاً أخرى من الديلم والأتراك، حتى إذا كان عهد المستنصر استكثرت أمه من السودان . حتى بلغوا نحو خمسين ألفاً ، واستكثر هو من الأتراك ، فلما جاء بدر الجمالى من عكا أقام له جنداً من الأرمن أبناء جنسه ، وصاروا معظم الجيش . وشبت الحروب الصليبية ، والجيش فى مصر مكون من هذه العناصر المختلفة ، مضافاً إليها عنصر البدو من بلاد الحجاز . ويظهر أن الفاطميين لم يكوّنوا من أبناء مصر فرقاً فى جيشهم ، فلم يرد ذكر لفرقة مصرية فى كتب التاريخ ، ولم يحدثنا عنها ناصرى خسرو الذى وصف الجند فى عهد المستنصر ؛ وإنما اعتمدوا على هذا المزيج الأجنبى مما يسر لصلاح الدين قلب دولتهم من غير أن ينهض المصريون للدفاع عنها .

كان الجيش في مصر مكوناً من هذه العناصر المختلفة التى ظلت تغذيه فى المدة الباقية من الحكم الفاطمى ، وسميت فرقه بأسماء مختلفة تدل على موطنها حيناً كطائفة البرقية الذين قدموا من برقة ، أو على من كونها حيناً آخر من خليفة أو وزير كطائفة الحافظية والآمرية والجيوشية والأفضلية، نسبة إلى الخليفة الحافظ والخليفة الآمر ، وأمير الجيوش بدر الجمالى وابنه الأفضل ، أو على جنسها كالفرقة الرومية والسودانية ، أو على قبيلتها كفرقة المصامدة المكونة من إحدى قبائل البربر ، أو على زعيمها كالطائفة الميمونية نسبة إلى ميمون .

لم تذب هذه العناصر بعضها فى بعض لتكوين وحدة متسقة ، ولكن احتفظ كل عنصر بشخصيته ، وسكنت كل طائفة فى حارة خاصة بها ، ولم تكن الصلة بين هذه الطوائف صلة حب ووئام دائماً ، وإنما كانت المنافسة هى المظهر السائد بينها . وكثيراً ما أدت المنافسة إلى الاشتباك فى حرب بين هؤلاء المتنافسين ، كتلك الحرب التى شبت بين الأتراك والسودان فى عهد المستنصر والتى لم تهدأ إلا بعد أن جلبت الخراب على مصر . وقد يثير الطامعون فى الحكم الفتن بين هذه الفرق ليستنصروا ببعضها على بعض ، فتندلع نيران الحرب بين الفريقين كما فعل الأمير حسن ابن الحافظ لدين الله الذى كان يبغى أن يكون ولى العهد بدل أخيه حيدرة ، فإنه أثار الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية ، والتقى الفريقان فى معركة قتل فيها ما يزيد على خمسة آلاف نفس ؛ وكانت هذه الوقعة أول مصائب الدولة الفاطمية ، وكما حدث فى الحروب التى قامت بين شاور وضرغام .

هذا المزيج إنما يصلح لدفاع الصليبيين إذا وجد القائد القوى الدرب ، أما وقد ضعف الخلفاء ، وأصبح هم وزرائهم الأول الاحتفاظ بالسلطة فى أيديهم ، فقد أبقى الوزراء الجيوش الموالية لهم فى مصر لتوطيد شوكتهم فى البلاد ، فلم يكن موقف الجيش المصرى من الحروب الصليبية الأولى ناشئاً من قلة كما سنرى ، وقد حاول الأفضل بن أمير الجيوش أن يستمين بالمغاربة على حرب الصليبيين ولكن لم ينجح .

وكان الجيش بالشام فى تلك الفترة من الزمن بالإمارات المختلفة مكوناً من العرب ولا سيما البدو ، ومن الترك[1] .

والظاهر أن أقوى الفرق بمصر عند ما جاء إليها صلاح الدين كانت الفرقة السودانية التى اعتز بها السودانيون ، فنزحوا إلى مصر ، وصار لهم بها شوكة وقوة ، وكونوا لهم فى كل قرية ومحلة وضيعة مكاناً مفرداً لا يدخله وال ولا غيره احتراماً لهم . ويبدو أنه عز على هذه الطائفة أن ترى صلاح الدين وجيشه الجديد يغتصب مالها من القوة والنفوذ ، فدبر زعماؤها المكائد له ، ولكنه بادر بقتل زعيمهم ، ومهاجمتهم فى حيهم ، فهزمهم وخرب حارتهم المنصورية وتتبعهم فى بلاد الصعيد حتى أفناهم .

وكون صلاح الدين جيشاً معظمه من الأكراد . قال ابن إياس (ج ١ ص ٦٠) : « لما ملك صلاح الدين أزال ما كان بمصر من

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ١١٤ .

المناصر الملفقة وكانوا بين صقالبة و كدانة ومصامدة وأرمن وشناترة العرب والعبيد السود ، فمحا تلك الطوائف جميعها ، واتخذ بمصر عساكر من الأكراد خاصة ، فكان عدتهم اثنى عشر ألف فارس من شجعان الرجال الذين لا يكلون من الحروب ، ولكن يظهر أن الجيش فى عهد صلاح الدين أيضاً لم يكن موحد المنصر من الأكراد بل كان فيه ترك وعرب . وربما كان صلاح الدين قد فسح المجال للمصريين فالتحقوا بسلك الجندية وكونوا فرقاً ، بل يظهر أن صلاح الدين وخلفاءه لم يسرحوا جيش الفاطميين تسريحاً تاماً ، بل أبقوا على بعض فرقه ، ففى عهد العزيز بن صلاح الدين يسجل التاريخ قتالاً دار بين الطائفة المحمودية واليانسية ، وهما من فرق الجيش الفاطمى .

وحافظ خلفاء صلاح الدين على تكوين جيوشهم من الأكراد والترك والعرب ، وقسمت الجيوش فرقاً نسبت كل واحدة منها إلى أحد القواد العظام كالفرقة الأسدية نسبة إلى أسد الدين شيركوه ، والصلاحية نسبة إلى صلاح الدين ، والأشرفية نسبة إلى الأشرف موسى .

وكما لم تذب المناصر بعضها فى بعض أيام الفاطميين لم تذب كذلك فى عهد الأيوبيين ، وكان النزاع يحدث أيضاً بين هذه المناصر والفرق ، أو ينحاز بعضها إلى زعيم وينحاز بعضها الآخر إلى زعيم غيره كما حدث ذلك فى أيام العزيز ، وفى عهد العادل الثانى . غير أن القيادة القوية فى عهد الأيوبيين لا تلبث أن تعيد النظام إلى نصابه ، وتقبض بيدها القوية على الزمام ، فيعود السلام ويسود النظام .

وظل المنصر الكردى هو الغالب على الجيش طوال عهد الدولة الأيوبية حتى عهد الصالح أيوب الذى استكثر من شراء المماليك ، وكان معظمهم من الأتراك . وسبب استكثاره منهم أنه لمس إخلاصهم ووفاءهم له فى الشدة التى ألمت به فى حرب لأخيه العادل ، فإنه عند ما اعتقل بالكرك ، انفض من حوله جنده من الأكراد ، ولم يبق معه سوى مماليكه الذين اشتراهم ، فمنذ ما استولى على عرش مصر حفظ لهم ذلك الجميل ، واستكثر منهم حتى صار منهم معظم الجيش ، وارتفع عددهم فى معركة المنصورة إلى عشرة آلاف[1] ، وظل المماليك حفظة أوفياء للصالح وذكراه ومنذ ذلك الحين إلى أن انتهت الحروب الصليبية والمنصر الغالب فى الجيش النظامى الدائم هو عنصر الأتراك المماليك وإن كان فى الجيش أكراد وعرب ، أما عند ما هوجمت مصر ، وبدا خطر استيلاء الفرنج عليها فى عصر الكامل والصالح فقد هب المصريون للدفاع عنها ، واجتمع منهم عدد ضخم ساهم مساهمة فعلية فى الذود عن حياض الوطن[2] ، وفى الحملات الحربية التى شنتها مصر فى جنوب الوادى أو ضد المغول أو الفرنج فى عصر المماليك لم تتكون جيوشها من المماليك وحدهم ، بل شاركهم فى ذلك المصريون والسوريون والبدو من العرب ، وكان عددهم يزيد على عدد المماليك[3] ومن ذلك يبدو لنا أن المصريين والعرب قد ساهموا — ولا مرية فى ذلك — بنصيب كبير فى الحرب ضد الصليبيين والمغول فى عصر الأيوبيين والمماليك ، فإن هذه الأرقام الضخمة التى يحفظها التاريخ للجيش الإسلامى المهاجم أو الدافع لا يمكن أن تفهم إلا على أساس اشتراك المصريين والعرب فى هذا الجيش الذى يجب أن نميز فيه بين جيش نظامى ثابت قد يكون للعرب والمصريين فيه نصيب متواضع ، وبين جيش قائم بحملة حربية ، يساهم فيه هؤلاء بالنصيب الأوفى .

***

كان الجيش فى العصر الفاطمى مقسما إلى درجات ثلاث رئيسية : أولاها طبيمة الأمراء ، وأعلاهم ذوو الأطواق الذهبية ، ثم حملة السيوف الذين يحرسون الخليفة فى موكبه ، ثم القواد العاديون . وثانيها رجال الحرس ، وأرقاهم الأستاذون الذين يوكل إليهم مهام الأمن ، ثم شباب الحرس وهم نخبة ممتازة من شباب الأسر عدتهم خمسمائة ، ثم فرق تكنات الخليفة ، ويبلغون زهاء خمسة آلاف ، وثالثها فرق الجيش كل فرقة تحمل اسماً خاصاً بها كما ذكرنا[4] .

وتكون الجند زمن الأيوبيين والمماليك من طبقتين : هما

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٥ .

(٢) ابن إياس حـ ١ ص ٧٩ و ٨٥ و ٨٦ .

(٣) ابن إياس ص ٩٦ و ٩٧ السلوك حـ ١ ص ٧٤٩ وموير ص ٥٧ و ٦٠ .

(٤) لين بول ص ١٥٤ .

طرائف عباسية :

نخلتـــا حلوان..

للشيخ محمد رجب البيومي

للشعراء إلهام خفي يعرج بهم إلى ملكوت رفيع ، فهم يرون الكائنات الماثلة في صور غريبة متخيلة . وقد يقف الشاعر أمام رسم ماحل فيحاوره ويجادله ، ويجعل منه إنسانا يفصح عن شكاته ، ويبين عن طواياه . وإذا كنا نحمد الكاتب الذي يصور مشاعره تصويراً صادقاً فيعرض لقارئه ما يختلج في صدره من إحساس في أسلوب مرسل طليق ، فنحن بلا شك نعجب بالشاعر الذي يتصور عواطف غيره فيفصح عنها إفصاحاً مشرقاً ، وقد يدق تصوره فيتغلغل فيما حوله تغلغلا عميقاً ، فإذا مر بقصر سامق ، أو شاهد دوحة باسقة ، منحهما جانباً من الإحساس البشرى الدافق ، ثم يعبر عما يتخيله من شعورهما المزعوم فيجمع إلى خفة الشعر غرابة المنحى وطرافة التفكير .

والحقيقة أن الشاعر يخلع إحساسه — في أكثر مواقفه — على ما حوله ، فإذا كان مبتهج النفس ، منبسط الأسارير ، تصور ما أمامه من نبات أو حيوان كذلك ، فرسمه في صورة مرحة سارة ، أما إذا كان ملتاع الفؤاد منقبض الصدر ، فإنه يتحدث عن شعور غيره في تبرم وانفعال ، وقد تهتف حمامة على فنن ناضر فيسمعها شاعر حزن لجمه البين في أحبائه ، فيتصور هتافها نواحاً مراً ، وقد يسمعها شاعر مرح ممتع بأصفيائه ، فيتصور هتافها غناء ساحراً ينعش الأفئدة ويسرى عن النفوس .

وسنتحدث عن نخلتين عجيبتين بسقتا في ناحية متواضعة بحلوان (في آخر سواد العراق) ، وقد لبثتا حيناً من الدهر يمر بهما الناس في الغدو والرواح ، فلا يسترعيان انتباه إنسان ، حتى نزل بهما مطيع بن إياس الليثي ، وكان شاعراً متمكناً يسلك بقريضه فجاجاً متشعبة ، فتحدث عنهما حديثاً جازت به الركاب ، وتناقله الرواة ، فتسامع به الوزراء والخلفاء ، وقد ضرب الدهر ضرباته بالنخلتين فطواهما في عنف عن الوجود منذ ألف ومائتي عام ،

المماليك السلطانية وأجناد الحلقة . أما المماليك السلطانية فكانوا أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعهم قدرا ، وأشدهم إلى السلطان قربا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة .

وأما أجناد الحلقة فهم عدد جم وخلق كثير ، ولكل أربعين نفساً منهم مقدم ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر في الحرب ، فإن مواقفهم معه ، وترتيبهم في مواقفهم إليه .

ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان في السفر كالحرس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الإسم الملك الصالح نجم الدين أيوب(١) . وللجيش هيئة أركان حرب كان السلاطين يعتدونها لرسم الخطط وإعداد العدة ، ولم يكن للسلطان بد من أن يعنى برأيهم ويعمل به ، وكثيرا ما كان يخبرهم أنه كأحدهم يكفيه فرس واحد ، وجميع ما عنده لمن يجاهد في سبيل الله(٢) .

وكان الجيش مقسما خمسة أقسام : مقدمة ، وتكون أمامه لتبدأ المناوشات وتتعرف الطرق وترتاد المواضع وهي غالباً من الفرسان ؛ وقلب ، وهو وسط الجيش وفيه يتخذ القائد العام مركزه غالباً حتى يراه جميع الجند لتنفيذ جميع أوامره ، أو في المقدمة ليثير حماسة الجند ويلقى الفزع في نفوس أعدائه ، وفي عريش له على ربوة يشرف منها على جيشه . أما الكتيبة الثالثة فتوضع يمنة وتسمى الميمنة ، كما توضع الرابعة على يسارها وتسمى الميسرة ، ويطلق عليهما الجناحان ، وتوضع الكتيبة الخامسة في الخلف وتسمى ساقة الجيش . وكان لكل فرقة من هذه الفرق الخمس أمير يأتمر بأمر القائد يقال له صاحب الميمنة أو الميسرة وهكذا(١) .

ويتكون الجيش من المشاة والخيالة ومن أجل هذا عظمت العناية بأمر الخيل .

(يتبع) **أحمد أحمد بدوى**

---

(١) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥

(٢) السلوك ج ١ ص ٥١٥

(١) من كتاب نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ١٨٣

وبقى حديثهما فى شعر مطيع معطراً بعبير الخلود !

لم يكن مطيع هداراً لجباً يجذب بروعته الأبصار كالإقيانوس الصاخب ، بل كان شعره ينحدر رقيقاً عذباً كالغدير المترقرق ، وذلك شأن من يقصر فنه الشعرى على الغزل الرقيق ، والمجون الطريف ، فلا يحيد عنهما إلى المدح إلا فى ظروف خاصة تفرضها المحاباة ، وتقتضيها الطاعة فى عصر تطلع فيه الأمراء إلى المدح والإطراء . وكانت حياة اللهو والمرح قد غمرت مطيعاً بمباهجها الفاتنة ، فاصطحب الخلعاء ، ونادم الظرفاء ، وتحفز إلى أسراب الكواعب يسارقهن البسمات ، ويخالسهن الصبوات . غير أن الدهر لم يفلته من كيده ، فقد أوقعه فى غرام جارية فاتنة تحت يده ، فملكت عليه فؤاده ، وتخطفت أزمة رشاده ، ثم حزبه الخطب الملم ، فاضطر إلى بيعها اضطراراً ، وهام فى الآفاق على وجهه ، فقذفت به النوى إلى حلوان ، ثم برّح به الشوق إلى حسنائه ، واشتعل الحنين فى أحشائه ، فنظر فيما حوله ذات اليمين وذات الشمال ، فرأى عن كثب نخلتين متجاورتين ترتفعان فى الأفق إلى مدى شاهق ، وقد هبت بهما رياح منعشة ، فرنحت عطفيهما ، وحاولت أن تضمهما ضماً يبرد الغلة وينقع الشوق ، فاشتبكت فروعهما السامقة فى أجواز الفضاء وقتاً غير قصير !

منظر عاطفى أخاذ ، عصف بالشاعر عصفاً عنيفاً ، فتذكر ملاعب الصبوات ، وعهود المسرات ، وحسد النبات على التئام شمله ، واكتمال صفائه ، وكأنه تصور للنخلتين آذاناً تسمع ، وعقولا تفهم ، فأخذ يحدثهما بضربات الدهر ، وفتكات الأيام ، ثم استشهد بنفسه على صحة ما ادعاه ، فذكر جاريته الحسناء ، وكيف كانت تذهب شجونه وتسرى همه ، غير أن الزمان لا يبقى على أنس ، فاستل روحه من جسمه ، ووقف له بالمرصاد أنى سار ، وهو لابد سيقف للنخلتين موقفه منه ، فتبدلان وحشة بعد أنس ، وتناءيا غب لقاء . وهكذا يتشاءم الشاعر تشاؤماً يرفه عن خاطره ، ويبرد من لوعته ، وفى النفوس من يلحقها الألم الممض فتشتعل من الغيظ اشتعالا ، حتى إذا لحق بغيرها من الأشياء سرى عنها بعض الشىء وأخذت تبصر وتتأسى بالمصاب الجديد . ولقد علل مطيع نفسه بما سيلحق النخلتين — قبل وقوعه — فبردت جوانحه ، وطفق يصف شجونه التجاربة ، إذ يقول :

أسعدانى يا نخلتى حلوان ... وابكيا لى من ريب هذا الزمان
أسعدانى وأيقنا أن نحساً ... سوف يأتيكما فتفترقان
ولعمــــرى لو ذقتما ألم الفر ... قة أبكاكما الذى أبكانى
كم رمتنى صروف هذى الليالى ... بفراق الأحباب والخلان
جارة لى بالرى تذهب همى ... ويسرّى دنوهـــا أحزانى
ورغمى أن أصبحت لا تراها العين منى وأصبحت لا ترانى

وإذن ، فقد روّح الشاعر عن نفسه ، وأزال بوعيده المنكود ، ونحسه الأشأم بعض ما يناديه من الوساوس . وكأن النخلتين قوة أصاختا لشعره فأسعدتاه بما يريد ، أو هكذا تخيل ذلك ، نخف إلى بغداد بارد الصدر ، وقابل صديقه حماداً فأسمعه ما قال فى النخلتين من الشعر ، وعبر عن سروره بما تخيله من الإسعاد والعون . وتمضى الأيام فى سيرها الرتيب فتميل على قوم بارفاهية والأمن ، وتلهب آخرين بسياطها الملتهبة ، فتصهر الأفئدة ، وتحرق الجلود ، ومنهم حماد صاحب مطيع ، فقد ثارت به عاصفة هوجاء كادت تطيح بحياته ، فتذكر شعر صاحبه ، وخف إلى سدرتين ماثلتين بقصر شيرين ، وهو يظن كل الظن أنهما ستسعدانه ، وستمثلان دور النخلتين أصدق تمثيل . وينظر حماد إلى السدرتين الشاخصتين فلا يحس براحة ، فينقلب إلى منزله ساخطاً ناقماً ، ويجمجم بحروف حزينة تألف منها هذان البيتان:

جعل الله سدرتى قصر شير ... ين فداء لنخلتى حلوان
جئت مستسعداً فلم تسعدانى ... ومطيع بكت له النخلتان!

والواقع أن مطيعا رغم تحامله على القرينتين الآمنتين ، قد أسدى إليهما يداً بيضاء ، فقد نبه من خمولهما المستكين ، وذاع شعره فى الناس فأخلصهما من أزمتين حادثين ، فقد مر الخليفة الباطش أبو جعفر المنصور بالعقبة ذات يوم فوجدهما تزحمان الطريق ، وتموقان القوافل المحتشدة عن السير بضع ساعات ، فأمر باستئصالهما فى غير هوادة ؛ ولكن أبيات مطيع ترن فى أذنيه ، ويتقدم إليه أحد أعوانه فيقول فى تضرع ذليل : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس الأشأم الذى عناه مطيع فى قوله :

أسعدانى وأيقنا أن نحسا ... سوف يأتيكما فتفترقان !

فيتراجع المنصور الجبار عن قصده ، ويخشى أن يزيل النخلتين فيتناقل الناس أنه النحس الأشأم ثم يستعيد الأبيات فيثنى عليها

فى لباقة وبهش لذكرى مطيع ، فيخصه بجانب من الأطراء ، وذلك ظفر عظيم للنخلتين ، وكسب هائل لشاعر مستكين .

وسيعجب القارئ حين يعلم أن خليفة جباراً كالمنصور يرتاح إلى ماجن خليع كمطيع !! مع أنه فوق سيرته الداعرة قد صاحب الخلفاء الأمويين ، وغرق فى لجج متراكبة من نوالهم الجزيل ، مما يهيج عليه أبا جعفر ، بل يوجب أن يلتمس من جنونه العابث مقتلا يرديه ، فيمحق نديم أعدائه ونجىّ خصومه ، ولكن القدر قد هيأ للشاعر فرصة مكنته من التزلف للمنصور ، فاستل سخائم صدره ، وبدد غياهب مقته ؛ فقد اختفى الشاعر حقبة طويلة فى مطلع العهد العباسى ، حتى إذا علم بما اعتزم عليه المنصور من مبايعة ولده المهدى بالخلافة ، كشف عن نفسه اللثام ، ودلف إلى الحفل الحاشد فى جرأة عجيبة ، ثم صاح فى الناس بأضخم صوت وأعلاه ، فروى عن أناس من المحدثين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : (المهدى منا محمد بن عبد الله ، وأمه ليست عربية) والجمهور فى كل زمان ومكان كالأطفال يؤمن بالترهات ويدين بالأباطيل ، فصفق للراوى الآفك ، وصدق ما قال بدون تمحيص . ولم يخف على أبى جعفر افتراء مطيع ، ولكنه وجد لكلامه ثمرة نافعة ، فغمره بعطفه وأمنه على نفسه ، فقر القلب الواجب ، ونام الطرف الساهد ، وأنس الهائم الشريد .

ولقد مات أبو جعفر ، وقام بالأمر من بعده ولده المهدى ، وكان ذا شغف بالرحلات المتنوعة ، فوصفت له عقبة حلوان ، فأصدر أمره بالمسير إليها ، فأخذت زينتها ولبست من التنميق حلة زاهية ، وبالغ العمال والصناع فى زخرفة المكان زخرفة تليق بالزائر العظيم ، ثم حانت ساعة القدوم ، فحضر الخليفة فى ملإ من سماره وندمائه ، وامتد بساط الأنس فصدحت المزاهر وعزفت القيان ، وكان فى المغنيات جارية أديبة تدعى « حسنة » فجالت ببصرها فى العقبة فرأت عن كثب نخلتى حلوان ، وقد بقيتا على العهد متجاورتين متصافيتين فما جاء دورها فى الغناء حتى انطلقت تصدح بقول ابن أبى ربيعة :

أيا نخلتى وادى بوانة حبذا ... إذا نام حراس النخيل جناكما

ودار الخليفة ببصره فرأى نخلتى حلوان ، فعلم أن جاريته تعنيهما من طرف خفى ، فأراد أن ينغص عليها صفاء الحفل فقال : لقد خطر لى أن أقطع النخلتين فهما ترجمان الطريق ، فصاحت الجارية كالشدوهة « أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس الأشأم الذى تنبأ به مطيع » فتبسم فى عجب وقال لمغنيته الجميلة : أحسنت فى رأيك ، والله لا أقطعهما ما حييت ، ولأوكلن بهما من يتعهدهما بالسقيا والإنماش . ثم عين لهما ساقياً مخلصاً ، فما زال موكلا بهما حتى مات أمير المؤمنين !! وانتهت الأزمة بسلام . ولكن أى شىء يبقى على الأيام ؟! لقد عصف الدهر بأطواد شامخة رسخت أصولها فى باطن الأرض وناطحت قمتها الجوزاء ، فهل يبقى على نخلتى حلوان ؟ كلا ! فقد فاجأهما النحس المشئوم على يد الرشيد ؛ حيث هاج به الدم مرة فى حلوان فأشار عليه طبيبه أن يأكل جمّار نخلة فارعة ، فبحث أعوانه لدى الدهاقين فما تيسر لهم الدواء ، ففزعوا إلى إحدى النخلتين فقطعوها فى عجلة وأتوا بالدواء للرشيد . ومر الخليفة بالنخلة الباقية فى إحدى روحاته فتذكر بيت مطيع ، ووقف فى مكانه واجماً ساهماً ، كمن ارتكب محظوراً خطيراً لا يمكن تلافيه ، ثم قال فى حسرة كظيمة : عزيز علىّ أن أكون النحس المفرق ، ولوددت أنى لم أذق الدواء ولو قتلنى الدم بحلوان .

واهاً لمطيع !! لقد جعل الرشيد يتحسر على استئصال نخلة حقيرة ، وكأنه قتل — بدون جرم — إنساناً ينبض بالحركة ، ويجيش بالحياة ، كما أتاح للنخلتين حديثاً يروى مدى الأحقاب ، وجعل منهما مادة دسمة للشعراء ، فنظم أحمد بن إبراهيم الكاتب فى رثائهما أبياتاً دامعة ، وارتفع بهما شاعر آخر إلى مرتبة عالية ؛ فوازن بينهما وبين عاذلين من بنى الإنسان ، والتمس لهما العذر فى رفق ملموس (1) . فهل كان يدرى مطيع حين نظم أبياته أى قصة عجيبة مثل فيها الفصل الأول وختم الرشيد فصلها الأخير؟ أجل لقد كتب الشاعر لنخلتيه تاريخاً يطالعه القراء كما يطالعون ترجمة عظيم مثّل دوره السياسى ثم لقى حتفه فترحم عليه الجميع .

ارحم الغصن لا تنله بسوء ... قد يحس النبات كالإنسان

(جزيرة الروضة) محمد رجب البيومى

---

(1) يقول بعض الشعراء :

أيها العاذلان لا تعذلانى ... ودعانى من الملام دعانى
وابكيالى فإننى مستحق ... منكما بالبكاء أن تسعدانى
إننى منكما بذلك أولى ... من مطيع بنخلتى حلوان
فهما تجهلان ما كان يشكو ... من هواه وأنتما تعلمان

أساليب التفكير :

التفكير في الشرق القديم

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وبعد فذاك لون خيالي من التفكير ؛ بيد أنه يستر وراءه نزعة فلسفية ناشئة تغالب الخرافة ؛ وتسعى إلى إيجاد حل معقول لمشكلة الخير والشر في العالم : هل هما من مصدر واحد ؟ لا — فذلك ما لا يقبله عقل زرادشت الحكيم ؛ إذ كيف يتسنى أن يصدر النقيضان عن مبدأ واحد ! ؟ لا بد إذن أن مظاهر الشرور من أمراض وجرائم وموت وقبح وشقاء ترجع إلى علة غير العلة التي ترجع إليها مظاهر الخير من عافية وإحسان وفضيلة وحياة وجمال وسعادة . ولكن العقل قاصر كما قلنا ، فهو يفرض وجود العلة ويعجز عن معرفة كنهها ، حينئذ يلوذ بالخيال يلتمس عنده ما لم يجده في رحاب العقل ، فيخرج بصورة رائعة ترضى نزوعه إلى المعرفة إلى حين : تلك هي صورة الصراع المحتدم بين حزبين على رأس أحدهما « أورموزدا » وعلى رأس الآخر « أهريمان » .

ولكن هذه النتيجة لا تشبع العقل ، ولا تشفي غليله ألاخير أم للشر ؟ وهل يعقد النصر لحزب الحق أم لحزب الباطل ؟ لو أجاب زرادشت على هذا السؤال مستنداً إلى الاستدلال البريء من الهوى والرغبة ، ودعم إجابته بالدليل المنطقي والبرهان ، لقلنا إنه أنتج فلسفة وفكر تفكيراً فلسفياً ، ولكنه يحكم طوره المبكر في عالم التفكير ، يستجيب لنزعة التفاؤل المتمكنة من نفسه ، فيغلب الخير ، لا لضرورة منطقية ، ولا ليقين عقلي ، ولكن لإيمان قلبي ، ورغبة نفسية ، يحتمان عليه أن ينتصر الخير ويعم الجمال وتسود السعادة في نهاية الأمر . وهكذا نلمس لدى الفرس ما لمسناه في تفكير المصريين . دوافع نفسية تحرك الخيال فيصوغ الآراء صياغة حسية ، ويصور العالم صورة خيالية ذاتية لا صورة واقعية موضوعية .

وتقرب من هذه المحاولة الفارسية محاولة هندية يمثلها البراهمة وهم الكهنة الحفاظ على الديانة الفادية [1] التي ترجع إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، والتي توزع قوى الطبيعة على آلهة عدة لكل منها دوره في تدبيرها . كان البراهمة كهنة لهذه الديانة جمعوا بين العلم والدين ، وليس هذا بعجيب إذا علمنا أن الفادية مشتقة من فيداس [2] أي العلم ، وقد تطورت الديانة الفادية بفضلهم تطوراً اقتضاه تبدل الأحوال ، وارتقاء التفكير ؛ فخرج المذهب البرهمي في القرن التاسع قبل الميلاد بفكرة فريدة في هذه العصور الخالية التي تسود فيها الوثنية أو تعدد الآلهة ، هي فكرة الإله الواحد رغم تعدد مظاهره . براهما الذي أخرج العالم من ذاته ، والذي يحفظه ويرعاه ، والذي يهلكه ويفنيه . فهو ثلاثة في واحد ، أو هو واحد ذو مظاهر ثلاثة ، هو براهما من حيث هو مبدأ الوجود ، وهو « فشنو » إذا نظرنا إليه من حيث عنايته بالكون والمحافظة عليه ، وهو « سيفا » من حيث كونه المهلك . وما براهما وفشنو وسيفا غير أسماء ثلاثة لإرادة واحدة لا حد لها ، وقدرة فريدة لا نهاية لها . أما الموجورات أو الجزئيات التي ندركها بحواسنا ، فهي مجرد مظاهر حسية مفككرة لحقيقة كلية واحدة هي « براهما » المنبث في أرجاء الكون جميعاً .

وهكذا يبلغ البراهمة نظرية فلسفية سوف تصادفنا كثيراً في سياق الحديث عند تاريخ الفلسفة ؛ تلك هي نظرية الحلول ؛ نصادفها عند متصوفة الإسلام في القرون الوسطى وسبينيوزا في العصور الحديثة . وقد ارتكزوا على هذه النظرية في تفسير الخير والشر والسعادة والشقاء ؛ فأرجعوا الخير والسعادة واللذة إلى الوحدة ، واعتبروا الكثرة الوهمية والرغبة في الانفصال عن الإرادة الكلية علة الألم والشر والشقاء في الحياة الدنيا ؛ وعليه يصبح بلوغ السعادة عملا يسيراً ، فما عليك إلا أن تستجيب لنداء الوحدة والحقيقة ، فتتجرد من لذات البدن ، وتتجرد من أوهام الحواس التي تفصلك عن الكلي اللانهائي ، وتقطعك عن الأصل الإلهي ؛ ولا يتأتى ذلك إلا بمجاهدات نفسية ، ورياضات جسدية عنيفة ، تأخذ نفسك بها كما يفعل اليوم فقراء الهنود الذين يتصلون بسبب قريب بهذه الفلسفة القديمة البدائية وهنا نلمح كيف أدت النظارة الهندية للعالم إلى نظرية عملية ، تستهدف تدبير حياة الفرد

---

(١) Védsme (٢) Védae

والجماعة بما يكفل لهم سعادة أبدية . وهذه لعمرى ميزة تسم الفكر الشرقى القديم : أعنى بها عدم الوقوف عند تفسير العالم الطبيعى وتجاوز ذلك إلى مباحث أخلاقية فى الخير والشر ، والسعادة والشقاء ، واللذة والألم ، مباحث أفضت إلى حكمة عملية ، ونقصد بالحكمة العملية ذلك الجانب من الفلسفة الذى يتناول بالبحث مبادئ الأخلاق والسياسة .

وما دمنا قد ذكرنا الحكمة العملية فلا بد أن نشير إلى زاهد قبيلة سكيا المتوفى سنة ٤٧٧ قبل الميلاد (١) « بوذا » الحكيم الذى جمع من الأتباع ، وخلف من الأنصار ، ما لم يتيسر لكثيرين من قادة الفكر ودعاة الدين فى كثير من العصور . لا بد أن نشير إلى بوذا فهو خير ممثل للحكمة العملية فى الشرق القديم ، وأقدر مفكرى عصره على التحرر من الخرافة ، وأقربهم إلى النزعة الفلسفية التى لا تبالى بالموروث ، ولا تنى عن السعى إلى الحقيقة الخالصة ، حتى لنجد لديه بذور مذهب فلسفى شاع فى العصور الحديثة ، مذهب ينكر وجود جوهر اسمه العقل أو الذات وإنما الموجود ظواهر نفسية ، ووقائع شعورية ، وأفكار تتابع وتتلاحق دون حاجة إلى جوهر يحمل هذه الأمور جميعاً ، فنحن نفكر ونعقل ونتخيل وندرك ونشعر ، وتتتابع الأفكار والمعانى والأخيلة والمدركات والمشاعر ، فليس ما يدعونا إلى القول بنفس أو عقل أو ذات تحمل هذه الأمور .

ذلك مبحث فى صميم الفلسفة يعد وثبة فكرية رائعة ، ويضع لبنة من لبنات الميتافيزيقا . وقد استنتج بوذا من هذه النظرية نظرية فى الميتافيزيقا هى إنكار « براهما » أى أصل الوجود عند البراهمة ، استنتجها استنتاجاً منطقياً من رأيه فى الذات الفردية ؛ ولكنه رغم ذلك لا يزال يتصل اتصالا وثيقاً بالفكر الخرافى الذى يتأثر بالدوافع النفسية ، ويستلهم الخيال فى كثير من الأحيان ، ناهيك بالجانب الأخلاقى فى فلسفته الذى يجعل الزهد فضيلة الفضائل ، وفناء الشخصية (النيرفانا) غاية الغايات . ولن أترك الحديث عن اللهم الحكيم ، قبل أن أشير إلى آرائه فى الفلسفة السياسية ، من استنكار لنظام الطبقات ، وإعلان المساواة التامة ، وإقرار بفكرة التعاطف بين البشر ، ومبدأ السلام والمسالمة ؛ وجميعها آراء تستهدف نفس الغاية التى أنتجت فلسفته : وإفناء الشخصية الفردية ، وتغليب الطبيعة العقلية على الطبيعة الحسية ، وإخضاع الإرادة الجزئية للإرادة الكلية .

وآخر مثال أزجيه من التفكير الصينى . ومن أحق بالذكر من بين قادة الفكر الصينى القديم من « كونفوشيوس » ، الذى عاش فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد . أفكاره عملية أى أخلاقية سياسية . ففى الأخلاق يؤكد فكرة الواجب وضرورة صدورها عن العقل ، وضرورة تكميل النفس ويلح على أن الفضيلة اعتدال أى وسط بين الإفراط والتفريط ، وينهى عن التطلع إلى المستقبل فهو هم وألم . وأما فلسفته السياسية ، فترتكز على عداء للحرب وإيمان بالسلام والعالمية . ويعتبر مثلا قديماً من أمثلة الدعوات إلى السلام والإيمان بضرورة جعل العالم أسرة واحدة متحابة متعاونة متكاملة ، فليتأمل أقطاب هيئة الأمم المتحدة هل أتوا بجديد ؟ ولينظر مفكرو الغرب كيف ساهم الشرق القديم فى دعم السلام العالمى والأمن الجماعى بفكره ولما يزل فى دور الطفولة .

بعد هذا العرض السريع لتراث فكرى دفع العقل إلى الأمام بما قدم من غذاء لعصور تالية ، نقف هنيهة نتساءل : أليس من الخطأ أن نقول إن الفكر الشرقى القديم خرافى كله ؟ ونجيب عن أنفسنا : إن الخرافة كانت تسود فى هذه العصور ، ولكن الفلسفة كانت تطل برأسها بين الفينة والفينة ، وترسل بارقة مضيئة بين الحين والحين ؛ حتى نرى الفكر الهندى والصينى يضرب بسهم فى عالم الفلسفة ، فقد حاول الهنود والصينيون تفسير بعض جوانب الكون تفسيرات عقلية ، كان يمكن أن تصير فلسفة لولا تقيد ببعض أغلال التقاليد ، وهروع أحياناً إلى الخيال ، وتناثر فى الآراء ، وإعواز إلى مذهب يلم شتات هذه الأفكار المبعثرة والنظرات المتفرقة ، واقتصار على الفلسفة العملية سياسية كانت أو أخلاقية . ولو قد تجرد هؤلاء القدماء من النزعة الدينية الساذجة وأخذوا أنفسهم ببعض التأليف بين النظرات المبعثرة لأمكن أن يخرج اتجاه ميتافيزيقى عام كما حدث عند اليونان إبان عصر الفلسفة .

(حلوان)

عبد المنعم المليجى
مدرس الفلسفة بحلوان الثانوية

(١) أنظر « دروس فى تاريخ الفلسفة » تأليف الدكتور إبراهيم مدكور والأستاذ يوسف مكرم

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٥)

(١) النفس عند ابن سينا (٥)

للأستاذ كمال دسوقي

إلى هنا أثبت لكم الشيخ الرئيس وجود النفس، ووجودها مفارقة للجسمية والمادة . ويهمنى أن أنبهكم – أيها المتسابقون البواسل – إلى أن ابن سينا هنا فى إثبات وجود النفس على غير عادته – أعنى أنه فى رسالته فى النفس التى قلت لكم إنه ألفها ولم يبلغ العشرين للأمير نوح بن منصور الساماني قد نحا النحو الأرسطي فى التصدى لإثبات وجود النفس قبل الشروع فى تعريفها وتقسيمها إلى نباتية وحيوانية وناطقة ، ثم فى تصنيف قوى كل من هذه النفوس ، فقد كان فى ذلك الحين مقتنعاً اقتناع أرسطو بضرورة إثبات وجودها أولا . وفى ذلك يقول فى مطلع رسالته المذكورة : (من رام وصف شيء من الأشياء قبل أن يتقدم فيثبت أولا أنّيته (يعنى وجوده) فهو معدود عند الحكماء ممن زاغ عن محجة الإيضاح . فواجب علينا أن نتجرد أولا لإثبات وجود القوى النفسانية قبل الشروع فى تحديد كل واحدة منها وإيضاح القول فيه ... الخ ص ٢٠ وما بعدها من نشرة فنديك للرسالة مصر ١٣٢٥ هـ

هذا ما يقول به ابن سينا حين يكتب فى النفس كتاباً أو رسالة مستقلة ، أما حين يكتب عنها فى كتاب عام شامل كالنجاة فيرى أن يتناولها دائماً فى موضعها من سلسلة الموجودات التى سبق أن أظهرتكم عليها ، ويتحتم حينئذ ألا يعرض لإثبات وجودها إلا بعد أن يقسمها إلى أقسامها الثلاثة حتى ترتبط بما قبلها وما بعدها فى سلسلة الموجودات ، وهو بذلك لا يزيغ عن محجة الإيضاح – كما حكم على غيره ونفسه – لأنه هنا أكثر منطقية وأكثر تحرراً من أرسطو . وأياً كان موضع إثباته لوجود النفس ؛ فإنه يذهب فى هذا الإثبات مذهباً واحداً بعينه : هو التدليل على أن الحركة والإدراك – اللذين هما من أخص خصائص القوى النفسية – هما من قوى زائدة عن الجسم ، مفارقة للبدن (بدليل أن الأجسام لا تشترك كلها فيها) – ثم يتدرج إلى تقسيم النفوس إلى الأنواع الثلاثة المعروفة من الأعم إلى الأخص فتعريف كل منها وتفصيل قواه وملكاته على نحو ما تبين لكم من قبل .

وإذ أثبت وجود النفس ، ينتقل إلى إثبات صفات أخرى تتعلق بهذا الوجود ، كالوحدة ، والحدوث ، والخلود ، وعدم التناسخ – فبعد تناول الذات يقرر الصفات ، كما يفعل فى قسم الإلهيات حين يورد البراهين لإثبات واجب الوجود (الله) ثم يتبع ذلك بإثبات صفاته . وأول ما يتناول من هذه الصفات حدوث النفس أى أنها ليست قديمة ولا أزلية ، بل مخلوقة وحادثة ولم توجد قبل البدن بحال – لأنها إن وجدت قبل البدن كانت ذاتاً واحدة أو ذوات متعددة . فإن كانت الأنفس كثيرة ومتعددة قبل حلولها فى الأبدان لزم عن ذلك محال ؛ لأن تغايرها حينئذ كجواهر مجردة ذات صورة واحدة لن يكون من حيث الماهية أو المدد ، بل من حيث القابل أو الحامل لها الذى هو البدن – فقد بطل إذن أن تكون مختلفة الذوات . ويمثل ذلك يبطل أن تكون النفس واحدة ، لأنها إن كانت كذلك فكيف تنقسم فى أجسام كثيرة أو تحل فى أبدان عديدة ؟ فالنفس إذن تحدث بحدوث البدن وتولد معه تدبر أمره وتديره . وتظل تنمى به وتكمله إلى أن تفارقه .

وحين يموت البدن لا تموت النفس ، لأن فساده لا يترتب عليه فسادها ، فهى ليست متعلقة به أىّ نحو من التعلق : فلا هى مكافئة له فى الوجود ، ولا هى متأخرة عنه فى الوجود ، ولا هى قبله بالذات أو بالزمن كما سبق أن أوضح ذلك . أما علاقة التكافؤ فباطلة ، لأن التكافؤ إن كان ذاتياً كان النفس والبدن جوهرين أحدهما مضاف إلى الآخر ، وإن كان عرضياً بطل الذاتى منهما بفساد العرضى ولم يفسد مثله . ولن يكون ثمة تكافؤ على أى حال . وأما علاقة التأخر فى الوجود بالنسبة إلى النفس فباطلة أيضاً ، لأن الجسم حينئذ سيكون علة وجودها ، ويمتنع أن يكون البدن علة فاعلة للنفس ؛ لأن الجسم فى ذاته غير فاعل ، وصورة المادية لا تفعل إلا بالقوى الروحية التى فيها ، كما يمتنع أن يكون البدن علة قابلة للنفس ، لأن النفس ليست منطبعة فى البدن ، ولا هو

مقصود بصورتها فى كله أو فى جزء جزء منه — كما بين ذلك فى حديثه عن تجرد جوهرها — ويمتنع كذلك أن يكون البدن علة صورية أو مكملة للبدن ، إذ العكس أدنى إلى الحق ، فليست النفس معلولة بالبدن ، وبالتالى لا علاقة لها به على أساس التأخر فى الوجود . حقاً إن البدن علة بالعرض لوجود النفس ؛ لأنه متى وجد محل وجودها ومملكتها أحدثتها العلة الفاعلة الإلهية (العقل الفعال) لتحل فيه . فالمادة سابقة بتهيئها واستعدادها لقبول النفس ، ولكن النفس توافيها حالما يتم لها هذا التهيؤ والاستعداد حتى لا تبق الآلة معطلة . والذى يعنينا هنا أن وجوب حدوث النفس بحدوث الجسم لا يستلزم وجوب فسادها بفساده ؛ فهى من جوهر غير جوهره ، وواهب هذه الصورة النفسية (العقل الفعال) غير جسمى كذلك : فهو العلة الفاعلة الحقيقية للنفس . وليس تقدم البدن على النفس فى الوجود — إن صح — تقدم علة لمعلول بحال .

أما العلاقة الثالثة : تقدم النفس على الجسم فى الوجود — فهو إما تقدم زمنى — فلا يكون ثمة علاقة — أو تقدم ذاتى فيلزم أن يحصل المتأخر كلما حصل المتقدم بحيث إذا انعدم المتأخر فلا بد أن يكون قد حصل للمتقدم فى نفسه شىء أعدمه ؛ يعنى أن فساد البدن يرجع حينئذ إلى فساد فى النفس ذاتها ترتب عليه فساد البدن ، ولكن فساد البدن وتحلله — كما نعلم — هما من ذاته ، فبطل إذن تعلق النفس بالبدن علاقة تقدم زمنى او ذاتى . وبطلت بذلك أنواع العلاقات الثلاث كلها ، وثبت أن النفس لا تموت بموت البدن .

بل إن النفس لا تقبل الفساد أصلاً ؛ يعنى أنها أبدية خالدة éternelle وحجته فى ذلك قوية رائعة ، فالشىء الذى يقبل الفساد فيه البقاء بالفعل en acte والفساد بالقوة En Puissence ولا يجوز أن يجتمع هذان المعنيان فى الأشياء البسيطة المفارقة وبالجملة فى أى شىء ذاته واحدة . فان عرضا لشىء فلا بد أن تكون ذاته مركبة من شىء إذا حصل كان باقياً بالفعل . وإذا امتنع كان فاسداً بالفعل (ولكى تصلوا إلى فهم ابن سينا هنا اذكروا مادُرس لكم من أن أساس الملكة والعدم فى المنطق واحد . وابن سينا يعترض هنا على جعل أساس للملكة وأساس للعدم — أى للبقاء والفساد — هذا بالفعل وذلك بالقوة . وما دامت النفس بسيطة غير منقسمة أو مركبة ، وباقية بالفعل ؛ فهى لا تفسد ، وليس لها قوة فساد . أما الذى يفسد فهو المادة المركبة التى لها قوة أن تقبل البقاء وتقبل الفساد .

والنفوس لا تتقمص ولا تتناسخ . فقد أوضح من قبل أن حدوث النفس إنما يكون نتيجة تهيؤ الأبدان لقبولها ، هذا التهيؤ يقتضى وجود النفس أصلا كملة مفارقة جديدة لا منتقلة من بدن آخر — ولو كانت النفوس تتناسخ الأبدان واحداً بعد آخر لكان حلولها فيها من قبيل الصدفة المرضية البحت . ولكان التكثر فى هذه النفوس يحدث من قبيل الاتفاق والبخت (فارسى معرب يراد به المصادفة Par hasard بالفرنسية أو By Chance بالإنجليزية) . بينما إثبات حدوث النفس بالطريقة التى تقدم بها ابن سينا يجعل علة طول الأجسام فى الأبدان بعد تمام تهيئها (Disposition فى الانجليزية والفرنسية هى ما نقصد هنا بالتهيؤ) علة ذاتية ضرورية لا مجال فيها للصدفة أو الاتفاق العرضى . ثم إن النفس التى تتناسخ جسما تكون زائدة فيه عن نفسه التى وافته بعد تمام استعداده على النحو الذى ذكرنا — فيكون للجسم نفسان : إحداها قطعاً لا تُشغل لها ولا عمل — ولا يشعر بها الجسم ولا تشعر هى بذاتها (لأن كل ذى نفس فهو وهذه النفس شىء واحد) فما عمل هذه النفس الثانية وما قيمتها (إذ أن علاقة النفس بالجسم — كما سبق أن بين — هى علاقة اشتغال وتدبير لا مجرد انطباع وحلول) — فضلا عن أنه ليس جسم أولى من جسم بأن يكون لهذا نفسان ، ولذاك نفس واحدة . فالتناسخ باطل وخُلف .

والنفس — رغم كل هذه التعريفات والتقسيمات — ذات واحدة ؛ واحدة وإن تعددت القوى وتشعبت الملكات . لأن هذه الملكات والقوى لو لم تكن تؤدى إلى مبدأ واحد لصدر عن كل منها أفعال مختلفة الأجناس . فمثلا قوتا الإحساس والغضب لوكانتا شيئاً واحداً لكان منهما قوة واحدة يصدرعنها الإحساس والاستجابة بالغضب — مع اختلاف جنسهما كفعلين ، وإن كانتا قوتين مستقلتين لكان يستحيل فعل أحدهما باستحالة فعل الآخر . ولما كان فعل كل قوة خاص بالشىء الذى هو قابل له ولا يصلح لغيره ، وكانت هذه التأثيرات يرد بعضها لبعض ،

ويستجيب بعضها لبعض ؛ لم يبق إلا أنهـا تؤدى جميعاً إلى مبدأ واحد .

ويتجرد ابن سينا بعد ذلك لرد شبهات على وحدة النفس ، ويأتى فى هذا الصدد بحجة يسبق بها الفلاسفة المحدثين فى إثبات وجود النفس هى الحجة المعروفة بالأنا Le Moi . ومؤدى هذه الشبهة أن الانفعال بالغضب — فى المثال السابق — ليس عن الصورة المحسوسة ، وإن يكن نتيجة للحس ، وابن سينا يصر على بطلان هذه الشبهة . ويؤكد حدوث الانفعال بالغضب عن تأثير الحس ما دام الإنسان حاساً . ويعمد بعد هـذا إلى تحليل قولنا : أنا أحس ، فيرى أن هذا (الأنا) إماجسم الإنسان أونفسه ؛ فإن كان جسمه فهو إما جملة أعضائه — وهو محال ، وإما بعض أعضائه -- فيكون أحدها أحس والآخر غضب — وقد ظهر بطلان ذلك من قبل ، وإما عضو واحد أحس فغضب — وهو مردود أيضاً إن أردنا العضو بمعناه الحقيقى -- فإن كان ولا بد أن الحاسّ والغاضب شىء واحد ، فهو هذه القوة التى قلنا إن الملكات ترتد كلها إليها — القوة الواحدة التى ليست جسما ولا فى جسم ، بل هى النفس .

فأنتم هنا بصدد سبق فلسفى رائع أتى به ابن سينا قبل أن يقول به ديكارت بقرون ، وأعنى به إثبات وجود الذات بالتجربة الداخلية والتأمل الباطنى ؛ فالشك يدل على الشاك ، والفكر على المفكر ، والحس على الحاس ، وهو ما نسميه اليوم بالكوجيتو الديكارتى (نسبة لعبارته المشهورة : أنا أفكر ، فأنا إذن موجود Je Pense . Donc Je suis والفعل (يفكر) هو فى اللاتينية التى كتب بها ديكارت Cogito وهو سر هـذه التسمية) .
وابن سينا مدرك ما فى هذا البرهان من جدة وطرافة ، وهو يعلق عليه بقوله : فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ... فمن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره فى نفســه تصوراً حقيقياً فقد أدرك ما غاب عن غيره ؛ بمعنى أنه يستطيع أن يستبطن نفسه بحق . واستبطان المرء ذاته ، والدخول فى نفسه دون حواســه — التى يجب أن تكون مغلقة تماماً — ليس فى مقدور كل شخص ولا فى كل حين ... الخ » كما يوضح هذا البرهان بقوله : والإنسان إذا كان متهماً فى أمر من الأمور فإنه يستحضر ذاته حتى أنه يقول « إنى فعلت كذا أو فعلت كذا » ، وفى مثل هـذه الحال يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه ... فالمراد بالنفس هنا هو ما يشير إليه كل أحد بقوله « أنا » . وليس المقصود بهـذه الذاتية — كما ظن أكثر المتكلمين — الإشارة إلى البدن ، فهذا ظن فاسد . (راجعوا رسالته فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا . صفحات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) .

وكان ابن سينا يريد أن يخالف أفلاطون فى موضع هذا المبدأ النفسى الواحد — فيجعله فى القلب ، ولكنه لم يلبث أن شكّك فى صحة ذلك لما رأى من مفارقة قوى النفس النباتية والحيوانية والناطقة وتدرجها فى النبات والحيوان والإنسان بحيث لا تتعلق قوة منها بأخرى ، وعاد ففسر هـذا التباين فى مظاهر الحياة التى تتمثل فى كل من هذه النفوس بأن التضاد فى مبادئ ما تحل فيه كل منها بالترتيب يزول شيئاً فشيئاً ، وأنه كلما كان هذا التضاد بين هـذه المبادئ أدعى إلى التوافق والانسجام Harmonie كانت النفس أكثر قبولا لمبدأ نفسى أرقي . يعنى أن العقل الفعال يهب الإنسان نفساً ناطقة أرق : لأن عناصر تركيبه أكثر توافقاً وانسجاماً على نحو ما تفيض الشمس على شىء بمجرد التسخين ، وعلى آخر بمجرد الإضاءة ، وعلى ثالث بالاحتراق تبعاً لمادة كل من هذه الأشياء .

كذلك العقل الفعال مبدأ الفيض وواهب الوجود والصور به تخرج الأشياء من القوة إلى الفعل ، كما تستفاد الصور المعقولة فهو بذاته عقـل بالفعل ، وما عداه من العقول التى ذكرنا فهى منفعلة به هو الذى تسيح منه قوة إلى أشياء الخيال والوهم والحس التى هى معقولة بالقوة لتصير معقولة بالفعل .

وبعد — فهل بقى شىء فى النفس عند ابن سينا لم تعرفه أيها الطالب النجيب ؟ هناك قصص رمزية كرسالة الطير وقصة سلامان وأبسال وغيرهما — وهناك قصائد وأشعار فى النفس أهمها عينيته المشهورة التى شرحها المناوى وغيره — وترجمها إلى الفرنسية وشرحها البارون كارادى فو (المجلة الأسيوية . يوليو وأغسطس ١٨٩٩ ص ١٦٠ وما بعدها) — ولـكن هذه كلها لا تمنيك لما فيها من صوفية وخيال . وحسبك أن وقفت حتى الآن على كل شاردة من مذهب ابن سينا الفلسفى فى النفس .

كمال دسوقى

مادمت أنت معى ...

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

مادمت أنت معى، فلست بآسف — إن فاتنى شىء من الأشياء
حسبى من الدنيا جمالك مونقاً — متفرداً بالسحر والإغراء
وشبابك الدانى القطوف، وإن يكن — أنأى على غيرى من الجوزاء
وربيعك البكر الذى لم تأته — رؤيا خريف، أو خيال شتاء
وهوى بقلبك قد تفيأ ظله — قلبى، ففاز بلذة النعماء
يا روح أحلامى الذى استودعته — حبى، وكا من لهفتى، ورجائى
يا سر أشواقى الذى ناديته — منذ انتفضتُ، بمهجتى ودمائى
يا نبع إلهامى الذى غنيته — فشدا، وبارك فرحتى وغنائى
وبكيت فانتفض الحنان بقلبه — دمعاً يواسى أدمعى وبكائى
يا نور أيامى الذى وافيته — فانساب فجر منه فى ظلمائى
أنت التى جعلت شبابى جنة — قد أينعت بربيعك الوضاء
شرب العبير بها ـ فطار من نحا ـ — خمر السنا، وسلافه الأنداء
الطير فى أفنانها مترنم — والزهر يرقص فوق صدر الماء
والنسمة العذراء تحمل خطوها — نشا، ككل مليحة عذراء
أنت التى ملأت حياتى فرحة — غنى بها قلبى أرق غناء
أنت التى ألهمتنى شعر الهوى — حتى سموت به على الشعراء
كنا معاً طفلين لا ندرى الهوى — إلا حنيناً مبهم الأصداء
ومضى الزمان بنا يصوغ شبابنا — فى قدرة وبراعة وخفاء
حتى انتفضتُ على صبابة آدم — وانقتِ أنت على هوى حواء
فعرفت أن الحب أشعل فى دمى — لهباً، وشب النار فى أحنائى
وسألتنى عن سره ببراءة — فأجبتُ: تلك طبيعة الأحياء!
ومضى الزمان بناء فكان زماننا — سحر الحياة وروعة الأشياء
وعلى يديك شربت من خمر الهوى — ناراً تحنّ لمسها أعضائى
كان الحياء يذودنى عن شربها — حيناً، وحيناً لا يذود حيائى
وعلى يديك شربت من خمر الهوى — نوراً أطير به إلى العلياء
وعلى يديك عرفت أسرار الصبا — عند اللواتى هن سر بقائى
كم ذا تلاقينا، فكان لقاؤنا — من لوعة الحرمان خير شفاء
نجنى ونقطف ما نريد ونشتهى — فى غفلة عن أعين الرقباء
ونظل نبدع ما نشاء من المنى — فى ظل تلك الجنة الفيحاء
حتى إذا حان الفراق تفجرت — فى القلب نار كآبتى وشقائى
ومضيت عنك، وملء نفسى لوعة — أخفى ظواهرها على قرنائى
وبمقلتيك مدامع حيرانة — بين الظهور، وبين الاستخفاء
وعلى يديك ضراعة ملهوفة — كضراعة الظمآن فى الصحراء
أحيا بعيد الدار، يملأُ عالمى — جزَعُ النوى، وكآبة الغرباء
تهفو إليك نوازعى ومدامعى — فيردها هذا المدى المتنائى
وأراك فى قلبى خيالا ماثلا — يبكى معى فى وحدتى الخرساء
وأراك فى أفق الخيال حمامة — حامت على نبع من الأضواء
فيكاد يقتلنى الحنين، وقد مشى — ناراً على كبدى، وفى أحشائى
ويظل يحلم باللقاء وعطره — قلبى، ولكن لات حين لقاء!
ومضى الزمان بنا، فجمع شملنا — فى عشنا المتألق الأجواء
نحيا به إلفين فى ظل الهوى — وعلى رُبا جناته الخضراء
تتألق الآمال ملء شبابنا — كتألق الربوات فى القمراء
وترفرف الأفراح فى أيامنا — مثل الفراش بروضة غناء
حتى إذا ذهب الشباب، وملؤه — وهج الحياة، وجذوة الأهواء
وبدا الشتاء كأنما ثارت به — أيدى الزمان، فضج بالأنواء
لُذْنا بدفء من حنان خالص — ومودة روحية وإخاء
وبذكريات عذبة تحيى لنا — لذات أيام الشباب النائى
وتظل أيامُ المشيب حياتنا — بسعادة ورفافة الأفياء
وبألفة نسج الزمان خيوطها — من روحنا فى قوة ومضاء
فنظل طول العمر يغمر حبنا — أيامنا بسكينة وصفاء
حتى إذا انقضت الحياة ... حياتنا — ودعا الفناء بنا على استحياء
طرنا معاً فى عالم نحيا به — روحين من أرواحه السعداء
أيامنا فيه ربيع دائم — وشبابنا فيه لغير فناء

(الاسكندرية) — ابراهيم محمد نجا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مقدمة « الملك أوديب » لتوفيق الحكيم:

بعد غيبة طويلة يعود توفيق الحكيم إلى قرائه ... ولست أرمى من وراء هذه الكلمة إلى وضع كتابه الجديد فوق مشرحة النقد ، فإن موعدى معه فى الأسبوع المقبل أو الأسبوع الذى يليه ، وإنما أرمى إلى تناول هذه المقدمة بالنقد والتحليل ، لأنها تستحق من الناقد أن يخصها بكثير من التأمل والعناية .

كتب توفيق الحكيم هذه المقدمة ليصل من ورائها إلى هدفين : أولهما أن يقدم للقارئ عرضاً موجزاً لنشأة المسرحية فى الأدب العربى المعاصر ونشأتها فى الأدب اليونانى القديم ... وليقدم له أيضاً بعض العلل والأسباب التى حالت فى رأيه بين الأدبين وبين التزاوج فى مجال الأدب التمثيلى ، على الرغم من هذا التزاوج الذى حدث بين الفلسفة اليونانية والفكر العربى . هذا هو الهدف الأول ، أما الهدف الثانى فيدور حول هذا العمل الفنى الذى أقامه على دعائم الأسطورة اليونانية عند سوفوكليس؛ أسطورة « أوديب الملك » .

ولقد تساءل الأستاذ الحكيم وهو فى رحاب الهدف الأول الذى أشرت إليه عن سر إحجام العرب عن ترجمة مآسى شعراء الإغريق مع أنهم نقلوا كتاب الشعر لأرسطو وفيه تعريف بالتراجيديا والكوميديا وما إليهما من فنون الشعر التمثيلى ، ومع أنهم نقلوا إلى جانب هذا الكتاب بعض الآثار الأخرى فى الفكر اليونانى !... هل يكون الإسلام هو الذى حال دون اقتباس هذا الفن الوثنى ؟

إن الإسلام فى رأى الأستاذ الحكيم لم يحل بين الناقلين وبين ترجمة كثير مما أنتج الوثنيون . كما أن الإسلام لم ينكر خمريات أبى نواس ، ولا نحت التماثيل فى قصور الخلفاء ، ولا براعة التصوير فى « المنياتور » الفارسى ! ... أهى الصعوبة إذن فى فهم هذا اللون من القصص الشعرى وكله يدور حول أساطير ؟ كلا ، فإن كتاب « الجمهورية » لأفلاطون قد حفل بأفكار يدق فهمها على العقلية العربية ، ومع ذلك فقد نقل إلى العربية وتناوله الفارابى بالبحث والمراجعة !

بعد هذين الفرضين يرد الأستاذ الحكيم علة الإحجام إلى أن التراجيديا الإغريقية فى ذلك الحين لم تكن أدباً مهيأً للقراءة والاطلاع ، ولكنها كانت أدباً معداً للتمثيل والمشاهدة ... ومن هنا لم يجد المترجم العربى حين اطلع عليها كبير نفع ولا غناء ، لأن الشروح والملاحظات التى كان يمكن أن تنير له الطريق ، لا تتضح إلا أثناء التمثيل أمام جمهور من النظارة ، وهذا أمر لم يقدر للعرب أن يروه من قريب أو من بعيد !

وأعقب على هذا كله فأقول : إن المسألة لا تحتاج فى رأيى إلى كل هذه الفروض ... فلو أن الأستاذ الحكيم قد حاول أن يختبر معدن العقلية العربية فى ذلك الحين ، لوجد أن هذا المعدن كان يستجيب لحرارة التفكير العلمى أكثر مما كان يستجيب لحرارة التفكير الفنى ؛ ومن طبيعة معدن هذا شأنه أن يسيغ كتاباً لأرسطو وأفلاطون ، أكثر مما يسيغ تمثيلية ليوربيدز أو سوفوكل ! ...

إن العقليات معادن ، والعقلية العربية فى عصورها الأولى كانت عقلية جدل ومناقشة ، يستهويها ويثير اهتمامها ما يحرك فى طبيعتها نزعة الجدل والمناقشة ... لماذا ؟ لأنها كانت تسعى وراء الحقائق ، تحاول جاهدة أن تكشف عنها على ضوء من نور العقل وحده دون سواه ... ومن هنا كان هذا الإغراق فى العقليات ، الإغراق الذى كاد يستأثر بعناية العرب ويستغرق كل وقتهم وجهدهم وطاقتهم الفكرية . أما التمثيلية التى تقوم على الأسطورة ، فكان من الطبيعى ألا تستهوى عقلية جبلت على السعى وراء الحقيقة ! إنها عقلية تريد أن تناقش وتبحث وتجادل وتقرع الحجة بالحجة وتقيم الدليل على أنقاض الدليل ، فأين هذا كله من مجال يقوم العمل الفنى فيه على صراع النزعات النفسية والعواطف الإنسانية ، وأعنى به مجال الأدب التمثيلى عند اليونان؟!

هذا التفسير يمكن أن نجيب به مرة أخرى على الأستاذ الحكيم حين يتساءل فى موضع آخر : لماذا لم يوجد التمثيل فى

الحضارة العربية ولم يعرف ؟

لقد أرجع الأستاذ هذا الأمر إلى طبيعة عدم الاستقرار فى الوطن العربى إبان عصوره الأولى ... إن التمثيل فى حاجة إلى مسرح ، والمسرح فى حاجة إلى استقرار ، والاستقرار أمر لم تهيئه البيئة للعربى الذى كان يسعى وراء قطرة ماء تلوح له هنا أوهناك !

وإذا كان العرب قد تهيأ لهم فى العصرين الأموى والعباسى وما بعدهما أن يحيوا حياة مستقرة ، فإن ابتعادهم عن التمثيل كان مرجعه إلى أنهم لا يعدلون بشعرهم العربى شعراً آخر ، حتى ولا هذا الشعر اليونانى الذى أقيم على أركانه بناء التمثيلية اليونانية !

وفى موضع ثالث ينتقل الأستاذ الحكيم إلى مقدمة « كرومويل » لفكتور هوجو ، وهى المقدمة التى يقسم فيها تاريخ البشرية إلى عهود ثلاثة : العهد الفطرى وهو عهد الشعر الغنائى ، والعهد القديم وهو عهد الملحمة ، والعهد الحديث وهو عهد التمثيلية ... هذه النظرية التى ينادى هوجو بإمكان تطبيقها على أدب كل أمة من الأمم ، يرى الأستاذ الحكيم أنها تصلح للتطبيق على الأدب العربى « إذا ما تغاضينا عن (القوالب) واقتصرنا فى بحثنا على (الأغراض) ؛ ففى العصر العباسى وحده نجد البحترى قبل المتنبى ، والمتنبى قبل أبى العلاء ، ولو غرس هؤلاء الشعراء فى أرض اليونان ، لكان البحترى (صناجة العرب) هو (بندار) ، ولكان المتنبى الذى دوى فى آذاننا على مدى الأجيال بصليل السيوف هو (هومير) ، ولكان أبو العلاء الذى صور لنا التفكير فى الإنسان ومصيره والملأ الأعلى هو (إشيل) ... فالتطور إذن من حيث الموضوع قد تم » .

يبدو لى أن الأستاذ الحكيم قد نسى أن هوجو يدعونا إلى تطبيق نظريته على أدب كل أمة من الأمم على مدار تاريخها كله ، لا على مدار عصر بعينه كما فعل حين قصر التطبيق على العصر العباسى ... إن هوجو ينسب الشعر الغنائى إلى العهد الفطرى ، فهل كان البحترى من العهد الفطرى ؟ وينسب الملحمة إلى العهد القديم ، فهل كان المتنبى من العهد القديم ؟ وينسب التمثيلية إلى العهد الحديث ، فهل كان أبو العلاء من العهد الحديث ؟ ! ...

أما مسألة (القوالب والأغراض) ، فأظن أنه لم يبق لها ما يبررها ما دام التطبيق قد بعد عما يهدف إليه هوجو من وراء نظريته ...

ثم يقول الأستاذ الحكيم فى موضع رابع إن فلاسفة العرب قد صبغوا آثار أفلاطون وأرسطو بلون تفكيرنا وطبعوها بطابع عقائدنا ... فى رأيى أن شيئاً من هذا لم يحدث ، إن كل ما فعله فلاسفة العرب هو أنهم نظروا فى الفلسفة اليونانية فنقلوا بعض ما فيها من آراء ومذاهب نقلا يحفل بالخلط والتشويه ؛ ذلك لأنهم حاولوا أن يوفقوا بين تعاليم الفلسفة اليونانية وبين تعاليم الدين الإسلامى ، فكانت محاولة انتهت بأصحابها إلى الإخفاق ، أما الإخفاق فرجعه إلى بعد الشقة بين العقلية اليونانية والعقلية العربية من جهة ، وبين منهج الفلسفة اليونانية ومنهج الديانة الإسلامية من جهة أخرى ، ومن هنا كانت الفلسفة الإسلامية خليطاً عجيباً من أفكار مضطربة لا تقترب كثيراً من الدين ولا من الفلسفة ، ونظرة متأنية إليها فيها الدليل كل الدليل !

أما الجزء الأخير من مقدمة « أوديب الملك » ، وهو الذى عرض فيه الأستاذ الحكيم لمن تناولوا أسطورة سوفوكليس فى آثارهم الفنية ، من أمثال « بيتس » و « هوفمانستال » و « سان جورج دى بوهلييه » و « جان كوكتو » و « أندريه جيد » ، هذا الجزء الأخير يحفل بكثير من اللمحات المشرقة ، وكم أود أن يرجع إليه القارئ لأنه يعد فى حقيقته مفتاحاً لتلك الأعمال الفنية التى أعقبت « أوديب » سوفوكل ، ومنها هذا العمل الناضج الذى قام به توفيق الحكيم .

« قطرات ندى » لراجى الراعى :

كتاب نفيس عثرت عليه فى سوق الوراقين ، وما أكثر ما يجد المرء فى سوق الوراقين من نفائس ... ولقد عثرت عليه عارياً لا يتشح بغلاف يمكن أن يهدينى إلى اسم صاحبه ! وحين خلوت إليه أقلب صفحاته بين يدى رأيتنى أمام كتاب ممتاز لأديب ممتاز ، ولكن من هو هذا الأديب الذى هزنى وأين مكانه ؟ إنه يعرض فى الصفحات الأولى من كتابه لبعض الأماكن فى لبنان ولبعض رجال الصحافة والأدب فى لبنان ، ترى أيكون صاحب « قطرات ندى » هو جبران أو الريحانى أو نعيمه ؟ لقد وقع فى ظنى أن يكون واحداً من هؤلاء الثلاثة ، لأنه فى رأيى لا يفترق عنهم فى سعة أفقه وومضات فكره ووثبات خياله

هذا ما وقع فى ظنى ، ولكننى حين رجعت إلى أحد أصدقائى

من الأدباء اللبنانيين أسأله عن الكتاب وصاحبه ، تلقيت منه رسالة يبلغنى فيها أن صاحب « قطرات ندى » هو راجى الراعى . راجى الراعى ؟ كيف يكون فى لبنان مثل هذا الأديب الممتاز ثم لا أعرفه ولا يعرفه غيرى ولم نسمع به من قبل ؟! وإذا كان قد انقطع عن الكتابة فأى شأن من شئون الحياة قد شغله عن الأدب وحال بينه وبين ميدانه ؟ . ومرة أخرى تلقيت رسالة من الأديب اللبنانى الصديق ، تحمل إلىّ الجواب عما أثرت من أسئلة حول صاحب « قطرات ندى » . إن راجى الراعى كما يقول الصديق فى رسالته أديب كبير من طراز ميخائيل نعيمه ، ولكنه انصرف عن الأدب منذ أمد بعيد حيث شغل بالتفرُّغ لمهنة المحاماة ومنصب القضاء .

لا أدرى كيف يستطيع بعض الأدباء الناضجين من أمثال راجى الراعى أن ينصرفوا عن ميدانهم الأصيل وهو ميـــدان الأدب ! ... إن « إدوار هريو » سياسى فرنسى له فى رحاب السياسة شأن كبير ومكان ممتاز ، ولكنه فى رحاب الأدب أعظم شأناً وأرفع مكاناً عند الذين يقيمون الميزان لحقيقة هذا السياسى الأديب ، ومع ذلك فلم تستطع السياسة أن تشغله عن ميدانه الذى أخرج فيه كتابين من أنفس وأعمق ما ظهر فى الأدب الفرنسى المعاصر ، وأعنى بهما كتابيه عن « بيتهوفن » و « مدام ريكامييه » !

هذه تحية أبعث بها إلى راجى الراعى على صفحات الرسالة .. ولعله يلبى دعاء الأدب يوماً فيعود إلى ميدانه ، لأن مجاله هنا كما أعتقد وليس هناك ! وفى العدد المقبل أقدم بعض كلماته وتحليقاته

رسالة لطفى السيد إلى الشباب :

لطفى السيد أستاذ الأساتذة فى هذا الجيل ، وهو واحد من هذه القلة التى تزن القول حين تطلقه ، وتزن الرأى حين تنادى به وما أجدر الشباب حين يتحدث هذا الرجل أن ينصتوا إليه ، وأن يتدبروا كلماته ، وأن يتخذوا من نصائحه وخبرته وتجاربه ما يشحذ هممهم ، ويقوى عزائمهم ، ويسدد خطاهم ، فى هذا الطريق الطويل الذى تتجاذبهم فيه عواطف الشباب ونزواته !

يقول لطفى السيد فى رسالته التى حملتها « الأهرام » منذ أيام إلى ناشئة البلاد من طلاب الجامعة : إن التعليم الجامعى أساسه حرية الفكر ، والتربية الجامعية قوامها حرية العمل ، ورسالة الجامعة هى إعداد الطلاب لخدمة وطنهم فى جميع نواحى الخدمة العامة من سياسية واجتماعية وفنية . ثم يقول لطفى السيد بعد أن تناول هذه الأهداف بالشرح والتفصيل « هذه هى رسالة الجامعة فيما أعتقد أنه المثل الأعلى للجامعات . فإن يكن انصراف عن الجادة المثلى وميل عن سواء السبيل ، فرجع هذه الحال فى تقديرى إلى اتصال الأحزاب السياسية بالطلبة وصرفهم عن واجبهم العلمى إلى الاشتغال بالسياسة العملية . أنا لا أكره أن يشتغل الشبان بالسياسة على اعتبار أنها موضوع نظرى يدرس وتناقش مذاهبه المختلفة القديم منها والحديث . أما السياسة العملية فقد حذرت الشبان دائما من الإسلاس لقيادة القائمين بها من الأحزاب والهيئات إذ كنت أرى ولا أفتأ أقول : إن السياسة إذا تدخلت فى التعليم أفسدته ، ولا علم على الوجه الصحيح إلا إذا تفرغ الطالب له وتجرد عن كل غرض سواه » !

هذا هو حديث لطفى السيد إلى الشباب ، وإنه لحديث يغفى به الرجل فى إبانه ... إننا ننظر اليوم فنجد بعض طلاب العلم وقد تحولوا إلى طلاب دماء ، وبعض عشاق المعرفة وقد انقلبوا إلى عشاق هدم وتدمير ، وبعض الإشراق الذى كان يشع من نفوسهم وقد انتهى إلى إحراق ! ترى كيف تحول وهج العلم فى أذهانهم إلى وهج رصاص فى أيديهم ، حتى لقد أصبحنا نشفق على مستقبل الشباب من أزمتين : أزمة الضمير العلمى وأزمة الضمير الإنسانى ؟

القول ما قال لطفى السيد ، وهو أن السياسة إذا تدخلت فى التعليم أفسدته ، ولا علم على الوجه الصحيح إلا إذا تفرغ الطالب له وتجرد عن كل غرض سواه !

حول تحية الأديب للرسالة :

وعدت القراء فى عدد الأسبوع الماضى أن أتناول بالتعقيب خبر اختفاء « الرسالة » من الجناح المصرى فى معرض الكتاب الذى أقامته الحكومة اللبنانية بمدينة اليونسكو ، وهو الخبر الذى نشرته زميلتنا « الأديب » اللبنانية وعلقت عليه بما شاء لها الأدب الجم والتقدير الكريم ... ومرة أخرى اعتذر عن ضيق النطاق مرجئاً التعقيب إلى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

كتاب كريم :

عزيزى الأستاذ عباس خضر

تحية وبعد فقد قرأت ما علقتم به على كلمتى عن صـديق الـكاتب الـكبير الأسـتاذ الزيات بك ولم ألحظ هذا الأمر إلا عندما لفتتنى إليه كلمتـكم . وقد سألت فى ذلك أحد الناشرين فاعتذر قائلا إن الجملة سقطت من المطبعة أثناء الطبع . وإنى آسف لهذا كل الأسف مستمسكا بما قلت مؤكداً له غير منحرف عنه ؛ فإن ما قلته هو ما كنت وما زلت أعتقـده « إن من أراد الأسلوب العربى الرفيع السليم فعليه بما يكتبه أستاذنا الزيات » وتقبلوا خالص تحياتى .

المخلص

ابراهيم دسوقى أباظة ٢٥ / ١٠ / ١٩٤٩

هذا ما تفضل بكتابته إلىّ حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوق أباظه باشا ، رداً على ما لاحظته فى كتاب معاليه « وميض الأدب بين غيوم السياسة » أو ما بدا لى ، من تغيير فيما جاء خاصاً بأسـتاذنا الزيات . وهو كتاب كريم من معالى الأسـتاذ الأديب ، يدل على ما يتصف به من أدب النفس إلى جانب أدب الدرس ، وهو وإن كان من الومضات الأدبية النفسية التى تشع بين غيوم الساسة ، إلا أن هـذه الومضة تمتاز بالقوة ، إذ استطاعت أن تنفذ من خلال سحب السياسة « الخارجية » الملبدة إلى حيث الأدب والفن ، تستمد قوتها من نبل الشعور وصفاء الروح .

وكم يحلو لى — ولكلٍّ ما يحلو له — أن أتجاوز المنصب الـكبير واللقب الرسمى ، لأخاطب الأديب الأستاذ ابراهيم دسوق أباظة ، متوجها إليه بالثناء والشكر على إيثار مقتضيات الخلق الرفيع والتمسك بالحق ، والاهتمام بإزالة ما يعلق به ، بهـذا الصنيع الجميل والأسلوب النقى المهذب .

وللأستاذ الأديب — أيضاً — خالص مودتى وتحياتى .

سؤال وجواب صريحانه :

يقول الأستاذ « ابراهيم حسين خالد » المدرس بالمنصورة فى رسالة كتبها إلى : « نحن خمسة ولنا ندوة متواضعة نجلس فيها كل ليلة نقرأ الرسالة وما تيسر لنا من كتب الأدب ، واسمح لى أن أقول لك فى صراحة من القول وجرأة من الحديث ، لقد جال بخاطرنا سؤال طالما ناقشناه وقلبنا وجوه الرأى فيه ولـكننا لم نظفر بالجواب المرضى والنتيجة المريحة ، فهل لك يا سيدى أن تتكرم بمشاركتنا فى هذا البحث وتدلنا على وجه الصواب فيه ولك من المولى حسن الجزاء ؟ لماذا يا سـيدى هجر الرسالة وهى كتـاب الشرق وسـفر الأدب العربى بعض قادة الفـكر وأعلام البيان ؟ » .

سأجيب عن هذا السؤال إجابة صريحة ، وأبيح لنفسى أن أفضى بها رغم ما فيها من بعض « الداخليات » لأنها قضية يجب أن تثار ليعلم بها التاريخ الأدبى على الأقل .

ولعل بعض الجواب أو ما يمهد له هو ما أثاره فى مجـلة « الأديب » اللبنانية جماعة من أفاضل الأدباء منهم الأستاذ نقولا الحداد ، والموضوع الذى كتبوا فيه هو « الأدب الرخيص » يعنون به ما تنشره أكثر المجلات المصرية ، وقد ألقى الأستاذ يوسف غانم التبعة فى كساد الأدب العالى على الأدباء الـكبار فقال : « فـكبار الـكتاب كما لا يخفى يساهمون فى تحرير هذه المجلات ، فلا غرو إذا فسدت الأذواق ، فالمتأدب الذى يلقن منذ الصغر أن طه حسين والعقاد والحـكيم والمازنى وغيرهم هم مشاعل النهضة الأدبية المعاصرة — يجد لنفسه العذر الـكافى فى متابعة هؤلاء الـكتاب حيثما كتبوا وفى الاعتقاد أن المجلات التى يكتبون فيها هى من أرقى الصحف والمجلات . فما أجدر أدباءنا الـكبار أن يقتصروا — فى نشر إنتاجهم — على المجلات الأدبية الرفيعة فيروجون للأدب الرفيع الذى قامت شهرتهم على دعائمه »

انتهى كلام الأستاذ يوسف غانم فى مجلة الأديب .

والمسألة أن تلك المجلات تغرى أدباءنا بالأجور الكبيرة، التي تزيد على ما تستطيع المجلات الأدبية ، لأن هذه لا تبلغ شأو تلك في الربح من سعة الانتشار ،وهي لا تستطيع أن تتنازل عن مستواها الرفيع وتفرط في رسالتها الأدبية فتصطنع ما تصطنعه تلك المجلات من أدوات الانتشار .

وأدباؤنا الكبار قد أبطرتهم تلك الأجور ، إذ أصروا في أنفسهم على أن تكون « تسعيرة » لهم ... ويخيل إلى أنهم في محنة وأنهم يعانون صراعاً نفسياً بعض أسبابه أن يضطروا إلى الكتابة بجوار (المايوهات) وأن يضطروا إلى شيء من التنسيق بين ما يكتبون وبين الأذهان التي تتراقص فيها صور « المايوهات » .

ومن أسباب ذلك الصراع الذي يخيل إلى ، أنهم ذوو مثل فنية ، تجذبهم من طرف ، وتشدهم من ناحية أخرى رغبة في الترف .

على أن الرسالة من جانبها تحرص على أن تقدم جيلا جديداً من الكتاب أو « وجوهاً جديدة » كما يعبر السينميون ، وقد كان الأساتذة الكبار يوماً وجوهاً جديدة ، وسيأتي بعد زماننا وجوه جديدة ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . والرسالة تحمد

كشكول الأسبوع

* رأت اللجنة المؤلفة للاحتفال بالذكرى المئوية لمحمد على باشا الكبير ، أن تعمل على تخليد هذه الذكرى بإصدار مؤلف شامل عن حياة مؤسس الأسرة العلوية الكريمة وأعماله .

* ألقى الأستاذ الشبيبي محاضرة بكلية دار العلوم عن مخطوط قال إنه من أقدم ما وصل إلينا في موضوعه ، وهو التعريف بجزيرة العرب قبائلها ومنازلها ومناهلها وما يتصل بذلك من شعر وأخبار ، لمؤلفه أبي على الحسن ابن عبد الله المعروف بلغدة من أعلام القرن الثالث وأوائل الرابع للهجرة ، وتوجد نسخة منه الآن بقسم المخطوطات بالمجمع العلمي العراقي . وقد أبدى عميد الكلية في تعقيبه على المحاضرة استعداد الجامعة لطبع هذا الكتاب .

* من قرارات مؤتمر المجمع اللغوى ، الأخذ بمبدأ القياس في اللغة وجواز الاجتهاد فيها . وقد اتخذ هذا القرار بعد محاضرة في القياس اللغوى للدكتور أحمد أمين بك ومناقشة فيها ، والمحاضرة ومناقشتها على جانب كبير من الأهمية ، وسنفصل ذلك في الأسبوع القادم .

* قال أحد الناشرين في معرض الحديث عن « أزمة الكتاب » الحاضرة : إنه طبع كتاباً لمؤلف كبير فلم يوزع منه سوى ٥٠٠ نسخة رغم مضى عدة شهور على ظهوره ... مع أن المؤلفات السابقة لهذا الأديب الكبير سجلت أرقاماً قياسية في عالم التوزيع .

* أشرنا فيما مضى إلى ما رأته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية من عقد مؤتمر للاذاعات العربية بالقاهرة لتنسيق براجها تنسيقاً يكفل تحقيق الأهداف العربية المشتركة . وقد عرض هذا الموضوع على مجلس الإذاعة فرأى إرجاء عقد هذا المؤتمر الآن .

* تقرر عقد المؤتمر الثقافي العربي الثاني بالاسكندرية في أواخر الصيف الصيف القادم .

الله الذي يشد أزرها ويهب العافية لصاحبها ويبعث التجديد في حياتها ويبقى عليها قراءها ، وإن كان منهم من يسأل — لسابق المهد — عن فلان وفلان

الباليه :

انتهى في هذا الأسبوع موسم فرقة « باليه دي مونت كارلو » على مسرح الأوبرا ، وحلت محلها الفرقة الإيطالية ، التي ستعمل في الأوبرا شهراً ثم يختتم الموسم الأجنبي في الأوبرا بفرقة فرنسية .

ويقوم فن (الباليه) على التمثيل بالرقص بحيث تعبر حركات الجسم عن المعاني المختلفة وقد حفلت الصحف والمجلات بصور فتيات (الباليه) في أوضاع متباينة بعضها مسرحى ، وبعضها في غرف (التواليت والماكياج) وبعضها في حفلات خاصة مرحة ... فكانت هذه الصور مادة « طيبة » للصحافة المصرية التي أصبحت تتنافس في تقديم « مشهيات » للغرائز ولا تعدم ناقداً فنياً حصيفاً ... يكتب إلى جانب هذه الصور فيقول إن هذا الرقص (الباليه) روحى بحت ولا يتصل بإثارة الغرائز بسبب من الأسباب !

وهذا الرقص « الروحى » يقوم به فتيات من أجمل فتيات أوربا يشترط ألا تتجاوز أعمارهن الثلاثين ، ويرقصن باديات

المحاسن عاريات السيقان والأفخاذ على الأقل ، والمستور مجسم ... ولا بأس على « الروحانيـة » من ذلك ... فهن يمثلن البجع أو حوريات الهواء ، وعلى المتفرج أن يكون قوى التصور فيتخيل أن الراقصة بجعة أو أى شىء آخر غير أنها فتاة !

والدليل على أن (راقصات) الباليه غارقات فى « الصوفية » أن صحفنا ومجلاتنا تنشر صورهن التى توحى إلى القارئ كل معانى الروحانية السامية ... وهل تنشر صحفنا ومجلاتنا غير ذلك ؟ !

وقد أبدى أحد نقادنا الحصفاء ارتياحه للاقبال على فن (الباليه) فى مصر ، وعد ذلك نجاحاً للذوق الفنى المصرى ... طبعاً يا سيدى ، ومن قال لك إن الذوق المصرى تجرد من الإحساس ؟ ومن فى العالم يستطيع أن يتذوق هذا الفن كالمصريين؟ الرجال رجال ... والنساء ينظرن هذه البضاعة الجديدة ويتباهين بثمين الحلى والفراء ، ومجلة كذا ستنشر صـورة قرينة فلان أو ابنة علان ، وهى ترتدى فراء فاخراً أو تتحلى بجوهرة فريدة ثم أليس هذا شيئاً من (بلاد بره) ؟ ومتى يكون التظاهر بالمدنية والرق إن فاتت فرصة (الباليه) فى الأوبرا ؟ ولا بأس ألا يفهم « المتمدن الراقي » شيئاً من تمثيل البجع أو الحوريات ، ولا بأس أن تكون عينه وفؤاده معلقتين بالأجسام التى تتلوى كالخيزران وعقله فارغاً مما يشغل المعقول ...

أليس كل ذلك أسباباً داعية إلى نجاح (الباليه) فى مصرَ ؟ وكل عام وأنتم بخير .

ضريح سيدى مختار :

نشرت الصحف أن وزارة المعارف قررت بناء ضريح للمثال مختار ، ورصدت لذلك ستة آلاف من الجنيهات ، والوزارة طبعاً تقصد تخليد ذكرى المثال المصرى . ولكن لم اختارت الضريح وسيلة لهذا التخليد ؟ إن كان المقصود الجرى على سنة الغربيين فى دفن العظماء والأعلام ببنايات ضخمة تمجيداً وتقديراً لأعمالهم فإنهم هناك لا يخصون كل واحد بضريح وإنما يجمعونهم فى مكان واحد . على أنه لا داعى لتقليد تلك البلاد فى ذلك ، وخاصة أننا لسنا مثلها فى استكمال أسباب الحياة المستقرة من حيث التعليم وغيره ، فأمامنا ضرورات لا ينبغي معها إنشاء الأضرحة ، وأقرب شىء إلى ذلك حاجتنا إلى نشر التعليم ومحو الأمية . والوزارة تشكو من ضيق الميزانية بأعباء مشروعات التعليم ، وهى تواجه أزمة فى أبنية المدارس . فلا أشك فى أن إنشاء مدرسة يطلق عليها اسم مختار أجدى من الضريح وأخلد لذكر صاحبه .

مؤتمر لغوى عام :

عرض فى الجلسة الأخيرة لمؤتمر المجمع اللغوى اقتراح اللجنة المؤلفة لوضع برنامج المؤتمر المقبل ، إلقاء بحوث ومحاضرات عامة يمهد لها من الآن ، على أن يشترك فيها العلماء والمختصون فى اللغة بمصر والأقطار العربية ، ويلقى منها على الجمهور ما تختاره اللجنة التى تشرف على ذلك .

وقد أوضح الدكتور إبراهيم مدكور ذلك الاقتراح بقوله : درجنا فى مؤتمراتنا على أن تكون أشبه بلجنة أو جلسة خاصة ، وترمى فكرة الاقتراح إلى إشراك الجمهور فى أعمالنا ؛ إذ أنه توجد مشاكل كثيرة تتصل باللغة العربية ويسر أعضاء المجمع أن يسمعوا آراء غيرهم فيها ، فتحدد الموضوعات ويعلن عنها ، ثم يلقى فى المؤتمر ما يقرر إلقاؤه منها .

وأيد الفكرة الدكتور أحمد زكى بك ، فقال : إن المؤتمرات تتيح لكل ذى كفاية فى الأمة أن يشترك فيها ، وبذلك يخرج المجمع عن انطوائه على نفسه .

وشاطر الأستاذ الشبيبى الدكتور زكى رأيه قائلا : إن المجمع فى حاجة إلى دحض بعض الأقاويل التى تقال بشأنه ، فقد لاحظت شيئاً من الاعتراضات على المجمع من حيث البطء فى العمل والإنتاج وقد أنهى المجمع الدورة الخامسة عشر ولم ينجز إلى الآن لا المعجم الوسيط ولا المعجم الكبير ولا معجم المصطلحات على ما يقول المعترضون ، ولا يقطع ألسنة المتخرصين غير السرعة فى الانتاج .

وهنا سأل الأستاذ زكى المهندس بك الأستاذ الشبيبى عن عمل المجمع العلمي العراقى وموقف الجمهور منه ، فقال الشبيبى : لست بصدد المقارنة بين المجامع العلمية ، ومع ذلك أقول إن المجمع العراقى لا يزيد عمره على سنة واحدة إلا قليلا وقد استطاع فى هذه المدة أن ينشىء مكتبة غنية بالمخطوطات النادرة ، وتمد المدة لنشر هذه المخطوطات ، كما تمد المدة لنشر مجلة خاصة بالمجمع ، وبه مصلحة فنية مجهزة بأحدث الآلات للنسخ والتصوير .

ورأى الدكتور طه حسين بك الاكتفاء بأن تكون بعض جلسات المؤتمر علنية يلقى فيها بعض الأعضاء محاضرات يستمع إليها الجمهور .

وأخيراً تقرر إحالة الاقتراح إلى مجلس المجمع لمناقشته فيه .

عباس خضر



عود على بدء :

بين الأستاذ أنور المداوى وبينى خلاف حول « إنسانية محمد » مرجعه إلى أن الأستاذ لا يقر التعليل الذى علل به الأستاذ العقاد مواقف النبى الإنسانية ؛ وهو أنه إنما وقف هذه المواقف لأنه أكبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ، وأخبر بسعة آفاق الدنيا التى تتسع لكل شيء بين الأرض والسماء ، لأنه يملك مثلها آفاقاً كآفاقها هى آفاق الروح .

فالأستاذ المداوى يرى أن هذا التعليل ينطبق على الرجل العظيم دون الإنسان العظيم ؛ لأنه يجعل النبى صاحب طبيعة خلقية تنبع فيها الرحمة من منابع العظمة النفسية . بينما يرى أن مصدر الرحمة عند الإنسان العظيم هو « الضعف الإنسانى » لا العظمة النفسية .

وأنا أخالفه فى هذا لأنى لا أجد تناقضاً بين العظمة النفسية والعظمة الإنسانية ، بل إن الأولى فى رأيى لازمة للثانية . لأن الإنسان العظيم الذى يرحم فى غير مواضع الرحمة إنما يفعل ذلك لأنه يربأ بنفسه أن يقصر رحمته على مواضعها ، شأن الرجل العادى ذى النفسية العادية .

وينصب الخلاف من ناحية أخرى على قول العقاد « أن النبى لا يكون رجلا عظيما وكفى بل لا بد أن يكون إنساناً عظيماً » فإذا كان الأستاذ المداوى لم يقصد بتعليقه عليه سوى قوله « إن اشتراط الإنسانية لنبوة محمد أمر لاداعى لإثباته ، لأن محمداً كان إنساناً بأدق معانى الكلمة قبل أن يبعث رسولا إلى الناس » ، إذا كان لم يقصد سوى هذا فأنى أخالفه فيه أيضاً . فهل كون النبى إنساناً عظيما قبل نبوته يمنع من اشتراط الإنسانية له ؟ ما دخل إنسانية ما قبل النبوة هنا ؟ إننا بصدد تبيين خصائص النبى ، فلا يكفى أن يكون رجلا عظيما ، بل يجب أيضاً أن يكون إنساناً عظيما . هذا ما قاله العقاد : فما معنى دفعه بأن لا ضرورة لاشتراط الإنسانية للنبى لأنه كان إنساناً قبل أن يكون نبياً ؟ هل الإنسانية قبل النبوة تمنع من جعلها من خصائصه بعد النبوة ؟ ؟

وبعد ، فهذه كلمة (عجيبة ! !) أخرى ، ولكنها الأخيرة ، أبعث بها للأستاذ المداوى مع تحياتى .

محمد محمود عمار
المحامى

ما أكثر ما يخطئ الكتاب والشعراء المعاصرون فى العربية :

قال الشيخ جمال الدين بن هشام الأنصارى فى كتابه « مغنى اللبيب » : (قط) على ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى ، وهذه بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة فى أفصح اللغات . وتختص بالنفى ؛ يقال ما فعلته قط ، والعامة يقولون لا أفعله قط ، وهو لحن . واشتقاقه من قططته أى قطعته ؛ فمعنى ما فعلته قط : ما فعلته فيما انقطع من عمرى ، لأن الماضى منقطع عن الحال والاستقبال .

وقال عميد الأدباء فى كلمته المنشورة بعدد الرسالة رقم ٨١٣ بالصفحة رقم ١٥ :

« وما أعرف أنى بايعت شاعراً أو كاتباً قط ، وما أظن أنى سأبايع شاعراً أو كاتباً قط » . وقال أيضاً فى كلمته المذكورة : وما أكثر ما يخطئ الشعراء والكتاب المعاصرون فى العربية

وقلت أنا : لقد حق القول قوله والسلام

(الروضة) محمد فؤاد عبد الباقى

رواية بيتين :

نشرت الرسالة الغراء بالعدد ٨٠٧ قطعة من فرائد الشعر للأستاذ الشاعر ابراهيم الوائلى بعنوان (أيها العابرون) جاء فيها هذا البيت :

موجة إثر موجــــة تترى كجبال قد اقتلعن اقتلاعا

وصدر هذا البيت ينقصه (وتد مفروق) قبل قوله (تترى) ، إذ أن البيت من بحر الخفيف . وكذا فى البيت :

وقلوباً من الحديد تشظت فاكتسحت قوة وجلت صراعا

زيادة فى التفعيلة الأولى من عجزه . وهذه هنات لا تغض من قيمة القطعة ، ولعلها من آثار التطبيع

(فرشوط) عبد الفتاح حماد
بالمدارس النموذجية

(الرسالة) : الواقع أنه تطبيع . وصواب الكلمة فى البيت الأول : تتنزى ؛ وفى البيت الثانى : فاكتست .

ابن المقفع وكليلة ودمنة :

قرأت فى العدد ٨٠٦ من مجلتكم الغراء مقالة الأستاذ محمد رجب البيومى « الصداقة فى رأى ابن المقفع » كان لها أثر كبير فى نفسى ، وقد لاحظت أن الأستاذ الفاضل يعرض أفكاره ثم يعقبها بشواهد من كتاب « كليلة ودمنة » وينسبها إلى ابن المقفع مع أن الكتاب المذكور — كما يخبرنا التاريخ — ليس لابن المقفع فيه غير الترجمة . أما مؤلفه وصاحب ما فيه من الآراء والأمثال والحكم ، فهو « بيدبا » الفيلسوف الهندى الكبير .

هذا ما عن لى ، فأرجو إن كنت على حق نشره لأرى رأى الأستاذ صاحب المقال فيه . فلعل عنده من العلم ما نجهله عن كتاب « كليلة ودمنة » .

(المدينة المنورة) **محمد العامر الرميح**

١ — مكتبة الكيلانى للأطفال :

أخى الكاتب الكبير الأستاذ كامل كيلانى

تحية طيبة مباركة . وبعد ، فإنى لا أحاول فى هذا الخطاب الموجز أن أصف كل ما يخالج نفسى من تقدير بالغ لأدبك العالى وبيانك الرفيع ، أو أن أصور فضلك على الأدب والشعر والتاريخ وماذا أقول فى وصفك وقد أجمع العظماء والكبراء ، واتفق فحول الكتاب والشعراء على فضلك ، والإشادة بعظم ما قدمت لرجال أمتك (وأطفالها) من أدبك ، لا أريد أن أتزيد اليوم بالكلام عن فضلك وما سبق من عملك . وإنما أتحدث فى عبارة موجزة عن المجموعة النفيسة المسماة (مكتبة الكيلانى للأطفال) تلك التى جعلتها لتأديب الأطفال وتثقيفهم، وضمنتها الخيال البعيد والفكر السديد ، والحيل الغريبة ، والمحاورات المفيدة ، وزينتها بالحكم الغالية ، والفلسفة العميقة ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، وغير ذلك من الأغراض التى يرى إليها كبار علماء التربية فى هذا العصر ، والتى يجب أن تحملها كل كتب التربية ، كل ذلك فى معرض مشوق أخاذ . والتشويق أنجع دافع إلى القراءة والانتفاع بما فى الكتب والأسفار ، يستوى فى ذلك الكبار والصغار ، أما طبع هذه المجموعة والشكل والعرض والأسلوب والصور التى تزينها ، فهى كذلك مما لا يكاد يوجد مثله فى مطبوعات أخرى .

وإذا كان لى من قول أذكره لأخى بعد تجارب تقرب من أربعين سنة قضيتها فى الدرس والتحصيل ، فهو اعترافى بأنك قد وفقت أعظم توفيق فى إخراج هذه المجموعة النفيسة التى بدت تختال فى هذا الشكل الرائق والموضوع الفائق ، وأستحثك على أن لا تنى فى الاستزادة منها ليدوم النفع وتستمر الإفادة .

وإنى تلقاء هذا العمل الجليل أتوجه لأخى الكريم بالتقدير المظيم على ما بذل ويبذل من جهد وتعب فى سبيل تثقيف الناشئين وغير الناشئين ، وبالشكر الجزيل على سائر الهالات الأدبية والعلمية التى أخرجتها وتخرجها كل يوم لنفع الناس أجمعين .

أعانك الله وأدام توفيقه لك ، ومتعك بكمال الصحة وموفور العافية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(المنصورة) **محمود أبوريه**

٢ — من طرائف حافظ ابراهيم :

كان الويلحى الكبير ابراهيم بك الويلحى يمدح الإنجليز ويثنى عليهم ، أما حافظ ابراهيم فكان يمقتهم ويثلبهم ، ومما قال فى ذلك :

وحبيب لى عزيز وهو فى حرز حريز
ليته يحتل قلبى كاحتلال الإنجليز

وفى مجلس بمنزل عبده الحمولى فى سنة ١٨٩٨ حضره الكاتبان الكبيران الشيخ ابراهيم اليازجى وابن أخته الشيخ نجيب الحداد أنشد حافظ ابراهيم — وكان حينئذ ضابطاً بالجيش — هذين البيتين:

ياساهر الليل هل للصبح من خبر؟ إنى أراك على شىء من الضجر
أظن ليلك قد طال الوقوف به كالقوم فى مصر لا ينوى على سفر

فطرب اليازجى طرباً شديداً ، وبخاصة لقوله (على شىء) ، وشهد لحافظ بالشاعرية . (م . أ)

استدراك سهو :

جاء فى نقدنا لكتاب « عالم الذرة » للأستاذ نقولا الحداد والمنشور فى العدد الماضى من الرسالة الغراء أن :

الكتلة × السرعة = العزم ؛ والصحيح أن الكتلة × السرعة = الدفع . وإنا نستدرك هذا السهو مع الاعتذار للقارئ

كامل محمود حبيب

تصويب : سبق القلم إلى خطأ مشهور ، فجمعنا حافداً على أحفاد . والصواب فى جمعه حفد وحفدة وقد نبهنا إلى ذلك الأستاذ عزيز خانكى فله الشكر .



عــــالم الذرة

للاستاذ نقولا الحداد

أشكر عظيم الشكر لحضرة الأديب الأستاذ كامل محمود حبيب نقده فى الرسالة لكتابى « عالم الذرة » . وقد استهله بكلمات تقريظ بقصد أن يخفف من لوعة النقد . وكان ينقده باعتبار أنه ثقة فى الموضوع . وسرنى جداً النقد لأنه ينبهنى إلى مواضع الخطأ اللهم إذا كان صواباً ولكن ...

يقول الأستاذ : « أنت فى كتابك أردت أن تكون معلماً ولكن ... »

لا يا سيدى ما كنت إلا تلميذاً أبسط لأساتذتى من أمثالك الدرس الذى تعلمته . ولكن يظهر لك أنى لم أحسن البسط .

وقد أعطانى حضرته ستة نماذج لفصول كتاب كان يتمنى أن تكون فصول كتابى ؛ لأنه رأى فصول كتابى الأولى مضطربة . وأنا أرى أن النماذج التى اقترحها جديرة بأن تكون فصول كتاب سيؤلفه هو إن شاء الله ، أو أنها مرسومة فى ذهنه . وحضرته يعلم أن لكل مؤلف طريقة فى تبويب كتابه وتفصيله مستوحاة من دراسته وبغيته فى التأليف .

وأما أنا فقد حللت الذرة التى كان يظن أنها بسيطة لا تقبل التجزئة إلى ضلعيها الالكترون والنواة . ثم حللت النواة إلى أضلاعها البروتون والنيوترون والبوزيترون إلى آخره . ثم حللت هذه الأضلاع إلى فوتونات . فلا أفهم كيف يكون هذا التحليل اضطراباً . أترك الحكم إلى القراء .

أما ذكرى أن الطاقة والمادة شىء واحد وإرادى فصلا بشأنه فى آخر الكتاب كملحق له فله سبب ، وهو أنى ذكرت فى مقال فى المقتطف أن المادة والطاقة شىء واحد ، فشجب هذا القول كاتبان من القدس ومن السلط فرددت عليهما بهذا الفصل ثم انتهزت هذه الفرصة لأنقل هذا الفصل إلى كتابى كتأييد للفصل الرابع فى الكتاب وهو فصل عن الطاقة والمادة .

والآن أنتهز هذه الفرصة للاستشهاد بما ورد بهذا الصدد فى الفصل الأول من كتاب وزارة الحربية الأميركية بعنوان « الطاقة الذرية » وهو بنصه : « الطاقة لا يمكن أن تخلق من العدم ولا أن تفنى فى العدم ، بل يمكن أن تتحول شكلا ... »

ثم « لقد اكتشف أخيراً أن الطاقة يمكن أن تتحول إلى مادة ، والمادة إلى طاقة » والمعنى أن المادة والطاقة شىء واحد يختلفان شكلا .

وأما سكوتى عن النقط الفنية التى وردت الإشارة إليها فى صفحة ٦٨ من الكتاب ، فسببه أن البحث فيها يستلزم رسوم آلات وعدداً يتعذر فهمها على القارىء ما لم يكن واقفاً أمام الآلات والعالم الفنى يفسرها له . والتمادى فى دراستها يصل إلى نقط محظور الاطلاع عليها لأنها من أسرار القنبلة الذرية التى يدور النقاش بشأنها بين بعض الدول ، وبالطبع لست أنا ممن يدركون هذا الكنه ، فلا أبحث فيما أجهله .

بقى أن أرد على الأستاذ فى « المنات » التى صححها وأريه أنه خطأ الصواب فيها .

انتقد ترجمتى « Magnatic Feild » بالجو المنطيسى وصححه بالمجال المنطيسى : وأنا فى جميع كتاباتى العلمية أستعمل الجو بدل المجال ؛ لأنى أرى أن استعمال المجال خطأ محض ، لأن المجال سطح ذو امتدادين طول وعرض فقط ، والمنطيسية (والكهربائية أيضاً) تتوزع فى حيز ذى ثلاثة امتدادات : طول وعرض وعمق ، وهى امتدادات الجو لا امتدادات المجال . فالجو أصح والمجال خطأ وعلى المجمع اللغوى أن يقرر ترجمتى إن رام الصواب .

وينتقد الأستاذ ترجمتى « Cent-ifugel Force » بالقوة الدافعة المركزية . وهو يصححها أو بالأحرى يغلطها بقوله « القوة

الطاردة المركزية » وبين الدفع والطرد بون عظيم . الطرد هو الاقصاء عن المركز إلى اللانهاية . والقوة الدافعية المركزية هي القوة التي تحفظ الجرم المدفوع في البعد الذي تقتضيه القوة الجاذبة بحيث لا يهبط إلى المركز ولا يشرد عنه . فاذا قذفت قذيفة بقوة أضعف من قوة الجاذبية تنقذف إلى مدى القوة التي قذفتها ثم تهبط نحو المركز . ولكن إذا كانت القوة الدافعة (لا الطاردة) تعادل القوة الجاذبة (بسرعة نحو ٥ أميال في الثانية على الأرض) فالجرم المقذوف لا يهبط إلى الأرض نحو المركز ولا يشرد في الفضاء بل يبقى دائراً حول الأرض كأنه قمر ثان لها . فانظر ما أعظم الفرق بين الدافعية المركزية والطاردية المركزية ! أما عن الجرافيت فتفسير الأستاذ له لم يزده بياناً ؛ فما هو إلا فحم حجري مضغوط كما قلت والفحم كربون على كل حال بقي أن الأستاذ لم تعجبه المعادلة :

كتلة × سرعة = زخماً

Mess × Valocify = Momentum

بل يصر على أن تكون عزماً بدل زخم . ولو كلف خاطره أن ينظر في أي معجم من معجمات اللغة لرأى بين عزم وزخم بوناً شاسعاً .

الزخم هو الدفع أو الاندفاع بشدة .

والعزم هو توطين النفس على العمل أو الفعل ، أو هو القصد أو الإرادة ، وليس معنى من هذه المعاني هو المعنى المقصود بشدة الاندفاع أو الدفع . فالعزم هنا خطأ محض كما يرى القارىء .

ثم لم يعجبه القول أن السرعة هي مدى انقذاف مقدار من الكتلة في الثانية ، بل يصححها بقوله أما سرعة جسم متحرك هي معدل إزاحته في ثانية . وللقارىء أن يحكم أي القولين أصح . ألا يصح فيه قول القائل « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » .

كنت أود أن تكون نقدات أستاذنا كامل وجيهة لكي أستفيد منها ، فاذا هي نقدات ناقد نواها منذ شرع يطالع الكتاب . وعلى كل حال أشكر له اهتمامه وأتمنى أن يأتينا بكتاب من قلمه في هذا الموضوع العويص فنتعلم منه ما لم نعلمه .

نقولا الحداد

م ش البورصة الجديدة القاهرة

الملك أوديب

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

وأخيراً تناول الأستاذ توفيق الحكيم بأسلوبه البارع في القصة والحوار مسرحية الملك أوديب ، بعد أن تناولها قبله تسعة وعشرون مؤلفاً ، من سنة ١٦١٤ م إلى سنة ١٩٣٩ م ، وهي مسرحية قديمة ألفها سوفوكليس اليوناني ، ليصور فيها الصراع بين الإنسان والقدر ، على نحو ما كان يذهب إليه اليونان من عقيدة القدر المحتوم .

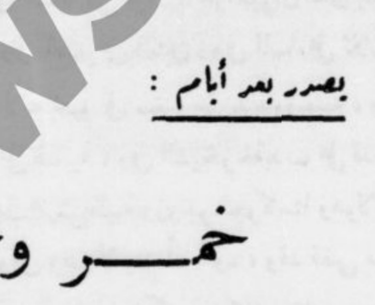
وتتلخص هذه المسرحية في أن لايوس ملك طيبة تزوج فتاة تسمى جوكاستا ، وقد رزق منها طفلا هو أوديب ، فجاء إليه ترسياس العراف الذي كان يدعي الوحي من السماء ، فأخبره بأن هذا الطفل إذا كبر يقتله ويستولي على ملكه ، وأشار عليه بقتله وهو في المهد ، فأعطاه هو وجوكاستا راعياً لهما ليقتله . فلما ذهب به ليقتله لم يطاوعه قلبه على قتل طفل بريء ، فأعطاه راعياً آخر ليذهب به إلى بلده ويتخذه ولداً ، فذهب به ذلك الراعي إلى بوليت ملك كورنت وزوجته ميروب ، فتبنياه وربياه في قصرهما إلى أن كبر ، ولكنه علم أنه لقيط ، فلم تقبل نفسه أن يقيم معهما بعد علمه بذلك ، ففر من قصرهما ليبحث عن حقيقة أصله فألقى به القدر إلى طيبة ، وكان لايوس قد خرج من طيبة في حاشية له ، فزحم أوديب مركبة لايوس عند مفترق الطرق بين دلف ودوليا ، وقام شجار بينه وبين الحراس من الحاشيه ، فتغلب عليهم وقتلهم ، وأصابت ضربة منه رأس لايوس فقتلته وكان في الحاشية ذلك الراعي الذي أعطاه لايوس أوديب ليقتله ، ولم ينج غيره من الحاشية . فأشيع أن جماعة من اللصوص خرجوا على لايوس فقتلوه ، وكانت جوكاستا لا تزال في عنفوان شبابها ، وكان لها أخ يسمى كريون ، فجعلوه وصياً على العرش ، وهنا ظهر وحش خارج أسوار طيبة له وجه امرأة وأجنحة نسر سماه أهلها أبا الهول ، وكان كل من تخلف منهم خارج الأسوار بعد الغروب يلقي عليه لغزاً ليحله فيعجز عنه ويقتله ، حتى أهلك عدداً كبيراً منهم ، فاتفقوا على أن يمنحوا عرش طيبة لمن ينقذهم منه ، ويزوجوه جوكاستا ، وكان أوديب هو الذي أنقذهم من ذلك

الوحش ، لأنه قدم عليه فسأله عن لغزه : ما هو الحيوان الذى يمشى فى الصباح على أربع ، وفى الظهر على اثنتين ، وفى المساء على ثلاث؟ فأجابه بأنه الإنسان ، لأنه يحبو فى صغره على يديه ورجليه ، وفى الكبر يستوى ماشياً على قدميه ، وفى الشيخوخة يدب على قدميه وعصاه . فأعطوا أوديب عرش طيبة وزوجوه جوكاستا وهو لا يعلم أنها أمه ، كما قتل لايوس وهو لا يعلم أنه أبوه ، وقد قضى معها عيشة طيبة ، ورزق منها بأولاد ، ولكن هما كان يثقله من جهة أصله الذى خرج من كورنت يبحث عنه ، فكان يهمه أن يصل إلى معرفة حقيقة أصله ، وفى معرفته القضاء على هناءة عيشه هو وزوجته ، لأنها أمه ، وأولادها إخوته .

وهنا يشاء القدر فى قسوته أن يوصله إلى حقيقة أصله ، فيسلط طاعوناً على أهل طيبة ، ويعجز أوديب عن إنقاذهم منه كما أنقذهم من ذلك الوحش ، فيرسل كبير الكهان كريون أخا جوكاستا إلى معبد دلف ليسأل الإله عما يفعلونه ليرفع غضبه عنهم ، فيجيبه الإله بأن سبب هذا الغضب إثم يدنس طيبة بدم الملك لايوس ، ولا مفر من غسل الدم بالدم ، ويخبره بأن قاتله هو أوديب ، ثم يسوق القدر القاسى الحوادث بعضها إثر بعض ، إلى أن يبين لأوديب الحقيقة التى سعى وراءها ، فإذا هو قاتل أبيه لايوس ، وإذا هو زوج أمه جاكوستا ، وإذا هو أخو أولاده منها ، ويثقل وقع الحقيقة على جاكوستا فتذهب إلى حجرتها هرباً منها ، ثم يجدونها تتدلى فى هوائها معلقة بحبل فى عنقها ، وقد ماتت مختنقة به ، ويراها أوديب كذلك فيبلغ مصابه غايته ، وينتزع مشابك ثوبها الذهبية فيطعن بها عينيه ليبكيها بدموع من دم ، ولا يزال الدم يسيل من عينيه إلى أن يذهبا ، وتنتهى بهذه الفجيعة تلك المسرحية .

وقد تصرف الأستاذ توفيق الحكيم فى نقلها إلى العربية ليجعل منها مسرحية توافق البيئة العربية الإسلامية ، فلا تكون محض جبرية كما كانت فى أصلها اليونانى ، بل يكون لسعى أوديب فى الوصول إلى الحقيقة أثر فى مصيرها ، ليكون القدر فيها وسطاً بين الجبر والاختيار ، كما قال أبو حنيفة : إنى أقول قولا متوسطاً ، لا جبر ولا تفويض ولا تسليط ، والله لا يكلف العباد بما لا يطيقون ، ولا أراد منهم ما لا يعملون ، ولا عاقبهم بما لم يعملوا ، ولا سألهم عما لم يعملوا ، ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم ، والله يعلم بما نحن فيه . وقد أصاب الأستاذ الحكيم فى توجيه مسرحية أوديب هذا التوجيه ، ولكنى أخالفه فى أن أوديب سوفوكل بلغت الكمال الفنى أوجا يعد مفخرة للذهن البشرى ، فهى ألاعيب كهان وثنيين لا يسمون إلى حقيقة القدر ، لأنه أسمى من أن يقدر هذه الألاعيب من أولها إلى آخرها ، ليلهو بها أولئك الكهان ، وينصبوا ويعزلوا بها ملوكهم ، ويوقعوا المصائب على شعوبهم ، وما كان أحرى الأستاذ الحكيم أن يوجه المسرحية إلى كشف هذه الألاعيب، لتوافق البيئة الإسلامية موافقة كاملة ، ولا تنتهى إلى تلك الفجيعة التى لا تستسيغها عقليتنا ، ولا نرى فى قتل أوديب لأبيه من غير عمد ، ولا فى زواجه بأمه من غير علم ، شيئاً يوجب هذا المصير المؤلم ، كما لا يوجب ذلك الطاعون الذى أصاب أهل طيبة ، وهذا إلى أنهم لم يكن لهم يد فى ذلك القتل .

وأين القدر فى هذه المسرحية من القدر فى أمر موسى وفرعون ؟ ولعل هذه المسرحية مأخوذة من قصتهما ، مع الفارق الكبير بينهما ، فقد أراد القدر أن يربى فرعون موسى ليقتله من أجل غاية سامية ، فلما أخبر فرعون كهنته بأنه سيقتل بيد مولود إسرائيلى ، عمد إلى قتل كل مولود يولد لبنى إسرائيل ، ولكن القدر الإلهى غلبه على أمره ، وجعله يربى ذلك الطفل الذى سيكون هلاكه على يديه ، ومع هذا لم يجعل هلاكه على يديه إلا بعد أن أعذر إليه ، ليكون هلاكه عقاباً له يستحقه ، ولا شىء من هذا كله فى مسرحية أوديب ، وإنما هى ألاعيب كهان جهلة ، يستغلون جهل الشعوب ، ويلعبون كما يشاء لهم جهلهم بمصيرهم .


RETRO
NEWS



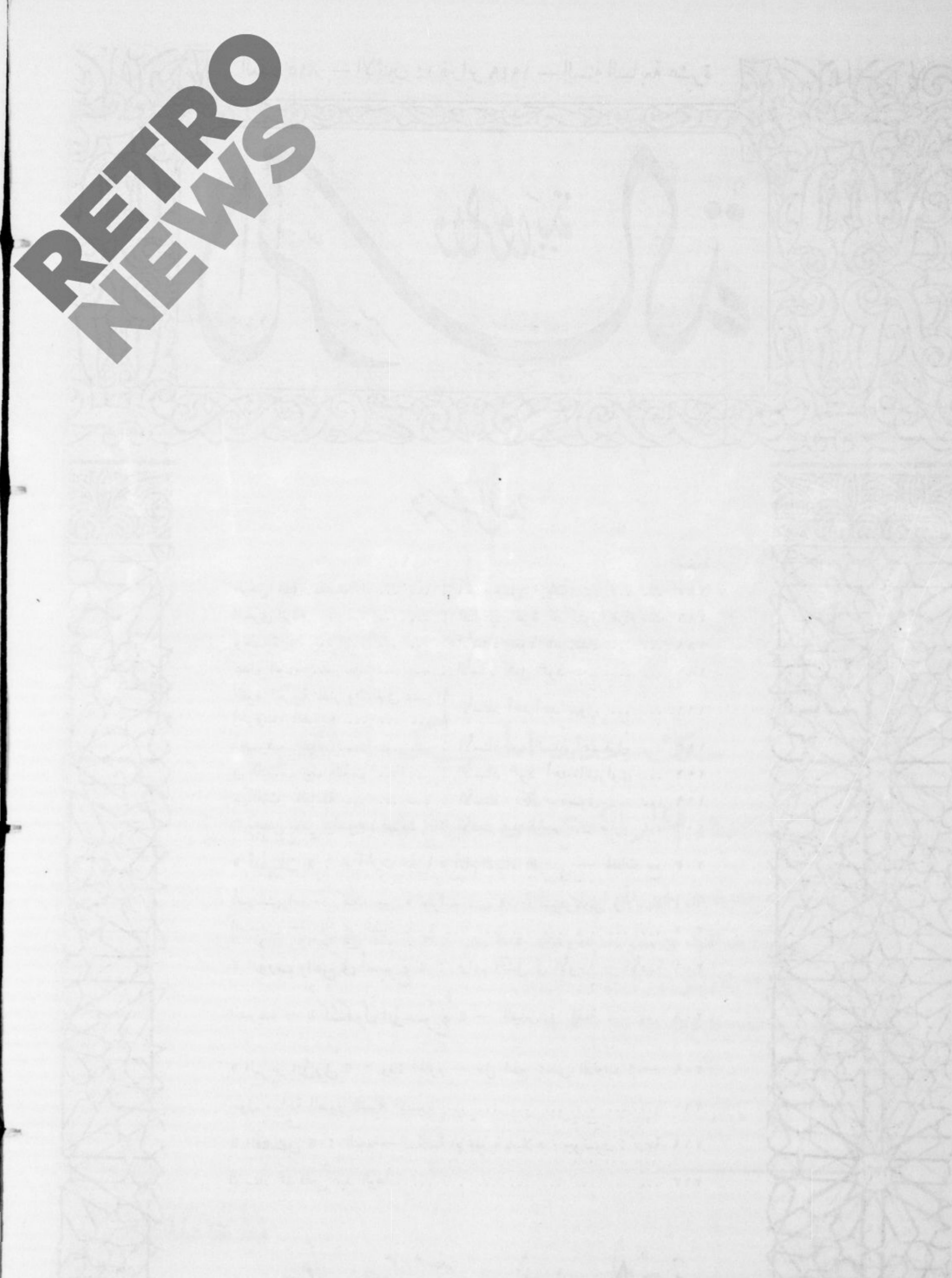
العدد ٨١٥ — الاثنين ١٤ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



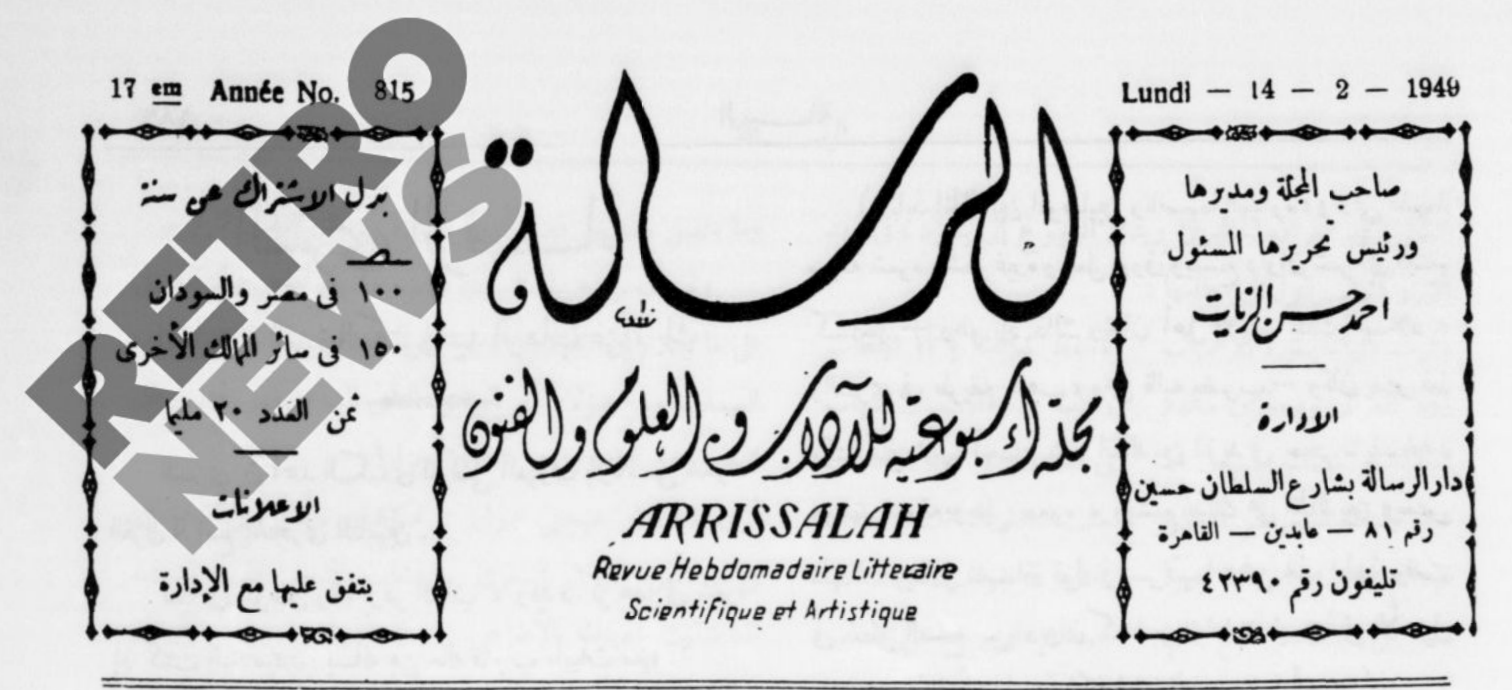
فهرس العدد

٣٢٠١٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17 em Année No. 815 — Lundi — 14 — 2 — 1949



العـــدد ٨١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ١٤ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الرجـــل الذي فقدناه!

مضى على استشهاد المجاهد الخالد محمود فهمى النقراشى باشا سبعة وأربعون يوما ولا يزال الأسى على مصرعه يلوع القلوب، والأسف على فقده يرمض الأنفس! وعهدنا بالحزن على الزعماء العظماء أن يشتمل أوسع ما يكون الاشتمال، ويخبو أسرع ما يكون الخبو. ولم يمت زعيم عظيم إلا اختلفت الآراء فى تمييز مكانته، وتفاوتت الموازين فى تقدير كفايته. حتى أبو الأبطال سعد، لم تتفق على سياسته الكلمة، ولم تجمع على عدالته الأمة، ولم يصلّ على جنازته الملك. ولم يكن النقراشى الذى ظفر من الشعب والحكومة والعرش بذلك كله قد أوتى ما أوتى مصطفى كامل وسعد زغلول من ذكاء القلب فى الخاصة، وبلاغة اللسان فى العامة. ولم يكن الوعى القومى الذى قدّره هذا القدر، ووضعه هذا الوضع، وبكاه هذا البكاء، خامد الفطنة كليل البصيرة سلس المقادة، كذلك الوعى الذى افتتن بمصطفى واستقاد لسعد.

وعينا القومى اليوم غيره بالأمس. ولئن نضج فى هذا العهد لقد تقلب على أطوار الطبيعة ككل كائن: كان غصناً خدّره برد الشتاء فنبهه أبو اليقظة مصطفى؛ ثم كان برعماً أخرجه دفء الربيع ففتّقه أبو الثورة سعد؛ ثم كان ثمرة سواها حر الصيف فقطفها أبو النهضة النقراشى. فالوعى المصرى فى هذا الطور يتأثر بالفعل لا بالقول، ويستجيب للعقل لا للهوى، ويفاضل بالمنفعة لا بالعاطفة. ومن هنا كان حزن الأمة العميق الشامل على النقراشى الذى كان يعمل ولا يتكلم، ويحارب ولا يخطب، ويصارح ولا يداهن، وينتصر ولا يباهى، وينتصف ولا يحابى، ويقدم ولا يتردد، ويهجم ولا يخاف؛ لأنه كان مقتضى الحال الأليمة التى كانت عليها مصر يوم تولى أمرها. والمصلحون كالأنبياء يبعثهم الله حين يستشرى الفساد ويضطرب الحبل ويستبهم الطريق. كانت الحكومة مترددة تريد الحازم، والسياسة مستكينة تريد الأبى، والشهوة متوقحة تريد النزيه، والأمة متحيرة تريد الدليل. والنقراشى شهد الله كان أقدر على تصريف الأمر بعين لا تكسرها ريبة، ويد لا تقصّرها جبانة.

كانت حياة النقراشى ملحمة، وكانت ميتته مأساة! وكما يكون بطل الملحمة عبقرى الصفات فى خيال الفنان، كان النقراشى عبقرى الصفات فى واقع الطبيعة. ولكن بطولته كانت نمطاً من بطولة الرسل: قوة فى الروح تقهر النفس، وقوة فى الخلق تقهر الغريزة. ومن لوازم القوة الروحية الصفاء والوفاء والعفة والكرامة؛ ومن لوازم القوة الخلقية العزم والحزم والنظام والصرامة. والصفات الأولى هى عناصر الشخصية الخاصة فى النقراشى الصديق والزوج والوالد؛ والصفات الأخرى هى عناصر الشخصية العامة فى النقراشى المعلم والسياسى والحاكم. ومن أجل ذلك كان النقراشى هو الشهيد الوحيد الذى ترثيه بلسان الشعر فتؤثر، وترثيه بلسان المنطق فتقنع. كانت حياته العاملة فى سبيل وطنه وأمته، وموتته الدامية فى طفولة ابنه وابنته، إلياذة مجد ألّف ختامها القدر من أنات هانىء وصفية وكتبها بدمه، كما ألف ختام الملحمة العلوية من صرخات على وفاطمة وكتبها بدم الحسين!

احمد حسن الزيات

السرى الرفـــاء

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

السرى بن أحمد الكندى الموصلى المعروف بالرفاء من شعراء القرن الرابع الهجرى النابهين .

نشأ فى الموصل رفاء يرفو الثياب ، وقد ذكر هذا فى شعره إذ كتب إليه صديق يسأله عن حاله فأجاب بأبيات منها :

وكانت الإبرة فيما مضى صـــائنة وجهى وأشعارى
فأصبح الرزق بهـــا ضيقا كأنه من ثقبها جارى

يقول الثعالبى فى يتيمة الدهر :

(ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة واستكثر من المدح له فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد سيطه بعد الخمول وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ومدح المهلبى الوزير وغيره من الصدور فارتفق بهم وارتزق معهم وحسنت حاله ، وسار شعره فى الآفاق ، ونظم حاشيتى الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان ، وسائر البلدان) .

فهذا شاعر عاش فى الشام والعراق فى القرن الرابع ، وشهد حلبة الأدب عند الأمير العربى الجواد الأديب سيف الدولة ، واتصل بالوزير الأديب المهلبى فى بغداد . فهو يمثل الشعر العربى فى عصر من أندر عصوره ، وفى أمجد أقطاره . ففى شعره مجال للأديب واسع ، وقد صرف القول فى فنون الشعر المعروفة فى عصره ، ونافس كثيراً من شعراء زمانه . ولا يتسع حديثنا للقول فى تاريخ السرى الرفاء وشعره ، فأكتفى بموضوعين .

الأول عداوته للأديبين الموصليين الأخوين محمد وعثمان المعروفين باسم الخالديين ، وهجاؤه إياهما بسرقة شعره وشعر غيره وتصريفه القول فى غارتهما على الشعر ، والولوع بذكر هذا فى قصائد مدحه وهجائه . وإن صح ما رواه الثعالبى عنه فقد حملته المداوة على ما لا يجمل بالأدباء . يقول الثعالبى :

(ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما المداوة ، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره وجمل يورق وينسخ ديوان شعر أبى الفتح كشاجم — وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب — وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد فى حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ويغلى سعره ، ويشنع بذلك على الخالديين ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما ، فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الأصول المشهورة منها وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما) .

فهذا مثل من ادعاء السرى على هذين الشاعرين سرقة الشعر . وأما هجاؤه إياهما بسرقة من أشعاره خاصة فقد افتن فيه افتنانا . ورده فى كثير من شعره وقد سلط الله عليه الثعالبى جزاء وفاقا فعقد هذا المؤلف الكبير فصلا فى اليتيمة لسرقات السرى من الشعراء وأفاض القول فيها . وأكتفى هنا بمثالين من شعره فى هذا الموضوع :

كتب الخالديان إلى أبى إسحاق الصابى الكاتب المعروف أنهما قادمان إلى بغداد فأنشأ السرى للصابى قصيدة أولها :

قد أظلتــك يا أبا إسحق غارة اللفظ والمعــانى الدقاق
فاتخذ معقــلا لشعرك تحميه مروق الخـــوارج المراق
كان شن الغارات فى البلد القفــــر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تــكن لسمر العوالى حين شنت ولا السيوف الرقاق
جال فرسـانها على جلوسا لا أظلتهم ســـيوف العتاق

إلى أن يقول :

يا لهـــا غارة تفرق فى الحو مة بين الحمام والأطواق
تسم الفارس السميدع بالما روبعض الأقـــوام عار باق
لو رأيت القريض يرعد منها بين ذاك الارعاد والابراق
وقلوب الـكلام تخفق رعبا تحت تنتى لوائهــا الخفاق
وسيوف الظلام تفتك فيها بعـذارى الطروس والأوراق
والوجوه الرقاق دامية الأبشـــار فى معرك الوجوه الصفاق
لتنفست رحـمة للخدود السـ ـمر منهن والقدود الرشاق الخ

وله قصيدة أخرى فيها يخاطب أبا الخطاب والمفضل بن ثابت

الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، فى عهد الوزير المهلبي يقول فى مطلعها :

بكرت عليك مغيرة الأعراب   فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب

ورد العراق ربيعة بن مكدم   وعتيبة بن الحارث بن شهاب

أفسدنا شـك بأنهما هما   فى الفتك لا فى صحة الأنساب

جلبا إليك الشعر من أوطانه   جلب التجار طرائف الاجلاب

فبدائع الشـعراء فيما جهزا   مقـرونة بغرائب الكتاب

شنا على الآداب أقبح غارة   جرحت قلوب محاسن الآداب

لا يسلبان أخا الثراء وإنمـا   يتناهبان نتـائج الألبـاب

إلى أن يقول :

نظرا إلى شـعر يروق فتربا   منه خدود كواعب أتراب

فى غارة لم تنتظم فيها الظبا   ضربا ولم تند القنا بخضاب

تركا غرائب منطق فى غربة   مسبية لا تهتـدى لإياب

جرحى وما ضربت بحد مهند   أسرى وما حملت على الأقتاب

ويصف شعره بهذه الأبيات وهو كثير الإعجاب بشعره ، مولع بالحديث عنه .

لفظ صقلت متونه فـكأنه   فى مشرقات النظم در سحاب

وكأنما أجريت فى صـفحاته   حر اللجين وخالص الزرياب

أغربت فى تحبـيره فرواته   فى نزهة منه وفى استغراب

وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل   عن حسنه بصبا ولا بتصابى

وإذا ترقرق فى الصحيفة ماؤه   عبق النسيم فذاك ماء شبابى

يصغى اللبيب له فيقسم لبه   بين التعجب منه والإعجاب

جد يطـير شراره وفـكاهة   تستعطف الأحباب للأحباب

ثم يعود فيرثى لهذا الشعر الجميل الذى كتبه بماء شبيبته من غارة الخالديين فيقول :

أعزز على بأن أرى أشـلاءه   تدمى بظفر للعـدو وناب

أفن رماه بغـارة مأفونة   باعت ظباء الروم فى الأعراب

إنى أحذر من يقول قصيدة   غراء تخذنى غارة ونهـاب

هذا موضوع فـكه طريف يستطيع الأديب أن يتناوله بالبسط والشرح ليبين عما بين السرى والخالديين من عداء ويتعرف أسبابه ، ويقضى فيما يدعيه السرى عليهما من سرقة ، وفيما اتهم الثعالبي به السرى من دس لشعرهما فى ديوان كشاجم ، وعن الصلة بين أشعار هؤلاء الأربعة من شعراء القرن الرابع وما يتصل بهذا من قضايا أدبية خطيرة فى ذلك العصر المزدهر .

ولم يقتصر اعتداد السرى بشعره واتهام الناس بسرقته على على ما بينه وبين الخالديين ، بل تناول غيرهما من الشعراء بهذه التهمة . ومن هؤلاء أبو العباس النامى الشاعر المعروف . قال السرى عن النامى وادعى أنه كان جزارا :

أرى الجـزار هيجنى وولى   فكاشفنى وأسرع فى انكشافى

ورقع شعره بعيون شـعرى   فشاب الشهد بالسم الزعاف

لقد شقيت بمديتك الأضاحى   كما شقيت بغـارتك القوافى

توعر نهجها بك وهو سهل   وكدر وردها بك وهو صافى

ويصف قصائده بأبيات يقول فيها :

جمعنا الحسنيين فمن رياح   معنبرة وأرواح خفـــاف

ثم يرجع إلى ذكر إغارة النامى على الشعر فيقول :

وما عدمت مغيراً منك يرمى   رقيق طباعها بطبـاع جافى

معان تستعار من الدياجى   وألفــاظ تقد من الأثافى

وشر الشعر ما أبداه فـكر   تعثر بين كد واعتساف . الخ

وأما الموضوع الثانى من الـكلام عن السرى الرفاء فموعده المقال الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

وحـــدة الوجود

للأستاذ نقولا الحداد

هذا الموضوع طُرح على بساط البحث فى هذه المجلة منذ أكثر من سنة ، وتناقش فيه بعض الكتاب وتشعبت آراؤهم فيه فى نواح مختلفة ، وما استقرت على نظرية واحدة . واليوم عاد الأستاذ عبد العزيز محمد الزكى يبسطه ثانية عارضاً فيه نظرية طاغور الهندوكى . وهى على حد قوله حجر الزاوية فى الديانة الهندوكية كالتوحيد فى الإسلام (والنصرانية أيضاً) .

وقد أفاض الأستاذ عبد العزيز فى الموضوع فى ستة أعمدة من المجلة ، ولكنه بكل أسف لم يعرفنا المقصود من « وحدة الوجود » . ومعظم ما ورد فى مقاله مبهم قلما يستقر الذهن فيه على معنى .

والذى فهمناه من الوجود أن للفلاسفة فيه قولين : وحدانية الوجود Unism وثنائية الوجود Duabism . أما وحدانية الوجود فقد وضحت فى فلسفة سبينوزا ونحواها أن الكون كلٌّ واحدٌ ، وإن كان مكوناً من أجزاء ، وأنه يشمل الله ، أو بالأحرى إن الله يشمله . وبحسب هذه الفلسفة يكون الله موجوداً فى كل جزء من الكون ، أو أن كل جزء من الكون يعبر عن الله . وبهذا الاعتبار فالله موجود فى كل مكان .

وكذلك العقل الذى يدرك الكون (عقل الله مثلاً وعقل الإنسان المنبثق من عقل الله بحسب فلسفة المطران بركلى) هو جزء من الكون لا ينفصل عنه والكون لا يوجد بدونه ، فإذا لم يكن العقل موجوداً فالكون لا وجود له ، وإن زعمنا أن الكون موجود على كل حال ، فبأى عقل يوجد ؟ وأى عقل يدركه ؟ ما لا يوجد فى الإدراك ، أو فى عقل مدرك ، فلا وجود له

أما ثنائية الوجود ، فقد وضحت فى معظم فلسفة الفلاسفة ، وهى أن الكون موجود منفصلا عن الله وعن العقل الذى يدركه ؛ يعنى أن الكون مرتبتان أى Two Catigorys : الكون المادى والكون العقلى ، والمقصود بالكون العقلى الله وما انبثق منه من العقول . وبهذا المعنى يكون الله ذاتية Entits قائمة بذاتها مستقلةً عن الكون المادى ، وإنما هو بحسب رأى اللاهوتيين حالٌّ فى كل ذرة من مواد الكون المادى ، ولكنه ليس منه البتة

فإذاً للوجود كونان : كون مادى وكون عقلى أو روحى ، وهذا ليس من ذاك بل هو يدركه . ومعظم الفلاسفة ثنائيون يعتقدون بثنائية الوجود . ولا أدرى أى النظريتين تتفق مع طاغور والديانة الهندوكية ، وكذلك لا أرى أى النظريتين توافق النصرانية والإسلام . إن هذا يتوقف على ماهية الله . والله فى اللاهوت المسيحى « روح (لا مادة) أزلى (وأبدى سرمدى) خالق كل شىء (من العدم) وقادر على كل شىء ، وموجود فى كل مكان وكل زمان ، وعالم بكل شىء » . وأظن هذا التعريف مقبول فى الإسلام . وبحسب هذا التعريف يوافق الرأى الثنائى الإسلام والنصرانية ، لأن الوحدانية تستلزم أن يكون الله خاضعاً للادراك البشرى . أعنى يستطيع العقل الإنسانى أن يبحث فيه ويحلله ، كما يبحث فى الذرة ويحللها ، ويفهم مقاصده من غير وحى وإلهام . وهذا لا يوافق الإسلام ولا النصرانية .

وأما كيفية مطابقة « الوحدة » للعقيدة الهندوكية فلم نفهمها جيداً من بحث الأستاذ الزكى واقتباسه نظريات طاغور . فمثلا لا نفهم قوله : « إن الله حينما امتلأ بالسرور فاضت منه الخليقة ، فالكون عند طاغور هى الصورة التى يتجلى فيها سرور الله ، الخ »

هذا كلام يحتاج إلى تفسير مستفيض إن كان تفسيره ممكناً .

ثم قوله : « إن الإنسان لن يحصل على كماله الروحى إلا عندما يتلاشى شعوره بذاتيته ويدمجه فى كل ما حوله من كائنات . وبغير ذلك لن يدرك أحد حقيقة وحدة الوجود » . كيف ذلك ؟

وهناك فقرات كثيرة من هذا الطراز لا نفهمها . عذراً يا أستاذ !

وقد اتفق بطاركة الفلسفة الأولون — سقراط وأفلاطون وأرسطو — على أن الله موجود مع الكون السرمدى منذ وجد هذا الكون (إن كان لوجوده بداية) ، ولكنه لم يخلقه وإنما هو يدبره .

هذه العقيدة أقرب إلى المعقول من غيرها ، وتطابق نظرية ثنائية الوجود إذا اعتبرنا الله مجموعة النواميس الطبيعية وعلى رأسها ناموس الجاذبية ، فإما أن تكون الجاذبية هى الله نفسه ، أو أن الله وراءها ممسكها بيده ويدبر بها عوالم الكون ، لأنه

بحسب العلم الطبيعي نرى الجاذبية موجودة مع الأكوان منذ الأزل ومنبثة فى كل ذرة من ذرات العوالم المادية وجميع حركات الذرات والأقمار والسيارات والشموس والسدم — كل هذه تتحرك فى « الزمكان » (زمان مكان) بقوة الجاذبية تتحرك كيماويا وحيويا وميكانيكيا ، هى قوة قصوى موجودة فى كل مكان وزمان ، ولكنها لم تخلق العوالم من العدم .

هذه النظرية يمكن أن تتفق مع وحدة الوجود ومع ثنائيته أيضا — وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

نقولا الحداد

٢ شارع البورصة الجديدة — القاهرة

عـــدل السماء

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر — يا رفيقى — يوم أن تخرجت فى الجامعة ، يوم كنت تدلُّ بقسامة الوجه ونضارة الصفحة ، وتختال بصلابة العود وانفتال العضل ، وتفخر بقوة الشباب ونشاط الحياة ، وتمتز بالسعة فى الرزق والإشراق فى المستقبل ، وتتيه بوظيفتك الحكومية على صحابك وذوى قرابتك ، وتزهى بميراثك من أمك وقد اغتصبته من أبيك منذ أن تخرجت فى الجامعة ضنا به عليه وعلى اخوتك من أبيك ؟

وركبك الغرور والشيطان ، فأنت فى سعة من المال والعلم ، وأنت فى وظيفة تدر عليك ما يفيض عن حاجاتك ، وأنت عزبٌ تعيش فى نوازع نفسك ورغبات قلبك ، هى لا تكلفك كثيراً ، فما تنزع بك إلى فاحشة ، ولا تندفع بك إلى فجور . فقضيت سنوات منطوياً على نفسك ، تبيت تحصى ما ادخرت ، ثم تودعه درج مكتبك ، أو مكتب البريد ، فادخرت مالاً .

وجاءك أبوك — ذات مساء — يستعينك على أمره ، وقد عصرته الحاجة ، وجلس إليك فى خلوة يحدثك بذات نفسه يقول : « ... وأنت تعلم — يا بنى — أننى قد ضُربتُ بداء أعضل على الأطباء شفاؤه ، وأنا بين الأطباء كالشاة يتجاذبها الذئاب ثم لا يلفظونها إلا رمة . وللطبيب أفانين طبية تبتز مال الفقير ، وتستلب ثراء الغنى ، ومن ورائه القانون يشد عضده حين يمسك بالمشرط ، وحين يمسك بالقلم ؛ فابتلع الطبيب والمرض فى أشهر ما ادخرتُ فى سنوات ، وأولادى كثير بينهم الشاب والصبى والرضيع ، وأخشى أن تكشفنى الكواشف وأنا فى قرية شيدت على البغضاء والشحناء ، وبين أهل انطبعوا على الحقد والضغينة والغل ، يخفونها وراء ستار صفيق من الحب والمودة والإخاء ، وهم بين صغير يتربص بالكبير أن ينحدر إلى الهاوية ، وفقير يتمنى للغنى أن ينهار إلى الحضيض ؛ وإذا نزلت بواحد نازلة ابتسم الجميع فى غل وشماتة ، وتندّروا به فى سخرية وتشف ، ثم قال قائلهم — وهو فى يسر وغنى — : « آه ، لو أستطيع أن أعينه على بلواه ! » ثم يتوارى خيفة أن يمين قريبه بفضلة من مال ... وأنت ، يا بنى ، رجل ذو مال ، ولقد جئتك لتقرضنى بعض مال أستر به ضعفى وحاجتى . وهذه « كمبيالة » بالمبلغ الذى أريده » .

وكانت كلمات أبيك تتدفق أسى وحزناً ، ونفسه تتقطر ذلة وانكساراً ، وأحس وهو إلى جانبك يحدثك حديث حاجته أنه ينحط بكرامته وينزل عن كبريائه ، وكانت سلوته أنك أنت ابنه وله عليك حق . ولما أتم حديثه نظرت إليه فى ترفع وصلف ثم قلت : « يا أبى ، إن حاجات المدينة لم تدع لى وفراً من المال ، وأنا لا أعرف مَن أستقرضه لأدفع لك ما تريد » !

آه ، يا قلبى ! لقد أحس أبوك بالضمة حين رآك تستعلى عليه ، وشعر بأن كلماتك الجاسية تصفعه صفعات قاسية متتالية ، وأراد قلبه أن يبكى حسرة وكمداً ، ولكن الدوار كان قد غلبه ، فترنح حيناً ثم سقط بين يديك ... سقط فما رق قلبك ، ولا اضطربت نفسك !

وخرج أبوك من لدنك وهو يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ... ما ذا قال ؟ ليت شعرى ! هل كان يستنزل سخط السماء على ابنه العاق ؟ !

وعاوده المرض يعركه عركا شديداً من أثر فظاظتك وخشونتك ، وألح عليه السقام فما تركه حتى مات ... مات أبوك لأنك أنت فقدت إنسانيتك ورجولتك ، ولأنك نسيت أنك ابن أبيك !

وظن اخوتك الصغار أنك الأخ الأكبر ، وأنك أنت الأب بعد أبيهم ، ولكنك كنت وجدت فى قلبك حلاوة المال ولذة المدينة ، فانطويت عن القرية ، وابتعدت عن أهلك وأقاربك ، ثم انطلقت تنعم بالحياة ، وتتلذذ بارخاء ، وترتاح إلى الوفر ، واخوتك

فى القرية يتنازعهم شظف العيش ، وجفوة الحياة ، وغلاظة الأهل ، وقسوة الأقارب ، فعشت أنت وعاشـوا . . وما تبضُّ كفك بدرهم ، وما ينبض قلبك بعاطفة !

وتماديت فى قسوتك ، فرحت تفزع الطير الآمن عن عشه : هذه دارك ودار أبيك ، تقاسمتماها على سواء ، لأنها ميراثكما من أمك ، وهى عش اخوتك الوحيد منذ أن ولد كبيرهم . وها أنت تصر عليهم أن يدفعوا لك أجر نصيبك من الدار التى يسكنون . وأصررت وأصرت المحكمة الحسبية . ثم وافقت المحكمة الحسبية — بعد لأى — أن تباع الدار فى مزاد علنى ، فاشتريتها أنت ، اشتريت نصيب أبيك (المرحوم) لأنك تجد المال ، ثم قذفت بأخوتك خارج الدار ، لأنك لا تجد الإنسانية ، وأفزعت الطير الآمن عن عشه ، وهو قد اطمأن إليه منذ سنوات وسنوات . وجاءت زوجة أبيـك وابنها الأكبر — أخوك — يسألانك المهلة والرفق ، فما أعرتهم أذناً صاغية !

ونسيت أن زوجة أبيك قد كفلتك طفلاً ، وأنها كانت أحنى الناس ضلوعاً عليك يوم أن اصطلحت عليك العلل وأنت صبى ، وحين قرر الطبيب أن المرض معد تحاماك كل أقاربك ، حتى عمتك رفضت أن تدخل الحجرة التى عُزلتَ فيها خشية أن يصيبها ما أصابك ! أما زوجة أبيك فقد قضت أربعين يوماً تقدم لك الطعام وتؤاكلك وتجلس معك وتداعبك وتخفف عنك وعكة المرض وقسوة الوحدة ، وأبوك ينظر ويبسم لما يرى من عطفها عليك ، وهو يشعر براحة القلب وهدوء البال من أثر ما تفعل . ستقول إنها فعلت لتكسب رضاء أبى ومحبته ، ولكنها تحملت — يا رفيقى — فى سبيلك ما ضنّ به أقرباؤك عليك !

ونسيت أن من بين اخوتك من كان يحمل إليك الزاد من القرية لا تزعجه وعثاء الطريق ولا يصرفه عناء السفر ، ومن كان يفرج أزمتك وأزمات الطالب لا تنتهى ، ومن كان يخفف عنك متاعب الحياة ومصاعب الدرس ؟ ! .

نسيت كل ما كان وأصررت على أن تفزع الطير الآمن عن عشه !

لقد ركبك الغرور والشيطان ، فتماديت وتماديت ، لا ترتدع من دين ، ولا تفىء إلى خلق ، ولا تسمو إلى إنسانية ، ولا تترفع عن مادية . وتململت السماء من وحشيتك فأرادت أن تنتقم من أرضيتك !

يا لله ، لقد ضل هذا الفتى حين ركبه الغرور والشيطان فغشى بصره ، وشغل عن سواء السبيل ، وغفل عن أن فى السماء عقاباً لا يمهله ... فما ذا كان ؟

آه — يا رفيقى — لقد بدأت الروحانية تنتقم منك — أول ما بدأت — فى أسلوب حلو جميـل ، تتضوع منه ريح العطر واللذة والسعادة والمال . كان ذلك حين طرقت باب « فلان بك » تخطب إليه ابنته ، فما تمهل ولا تموق ، وحين زفت هى إليك فى ثوبها الأبيض الناصع الجميل ، تتألق فى ثلاثة منابع من النور : نور وجهها المشرق الجذاب ، ونور جواهرها الوضاءة المتلألئة ، ونور الكهرباء المتناثرة فى المكان ؛ وحين جلستْ إلى جانبك على عرش الورد ، والموسيقى ترسل أنغامها الشجية الأخاذة ، فتملأ المكان نشوة وطرباً ... حين ذاك نسيت أنك أنت !

ثم مات (سعادة البك) فطرت أنت فرحاً ، وقضى الناس ليلتهم فى حزن ونواح ، أما أنت فانزويت فى ناحية تحدث نفسك حديث الثراء الذى ورثته زوجك من أبيها ليكون ملكا لك ، وسيطرت عليك النشـوة فسلبتك وقارك ، فرحت تنشر ذات نفسك على رفاق من رفاقك !

وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى جاء الدائن يجر الدائن ... يستوفون ديونهم من ميراث (سعادة البك) ، وجلس الكاتب يكتب والحاسب يحسب ، فإذا سعادة البك لا يملك ما يسد به دينه ، وإذا أنت صفر اليدين . ولكن ابنة (البك) ما تزال هى!

وصرت الأيام ، وابنة (البك) لا تستطيع أن تكون زوجاً لك ، فهى فى أبهتها وكبريائها لا تنزل عن حاجة من حاجاتها ، وترفعت — بادئ ذى بدء — عن أن يبدو عجزك أمامها ، فهل استطعت أن تشبع رغباتها وهى تنطلق كل ليلة إلى ضجة الحياة الليلية : تهفو إلى السينما ، وتسمى إلى المسرح ، تصبو إلى الخمر ، وتحن إلى القمار ، ثم هى لا تصبر على الدار ، لأنها تحب الشارع ، وفى الشارع أساليب من الحياة تنزع عنها الملل والضيق ؟ هذا المال الذى ضننت به على نفسك وعلى أبيك ، وبخلت به على اخوتك وأهلك ، ينسرب اليوم من بين يديك فى غير مهل ولا روية ؛ فأنفقت فى يوم غلة شهر ، وأنفقت فى شهر غلة سنة ، وأنفقت فى سنة ما ادخرت منذ تخرجت فى الجامعة ؛ ثم امتدت يدك إلى ميراثك تبعثره ، وما هو بكثير !

ثم أسقمك السهر وأضناك التعب وعلقت بك الخمر وشغفت

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

كان عدد الجيش المصرى فى ذلك العهد عظيماً ضخماً ؛ ففى أيام الفائز الفاطمى استعرضت عساكر القاهرة ، فكانت نحو خمسين ألف مقاتل ، وكان بمراكبه عشر مراكب مشحونة بالرجال والسلاح ، وهذا مع تلاشى أمر الخلفاء الفاطميين ، وضعف شوكتهم [١] . قال المقريزى فى الخطط (حـ ١ ص ١٣٨) ورأيت بخط الأسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتى الكاتب المصرى : سألت القاضى الفاضل عبد الرحيم : كم كانت عدة العساكر فى عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك فى أيام رزيك بن الصالح ؟ فقال أربعين ألف فارس ونيفاً وثلاثين ألف راجل من السودان ، مما يدل على أن مصر كان فى استطاعتها رد الصليبيين بجيوشها ، لولا ظروف أخرى عرضناها فيما مضى .
فلما انقضت الدولة الفاطمية واستولى على الأمر صلاح الدين

(١) ابن إياس حـ ١ ص ٦٧

عنى بأمر الجيش عناية كبرى ليحقق أهدافه ومشروعاته . قال القاضى [١] الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة فى ثامن المحرر (أى قبل القضاء على الخلافة الفاطمية بيوم واحد ، ولعل لهذا العرض مغزى سياسياً آخر يرمى إليه صلاح الدين) خرجت الأوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها ، بعد أن أنذر حاضرها وغائبها وتوافى وصولها ، وتكامل سلاحها وخيولها ، لحضر فى هذا اليوم جموع شهد كل من علا سنه أن ملكاً من ملوك الإسلام لم يحز مثلها ؛ ولم يتكامل اجتياز العساكر موكباً بعد موكب ، وطلباً بعد طلب (والطلب بلغة الغز هو الأمير المقدم الذى له علم معقود وبرق مضروب وعدة من مائتى فارس إلى مائة فارس إلى سبعين فارساً) إلى أن انقضى النهار ، ودخل الليل ، وعاد ولم يكمل عرضهم وبلغت عدة عساكره بمصر اثنى عشر ألف فارس ، فلما مات افترقت من بعده ، ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة ، إلا أن فيهم من له عشرة أتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من له أكثر من ذلك إلى مائة تبع لرجل واحد من الجند ؛ فكانوا إذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون على مائتى ألف [٢] .

(٢) خطط المقريزى حـ ١ ص ١٣٩
(١) المرجع السابق ص ١٥٢

باليسر ... ومرت سنة أخرى ، فإذا ميراثك كله — وهو عشر فدادين فحسب — قد تبدد وتناثر !

وهكذا — يا رفيقى — لم يبق لك سوى راتبك الحكومى ، وأنت بين أدواء ثلاثة : الخمر والميسر والزوجة ... وسوّل لك الشيطان — مرة أخرى — فركبك الدين والدائن معاً !

وفقدت صحتك ومالك ، فتراءيت فى نظر زوجك شبحاً لا تستطيع أن تكون رجلا ، فأخذت تنظر إليك شزراً وتحدثك فى احتقار ، تمتهن قولك ، وتزدرى رأيك ، وتسخر من جهلك ، وتتطاول عليك تثلبك وتثلب أهلك ... ثم ... ثم طارت عنك مع واحد من ذوى الثراء ، لتذرك على فراش المرض وحيداً ، تلتهمك هموم المرض والدين !

والآن ... هل تذكر تاريخك ؟ لقد عجمتك الخطوب ، وراضك الزمن ، ولكن بعد أن توزعتك الأحداث ، وعصفت بك الأحزان ، ولزمك المرض والفقر ؛ فأنت هيكل يتهادى فى مزق بالية ، تقتحمك الأعين ، وتعافك الأبصار !

يا عجباً ، لقد كنت منذ سنوات تدل بمالك وصحتك وعقلك ، فتعاليت على أهلك وأقاربك . والآن حين ضربك الفقر والمرض والذهول ، ذهبت تستجدى عطفهم ولكن ...

ونظرت الأعين فى عجب ، وابتسمت الشفاه فى سخرية ، وتشفّت القلوب فى صمت ، وقال قائلهم : « ليت كل ذى عقل يؤمن بأن فى السماء عدلا يهبط إلى الأرض فى غير انقطاع ! فما أشد حمقك وغباوتك يا من تتناسى عدل السماء ! »

ليت شعرى هل كان أبوك يستنزل سخط السماء على ابنه العاق حين كان يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ؟ !

كامل محمود حبيب

واستكثر الصالح أيوب من شراء المماليك حتى كان عددهم في معركة المنصورة عشرة آلاف (١) . ولما قامت دولة المماليك الأتراك حذوا حذو مواليهم بني أيوب ، وبلغت عدة جند بيبرس اثني عشر ألفاً ، ثلثها بمصر ، وثلثها بدمشق ، وثلثها بحلب ، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف ، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى ، فإن اشتد به الأمر استدعى الثالثة (٢) . وكان في خدمة قلاوون من المماليك اثنا عشر ألفاً كذلك (٣) ، وكذلك كانت عدة مماليك ولده الأشرف خليل بن قلاوون(٤)

والظاهر أن ذلك كان عدة الجيش النظامي ، وفي غير وقت النفير العام . أما الجيش في الحملات الحربية ، وعند النفير العام ، فإن عدده ما كان يقف عند هذا الحد ، فكان جيش قلاوون في معركة حمص التي هزم فيها المغول يبلغ خمسين ألف مقاتل (٥) ؛ وكان في الحملة التي بعث بها قلاوون إلى بلاد النوبة سنة ٦٨٨ أربعين ألف راجل . قال لين بول (٦) : احتفظ بيبرس باثني عشر ألف جندي نظامي دائم ، وهذا بخلاف الاحتياطي من العرب والمصريين ، وما تقضي به الظروف من تجنيد طبقات من الجندين. وفي المعارك الكبرى كان المتطوعون يقدمون من كل فج حتى لتزيد عدتهم على الجند المقيدين . قال صاحب النجوم الزاهرة (حـ ٨ ص ٥) : اجتمع مع الأشرف خليل على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة ، وكان المطوعة أكثر من الجند ومن في الخدمة .

وهذا الجيش الضخم هو الذي استطاع بعثابرته أن يرد جحافل التتار ، وأن يطرد الفرنج من الديار .

ولا غرابة أن تبلغ العناية بأمر الجيش ذروتها في ذلك العهد الذي هاجم الغرب فيه الشرق ، ووقفت فيه مصر والشام تدفعان عن كيانهما الصليبيين والتتار . وإذا كانت العناية بأمر الجيش في آخر عهد الفاطميين قد وجهها الوزراء إلى ناحية الاحتفاظ بمراكزهم ، فإن نور الدين محمود بن زنكي ، وأمراء الفاطميات السورية في عهده قد عنوا بجيوشهم وأبلوا البلاء الحسن في حرب الصليبيين . ولو أن مصر والشام كانتا متحدتين في يد قوية ، ما استطاع الصليبيون تثبيت أقدامهم في الشام . وفي عهد صلاح الدين عني به عناية فائقة وارتقى فن الحرب في عهده وعهد نور الدين من قبله ، وما كانا يغفلان يوماً عن تقوية جسمهما بالرياضة البدنية . وفي عهد الصالح أيوب بنى لمماليكه بجزيرة الروضة قلعة جهزها بكثير من الأسلحة والآلات الحربية والأقوات ، وأسكنهم فيها ، وجعل حول تلك القلعة شواني حربية مشحونة بالسلاح معدة لقتال الفرنج إذا طرقوا البلاد(١) . وعني الظاهر بيبرس بالجيش وإعداده وتمرينه على الأعمال الحربية ، وكان ذلك من أهم ما شغله طوال أيام حكمه ، حتى اتسم عصره بسمة الجد وشاعت فيه روح الجندية ، فكان عندما يئوب من الحرب لا يدع جيشه للراحة والسأم بل يدربه على أعمال الحرب ، ويستعرضه في الحين بعد الحين ليرى أينقصه شيء ؟ وكثيراً ما اشترك هو وابنه الملك السعيد في مناورات الجيش وكان موضع الإعجاب والتقدير ، وعني بيبرس بالحياة الخلقية لجنده فحرم عليهم الفسق وشرب الخمر. ونودي يوم عيد الفطر وبيبرس والجند على باب صفد : من شرب خمراً أو جلبها شنق(٢) ولم تقل العناية بالجيش في عهد قلاوون الذي كان يخرج غالب أوقاته في مواعيد الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليهم ، ويتفقد لحمهم ، ويختبر طعامهم في جودته ورداءته فإن رأى فيه عيباً اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما ، وحل بهما منه ما يكرهان . وألزم المماليك الإقامة بقلعــة الجبل لا يبرحونها (٣) ، ولكن يظهر أنه لم يكن كبيبرس في شدة تزمته ، بل أباح لجنده اللهو البريء ، فبينما كان الغناء كالمحرم في عهد بيبرس إذا بنا نرى طائفة من الجند قادمة للقتال على رءوسهم البيض مقلدين سيوفهم وبأيديهم الرماح وأمامهم العبيد تميــل على الركائب وترقص براقص المهاري ، وبأيديهم الجنائب ووراءهم الظعائن والحمول ، ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية سافرة في الهودج وهي تغني :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة	ليالي لا قينا جذام وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية	يقودون جرداً للمنية ضمرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه	ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها	ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وفي عهد ابنه الأشرف عني بالجيش ، ليضرب الفرنج الضربة القاضية ، وسمح لمماليكه بمبارحة القلعة نهاراً على ألا يبيتوا في غيرها

(يتبع)

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) السلوك حـ ١ ص ٦٣٨
(٢) لين بول ص ٢٣٥ (٤) موير ص ٦
(٣) خطط المقريزي حـ ١ ص ١٥٣
(٥) موير ص ٥٧ (٦) ص ٢٧٣

(١) ابن إياس جـ ١ ص ٨٣ . (٢) السلوك جـ ١ ص ٥٤٦ .
(٣) خطط المقريزي جـ ٣ ص ٤٣٦ .

أحـــرف القرآن

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

كان حق هذا المقال أن يسبق مقالات القبائل والقراءات ولكنى أخرته عن عمد فلما رأيته من تعرض له ومن كتب من المحدثين فيه ومن استفهم عن معانيه كتبت هذا المقال .

معلوم لكل إنسان أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة ولا فى مكان واحد بل نزل منجما فى ثلاثة وعشرين عاماً بمكة والمدينة وما حولها ؛ وكانت الآيات ينزل بها جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاها المؤمنون من فم الرسول ويكتبها من عرفوا بأنهم كتاب الوحى كما يمليها عليهم الرسول الكريم . وكان الإسلام فى مكة محدود الأشخاص فلما هاجر النبى إلى المدينة اتسعت رقعة الإسلام وكثر عدد الداخلين فيه من قبائل مختلفة ولهم عادات صوتية تخضع لها ألسنتهم وتتحكم فى ألفاظها ، فكان من سماحة الإسلام أن يترك الألسن على سجيتها من إمالة وتفخيم وما شابه ذلك من طريقة أداء اللفظ بنغمة تخضع لها عادة الإنسان اللغوية حيث لا يمكنهم أن ينسلخوا منها بسهولة .

وهذه الإباحة أرشد إليها الحديث المرفوع ، اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتهم وفهمت من أن الرسول قرأ فأمال « يحيى » فلما سئل فى ذلك قال هذه لغة الأخوال بنى سعد .

أما حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف فلم يكن مقصوداً به اللهجات التى هى عادة لغوية تتحكم فى عضلات النطق . وكل توجيه لهذا الحديث على أنه يراد به لهجات القبائل ، إنما هو توجيه خاطئ أو هروب خاطئ من معناه الحقيقى الذى تظاهره جميع الروايات الصحيحة لهذا الحديث

وآخر ما قرأته متعلقاً به هو ما جمعه من عدة كتب الأستاذ عبد الوهاب حمودة فى كتابه القراءات واللهجات وما حمله عليه الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه اللهجات العربية متبعاً فى ذلك رأياً لبعض العلماء — ولى نقد على كتابيهما أرجو أن أنشره فى الرسالة إن شاء الله — وقد كنت أحسبهما سيطلعان علينا فى هذا الحديث — وهما أستاذان مساعدان بالجامعة ولهما على أستاذية — بالرأى الواضح المستقيم ، ولكن الأستاذ حمودة كانت مهمته عرض آراء ومحاولات التوفيق بينها دون أن يكون له مجهود يذكر .

والدكتور أنيس اختار أشهر التأويلات باعتبار أن الأحرف هى اللهجات كالإمالة والتسهيل مع أنها فى الحقيقة أضعف التأويلات وينافيها سياق الحديث . وقبل شرح المقصود منه أرى أن أربط بين الحوادث والأحاديث حتى يستقيم الفهم ويتبين الموضوع .

زمن الحديث :

لم أجد — على الرغم مما قرأت — من ذكر العام ولو على وجه التقريب الذى قيل فيه هذا الحديث فرأيت أن أراجع طرقه ورواته من الصحابة ومن ذكروا فيه ، وظروفه فتبين لى ما يأتى :

١ — ليس هناك شك فى أن الحديث كان بعد الهجرة لأن فيه من الصحابة الذين رووه أو وقعت معهم الحادثة . أبى بن كعب وزيد بن ثابت وأم أيوب وهؤلاء أنصار من أهل المدينة .

٢ — إن هذا الحديث كان بعد العام الثامن من الهجرة للأسباب الآتية .

(ا) من رواته أبو هريرة وقد أسلم سنة سبع من الهجرة .

(ب) من رواته عمرو بن العاص وقد أسلم سنة ثمان من الهجرة .

(حـ) ممن ذكروا فى طرق الحديث زيد بن ثابت على أنه أقرأ غيره ، وزيد بن ثابت كانت سنه حين قدم الرسول المدينة أحد عشر عاماً ، ولا يكون زيد مقرئاً لغيره إلا بعد أن يتجاوز حد الحلم وعلى أقل تقدير تكون سنه ليؤخذ عنه القرآن فى عهد الرسول سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً .

(ء) من رواة الحديث ابن عباس وهو قد ولد قبل الهجرة بثلاثة أعوام ولا يشترك فى الرواية ولا يهتم بها إلا بعد أن يتجاوز العاشرة من عمره على الأقل ولا يتجاوزها إلا بعد سنة سبع من الهجرة .

(هـ) واقوى دليل وأثبته أن النزاع فى القراءة كان بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وقد أسلم هشام يوم فتح مكة وكان فتحها فى العام الثامن الهجرى فى أواخر رمضان ولم يرجع الرسول إلى المدينة إلا فى ذى الحجة فعلى أقل تقدير يكون الحديث فى أوائل العام التاسع الهجرى .

(و) من الذين رووا الحديث من الصحابة أبو بكرة نفيع ابن الحارث وقد أسلم فى حصار الطائف ، وقد كان ذلك فى أواخر شوال وأوائل ذى القعدة من العام الثامن الهجرى .

(ز) يضاف إلى هذه الأدلة القاطعة أن الحكمة التى قصدها الإسلام من الحديث والتى ستظهر لنا بعد الشرح كان وقتها المناسب حينما كثر المسلمون كثرة تجعل من العسير الإشراف عليهم جميعاً ولم يكثروا إلا بعد فتح مكة .

وإذن لقد هاجر رسول الله واتسعت دائرة الإسلام وكثر الأتباع وقد مضى عليهم ثلاثة عشر عاماً فى مكة وثمانية أعوام فى المدينة يقرءون بعاداتهم اللغوية فلم يصل إلينا أن بعضهم أنكر على بعض فى القراءة أوشك بعضهم فى تلاوة الآخر . نعم لقد مضى على الإسلام والقرآن فى مكة ثلاثة عشر عاماً نزلت فيها بضع وثمانون سورة ثم ثمانية أعوام فى المدينة نزل فيها كثير من السور فما حدث خلاف بينهم مع إسلام كثيرين ممن لهم لهجات مختلفة من إمالة وتسهيل وغير ذلك وما أتانا خبر عن تنازعهم الذى أدى إلى أن يلبب عمر هشام بن حكيم بردائه وهما قرشيان لهجتهما واحدة ويذهب به إلى الرسول ليستقرئه وإلى أن يدخل الشك فى قلب عمر فيقول الرسول ثلاثاً : أبعد شيطاناً . وأن يدخل قلب أبى بن كعب من التكذيب ولا إذ كان فى الجاهلية فيضرب الرسول صدره فيتصبب عرقاً ...

العرب أمة أمية أغلبهم لم يقرأ كتاباً قط « ومنهم — كما فى الحديث — الشيخ الفانى ومنهم الغلام ومنهم العجوز الكبيرة وهؤلاء تعجز ذاكرتهم عن الحفظ الوثيق وبخاصة أن القرآن قد كثرت سوره وتعددت آياته والرغبة الدينية فى النفوس قوية يحرصون على تلاوة القرآن فلا تنزل آية إلا بادروا إلى استماعها وتلقيها ، ولكن ما يكادون يمر عليهم زمن حتى يشتبهوا أن يكون هذا اللفظ أو مرادفه هو المنزل وأكثرهم لم يكتبوه لأميتهم فيرجعوا إلى الرسول وإلى من كتبوه يستعيدون ما تلقوه ويتكرر ذلك والرسول يشهد ماهم فيه من معاناة وما يبذلونه من جهد ، ويعلم — كما قال لهم — أن القرآن أشد انفلاتاً من الإبل فى عقلها ورأى أفراد الأمة بعد فتح مكة قد كثروا . فمن يردهم إذا اختلفت ألفاظهم ومن يردهم إذا نقصوا أو زادوا .

والرسول كما قال الله فيه بالمؤمنين رءوف رحيم يسعى إلى التخفيف عن الأمة ولا يريد أن يشق عليها فقد سأل الله من قبل أن يخفف عنهم الخمسين صلاة حتى صارت خمس صلوات فى اليوم والليلة . فلجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله يسأله التخفيف عن أمته والرحمة بها « إنى بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ الفانى والعجوز الكبيرة» «فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد فقال الرسول أسأل الله معافاته ومغفرته سل الله لهم التخفيف فإنهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين قال أسأل الله معافاته ومغفرته رب خفف عن أمتى فإنهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته إنهم لا يطيقون ذلك سل الله لهم التخفيف فانطلق ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ ما لم تختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة » .

لقد جاءت رحمة الله وصدر الإذن بأن يقرأ القرآن بحروف مختلفة والسبعة لا مفهوم لها بل هى دليل الكثرة يعلمه جبريل الحروف وهى الألفاظ وأداء الجملة — كما تؤيد ذلك اللغة — على شريطة ألا يتغير المعنى ولا يختلف السياق فبدأ الرسول يلقن الصحابة ما أنزل الله عليه ، هذا يلقنه الآية بألفاظ وذلك يلقنه الآية بالألفاظ مع اختلاف فى بعضها وإن كان المعنى واحداً . لقنه كل هذا جبريل بإذن من الله العزيز الحكيم « فأيما واحد أصاب من ذلك حرفاً فهو كما قرأ »

فغدا المسلمون وقد حفظوا ما لقنهم فدخل عمر بن الخطاب المسجد فسمع هشام بن حكيم وهو قرشى مثله يقرأ سورة الفرقان بخلاف ما لقنه الرسول فكاد يساوره فى الصلاة فصبر حتى سلم

فلما سلم لببه بردائه وقال له من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت فو الله إن رسول الله لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلق يقوده إلى الرسول فقال يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال الرسـول أرسله يا عمر اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعه عمر يقرؤها فقال الرسول هكذا أنزلت ثم قال الرسول اقرأ يا عمر فقرأ القراءة التي أقرأه الرسول فقال الرسول هكذا أنزلت فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه فضرب صدره وقال أبعد شيطاناً أبعد شيطاناً أبعد شيطاناً ثم قال يا عمر إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها إن القرآن كله صواب ، ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة » .

وإذا في صلاة أخرى كان أبي بن كعب في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه وقال كل منهم إن الرسول أقرأه كذلك فدخلوا جميعاً على الرسول فقال أبي يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فأمرهما فقرآ فحسن شأنهما فوقع في نفس أبي من التكذيب ولا إذا كان في الجاهلية فلما رأى الرسول ما غشيه ضرب في صدره ففاض عرقاً كأنما ينظر إلى الله فرقاً ثم قال له الرسول يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن أهون على أمتي ... الخ الحديث » .

وظل الأمر كذلك وعرف كثير منهم السبب في الاختلاف والحكمة الإلهية ولكن ما زال بعض الصحابة يذهبون إليه يشكون فهذا رجل جاء إليه فقال أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبي بن كعب — وزيد وأبي أنصاريان خزرجيان نجاريان — فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ فسكت الرسول وعلي إلى جنبه فقال علي ليقرأ كل إنسان كما علم كل حسن جميل » . ثم ما زال بعض الناس يختلف ويشكو فهذان رجلان قد اختلفا في القراءة فقال هذا أقرأني النبي وقال هذا أقرأني النبي فأتى النبي فأخبر بذلك فتغير وجهه ثم قال اقرءوا كما علمتم وقال إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم فقام كل رجل وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه » .

هـذا في الواقع هو ربط الأحاديث والتوفيق بينها وتلك مقتضيات ظروفها وملابساتها تؤيدها الروايات المختلفة والطرق المتعددة وليس فيها من التعنت أو الفهم الخاطيء شيء ؛ وقد أشار إلى كثير منها أجلة العلماء السابقين من أعلام الإسلام وإن كانوا لم يوضحوها كال التوضيح .

فليست المسألة مسألة إمالة وتفخيم وترقيق إذ يناقض فهم أنها لهجات لفظ الحديث لأبي بكرة « كقولك هلم وتعال وأقبل » وقول أنس بن مالك خادم رسول الله حينما قرأ « وأصوب قيلا » فقال له بعض القوم يا أبا حمزة إنما هي أقوم فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد .

وقول ابن شهاب ولعله الزهري : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

وقول الطبري : فقد أوضح نص هـذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام .

وقول عبد الله بن مسعود « فإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال » . وهذا كله يبين لنا السر في بعض الاختلاف اللفظي في قراءة بعض القراء بالنسبة إلى غيرهم .

حفظ القرآن :

أما حفظ القرآن فيرجع إلى ما يأتي :

أولا : أن جبريل كان يدارس الرسول القرآن كل عام مرة ودارسه في العام الذي قبض فيه مرتين فكان هذا تمهداً للنصوص

ثانياً : إن كتاب الوحي كانوا يكتبون نص ما ينطقه الرسول ولا يعتمدون على الحفظ فحسب .

ثالثاً : إن سيدنا أبا بكر حينما وافق على جمع القرآن كان زيد ابن ثابت يجلس أمام المسجد وهو يحفظ كتاب الله ولكنه يتلقى من الصحابة ما كتبوه على أن يشهد شاهدان أن فلاناً هذا سمع هذه الآية من فم الرسول وأن هذا المكتوب هو نفس ما سمعه

في التقريب بين اللغتين

للأستاذ محمود أحمد الغمراوي

قرأت في الأهرام كلمتين في التقريب بين اللغتين ؛ أولاهما لعبد الحميد عمر أفندي بمحكمة النقض ، وثانيتهما لأحمد عبد اللطيف بدر أفندي المدرس ببور سعيد ؛ وقد تضمنت الأولى دعوة موجهة إلى الخاصة أن يتركوا اللغة العربية الفصحى وأن يستبدلوا بها في مخاطباتهم ومكاتباتهم ما يستعمله العامة في مخاطباتهم من الجمل والكلام ، فيستعملوا مثلاً جملة (حضروا الرجال) التي تجرى على ألسنة العامة بدلاً من (الرجال حضروا) إذ لا مانع عنده من ذلك ما دام مثل هذا الاستعمال قد ورد في التنزيل الحكيم في قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) — سورة الأنبياء — وفي قوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) في سورة المائدة (لا العنكبوت) كما قال ؛ وقال إنه لا يهمه الاختلاف في أوجه الإعراب في الآيتين ما دامت العبرة هي بالاستعمال ، وليس يعنيه أن يكون (الذين ظلموا) في الآية الأولى فاعلاً أو بدلاً أو غير ذلك . وكذا لا يعنيه ما يقال في الآية الثانيــة (ثم عموا وصموا كثير منهم) من أوجه الإعراب .

وتضمنت الكلمة الثانية أن كاتبها : أحمد عبد اللطيف بدر أفندي يخالف الأول في رأيه لما يترتب عليه من أن جمل فاعلين لفعل واحــد كما في لغة (أكلوني البراغيث) على زعمه يؤدي إلى تنامي القاعدة الأصليــة ، ويرى أن يكون التقريب بين اللغتين بإشاعة الألفاظ المحرفة وإحلالها محل الألفاظ الفصيحة فتستعمل كلمة (مِن) مكان (مَن) ولفظ (فين) بدل (أين) و (اشمعنه ومنين) مكان (لِمَ) و (من أين) . وزعم أن ورود الآيتين الكريمتين على لغة (أكلوني البراغيث) وهي غير اللغة الفصحى إنما كان للتحدي والإعجاز والدلالة على أن القرآن من صميم لغة العرب على تباين لهجاتها ، ولذلك جازت القراءات المتعددة فيه ، وأول المفسرون الآيتين بما يدنيهما من اللغة الفصحى الخ .

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت :

وليت شعري كيف يكون التحدي بغير الفصيح للإعجاز ؟ أم كيف يتوهم ذو علم أن المفسرين يؤولون القرآن بما يدنيه من اللغة الفصحى وهو في أعلى طبقات البلاغة ؟

وأنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمع كل هذا الذي شهد عليه لا غير وحفظ هــذا المصحف إلى خلافة عثمان فكثر اختلاف الناس في القراءات وكادوا يقتتلون لجمع الناس على مصحف واحد نسخوه من المصحف الذي عند حفصة وكان الناسخون هم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث المخزومي « وقد تركوا ما خالف المصحف الموجود من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ولم يثبت ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن » ثم أمر سيدنا عثمان ووافقه المسلمون حرصاً على وحدة الأمة وجمعاً لكلمتها وخشية أن يدخل في القرآن ما ليس منه فأحرقت جميع المصاحف الأخرى التي لا تتفق مع المصحف الإمام . وإذن فقد أصبحت هذه المصاحف التي أجمع عليها المسلمون هي التي يعول على رسمها في القراءة وأضيف إليها شرط صحة سندها وأن توافق العربية ولو بوجه من الوجوه واعتبر ما عدا ذلك شاذاً فما خالف اللغة العربية باطل من أساسه وما خالف الرسم العثماني شاذ تعبداً حيث خالف إجماع الأمة مع صحة سنده وما لم يصح سنده شاذ حيث لا دليل على قرآنيته . والواقع أن ما خالف الرسم العثماني قد هجره العلماء السابقون فانقطع سنده فأصبح مشكوكاً في كونه من السبعة فبعد عن أن يكون قرآناً تصح به الصلاة والعبادات وشرط التعبد بالقرآن أن يكون متصل السند صحيح الرواية مقطوعاً بقرآنيته .

أما الآراء التي تقول إن السبعة الأحرف هي حلال وحرام وترغيب وترهيب ... أو أنها محكم ومتشابه وقصص وأمثال ... أو أنها أمر ونهي ... الخ فكلها آراء بالغة الضعف لا تستند على أوهى دليل . ولعل في ما كتبت تبياناً وتوضيحاً سليماً مقبولاً من كل وجه والله أعلم بكتابه وهو بكل شيء عليم .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوي

لقد أخطأ الأستاذ أحمد عبد اللطيف فى ظنه أن لغة (أكلونى البراغيث) أتاها الضعف من ناحية أنها تعتمد فاعلين لفعل واحد؛ فما اعتراها الضعف إلا لأنها تلحق بالفعل علامة التثنية والجمع عند إسناده إلى ظاهر مثنى أو مجموع، إذ ليس ثمة حاجة إلى هذه العلامة والواو فى الجملة حرف وليست بضمير — كما ظن — حتى تكون فاعلا على هـذه اللغة (شرح ابن عقيل قول ابن مالك فى باب الفاعل):

وجرد الفعل إذا ما أسـندا لاثنين أو جمع كفاز الشهـدا

وأخطأ الكاتبان القصد، إذ يرى الأول أن تستبدل اللغة العامية باللغة العربيـة الفصحى، ومعنى ذلك إهمال اللغة العربية وإهدار قواعدها، وإفساد نظامها؛ وإذ يرى الثانى أن تترك المفردات الفصيحة ويستعاض عنها بالمحرف والدخيل، فإنه إذا ضم رأى كل منهما إلى رأى صـاحبه كان منهما مزيج قاتل للغة مفسد لمفرداتها وتراكيبها، هادم لقواعدها، مود بنظامها، مقوض لبنائها المحكم الرصين. يقول عبد الحميد أفندى عمر إنه لا يرى مانعاً من أن يستعمل الخاصة ما يجرى على ألسنة العامة فى المخاطبات والمكاتبات بدلا من الفصيح، إذ قد ورد فى التنزيل الحكيم نظير هذا الاستعمال، وإنه لا يهمه الاختلاف فى أوجـه الإعراب، ولا يعنيه أن تكون كلمة (الذين) وكلمة (كثير) فى الآيتين فاعلا أو بدلا ما دام الاستعمال قد ورد به. ولم يدر أن الإعراب هو الذى يفتح مغاليق الكلام ويبين أغراضه ومعانيه ويكشف عن وجه الدلالة فيـه فيعرف الحسن المقبول ويتميز من المردود المرذول.

وإذا كان لا يدرى لم يمنعون أن تستعمل جملة (حضرو الرجال) كما تستعمل كلمة (الرجال حضروا) وأن تكون مساوية لها، فليعلم أنه يمنع من المساواة بينهما أمور بعضها يرجع إلى اللفظ وبعضها يرجع إلى المعنى. فما يرجع إلى اللفظ الثقل الذى جلبـه حرف العلة الساكن الذى جىء به ليكون علامة على الجمع دون حاجة داعية، فإذا حـذف لالتقاء الساكنين بقى الفعل مضموم اللام فيلتبس عند الوقف على الرجال بالإسم الدال على المعنى المقابل لنبده، وذلك خلل معنوى، وإذا ضم الفاعل بقى الثقل الناشىء من توالى ثلاث راءات أولاها مضمومة وباقيها مكسور، وهى مع اللام الأخيرة فى الرجال تخرج من اللسان، وانتقال اللسان من ضم إلى كسر ثم ضم فى حروف متحدة المخرج تقريباً فيه صعوبة لا تخفى. فالجملة الأولى (حضرو الرجال) تشتمل على مخالفة القياس بضم آخر الماضى حيث ينبغى أن يفتح وفيها ثقل قد عرفته وتعقيد قد تبينته. ثم إن فيها وراء ذلك مانعاً آخر يمنع من مساواتها للجملة الفصيحة وهو أنها ليس فيها سوى إسناد واحد، ولا تقال (بعد أن تصحح) إلا لخالى الذهن. أما الجملة الثانية الفصحى فإنها مشتملة على إسنادين ويخاطب بها من يكون شاكا فى أن الرجال المعهودين له قد حضروا، فلكل منهما مقام يغاير مقام الأخرى. هذا ما يتعلق بالفرق بين الجملتين.

فأما الآيتان الكريمتان فإن من المقرر أن قراءة القرآن سنة متبعة فلا تجوز القراءة بغير ما روى عن النبى صلى الله عليـه وسلم وإن كان مما تسوغه القواعد العربية. ذلك بأن ما روى عن النبى هو العربى الفصيح الكفيل بأداء الأغراض المقصود أداؤها من النظم. وليس كل ما جاز عربية بالذى يفى بذلك؛ فليس كل ما جاز عربية جاز قراءة. ولنسق لذلك مثالا: قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) قرئ تطهرهم بالرفع على أن الجملة صفة لصدقة، على أن الجزم سائغ عربية فى جواب الأمر، لكن لم يقرأ به أحد من السبعة، ذلك بأن الجزم فى جواب الأمر يقتضى ترتب التطهير على مجرد أخـذ الصدقة منهم كما يترتب الجزاء على الشرط، وليس الأمر على ذلك؛ فقد يؤدى بعض الناس الصدقة وهو شحيح بها كاره لأدائها فلا تكون صـدقة مطهرة له ولا مزكية لنفسه، وإنما تطهر الصـدقة معطيها وتزكيه إذا أداها طيب النفس راضياً وجاد بها آناً بعد آن ومرة بعد مرة حتى تبرأ نفسه من داء الشح ووصمة البخل؛ وهذا سر التعبير بالفعل المضارع والإتيان بالصفة جـملة فعلية دون أن تكون اسما مفرداً. هذا ولنعد إلى الكلام فى الآيتين فنقول:

قد جرى المفسرون على أن يوردوا عنـد تفسيرهم للآيات ما تحتمل من أوجه الإعراب حسبما تقتضيه الصناعة النحوية دون نظر إلى ما يكون منها مناسباً للمقام ولمـا تقتضيه البلاغة. بيد أن الخاصة منهم كالزمخشرى ومن اقتفى أثره يقدمون الوجه المناسب على غيره فى الذكر حسبما أوتوا من ذوق علمى. وقد يقصر ما أوتوه

من الذوق عن إدراك دقائق المعانى والإحساس بلطائفها فيخطئون. وفى هاتين الآيتين قدموا الوجه الإعرابى الملائم للأسلوب البليغ الأعلى على سواه ، فقدموا إعراب (الذين) و (كثير) بدلا على سواه من الأوجه وأصابوا . ووجه الصواب فيه ظاهر لمن ألم بقواعد البلاغة وتذوق أساليب البيان ؛ فالآية (وأسروا النجوى الذين ظلموا ..) جاءت عقب الحديث عن الناس والتعجب مما هم فيه من غفلة عن العاقبة وإعراض عن ذكرها وعن التفكير فى أمرها مع اقتراب حسابهم ودنو وقت جزائهم وعقابهم على ما فرطوا فى جنب الله ، وإذا أتاهم ذكر من ربهم استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم وأسروا النجوى استخفافاً واستهزاء بمن يذكرهم مستنكرين أن يكون أهلا لأن يختصه الله بأن ينزل عليه الذكر من بينهم قائلين (هل هذا إلا بشر مثلكم) فالضمائر كلها جارية على جماعة الناس ، ولما كان الخاصة من الزعماء والقادة هم الذين يقاومون الداعى إلى الحق والذكر به ويتناجون فيما بينهم بما يتناجون به من الكيد له والاستهزاء به والعامة تبع لهم فيما يكيدون ويدبرون أسند الأسرار إلى الضمير العائد إلى الناس إشعاراً بأن للعامة كفلا من أوزار الخاصة لمتابعتهم لهم ؛ ثم أبدل الإسم الموصول من الضمير لبيان من يصدر عنهم الإسرار بالنجوى وقول الزور على الحقيقة وهم أولئك الزعماء الذين ظلموا أنفسهم بالإعراض عن الحق استكباراً وظلموا الناس بإضلالهم وصرفهم عنه وصدهم عن سبيله استبقاء لنفوذهم وحفظاً لسلطانهم ؛ ولم يقل وأسر النجوى الذين ظلموا لأنه يؤذن بانقضاء الحديث عن الناس عند (لاهية قلوبهم) وابتداء حديث عن أناس ظالمين يسرون النجوى فى أمر الرسول واتهامه بأنه ساحر الخ فينقطع حبل الكلام ويختل نظامه ولا يتأدى الغرض الذى تأدى بإسناد الفعل إلى الضمير ثم إبدال الإسم الموصول منه . هذا إلى أن البدل مؤذن بفعل مماثل للفعل المذكور ، لأن البدل عندهم على نية تكرار العامل فيفيد تأكيد حصول الإسرار بالنجوى من الذين ظلموا . وعلى هذا النحو يسهل على العارف أن يتبين ما فى آية المائدة : (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون . وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) فيعرف ما فيها من أسرار البلاغة . هذا .

أما بعد فقد غشيت العرب والمسلمين غاشية ليس لها من دون الله واقية ، وأزفت الآزفة حتى غدت أبصارهم لها كاشفة ، فهم يفتتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ؛ بل غدوا على حرد قادرين ، ولأنفسهم ظالمين ، وعن دينهم معرضين، ولشريعة الله هادمين ، ولكتاب الله ولغة العرب محاربين . يعبث بلغة القرآن صبيانهم ، ويجرؤ على الطعن فى كتاب الله والقول فيه بغير علم جهلاؤهم وكبراؤهم ، ويطفئون نور العلم فى معاهده ، ويأتون بناء الدين واللغة من قواعده ، حتى عمت الطامة ، واستحكمت النقمة ، وحقت الكلمة . فهل فى المسلمين لدين الله من صديق، وهل للغة العرب بين أبناء العرب من شفيق أو رفيق؟ أم هل فيهم من مفيق ، وهل يعتبرون بهذه الأحداث ، التى ستقذف بهم — إذا لم يفيقوا — إلى بطون الأجداث ؟

اللهم احفظ دينك واحم كتابك ، وابعث فى نفوس العرب والمسلمين روحاً منك تحيي به دينهم وتحمى لغتهم وأوطانهم وتدفع عنهم كيد الكائدين وعبث العابثين المفسدين إنك نعم المجيب .

محمود أحمد الغمراوى

من علماء الأزهر

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٦) :

(٢) مشـــــكلات الفلسفة (١)

للأُستـــــاذ كمال الدسوقي

يعز عليّ ألا أستطيع أن أحدثكم فى « مشكلات الفلسفة » فى أكثر من هذا المقال ؛ قبل أن يفجأنا الامتحان — لتواجهوه مواجهة الأبطال الكماة — فقد أنسانا حديث ابن سينا من الوقت أن نذكره ؛ وما أكثر ما كنت أحب أن أقول فى برتراند رسل! حسبكم فى تاريخ حياة هذا الفيلسوف العظيم وفى كتاباته ما جاء بمقدمة الترجمة العربية لكتابه الذى بين أيديكم ، فلن تظفروا فى حياة فيلسوف معاصر بأكثر من هذا القدر ، إذ قلما تعرف أقدار الرجال وهم ما زالون أحياء ؛ وإن كان فيلسوفنا ليرى مجده وعظمته حياً ...

والترجمة التى لديكم لهذا الكتاب سهلة واضحة الأسلوب لا تخلو من روح المؤلف فى كثير من المواضع ، فهى حسنة ومؤدية الغرض ، ومُغنية عن النص الأصلى إن لم تجدوه ؛ فيما عدا الكثير من الأخطاء المطبعية ، وبعض السقطات النحوية واللغوية التى يسهل تداركها من جانب القارئ .

والمحاضرات التى جمعها رسل فى كتابه باسم « مشكلات الفلسفة » تمثل بدء اتجاهه المنطقى والمذهبى أولى من أن تعرض صورة ناضجة للمذهب فى نموه واكتماله . لأنه من أوائل كتبه الفلسفية . ويمكن جمع مشكلاته تحت رؤوس ثلاثة . فالمحاضرات الأربعة الأولى تعالج فلسفة الوجود ، والأربعة الأخيرة تتناول مشكلة الحقيقة ومدى ما تصل إليه المعرفة الفلسفية ، والفصول الوسطى — وهى القسم الأكبر — تعرض لنظرية المعرفة بمختلف أنواعها . وليست الأقسام محددة المعالم ، بل تختلط فيها هذه المباحث وغيرها اختلاطاً يظهرك على روح رسل الفيلسوف الرياضى المنطقى المجدد . ولنتناول هذه المشكلات فى سرعة وإيجاز:

فى الفصل الأول محاولة للتفرقة بين الظاهر appearance والحقيقة reality بين معطيات الحس sense data والشيء الطبيعى الحقيقى physical object الذى هو غير ذاتنا ، والذى لا يتوقف وجوده على إدراكنا . وأهم ما فى هذا الفصل غير هذا تقرير أن الإدراك للمائدة مثلاً لا يتم بالحواس مباشرة ، بل هو استدلال واستنتاج نستخلصهما مما نحس ؛ وإلا لم نستطع أن نتصور وجود المائدة ما لم ندركها ، وجوع القطة ما لم نرها فى أمكنة مختلفة (ص ٢٣) .

أما الفصل الثانى فيتصدى لبحث وجود المادة ، ويأخذ بمنهج ديكارت الذى يبدأ بالشك للوصول إلى اليقين ، وبإثبات الذات لإثبات الموضوع إلا أن الذات التى يثبتها ديكارت لا يلزم أن تكون دائمة ؛ بل قد تكون الأنا المدرك فى لحظة إدراكه . وإذا صح أن أفكارنا ومشاعرنا الخاصة ، وكذلك الأحلام والأوهام والإدراكات الحسية العادية هى ما يتصف باليقين الفطرى ؛ فقد لا تكون هذه رموزاً وعلامات للشيء الطبيعى المراد إثباته . وهنا نقف حائرين مع المؤلف بين نوعين من البرهان : الإدراك العادى البسيط يظهرنا على أن المائدة وغطاءها وأدوات الطعام فوقها ليست مجرد معطيات حس لا حقيقة لها ، وحين أشترى المائدة لا أشترى مجموعة معطيات حس صاحبها ؛ بل شيئاً حقيقياً ، وحين تتفق مجموعة من الناس على رؤية مائدة — مع فارق بسيط — لا يتفقون إلا على وجود حقيقى ... بينما المنطق يرى أن ليس ما يمنع من افتراض أن العالم يتكون — كما عند بركلى والمثاليين عموماً — من ذاتى وأفكارى وشعورى وإحساسى ، وما عدا ذلك فهو وهم وخيال ؛ وأن الحياة ذاتها حلم نبدع فيه بأنفسنا كل ما نتمثله أمامنا ؛ وشهادة الآخرين كذلك ليست حجة علينا ، فقد يكون وجودهم أنفسهم من صنعنا ، وهم حلم يتراءى لنا ... وينتهى هذا الفصل بالأخذ بالإدراك العادى البسيط القائل بالنظرية الطبيعية ، ووجود أشياء لا يعتمد وجودها على إدراكنا . ونحن مهيأون للاعتقاد بها بالغريزة ، ولا نستطيع رفع هذا الاعتقاد حتى يقوم الدليل على خطئه وتناقضه مع غيره . وإذا كان من بين هذه الاعتقادات الغريزية ما هو أقوى ، وما هو شبه غريزى دخيل ؛ فإن مهمة الفلسفة أن تبحث أيَّ هذه البديهيات والمسلمات أولى بالقبول أو الرفض أو التعديل . وإلى أن تنهض بهذا التنظيم والفحص النقدى يجب أن نأخذ بهذه المعتقدات فى شيء من الحيطة والشك .

وإذ ثبت أن الظاهر الحسى دليل على الحقيقة الموضوعية يشرع رسل فى بحث ماهية المادة ، فيفند التفسير العلمى الفرضى الناقص من حيث نظرته للضوء والصوت وغيرهما بوصفها حركات تموجية ؛ مع أنها فى حقيقتها أكثر من هذا : إدراك نحسه بالسمع والبصر ولا نستطيع وصفه أو نقله للأعمى أو الأصم . وينقد كذلك نظرة العلم إلى المكان والزمان العامين المحايدين للشىء الحقيقى (المكان الطبيعى والزمان العام كما يسميهما) بصرف النظر عن مكاننا وزماننا الخاصين كدركين للأشياء الطبيعية فى المكان والزمان العلميين ... يريد رسل أن يخلص من هذا مرة أخرى إلى توكيد التفرقة بين الشىء الطبيعى فى المكان الطبيعى والزمان العام ؛ فى مقابل معطيات الحس فى مواضع مكانية خاصة وزمان تقديرى خاص (والأولى منها لا نعرفها فى ذاتها ؛ بل نعرف نوع تنظيمها نتيجة علاقاتها المكانية) ، وإلى تقرير أن هذه الخواص والعلاقات القائمة فى مقابل الأشياء الطبيعية ومعطيات الحس هى ما يمكن معرفته ؛ أما الماهية فتبقى مجهولة ؛ برغم أن معطيات الحس إن لم تكن هى الأشياء الطبيعية على حقيقتها ؛ فإنها تشبهها قليلا أو كثيراً .

أفليس ثمة إذن دليل على أن المادة الحقيقية التى سلمنا بها ماهية معلومة ؟ يرى الفلاسفة المثاليون — وعلى رأسهم بركلى Berkeley أن كل وجود فهو عقلى — حتى المادة ذاتها — ويدفعون عن مذهبهم بأدلة مستمدة فى معظمها من نظرية المعرفة والشروط التى يجب توافرها فى الأشياء لنعرفها . وعندهم أن وجود الشىء هو إدراكه ، وحين يقال لهم إن الأشياء توجد حتى ولو لم ندركها يقولون : إن الله يدركها حينئذ ، وهو سر وجودها . فما يسميه رسل « الشىء الطبيعى » هو عندهم « أفكار فى عقل الله » ، وما يسميه معطيات الحس هو مشاركتنا نحن الجزئية فى هذه الأفكار . ويأخذ رسل على هذا المذهب (ويحسن أن ترجعوا إلى مذهب بركلى على الأقل لتقفوا على نموذج من المذهب المثالى فى مصادره) :

١ — أن الذى فى عقولنا هو فكرة الشىء لا الشىء نفسه .

٢ — يثير بركلى مشكلة أخرى هى : ما يُعرف مباشرة يجب أن يكون فى العقل ؛ بدلا من مشكلته : وجود الشجرة ولو لم ندركها .

٣ — فكرة المائدة مثلا يمكن تحليلها إلى فعل إدراك (هو عقلى لا شك) وشىء مدرَك (لا يمكن أن يكون عقلياً بحال) . وبالجملة يرى رسل أن بركلى قد خلط بين الشىء موضوع الإدراك وفعل الإدراك ذاته ، وأخذ كلمة فكرة notion بمعنى الأشياء المدركة ، فجعل المدرَك والإدراك شيئاً واحداً ؛ بينما التمييز بينهما ضرورى ، لأن قدرة العقل إنما تقوم فى تحصيل معرفة خارج ذاته ؛ أى إدراك ما ليس بعقلى . فهو قد أخطأ فى الشكل والموضوع . أما النظرية التى تقول إن ما يثير أهمية لدينا لا يمكن أن يكون حقيقياً ، وبالتالى لا يمكن أن نعرف أنه يوجد شىء نحن لا نعرفه ؛ فهى نظرية واضحة البطلان تقوم على الرغبة والمنفعة وتفترض أن المادة ما لم تكن مكونة من عقول وأفكار عقلية فهى أمر مستحيل ووهم مجرد . وينتهى رسل هنا إلى تحليل ألفاظ الفعل « يعرف » فى لغات مختلفة ليخلص من ذلك إلى نوعيه من المعرفة : معرفة الحقائق والمعرفة المباشرة .

وبذا نكون قد وصلنا إلى القسم الثانى فى مشاكل المعرفة وهو أهم أقسام هذا الكتاب ؛ والمعرفة فيه نوعان : معرفة أشياء ومعرفة حقائق . أما الأشياء فمنها ما نعرفه مباشرة بإدراك الشىء بلا واسطة من عملية استدلال أو حقائق معلومة ؛ كمعطيات حسنا عن المائدة من لون وشكل وصلابة . . وما نعرفه بالوصف للمائدة ذاتها كشىء طبيعى يُسبب معطيات الحس السابقة ؛ وصف لحقائق شىء غير معلومة لدينا ماهيته على الإطلاق . فما نعرفه مباشرة من الأشياء الجزئية هو فى الدرجة الأولى « معطيات الحس » ولكن لابد من معرفة الحقائق المجردة التى تسمى كليات :

٢ — فهناك الذاكرة مصدر كل معرفة بالماضى .

٣ — وهناك ثانياً التأمل الباطنى والشعور الذاتى بالفاعلية الشخصية ثم بفاعلية الآخرين قياساً عليها — مما لا يوجد لدى الحيوان ؛ أى الشعور بالذات العارفة المدركة فى مقابل إدراكاتها الخارجية — مهما كانت الذات متغيرة — شعوراً مباشراً (الفقرة الثالثة ص ٤٦ فى غاية الأهمية فى تلخيص هذا) .

٤ — وأخيراً المعرفة المباشرة للكليات والأفكار العامة . أى التطورات الذهنية للمدرَك الكلى .

أما الأشياء الطبيعية فنعرفها بالوصف ، ومن الوصف ما هو غامض مثل رجل ، وما هو محدود مثل : الرجل ذو القناع الحديدى . أما الغامض فيسقطه رسل ويطلق كلمة الوصف على المحدد من نوعيه عموماً . وحينئذ يطلق الوصف ويراد به الفرد (هذا الشيء الفلانى) وتذكر له وحدة خاصة معينة يتميز بها دون أن يُعرف مباشرة من هو (الرجل ذو القناع أو المرشح الفائز ؟) . ومن الأوصاف الأعلام والكلمات العامة حين لا نعبر بها صراحة ، حتى تختلف بين الأشخاص ، ولدى الشخص فى أوقات مختلفة (فى ص ٤٩ : حكم بسمارك على نفسه معرفة مباشرة بالتأمل المذكور قبلا ، وحكم صديقه عليه مزاج من معرفة مباشرة لمعطيات الحس فى ارتباطها بأوصاف جسمه وعقله التى يعرفها فيه كشىء طبيعى يدرك بالوصف ، ومعرفتنا نحن له وصفية صرف هى شهادة الغير والتصورات الجزئية والأحكام الكلية والتاريخية عليه) . لاحظوا أننا هنا نبتعد عن المعرفة المباشرة ونوغل فى المعرفة بالوصف على درجات أربع :

١ — فبسمارك الذى عرفه الناس يطرب من معرفة الناس المباشرة لشخص آخر (معرفة مباشرة رقم ٣) .

٢ — وبسمارك الذى عرفه الناس من التاريخ فقط لا نزال نعرف من هو .

٣ — والرجل ذو القناع الحديدى لا نعرف من هو ، ولكننا نستطيع أن نستخلص من صفته هذه أحكاماً كثيرة .

٤ — والرجل الذى عاش أطول مدة — لا يعرف عنه أكثر مما يتضمن هذا الوصف .

وللكليات تسلسل يشبه تسلسل الجزئيات هذا ، والمهم هو مبدأ تحليل القضايا الوصفية : « كل قضية فى مقدورنا أن ندركها يجب أن تتكون كليتها من مجموعة مكوِّنات نعرفها مباشرة » أى أن يكون معنى الحدود التى نستخدمها فى القضية نعرفها مباشرة (مثال يوليوس قيصر) . وللوصف أخيراً أهمية تمكيننا من تجاوز حدود تجربتنا الخاصة ومعرفة الأشياء التى حال ضيق التجربة المباشرة دون إدراكها .

أما الاستقراء فتتخلص مشكلته فى إمكان التوسع والتعميم وبالتالى التنبؤ بالأحداث المقبلة ، وتوقع أن وجود (ا) يستتبع دائماً وجود (ب) المرتبطة بها فى تجربتنا (شروق الشمس غداً ، سقوط الأجسام بفعل قانون الجاذبية ...) فإن وجود شيئين فى وقت واحد بصورة مطردة سبب كاف لتوقع وجود أحدهما متى وُجد الآخر فى مناسبة تالية — أى أن كل علة تحدث نفس المعلول فى نفس الظروف ، وإن كان احتمال تخلف المعلول عن العلة مستقبلا يجعل هذا المبدأ موضع شك . أما القوانين الطبيعية (كالحركة والجاذبية) فيطرِّد وقوع الحوادث فيها بلا تخلف ، ومهمة العلم أن يكشف عن هذا الاطراد Frequancy فى وقوع الأحداث الطبيعية والتنبؤ بالمستقبل على أساس الماضى ، ما دام أن هذا الماضى مستقبل تحقق فعلا . ومبدأ الاستقراء بشطريه اللذين ورد ذكرهما ص ٥٨ وتعديلهما ص ٥٩ يفسران بوضوح هذه الفكرة . وعليكم أن تفهموا بعد هذا أن مبدأ الاستقراء قد يبرهن عليه بالتجربة الماضية ، ولكنه هو الذى يبرر لنا الاستدلالات المقبلة ، بمعنى أن ما سبق امتحانه من الأمثلة يصل بنا عن طريق الاستقراء إلى مبدأ عام يتولى هو البرهنة على ما لم نمتحنه بعد . فالاستقراء انتقال مما امتحناه إلى ما لم نمتحنه ، والمعرفة التى تظهرنا بالتجربة الماضية على شىء لم يحدث من التجربة بعد هى اعتقاد لا نؤيده ولا نرفضه ، ولكنه متأصل فى نفوسنا بهذه التجربة .

وإليكم المبادىء العامة الأخرى التى تخلص لنا بالاستدلال من المحسوسات ، والتى ليس لها من اليقين إلا ما تستمده من التجربة أيضاً ، والتى حين تبرهن التجربة على يقينها وصحتها تصبح هى مبدأ يبرهَن به عن طريق الاستدلال منه . هذه المبادىء من الوضوح لدرجة أنها تقوم فى أساس كل استدلال عقلى ، فلا مجال للشك فيها ، لأنها تقوم فى العقل كبديهيات مسلم بها . وأهم هذه المبادىء مايسميه المنطق : قوانين الفكر الثلاثة :

١ — قانون الذاتية identity ورمزه : (ا) هو (ب) .

٢ — قانون التناقض contradiction ورمزه : ا ليس (ب) و (لا — ب) فى وقت واحد .

٣ — قانون الثالث المرفوع excluded middle ورمزه :

(ا) إما (ب) (أو لا ب).

وكذلك المبدأ المنطقى : ما ينتج عن مقدمات صادقة فهو صادق ، ولا يقتصر الأمر فى هذه المعارف الأولية على مبادىء المنطق ، بل يوجد فى الرياضيات مثلا البديهية التى تقول : المساوى لأحد المتساويين يساوى الآخر ، ورمزها : ا = ب ، ب = حـ ∴ ا = حـ ؛ وفى الأخلاق المبدأ الذى يقول : الإنسان ينشد السعادة ويتجنب الألم ؛ وفى الاقتصاد المبدأ القائل : الإنسان يسعى بفطرته لخير نفسه ... فكل هذه مبادىء لا نستنتجها من الأمثلة ، بل نوضحها بذكر أمثلة لها ، فهى أولية عقلية غير مأخوذة من التجربة ، بل موجودة فى العقل كبديهيات

وبالجملة يجب أن تفرقوا بين أحكام كلية تركيبية هى فى أصلها تعميمات تجريبية (كل إنسان فان) ومبادىء أولية عقلية غير مستنتجة بل موجودة أصلا فى العقل (كمبادىء الهندسة والأخلاق والاقتصاد والمنطق التى ذكرنا) . أما الأولى فنحصلها بالاستقراء الذى هو تعميم وانتقال من جزئيات إلى كلى أعم وأشمل ، وأما المبادىء العامة الكلية فقد تكفل بتفسير وجودها فى أذهاننا (كانت) الألمانى حين ميز بين قضايا تحليلية وأخرى تركيبية ؛ الأولى فطرية هى بمثابة قوالب فى الذهن أولية وسابقة قبلية âpriori والأخرى مستخلصة من التجربة استخلاصاً لاحقاً بعدياً âposteriori (ومن الخير هنا أن ترجعوا إلى نظريتى هيوم وكانت بأوسع من الفصل الثامن وخصوصاً فى تفرقة كانت بين الشىء فى ذاته والظاهرة ، والفرق بينهما وبين الشىء الطبيعى ومعطيات الحس عند رسل فى الفصول السابقة).

ولن يعسر عليكم بعد هذا متابعة رسل فى تفصيله القول فى « عالم الكليات » وتطوره فى تاريخ الفلسفة ، ثم فى « معرفتنا للكليات » مباشرة وبالوصف ، ولكن يفيدكم كثيراً الوقوف عند صفحتى ٩٣ ، ٩٤ وتلخيص ما جاء فيهما فى جدول عام شامل لتقسيم أنواع المعرفة عند رسل ؛ على نحو يتبين لكم منه بسهولة ما كان يتحدث فيه حتى الآن من معرفة الأشياء ؛ ويرتبط فيه كذلك ما سيحدثكم عنه بعد من معرفة الحقائق الواضحة بالذوق فى بقية الكتاب .

كمال دسوقى

إلى جيش مصر الباسل

للأديب عبد الرحيم عثمان صارو

وقفت وحدك فى الميدان تصطرع ... وحومت حولك الأعوان والشيع
فما وهنت ولا كلت جبابرة ... بعزمة الجن فى الهيجاء تدّرع
ينقى اللهيب من الياقوت زائفه ... والجوهر الحر فى النيران يلتمع
لما دعتك « فلسطين » لنجدتها ... وقد ألمّ بها العدوان والفزع
نهضت تدفع عنها شر مخترب ... باغ سواعده « الدولار » والجشع
يعيث فى حرمات الله مجترئاً ... لم تنج منه محاريب ولا بيع
تنام عنه وعن آثامه دول ... كبرى لها فى حواشى نفعه نفع
لم يثن عزمك يا ابن الأمس ما جلبوا ... ولم يُلذك من الأصقاع ما جمعوا
فكيف لو لم يعق ماشيك مغتصب ... قد كان يكره أن يلقاك تتسع
حفزت همة من هبوا ومن نهضوا
وصُنت حومة من ناموا ومن هجموا
وقفت كالصخرة الشماء كم ذهبت ... بصفحتيها رقاب الموج تنقطع
ملاحم المجد لم تشهد نواظرها ... كصارم لك فى الأهوال ينتزع
يُسقون منه الردى فى كل معترك ... ويدبرون وقد خانتهمُ الخدع
سيُهزمون بما ماتوا وما اختلقوا ... ويقهرون بما كادوا وما صنعوا
شتان ما بين مأجور وبين فتى ... لله والحق والعلياء يندفع
يا صارم الروح عند الروح ما برحت ... أنباء نصرك عن الزاد والمتع
ولمت شعرى حتى كاد من وله ... يختال فى جنبات الطرس لو تسع
ياليت لى ناى « هومير » وأرغنه ... لرحت أشدو وراح الدهر يستمع
ما أعجز الشعر عن تصوير ما ذهبت ... ضراغم لك بالأحداث تصطنع
بعثت سيرة أجداد لنا سلفوا ... كأنهم بك قبل البعث قد رجعوا
أيبتغى الدهر منا فوق ما صنعت ... كفاك ، معجزة تجلى وتبتدع
لله ، لا لبروق الغنم ، صادقة ... من الجهاد بها أقدمت تضطلع
قضية النيل لم يشغلك شاغلها ... عن الوفاء بما ضنوا وما منعوا
راعت بطولتك الدنيا وأروع من ... هذى حفاظك للعهد الذى قطعوا
حفاظك العهد والميثاق فى زمن ... به العهود ، كأشلاء المدى ، قطع
سلمت للشرق ترعاه وتعصمه ... من كل مختتل أغرى به الطمع
يزهى بك القائد الأعلى وأنت به ... تتيه فخراً على الدنيا وترتفع

عبد الرحيم عثمان صارو

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

« آثرت الحرية » أمام القضاء الفرنسى :

كتاب ترجم إلى كثير من اللغات الحية ، ولقى اهتماماً كبيراً فى كل بلد حلّ ضيفاً على لغته وقرائه ، ذلك هو كتاب « آثرت الحرية » للكاتب الروسى فكتور كرافتشنكو ... واليوم يثير هذا الكتاب أعظم ضجة عرفها محيط الرأى العام الفرنسى ، وردد صداها البرق إلى كل بقعة من بقاع العالم !

أما كرافتشنكو فكان موظفاً بالسفارة الروسية فى أمريكا ثم ترك منصبه وتخلى عن جنسيته ، ولجأ إلى حكومة البلد الذى يقيم فيه طالباً حمايته ... ثم ما لبث أن أخرج كتابه ليهاجم فيه نظام الحكم فى بلاده ، وليتحدث عن الجو القاتم الذى يكتم الأنفاس ويقبض الصدور ؛ ذلك الجو الذى قدر له يوماً أن يعيش فى رحابه ، وأن يطلع على كثير من قيوده التى تحد من حرية الرأى والفكر ، وتلغى كثيراً من القيم التى ينشدها الأحرار فى المجتمع الكريم !

لهذا كله أثار الكتاب اهتمام قرائه ... ولكنه عاد اليوم فراعهم بقدر ما راعهم ، حتى لقد أصبحوا يترقبون باهتمام بالغ نتيجة هذه الضجة التى أثارتها حوله مجلة « ليتر » الفرنسية ، وهى الضجة التى اتخذت طريقها إلى القضاء منذ أيام !

ولقد ذهبت المجلة فى تجريحها للكاتب الروسى إلى أنه كذاب مخادع لا يمت إليه كتابه بصلة من الصلات ، وإنما هو من صنع قلم المخابرات السرية فى الولايات المتحدة ... وأمام هذا التجريح السافر لم يجد كرافتشنكو بداً من رفع الأمر إلى القضاء ، مطالباً بمعاقبة القائمين على أمر المجلة الفرنسية طبقاً لنصوص القذف فى القانون الفرنسى !

وفى سراى العدل فى باريس حيث عرضت هذه القضية المثيرة ، ضاقت القاعة على سعتها بجمهور يتلهف شوقاً إلى سماع كلمة القضاء فى حقيقة هذا الكتاب ... أهو حقاً من وضع مؤلفه أم هو من وضع غيره ثم رؤى أن ينسب إليه ؟! أما أنا فقد تتبعت أدوار القضية مما وافتنا به شركات الأنباء فى الأيام الأخيرة ، وأستطيع أن أقول إن موقف المؤلف الروسى قد بلغ غاية الحرج فى أول جلسة من جلسات المحاكمة ، حتى لقد سرى الهمس بين الحضور حول حقيقة نسبة الكتاب إلى مؤلفه ... كان ذلك حين وجه محرر « لى ليتر فرانسيز » سؤالين إلى كرافتشنكو أوقعاه فى حيرة بالغة ، وكان السؤال الأول : هل يستطيع كرافتشنكو أن يذكر لنا شيئاً عن نهاية « منزل العروس » ؟ وأرتج على المؤلف الروسى وعجز عن الجواب ولم يدرك ما وراء السؤال ... عندئذ تهيأت الفرصة لخصومه فانثنوا ينعتونه بالكذب والخداع ؛ كيف يعجز عن تذكر مسألة أفرد لها بعض الصفحات فى كتابه وهو يتحدث عن مسرحية « منزل العروس » للكاتب النرويجى هنريك إبسن ؟! وكيف يعجز عن تذكر مسألة أخرى دار حولها السؤال الثانى حين طلب إليه المحرر أن يدلى بما رسب فى ذهنه عن مسرحيات دستويفسكى الثورية ، وهى مسألة تناولها المؤلف من زاوية خاصة فى بعض صفحات « آثرت الحرية » ؟! ...

وهل من المعقول أن يخرج كرافتشنكو كتاباً يقع فى سبعمائة صفحة من القطع الكبير بهذا الأسلوب المشرق كما يقول خصومه وهذه مقالاته فى الصحف الروسية تحفل بين أيديهم بهلهلة الأداء وانحطاط العبارة ؟ !

هذه هى القضية التى تعرض اليوم أمام القضاء الفرنسى ... وليس من شك فى أن الذين قاموا بترجمة هذا الكتاب من مختلف الشعوب إلى شتى اللغات ، سيلقون بعض الحرج إذا وقف القضاء إلى جانب المجلة الفرنسية ، ومما يذكر فى هذا المجال أن الأستاذين محمد بدران وزكى نجيب محمود قد قاما بنقل الكتاب إلى العربية بتكليف من وزارة المعارف !

لحظات مع أمير الشعراء :

هى تلك التى نعمت فيها منذ أيام بالاستماع إلى قصيدة « النيل » ، تنطلق أبياتها فى أنغام ساحرة من حنجرة أم كلثوم .

الشعر الممتاز يتناوله الصوت الممتاز فيحيله لحناً فريداً يمتع السمع والفكر والخيال .

أما السمع فكان مع الصوت الجميل النادر ، وأما الفكر فكان مع الشعر الذى هز مكامن الشعور ، وأما الخيال فكان مع الشاعر العظيم يسبح فى دنياه !

نعم ، كان الخيال مع الشاعر الذى أنكرته يوماً مع المنكرين ثم عدت فأنكرت ما كان من أمر نفسى ... إن ضجيج المعاول التى كانت تحاول هدم البنـاء الذى أقامه الرجل فى دنيا الشعر ، هو الذى حال بين سمعى وبين الإنصات لتلك القيثارة الفـذة ! لقد كنت أصبح على أصوات المعاول وأمسى على أصوات المعاول وفى غمرة هذا الضجيج طغت الصيحات الجائرة على الألحان الساحرة فضلت طريقها إلى قلبى ... ولم تكن الملكة الناقدة فى السن المبكرة قد بلغت من النضج ما يمكنها من إقامة الميزان للسكات الموهوبين وحملات المغرضين ! وحين أقبـل اليوم الذى خفتت فيه أصوات المعاول خجلا من صمود البناء ، أرهفت سمعى لألحان الشـاعر المفترى عليه ، وأرسلت فكرى يقف عند كل بيت من أبياته ويطيل الوقوف ، ورحت أزن الرجل وشعره بميزان الذوق الذى يحتكم إلى العقل والقلب والشـعور ... وخرجت من هذا كله بشىء واحـد : هو أننى آمنت بشوقى وكفرت بخصومه !

كان السمع إذن مع أم كلثوم ، وكان الفكر مع الشعر ، وكان الخيال مع الشاعر ... أما الشعر فقد عرفت رأيى فيه وفى صاحبه ، وأما الغناء فلا بد فيه من كلمة ! إن أم كلثوم فى رأى الفن لا تمتاز بموهبة الصوت وحدها كما ينادى بذلك بعض الغلاة ولكنها تمتاز بموهبتين أخريين هما براعة الإلقاء ودقة الأداء ... إنها تكاد تنفرد بتلك الموهبة التى تتمثل فى سلامة النطق لمخارج الحروف فى المقطوعات الشعرية ، أما موهبة الأداء فتتمثل فى أنها تنقل اللحن كما يلقى إليها فى دقة عجيبة ، يعينها عليها ذوق صقله المران وأذن بلغت الغاية فى رهافة الحس الموسيقى . كل ما ينقص هذه الفنانة هو أن صوتها النادر ينطلق من أوتار الحنجرة دون أن يمر على أوتار القلب وهنا مفرق الطريق بينها وبين فنانة كأسمهان !

كلمات من « قطرات ندى » :

حدثتك فى العدد المـاضى من الرسالة عن كتاب الأديب اللبنانى راجى الراعى ... ولن أنعت هـذا الرجل إلا بكلمة «أديب» ولو ترك الأدب إلى المحاماة ، وترك المحاماة إلى القضاء ، وترك القضاء إلى حيث لا أدرى ولا يدرى ! .

ولعل هـذه الكلمات التى أنقلها هنا عن كتابه تهز قلبه وتحرك قلمه وتعود به إلى ماضيه ... وإنها لكلمات تعلو فى رأيى فوق مستوى نظائرها فى « كرم على درب » لميخائيل نعيمه . وإذا كنت قد استمعت لنعيمه فى كرمه ودربه فما أحراك أن تستمع لراجى الراعى فى قطرات نداه :

* يقولون أبطلوا الثورات ، ولكنهم ينسون أن الألوهية نفسها قد ثارت بالخليقة على العدم ! .

* إذا شئت أن تبكى فاذرف الدمع أينما كنت ، فلست فى حاجة إلى زاوية تختارها وتعتزل فيها فالجميع يبكون ! .

* الرجـل الذى لا يستحق أن يحيا لا يستحق أن يموت أيضاً ، فقد يجاور جثمانه فى القبر جثمان رجل عظيم ! .

* إذا صفعتك الحياة بارزها بسيف الإرادة وارسـل إليها شاهديك : العمل والأمل ! .

* الفشـل دمعة وقهقهة ، فإذا فشلت بكى الوهم فيك وقهقهت الحقيقة ! .

* الزنا فى رأيى لا يعنى فقط تحول المرأة عن زوجها الشرعى ، ولكنه يعنى أيضاً التحول بصورة عامـة عن طريق الواجب ، فأى منا لا يتحول عن هـذا الطريق ! أى منا لا يعد مع هذا التعريف زانياً ! .

* لا تقل لى كم عشت من السنوات ولكن قل لى كيف عشتها ! .

* من أنت وما هذا التبجح فيك ، ما دامت ثلاث كؤوس من الخمرة الطيبة تستطيع أن تتصرف بك على هواها ؟ ! .

* إذا وقعت الحياة على أوتارها جاءتك بنغمة واحدة هى الأنين ! .

* الحياة تسقينى خمورها ولكن الموت هو الداعى إلى الوليمة ، فكأن الحياة تقدم لى كأسها لأشرب نخب القبر الذى أنا صائر إليه ! .

* كيف اجتمعت عظمـة الفن فى بناء الأهرام مع عبودية بناتها ؟ ! .

* الفترة بين ضلال وضلال هى التى تحسبها هـدى ... وما هى إلا صلة بينهما ! .

* ليتنى أظل حياً فى الموت لأدرك أسراره ! .

* الذكرى جرس يدق فى عالم النسيان !

* الأبطال يشدون بحبال مشانقهم أوتاد خيامهم فى بطاح المجد !

* ثلاثة قهروا الموت : الخالد ، والمنتحر ، والذى لم يولد بعد!

* عجبت الموت كيف يدعى أنه يغمض الجفون ، ألم تغمضها الحياة من قبله ؟ أى لحظة تمر بنا والجفن فيها قرير ؟ !

* مهما قيدوا حرية الكلام فإن الخطيب الحق هو من إذا جاشت فى صدره الشجون لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، بل يصعد إلى المنابر عنوة وقسرا !

سوفوكليس والأستاذ الصعيدى :

الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى عالم من علماء الأزهر ؛ ومعنى هذا أن ثقافته لا تعينه فى البحث والدراسة إلا فى حدود المجال الذى تخصص فيه وتفرغ له .. وكم أود أن يقصر بعض الباحثين جهودهم على الميدان الذى أعدوا له أذواقهم وملكاتهم ، وأنفقوا فيه كل ما تهيأ لهم من وقت ومثابرة !

أقول هذا بمناسبة الكلمة التى كتبها الأستاذ الصعيدى فى العدد الماضى من « الرسالة » حول مسرحية « الملك أوديب » للأستاذ توفيق الحكيم ... ولعله يوافقنى على أن مجال الكتابة عن فن المسرحية أمر يبعد عن دائرة اختصاصه ، لأنه لا يعرف لغة أجنبية تعينه على الإلمام بأصول هذا الفن عند سوفوكليس وغير سوفوكليس من كتاب المسرحية فى الأدب اليونانى . ولو قدر له شىء من هذا لما كتب هذه الكلمة التى تحفل بسذاجة النظرة إلى ذلك العمل الفنى الذى نسجت خيوطه من جو الأساطير القديمة ! ... إن الأستاذ الصعيدى يضحكنى حين يخالف رأى النقاد على مدار القرون ، وهو الرأى الذى يقطع بأن هذه المسرحية قد بلغت من الكمال الفنى أوجاً يعد مفخرة للذهن البشرى . إنها فى رأيه — أو على الأصح فى رأى ثقافته — ألاعيب كهان جهلة ، يستغلون جهل الشعوب ، ويلعبون كما يشاء لهم جهلهم بمصيرهم !

إذا لم تصدق أن الأستاذ الصعيدى قد قطع بهذا الرأى ، فارجع إلى عدد « الرسالة » الماضى ... وإذا سألتنى تعقيباً ، فليس لدى غير تعقيب واحد هذا نصه : أفادكم الله يا أستاذ !

دفاع عن قضية خاسرة :

عاد الأستاذ محمد محمود عماد المحامى ليخالفنى مرة أخرى فيما عقبت به على كلمته الأولى حول شخصية محمد الإنسانية ؛ وأود أن أوجه نظر الأستاذ عماد إلى أن هذه الطريقة التى يناقشنى بها ، تذكرنى بطريقة كل محام يدافع عن قضية خاسرة .. لا شىء غير اللف والدوران « والتمامل » مع الألفاظ والعبارات ! .

ترى هل يرمى الأستاذ عماد من وراء هذا الجدل إلى أن يخرج القراء بنتيجة ؟ ... إننى أرحب بالنقاش إذا ما حاول أن يفهمنى ، وإلا فلن أرد عليه ، لأن وقتى ووقت القراء وصفحات الرسالة يجب أن تشغل بشىء ذى غناء .

وللأستاذ منى خالص الشكر على كريم تحيته .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

براعم التمثيل في الأوبرا :

أقام المعهد العالي لفن التمثيل العربي يوم السبت الماضي حفلة تمثيلية بدار الأوبرا الملكية ، لمناسبة توزيع صور جلالة الملك على الطلبة المتفوقين وتسليم إجازة المعهد إلى خريجيه .

وقد أحيا هذه الحفلة طلبة المعهد بتمثيل مسرحيتي « المنقذة » و « الصعلوك » تأليف الأستاذ محمود تيمور بك وإخراج الأستاذ زكي طليمات عميد المعهد .

أما « المنقذة » فهي مسرحية تقع حوادثها بمصر في عهد المماليك الجراكسة ، وتظهر مناظرها على المسرح في قصر الأمير (برسباي) الذي يشتمل على الأميرة (فريهان) وقد أنقذها الأمير ، وكان مملوكا لأبيها ، من (داود بك) الذي اغتال أباها . وتدل الحوادث التي يتردد صداها على المسرح ، على أن القتال يدور بين (برسباي) وبين (داود بك) للمنافسة على مشيخة البلد حتى يقتل الأول الثاني ويفوز بالمشيخة . أما خشبة المسرح فتدور عليها معركة أرق وأعنف في آن واحد ... هي معركة الحب بين (فريهان) و (برسباي) أو بعبارة دقيقة بين حب فريهان وكبريائها ، فهي تحب برسباي وتهتم به في غيبته ولكنها تتأبى عليه وتظهر له عدم الاكتراث وتنكر عليه أن يطلب مبادلتها الحب لأنه كان مملوكا لأبيها ، ويشقى هو منها بذلك ويضيق به ، حتى ينبهه مربيه الشيخ (طويل العمر) على أمر له خطره ، فيقول له : إنها تحبك ولكنها تشعر بفضلك عليها وأنها أسيرة هذا الفضل ، وإن هذا الشعور يؤذي كبرياءها وترى في مكاشفتك بالحب إذلالا لها .

وتلك هي عقدة المسرحية وهي مبنية على الازدواج في نفسية فريهان ، إذ يملق بشعورها الظاهر أن برسباي ليس أهلا لحبها مهما أبدى من الشجاعة والنبل ، وينوء عقلها الباطن بعبء ما أسدى إليها من جميل .

ويعمل الشيخ الفطن (طويل العمر) على حل العقدة ، فيتظاهر بأنه يدبر مؤامرة مع (قاسم) رئيس حراس القصر لاغتيال برسباي ، ويرتب الأمر بحيث تعلم فريهان بالمؤامرة ، فتتدخل في وقت تنفيذها ، وتنقذ حياة برسباي ، وتبادله معروفا بمعروف ، ثم تبادله الحب .

وقد أجاد الممثلون والممثلات من طلبة المعهد وطالباته ، وخاصة كمال يس (طويل العمر) وناهد سمير (فريهان) وكان نطقهم للعربية فصيحاً . ولا آخذ عليهم غير بعض التكلف في الشخصيات الفكاهية كشخصية (قاسم) رئيس الحراس ، فإنه وإن كان قد قصد به الإضحاك إلا أنه كان مفرطاً في تكلف حركاته .

وأما « الصعلوك » فهي مسرحية قوامها شخصان (دردري أفندي) المفلس الطروب الذي يتردد على (وحيدة هانم) فينقل إليها أخبار المجتمع وفضائح الناس ، ويتلقى هو منها الإهانة والسخرية بالحمد والشكران . ويخبرها في نهاية حديثه معها بأن في جيبه ألف جنيه ويبرزها لها ، ويقول إنه سينفقها في ليلة واحدة . فتتبدل وحيدة هانم إزاء دردري افندي امرأة أخرى ناعمة متكسرة مدللة ، ويلبي النداء ، ولكنه سرعان ما يغير سلوكه معها ويمزق الأوراق المالية ويسخر منها .

والحوار يدلنا على حقيقة شخصية دردري افندي وفلسفة حياته ، فهو ينفق ما يقع في يده من مال دفعة واحدة لينعم باللذة إلى أقصى حد ، ثم يعيش في ضنك وبؤس ، أو كما يجري على لسانه : يذوق حلو العيش ومره . وهو يرى الحياة قد فرضت عليه الذل والحرمان فهو وإن كان يُضحك من يسخرون منه إلا أنه في أعماقه يمقتهم ويتوق إلى إذلالهم والثأر لنفسه منهم ومن المال لأنه سبب شقائه .

وقد قام كل من ملك الجمل (وحيدة هانم) وعبد الغني قمر (دردري افندي) بدوره خير قيام .

وهكذا ترى المسرحيتين تقومان على التحليل النفسي ، والإبداع في هذا التحليل أنه مصوغ في قالب سهل صياغة فنية ممتعة ، فالأداء الفني يدنو بالموضوع الرفيع من العقول كما يخاطب به القلوب ، ولست أفهم الفن المسرحي إلا أن يكون موضوعاً قيما مذابا في الإمتاع الفني . وبغير ذلك يكون المسرح (بهلوانية) وهراء .

أما طلبة معهد التمثيل وطالباته ، الذين قاموا بتمثيل تينك المسرحيتين ، فقد بعثوا في قلوب عشاق المسرح الطمأنينة

على مستقبل هذا الفن الجميل في مصر . وما أجدر خريجي هذا المعهد أن يأخذوا أماكنهم اللائقة بهم في الفرقة المصرية ، فيملؤوا فراغاً كبيراً بهـا ، وحقاً إن الفرقة تضم الآن بعض هؤلاء ، ولكن لا تعطى لهم إلا الأدوار الثانوية ، ويصر الممثلون والممثلات الذين يعملون على المسرح منذ ثلاثين عاماً على أن يمثلوا أدوار الفتيان والفتيات الأوائل ... أفلا يفسح ذوو الوجوه المتغضنة التي يتعب (الماكياج) في إصلاحها ، لهذه الأزهار المتفتحة في الوجوه الجديدة ... ؟

وأظن أنه قد آن الأوان لأن تفكر وزارة المعارف أو وزارة الشئون الاجتماعية في الانتفاع بخريجي معهد التمثيل في تأليف فرقة أو فرق جديدة تحقق الأهداف المنشودة من إنشاء المعهد .

الأديبة الشريدة :

نشرت مجلة المسامرات قصة فتاة أديبة ضريرة بائسة ، تخلى عنها أهلها ، وآواها الاتحاد النسائي في حياة المغفور لها السيدة هدى شعراوي ، وكان الدكتور طه حسين بك قد توسم فيها استعداداً أدبياً فألحقها بكلية الآداب ، واسم الفتاة « ابتسام حافظ » .

والنهاية المحزنة لهذه القصة أن الاتحاد النسائي ألقى بها أخيراً إلى الطريق شريدة لا تعرف لها مأوى ولا عائل !

والفتاة الأديبة ابتسام حافظ تقول الشعر ، ومن قولها بعنوان « من وحي الألم » :

والناس عباد الدراهم يشهدو
ن له بفضل واجب الإطراء
فقد الجميع ضميرهم سحقاً لهم
وتجردوا من عفة وحياء
شغلوا بحب النفس حتى لم يعد
يعنيهم إلا رضا الأهواء

ولست أدري ماذا أقول ، وهل غادر « المنفلوطي » من متردم ؟ ولكني أقول : إن في مجتمعاتنا فتيات يغزون القلوب ، ويغدق عليهن ، فهل في القلوب مكان من نوع آخر لهذه الأديبة البائسة ؟ !

القياس في اللغة :

قال لي صديق في المجمع اللغوي : إنك تهجم على المجمع . وهو يعني ما أناقش به منهج العمل في مجمع اللغة وما أعقب به على بعض آراء الأعضاء ، وهو يعني أيضاً شيئاً من العتاب لأنه يعلم أني من ألصق الناس بالمجمع لسابق عملي به وكثرة أصدقائي وإخواني فيه ، أعضاء وموظفين ، فلا ينبغي أن أقف منه موقف المعارضة في بعض المواطن .

فهل هو على حق في ذلك ؟ لقد شكا بعض الأعضاء من

كشكول الأسبوع

* قريباً جداً تنقسم خلية « الرسالة والرواية » وتصبح « الرواية » كائناً حياً مستقلاً ، فتعيد إلى فن القصة الرفيع اعتباره وازدهاره .

* قرر وزير المعارف تأليف لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب عن سنة ١٩٤٩ برياسة علي عبد الرازق وعضوية إبراهيم مدكور ، وإبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد زكي ، وعباس الجمل ، وعبد الحميد العبادي وعلي الجارم ، ومحمد خلف الله أحمد ، ومحمد توفيق دياب ، ومحمد عبد الواحد خلاف ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومنصور فهمي . ويتولى سكرتارية اللجنة : علي أدهم ، ومحمود الخفيف .

* جاء في افتتاحية العدد الأخير من « الهلال » هذه العبارة : « إن الأدب حسن التعبير عما يختلج في النفس ، وليس يهمني ما تختلج به النفس ، وليس يهمني ما خلجها ، وليس يهمني أخلجها عنيفاً أم خلجها خفيفاً أو لم يخلجها أبداً » .

فهل تستطيع أن تقرأ ذلك ثلاث مرات بسرعة دون أن يتعثر لسانك ؟ إن استطعت ذلك فلك بقرة من بقرات بركات !

* تجري الآن في باريس محاكمة محرري مجلة « الآداب الفرنسية » بتهمة القذف في حق كرفتشنكو الروسي مؤلف كتاب « آثرت الحرية » والقول بأن الكتاب ألفه رجال المخابرات الأمريكية ، وقد وجه المحرر المتهم أسئلة إلى المؤلف عن بعض ما تضمنه الكتاب ، فارتبك ورفض الإجابة .

* المرشحون الآن لملء الكرسي الخالي بالمجمع اللغوي ، هم الأساتذة : أحمد حسن الزيات ، ومحمد توفيق دياب ، وإبراهيم مصطفى ، وبشر فارس . وقد حدد يوم ١٤ فبراير الحالي موعداً لانتخاب أحدهم

* جاء من باريس أنه تألفت هناك جمعية تعاونية أدبية من الأدباء الكبار النابهين والأدباء الصغار الناشئين

عزلة المجمع وعدم شعور الناس به كما ذكرت فى الأسبوع الماضى، وأنا أذيع على الناس عمل المجمع وأعرض آراء أعضائه فى مسائل اللغة والأدب والمجمع يدعو إلى إبداء الرأى فيما يبحثه، وأنا أبدى ما يعنى لى إزاء ما أعرضه من الأعمال والآراء.

فهل أنا فى ذا بالهمذان ظالم؟.

ولعلى فى هـذا الأسبوع أسجل عملا مشرقاً من أعمال المجمع، وهو ما يتعلق بقرار المؤتمر الأخذ بالقياس فى اللغة وجواز الاجتهاد فيها، وقد اتخذ هذا القرار، كما ذكرت فى الأسبوع الماضى، بعد محاضرة للدكتور أحمد أمين بك ومناقشة فيها؛ ويعد هـذا الموضوع أهم ما أثير فى دورة المؤتمر لهـذا العام، وأقرب الأشياء إلى الناحية العملية فى مهمة المجمع، بل هو الشىء العملى الوحيد الذى انتهى فيه المؤتمر إلى نتيجة موفقة، بفضل هـذا البحث أو المشروع القيم الذى ألقاه الدكتور أحمد أمين بك فى إحدى الجلسات.

عنوان المحاضرة « مدرسة القياس فى اللغـة » وقد بدأها بقوله: من طبيعة الأشياء أن يكون فى كل جماعـة مفكرة طائفة من المحافظين وطائفة من الأحرار. ثم قال: إن الاختلاف فى اللغة، من حيث المحافظة والتجديد، كان واقعاً حتى بين الأدباء، فمن الشعراء والأدباء من كان يلتزم ما ورد فى اللغة ولا يخرج عنـه بحال من الأحوال، ومنهم من كان يجيز لنفسه أن يجدد، فيحكون عن العجاج وابنه رؤبة أنهما كانا يصيغان ألفاظاً لم يسبقا إليها، ويروى عن بشار أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد. ثم فصل وقوف اللغويين عند ما ورد، وأخـذ النحويين والصرفيين بالقياس وبراعتهم فيه، وقال إنه كان بجانب كثرة المتقيدين بالسماع من علماء اللغة، قلة من القياسـيين أو بعبارة أخرى مدرسة القياس فى اللغة ومن أعلام هـذه المدرسة أبو على الفارسى وتلميـذه ابن جنى، وكان أبو على يقول: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، فإذا عربت لفظـة أعجميـة أجريت عليها أحكام الإعراب وعـددتها من كلام العرب. وكان جريئاً إلى حد لم نصل إليـه إلى اليوم فكان من رأيه أن الألف اللينة فى الـكلمة الثلاثية تكتب ألفاً مطلقاً سواء كان أصلها واواً أو ياء.

وبعـد أن فرغ الدكتور من الناحية التاريخية فى المحاضرة وصل إلى ما أسميه « مشروعاً عملياً » فبين ما يمكن أن

ومن قوانين هذه الجمعية ألا توزع أرباحها على الأعضـاء بل تطبع بها كتب الناشئين.

ومن الطريف أن هذه الجمعية مسماة باسم « لعبة النطـة » التى يحنى فيها أحد اللاعبين ظهره ليقفز زميله عليه، رمزاً إلى غايتها من مساعدة الكبار للصغار.

* أهدى الأستاذ توفيق الحكيم نسخة من كتابه الأخير « أوديب الملك » إلى أستاذ كبير وقرينته الأديبة الفاضلة، فأصاب الحكيم اثنين بنسخة واحدة!

* توشك الإدارة الثقافية بالجامعة العربية أن تفرغ من « التقويم الثقافى » الذى تضـمه عن حالة التعليم فى البـلاد العربية، وهو يتضمن إحصاءات وافيـة شاملة للمناهج والطلبة والمدرسين وما إلى ذلك فى مختلف المعاهد

* جاء من بيروت أن المعاهدة الثقافية المزمع عقدها بين لبنان وأسبانيا تنص على وجوب تعليم اللغة العربية ودراسة تاريخ الجاهلية والعصر العباسى فى المدارس العليا الأسبانية

* توالى لجنة التحكيم فى مسابقة الثقافة العامة بوزارة المعارف اجتماعاتها للنظر فيما قدم إليها من القصص الطويلة والقصيرة والتمثيليات المسرحية والإذاعية والمدرسـية، وينتظر أن تفرغ من مهمتها فى فبراير الحالى ثم تعلن النتيجة

* حضر إلى مصر أخيراً الدكتور محمد ثابت الفندى الموظف المصرى فى (اليونسكو) للسعى فى تنفيذ ما قررته هذه الهيئة من ترجمة الـكتب والمخطوطات العربية القديمة إلى اللغات الأوربية.

* فى الإذاعة برامج مثل « أهم حوادث الأسبوع » و« البرلمان فى أسبوع » تتكون مادتها مما نشر فى الصحف وأذيع نقلا عنها فى نشرة الأخبار، فتلك البرامج تكرار لتـكرر ...

* نشرت « الاثنين » حديثاً لعبد الوهاب نقد فيه الإذاعـة نقداً قال فيه إن أمر الأغانى والموسيقى فيها موكول إلى موظف يتحكم فى ذوق الجمهور وفق هواه ومتأثراً بالوساطات. وقد رد عليه مدير الإذاعة فقال إن هذا الأمر موكول إلى لجنتين، وذكر أسماء أعضائهما. وهى أسماء شخصيات معروفة لا يصح أن ينسب إليها ما تصدع به الإذاعة رؤوس الناس ...



وفاة الجارم :

توفى الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ على الجارم بك يوم الثلاثاء الماضى ، وقد شاء القدر أن يموت وهو يستمع إلى قصيدته فى رثاء المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وكان يلقيها ولده الأستاذ بدر الدين الجارم فى حفلة تأبين النقراشى باشا بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، وكان يتلو الأبيات مع ولده بصوت منخفض ، وفجأة توقفت شفتاه ومال إلى الجالس بجواره ، وبينما كانت قصيدته « وداع » تلقى فى وداع النقراشى ، حمل إلى غرفة مجاورة لقاعة الاحتفال ، ثم فاضت روحه .

والفقيد الكبير تخرج فى دار العلوم سنة ١٩٠٨ ، ثم بعث إلى انجلترا وعاد منها سنة ١٩١٢ أستاذاً فى دار العلوم ، وكان بعد ذلك مفتشاً فى وزارة المعارف ، ثم كبيراً لمفتشى اللغة العربية ، ثم وكيلا لدار العلوم ، حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٠ . وقد اختير عضواً بالمجمع اللغوى أول إنشائه سنة ١٩٣٤ .

وللجارم مؤلفات قيمة معروفة فى اللغة والأدب ، وكان رحمه الله بقية مدرسة فى الشعر تؤثر الجزالة والديباجة العربية المتينة . وكان معدوداً من شعراء العروبة البرزن ، المعبرين عن آلامها وآمالها ، وطالما تغنى بمجد العرب ، وله فى ذلك آيات خالدات .

و « الرسالة » إذ تنعى « الجارم » إنما تنعى علماً من أعلام الأدب والشعر فى هذا العصر ، وهى تشعر بالحسرة لفقده ، وتشاطر المحزونين عليه آلامهم ، وتسأل الله له واسع المغفرة والرحمة .

هل الحج يمحص الذنوب ؟

قرأت فى العدد ٨١١ من الرسالة الزهراء قول الأستاذ الزيات فى كلمته « حج غير مبرور » إن المجرم اغتر بقول المتزيدين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا . وفى العدد ٨١٣ تعليق للأستاذ محيى الدين حموده خالف فيه الأستاذ الزيات فى وجهة نظره فى الموضوع .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . وقد ورد فى شرح هذا الحديث أن من حج من المسلمين ولم يأت زوجه ولم يعمل سيئة من شتم وسباب لرفقائه والمكارين رجع كيوم ولدته أمه مشابهاً للطفل يوم الولادة فى البراءة من الذنب ، وهو يشمل الصغائر والكبائر المتعلقة بحقوق الله أو بحقوق العباد ، وهذا الأخير هو المسمى بالتبعات خلافاً للترمذى فقد خصه بالمعاصى المتعلقة بحقوق الله سبحانه دون

يستفاد من القول بالقياس فى اللغة — فيما يلى :

١ — كثيراً ما تذكر المصادر فى كتب اللغة ولا تذكر أفعالها أو العكس ، أو لا يذكر باب الفعل ، وبالقياس يمكننا تكميل هذا النقص .

٢ — إذا وجدنا وزناً معيناً مستعملا فى الدلالة على شىء خاص أمكننا أن نقيس عليه ما لم يرد ، وذلك مثل « فعال » كنجار للدلالة على محترف الحرفة .

٣ — الاعتراف بالدخيل وعده عربياً وإدخاله فى معاجمنا ما دام يجرى على الصيغ العربية ويسير على نمط العرب فى وضعهم أو اشتقاقهم .

٤ — نجد العرب أحياناً يلحظون فى الشىء معنى من المعانى فيسمونه باسم مشتق من الكلمة التى تدل عليه ، فلماذا لا نستعمل هذا الباب فى المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة التى نقف أمامها حائرين ؟

٥ — كان للعرب ذوق مرهف فى وضع الكلمات بمحاكاة الأصوات ، كالخرير لصوت الماء . وأرى أنه لا بأس من مراعاة الأصوات فى وضع كلمات جديدة

ثم قال : من الذى يجوز له هذا ؟ لقد شرط الفقهاء للمجتهد شروطاً ، وكذلك نفعل فى المجتهد اللغوى ، فلابد أن يكون مثقفاً ثقافة لغوية وأدبية واسعة ، ويكون له ذوق أرهف بكثرة القراءة .

وقد ناقش الأعضاء هذه المحاضرة مناقشة مستفيضة ، واستعرضوا النتائج الخمس واحدة واحدة . وفى العدد التالى إن شاء الله بيان ذلك .

عباس خضر

حقوق العباد . ثم الحج بعد ذلك لا يسقط الحقوق أنفسها . بل من كان لا يقيم الصلاة : ولا يؤتى الزكاة . ولا يصوم رمضان . ولا يكاد يتشهد كهذا المسلم الفاجر أو عليه كفارة أو نحو ذلك من حقوق الله تعالى أو دين للعباد لا تسقط عنه لأنها حقوق وجبت لله أو للعباد لا ذنوب .

والحاصل أن العلماء فى هذا الموضوع على رأيين : الرأى الأول ، اتفقوا على عدم سقوط نفس الحقوق المطلوبة لله أو للعباد ؛ فمن كان عليه حق لله كصوم أو صلاة أو زكاة أو عتق فى كفارة ، أو حق للعباد كدية أو مال مغصوب فهذه كلها لا يسقطها الحج .

الرأى الثانى . سقوط الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى كذنب تأخير الصلاة والصوم عن وقتهما .

واختلف العلماء فى الذنوب المتعلقة بحقوق العباد كذنب الغصب فى الأموال على اختلاف أنواعها ، والتعدى بالقتل والضرب فقال بعضهم يسقط ذلك بالحج ، وقال آخرون . لا يسقطه إلا استرضاء صاحب الحق أو عفو الله تعالى .

والواقع أن العلماء الذين يقولون إن الحج يمحص الذنوب ويمحو الخطايا طائفة من الحشويين الجامدين الذين لم يعرفوا من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ويمتلون ذؤابة المنابر فى الريف المصرى منذ قرون وهم فى جهلهم يعمهون .

(قنا) علي حسن محمد بقوه

حول مسابقة المصور للقصة القصيرة :

قرأت فى الرسالة الغراء فى العدد ٨١٢ كلمة للأستاذ أنور المداوى ينقد فيها بيان مجلة المصور الذى نشرته فى مسابقة القصة القصيرة التى أزمعت قيامها .

وقد كان الأستاذ على حق حينما عاب على المجلة بعض ما جاء فى بيانها كاعتقادها أن عنصر المفاجأة أهم ركن فى القصة القصيرة على الإطلاق ، وتحديدها عدد كلمات القصة بستمائة كلمة .

غير أنه انحرف عن الصواب حينما برهن على صدق نقده بأن عنصر المفاجأة أهم ركن فى القصة على الإطلاق بقوله :

« ... إن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت » .

فقد كان هذا القول يتفق مع الواقع لو أن مجلة المصور اشترطت أن تكون القصص المتسابقة من النوع التحليلى ، فإن عنصر المفاجأة وإن كان غير ضرورى فى القصة التحليلية إلا أنه ولا شك من أهم الأركان التى تدعم عليها سائر القصص الأخرى .

ويقول الأستاذ المداوى فى كلمته : « إن القصة الطويلة بعد هذا هى وحدها القياس الفنى الكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، ولا كذلك الأمر فى القصة القصيرة » .

وفى هذا الكلام نظر ... فلو كان الأستاذ المداوى يقصد بكلامه هذا أن قوة القصاص وطاقته الفنية يمكن قياسهما بقصة طويلة واحدة ... فهذا هو المستحيل .

فإن مواهب القصاص ومقدرته وطاقته الفنية لا يمكن قياسها والحكم عليها بقصة واحدة ، طويلة كانت أم قصيرة ، كما لا يمكن الحكم على شاعر بقصيدة واحدة ، ولا على كاتب بمقالة واحدة ، ولا على مصور بصورة واحدة ... ففى قصص القصاص ما هو مرتفع إلى ذروة الكمال ، وما هو مسف إلى أغوار الحضيض ، كما فى شعر الشاعر ، ومقالات الكاتب ، وصور المصور ؛ فالحكم الصحيح على الفنان والموازنة الصادقة بينه وبين غيره لا تكون إلا بمجموع ما أنتجه لا بجزء منه .

وأما إذا لم يقصد بقصد إمكان الحكم على القصاص بقصة طويلة واحدة فلا داعى أن ترجح كفة القصة الطويلة على كفة القصة الصغيرة فى معيار القيم الفنية للقصاص ، فكلتاهما سواء ما دام لا يمكن الحكم بهما منفردين .

أما أخذه على مجلة المصور قولها « إن ما يبذله كاتب القصة القصيرة من جهد لا يقل إن لم يزد على ما يبذله كاتب القصة الطويلة » فليس فيه إنصاف ، فإن كاتب القصة القصيرة يلاقى دفعة واحدة جميع الصعاب التى كانت متفرقة فى القصة الطويلة ، فهو يكتب القصة القصيرة بجميع عناصرها الفنية فى حيز ضيق محدود مع إكمال كل عنصر وإيفائه حقه فى اقتضاب ملموس وحد كبير من حريته ، ولا يخفى ما فى الاقتضاب والاختصار والحد من الحرية من الضيق الشديد والجهد الكبير الذى يبذله كاتب القصة القصيرة . وقد أرسل سعد زغلول باشا إلى أحد أصحابه رسالة طويلة واعتذر لعدم كتابة رسالة قصيرة بسبب ضيق الوقت !!

فلا ينافى قصر الزمن الذى تكتب فيه القصة القصيرة ، وقلة الصفحات التى تكتب عليها بذل الجهود الكثيرة المضنية التى لا تقل — إن لم تزد — على ما يبذل فى كتابة القصة الطويلة .

(اسكندرية) حسن صادق حمدان



البجعة

للكاتبة الإنجليزية باميلا . ه . جونسون

في اللحظة التي شاهدت فيها الطفلة ولاحظتُ هزالها وهي واقفة بجوار النافذة المستديرة ، ويداها تعبثان بعنق التمثال الخزفي للبجعة البيضاء ، أيقنت أنها ستصير حتماً من الجميلات عندما يكتمل نموها . ولم تكن قد شعرت بوجودي ، فوقفت سا كنا بجوار باب الغرفة أتأملها في إمعان .

كانت سنها — على ما أعتقد — تتراوح بين الحادية عشرة وكانت — إذا عنّ لي أن أحكم عليها — أكثر شبها بوالدتها جلاديس من صورة أبيها توم ، تلك الصورة التي شاهدتها معلقة في المطبخ . ولاحظت أن أطرافها نامية نمواً ملحوظاً ، وعينيها واسعتان بالنسبة إلى وجهها ، ترتدي مئزراً قديم الطراز أبيض اللون ، قصير الأكمام ، يتحلى بزركشة وزخارف من « الدانتلا » على حافته . وكان نظيفاً على نقيض ردائها الداخلي الداكن الذي كان يبدو قديماً رثاً .

كانت الطفلة تحرك أناملها في حنان على صدر البجعة وجناحيها . وبدت كأنها معجبة بذلك التمثال المصقول ، فكانت تتأمله وكأنها خبيرة بفنه وجماله . وكان شعرها مشدوداً خلف جبهتها الصغيرة البارزة ، وقد انعقد بشريط أبيض . ولعلّي أحدثت حركة بسيطة ، فقد التفتت الطفلة ناحيتي ونظرت إلي ، ثم فارقتها في الحال روح الطمأنينة ، ودفعت بالبجعة خلف ستار ، ثم جعلت تمسح يديها في مئزرها — وكان في بياض الثلج — فتترك فيه أثراً خفيفاً من قذارة يديها . وبدت أسنانها من بين شفتيها وتراجعت كما لو أنها ستختفي كما اختفت « أليس »[1] خلال المرآة .

ولم أتفوه بكلمة وأنا أتأمل ذلك الجمال المنتظر . حقاً ، لقد كانت أكثر شبها بجلاديس من توم . كانت تشبه جلاديس التي كنت أعهدها منذ زمن بعيد ، لا تلك التي أعرفها الآن . ولم تصرف الطفلة عينيها عن وجهي ، في الوقت الذي كانت فيه تتحسس الحائط خلفها ، وتتحرك في تلصص بجواره وقد تصلب ظهرها . فقلت « تعالي . لا تذهبي » فشهقت شهقة قصيرة من الرعب ، ولكني تقدمت إليها وقبضت على معصميها ، وانحنيت في ذات الوقت حتى صار وجهي في مستوى وجهها ، وقلت « لا تهربي إني عمك (فيل) » . وحاولت أن تبتسم في أدب ثم ارتجفت عضلة على ركن فمها بعد أن تلاشت ابتسامتها .

سألتها في رقة « لماذا تخافينني ؟ إني أعرف والدتك منذ زمن طويل . وها قد مضت عشرون عاماً دون أن أراها . أليست تلك مدة بعيدة ؟ لقد أخبرتني أن أحضر هنا لأشاهدك» وأضفت قائلا حتى أجعلها تشعر بالسعادة « لأشاهد أي فتاة كبيرة لها » .

وأومأت الفتاة برأسها في صمت تشير إلى البجعة . فقلت « تمثال جميل ، أيعجبك ؟ » فابتسمت .

قلت « ما اسمك ؟ » فلم تجب . قلت « أنت (آمي) » فهزت رأسها بالنفي في شدة وخوف ظاهر . وعجبت ، ما الذي فعلته جلاديس حتى جعلت هذه الطفلة مرهفة الأعصاب تهاب الغرباء ؟ وشاهدت جلاديس من خلال النافذة ، واقفة عند مدخل الخباز ، تسارع في شراء كعك للشاي ، فقد كانت زيارتي لها فجائية ، ولم يكن عندها ما تقدمه إلي ، ولذلك قالت لي « ألا تستطيع أن تسلي نفسك مدة عشر دقائق يا فيل ؟ يجب أن أستحضر العشاء لتوم . وإذا حضرت آمي قبل عودتي فعرفها بنفسك » .

وقلت للطفلة « متى قدمت ؟ لقد أخبرتني والدتك أنك ذهبت إلى الخليج » .

فابتسمت كأنما سرت لقدومها إلى الدار على غير انتظار . وفجأة أمسكت البجعة ودفعتها في يدي ، ثم قالت « جميلة ! » فوافقتها على ذلك . تذكرت رؤيتي لهذا التمثال منذ عشرين عاماً في دار جلاديس القائم على قمة الجرف . وكانت البجعة قطعة أثرية نفيسة من الخزف .

(١) قصة « أليس في بلاد العجائب » من قصص الأطفال المشهورة ، تدخل فيها « أليس » إلى هذه البلاد عن طريق المرآة . المترجم .

ووضعت الطفلة يديها على كتفى ، فركعت ، وإذا بها تجلس على ركبتى ، وهى تبتسم فى وجهى ، وكأنما توطدت الصلات بيننا . وأخبرتها بوجه الشبه بينها وبين والدتها ، وحدثتها عن جمال أمها . وقلت أتعرفين أننا اعتدنا — أنا ووالدتك أن نذهب إلى الخليج ، وقد حملنا معنا أدوات الشاى لنقضى بقية يومنا هناك ؟ وكنت أسبح حيث تقوم تلك الصخور الثلاثة فى صف واحد ، وأدعى بأنى فى يوم ما سأسبح وأسبح ولن أعود بتاتاً . ثم أختبىء فى ذلك الكهف الصغير الواقع تحت الجرف مباشرة وأناديها مثل ...» وبحثت عن كلمة لطيفة فقلت «مثل النورس[1]» وصفقت الفتاة ، ثم عقدت يديها كما لو أنها تذكرت تحذيراً بألا تفض أصابعها مطلقاً . وانتظرت متابعتى الحديث فقلت « ثم أسبح راجعاً فتعنفنى ، ثم ننفجر ضاحكين ... كان ذلك منذ زمن بعيد » .

فسألتنى وهى ترفع أصبعها فى حذر لتلمس قمة رأسى « وأين كنت ؟ » فاعتقدت أنها تعنى « أين كنت هذه المدة ؟» فأجبت « كنت فى الخارج » .

فبدت كأنها تفقه ما قلته . وكنت قد وضعت البجعة على الأرض بجوارى ، فشعرت بها تنزلق عن ركبتى متجهمة الوجه ، ثم التقطت التمثال وأخفته عن الأنظار خلف الستار ، ثم عادت تجلس مى وانتظرت أن أفضى إليها ببقية الحديث ، فقلت « إنى لم أقابل والدك بعد ، مع إنى شاهدت صورته » فعبست فقلت « ولكنى سأقابله الليله عندما يعود من عمله » .

ووضعت الطفلة ذراعها حول عنقى ، فشعرت بسرور عظيم يخالجنى ، وإذا بى أسألها « أية هدية تودين أن أبعث بها إليك ؟ » فأشارت فى الحال صوب النافذة ، فقلت « البجعة ؟ » فابتسمت. فأردفت قائلا « سأشترى لك واحدة مثلها من لندن ، وسأبعث بها إليك فى طرد مسجل ومدون باسم الآنسة آمى أون » فحركت رأسها فى عنف ، ثم أخفت وجهها بين يديها ، وبعد لحظات نظرت إلى ، وقد استعادت هدوءها السابق ، ثم جذبت الشريط المعقود من شعرها ، فانسدل بلونه الأشقر كلون الصباح على رمل الشاطىء الندى .

وسألت الطفلة « أتميلين إلى ؟ » فلمست خدى . ولاحت لى جلاديس مرة أخرى ، تتحدث إلى جار لها خارج البوابة ، وشاهدتها الطفلة فقفزت من ركبتى ، وبدت كأنها خجلة أو خائفة . ثم اختطفت الشريط من يدى ، وجمعت شعرها وعقصته ، ثم ربطته ، بالشريط ربطة غير متقنة فى لهفة وكأنها تتوق إلى الرحيل . فسألتها « إلى أين تذهبين ؟ » .

وأشارت إلى جلاديس من خلال النافذة ، ففتحتها وسألتها ما الأمر ، فقالت « لقد نسيت المفتاح . أرجو أن تفتح لى الباب » .

وعندما التفت حولى ، كانت الفتاة قد اختفت ، فظننت أنها أسرعت إلى المطبخ تنتظر قدوم والدتها أو صعدت لتغسل يديها استعداداً للشاى ، فقد لاحظت أنهما قذرتان وبهما خدوش كأنها حدثت أثناء محاولتها تسلق الصخور الزلقة التى حول الخليج . وأحسست الخيبة ، فقد كنت أود أن ترانى جلاديس معها ، فربما حدثتنى بلهجة أقل خشونة من حديثها السابق ، عندما ترى الوفاق الذى توطد بينى وبين الفتاة .

وفتحت الباب فدلفت منه جلاديس مجهدة وقالت « إنى آسفة لتنبيهى هذه المدة الطويلة يا فيل . إن هذا هو الضرر الذى يأتى من معرفة الناس للانسان فى الطريق ، ولا بد أن تقف وتحيي عند كل ناصية » .

وذهبنا إلى المطبخ ، وجعلت أساعدها فى فض حاجاتها ، وسمعتها تقول لى « كيف استطعت أن تجلس هنا وحدك ؟ » .

فقلت ضاحكا : « لم أكن هنا وحدى . إن آمى كانت معى » فلم تفه بكلمة ، فنظرت إليها فشاهدت فى دهشة أن وجهها قد تقنع بقناع من الحيرة ، فقلت « ما الأمر ! ؟ » قالت « لا يمكن أن تكون شاهدت آمى . إننى قابلتها فى طريق وهى مقبلة من الشاطىء ، وقد أرسلتها إلى محل لويز لتقص شعرها ، وستحضر وقت تقديم الشاى » .

وأحسست بشعور خفى من الرهبة يغزوقلبى ، فقلت « ولكن ، لا يمكن أن يحدث ذلك ، لقد كانت تتحدث مى هنا ، وكانت تجلس على ركبتى » فقالت « ما شكلها ؟ » فجعلت أصف لها الطفلة بشعرها المعقود بالشريط ، وردائها البنى ، ومئزرها الأبيض وقلت « وكانت تلعب بالتمثال الخزفى للبجعة البيضاء الموضوع على النافذة » .

(١) النورس : طائر مائى .

وهبت جلاديس واقفة ، وقد تصلب جسمها ، ثم صرخت صرخة مخيفة ، وأمسكت بها قبل أن تخر ساقطة ، وأجلستها على المقعد . وعندما فتحت عينيها نظرت حولها فى ذهول ورعب ثم قالت « أغلق الباب والنافذة » وازداد شعورى بالخوف وخيل إلى بأن ظلاما حالكا قد خيم على جو الغرفة ، لم أعهده فيها من قبل.

وقالت جلاديس « لقد رأيت مارجريت » واعتدلت فى مقعدها ، وقد اتكأت على مرفقها تراقب الباب المغلق . وألححت عليها أن تفسر لي ما غمض من حديثها ، وتخبرنى به دون إبطاء ، فقد كنت أود أن يطفئ صوتها على أى صوت أتوقع حدوثه كوقع أقدام تسير فى تؤدة وتردد على الدرج ، واحتكاك يد صغيرة تستند على الباب ، ولكنها لم تفه بكلمة . وبدافع قوى ، تركتها وهى تبكى وتتوسل أن أظل معها ، وذهبت إلى الغرفة الأمامية ، وأزحت ستائر النافذة . كانت البجعة لا تزال فى موضعها ولكنى لاحظت فيها شيئاً لم ألاحظه من قبل . كان العنق يتصل ببقية الجسم بمسمار فضى لامع . واستمعت فى سكون الغرفة إلى دقات قلبى ، وأغمضت عينى وأنا أسير فى الممر عائداً إلى المطبخ ، وجعلت أتحسس طريقى بأطراف أصابعى دون أن أدرك ما الذى ألمسه . كانت جلاديس لا تزال متكئة على مرفقها ، وقد بدت فى عينيها دلائل الرعب والخوف . فقلت « من هى مارجريت ؟ » قالت « إنها ابنتك . أتت بعد فراقك الفجائى مباشرة . كانت طفلة جميلة . وكانت تعيش معنا — أنا ووالدتى — دون أن يعرف أحد عنها شيئاً ، ولم نكن نسمح لها بالخروج فيما عدا الحديقة بعد الغسق . كان من الصعب أن نهدىء من حالها ، فقد كانت دائمة اللهو والمرح ، دائبة على اللعب والغناء . وكانت معجبة بالبجعة البيضاء وتحب أن تلهو بها ، فنهاها جدتها عن ذلك ، لأن التمثال كان تحفة ثمينة . ولكن حدث فى ذات يوم أن أسقطت البجعة فانفصلت رأسها . أظنك قد لاحظت المسمار المثبت فى عنقها » .

وكنت أعرف أنه لم يكن هناك مسمار عندما كانت الطفلة تداعب بأناملها الجميلة جسم البجعة المصقول .

واستطردت تقول « كانت والدتى ذات مزاج حاد ، وكان من الصعب عليها أن تساعدنى فى ولادة ابنتى التى لا يعرف الناس عن والدها شيئاً ، بل كانت تشعر بالعار من ذلك . ولم يكن يزور دارنا القائمة على الجرف هناك سوى اللبان وبائع الصحف . وعندما رأت والدتى البجعة المكسورة ، انحنت على الطفلة ، وقبل أن أمنعها ، كانت قد لطمتها لطمة قوية على أذنها . ولم تكن والدتى فى الواقع تعنى أن تؤذيها ، بل أرادت أن تلقنها درساً فى الطاعة . وعدت مرجريت صاعدة إلى الطابق العلوى وهى تبكى وتنتحب ، وشعرت بارتباك وألم من كل ما حدث فقد كنت مغرمة بالطفلة ، حقيقة كنت أحبها حباً شديداً . وفى تلك الليلة خرجت مرجريت من نافذة غرفتها وهربت . ولا أدرى كيف استطاعت النزول من ذلك الارتفاع ، فقد كان من الصعب على طفلة مثلها أن تهبط على تلك النباتات المتسلقة الرفيعة .

وكدت أجن . ولم أجرأ على البحث عنها بحثاً دقيقاً خشية ألسنة الناس . على أية حال ، مكثت طول الليل هائمة عند الجرف. وفى الصباح عثرت على قطعة بيضاء من القماش ملتصقة على قمة إحدى الصخور الثلاثة ، فنزلت ولا أدرى كيف ، فإنى كما تعرف أخاف دائماً المرتفعات . كانت قطعة من مئزرها قد انحشرت بين نتوءين . فاستنتجت ما حدث . ومكثنا أسابيع ننتظر دون أن نجرؤ على التحدث ، ولم نستطع النوم ليل نهار . وأخيراً وجدوا جثتها . كان قد لفظها البحر وألقاها على الشاطىء على بعد أميال من هنا ، فى مكان لا أعتقد أننا ذهبنا إليه يوماً ما . ولم يتبينوا شخصية الجثة ، فإنه لم يبق منها شىء عندما ... » .

وفجأة أمسكت بمعصمى وقالت : « ألا تسمع ؟ » .

وكدت أموت رعباً وأنا أقول « ماذا ؟ » قالت « توم . إنه قادم . لا تخبره بشىء . قل إنى مريضة . قل إنه قد أغمى على . قل أى شىء ... » .

وسمعته وهو يفتح الباب . فقلت لها فى سرعة « ولماذا احتفظت بالبجعة ؟ » .

فنظرت إلى كأنها لا تعى ما أقول . ثم قالت « إنها تحفة قيمة . لقد كانت والدتى تقول إنها ثمينة »وجعلت عيناها تتطلعان إلى السقف والحوائط والأركان ، كأنها لا تدرى من أى فضاء فى العالم قد يعود شىء إليها ، شىء كان عزيزاً عليها ، ثم فقدته إلى الأبد .

محمد فتحى عبد الوهاب



مطبعة الرسالة



العدد ٨١٦ — الاثنين ٢١ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



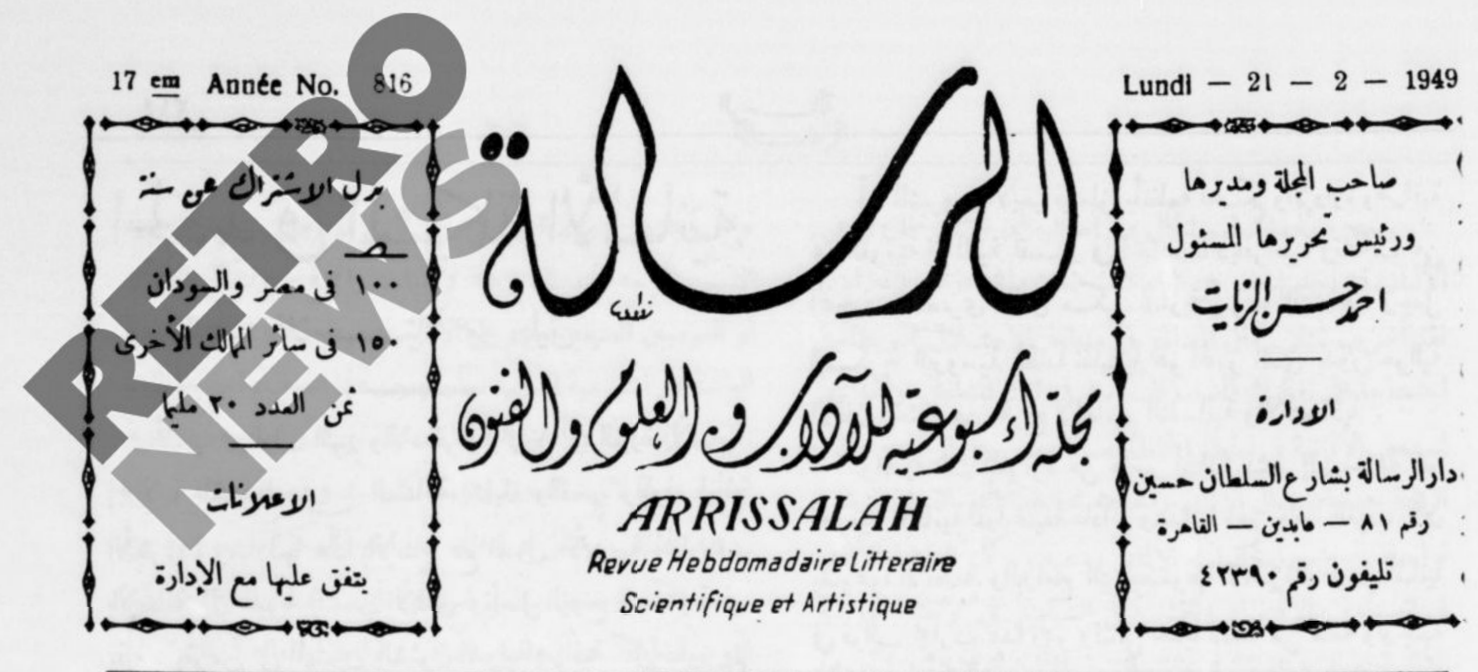
فهرس العدد

٣٢٠١٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17 em Année No. 816 — Lundi — 21 — 2 — 1949



العـــدد ٨١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢١ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

خاطـــرة ...

التاريخ مادته عمل ابن آدم وقوله . وابن آدم حيوان كذاب ، لا يقول الحق على نفسه ، ولا ينقل الصدق عن غيره . والذين أولعوا بتسجيل أعماله وأقواله من كل لون وجنس ووطن وزمن هم من سلالة خُرافة . وخرافة فيما زعموا رجل من أعراب جُهينة اختطفته الجن فلبث فيهم زمناً ثم رجع إلى قومه وأخذ يحدثهم أعجب الأحاديث مما رأى فكذبوه . ثم صار الناس يسمون كل حديث مستملح من الكذب حديث خرافة . والأقرب فى نفسى أن يكون خرافة هذا رجلا رغّاء يعجبه أن يتحدث ويلذه أن يسمع الناس . فلما فرغ ما عنده من صَرف الحديث وزخرف الرواية أخذ يصوغ الأخبار ، وينسج الأقاصيص ، ويصنع الأساطير ، ويبتدع النوادر ، ويختلق العجائب ، وينسب ثمرات فنه إلى وادى عبقر وسكانه من الجن ليكون الحديث أعذب ، والخبر أغرب ، والتصديق أقرب . ومن طبيعة أكثر الناس تزيين الكلام والزيادة فيه ، فلا تجد إنساناً ينقل حادثاً أو يروى حديثاً إلا دخل فيه برأيه وذوقه ومنفعته وهواه ، فيغير ويزور ويموه وينمق ، لا فرق فى ذلك بين جاهل وعالم ، ولا بين فرد وجماعة ، ولا بين شعب وحكومة .

يقع الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع ، فتحكيه الألسن وترويه الصحف ، فلا تجد لساناً يوافق لساناً ، ولا صحيفة تطابق صحيفة . اقرأ صحف العاصمة فى حادثة من حوادث المدن ، أو واقعة من وقائع الأقاليم ، أو أمر من أمور العالم ، فتجد له فى كل جريدة رواية تناقض كل رواية ، وصيغة تعارض كل صيغة ، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التنافر ، فتراها مثلا يوم الأحد الماضى تجمع على أن الشُّرط اكتشفوا فى شارع من شوارع القدس لغما من البارود ؛ ولكن (البلاغ) تنفرد بأن الذى كشفوه منجم من الرصاص !

وتجلس فى قهوة من القهوات فتسمع من الأفواه أصل الخبر وقد نبتت له فروع ؛ ثم تسمعه فى قهوة ثانية فإذا الفروع قد نبتت بها أغصان ؛ ثم تسمعه فى قهوة ثالثة فإذا الأغصان قد نبتت لها أفنان ؛ ثم تسمعه فى قهوة رابعة فإذا الأفنان قد خرجت منها أزهار مختلفة الأشكال والألوان ، فلا ينقضى النهار حتى تمسى بذرة الخبر دوحة راسخة الجذور ، باسقة الذرى ، وارفة الظلال ؛ أو قصة بارعة الخيال ، رائعة العرض ، شائقة الحبكة ، فيها للحزبية مغزى ، وللشيوعية مرمى ، وللفضولية مسلاة .

وتشهد قضية من القضايا فى المحكمة فتجد فى الجناية التى ترتكب فى سَواء الطريق وفى وضح النهار ، من شهود النفى مقدار ما تجد من شهود الإثبات ، أولئك يفندون ، وهؤلاء يؤيدون ، والقاضى أمام هذه الأيمان الكاذبة والأقوال المتضاربة لا يملك للحق من الباطل إلا أن يفزع إلى توفيق الله فيخلِّص بين الصحيح والفاسد بعقله ، ويوفق بين القانون والعدل باجتهاده .

وتحضر مجلس العدل أو مجلس الأمن فتسمع الحقائق تنكر الحقائق ، والوثائق تكذب الوثائق ، والكتب البيض والزرق والخضر والصفر فى دولة ، تقف من أمثالها فى دولة أخرى موقف الكاذب من الكاذب ، والثالب من الثالب ، يدفع كل منها الآخر بما حشد من شهود وجمع من أدلة وساق من وقائع !

هذه مصادر التاريخ اليوم والكتابة شائعة ، والتسجيل منتظم ، والعمران متصل ، والمواصلات سريعة ، والاستخبار صناعة مستقلة وفن قائم ، له وسائله التى تعين عليه ، وشركاته التى تستبق فيه ،

وأهله الذين فرغوا له . فما ظنك بمصادره يوم كانت الأمية فاشية ، والجهالة غاشية ، والشقة بعيدة ، والأسباب منقطعة ، والألسنة وحدها هي التي تنقل الأخبار من إنسان إلى إنسان ، ومن قبيلة إلى قبيلة ، ومن مدينة إلى مدينة ، ومن قطر إلى قطر ؟

لا يا سيدي ! الحق أن التاريخ ثروة طائلة هائلة من كذب الإنسان ! فاقرأه كما تقرأ إلياذة هوميروس ، وإنياذة فرجيل ، وشهنامة الفردوسي ؛ ولا تلتمس الحق في أحداث الأرض وأعمال الناس إلا في الكتاب الذي يخرجه الله يوم القيامة لكل امرئ فيقرأ فيه ما قدمت يداه ، ثم يحاسبه أحكم الحاكمين على مقتضاه !

احمد حسن الزيات

الجديد في المشكلة الألمانية

للأستـــاذ عمر حليق

ألمانيا هي لواب السلم والاستقرار والرخاء في القارة الأوربية إجمالا ، فإنتاجها من الصناعة الثقيلة والفحم والمواد الخام الأخرى ، ومبادلتها هذا الإنتاج مع الدول الأوربية المجاورة ، بالإضافة إلى حيوية الشعب الألماني وتأصل الروح العسكرية في بنيه ، يفرض على المهتمين بالشئون الدولية مراقبة كل تطور يلم بالمشكلة الألمانية باهتمام خاص . فإن الظروف التي أحيط بها الألمان في أعقاب هزيمتهم ظروف مؤقتة تتلاعب بها مصالح متنافسة بين الروس وحلفاء الغرب مما يهيء لشعب واع كالشعب الألماني أن يستفيد من حدة هذا التنافر كما حدث له في أعقاب الحرب الأولى

في الأشهر الأخيرة ألم بالمسألة الألمانية أحداث هامة . فقد أعلن حلفاء الغرب في مناطق احتلالهم مشروعين رئيسيين يتوخيان إنهاء حالة الاحتلال العسكري في ألمانيا والعمل لإنشاء دولة ألمانية مقيدة الصلاحية في شؤون الدفاع والسياسة الخارجية ؛ لكنها صلاحيات واسعة في الشؤون الإدارية والاقتصادية والفكرية إلى حد ما . وهذا التطور يعني أن الألمان منذ هزيمتهم الأخيرة يعطون الفرصة لإعادة ما يستصوبونه من كيان يتفق مع حاجاتهم ومصالحهم ونزعاتهم . وأحد هذين المشروعين يتعلق بتصفية الخلاف بين حلفاء الغرب أنفسهم حول المنطقة الصناعية الألمانية الهامة في الرور ، وهذا يعني أن عقبة كبرى في وجه الحكم الذاتي لألمانيا قد زالت في منطقة حلفاء الغرب على الأقل .

أما المشروع الآخر فيتعلق بأنظمة الحكم والإدارة ومراقبة نمو القومية الألمانية لتسير في اتجاهات ديمقراطية وتكافح التمجيد العنصري الذي مكن للنازية سرعة النجاح ، وجعل العسكرية البروسية نظاما تقليديا هو المحور الذي يدور حواليه الألمان باحثين عن مخرج لأزماتهم النفسانية والاقتصادية .

والدراسات المتوفرة عن حاضر ألمانيا تشير إلى سرعة نمو القومية الألمانية نموا عنيفا حادا . وهذا ما دفع حلفاء الغرب لأن يصوغوا الأنظمة والبرامج التي يضمونها للحكم الذاتي في ألمانيا في قوالب تحارب هذا النمو وتسعى جديا للحد من عنفه وتوجيهه توجيها إنشائيا يتفق ومصلحة الحلفاء والديمقراطية التي يتوخون تثبيتها في أواسط أوربا . والسلاح الملمي الذي يستعمله حلفاء الغرب لتوجيه هذا الانفعال الألماني هو إعادة « تثقيف » الشعب الألماني على أسس الديمقراطية الغربية .

أما السوفييت في منطقة احتلالهم من ألمانيا الشرقية ، فإنهم يتبعون برامج تطبيقية عملية لبلشفة ذلك الجزء من ألمانيا بنفس الوسائل التي اتبعوها في كل شبر من أوربا الشرقية التي خضعت لنفوذهم ، في بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ودول البلطيق . ففي ألمانيا الشرقية ألحق الروس أجزاء غنية من الوطن الألماني ببولندا وتشيكوسلوفاكيا ؛ وأمعنوا في انتزاع أنياب الألمان العسكرية بنقل المصانع ووسائل الإنتاج إلى روسيا ، واستخدام المهرة من العمال الألمان فيها لخدمة الإنتاج الروسي ، وزجهم مئات الألوف من الجنود الألمان المسرحين في معسكرات العمل الإجباري الخفي . هذا إلى توجيه النظم الاقتصادية في الصناعات الخفيفة والزراعة وأحوال المعيشة اليومية توجيها ماركسيا على النحو الذي تتبعه الحكومات الشيوعية في روسيا ومنطقة نفوذها في شرقي أوربا . وحلفاء الغرب وإن لم يلجئوا إلى هذه القسوة في قمع الروح الألمانية ، سعوا تارة بجد وطورا بغير جد للاحتياط لما على طريقتهم الديمقراطية . فقد أنشأ الحلفاء في اجتماع عقد في لندن في الربيع المنصرم مجلس الدفاع العسكري لألمانيا وهو يشرف على ثلاث هيئات تفتيشية تراقب الألمان في نشاطهم العسكري والصناعي ، وفي بحوثهم العلمية ، إلى جانب الهيئة الدولية لمراقبة الرور التي تحول بين ألمانيا وبين الاستفادة من الفحم والحديد لتنمية الصناعة الثقيلة وهي نوع خفي من الاستعداد الحربي ، وقل من الخبراء بشؤون ألمانيا من يعتقد بأن حلفاء الغرب مستطيعون كبح النمو الألماني في الناحية القومية والصناعية والعسكرية .

وحتى فى هذا الطور الحالى من أطوار النمو الألمانى فإن الوعى الألمانى قد أخذ ينفجر عن انفعالات تعزز رأى هؤلاء الخبراء . فقد أضرب مثلا عمال المصانع فى منطقة الاحتلال البريطانية احتجاجاً على تفكيك المصانع الكبرى فى تلك المنطقة . والقارئ للصحف الألمانية فى مناطق الحلفاء يلمس بوضوح على الرغم من وطأة الرقابة حدة الانفعال الألمانى واتجاهه نحو هذا النمو القوى فى شتى نواحيه . وإن مهارة العامل الألمانى ووعيه وتركز النشاط الألمانى فى الصناعة والاقتصاد والتشكيل السياسى فى بوتقته القومية الألمانية يجعل « تثقيف » حلفاء الغرب للألمان عملا ضئيل الجدوى

ولكن ألسنة الرأى العام فى المعسكر الإنجلوسكسونى يحلو لها أن تعتقد أن الألمان مكبوح جماحهم بواسطة هاتين السلطتين : المجلس الدولى لمراقبة الرور ، وهيئة مراقبة الروح العسكرية والإنتاج الصناعى والبحوث العلمية . وهذه السلطة الأخيرة مقصورة على الدول الثلاث : بريطانيا وأمريكا وفرنسا .

وقد رأينا أن هيئة المراقبة الحليفة هذه وفروعها التفتيشية الثلاثة محدود نجاحها لأسباب تتصل بصميم الخلق القوى الألمانى ، إلا أن هناك كذلك دوافع « خارجية » تؤثر على مدى هذا النجاح وهى لذلك مصدر صراع للمعنيين بالمشكلة الألمانية . ولما كان النشاط الألمانى الصناعى والفنى حيويا وضروريا لا لانتعاش ألمانيا ورفع عبء النفقات المادية عن كاهل دافع الضرائب فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا فحسب ، بل لإنعاش أوربا المحطمة إجمالا ، فإن سلطة الرور الدولية تقيد الإنتاج الألمانى بشروط تلزم الألمان بتصدير جزء معين إلى البلدان المجاورة سواء رضى الألمان أم لم يرضوا ، وسواء فاض عن حاجتهم أم لم يفض ، ومن هذه الشروط كذلك إقصاء الصناع والخبراء الألمان الذين كانوا على صلات وثيقة بالحركة النازية عن وسائل الإنتاج فى الرور وغير الرور .

ويتوجس أعداء ألمانيا خيفة من هذه الحالة . فبالرغم مما يبدو من صرامة فى هذه القيود فإن هناك من يؤمن بأنها لن تكفى لإبادة عزم الألمان على المحاولة مرة أخرى للسيطرة على منطقة نفوذها التقليدية فى أوربا وفى العلاقات الدولية ، وفى الانتقام من عدوين لدودين هما اليهودية العالمية ، والشيوعية الدولية . وقد اضطرت سلطات الحلفاء فى الأسابيع الأخيرة لأن تنذر أصحاب الصحف الألمانية مراراً بأن يتفادوا توجيه الانفعال الألمانى توجيهاً عنصرياً ضد اليهود ، وإن كانت قد أغفلت حدة التوجيه الملتهب الموجه ضد الشيوعية لأسباب واضحة . ولكن الألمان أو القوميين المنيفين منهم على الأقل يمزجون عن وعى « اليهودية العالمية » والشيوعية الدولية معاً . وبسبب هذا الخوف تواجه سلطات الاحتلال الحليفة فى ألمانيا انتقادات عنيفة من الكتلة اليهودية القوية النفوذ فى الولايات المتحدة وفرنسا كما حدث فى قضية (الزا كوخ) زوجة مراقب معتقل بوخنفالد وما تبع الحكم المخفف عنها من موجة انتقاد وضغط سياسى استدعى تأليف لجنة برلمانية أمريكية للتوصية بإعادة محاكمتها من جديد . ويواجه الحلفاء كذلك تحدياً قوياً من الاتحاد السوفياتى لإعادة الحكم الذاتى لألمانيا الغربية الذى هو فى الواقع جوهر النزاع الشكلى بين الانجلوسكسون والروس فى المشكلة الألمانية . ولعل هذه المصلحة المشتركة تفسر لنا بعض دوافع التحالف السوفياتى اليهودى فى فلسطين وغير فلسطين حيث يشتد العنصر اليهودى فى كل حزب شيوعى يدين بالولاء لموسكو .

والخوف من بعث ألمانيا لا يقتصر على هؤلاء بل يحسب حسابه الفرنسيون والبلجيكيون والهولنديون الذين أصابهم منه شر عظيم مرتين فى ربع قرن . ولذلك فإن المشكلة الألمانية لا تزال موضوع خلاف على بعض النقاط الجوهرية بين حلفاء الغرب أنفسهم .

وهناك من يشير إلى خطورة برامج الاحتكارات الدولية (الكارتل) لاستغلال المهارة الألمانية فى الإنتاج الصناعى على حساب مستقبل السلم الأوربى على نحو ما حدث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

ولكن تباين المصالح بين حلفاء الغرب حول البعث الألمانى لم يحل بين صناع السياسة منهم ، وبين تنفيذ مشروعات هامة للانعاش الألمانى .

والخلاصة أن الألمان حين يتركون لأنفسهم سيكون طموحهم لبناء المجد العسكرى واستعادة المركز السياسى والسيطرة الصناعية على أواسط أوربا مقيدا بسياسة روسيا الصارمة فى الشرق وسلطات المراقبة الحليفة فى الغرب .

وكأن كلا الفريقين يحاولان انتزاع عود الثقاب من يد الولد الشرير ، وبقى عليهما محاولة انتزاع الشر نفسه . ولعل هذا أصعب المهمتين فى جوهر أس « الإصلاحية » وهم عنه مشغولون بالتناطح

نيويورك **عمر حليق**

السري الرفاء

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

— ٢ —

تحدثت فى المقال السابق عن الشاعر الكندى الموصلى السرى الرفاء، وذكرت ما كان بينه وبين الأديبين الأخوين المعروفين بالخالديين من عداوة، وأنه أولع باتهامهما بسرقة الأشعار وضمّن كثيراً من شعره هذه التهمة. واليوم أعود إلى حديث هذا الشاعر، فأبين عن جانب من الوصف فى شعره كيف سلك فيه وافتن فى نواحيه.

هو شاعر مولع بوصف ما يرى من الحيوان ومناظر الطبيعة وآثار الصناعة. ومما راقنى فى شعره، وصفه خطّافاً عشش فى حجرته، وتكريره هذا الوصف فى شعره ودعوة أصدقائه لرؤيته وعده من محاسن داره. وفى الشعر العربى الجاهلى وصف الحيوان الوحشى والمستأنس، وصف صوره الحسية، ومعيشته وعاداته، والإعراب عن صحبة الإنسان لبعض الحيوان وعطفه عليه، ومشاركته إياه البأساء والضراء، ولا سيما الجمل والفرس. ولست أعرف أدباً آخر فيه الاهتمام بالحيوان ومخالطته ومعاشرته إلى الحد الذى بلغه الشعر العربى. والذى يذكر ما نظمه العرب فى الإبل والخيل، وحمر الوحش والنعام والذئب والضبع والأسد وحيوان الصيد من الكلاب والفهود والبزاة، ويذكر مثل قول المثقب العبدى فى ناقته:

إذا ما قمت أرحلها بليل   تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضينى   أهذا دينه أبداً ودينى؟
أكل الدهر حل وارتحال   أما يبقى علىّ وما يقينى
فأبقى باطلى والجد منها   كدكان الدرابنة المطين(١)

وقول القائل:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فإنى وقيار بها لغريب

وقيار اسم جمل الشاعر.

(١) الدرابنة جمع دربان: البواب. والمطين: المطلى بالطين. الدكان: المصطبة

وقول آخر:

شكى إلىّ جملى طول السرى   صبراً جميلا فكلانا مبتلى

وقول آخر:

هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى   وإنى وإياها لمختلفان

وقول القائل:

حييتك عزة بعد الهجر وانصرفت
فحىّ ويحك من حياك يا جمل

وقول أبى الطيب:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة   وإن كثرت فى عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها   وأعضائها فالحسن عنك مغيب

من يذكر هذا وأمثاله يعرف مقدار ما عنى شعراء العرب بوصف الحيوان بل بصحبته ومعاشرته.

الشعر العربى حافل بهذا الضرب من الحديث عن الحيوان. وهو يدل على العطف عليه والإكبار من شأنه.

وقد حدثنى أستاذ إنجليزى كبير من الأطباء البيطريين عن إعجابه بتكريم العرب والمسلمين للحيوان، ورفعهم شأنه، ومعاملته معاملة ذى الروح، والرفق به على حين كان لغير المسلمين مع الحيوان شأن آخر، وقد كتب هذا الأستاذ فى هذا المعنى رسالة.

هذا موضوع واسع لا تسعه إلا المؤلفات الكبيرة، ولكني عرضت له هنا لأذكر كلف هذا الشاعر العربى الموصلى بوصف الحيوان والعطف عليه والعناية بأمره سنة شعراء العرب، ثم فرحه بطائر عشش عنده وجاوره وصاحبه.

زوجان من الخطاف اتخذا فى قبة حجرته عشاً فلم يرعهما، بل أنس بهما، وسعد بصحبتهما، وذكرهما فى شعره مرات، وجعلهما من محاسن حجرته، ومما رغب أصدقاءه فى زيارتها.

انظر قوله فى أرجوزة يستدعى صديقاً له:

لنا مغن حسن الغناء   وقهوة ضاحكة الإناء
وغرفة فسيحة البناء   طائرة القمة فى الهواء
يوطن فى قبتها العلياء   زور خفيف الروح والأعضاء
معلق فى كبد السماء   وتارة يلصق بالغبراء
فى يلمق مشهّر الأثناء   كأنما طوّق بالدماء

يُطلب أو يُخاب قلب الرائى بين غناء منه أو بناء

يذكر لصديقه أن زائراً خفيف الروح ضئيل الأعضاء يسكن فى قبته ، وأنه يصعد ويصوب ، فتارة يبلغ كبد السماء ، وتارة يُلامس الأرض ، وهو يلبس ثوباً ثناياه بيض ، وله طوق أحمر ، كأنه طُوق بالدماء ، فمن يراه مغنياً أو يبصره بانياً عشه ، يطرب أو يغلب على قلبه جمال هذا المغنى الصغير والبناء الماهر فيخلبه .

ويقول فى قصيدة يستزير بها صديقاً آخر ويُحسّن له الزيارة بأن له غرفة عشش فيها الخطاف وأنس بها واطمأن إليها :

وقد كتبت أيدى الربيع صحائفاً كأن سطور البرق حسناً سطورها
فمن روضة سارٍ إلينا نسيمها ومن مُزنة مرخى علينا ستورها
وغرفتنا الحسناء قد زاد حسنها بزائرة فى كل عام تزورها
بمبيضة الأحشاء سود شطورها مزرة الأذناب حمر نحورها
مرفرفة حول البيوت وفودها محلقة حول السقوف وكورها
لهن لغات معجبات كأنها صرير نعال السبت عال صريرها

(كأن صوتها صرير هذه النعال المصنوعة من جلد مدبوغ جيد)

مجاورنا حتى تشب صغارها فيحلق فينا بالكبير صغيرُها
فزرنا تر اللذات بيضاً وجوهها محببة روحاتها وبكورها

أليس هذا وصف شاعر محب لهذا الطائر معجب به يرغب أصدقاءه فى زيارته بوصفه . ولولا رفقه به ورعايته له ، ما عشش وفرخ فى سقف حجرته وبقى حتى شبت صغاره فطارت مع كباره

ويقول فى قصيدة أخرى يدعو صديقاً له ويذكر ما عنده من المرائى الجميلة ، وآلات اللهو ، والفتية الأدباء ، وهذا الطائر الصديق المستجير بغرفته ، المحترم بجواره :

وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن عليها كلة ورواق
تقسّم زوار من الهند سقفها خفاف على قلب النديم رشاق
أعاجم تلتذ الخصام كأنها كواعب زنج راعهن طلاق
أنسن بنا أنس الإماء تحببت وشيمتها غدر بنا وإباق
مواصلة والورد فى شجراته مفارقة إن حان منه فراق
فزر فتية برد الشباب عليهم حميم إذا فارقتهم وغساق

فهذه غرفة يضرب السحاب عليها رواقه ، تقسمها جماعة الخطاف ، وهى فى ألوان أهل الهند ، فهو يسميها زوار من الهند وهو يسمع أصواتها عجما لا تبين ، وهى تتصايح وتتطاير وتختلف أحياناً فتتشاجر كأنها كواعب من الزنج فى خصام .

وقد أنس هؤلاء الزوار بهذه الغرفة ، كالإماء المتوددات ، ولكنهن لا يقمن على حال فهن يهجرن الغرفة ولا يرعين الصحبة والجوار ، إنما تقيم إبان الربيع والورد فى شجره . فإن فارق الورد فارقت فما ودها إلا كهذه الزهرة ، سريعة الذبول قصيرة اللبث .

هكذا يفتن شاعرنا فى وصف جاراته وإعجابه بها ، وذكر ألوانها وأصواتها ، ومرحها وخصامها ، وهذا لا شك ضرب من الشعر الطبيعى الإنسانى ، يؤلف بين الإنسان وبين ما يحيط به من حيوان وجمال ، وهو فى أدبنا كثير ، ولكنه فى حاجة إلى التنويه والجمع والترتيب .

والسرى يعد شاعر وصاف يفتن فى الوصف ، ويتناول بها الطبيعة : سماءها ونجومها وسحبها ، والأرض : أنهارها وغدرانها ورياضها وحدائقها ، والصناعات البشرية من القصور والتماثيل والسفن وغيرها . ولا يتسع المجال للاتيان بأمثلة فى هذه الموضوعات فأكتفى بمثالين :

قال يصف السفن :

كل زنجية كأن سواد الليل أهدى لا سواد الأهاب
تسحب الذيل فى المسير فتختا ل وطوراً تمر مر السحاب
وتشق العباب كالحية السوداء أبقت فى الرمل أثر انسياب
وإذا قدمت رءوس المطايا للسرى قدمت من الأذناب

وقال يصف الجراد :

وجحفل من جنود الله منتشر مثل الخناصر منقوش الحيازيم
يحل بسطة إقليم فإنه عصفت به الصبا صيرته جو إقليم
ما شنّ وهو ضعيف البطن غارته إلا استباح حمي الشم الهاميم
يلقى على الحب فى أعلى منابته كلا كلا نقشت نقش الخواتيم
إذا استقل أعاد الأرض معدمة واستودع الترب نسلا غير معدوم

تلك نبذة عن السرى الرفاء ، ولعله يجد من عناية الأدباء ما يؤدى حقه من نشر شعره والإشادة بذكره ...

عبد الوهاب عزام

عدل السماء

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

« ليت كل ذى عقل يؤمن بأن فى السماء عدلاً يهبط إلى الأرض فى غير انقطاع ! فما أشد حماقتك وغباوتك يا من تتناسى عدل السماء ! »

لقد نزلت — يا رفيقى — قريتك فأحسست بالوحدة وأنت بين أهلك ، واستشعرت الغربة وأنت فى دارك ، وعشت فيها أياماً فما رف إليك قريب من ذوى قرابتك ، ولا هفا نحوك واحد من أخوتك . وكيف يفعلون وهم قد لمسوا منك الجفوة والامتهان والشح ، فما تلبثت نفسك أن ضاقت بالحياة وحيداً فى هذه القرية ، فثارت خواطرك ثورة عنيفة جيّاشة فبعت دارك لأنك لم تجد فيها الراحة ولا المأوى ، بعتها — وهى كل ما تملك فى القرية — فعفيت على آخر أثر لك هناك ، مثلما مسحت على آخر خفقة من خفقات العطف والحنان حين اشتريت هذه الدار وأفزعت عنها أهلها ، إخوتك أنت ... ثم خرجت — وحدك — من الدار ومن القرية جميعاً . وانطوت الأيام فما عدت سوى ذكرى فى القلوب ، أو تاريخ على الألسن كان حديث القوم حيناً .

يا لعدل السماء ! لقد خرجت اليوم قسراً من الدار التى طردت منها بالأمس إخوتك فى غير شفقة ولا رحمة . وأرسل إخوتك الأطهار نظراتهم فى إثرك وأنت تتوارى خلف الأفق ، وتعلقت بك أبصارهم ، وخفقت قلوبهم فى أسى ولوعة حين أيقنوا أنك أصبحت غريباً عنهم ، وترقرقت العبرات فى عيونهم لأنهم وجدوا لذع فقدك ، فقلوبهم ما تزال غضة نقية لم تشوهها المدنية ولا حجّرتها المادة ، وأزعجهم أن تخرج من القرية — وحدك — كاسف البال مضطرب النفس يرمضك الأسى ويعضك الهم . ولكن واحداً منهم لم يستطع أن ينطلق وراءك ليردك إلى أهلك خشية أن تلقاه فى غلظة أو تحدثه فى قسوة .

آه ، يارفيقى ، لو وجدت الرحمة إلى قلبك سبيلاً !

وعدت إلى المدينة ، إلى عملك الحكومى ، وما فى يدك سوى ما قبضته ثمناً لدارك وسوى ما قدحك من بث وشجن حين فقدت الأخ والصديق والقريب ، وحين لفظتك القرية التى ولدت فيها وترعرعت بين ربوعها ... لفظتك وقلبك يهفو نحو ملاعب الطفولة وأحباء الصبا ومسارح الشباب .

لشد ما غاظك — وأنت فى القرية — أن يتغافل عنك أهلك وأن يتجاهلوا وجودك وأن ينبذوك جانباً ، على حين قد جئت إليهم تريد أن تخطب الود ، وتكفر عن الخطيئة وتصل ما انقطع . ما ذا — يا ترى — طمس على قلوبهم فما نبضت بحب ولا خفقت بعاطفة ، وأنت ابن أبيك ، وأبوك كان فى الذروة خلقاً وجاهاً ، وهو قد عاش بينهم عمره الطويل فى العزة والمنعة والشرف يوقره الكبير ويحترمه الصغير ؟ ما ذا يا ترى ؟

وتراءى لك أن أهلك قد جفوك لفقرك ، وعافوك لمرضك ، فعقدت العزم على أمر ، وأنت ما تزال شاباً فيك مسكة من قوة وبقية من نشاط .

وخلصت إلى عملك الحكومى تقضى فيه صدر النهار ، وإلى عمل فى شركة تجارية تقضى فيها صدر الليل ، وأنت بين هذا وذاك تعين محاسباً — زميلاً لك — على عمله لقاء أجر معلوم . واغتمرت فى عمل مستمر متواصل يستغرق وسعك ويستنفد طاقتك ، وأنت فى شغل لا تجد مس الضنا ولا تحس شدة الرهق ، فقلبك راض مطمئن ، تأخذ نشوة المال حين تجمعه وتحصيه ثم تدخره عسى أن تبلغ الغنى أو ترقى إلى الثراء فتكون بين أهلك وذوى قرابتك رجلاً .

وضننت بهذا الجهد — وهو ضخم — أن تبعثره نوازع الحياة أو أن يعزه بهرج المدنية ، فعاودك داء البخل والكزازة فتلمست مسكناً فى حجرة ضيقة من منزل حقير ، بأجر زهيد ، تقضى فيها ساعات نومك ، تقبل عليها فى هدأة الليل وتفزع عنها فى بكرة النهار .

هذا المكان قذر وضيع تتراكم فى نواحيه الأوحال والأوساخ وتفوح منه رائحة نتنة ذفرة ، ولكنه لا يوحى إلى نفسك الغضاضة ولا يبعث فى قلبك التقزز . وماذا يضيرك وأنت تتوارى فى هذا الوكر عن الأبصار والقلوب ؟ ثم لجّ بك البخل وضربك

الشح فأصبحت لا تبالى أن تبدو أمام الناس فى أسمال خَلِقة تزدريها النفس وتقتحمها العين، ثم ضيقت على نفسك لا تحبوها إلا بالتافه الضئيل من الطعام، ولا ترفه عنها ما تعانى من كلال ونصب، ولا تخفف عنها ما تقاسى من عناء وسأم.

وتعاورك الإرهاق وسوء التغذية وانحطاط المسكن، ولـكنك ادخرت مالاً.

وعجبت أن ترى زملاءك فى الديوان يتلقفون « الترقية » و « الدرجة » و « العلاوة » وأنت تنظر وتنتظر فلا تنال شيئاً. لماذا؟ وأنت لا تهمل ولا تتكاسل، تنطوى على عملك فى دأب ونشاط وتنزل عند رأى (المدير) فى غير تردد ولا نقاش تبتغى أن تنال عنده الحظوة، وأن تبلغ منه الرضا، ولـكنك ما تبرح فى مكانك منبوذاً فى ناحية.

أما هؤلاء الذين يظفرون بالترقية والدرجة والعلاوة فما منهم من يؤمن بالعمل، ولا من يرعى حق الوظيفة، ولا من يعنى بالواجب، فهذه أكداس من الورق تتراكم أمامهم فلا يعيرونها التفاتة ولا يأبهون لـما بها، ولـكنهم يجنون رضا الحـكومة، ويستمتعون برحيق الوظيفة، وأنت تنظر وتنتظر فى غير رجاء ولا أمل، فليت شعرى لماذا؟

وخُيِّل إليك أن السر هناك فى حجرة المدير فذهبت تكشف عن خبيئة هذا الأمر فما أعجزتك الحيلة ولا ضاقت بك الوسيلة، وأنت رجل ذو ثقافة وعقل.

ورأيت الموظف يتملق (سعادة المدير) بأساليب أيسرها الإطراء والمدح، ويقترب إليه بوسائل أكرمها التذلل والتعبد، والمدير يتقبل هذا وذاك فى رضا وسرور .. هذا سبيل وعرٌ عليك أن تسلكه فما فى طبيعتك أن تفعل. ولـكنك برمت بما ترى حواليك وحار عقلك، وآذاك أن ترى مَنْ هم دونك يتسلقون السلم فى سرعة وسهولة، وأردت أن تتذوق بعض ما يسـعدون به. وسـطعت فى خيالك خاطرة انجابت لها كل الخواطر السود فى رأسك، وهدأت لها أعصابك الثائرة، فأنت قد عقدت العزم على أن تصل حبلك بحبل (سعادة المدير) فتتزوج من ابنته.

وزيّن لك خيالك الأمر، فغداً — حين تتزوج من ابنة المدير — تصبح أنت صاحب الرأى فى المـكتب، وصاحب السلطان فى الديوان، وصاحب الـكلمة فى المصلحة. واستبدت بك الفـكرة فبعثت فيك النشوة واللذة ...

وذهبت إلى (سـعادة المدير) تخطب إليه ابنته فربتَ على كتفك وأجلسك إلى جانبه وحباك بعطفه وانفتح لك باب حجرته وباب داره فى وقت معاً، وانحنى لك سـاعيه وبوابه، وهابك مرءوسوه وأعوانه، واحتفل بك أهله وأقاربه، ثم طلب إليك المهر فما تموقت وما تموق هو الآخر، فجاءتك الترقية والعلاوة والدرجة جميعاً، وابتسم (سعادة المدير) وابتسمت أنت أيضاً ولـكن الأيام ...

فيا ليت شعرى هل كان أبوك يستنزل سخط السماء على ابنه العاق حين كان يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن؟

وتمت المراسيم الأولى للزواج، وجاء جهاز العروس بين فرح الأهل وبهجة الأقارب، وانتهى كل شىء فلم تبق سوى أيام ثم تزف إليك عروسك السعيدة. وأردت أن تلقى بنفسك فى غمرات العمل الشاق لتدخر مالاً تنفقه عن سعة فى شهر العسل، ولـكنك أحسست بقوتك تتقوض وبصـحتك تنهار، فانطلقت تطب لمرضك فأرسلك الطبيب إلى مصحة حلوان.

وأنت الآن — يا رفيقي — هناك فى مصحة حلوان لا تجد الصديق لأنك خاصمته منذ زمان، ولا تجد المال لأن المدير قد استنزف كل مالك مهراً لابنته ثم طار عنك، وتزوجت ابنته من مال دفعته أنت مهراً لها.

أنت هناك — يا رفيق — تنتظر النهاية وحيداً لأن أباك استنزل سخط السماء على ابنه العاق. فيا ليت شعرى .. يا ليت!

كامل محمود حبيب

حين تعبث الأقدار

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

ليست هذه القصة خيالية ، وإنما هى حادث حقيق ؛ وقف كاتب هذه السطور على تفصيلاته من أشخاصه أنفسهم وباشر أخيراً بنفسه بعض إجراءات قضائيه ترتبت عليه .

بدأت وقائع هذا الحادث منذ خمس عشرة سنة . وفى الشهر الماضى أسدل الستار على الفصل السابق للأخير منه . أما نهايته فهى سر المستقبل .

منذ خمسة عشر عاماً خطفت امرأة طفلة صغيرة تبلغ من العمر خمس سنوات من أسرة غنية تقطن بلدة من أعمال مديرية أسيوط . وكان اختطاف البنت بتحريض أحد خصوم والدها وتدبيره — على ما يقول — لضغينة بينهما . ولم تُسفر فى ذلك الحين أبحاث البوليس ولا تحقيقات النيابة عن نتيجة ، ولم تثبت التهمة على شخص معين وقُيدت القضية «ضد مجهول» و «حفظت لعدم معرفة الفاعل» وانتهى الأمر عند هذا الحد من الناحية القضائية ، وظلت الطفلة مفقودة ، ولم يهتد إليها أحد على رغم جهود والدها المتواصلة فى البحث عنها ، وقد أرسل فى هذا السبيل أقاربه ومعارفه إلى أطراف المديرية ، ثم إلى مختلف أنحاء البلاد ، وأنفق جانباً من ثروته بلا جدوى . وكم نصب عليه الكثيرون من الدجالين : من محضرى الأرواح ومحترفى التنويم المغناطيسى والمنجمين وقارئى الكف وغيرهم . وقد وفد إلى القاهرة لمقابلة بعضهم مخدوعاً بإعلاناتهم ومحاضراتهم الماكرة التى يُغرون بها السذج . وكان كل واحد منهم يرسله إلى ناحية نائية من البلاد يزعم أن ابنته نُقلت إليها حتى يبعده عنه بعد أن يستولى على كل ما يمكنه الاستيلاء عليه من ماله . وادعى بعض الخبثاء منهم أن الطفلة هُرِّبت إلى خارج البلاد ليعجزه عن السفر إليها .

وظلت الأم المسكينة تبكي ابنتها العزيزة ليل نهار السنين الطويلة حتى فقدت بصرها وعز الدواء . وكان أشد ما يفزعها أن تكون ابنتها تقاسى آلام الجوع أو ذل الخدمة أو ما هو شر من هذا كله وهو وحشية بعض الرجال يقودونها إلى الرذيلة ويكرهونها عليها ، حتى كانت تتمنى أن تكون ابنتها قد ماتت خيراً من أن تتجرع هذه الأهوال وتسقط فى تلك الهاوية .

وأخيراً ترامى إلى علم والدها أن لخاطفى ابنته ، أو بالأحرى لمن اشتبه فيهم — أقارب فى القاهرة يذهبون إلى زيارتهم من حين إلى آخر ، فظن الرجل أن يكونوا قد أرسلوها إليهم ليخفوها ، أو أنهم تركوها شريدة فى شوارع العاصمة . فاستأنف بحثه فيها واستعان ببعض أقاربه وأقاربهم هنا ، وصاروا يتفرسون فى كل فتاة يقابلونها فى الأزقة والطرقات عساها أن تكون ضالتهم المنشودة .

وحدث فى الشهر الماضى أن وقع نظر أحدهم على فتاة فقيرة فى أحد الأحياء الوطنية تشبه ملامحها — بعض الشبه — ملامح ابنتهم المفقودة فتعقبها عن بعد إلى أن وصلت إلى مسكنها المتواضع ، ثم أرسل إليها خالتها التى تحققت من التفرس فيها ومن حديثها معها ومن الكشف على بعض مميزات فى جسمها أنها ابنة أختها المفقودة ، فلجأ إلى البوليس وهناك قصت الفتاة تاريخها من بدء ما أمكنها أن تذكر إلى حالتها الراهنة .

قالت إنها تذكر أنها كانت مع امرأة اعتادت أن تعاملها بخشونة وتضربها بقسوة ، ثم انتقلت من منزل إلى منزل لا تستطيع الإرشاد عن أماكنها ، وكانت تخدم فى البيوت ، وأخيراً التحقت بخدمة أسرة تجاور كاتب هذه السطور . وكان لرب هذه الأسرة خادم يعمل فى محل تجارته فتزوج الفتاة من نحو عامين ، وتركت الخدمة وعاشت مع زوجها راضيين قانعين بما قسم لهما من شظف الحياة . ومنذ بضعة شهور ولدت طفلا ففرح الزوجان به فرحاً شديداً ، وانصرفت الزوجة إلى العناية بمولودها والسهر عليه ولقيت من مخدومتها السابقة كل مساعدة ... إلى أن فوجئت بطلبها إلى مركز البوليس هى وزوجها على الوجه المتقدم .

وهنا قامت مشكلة على جانب من الخطورة ، فقد كان من المستطاع حل المسألة على خير وجه بأن يساعد والد الفتاة ، وهو غنى ، زوج ابنته الفقير على رفع مستواه حتى يصبح كفؤاً له فيؤجر

له مثلا بعض أطيانه بإيجـار قليل في بادىء الأمر ، أو يقيم له متجراً يرتزق منه الخ ... ولـكن وقفت أمامهم عقبة كؤود ، فقد اتضح أن الزوجة وأسرتها من الأقباط المسيحيين ، وكانت الفتاة قد تزوجت هـذا الشاب المسلم وهي تجهل حقيقة أمرها وتعتقد أنها مسلمة مثله . ولم يكن أهل الزوجة على درجة من التعليم وسعة من العقل والتسامح الديني يجعلهم يقبلون هذا الزواج الذي تجيزه المسيحية والشريعة الإسلامية على السواء ؛ بدليل زواج الـكثيرين من المسلمين بالأجنبيات المسيحيات بقبول أهل الزوجة ورضاهم . لهذا عارض والد الفتاة وأقاربها في استمرار زواج ابنتهم بزوجها هذا ، وقالوا إنهم سيطلبون من القضاء إبطاله لأنه بُني على الخطأ ، والخطأ يُبطل التعاقد .

أمام هذا الإشكال وهذا النزاع رأى بوليس القاهرة أن يحيل الموضـوع كله إلى « الجهة المختصة » وهي مركز بوليس أهل الزوجة حيث وقعت الجريمة — جريمة الخطف — وحيث يسهل استكمال تحقيق شخصية هذه الفتاة رسمياً ، وهل هي حقيقة ابنة « المشتكي » وذلك بشهادة الجيران وباقي أفراد العائلة على ضوء المحضر القديم « المحفوظ » بالنيابة ، فعارضت الفتاة وقالت : إنها لا تريد أن تفارق زوجها والد ابنها ، وأنها راضية بحياتها الحاضرة ؛ غير أن المأمور أمكنه أن يقنعها بالسفر مع زوجها ، فقبل الزوجان بعد أن رأيا من كرم أخلاق والد الفتاة وباقي أسرته وحسن معاملتهم ما شجعهما على ذلك ، وسافروا جميعاً .

وكان منظراً مؤثراً حقاً لقاء تلك الأم المسكينة الضريرة بابنتها بعد فراق خمسة عشر عاماً ، فأخذت تضمها إلى صدرها بحنان وتقبلها وتتحسس بيديها رأسها ووجهها وشعرها وجسمها تستعيض بهذا عن نعمة الأبصار وكأنها في حلم لذيذ لا تصدق أنه حقيقة . وبعد أن استراح الجميع وأ كلوا وشربوا وأ كرموا الزوج كل الإكرام ، أخذوا يطوفون بالفتاة أنحاء المنزل وملحقاته وعلى الشوارع المحيطة به فقالت إنها تذكر فعلاً بعض هذا حين كانت طفلة ، وأيقنت أنها ابنة هـذه العائلة حقيقة . وقد تأثرت بحالة والدتها وقالت إنها لن تتركها بعد الآن . وأشفق زوجها كذلك على هذه الأم الضريرة . وبعد أن كان مصمماً على الرجوع مع زوجته إلى القاهرة أقنعه ذووها بأن من الخير لابنه أن يتولوا هم بما لهم من ثروة وجاه أمر تربيته وتعليمه حتى مرحلة التعليم العالي الذي يعجزعنه هو بطبيعة الحال ؛ ويخصون الطفل ببعض أملاك جده بشرط أن يتخلى أبوه من زوجتـه ويترك لهم الطفل على أن يحضر إلى القاهرة من وقت إلى آخر لمشاهدته ، أو يحضر هو لزيارته كلـا شاء معززاً مكرماً في ضيافتهم . وبعد أن تردد الرجل كثيراً وفكر طويلا رأى أن يضحي بسعادته الزوجية ويحرم نفسه ابنه العزيز ضماناً لمستقبل الطفل ، فقبـل أن يطلق زوجته ويترك لها حضانة ابنها ، وعاد إلى القاهرة وقلبه يتمزق حزناً على فراقها وفراقه ، وما زال يحن إليهما بكل جوارحه . وهكذا ذهب ضحية اختلاف الدين . على أنه يجـد في المستقبل الزاهر الذي ينتظر الطفل خير عزاء . وهو يكرر الآن القول ليعزي نفسه : « إن الله فتح على ابني وإن كان قد حرمني منه ومن زوجتي » .

على أن الرواية لم تتم فصولها ، لأنه يبقى أن نعرف ما يكون عليه مركز الابن من والده ومن والدته وأسرة كل منهما متى بلغ سن الرشد ، وإلى من منهما ينتمي ؟

نصيف المنقبادي المحامي

القوة الحربية لمصر والشام في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

— ٣ —

وكان للجيش ديوان يشرف عليه من الناحية الإدارية والمالية . وكان الجندى فى ذلك الحين موسعاً عليه فى الرزق ، بل كان الخير يغدق عليه أحياناً من ناحية المتنافسين على تولى زمام السلطان ، فعندما وزر شاور مثلا زاد الأجناد على ما كان لهم عشر مرات(١)

وفى العصر الفاطمى كان الجنود يتقاضون مرتباتهم نقودا ، ويظهر أنهم ما كانوا يأخذون مرتباتهم شهريًا ، وإنما كان يعطى لهم فى العام مرة ، وأن هذه المرتبات تبلغ ثلث خراج الدولة ، يفهم ذلك من قول المقريزى فى خططه (جـ ٢ ص ٢٤٩) : وكانت العادة إذا مضى من السنة الخراجية أربعة أشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ، ومن الكتاب العدول ، وكاتب نصرانى ، فيخرجون إلى سائر الأعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة ، فينفق فى الأجناد ، فإنه لم يكن حينئذ للأجناد إقطاعات .

ولكن نور الدين محموداً بالشام فضل أن يعطى جنده إقطاعات ينالون منها أجورهم . وكان الجندى إذا مات أعطى إقطاعه لولده فإن كان صغيراً رتب معه من يلى أمره حتى يكبر ؛ فكان أجناده يقولون : الإقطاعات أملاكنا ، يرثها أولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها(٢) ؛ وسارت الدولة الأيوبية والملوكية على هذا النظام فكانت تمنح الأمير وأجناده الإقطاع ، على أن يكون للأمير الثلث ولأجناده الثلثان ، فلا يمكن الأمير ولا مباشروه أن يشاركوا أحداً من الأجناد فيما يخصهم إلا برضاهم . وكان الأمير لا يخرج أحداً من أجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضى إخراجه . فحينئذ يخرجه نائب السلطان ، ويقيم عند الأمير عوضه

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٣٨ .

(٢) خطط المقريزى جـ ٣ ص ٣٥١ .

وكانت إقطاعات جند الأمراء على ما يراه الأمير من زيادة بينهم ونقص ، ومن مات من الأمراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق ، فإما أن يرتجع منهم ، وإما أن يطلق لهم على قدر حصول المنابة بهم . وإقطاعات الأمراء والجند ، منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء ، ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها . وكان لجميع الأمراء على السلطان الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير للخيل والزيت ؛ ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة فى كل سنة ، وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند . ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب من السكر والحلوى فى شهر رمضان ، ولسائرهم الأضحية فى عيد الأضحى على مقادير رتبهم ، وكانت الخيول السلطانية تفرق على الأمراء مرتين فى كل سنة(١) .

وفى الحملات الحربية الكبرى كان بعض السلاطين يلجأ إلى فرض ضرائب جديدة على الشعب المصرى كما حدث فى عهد قطز فإنه عند ما أزمع حرب التتار أخذ من أهل مصر والقاهرة على كل رأس من الناس من ذكر وأنثى ديناراً واحداً ، وأخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهراً واحداً ، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلا ، وأخذ من الترك الأهلية الثلث من المال وأخذ على الغيطان والسواقى أجرة شهر ، فبلغ جملة ما جمعه من الأموال فى هذه الحركة ستمائة ألف دينار . وبهذه الأموال جند جيشاً هزم التتار لأول مرة فى تاريخ حياة التتار .

والقارئ لوصف المجلس الاستشارى الذى عقده قطز من علية القوم لفرض ضرائب جديدة للجيش يرى ما كان عليه هذا الجيش من سعة فى الحياة . والحق أن سلاطين ذلك الحين لم يضنوا على جيوشهم ، لعلمهم بأنهم الساعد والعضد فى الدفاع عن أرض الوطن . ولم يكن الجند يخرجون إلى قتال إلا وهم مغمورون بالرزق والعطاء . أنفق الأشرف خليل ابن قلاوون فى سنى حكمه الثلاث ثلاث نفقات : الأولى فى أول جلوسه فى السلطنة ، والثانية عند توجهه إلى عكا ، والثالثة عند توجهه إلى قلعة الروم .

***

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٣ .

وكما عنى الفاطميون بإنشاء جيش برى لجب يحفظ ملكهم ، ويصون إمبراطوريتهم ، لم يغفلوا عن أن بلادهم – ولها شواطئ مترامية الأطراف على بحرين عظيمين الأبيض والأحمر – تحتاج إلى أسطول ضخم يصون الحمى ويحمى الذمار ، فأنشأ المعز لدين الله قوة بحرية مكونة من أكثر من ستمائة قطعة [1] ، وقد أعانته تلك القوة وأعانت خلفاءه على تثبيت سلطانهم وحفظ هيبتهم .

ولكى ينال الأسطول ما يستحقه من الرعاية أنشأت الدولة له ديواناً خاصاً [2] يقال له ديوان العمائر ، يعنى به من الناحية الإدارية والمالية .

وزاد عدد جنده على خمسة آلاف مقاتل [3] ، لهم عشرة قواد يعين منهم واحد رئيس الأسطول ، فإذا ساروا إلى الغزو كان هو الذى يقلع بهم ، وبه يقتدى الجميع ، فيرسون بإرسائه ويقلعون بإقلاعه . وعلى الأسطول مقدم يكون أميراً كبيراً من أعيان أمراء الدولة وأقواهم نفساً ، وللجند عشرون عريفاً يسمون النقباء هم الذين يفرقونهم ويجمعونهم إذا كان غزو .

ولقواد الأسطول مرتبات يصل أعلاها إلى عشرين ديناراً فى الشهر ، وبعضهم يأخذ خمسة عشر ديناراً ، أو عشرة دنانير أو ثمانية أو دينارين ، وذلك أقل مرتباتهم [4] . وللجند الأجور والجرايات مدة سفرهم لكل واحد خمسة دنانير ، أما بعد عودتهم فإنهم ينالون رزقهم بكدهم ، ويكونون على استعداد للغزو إذا طلبهم العريف له .

وتنفق الدولة على الأسطول من إقطاعات خصصت به تعرف بأبواب الغزاة وفيها ما يرد إلى الخزانة من ثمن النطرون الذى احتكرته الحكومة .

فإذا أراد الأسطول الغزو جمع النقباء له الرجال من غير أن يكرهوا أحداً على السفر ، ثم يعين الخليفة يوماً للنفقة يجلس فيه ومعه الوزير ، كما يحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب . وللمجلس أنطاع تصبّ عليها الدراهم ويحضر لذلك الوزانون لبيت المال ، فإذا تهيأ الإنفاق أدخل الغزاة مائة مائة ، وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة ، فيستدعى مستوفى الجيش من تلك الأوراق واحداً واحداً ، فإذا كمل عددهم عشرة وزن الوزانون لهم : لكل واحد خمسة دنانير ، ويستمر ذلك مدة أيام متوالية مرة ومتفرقة مرة ، فإذا تكاملت النفقة وتهيأت السفن للسفر خرج الخليفة والوزير إلى ساحة النيل بالمقس خارج القاهرة ، وكان هناك منظرة يجلس فيها الخليفة لوداع الأسطول ولقائه إذا عاد ، فإذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك ، للقيام بمناورة بين يدى الخليفة ، وهى مستكملة عددها وأسلحتها وما فيها من المنجنيقات ، فيرمى بها ، وتنحدر المراكب وتقلع ، وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو ، ثم يحضر المقدم والرئيس بين يدى الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصر والسلامة . ويعطى المقدم مائة دينار وللرئيس عشرين ديناراً . وينحدر الأسطول إلى دمياط ، ومن هناك يخرج إلى البحر الأبيض للغزو والجهاد ؛ فإذا أدى واجبه عاد وخرج الخليفة أيضاً للقائه [1] . ومن ذلك يبدو مقدار اهتمام الخليفة بالقوة البحرية ومدى عنايته بأمرها . وكانت العادة أن ما غنمه الأسطول من المال والثياب ونحوهما يكون لغزاة الأسطول لا يشاركهم فيه أحد وليس للخليفة سوى الأسرى والسلاح .

ولم يزل أمر الأسطول معنياً به طول عصر الدولة الفاطمية ، وإن كانت عدد سفنه قد قلت فى عهد الحروب الصليبية ، ولكنها لم تنقص عن نحو مائة قطعة فى آخر عهد الدولة الفاطمية . فلما دخل الفرنج أرض مصر فى عهد شاور خاف أن يقع الأسطول الفاطمى فى يد ملكهم مرى ، فأحرق جزءاً كبيراً منه ، ونهبه العبيد فيما نهبوا [2] ، وهكذا فقدت مصر جزءاً كبيراً من قوتها البحرية بسبب هذا العراك الذميم على السيطرة والسلطان بين وزراء ذلك الزمان .

فلما جاء صلاح الدين رأى واجباً عليه لكي يتم رسالته أن يعنى بأمر الأسطول يحارب به أساطيل الصليبية ؛ فى سنة ٥٧٢ وهو مقيم بالإسكندرية رأى الأسطول وقد أخلقت سفنه ،

(1) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٣
(2) الإسلام والحضارة العربية لكرد على ج ٢ ص ٣٨٤
(3) صبح الأعشى ج ٣ ص ٥١٩
(4) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٣

(1) المرجع السابق
(2) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٣

وتغيرت آلاته فأمر بتمييزه ، وجمع له من الأخشاب شيئاً كثيراً ومن الصناع عـدداً جما ، حتى إذا تم صنع المراكب أمر فحمل إليها ما هى فى حاجة إليه من السلاح والمدد وشحنه بالرجال ، وولى فيه أحد أصحابه ، وخصص له إقطاعاً خاصاً (١) ، وموارد ثابتة يجبى منهـا مقدار ضخم ينفق عليه (٢) ، وزاد فى دينار الأسطول ، فجعله يساوى نصف دينار وربعه بعد أن كان يساوى نصف دينار وثمنه (٣) ، وأفرد للأسطول ديواناً خاصاً سلمه إلى أخيه الملك العادل (٤) ، وأعطى صلاح الدين صاحب الأسطول سلطة كبرى فى تخير رجاله وإعداد سلاحه ، فكتب إلى سائر البلاد يقول : القول قول صاحب الأسـطول وألا يمنع من أخذ رجاله وما يحتاج إليه . واشتهر من قواد البحر فى عهد صلاح الدين القائد العظيم لؤلؤ (٥) . وبلغت عدة الأسطول سنة ٥٧٥ ستين شينياً وعشرين طريدة (٦) ، ولا بد أن يكون عدد قطع الأسطول قد زاد بعدئذ ، فإن صلاح الدين ما كان يضن على هذه القوة البحرية بمال .

واستمرت العناية بأمر الأسطول قليلا بعد وفاة صلاح الدين . ثم قل الاهتمام به وصار لا يفكر فى أمره إلا عند الحاجة إليه ، فإذا دعت الضرورة طلب له الرجال ، وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا فى السلاسل نهاراً ، وسجنوا فى الليل حتى لا يهربوا ، ولا يعطون إلا قليلا من الخبز ونحوه ، وربما أقاموا الأيام بغير شيء كما يفعل بالأسرى من العدو ، فصارت خدمة الأسطول عاراً يسب به الرجال ، وإذا قيل لرجل فى مصر يا أسطولى غضب غضباً شديداً بعد أن كان خدام الأسطول يقال لهم المجاهدون فى سبيل الله والغزاة لأعداء الله ، ويتبرك الناس بدعائهم (٧) .

ثم عادت العناية بأمره فى عهد الصالح أيوب ، وكان له أكبر الأثر فى معركة المنصورة (٨) كما رأينا ، وأهمل أمره بعد ذلك حتى أيام بيبرس فاستدعى رجال الأسطول وأمر بصنع السفن وقطع الأخشاب لعمارتها ، وكان يشرف على صنعها بنفسه (١) ، ويجلس بين الأخشـاب والعمال ويقتدى به الأمراء فيحملون بأنفسهم آلات الشوانى ويساعدون فى صنعها (٢) ، وبنى أكثر من أربعين سفينة وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد (٣) وذلك فى شوال سـنة ٦٦٩ (٤) ، ولما حطم هذا الأسطول عند قبرص أعيد بناء غيره ، وخرج بيبرس لاستعراضه ، كما كان يركب مع الخليفة لمشاهدة مناوراته الحربية فى النيل (٥) . وفى تقليد الخليفة لبيبرس يوصيه بالعناية بأمر الأسطول ويقول له : وكذلك أمر الأسطول الذى تزجى خيله كالأهلة ، وركائبه سابقة بغير سائق مستقلة ، وهو أخو الجيش السليمانى ، فإن ذاك غدت الرياح له حاملة ، وهكذا تكلفت بحمله المياه السائلة ، وإذا لحظها جارية فى البحر كانت كالأعلام ، وإذا شبهها قال هذه ليال تقلع بالأيام (٦) وهذا التشبيه يدل على أنها كانت تطلى باللون الأسود . فلما كان عهد قلاوون رأينا فى الحملة التى وجهها إلى بلاد النوبة سنة ٦٨٨ خمسمائة مركب ، ما بين حراريق وغيرها (٧) .

وفى عهد خليل بن قلاوون زادت العناية بأمر الأسطول حتى كملت عدة الشوانى ستين شونة ملأها بالعدد وآلات الحرب . وعزم السلطان على الخروج لمشاهدته ، فأقبل الناس من كل صوب يريدون أن يشهدوا تلك القوة البحرية الضخمة ، واستعدوا لذلك قبل مقدم السلطان بثلاثة أيام ، وصنعوا لهم أخصاصاً على شاطىء النيل ، وأكثروا الساحات التى قدام الدور ، بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر إلا خرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك . ولما حضر السلطان برزت الشوانى واحدة بعد واحدة ، وقد عمل فى كل شونة برج وقلعة تحاصر ، والقتال عليها ملح ، والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين يعمل الحيلة فى النقب ، وما منهم إلا من أظهر فى شونته عملا معجباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه ، ثم

---

(١) الروضتين حـ ١ ص ٦٩
(٢) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٢١٠ و ٣١٥
(٣) السلوك حـ ١ ص ٤٥ (٤) خطط المقريزى حـ ٣ ص ١٣٥
(٥) السلوك حـ ١ ص ٦٩ (٦) الروضتين حـ ٢ ص ١١
(٧) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥
(٨) السلوك حـ ١ ص ٣٥٣

---

(١) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥
(٢) السلوك حـ ١ ص ٦٠١
(٣) المرجع السابق ص ٤٤٧
(٤) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥
(٥) السلوك حـ ١ ص ٤٥٠ .
(٦) السلوك حـ ١ ص ٤٥٧
(٧) المرجع السابق ص ٧٤٩

اقوا مـــعى

للأستاذ إيليا حليم حنا

كان الملك هنرى الرابع ملك فرنسا يقول دائما للولاة والحكام :

أوصيكم بالفقراء والوضعاء خيراً فإنهم عماد المملكة ولولاهم لما كنتم أنتم ولما كنت أنا شيئاً يذكر ؛ ففى استطاعتهم أن يستغنوا عنا ؛ أما نحن فليس فى استطاعتنا أن نستغنى عنهم !

* * *

عندما حاصر الامبراطورية (كنراد الثالث) دوق بافاريا وتغلب عليه وافتتح قصره أمر رجاله بقتل الدوق مع كل رجاله الأخصاء ،فمثلت زوجة الدوق ونساء قصرها بين يدى الامبراطور وطلبن منه أن يسمح لهن بالخروج من القصر إلى مكان أمين حاملات ما يقدرن على حمله . ولما سمح لهن بما طلبن خرجت كل واحدة منهن حاملة زوجها على ظهرها . فلما رأى الامبراطور ذلك أعجب بأمانتهن وحبهن لأزواجهن وعفا عنهم .

* * *

كان قدماء اليونان إذا نبغ فيهم صانع أو شاعر أو خطيب أقاموا له الأعياد وسيروا المواكب ونظموا الحفلات وقدموا له تاج غار مصنوعا من أغصان الشجر المسمى بشجر الغار الذى كانوا يعتبرونه من الأشجار المقدسة الخاصة بالآلهة ولا سيما (أبولون) إله الشعر والفنون الجميلة . وكان القوم يهرعون إلى تلك الحفلات من كل جانب وينسلون إليها من كل حدب فيذهبون من برقة وصقليا وإيطاليا إلى أثينا للاشتراك فى تكريم نوابغهم .

وكذلك كان الرومان ، لكنهم كانوا يجعلون تلك الحفلات التكريمية مقصورة على الخواص ويقدمون فيها للمحتفل به الهدايا والمكافآت .

على أن هذه كانت أيضاً من عادات العرب قبل الإسلام . قال أبو الحسن بن رشيق القيروانى فى الجزء الأول من كتاب العمدة (كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعراس ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذود عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ .)

وفى عهد الإسلام وخاصة فى عصر الدولة العباسية رفع الخلفاء والأمراء قدر العلماء والشعراء وأجزلوا لهم العطاء . وروى عن المأمون أنه كان يعطى زنة الكتاب المترجم ذهباً .

* * *

يقول الدكتور أدلر أحد أقطاب علم النفس الحديث إن معظم ما يرى النبوغ فى بعض الناس لا يرجع إلى امتياز طبيعى وإنما يرجع فى الحقيقة إلى نقص فيهم وخاصة فى أجسادهم؛ وهذا النقص يدفعهم إلى الاعتقاد بأنهم دون غيرهم كفاية فيضاعفون جهدهم لكى يبلغوا نوعاً من التبريز ينطون به هذا النقص . والإنسان العادى الذى ليس به أى نقص فى رأى أدلر محدود الأطماع والجهود لا يرى ما يدفعه إلى التبريز . أما الناقص فإنه دائم الإحساس بنقصه يدأب على أن يستره بتفوقه فى ناحية من النواحى . وقديما حاول شيشرون الرومانى الألكن أن يكون خطيباً وتغلب على لكنة لسانه وأصبح أكبر خطباء الرومان . وقلما نجد رجلا نابغة إلا وبه شىء من النقص الطبيعى حاول أن

عاد السلطان وأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ماهم عليه من اللهو فى اجتماعهم ، وكان شيئاً يجل وصفه ، وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة المركب ستمائة درهم . ولما بلغ خبر الشوانى إلى بلاد الفرنج بعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح (١) ، وأقيمت مثل هذه المناورة وهذا الاحتفال سنة ٧٠٢ فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون (٢) .

(يتبع) أحمد أحمد بدوى

(١) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٦

(٢) المرجع السابق ص ٣١٧

يعتاض عنه بكفاية جديدة لحذق فنا أو طريقة حتى زاد حذقه عن المعتاد فنبغ .

* * *

خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته ام إياس فوافق والدها وخلت بها أمها فقالت : أي بنية ... أمك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . فكوني له أمة يكن لك عبداً . واحتفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية ، فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشتم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة ، فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة ، فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة ، فلا تعصي له أمراً ، ولا تفشي له سراً ، فإن خالفت أمره أو غرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره . وإياك والفرح بين يديه إذا كان ترحا ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً . فاحفظي وصيتي واعملي بنصيحتي .

* * *

قرأت في مقال أعده مكتب رئيس البوليس في مدينة لندن ما يلي عن بصمات الأصابع :

إن تطور علم بصمات الأصابع قد ثبتت أهميته العظمى لنفع الجنس البشري الذي يعيش في العصر الحديث . أخذ بصمات الأصابع لا يساعد على اقتفاء آثار المجرم وعلى إثبات جريمته فقط ، بل إنه يعمل كذلك على حماية البرىء ضد اتهامات لا يكون لها أساس من الصحة .

عندما تنظر إلى راحة يدك ترى خطوطاً عرضية وفجوات صغيرة تبدو أنها تتجه في جميع الاتجاهات ؛ وعندما تنظر إلى أطراف أصابعك ترى أن تلك الخطوط تنظم نفسها في نموذج خاص . هذا النموذج وتلك الفجوات كانت موضع دراسة العلماء لمدة سنوات وكان من نتيجة أبحاثهم أن توصلوا إلى هذه الحقيقة العجيبة وهي أنه مع أن الخطوط التي توجد على راحة اليد تتكون قبل مولد الإنسان إلا أنها لا تغير شكلها مهما طال عمر الإنسان وتظل واضحة على اليد حتى يتحلل الجسم بالموت . ولم يكتشفوا أن بصمات أصابع كل إنسان تختلف عن غيره فحسب بل أن كل أصبع في اليد الواحدة يختلف عن غيره في تفاصيل النموذج .

ولو اتفق وحدثت إصابة سطحية على الجلد الذي يغطي الأصبع نتيجة حرق أو نتيجة القبض على شيء ساخن فإن الخطوط قد تختفي مؤقتاً ولكنها لا تلبث أن تعود إلى الظهور مرة أخرى متخذة شكلها السابق . ولكن إذا جرحت راحة اليد أو الأصابع جرحاً عميقاً تظل هناك علامة دائمة .

ويعمل بنظام أخذ بصمات الأصابع في معظم أنحاء العالم المتمدن منذ ما يقرب من نصف قرن . وهذا النظام من الدقة بحيث لم يخفق مرة واحدة في تحقيق الشخصية .

الأبيض — سودان **إيليا حليم حنا**

دبلوم عال في التربية — دبلوم صحافة

في القاع يا رب

للشاعر سعد دعبس

مهداة إلى روح الشاعر البائس « عبد الحميد الديب »
« دعبس »

حطمى الزورق يا ريح فقد طال ظلامى
وجرى الشك ورائى ومشى الوهم أمامى
فدعى الأمواج تسرى فى الدياجى بحطامى
واجعلى من شاطئ النسيان دارى ومقامى

***

حينما تسبح روحى فوق هامات الخلود
وأرى عمرى سطراً فى قواميس اللحود
سوف أحيا فى سنا الفجر وهمسات الورود
مثلما شاء خيالى لا كما شاءت قيودى

***

أنا يا رب شكاة ملها سمع الزمان
لم يع الدهر صداها لجفاها وجفانى
أنا يا رب غريب فى زمانى ومكانى
وطنى ناء عن العين ومن روحى دان

***

آه لو يسرى بى الموج إلى واد بعيد
حيث لا أحيا بدنيا ما أحست بوجودى
حلق الباغم فيها وهوى رب القصيد
آه ضاعت أنغم الأحرار فى دنيا العبيد

***

وأنا ذوبت روحى فى أناشيد خيالى
وتوهمت الصدى يبقى على مر الليالى
وإذا بالقاع يطوينى ولا يدرى بحالى
وإذا لحنى سراب ضاع فى بطن الرمال

***

كيف أشدو يا إلهى والأعاصير ورائى
عابثات بهتافى ساخرات بشقائى
كلما لاح صباحى لم أجد إلا مسائى
وإذا أرسلت لحناً خلته رجع بكائى

***

لم أشدو يا إلهى وأنا رهن القيود
وجموع الكون غرقى فى بحار من جمود
ليس يدرى عالم الموت أناشيد الخلود
وسواء أنغم الطير وصيحات القرود

***

قهقهات من فم الأوهام تطوى بسماتى
ورياح الشك حولى عاصفات بصلاتى
لا تدعنى يا إلهى أتغنى بشكاتى
ربما تفنى دموعى فأغنى بحياتى

***

أنا فى القاع ولا شىء سوى القاع أمامى
ربما ينعم بالفجر الأفاعى وأنا رهن الظلام
قل لمن يطفو على السطح بعيداً عن حطامى
أنا فى القاع ولا شىء سوى القاع أمامى

سعد دعبس

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

تحية قلبية وأخرى قلمية :

أتلقى من حين إلى آخر كثيراً من الكتب التي يهديها إليَّ أدباء تربطني ببعضهم صلات ود وصداقة ، ولا يربطني بأكثرهم شيء من صلات الود والصداقة ، وكذلك الأمر فيما يختص برسائل القراء . ومما يؤسف له أن الذين يخرجون الكتب في هذه الأيام من الكثرة بحيث لا يستطيع الذين يكتبون النقد وهم قلة ، أن يتتبعوهم فيما يكتبون وأن يتحدثوا عن مؤلفاتهم ناقدين أو عارضين ! وليت الأمر يقف بهم عند هذا الحد ، وهو التفضل بإهداء الكتب والاكتفاء بتقبل الشكر ... كلا ، ولكنهم يطلبون إلى الناقد — عن طريق التلويح أو التصريح — أن يكتب عن الأثر الأدبي الذي أخرج ، وأن يثني على الجهد الفني الذي بذل ، لقاء ما قدموا إليه من ثمرات القرائح وما خلعوا عليه من أثواب المديح والإطراء ! ويحار الناقد ماذا يقرأ وما ذا يدع . إن وقته لأضيق مما يقدر الذين بعثوا إليه بكتبهم راجين أن يشير إليها من قريب أو من بعيد ، وإنه ليلقى من كتبهم إذا ما قرأها كثيراً من العنت والإرهاق ، وإن كثيراً منها ليذهب فيها الوقت والجهد بلا فائدة ترجى ولا غناء ! .

والدهشة بعد ذلك في تلقى العتاب إذا ما تحدث عن كتاب فلان وأغفل كتاب علان ؛ الدهشة التي تصاحبها الحيرة في الاعتذار لمن يهدون إليه كتبهم فلا يكتب عنها فيعتبون ... ما ذا يقول لهم وكيف يعتذر إليهم ؟ أيقول لهم إنه لم يجد من وقته متسعاً للكتابة ، أم يعتذر إليهم عن غثاثة الإنتاج وضآلة الجهد وتفاهة المادة ؟ ! أمران كما يقولون أحلاهما مر . وليت الكتاب من أصدقاء وغير أصدقاء يقدرون هذه المرارة ويخففون من وقعها على النفس والشعور ! .

أما أنا فقد آليت على نفسي ألا أكتب عن أي أثر أدبي إلا إذا لمست فيه نفعاً للأدب وفائدة للقراء . وحسب كتاب لم يتحقق فيه هذا الأمل المرجو أن أقدم الشكر على إهدائه ، وحسب صاحبه تحية أقدمها إليه من قلبي ... أما الكتاب الذي يضيف إلى رصيد القارئ ثروة فكرية جديدة فلن أتردد في أن أقدم إلى صاحبه التحية من قلمي ! .

هذه كلمة عن مؤلفات الأدباء أنتقل بعدها إلى رسائل القراء . إن بعضها يردد نغمة واحدة لا تكاد تتغير ، وهي الشكوى من إهمال « الرسالة » لكثير مما يرسل إليها من إنتاج أدبي لا ذنب لأصحابه إلا بعدهم عن الشهرة وذيوع الاسم ! أما بعضها الآخر فيحمل إليَّ مقالات وقصائد مصحوبة برجاء مرسليها أن أدفع بها إلى المطبعة لتأخذ طريقها إلى صفحات «الرسالة» وأيدي القراء ، لأن ذوقي المتواضع من شأنه — في رأيهم — أن يستجيب لأمثال هذه الوثبات الفكرية والتهويمات الروحية ! .

إن ردي على هؤلاء الذين يحتكمون إلى ذوقي ويطلبون وساطتي ، هو أنني لا أملك لهم غير الشكر والإعجاب ، ولكن إعجابي لن يغني عنهم من « الرسالة » شيئاً ... إن المرجع الأول والأخير هو ذوق الأستاذ العميد وإعجاب الأستاذ العميد . وإنه فيما أعلم لا يوصد بابه ولا يغلق قلبه في وجه الذين تلوح له منهم بوادر نبوغ أو نفحات ذكاء أو اكتمال أداة ! أما الشاكون من إهمال إنتاجهم فيستطيعون أن يجدوا الجواب على شكواهم في هذه الكلمات ، وليثقوا من أن عميد «الرسالة» لا يتردد في نشر ما يستحق أن ينشر ، ولا في تقديمه على غيره إذا كان يستأهل التقديم

والدليل على ذلك قصيدة هذا العدد ، فإن صاحبها الناشىء لم يعرفه أحد ، ولم يقرأ له فيما أظن أحد ..

رأى في السير ريالزم :

يسألني قارئ فاضل من قراء «الرسالة» عن رأيي في مذهب « السير ريالزم » عقب أن أتيت على ذكره في الكلمة التي تناولت فيها بالنقد كتاب « خلف اللثام » ... وهل يقدر لهذا المذهب الجديد الذي غزا ميدان التصوير والأدب في فرنسا وبعض البلاد الأوربية ، أن تشيع تعاليمه وتسيغه الأذواق ويستجيب له الفنانون هنا كما استجاب له بعضهم هناك ؟ .

إن رأيي الذي أومن به ولا أحيد عنه هو أن مذهب « السير ريالزم » شعوذة فنية لا أكثر ولا أقل ، سواء في ميدان التصوير أم في ميدان الأدب .. إن الفن الذي لا تخرج منه بغير «اللخبطة» لا يعد فناً ! وأى فن هذا الذي لا يبعث في نفسك وحسك شعوراً بالجمال ولا تذوقاً لألوانه ومعانيه ؟ أي فن هذا الذي لا تلمس فيه أثراً للربط بين فكرة وفكرة ولا بين مقدمة ونتيجة في أدب

الـكاتب ، ولا تناسياً بين بُعد و بُعد ولا بين زاوية وزاوية فى لوحة الرسام ؟! .

« لخبطة » ولا شئ غير « اللخبطة » ... وحسبك أن تقرأ كتاباً لأندريه جيد وآخر لأندريه بريتون ، وأن تشاهد لوحة من لوحات دى لاكروا وأخرى من لوحات بيكاسو ! إن جيد يمثل الوضوح والصدق والجمال ، فهو قريب إلى عقلك ، قريب إلى قلبك ، قريب إلى ذوقك ؛ لأن أدبه وليد وشائج قوية من صلة الفن بالحيـاة ... أما بريتون فهو هناك فيما وراء الواقع ، أو فيما وراء العقل والقلب والذوق ، أو فيما وراء الشطحات الفـكرية التى تلغى كل صلة بين الفن والحياة !

بريتون فى الأدب وبيكاسـو فى التصوير ، وكلاهما عميد المذهب السريالى فى فنه ... أما بيكاسو فـكان فناناً عظيما يرفع من فنه الخصوم قبل الأصدقاء ، ولـكن انحرافه فى أواخر أيامه إلى هذه الشعوذة السريالية أفقده من كانوا يكبرون فنه ويشيدون بنبوغه وعبقريته ! إن الفارق بين لوحة من لوحات دى لاكروا وأخرى من لوحات بيكاسو ، هو الفارق بين فن يهز فيك مواطن الإحساس بالجمال وفن يهز فيك مواطن الإحساس بالنفور ... إنك تستطيع هناك أن تخرج بشتى المعانى ولـكنك لا تستطيع هنا أن تخرج بشىء !

هذا هو رأيى فى المذهب السريالى ، وأؤكد للأديب الفاضل أن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه فى فرنسا وهى موطنه الأول بسهولة ويسر ، لأن خصومه الـكثيرين يهاجمونه فى عنف لا هوادة فيه ، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن ! وإذا كان بعض الـكتاب والفنانين قد انحرفوا إلى هذا المذهب واندفعوا فى تيار الدعوة إليه فإنه على التحقيق انحراف إلى حين واندفاع إلى حين ... ذلك لأن الساخطين عليه لا يقـاس إليهم الراضون عنه ، سواء فى مجال الـكثرة العددية أو فى مجال الطاقة الفـكرية ، أو فى مجال الشهرة والتفوق وغلبة الآراء والأحـكام . ولا أعتقد أن مثل هذا الشذوذ فى محيط الأدب والفن يمكن أن يكتب له البقاء هنا إلا إذا كتب له البقاء هناك ، وهذا أمر يشك فى وقوعه إذا ما احتكمنا إلى العقل الذى يزن النتائج على ضوء المقدمات !

حول مسابقة المصور للقصة القصيرة :

لم أكن أعرف أننى محتاج إلى دروس فى فن القصة حتى قدر لى أن أطلع على كلمة فى « البريد الأدبى » وجهها إلى الأديب حسن صادق حمدان فى عدد « الرسالة » الماضى ! ...

لقد رأى الأديب « العالم » أن يعقب على كلمتى التى نقدت فيها رأياً لمجلة المصور عن فن القصة القصيرة ، ولقد جاء فى تعقيبه أننى انحرفت عن الصواب حين قلت إن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تـكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت ؛ انحرفت عن الصواب لأن مجلة المصور لم تشترط أن تـكون القصص المتسابقة من النوع التحليلى ..

لو راجع الأديب المعقب نفسه ورجع إلى ما كتبت ، لعلم أننى كنت أنقد رأياً ينادى بأن المفاجأة فى ختام القصة تعد أهم أركانها على الإطلاق ، ومعنى هذا أننى كنت أعترض على رأى يغلب عليه التعميم حيث يجب التخصيص ، لأن هناك فناً قصصياً يخرج عن دائرة هذا الحـكم الذى لا يفرق بين قصـة موضوعية وأخرى تحليلية ، هذا هو ما قصدت إليه فى مجال التعقيب على رأى لا صلة له بما اشترطه « المصور » للمسابقة من تحديد النسـبة العددية لـكلمات القصة بستمائة كلمة ، وإذن لا أكون قد انحرفت عن الصواب ، ولـكن الأديب المعقب هو الذى انحرف عن الفهم !

وأؤكد له مرة أخرى أن القصة الطويلة هى وحدها المقياس الفنى الـكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، وأن الجهـد الذى يبذل فيها لا يمكن أن يقاس إليه نظيره فى القصة القصيرة . ولقد قدمت له هذا الرأى فى شئ من التفصيل ، وبقى أن أقدم إليه الدليل : إن الأستاذ توفيق الحـكيم يكتب « لأخبار اليوم » قصة تمثيلية قصيرة كل شهرين تحتل صفحة واحدة لا تزيد عليها إلا فى القليل النادر ، ويمكنه أن يرجع إليه ليسأله عن الوقت والجهد اللذين يبذلهما فى كتابة مثل هذه القصة ، إنه لا ينفق فى كتابتها إذا ما نضجت الفـكرة فى ذهنه أكثر من بضع ساعات ... هذا فى تمثيلية قصيرة من فصل واحد ، فهل يدرى الأديب المعقب كم بذل توفيق الحـكيم من وقته وجهده فى وضع مسرحيته الجديدة « أوديب الملك » ؟ لقد أنفق فيها من وقته وجهده أربع سنوات لا بضع ساعات !! ثم هل يظن أن العنـاء الذى لقيه محمود تيمور فى كتابة قصة قصيرة مثل « خلف اللثام » يعادل ما لقيه من عناء فى كتابة قصة ضخمة مثل « سلوى فى مهب الريح » ؟ وإذا أراد أن يحكم على الطاقة الفنية عند توفيق الحـكيم فهل تنكشف له هذه الطاقة من مسرحية تحتل صفحة من

« أخبار اليوم » كما تنكشف له من « أهل الكهف » و« بجماليون » و« شهر زاد » و« سليمان الحكيم » و « أوديب الملك » ؟! وهل تنكشف له الطاقة الفنية عند تيمور من قصة قصيرة كما تنكشف له من « نداء المجهول » و« حواء الخالدة » و « سلوى » ؟! وبعد ذلك يقول لى فى تعقيبه : « إن كاتب القصة القصيرة يلاقى دفعة واحدة جميع الصعاب التى كانت متفرقة فى القصة الطويلة » ! ... أى صعاب يا أستاذ ؟ إن جى دى موباسان فى مجال القصة القصيرة خير بكثير من أونوريه دى بلزاك؛ ولكن أنفاسه تتقطع إذا ما حاول أن يجرى معه فى حلبة القصة الطويلة ... هناك حيث رفعت بلزاك طاقته الفنية إلى مرتبة أعظم قصاص فى تاريخ الأدب الفرنسى . إن القصاص العظيم أشبه بالجواد الأصيل ... ذلك الذى لا تتضح طاقته على العدْو إلا فى رحاب المسافات الطويلة !

هذه كلمة لا أعتقد أنها تشق على فهم الأديب المعقب ، وأرجو ألا تشق على أفهام غيره من المعقبين !

الفن عندنا وعندهم :

وقفت فى « الأهرام » منذ أسبوعين عند صورة رائعة المغزى بعيدة الدلالة ، تستحق من كل ذى عينين أن يقف عندها طويلا ليخصها بفيض من إكباره وإعجابه ... أما تلك الصورة الفريدة فقد أشارت إليها الصحيفة الكبرى بهذه الكلمات :

« يقوم الممثل الكبير سير لورنس أوليفييه مع زوجته فيفيان لى بتمثيل مسرحيتهما الجديدة (مدرسة الإشاعات) على مسرح (نيوثييتر) بلندن . وقد بلغ من تهافت الجمهور على مشاهدة هذه المسرحية أن حجز جانب كبير من الأماكن مقدماً لمدة أسابيع؛ ويرى فى الصورة جمع كبير وقد افترشوا الأرض لقضاء ليلتهم أمام مدخل المسرح ، ليتمكنوا من حجز أماكنهم عند فتح شبابيك التذاكر فى الصباح » .

أناس يفترشون الأرض وفى بيوتهم الفراش الوثير، ويتحملون مرارة الانتظار وما كان أغناهم عن الانتظار ، ويضحون بالوقت وما أحوجهم إلى كل دقيقة ينفقونها وتعود عليهم بما يشتهون ؛ ولكنه دعاء الفن ... يلقى منهم آذاناً مصغية ، وقلوباً متلهفة ، ونفوساً تنشد متعة الذوق والفكر والروح .

عندهم فنانون عشقوا الفن وأخلصوا له ، وعندنا مهرجون أجادوا التهريج ونبغوا فيه ... وعندهم جمهور مثقف يستهويه كل جليل من الأمور وكل رفيع من الفنون ، وعندنا جمهور بليد الذوق متحجر العاطفة ، يقضى ليله ونهاره متسكعاً فى الطرقات أو متثائباً على القهوات ! عندهم الوقت يوزعونه بين العمل المثمر حين يناديهم الواجب ، وبين الكتب المفيدة حين تدعوهم المعرفة ، وبين ملاعب التمثيل حين يشوقهم التحليق فى سماء كل معنى جميل؛ وعندنا الوقت نضيق بطوله ؛ لأنه فراغ وهباء : العمل فى أخلادنا استخفاف بالتبعة وانحراف عن الجادة ، والكتب فى أيدينا مجلات تدغدغ الغرائز بالصور العارية والأفكار العارية ، والترويح عن النفس فى رأينا ميل إلى كل تسلية تافهة وكل لهو رخيص !

هذا هو الفن عندنا وعندهم ... وإذا كنت قد دفعت إلى شىء من الاستطراد ، فإن الحديث فى مجال الفن يغرى به ويدعو إليه ، وحسب المسرح هناك هذا الامتلاء ، وحسبه هنا هذا الخواء!

شهداء المثل العليا :

قرأت بتأثر بالغ تلك الفصول التى كتبها فى « المصور » القائمقام الشهيد فهيم بيومى قبل أن يودع مثله العليا فى الطريق إلى الله ... فصول كتبها بمداد قلمه ثم ختمها بدماء قلبه ، وعلى صفحات « المصور » وفوق ثرى الأرض المقدسة ترك البطل الشهيد وصيته لأصحاب المثل العليا : سطورها من وقدات الفداء ونبل التضحية ، وألفاظها من لفحات الجهاد وصدق البطولة ، ومعانيها من وثبات الوطنية وحرارة الإيمان !.

فهيم بيومى ومن قبله أحمد عبد العزيز ومن بعدهما أبطال وأبطال ... وفى سبيل الله والوطن دماء فجرها القدر عيوناً لتسقى بها رمال الصحراء ! لقد كانوا أصحاب مثل عليا ، فى سبيل مثلهم عاشوا على الأرض وفى سبيلها صعدوا إلى السماء : أرواحهم على أيديهم وأنظارهم إلى الأفق البعيد ، وهمساتهم فى رحاب المجد أشواق ... ولقد مضوا إلى غير رجعة ، وبقيت منهم الذكرى تعبق فى آفاقنا بأرج الحب ، وتمطر مآقينا بدموع الوفاء ، وتملأ تاريخنا برنين الخلود ! يا رحمة الله لكم يا أبطال !.. لقد كان شاعرنا ينطق بلسانكم حين قال :

أخى إن جرى فى ثراها دمى ... وأطبقت فوق حصاها اليدا
ففتش على مهجة حرة ... أبت أن يمر عليها العدا
وقبل شهيداً على أرضها ... دعا باسمها الله واستشهدا

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قضية أدب وفن :

يذكر القراء ما كتبته[1] عن تغزل الهائمة أماني فريد في الدكتور ابراهيم ناجي ، والعكس ... وكان اهتمامي بالكتابة في هذا الوضوع لأني وجدته أمراً جديداً يستحق الوقوف عنده .

ولا شك أن تغزل امرأة برجل معين على صفحات منشورة قفزة جريئة بالغة الجرأة ، يتهيبها الرجل فضلا عن المرأة ، والمرأة الشاعرة نفسها لا تزال تتردد في خطوة تسبق تلك القفزة ، وهي أن تتغزل غزلا غير محدد كما يفعل الرجل .

وقد حفزني على العودة إلى هذا الوضوع ما تلقيته من الرسائل وما سمعته من الأحاديث تعقيباً عليه وصدى له ، وكلها تعبر عن الارتياح إلى ما كتبت ، عدا رسالة واحدة حوت لوى عليه ، وهي من الهائمة أماني فريد ، تقول في أولها : « إني لجد خجلة من أن أرى كاتباً وأديباً لا يستطيع أن يفرق بين الملاقات الأدبية بين الشعراء وغيرها من الملاقات التافهة العابرة » . وكنت أحسبها خجلة لغير هذا ، فإذا هي خجلة بالنيابة عني ... وبعد كلام آخر لا يفيد في الموضوع تختم رسالتها بقولها : « والعجيب أن الرجل المصرى لا زال يحقد على المرأة إذا رآها استطاعت أن تبزه وتنتج ما لا يستطيعه هو ... فرفقاً يا سيدى وكن في أحكامك متوخياً العدل حتى لا تسم كتاباتك بسمة النقد الجائر ... كنت أنتظر أن أسمع منك ومن غيرك من النقاد الأفاضل كلة مدح وتشجيع لا قدح وإثباط للهمم » .

وأترك جانباً مسألة حقد الرجل على المرأة وبزها له ، لننظر هل أنا ظلمتها ، وهل ما صنعته هي يستحق المدح والتشجيع ؟ قد يستحق غزلها في الدكتور ناجي مدحه وتشجيعه ، وقد فعل ، كيلا بكيل ... ولست أدرى علام المدح والتشجيع ، أعلى « الملاقات الأدبية بين الشعراء » ، أم على قيمة الإنتاج ؟

أما « الملاقات » كما بدت في مجلة « العالم العربى » ، فقد استنكرها من حدثونى ومن كتبوا إلى . كتب الشاعر النابغ الأستاذ ابراهيم محمد نجا : « وقد ارتاحت نفسى إلى حديثك عن الملهمة (فلانة) ، والدكتور (عمر بن أبى ربيعة) ، ذلك الحديث الذى تشيع فيه السخرية التى تبعث الألم وتورث الإشفاق ، وقد كنت أحب يا أخى الفاضل أن تصرح بأن هذه الأبيات المنسوبة — إلى تلك الهائمة — ليست من صنعها ، وإنما هى من صنع صاحبها المتيم ، يعرف ذلك كل من قرأ شعر الطبيب الشاعر ، ويعرف ذلك أيضاً كل من عرف هذه الهائمة ، وعرف (مقدرتها) على نظم الشعر » . ويقول الأديب صبرى حسن علوان بكلية العلوم : « وماذا تريد أماني من الأماني ؟ أأن تكون ليلى القرن العشرين ، حتى يكثر في حبها المجانين ... أم أن تناجى . وليس إلا أن تناجى ... أم أنها رأت الجرائد والمجلات لا تنشر إلا كل غريب جديد ، فبالغت في الإغراب والتجديد ... ؟ »

أما من حيث الإنتاج نفسه ، فأنا لم أعرف الهائمة ولم أعرف « مقدرتها » على نظم الشعر ، ولكنى أعرف الشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجى (خليفة عمر بن أبى ربيعة) وأعرف شعره ، وأزعم أنى أجد ريحه في الأبيات المنسوبة إلى الهائمة . وننظر في الأبيات من ناحية أخرى ، وهى ناحية الصدق في التعبير ، تقول :

تعال إلى القلب بعد العذاب ... فقد مر عمرى وولى سدى
يناديك قلبى هوى واشتياقاً ... فما لك لست تجيب الندا

فإذا فرضنا أنها كانت في عذاب قبل الدكتور ناجى ، وأن عمرها ذهب سدى قبل الهيام به ، وأن قلبها يناديه ويهواه ويشتاقه ، فهل هو لا يجيب الندا ؟ ما أظن ذلك . وتقول :

أبيت على لهفة للقاء ... ولكن أخاف حديث المدا
فكم ليلة يا قرير الجفون ... تركت جفونى بها مسهدا

ولنفرض أيضاً أنها باتت تتلهف على لقائه ، فهل تخاف حديث المدا من تنشر هوى قلبها على العالم العربى ... ؟ وهل من مقتضيات « الملاقات الأدبية بين الشعراء » أن يبيت الشاعر قرير الجفون ويترك جفون الشاعرة يستبد بها السهد ليالى كثيرة ؟

(١) العدد ٨١٢ من الرسالة

ونتابع البحث عن صدق التعبير فنرجع إلى الأبيات التي نشرت للهائمة في « البلاغ » وجاء فيها هذا البيت :

أراني شقياً حزيناً
فيا نفس أين الرجاء

وكان ينبغي لتكون صادقة التعبير أن تقول إنها « شقية » أما « الشقي » فهو غيرها ...

وأنا أعلم أنه لا يرضيها أن تحلل «أبياتها» على ذلك النحو ولكن كيف رضيت أن تقولها ؟ أو تظن أنها لا تشتمل على ما يثقل التبعة ؟ هي مسكينة على كل حال ، ولكننا بإزاء باب جديد في الأدب نرى أنه لا يفضي بنا إلى خير ، ولو أنا وجدنا وراء هذا « السلوك الأدبي » فناً أصيلا لكان من المحتمل أن نجد مجالا للاغضاء أو العزاء .

والقضية قضية أدب وفن أكثر منها قضية مسلك اجتماعي؛ فليس لمعترض أن يدفع بالحرية الأدبية التي تخول لكل أديب أن يعبر عن نفسه في صراحة وصدق ، فالوقائع في قضيتنا غير مبنية على الصدق في التعبير كما بينت ، ولك أن تلمح ما يدل ذلك عليه من عدم الأصالة ، أما الصراحة فهي مفتعلة لجذب الأنظار . وهذا كله مع غض النظر عن تفاهة القول وانعدام الجودة فيه .

شاعرة مفكرة :

ولعل « حقد الرجل المصري على المرأة التي تبزه » لا يمنع أن نقضي لحظة مع الآنسة « ن . ط . ع » في عالم الخيال . وهذه الآنسة تمثل طرف النقيض الثاني .. وقد استرعى انتباهي ما تنشره « البلاغ » لها من قطع شعرية تصور حياة فتاة غريبة في هذا العصر المتبرج الصاخب،هي فتاة تصور نفسها ونوازعها في شعرها ، تقول في قطعة بعنوان « الغد » .

يقولون في الغد يأتي الهناء
ترى أين ذاك الغد المنتظر
أيقبل بعد الشقاء النعيم
كما يقبل الصحو بعد المطر ؟
إذا كان هذا نظام القضاء
أصبحت أسعد من في البشر
ولكنني قد رأيت الزمان
أصم السريرة أعمى البصر

إلى أن تقول :

فيارب رد طمأنينتي
على ، وصن لي هذا الخفر
فإني البريئة في عالم
كثير الغواية جم الخطر

فهذه فتاة تتشوف غدها حذرة حائرة ، لم يمنعها الخفر من صدق التعبير عن مشاعرها صانها الله وأدام لها الخفر .

كشكول الأسبوع

* كان يوم الإثنين الماضي موعداً لانتخاب أحد المرشحين لملء الكرسي الخالي للمجمع اللغوي . ولكن لم يبلغ عدد الأعضاء الذين حضروا الجلسة حد النصاب القانوني ، فتأجل الانتخاب أسبوعاً .

* كانت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول قد أعلنت عن رحلة إلى الوجه القبلي في عطلة نصف السنة ، فتقدم إلى الاشتراك فيها طلبة شرقيون من غير المصريين ، ودفعوا قيمة الاشتراك وسجلت أسماؤهم . ثم حدث عند القيام بالرحلة أن علم هؤلاء الطلبة أن عميد الكلية أمر بحذف أسمائهم جميعاً منها .

* وصل إلينا العدد الأول من مجلة « صوت الجيل » التي تصدرها مدرسة أربد الثانوية بشرق الأردن ، وهي مجلة حافلة بالموضوعات الأدبية والثقافية ، وتدل موضوعات الطلبة خاصة على الاتجاه الأدبي القويم الذي يسلكه الجيل الأردني الجديد .

* نعت جامعة أدباء العروبة المرحوم على الجارم بك في جريدة الأهرام على أنه علم من أعلامها . والجارم علم حقاً ، ولكنه لم يكن من أعلام جامعة أدباء العروبة .

* كانت قصيدة المرحوم الجارم بك في تأبين النقراشي باشا من عيون الشعر ... وكانت كلمة الأستاذ على عبد الرازق باشا فصلا أدبياً قيما وخاصة في تحليل الحزن وتقسيمه إلى حزن عقل وحزن عاطفة .

* سأل قارئ بمجلة المصور : ألم يكن إنشاء مدرسة تعلم أبناء الشعب أولى بثمانية آلاف الجنيه التي منحتها الحكومة لفرقة الباليه على تسليتها أولاد الذوات ؟ فردت المجلة بأن السائل مخطئ ، لأن الحكومة حصلت من الفرقة أكثر من هذا المبلغ ضريبة ملاه . ونسأل نحن : هل تمنح الحكومة محلا تجارياً ٥٠ جنيهاً لأنها تحصل منه ٦٠ جنيهاً ضريبة أرباح مثلا ؟

وتقص علينا قصة رمزية مبينة فى قصيدة بعنوان « عقل وقلب » تتخيل فيها أن القلب يستغيث بها من سطوة العقل ويقول :

يا ويح للقـاسى
أسمعت أندادى
وتهـكم الناس
فى خارج الوادى

مغـرورة قالوا
تحيـا على الآل
مـرورة خالوا
من شـقوة الآل

يا ضيعة العمر
فى ذلك السجن
محبوسـة الفـكر
فى ميعة السن

ثم تقول :

ألطيـع ذا القلبا
وأجيب إحساسى
وأجـرب الحبا
وأعيش كالناس

ويكاد القلب يبلغ بحجته ، ولـكنها تعتصم من رغباته ، وتقول :

ورجعت أدراجى
أتجانب الناسا
فى برجى العاجى
أتذوق الـكاسا

كأس من الطهر
وهناءة البـال
والفن والشـعر
فى برجى العاجى

وتصر على التشبث بالشمرغاية ومثلا ، وتقول :

هل يأخـذ القبر
منى سوى جسمى
والصيت والشعر
لن يتركا اسمى

---

* قرر مجلس الإذاعة تأليف لجنة لمفاوضة أم كلثوم فيما تشترطه من إذاعة أشرطتها الستة الموجودة فى محطة الإذاعة ١٢ مرة فى الشهر ، وهى تأخذ على إذاعة الشريط فى المرة الواحدة ٦٠ جنيهاً ، فهى تريد ٧٢٠ جنيهاً فى الشهر لمجرد إذاعة أغان سبق أن أخذت أجرها .

* لم تعلن إدارة الإذاعة إلى الآن نتيجة مسابقة « التمثيليات » الزمنة بها . ومجلة الإذاعة تـكتب بكل عدد أنها ستذيع نتيجة هـذه المسابقة فى العدد التالى . كما يكتب على دكاكين البقالة « الشكك غداً » فإذا جاء الغد صار يوماً حاضراً له غد جديد ...

* يكاد مكان الدراسات الاجتماعية يعد خالياً فى ميدان التأليف عندنا . ومن القليل فى هذا الباب كتاب «سياسة جديدة لوطن جديد» الذى أصدره أخيراً الأستاذ سيد مصطفى وهو يدرس نواحى الحياة المصرية دراسة تطبيقية .

* جاء من لنـدن أن شركة لونجمان جرين ستنشر مجموعة قصص مصرية مترجمة إلى الإنجليزية ، تتكون من ثلاثين قصة للأساتذة محمود تيمور وتوفيق الحـكيم والمازنى وفـكرى أباظه وسميد عبده .

* أتمت دار الـكتب المصرية طبع الجزء الثانى من كتاب أشعار الهزليين ، ويباع فى الدار بأربعين قرشاً . وحبذا أن تراعى الدار فى تقدير أثمان كتبها نفقات الطبع والورق فقط لتـكون فى منال طلاب الأدب .

* تعمل وزارة المعارف على إنشاء فرقة نموذجيـة خاصـة لطلبة المعهد العالى لفن التمثيل تهدف إلى الفن الرفيع من غير اعتبار للناحية التجارية .

* فى أول عهد التمثيل بمصر كان الحوار يجرى على المسرح بالسجع ، ومن ذلك أن الملك فى إحدى الروايات يقول للبواب : من بالباب ، أيها الهاب ؟

سأصير شـاعرة
من قادة الفـكر
أنا لست ساخرة
يا قلب من يدرى

وأهم ما فى هذا الشعر أن به روحاً ، والشـاعرة موفقة فى تصوره تصويراً يبرزه حياً ، وإن كان فى حاجة إلى مزيد من العناية من حيث إخضاع التعبير ويتحقق ذلك بالتأمل فى المأثور وكثرة المعالجة . والفتاة الآنسة وإن كانت فى أول الطريق إلا أنها على الجادة، تهديها إلى الغاية موهبة صادقة مخلصة . فهيا يا آنسة ن . من يدرى ...

القياس فى اللغة :

أتيت فى الأسـبوع الماضى على ملخص مضغوط لمحاضرة الدكتور أحمد أمين بك «مدرسة القياس فى اللغة » التى ألقاها فى مؤتمر المجمع اللغوى ودعا فيها إلى الاجتهاد فى اللغة . وأذكر الآن أن الأعضاء الذين عقبوا على المحاضرة بالمناقشة أجمعوا على الإشادة بها وإن كانوا قد خالفوه فى بعض أجزائها وخاصـة من الناحيـة التاريخية . وقد عبر الدكتور أحمـد زكى بك عن ذلك فقال إن التعليق على المحاضرة بتصحيح هنا وتخطىء هناك لا يؤثر فى غايتها وإنما تهمنا هذه الغاية . وقال الدكتور طه

حسين بك : ليس علينا خطر من أن نبيح لأنفسنا ما أباحه العرب لأنفسهم من قديم الزمن ، ولا نزاع أن المحاضرة لا تمثل اعتدال الدكتور أحمد أمين بك فقط ولكنها كذلك تمثله محافظاً في تجديده

وقد تليت النتائج الخمس التي ذكرتها في الأسبوع الماضي ، فوافق المؤتمر على الأربع الأولى ، ودارت مناقشة في النتيجة الخامسة التي تتضمن جواز ارتجال كلمات جديدة ، فقال الدكتور عبد الوهاب عزام بك : يجب أن يقتصر وضعنا للكلمات على ما نحتاج إليه فقط . وقال (المرحوم) الجارم بك : أريد ضابطاً لهذا الأمر . فقال الدكتور طه : الضابط هو أصول اللغة العربية في قبول الألفاظ الأجنبية . وسأل الشيخ عبد القادر المغربي : هل الارتجال يضر سلامة اللغة ! فلو اخترع أحد لعبة وارتجل لها كلمة مثل (دمخ) فهل يجيزها المجمع أو لا يجيزها ؟

ثم رئي أن يتخذ في الموضوع قرار عام هذا نصه :

« الأخذ بمبدأ القياس في اللغة على نحو ما أقره المجمع سلفاً من قواعد وجواز الاجتهاد فيها متى توافرت شروطه كما أشار إلى ذلك الدكتور أحمد أمين بك في محاضرته (مدرسة القياس في اللغة) » .

عباس خضر



حرية الأدب والفن :

إن المناقشة التي دارت في المجمع اللغوي بين الدكتور أحمد أمين والدكتور طه حسين في حرية الكاتب وتقيده بأهداف معينة — وعلينا الشكر للأستاذ عباس خضر على نشره لموجز أدلة الفريقين — إنها لمناقشة جديرة باهتمام كبير وإن كان الموضوع قد قتل بحثاً ودرساً في الغرب منذ أن اتفق لفيكتور هيكو اختراع قوله « الفن للفن » فقد كان الصراع بين أنصار هذه النظرية — نظرية عدم استخدام الفن لأغراض معينة — وخصومها ، ومن بينهم هيكو نفسه ، قوياً حاداً طيلة القرن الماضي . ولسنا نحن الشرقيين في حاجة إلى « تمثيل » ذلك الصراع في بلادنا وترديد آراء الغربيين في مسألة كهذه ؛ لأن الغربيين هم كما قال الدكتور إقبال الحكيم الشاعر الهندي « يكتشفون ويتتبعون مسير النجوم في السماء ، ولكن لا يسعهم أن يهتدوا إلى الطريق في دنيا الأفكار » لا يؤمل منهم أن يصلوا إلى رأي قاطع حازم فيما يتعلق بالمسائل الأخلاقية ، مع أن تفوقهم في العلوم الطبيعية لا يسع أحداً إنكاره في العصر الحاضر . والحقيقة التي يجب أن نتأكد منها ونذكرها دائماً ، هي أن الاختلاف والتجدد في الرأي والتقدم — تلك الكلمة التي يحلو لنا الإكثار من النطق بها — إنما هو مفيد مثمر في حقل المسائل الطبيعية دون ما ينتمي إلى الأخلاق والمبادئ التي يبتني المجتمع عليها ؛ فإن الحرية بشأن التعرض لها إنما تؤدي إلى عدم الاستقرار والفوضى الاجتماعية ، وعلاوة على ذلك فإن الحرية لا تتميز عن الفوضى إلا بأن الأولى تتحدد بحدود معروفة ، والثانية لا حدود لها .

وخلاصة القول أن المسلمين في غنى عن مثل هذه المناقشة في المسائل الأخلاقية والاجتماعية ، لو أنهم ردوها إلى الإسلام وسيرة الرسول . لننظر إلى قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاوون وقول النبي في امرئ القيس بأنه قائد الشعراء إلى النار ، ولنقارن هذا وذاك بما هو معروف من تشجيع النبي لحسان بن ثابت وإنعامه على كعب بن زهير ، ثم لنتأمل لعلنا نجد فيه حكما فصلا بأن الفن ليس للفن ، بل إنه عامل من العوامل الشديدة التأثير في النفس وفي الحياة ، ولذلك يجب أن يخضع لقاعدة التنظيم الإجماعي حتى يخدم أغراض المجتمع الخاصة ولا يخرج عليها . وهذا هو تفسير تلك القيود التي وضعها الإسلام على بعض نواحي النشاط الفني والتي ربما ثقلت على دعاة حرية الفن ؛ فإن كل ما يدعو إلى الوثنية أو أخلاق الجاهلية إن كان من الفن فهو فن سوء ، ولا مجال للاعتراف به في نظام شامل كالإسلام الذي يكفل حياة جد وعمل دائمين في سبيل الخير لا حياة لهو وترف في حال من الأحوال . وكذلك الانهماك في اللذات والتعبير عنها تعبيراً صادقاً مثل حكاية طروق حبلى ومرضع ، فإن هذا النوع من الحرية للأدب التي يدعو إليها بعض الكتاب الفرنسيين ويعجب بها بعض كتابنا البارزين — لا توجه الإنسانية إلى سواء السبيل وحسن المصير ، بل تعاون على صرف النظر والذهول عن سوء الحال وخير المستقبل وتسبب الفتور في العزيمة والركود في التعمير. لاشك أن مدار الفن على التعبير الصادق ولكن هل يتحول الشر

بمجرد كونه موضوعاً لمثل هـذا التعبير إلى الخير ؟ أفلا يجب على الـكاتب إذا اتخذ الشر موضوعاً لعمله أن يعالجه بحيث يبغضه إلى القراء ؟ ولا يقل أحد أن فى ذلك إرهاقاً للـكاتب لأن الـكاتب الذى حبب إليه الشر أو قلّ نفوره منه عن نفور الجمهور هو عدو للخير والمجتمع قبل أن يكون كاتباً أو شاعراً . أما القول بأن مذهب الفن للفن ليس له أية صلة بالأخـلاق فإنه سينتقض إذا راعينا هـذا الجانب نفسه أعنى جانب الموضوع الذى يقع عليه اختيار الكاتب ، كما أن حسن التصوير أو قبحه من الناحية الأخلاقية لا يكمن فى الفن نفسـه ، بل يأتى من الموضوع الخارجى له . وعلى كل حال فإن الأدب الذى لا يرمى إلى غاية إنما مثله مثل هز الأرداف العارية الذى يسمي فن الرقص فى بعض الحانات ولكل منا رأيه فى مدي جدواه للمجتمع والأخلاق والإنسانية .

السيد محمد يوسف الهندى

معنى المكروفون :

اطلعت فى عدد الرسـالة الغراء (٨١٤) على مقالة صاحب العزة الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الوهاب عزام بك بعنوان « من آفات هذه المدنية » وفيه ذكر عزته أن المكروفونات (الجاهر) تسبب ضوضاء ... الخ وبودى فى هذه الرسالة العاجلة أن أبين من الناحية العلمية خطأ ما سار عليه البعض فى تسمية هذه الأجهزة بالميكروفونات .

فهذه الأجهزة من الناحية العلمية تسمى Public Addreas Systems وهو ما يمكن ترجمته « أجهزة مخاطبة الجماهير »

وتتركب هذه الأجهزة من ثلاثة أجزاء رئيسية :

الأول : المكروفون Microphone ووظيفته تحويل الموجات الصوتية الحادثة أمامه إلى موجات كهربية .

الثانى : جهاز تكبير amplifier ووظيفته تكبير الموجات الكهربية الواصلة إليه من المكروفون وهو مركب من عدة صمامات لاسلكية بطريقة تختلف من وقت إلى آخر .

الثالث : مضخم الصوت Loud Spea Ker ووظيفته تحويل الموجات — الكهربية — الواصلة إليه من المكروفون عن طريق المـكبر -- إلى موجات صوتية .

وبذلك تصل الموجات الصوتية الحادثة أمام الميكروفون إلى جمهور المستمعين مكبرة مضخمة (عالية) .

والمـكروفون متصل بالمـكبر بسلك كهربى

والمـكبر المتصل بمضخم الصوت بسلك كهربى أيضاً .

لذلك رأيت أن أكتب إلى حضرتكم راجيا الإشارة إلى ذلك فى مجلتكم الغراء لما فى إطلاق اسم ميكروفون على هذه الأجهزة من خطأ علمى .

أحمد محمد حلمى
مهندس لاسلكى

فى التعزية عن مصيبة الموت (للرافعى) :

لما فجع الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك فى وحيـده (أمين) رحمه الله عزاه السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله عن فجيعته ، بهذا الخطاب المؤثر البليغ :

سيدى الأخ الأستاذ الجليل .

كنت مسافراً وعلمت بالنبأ الفاجع الذى يتكلم عنـده الصمت : إنا لله ! لقد دفعك الإيمان إلى أشد معاركه فى هـذه الفجيعة ، وكأنك الجبل الباذخ لا تريد الحـكمة الآلهية أن يستند إلى شيء ليكون جلاله ظاهراً بنفسه

« إن قلبك العظيم يحمل الزمن بما فيه ، ولـكن الذى هو أشد من حمل الزمن ، هذه القطعة الصغيرة من الماضى .

أسأل الله أن يثبتك بما ثبت به النبوة ، وأن يضاعف لك بالصبر والإيمـان قوة على قوة ، وأن يجملك من الذين عليهم صلوات من ربهم ورحمة .

ولما احتسب الدكتور شخاشيرى طفلا له لم يجد فى مرضه طب أبيه ولا علمه « وخرّ العلم والطب على أقدام الموت جرى على لسان الوالد الحزين هذا البيت من الشعر » .

أين السـعادة والأيام تأباها   مرت علينا فلم نشعر بمجراها

وبعثت بهـذا البيت إلى صديقه الرافعى رحمه الله . فأجابه بالأبيات الحـكيمة الآتية :

الله أوجـدها للناس قاطبة ... فما الذى عن جميع الناس أخفاها
لا ذلك المال سواها لنا ذهباً ... ولا من الطين هذا الفقر سواها
والعمر فى وهمها ضاعت حقائقه ... كأنما هى تحيا بين موتاها
فسل صغار الورى عن هم أولها ... وسل شيوخ الورى عن هم أخراها
إن السعادة أن ترضى بلا غضب ... وكيف ذاك بدنيا لست ترضاها

وكتب الرافعى رحمه الله إلى صديق يعزيه قال :

المصيبة حرسك الله ، وإن كانت أكبر من التعزية لكن ثواب الله أكبر من المصيبة ، والإيمان بالله أكبر من الثواب ، وما آمن بالله من لا يثق به ، ولن يثق به من لا يطمئن إلى حكمته ، ولا اطمأن إلى حكمته من لا يرضى بحكمه ، ولا بحكمه من سخط على ما ابتلاه . ولقد عرفتك من أوثق الناس إيماناً فلتكن من أحسنهم صبراً وأجملهم عزاء . ونحن الضعفاء المساكين إنما نعامل الله بما يصيبنا به ، فإن جزعنا فقد بلغنا حق أنفسنا فلا حق لنا من بعد ! وكأنما أصبنا مرتين ، وإن صبرنا فما أحرى أن يكون الصبر على المصيبة هو ربح المصيبة والسلام .

ولما مات أخوه كامل بك الرافعى قال يشكر الناس :

« تتوجه أسرة الرافعى إلى الله بقلوبها المتوجعة الحزينة تستلهمه فيما تشمر به ما تشكر به ، فلئن كان رزؤها فى فقدها أليما ، لقد كان عطف الأمة عليها كريماً . والحمد لله الذى لا يأس من روحه ، بيده الخير يجعله ما يشاء فيما يعطى وفيما يمنع ، وهو القوى العزيز فيما يصيب به ، لكنه الرحمن الرحيم فيما يثيب عليه .

فاللهم اجز بفضلك عنا أحسن ما جزيت كل من واسانا أو توجع لنا أو عطف علينا ممن ساروا فى الجنازة أو جاءوا للتعزية ، أو حضرت رسائل عطفهم برقاً وبريداً ، ندعوك اللهم أكرم مدعو ، فكن اللهم أكرم مستجيب .

رحم الله الرافعى رحمة واسعة .

(المنصورة) محمد أبو ريه

الأحرف السبعة :

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فى « عدد الرسالة ٨١٥ » ، فكان من الواجب الحتم أن أتم ما كتبه بكلمة أنقلها من مقالة للأستاذ محمد زاهد الكوثرى المتخصص فى هذا الشأن الخطير ، لأنه كان أستاذ علوم القرآن فى معهد التخصص باصطنبول :

تواترت الأحاديث فى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، لكن اختلفوا فى تفسيرها إلى نحو أربعين قولا ، لا تعويل إلا على أقل قليل منها . قال الطحاوى فى مشكل الآثار : إنما كانت السعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم ، فوسع لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرأو بخلافها . اهـ . قال القرطبى : قال ابن عبد البر : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد . اهـ وقد أطال الطحاوى النفس فى مشكل الآثار (ج ٤) فى تمحيص هذا البحث بما لا تجد مثله فى كتاب سواه . ومما قاله هناك إن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه ، وإن كان الذى نزل على النبى صلى الله عليه وسلم إنما نزل بألفاظ واحدة . اهـ

فإقامة المرادف مقام اللفظ المنزل كانت لضرورة وقتية نسخت فى عهد المصطفى عليه صلوات الله وسلامه بالعرضة الأخيرة المشهورة .

عبد الله معروف



على هامش الأدب والنقد

تأليف الأستاذ على أدهم

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

الأستاذ على أدهم واسع العلم عريض الاطلاع عميق التفكير؛ أعنى أنه جمع الأبعاد الثلاثة فى حيز ذهنه، وأبى إلا أن يجمعها بالبعد الرابع لكى تستوفى النسبية قسطها من قلمه، وهو فيض الإنتاج. فقد أخرجت المطابع له إلى الآن ١٢ كتاباً. والله يعلم بما عنده من كتب أخرى معدَّة للطبع.

وقد قرأت أمس له كتاباً ممتعاً عنوانه «على هامش الأدب والنقد» افتتحه بفصل «النقد والشخصيات» وإذا به يستفيض فى الأدب النفسى بحيث يجرد الأديب والعالم عن أنفسهم ويجعل لهم كياناً غير شخصيتهم. والنقد يتوجه إلى هذا الكيان.

ثم تناول التقدير الفنى بين النظريتين العلمية والفنية. وبسط الفرق بين العلم والفن ببحث جامع مانع. ثم عطف على فن كتابة التراجم وبحث نشأته وما طرأ عليه من تطور فى الكتب المقدسة فى الصين والهند ومصر الخ. واسترسل إلى العصر الحاضر.

وفصله فى النقد الفنى بين المذهب الاجتماعى والفردى دفعه إلى فيافى الفلسفة النفسية والعقلية والفلسفة العامة فأعطاك دراسة فيهما لا أظن أن لها ضريباً فى مباحث الآخرين، إلى أن ساقه البحث إلى الكتب والكتاب، ثم ارتفع به إلى أثر النبوغ والعبقرية فى الأدب والفن، وشرح لنا الفروق بينهما. وهو بحث لا شك فلسفى عميق. إلى أن قذف به النقد إلى دار الشيطان (أعيذه منها) فى الشعر الحديث. وقد راجعت هذا الفصل مرتين لما وجدت فيه من متعة عقلية ونفسية.

ثم تساءل قائلا: هل تجدى مطالعة التاريخ (الفقير بالخرافات) وهناك أبحاث لا تخطر لك على بال تدلك كيف بدىء التاريخ منذ سبعمائة سنة ميلادية. وهى بدء الكتابة بالحروف الصوتية التى يقال إنها من اختراع الفينيقيين. وجرى على ما اعتور التاريخ من الغث والسمين والحق والباطل والعلم والجهل إلى غير ذلك من طبائع التاريخ.

ثم تحول من هذه المباحث العلمية النقدية إلى نقد المتنبى الشاعر العظيم، وشرحه تشريحاً نقدياً وكشف لك عن سريرته ودل على قلبه ونزعته وطموحه فوصفه فى تدينه وغروره وحزنه ومكانته فى أهيل عصره (كما يسميهم هو) ونظريته فى حساده؛ حتى إذا خرجت من هذه النقدات التى كانت كدى المشرح فى البدن السمين ظهرت لك أخلاق المتنبى ونفسيته وانجلى لك المتنبى الحقيق كأنك عشت معه.

ثم نال أبو تمام قسطاً من نقده فقابل بينه وبين المتنبى بحيث ترى أن أدهم دخل إلى سريرة هذين الشاعرين العظيمين وظفر بمزية كل منهما فى الشعر.

ولم يحرم الشاعر ابن هانئ من كلمة فلسفية رائقة فيه، ويريك أن شعره يغرى بالأبيقورية، وهى أن الحياة فى نظره فترة قصيرة ونهزة عارضة ... وليست جديرة بأن يقضيها المرء فى طلب الغايات البعيدة وليس فيها أعماق سحيقة ترهب الناظر. وفى الوقت نفسه كان يقتنص اللذات؛ فهو بعيد حياة سليمان الحكيم الذى ماترك متعة إلا تمتع بها، وأخيراً قال: باطل الأباطيل، الكل باطل.

ولأدهم بعد ذاك فذلكات عن سير بعض الخلفاء. وفذلكة عن أدب رابندرات طاغور الشاعر الفيلسوف الهندى الذي هو خير أنموذج للأدب الوطنى.

فى هذا الكتاب الفذ فى موضوعاته ومباحثه تجلت مقدرة الأستاذ على أدهم فى التفكير والتعبير والتحبير.

روضات الفردوس:

ثم إن الأستاذ على أدهم أتحف اللغة العربية بتحفة نادرة المثال فى كتابه الأخير روضات الفردوس وهو محاضر مناقشات لأرواح

أعلام التاريخ فى جميع المذاهب الاجتماعية المختلفة . وقد تولى العالم جيتى رئاسة هذا المجلس الخيالى . وكان أبرز المتناقشين فيه كارل ماركس أبو الاشتراكية . وقد احتدم النقاش بينه وبين فولتير فيما آل إليه الأمر فى روسيا عن يد لنين الذى اعتنق إنجيل ماركس بحروفه ، وفحواه أن الاشتراكية لاتقوم على يد الأكثرية فى البارلمان بل على يد الثورة .

وكانت مارى ستيورت ملكة فرنسا وسكوتلاندا فى هذا المجلس الروحانى ، وكانت كل هنيهة وأخرى ترمى كلمة تحاول بها أن تزج نفسها فى المناقشة ، ولكنها كانت كالسيدة التى تشتغل فى التريكو تقول الكلمة وتخاف أن تخطىء فى القطبة .

والعجيب أن نابليون تكلم فى الخلق . وعنده أن العقل بغير الخلق نكبة على الأمم . فهو شعلة يحملها طفل ويجب إطفاؤها بأى ثمن حتى ولو اقتضى ذلك موت حاملها . ولكن كارل ماركس جبهه بقوله : هذا ما فعله تلميذاك هتلر وموسولينى . وما تسميه خلقاً أسميه أنا جشعاً ، وما تسميه ظهوراً وصعود نجم ليس إلا تكديس الأرباح المسروقة من جيوب الموجد الحقيقى للثروة .

فيسأله جيتى : من هو موجدها ؟ فيجيب كارل ماركس . هو العامل الصعلوك .

وهكذا يتمادى كارل ماركس فى النقاش بجد ويتدخل فولتير ومارى ستيورت وجيتى . وإذ يقسم نابليون الدولة إلى ثلاث طبقات : القادة ، وهيئة الضباط ، والجند ، تنبرى الملكة مارى ستيورت وتضيف إليها طبقة رابعة وهى طبقة النساء . ولكن نابليون لا يعطيهن أهمية اجتماعية خارج المنزل . فى كل هذه المناقشات يكون صوت كارل ماركس ملعلعاً .

ثم يأتى وشنطون محرر أميركا ويجتهد أن يدخل الرب فى الوضوع فيحتدم النقاش بينه وبين فولتير . ثم ينبرى نابليون ويزج البابوية والإمبراطورية فى البحث . ويكون جيتى فى كل موضوع ممسكا الميزان لتأييد الاعتدال والعدالة .

وهكذا ينتقل الجدال من الاشتراكية إلى الشيوعية إلى الدين إلى السياسة إلى جميع المذاهب الاجتماعية وأخيراً إلى الحرب . ونابليون يؤيد القوة كعامل للحضارة . ووشنطون يؤيد الإيمان كأساس لها .

ولما اشتد الخلاف استدعى جيتى روح أحد الشيوخ الأحياء وهو يغط فى نومه فى البرلمان . وسأله عن سياسة أميركا الحالية . فقال له : إننا نسير غير مرتبطين باتفاقات دائمة مع أى جزء من أجزاء العالم .

ويحتدم النقاش بين وشنطون والسناتور (الشيخ) إلى أن يتطرق إلى عصبة السلام وكانت فى رأى وشنطون ثوب تنكر لعصبة الحرب ونصحاً بالابتعاد عنها .

وهنا اشتبك كارل ماركس وفولتير فى موضوع عصبة السلام ، واقتضى الأمر التعريض بهتلر وموسولينى ، ثم بالفاشية .

ثم يستدعى جيتى روح أحد الفاشيين من الأرض وهو نائم لكى يسألوه عن مذهبه . وإذ يرى هذا الفاشى مارى ستيورت يقول : أسيدة فى حلقة رقص أو ربما كانت مغنية فى الأوبرا . والنساء فى إيطاليا يطمن موسولينى ويلدن الأطفال فى أقصى سرعة — إلى غير ذلك من الحديث عن تربية الأطفال لأنه هو مدرب للأطفال وأنه يصوغهم كما يشاء موسولينى .

ثم يستدعى جيتى روح شخص نازى ويحتدم الجدال بين هذا النازى وفولتير ومارى ستيورت إلى أن يقول لهذه الملكة أى سلوك فجور ودعارة تسلكه امرأة هنا . ما الذى تصنعينه هنا محفوفة بالرجال ... اذهبى واحملى أطفالا لوطنك والفوهرر ... وما قال كارل ماركس كلمة حتى كان ذلك النازى يصيح به : أيها اليهودى القذر !

ثم استدعى جيتى شيوعياً من نومه ، فجرى بينه وبين كارل ماركس جدال لا يسمه هذا المقال . فعلى القارئ أن يطالعه فى الكتاب الذى نحن بصدده . وفيما كنت أقترب فى هذا السفر النفيس إلى آخره كنت آسف أنه سينتهى وأنا لا أريد أن ينتهى لأنه كان آخذاً بمجامع لبى . فأشكر لصديقى الأستاذ على بك أدهم انتقاءه هذا الكتاب ونقله إلى العربية لمؤلفه العلامة الإسبانى سفاد وردى مادارياجا

نقولا الحداد



من روائع أدب القصة القصيرة الانجليزية :

أولالا OLALLA

للكاتب الانجليزى روبرت لويس ستيفنس

[روائى أديب اسكتلندى . ولد فى ادنبره فى ١٣ نوفبر ١٨٥٠ ودرس القانون فى أكاديمية ادنبره وجامعتها، ومارس المهنة ، ثم انصرف عنها إلى الأدب . أول ما ظهر من إثاره الأدبية مقالاته فى مجلة (كورن هل) ١٨٧٤ . تجول فى أوربا وكتب كتباً عن رحلاته هذه ذهب إلى أمريكا عام ١٨٨٠ وتزوج بالمسز إزبون الأمريكية . عاد إلى إنجلترا وكتب فى ١٨٨٢ قصة (جزيرة الكنز) التى جعلت اسمه على كل لسان . وفى عام ١٨٨٦ كتب قصة (كدنابد) والقصة العجيبة التى سماها (الدكتور جاكيل والمستر هايد) وهى التى تضرب الأمثال بين الناس بها للرجل المخاتل ذى الشخصيتين المتنافرتين . وكتب قصصاً قصيرة كثيرة بين عام ١٨٨٤ — ١٨٨٧ . وفى هذا العام ذهب إلى أمريكا ، وساح فى المحيط الهادى ، واستقر به النوى فى (ساموا) ، وأخذ يرسل منها إلى انجلترا أروع القصص ، حتى وافته منيته بعيداً الوطن الوطن الرابع من ديسمبر عام ١٨٩٤ وهو مكب على كتابة قصته (weir of hermiston)]

تمهيد للقصة :

تقع حوادثها فى شمال أسبانيا فى قصر عظيم من قصور أشرافها قد عبث الفقر بجدرانه وسكانه عبثاً شديداً ؛ وتدور حوادث القصة بين أربعة أشخاص : أولهم شاب انجليزى فى ميعة العمر ، جميل الطلعة ، فى رجولته وجماله وشجاعته كل ما يحرك الحب فى قلب المرأة ويدلهها — وهو جريح . وثانيهم شاب ريق غير متعلم ، تبدو عليه دلائل البله وهو ابن السنيورة النبيلة صاحبة القصر . وثالثهم السنيورة نفسها ، وهى سيدة فى العقد الخامس من العمر ، تطل من وجهها آثار جمال ساحر ، وهى مصابة بالجنون . ورابعهم أولالا ، ابنة السنيورة ، وهى فتاة فى ربيعها الثامن عشر ، رائعة الجمال ، شاعرة ، وفيلسوفة ، ومتبتلة .

تلخيص القصة :

أخذت جراح الشاب الإنجليزى تتماثل للشفاء ، فقرر الطبيب إبعاده عن ضوضاء المدينة إلى مناخ جبلى جاف مدة شهرين ، واتفق مع عائلة أسبانية فى الريف على قبوله هذه المدة فى قصرها ، ولكن العائلة اشترطت سلفا أن لا يحاول هذا الإنجليزى التعرف على أفراد الأسرة ، أو التدخل فيما لا يعنيه من شؤونهم ، وقد كان هذا الشرط كافيا لرفضه الذهاب ، لولا أن الضرورة الصحية جملته يخضع لهذا اللون العجيب من حسن الضيافة وكرم الجوار !

وحضر فيليب ابن السنيورة لاستصحابه ، وأخذا طريقهما إلى قصر يبعد عن المدينة عشرين ميلا ، فى عربة أثرية يجرها جواد هزيل . لم يحاول أحدهما التحدث إلى صاحبه ، إنما كان فيليب يرفع عقيرته ، طيلة الطريق ، بغناء سمج لا يجرى فيه على قاعدة من أبسط قواعد ذلك الفن الجميل . واختفت ذكاء وراء الأفق ، تاركة خلفها على حواشيه ذيولا ممتدة هنا وهناك من نضار مصهور ، وأخذ الظلام يسحب رداءه فتبدو فى الظلمة موحشة تبعث الكآبة والخوف فى أحشائها إلى النفوس ... ولحا ضوءاً بعيداً ما لبث أن ظهر أنه ينبعث من إحدى نوافذ القصر الذاهبين إليه .

وعلى مسافة يردات معدودات من القصر تركا العربة ، فى حراسة فلاح من خدم القصر ، واجتازا الباب الخارجى والردهات الداخلية حتى وصلا إلى غرفة قد وضع فيها سرير ، ومنضدة عليها نبيذ وطعام حار شهى ، وقد أضرمت فيها نار جملت جوها دافئاً .

انصرف فيليب إلى بعض شؤونه ، وتناول الجريح الطعام ، وأوى إلى فراشه متعباً منهوكا وراح يسبح فى نوم هادىء عميق ، وأفاق مبكراً . وأول ما دار بخلده أن يتعرف على ما حوله وعلى

كل شيء يجد السبيل إليه ، مدفوعا إلى ذلك بحب الاستطلاع الذى أثاره فى نفسه شروط الأسرة البعيدة عن اللياقة . وأول ما بدأ به الغرفة التى يرقد فيها . أجال بصره فرأى صورة فتاة جميلة تدل ملابسها على أنها لا تعيش فى هـذا الزمن ، ولـكن قسمات وجهها شديدة الشبه بملامح فيليب . أخذ يطيل النظر إليها وهو فى كل مرة يشعر بأن الصورة توقظ فى قلبه لوناً غامضاً من الحب ، إرتاح إليه وأنس به فى هذه الوحشة ، وفى هـذا المكان المقفر من العطف والوجوه الجميلة .

ثم أخـذ يقضى أوقات فراغه فى لهو برىء : يبدأ من الصباح فيصعد التلال المجاورة ، ويدور بالغابات والجداول حتى يأخذ منه التعب مأخذه ، فيعود إلى غرفته غير متلفت إلى شىء حسب الاتفاق مع الطبيب ، إلا بمقدار ما هو ضرورى لرؤية الطريق .

مل هذه الحياة الرتيبة وكرهها ، واستدعى فيليب إلى غرفته وأخذ يحدثه فى لباقة وبراعة عن مواضيع بعيدة ، يدس فى ثناياها أسئلة عن الأسرة وأحوالها ، ما لبثت أن أغضبت فيليب فتركه دون أن يجيبه عن شىء منها .

غير أن ذلك لم يثبط عزيمته وصمم على أن يكتشف بنفسه كل شىء ، وأخذ فى ذهابه وإيابه يتلفت يميناً ويساراً ، فرأى الجناح الذى تعيش فيه السنيورة . وبينما يهم بالخروج فى صبيحة يوم مشمس جميل ، رآها جالسة فى نور الشمس بالقرب من طريقه فحاول أن يتقدم إليها بالتحية ، ولـكنه تذكر الشرط القاسى ، فمر بها ، وهى تتلفت إليه دون أن يرفع طرفه إلى مكانها ، غير أن الجرأة عاودته فحياها ، فردت له تحيـة جافة ، لا حياة فيها ورمقته بنظرة جامدة هادئة ، ظنها منبعثة عن كبرياء ... ولـكنه أدرك بعد زمن أنها صادرة عن عقل غير سليم !

وألف صاحبنا السنيورة وألفته ، فكان يمر بها صباح مساء ، يرفع إلى مكانها تحياته ، وينطلق إلى رياضته وراء التلال أو يمر بفيليب وهو منهمك فى أعماله الزراعية . لقد كان سلوك السنيورة السلبى غير مشجع له على التحـدث إليها ، لذلك رغب فى الابتعاد عنها .

وقد أدرك بفطنته أن فى الأسرة مرضاً وراثياً من الغباوة ، أو الجنون ، بدا له واضحاً فى عقل فيليب وسـلوكه وفى عقل السنيورة وسلوكها . لقد سمع من الطبيب أن للأسرة فتاة فى ريعان الصبا ، فحسبها من نوع والدتها وأخيها فاحتقرها وأمات الخيال الذى كان يود البحث عنها فى شعوره !

واستمر فى رحلاته القصيرة . ولـكن الشيطان سول له فى أحد الأيام أن لا يذهب إلى التلال البعيدة ، ولـكن إلى داخل القصر ، واغتنم فرصة ذهاب فيليب إلى أعماله الزراعية ، وفرصة استسلام السنيورة إلى نوم لذيذ تحت أشعة الشمس ، وانسل إلى القصر ، وأخذ يدور فى حجراته وصالاته الرحبة ، فبهره تخيل ما كان عليه هذا القصر من السؤدد والثراء ، وراح يغرق عواطفه فى لجة من الفن تبدت فى مئات الصور الرائعة لـكبار الفنانين قد علقت هنا وهناك ، وقد أخذت يد التلف تشوه جمالها . واستمر فى تجواله حتى وصل إلى مكان فيه أوراق مبعثرة وكتب قيمة ، بعضها أدبى ، وبعضها دينى ، والآخر فلسفى . وهى لـكبار المؤلفين فى اللغة اللاتينية . ومظهر الـكتب يدل على كثرة استعمالها وامتدت يده تعبث بأوراق فوق كرسى ، فرأى شعراً قد كتب بقلم رصاصى وبخط أنيق جداً على ورقة ، يدل على براعة فنية وشاعرية فذة ، وإلهام خصب ، فعلم صاحبنا أن الغرفة التى هو فيها تخدع العذراء التى يبحث عنها ، وإنها هى الشاعرة الجميلة الفيلسوفة . أحس فى أعماق نفسه بأنه اقترف جرماً أخلاقياً بشعاً لأستباحته مخدع فتاة خفية عنها وعن أسرتها كما يفعل اللصوص ، وتراجع مذعوراً من تأنيب ضميره إلى قواعده فى تلك الغرفة الـكئيبة ، والشعر الرائع لا يزال يتردد فى حنايا حسه وهو يقول لنفسه ، إن التى تنظم شعراً من هذا النوع لا تـكون إلا ملاكا من ملائـكة الرحمة وغير ممكن أن تـكون مصابة بجنون .

وارتمى فوق سريره يفكر فى الشعر وفى ناظمة الشعر ، ويحلم بلقائها ... وعبثا حاول صرف خيالهـا عن خاطره ، وعبثا حاول مقاومة تلك الرغبـة المنيفة التى تدفعه دفعاً إلى العودة للجناح الخاص الذى تعيش الشاعرة الشابة فيه من ذلك القصر الـكئيب .

وأخـذ طريقه بعد أيام إلى مكانها ... وفيما هو يهم بفتح الباب المؤدى إليه ، إذا بيد تفتحه وإذا به وجها لوجه أمام فتاة بارزة النهدين ، فى عنفوان الصبا ونضارة الشباب . ما رأى لها شبيها فى حياته ... تراجعت الفتاة قليلا مشدوهة ... وهى تكاد تلتهمه بنظراتها الجائعة ... وتراجع قليلا ، محمر الوجـه خجلا من اكتشافه فى ذلك المـكان الخاص من القصر الذى لا يسمح له بالذهاب إليه ، وولى الأدبار إلى غرفته ، بعد أن ألقى نظرة طويلة

على الشاعرة الجميلة الشابة الساحرة ، وهى تلاحقه بنظراتها التى حملت إلى قلبه أولى رسائل الحب الجارف العنيف .

تغيرت حياة الشاب بعد هذا اللقاء ... أصبح لا يجد معنى للحياة إلا إذا رآها ... لا يشتهى الطعام ، ولا يجـد النوم إلى جفنه سبيلا . وأحس فى نفسه أنه يتحول إلى مخلوق جـديد لا يمت بصلة إلى الإنسان الذى كان يعيش فى جلده ...

أصبحت المروج الجرداء والتلال الموحشة والبرارى الصامتة روضة من رياض الجنة ... أنه يرى وجه أولالا فى كل ما تقع عليه عينه فى الدنيـــا ، فيرى كل شىء ساحرا جميلا . لقد أصبح عاشقاً .

وأفاق مبكراً ومر فى طريقه العادى فرأى وجه الشاعرة الجميل يطل عليه من مكان قريب ... فاندفع إليها مشـدوها مذهولا ، ولـكنها تراجعت قليلا وحاول أن يقول لها كلمة فرأى أن الـكلمات تموت على شـفتيه .. ففر منها متجها إلى التلال القريبة ... وجلس على صخرة تطل على قصر الحب والسـعادة وأخذ يحلم بسعادة اللقاء ، ويضمد فى قلبه الجراحات العميقة التى خرج بها فى معركة النظرات فى صباحه . وبينما هو مذهول ، إذ لمح شبحاً يقترب من مكانه وراء الأشجار ... حدق طويلا . يكاد يجن ! لقد اقتربت ! إنها... إنها أولالا... أسرع بلا فبها مادا ذراعيه إليها فغابت معه فى قبلة طويلة وهى تبكى بكاء موجعاً عنيفا . ثم تدفعه فجأة وتفر منه كالمهاة التى يطاردها الصياد إلى سجنها فى القصر المتيد .

عاد إلى القصر يتبعها ، وهو كالمجنون ... إنه يريد أن يضمها إلى صدره مرة أخرى ، يريد أن يتحدث إليها . ولم يكد يدخل غرفته حتى وجد ورقة من نفس الورق الذى قرأ القصيدة فيه قد كتبت بنفس الخط ، تطلب منه أن يرحمها إن كان يحبها ، بمغادرة القصر فى اليوم التالى .

كان يقدر أن يمر به كل هول فى الحياة ، بعد ما حمل قلبه حباً من هذا النوع ، فلا يأبه له ، ولـكنه ما قدر أن تطلب إليه أولالا ... أولالا التى أحبته وأحبها حباً جنونياً ، أن يغادرها حالا وتستحلفه باسم الحب أن يفعل . أنه لا يحتمل ذلك . أراد أن يخادع الواقع بالـكذب زاعماً أنها لم تطلب ذلك منه ، وأنه يحلم ... ولـكنه يرى أن خطها وأسلوبها الشعرى ودموعها وراء كلماتها ... إنه أمام الحقيقة المرة ... أنه لا يقوى على ذلك ...

وأسرع نحو النافذة يريد التخلص من الحياة ولم يفطن إلى أنها موصدة فاصطدمت ذراعه بالزجاج فجرحت جرحاً بالغاً تصبب منه الدم بغزارة ... فصرخ وأسرع نحو أولالا ... فصادفته السنيورة فطلب مساعدتها . لقد هاج منظر الدم المتدفق جنونها المـكبوت فاندفعت إلى ذراعـه تعضها كالحيوان المفترس عضاً أليما وهى تصرخ صراخاً منكراً وصل إلى مسامع أولالا وفيليب فأسرعا وأنقذا حياته واحتملاه إلى غرفته. وراحت أولالا تضمد جراحاته وتصلى وهى دامعة العينين ... وأفاق بعد لأى فوجـد أولالا منفردة إلى جانبه تمرضـه وتسهر عليه وهى تبكى راكعة أمام سريره ، فتناول يدها وغمرها بقبلاته وبللها بدموعه . وعلى حين فجأة تترك الغرفة ، فيدخـل فيليب ويحمله إلى مدخل القصر ويوصله فى عربته إلى دير قريب .

قضى صاحبنا فى الدير الجديد أياماً اندملت فيها جراح ذراعه ، ولـكن ما تزال جراح قلبه دامية . وأخذ بعد أن استرد قسما من عافيته يتردد على جبـل منيف يطل من مسافة بعيدة على قصر أولالا . كان يجد عزاء كبيراً فى الجلوس على قمة ذلك الجبل .

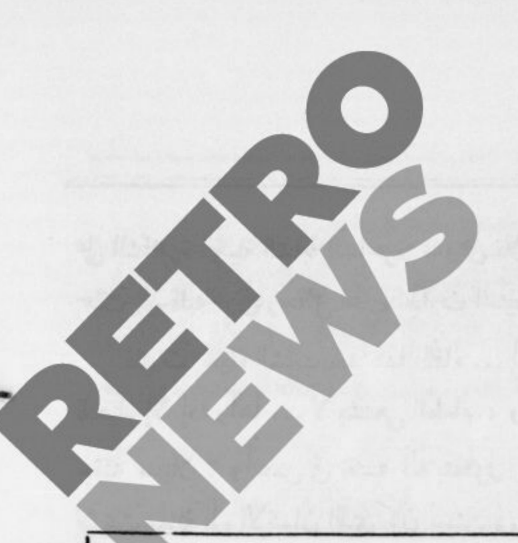
وكثر تردده على ذلك المـكان ، وكانت فى قمته صخرة وجد الراحة والعطف فى قلبها الجلمود ... واستغرق فى أحد الأيام فى ذهول عاطفى جعله كالميت لا يتأثر مما حوله ولا يحس بوجـود نفسه. وفتح عينه فجأة وحملق...وعاد إلى وعيه فرأى .. وحسب نفسـه فى حلم ... ولـكن التى يراها أولالا ... أولالا جاءته بنفسها تبتسم إليه ... لقد تلاقيا ... عجبت أولالا من رؤيته فى تلك القمة — ولـكنها كانت تعرف ذلك وتعمدت المجىء — ، وتظاهرت بالعتب عليـه لبقائه قريباً منها حتى ذلك الوقت — وقالت له إن قصة حبهما قد تحدث بها القاصى والدانى — وأن الناس قد نذروا قتله وقتلها. وجثت على الأرض واستغرقت فى صلاه عميقة وهو يدعو الله أن يلهمه ويلهمها الصبر والرحمة . وودعته بعد أن قالت له إنها راهبة ، وقد وضـــمت حب الله بينه وبينها .

وعاد إلى ديره وقد أخذ اليأس من نفسه كل مأخذ : إنه لن يراها بعد اليوم .

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى	لو أنا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزناً أن رحت لم أستطع لها	وداعاً ولم أحدث بسا كنها عهدا

المسيب — العراق

على محمد سرطاوى
مدرس الإنجليزية فى متوسطة المسيب



سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلى والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ لغاية ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٩ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	الدرجة	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة مليم جنيه
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	١٤٠ ر ١٧
فندق كاتاركت بأسوان	« « «	٢٦٥ ر ١٩
فندق الأقصر بالأقصر	درجة أولى	٤٠٥ ر ٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	« «	١٣٠ ر ١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة	٥٢٠ ر ٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية	٤٣٠ ر ٦
فندق المحطة بالأقصر	« «	٤٣٠ ر ٦

ويمكن الاستعلام عن كافة البيانات والشروط الخاصة بهذا الموضوع من محطات مصر والاسكندرية وبور سعيد وبور توفيق وشركات السياحة المعتمدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

مطبعة الرسالة



العدد ٨١٧ — الاثنين ٢٨ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

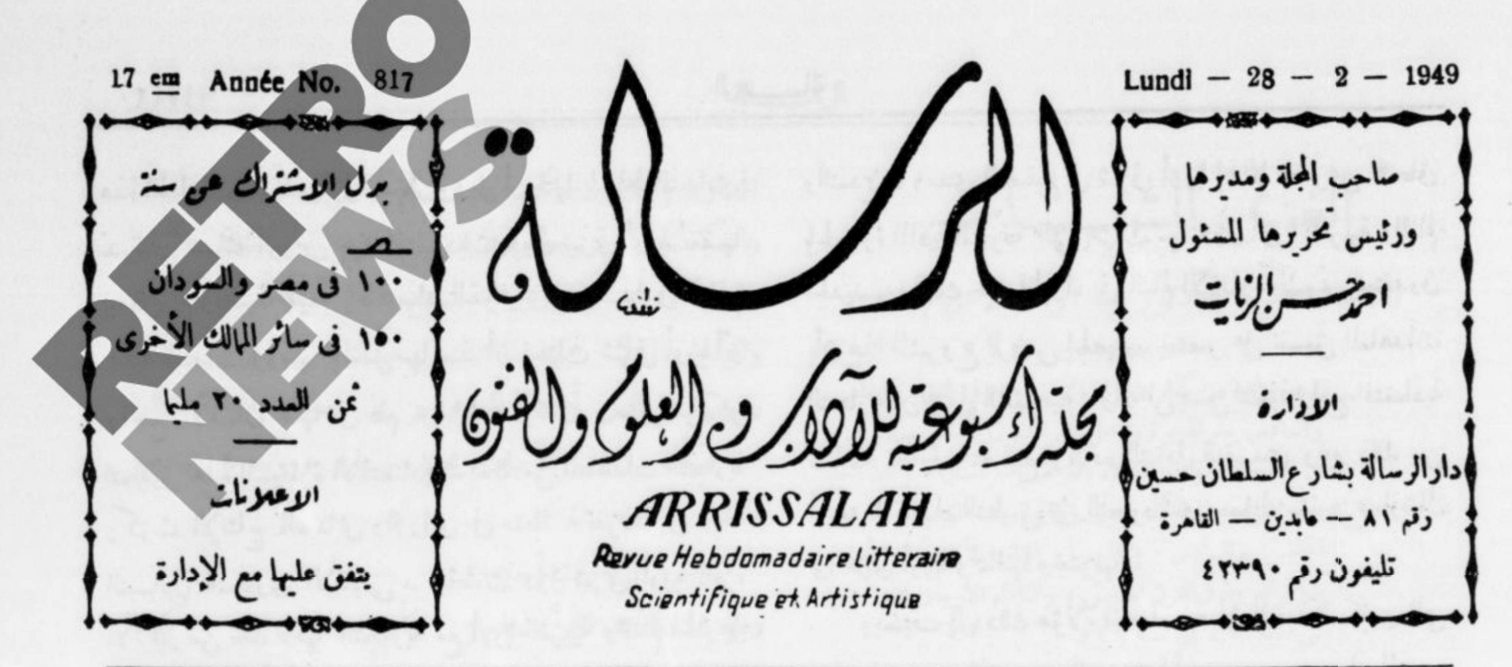


فهرس العدد



17 em Année No. 817

Lundi — 28 — 2 — 1949



العـــدد ٨١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشروع مولوتوف

للأستاذ عمر حليق

فى الخامس والعشرين من يناير سنة ١٩٤٩ أعلنت موسكو نبأ تأليف اتحاد اقتصادى للمنفعة المشتركة فى منطقـة النفوذ السوفياتى ليعمل علانية على مكافحة مشروع مارشال الأمريكى للانعاش الأوربى . وقالت وكالة الأنباء الروسية الرسمية (تاس) التى أذاعت الخبر أن المشروع الروسى الجديد جاء نتيجة لمؤتمرات عدة عقدتها فى موسكو الدول الحليفة لروسيا فى أوائل السنة الجديدة ؛ وأن هذه الدول « التى رفضت الانصياع لديكتاتورية مشروع مارشال » قد أنشـأت فيما بينها « مجلساً للمسـاعدة الاقتصادية المتبادلة لتدعيم التعاون الاقتصادى أكثر فأكثر » بين بعضها وبعض . وقالت تاس كذلك إن عمل المجلس الاقتصادى هذا سيتناول « تبادل الخبرة الفنية والاقتصادية » بين الدول المشتركة فيه ، و « تقديم المعونة المتبادلة للحصول على المواد الخام والمواد الغذائية والآلات الصناعية وما إليها » وأن المجلس سيجتمع دورياً ، وأنه يرحب بكل من يرغب فى الانضمام إليه من الدول الأوربية التى تدين بالمبادئ التى يدين بها مؤسسوه .

والمشتركون فى هـذا المشروع غير الروس خمس دول فى منطقة النفوذ السوفياتى وهى رومانيا وبولنده وبلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا . وقد تركت يوغوسلافيا — وخلافها مع موسكو قد اتسعت شقته — خارج هذا المجلس .

قبل سنة ونصف أى فى منتصف عام ١٩٤٧ ، خرج الرفيق مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتى فى اجتماع مجلس وزراء الدول الأوربية بباريس غاضباً . وكان موضوع البحث بين روسيا وفرنسا وبريطانيا فى ذلك الاجتماع مشروع مارشال الأمريكى لإنعاش اقتصاديات أوربا . وقد أصدر مولوتوف عَقِب انسحابه تصريحاً قال فيه : إن الاتحاد السوفياتى قد رفض المشاركة فى المشروع الأمريكى المقترح لأن أمريكا لا تتوخى إنعـاش أوربا بل تريد تقسيمها وبث الشقاق بين دولها .

وتبع تصريح مولوتوف هذا بيـان من (البوليت بيرو) القيادة العليا للسياسة السوفياتية اعترف فيه الروس بأن مشروع مارشال هو أكبر تحد يواجه الاتحاد السوفياتى .

وعلى أثر ذلك شرع الروس فى اتخاذ خطوات عملية فى ميادين السياسة والاقتصاد لمكافحة مشروع مارشال . وكان أبرز هذه الخطوات فى مجال السياسة تأليف (الكومنفورم) وهو المركز الرئيسى الرسمى للشيوعية الدولية (وكانت روسيا قد حلته خلال الحرب) وجعلت قيادته المركزية فى العاصمة البلغاريا ، وتلا ذلك نشاط عسكرى فى مناطق الثورات الشيوعية فى اليونان والصين واتخذت المساعدة السوفياتية ليهود فلسطين دوراً عملياً لم يشعر العرب بخطورته إلا بعد سنة من استمراره .

ولم تقتصر روسيا فى إجابتها على تحدى مشروع مارشال على

هذه الخطوات السياسية والعسكرية ، بل أردفتها بنشاط اقتصادى تدريجى شبك الروس فيه اقتصاديات دول شرق أوربا بعضها ببعض ثم ربطتها جميعاً بالاقتصاد السوفياتى . وهـذا فى الواقع عملية ابتدأت روسيا بالعمل بها منذ أن احتلت شرق أوربا أثر تراجع الألمان عنها فى عام ١٩٤٥ ، وكانت وسائل موسكو لتحقيق هذه السيطرة الاقتصادية سلسلة من المعاهدات التجارية ركزت الإنتاج الصناعى والزراعى فى منطقة نفوذها فى بوتقة التبادل التجارى الإقليمى . وقطعت دول شرق أوربا الجزء الأكبر من معاملاتها التجارية مع أوربا الغربية والعالم الخارجى إجمالا . ثم جعل الميزان التجارى فى جميع الدول الشيوعية المتحالفة متمشياً مع رغبات الاتحاد السوفياتى الذى أصبح بحكم هذا التوجيه وبما له من سيطرة ونفوذ سياسى ، العنصر السياسى فى الكيان الاقتصادى فى شرق أوربا وهى جزء من العالم يضم ست دول تبلغ مساحتها حوالى عشرة ملايين ميل مربع وعدد سكانها ٢٦٢ مليوناً من الأنفس .

واستمر نشاط الروس فى منطقة نفوذهم لتدعيم النظام الشيوعى ومكافحة الغرب الانجلوسكسونى فى ميادينه الاقتصادية والسياسية والفكرية ، وظل العالم الخارجى لا يعلم إلا قليلا عن مدى اتساع هذا النشاط ومبلغ نجاحه بسبب الرقابة السوفياتية الشديدة . ولكن المتتبعين للشؤون الروسية قدروا بأن جواب موسكو على مشروع مارشال الذى أحرز قسطا من النجاح للغاية التى وضع من أجلها — جواب روسيا سيكون من نوع التحدى . وقال الخبراء بأحوال منطقة النفوذ السوفياتى إن هناك خططا اقتصادية منسقة يعمل لها السوفيات بالتعاون مع الحكومات الشيوعية القائمة هناك . وكان هؤلاء الخبراء يطلقون اسم « مشروع مولوتوف » على النشاط السوفياتى . وفى الأشهر الأخيرة كاد العالم ينسى أن هناك شيئاً اسمه مشروع مولوتوف ، لندرة ما تتناوله الألسن ، على عكس الدعاية الواسعة التى يلقاها مشروع مارشال فى الصحافة العالمية — أو صحافة الحلف الغربى على الأقل . إلى أن نقلت وكالة تاس نبأ تأليف المجلس الاقتصادى الجديد .

هذا المشروع السوفياتى الجديد ، مجاله منطقة جغرافية غنية بالمواد الخام من الفحم والحديد والزيت لا يزال معظمها فى باطن الأرض ، إذ لا تتوفر لدى دول شرق أوربا الوسائل الآلية الحديثة ولا رأس المال ولا الخبرة الفنية لاستخراجها . فالخبرة فى الإنتاج والتعدين ، ومدى التصنيع فى شرق أوربا إجمالا قاصرعن اللحاق بالحضارة المادية المتفوقة التى عرفت بها دول أوربا الغربية والعالم الجديد . ولذلك فإن الخبراء فى العالم الإنجلوسكسونى يعتقدون بأن هذا المشروع الروسى الجديد سيقتصر على تنسيق المعاهدات التجارية بين الدول الشيوعية ، وأنه لن يسعى لتنفيذ برامج اقتصادية ضخمة تتناول التصنيع وتدعيم التبادل النقـدى وغير ذلك من أوجه الاقتصاد التطبيقى على النحو الذى يعمل له مشروع مارشال فى غربى أوربا وشماليها وجنوبها .

ويضيف إلى ذلك هؤلاء الخبراء — أن العقبة الكبرى التى تقف فى وجه المشروع الروسى الجـديد ، حتى ولو اقتصر على تنسيق التبادل التجارى ، هى أن منطقـة النفوذ السوفياتى لا تشكل كتلة طبيعية تستطيع موازنة التبادل التجارى . فليس فى الكتلة السلافية سوى تشيكوسلوفاكيا من يستطيع أن يُؤَمن تبادلا تجارياً سليما ؛ فتى تشيكوسلوفاكيا صناعات ثقيلة تستطيع أن تتبادلها مع حاصلات روسيا الزراعية أو حاصلات الدول الشيوعية الأخرى ومعظمها زراعى كذلك .

وكانت هذه الدول قبل أن تنصهر فى الكتلة السلافية تتبادل النسبة الكبرى من محاصيلها الزراعية مع ألمـانيا ودول أوربا الغربية المعروفة بوفرة الإنتاج الصناعى .

وليس للدول الشيوعية فى منطقـة النفوذ السوفياتى الآن سوى روسيا لتتبادل معها الإنتاج الزراعى بإنتاج صناعى يسد حاجتها . ويعتقد الخبراء الإنجلوسكسون أنه ليس لدى الاتحاد السوفياتى وفرة فى الإنتاج الصناعى ما تسـد حاجيات حلفائه فى شرق أوربا بسبب مشروعات الخمس سنوات الإنشائية التى تحدد طاقة الإنتاج الروسى وتوزعه على مطالب الشعب الروسى قبل كل شئ . وفوق ذلك فإن وفرة الإنتاج الزراعى فى روسيا نفسها من القمح الأكرانى والمواد الغذائية الأخرى يجعل شراءها للمنتجات الزراعية من الدول الخاضعة لنفوذها ، نوعا من الإحسان لا يستند إلى دعائم اقتصادية سليمة .

وهنا تتدخل لايك سكس فيقول خبراؤها إن الدول التابعة لمشروع مولوتوف الروسى ، والدول المنظمـة لمشروع مارشال الأمريكى ، سيرغمان فى نهاية الأمر على تبادل التعاون . فإن الكيان الاقتصادى الذى تحاول موسكو تدعيمه فى شرق أوربا هو كيـان زراعى ؛ وإن الانعاش الذى يحاول الإنجلوسكسون

الغزى الشاعر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

هو شاعر من كبار شعراء العرب عاش فى القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة ورحل إلى الشرق فأمضى معظم عمره فى الأسفار . ونشر شعره بالعراق وخراسان . وكان أحد شعراء العربية الثلاثة الذين عرفتهم بلاد العجم فى القرنين الخامس والسادس . وثانيهم أبو المظفر الأبيوردى الأموى شاعر العربية فى القرن الخامس ، والثالث الأرجانى الذى عاش من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٥٤٤

ولد الغزى فى غزة هاشم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . وفارق وطنه فى سن الأربعين فدخل دمشق ورحل إلى بغداد . وأقام فى المدرسة النظامية سنين كثيرة . ومدح ورثى كثيراً من المدرسين بها ... ثم رحل إلى خراسان ومات بها فى طريقه من مرو إلى بلخ سنة ٥٢٣ . ونقل إلى بلخ فدفن بها .

وقد تحدث المؤرخون عن كثرة أسفاره فقال ياقوت فى معجم البلدان : سافر الدنيا . وقال صاحب الخريدة : جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركات ، وتغلغل فى أقطار خراسان وكرمان .

وقد ذكر هو أسفاره فى مواضع من شعره . يقول :

كم بلدة فارقتها فوجدت فى أخرى مُراداً مكثباً ومَرادا
وتركتها ربداء كالظلم التى يلبسن من فقد البدور ، حدادا
إن كنت سرت عن العراق مؤنبا جيــا فلست بشاكر بغدادا
فتى أنام وهمتى فوق السها أو يستطيع لى الزمان عنادا

ويقول :

كم لبسنا أضفى السوابغ ذيلا وطرقنا أحمى القبائل جارا
نخلونا بالعامرية والخيل صيــام والحى ما شــب نارا
وانكفأنا والفجر يمطس والريــح تمحو بذيلها الآثارا
وشهدنا الوغى وقد رتق النقــع فتوق الآفاق والأمصارا
ولقينا الملوك عربا وعجما وحصلنا على الجزيل مرارا
ومهونا عن قص أجنحة العمـ ـر بما يصلح المعاد فطارا

وكأنه فى هذه الأبيات يجمل سيرته ، ويذكر خلاصة ماضيه وتجاربه .

ويقول فى أبيات أخرى .

وطامــة ترى الخرِّيت فيها كأمى تنــاوله كتابا
لبست قتامها وخرجت منها خروج مهند سُلب القرابا
بسير يحرق النار اشتعالا وعزم يسبق المــاء انصبابا
ولمــا قل منتقدٌ وأمت بغانة كل منتحل عقابا
وأصبح منسم الدنيا سناما وخر الرأس وارتفع الذنابى
شمخت بأنف فضلى عن مرام يضم أســود بيشة والذئابا
وكم أرسلت من مثل شرود سرى فى ظهر قافية نجابا

مدح الغزى كثيراً من أمراء المشرق وملوكه ، كنظام الملك ، والسلطان سنجر بن ملكشاه .

وفى شعر الغزى ، كالابيوردى والأرجانى — وهم عرب خلص عاشوا فى إيران وما يتصل بها فى ذلك العصر وقد حييت اللغة الفارسية وازدهرت آدابها — فى هذا الشعر مجال واسع لتأريخ الأدب العربى وقياسه بالآداب الأعجمية التى نشأت فى حضانته وتحت سلطانه ، وبيان مكانته فى تلك الأقطار .

وفيه كذلك إبانة عن نزعات شعراء العرب فى الأقطار الأعجمية واعتدادهم بأصولهم وتشوقهم إلى أوطانهم .

وقد سبق أبو الطيب المتنبى إلى الحنين إلى الشام ، وافتقاده بنى قومه حينما رحل إلى فارس أشهراً قليلة مدح فيها ابن العميد وعضد الدولة فقال :

أحب حمصا إلى خناصرة وكل نفس تحب محياها

وذكر مواطن لهوه فى تلك الأصقاع . وقال أيضاً فى وصف شعب بوان :

ولكن الفتى العربى فيهـا غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها ســليمان لسار بترجمان

وافتقد ما ألف فى دمشق من ضيافة فقال :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى لبيق الثرد صينى الجفان

تحقيقه فى باقى أوربا هو كيان صناعى ؛ وإن تشابك السياسة والاقتصاد فى الحياة الأوربية والدولية إجمالا ليس من السهل القضاء عليه . ولذلك فإن خبراء لايك سكسس يعتقدون بأن التبادل التجارى بين منطقة النفوذ السوفياتى ومنطقة الحلفاء لن ينقطع مادام أن كلا المعسكرين ليس فى صراع مسلح ، وهذا الاتصال التجارى أحد السدود التى تقف فى وجه اندلاع لهيب جديد

(نيويورك) عمر حليق

معهد الشئون العربية الأمريكية

وأما الأبيوردى الشاعر الأموى فكان لسان العرب فى القرن الخامس . أشاد بمجدهم وتمدح بأخلاقهم وحن إلى أوطانهم وهو لم ينشأ بها ، ولم يعش فيها إلا قليلا فى العراق ، حتى سمى قسما من ديوانه النجديات .

وهذا أبو إسحق الغزى تعاوده ذكر غزة وباديتها ، وبلاد العرب ، فيعرب عن شوقه وحنينه .

وكما أشاد أبو الطيب بالبداوة حين قال :

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفى البداوة حسن غير مجلوب
ابن المعيز من الآرام ناظرة ... وغير ناظرة فى الحسن والطيب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

أولع الأبيوردى ببوادى العرب وكرر ذكرها والإشادة بالعيش فيها .

ومن قوله فى هذا :

ويعجبنى نفح العرار وربما ... شمخت بعرنينى وقد فاح عنبر
ويخدش عمدى بالحى صفحتا الثرى ... إذا جر من أذياله المتحضر
وما العيش إلا الضب يحرشه الفتى ... وورد بمستن اليرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته ... على العز والكوم المراسيل تنحر
ويغشى ذراه حين يشتم للقرى ... ويسرى إليه الطارق المتنور

يفخر فى هذه الأبيات بالبداوة ، ويشيد بما يمير به الأعراب من أكل الضباب فيقول :

وما العيش إلا الضب يحرشه الفتى ... فى هذه البادية العزيزة الكريمة

حيث تستحكم الشجاعة والسخاء .

وكذلك الغزى يحن إلى البادية بين الحين والحين . ويذكر قبائل العرب ويمدحها ولكنه أقل من الأبيوردى حماسة وحنينا ؛ يقول :

أين أيامنا بغزة والعيش ... نضير والهو رحب المجال
ومزايا حسن البوادى بواد ... بهلال فى حلة من هلال

أى بإنسان كالهلال حسنا فى حلة من بنى هلال .

ويقول فى تفضيل البدو على الحضر .

وغضة العين يحمى حسنها خفر ... ولا خفير فمين الحسن كالخفر
سجية فى البوادى لا أخل بها ... والبدو أحسن أخلاقا من الحضر
قوم كأن ظهور الخيل تنبتهم ... وما سمعت بأنبات بلا مطر
لا يحسر الطيف يجرى فى منازلهم ... مهابة خيمت فى مطرح الفكر
لما رضوا بشفار البيض ممتصبا ... عزوا فما احتاج جانيهم إلى وزر

ويقول :

وأبرح ما يكون هوى البوادى ... إذا رفعوا على العيس القبابا
تسير بكل جارحة حماها ... أسود يتخذن السمر غابا

* * *

ثم الغزى بعد وقور فى شعره حكيم ، يصوغ الحكم والمواعظ ، ويضرب أمثالا من تجاربه وما لقى من غير الزمان . وهو فى هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها . وهو مهما يفتن فى ضروب الشعر لا يستطيع إخفاء نزعته إلى الزهد ، وابتئاسه بأحداث الدهر ، وقد عاش الرجل أكثر من ثمانين عاما ، وطوف فى البلاد كثيرا فرأى وسمع وجرب ملء الأزمنة التى عاش فيها والأمكنة التى أقام بها .

أنظر إلى قوله :

لا تعجبن لمن يهوى ويصعد فى ... دنياه فالخلق فى أرجوحة القدر

وقوله :

ما الدهر إلا ساعتان : تعجب ... مما مضى ، وتفكر فيما بقى
ولكل شىء مدة فإذا انقضت ... ألفيته وكأنه لم يخلق
والمرء أتعب ما يكون إذا ابتغى ... سعة المعيشة فى الزمان الضيق

وهنا يظهر الفرق بين الغزى القنوع والأبيوردى الذى لا تسع الدنيا همه ومطلبه . ويقول الغزى .

هلا نكرت شبابى وهو أغربة ... للبين معربة عن غربة السفر
ليت البياض الذى زال السواد به ... أبقى لنا منه ما فى القلب والبصر
قد ضقت ذرعا بعيش لا يسوغ ولا ... تمجه النفس حتى عيل مصطبرى
فلست حيا ، ولا ميتا ، ولا دنفا ... ولا صحيحا ، جميع الداء فى الكبر

* * *

الغزى جدير بعناية أدباء العربية لبلاغة شعره وما فيه من معان قيمة وحكم عالية ، ثم لما فى سيرته من تبصرة بأحوال البلاد الإسلامية فى ذلك العصر ، وأحوال الأدب العربى فى بلاد العرب والعجم .

وديوانه جدير بالتصحيح والنشر . وقد أدرج كثير من شعره غلطا فى ديوان الأبيوردى . ولا بد من نشر الديوانين قضاء لحق الشاعرين ، بالعناية بشعرهما وسيرتهما .

عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

انتقـــــام

للأستاذ كامل محمود حبيب

دعني — يا صاحبي — أنفض أمامك جملة حالي ، فما في حديثي ما تضيق له النفس ولا ما ينزعج له القلب . هـذا أمري وما كان لي الخيرة منه وإني لأضطرب بين نوازع جياشة لا تهدأ ولا تستقر .

فتعال — يا صاحبي — واجلس إلى جانبي والق إليَّ السمع ، ثم لا تلمني فأنا تجربة قاسية من تجارب الحياة ...

صفعتني الأيام في غير شفقة ولا رحمة — أول ما صفعت — حين ماتت عني أمي طفلاً أدرج في فناء الدار ، لا أكاد أعي من أمر الحياة شيئاً ، ولا أكاد أنأى عن حضن أمي إلا ريثما أعود إليه أجد فيه الحياة والدفء والحنان جميعاً ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل . وافتقدتُ أمي حين افتقدت القلب الذي يسعدني وأطمئن إليه ، وحين غاضت الابتسامة الرفافة الساحرة التي تجذبني وتحنو عليّ ؛ فرحت أسأل عنها في شوق وأبكي بُعدها في حزن ، وأهلي من حولي يوهمونني بأن أمي ذهبت إلى القاهرة تطب لمرضها . وعجبت أن لا أجد لها شبيهاً في مَن أرى . فهذه عمتي وهذه خالتي وهـذه وهذه . . . لا أحس في واحدة منهن معنى الأمومة ولا ألمس روح الحنان .

واشتد شوقي إليها وألحت بي اللهفة إلى رؤيتها ، ثم انطوت الأيام وعبرني ما رقأ وحنيني ما يخبو .

وصحبتني جدتي لأبي — ذات ليلة — إلى دارها ، وأرادتني على أن أستحم وجاءت هي تزيل عني أوساخ الإهمال وتمسح أعفار الشارع ، تدهن شعري بالزيت وتضمخ جسمي بالعطر ثم تلبسني الحرير في رفق وتلفني في الدمقس في عناية .

يا عجباً ! ما لوجه هذه العجوز الشمطاء يفيض بشراً وإشراقاً وما لها تتزين وتتطيب كأنها في ليلة زفافها ! .

وسألتها ما الخبر ، فقالت : « يا بني ، غـداً ستذهب لترى أمك في بيت أبيك » وثوثب قلبي طرباً وطار عقلي سروراً ، وشملتني طفولتي فما أستطيع أن أكتم دوافع نفسي ، فذهبتُ أملأ الدار ضجيجاً وصخباً ، أغني وأصيح وأنادي وأقفز وأجري ، يكاد إهابي ينشق نشاطاً على حين يفيض قلبي فرحاً . غداً سأرى أمي ! وا فرحتاه ! وذهبتُ أهيئ نفسي للقيا الحبيبة أزيّن وأتأنق وأقف أمام المرآة أتحسس ملابسي وشعري وحذائي . ونامت العجوز وأنا إلى جانبها لا يجـد النوم إلى عينيّ سبيلا ؛ والأخيلة الجميلة البسامة تتوزعني وأنا بينها لا أحس معنى الزمن ولا يضنيني السهر وقد مضى الليل إلا أقله .

وفي الصباح لصقت بجدتي أتبعها وأتملق بثوبها ، أستنجزها ما وعدت وهي تستمهلني ، والساعات تنطوي . والأمل يخبو في نفسي رويداً رويداً حتى لفّني الوجوم والأسى وبدت عليّ الخيبة وضياع الأمل . وعند الظهر قالت لي جـدتي : « الآن ، نذهب لترى أمك » .

وذهبتُ إلى دار أبي ، إلى جانب جـدتي ، أختال في الحرير والدمقس وأزهو في طفولتي وعطري وأرنو هنا وهناك وقلبي يخفق في شدة وعنف ، تُرى أين كانت تتوارى أمي ، أخفاً كانت تطب لمرضها في القاهرة ؟ ودخلت حجرة واسعة من حجرات الدار فإذا عبير المسك يتضوع في نواحيها وتفوح في جنباتها روح العطر . لقد تأنقت الحجرة في زينتها وتبرجت في أثاثها فهي تخطف البصر وتخلب اللب . وأخذتُ أقلب البصر في أرجاء المكان فما رأيت المرأة الجالسة في أقصى الحجرة إلا حين قالت جدتي العجوز « هـذه أمك » واندفعت أنا إليها ألقي بنفسي بين ذراعيها وأدفن وجهي في حجرها لأستشعر الحنان والعطف وقد فقدتهما منذ زمان .

وألقيتُ بنفسي في حجرها ولكني لم أحس بذراعيها تنفرجان لتضماني ولا بنفسها تستبشر للقائي ولا بقلبها ينبض لمقدمي ؛ فرفعت بصري إلى وجهها أحدّق فيه ، واستلبتني الدهشة والحيرة من حياء الطفولة فأرسلت من بين شفتيّ صرخة مدوية وأجهشت للبكاء ثم رجعت إلى الوراء في فزع ، رجعت صوب الباب لأن هذه المرأة لم تكن أمي . وشعرت بأنني أحتقر جدتي وأمقت المرأة التي زعموا أنها أمي .

وألفيتُ أبي لدى الباب فربّتَ على كتفي في حنان وضمني إليه في عطف وقال : ما بالك ؟ قلت : مَن عسى أن تـكون هذه المرأة ؟ قال : هي أمك . قلت : لا . قال : ألا تعلم أن لك أمَّين واحدة في القاهرة وهـذه هنا ! قلت : فما لي لم أرها من قبل ؟

وتلعثم لسان أبي وماتت الكلمات بين شفتيه ، وبدا لى أن أبى كذّاب فشعرت بأننى أحتقره وأمقته .

آه ، لقد انطوى صدرى على كراهية أبى وجدتى والمرأة التى زعموا أنها أمى .. كرهتهم جميعاً لأنهم كذبوا .. وأحسست بالأسى يتدفق عارماً إلى قلبى . وجرفنى الحزن حين أيقنت بأننى فقدت أمى إلى الأبد .

وحين رأتنى زوجة أبى قذى فى عينيها اتخذتنى هدفاً لغضبها وثورتها وعشت فى الدار ضائعاً لا أفوز إلا بفضلة مما يتركه الخادم .

حينذاك أرسلنى أبى إلى المدرسة فى المدينة ودفع بى إلى خادم يقوم على أمرى فكان هو أبى وأمى وجلادى ، فهو أب لا يعرف الرحمة وأم لا تعرف الحنان وجلاد لا يعرف الشفقة . وعشت هناك أشعر بالغربة فأبى لا يزورنى إلا لماماً إرضاء لزوجته ، وهو إن فعل لا يحبونى بعطفه ولا يهش للقائى ولا يتبسط معى فى الحديث ولا يهتم بحاجاتى ولا يعنى بطلباتى ، ومرت الأيام وهو ينأى عنى رويداً رويداً حتى أصبح غريباً عن نفسى وعن قلبى فى وقت معاً .

وأغص بالحرمان فالخادم ينعم وحده بمال أبى وأنا لا أنال قرشاً واحداً أشترى به بعض ما يشترى أترابى . وأشرق بالمهانة فأنا أغدو إلى المدرسة وأروح فى ثياب مضطربة قذرة مهلهلة على حين أن رفاقى يرفون فى الجديد والنظيف . وأحس بالضعة فما أستطيع أن أدفع عن نفسى عبث زملائى وتهكمهم فما بى من قوة أن أفعل . وتمادى صحابى فامتدت أيديهم إلى وجهى ورأسى ، فطرت أفزع عنهم وأفر منهم وهم يجدّون فى إثرى لأكون لهم سخرية ولهواً . ولم تستطع نفسى أن تطمئن إلى هذا الوضع الوضيع وأنا عاجز اليد واللسان والقلب ، فذهبت أندس مهرباً فكنت أقضى أوقات الفسحة مختبئاً فى (المرحاض) ثم أنفلت — آخر اليوم المدرسى — إلى بيتى أحمل همى بين جنبىّ فما أجد متنفساً إلا أن أشكو إلى هذا الخادم الفظ وهو لا يلقى بالاً إلى شكاتى إلا والعصا على ظهرى ، وأبى بين عمله وشبابه فى شغل .

وقضيت السنوات الأولى من عمرى المدرسى أتوارى عن زملائى خشية أن تنالنى أيديهم وألسنتهم ، وأنطوى على نفسى فى ركن من حجرة خيفة أن أعرض أسمالى البالية على أعين الناس فى الشارع ، فعشت فى منأى عن الناس أطمئن إلى الوحدة وأرى فيها سلوان القلب وراحة النفس .

أفكنت أطمئن إلى هذا الوضع الوضيع فى سهولة ويسر ؟.

ليت شعرى ما ذا كان يضطرب فى خاطرى حين أخلو إلى نفسى وإن قلبى ليتضرّم غيظاً ويحتدم حقداً على أولئك الذين اتخذونى سخرية ولهواً ؟ .

وثارت فىّ ثائرة القرَم إلى الانتقام واشتد بى النهم إلى الثأر وشغلتنى الخاطرة فملأت نفسى وسيطرت على أخيلتى ، وفى رأيى أن الناس يحترمون القوى ويتملقونه ويسخرون من الضعيف ويمتهنونه . وعزّ علىّ أن أعيش عمرى فى الذلة والمسكنة فعزمت على أمر ...

ورحت أقضى شطراً من يومى في أحد الأندية الرياضية ، وشطراً آخر بين أوراق ودرسى ، ومرت الأيام فإذا ساعدى قد اشتد وعضلى قد تكتل وإذا عقلى قد أستوى واستقام .

وقويت نفسى حين رأيتنى فى الصدر قوة وعلماً ، فطردت خادمي بعد أن أذقته وبال أمره ، وانطلقت إلى أبى أطلب — فى شدة وعنف — أن يرتب لى من المال ما يحفظ علىّ كرامتى وكبريائى فما تمهل ، وانطويت عن زوجة أبى وأنا أحدجها بنظرات فيها الاحتقار والبغض ، ووجدت اللذة والسعادة فى أن أبطش بأترابى وأقاربى فاندفعت أذيقهم الذلة وأسومهم الخسف لا تأخذنى بهم رأفة ولا أستشعر نحوهم الرحمة .

وتخرجت فى الجامعة لأفرغ إلى الانتقام وبى إليه قرم وأخلص إلى الأخذ بالثأر وبى نهم إليه . وسلكت إلى غايتى سبلاً شيطانية وأنا أعجب أن تسيطر علىّ روح الإجرام وأنا رجل علم وأدب . ولكن ، هل كان الشيطان إلا وعاء علم وأدب لبسته روح الإجرام ؟ .

ودفعتنى شيطانيتى إلى أفانين من الانتقام أحكم نسجها ، فانطلقت ...

اليوم أطفأت غلتى وأشفيت داء صدرى ، بعد أن عذبت من سخروا منى طفلا وقتلت من قسوا علىّ صغيراً ، فهل ترانى ندمت على أمر وأنا أشعر بأننى قد أديت رسالة قلبى ؟ .

ولكن عين العدالة لم تغفل عنى فأنت ترى الآن الغل فى يدى والقيد فى رجلى وسيف الجلاد ينتظرنى بعد أيام .

فقل لى — يا صاحبى — من عسى أن يكون الملوم ، من عسى أن يكون يا صاحبى ؟ .

كامل محمود حبيب

حول الفكر العربي :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

- ١ -

فى الوقت الحاضر تبذل الدول العربية قصارى جهدها لتحظى بمكانة دولية مهيبة تساعدها على نيل مآربها السياسية والاستقلالية إلا أن الوصول إلى مثل هذه الغاية يحول دونه عقبات ، من بينها عقبة ضعف الشخصية العربية وضآلتها ، ثم عقبة جهل العرب بمقوماتهم العقلية الممتازة .

ويرجع ضعف الشخصية العربية إلى تهاون العرب فى التمسك بأخلاق القرآن ، وتفريطهم فى إعطاء التعاليم الإسلامية صبغة عملية يظهر أثرها النافع فى الحياة الخاصة والعامة ، بينما يعود جهل العرب بمقوماتهم العقلية الراقية إلى أن الشعوب العربية لم تكلف نفسها مشقة الكشف عن كنه ميولها الفكرية ، أو تهتم بشحذها حتى تنضج ، أو تمتنى بكشف الميادين التى تقدر أن تخوضها وتتفوق فيها ، حتى تستطيع أن تدخل غمار النضال العالمى مزودة بأسلحة أخلاقية سامية وواقعية فى نفس الوقت ، وتنم عن شخصية قوية لها صفات مميزة ، ومموتة بمعدات عقلية تستعين بها فى إثبات وجودها ككائن حى فعال فى الحياة الدولية يختص بأداء عمل معين لا يضارعه فيه كائن آخر من الكائنات الدولية ؛ فيتحقق ذلك كله للعرب ما تصبو إليه نفوسهم من رقى ، ويحتلون مكانة دولية تجبر المستعمر على احترام حقوقهم المسلوبة .

أما من ناحية ضعف الشخصية العربية فإنها لن تتقوى مالم تمهد السبل لبعث التعاليم الإسلامية فى صورة حية واقعية ، تطلقها من سجن أروقة المساجد وحجرات الدراسة ، وتدفع بها فى تيار الحياة اليومية الرحب المتنوع ، حتى لا يشعر أى فرد بوجود انفصال بين الدين والحياة ، ويحس بأن الدين من الحياة وأنه أنزل من السماء ليلبى أغراض الحياة سواء أكانت روحية أو مادية ، ولا يعترض سيل تطورها ، أو يعوق تقدمها ؛ فإن إنقطعت الصلة بين الدين والحياة كما هو الحال فى البلاد العربية ، عُد ذلك تقصيراً من رجال الدين فى البحث عن هذه الصلة . ولذلك يجب عليهم أن يوثقوا العرى بين تعاليم الدين الإسلامى وحياتنا الحاضرة ، وألا يحيطوا هذه التعاليم بهالة من السمو والرفعة بحيث تعلو عن حياة عامة الناس ، فيصعب عليهم التمثل بها ويظنون أنها تنطوى على قيم عليا لا يقدر أن يصل إليها إلا خاصة الخاصة ، مع أن الدين أراد أن يسلكها الجميع بدون تفرقة . فإذا اتصلت هذه التعاليم بحياة الناس العادية ، وطبقت على شتى ظروفهم الإجتماعية ، أدرك كل عربى جدوى التعلق الحق بالدين الإسلامى ، وتلمس فائدته الروحية والمادية معاً ، فيعتقد أن الدين قوة دينية كما هو طريق إلى الله .

إن غرض الفتوح العربية فى صدر الإسلام كان نشر الدين الإسلامى خارج حدود بلاد العرب . ولقد استبسل الكثير من العرب ، واستشهدوا فى سبيل الله ، ففازوا بالجنة من ناحية ، ونال أهله من ناحية أخرى قسطاً من الغنائم مثل بقية الجنود العائدين من الحروب .

فالقتال فى سبيل الله وإن كان باعثه دينياً يخلد المستشهد فى الجنة ، وهذه غنيمة روحية ، يضمن كذلك لعائلته من بعده العيش الرغد وهذه غنيمة مادية ، أحسّ كل عربى بمدى فائدة الاستشهاد من أجل نشر الإسلام من الناحيتين الروحية والمادية ، فأقبل على الجندية وخاض الوغى بشجاعة لا تقهر ، فاستطاع على قلة عدده وعدده أن يزيل من الوجود الدولة الفارسية ، ويزعزع أركان الدولية الرومانية .

وفى هذا الجو السماوى الأرضى عرف العرب قديماً كيف يثبتون دعائم الدين الإسلامى فى النفوس . وفى هذا الجو كذلك يقدر العربى فى الوقت الحاضر أن يقضى على ما تركته المدنية الغربية فى نفسه من القلق الوجدانى والاضطراب العقلى ، لانقياده المطلق لمغرياتها المادية ومفاتنها الحسية ، ولإهماله تهيئة الحياة الروحية التى تلائم مزاجه وتبعثه على طلب الكمال .

ولقد سبقنا الهنود فى المضمار الدينى الاجتماعى ، وأخذ المفكرون الهنود من أمثال راما كريشنا وفيفكاناندا يستوحون

تراثهم الدينى القديم ، ويعرضونه فى أسلوب حديث يتفق وغايات الحضارة الحديثة بدون أن يخل بأصول الفكر الهندى الروحى .

ثم جاء طاغور ووضع القواعد الثابتة للحياة الهندية الكاملة ، وأبرزها فى صورة واضحة فى كتابه « سادهانا » استقاها من تعاليم الكتب الهندية المقدسة ، ودعمها بروح الغرب العملية ، فأعطى المبادئ المثالية قيما واقعية تنفع فى الحياة . وبعد أن كان الهندى ينزع لاجتناب الحياة أصبح بفضل هؤلاء المفكرين لا يقدس الزاهد الهاجر للحياة ، المعتزل الأهل والوطن ، والغارق فى نفسه ، والهارب من مشاكل الأرض ، وإنما يقدس الزعيم القومى الذى تمثل فى شخصية غاندى ، ، ذلك البطل الوطنى الذى دفع بمقومات الهند الروحية فى ساحة النضال السياسى ، فنالت بلاده حريتها ، فعرف الهنود من مفكرين وسياسيين كيف يتفادون عيوبهم القديمة ، ويتغلبون على ميلهم إلى اعتزال الحياة ، ويبرزون قدرتهم على احتمال الألم فى سبيل الغايات القومية بعد أن كانت قاصرة على الغايات الدينية الصرفة .

وها هو نهرو خليفة غاندى يقتفى أثره ، ويسير على هدى الطابع الهندى ، فما كاد يطمئن على استقلال بلاده ، ويضمن ود الباكستان ، حتى بادر بخوض مجال دولى حيوى أراد أن تساهم فيه بلاده فى خدمة الإنسانية ، وتؤدى ما عليها من واجبات فى سبيل رسالتها الروحية التى ترغب فى أن تعم بلاد العالم أجمع . فدعا لعقد مؤتمر ينشد عن طريقه ضم شمل الدول التى تعتنق المثل العليا والمبادئ المعنوية ، وتؤمن بقوتها فى تدعيم السلام ، كما يبغى توحيد صفوفها لتتعاون على إنقاذ العالم مما هو فيه من تفكك وتنازع ، وذلك بالقضاء على النزعات الاستعمارية ، وبث روح المحبة والوئام فى ربوع العالم .

وهكذا عرف نهرو كيف يختار المجال الوحيد الذى تقدر العبقرية الهندية أن تشترك فيه ، وتظهر براعة لا تفوقها براعة ، فنجح فى استغلال استعدادات قومه الأصلية فى إعلاء شأنهم ، ورفع مكانتهم بين الدول .

فأمام العرب نموذج من الفكر الدينى الخالق الذى استطاع أن يرفع عن كاهل بلاده كابوس الاستعمار بفضل تعاليم غاندى فى المقاومة السلبية ، وأن يقتحم الميدان الدولى متخذاً من أساليبه الروحية وسيلة لتحقيق سلام العالم ، وهى غاية هندوكية قبل أن تكون غاية سياسية إنسانية ؛ فهيأ بذلك لمبادئه الدينية قوة إيجابية

أما كيف يعطى الفكر العربى تعاليمه الإسلامية قيمة عملية فعالة ونافعة فى حياتنا الخاصة والعامة ، فذلك يكون بعد تطبيقها تطبيقاً جديا واسع النطاق يشمل المجتمع العربى بأكمله . فكل ما تأمر به التعاليم الإسلامية من تشريعات لا ينبغى أن تهمل ويستعاض عنها بغيرها من تشريع الغرب ، وبحجة أنها أكثر إنسانية. فنرفض قطع يد السارق وجلد الزانى ورجم الزانية ، فإن ذلك يضعف من قوة ديننا ، ويقلل من قدرته على مواجهة مشاكل الإنسان ، وذلك يورث فى نفوسنا نوعاً من المهانة ، فنستكين لتشريعات الغير ، بينما يجب أن نتمسك بتشريعات الإسلام ، لا بدافع من نعرة دينية رجعية ، ولكن بدافع من المحافظة على روح الأمة العربية ، وصيانة كيان حياتهم الاجتماعية. وكل ما فى القرآن الكريم والحديث الشريف من مثل عالية يجب أن تؤسس عليها الأخلاق العربية . وكل ما يتضمنه هذا الكلام المقدس من حكم يجب أن تقوم بها أهواءنا ورغباتنا ، حتى تصفو نفوسنا مما علق بها من شوائب المدنية الحاضرة ، وتعيش فى كنف حياة روحية ترتاح إليها عقولنا العربية ، فتقدر أن تستوحيها ، وتنهج سبل التطور إلى أن تكيف التعاليم الإسلامية بظروف الحضارة المعاصرة بدون أن تفقد شيئاً من أصالتها .

فإخراج هذه التعاليم من منابر الجوامع إلى ساحة الحياة الإجتماعية يعد أمراً ضرورياً لنهضتنا الحضارية . إن غاندى عندما علم الهنود المقاومة السلبية قد أضاف إلى مبدأ عدم العنف الهندوكى من القوة ما ألهب مشاعر قومه الدينية ، وأرهب الانجليز وهز امبراطوريتهم ، فكان عمله هذا أعظم عمل دينى أداه هندى لوطنه .

فنحن نريد أن نشعر بقوة مفعول تعاليمنا الدينية فى أعمالنا وتصرفاتنا حتى يزداد إيماننا بها قوة ، ولا نفكر فى أن نتخلى عنها ، ونبذل جهد الطاقة لكى نبثها فى جميع صور الحياة الدنيوية ، فيكون ذلك باعثاً رفيعاً على طلب الرقى ، ودافعاً عظيماً إلى تشييد حضارة عربية تستمد مقوماتها من صلب التعاليم الإسلامية ، وتجارى المدنية الغربية فى نفس الوقت .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٦ —

قيس وأسد وهذيل وكنانة :

أتيت فى المقالات السابقة على ما كان لتميم من اختلاف مع القبائل الأخرى مشيراً إلى ما شاركها فيه غيرها من قيس وأسد وبعض قبائل نجد ، وذلك مما كان له أثر فى القراءات واللغة وقواعدها . والواقع أن ما سبق هو الكثرة الواضحة أما خلافات القبائل الأخرى فقليلة ، وسأعرض لها تكملة للبحث وإتماماً للموضوع .

وقد راعيت أن أقدم فكرة عن موطن كل قبيلة أو بطن حتى يسهل على الباحث تتبع القبيلة والعوامل التى أثرت فيها ، وكيف اشتركت مع غيرها فى خصائص لغوية كان سببها الجوار وأذكر مع ذلك أن هذه الأبحاث والتوفيق بينها وجمعها فى وحدة مرتبطة مما لم يسبق إليه إنسان ولا وجدت أحداً أعطاها حقها من العناية والاستقصاء ويرجع هذا إلى عسر الحصول على مكوناتها وعناصرها فإذا وجدت لهجات لقبيلة مبعثرة فى كتب الأدب واللغة والنحو فلا تذكر لك ارتباطها بالقراءات . وإذا أتيحت نسبتها فى كتب القراءات والتفسير ، فلا تمرُّ إلا عرضاً مبتورة ينقصها الترتيب . وفوق هذا فإن مساكن القبائل ومواطنها ودياناتها لا يجمعها كتاب واحد من كتب الأدب والتاريخ . وذكر ديانات العرب وأصنامهم ومن كان يعبدها يسهل معرفة القبائل المتجاورة أما ذكر شخصياتها فمن باب التعريف بمن كان له من هذه القبائل نصيب من الشهرة والنبوغ . ولعل فى هذا كله بياناً لمن يحسب لأول وهلة أنه زيادة أو خروج عن الموضوع

قبيلة قيس :

تجمع هذه القبيلة عدداً كبيراً من القبائل والبطون ونسبها هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وقد أصبح كثير من بطونها فى عداد القبائل لكثرة ما شملته من أفراد فمن فروع قيس :

١ — غطفان : ومنها عبس وذبيان ، ومن ذبيان فزارة الذين وقعت بينهم وبين عبس حروب كثيرة بسبب الفرسين : داحس والغبراء . ومن ذبيان أيضاً بنو مرة ، ومنهم الحارث بن ظالم المرى ، أحد فتاك العرب المشهورين والذى يضرب به المثل فيقال أمنع من الحارث وقد كان السبب فى بعض المعارك العربية التى تسمى أيام العرب .

ومن بنى عبس عنترة الفارس الشاعر . ومن ذبيان النابغة الذبيانى الشاعر . ومن غطفان أيضاً بنو أشجع . وكانت منازل غطفان بنجد مما يلى وادى القرى وجبلى طيىء أجا وسلمى إلا أشجع فقد كانت منازلهم حوالى المدينة . وقد اتخذت غطفان لها بيتاً للعبادة أرادوا أن يجعلوه حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه ، واسم هذا البيت «بس» ووضعوا حجرين متباعدين وقالوا إنهما الصفا والمروة ، واجتزءوا بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام ، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبى فهدمه وعطل حرمهم وذلك فى الجاهلية . وقد تفرقت غطفان فى الفتوح الإسلامية .

٢ — بنو سليم بن منصور ، وكانت بلادهم فى عالية نجد قريباً من خيبر .

وكان بعض بنى سليم سدنة « للعزى » وفى عام الفتح بعث الرسول سيدنا خالد بن الوليد فأحرقها وقال :

يا « عز » كفرانك لا سبحانك ... إنى رأيت الله قد أهانك

ومن سليم الخنساء الشاعرة ونصر بن حجاج الذى كان بارع الجمال ، فسمع سيدنا عمر بن الخطاب امرأة تنشد :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفاه بعيداً عن المدينة وقال لا يساكننى رجل تتشبب به النساء

٣ — غنى وهم بنو غنى بن أعصر بن سعد بن قيس ، وباهلة وهم بنى معن بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة . وكانت غنى وباهلة يعبدون « العزى » ومساكن غنى وباهلة متجاورة فى نجد شرق الطائف ، وبعض بنى باهلة كانوا يسكنون إلى الجنوب الشرق فى الطريق بين مكة واليمن فى موضع يسمى تبالة حيث كانوا سدنة لصنم اسمه « ذى الخلصة » وكانت تعظمه أيضاً وتهدى له خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن

ويحكى أن رجـلا من العرب — وينسب ذلك إلى امرىء القيس — قد قُتـل أبوه فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلى ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ومن باهلة الأصمعى الراوية المشهور .

٤ — بنو عدوان وهم أبناء عمرو بن قيس وكانت منازل عدوان الطائف ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، ومن عدوان عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب ، ومن حكمه : من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به . للكثرة الرعب ، وللصبر الغلبـة . رُبَّ أكلة تمنع أكلات .

ومنهم ذو الأصبع العدوانى ، ومن شعره العذب :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى
إنى لعمرك ما بابى بذى غلق عن الضيوف ولا خيرى بممنون
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق بالفاحشات ، ولا أغضى على الهون
ماذا على وإن كنتم ذوى رحمى أن لا أحبـكمو إن لم تحبونى
كل امرىء صائر يوما لشيمته وإن تخلق أخلاقا إلى حين

وكانت منازل فهم بنجد ومن فهم الشاعر المشهور الأعشى وتأبط شراً أحد الفتاك والمدائين المشهورين .

٥ — هوازن : وكانت ديارهم بنجد والعالية شرق المدينة ومكة إلى الطائف . ولهوازن فروع كثيرة مشهورة منها ثقيف الذين كانوا بالطائف وما حولهـا ، ومن ثقيف الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وأمية بن أبى الصلت الشـاعر ، والحجاج بن يوسف الثقفى .

وكانت ثقيف تخص « اللات » بالزيارة والهدية وسـدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها ، وفى ذلك يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت وينهى ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف نصركمو من ليس ينتصر
إن التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها ، هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن ، وليس بها من أهلها بشر

وكان لهوازن أيضاً صنم اسمه « جهار » .

ومن هوازن سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بنجد شرق مكة ، وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم حينما أمال فى قراءته « يحيى » وسئل فى ذلك : هذه لغة الأخوال بنى سعد .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة الذين منهم بنو نمير وبنو كلاب وبنو كعب ، وأولئك هم الذين عناهم جرير بقوله يهجو الراعى النميرى الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ومن كعب بنو عقيل رهط توبة بن الحمير وليلى الأخيلية الشاعر بن العاشقين .

ومن بنى عامر أيضاً بنو هلال منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم بنو جشم الذين منهم دريد بن الصمة صاحب البيت المشهور المتمثل به :

نصحت لهم نصحى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وكانت مساكن نمير بنجد ثم انتقلوا فى الإسلام إلى العراق شمالا . وكانت كلاب وكعب بلادهم بنجد مما يلى تهامة ، وكانت كلاب أقرب إلى المدينة فى حمى ضرية والربذة وفدك ، ثم انتقل بنو كلاب فى الإسلام شمالى الشام حول حلب . وكان بنو هلال فى الجاهلية بنجد ، ثم ساروا فى الإسلام إلى مصر ثم إلى المغرب وكانت منازل جشم فى السروات قريباً من قبيلة هذيل .

قبيلة هذيل :

هم أبناء هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . كانت ديارهم بالسروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان بالطائف ، وكانوا يعبدون من الأصنام « سواعاً » وسدنته منهم ، وفى ذلك يقول رجل من العرب فى القرشيين :

تراهم حول قبلتهم عـكوفاً كما عـكفت هذيل على سواع

وقد افترقت هذيل فى الفتوح الإسلامية على الممالك . ومن هذيل أبو ذؤيب الشاعر صاحب المرثية المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومنهم سـيدنا عبد الله بن مسـعود الصحابى المشهور ، ومن نسله المسعودى على بن الحسين المؤرخ

قبيلة أسد :

هم أبناء أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانت بلادهم بأرض نجد مجاورين لقبيلة طيء من جهة وقبائل قيس وتميم من جهات أخرى وهم الذين قتلوا والد امرىء القيس وقصة ذلك وما جرى بسببها مشهورة . وقد تفرقت أسد فى الفتوح الإسلامية . وكان لجديلة من طيء صنم — ولعله « الفلس » لأنه كان لطيء ومن يليها — أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا بعده صنماً يسمى « اليعبوب » وفى ذلك يقول أحد الشعراء وهو عبيد ابن الأبرص :

فتبدلوا اليعبوب بعد إلههم　　صنماً فقروا يا جديل وأعذبوا

ومن بنى أسد أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش التى تزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد بن حارثة . ومنها عبيد بن الأبرص والكميت بن زيد الشاعران وطليحة بن خويلد الذى كان كاهناً ثم ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ثم عاد إلى الإسلام . ومنهم زر بن حبيش الذى أخذ عنه كثير من القراء .

كنانة :

هم أبناء عبد مناة ومالك وملكان أبناء كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهم الذين يطلق عليهم كنانة حيث احتفظوا باسم أبيهم . أما أبناء النضر بن كنانة فهم الذين يطلق عليهم لقب قريش سواء كانوا قريش الظواهر أم قريش البطاح ، وهم سكان مكة وما حولها ، فإذا نسبت لهجة أو لغة لكنانة لم تشترك فيها قريش .

ومساكن كنانة متفرقة ، ولكنها لا تبعد عن مكة كثيراً جداً ، ومن كنانة من كانوا شرقاً إلى الجنوب قريبين من القبائل اليمنية وهم بكر بن عبد مناة ، ومنهم من كانوا غربى مكة إلى الشمال قريباً من البحر الأحمر ، وكانت غفار من بكر بن عبد مناة تكاد تقرب من المدينة من غربيها .

وقد عبد جماعة من كنانة القمر ، وتهود منهم جماعة ولعلهم الذين قاربوا أهل اليمن ، وكان لبنى مالك وملكان صنم اسمه « سعد » بساحل جدة ، ومما يحكى أن رجلاً من ملكان أقبل بإبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم ، فلما دنا منه ورآنه وكان يهراق عليه الدماء تقرباً إليه ، نفرت منه الإبل ، فذهبت فى كل وجه فغضب صاحبها فتناول حجراً فرماه وقال: لا بارك الله فيك إلهاً أنفرت على إبلى .. ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ثم انصرف يقول:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا　　فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة　　من الأرض لا يدعو لغى ولا رشد

هذا ومن غفار من بنى بكر بن عبد مناة أبو ذر الغفارى الصحابى المشهور ، ومنها كذلك عزة محبوبة كثير ، ومن الدئل من بنى بكر بن عبد مناة أبو الأسود الدؤلى الذى ينسب إليه وضع النحو ، وكذلك منها سارية بن زنيم صاحب القصة المشهورة فى سيرة سيدنا عمر حيث قال له وهو بعيد عنه يا سارية ابن زنيم الجبل .. ومن بنى مالك بن كنانة نسأة الشهور فى الجاهلية وكذلك منهم ربيعة بن مكدم أحد الفرسان فى الجاهلية النابهين ...

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

حاشية :

(١) ذكرت فى مقال سابق أن اسم الإشارة « هذى » لم يقع فى القرآن الكريم ولكن تبين لى أن ابن محيصن قرأ بها : هذى الشجرة هذى القرية

(٢) جاءنى خطاب من حضرة السيد على عبد الحسين السلمان من العراق ينبهنى إلى اقتصارى فى تنوين العوض على ما كان منقوصاً وحقيقة أن تنوين العوض منه ما هو عوض عن حرف وما هو عوض عن كلمة وما هو عوض عن جملة . لكن هذه أمور عامة فى جميع القبائل ، ولم أرد إلا ما اختلفت فيه وهو تنوين الترنم ...

طرائف من العصر المملوكي :

الروح القوميـــة

للأستاذ محمود رزق سليم

الروح القومية عاطفة عامة ، وإحساس مشترك بين بنى الوطن الواحد ، تشعرهم بأنهم مجموعة من الناس ، من الخير لهم أن يأتلفوا ويتحدوا ، ليكون لهم من وراء ذلك قوة يستطيعون بها أن يتغلبوا على صعاب الحياة وعقباتها ، فى الداخل والخارج ، وتحدد لهم أهدافاً خاصة يرون فيها حفظاً لكرامتهم ، وإحقاقاً لحقهم ، وتغذية لنزعاتهم ، وإقراراً لآمالهم .

ويتركز حب هذه الأهداف فى نفوسهم تركز العقيدة ، إيماناً بها وإيثاراً لها . لذلك يسمون جاهدين فى سبيل بلوغها ، مضحين بكل مرتخص وغال ، من رأى ونفس ومال .

والروح القومية فى الأمة مثلها مثل الكائن الحى ، يولد ويتغذى وينمو ويقوى ويعمل ويوجه . ولها عوامل لميلادها وغذائها ونموها وقوتها ، كما أن لها عوامل مضادة مناقضة ، إذا هى صادفتها أضعفتها ، وكبتتها وأماتتها .

وعوامل نموها وقوتها كثيرة متعددة لا مجال لحصرها والحديث عنها الآن ، ولا لتوضيح أثرها ؛ ولكننا نذكر أن من بينها اتحاد أبناء الوطن فى الوطن واتفاقهم فى الجنس واللغة والدين وتجانسهم فى الثقافة وتعرضهم لعوامل اقتصادية مشتركة أو لأخطار خارجية أو داخلية متشابهة ، وكذلك قيام أفذاذ الرجال من بينهم وقادة الفكر الذين ينزعون نزعة وطنية خالصة من الشوائب ، فيوقظون وينبهون ويحمسون ويوجهون ، ويضرمون نار البعث والنشور ، حتى تفيق الأمة من سباتها ، وتتنبه من غفلتها ، وتعرف لنفسها كرامتها وحقها ، وتسعى لإدراك آمالها .

ومن عوامل إضعافها تتابع الغارات الخارجية ، وطول العهد بالاستعمار ، وضعف الثقافة واضطرابها ، وانتشار الأوباء واستبداد الولاة ، ونحو ذلك .

وبمقدار ما يتاح للأمة من عوامل القوة ، تذكو فيها الروح القومية ، وتنشط النزعات الوطنية ، ويقوى الرأى العام ، ويفرض مناهج الأمة فى السياسة والإدارة والاقتصاد والتعليم والأوضاع الاجتماعية ، وغير ذلك .

وبعد فهل كانت بهذه البلاد المصرية العزيزة إبان العصر المملوكى روح قومية ونزعات وطنية ترمى إلى المحافظة على الكرامة العامة ، ورعاية الحقوق ؟ وإذا كانت هناك روح ، فما مظاهرها وما عوامل حياتها ؟ وإن لم تكن هناك روح ، فما الأدلة على ذلك ، وما الأسباب التى وجهتها الأقدار سهاماً إلى هذه الروح ، فقضت عليها ؟

الحديث فى ذلك يطول ، لا يستوعبه مقال واحد ؛ إذ البحث فيه يتطلب النظر الطويل فى التاريخ وفى النظم الإدارية والأحداث الاجتماعية ، وفى أنواع الثقافة وأصباغها ، وتتبع نزعات العامة ، وتلمس مصادفاتها التى تخرج فيها عن وقارها ، وعن حياتها الآلية المادية ، فى تلك العصور الوسطى التى امتحنت فيها الأمة بطغيان سلاطينها واستبداد أمرائها وعبث جندها وتراخى كثير من علمائها عن إصلاح إدارتها .

لقد انضوت مصر تحت اللواء العربى ، واندمجت فى نطاق الأمم العربية ، بعد الفتح العربى . ولا غضاضة على روحها القومية من هذا الانضواء والاندماج ، ما دامت قد رأت فى الإسلام عدالة فياضة ، ومساواة كاملة ، وأخوة نقية ، وأنست فى الحاكم الإسلامى رعاية عامة ونزاهة تامة ، وتسامحاً كريماً ، وحباً للخير .

ولكن جرت الأحداث فى الدول الإسلامية ، بعدُ ، على غير ما يشتهى الإسلام ، فانساقت مصر إلى الانفصال والاستقلال وأخذت سمتها نحوهما ، واستردت روحها القومية حريتها فى الظهور والعمل .

وبدأ ذلك بدءاً جيلا منذ العصر الطولونى ، وما زال حتى كان تمهيداً حسناً للعصرين الفاطمى والأيوبى اللذين استقلت فيهما مصر استقلالا كاملا أكثر من ثلاثة قرون ، وغزت جنودها باسمها فى البلاد المجاورة وفرضت سيطرتها ، وحملت أعباءها كاملة إبان الحروب الصليبية .

فلما آلت سلطنة مصر إلى حكم المماليك وجدوا فيها أمة مستقلة غازية حاكمة اتسعت رقعة مملكتها خارج حدودها ، وعنيت

بنشر ثقافتها عناية محمودة ، فوجدوا من هذا ، الأساس الوطيد لبناء مجيد .

وكنا نرجو لو أن المماليك نهجوا فى سياستهم الداخلية منهجاً يرمى إلى إعزاز الشعب وإنهاضه ، والسمو بمستواه الروحى ، واتبعوا إزاءه هذا النهج الحميد الذى اتبعه والى مصر ومحييها الكبير محمد على ، بعدهم بنحو ستة قرون .. إذاً لاستطاع الشعب المصرى أن يغير وجه التاريخ ، وأن يفرض سيادته — على الأقل — على هذه الرقعة الواسعة من غرب آسيا أكثر مما فرض . ولتحققت لمصر على يدهم ، أحلام محمد على ، الذى صادفته عقبات لم يكن لها وجود فى العصر المملوكى ، كائتمار الدول الأوربية به ، ووقوفها سداً منيعاً وعصبة واحدة فى سبيل توسعه . ولكن المماليك تجاهلوا الشعب وأنكروا مواهبه وتناسوا حقوقه ، وفرضوه بقرة حلوبا تدر لهم وهم ملاكها .

حقاً ! قد كونوا لأنفسهم جيشاً عظيما كثيفا مزوداً ، حفظوا به كيان دولتهم وفرضوا مهابتها ، ووسعوا رقعتها ، وحكموا به فيما حكموا البلاد الشامية والحلبية والحجازية ، حتى أصبحت سلطنتهم أقوى سلطنات المسلمين شرقاً وغرباً . وفى هذا ما فيه من إعزاز لمصر ، وتقوية لمعنوياتها ، وتنشيط لروحها .

غير أنهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، ورماشوا للروح القومية سهاماً قاتلة جديرة بالقضاء عليها ، قمينة بأن تورث فى النفوس ضعف الثقة بكفاياتها ، والارتياب بمواهبها ، والشك فى نباغتها .

لقد كان منهم الجافى الطبع الكثير الصلف ، المتتابع الجور السريع إلى تقرير الضرائب الفادحة ، العاجل إلى المصادرات الظالمة ، المبالغ فى فرض الغرامات المالية والعقوبات .

حقا كان السلاطين والأمراء فى طليعة ملوك الإسلام وأمرائه احتضاناً لشرعه ، وتشجيعاً للعاملين على نشر سننه ، واحتفاظاً ببلاده . ولقد احتضنوا الخلافة بعد زوالها من بغداد ، فجددوا لها شباباً ، وألقوا عليها ثياباً ، وأنشئوها نشئاً آخر منذ عصر الظاهر بيبرس . وهى على علاتها قد جعلت القاهرة — فيما جعلها — رمزاً ومحوراً تطيف به قلوب المسلمين .

ولكننا لا ننسى أنهم كانوا يباينون أهل البلاد وعامة شعبها فى اللغة والجنس ، ولم يحاولوا السير خطوة واحدة فى سبيل محو هذه الفوارق الأصيلة الجوهرية ، التى من شأن بقائها وطول قيامها أن تصيب الروح القومية فى الصميم ، وتعمل على هدم الكيان الوطنى ، والفرقة بين عناصر الأمة .

بل لا نغلو إذا قلنا إنهم بكثير من تصرفاتهم ، وبألوان من فهمهم السقيم قد زادوا هذه الفرقة وعملوا على هذا الهدم .

ونقصر حديثنا هنا على ثلاثة عناصر ذات مساس مباشر بالنواحى المعنوية فى النفوس ، مبعث الروح القومية الصحيحة ، وهى ملكية الأراضى الزراعية ، والجندية ، والتعليم .

أما ملكية الأراضى الزراعية فقد حرموها على أهل البلاد ، وقصروها على الطبقة الحاكمة ، وهى المكونة من السلطان وأمرائه وجنودهم ، ولعل لهم عذراً إذ وجدوا مثل هذا النظام الإقطاعى كان قائماً من قبلهم فى عهد بنى أيوب وغيرهم ، وقد قسموها على أنفسهم ، واتبعوا فى تقسيمها أحد نظامين يسمى كل منهما « الروك » وهما الروك الحسامى نسبة إلى ملك مصر حسام الدين لاچين ، والروك الناصرى نسبة إلى ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون .

والنظام الناصرى هو الذى اتبع فى أكثر أعوام العصر . ويتلخص فى أن الأرض الزراعية تقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً .. للسلطان منها عشرة ، وللأمراء والجنود أربعة عشر . ويختلف عنه النظام الحسامى فى نسبة الأنصبة .

ثم قسمت الأراضى إلى قطع ذات مساحات مختلفة ، كل منها يسمى إقطاعاً . يهب السلطان منها ما يشاء للأمراء والجنود فى حدود النسبة المبينة المتفق عليها . والإقطاعات لا تورث بل ترد إلى السلطان بموت أصحابها . وكذلك يستردها السلطان إذا شاء لسبب من الأسباب ، أو يستبدل بها غيرها .

وصاحب الإقطاع يستغل أرضه وينتفع بثمراتها كما يشتهى وفق هواه ، مستعيناً بمن يسكن فى الإقطاع من الزراع .

ونحن لا نريد هنا أن نفيض فى وصف تلك النظم الشائنة . وإنما همنا أن نشعر القارئ الكريم بما كان يعانيه المواطن المصرى ، وبخاصة الزراع ؛ فقد حرم عليه أن يملك أرضاً ولد فيها جده وأبوه ، وبنياته وبنوه ، ووهب لها كل ما فى قلبه من حب ،

وما فى جسده من قوة . ثم هو لا ينتفع بشىء من غلاتها يتناسب وما يبذل فى سبيله من جهد وكد وكفاح وعرق . فأية غضاضة ترين على نفسه وأية مرارة تفيض على فؤاده ، وأى ضعف ينتاب روحه ، وأى وهن يصيب معنويته حينما يشعر بما يعانيه من حرمان وقسوة وشظف عيش ... ؟

لقد عرف الزارع حينذاك بأنه « فلاح » . فقد قال المقريزى ما نصه : « ويسمى المزارع المقيم بالبلد « فلاحاً » قراراً ، فيصير عبداً قِنا لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق ، بل هو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك » .

وقد لبث الفلاح المصرى محروماً ملكية أرض بلاده الزراعية والانتفاع الحر بثمراتها ، حتى صدرت لائحة الأراضى فى عهد سعيد باشا ، فأباحت له الامتلاك والانتفاع ، لأول مرة .

أما الجندية والتعليم فقد سبق لنا أن أشرنا إليهما فى بعض هذه المقالات . ولقد كان بالبلاد نوعان من التعليم : عسكرى وشعبى . أما التعليم العسكرى فقد كان مقصوراً على طائفة المماليك دون سواها لكى تتكون منها جنود الدولة والطبقة الحاكمة من أمراء وسلطان . وكان المدد التقليدى لها ، المماليك الجدد الطارئين على البلاد أرقاء من الأسواق الخارجية . ولا يسمح لأى فرد من أفراد الشعب بالانتظام فى سلك الجندية ، ولا أن يتعلم فى طباقها . كأن المهارة العسكرية وقف على طائفة المماليك دون سواهم ، وموهبة خاصة خلقتها العناية فيهم .. وفى هذا ما فيه من إضعاف للروح القومية ، وقتل للثقة بالنفس ، فكنت ترى الشعب وكأنما استقر فى أفئدة أبنائه أنهم لا يصلحون لحرب أو ضرب ، وأنهم غير أكفاء للدفاع عن أنفسهم ووطنهم .

غير أن من الإنصاف أن نذكر أن الوطنى المصرى الصميم لم ينعم بالانتظام فى مسلك الجندية ببلاده منذ زمن بعيد جداً ، قد يصل إلى ما قبل العهد الرومانى ، ولم يرد إليه هذا الحق الطبيعى إلا منذ النهضة الحديثة فى عهد محمد على .

أما التعليم الشعبى فكان فى جماع أمره دينياً ومكانه المساجد وما شابهها من دور التعليم . وقد أغدق عليه السلاطين إغداقاً محموداً ، وعنوا به عناية مذكورة مشكورة ، وكذلك فعل الأمراء والرؤساء .

وقد وجد الشعب فى هذا الضرب من الثقافة شيئاً يعوضه ما حرمه من التعليم العسكرى ، فكان فيه متنفس لمواهب أبنائه . ومن حسن الحظ أن طائفة المماليك لم تشارك الشعب فى الأخذ من هذه الثقافة بنصيب إلا لماماً لماماً — وقد يكون هذا من سوء الحظ كذلك — فاتسع نطاق العمل أمام أبنائه الذين يتخرجون فى هذا التعليم الشعبى الدينى ، وسموهم المتعممين ، ووكلت إليهم مناصب القضاء الشرعى ، والكتابة ، وما إليهما من الأعمال .

وأهم مايشوب هذا الضرب التعليمى أنه كان يقدم إلى الشعب صدقة عليه وإحساناً ، لا على أنه حقه يؤدى إليه .

ومهما يكن من شىء ، فاختلاف الثقافة هذا الاختلاف الصارخ بين المنصرين ، وحرمان الشعب من التعليم العسكرى — فضلاً عن الاختلاف فى اللغة والجنس — كان له أثره فى شجب هذه الأمة والتفريق بين طوائفها ، وخلق جو من الشقاق والحقد والشك بينها .

وهذه العوامل كلها من دأبها أن تشيع الغربة بين طبقات الشعب ، وأن تسلط بعضها على بعض ، فيستأثر البعض بالنعيم والسلطان ، ويبوء الآخر بالفقر والحرمان . ولا يتحقق بينهم معنى التعاون الصحيح الناشئ عن الشعور العميق بالواجب ومقتضياته . ولهذا يروى ابن إياس أن الشعب امتنع عن دفع الضرائب للأشرف طومان باى سلطان مصر حين الفتح العثمانى مع حاجة هذا السلطان الشديدة إلى الضرائب المذكورة . وكانت حجة المتمنعين أنهم لا يدرون حينذاك لمن البلاد ! ألِلمماليك هى أم للعثمانيين الغازين ؟ فهم ينتظرون ريثما ينجلى القتال ويُعرف ولى أمر البلاد الشرعى ، فتؤدى إليه الضرائب ...

على أن جميع العوامل التى انتابت الأمة المصرية فى ذلك العصر ، لو انتابت أمة غيرها لقضت عليها القضاء الأخير ، وشتتت شمل بنيها ، وفرقتهم أيدى سبأ ، ولعانى الزمان معجزة إذا همَّ بجمع شملها ولم شعثها مرة أخرى .

ففى بقاء هذه الأمة ، وفى حرصها على الذود عن كرامتها ، والدفاع عن حقها ، والسعى لإدراك أملها ، ما يدل دلالة واضحة على مذخورها العظيم من القوى الروحية والمقومات المعنوية .

وقد بدت منها هذه الروح فى عصر المماليك فى مناسبات كثيرة ومظاهر جمة . وأبرز تلك المظاهر هذه المكانة التى تبوأها علماء الدين وفقهاء الشريعة ، فقد كانوا من صميم الشعب وناشئته وآلت إليهم — كما نوهنا — مناصب القضاء والكتابة والتدريس والفتوى ورعاية الوقف وأموال اليتامى وما إلى ذلك ، فأصابوا حظاً وفيراً من الفقه والعلم والدين والمال جميعاً ، أنبت فى نفوسهم عزة ومنعة ، وفى أفئدتهم أنفة وإباء ، فكان كثير منهم يتأبى إلا على الحق ، ويترفع إلا عن العدالة . وكانوا بطبيعة نشأتهم ، وبطبيعة عملهم الرسمي وغير الرسمى ، ألصق بالشعب وأدنى صلة به وأكرم هيمنة عليه ، وأقدر على التأثير فيه . ولهذا خشيهم السلاطين وتملقوهم لكي يدرءوا عن أنفسهم مغبة سخطهم ، ورحبوا بالوافدين منهم من الأمصار الإسلامية ، الفارين من وجه الطغاة والغزاة ببلادهم . وأخذوا يستشيرون النابهين منهم فى كثير من أمور الدولة ، وبخاصة إبان الأزمات .

ومنهم عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، كان ذا مهابة وجلال ، توقف عن مبايعة الظاهر بيبرس بالسلطنة ، فعطلت المبايعة حتى ثبت له عتقه . ومنهم أمين الدين يحيى الأقصرائى الذى كف يد قايتباى — على قوته وجبروته — عن المساس بمال الوقف ، وقد أراد الاستيلاء على شيء منه للانفاق على حروبه ، ولهذه الحادثة أشباه .

على أن العلماء أنفسهم كانوا لا ينون يبذلون البذل الشديد والجهد الجهيد فى نشر الدين القويم بين الناس ، وبث الشريعة السمحة ، والدعوة إلى العمل بها واتباعها ، وتمييز الحلال من الحرام ، فقعدوا للتدريس العام فى المساجد ، وتصدوا للفتوى العامة ، يقصدهم من أجلها القصاد ، ويراسلهم بها المرسلون من فجاج العالم الإسلامى ، فنهضوا بهذا العبء أفضل نهوض ، وجرى الجدل بين بعضهم والبعض بسبب هذه الفتاوى والمساءلات . والعامة تترقب نتيجة الجدل وعاقبة النقاش ، وتتعصب للبعض على البعض ، وتتحيز لفريق دون فريق ، فكان من وراء ذلك حركة ذهنية فكرية لا بأس بها ذات مساس بالعقيدة ، ووجد الناس فيها عوضاً عن هذا الكبت السياسى ، وبديلا من هذا الحرمان العسكرى ، ومتنفساً عن هذا الاختناق .

ومن المظاهر الحية لتلك الحياة الفكرية المحاكمات التى جرت على بعض العلماء المجتهدين — كابن تيمية الحرانى وتلميذه ابن القيم — بسبب بعض آرائهما وأدى ذلك إلى سجنهما . واشترك فى الجدال عدد جم من أفاضل علماء العصر ، وألفت فى موضوعاته شتى الرسائل والمؤلفات .

وفى عهد الأشرف قايتباى قامت فتنة كبرى بين العلماء وتابعهم فيها العامة ، واشترك فى لجتها العلماء . وكانت بسبب الشاعر الصوفى عمر بن الفارض — أحد شعراء العصر الأيوبى — وما ساقه من ألفاظ وعبارات فى تائيته المشهورة ، مما رمز به إلى الذات الإلهية . فكفّره بعضهم ونسبه إلى الحلول ، واعتذر له البعض بضيق اللغة عن أداء معانيه النفسية ، وكانت ضجة كبرى ظلت زمناً ، وألفت فيها الرسائل والمقالات والبحوث والأشعار ، وأوذى بسببها بعض العلماء ، حتى حسمها السلطان بفتوى كتبها شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وكانت فى صالح ابن الفارض .

وإذا علمنا أن الدول الإسلامية فى تلك العصور كانت تقوم على أساس من الدين متين — والدين أهم دعائمها — تبين لنا خطر مثل هذه الفتن والمشكلات ، وفهمنا أنه تمت بصلة ما إلى سياسة الدولة وعقلية الجماهير ومشاعرهم .

من هذه الحوادث وأشباهها نستدل على أن روح المعارضة والإقدام على النقد كانا على ضرب من الحياة محمود ، والنقد والمعارضة الصالحة بعض مظاهر الروح القومية ومقومات الرأى العام

وقد سبق لنا فى إحدى هذه المقالات أن تحدثنا عن النقد الاجتماعى وبينا كيف تناول كثير من الأدباء والشعراء الحياة الاجتماعية بالنقد المرير السافر ، فنقدوا الأسرة ونظامها وعلاقات أفرادها بعضهم بالبعض ، والنظام الإدارى وما فيه من فوضى واضطراب وقلق وسرقات وادعاءات ورشوة ومحاباة وظلم ، وما بين طوائف الأمة المختلفة جنساً ولغة وديناً من أحقاد وإحن . وقد مزج بعض الشعراء نقده اللاذع بالتورية والفكاهة والدعابة فخرج مخرجاً كيساً مقبولا .

والحق أن الشعب المصرى كان — على علاته — ذا إحساس سياسى ناقد عجيب ، شارك به فى حادثات بلاده على اختلاف

القوة الحربية لمصر والشام

فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٤ —

وتنوعت سفن الأسطول ، فكان منها الشوانى Gyaleres وهى أكبر السفن الحربية فى مصر وأكثرها استعمالا ، وكانت أهم القطع التى يتألف منها الأسطول ، وهى سفن حربية كبيرة تتخذ بها الأبراج المظيمة والقلاع ، وتزود بالعدد الحربية ، وتجهز بالأسلحة والنفطية لتستعمل فى الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها إذا هاجمها العدو ، وبها اللجام وهو حديدة طويلة محدودة الرأس تقذف به سفن العدو لتغرقها . وبها أيضاً كلاليب وهى خطاطيف كبار من الحديد تطرح عليها فتوقفها (١) . ومنها الجلاسات Gyaléasses مفردها جلاسة وهى نوع من السفن الحربية الكبيرة تسير بالشراع والمجاذيف وهى أثقل وأقوى من الشينى . والمسطحات وهى من أكبر سفن الأسطول . وكذلك السلنديات وهى مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل فى أهميتها الشونة والحراقة . والبطسات وهى من أشهر أنواع السفن فى أيام الحروب الصليبية ، قد يكون لها أربعون قلماً (١) كانوا يشحنونها وقت الحرب بالآلات والأقوات والميرة والرجال والمقاتلة والأسلحة وآلات الحصار وكانت تحمل آلاف الجند ، ولها أسطح عالية ، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش . والغربان ولا يبعد أن يكون اسمها مأخوذاً من اسم الغراب لأن مقدمتها على شكل رأسه (٢) ، وهى تحمل الغزاة وسيرها بالقلع والمجاذيف منها ماله مائة وثمانون مجذافا . والمشاريات وتجر بعشرين مجذافا ، ولعلها كانت خاصة بالرؤساء ، كما يفهم من وصف عبد اللطيف البغدادى لها . والقوارب نافعة لغزاة المسلمين وقت الحرب فى البحر ، يكون فى كل قارب أربعة أو خمسة من الرماة يعينون غربان المسلمين على قتال غربان الفرنج

(١) نظم الحكم بمصر ص ١٨٢ .

(١) النوادر لابن شداد ص ١٤٩ .

(٢) خطط المقريزى ح ٣ ص ٣٢ — ٤٤ .

ألوانها . يبدو لنا ذلك مما يقحمه بعض المؤرخين — كابن إياس — من العبارات فى ثنايا رواياتهم التاريخية كقولهم فى سياق حادثة ما : و « كثر القيل والقال » و « أرجف الناس » و « فأشيع بين الناس » و « فضج الناس له بالدعاء » إلى نحو ذلك من العبارات . وأذكر أن ابن إياس قال فى إحدى عباراته ما مؤداه : « إن أهل القاهرة ما تطاق ألسنتهم ، وبل لامرىء تقع عيونهم منه على مذمة »

هذه العبارات وأشباهها تشعرنا بوجود ذلك الإحساس الذى أشرنا إليه ، وإن كانت ساذجة غامضة . غير أن هذا الإحساس لم تتح له حرية كافية للظهور والعمل خوفاً من المستبدين الطغاة ، ولم ينضج نضوجاً كافياً يسمو به إلى تكوين رأى عام له أثر فى سياسة الدولة وإدارتها .

على أن التاريخ يحدثنا أن الشعب كثيراً ما نهض إلى معونة حكامه فى حروبهم الخارجية ، وقدم إليهم ما طلبوا من الدواب والغلال والمال ، ولم يتأب كثيراً على الضرائب التى يفرضونها عليه ، ولكنه كان يتأبى عليها ويقاومها إذا كانت فادحة ظالمة . ومثال ذلك ما حدث فى عهد الأشرف الغورى ، فقد فرض ضريبة جائرة ضج لها الناس وثاروا فى وجه نائب سلطنته وغيره من الأمراء ، وعرضوا لهم فى الطريق ورجموهم بالحجارة ، فأعمل المماليك فيهم السيف وقتلوا منهم وأثخنوا فيهم .

والذى نحب أن نخلص إليه — ما سبق أن نوهنا به — وهو أن هذا الشعب المصرى الكريم — على علاته — تكمن فيه روح قومية فطرية قوية سليمة تحتاج إلى ما يظهرها ويحسن توجيهها ويسير بها فى الطريق السوى بما يعود بالنفع والعزة لهذا الوطن الكريم .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

وقراقيرها[١] . والبركوشات وهى مراكب صغار .

ومنها الحراقات وهى نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية ، وكان بها مرام ومنجنيقات تلقى منها النيران على العدو[٢] ، وكان فى مصر نوع آخر من الحراقات فى النيل استخدم لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية[٣] .

والحمالات وهى مراكب حربيــة تحمل الأزواد للرجال ، وآلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار والدبابات وأبراج الزحف وغير ذلك ، ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب ؛ والقراقير ، ولا تقف إلا فى المكان الغزير الماء لأنها سفن عظيمة تحمل الزاد والكراع والمتاع للأسطول ؛ والطرائد وهى سفن صغيرة سريعة الجرى كانت تستعمل غالباً لحمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً .

والشيطي ووظيفته الكشف والاستطلاع .

وعنى الخلفاء والسلاطين بتوفير الخشب للأسطول فكانوا يعينون له الحراج ومنها ما هو بالوجه القبـلى فى البهنسا وسفط والأشمونين وأسيوط وإخميم وقوص وغـيرها[٣م] ، والحراج أشجار من سنط لا تحصى كثرة فى أرجاء المملكة ، ويأمرون بحفظها ، وألا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجـة إليه[٤] ، وأحياناً تصنع من خشب الجميز ، وهو الخشب الذى جهز به الظاهر بيبرس شوانيه بدل ما تحطم له عند قبرص[٥] ، وحيناً يستخدم له شجر الأثل والنبق والسرو ، وكثيراً ما كانت الأخشاب تجلب من بلدان أوربا الجنوبية على أيدى البنادقة[٦] .

وكان لصناعة الأسطول ثلاثة أماكن بمصر هى جزيرة الروضة ودمياط والإسكندرية[١] ، ومواني‍ـه التى كان يرابط بها هى دمياط والإسكندرية وعيـذاب على شاطئ البحر الأحمر[٢] ، وعسقلان وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام قبل أن يغلب الفرنج عليها[٣] .

والظاهر أن جند الأسطول فى العصر الفاطمى كان مكوناً من المغاربة لمعرفتهم بعمالة البحر[٤] ، وفى عهد صلاح الدين استخدم جنوداً مغربية كذلك وجنداً من المصريين الأقوياء الأشداء[٥] ، وظل المصريون هم المورد الأساسى للأسطول حتى بعد انتقال السلطان إلى المماليك ، فإنا نجد بيبرس يجهز أسطولا لغزو قبرص ، فيه الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر ، وشهاب الدين محمد بن ابراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية ، وشرف الدين علوى بن أبى المجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط ، وجمال الدين مكى بن حسون مقدماً على الجميع[٦] ، فلمـا جاء خليل بن قلاوون رتب بالأسطول عـدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح[٧] وإن كان الجند المصرى له الغلبة أيضاً ، وكذلك جند المماليك فى الأسطول فى عهد الناصر محمـد بن قلاوون[٨] .

وكانت التعبئة البحرية تشبه أختها البرية أحياناً ، فقد يصنع أمير البحر من سفنه قلباً وجناحين ومقـدمة وساقة وقد يصنع مراكبه على شـكل نصف دائرة حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به ، وقد يقابل أمير البحر عدوه بمراكبه صفوفاً مستقيمة فتنطح مراكبه مراكب العدو باللجام قريباً من مؤخرها لتغرقها ، أو يشغل أمير البحر مراكب خصمه ببعض المراكب ثم ينقض عليه مرة واحدة من ورائه وهكذا[٩] .

(يتبع) **أحمد أحمد بدوى**

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

---

(١) تاريخ المماليك البحرية لعلى ابراهيم حسن .
(٢) محيط المحيط .
(٣) كما يفهم من كلام المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥ .
(٣م) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .
(٤) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٠٠ .
(٦) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .
(١) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٢٨٩ و ٣١٥ .

(٢) لين بول ص ١٥٥ .
(٣) صبح الأعشى حـ ٣ ص ٥١٩ .
(٤) خطط المقريزى حـ ص .
(٥) الحروب الصليبية للحريرى ص ١٨٧ .
(٦) النجوم الزاهرة حـ ٧ ص ١٥٤ .
(٧) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٦ .
(٨) المرجع السابق ص ٣١٧ .
(٩) نظم الحكم بمصر ص ١٨٤ .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

كاتب لا يعرف قدر نفسه :

سلامة موسى هو الكاتب الذى أعنيه ... ولو كان يعرف قدر نفسه لما تهجم على أستاذين يعرف قدرهما المثقفون لا أنصاف المثقفين من قرائه والمعجبين به ! .

لقد كتب حضرته كلة فى العدد (١٨٨) من مجلة المسامرات عن الشاعر الألمانى جيته تحت عنوان « مثلى الأعلى » ... ومن حسن حظ الشاعر الخالد أنه ودع الحياة قبل أن يعلم أنه مثل أعلى لسلامة موسى ، وقبل أن يقرأ كلة يستطيع أن يكتبها عنه بعض النابغين من طلبة المدارس الثانوية ! .

لا يهمنى أن أنقل للقراء ما كتب هذا الرجل فى مجال الحديث عن جيته ، لأن صفحات « الرسالة » تضيق بهذا الطراز من المعلومات التى يعرفها صغار الطلاب ... ولكن يهمنى أن أنقل إليهم هذه الفقرات التى تكشف عن مركب النقص فى الشخصية الأدبية :

« وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان الأول آلام فرتر الذى ترجه و « ألفه » الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والثانى فاوست الذى ترجه الدكتور محمد عوض محمد ... وكانا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلى لقصتى الشاعر الألمانى ، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليهما فى الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية » ! .

هذه كلمات رجل يتقلب على جمرات محرقة من مركب النقص ، ومركب النقص فى حياة سلامة موسى أنه تناول قلمه ليكتب منذ ربع قرن ، ومع ذلك فهو ينظر فيجد نفسه فى مؤخرة الصفوف ... من هنا ينبع حقده الدفين على هؤلاء الذين ارتقوا سلم المجد الأدبى فى وثبات وخلفوه على الأرض ! .

ترجمة الزيات عن الأصل الفرنسى لا تعجب سلامة موسى ، وترجمة عوض محمد عن النص الألمانى لا ترضى سلامة موسى ... وعلى الذين يريدون الوصول إلى الروح الأصلى أن يرجعوا إلى سلامة موسى وقلمه ، قلمه الذى يذكرنى بأقلام المترجمين فى روايات الجيب ! .

مركب النقص ولا شىء غير مركب النقص ... ولن يغير هذا المركب البغيض شيئاً من هذه الحقيقة المؤلمة التى يحس لذعها الرجل ، وهى أنه يوم تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربى المعاصر فلن يذكر فيها اسمه إلا فى مجال التسجيل الإحصائى ! .

إن الثقافة المهوشة والمعلومات المبعثرة لا يمكن أن تحتل مكانها فى تاريخ الأدب ، إلا إذا قدر لتاريخ الأدب أن يكتبه المعجبون بقلم الأستاذ سلامة من قراء « النداء » !! .

كرافتشنكو مرة أخرى :

إنك تذكره بلا ريب .. هذا الموظف الروسى الكبير صاحب « آثرت الحرية » . ولقد حدثتك فى عدد مضى من « الرسالة » عن الكتاب وصاحبه ، وعن تلك الضجة التى أثارتها حوله مجلة « لى ليتر فرانسيز » ، وهى الضجة التى شغلت الرأى العام الفرنسى قبل أن تأخذ طريقها إلى القضاء ، وشغلت الرأى العام فى العالم بعد أن دفع بها كرافتشنكو إلى أيدى العدالة مطالباً بمعاقبة خصومه طبقاً لنصوص القانون ! .

يقول خصوم المؤلف الروسى إنه كذاب يبرأ منه كتابه بكل ما حوى من تضليل وخداع ... ويقول كرافتشنكو إن لديه الدليل على صحة كل رأى سجله ، وكل قصة أتى بها ، وكل حادث أورده واستند إليه . والرأى العام بعد ذلك موزع الفكر بين مزاعم ومزاعم ، وبين وثائق ووثائق ، وبين شهود وشهود ، يترقب اليوم الذى يقول فيه القضاء كلمته ... وإنها لكلمة تقرر مصير الكتاب ومستقبل صاحبه ، وتحدد مكان الخصوم وسمعة الصحيفة الفرنسية .

كرافتشنكو فى رأى خصومه سكير ومحتال وجاهل وكذاب وخائن . ولكن تجريحهم لشخصيته يستند أول ما يستند إلى تلك الدعامة الكبرى من دعائم الاتهام وهى الكذب . أنهم يسلكون شتى الطرق بغية الوصول إلى هذا الهدف الذى تتحطم

على صخوره كل حقيقة من حقائق « أثرت الحرية » ، وهو أن كرافتشنكو كذاب بالطبع والسليقة .

فى هذه الدائرة يحصر القائمون على أمر المجلة الفرنسية جهودهم ، ويستمدون أدلتهم من واقع الكتاب وواقع الحياة . أما واقع الكتاب فقد قدمت إليك منه ثلاثة نماذج لثلاثة أسئلة وجهها الخصوم إلى صاحب « أثرت الحرية » عن بعض ماعرض له من وقائع هى فى رأيهم أوهام وأباطيل . وأما واقع الحياة فقد خطر لهم أن يواجهوا كرافتشنكو بزوجته السابقة لتدلى برأيها فيمن كان أقرب الناس إليها ، تلك التى كانت فى يوم من الأيام أقربهم إليه ... ومرة أخرى يقف كرافتشنكو فى مهب العاصفة!

إن الزوجة السابقة تقف اليوم فى ساحة القضاء لتنعت زوجها بالكذب وسوء الخلق وانحراف الطبع ، وإنها لتنتزع الأدلة على صدق قولها من أعماق الذكريات ، ومن واقع تلك الفترة التى جمعت بينهما تحت سقف واحد ثم دفعت بكل منهما إلى طريق ... ولقد كان زواجها منه جحيما لا يطاق ، خرجت منه بطفل تدعو الله ألا يرث شيئاً من أخلاق أبيه !

وهنا يقف كرافتشنكو ليزأر كحيوان جريح : إن هذا الذى تنطق به محض افتراء دنىء وادعاء باطل ... أليس عجيباً ألا أسمع إلا فى هذه اللحظة بأننى أب لطفل لا أعلم شيئاً من أمره ولامتى ولد ؟! إن الملقن الحقيقى لهذه الشهادة الملفقة هو الجستابو الروسى ولقد بعث بها من موسكو إلى هنا لتشهد ضدى ... هذه السيدة المحترمة التى لقى أبوها حتفه فى مجاهل سيبيريا تحت وطأة التشريد والتعذيب !

وتنهض الشاهدة مرة أخرى لتصرخ فى وجهه : إنك أكبر كذاب يا كرافتشنكو .. لقد طلبت إليك يوما أن تساعدنى على تربية طفلك فضننت عليه بعطفك دون أبوتك ، أما أبى فقد مات على فراشه فى موسكو ولم يمت كما زعمت فى مجاهل سيبيريا ! وإنك بعد ذلك لفى الطليعة من صفوف الخونة . . لقد أنكرت بنوتك لوطنك بالأمس فى « آثرت الحرية » وأنكرت أبوتك لولدك اليوم فى ساحة القضاء !

هذه هى المفاجأة الثانية من مفاجآت القضية المثيرة التى يترقب الناس نهايتها بشغف بالغ واهتمام كبير .. وفى انتظار كلمة القضاء نستطيع أن نؤكد حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل ، وهى أنه لو قدر لكرافتشنكو أن ينتصر على خصومه لكان انتصاره لطمة قاسية للشيوعية الروسية والفرنسية ! ترى من سيخرج من هذا النضال مرفوع الرأس ! سؤال نجد الجواب عنه فى الغد القريب .

رسالة من أديب ثائر :

سيدى الأستاذ أنور ،

هذه الرسالة لك وحدك لا للبريد الأدبى .. كيما أضمن الحرية لقلمى .

بلى يا سيدى ، هأنذا وقد رجعت إلى عدد « الرسالة » الماضى كما أشرت أرانى قد حرت وفى مخيلتى ما أعجز عن أن أصوره بيراعى . لقد نقلت لنا فى تعقيبك على كلمة الأستاذ الصعيدى فى مسرحية « الملك أوديب » بأنه إنما بنى انتقاده للمسرحية على أنها من الأساطير ، فهى من الاعيب كهان جهلة -- كما زعمت مما جعلك تسترسل فى قذفك له بذلك التهكم اللاذع ، حين رميته بسذاجة النظرة الخ .. وياليت الأمر قد وقف بك عند هذا الحد ، ولكنك قد اجترحت ما لا تغفره لك لغة قومك ولغتك التى نسبت إليها النقص ! وإنى أحيلك يا من تعرف غير لغتك إلى البحث عن أصول فن المسرحية والمبتغى منه ... ثم لتراجع المسرحية مرة أخرى وترجع بعد ذلك إلى رأى الأستاذ الصعيدى مدققاً النظر : هل ما أراد هو ما أردت ، أم أنه رأى فيما أورده « سوفوكليس » من حوادث مضطربة فى مسرحيته بعداً عن الغرض الذى سيقت له ؟ وهل بلغت أوج الكمال الفنى أم أنها بحق ألاعيب كهان جهلة ... ؟

وكأين من عجلة تجر صاحبها إلى حيث تتقطع راحتاه من الطرق على أبواب الندم .

وإلى الأستاذ أطيب تحياتى .

الثائر

محمد الهادي عطية

هل تستطيع أن تخرج بشىء من هذه الرسالة الرائعة ؟ إنها امتحان عسير لقدرتك على الفهم ، وتجربة طريفة لاختبار مقاييس الذكاء . أما أنا فقد رسبت فى الامتحان وأعلن ذلك على رءوس الأشهاد ! لماذا نشرتها إذن وقد بعث بها صاحبها إلى وحدى ؟ لقد نشرتها لسبب واحد ، هو أن أطمئن حضرة الثائر على أن

أعصابى تحتمل فى كل يوم كثيراً من اللغو الذى يضيع معه الوقت والفائدة ، ولأطمئنه أيضاً على أنى كما أبيح الحرية لقلمى أبيحها لأقلام الناس ، ولو بلغوا من النبوغ هـذه المرتبة العالية التى بلغها السيد عطية !

لقد خشى الأديب الثائر — وأتوسل إليه أن يترفق بأعصابه حرصاً على صحته الغالية — خشى أن يبعث بكلمته إلى « الرسالة » فلا تحظى بعطف « البريد الأدبى » ، ومن هنا بعث بها إلى كى يضمن الحرية لقلمه !

ترى هل اطمأن على أن كلامه القيم قد اطلع عليه القراء ؟ هذا هو الأمر الوحيد الذى تقطعت بسببه راحتاى من الطرق على أبواب الندم !

من عجائب الترجمة فى العصر الحديث :

تسمع فى العصر الحديث عن عجائب المخلوقات فهل سمعت عن عجائب الترجمة ؟

هذا موضوع طريف أعددته للنشر والتعقيب ، ولـكن الأستاذ الجليل صاحب الرسالة قد سبقنى إلى الإشارة إليه فى ثنايا كلمته التى طالعها القراء فى الأسبوع الماضى حيث قال : « يقع الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع ، فتحكيه الألسن وترويه الصحف ، فلا تجد لسانا يوافق لسانا ، ولا صحيفة تطابق صحيفة ! وتقرأ صحف العاصمة فى حادثة من حوادث المدن ، أو واقعة من وقائع الأقاليم ، أو أمر من أمور العالم ، فتجد له فى كل جريدة رواية تناقض كل رواية ، وصيغة تعارض كل صيغة ، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التنافر ، فتراها مثلاً يوم الأحد الماضى تجمع على أن الشُّرط اكتشفوا فى شارع من شوارع القدس لغما من البارود ، ولـكن (البلاغ) تنفرد بأن الذى كشفوه منجم من الرصاص ! »

هـذه هى إشارة أستاذنا الزيات إلى إحدى عجائب الترجمة حيث انفردت بها جريدة البلاغ . والخـبر الذى أذاعته وكالة « اليونيتدبرس » وترجمتـه الصحف المصرية ومنها « البلاغ » يتمثل فى هذه الكلمات : « اكتشف مراقبو هيئة الأمم المتحدة لغما أرضيا فى الطريق الموصل إلى بيت الحـكومة فى القدس ، حيث يقيم أعضاء لجنة فلسطين التابعة للهيئة . وقال المراقبون إنهم تتبعوا السلك المتصل باللغم إلى أن وصلوا إلى نقطة تابعة لإسرائيل المزعومة ، وإن اللغم كان فى المنطقة المحايدة التى تحيط ببيت الحـكومة . وأضاف المراقبون إلى ذلك أن تقريراً بهـذا الحادث سيرفع إلى المستر تريجفى لى السكرتير العـام لهيئة الأمم المتحدة ... الخ » .

لغم فى كل الصحف ومنجم رصاص فى « البلاغ » .. والذنب فى ذلك ذنب المترجم اللبق الذى رجع إلى القاموس فاكتفى بالمعنى الأول لـكلمة (Mine) ولم يكلف نفسه عناء الاطلاع على المعنى الثانى ! ولو فرض أن مترجم (البلاغ) لا يعرف غير معنى واحد للكلمة فـكيف غاب عن ذكائه أن الـكشف عن منجم رصاص لا يستحق كل هذه الضجة ، ولا يستحق أن يرفع بشأنه تقرير إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة ؟ ! كيف غاب عن ذكائه أن المعنى المقصود لا يستقيم مع « منجم الرصاص » فلا بد للـكلمة من ترجمة أخرى ؟ !

« تشنيعة » على السيريالزم :

قلت وأنا فى معرض الحديث عن المذهب السريالى فى العدد المـاضى من « الرسالة » إن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه فى فرنسا وهى موطنه الأول بسهولة ويسر ، لأن خصومه الكثيرين يهاجمونه فى عنف لا هوادة فيه ، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن ! . . . قلت هـذا بالأمس ، ويهمنى اليوم أن أقدم للقراء هذه « التشنيعة » الطريفة التى يهديها خصوم المذهب السريالى إلى الرسام بيكاسو :

أقام بيكاسو معرضاً لصوره فى إحدى المدن الفرنسية ، وفى يوم من الأيام الزاخرة بالزوار والمشاهدين ، وقف أحـد الفنانين يتأمل لوحة فريدة أشير إليها بهاتين الكلمتين : « هتك عرض » ! وقف يتأملها ساعتين دون أن يخرج بشىء يوضح الصـلة بين اللوحة وما جاء تحتها من كلـمات يأباها الذوق والسمع ... وعند ما هم بمغادرة المـكان شاكا فى ذكائه سمع صوتاً ساخراً يقول له :

— ثق يا صاحبى أن ذكاءك بخير ... لقد وقفت أمام هذه اللوحة ساعتين دون أن تفهم شيئاً ، فهل تعلم أننى وقفت أمامها أربع ساعات دون جدوى ، أنا الذى قُدمت إلى محكمة الجنايات ست مرات بتهمة هتك عرض ؟ !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأسمر يسطو على شعر الزين :

قال الشاعر الذي فقدناه منذ عام وبعض عام ، الأستاذ أحمد الزين ، في مطلع رثائه لشاعر النيل حافظ إبراهيم :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب وصوب دم أقضى به حق صاحب
أودع صحبي واحداً بعد واحد فأفقد قلبي جانباً بعد جانب
تسـاقط نفسي كل يوم فبعضها بجوف الثرى والبعض رهن النوائب
فيادهر دع لي من فؤادي بقية لوصل ودود أو تذكر غائب
ودع لي من ماء الجفون صبابة أجيب بها في البين صيحة ناعب

وأخيراً قال الأستاذ محمد الأسمر في تأبين المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا :

أفي كل يوم دمعة خلف غائب وفي كل يوم لوعة بعد غارب
رجال كأمثـال النجوم فثاقب مضى وهو لماع على إثر ثاقب
لأوشك دمعي أن تجف شؤونه على كل ماض ليس يوماً بآئب
إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب بدأنا رثاء بعـد ذاك لذاهب
أما يستريح الشعر في كل ساعة رثاء لحر ، أو رثاء لصـاحب

وقد كان الأسمر صديقاً للزين ، فهل استباح السطو على شعر صديقه الراحل بحق الصداقة ؟ وهل هذا نوع جديد من الوفاء بين الشـعراء ؟ أو هو مذهب جديد في الأدب يقضي بإرث الصديق للصديق فيما قاله من الشعر ..؟ أوحسب الأسمر أن الزين قد قضى وانطوى شـعره ، وأن أحداً لن يراه وهو يتسلل إلى مراثيه يستمد منها ما يجلجل به على المنابر ؟ على أنني عجبت للأسمر وما هو بالعاجز عن النظم ، أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً .. دع عنك اتحاد الوزن والقافية ، وانظر إلى الألفاظ والمعاني . اللهم إلا إذا قدرنا جهده الجبـار في استبدال (يوم) بـ (حين) والعدول عن (وقفة) إلى (دمعة) ثم تحويل (إثر ذاهب) إلى (خلف غائب) في البيت الأول مثلا ! وكأني به قد أمسك بكل بيت من أبيات الزين ، نخنقه ، فأخذ أجزاء منه ميتة فبنى بها بناء لا تسكنه روح ، فقضاء حق الصاحب بسفح الدموع قضى نحبه في البيت الأول على يد الأسمر ، وكذلك كان مصير فقدان القلب تباعاً من توديع الراحلين المتتابعين في البيت الثاني ، وهكذا لحقت بقية الأرواح النابضة في أبيات الزين بروح صاحبها وانتقلت إليه في العالم الآخر . وانظر إلى الزين يستبق الدهر بعض فؤاده ويسأله أن يدع من ماء الجفون ، ليقضي حق الصاحب الودود ويستجيب لداعي البين حين يصيح الناعب ، ثم انظر إلى الأسمر الملول الذي يطلب الراحة للشعر ، فالأول يندمج في جو الحزن ويستعذب بكاءه ويستبقي للآتي بعده ، أما الثاني فهو ضجر من وقفته يستعجل الخلاص منها ، فيقول :

أما يستريح الشعر في كل ساعة رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟

ولست أدري لم يرثى (الصاحب) إذا كان شيئاً آخر غير (الحر) ! كما لا أدري معنى التنويع بين الحر والصاحب ، ولم لا يكون الصاحب حراً ؟

وبعد فقد كان أحمد الزين وفياً لأصدقائه الراحلين من الأدباء والشعراء ، حتى لقد قصر مراثيه عليهم ، فهل هذا جزاؤه ممن رحل عنهم من الأصدقاء ؟ لكأنه كان يقول في نفسه حينما قال في حافظ :

وفيٌّ وفاء الرسل بين معـاشر نصيب الحي منهم وفاء الثعالب
يدورون بالأمداح يبغون مأرباً فيا ضيعة الأوطان بين المآرب

أو كما قال في ختام هذه المرثية الخالدة :

إذا الشعب بالإهمال أرسب عالياً فلا بدع لو يعلو به كل راسب

بين مدير الإذاعة وأم كلثوم :

لم يعد خافياً ما نشأ من خلاف بين الإذاعة وبين أم كلثوم في شأن إذاعة مسجلاتها الغنائية . ويظهر أن الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة قد هالته طلبات أم كلثوم الباهظة فوقف في سبيلها . ومن هنا نشأت بين الاثنين معركة طريفة ، تستمد

طرافتها من مظهرها ، فقد كتب الأستاذ محمد التابعي يدافع عن أم كلثوم ويقول باستحقاقها ما تطلب من مال ، ويهاجم شخص المدير . ورد عليه الأستاذ عبد الرحمن الخميسي بمقال في جريدة « المصري » عنوانه « الأغاني في السوق السوداء » وصف فيه الأستاذ التابعي بأنه صديق أم كلثوم . ونشرت « البلاغ » مقالا بعنوان « الآنسة أم كلثوم تتقاضى أكبر مرتب في الدولة » ثم نشرت « أخبار اليوم » مقالا هاجمت فيـــه مدير الإذاعة وحسبت ما يتقاضاه من الإذاعة ومن معاشه في الحكومة فإذا هو ٣٠٦٠ جنيها سنويا على حين أن مرتب رئيس الوزارة ٢٥٠٠ جنيه فقط .

وكأن مؤيدي أم كلثوم يقولون ليست هي وحدها التي تأخذ مالا كثيراً من الإذاعة أو تريد أن تستزيد من المال .. ولكن هل هذا يبرر مطالبها ؟ إنها الآن تأخذ من إذاعة مسجلاتها ٦٣٠٠ جنيه في السنة وتريد أن تزيدها إلى عشرة آلاف وثمانين جنيها ، وكل ذلك دون أن تبذل أي جهد ، ولكنها وجدت الإذاعة « مســلا » فتريد أن « تلحسها » كلها ..

كشكول الأسبوع

◘ كان المقرر أن يجرى الانتخاب بالمجمع اللغوى يوم الإثنين الماضي لاختيار أحد المرشحين لملء الكرسى الخالى به ، ولكن حال دون ذلك مرض معالى الأستاذ أحمد لطفى باشا رئيس المجمع الذى يعالج الآن بمستشفى الدكتور عبد الله الكاتب ، عجل الله لمعاليه الشفاء ومنحه الصحة والعافية .

ولذلك تقرر تأجيل الانتخاب إلى أن يتم شفاء معالى الرئيس . وهناك اتجاه إلى أن يستمر هذا التأجيل إلى أن يمضى أربعون يوماً على وفاة الجارم بك ، ثم يجرى الترشيح للكرسي الثانى ، ثم الانتخاب للكرسيين .

◘ نشرت « الأهرام » وبعض الصحف الأخرى ما يلى : « طلب إلينا الدكتور طه حسين بك أن ننشر أنه أزمع الانصراف عن الكتابة فى الصحف إلى حين »

◘ انتهت لجنة التحكيم فى مسابقة الثقافة العامة بوزارة المعارف من عملها ، وأعدت نتيجة المسابقة ، وقد فازت قصة « بعد الغروب » بدرجة الامتياز فى القصة الطويلة ، واستحق كاتبها الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله الجائزة الأولى وقدرها ١٥٠ جنيهاً .

◘ أعلن المجمع اللغوى أن لجنة الأدب به بحثت ما قدم إليها من الإنتاج الأدبى لسنة ١٩٤٩ فوجدت أنه لم يبلغ الدرجة التى تسوغ منحه الجائزة . وقد أحسن المجمع فى ضنه بالجائزة على ما رآه دون المثل الذى يستحقها ، ولكن الجدير بالبحث بعد ذلك هو لماذا لم يقدم إلى المجمع ما يستحق الجائزة .

◘ من الإنتاج الأخير للأستاذ المرحوم على الجارم بك ، بحث ألقاه فى مؤتمر المجمع اللغوى عنوانه « الجملة الفعلية أساس التعبير فى اللغة العربية » قرر فيه أن العربى جرت سليقته على الاهتمام بالحدث فى الأحوال العادية الكثيرة ، فيبدأ الجملة بالفعل ، وقد يلتجىء إلى الجملة الإسمية إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل .

◘ نشرت الأهرام أن محطة الإذاعة بإحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ، أذاعت برنامجا يدور حول كائنات تغزو الأرض من المريخ فأحدث ذعراً فى الجمهور الذى هجم على المحطة وأحرق دارها .

والحمد لله على أن إذاعتنا لم تبلغ هذا المبلغ من الإزعاج ، فلا يتجاوز ما تذيعه إحدى تمثيليات يوسف وهبي ، والناس لا يهجمون — بعد سماع برامجها — إلا على (الاسبرين) .

◘ وضع معالى وزير المعارف مشروع إنشاء جامعة « محمد على » بأسيوط ، توطئة لعرضه على مجلس الوزراء ، ويتضمن هذا المشروع أن على الجامعة بجانب شؤون التعليم أن تشجع البحوث العلمية وتعمل على ترقية الآداب والعلوم فى البلاد .

◘ تساءل الدكتور أحمد أمين بك فى إحدى جلسات المجمع اللغوى عن الفائدة العملية لكتابة الهمزة والألف اللينة أشكالا وألواناً كالبهلوان .

وعقدة الخلاف أن الإذاعة تحرص على رضاء المستمعين وعدم حرمانهم غناء أم كلثوم وهي تعلم ذلك فتغالى فى الثمن وتعلم أيضاً مكانها (خاطرها) من أعضاء مجلس الإذاعة .

ولولا أنى لا أريد أن أنتقل من الجد إلى المزح لاقترحت أن ينقل أمر الإشراف على الإذاعة من وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وزارة التموين ليعالج الأمر وزيرها الرجل العظيم صديق الشعب الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، فيضم مسألة الغناء إلى مسائل السكر والصابون والصودا الكاوية ..

ولكنى ألزم الجد ، فأقول إن الأمر يتطلب الحزم والصرامة فى سبيل الصالح العام ، فحرام أن تبدد أموال الدولة ، والدولة فى حاجة إليها ؛ فهذه الأموال إما أن تكون الإذاعة محتاجة إليها فى تدبير شؤونها كتحسين البرامج وإنصاف الموظفين وغير ذلك ، وإما أن تكون زائدة على حاجتها فمثل الدولة لها ألف وجه ووجه .

جوائز فاروق الأول :

أقيمت حفلة لجوائز فاروق الأول فى العلوم الاجتماعية والكيميائية والجيولوجية وعلوم

الحياة بجامعة فاروق بالاسكندرية فى عيد الميلاد الملكى . وألقى معالى وزير المعارف كلمة اللجنة الدائمة للجوائز ، فأعلن فيها ما وصلت إليه لجان الفحص لسنة ١٩٤٩ ، وقد رأت هذه اللجان أن الكتب والبحوث التى فحصتها لم تستوف بعض الشكليات والشروط لاستحقاق الجوائز .

وكانت لجان الفحص قد غربلت ما قدم لها ، ثم صفت ما غربلته ، فكانت الصفوة : كتاب « أسس الصحية النفسية » للدكتور عبد العزيز القوصى عميد معهد التربية العالى ، وكتاب « ساڤونارولا » للدكتور حسن عثمان الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فاروق ، وكتاب « السودان فى قرن » للأستاذ مكى شبيكة ، وبحث فى الجيولوجيا غير مطبوع للدكتور رياض عبد المجيد حجازى . فأوصت لجان الفحص بإيفاد حضراتهم إلى الخارج على نفقة الدولة تمكيناً لهم من وسائل البحث والدراسة بالاتصال بالمعاهد العلمية والهيئات العالمية . وكان الدكتور القوصى والدكتور حسن عثمان موجودين فى الحفلة ، فصافحهما مندوب جلالة الملك . أما الأستاذ مكى شبيكة والدكتور حجازى فهما فى الخارج ، الأول مبعوث من كلية غوردون السودانية إلى إنجلترا والثانى فى بعثة من وزارة المعارف إلى أمريكا وقد مدت له اللجنة مدة البعثة .

وقد نوه معالى وزير المعارف بأسماء المختارين الأربعة ، وأشاد بجهودهم العلمية ، وأشار إلى أن الغاية من تنظيم هذه الجوائز التى يتفضل بها جلالة الفاروق ، هى رفع مستوى الإنتاج العلمى ، فإذا رأت اللجنة الدائمة عدم استحقاق الجوائز فإنها تلجأ إلى وسائل أخرى تؤدى إلى تلك الغاية ، مثل إيفاد العلماء إلى الخارج لأنه يسهل لهم سبل البحث واستكمال الدراسة .

ولاشك أن هؤلاء الأربعة المختارين — وإن كانت مؤلفاتهم لم تنل الجائزة المادية — قد نالوا ما هم أهله من حسن التقدير والتكريم ، وخاصة الدكتور عبد العزيز القوصى ، فهو من مفاخر مصر فى علم النفس ، وله مكان ملحوظ فى المجامع العلمية بالخارج .

بناة النهضة :

نظم قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية سلسلة من المحاضرات العامة موضوعها « بناة النهضة المصرية فى القرن العشرين » شملت أنواعاً مختلفة من النهضات ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، وكان آخر حلقة فى هذه السلسلة محاضرة للدكتور محمد صلاح الدين بك عن بناة النهضة فى المسرح والموسيقى ، فتحدث عن الموسيقى من عهد محمد عثمان وسلامه حجازى إلى عبد الوهاب وأم كلثوم ، وتحدث عن المسرح من سلامة حجازى أيضاً إلى زكى طليمات ، وقد بين أهمية من تحدث عنهم فى الفن وأثره فى تطوره ، فسلامه حجازى زاوج بين المسرح والغناء ، وجورج أبيض استطاع أن يجعل للتمثيل قيمة مستقلة عن الغناء ، ومحمد تيمور وزملاؤه من هواة المسرح المثقفين كانوا طبقة ذات أثر كبير فى ارتقاء المسرح ، ومن هؤلاء زكى طليمات الذى لا يقتصر على الجهد الفردى فهو يصنع الآن جيلا جديداً يرجى على يديه عهد جديد للتمثيل فى مصر ، وكذلك فعل فى الموسيقى ، وقد وقف طويلا مع سيد درويش ، وقال إنه استطاع أن يجعل الفن ذا موضوع ، ومن عبقريته أنه ذهب فى التجديد إلى مدى بعيد مع الاحتفاظ بالأصول الشرقية للنغم والموسيقى .

هذا وقد نشر فى الصحف عنوان هذه المحاضرة هكذا « بناة النهضة الأدبية » واحتشد جمهور كبير فى قاعة يورت التذكارية ، وقدم رئيس قسم الخدمة العامة ، للمحاضرة بكلمة قال فيها إن المقصود بالنهضة الأدبية نهضة المسرح والموسيقى لما لهما من شديد الصلة بالأدب . وقد ألم هذا الوضع وهذا الجو إلى تقصير فى هذه السلسلة ، إذ أهمل فيها الجانب الأدبى إهمالا تاماً ، ولم يذكر رئيس الخدمة العامة سبباً مبرراً لهذا الإهمال . قد يقال إن الجامعة حرة فيما تختار من الموضوعات ، ولكنها محاضرات عامة تدعو إلى إلقائها بعض قادة الرأى والفكر فى مصر ، ومن تمام الفائدة أن تستوعب الجوانب المختلفة ، ولم يكن ينبغى أن يهمل الحديث عن النهضة الأدبية وهى أم النهضات جميعاً ، حتى أنك لا تجد نهضة إلا كان الأدب لسانها والأدباء باعثيها وداعين إليها .

عباس خضر



نصيب العلم :

كان من صدى الإعلان فى « الرسالة » عن كتاب عالم الذرة ثلاث رسائل لا أكثر من بعض القراء . وصاحب إحداها يفرض علىّ جزاء لقراءته مقالاتى فى الرسالة أن أقدم إليه كتابى مع الشكر ، وأنا أقول له :

أنت غال وقد طلبت رخيصاً ينفع العلم إن تنله قنيصاً

وصاحب الرسالة الثانية يطلب الكتاب هدية لا قيمة لها جزاء تدلله فى حبى . وقد حبر بهذا الكتاب أربع صفحات . وأنا أظنه من حسناء ، حتى كدت أعتقد أنى أخو أفروديت أو ابن فينيس ، أو أنى كيوبيد بعينه على الرغم من أنى « بلغت من الكبر عتياً » والسنون « قد أحوجت سمعى إلى ترجمان » وما انتهيت من تلاوة الرسالة حتى رأيت نفسى أمام مرآة .

وصاحب الرسالة الثالثة قصم رقبة ضنى بأن استشفع بعيد ميلاد فاروقنا المعظم لأنه كتبها فى يوم العيد السعيد . وإنه أرجو من حضرات القراء الكرام أن يعلموا أنى أغلقت باب الشفاعات لكيلا يستشفعوا بالنبى الكريم وبالمسيح الرحيم . وخير لهم أن يتشفعوا بالقروش العشرين إن كانوا يرون أن كتابى يساوى هذا الثمن السقيم ، والحمد لله رب العالمين .

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

لا وجود إلا وجود واحد :

لا شك أن آفة الشرق هى الغرب ، وأن داء الشرقيين المستفحل هو إيمانهم بأن كل ما أتى به الفكر الغربى من مذاهب هو المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذيه كل فكر ينشد الكمال . ونحن العرب نتخذ دائماً من المعايير الغربية مقاييس أفكارنا . فإن خالفتها فهي مبهمة غامضة ، وإن سارت على منوالها فهى واضحة جلية ، ولا نفكر مطلقاً فى أن نمتز بنتاج الشرقيين بل ننظر إليه من خلال المذاهب الغربية التى تحول دون فهمه فهماً صادقاً ، وتفسد أحكامنا عليه .

وها هو الأستاذ نقولا الحداد لم يستطع أن يفهم مضمون حقيقة وحدة الوجود عند طاغور ؛ لأن ذهنه مشبع بمذاهب الغربيين فى هذه الحقيقة . ولا يدرى كيف يحدد موقف طاغور بالنسبة للذين يقولون بأن أصل الوجود جوهر واحد سواء أكان روحياً أو مادياً ، أو بالنسبة للذين ينادون بثنائية الوجود أو يعتقدون بجوهرين هما الروح والمادة ، لأنه تعود أن ينسب كل رأى إلى فكرة غربية مماثلة لها ، ويقارنها بها ؛ فإن لم يجد لها نظيراً صعب فهمها عليه . ولذلك يجب علينا جميعاً أن نتعود فهم الأفكار الشرقية وعقولنا خالية من النظريات الغربية ، فإنها تشتت أذهاننا وتبلبلها فتأسرها فى مكان ضيق لا تقدر أن تدرك ما خارجه ، وإن حاولت عجزت عن فهمه .

وكما هال الأستاذ الحداد أن يكون منبت حقيقة وحدة الوجود هو الشرق ، ولم يكن أول قائل لها هو اسبينوزا ، فأخذ يستوضح عن صلتها بالدين الهندوكى وتغافل عن أن أفلوطين قد تأثر بأفكار الهنود فى وحدة الوجود الروحية ، وأتى من قبل اسبينوزا بمذهب فيها ، قد تأثر به اسبينوزا نفسه كما تأثر ببعض المتصوفين الإسلاميين الذين تكاد كل نظرياتهم فى التصوف مستمدة من صلب التعاليم الهندوكية .

أما كيف عرف الهنود تلك الوحدة فيرجع ذلك إلى عهد يبعد فى القدم إلى أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، يوم كانوا يؤمنون بآلهة كثيرة تمثل مختلف قوى الطبيعة وشتى مظاهر الكون . ويوضح « الفيدا » وهو كتاب هندى مقدس لا يعرف واضعه أو واضعوه — ماهية كل إله . ويذكر الأدعية التى ترفع له ، ويبين القرابين التى تبذل من أجله . ولا يشير كتاب الفيدا إطلاقاً إلى حقيقة وحدة الوجود التى جاء بها « اليوبانيشاد » من بعده وهو كتاب هندى دينى آخر مجهول مؤلفه أو مؤلفوه . يضع فلسفة الهنود الهندوكية فى وحدة الوجود ، ويضم كافة الآلهة الهندية فى إله واحد يشملها جميعاً ويحل فيها ، وهو براهما الذى يستمدون وجودهم من وجوده ، ولا يعبدهم الهنود إلا لأنهم آلهة يتجلى منها الإله الأكبر « براهما » الذى يكمن فى كل شىء فى الكون . وإن مظاهر عبادة الحيوان وتحريم قتله ، وتقديس الأشجار ومنع قطعها ، والتبرك بمياه الأنهار ، يبين لنا كيف يعبد الهنود الظاهرات الطبيعية التى يستقر فيها براهما .

وتناول طاغور هذه الحقيقة بتفكيره الشاعرى وعرضها بخيال الفنان الملهم فى أسلوب روحى يفيض عذوبة وحلاوة .

فإن اعترى أفكاره عند تأملها عقلياً بعض الإبهام ، فلا يجب أن نلومه لأنه شاعر قبل أن يكون فيلسوفاً ، وما أراد لنفسه أن يكون فى يوم من الأيام فيلسوفاً ، وإن ارتضى أن يكون شاعراً حكيما . فهو ليس صاحب مذهب محكم التصميم يستند فى تفسيره على منهج عقلى منظم . ولم يخط كتاباً فلسفية قط .

وإن حاولت أن أستخرج من كتابه « Sadhana » أصول فلسفة أعالج فيها المشاكل الميتافيزيقية والأخلاقية والفنية التى اشتغل بها طاغور بطريقة لا تمت لطرق الفلسفة بصلة ، فإنما ذلك رغبة منى فى أن أعرض أفكار حكيم فى أسلوب فلسفى لا غير .

لقد زعم طاغور أنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة لا تحتمل التفرقة بين خالق ومخلوق ، وجودها روحى ، وأن ما يبدو فى الكون من مادة فهى مظهر خادع يخفى براهما المستقر داخلها ؛ لأن براهما حين امتلأ بالسرور — ذلك السرور الذى لم يبين لنا طاغور كنهه ، أو يذكر سبب نموه فى براهما حتى امتلأ به — فصدرت عنه الخليقة لم يفصل بينه وبينها فصلا تاماً ، وإنما كن فيها وأعطى للانسان فرصة للعودة إلى منبعه الذى انبثق منه ، بمنحه حرية التصرف فى شئون دنياه ، وتقييده بقانونه الأخلاقى ومن يقطع الصلة بين براهما والمخلوقات يقع فى «المايا» أى الباطل الذى يخيل إليه أن الباطل مستقل عن المخلوقات بينما براهما يتجلى فى الكون فى صور القوانين التى يتقيد بها هذه المخلوقات فتخضع روح الإنسان للقوانين الأخلاقية ، ويخضع جسده وجميع محتويات الطبيعة الأخرى للقوانين الكونية . ومعرفة هذه القوانين معرفة لله المتحد بكل شىء . إلا أنه لا يكفى للانسان أن يعرف هذه الوحدة ليصل إلى الكمال الروحى ، وإنما يجب عليه أن يعرفها ويحياها معاً ويحس ببراهما الذى يوجد فى كل جزء من أجزاء الكون إحساساً حياً ، تنطق نه كل حركاته من أفعال وأقوال ويدمج شعوره بفرديته فيها جميعاً بحيث لا يستطيع أن يميز بين وجوده وبين سائر الموجودات .

وإذا أراد الأستاذ نقولا أن يعرف المزيد وكيف يفوز الإنسان بهذه الحياة فإنى أرجعه إلى ما سبق أن نشرته فى مجلة الرسالة عن طاغور وما سأنشره قريباً إن شاء الله عن فلسفة طاغور الأخلاقية والفنية .

عبد العزيز محمد الزكي



في ميــــدان الجهاد

للأستاذ وهبي إسماعيل حقي

إلى المجاهد الكبير، من اجتمع إلى حكمة الشيوخ عزمات الشباب، صاحب الدولة «أحمد باشا حلمي» وفقه الله في مهمته ...

كان الوقت ليلا، وكانت السماء صافية الأديم، وكان القمر يرسل أضواءه الفضية الساطعة، فتملأ الأرجاء أمنا، وتغمرها نوراً، ولولا أن الجو تتمشى في جنباته موجات من برد فبراير القارس لتبدلت الحال، ولخرج الناس من مكامنهم ليستمتعوا بهذه الطبيعة الأخاذة، ويستنشقوا عبير النسيم الذي انبعث من البحر الأبيض يحمل النشاط والقوة، ولما لجأت «كتيبة الإيمان» — إلى ذلك الكهف الذي اتخذته مقر لقيادتها، في إحدى جبال فلسطين الكثيرة، والتف أفرادها حول النار ليصطلوا.

وكانت هذه الكتيبة واحدة من الكتائب التي ألفت جيش الإنقاذ الذي خفَّ إلى فلسطين حينما وضح اليهود عن المغالاة في مطامعهم بإثارة الغارات — من آن لآخر — على القرى العربية الآمنة، ومثلوا معهم تلك الأدوار التي حدثنا عنها التاريخ في عصور الجاهلية الأولى، من هتك الأعراض، وسلب الأموال وقتل الضعفاء من الشيوخ والأطفال.

واتخذت كهفاً واسعاً مركزاً لها، فيه توضع خططها الحربية، وفيه تحفظ المؤونة، ومنه تشن الغارات ضد الصهيونيين العتاة.

كان ضوء القمر على باب الكهف يعاون أشعة النار في تبديد الظلمة، فيستطيع الإنسان أن يميز وجوه الحاضرين، فيرى فيهم الأبيض والأسمر، والأسود والأشقر، ويرى فيهم الطويل والقصير.

فهؤلاء الأربعة البيض الذين اتخذوا مجلسهم قريباً من الموقد، تنبئ ملامحهم أنهم أوربيون: فأما المملاقان — اللذان تشع من عيونهما أشعة القوة والجد، وينبعث منها بريق الأمل — فهما من إحدى المدن الألبانية التي تغذي أهلها بلبان الحرية، ومن أجلها حاربا الطليان والألمان، ثم حاربا الشيوعية، وأخيراً تركا الوطن إلى إيطاليا فراراً بعقيدتهما.

وأما هذا القمىء العريض المنكبين الذي اتسمت آيات الحزن على صفحة وجهه، ولاح الامتعاض وحب الانتقام في أساريره، فإنه من تلك القرية البوسنوية المسلمة التي أغار عليها ذلك الوحش الآدمي المجرم «ميخائلوفيك» فحرق رجالها وهم يؤدون صلاة العيد في أحد مساجدهم، وأجبر نساءها أن يرقصن على الثلج عاريات، بعد أن سلبهن الشرف والعرض، ثم أعدمهن رميا بالرصاص. وكان من حظ رفيقنا هذا أن تأخر عن شهود الصلاة فنجا من الموت، وفر إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا.

أما هذا الذي يشبه الصيني إلى حد بعيد فهو من تتار بولونيا غادر بلاده بعد الزحف الروسي ليحارب الظلم والاستبداد فوصل إلى جبال ألبانيا وحارب مع عصاباتها جيوش المحور.

وجمعت المقادير بين الأربعة في أحد معسكرات إيطاليا، واستمعوا إلى تلك الفظائع التي يرتكبها اليهود مع عرب فلسطين فهبوا للدفاع عن الحقوق المهضومة ورد العدوان الصارخ.

أما الباقون من أفراد الكتيبة فيستطيع من يراهم أن يعرفهم بسيماهم ولكنتهم العربية، فنهم المصري والسوداني، ومنهم السوري والعراقي والمغربي واللبناني ومنهم غير هؤلاء كثيرون.

اجتمعوا حول النار في الكهف يتشاورون ويتباحثون في الأعمال التي يجب أن يتبدئوا بها في غدهم.

وقال قائدهم الأكبر، وهو فلسطيني أتم علومه في ألمانيا، ودرس الفنون الحربية في معاهدها، ونبغ في الهجوم الخاطف: في الصباح المبكر سنهجم على مواقع العدو القريبة منا في ناحية الشمال.

واستقر الرأي أن يبدأ الهجوم من الساعة الخامسة قبل أن تبزغ الشمس، ويملأ نورها الجو، وصدرت الأوامر للجميع

أن ينظفوا أسلحتهم ، وأن يتموا استعدادهم ... وتفرقوا إلى مضاجعهم فى زوايا الكهف ، وفى الساعة الرابعة جلجلت أصوات المؤذنين فى الفضاء : « الصلاة خير من النوم » فهرع الكل إلى الينبوع الذى لا يبعد كثيراً عن الكهف وأسبغوا الوضوء لصلاة الفجر ، وأمهم قائدهم . ولما قضيت الصلاة ، توجهوا إلى الله مخلصين أن يهيء لهم النجاح فى مسعاهم ، وأن يكتب لهم النصر على أعدائهم .

ورجعوا إلى مقرهم فلبسوا أسلحتهم وحملوا أمتعتهم وخرجوا إلى باب الكهف يقطعون المسافة أمامه ذهوبا وجيئة وهم ينتظرون الأمر بالانقضاض ، وكل منهم يهمس لأخيه : متى سنذهب ؟ لقد تأخرنا اليوم ! .

ثم دوى فى الفضاء صوت جهورى تردد صداه فى جنبات الوادى : استعدوا .

فخشعت الأصوات ، وشمل الحاضرين سكون رهيب ، وتراص الجميع فى صفوف منتظمة ، ووقف على رأس كل صف ضابط ينادى الجنود بأسمائهم .

ثم برز القائد الأعلى وخطب فيهم يستنهض الهمم ويستحث العزائم فقال : لست أراني فى حاجة لأن أذكركم بما يجب على الجندى فى الميدان من الاستبسال فى القتال ، والحرص على الفوز. لا أملك إلا أن أقول : علينا أن نصل إلى النصر بأى ثمن

فرد الجند من أعماق قلوبهم : إننا — بعون الله تعالى وحسن قيادتك — منتصرون . « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

وزحف الجنـد فى حذر ، وكانت النجوم لا تزال تؤدى رسالتها فى كبد السماء ، ترشد الضال ، وتنير الطريق . وكان البرد قد بلغ النهاية فى الشدة ، ولكن الكتيبة ما كانت تقيم له فى حسابها وزنا كأن حرارة الإيمان بددت من حولها برودة الطقس

وكان على الجند الزاحف أن يقطع مسافة غير قصيرة ليصل إلى خنادق العدو التى توفرت له فيها أسباب الراحة وألوان المتع ، وكميات من الزاد والذخيرة لا تحد ... ففيها الفرش الوثير ، والطعام الكثير ، والعتاد الوفير ، الذى انثال على اليهود من كبريات دول الغرب .

وحين أصبحوا غير بعيد من مراكز العدو استمعوا إلى القائد يصيح فيهم : تأهبوا للهجوم . فانقسموا إلى أربع فرق ، كل فرقة لا تعدو العشرين ، وإن هى إلا لحظات حتى كانوا مرهفى الحس لتلقى أمر القائد .

ووصلوا إلى المنطقة التى تجب فيها الحيطة ويلزم الحذر ، حيث الألغام المبثوثة ، والأسلاك الشائكة والقنابل المنثورة . ولم يمض إلا قليل حتى دوت أصوات الطلقات فى الفضاء ، فعلموا أن الحراس قد أحسوا بهم ، وأنهم يستعدون للقائهم .

وانبطح أفراد الكتيبة على الأرض ، وابتدأت المعركة ، وكانت رعدة من البرد قد سرت فى أجسادهم حين افترشوا الأرض ، لكنها لم تلبث أن تبددت عندما حمى الوطيس .

ثم تعالت صيحات الفزع من خنادق الصهيونيين ، وارتفعت أصوات السب واللعن لمن حرمهم لذة التمتع بالنوم فى ذلك الوقت الباكر .

وأخذ أفراد الفرق يتقدمون رويداً رويداً زحفاً على البطون ووابل الرصاص يمرق من فوق رءوسهم فلما كانوا على خمسين متراً من مقر الأعداء ، تزايدت الطلقات ، فلم يعقهم ذلك عن التقدم فى العراء .

وقد أطلقوا العنان لأسلحتهم تقذف بنيرانها إلى الخنادق التى لم تتأثر بها كثيراً ، فكانت تصدم بالجدر المتينة ثم تعود من حيث أتت حسيرة ، لأنها لم تبلغ الغاية ، ولم تقم بالمهمة .

ونادى القائد نداءه الصارم : أيها الجنود البواسل ! الكلمة الآن للقنابل ... ليهجم الصف الأول على الخنادق الكامنة إلى اليمين . وأما الثانى والثالث فليقوما بالهجوم على الخنادق فى الشمال . وليقف الرابع بالمرصاد ، ليتقدم إلى من هم فى حاجة إلى مساعدته .

وبدأت الشمس تنشر أشعتها فى صفحة الكون ، فتبعث الدفء وتخفف حدة البرد ، وتجلى الموقف على حقيقته ، فهاتان قوتان تمتركان : أما أولاهما فهى قوة الظلم والعدوان ، وحوش فى زى الإنسان وجائرون فى لبوس ذوى الحق المضاع والجناح المهيض . وهم من أجل ذلك يرتمشون فرقاً ، ويرتمدون خوفاً كلما التقوا مع المجاهدين فى ميدان ؛ لأنهم لا يعرفون الحكمة ولا الداعى لمحاربتهم لهؤلاء الوادعين الذين أمنوا فى أوطانهم ، واطمأنوا فى ديارهم .

أما القوة الثانية فهى قوة الحق تتمثل فى هـذه الحفنة من الأبطال الذين خرجوا من ديارهم وأبنائهم ، واستلوا سيوف

العدالة ليبطشوا بالذين استباحوا الحرمات ، واعتدوا على الحريات ، وعاثوا فى الأرض فساداً ... إنهم حين يندفعون إلى الأوكار اليهودية ، قد وقر فى نفوسهم ، وارتسم فى أذهانهم تلك الفظائع التى ارتكبها هؤلاء الأشرار من سفك الدماء ، وتقتيل الأبرياء ، وهتك الأعراض ، وتشتيت الأسر ، وبقربطون الحبالى ، فتلتهب عزائمهم وتمتلىء نفوسهم بالشجاعة والقوة ، ويشعرون بالارتياح فيتقدموا إلى العدو وهم أشد تعطشاً لسفح دمه ثأراً لإخوانهم .

واستطاع جند الكتيبة أن ينفذوا إلى الخنادق ، وفى داخلها نشبت المعركة ، واشتد القتال . فلم يثبت لليهود قدم ، ووجلت قلوبهم ، وارتخت أعضاؤهم ، ولم يكن لهم هم سوى البحث عن الوسيلة للفرار .

ووقف بعض الجند من كتيبة الإيمان يقتلون من زينت له نفسه الهرب على باب الخندق ، وهم يصيحون من الفرح : أين موسى شرتوك الذى سول له شيطانه أن يفخر برجاله فى العالم أجمع ؟ أهؤلاء هم الرجال الذين هددوا باحتلال الأراضى المقدسة حتى الحدود المصرية ؟. أهؤلاء هم الذين نشروا الخوف وأشاعوا الرعب فى ربوع فلسطين الآمنة ؟. هاهى حصونهم لم تحمهم منا ؟ وها هى أشلاؤهم قد تناثرت حولها ؟ وها هى أسلحتهم واستعداداتهم لم تحل بيننا وبينهم . إنهم باغون وعلى الباغى تدور الدوائر .

واحتلت الكتيبة خنادق اليهود . وتولتهم الدهشة من عجيب ما رأوا فيها ، فهى مزودة بكل طريف من الكماليات فضلا عن الضروريات : فهذه وسائل التدفئة الحديثة ، وتلك آلات الكهرباء ، وهذا رياش فاخر ، وذاك معين من المؤونة لا ينضب ، إلى غير ذلك مما لا يدع للشك مجالا فى أنهم كانوا يعتقدون أنهم فى هذه الأماكن مخلدون .

وتراءى لأفراد الكتيبة عظم الفرق بين القوتين وبين الاستعدادين ، كعظم الفرق بين السماء والأرض ... وانخلعت قلوبهم من الحيرة لهزيمة هؤلاء الصهيونيين مع هذا المدد الوفير ، وهذه العدة البالغة ، وأيقنوا أن النصر للقوة المعنوية دائماً ، وللقوة المادية نادراً .

وألقى الجنود نظرات خاطفة على عتاد الأعداء ليحملوا ما هم فى حاجة إليه من متاع وسلاح ، ثم التفوا حول قائدهم ليصغوا إليه وهو يأمرهم بملاحقة الأعداء ومواصلة الهجوم حتى يجتنوا ثمار النصر ناضجة ، فانبسطت الأسارير ، وارتسمت على الشفاه بسمات الفرح بذلك النصر المبين . وتزايد سرورهم حين عرفوا أن عدوهم لا ينقصه إلا ثلاثة قد لقوا حتفهم برصاصات صهيونية غادرة .

وتعانق الجميع عناقاً سريعاً حاراً ، تعبيراً عن ابتهاجهم بهذا الفوز الحاسم ، ثم انصاعوا لأمر القائد الذى ناداهم : إلى الأمام أيها الأصدقاء ؛ فعلينا أن نحتل جميع المراكز القريبة لنتم تطهير المنطقة كلها .

واستبسل اليهود فى الدفاع عن مراكزهم ، ونشطت مدافعهم الثقيلة والخفيفة ، وأطلت فوهاتها من فتحات الخنادق لتقذف الحمم ، وتجاوبت الطلقات ، وتلوت فى أجواز الفضاء مسرعة متوالية كأنها حيات تسعى ، وكانت تزأر زئيراً مفزعاً ، وتدوى دوياً مزعجاً ، لو سمعه من لم يتعوده لطاش عقله ، وفقد السيطرة على أعصابه .

ولكن أفراد الكتيبة كانت قلوبها تخفق حفقات الشجاعة كلما سمعت قصف المدافع ، ورعد القنابل وعصف البنادق ، ولم يفت فى عضدها تلك الانفجارات من حولها ولا ذلك الدوى الذى يصم الآذان .

وأحس الجنود أن ما معهم من العتاد أوشك أن ينفد ، ومع ذلك لم ينكص واحد منهم عن التقدم . ولكن اقتصدوا كثيراً فى إطلاق الرصاص ، وكانوا يسددون إلى الهدف دائماً . وفرغت القنابل ولم يبق لدى الكتيبة سوى عدد لا يفى بالغرض من الطلقات .

وأحس العدو ذلك من فتورهم فى الهجوم ، فقويت روحه ، واجترأ على الخروج من مكمنه ، وواجه أفراد الكتيبة بالعدد والعدة ، وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم ؛ فالتهبت البقاع ، واشتد القتال ... ثم نفدت ذخيرة الكتيبة ، وخمدت مدافعها ، وسكتت بنادقها ، ولكن أحداً من رجالها لم يتزحزح عن موقفه لأنهم يعلمون أن لهم إحدى الحسنيين، النصر المؤزر أو الفوز بالجنة.

ونادى القائد محمد : إلى الأمام أيها الأبطال ... لا ترهبوا الموت ... إلى الممر فهناك النصر ... لكنه لم يتم كلمته فقد نفذت إلى قلبه رصاصة آثمة ألقته على الأرض ، وحاول أن يقف على رجليه فلم يستطع ... أراد أن يستمهل الموت حتى يؤدى واجبه كاملا لكن الموت لم يمهله ... تقدم خطوتين إلى الأمام زحفاً ولم يقو على الاستمرار ، فعلم أنها آخر لحظاته ، فرمق الجميع بنظرة

عطف وحنان ، وسمعه أقرب الجنــد إلى مكانه يهمس بكلمات متقطعه وعى منها : « إلى الأمام .. يا أصدقائى خذوا بثأرى . لا تهدروا دمى ... تحيا ... » ثم فاضت روحه إلى بارئها تشكو تعسف الصهيونيين ، وتستنجز وعيده فيهم « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ... وأتم الجندى كلمته « تحيا فلسطين » .

ثم تقدم أصدقاؤه لينفذوا خطته ، وهم يعلمون أنه إنما أراد أن يقذف الرعب فى قلوب الأعداء بهذا التقدم ، فيفسد عليهم خططهم ، وإن أعقب ذلك موت كثير من رجاله ، فالحرب تضحية .

ثم سمع الجنــد صوت القائد الجديد يأمرهم أن يثبتوا فى أماكنهم ، وأن يفكروا فى الانسحاب حتى لا يفجعوا الوطن فى حياتهم ؛ فإن الذخيرة قد نفدت ، وإن القائد قد قتل ، وإن التقدم مع كل هذا معناه موت الباقين . وكان مما قاله لهم : قفوا إلى أن تصدر إليكم أوامر أخرى .

واشتدت ضربات اليهود ، وأقاموا ستاراً كثيفاً بمدافعهم الرشاشة لا يتسنى لإنسان معه أن يرفع رأسه إلى أعلى إلا إذا كان فى غنى عن حياته .

وطلب القائد إلى الجنــد أن ينبطحوا على الأرض ، وأن يزحفوا على بطونهم إلى أن يخرجوا من ميدان القتال ويبعدوا عن مرمى قذائفهم .

وكانت جثة قائدهم محمد على عشرة أمتار منهم ، تسبح فى بحر من دمائه الزكية ، والتبس الأمر عليهم أيتركون هذا الجدث الطاهر فى تلك العصابة الآثمة يمثلون به ؟ أم يعودون إليــه ليحملوه معهم وإن سبب لهم هذا العمل المتاعب والصعاب .

ولم يطل بهم التردد ؛ فقد وقف « سعيد » — وهو جندى من جنود الـكتيبة غير المبرزين — وأسرع إلى حيث جثم قائده وحاول زملاؤه أن يحولوا بينه وبين ما أراد فلم تجد محاولتهم ... وانحنى سعيد على جثة القائد وحمله بين يديه وهم به أن يرفعه إلى أعلى ، وما هو إلا أن برز صدره حتى ندت عنه صيحة مدوية أعقبتها أنات موجعة ؛ وسقطت الجثة أمامه ؛ فقد ســدد إليه الأعداء رصاص بنادقهم فأصابه منها رشاش ، خارت له قواه ، واصطكت أسنانه ، ولـكنه ملك زمام شـجاعته ، واستجمع قوته وحمل الجثة ثانية ، وأسرع بها إلى قومه وهو يجر رجليه فى مشقة بالغة وحين وصل إلى رفاقه سقط أمامهم مغشياً عليه ، تتفجر الدماء غزيرة من جوانبه تخط على رمال الصحراء صفحة المجد الخالد والبطولة النادرة ... وارتسمت على شفتى سعيد بسمة الرضا بما صنع ؛ فقد حال بين جثة قائده وزميله وبين الأعداء أن تبطش بها . وتم انسحاب الـكتيبة إلى مكان أمين ، وقد حملوا معهم سعيداً الجريح ، ومحمداً القتيل . ثم التفوا حول سعيد يضمدون جراحه ، وكلهم أسف لما حل به : فلما أفاق توالت عليه الأسئلة ، عن حاله ، وبمــاذا يحس ، وأجابهم بصوت خافت : إنى بخير والحمد لله ... ليست حياتى فى خطر ... وليس بى سوى الحزن على محمد القائد البطل ... لقد كتب المسكين إلى أمه أمس ، وأنا الذى أودعت البريد رسالته التى يقول فيها إننى فى صحة جيدة .. وإننى سعيد فى حربى لهؤلاء الجبناء الأنذال ، وأجد اللذة فى الانتصار المتوالى عليهم ... ثم ختم الرسالة بقوله : إنك يا أماه ستفخرين كل الفخر عندما أعود إليك مرفوع الرأس عقب الانتصار النهائى على « بن صهيون » وأقص عليك تفاصيل المعارك التى خضناها ، وسيرة الأبطال الذين اشتركوا معى فى هذا الجهاد المقدس » ثم سالت من عينى سعيد قطرات من الدموع مسحها براحتيه ، والتفت إلى زملائه الذين أحسوا مثل إحساسه وهو يقول : والآن علينا أن ننتقم لمحمد . أليس كذلك أيها الأصدقاء ؟ فأجابه الجميع فى صوت واحد : نعم ياسعيد! سننتقم له أشد الانتقام!

قال من نقل إلى هــذا الحديث — وهو ممن خاض جميع المعارك مع هذه الـكتيبة ، قبل أن تزحف الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين ، وكان ضابطاً فى الجيش برتبة اللازم الأول ، فترك وظيفته وتطوع فى جيش الإنقاذ — اسـترحنا يومين كاملين ، تم فيهما استعدادنا ، وعادت إلينا حيويتنا ، ثم قمنا بهجوم خاطف عنيف على مراكز العدو فى تلك البقعة ، واشترك معنا سعيد ، وأبلى فيه بلاء حسناً ، واستشهد وهو ينزل العلم الصهيونى ليرفع مكانه العلم العربى فوق برج المستعمرة .

واحتفلنا بجنازته احتفالا رهيبا ، ودفناه بجوار « محمد القائد البطل » ووضعنا بجوار قبريهما حجراً كبيراً خططنا عليه تاريخ استشهادهما فى الهجومين المتوالين ، ليذكر الذين يزورون الأراضى المقدسة تلك الأعمال الحربية العظيمة التى قامت بها الـكتائب المتطوعة فى تنظيف فلسطين من الوباء الصهيونى .

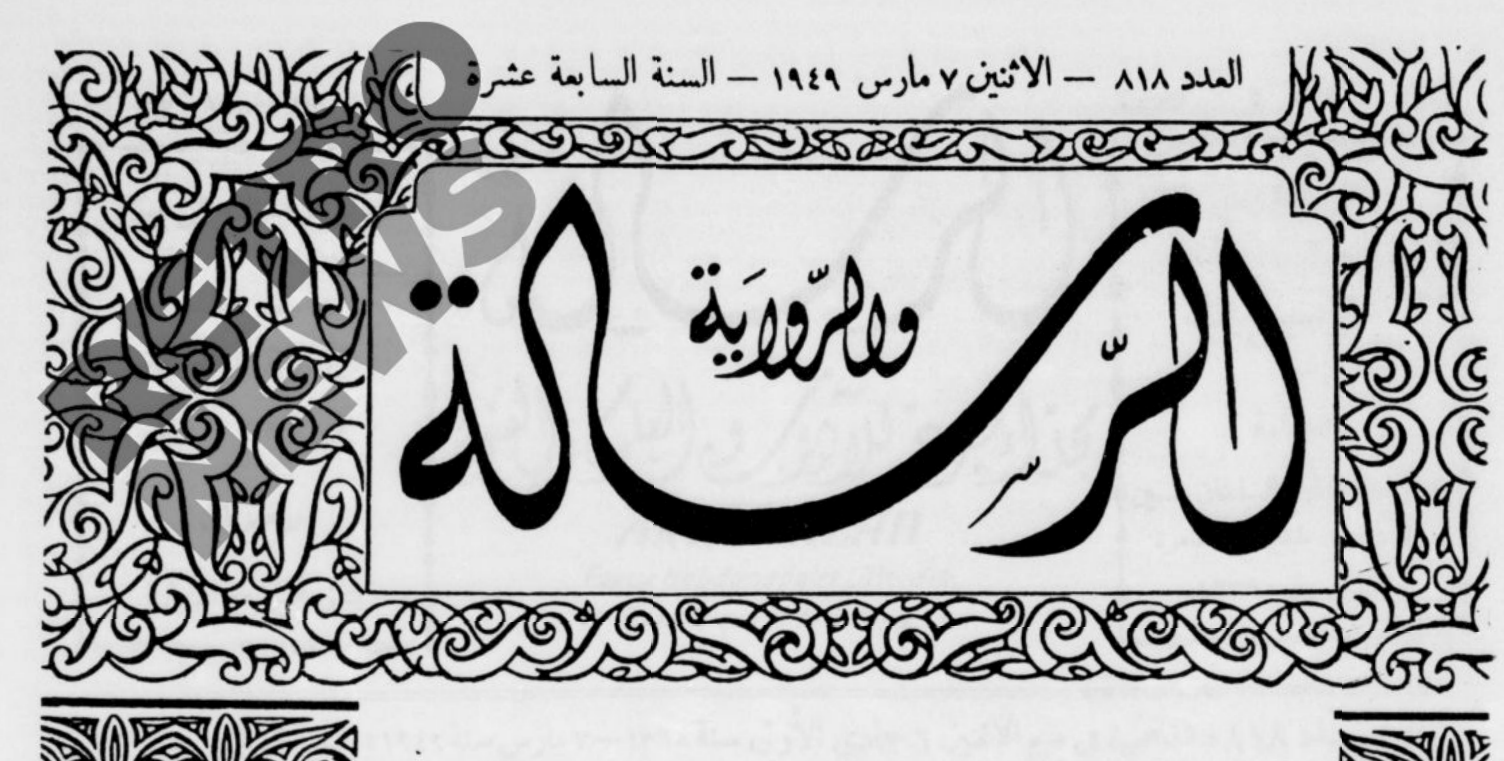
والآمال كبيرة فى الجيوش النظامية ألا تدع صهيونياً واحداً يتنفس هواء تلك البقاع الطاهرة التى روتها دماء المجاهدين الأحرار ثم انحدرت على وجه صديق « صدق » دمعة كبيرة وهو يستنزل الرحمة لزملائه الأبطال .

وهبي إسماعيل حقي
عضو البعثة الألبانية بالأزهر

مطبعة الرسالة



العدد ٨١٨ — الاثنين ٧ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

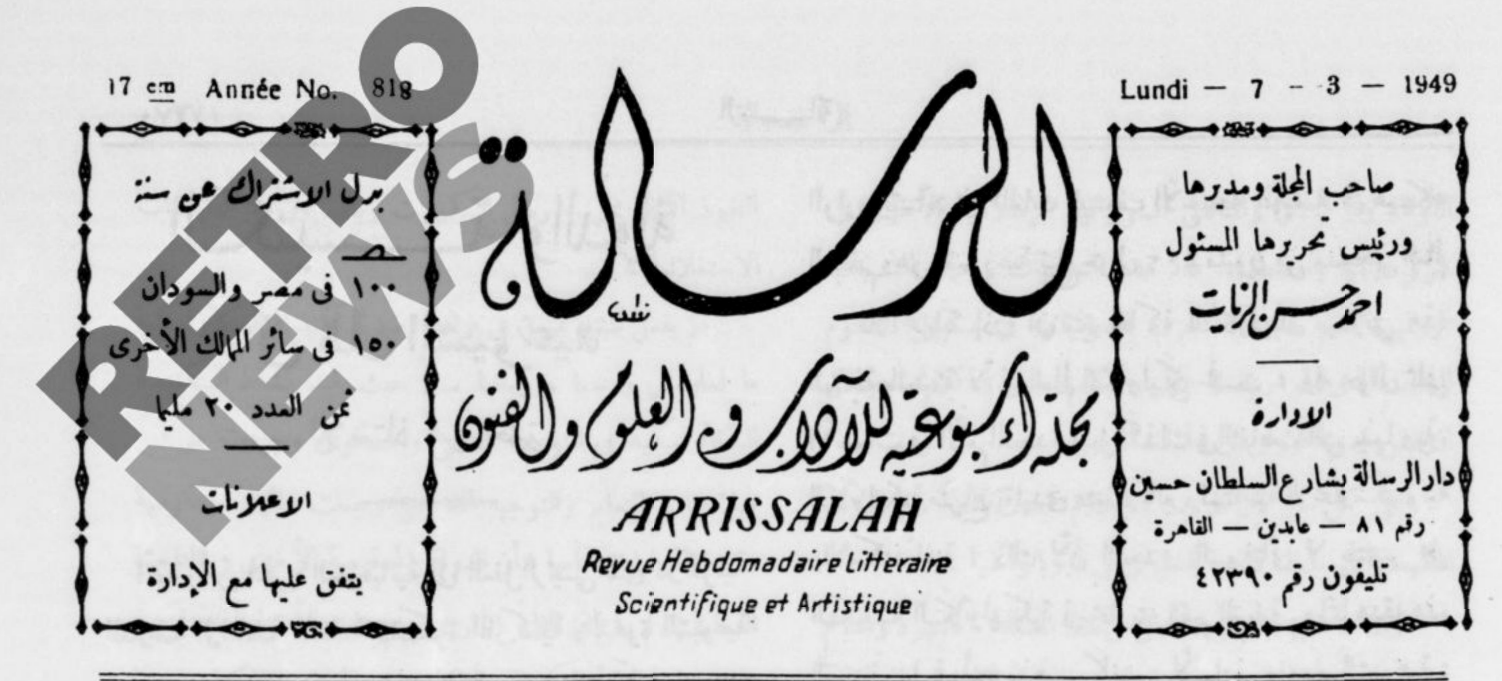


فهرس العدد

٣٢٠٢٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




17 em Année No. 818

Lundi — 7 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٧ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

عودة الأبطـــال

اليوم يعود أبطال الفـلُّوجة إلى أحضان الوطن المنجب الحانى ، فيلقاهم لقاء المعجَب المزهوّ ، وفى يمناه أكاليل الغار للجباه المرفوعة ، وفى يسراه أوسمة الفخار للصدور الجريئة . ثم يقبل بلبه على حماة العز وأباة الذل وسقاة المنون ويقول لهم بألسنة الجموع الوافدة من كل إقليم ، الحاشدة فى كل طريق ، الهاتفة فى كل مكان : مرحى! مرحى! لله غرسٌ زكا ونشأٌ كرُم وشبابٌ عز! لا تزال مصر كنانة الله ما دام ثراها طيباً ينبت هذه الأجساد ، ونيلها طهوراً ينشئ هذه الأرواح ، وجوها صافياً يبدع هذه الشمائل !

كانت هذه البطولة المثلية النادرَة لجيش الوادى مكظومة فى نفوسه الكبيرة ، لا تجد لها متنفَّساً ولا مفيضاً من سوء الحال ومكر الاحتلال حتى ظُنت به الظنون ، وطارت حوله الرِّيَب ، وقال المرجفون من ذئاب الاستعمار وأذناب المستعمر : إن مصر كالحسناء المشتهاة ، جمالها يغرى بها ولا يدفع عنها . فلا بد لها من زوج قادر يضمن لهـا المصير ، ويذود عنها المغير . وأوهموا الناس أن جنودنا دُمًى للزينة ، وأسلحتنا لُعب للهو . وساعدهم على هذا الإفك حكومات كنواطير الكرمة أقامها الثعلب ليخدع بها غيره . ثم أخذ يعيث فى العنب ولا يخاف ، ويجأر بالضُّباح ولا يبالى ! حتى أراد الله للسر المكنون أن يَذيع ، وللكنز المدفون أن يظهر ، فقيض لها رجل الأمة النقراشى . وحانت محنة فلسطين ، فألقى الرجل العظيم فى وطيس الحرب بالجوهر الأصيل والمعدن الحر ، فثبت على النار كما يثبت الذهب المصفَّى على المحك .

فلله يوم ذوَّب الغشّ نارُه   فلم يبق إلا صارم أو ضُبارم
تقطّعَ ما لا يقطع الدرع والقنا   وفرّ من الأبطال من لا يصادم

وبقى المعدن المصرى وحده فى البُوتقة ! وقال الغريب : إنها فرصة تبعث بينى وبين مصر المعاهدة المقبورة . وقال القريب : إنها محنة تكفكف قليلاً من غلواء مصر المغرورة ! وقال جيش الفاروق : لا هى فرصة ، ولا هى محنة ، وإنما هى نشيد جديد من ملحمة البطولة التى لا تزال تنظمها مصر . ووقف من قواد روسيا وجنود صهيون وأسلحة أوربا وممالأة أمريكا ومخادعة انكلترا ، موقفه المعروف الخالد ، نخيب آمال العدو ، وكذّب ظنون الصديق!

وكانت الفلوجة بؤرة النار وقطب المحنة : احتشدت لها جموع اليهودية وأوربا الشرقية مدربة مجهّزة ، وأحدقت بها قواها البرية والجوية مجمَّعة مركزة ، وتفجرت عليها قذائف الجحيم من جهاتها الخمس أربعة أشهر واثنى عشر يوماً لم يهادن فيها صهيون المحنَق المغيظ إلا ليجدد ما دُمِّرَ من عتاده ، أو ليدفن ما قُتل من أوغاده . وظاهر المحاصِرين على المحاصَرين اشتداد البرد ونفاد القوت ونقص الذخيرة وانقطاع المدد وإغواء العدو . فلو أن قائد الفلوجة سَلّم على هذه الحال لقواد الروس ، لوسعه من العذر ما وسع قائدَ باريس حين سَلّم لقواد الألمان ، وقائدَ برلين حين سَلّم لقواد الحلفاء .

ولكن أسد العرين كان أعرف بأشباله وأبصر بواجبه وأشعرَ

بتيماته ؛ فوقف موقفه الذى قلّتْ فى تواريخ الأمم نظائره ، ثم أخذ يطلق المنايا على قطعان المحاصرين كلما هاجوه فيجعلهم حصيداً يحجب وجه الثرى ، ويتخم بطن الأرض !

وهكذا اختار الله سيد طه وأركان حربه وسائر جنده ليكونوا حجة لمصر على أن صبرها لا ينفد ، وعزمها لا يخور ، وجيشها لا يقهر !

لقد طلبوا الموت فوجدوا الحياة ، وابتغوا الشهادة فظفروا بالمجد ، وحاربوا جنوداً فانتصروا أبطالاً ، ودخلوا الفلوجة وهى نكرة من نكرات فلسطين ، ثم خرجوا منها وهى معرفة من معارف العالم !

أحمد حسن الزيات

الكنيســـــة والدولة

فى ظل الشيوعية

للأستاذ عمر حليق

اتجه رأس الحربة السوفياتية إلى المعقل الرئيسى الذى تتركز فيه المعارضة الراسخة المنظمة للفكرة الماركسية والدعوة الشيوعية والتوسع السوفياتى . هذا المعقل هو الكنيسة الكاثوليكية وهى نظام عالمى ثابت الأركان متحد الولاء فى مركزية بابوية تعمل فى تؤدة وخبرة ودقة طالما اشتهرت بها هذه الرهبانيات الكاثوليكية التى تحمل تراث عشرات القرون من النشاط الدينى ، وهو فى المجتمعات الكاثوليكية مزيج من شؤون الدنيا والدين لا يقتصر على ناحية معينة فى المجتمع الذى يعيش فى وسطه ولكنه يسعى متعمداً لأن تكون له اليد الطولى فى التوجيه الشعبى عن طريق المدارس وألسنة الرأى العام والكلمة النافذة فى التوجيه الحكومى فى الشئون الداخلية والخارجية بواسطة التكتل الكاثوليكى فى الحياة السياسية . ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية فى يوم من الأيام قاصرة عن تمويل هذا النشاط المحكم لأنها — كما قلت نظام عالمى موفور الوارد يتساند فى الملمات ليسمف الأجنحة المهيضة فى هيكله الضخم وهو يضم رعية تبلغ حوالى ٤٠٠ مليون من مسيحيى العالم

فلا غرابة إذن أن تثير محاكمة الكاردينال ميدزنتى هذه الضجة المنيفة لا فى العالم الكاثوليكى فحسب ، وله حوالى ثلثى الأصوات فى الأمم المتحدة ، بل كذلك فى الثقافات التى بينها وبين الكاثوليكية صراع تقليدى عنيف كالبروتستانتية الانجلوسكسونية والاسكندنافية . ذلك لأن التحدى السوفياتى لا يقتصر على الكنيسة الكاثوليكية فى محاربته للقيم الدينية . وإنما هدفه هذه القيم نفسها فى أى مذهب كانت ، لأنها فى مفهوم الشيوعية : « أفيون الشعب » .

ولموسكو طرق متنوعة فى صراعها مع النظم الدينية . ففى الاتحاد السوفياتى نفسه ، لم تجد الثورة الشيوعية فى مستهلها (١٩١٧) صعوبة فى القضاء على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ، فقد كانت عناصر التفكك فى المجتمع القيصرى تشمل الكنيسة ، فضلاً عن أن الكنيسة الأرثوذكسية ليست عالمية وليس لها طبيعة الرسوخ والنفوذ الدولى الذى يتمتع به الفاتيكان . ولما تمكنت العقيدة الماركسية فى نفوس الجيل الجديد فى الاتحاد السوفياتى لم يجد (البوليت بيرو) فى موسكو بأساً من أن يعاد تأليف الكنيسة الأرثوذكسية فى كيان صورى يعالج مشاكل الجيل البائد من الأرثوذكس الروسى بالإضافة إلى أن هذه الخطوة جاءت فى مستهل التوسع السوفياتى الإقليمى مما صبغها بطابع من الدعاية لم يخف على أحد .

أما حالة الثلاثين مليوناً من المسلمين فى روسيا السوفياتية فغامضة يحيط بها ستار من الكتمان لم يحاول الأزهر — وهو السلطة العليا فى الإسلام — أن يتعرف مبلغ بؤسها . فالاتصال الروحى والفكرى والجغرافى مع هذه المناطق الإسلامية فى القارة الروسية منقطع . وقد بعثت موسكو نماذج من المسلمين الروس إلى الحج على سبيل الدعاية ولكنها أقلعت عن ذلك . ولم يسمع للمسلمين الروسيين صوت فى المأساة التى ألمت ببيت المقدس . وفى تقرير نشرته جماعة من المسلمين القوقازيين المشردين فى معسكرات اللاجئين الأوربية أن النسبة الكبرى من قتلى الجيش الأحمر فى معارك الشتاء الجهنمية (١٩٤٣) ضد الجبار النازى كانت من مسلمى

القوقاز وتركستان والمناطق السوفيانية الإسلامية الأخرى فى شرقى آسيا وأوسطها . فقد قدم السوفيات زهرة الشباب الروسى المسلم طعما لآلة الحرب السوفياتية فى مستهل الهجوم المنيف الذى طوح بحملة هتلر ، وكانت هذه أكبر تضحية فى الأنفس قدمها الروس فى الحرب المنصرمة .

على كل حال فإن ظروف الإسلام ليست خيراً من ظروف المسيحية فى منطقة النفوذ الشيوعى فى أوربا وآسيا .

وتنفرد اليهودية بحرية العمل فى تلك المنطقة . فاليهود وحدهم محظيو السوفيات ، ولهم حرية النشـــاط المذهبى والسياسى (كالصهيونية) والتنقل من روسيا وشرق أوربا إلى أى مكان شاءوا خارج ما يسميه الغربيون « الستار الحديدى » . وأرقام الوكالة اليهودية لسنة ١٩٤٧ تشير إلى أن ٨٩ بالمائة من يهود فلسطين هم من السلافيين .

أما الكاثوليك فى الاتحاد السوفياتى نفسه ، فقلة ضئيلة لا تتجاوز بضعة آلاف . ولكن الصراع بين الكومنفورم « الشيوعية العالمية » والفاتيكان يزداد حدة يوماً عن يوم فى الدول الكاثوليكية التى يسيطر عليها الشيوعيون إما بالغزو المسلح أو بموجب معاهدات بوتسدام ويالطا ، أو بواسطة الانقلاب الثورى كما حدث فى تشيكوسلوفاكيا

والدول الكاثوليكية فى المعسكر السوفياتى هى :

	مجموع سكانها	عدد الكاثوليك
بولنده	٢٤ مليوناً	٢٢ مليوناً
تشيكوسلوفاكيا	١٢½ مليوناً	٨½ ملايين
المجر — هنغاريا	٩ ملايين	٧ ملايين

وهناك أقليات فى رومانيا وبلغاريا لا تبلغ هذه النسبة المرتفعة

والطرق العملية التى تلجأ إليها الشيوعية لمحاربة الكنيسة فى هذه الدول تختلف فى بعض أوجه التنفيذ ؛ ولكنها تتحد فى مبلغ العداء والتحدى . وهذا باعتراف ستالين حين قال فى إحدى خطبه :

إن الحزب (الحزب الشيوعى الروسى) لا يستطيع أن يقف على الحياد إزاء العقيدة الدينية ، وأنه يشن حملة على الدين وعلى كل أنواع التحامل للذهبى ، فهذه هى أفضل وسيلة لتقويض النفوذ الذى يمارسه رجال الكهنوت وينصرون « الطبقات الاستغلالية » .

فلم يفعل الشيوعيون فى بولنده ضد الكنيسة الكاثوليكية ما فعلوه فى روسيا ورومانيا مثلاً حيث قيد نشاط الكنيسة الكاثوليكية فى التوجيه الشعبى والحكومى وجردت من صلاحيات التعليم والتوجيه السياسى وجعلت دائرة حكومية مقيدة بالتعليمات شأنها شأن الدوائر الحكومية الأخرى فى الناحية العملية إن لم يكن فى المظهر الخارجى . ثم حملت الأهلية الكاثوليكية على اعتناق الأرثوذكسية والتخلص من الولاء للفاتيكان هذا على الأقل ما تردده مصادر الحلفاء من أنباء شرق أوربا .

أما فى بولندة حيث للكاثوليكية رسوخ متين فى الأكثرية الساحقة من السكان ، فقد أحجم النظام الشيوعى القائم هناك عن الإمعان فى سياسة القمع والعنف مع الكنيسة الكاثوليكية ، فقد أبقى لها بعض الحرية والنفوذ فى التعليم والنشاط الاجتماعى ، إلا أنه قيدها فى المجال السياسى بمشروع فى السنة الماضية يسلخ عنها ممتلكاتها الواسعة مما جعلها تعجز عن القيام بمصاريف التعليم والمعاهد الخيرية محاولا بذلك إبعاد الثقة بينها وبين القوى الشعبية المؤازرة لها المتحمسة للدفاع عنها . وحين انتصرت القيادة الكاثوليكية العالمية فى الفاتيكان لكنيسة بولندة وضع الشيوعيون العراقيل فى وجه هذه المساعدة وترك هذا الجناح المهيض من العالم الكاثوليكى يعيش على تبرعات الزارعين البولنديين فى بلد يوجه الاقتصاد فيه نحو الماركسية الشاملة مما يجعل مبلغ العون الشعبى للمؤسسات الحديثة شحيحا ضئيلا مما سيؤدى إلى تقييد نشاطها التقليدى .

وفى تشيكوسلوفاكيا اتخذت الكنيسة الكاثوليكية موقفاً سلبياً فى النظام الشيوعى الذى استولى على الحكم ، ولكن كاثوليك تشيكوسلوفاكيا ليسوا خيراً من إخوانهم فى بولنده .

أما فى هنغاريا ، فقد كان التحدى فى أعنف مظاهره فى بلد أكثر من ثلثى سكانه من أتباع الكاثوليكية ، فقد صادرت الدولة الشيوعية أموال الكنيسة عملا بقوانين توزيع الأراضى على صغار الزارعين ولم تترك الدولة لمؤسسات الكنيسة الخيرية سوى مخصصات تافهة ، وحددت نسبة المعلمين من الرهبان فى

المدارس الأولية والثانوية التابعة للكنيسة ، ومنعت التعليم الديني إجمالا في مدارس الدولة والمعاهد الأهلية . وقد حمل الكاردينال مندزنتي وكيل البابوية في بودابست لواء التحدي لهذه الإجراءات مما أدى إلى محاكمته على النحو الذي تناقلته الأنباء .

والاتهامات التي عزيت إلى الكاردينال الهنغاري أربعة :

١ — تعاونه مع الأوساط الأجنبية (الفاتيكان وسفارة أمريكا) ضد الحكومة الهنغارية .

٢ — رياسته لمنظمة تسعى لقلب نظام الحكم .

٣ — متاجرته بالعملة الأجنبية (لعلها المساعدة التي يتلقاها من الفاتيكان) .

٤ — عداوته لليهود . فالعنصر اليهودي في النظام الشيوعي القائم في هنغاريا وفي كل مكان واسع النفوذ متمكن في مراكز التوجيه .

وهذه الاتهامات في حد ذاتها تظهر طبيعة الدفاع الذي تهيئه الكنيسة الكاثوليكية ضد التحدي الشيوعي .

فالفاتيكان لايترك أجنحته المهيضة في منطقة النفوذ الشيوعي تصارع منفردة ، وإنما يقدم لها المعونة المادية والمعنوية بواسطة المبعوثين الدبلوماسيين للدول الغربية في عواصم الحكومات الشيوعية . ويبدو أن الولايات المتحدة بحكم المصلحة هي رسول الفاتيكان لأتباعه في المنطقة الشيوعية .

وهذه الاتهامات كذلك تدل على أن الكنيسة الكاثوليكية في صراعها مع الشيوعية لا تقتصر على التربية الدينية ، فهي ترعى منظمات سياسية دنيوية الوسائل كعصبة العمل الكاثوليكي التي أنشأها البابا بنديكت الخامس عشر قبل ثلاثين عاماً ، وهي شبكة من الهيئات الشعبية تجند القوى الشعبية لنصرة الكنيسة وتتكلم باسمها في الشؤون المدنية ، وهي مرتبطة مع بعضها على يد الفاتيكان وإدارته المركزية في دقة وإحكام .

وقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بخطورة التكتل العمالي واحتكار اليساريين الماركسيين لهذا التكتل فشرعت تنافسهم ، ففي كل مجتمع كاثوليكي نقابات للعمال الكاثوليك توحي إلى الطبقات العاملة أن الكنيسة نصيرة للعمال، وأن نصرتها لا تقتصر على الخلاص الروحي ، بل تتناول كذلك الإنعاش المادي عن يد التنظيم العمالي ومايستلزمه من ضمانات اقتصادية واجتماعية ، وهذا النشاط وإن يكن خارج سيطرة الكنيسة المباشرة ، إلا أنه يعمل بإيحائها وينال بركتها ويلبي دعوتها عند الحاجة .

أما موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود في صراعهم مع الشيوعية الدولية ، فهو غامض ودقيق ، فمن التهم الموجهة إلى الكاردينال الهنغاري تهمة التحريض على اليهود . وقد حوكم من قبله عدد من الرهبان الكاثوليك في بولنده ورومانيا بنفس التهمة . والعداء لليهودية العالمية يقرأ بين السطور في المنشورات والصحف الكاثوليكية ، ومع ذلك فلا يتخذ هذا العداء على خطورته طابع التحدي العلني (وقضية العدوان الصهيوني على الأماكن المقدسة أقرب مثل على ذلك) ، وذلك لأسباب عدة ، منها أن تسرب النفوذ اليهودي إلى ألسنة الرأي العام الدولي يجعل الكنيسة الكاثوليكية تتفادى إثارة غضبه ، وخصوصاً في الدول الأنجلوسكسونية لئلا تتهم حملتها (أي الكنيسة) على الشيوعية بالعداء المذهبي والعنصري ، وهو « وباء » أحاطته اليهودية العالمية بحاجز من الأشواك الفكرية ، فأصبح وصمة يهدد بها في الحضارة المسيحية المعاصرة كل من حدثته نفسه بالكشف عن خفايا الإجرام اليهودي في مجاله المالي .

وقد وجد الكاثوليك أنفسهم في العالم البروتستانتي مرغمين على إسقاط هذه الناحية اليهودية في صراعهم مع الشيوعية الدولية لئلا يمعن النفوذ اليهودي القوي في ألسنة الرأي العام في إثارة الوقيمة التقليدية بين الكاثوليكية والبروتستانتية . وقد ظهرت بوادر هذه الوقيمة من جديد في تصريحات بعض القساوسة البروتستانت الأمريكان في تعليقاتهم على محاكمة الكاردينال الهنغاري ، وكادت هذه النزعة تتسع لولا أن أقدمت حكومة شيوعية أخرى هي بلغاريا على اعتقال ١٥ قسيساً بروتستانتينيا ، فقضت بذلك على إحداث المستنكرين البروتستانتيين للضجة الكاثوليكية .

وقد استفادت القيادة العسكرية الغربية من حدة هذا الصراع الديني بين الشيوعية والدين لتكسب لها عوناً أدبياً في البرنامج الحربي الهائل الذي يعده الآن المعسكر الغربي للمعركة الفاصلة .

(نيويورك) عمر حليق

معهد الشؤون العربية الأمريكية

على رمال أحمر :

الفـــدائية الأولى (*)

للسيد عمر الخطيب

« فى تاريخنا الزاهر دماء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامى واسع » .

— ١ —

خرج محمد يستقبل وفد (يثرب) وقد بدت على وجهه متاعب ما يكابد من عنت وأذى ، ومعاندة واستهتار ، من هذه العصبة الفاجرة من قريش ، التى ألبت عليه القبائل ، وأغرت به الصبيان والسفهاء ، ودفعت إلى هجوه الشعراء ، ينعتونه تارة بالكاهن والساحر ، وطوراً بالمجنون والشاعر ، وهو صابر على أذاهم ، راض بقضاء الله فيه ، يتسع قلبه الكبير لهذه المكاره كلها ، وتطوى نفسه العظيمة هذا العبث الذميم ، فهو يمشى على الأرض هوناً ، وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً ، وإذا أوسعه السفهاء شتماً والصبيان رجما رفع يديه إلى السماء وقال (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) .

وحين لمح صلى الله عليه وسلم الوفد اليثربى الكبير ، اختفت من وجهه سحابة الألم ، واستقبله باسما مرحباً ، وجلس يحدثه عن دعوته ، ويبين له مبادئ رسالته ، ويحثه على الصبر والشجاعة والتضحية ، ويعلن له أن شرعته لا ترضى بالظلم والعبودية ، ولا تقر الشرك والأوثان ، وتنفر من البغى والعدوان ... فإذا بالوفد يخشع ، وبالعيون تدمع ، وبالقلوب تجب ، وبالنفوس تصفو ، وبالأرواح تصفق ، فيتقدم الوفد اليثربى من الرسول مصافحاً معاهداً ، يبايعه على أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن يأمر بالمعروف ، ويسعى فى الخير ، ويدعو إلى الله ويضحى فى سبيله بالمال والنفس ... (١) .

وتقدمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك امرأة رزان ، تمشى على استحياء ، ويكسو محياها خفر المؤمنة التقية ، وصبر الأم الحنون ، وجلال من تملكت الخشية قلبه ، وبسالة من باع فى سبيل الله روحه ... تقدمت تعاهد محمداً على الإيمان والتضحية والإقدام .. فبارك صلى الله عليه وسلم عهدها ، ودعا لها ، وأمرها أن تكون رسولا إلى لداتها وأترابها ، تدعوهن إلى الإيمان ، وتمدوهن بلبان الإسلام ، حتى تجلى نفوسهن ، وتطهر قلوبهن ، وتسمو مكانتهن ، وينلن حقوقهن ...

— ٢ —

بينا (أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية) تنتقل من دار إلى دار ، مبشرة بالإسلام ، داعية إليه نساء العرب ، تمحضهن النصيحة ، وتزف إليهن البشرى ، وتحثهن على الخير والمعروف .. وإذا بصوت النفير ينساب من جوانب المدينة ، ويصل إلى أذنها ضئيلا خافتاً ، فيفزع فؤادها ، ويهز جوانب نفسها ، فتخف مسرعة إلى بيتها ، لتعرف الخبر من أهلها ، فإذا بها تفاجأ برهط من الصحابة مقبلين ، وقد لبسوا دروعهم ، وتقلدوا سلاحهم ، فعلمت (أم عمارة) أنها الحرب ، فانبلجت أسارير جبينها ، واستيقظت مشاعر فؤادها .. وأغذت السير حتى دخلت دارها ، فألفت ابنيها وزوجها يجلون سيوفهم ، ويصلحون لأمتهم ، ويسرجون جيادهم ، فانفرجت ثناياها عن ابتسامة الرضى والفرح ، وأقبلت على ابنيها لتعانقهما وتقبلهما قبلة الوداع ... وهنا صاح بها هاتف من ضميرها الحى المؤمن أن اذهبى يا أم عمارة مع الرسول فى غزوته ، تضمدين الجرحى ، وتمدين السقاء ، وتصلحين من شأن المجاهدين .. فلم تشعر إلا وقد انصرفت عن ابنيها ، وراحت تمدو نحو المجد ، لتلتقى إلى الرسول بدخيلة نفسها ، وأمنية فؤادها ، لعله يسمح لها فتنال الشهادة فى سبيل الله ؛ وتضع فى بناء الإسلام لبنة المرأة الشهيدة (والفدائية الأولى) ...

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم عمارة بالخروج لغزوة

(*) فى العدد ٧٧٩ من الرسالة قصة الفدائى الأول أنس بن النضر وهذه قصة الفدائية الأولى (أم عمارة المازنية) .

(١) تلك هى بيعة العقبة .

(أحد) مع زوجها وابنيها ، فرجمت فرحة جذلة ، يرقص فؤادها طرباً ، وتزغرد روحها سروراً ، وأعدت للخروج عدته ، فجمعت العصائب ، وأصلحت المراشف ، وخرجت تمنى النفس بالشهادة ، وترنو إلى الجنة ، وترقب من وراء هذا النقع الثائر النصر المبين .

— ٣ —

شمرت الحرب عن ساقها ، وحمى الوطيس ، واحمرت الأحداق ، ولم يمض غير قليل حتى التحم الفريقان : جيش محمد وجيش أبى سفيان ، فجلجلت السماء بالتكبير ، وصدق فرسان الإسلام الحملة ، وأعملوا فى رقاب المشركين السيوف ، وثبتوا ثباتاً انخلعت له قلوب أعدائهم ، وتزلزلت قوائم ، ووهنت عزائمهم وإذا بهم يلوذون بالفرار ، أمام هذه الوثبات الجبارة من هذه الأسود المؤمنة . وظن المرابطون على الجبل أن المعركة قد انتهت ، فانصرفوا إلى الغنائم ، وكانت هذه فرصة لجيش قريش ، فكر راجعاً وعزم على أن يمحو الإسلام ، ويبطش بمحمد ، واستمات المشركون فى الهجوم ، وعللوا أنفسهم بالحياة بعد الموت ، وبالنصر بعد الاندحار ...

رأت أم عمارة كتيبة من الأبطال المغاوير ثابتين حول محمد يردون عنه ، ويقاتلون دونه ، وقد آلوا أن يفدوه بأرواحهم ، ويموتوا أمامه عن آخرهم ، فثارت بها حمية الإسلام ، وأيقنت أنها ساعات فاصلة فى تاريخ هذا الدين ، وتمثلت أمامها الجنة الوارفة الظلال بسلسبيلها ونعيمها وخلودها ، ورأت أن ليس بينها وبين الجنة وما أعد الله فيها للشهداء إلا أن تجود بهذه الروح ، وتهرب من هذه الدنيا ... وذهبت تطوف بخيالها فى جوانب هذا العالم المنشود ، وتمتع الروح بهذه الأمانى العذبة ، والآمال العطرة ... ولم يردها إلى الواقع التى هى فيه إلا صياح قريب ترامى إلى أذنها ، وصوت قوى يقول (دلونى على محمد لا نجوت إن نجا) . فنظرت أم عمارة فإذا (بابن قميئة) يعدو والسيف بيده قاصداً رسول الله ، فأظلمت الدنيا فى وجهها ، وربت ربوة شديدة ، وزأرت زئير اللبؤة ديس عرينها ، وانتضت حسامها البتار ، وأقبلت تعترض طريق ابن قميئة ... وتستقبل ضرباته بصدرها وكتفيها ، حتى ردت هذا الوحش الهائج عن محمد ، وأكرهته على الفرار حتى

ليقول الرسول صلوات الله عليه (ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دونى) .

ورأت أم عمارة ابنها ، وفى ذراعه جرح ينزف الدم فأقبلت نحوه تعصب جرحه وتضمده ، ثم تحفزه إلى العمل ، وتلقى عليه دروس الصبر والبطولة فتقول : (قم يا بنى فضارب القوم وجاهد فى سبيل الله ...) فيقوم الفتى الباسل ، ترب الشجاعة ، ولدة الإقدام ، ويمشى نحو سيف ملتق بجانبه ، ليماود الكر والفر ، ويقاتل فى سبيل الله . وهنا تند من رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة فيرى هذا المشهد المؤثر فيمتلئ قلبه إكباراً وحباً ويقول : (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟) ويلتفت عن يمينه فيرى رجلا مقبلا يخب فى سيره ، ويلتفت يمنة ويسرة فيقول الرسول : (يا أم عمارة هذا الذى ضرب ابنك) وما إن سمعت أم عمارة نداء الرسول حتى اهتز كيانها ، ووثب جنانها ، وأسرعت تعترض طريقه ، وقد آلت أن تثأر لابنها ولإخوانه الذين جرحوا واستشهدوا فى سبيل الإسلام ، ثم شهرت فى وجهه سيفها وضربت به ساقه وصدره ، فوقع قتيلا يتخبط بدمه ...

ورأى رسول الله هذه البطلة تثأر لابنها ، وتقتص من جرحه فتملكه إعجاب شديد ، وابتسم حتى بدت نواجذه وقال لها : (استقدت يا أم عمارة ، الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك) .

ولم تكد أم عمارة تجهز على فريستها ، وتمسح حد سيفها ، وتلقى به فى غمده ، حتى سمعت تصايحاً ، ولمحت غباراً ، ونظرت فإذا بها ترى ثلة من مشركى قريش ، قادمين نحو محمد ، وفى عيونهم حنق وشر يريدون قتل الرسول واستئصال المدافعين عنه فتحسست مقبض سيفها ، ثم سلته من غمده ، وعلمت أن حديثه لم ينته ، وأن لسانه لن يسكت ، وأنه ما زال به شوق إلى الدم ، وشغف بأعناق المشركين فاستلته وصاحت (الله أكبر الله أكبر) وهمت أن تعدو نحوهم ... لتؤدبهم مرة أخرى ، وترجع برأس قائدهم الطاغية ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مولياً ومعه ترس فصاح به : (ألق ترسك إلى من تقاتل) . فألقى الرجل ترسه وتناولته أم عمارة ونهدت إلى المشركين . وهنا أقبل عليها

فاستقبلت ضربته بالترس ، وأهوت بضربة قوية على عرقوب فرسه فوقع على ظهره ، يفحص بقدميه . وخشى الرسول أن ينهض هذا العاثر فيقتل أم عمارة فصاح بابنها (يا ابن أم عمارة ، أمك أمك فعاونها) فانتضى الفتى سيفه وتقدم من الفارس العاثر وعاون أمه على القضاء عليه ولم يتركاه إلا جثة هامدة ...

— ٤ —

انصرف (ابن قميئة) إلى صحبه بعد أن ردته أم عمارة خاسئاً ذليلا ، يحمسهم ، ويقسم عليهم باللات والعزى ، أن يقتلوا محمداً ويستأصلوا دعوته ، ويبيدوا صحابته ، وينصروا آلهتهم ... وما زال بهم حتى أثار حفائظهم ، وأذكى قلوبهم ، وأحمى دماءهم فقاموا يقصدون محمداً ...

ورأت أم عمارة ابن قميئة مقبلا قد عاد ثانية مع أصحابه بعد أن ردته على أعقابه خاسراً ، فعلمت أنه قد بيت أمراً وأراد شراً فلم تجزع ولم تجبن ، بل تطلعت نحو السماء ، تستلهم العون والقوة ؛ وتقدمت تدافع عن الرسول ، فتجندل الفرسان ، وتصرع الشجعان ، وتتلقى الضربات ثابتة الجنان ، صابرة راضية مطمئنة حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً ، ولم ترجع إلا مرفوعة الهامة ، موفورة الكرامة ، قد ردت مع إخوانها عدوان المشركين ودافعت عن قائدها العظيم ... والرسول الأمين ...

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الدماء تتدفق من جراحها فصاح بابنها (أمك أمك . اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ...) وسمعت أم عمارة رسول الله يثنى عليها هذا الثناء ويطرى عملها ويبارك جهادها ، فطابت نفسها ، وقرت عينها وقالت (يا رسول الله ، ادع الله أن نرافقك فى الجنة) ثم تركت لدموعها الحديث . وهنا رفع محمد يديه إلى السماء وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال : (اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة) ، فقالت أم عمارة : (ما أبالى ما أصابنى من الدنيا بعد هذا الدعاء) ثم ألقت رأسها فى حجر ابنها ، ونامت متأثرة بجراحها ، فخورة بجهادها ، قد اطمأن ضميرها ، وقر فؤادها ... ثم أرخى الليل جناحه ، وغمر المدينة بظلام وسكون ...

— ٥ —

نظرت (أم عمارة) وكان لا يزال رأسها فى حجر ابنها فرأت الشمس ساطعة ، والنهار مشرقا ، وسمعت المنادى يدعو إلى الجهاد والناس يسرعون فى الاستعداد ، والمدينة فى حركة دائبة ، وعمل مستمر فعاودها الحنين للقتال ، وصاح بها هاتف من ضميرها مرة أخرى يقول : (إلى حمراء الأسد[1] يا أم عمارة ... إلى الثأر من المشركين إلى أعداء كلمة الله .. ورفع منار الإسلام) فهبت واقفة وأرادت أن تخطو إلى الأمام لتحمل سيفها وتهاجر إلى الله وتجاهد فى سبيله ، ولكنها عجزت عن السير ، وأقعدتها الجروح الدامية فمكثت تبكى وتندب حظها العاثر ، وتملل النفس بالجهاد القريب تحت راية محمد ، وانصرف أهلها يضمدون جروحها ، ويخففون عنها ، حتى أقبل الليل ... فنامت دامية الجسد حسيرة الفؤاد ...

القاهرة

عمر الخطيب
(فتى الفيحاء)

(١) هى الغزوة التى تلت غزوة أحد

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية فى شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومي

— ١ —

منذ انتقل إلى جوار ربه الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم وأنا أشعر بحماس يدفعنى إلى الكتابة من عاطفته الدينية ، فقد قرأت الكثير من روائعه المبدعة ، فلمست فيها روحاً حية متوثبة ، وكان للنغم الساحر الذى تردده قيثارة الشاعر روعة عجيبة ، فهو يرتفع بالقارئ إلى أفق رحب فسيح ترفرف فيه أجنحة الفضيلة والعزة ، ويذكره بما كان للأمة العربية فى عهدها الغابر من مجد باذخ قامت دعائمه على البسالة والكرامة فيحرك العاطفة ويوقظ الشعور ...

والحق أن دراسة محرم رحمه الله من ألزم اللوازم فى عصر ماجن مستهتر ، فقد عصفت برءوس بعض الشعراء فى الشرق والغرب نوازع خبيثة تدفعهم إلى الفوضى الخلقية والتحلل الإباحى ، زاعمين أن الشاعر الحق هو الذى ينساب وراء غرائزه وميوله ، وأن العبقرية توقع صاحبها فى مزالق مريبة ، بل إن منهم من يتعمد الوقوع فى البغى ليكون أحد هؤلاء العباقرة المتحللين ! ! وكم جر الاستعمار الغاشم على أبناء الشرق فضائحه ومخازيه ، فزين لهم الخبيث ، وبغض إليهم الحسن الجميل ! .

نشأ الشاعر فى بيت ريفى متدين فقد كان والده حريصاً على تثقيفه وتهذيبه ، فأحضر له فى دور الطفولة من قام بإرشاده وتوجيهه لحفظ القرآن ودرس النحو والعروض واللغة ، وأكب على استظهار النصوص الأدبية ، فتفتحت أكمام شاعريته النضة ، وبدأ يتغنى بمقطوعات بدائية تنبئ عن ملكة واستعداد ، وقد اتجه بنوع خاص إلى الثقافة الدينية فقرأ الحديث الشريف ، وطالع السيرة المطهرة ودرس التاريخ الإسلامى الجيد ، ثم عكف على قراءة الصحف والمجلات فألم إلماماً مفيداً بسياسة أمته ووطنه ، وشاهد فى ميعة صباه مايدبره المستعمرون من مكايد خاتلة للعالم الإسلامى ، فتأوه لمصابه الفادح ، وأطلق لشاعريته المنان فتغنى بمجد الإسلام وحث على استرجاع مافقده الشرق من عظمة شاهقة وجاه عريض .

وإذا كنا نعتبر محرماً شاعر العاطفة الدينية فى عصره دون منازع فإننا نتخذ منه دليلا يبطل ما زعمه الأصمعى من أن الشعر فى جملته نكد صعب لا يسهل إلا فى الشر ، وتلك دعوى زائفة وجدت مكانها فى العقول فحولت أنظار الشعراء عن الدعوة إلى المثل العليا ، والتمدح بالأخلاق الدينية الرفيعة ، وأنت تطالع الدواوين الشعرية فتجد ماقيل فى المجون والخلاعة أضعاف ما قيل فى التصون والاحتشام وبديهى أن الشاعر المتمكن المطبوع يستطيع أن ينظم — بقوة وإتقان — فى شتى الأغراض التى تأخذ بمجامع قلبه ، وتسيطر على خوالج نفسه ، سواء كانت تتجه إلى الخير أو الشر ، فالمدار إذن على قوة الشاعر وموهبته ، ومن يستطيع نظم الرقائق الفاتنة فى الليل الدامس ، لا يعجزه أن يرسم الصور الساحرة للصباح الوضىء ، وها هو ذا محرم قد اندفع وراء عاطفته الدينية اندفاعاً حميداً ، فجاء شعره نموذجاً حسناً للشعر المثالى الرصين .

ونحن حين نشيد باتجاه محرم وجهة الخلق والدين ، لا نعنى بذلك أنه عقد فى ديوانه فصولا خاصة بالدعوة الإسلامية ، ولكننا نؤكد أن عاطفته الدينية قد ارتسمت بوضوح فى شتى الأغراض الشعرية التى تحدث عنها الشاعر الكبير ، فأنت تقرأ مدائحه ومراثيه واجتماعياته وسياسياته فتجد كل بيت ينطق بإيمان قائله ، ويحدد الهدف الخالق الذى يدعو إليه فى حرارة ، وإذا رزق الشاعر إيماناً فلا بد أن يرتسم فى مرآة شعره ، فهو إذا جال فى إحدى سبحاته سيطرت عليه عاطفته المخلصة ، فوجهته أكمل توجيه حتى يصل إلى المرفأ الأمين .

وكنت سألت من أثق بهم من خلطاء محرم ورفقائه عن حياته وأخلاقه فسررت بما علمت من مروءته ونبله ، حيث كان يبذل ما يملك — على ضآلته — فى معونة المستعين ، كما كان يحافظ على فرائض العبادة من صلاة وصيام . ثم هو إلى ذلك صفوح متسامح لا يؤاخذ مسيئاً بنقيصة ، ولا يميل إلى الجدال والثرثرة فى غير طائل . ويمكننا أن نقول إنه اتخذ كتاب الله إماما يأتمر بأوامره ،

ويحيد عن نواهيه ، وإنه ليعلن ذلك فى صراحة إذ يقول :

أقول لصاحبيّ — وعاهدانى — كتاب الله بينكما وبينى
فكونا صادقين ولا تخونا فإن لنا لإحدى الحسنيين
ولست ببائع نفسى ودينى ولو أوتيت ملك المشرقين
لهذا سلطة ولتلك أخرى فما بالى وبال السلطتين
سأملأ هذه الغبراء مجداً وأترك أهلها صفر اليدين
على التاريخ بعد الموت حقى وعند الله يوم الدين دينى

وقد أباح الشاعر لنفسه أن يتمدح بمروءته وتقواه ، ولسنا نؤاخذه فى ذلك فقد نشأ فى عهد إباحى ، وجد فيه من يتشدقون بآثامهم المخزية ويجاهرون بفضائحهم المندية ، فإذا ألم بهم داع إلى الحق لووا رءوسهم ساخرين ! ! فلا مناص من أن يجاهر المهذب العف بشمائله ، ليقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . ولقد صوّر الشاعر أخلاقه ، وشرح عواطفه تشريحا صادقاً حين قال :

من أيادى الله أنى لم أخن عهده الأوفى أروم المغنما
راودتنى عصبية عن حقه فأبى العرق الكريم المنتمى
عفة تقذف بى عن همة تقذف النسر وترمى المرزما
لا أرى الغدر وإن جشمنى صرف دهر ظالم ما جشما
مرحباً بالبؤس فى أسبابه عفة البائس عن أن يأثما
ما يريد الدهر من مستبسل ما يهول الخطب إلا اقتحما

وسنوجز الحديث إيجازاً ، فنترك كلام الشاعر عن نفسه ونميل بشىء من التحليل إلى بعض الأغراض الشعرية التى جال فى حلبتها جولات موفقة . وفى رأيى أن قصائد محرم السياسية والاجتماعية والتاريخية تكفى الباحث المنصف فى تكوين رأى صادق فى عاطفته الإسلامية ، ونبدأ بالحديث عن سياسياته فنقول :

— ٢ —

كان للخلافة العثمانية فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ظل ينبسط على الدول العربية المتجاورة ، ولئن تغلغل النفوذ الاستعمارى فى شتى بقاع الشرق حقباً متوالية . فقد كان أبناء هذه الدول ينظرون إلى الخليفة العثمانى نظرة عالية ، فيرون طاعته فرضاً أكيداً يوحيه الإسلام وتمليه العقيدة ، ورغم ما اشتهر به عبد الحميد من العسف والجور والخروج على شرعة الإنصاف فقد لهج بمدحه كثير من الأدباء والشعراء ، إذ كانوا يصرفون النظر عن شخصه ويرون الخليفة فكرة رمزية تقيم العدل وتجدد معالم الدين ، وقد تفانى محرم — جرياً وراء عاطفته الدينية — فى محبة الأتراك فمنح خلفاءهم الود وهاجم أعداءهم بقذائفه الصائبة . وأنت تقرأ مدائحه فى السلطان العثمانى فتجده ينظر إليه من نافذة العقيدة ، فيذكره بمركزه الدينى ومقامه الإسلامى ثم يدلف إلى تقديم نصائحه التقليدية فيحث على الوحدة القومية ، وينادى بالجامعة الإسلامية ، وكان للمعارك الحربية التى خاضها الجيش العثمانى صدى تردد فى نفس الشاعر ، فسجل الوقائع اليونانية ، وندد بمن يهددون « الرجل المريض » بالثورات الداخلية والفتن الخارجية ، وقد اعتمد الشاعر على خياله البعيد ، فبالغ فى مديح الجنود الأتراك مبالغة تدعو إلى العجب ، وكأنه أراد أن يقوى الروح المعنوية فى الشعوب الإسلامية فجوف الحقائق تجويفاً يناقضه الواقع ، وهو بلا شك مشكور لغيرته وحميته ، وإلا فهل كان الجيش التركى فى رمقه الأخير كما قال فيه ؟

لهم كل يوم غارة تصبح العدى وأخرى تغشى الليل والليل فاحم
إذا نفروا لم ينفروا عن شمالها ولم يصحروا عن سيلها وهو عارم
بنوها الألى لا يرهبون بها الردى إذا اهتزت فى حافتيها الزمازم
إذا أقدموا لم يثنهم عن مغارم غداة الوغى أهوالها والمآزم
معمون فيها مخولون إذا اعتزوا نمتهم قريش فى الحفاظ وهاشم
أولئك أبطال الخلافة تحتمى بأسيافهم إن داهمتها المظالم
هم المانعوها أن يقسم فيئها وأن تستبى بيضاتها والمحارم
هم الناس لا ما تنكر العين من قذى وتوشك أن تنشق منه الحيازم
وما الملك إلا ما أطالت وأثلت طوال العوالى والرقاق الصوارم

ولقد ظل الشاعر على إخلاصه للدولة العثمانية ، يمجد فى أعلامها ويسهب فى الثناء على مواقفها ، وينذر الثوار الداخلين فيذكرهم بمسئوليتهم الفادحة أمام الله إذ يشعلون الفوضى بلا موجب ، ويوقدون الفتنة فى ربوع مضطربة تعصف بها الرياح الهوج .

وكم كان الألم لاذعاً فى نفس محرم حين طوى بساط الخلافة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد أفزعه اضطهاد الكماليين

لرجال الفقه والتشريع ، ونقل إليه ما ارتكبوه من غلو فاحش ، حيث وأدوا العاطفة الدينية فى وقت أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر . وأذكر أنه نظم فى سقوط الخلافة ملحمة طويلة طبعت وحدها فى كتاب مستقل ، وكان يهمنى أن أستشهد ببعض أبياتها الدامعة ، لولا ضياعها من يدى . ولا أدل على حماس الشاعر للأتراك العثمانيين من قصيدته المؤثرة فى رثاء والده ، فقد نسى مصابه الشخصى ، وغالبته عاطفتـه الدينية فترك الأنين والدموع واندفع إلى الحديث فى الخلاف القائم بين العثمانيين والإنجليز ، ولك أن تقدر مبى شعور مسلم غيور ، هاجت عاطفته الدينية فأنسته ما وقع فيه من أسى قاتل ، وحزن مبرح

هـذا وسياسيات محرم تتسم بطابعها الإسلامى فدائحه فى العزيز حث وتذكير بالآداب الخلقية ، ورجوع بالأمة إلى ماضيها المجيد ؛ وقصائده فى الحرب العالمية الأولى تنديد بالحضارة الغربية المتوحشة ، وتصوير صادق للمسارح الدولية التى تراق فيها الدماء وتتناثر عليها الأشلاء . هذا إلى مقارنة معتدلة بالحضارة الإسلامية فى عهـدها الزاهر ، وكيف كانت مناراً شع على العالم بضوئه الوهاج . وحين قامت الحرب الطرابلسية الإيطاليـة صرخ محرم صرخات مؤرقة ، ولم يشأ أن يقصر شعره على البربرية الإيطالية المتوحشة ، فيكتفى برسم الفظائع الدامية التى ارتكبها المحتلون بالشعب الأعزل المستكين ، بل غمره شعوره الدينى فى طوفان جارف صخاب ، فتمثل البيت الحرام يرتجف رعباً بمكة ، ويترب ذات القبر الطهور تولول جازعة ؛ ثم استصرخ الغر الميامين من أبطال الإسلام ، فتساءل عن على بن أبى طالب ، وتطلع إلى خيل الله يقـدمها صاحب اللواء ، وتذكر ابن الخطاب فى فتوحاته الشاسمة وحنّ إلى القادمين من فهر ومضر وقريش . اسمعه يقول:

أين ابن عم رسول الله يطفئها ... حرباً على كبدى من نارها شرر
أين اللواء وخيـل الله يبعثها ... عمرو ويقـدم فى آثاره عمر
أين القادمين من فهر ومن مضر ... ومن قريش وأين السادة الغرر
أين الملائكة الأبرار يقـدمهم ... جبريل يستبق الهيجا ويبتدر
أين الوقائع تهتز العروش لهـا ... رُعباً وتنتفض التيجان والسرر
أين القياصر مقهورين لا صلفا ... نأى بجانبهم عنا ولا صعر
أيطرب البيت أم تبكى جوانبه ... حزناً ويعول فيه الركن والحجر
ويح الحجيج إذا حانت مناسكهم ... ماذا يرى طائف منهم ومعتمر
أين الحماة وقد ضاعت محارمنا ... أين الكفاة وأين الذادة الغير

وهكذا كان التذكير بالمـاضى سلاحاً بارزاً فى قبضة الشاعر ، والحق أنه آتى أكله وأثمر فى حيـنه فوثقت الأمم العربية بماضيها المجيد ، بعد أن حاول الاستعمار الغاشم أن يبرزه فى صورة نـكراء .

وطبيعى أن يكون ندب الماضى البهيج مقروناً بالتحسر على الحاضر الأليم ؛ فالصورة الجميلة المشرقة لا تكمل لها أسباب الروعة إلا إذا قرنت بصورة دميمة بشعة ، وحالة الشعوب الإسلامية قد بلغت من الهوان مبلغاً يستدر الدموع ، فـكانت الشـكوى من انحطاط الشرق ميداناً فسيحاً تجول فيه الأقلام حتى ليجوز لنا أن نعتبره عنصراً هاماً من عناصر الشعر الحية فى نهضتنا الحديثة . ومعلوم أن الشعور بالنقص هو الدافع الأول إلى الكمال والتقدم ، فلا مناص إذن من الاعتراف بالواقع الأليم . وكم تضرع محرم إلى ربه راجياً أن يأخذ بيد أمته إلى طريق البر ، وكم سهر الليالى الطويلة يتأمل فيما خيم عليها من غواش حالـكة ؟ وكم وقف بين اليأس والأمل لا يدرى أيبتسم الدهر للشرق أم تـكون الأخرى فيظل الـكابوس الأوربى جاثماً فوق صدور المسلمين ؟ ! عواطف مشتجرة متناحرة خلقتها الروح المتوثبة فى نفس الشاعر فصيرته فى حيرة من أمره إذ يقول :

تفاقت الخطوب فـــلا رجاء ... وأخلفت الظنون فلا وثوق
تطالعنا السنون مروعات ... ونحن إلى أهلتها نتوق
يمر العهد بعـــد العهد شراً ... فأين الخير والسعد الأنيق
نوائب روّع التـــنزيل منها ... وضج القـبر والبيت العتيق
بنـا من ضارب الحدثان ما لا ... يطيق مضاءه العضب الذليق
كأن جراحه فى كل قلب ... شفاه للمنية أو شـــدوق
رويد البوم والغربان فيـــنا ... أما يغنى النعيب ولا النعيق
وددنا للنواعب لو عميــــنا ... وسدت من مسامعنا الخروق
أمض قلوبنـا داء دخيـــل ... وهمّ فى جوانحنـــا لصيق
وجف الريق حتى ود قوم ... لو أن السم فى اللهوات ريق
وبرح بالترائب مســـتطير ... يساوده التميـز والشهيق

ولولا هـذه الصيحات المدوية ما استيقظ أهل الـكهف فى

المغامر العظيم

عن الإنجليزية

في قُنن الجبال ،

وعلى رءوس الأمواج ،

في منابع المياه ،

وتحت قبور الأموات ،

في غمرة الفيوض العميقة ،

التي يطأطئ « نبتون » لها الرأس ،

وفوق الصخور الوعرة الشُّم ،

لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

وحيث لا مكان للدودة تقر فيه وتسكن ،

وحيث لا فضاء للذبابة ترن فيه وتهوِّم ،

حيث لا يجرؤ الفراش على التحويم ،

خوفاً على نفسه من التلف والبوار ،

فإن الحب — إذا أقبل — مرق في سرعة ،

ولم يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد تعدُّه طفلاً إن نظرت إلى قُواه ،

أو تعده جباناً لأنه يجنح إلى الفرار ،

على أن تلك التي يُشرِّفها ،

لو اختبأت من ضوء النهار ،

وأقامت على نفسها ألفاً من الحراس ،

فلن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

تخلصاً منه يرى البعضُ أن يسجنه ،

والبعض يحسبه — يا للمخلوق المسكين — أعمى ،

ولكن . أغلقوا عليه ما شئتم ،

فإن الحب الأعمى — كما يحلو لكم أن تدعوه —

لن يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد ترضون النسر على أن يخضع لقبضاتكم ،

أو لعلكم تصرفون كاهن الشرق عن دينه ،

بل ربما زحزحتم اللبؤة عن فريستها ،

ولكنكم لن تستطيعوا أن تقفوا في وجه العاشق ،

فإنه لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً .

السيد مصطفى غازي

ليسانس في الآداب من جامعة فاروق الأول

الشرق . ولن ألفت القارئ إلى ما في الأبيات السالفة من سلاسة وعذوبة فهي تنم عما يترقرق فيها من جمال فاتن ، وتشهد لقائلها المطبوع بالجودة والافتنان .

ولقد كان الشاعر دارساً لدينه دراسة مستفيضة ، ولم يجنح به هواه — وهو المسلم الغيور — إلى المغالاة والتعصب ، بل كان يضع الأمور في نصابها وضعاً صحيحاً ، فحين بذر «السيرغورست» بذور الشقاق بين المسلمين والأقباط ، أدرك محرم مراميه الدنيئة ، فهب يدعو إلى التسامح الديني ويذكر المنصرين المتناصرين لمبادئ الإنجيل والقرآن ، ويشيد بعظمة المسيح ومحمد ، ويرجع القهقرى إلى التاريخ المصري القديم فيصور مجد الفراعنة الزاهر ، ويستشهد بالأهرام الشاهقة ، والمعابد الماثلة ، ويعرض لما كان بين عمرو والمقوقس من عهود ، ثم يهدف إلى المطامع الأوربية وما بيته الإنجليز لمصر من شر يعصف بالعزة ويمحق الكرامة . وقديماً كان التسامح والتواد منهج القادة من المفكرين والمصلحين وبهذه الروح السامية تكشفت خبائث المحتلين وافتضح الثعلب الإنجليزي الماكر فأطرق برأسه إلى الأرض حين أبصر الهلال والصليب يتعانقان في محبة وسلام .

(البقية في العدد القادم) محمد رجب البيومي

نصير الدين الطوسى

حامى الثقافة الاسلامية

وتراث العرب الفكرى إبان الغزو المغولى

للأستاذ ضياء الدخيلى

مدرسته ومكتبته فى مراغة ، جهوده الخصبة فى حقول علم الفلك فى مرصده العظيم ، شهادات كبار المستشرقين سيديو الفرنسى ، نلينو الايطالى وفليب وسارتون واسمث الآمريكيون .

ما يقوله فيه ابن العبري وابن شاكر وابن كثير ودائرة المعارف الاسلامية وابن الوردى وابن قيم الجوزية .

قال داود اسمث الأمريكى فى كتابه تاريخ الرياضيات ج ١ ص ٢٨٧ . [وفى عصر انحطاط المعرفة فى بلاد الإسلام لا تجد فى القرن الثالث عشر من يستحق أن نخصه بالذكر سوى مؤلف من إيران أنفق سنوات حياته الأخيرة فى بغداد . ذلك هو نصير الدين محمد ابن محمد بن الحسن أبو جعفر وكان من سكان طوس فى خراسان وعاش من عام ١٢٠١ م حتى سنة ١٢٧٤ م وقد نبغ فى علوم مختلفة وألف فى علم المثلثات والفلك والحساب والهندسة وفى تركيب الأسطرلاب وكيفية استعماله] .

فها أنت تجد اسمث يسجل إعجابه بالطوسى وبالظاهرة التى لفتت إليه الأنظار وهى تبرزه فى علوم مختلفة وتآليفه فيها الكتب الخالدة . وقد فات اسمث علوم جليلة أخرى تفوق فيها الطوسى ومنها الفلسفة . فإن كتابه فى شرح إشارات ابن سينا من أنفس الكتب كما شهد له بذلك ذوو الفضل ، وأن دائرة المعارف الإسلامية قد اعترفت له أيضاً بأنه كان علامة فى مواضيع شتى وعلوم متباعدة الأغراض وأنه ألف فيها الروائع النفسية وقالت عنه أنه Polychronicler ومعنى هذه الكلمة صاحب التآليف والتصانيف فى مواد شتى ، وقالت إنه يرجع الفضل فى شهرته وذيوع صيته وراء الدوائر الشيعية لكتبه وتتبعاته فى العلوم الصحيحة من الطب والطبيعيات (الفيزياء) والرياضيات وعلى الأخص فى علم الفلك والهيئة حيث نال الطوسى أكبر شهرة بأعماله العظيمة فى حقل علم الفلك . وقد كان مديناً فى حصوله على وسائل تتبعاته الفلكية لشغف خانات المغول بفن التنجيم وعلى الأخص صاحبه هولاكو الذى رغبه فى بناء مرصد كبير فى مراغة جهز بأحسن الأدوات وبعضها استنبط وصنع لأول مرة وزوده بجماعة كبرى من الراصدين والمراقبين . وكان عمر الطوسى عندما ابتدأ ببناء الرصد ٦٠ عاماً وقد بقى ١٢ سنة أخرى حتى أنجز وأتم عمله فى حساب جداول جديدة للكواكب السيارة قامت على الأرصاد والمشاهدات الشاملة . وقد دون استنتاجاته فى كتابه (الزيج الايلخانى) وتتناول المقالة الأولى بحث التواريخ ، والثانية حركات السيارات ، وخصصت المقالتان الثالثة والرابعة للأرصاد التنجيمية . ومن مؤلفاته الأخرى نذكر كتاب (التذكرة الناصرية) وفيها تخطيط وعرض لجميع ما فى حقل علم الفلك وقد علق عليها العلماء المتأخرون وشرحوها عدة شروح الخ (راجع al Tusi فى دائرة المعارف الإسلامية الجزء الرابع ص ٨٩٠ من النسخة الإنجليزية) .

وقال المستشرق الفرنسى العلامة سيديو فى كتابه (تاريخ العرب العام) وكان سيديو أستاذ التاريخ فى كلية سان لويس وعضواً فى مجلس الجمعية الآسيوية وفى اللجنة المركزية للجمعية الجغرافية فى فرنسا وسكرتير كوليج دو فرانس الخ .. قال فى (ص ٤١٠) واختلط تاريخ سلاطين آل سلجوق بأخبار الحروب الصليبية منذ القرن الثانى عشر فظلت العلوم فى الشرق معطلة طيلة هذه الحروب بنطاء لم يرفعه عنه أحد بعد .

وهذا لا يعنى أن الدراسات الجدية هجرت فقد أبصرنا خان المغول هولاكو يجمع فى بلاطه (عام ١٢٥٩ م) علماء اشتهروا بمعارفهم الرياضية والفلكية وأشهر هؤلاء العلماء هو واضع الزيج الأيلخانى نصير الدين الطوسى . وقد وجد هذا العالم فى نعم مولاه الجديد ما يشجعه فأقام مرصد مراغة وجمع بعناية ما هو منثور فى خراسان وسورية وبغداد والموصل من المخطوطات . ولم يأل جهداً فى إكمال الآلات التى يستعملها فى إرصاده .

ومما صنعه إحداث ثقب فى قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها فى مختلف فصول السنة وتعاقب الساعات : وهذا يعنى تطبيقاً جديداً للميل ذى الثقب الذى استعان به العرب منذ القرن العاشر . ومن هذا الميل وذات الحلق الكبرى التى تشابه آلة (تيخو براهة)[1] وأرباع الدائرة المتحركة والكرات السماوية والأرضية وأنواع الاسطرلاب تتألف مجموعة آلات مهمة استعان بها نصير الدين الطوسى .

قال (سيد يو) وساعد نصير الدين فى أعماله مؤيد الدين العرضى وفخر الدين الخلاطى التفليسى ونجم الدين بن دبيران القزوينى وفخر الدين المراغى الموصلى ومحيى الدين المغربى وغيرهم . فأنجز فى (١٢) سنة من الأعمال ما يتطلب (٣٠) سنة على حسب الحسابات الأولى وعلمنا أنه اقتبس الزيج الحاكمى لابن يونس مع إدخال تعديلات مفيدة قليلة إليه ففتح دور إقبال كبير على المرصد ولخص علىُّ شاه البخارى والندام Alnaddam (٤) . (كذا فى إحياء الكتب العربية — ولعل الصواب أنه النظام) ونجم الدين ابن اللبودى — الزيج الأبلخانى ، وصحح هذا الزيج غياث الدين جمشيد بن مسعود الكاشى ؛ فكان معول جميع المدارس الفلكية حتى ظهور ابن الشاطر الذى عدل فى سنة ١٣٦٠ شيئاً مما ارتضاه أسلافه فى النتائج .

يقول (سيد يو) إذن أعاد مغول بلاد فارس إلى المدرسة العربية بعض رونقها وترى من ناحية أخرى أن (كوبلاى خان) أخا (هولا كوخان) عند ما أتم فتح الصين نقل إلى مملكة ابن السماء رسائل علماء بغداد والقاهرة .

ونلقى (كوشو كينغ) فى سنة ١٢٨٠ م أزياج ابن يونس من جمال الدين الفارسى فدرسها دراسة دقيقة وإن عرض (غوبيل) لآثار (كوشو كينغ) لم يكن ليكشف القناع عن أصلها . وعلى ذكر سيديو ابتكار الطوسى إحداث ثقب فى قبة المرصد تنفذ منه أشـعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها فى مختلف الفصول وتقاقب الساعات الخ — بهذه المناسبة نذكر للقارئ الكريم ما نقله ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى الجزء ١٣ من كتابه (البداية والنهاية) عن عظم قبة المرصد .

قال ص ٢٦٧ [إن الخواجا نصير الدين هو الذى كان قد بنى المرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء وبنى فيه قبة عظيمة وجعل فيه كتباً كثيرة جداً] .

وكان ابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م فى مدينة مراغة من أعمال أذربيجان — قد انتقل إليها منذ برهة من الموصل ، روى أخوه برصوما أنه لما فشت التعديات فى نواحى نينوى ألحّ عليه فى الانتقال إلى مراغة وكان هناك [فى مراغة] مكرماً من خاصة الناس وعامتهم [وإذا عرفنا أن وفاة الطوسى رحمه الله — كانت عام ١٢٧٤ م علمنا أن ابن العبرى توفى بعد الطوسى بـ (١٢) سنة فهو إذن قد شاهد الحركة العلمية فى مراغة] .

وقد قال ص ٥٠٠ من تاريخه [وفى عام ٦٧٥ هـ توفى الخواجا نصير الدين الطوسى الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة : وهو حكيم عظيم الشأن فى جميع فنون الحكمة واجتمع إليه فى الرصد جماعة من الفضلاء المهندسين وكان تحت حكمه جميع الأوقاف فى جميع البلاد التى تحت حكم المغول وله تصانيف كثيرة : منطقيات والاهيات وأوقليدس ومجسطى وله كتاب أخلاق فارسى فى غاية ما يكون من الحسن جمع فيه نصوص أرسطو وأفلاطون فى الحكمة العملية ،وكان يقوى آراء المتقدمين ويحل شكوك المتأخرين والمؤاخذات التى أوردوا فى مصنفاتهم ثم يذكر أعوانه على الرصد . وقد ذكر عن محيى الدين المغربى ما نقله له من كيفية خلاصه من ذبح التتار له فقال : كان محيى الدين المغربى مع الملك الناصر فلما أراد المغول أن يقتلوه وجماعته قال محيى الدين لهم : إننى رجل أعرف علم السماء والكواكب والتنجيم ولى كلام أقوله لملك الأرض (يعنى هولا كو) يقول ابن العبرى — قال محيى الدين

---

(١) (تيخو براهه) هو فلكى ألمانى أسس مرصد (أورانبرغ) فى ألمانيا سنة ١٥٧٦ م

قال سـيديو عدت الحلقة بين الآلات الكثيرة التى استعملها (تيخو براهة) أول من اكتشفوا شذوذ أعظم عرض للقمر فقد رصد العرب هذا الشذوذ قبله بستمائة سنة وعد تعيين الاختلاف الثالث للقمر أهم ما يفتخر (تيخوبراهة) وهو من حق (أبي الوفاء) أن ينتزع منه هذا الشرف

المذكور لما اجتمعنا به فى مدينة مراغة — إننى لما قلت لهم هذا الكلام أخذونى وأحضرونى بين يدى هولاكو فتقدم أن يسلمونى إلى خواجا نصير الدين] .

وإنك من كلام ابن كثير وابن العبرى وهما قريبا عهد بالطوسى إذ توفى ابن كثير بعد الطوسى بـ (٩٩) سنة — نجد أن الطوسى رحمه الله قد أحدث حركة علمية جبارة فى مراغة فى عهد الغزو المغولى وقد حمى الثقافة الإسلامية من الدثور والاضمحلال فى زمن تهدمت فيه أغلب الحواضر الإسلامية من سمرقند إلى بغداد وغيرهما ، وكان مرصده عظيما ومكتبته أعظم .

لقد شيد نصير الدين صروح تلك المدرسة التى أسبغ عليها طابعه الخاص من اهتمامه بالفلك والرياضيات والفلسفة فلم تكن مدرسة لغوية كمدرستى الكوفة والبصرة حين انتظمت حلقات الكوفيين والبصريين من النحاة وعلماء اللغة كالأصمعى وأبى زيد والخليل ابن أحمد وتلميذه سيبويه — كلا إنما كانت مدرسة الطوسى معهداً للعلوم العقلية ؛ لذلك ترکت صداها مدوياً فى أوربا وأمريكا وكانت يد الطوسى المباركة رحمة حمى الله بها تراث الإسلام ونتاج الأدمغة العربية وباقى الأمم الإسلامية لحفظ به كتب العلم وأنقذها كما أنقذ كثيراً من النفوس المحترمة من سيوف البرابرة المتوحشين (المغول) . وما أدرى ما ذا يريد بعض المتطاولين عليه رحمه الله أكانوا يريدون منه أن ينتحر بسيوف أولئك الطغاة وماذا يفعل تجاه تيار همجيتهم وبربريتهم ؟ بل إن روضات الجنان يحدثنا أن هولاكو كاد يفتك به فى بعض المواقف بتأثير دس المغرضين والكائدين والحساد .

إن الطوسى امتاز بعقلية جبارة . والغريب أنه مع كثرة تآليفه فى أدق العلوم الفكرية — كان سياسياً محنكا ، وزر لعدة ملوك واحتفظ بكرامته لولا وشايات الحساد الذين كادوا له حتى اعتقل فى سجن الموت عند الإسماعيلية .

قال الإمام الحافظ المؤرخ بن كثير الدمشقى (أن الطوسى كان يقال له المولى نصير الدين ويقال له الخواجا نصير الدين . اشتغل فى شبيبته وحصل علم الأوائل جيداً وصنف فى علم الكلام وشرح الإشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الألموت من الإسماعيلية ؛ ثم وزر لهولاكو وكان معه فى واقعة بغداد . ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة فالله أعلم وعندى أن هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل ، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه وقال كان عاقلا فاضلا كريم الأخلاق ودفن فى مشهد موسى بن جعفر فى سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله . وقد توفى وله خمسة وسبعون سنة وله شعر جيد قوى ، وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار (كذا) بن على المصرى المعتزلى التشيع فنزع فيه عروق كثيرة منه حتى أفسد اعتقاده)

وقال الشيخ زين الدين عمر بن الوردى فى تاريخه (ج ٢ ص ٢٣٣) .

(وفى سنة ٦٧٥ هـ فى ثامن ذى الحجة توفى النصير الطوسى محمد بن محمد بن الحسن خدم صاحب الألموت (كذا) ثم خدم هولاكو وحظى عنده وعمل له رصداً بمراغة وزيجا ، وله إقليدس يتضمن اختلاف الأوضاع ومجسطى وتذكرة فى الهيئة ، وشرح الإرشادات وأجاب عن غالب إيرادات فخر الدين الرازى عليها ومولده جمادى الأولى سنة ٥٩٧ ودفن فى مشهد موسى الجواد)

لقد شيد الطوسى قواعد مدرسته فى مراغة ولم تكن هذه المدينة عاطلة من العلم قبله فإن ياقوتا المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وكان قبل الطوسى يحدثنا أنه ينسب إلى المراغة جماعة من المحدثين والفقهاء وأن بها آثاراً ومدارس وخانقاوات حسنة وأنه كان بها أدباء ومحدثون وفقهاء .

ويقول ابن العبرى فى تاريخه (وكان فى هذا الزمان وفى سنة ٥٧٥ هـ وما قُبيلها من الحكماء المشهورين بالشرق السموأل ابن أبهوذا المغربى الأندلسى الحكيم اليهودى قدم هو وأبوه إلى الشرق وكان أبوه يشدو شيئاً من الحكمة ، وكان ولده السموأل قد قرأ فنون الحكمة ، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها وله فى ذلك مصنفات . وصنف كتباً فى الطب وارتحل إلى أذربيجان وخدم بيت بهلوان وأمراء دولتهم وأقام بمدينة مراغة وأولد أولاداً هناك سلكوا طريقته فى الطب ، ثم أسلم وصنف كتاباً فى إظهار معايب اليهود ومواضع الدليل على تبديلهم التوراة ومات بالمراغة قريباً فى سنة ٥٧٠ هـ) .

وإذن فإن مراغة كانت تحتضن حياة علمية قبل الطوسى رحمه الله الذى ولد عام ٥٩٧ هـ أى بعد وفاة هذا الحكيم اليهودى بسبعة وعشرين عاما .

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الدخيلى

القوة الحربية لمصر والشام

فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمـــد أحمد بدوى

— ٥ —

حاول الأسطول المصرى فى أول عهد الحروب الصليبية أن يقوم بدوره فى الدفاع عن الأراضى المقدسة ، فكان ينجد المسلمين فى عسقلان ويافا وصور وبيروت وطرابلس وجبلة واللاذقية [١] ، وكان ينتصر على الفرنج أحياناً [٢] ، وأحياناً يرده الفرنج عن وجهه فيعود إلى مصر [٣] ، وكان أهل الشام يترقبون قدوم الأسطول إليهم ، ويدخل الأمل قلوبهم إذا وجدوه فى موانيهم ، وكان قديراً على رد العدوان عن بلادهم لو أن الحالة السياسية فى مصر ساعدته على ذلك ؛ فلم يكن ضعف ولا قلة فى جند أو سلاح أو أموال [٤] ، ولكن الحالة السياسية التى سادت مصر فى آخر عصر الدولة الفاطمية هى التى حالت بين الأسطول وبين المساهمة الفعالة الجدية فى هزيمة الصليبيين .

فلما جاء صلاح الدين انتفع بالأسطول المصرى أيما انتفاع واشترك الأسطول اشتراكا فعلياً ناجحاً فى إنزال الهزيمة بالأعداء المغيرين . فهو ، حيناً ، يستولى على سفنهم ، ويظفر بالأسرى منهم ، كما حدث سنة ٥٧٥ ، فى اليوم الذى انتصر فيه المسلمون فى معركة مرج عيون ظفر الأسطول بسفينتين وألف أسير [٥] وغنمت من هذه الغزوة أقوام كانت أعينهم لا تعرف عين الدرهم ولا وجه الدينار [٦] ، وحيناً يغزو الساحل غزوة موفقة يحطم فيها أسطول الفرنج كما حدث فى غزوة عكا ؛ تلك الغزوة التى وصفها القاضى الفاضل بقوله : الأسطول المصرى غزا غزوة ثانية

(١) خطط الشام الكردعلى ج ٥ ص ٤١

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٨٠ و ٢٩٢ و ٢٩٤

(٣) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٩ (٤) المرجع السابق

(٥) الروضتين ج ٢ ص ٩ ولين بول ص ٢٠٦

(٦) الروضتين ج ٢ ص ١١

غير الأولى ، وتوجه عن السواحل الإسلامية مرة أخرى ، منّ الله فيها منة أخرى ، وكانت عدته فى هذه السنة قد أضعفت وقوّيت ، واستفرغت فيها عزائم الجهاد ، واحتلت به الرجال الذين يعملون فى البحر ، ويفتكون فى البر ، ومن هو معروف من المغاربة بغزو بلاد الكفر ، فسارت على سوار هى كنائن ، إلا أنها تمرق مروق السهام ، وواكد هى مدائن إلا أنها تمر مر السحاب غير الجهام ، فلا أعجب منها تسمى غرباناً وتنشر من ضلوعها أجنحة الحمام ، فطرقت فى الأحد حادى عشر جمادى الأولى ميناء عكا ، وهى قسطنطينية الفرنج ودار كفرهم ، أبدلها الله من الكفر إسلاما ، وخلع عنها الشرك البالى ، وخلع عليها من التوحيد أعلاما ؛ فما هى إلا أن حذفت والجة على الميناء وفيه المراكب والبضائع ، فاستولت على المراكب تحطيما وتكسيراً ، ونطاحا بقلقل ولو كان ثبيراً ، وأخلت ساحل الفرنج بقتالها ، وباشرت مثل السماء بنزولها ونزالها ، وهذا مما لم يعهد من الأسطول الإسلامى مثله فى سالف الدهر ، لا فى حالة قوة إسلام ولا ضعف كفر [١] .

وفى مرة أخرى أغار على بيروت فسبى منها وعاد بالغنائم [٢] وحيناً يساعد الجيش البرى فيشغل العدو بالقتال ، كما حدث فى معركة طبرية [٣] ، وإذا كان الأسطول المصرى قد كسر أمام صور فليس ذلك راجعاً إلا لغفلة رجاله فى الليل ، وكأنهم كانوا شديدى الثقة بأنفسهم فانتهز الفرنج هذه الغفلة وخرج أسطولهم فى الليل ، فأسر الفرنج مقدمى الأسطول المصرى وقتلوا خلقاً عظيما ، وأخذوا منه خمس قطع [٤] ، ولم يؤثر ذلك فى قوة الأسطول الذى استعاد مركزه ، وأخذ مكانه فى معركة عكا ، وقد ألقى عليه فى هذه المعركة عبء كبير ؛ ففى سنة ٥٨٥ يستدعيه صلاح الدين ليعينه على أخذ المدينة ، فتسرع إليه خمسون قطعة مع القائد لؤلؤ ، تنقض فجأة على أسطول الفرنج فتبدده ، وتظفر ببطستين كبيرتين بما فيهما من أموالهم ورجالهم [٥] ، وقويت نفوس أهل عكا بوصول الأسطول ، وقوى جنانهم [٦]

(١) المرجع السابق ص ١٤ (٢) المرجع السابق ص ٢٩

(٣) طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٣٤٠

(٤) النوادر لابن شداد ص ٦٨

(٥) الروضتين ج ٣ ص ٢٤٨

(٦) الكامل لابن الأثير ج ١٢ ص ٢٠

وأرسل صلاح الدين يطلب مدداً جديداً من الأسطول ، فعنى الفرنج بتعمير أسطول لقتاله ومنعه من دخول عكا ، واشتد أسطول صلاح الدين فى قتال أسطول العدو ، وسار الناس على جانب البحر تقوية للأسطول وإيناساً لرجاله ، والتقى العسكران فى البر والأسطول فى البحر ، وجرى بينهما قتال شديد انتهى بانتصار الأسطول المصرى ، وأخذ من العدو الشوانى ، وقتل به ونهب جميع ما فيه ، وظفر من العدو بمركب أيضاً كان واصلاً من قسطنطينية ، ودخل الأسطول المنصور عكا ، وكان قد صحبه مراكب من الساحل فيهـا ميرة وذخائر ، وطابت قلوب أهل البلد ، وانشرحت صدورهم ؛ فإن الضائقة كانت قد أخذت منهم (١) .

ولما اشتد الأمر بعكا ، وأدار الفرنج مراكبهم حولها حراسة لها من أن يدخلها مراكب المسلمين ، وقويت حاجة من فيها إلى الطعام والميرة ، ركب جماعة من المسلمين فى بطسة ، وتزيوا بزى الفرنج ، حتى حلقوا لحاهم ، ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث ترى من بعد ، وعلقوا الصلبان ، واستطاعوا بهـذه الحيلة دخول عكا سالمين (٢) . وفى مرة أخرى قدمت إلى المحاصرين من مصر ثلاث بطس مشحونة بالأقوات والميرة وجميع ما يحتاج إليه فى الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء ، وقد فنى الزاد ولم يبق عندهم ما يطعمون ، فلما دنت من عكا خرج إليها أسـطول العدو يقاتلها ، ولـكنها استطاعت أن تفلت وتصل سالمة إلى عكا ، وتلقاهم أهلها تلقى الأمطار بعد الجدب وامتاروا ما فيها (٣) ، وحاول الفرنج وهم يحاصرون عكا حرق الأسطول المصرى بهـا ، والاستيلاء على برج فى الميناء حتى يحرسوه ، ويحولوا دون دخول المراكب بالميرة إلى المدينة ، فأعدوا بطسة ببرج ملئوها حطباً يشـعلونه ناراً ويلقونه على برج الميناء لقتل ما فيه وأخذه — وبطسة ثانية ملئوها حطباً ووقوداً على أن يدفعوا بها ، حتى تدخل بين البطس الإسلامية ، فيلهبوا الوقود فيحرق البطس الإسلامية ، ويهلك ما فيها من الميرة ، وجعلوا فى بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو ، بحيث يكونون فى مأمن لا يصل إليهم أذى سـلاح ، فإذا أرادوا إحراقه دخلوا تحت ذلك القبو فأمنوا ، ولـكنهم ما كادوا يشعلون النار ، حتى انعكس الهواء عليهم ، أما البطسة التى كانت معدة لإحراق البرج فإنها احترقت بأسرها ، وهلك من كان فيها من المقاتلة إلا القليل ، وكذلك احترقت البطسة التى كانت معدة لإحراق الأسطول المصرى ووثب المسلمون عليها فأخذوها . وأما ذات القبو فقد انزعج من فيها وخافوا وهموا بالرجوع ، واضطربوا اضطراباً عظيماً ، فانقلبت وهلك جميع من كان بهـا ، لأنهم كانوا فى قبو لم يستطيعوا الخروج منه (١)

وحاول الأسطول مرة أخرى دخول الميناء يحمل إليها الميرة فتحطم بعضه على صخور الميناء ، لاضطراب البحر ، واشتداد هيجانه . وكان فيه من الميرة مما لو سلم لـكفى البلد سنة كاملة(٢) وكان هذا سبباً من أسـباب سقوط عكا . وحاول صلاح الدين أن يرسل بطسـة كبيرة مشحونة بالآلات والأسلحة والميرة والرجال والأبطال المقاتلة ، حتى تدخل البلد مراغمة للعدو ، وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا ، فأحاط بها العدو من جميع جوانبها واشتدوا فى قتالها ، وجرى القضاء بأن وقف الهواء فقاتلوها قتالاً عنيفاً ، وقتل من العدو عليها خلق كثير ، وأحرقوا للعدو شينياً كبيراً فيه جند كثير هلـكوا جميعاً ، ولـكن العدو تـكاثر على أهل البطسة ، وكان مقدمهم رجلاً شجاعاً مجرباً يقال له : يعقوب ، من اهل حلب ، فلما رأى أن الدائرة ستدور عليهم صمم هو ومن معه ألا يسلموا من هذه البطسة شيئاً . فأعملوا معاولهم فيها ففتحوها من كل جانب فامتلأت ماء وغرق جميع من فيها وما فيها ، ولم يظفر العدو منها بشىء . وتلقف العدو بعض من كان فيها ، وخلصوه من الغرق وأرسلوه إلى المدينة ليخبرهم بالواقعة (٣) .

وظل الأسطول المصرى طول عهد صلاح الدين قائماً بواجبه يغير على أسطول الفرنج ، ويقتل من رجاله ، ويأسر ما شاء منهم ويستولى على مراكبه (٤) .

---

(١) الروضتين ج٢ ص ٢٥٤ (٢) النوادر لابن شداد ص ١١٩
(٣) المرجع السابق ص ١٢٢

(١) المرجع السابق ص ١٢٣
(٢) النوادر لابن شداد ص ١٣٩ (٣) المرجع السابق ص١٤٨
(٤) الروضتين ج ٢ ص ١٩٤

ولم يقف جهاد الأسطول في عهده على حرب الفرنج بالبحر الأبيض فقط ، ولكن كانت له وقفات حاسمة في البحر الأحمر أيضاً ، دافع فيها الفرنج عن الأراضي المقدسة بالحجاز ؛ ذلك أن صاحب الكرك وهو من ألد أعداء المسلمين وأشدهم نكاية فيهم ، فكر في مهاجمة المسلمين في البحر الأحمر ظناً منه أنهم غير مستعدين فيه ، وتأديباً لحامية أيلة التي كانت تغير عليه ، ولا سبيل له عليها لأنها تقيم بقلعة في وسط البحر ، فبنى سفناً ، ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل ، وجمعها في أسرع وقت ، وشحنها بالمحاربين وآلات القتال ، وسارت السفن وقد افترقت فرقتين ، أقامت إحداها على حصن أيلة يحصرونه ويمنعون أهله من ورود الماء ، فأصاب أهله شدة وضيق ، ومضت الثانية ، وهي فرقة فدائية إلى عيذاب، وأفسد جندها في السواحل ، ونهبوا ، وأخذوا ما وجدوا من المراكب الإسلامية ومن فيها من التجار ، وفاجئوا الناس على حين غفلة منهم ، فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجياً ولا محارباً[1] ، وأرادت الفرقة أن تقطع طريق الحج ، فقد كانت الغزوة في شهر شوال سنة ٥٧٨ ، وأن تمضى إلى المدينة المنورة لتنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنقل جسده الشريف إلى بلادها ، وتدفنه عندها ، ولا تمكن المسلمين من زيارته إلا بجعل[2] ؛ وسارت الفرقة إلى بلاد الحجاز ، وجاء الخبر إلى مصر وبها الملك العادل أخو صلاح الدين ، فأمر قائد الأسطول وهو الحاجب لؤلؤ أن يتتبع هؤلاء الغزاة ، فانقض على محاصرى أيلة انقضاض العقاب ، وقاتلهم فقتل بعضهم وأسر الباقي ، ومضى تواً إلى شاطئ الحجاز ، فوجدهم قد أوغلوا في طريق المدينة حتى لم يبق بينهم وبينها إلا مسافة يوم[3] ، فمضى خلفهم على خيل أخذها من الأعراب ، وحاصرهم هناك في شعب[4] حتى استسلموا ، فقتل أكثرهم ، وأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها ، عقوبة لمن رام إخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله[5] ، وعاد بالباقين إلى مصر ، فكان لدخولهم يوم مشهود ، وأرسل صلاح الدين

(١) الكامل لابن الأثير حـ ١١ ص ٢٢١ .
(٢) خطط المقريزي حـ ٣ ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الروضتين حـ ٢ ص ٣٥ .
(٥) الكامل لابن الأثير حـ ١١ ص ٢٢٢ .

إلى أخيه العادل يأمره بقتل أسراه ، ويقول له على لسان القاضي الفاضل : وهؤلاء الأسارى قد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ... ولا بد من تطهير الأرض من أرجاسهم ، والهواء من أنفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين . ويظهر أن العادل كان من رأيه الإبقاء عليهم فكتب إلى أخيه بما رآه ، ولكن صلاح الدين لم يغير رأيه فيهم فكتب إلى العادل يقول له : «وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في إبقائهم فسحة ولا في استبقاء واحد منهم مصلحة ، ولا في التغاضي عنهم عند الله عذر مقبول ، ولا حكم لله في أمثالهم عند أهل العلم بمشكل ولا مجهول ، فليمض العزم في قتلهم ، ليتناهى أمثالهم عن فعلهم ، وقد كانت عظيمة ما طرق الإسلام بمثلها » ؛ غير أن العادل والسياسة جزء من عناصره لا يسرع إلى قتلهم بل يراجع أخاه كرة أخرى ، فيرد عليه بالقول الفصل : قد تكرر القول في معنى أسارى بحر الحجاز ، فلا نذر على الأرض من الكافرين دياراً ، ولا نوردهم بعد ماء البحر إلا ناراً فأقلهم إذا بقى جنى الأمر الأصعب ، ومتى لم تعجل الراحة منهم وعدت العاقبة بالأشق الأصعب[1] ، فلم يبق بعد ذلك مجال للمراجعة وقتل الأسرى ، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة[2] .

هذا وكان للأسطول المصرى في البحر الأحمر الفضل في فتح بلاد اليمن على يد توران شاه أخى صلاح الدين فهو الذي حمل الأزواد والعدد والآلات إلى تلك الديار[3] .

ورأينا الأسطول المصرى في عهد العادل يظفر بالفرنج سنة ٥٩٣ ويعود إلى القاهرة غانماً سبعين فارساً بذل أحدهم في فدائه ثمانين ألف دينار[4] ، ويعود من الغزو في السنة التالية حاملا معه أربعمائة وخمسين أسيراً[5] .

وكان للأسطول المصرى أثر حاسم في معركة المنصورة الأولى في عهد الكامل سنة ٦١٧ ، وكان عدد شواني المسلمين مائة

(١) الروضتين حـ ٢ ص ٣٦ .
(٢) خطط المقريزي حـ ٣ ص ١٣٩ .
(٣) الروضتين حـ ١ ص ٢١٧ .
(٤) ذيل الروضتين ص ١١
(٥) المرجع السابق ص ١٣

قطعة[١] ، والمعركة الثانية سنة ٦٤٧ ، تلك التي انتهت بهزيمة الغزاة من الفرنج ، فإن الصالح أيوب ما كاد يدخل المنصورة ، حتى قدمت الشواني المصرية بالعدد الكاملة والرجالة[٢] ؛ فلما مات وعسكر الصليبيون أمام المنصورة كانت الميرة ترد إليهم من دمياط في النيل ، فصنع المسلمون عدة مراكب ، وحملوها وهي مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة ، وطرحوها فيه ، وشحنوها بالمقاتلة ، فلما جاءت مراكب الفرنج خرجت عليها تلك المراكب بغتة ، وقاتلتها وقدم الأسطول المصري من المنصورة ، فأخذ مراكب الفرنج أخذاً وبيلا ، وكانت اثنتين وخمسين مركباً وقتل منها وأسر نحو ألف فرنجي ، وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات ، وحملت الأسرى على الجمال إلى المعسكر ، فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج ، ووقع الغلاء عندهم ، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ، ولا يقدرون على الذهاب ، وقوى المسلمون عليهم ، وطمعوا فيهم ، وأراد الفرنج الانتقام ، فأخذوا من مراكب المصريين سبع حراريق ، وأرسلوا إلى دمياط في طلب الميرة ، فجاءت مراكبهم تحملها ، فالتقت بها شواني المسلمين ، وأخذت منها اثنين وثلاثين مركباً ، منها تسع شوان ، فاشتد الغلاء عند الفرنج ، وشرعوا في مراسلة السلطان يطلبون الهدنة[٣] .

وفي عهد بيبرس أراد السلطان أن يغزو قبرص ، ويستولي عليها ، فلما علم أن صاحبها قد قدم عكا بمراكبه ، نجدة لأهلها ، انتهز فرصة خلوها ، فجهز سبعة عشر شينيا[٤] ، وصلت الجزيرة ليلا ، فهاجت عليها ريح طردتها عن المرمى ، وألقت بعض الشواني على بعض ، فتحطم منها أكثر من أحد عشر شينياً ، وأخذ من فيها من الرجال والصناع أسرى ، وكانوا زهاء ألف وثمانمائة نفس ، فعظم ذلك على الظاهر بيبرس ، وأرسل صاحب قبرص كتاباً إلى السلطان ، يشمت به فيه ، فرد عليه السلطان بجواب أرعد فيه وأرق وقال فيه : إلى حضرة الملك ... نعلمه أن الله إذا أسعد إنساناً دفع عنه الكثير من قضائه باليسير ، وأحسن له بالتدبير فيما جرت به المقادير ، وقد كنت عرفتنا أن (الهوى) كسر عدة من شوانينا ... ونحن الآن نبشره بفتح القرين ، وأين البشارة بتملك القرين ، من البشارة بما كفى الله ملكنا من العين ، وما العجب أن يفخر بالاستيلاء على حديد وخشب ، الاستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب ... وليس من اتكل على الله وسيفه كمن اتكل على الريح ، وما النصر بالهواء مليح ، إنما النصر بالسيف هو المليح ... وإن عدمت من بحرية المراكب آحاد فمددنا من بحرية المراكب ألوف ، فلئن كنتم أخذتم لنا قرية مكسورة ، فكم أخذنا لكم من قرية معمورة ، وإن استوليتم على سكان ، فكم أخلينا بلاد كم من سكان[١] » . ثم أصدر بيبرس أمراً بإنشاء عشرين شينياً ، وبذل جهده في الإسراع بصنعها ، فلما كملت احتفل بإتمامها ، وخرج لاستعرضها ، ولكنه لم يحاول غزو قبرص مرة أخرى .

وقد رأينا ما كان من انزعاج الفرنج عند ما سمعوا باستعراض خليل بن قلاوون أسطوله الضخم في النيل ، فأرسلوا إليه الهدايا طالبين الصلح ، واستطاع الأسطول المصري في أيام الناصر محمد ابن قلاوون أن يمضي إلى جزيرة أرواد من أعمال قبرص ويستولي على ما فيها ويملكها ، ويأسر من الجزيرة مائتين وثمانين أسيراً .

(يتبع) **أحمد أحمد بدوي**

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

---

(١) خطط المقريزي ج ١ ص ٣٥١

(٢) السلوك للمقريزي ج ١ ص ٣٣٧

(٣) السلوك ج ٢ ص ٣٥٤

(٤) بين المؤرخين خلاف في عددها وعدد ما تحطم منها والذي اخترناه هنا ما ذكره صاحب النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٥٤

(١) عقد الجمان ص ٢٤٠

أدب القصة القصيرة

للأستاذ نصري عطا الله

قرأت ما كتبه أديبان فاضلان عن القصة القصيرة بالعددين ٨١٢ ، ٨١٥ من الرسالة الغراء بمناسبة المباراه التي أجرتها إحدى المجلات الأسبوعية ، وقد عن لي أن أعلق على ما جاء في مقاليهما بما يلي :

١ — تختلف القصة القصيرة عن القصة الطويلة لا في « الكم » وحده بل في « الكيف » أيضاً . وقصر الأقصوصة يجب أن يكون إيجابياً لا سلبياً ، وذلك يعني أن العاطفة التي تحفز كاتب الأقصوصة إلى كتابتها هي العاطفة التي يمكن التعبير عنها تعبيراً كاملا يفي بشروط الفن في حدود قصرها ، والإيجاز هنا لا يمكن أن يكون إرادياً أو اختيارياً بل هو تلقائي محض . أما اصطناعه اصطناعاً لغاية يهدف إليها الكاتب فذلك ما يخرج بالأقصوصة عن جوهرها ومقومات كيانها . ومن هنا قيل إن أول شروط كتابة الأقصوصة الجيدة هو ضرورة تلك الكتابة أي نضج العاطفة وتبلورها أولا في نفس الكاتب ثم شعوره بالحاجة إلى التعبير عن تلك العاطفة في أقصوصة لا في قصة أو مقال أو قصيدة .

وهكذا نستطيع أن نقول إن الأقصوصة ولدت يوم قامت الحاجة إلى التعبير عن لون معين من الإحساس بطريقة خاصة لم تحققها الصيغ الأدبية التي كانت موجودة حتى ذلك الحين . وليس هناك إذا « حيز محدود » أو « اقتضاب ملموس » أو « حد كبير من حرية الكاتب » .

٢ — الخاصية التي تتميز بها الأقصوصة هي وحدة المحور الذي تدور حوله ، أي أنها تنصب على فكرة واحدة أو عاطفة واحدة فقط ؛ فالكاتب يرتب حوادثها ويختار شخصياتها ويحلل نفسياتهم ويضع على ألسنتهم الحوار بحيث يؤدي كل هذا إلى جلاء حقيقة واحدة ولتكن « حب الترف يؤدي إلى التهلكة » مثلا ولا يجوز له أن يضمنها ما يرمي إلى جلاء فكرة أو عاطفة أخرى .

وترتبط هذه الخاصية بخاصية أخرى هي الإيجاز وهو ما لا يتوفر على وجه سوى إلا للكاتب الفطن ، الخبير بالنفوس وأغوارها المتمكن من اللغة وأساليبها فمثل هذا الكاتب وحده يستطيع أن يختار الخطوط الرئيسية لشخصيات أقاصيصه دون أن يزحمها بالتافه من الأوصاف والوقائع ، كما يستطيع أن يعبر عما بنفسه تعبيراً دقيقاً ، قوياً ، مؤدباً في أقل عدد ممكن من الألفاظ .

٣ — تحفل الحياة حولنا بمئات الموضوعات التي تصلح مادة للأقصوصة ؛ ولكن الكاتب لا يفطن إليها إلا وهو في مرتبة خاصة من حرارة الإحساس ونضج الشعور . والأقصوصة الجيدة هي التي تشعر بعد قراءتها بأننا قد زدنا شيئاً ، ولا يتحتم أن تضيف القصة إلى معلوماتنا وخبرتنا شيئاً جديداً ، بل يكفيها أن تزيدنا إحساساً وشعوراً بما كنا نعرفه قبلا ولا نحفل به كثيراً . وقد قال دوهاميل « ... إن ما في المألوف من روائيه لا يلبث أن يرينا كيف يصبح العادي خارقاً والحادث اليومي شاذاً .. المهم هو أن ندرك ما نراه كل يوم دون أن نلقي إليه بالا ، ومنه يتكون نسيج حياتنا اليومية العجيبة لو تأملنا . ونحن بذلك نضيف إلى معرفتنا بالإنسان وتصورنا له أشياء جوهرية » .

٤ — لا يتحتم أبداً على كاتب الأقصوصة أن يضمنها « حكاية » تتألف من حوادث متعددة أو معقدة ، بل يكفيه أن يبني الأقصوصة على فكرة مفاجئة ، أو بارقة شعور ، أو اتجاه جديد في النفس جاء إثر حادث أو تجربة ، أو تطور ما طرأ على إحدى العواطف لسبب من الأسباب المستمدة من واقع الحياة أو باطن النفس . إن كل ما يجيش به النفس وتستجيب له يصلح مادة للأقصوصة ولكن لن يكتبها إلا الذي يستطيع أن ينقل إلى نفوسنا ما جاش بنفسه وذلك عن طريق الأداء الفني الموفق .

٥ — قد تكون المفاجأة عنصراً من عناصر الأقصوصة أو قد لا تكون ، ولكن ما من كاتب أو ناقد يسلم بأن كل أقصوصة يجب أن تقوم على المفاجأة ، بل يجب أن نقرر واثقين مطمئنين أن الكاتب الفقير في عواطفه وخياله وخبرته بالنفس والحياة هو وحده الذي يعمد إلى حشد الحوادث وترتيب المفاجئات لا لشيء إلا لاستثارة نفوس السذج من القراء بطريقة صناعية مفتعلة .

٦ — من السذاجة أن يقول قائل إن الأقصوصة ليست

ميداناً لعرض صور الحياة المختلفة بما تحفل به من كثرة وعمق وغنى وتنوع ؛ والأمثلة على صدق ما نقول كثيرة ؛ فالكاتب الكبير « موباسان » يبرز من وراء أقاصيصه عملاقاً جبار الفكر جال بذهنه في كل مجال ، ودرس كل عاطفة ، وحلل كل غريزة ، وعرض لكل رأى . وفى أقاصيصه نستطيع أن ندرس النفس البشرية والطبيعة والحياة دراسة شاملة مستوفاة . والقول نفسه ينطبق على تشيكوف أيضاً . والعبرة بشخصية الكاتب ؛ فكلما كان صاحب شخصية فذة اتسع ميدان الكتابة أمامه .

وأحب أن أذكر هنا أنه لا يصح أبداً أن يحكم القارئ الشرقى على شخصيتى موباسان وتشيكوف بما نقل من أدبهما إلى العربية فذلك أقل من القليل ولا يكشف أبداً عن كل نواحى شخصيتيهما .

٧ — يجب أن ننزل على حكم الواقع آسفين مضطرين ، ونفرق — دون أن نعترف — بين الأقصوصة الأدبية والأقصوصة الصحفية . فالأقصوصة الأدبية هى التى أجملنا عناصرها فيما سلف . أما الأقصوصة الصحفية فهى التى يضع شروطها ويحتضنها أصحاب ومحررو المجلات الرائجة . وهى أقصوصة تجافى كل عناصر الأدب وخاصياته ؛ فمن شروطها ألا تكون عميقة ، وأن تخلو من التحليل النفسانى ، وأن تترا كم فيها الحوادث والفاجئات بعضها فوق بعض ، وأن تكون بالغة القصر ، مشوقة ، غير قاتمة أو قابضة ، وأن تنتهى بحادث سعيد ، وأن تكون سهلة حتى يستطيع قراءتها كل قراء المجلة من البواب والحلاق وبائعة الخردوات إلى الكواء والقصاب وطالب المدرسة الابتدائية . والقاعدة فى هذه المجلات هى: « عندنا جمهور يجب أن نرضيه بأى شكل » وقد قال لى كاتب كبير (كبير الحجم !) كان يرأس إلى وقت قريب تحرير إحدى المجلات الكبيرة : إن القارىء فريسة يجب إصابتها من أول طلقة . ومؤدى هذا أن الأقصوصة التى يشك المحرر فى أن قارئاً من القراء الذين سبق بيانهم قد يعرض عنها أو لا يرتاح لأى سبب يمليه الرأس الأجوف أو الذوق الفاسد ، فمصيرها إلى سلة المهملات حتى لو كان كاتبها موباسان أو تشيكوف .

(القاهرة) نصرى عطا الله

أحـــلام (*)

للأستاذ ابراهيم الوائلى

رُدّى إلىّ ترانيمى وأقداحى فقد ظمئت إلى الأنغام والراح

هجرتنى وزويت الكأس والنغما فماد قلبى كالأوتار منحطما
ماذا عليك إذا ما الدهر قد أنما لو تطفئين من الأنفاس ما اضطرما
يا جنتى وخيالاتى وأفراحى
ردى إلىّ ترانيمى وأقداحى

سـلى الطيور ونجواها على الشجر
ونسمة الروض تندى بالشذى العطر
والنور يلمع فوق الزهـر والغُدُر
هل كان إلا الربيع السمح من وطر
فيـه أبدد آلامى وأتراحى
ردى إلىّ ترانيمى وأقداحى

ردى إلىّ ربيعاً كان مزدانا وجنة عبقت بالسحر ألوانا
أيام كنت بعيد الهم جذلانا كالطفل يبسم للاطياف وسنانا
وأنت لحن أماسىّ وأصباحى
ردى إلى ترانيمى وأقداحى

هذى حياتى ضلالات وأوهام ونغمة الشعر أنات وآلام
والسكر ، ما السكر ؟ لا خمر ولا جام
تلك الحياة — وعيش المرء أحلام —
لم يبق فى النفس منها غير أشباح
ردى إلى ترانيمى وأقداحى

عاودت أمسى أستجلى الذى دفنا فلم أجد غير عهد يشبه الوسنا
وجئت أبحث عن يومى وما اضطبنا
فمـا تبينت إلا الكدّ والحنا
وغاية كظلال الأجرد الضاحى
ردى إلى ترانيمى وأقداحى

البيد جُنت بأنياب وأظفار والركب ما بين أهوال وأخطار
يا للظلال ويا للسلسل الجارى دنيا من العيش قد لُفت باعصار
فماد كل هزار غـير صداح

(*) من ديوان : فجر وضباب .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

راجي الراعي يعود إلى ميدانه :

إلى الأديب الأديب الأستاذ أنور المعداوي

لم يسعدني الحظ بعد بالتعرف إليك — وبين النعمة والنقمة نقطتان هما الحظ — ولكنني قرأت كلمتك عن « قطراتي » في « الرسالة » فتبينتك على ضوء قلمك الصافي العميق صفاء الينبوع وعمقه ، وما أجمل الصفاء والعمق يجتمعان ! ما أجمل الأديب — وأنت هو الأديب — يفتش عن الكتاب العاري الذي لا يتشح بغلاف ، لعل فيه قوة مكنونة ضائعة فيلبسه وشاحه ويحيي صاحبه بتلك الكلمات الفواحة بطيب الخلق وعبيره ...

لقد هزني في الصميم قلمك القوي الحي الصادق الصريح المخلص للأدب وبنيه كما هزك كتابي . وأنا لو كنت هجرت الأدب لرأيتني أعود إليه اليوم وقد أيقظت ما رقد في صدري ! ولكن القضاء لم يشغلني ولن يشغلني عن الأدب الذي هو محور كياني وقبلة أملي في هذه الحياة الصغيرة القصيرة التي لا تتسع للحلم البعيد الكبير ، وكأن بينهما عداء قديماً لا أدري من أثاره ولماذا أثير ...

أحييك شاكراً لك حسن ظنك ، معجباً بروحك وكأسك التي لا شائبة فيها ولا ثمالة .

إن لي إليّ جانب الفجر في كل يوم فجري الذي يأتيني بتلك «القطرات» ويأبى أن يفارقني كأنه يقول : أنت صاحب القطرات ولست شيئاً آخر ؛ ذلك هو حكم القدر في الناس يفرغهم على الصور التي يختارها ...

لدي الآن بالعربيـة من طراز الكتاب الذي وقعت عليه « القطرات » التي أبعث بها إليك ، ما يسع ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير أود إخراجها في كتاب للأقطار العربية ، ولكنني لم أوفق بعد في تحقيق هـذه الأمنية ، ولدي من الطراز نفسه كتاب بالإنجليزية لم يطبع بعد ، وكتاب بالفرنسية طبع في عام ١٩٣٦ أبعث إليك أيضاً بنسخة منه ...

منذ ربع قرن وأنا أكتب وتبقى لي كتبي لا أوفق في نشرها على الملأ ، وأنا لا أملك في الدنيا غير قطراتي التي تفتش عن كؤوسها ... وكأنه كتب للخيال الخلاق أن تتنكر الحياة لمواليده وتحرمها الغذاء والرداء ، فتظل عريانة في العراء تتحرق وتتلوى بين الضعفاء والبلداء ، تلك هي المعركة الناشبة منذ الأزل بين الأرض والسماء ، وهـذا هو ما في ما تدعوني إليه موضع العلة ومصدر البلاء ! ولكنني ما زلت أعتقد أن في الناس على وفرة القوالب التي أفرغوا فيها جيشاً من الخلق إلى جانب قراء الروايات والأدب السهل الرخيص ، تلذ له الموجة الفكرية الوضاءة القصيرة التي تحمل شيئاً جديداً . ولا هم لي الآن إلا أن أطل بفجري ونداه على هذه الدنيا المترامية الأطراف دنيا العروبة وفي رأسها مصر . فإذا سقيت وشربوا ظللت في الكرمة أسقي وظلوا يشربون حتى تفرغ الدنان ، ولن تفرغ ما بقي القلم في يدي ...

إن كلمتك هي التي تملي على ما أكتب ، وإني أعني أن يكون هذا الذي جرى به قلمك الجميل على صفحات « الرسالة » أول الصداقة بيننا ، تنيرها الروحانية ويوثق الأدب عراها ...

والسلام عليك من المخلص :

راجي الراعي

قصر العدل — بيروت

إلى الأديب المبدع الأستاذ راجي الراعي :

من حق رسالتك الرائعة على أن يقرأها الناس ، لأنها في رأي الفن قطعة من الفكر المحلق والبيان المشرق والخيال الوثاب . ولن أنسى أنني مدين بالشكر لقطرات نداك لأنها هي التي قادتني إليك ، وعلى جناحيها طفت بسمائك وحلقت في أفقك ، وصافحتك بروحي من وراء الآماد والأبعاد ! إن رسالتك لتؤكد لي مرة أخرى أنك تحمل بين جنبيك قلب إنسان ، وتحمل بين يديك قلم فنان .. ومن هذين المنبعين يفيض إعجابي بك وتقديري لك ، وكلاهما همسة يتردد صداها بين حنايا الضلوع وشغاف القلب ...

أنا سعيد بأن يكون هذا الذي جرى به قلمي على صفحات « الرسالة » أول الصداقة بيننا ، وأنها لصداقة تنيرها الروحانية كما تقول ويوثق عراها الأدب ، وشاكرلك هذا التقدير الكريم الذي أضفيته على قلم يهتز حياء من فيض ثنائك ، وحسبه أنه قد اغترف يوماً من فيض نداك !

وإذا كان القضاء لم يشغلك عن الأدب ، فإن الأدب ليعتز

بأن تكون فى ميدانه ، تسـقى الظامئين من كؤوس خمرتك الفـكرية المعتقة فى دنان الإلهام !

أجل يا صـديقى ، إن مكانك هنا وليس هناك ... إنك صاحب القطرات ولست شيئاً آخر ، وإن فجرك الذى يشع بأضواء النبوغ ليهدى السالـكين إلى فجاج الحق والخير والجمال .

بقى أن أقول لك إن راجى الراعى القاضى لم ينصف راجى الراعى الأديب ، وإن ميزان عدلك قد ظلم ميزان فنك : قطراتك أنت تفتش عن كؤوسها ؟ كلا يا صديقى ، إن كؤوسنا نحن هى التى تفتش عن قطراتك ! مواليد خيالك الخلاق تتنكر لها الحياة ؟ إنك لتظلم الحياة فى جوهرها المصفى ... إن الحياة لا يمـكن أن تبخل على الموهوبين من أمثالك بالذكر الجميل ! أما الذين يبخلون فهم البلداء الذين حرمهم الله نعمة الذوق والفـكر والشعور ، وأظنك توافقنى على أن هـذا القطيع من الآدميين لا يستطيع أن يغير شيئاً من وجه الحقيقة ، ولا أن يقيم الميزان لأقدار الناس ، ولا أن يحول بين فيض الإبداع وبين التدفق فى أودية الروح ومسارب العاطفة !

عليك إذن أن تكتب لهؤلاء الذين تلذ لهم الموجة الفـكرية الوضاءة التى تحمل شيئاً جديداً . وثق أنك إذا سقيت فستظل فى الـكرمة تسقى ولن تفرغ الدنان : إن كرمتك يا صديقى لتمت جذورها إلى أرض العبقرية بأسباب ، أما دنانك فأنا أبشرك منذ اليوم بكثرة الظامئين المتلهفين إلى أن يشربوا نخب أدبك العالى وفنك الرفيع !

أخلص الشكر على هديتيك الـكريمتين ... وإلى اللقاء فى رسائل خاصة ، تنقل إليك وإلىّ ومضات من الفـكر ودفقات من الوجدان .

توفيق الحـكيم والفن الإنسانى :

منذ أيام دق جرس التليفون فى مكتبى بوزارة المعـارف ، وكان المتحدث هو الأستاذ توفيق الحـكيم ... لقد تفضل الأستاذ الصديق فاتصل بى ليقول إن كلمات كتبتها عن « شهداء المثل العليا » قد تركت أثرها فى نفسه وصداها فى قلبه ، وكم يود أن يستمع لـكثير من هذه النبضات الإنسانية فيما أكتب من تعقيبات ! وقلت للصديق الـكريم رداً على جميل تقديره : يبدو أن بين فـكرينا شيئاً من توارد الخواطر ، وأن بين قلبينا شيئاً من توارد الخفوق ... لقد كنت على وشك الاتصال بك لأقول لك أيضاً إننى أود أن تخرج لنا روائع أخرى يبلغ فيها الفن الإنسانى ذورته كما بلغها فى « سليمان الحـكيم » ! ثم تشعب الحديث من الفن الإنسانى إلى غيره مما عرضنا له من فنون .

والحق أنى لم أكن قد قرأت بعد هذه المسرحية الرائعة حتى تفضل الأستاذ الحـكيم فأهداها إلى فى طبعتها الثانية التى ظهرت منذ قريب ... ولقد خرجت بعد قراءتها بحقيقة ملموسة ، تغيرت على ضوئها نظرتى إلى معدن الإنسانية فى قلب هذا الفنان . إن من يقرأ « سليمان الحـكيم » يلمس أن صاحبها يملك قلباً يهتز اهتزازاً عميقاً أمام جيشان العاطفة ! ولـكن أين كانت كل تلك النبضات الشعورية والحركات النفسية ، ولم لم تفرض نفسها على بقية إنتاجه بمثل هذا التدفق الذى عطر كل صفحة من صفحات « سليمان الحـكيم » ؟!

هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحـكيم يغلب عليه الطابع الفـكرى فى كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات النفسية وهو فى ذلك يخضع للجو الذى تسيطر عليه نفسيات أبطاله ، هناك حيث تجد الصراع بين ذهن وذهن لا بين عاطفة وعاطفة ، ومن هنا تختفى الومضات الوجدانية فى تيه من التأملات الذهنية ، ولـكنه فى « سليمان الحـكيم » شىء آخر ... إن جو المسرحية كان جواً عاطفياً خالصاً هيأ للشعور الإنسانى أن يظهر على حقيقته ، حين تراجع الفكر المجرد متخلياً عن مكانه للروح المرفرفة والقلب الخفاق !

هذا أمر سأعرض له بالتفصيل عند الحديث عن مسرحية « الملك أوديب » فى الأيام المقبلة ... كل ما أرمى إليه من وراء هذه الكلمة هو أن أقرر إنسانية الفن فى شخصية توفيق الحـكيم الأدبية ؛ وتلك ناحية كان يخالجنى فيها الشك قبل أن أقرأ « سليمان الحـكيم » وقبل أن أستمع لرأى صاحبها فى « شهداء المثل العليا » !

تحية قلبية وأخرى فلمية :

تحت هذا العنوان تحدثت فى عدد مضى من « الرسالة » عما تعانيه الحياة الأدبية فى هذه الأيام من تخمة فى الـكتاب وأزمة فى النقاد ، حتى ليتعذر على الناقد أن يتسع وقته لقراءة هذا العدد الضخم من الآثار الأدبية والكتابة عنها ! ثم قلت فى ثنايا كلمتى

إننى لن أكتب عن أى أثر أدبى يهدى إلى إلا إذا لمست فيه نفعاً للأدب وفائدة للقراء ، وحسب كتاب لم يتحقق فيه هذا الشرط أن أقدم إلى صاحبه تحية قلبية ... أما الكتاب الذى يضيف إلى رصيد القارىء ثروة فكرية جديدة فهو جدير بتحية أخرى قلمية !

قلت هذا فكتب إلىّ بعض القراء عاتبين ومعترضين : إن النقد كما يقولون لم يخلق ليقتصر على التنويه بالكتب القيمة والآثار النافعة لأن أصحاب هذه الكتب قد بلغوا من الشهرة والنضج وإقبال القراء ما يجعلهم فى غير حاجة إلى التعريف بكتبهم والتحدث عن جهودهم ، وحسبهم أن مكانتهم الأدبية قد بلغت من الصمود والمنعة ما يحول بينها وبين الاهتزاز أمام عواصف النقد وأعاصيره! أما صغار الكتاب فما أحوجهم إلى العطف والتشجيع ، والتوجيه الذى يسدد خطاهم وينمى ملكاتهم ، ويغذى فى نفوسهم نزعة التشوف إلى بلوغ الكمال . فالإعراض عن كتبهم أمر يثبط العزائم ويجنى على المواهب ويبعث على الخمول ... ورب شجرة صغيرة تتعهد بالسقيا وتُخص بالرعاية ، تنمو وتشتد أعوادها وتخرج للناس كل شهى من الثمر وكل مرجو من الفائدة !

إن ردى على هؤلاء العاتبين والمعترضين هو أننى حين عرضت لهذه المشكلة لم أقصر إغفال الكتابة على أديب صغير دون أديب كبير ، ولكننى قصرته على كل كتاب يضيع معه الوقت سواء أكان صاحبه يكتب منذ ربع قرن أم كان يكتب منذ ربع شهر ! أما قولهم بأن صغار الكتاب أحوج إلى التحدث عن آثارهم من كبار الكتاب ؛ لأن هؤلاء الكبار تحميهم مكانتهم الأدبية من زلزلة النقد وهزات الناقدين فلا أوافقهم عليه . إن مقالا واحداً يتسم بالفهم والعمق والأصالة جدير بأن يزلزل سمعة كبر أديب من أصحاب المكانة المرموقة ، وجدير بأن يبقى كتبه فى رفوف المكتبات لا تمتد إليها أيد ولا ترنو عيون ! ولقد أصبحنا اليوم نجتاز مرحلة فكرية بلغت الأوج وأوفت على الغاية ؛ مرحلة ليس فيها أديب كبير ولا أديب صغير إلا فى حساب الموازين الناضجة التى تفرق بين المواهب والثقافات ، على ضوء الأعماق وحدها لا على ضوء الأهواء والغايات ! ومع ذلك فلا بأس من الكتابة عن كتب كنت خصصتها بتحية القلب دون تحية القلم ، ولا اعتراض بعد ذلك ولا عتاب !.

رسالة ماجستير فى كلية الآداب :

كان ذلك فى الأسبوع الماضى إذا لم تخنى الذاكرة ، حين توجهت إلى كلية الآداب وحملت نفسى ما لا تطيق واستمعت لمناقشة رسالة عن « العماد الأصفهانى » ... أنا لا أظلم الطالب الذى فاز بالماجستير فى الآداب من درجة جيد ، فكم من طلاب فازوا قبله بالدكتوراة من درجة جيد جداً وممتاز ؛ فهذه رسالة عن « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » حظى صاحبها بمرتبة الشرف الأولى واستحق شكر الجامعة ، ومع ذلك فقد طبعها لينتفع بها الناس فبقيت لتأتنس بها رفوف المكتبات ! وتلك رسالة أخرى فى الفلسفة عن « الزمان الوجودى » حظى صاحبها أيضاً بمرتبة الشرف الأولى مع لقب أول فيلسوف مصرى ، ومع ذلك فقد طبعها ليرفع بها رأس الفلسفة الوجودية فى الشرق فلم يبق لها وجود ... وكم من رسائل أخرى لقيت مثل هذا التقدير وانتهى بها الأمر إلى نفس المصير ...

نخرج من هذا كله بأن لكلية الآداب نظرتها إلى قيم الرسائل العلمية ، وأن للرأى العام الفنى نظرته . والفرق بين النظرتين هو الفرق بين القدرة على جمع النصوص من بطون الكتب وترتيبها وتبويبها وإخراجها فى رسالة ، وبين القدرة على الغوص فى أعماق تلك النصوص ومراجعتها وتمحيصها وإخراجها فى نظرية أو مذهب ! إن خمسين صفحة تحفل بوثبات الذهن المحلق خير ألف مرة من مئات الصفحات التى لا تزخر بغير الترديد والتقليد ولكن من يسمع ؟!

لحظات مع ايليا أبى ماضى :

شىء فى شعر المهجر يثير إعجابى ، وأوثره بتقديرى ، وأشعر نحوه بتجاوب الفكر والعاطفة ... ذلك هو صلة الفن بالحياة ! الحياة فى شعر المهجر نفَس عميق ، وهمس رفيق ، ونبع شعور متدفق ، ولعل هذه القصيدة التى صدح بها أبو ماضى فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له منذ أسابيع فى دمشق من خير ماقرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شاعرية !

عنوان القصيدة « محباً لقومى » . ومطلعها هذه الأبيات :

حى الشآم مهنـــداً وكتابا والغـوطة الخضراء والمحرابا
ليست قبابا ما رأيت وإنما عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصو راً للعلى سكنت حصى وترابا

وإلى العدد المقبل حيث يتشعب فيها الحديث .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قصة أوديب في الآداب المختلفة :

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة عنوانها « قصة أوديب في الآداب المختلفة » بنادى الخريجين المصرى يوم الجمعة الماضى . فبدأ بتلخيص قصة أوديب كما وضعها سوفوكل فى أوائل القرن الخامس قبل المسيح ، وحوادث القصة — كما هو معروف — تدور حول أوديب ابن الملك لايوس ملك طيبة ، وصراعه مع الأقدار التى قضت بأن ينشأ بعيداً عن والديه ، ثم تسوقه إلى حيث يقتل أباه وهو لا يعلم بأنه أبوه ، ثم يتزوج أمه وهو لا يعلم أنها أمه ، ويولد له منها أربعة أولاد ، ثم يعلم أن أولاده هم إخوته لأمه ... الخ

ثم قال الدكتور طه : إن سوفوكل صور فى هذه القصة الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة ، وبين ذلك فى مواقف القصة المختلفة . وقال إن الأسطورة كتبها كثيرون فى القديم وفى الحديث ، حتى لم تخل منها لغة من اللغات الحية فى العالم الغربى ، وقد أتيح للعربية أن تشارك فى هذه الجهود ، فترجمتُ (الدكتور طه) إليها قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد . وجاء أخيراً الأستاذ توفيق الحكيم فكتبها بالعربية . وأنا سأقصر الحديث على قصتين هما قصة جان كوكتو وقصة أندريه جيد ، وقد وضعتا فى وقت واحد تقريباً حوالى سنة ١٩٣٠ .

ثم حلل قصة جان كوكتو وقال إنه جمح فيها إلى الفن ولم يعن بالفكرة الفلسفية ، فقد صور جوكاستا (أم أوديب) امرأة مرحة ماجنة تعشق الكاهن ترسياس وتتغزل فيه ، وقد أهمل جان كوكتو الفكرة الفلسفية القديمة فى القصة واتجه نحو فلسفة فرويد فيما يكون من الأحاسيس الخفية بين الأمهات والأبناء . وانتقل الدكتور بعد ذلك إلى قصة أندريه جيد فقال إنه أمضى القصة كما أمضاها سوفوكل ولكنه جعل أولاد أوديب من شباب العصر الحديث يندفعون إلى التجديد فى كل شىء ، وجعل الصراع بين الدين ممثلا فى الكاهن ترسياس وبين أوديب الملك الذى لا يؤمن إلا بنفسه وعقله وشعوره ووجدانه .

ثم قال إنه يفضل قصة أندريه على قصة جان جوكتو ، ويفضل على الاثنتين قصة سوفوكل .

وبعد ذلك وصل الدكتور طه إلى الأستاذ توفيق الحكيم فقال إنه يسره أن يحاول الأستاذ توفيق هذه المحاولة ، ولكنه لم يتخذ لها ما كان ينبغى أن يتخذه من عدة ، وأول ما كان ينبغى أن يتخذه من عدة أن يقرأ وأن يقرأ كثيراً ، على رغم ما يحدثنا به من أنه قبل أن يكتب القصة قرأ فى الأدب اليونانى كثيراً ، فإنا نرى أن هذه القراءة متواضعة ومتواضعة جداً ... ثم ذكر الدكتور بعض المآخذ فى قصة الحكيم ، منها أنه جعل أوديب يقتل الأسد بهراوة فى يده ثم يحمله على ظهره ويلقيه فى البحر ، ولو فرضنا أنه من الممكن أن يقتل الرجل الأسد بهراوة ويحمله على ظهره فأى بحر هذا الذى ألقاه فيه ؟ إن الإنسان يسير بين طيبة وبين البحر يوماً كاملا دون أن يحمل أسداً على ظهره . أكبر الظن أن توفيق الحكيم لم ير الخريطة ، ولعله قد اشتبهت عليه قرية صغيرة قريبة من البحر اسمها طيبة وهى غير طيبة التى وقعت فيها أحداث القصة .

ومن تلك المآخذ مأخذ قال إنه أفسد القصة من الناحية الفنية إفساداً ليس بعده إفساد ، ذلك أنه صور ترسياس فى صورة المتآمر الذى ينزل إلى ما يجرى عليه الناس من أنواع الدسائس والشرور ، ثم مأخذ قال إنه أفسد الناحية الفلسفية بأن جعل أوديب يطلب إلى زوجته وأمه جوكاستا أن تصرف النظر عما حدث ، ليعيشا مع أولادهما مكتفين بالنفى من طيبة ، وهذا لا يتفق مع غاية القصة من الشعور بالإثم ، ومن حسن الحظ أن جوكاستا ماتت ولم تقبل ذلك .

ثم قال إن توفيق الحكيم لم ينس أنه كان عضواً فى النيابة العمومية ، فقد خلط الحوادث خلطاً عجيباً عند ما حكم على الكاهن وترسياس بأن يختارا بين الموت والنفى ثم وقفهما أمام الشعب ليحاكمهما .

وخرج الدكتور طه من الكلام على قصة توفيق الحكيم بأنها جمعت بين قصور جان كوكتو فى الناحية الفلسفية وبين قصور أندريه جيد فى الناحية الفنية .

ثم تحدث الدكتور عن المقدمة التى كتبها الأستاذ توفيق الحكيم لقصته فقال إن أقل ما يقال فيها إنها كانت تحتاج إلى عناية ، فقد كتب صفحات فى الجواب عن هذا السؤال : لماذا لم ينقل العرب التمثيلية اليونانية ؟ وذكر أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — وأنا لا أعرف أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — فلماذا لم يعد من هناك بشىء من هذا الفن ؟ وراح الأستاذ توفيق يسهب فى ذكر أسباب وفروض كثيرة ، وما كان أغناه عن هذا كله لو علم أن العرب لم ينقلوا التمثيل عن اليونان لسبب واحد بسيط ، هو أن اليونان لم يكن عندهم تمثيل فى عهد العرب لأن المسيحية كانت قد قضت عليه ، ولو ذهب امرؤ القيس إلى هناك لما وجد تمثيلا ...

ثم ختم المحاضرة بقوله : وأنا على كل حال أهنئ الأستاذ توفيق الحكيم بهذا الجهد ، وأقول إننا يجب أن نبدأ ولو مخطئين لننتهى مصيبين .

كشكول الأسبوع

□ وافق المجمع اللغوى على ما رأته لجنة الأدب من التنويه بمجموعة شعر المرحوم الأستاذ عبد المحسن الكاظمى تقديراً لمنزلته الشعرية الرفيعة ، وإنفاق المبلغ المرصد للمسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ — ٤٩ فى إحياء كتابين هما ، سر صناعة الإعراب لابن جنى ، وأنيس الجليس لزكريا بن المعافى . وذلك بعد أن رأت أن ما قدم لهذه المسابقات من القصص والشعر والبحوث لم تتوافر فيه درجة الامتياز التى تسوغ لها أن توصى بمنحه الجائزة .

□ يطبع الآن السجل الثقافى لسنة ١٩٤٨ الذى تصدره وزارة المعارف ، ومما يتضمنه إحصاء شامل لما ألقى من المحاضرات العامة فى السنة الماضية ، وفى جملتها محاضرة ألقتها « الست أم عبده الاسكندرانية » .

□ نشرت « البلاغ » يوم السبت الماضى صورة فتيات ناعمات فاتنات فى وضع راقص ، كتب تحتها « جمعية الشابات المسلمين تقيم حفلة خيرية راقصة » ألا ترى أن عدم التطابق بين الصفة (المسلمين) والموصوف (الشابات) ليس فقط من حيث اللغة بل كذلك من حيث العمل !

□ سمعت كلمة نابية فى مساء يوم من الأسبوع الماضي ، وقد ظهر أنها قفزت إلى (الميكرفون) من حوار — خارج البرنامج — لمشادة وقعت بين موظفين فى الإذاعة ، وقد اهتم أولو الشأن بذلك وصدر أمر بوقف المذيع عن عمله .

□ كان فى برنامج الإذاعة يوم السبت الماضي تمثيلية « بيت يتهدم » شغلت نصف ساعة كله عويل وبكاء ، حتى خيل للمستمعين أنها إذاعة خارجية من مأتم نساء» .

□ قال الأستاذ التابعى فى دفاعه عن مطالب أم كلثوم من الإذاعة : « ومرجريت ترومان تتناول عشرة آلاف دولار فى الأسبوع مقابل غنائها كل مساء ساعة واحدة فى أحد مطاعم نيويورك » وأقول : إن الذى يعطى الأجر الكبير للمغنية ، هو مطعم يستجلب (الزبائن) بغنائها ، وليست الدولة هى التى تدفع لها ، ومسألة « الإذاعة وأم كلثوم » تختلف عن ذلك ، فهى تتعلق بأموال الدولة .

□ أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفى الطبعة الثانية من كتابه « حافظ وشوقى » الذى ظهرت طبعته الأولى فى العام الماضي ، وهو دراسة مقارنة للشاعرين .

□ ظهر أخيراً كتاب « أدب مصر الحديث » للأستاذ مصطفى زيد وقد عرض فيه الأدب الحديث على منهج مدرسي ، وبذل به جهداً ظاهراً فى التحليل والنقد وربط الإنتاج ببواعثه .

□ وافقت اللجنة الثقافية لشؤون السودان بوزارة المعارف على إهداء كتب إلى نوادى السودان . وقد أرسلت فى هذا الأسبوع ألفا كتاب من أحدث الكتب إلى مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم لتتولى توزيعها على الأندية والهيئات الثقافية هناك .

تعقيب :

أما وقد تعرض الدكتور طه حسين بالنقد لكتاب «أوديب الملك» للأستاذ توفيق الحكيم ، فقد كان قسطاس النقد المستقيم يقتضيه أن يشير إلى مواطن الإجادة فيه ، ولا يقصر النقد على مواضع المؤاخذة ثم على الثناء والتهنئة الساخرين . . . وأنا لم أقرأ بعد هذا الكتاب ، ولكنى لا أتصوره خالياً من شىء يستحق أن يوضع فى كفة الحسنات ، فتوفيق الحكيم كاتب معروف بجودة الإنتاج القصصى على العموم مهما كان فى هذا الإنتاج من مآخذ ، ويعرف قراء العربية حسن رأى الدكتور طه فى بعض ما كتب الحكيم ، فهل هو الآن يستوفى النقد بذكر المآخذ فى « أوديب الملك » بعد أن فرغ فيما مضى من الإشادة بما أحسن توفيق الحكيم فى « أهل الكهف» ؟ ! وهل لى أن أقول إن الدكتور طه حسين لا يقتصد فى التقريظ إذا قرظ ولا يقتصد فى الثلب إذا ثلب ؟ .

الثقافة المصرية بالسودان :

زار السودان منذ أسابيع الدكتور عبد السلام الكردانى بك الوكيل المساعد لوزارة المعارف ، واتصل هناك

بالمشرفين على التعليم فى حكومة السودان ، وبطبيعة الحال كانت المسائل التعليمية والثقافية هى موضوع الاتصالات ؛ وقد استرعى التفاتى من أنباء هذه الرحلة أمران ، الأول رد الكردانى بك على جريدة « النيل » السودانية وكانت قد تناولت مسألة توحيد التعليم فى السودان التى أثارتها الحكومة السودانية فى وجه مشروع التوسع فى التعليم المصرى بالسودان — قال الدكتور الكردانى : « إننى ممن يرون الخير فى تعدد أنواع التعليم والثقافات وأعتقد أننا فى مصر قد كسبنا من وجود مدارس ذات مناهج مختلفة » ثم قال : « إن هناك من يقولون فى الوقت الحاضر بضرورة توحيد الثقافات عند الأمم المتكتلة بتوجيه ثقافاتها وبرامج دراساتها وجهة واحدة ، وكذلك ترى الجامعة العربية فيما يختص بالأقطار العربية المشتركة فيها وقد اتخذت خطوات فعلية فى هذا الاتجاه . فهلا ترون أن من مصلحة السودان العزيز وأهله الأعزاء أن يكون لديهم فى بلادهم فريق من أبنائه يسيرون فى دراستهم وفق المنهج الذى يسير عليه أشقاؤه فى مصر الشقيقة الكبرى وأبناء عمومتهم فى بقية البلاد العربية المتحدة المتضامنة سعياً وراء خيرها ورفعتها جميعاً ؟ » .

وهذه لفتة بارعة من الدكتور الكردانى ، وإن كان قد صاغها فى قالب من التحفظ ، فالسودان باتفاق جميع السودانيين جزء من البلاد العربية التى تتجه إلى توحيد غاياتها الثقافية والتقريب بين برامجها الدراسية ، وتتخذ خطوات مصر وجهودها فى ذلك المضمار محوراً ومثلا لها ، فكل جهد يبذل فى الوقوف أمام انتشار التعليم المصرى بالسودان ليس ضاراً فقط بوحدة الوادى ، وإنما هو يمتد إلى مكان السودان من العروبة ونصيبه من قيمها الثقافية .

أما الأمر الثانى الذى لاحظته فى هذه الزيارة ، فهو أن الكردانى بك أدى مهمته باعتباره رجل تعليم وثقافة على خير ماتؤدى ، وكان عند مايجمل بمثله أن يكون ، لقى الجميع وأحسن التفاهم مع الجميع ، فاحتفى به الجميع ، حتى امتدحت جريدة « النيل » وهى لسان الانفصاليين مسلكه فى المناقشة وسعة أفقه . والذى يهمنى من كل ذلك أن أضرب به مثلا لرجال التعليم المصرى ورسل الثقافة إلى جنوب الوادى ، ولو أن كل من بعثنا بهم إلى هناك لهذه الغاية كانوا كذلك ، ولم يقحموا أنفسهم فيما ليس من شأنهم ، لتجنبنا كثيراً من الأشواك ، ولما اضطرت حكومتنا إلى ما اضطرت إليه من الحرج فيما يتعلق ببعض مناصب التعليم بالسودان .

عزيزتي السيدة ملك :

أكتب لك هذا بمناسبة استئنافك العمل فى مسرحك ، بتمثيلية كليوباترا لشوقى بك ، فأهنئك أولا بهذا الافتتاح وأتمنى لك أطيب التمنيات ، ثم أتوكل على الله وأفضى إليك بغاية القصد والمراد ... راجيا أن تتقبلى ما أفضى به تقبلا حسناً وألا يتكدر منه خاطرك .

ذلك يا سيدتى أن صوتك جميل جداً ولكنك تجنين على جماله بتشبثك أن تلحنى لنفسك ، ولا أقول فقط إنك لا توفقين فى التلحين ، وإنما يخيل إلى حينما أسمعك أنك تغنين غناء فطريا ، وإن سامعك ليأسف على ضياع تلك الآهات والنبرات الحارة الشجية المنبعثة من قلب يشعر ، فى الهباء ، تذروها فوضى التنغيم .

ولا شك فى أن عدم توفيقك فى التلحين لا ينقص شيئاً من قيمة مواهبك الأخرى ، فأنت ممثلة مسرح ذات ذخيرة فياضة من حنان الأنوثة ، ومغنية مسرح معبرة من الطراز الأول ؛ وأعتقد أن صوتك يكون شيئاً آخر لو أسلمت قياده للحن مقتدر ، ونحن فى عصر الاختصاص ، فمن أراد أن يكون كل شىء فلن يكون شيئاً .

والمهم بعد هو أن الميدان الفنى عندنا تنقصه الآن المسرحية الغنائية ، مع أن الجمهور المصرى يعشق هذا اللون من الفن . وأنت الآن — ولا أرى غيرك فى هذه الظروف — التى تستطيع أن تحيى المسرح الغنائى بتقديم روائع التمثيليات من الأدب الرفيع ، كما يدل على ذلك اختيارك لإحدى مسرحيات أمير الشعراء فى افتتاح موسمك الحالى .

فالتلحين ، يا ست ملك ، التلحين ... ولا شىء ينقصك غير التلحين ، فلا تكابرى وكونى ممن يسمع القول فيتبع أحسنه .

ولك تحياتى واحترامى .

عباس خضر



الفلوجة لا الفالوجة ولا الفالوجا :

أصبحت هذه البلدة المزيزة عنواناً مضيئاً من عناوين المجد في تاريخنا الحربي الحديث ، فينبغي أن ننطق بها ونكتبها على الوجه الصحيح . والعرب كانوا وما زالوا ينطقون بالفلوجة مفتوحة الفاء مشددة اللام مختومة بالتاء ، ويجمعونها على فلاليج ، ويريدون بها الأرض المصلحة للزرع . ثم أطلقوها على كل قرية بسواد العراق كما يجوز لنا اليوم أن نطلقها على كل قرية أو اقطاعية بالأرض التي تصلحها الحكومة في كفر سعد أو في غيره . ثم صارت الفلوجة علماً على هذه القرية بفلسطين وعلى قرية أخرى بالعراق على الطريق ما بين الرمادي وبغداد . وقد كان المرحوم الرصافي يهاجر إليها كلما نبا به العيش في دار السلام . والعراقيون ينطقون بها على الضبط الوارد في كتب اللغة .

التقريب بين اللغتين :

كتب الشيخ محمود أحمد الغمراوي كلمة طامنت من أسلوب الرسالة الرفيع المتزن ، فقد رمى الدعوى رمية عشواء وقوّلنا غير قولنا ! ونحن ندعوه أن يعاود قراءة كلمتنا ثم يرجع البصر ، ويضيء البصيرة ، فيرى أننا لا نحل الدخيلة محل الفصحى ، بل دعونا دعوة « مخلصة » إلى وجوب المحافظة على اللغة ببقاء قواعدها ، وإليه مقولنا :

« ونحن إذا تجوزنا في القاعدة ، وقلنا : لا عنت في جواز جمل فاعلين لفعل واحد كما في شأن أكلوني البراغيث لشاعت القاعدة وجرت على الألسنة ، فتضيع اللغة في أوضاع تقعيدها » .

وإن كل ذي بصر يرى مدى تحفظنا في إيراد السياق . فقد « تجوزنا » ولم نسق الحقيقة ، وقلنا : إن إشاعة « الدخيلة . تجنى على اللغة ؛ فمن أين أتى الشيخ بدعوتنا إلى هدم العربية ؟

إن لغة القرآن تسمو على التقعيد ، لأنها أبلغ استدلال عليه ، ومقتضى هذا هو الارتفاع به عن التأويل المفضي إلى الفصاحة كوهمه وإيهامه . فنحن نعني بالتأويل في الآية الدنو من « القاعدة » بحسب الظاهر لدفع ما قد يوهم ؛ لكن الشيخ يريد ما لا يريده المنطق ثم يريدنا عليه !

إن المفسرين — لا الزمخشري وحده — يسيرون في التأويل على وفاق اتساق السياق ولم يجنحوا — كادعائه — إلى الإعراب متقصدين التذرع به لإيضاح وحدة المعنى .

بل اتجهوا إلى الفحوى ثم رغبوا في التأويل ليزداد الوضوح ؛ فالإعراب ليس مقصوداً لذاته ، لأنه فرع المعنى !.

وليعلم الشيخ أن لغة طيء وأزد شنوءة بموافقة الفعل لمرفوعه . قال عمرو ابن ملقط :

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقيه

وقد ذكر التوضيح أن هذه اللغة لا تمتنع مع المفردين أو المفردات المتعاطفة بدليل قول عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير .

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم

وعدم المنع يبين صحة جمل ما يتصل بالفعل ضمائر في « لغتهم » .

أما إدعاء الشيخ « محمود الغمراوي » أننا نحل الألفاظ الدخيلة محل الفصحى فردنا عليه في قولنا :

« وعندنا أن التقريب قد يكون في إشاعة الألفاظ المتقاربة في « الدلالة » مثل إمتى ؟ في - متى — ومين ؟ في — مَن — — وفين — في — أين — .

هذا ما يمكن بحثه في مقام « دراسته » أما القواعد الأصيلة فيجب أن تبقى محافظة على اللغة » .

هذا ما أثبتناه وفحواه ما يأتي :

أولا : أننا جعلنا « دلالة » الألفاظ مسوّغة لتقاربها ولم نؤيد استعمال الدخيلة .

ثانياً : أننا جوزنا هذا التسامح في « دراسة » أدوات الاستفهام للأبناء .

ثالثاً : أننا أوجبنا بقاء القواعد سليمة محافظة على اللغة .

أحمد عبد اللطيف بدر

المدرس ببورسعيد — ومن العلماء

حافظ وشوقي :

طلبت مجلة المقتطف من الأستاذ الشاعر الأديب حسن كامل الصيرفي أن يكتب لها مقالة عن حافظ وشوقي بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على وفاتهما ، فكتب لها دراسة مطولة عن الشاعرين جاوز بها حد المقالة ، وجعلها كتاباً يقع في أربع وسبعين صفحة من القطع المتوسط ، وقد طبعته مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م

والأستاذ حسن كامل الصيرفي شاعر وأديب ، وللشعر عنده رسالة يجب أن يؤديها في كل عصر ، فهو ينظر إلى حافظ وشوقي على أنهما شاعران عاشا يتردد اسماهما معاً زمناً ، وتعترض حياتهما عواصف تنافس أحياناً ، وتمر بهما نسمات صفاء أحياناً أخر ، ولكنهما كانا يشعران أنهما يتعاونان على أداء رسالة واحدة وجهتهما إلى طريقها عرائس الشعر ، وطبيعة العصر ، وقد ماتا معاً في سنة واحدة ، كأنهما شعرا أنهما أديا رسالتهما في الشعر ، ولن يستطيع واحد منهما أن ينهض وحده بعبء تلك الرسالة ، بعد هذا الجهاد الطويل في تأديتها .

وعلى هذا الأساس تقوم تلك الدراسة النفسية لشعر حافظ وشوقي ، وتقوم الموازنة بين شعر كل منها . وقد وجد الأستاذ حسن كامل الصيرفي من ذوقه — وهو ذوق شاعر أديب — ما ساعده على بلوغ الكمال في هذه الدراسة ، وإني أهنئه عليها تهنئة صادقة .

عبد المتعال الصعيدي

تصحيح مردود :

في البريد الأدبي للرسالة الغراء عدد (٨١١) اطلعت على كلمة الأديب الفاضل محمد الشاذلي حسن يخطىء فيها استعمالي لفظة « ماتع » صفة للشيء المستحسن الجميل ، ويستشهد لذلك ببيت المجنون الوارد في أغاني الأصفهاني :

أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا من الصيف يوم لافح الحر ماتع

ويذكر أن الشراح ذكروا أن « الماتع هو الطويل » .

وأقول : كون « الماتع » بمعنى الطويل لا يمنع كونه بمعنى الجيد بل البالغ في الجودة ؛ ففي اللسان — أعني لسان العرب — (متع الرجل ومتع جاد وظرف وقيل كل ما جاد فقد متع وهو ماتع والماتع من كل شيء البالغ في الجودة الغاية في بابه) :.

خذه فقد أعطيته جيـداً قد أحكمت صنعته ماتعا

وبعد : فلو لم يكن مرجعنا (اللسان) لطال حبل الكلام في مقام الاستشهاد والإيراد ، وخير الكلام — كما قيل — ما قل ودل ، وأرجو أن يكون في هذا القليل الدليل ، والسلام .

الزيتون عدنان

أحـــكام اللجنـــة

عن نتيجة المسابقة الثقافية

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسي :

تقدم للجنة إحدى عشرة تمثيلية رأت اللجنة منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيها لتمثيليتي « عروس النيل » و « الساعة ١٢ » معا لمؤلفهما عزت السيد ابراهيم ، وكذلك الجائزة الثانية وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « مؤامرة صغيرة » لمؤلفها حسين محمد القباني .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية :

تقدم للجنة عشر تمثيليات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « أفراح أنشاص » لمؤلفها فريد عين شوكه . والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « أرض الآباء » لمؤلفتها صوفي عبد الله . والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « الأم » لفتحية حسن .

٣ — المسرحيات العامة :

تقدم للجنة ثماني مسرحيات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « ساحر بابل » لمؤلفها عثمان حلمي . والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحيتي « الحرية والعدالة » و « أرض السلام » معا لمؤلفهما محمد محمد شعبان ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « جلاء الصدا » لمؤلفها عبد الواحد فرج ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « السلسلة والغفران » لمؤلفها على أحمد باكثير .

٤ — القصة الطويلة :

تقدم للجنة ثمانى قصص وقد رأت اللجنة — كما هو مخول لها — تعديل قيم الجوائز فجملت درجة بين الدرجة الأولى وبين الدرجة الثانية سمتها « الثانية الممتازة وقدرها مئة وعشرون جنيها» وجعلت قيمة الدرجة الثانية تسعين جنيها ، وزادت درجة ثالثة خصصت لها خمسين جنيها . ثم رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « بعد الغروب » لمؤلفها محمد عبد الحليم عبد الله ، ومنح الجائزة الثانية الممتازة وقدرها مئة جنيه لقصة « وراء الأفق » لمؤلفها محمد محمود شعبان . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها لقصة « رجل المعجزات » لمؤلفها محمد أمين حسونه . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها « دعاء الفجر » لمؤلفها حسين محمد القبانى . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « طريق المجد » لمؤلفها سعد مرسى أحمد . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « شقاء عذراء » لابراهيم محمد بايزيد .

٥ — القصة القصيرة :

تقدم للجنة سبع وعشرون قصة رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها خمسة وعشرون جنيها لقصة « الضاربون فى الأرض » لنظمى لوقا . والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصة « غابت الشمس» لمحمد يسرى أحمد ، والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصتى « الأرملة العذراء » و « الأعماق » معا لمؤلفهما صلاح الدين حافظ، والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لقصة « سرقة بالطابق السادس » ليوسف إسحاق الشاورنى ، والجائزة الثانية عشرون جنيها لقصة « السلمى افندى » لنجيب محمود عزب . والثانية عشرون جنيها لقصة « صراع » لرجائى محمد . والثانية عشرون جنيها لقصة « مغامرة ليلة » لعبد العزيز شريف . والثانية عشرون جنيها لقصة « قبور فى الطريق إلى تل أبيب » لمواطف بيومى . والثانية عشرون جنيها لقصة « أسطورة الأساطير » لنعمان سعد الدين . والثانية عشرون جنيها لقصة « تصفية حساب » لنصرى عطا الله . والثانية عشرون جنيها لقصة « هؤلاء المساكين » لمحمد عبد الرازق مرزوق . والثانية عشرون جنيها لقصة « عذراء دمشق » لابراهيم محمد بايزيد . والثانية عشرون جنيها لقصة « نداء الإنسانية » لعز الدين فراج . والثانية عشرون جنيها لكل من قصتى « درس » أو « السيد الحديد » معا لمحمد لبيب البوهى .

٦ — البحوث الأدبية والفنية :

تقدم للجنة ثلاثة بحوث رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لبحث « ابراهيم باشا » لمؤلفه صبرى كامل . والثانية مئة جنيه لبحث « مسلم بن الوليد » لحسين محمود البشبيشى . وجائزة ثالثة وقدرها خمسون جنيها لبحث « الحب عند العرب » لمؤلفه محمد فتحى .

٧ — بحوث فى التاريخ والآثار :

لم يتقدم أحد .

٨ — الرحلات :

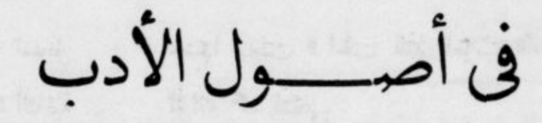
تقدم للجنة مؤلفان رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لكتاب « رحلات فى المغرب وأسبانيا » لمحمد وهبى .

٩ — الموضوعات المبسطة فى العلوم :

تقدم للجنة سبعة موضوعات رأت منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لكل من موضوعى « القيمة الغذائية » « ودنيا العلم » معا لمؤلفهما عز الدين فراج ، والجائزة الأولى مئة وخمسون جنيها لموضوع « الغذاء الكامل » لمحمد الشحات محمد، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لموضوع « العلماء ثائرون » لجمال الدين موسى ، والثانية مئة جنيه لموضوع « الجيل الجديد » لعزت السيد ابراهيم، والثانية مئة جنيه لكل من موضوعى « الصناعات الكيمائية » و « وسائل السفر الحديث » معا لمؤلفهما حسن العشماوى .

توفيق الحكيم ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، عباس العقاد ، عبد الرحمن صدقى ، زكى طليمات ، فريد أبو حديد ، دكتور ابراهيم عبد الرحمن ، دكتور مصطفى الديوانى .

يعتمد
السنهورى
٣٦٢



للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب فى الأدب والنقد ؛ يتميز بالبحث والعمق والتحليل الدقيق والرأى المبتكر.

من موضوعاته : الأدب وحظ العرب من تاريخه ، العوامل المؤثرة في الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة العربية فى العلم والعالم ، الرواية المسرحية والملحمة وتاريخهما وقواعدهما وأقسامهما وكل ما يتصل بهما ،وهو بحث طريف يبلغ نصف الكتاب .

طبعة جديدة مزيدة فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط وثمنـــه خمسة وعشرون قرشـــا

صدر حديثا :

خمر وجمـــــر

للشاعر الناقد الأستاذ عدنان أسعد

يطلب من دار المعارف ومن جميع المكتبات الشهيرة بمصر والبلاد العربية

وثمنه ٢٥ قرشاً

سكك حديد الحـــكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٩

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٤٩ .

وفضلا عن أهمية الإعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الإقبال على الإعلان فيها شديد

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعـــــلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

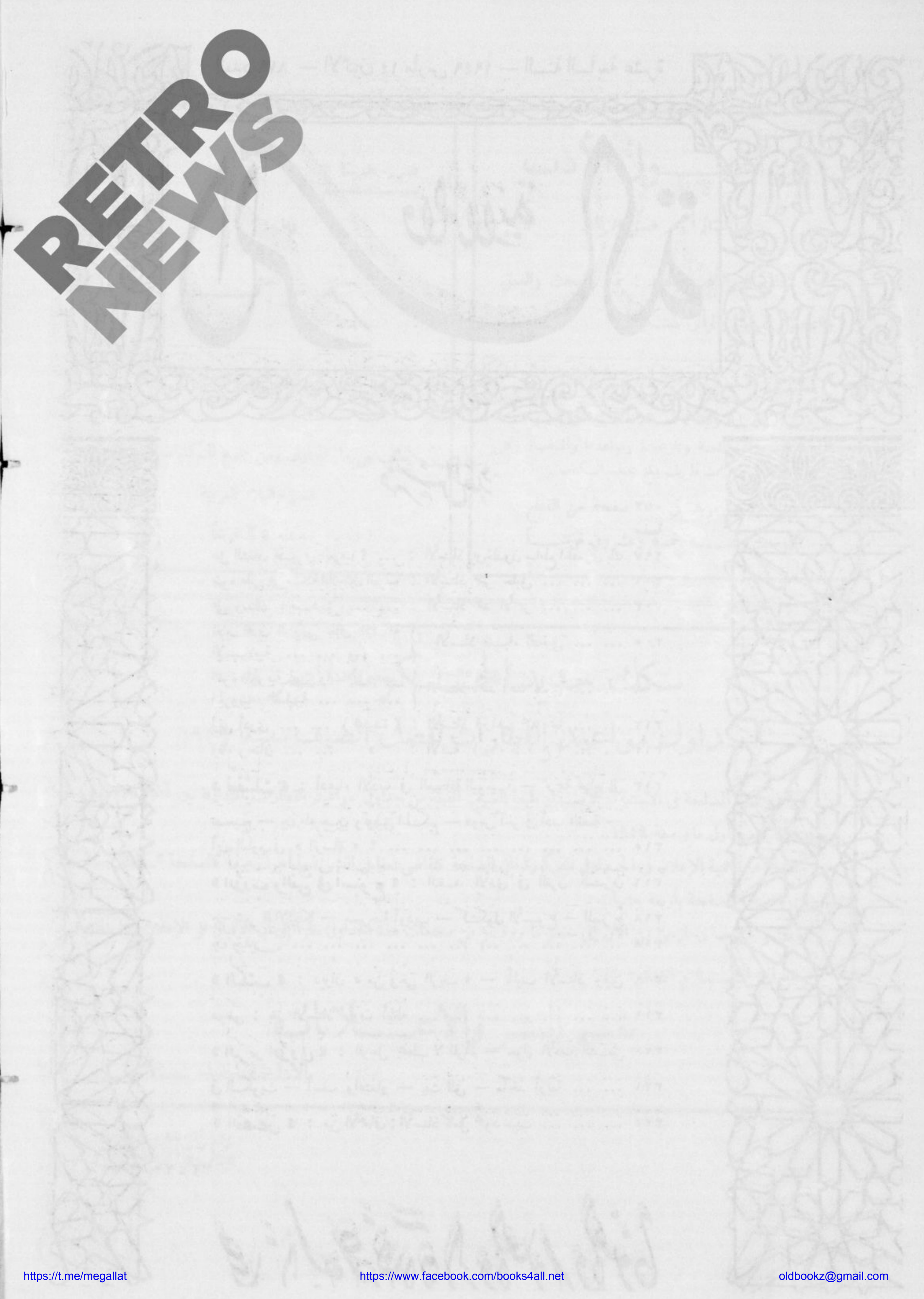


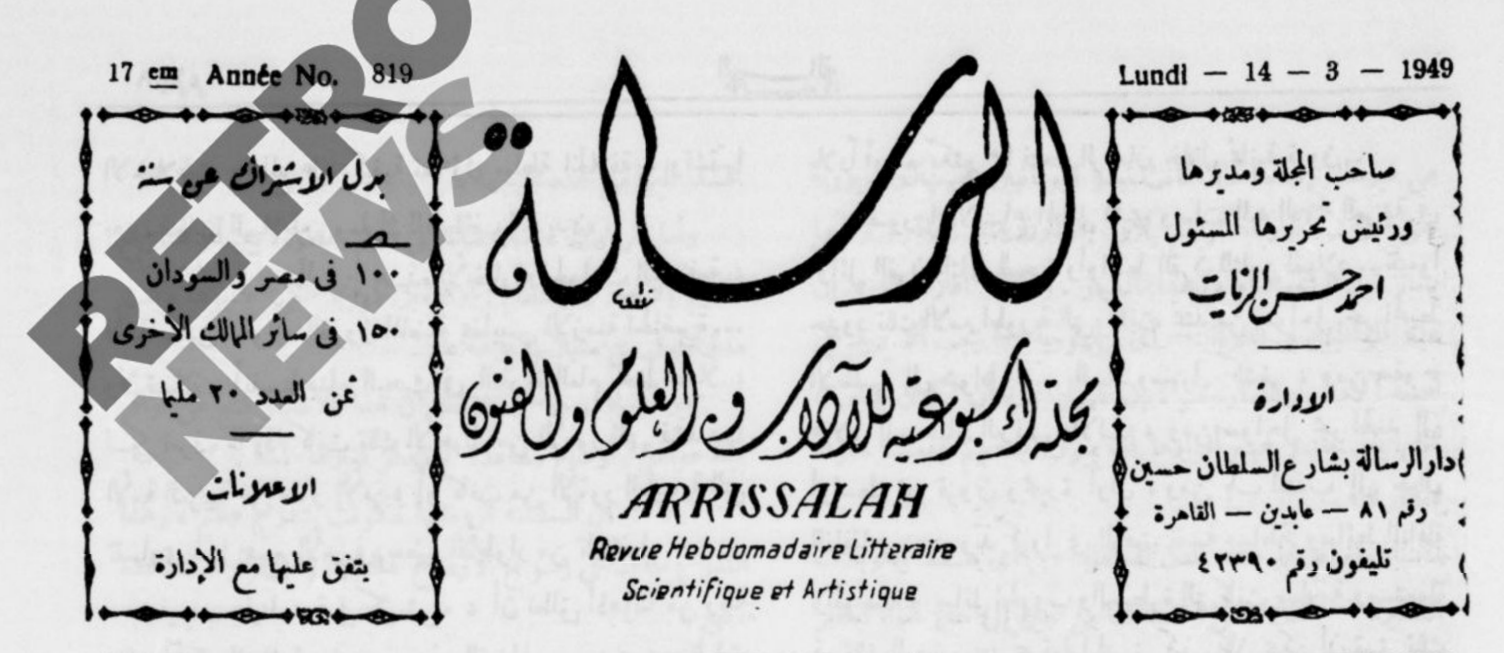
العدد ٨١٩ — الاثنين ١٤ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



فهرس العدد

٣٢٠٢٢





العـــدد ٨١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ١٤ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

هل الشقاق طبع فى العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصري بك

وجهت هذا السؤال مفصلا إلى صديقى الأستاذ الكبير ساطع الحصرى بك المستشار الفنى لجامعة الدول العربية . ولكن المقال لم يعجب الرقيب فلم يأذن بنشره . ولما اطلع عليه الأستاذ أبو خلدون أجاب عنه بهذا البحث الذى تقرأه . وإنى لأرجو بعد أن ينشر أن أعلق عليه بما يتفق مع رغبة الرقيب وواجب الحق وسياسة الرسالة .

« الزيات »

صديقى الأستاذ ...

لقد اطلعت على السؤال الذى وجهتموه إلى ، فى مقالكم المنون « هل الشقاق طبع فى العرب ؟ » .

فقد أشرتم فى المقال المذكور إلى حوادث الشقاق والتنافس والتخاصم التى توالت فى تاريخ العرب ؛ واستعرضتم الأحزاب السياسية والفرق الدينية التى ظهرت بينهم ؛ ثم ذكرتم رأى ابن خلدون فى هذا المضمار . وفى الآخر تساءلتم : « هل كتب الله على العرب أن يعيشوا أبداً بطبيعة البادية ونفسية الغابة وعقلية القبيلة ؟ »

فوجب على أن ألبى طلبكم ، فأكتب إليكم ما أعتقده فى هذه القضية الهامة . غير أنى رأيت من الضرورى أن أقف أولا أمام « المقدمات » التى صدرتم بها هذا السؤال ، قبل أن أحاول الإجابة عنه إجابة مباشرة .

فاسمحوا لى أن أسألكم بدورى : هل تظنون أن الاختلافات التى ذكرتموها كانت من خصائص الأمة العربية وحدها ؟

أنا لا أشك فى أن جوابكم عن هذا السؤال سيكون بالنفى ؛ لأنكم تعرفون جيداً — كما يعرف ذلك كل من يستعرض التاريخ العام — أن تواريخ الأمم الأخرى لم تخل من أمثال تلك الاختلافات .

فيترتب على ذلك إذن أن أنقل البحث إلى كمية هذه الاختلافات وشدتها ، فأسألكم : هل تعتقدون أن الاختلافات السياسية والدينية التى حدثت فى تاريخ العرب كانت أكثر وأشد وأعنف من التى تجلت فى تواريخ الأمم الأخرى ؟

أنا أعرف أن الآراء الشائعة الآن لا تدع مجالا للتفكير ملياً فى هذا السؤال ؛ لأنها تحمل الأذهان على الرد عليه فوراً بالإيجاب .

وأعترف بأنى أنا أيضاً كنت — مدة من الزمن — من المتأثرين بهذه الآراء الشائعة ، ومن المسلمين بأن تاريخ العرب يشذ فى هذه القضايا عن تواريخ الأمم الأخرى شذوذاً كبيراً . غير أنى بدأت أشك فى صحة هذه الآراء الشائعة عند ما أخذت أتعمق فى دراسة التاريخ العام ؛ وازددت شكا فيها كلما تغلغلت فى هذه الدراسة ؛ إلى أن أصبحت أعتقد اعتقاداً جازماً بأنها لا تتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة أبداً ؛ لأنها لا تقوم على مقارنات شاملة ، بل تستند إلى استقراء ناقص جداً .

إننا ننفعل ، ونتألم ، ونغضب .. عندما نقرأ أخبار الاختلافات التى حدثت فى تاريخ العرب .. ولا سيما عند ما نتتبع نتائج هذه

الاختلافات ونطلع على كيفية تداوُل سلطة الخلافة ، وتشتتها بين سلطات السلاطين وملوك الطوائف العديدين .

إننا ننفعل ونتألم من هـذه الأخبار والحوادث التاريخية ، لأننا نقيس أحوال القرون الماضية بمقاييس الأزمنة الحاضرة ... ولا نـكلف أنفسنا عناء البحث فى التاريخ العام بحثاً شاملاً ، لـكى نعرف ما إذا كانت تلك الأحوال من الأمور التى تشذ فيها الأمة العربية عن سائر الأمم ، أو كانت من الأمور الطبيعية التى تتساوى فيها جميع الأمم فى بعض الأطوار من تاريخها .

فيجب علينا ، قبل كل شىء ، أن نطلق أذهاننا من ربقة هذه الآراء الشائعة ، لندرس هذه القضايا من جديد ، بنظرات علمية بحتة ، مع استقراء الحوادث التاريخية استقراء تاماً .

فلنبدأ أولا بقضـية الاختلافات الدينية . ولنستعرض ما حدث منها فى أوربا ، طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة ... نجد أنها لم تـكن قط أقل تنوعاً ولا أخف عنفاً مما حدث فى العالم العربى خلال الأزمنة المذكورة ، إن لم تكن أكثر تنوعاً وأشد عنفاً منها ..

أحصوا المذاهب المختلفة التى نشأت فى الغرب منذ ظهور المسيحية فى مختلف البلاد الأوربية خلال القرون المذكورة ... استعرضوا الخلافات الدينية والمذهبية التى حدثت بين الدول وبين الـكنائس من جهة ، وبين الـكنائس المختلفة من جهة أخرى ... استقصوا أخبار الحروب الأهلية والدولية التى نجمت عن هـذه الاختلافات الدينية فى مختلف أقسام البلاد الأوربية ، حتى فى فرنسا التى تظهر الآن أكثر تباعداً عن الاهتمام بالأمور الدينية من جميع بلاد العالم ... قلبوا صحائف التاريخ التى سجلت أعمال محاكم التفتيش من جهة ، وحياة مؤسسى المذاهب الدينية من جهة أخرى ... فإنـكم تضطرون إلى التسليم بأن الاختلافات الدينية التى حدثت فى البـلاد الأوربية كانت — بوجه عام — أوسع نطاقاً ، وأكثر تنوعاً ، وأشد عنفاً من التى حدثت فى العالم العربى .

وأما الاختلافات السياسية ، فأمرها يحتاج إلى بحث أشمل ، وتفكير أعمق ..

فيجب علينا أن نلاحظ قبل كل شىء : أن العرب انتشروا — بعد الهجرة النبوية — بسرعة خارقة ، فى بقاع واسعة جداً من القارات الثلاث المعلومة قديماً . ففتحوا خلال قرن واحد ، بلاداً أوسع بكثير مما فتحه الرومان خلال ثمانية قرون .

تصوروا الاتساع الهائل الذى وصلت إليه الدولة العربية فى أوائل القرن الثانى للهجرة وأواسط القرن الثامن للميلاد .. تتبعوا حدود تلك الامبراطورية التى كانت تمتد من سواحل بحر المحيط الأطلسى إلى شواطىء نهر السند وسهول كشغر ، ومن سفوح همالايا إلى جبال البرنس والألب ، ومن سواحل بحر الهند إلى أواسط بحر قزوين وبحيرة آرال ، ومن باب المندب إلى جبال القافقاس ... وتذكروا فى الوقت نفسه بساطة وسائط المناقلة والمواصلة ووسائل الحروب والسيطرة التى كانت معلومة ومستعملة فى تلك العصور ... ثم قولوا لى : كيف كان يمكن أن تبقى تلك السلطنة المترامية الأطراف مصونة من مغبة الانقسام مدة طويلة من الزمن ، بالرغم من اختلاف الشعوب الـكثيرة التى دخلت تحت حكمها ، وبالرغم من طول المسافات الهائلة التى كانت تفصل ثغورها من عاصمتها ، وضآلة الوسائط التى كانت تضمن اتصال هذه العاصمة بتلك الثغور

قولوا لى : أية سلطنة من السلطنات التى يذكرها التاريخ القديم والوسـيط ، استطاعت أن تسيطر على مثل هذه البقاع المترامية الأطراف ، مدة أطول من التى سيطر عليها العرب ، دون أن تتعرض إلى اختلافات وانقسامات ؟

لا تنس أن امبراطورية اسكندر الأكبر — فى القرون الأولى — تجزأت بعد موت مؤسسها ، مع أنها كانت أصـغر بكثير من الامبراطورية العربية . كما أن امبراطورية شارلمانى — فى القرون الوسطى — لم تسلم من الانقسام بعد موت عاهلها ، مع أنها كانت قليلة الاتساع جداً بالنسبة إلى اتساع الدولة العربية فى أواخر عهد الأسرة الأموية ، أو أوائل عهد الأسرة العباسية .

ولا تنس أن انقسام السلطنات والامبراطوريات الـكبيرة وانحلالها إلى إقطاعيات صغيرة كانت من الأمور الطبيعية المألوفة فى جميع أنحاء العالم المعلوم فى القرون الأولى والوسيطة .

ولذلك أعود وأسألـكم مرة أخرى : كم أمة من الأمم التى عرفها التاريخ كانت أقل اختلافاً وأكثر اتحاداً من الأمة العربية من الوجهة السياسية ؟

اليونان ؟ ... ولـكن التاريخ يشهد شهادة صريحة على أن هذه الأمة لم تتحد سياسياً فى يوم من الأيام ... كانت كل مدينة من المدن اليونانية الـكثيرة مملـكة قائمة بذاتها ، دولة مستقلة

عن غيرها . وهذه الحالة كانت تبدو لليونانيين طبيعية وضرورية حتى أن كبار مفكريهم كانوا يحبذون هذه الحالة ، وكانوا يشاركون الرأى العام فى هذا المضمار . وقد قال أفلاطون : إن عدد المواطنين فى الدولة — أى الجمهورية — يجب ألا يزيد على خمسة آلاف . وقال أرسطو : إن الدول يجب أن تكون صغيرة ، حتى يستطيع جميع أفرادها أن يعرف بعضهم بعضاً معرفة مباشرة .

فى الواقع أن هذه المدن المستقلة — أى هذه الدويلات الصغيرة — كانت تتفق وتتحالف من حين إلى حين لدرء الخطر الخارجى الذى يحدق بالجميع . غير أن هذا التحالف كان لا يلبث أن ينفصم وينحل من جراء تنافس المدن الرئيسية على زعامة الحلف

ومن المعلوم أن أشهر وأهم هذه المحالفات تكونت عند هجوم الماديين على بلاد اليونان . غير أن هذه المحالفة أيضاً لم تعمر طويلا ، بل انحلت وزالت قبل أن يمضى على تكوينها عقدان من السنين !

وقد انقضى تاريخ اليونان السياسى بالمنافسات والمنازعات التى قامت بين أثينة وأسبارطة وكورنت . ومن المعلوم أن هذه المنافسات أدت إلى حدوث عدة حروب دامية بين مختلف المدن اليونانية كان أشهرها الحروب التى عرفت باسم حروب البلوبونيز

ولا ننس أن هذه الحروب التى اشترك فيها معظم المدن اليونانية هى التى أدت إلى تحطيم الأسطول الأسبارطى من جهة ، وإلى تدمير أسوار أثينة من جهة أخرى .

وقد حدثت هذه المنافسات والمحاربات بين تلك الدويلات ، مع أن مساحة البلوبونيز — مع شبه جزيرة آتيكا — كانت أقل من مساحة بعض المديريات فى مصر ، والمحافظات فى سورية ، والمتصرفيات فى العراق . ومع أن المسافة التى تفصل آتينة عن أسبارطة لا تختلف كثيراً عن المسافة التى تمتد بين القاهرة والأسكندرية ، وتقل كثيراً عن التى تفصل دمشق من بغداد ، وتتضاءل تماماً أمام المسافات الشاسعة التى تفصل بغداد عن قرطبة ولا سيما بلنح عن لشبونة .

إن هذه المئات من الدويلات اليونانية التى تقاسمت هذه الرقعة الصغيرة من الأرض ظلت متفرقة متنافسة متخاصمة ، ولم تجتمع تحت إدارة واحدة إلا عندما دخلت تحت حكم دولة أجنبية .

ترون ، أيها الأستاذ ، أن الأمة اليونانية لم تكن قط فى حالة تحسد عليها من هذه الوجهة .

وأما الرومان ، فلا شك فى أنهم امتازوا بين أمم التاريخ القديم بالاتحاد والانتظام . والامبراطورية التى أسسوها عاشت مدة أطول من مثيلاتها بوجه عام .

غير أنه يجدر بنا أن نلاحظ أن هذا الامتياز نتج عن توافر عدة عوامل وأوضاع مساعدة لم تتيسر لغيرها أبداً .

أولا : أن السلطنة الرومانية تكونت بتدرج عظيم ، وهذا التدرج ساعد على رسوخ الأوضاع الجديدة واستقرارها مساعدة كبيرة .

ثانياً : أن الامبراطورية الرومانية شملت جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط . ولا حاجة إلى القول بأن روما كانت فى نقطة مركزية من هذا البحر ، وقد ساعد ذلك كثيراً على اتصال العاصمة بمختلف أقسام السلطنة عن طريق البحر بسرعة وسهولة بالنسبة إلى وسائط النقل والمواصلة المعلومة فى تلك العصور القديمة .

ثالثاً : أن السلطنة الرومانية لم تتباعد عن السواحل كثيراً ، ولم تتغلغل فى الأقطار القارية أبداً . إنها لم تسيطر على جزيرة العرب ولا على ما بين النهرين ؛ فمعظم أقسام العراق ، وجميع بلاد إيران وخراسان ، وما وراء النهر والأفغان ... ظلت خارجة عن حوزة السلطنة الرومانية ، وذلك قلل إلى حد كبير مشاكل الحكم التى تلازم السلطنات المترامية الأطراف .

إن اجتماع هذه الأسباب الأساسية هو الذى ساعد على إطالة عمر الامبراطورية الرومانية بالنسبة إلى ما كان معتاداً فى القرون الأولى والوسطى .

ومع كل هذا يجب ألا ننسى أن هؤلاء الرومان أيضاً لم يسلموا من آفات الاختلاف والتنافس : استعرضوا تاريخ روما بنظرة فاحصة ولاحظوا كم من المنازعات قامت بين مختلف الطبقات الاجتماعية ، حتى فى مدينة روما نفسها ، وحتى فى عهد الجمهورية ؟ وكم من الحروب الداخلية نشبت بين القواد فى عهد الامبراطورية ؟ وكيف أصبحت الجيوش ذات الكلمة النافذة فى تنصيب الأباطرة ؟ وكيف كانت الغلبة والكلمة العليا فى هذا الأمر تارة إلى الجيوش المرابطة فى أسبانيا ، وطوراً إلى الجيوش المرابطة فى سوريا ، وتارة إلى الجنود المرابطة فى أفريقيا ؟ وكيف أصبح الوصول إلى العرش رهن النجاح فى مؤامرات لا تعد ولا تحصى؟ وإذا لاحظتم كل ذلك اضطررتم إلى التسليم بأن الامبراطورية

الرومانية لم تمش سالمة من الاختلافات ، بل إنما عاشت بالرغم من الاختلافات ، وأما أخلاف الرومان القدماء ، فلا ننس أنهم عاشوا متفرقين متخالفين مدة لا تقل عن خمسة عشر قرناً .

وإذا تركنا السلطنات القديمة جانباً ، وانتقلنا إلى الدول المعاصرة لنا ، وتتبعنا أحوالها الماضية — طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة — وصلنا إلى نتائج مماثلة لما ذكرناه آنفاً .

ولنأخذ فرنسا مثلا ؛ فقد كان من المعلوم أنها أسبق الدول الأوربية إلى الوحدة السياسية الكاملة ، والتماسك القومى المتين ، ولكننا إذا استعرضنا أحوالها خلال القرون التى ذكرناها آنفاً وجدناها بعيدة عن الوحدة كل البعد ، ومسرحاً لشتى أنواع الخلافات والحروب .

أنا لا أود أن أطيل الحديث فى هذا الموضوع ، ولذلك أكتفى بنقل كلمة كتبها مؤرخ فرنسا الشهير « أرنست لافيس » لتلخيص تلك الأحوال ، قال المؤرخ :

« لقد مضى عهد من التاريخ كانت فيه فرنسا شبيهة بمقدونيا الحالية منقسمة إلى أجزاء كثيرة ، متخالفة ، متنابذة ، متنافسة ، متخاصمة . وقد وجب أن تسيل الدماء مدراراً حتى تلتحم هذه الأقسام المختلفة ، فتصل فرنسا إلى وحدتها الحالية ... » .

هذه كانت أحوال فرنسا التى سبقت جميع الدول الأوربية فى طريق الاتحاد . وأما إذا أنعمنا النظر فى تواريخ الدول الغربية الأخرى ، فنجد فيها أيضاً أحوالا مماثلة لذلك تجلت بمقياس أوسع ، وبشدة أعظم ، واستمرت مدة أطول .

لا بد من أن نتذكر — فى هذا الصدد — أن ألمانيا كانت منقسمة إلى أكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة حتى أوائل القرن الماضى ، وكانت لا تزال منقسمة إلى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط !

إن اتحاد هذه الدول لم يتم إلا بعد جهود كبيرة وتضحيات عظيمة ، وهذه الجهود قد اجتازت مرات عديدة أطوارفشل أليمة

ولهذا كله أستطيع أن أقول بكل تأكيد : إننا كلما توسعنا وتعمقنا فى دراسة تاريخ الدول الأوربية ازددنا يقيناً بأن معالم الاختلاف والانقسام فيها لم تكن قط أقل من التى تجلت فى تاريخ العرب بوجه عام .

إنى أقول هذا بكل تأكيد ، مع علمى بأنى أخالف بذلك آراء الكثرة الساحقة من الكتاب والباحثين .

وقد فكرت ملياً فى الأسباب والعوامل التى حملت الرأى العام على التباعد عن طريق الصواب فى هذه القضية الهامة ، وأعتقد أننى وصلت إلى معرفتها بكل وضوح :

إن مراكز رؤيتنا لتاريخ العرب تختلف — بوجه عام — عن مراكز رؤيتنا لتواريخ الأمم الأخرى .

فنحن ننظر إلى تواريخ الأمم الأخرى عن بعد نظرة إجمالية فندرك خطوطها الأساسية العامة دون أن نتيه فى تفاصيلها الفرعية . ولكننا ننظر إلى تاريخ العرب من قرب نظرة تفصيلية فنطلع على كثير من تفاصيله دون أن نحيط علماً بخطوطه الأساسية .

وأستطيع أن أقول : إن موقفنا تجاه التاريخ العام موقف رجل يتفرج على الجبل من السهل البعيد .

وأما موقفنا تجاه تاريخ العرب ، فهو موقف رجل يسير فى قلب الجبل ويتغلغل فى وهاده .

ومن المعلوم أن الجبال تتألف عادة من وهاد ووديان ، ومرتفعات ومنخفضات ، وهضاب ومنحدرات ، فلا تبدو عالية شامخة ، إلا لمن ينظر إليها من بعيد ، ويدرك شكلها العام دون أن يتيه بين خطوطها الفرعية المعقدة ...

إن تواريخ الدول الأوربية تبدو لنا جبالا مرتفعة شامخة ، لأننا ننظر إليها بنظر المؤلفين الأوربيين ، ومن الخارج ومن البعد ، فلنغير موقفنا منها ونظراتنا إليها ، وذلك بالتغلغل فيها ، نرى عندئذ أنها مؤلفة من وهاد ووديان بالرغم من منظرها الخارجى العام .

وأما تواريخ الدول العربية ، فتبدو لنا مجموعة مرتفعات ومنخفضات مشوشة ومعقدة ، لأننا ننظر إليها بنظر الأخباريين القدماء ، ومن داخلها ؛ فلنغير موقفنا منها ، ولننظر إليها من بعد — نظرة تسمو على النزعات — فنرى عندئذ أنها أيضاً مرتفعة شامخة بالرغم مما فيها من وهاد ووديان .

يجب علينا أن نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا على الدوام ، وأن نسعى لتوحيد نظراتنا إلى صحائف التاريخ القومى والتاريخ العام ، ولنعدل عن استعمال نظارات مكبرة للعيوب فى الأولى ، ومصغرة للعيوب فى الثانية ، كما اعتدنا ذلك إلى الآن .

وعندما نفعل ذلك نفهم حق الفهم أن الأحكام الشائعة بيننا على تاريخ العرب ، إنما هى وليدة نظرات خاطئة ، ومقارنات قاصرة ، ولهذا السبب كانت فى حاجة شديدة إلى التصحيح والتقويم بوجه عام

(البقية فى العدد القادم) **أبو خلدون ساطع الحصرى**

ضـــوء علمى
على مشكلة اللاجئين العرب

للأســتاذ عمر حليق

فى سنة ١٩٤٦ شهد أمام لجنة التحقيق الانجلو — أمريكية أستاذ يهودى هو البرفسور فرانك نوتستين رئيس دائرة علم السكان (ديموغرافيا) فى جامعة برنستون الأمريكية الشهيرة عن مستقبل الكيان اليهودى فى فلسطين من النـاحية العلمية الصرف وعلى ضوء مشا كل السكان . وكانت خلاصة تحقيقاته وتحليلاته المعززة بالأرقام والدراسات الإحصائية تفيد أن تزايد السكان العرب فى فلسطين هو أ كبر خطر يهدد مطامع اليهود فيها وصرح نوتستين بما يلى بالحرف الواحد :[1]

« إن من الصعب جداً أن يتصور المرء الظروف التى يستطيع اليهود أن يصبحوا فيها أ كثرية فى فلسطين. فإن العرب (ونسبة تزايد السكان بينهم بفلسطين أعلى نسبة فى العالم على الإطلاق) حائزون لجميع الإمكانيات الطبيعية والاجتماعية لأن يحتفظوا بهذه النسبة المرتفعة . ومهما يكن عدد اليهود المتدفقين على فلسطين كبيراً فإن مقدرة الزراعة والصناعة اليهودية على استيعابهم ستظل محدودة مقيدة بعوامل اقتصادية واجتماعية ، منهـا الرغبة فى الاحتفاظ بمستوى للمعيشة مرتفع ، ونزعة اليهود الأوربيين لتحديد نسلهم بولد أو اثنين ، وطبيعة الاشترا كية التى تجعل اليهودى فى فلسطين غير ميال إلى بناء كيان عائلى كبير. وهذا عكس ما ينزع إليه العربى

وحتى لو تسنى لليهود أن ينشئوا لهم دولة فإن من المستبعد أن يستطيعوا الاحتفاظ بالسيادة السياسية فى كل فلسطين أو فى جزء منها ، بسبب هذا التزايد الهائل بين السكان العرب . وحتى لو عززت اليهود دولة أو دول خارجية كبرى فإن هناك عوامل طبيعية واجتماعية ديمغرافية (بالإضافة إلى العوامل السـياسية والاقتصادية) تجعل تزايد السكان بين العرب أ كبر خطر حقيق يواجه مطامع اليهود فى فلسطين .

وعلى ضوء هذه الحقائق فإن أ كبر الظن أن حماسة اليهود ونشاطهم والجهد والمـال والتضحية الإجماعية التى بذلوها لبناء الدولة اليهودية ، وجعلها دولة حديثة مزدهرة ستذهب سدى . وسيجد اليهود أنفسهم بحكم هذه العوامل الديمغرافية عاجزين عن تحقيق التفوق العددى والسيطرة السياسية للاحتفاظ بالسـيادة الفعلية فى فلسطين » اهـ.

هذه شهادة عالم يهودى مهما قلبتها وجدت فيها ، على ضوء علم السكان ، حقائق راهنة تلقى ضوءاً قوياً على مشكلة اللاجئين العرب يساعد على تفهم مصلحتهم ومصلحة الوطن الفلسطينى الذى يحبونه ويتطلعون إلى الاستقرار فى ربوعه إلى أن تهب عليهم وعلى إخوانهم فى الوطن العربى الأ كبر رياح مواتية لإتمام الصراع الفاصل مع اليهودية العالمية فى أرض الميعاد .

وهذه اللفتة العلمية تلقى كذلك ضوءاً على هذا الجدل الذى يسود المحافل العربية الآن بصدد مسألة العرب الذين أقصـاهم الإرهاب والإجرام اليهودى عن ديارهم ، وهى مسـألة ستحتل مكان البروز من أعمال لجنة التوفيق التى بعثت بها هيئة الأمم إلى فلسطين والتى تتناقل الصحف الآن أنباء نشاطها .

فهناك رأيان بصدد مشـكلة اللاجئين العرب : رأى يدعو إلى العودة واستعادة الأموال والممتلـكات حتى ولو لم تسو المسألة الفلسطينية تسوية نهائية . والرأى الآخر يتناول مسألة العودة هذه من ناحية عملية ، فيقول إن طبيعة السلوك اليهودى فى منطقة نفوذه فى فلسطين لا تدعو مطلقاً إلى استئمانه على حياة نصف مليون من العرب .

والواقع أن عملية اليهود فى إجلاء السكان العرب بواسطة الإرهاب اليهودى عملية مستمدة من الحقائق البينة التى أ كدتها شهادة نوتستين هذا وغيره من خبراء مشا كل السكان . والقيادة الصهيونية الدولية أمهر من أن لا تشعر بخطورة هذه الحقائق وأن لا تحتال للتغلب عليها بواسطة مذابح « دير ياسين » وحيفا وترستجا وألف حادثة وحادثة من أعمال الإجرام اليهودى المنظم

(١) Frank W, Notestèn pand Ernest Jurkat Population Probiems of Palestime .

ولو أخذنا تحليلات نوتستين هذا من ناحيتها العلمية لاستطاع الداعون إلى عودة اللاجئين العرب إلى منازلهم وديارهم وحقولهم ومرابعهم فى فلسطين استنباط حجج قوية قد تكون قاسية تتطلب روحاً جبارة وأعصاباً حديدية وتنظيما قويا ووعياً سياسياً حساسا، ولاستطاع هؤلاء الداعون إجابة مخالفيهم فى الرأى على أساس « الأمر الواقع » كذلك.

فإن إقامة أقلية عربية كبيرة فى منطقة احتلال اليهود، له ذيول عملية بعيدة الخطورة والخطر على مستقبل الكيان اليهودى إذا تحققت لهذه الاقلية العربية حقوقها الثقافية التامة وضمانات سياسية واقتصادية. وتوفير هذه الشروط مستطاع عملياً وقانونياً ودولياً. وستكون هذه الأقلية العربية مكونة من ستمائة ألف شخص على الأقل وهو عدد السكان العرب بموجب خارطة الأمم المتحدة للتقسيم. ولن يستطيع اليهود حين يعود العرب إلى ديارهم جلب أكثر من ١٠٠ ألف إلى ١٥٠ ألف يهودى من الخارج خلال الأعوام الخمسة القادمة، وذلك بسبب المقدرة الاقتصادية اليهودية على الاستيعاب، وهى مقدرة ستحددها تحديداً سيئاً إغلاق الأسواق العربية فى وجه الإنتاج اليهودى ومنع الجوالى اليهودية فى الشرق العربى من أن تعود إلى فتح المبادلة التجارية مع يهود فلسطين وتعزيز اقتصادياتهم كما فعلت فى السنين السابقة عن طرق إيطاليا واليونان وغيرها. وسبب آخر هو طبيعة المجتمعات اليهودية فى الخارج. فإن يهود أمريكا لن يتركوا بحبوحة الرخاء فى العالم الجديد لاختيار تجربة الصهيونية الشيوعية فى فلسطين، وكذلك حال يهود غربى أوربا.

وقد تكاثرت مؤخراً الأنباء بأن النظم الشيوعية القائمة فى شرق أوربا، ونسبة أولى الأمر من اليهود فيها كبيرة، قد بدأت تحول بين هجرة ما تبقى من اليهود فى منطقة النفوذ الشيوعى لتحتفظ بسند لها أمام سخط الأكثرية من غير اليهود.

والقيادة الصهيونية تتطلع إلى أن تسد هذا العجز فى سياسة تهويد فلسطين ومشكلة التعدد فى برنامج الهجرة الطامة — تتطلع إلى جلب الـ ٨٠٠ ألف يهودى الذين يستوطنون مختلف أقطار الشرق العربى وشمالى أفريقيا. وهذه ناحية لا يبدو أن صناع السياسة فى العالم العربى يعطونها ماتستحقه من مراقبة واهتمام

ولقد كان عدد العرب فى فلسطين فى مستهل الغزوة اليهودية (١٩١٩) حوالى ٦٥٠ ألفاً فأصبحوا بعض مضى ٢٥ عاماً مليوناً ونصف المليون تقريباً، وذلك بسبب هذه العوامل الديمغرافية الفريدة التى ذكرها الخبير نوتستاين وغيره من الباحثين فى مشاكل السكان. فنستنتج من ذلك أن بقاء ٦٠٠ ألف عربى بين ظهرانى ٩٠٠ ألف يهودى الآن سيقلب أوضاع هذه الأكثرية اليهودية رأساً على عقب فى بضعة عشر عاما. وهذه طريقة عملية على غاية من الأهمية فى تقرير مصير المطامع الصهيونية فى فلسطين والشرق العربى.

كل ذلك بالإضافة إلى العواقب السياسية الخطيرة فى العالم العربى إجمالا وهى التى تستلزمها رعاية مصالح السكان العرب فى منطقة النفوذ اليهودى، وما سيترتب على ذلك من استعداد نفسانى وعسكرى يضمن دوام اتجاهات العرب نحو القضية الفلسطينية كلما ارتفعت شكاوى العرب المقيمين بين ظهرانى اليهود فى فلسطين.

وإذا كان الداعون لتفادى عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم فى المنطقة اليهودية يبنون دعوتهم على نظرة عملية واقعية فإن الداعين إلى العودة يبنون دعوتهم على أسس عملية واقعية صرفة مستمدة من طبيعة التزايد الهائل بين السكان العرب، وطبيعة مستقبل الصراع بين اليهودية العالمية والوحدة العربية.

والرياح الدولية لا بد أن تهب مواتية للسفينة العربية عاجلا أو آجلا. وإن الحرب الفلسطينية قد أخذت تتمخض عن نزعة عسكرية صادقة واتجاه عملى إلى الإصلاح فى الجهاز الإدارى والنظم السياسية والاقتصادية والوعى الاجتماعى.

هذه تعليلات ولفتات قد تفيد عند البت فى مستقبل اللاجئين العرب. ومسألة البت أكبر من أن تعالج فى بحوث عارضة وهى تتطلب دراسات شاملة لا يصلح أن تكون العاطفة أساسها الوحيد. فهذا الاتجاه العاطفى إذا تجرد من المعرفة الصائبة قد يولد عكس ما يتوخاه العاطمون، ويسبب ارتجالا فى السلوك على النحو الذى صبغ تاريخ القضية الفلسطينية بطابع النكبات المتلاحقة.

(نيويورك) عمر حليق

معهد الشؤون العربية الأمريكية

على رسلك يا صديقي

بيني وبين الشاعر الزين

للأستاذ محمد الأسمر

كتب صديق أديبنا الفاضل الأستاذ عباس خضر كلمة عنوانها « الأسمر يسطو على شعر الزين » ذكر فيها أنني سطوت على صديق الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد الزين فسرقت أبياتاً ، أدخلتها في قصيدتي التي رثيت بها المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا . والقصيدة المذكورة أكثر من خمسين بيتاً ، أبياتها الأولى ما يأتي :

أفي كل يوم دمعة خلف غائب ... وفي كل يوم لوعة بعد غارب

رجال كأمثال النجوم ، فثاقب ... مضى وهو لمَّاع على إثر ثاقب

لأوشك دمعي أن تجف شؤونه ... على كل ماض ليس يوماً بآئب

إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب ... بدأنا رثاء بعد ذاك لذاهب

أما يستريح الشعر في كل ساعة ... رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟!

ثُريا رجالات تهاوتْ نجومها ... وكانت على الوادي ثريا الكواكب

وقال صديقنا الفاضل إن أبيات الزين التي أخذنا منها أبياتنا ما يأتي :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب ... وصوب دم أقضي به حق صاحب

أودع صحبي واحداً بعد واحد ... فأفقد قلبي جانباً بعد جانب

تساقط نفسي كل يوم فبعضها ... بجوف الثرى ، والبعض رهن النوائب

فيا دهر دع لي من فؤادي بقية ... لوصل ودود ، أو تذكر غائب

ودع لي من ماء الجفون صبابةً ... أجيب بها في البين صيحة ناعب

والقارئ لأبياتي ولأبيات الزين رحمه الله ، لا يجد كل هذا التهويل الذي أثاره الناقد الفاضل ، وإيضاحاً لذلك أقول : إن قصيدة الزين رحمه الله لا علم لي بها ، فهي ليست من محفوظاتي التي حفظتها في صباي ، وليست من القصائد التي قرأها الزين لي أو سمعتها منه ، ولا هي من المتداول المعروف بين الناس ، ومن الاتفاقات التي ليست بالعجيبة أن يحزن الزين لفقد أصدقائه ، وأحزن أنا لفقد أصدقاء لي ، أو لفقد رجالات من رجالات مصر ، فيقول كلانا قصيدته من بحر وروي واحد ، فيجيء بعد ذلك تشابه في بعض الألفاظ في بيت أو بيتين أو في بعض المعاني المطروقة للجميع ، وقد قلنا في مثل ذلك ندفع تهمة السرقة عن العقاد حينما كتب إلينا أديب ناشئ يقول إن العقاد سرق حينما قال :

فقبلت كفيه وقبلت ثغره ... وقبلت خدَّيه وما زلت صاديا

فقد زعم الأديب الناشئ أن العقاد سرق هذا المعنى من قول القائل :

أعانقه والنفس بعد مشوقة ... إليه وهل بعد العناق تدان ؟

وألثم فاه كي تزول حرارتي ... فيشتد ما ألقى من الهيمان

كأنَّ فؤادي ليس يشفي غليله ... سوى أن يرى الروحين يمتزجان

نقول إننا قلنا لهذا الأديب الناشئ إنه لما كانت العواطف تتشابه فقد يجيء الشعر متشابهاً لأن الألفاظ وهي أداة التعبير عن العاطفة مِلكٌ لكل شاعر ، فإذا كانت العواطف المتشابهة يتفق فيها الكثير من الشعراء ، وإذا كانت الألفاظ التي هي أداة التعبير مِلكاً لجميع الشعراء ، فإنه والحالة هذه يجدر بالناقد أن يتريث في حكمه على فلان أنه سرق من فلان .

هذا كلام قلناه قبل أن يموت دولة النقراشي باشا ، وقبل أن يرثيه الراثون ، ندفع به تهمة وجهت إلى شاعر ، ونُبَصِّر الناشئين بالنقد السليم وصراطه المستقيم .

يقول ناقدنا الفاضل متحدثاً عني ما يأتي : « على أنني عجبت للأسمر وما هو بالعاجز عن النظم أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً » وأما أقول لصديقنا الناقد إذا كنت تعلم أنني لست عاجزاً عن النظم فهلا درأت الحدود بالشبهات ؟! وإذا كنت تعلم أنني لست عاجزاً عن النظم فهلاَّ ترفعت يا صديق عن أن تجعل من الحبة قبة ؟ وهلاَّ أرحت بالك من أن تشغله بأنني سرقت ألفاظاً هي ملك للجميع ، أو أغرت على معنى ليس من مبتكرات المعاني وابتداعاتها ، قال الجرجاني :

« ولست تُعدُّ من جهابذة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه ، والمبتذل الذي واحد أحق به من الآخر وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه » وقالوا « إن السرقة في البديع المخترع لا في المعاني المشتركة » وقالوا « إن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر فتلك المواردة » .

وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر !!

ألم يمرّ صديقى الأستاذ عباس على ذلك وأمثال ذلك قبل أن يجلس على منصة حكمه بمجلة الرسالة الغراء ، ثم يقول « الأسمر يسطو على شعر الزين » خصوصاً إذا كان صديقنا يقول إن الأسمر ليس بعاجز عن نظم الشعر .

ألم يقل امرؤ القيس (يقولون لا تهلك أسًى وتجمل) وقال طرفة (يقولون لا تهلك أسًى وتجلّدِ) ألم يقل امرؤ القيس :

وشمائلى ما قد علمتِ وما ... نبحتْ كلابك طارقاً مثلى

وقال عنترة :

وإذا صحوتُ فما أقصرُ عن ندًى ... وكما علمتِ شمائلى وتكرمى

ثم ألم يقل عنترة :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ ... عليها الأسد تهتصرُ اهتصارا

وقال عمرو بن معديكرب :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ ... تحيةُ بينهم ضرب وجيع

وقالت الخنساء ترثى أخاها صخراً :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ ... فدارت بين كبشيها رحاها

ثم ألم يقل أبو تمام :

بمحمد ، ومسوَّد ، ومحسَّد ... ومكرم ، وممدَّح ، ومعزَّلِ

وقال البحترى :

ذاك المحمــدُ والمسوَّ ... دُ والمكرَّمُ والمحســد

* * *

هذا قليل من كثير تفيض به كتب الأدب والأمثلة على ذلك كثيرة من شعر المتقدمين والمحدثين ، ولولا خوف الإطالة ذكرنا ما جاء فى الكتب ، وذكرنا ما حفظناه نحن ولم تذكره الكتب ، ونحب أن نذكر هنا مما لم تثبته الكتب قليلا من الأمثلة :

قال امرؤ القيس متحدثاً عن نفسه فى مرضه :

« ولكنها نفس تساقط أنفسا »

قال الزين رحمه الله فى الأبيات التى ذكرها صديقنا وصديقه الأستاذ عباس :

تســاقط نفسى كلّ يوم فبعضهـا

بجوف الثرى والبعض رهنُ النوائب

وكذلك قال عبد الله بن الخياط الأندلسى يصف الليل :

كأنه راهب فى المسح ملتحفٌ ... شدَّ المجرُّ له وسطاً بزنّار

وقال البارودى فى قصيدة عينية يصف فيها الليل بيتاً لا أذكر جيمه الآن جاء فى آخره قوله : « كالراهب المتلفّع » ... ورثى شوقى رحمه الله صديقه المغفور له إسماعيل باشا صبرى بقصيدته التى قال فى أولها :

أجل وإن طال الزمان موافِ ... أخلى يديك من الخليل الوافى

وهى قصيدة معروفة لدى خاصــة الأدباء وعامتهم ، ثم جاء الجارم رحمــه الله فرثى دولة النقراشى باشا من بحر هذه القصيدة ورويّها فوقع فى موافقات لفظية كثيرة استرعت أنظار الأدباء لمعرفة خاصتهم وعامتهم قصيدة شوقى ولكنها لم تسترع نظر ناقدنا الفاضل ... ولو أردنا سرد ما نعلمه من هذه الأمثلة ، ضاقت به صفحات مجلة الرسالة .

وبعــد : فهذا ما رأينا أن نعلق به على بعض ما جاء بكلمة صديقنا ، أما بقية النقد من هذه الألفاظ التى تخيرها لنا الصديق فليست لدينا أخواتها لنتحف بها صديقنا كما أتحفنا ، ولو أنهــا كانت لدينا أمسكناها عنه ، فقد روَّضنا أنفسنا على أن لا نتحف بها صديقاً كالأستاذ عباس ، مهما ألحّ وألحف وتابع ولاحق ؟! ولا يفوتنى أن أشكر له هذه العناية المتلاحقة بكل ما نقوله فى بعض المناسبات ، فتعليقه على ما نقول أياً كان لون هذا التعليق تخليد من لدنه لنا ، وهو عناية على كل حال ! ويا حبذا لو تفضلت الرسالة الغراء وهى سجلٌ أدبى فنشرت قصيدة الأستاذ الزين كاملة ، ثم تفضلت فنشرت قصيدتى معها ...

رحم الله الأموات ، وغفر الله للأحياء .

محمد الأسمر

نصير الدين الطوسى

حامى الثقافة الاسلامية

وتراث العرب الفكرى إبان الغزو المغولى

للأستاذ ضياء الدخيلى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما ياقوت الحموى فإنه قد توفى عام (٦٢٦ هـ) أى قبل وفاة الطوسى بـ (٤٦) عاماً ، وفى هذا العهد لم يكن الطوسى قد اتصل بهولاكو ، إذ أنه خرج من سجن قلعة الموت واصطحبه هولاكو فى عام ٦٥٤ هـ وإذن فالمدارس والحياة العلمية التى يصفها ياقوت كانت فى مراغة قبل مجىء الطوسى إليها ، ولربما كان الطوسى وقت وفاة الحموى مؤلف معجم البلدان — فى طوس حيث كان يطلب العلم .

والغرض أن المراغة كانت مدينة علم وأدب فاختارها الطوسى مقراً لمدرسته . ويقول جورج سارتون فى كتابه المدخل إلى تاريخ العلوم : « إن حسن مناخها وصلاح جوها للارصاد الفلكية بصورة ممتازة — شجع الطوسى على بناء مرصده فيها » وقد التف حول الطوسى فيها جمهور من العلماء وطلاب العلم حتى أنه عندما رحل منها إلى بغداد فى عام (١٢٧٤ م) ارتحل فى جيش جرار منهم . قال ابن شاكر (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) فى فوات الوفيات (وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه فأقام بها مدة أشهر ومات) .

فالطوسى فى جمعه رجال العلم حوله حفظ سلسلة الثقافة الإسلامية فى الشرق موصولة الحلق متصلة الأسباب وأبقى منار العلوم مضيئاً لم تطفئه هجمات الأمم الابتدائية ؛ وإذن فأى خدمة عظيمة توازى ما قام به الطوسى رحمه الله ؟

نعم لقد ألب عليه بعض المتعصبين من جهلاء المتقشفين الذين أمسكوا بقشور الدين وخسروا لبابه — لقد أثار عليه حفيظة هؤلاء تشيعه ، ولا ريب أن هذا العامل الذى لا أهمية له فى الأوساط المثقفة العصرية — كان فى العصور الوسطى ذا أثر فى توجيه نقد الناقدين وتسديد حملاتهم الزائفة . ولا يهم مؤرخ الحضارة اليوم ما كان يعتنقه الشخص من عقيدة دينية بقدر مايهمه من آثاره العلمية والأدبية وما أنتجته عبقريته ؛ فإذا وزنا قيمة النصير بهذا الميزان رجحت كفته ، فقد رأيت فى تتبعاتى الخاصة مدى اهتمام الغربيين بهذا الفيلسوف الرياضى العظيم . فى الوقت الذى ترى فيه الرجعيين الجامدين من المتزمتين يكيلون السباب جزافاً لهذا الفيلسوف العظيم نجد كبار مؤرخى الحضارة الإسلامية يسجدون لعظمة العبقرية النادرة فى شخص نصير الدين الطوسى وينسبون إليه المعجزات فى الرياضيات ويسجلون له الابتكارات والاكتشافات والاختراعات الرائعة فتسخر من هؤلاء الجهلاء الذين تحاملوا على كرامة الطوسى ، وأساؤا إلى سمعة المسلمين فى جهلهم بقيم رجال العلم وانصياعهم لداعى التعصب الذميم . لقد كان أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية (٦٩١ — ٧٥١ هـ) يخبط خبط عشواء (رحمه الله وعفى عنه) ، إذ قال فى ص ٢٩٧ من الجزء الثانى من كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) .

« وصارع محمد الشهرستانى ابن سينا فى كتاب سماه (المصارعة) أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد ونفى علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم ، فقام له نصير الإلحاد (يقصد نصير الدين الطوسى رحمه الله) وقعد ، ونقضه بكتاب سماه (مصارعة المصارعة) ووقفنا على الكتابين — نصر فيه : أن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض فى ستة أيام وأنه لا يعلم شيئاً وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره ولا يبعث من فى القبور . وبالجملة فكان هذا الملحد (أى نصير الدين) هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » . ومن قرأ كتب الطوسى فى علم الكلام آمن أن ابن قيم الجوزية مفتر على الرجل ، وأن كتب الطوسى فى الإيمان والعقائد وصلت إلى برلين ، ولم يصل إسمها إلى مؤلف إغاثة اللهفان إلى الباطل والبهتان . وقد شرح كتاب الطوسى تجريد العقائد جماعة من العلماء والمتكلمين الأفاضل وفى مقدمتهم المولى على القوشجى الشافعى

من سمرقند والعلامة الحلى من العراق . ثم يستمر ابن الجوزية فى هذيانه فيقول : (والفلسفة التى يقرؤها أتباع هؤلاء اليوم هى مأخوذة عنه (أى عن الطوسى) وعن إمامه ابن سينا . وبعضها عن أبى نصر الفارابى وشىء يسير منها من كلام أرسطو وهو مع قلته وغثاثته وركاكة ألفاظه كثير التطويل لا فائدة فيه . وخيار ما عند هؤلاء فالذى عند مشركى العرب من كفار قريش وغيرهم أهون منه .. » ولا أدرى كيف حكم بركاكة ألفاظ أرسطو فى لغته اليونانية التى أعتقد أنه يجهلها !

ولنعد إلى حديث المستشرق العلامة الفرنسى سديو فى كتابه تاريخ العرب العام .

قال (ص ٢٦٩ من تعريب عادل زعيتر) دخل المغول بغداد عنوة فانتهبوها فى سبعة أيام فخرقوا بعض المخطوطات الثمينة التى وجدوها فى المكتبات والمدارس وألقوا بعضها الآخر فى نهر دجلة فأصبحت مياهه من مدادها على حسب رواية مؤرخ عربى مبالغ فيها .

نهب المغول ما اشتملت عليه مدينة المنصور بغداد من الكنوز العجيبة مع أنهم سلبوا بخارى وسمرقند ومرو ونيسابور وأصفهان فيما مضى ؛ وخنق المستعصم بأمر هولاكو فجرت جثته الدامية تحت أسوار بغداد التى كانت شاهدة على عظمة العباسيين وانحطاط هؤلاء وذلهم .

وامحى العرب بين تلك الثورات (الداخلية) المتصلة — أمام برابرة الشمال والترك والمغول ولم يبق لهم كيان سياسى خارج جزيرة العرب أى تواروا من مسرح تاريخ أمم الشرق ؛ بيد أن الأثر العظيم الذى طبعوا به الحضارة لا يزال ظاهراً ، ولم يؤد ما وقع فى آسيا من الانقلابات إلى غير تأييده بأسطع بيان ؛ فقد رأينا أن ملكشاه السلجوقى اقتبس من مدرسة بغداد إصلاح التقويم الفارسى ، وأن محموداً الغزنوى اتخذ مشاوراً له ذا التأثير العظيم فى عصره العبقرى العالمى البيرونى .

ولما ظهر هولاكو المغولى الذى لا يعرف كيف يصون من اللهب الآثار الرائعة التى جمعت بفضل ذوى البصائر أذعن لنفوذ نصير الدين الطوسى فأذن لهذا الرياضى الشهير فى إقامة مرصد فخم بمراغة .

ولما أصبح أخوه (كوبلاى) عاهل الصين نقل إلى مملكة ابن السماء معارف العرب . ولما مضى قرنان قامت على أنقاض الدولة المغولية دولة تيمورلنك الذى اعتقد وهو على رأس الترك الشرقيين أنه مرسل من الله ليملك آسيا بأسرها فخلفه ابنه شاهرخ وحفيده (ألوغ بك) فعد هذان الأميران ممثلى المدرسة العربية الأخيرين ، ثم كان للهندوستان التى أنارها علم البيرونى منذ عهد أصحاب غزنة بابن الأخ الصغير لأولوغ بك والمؤسس لدولة المغول فى الهند (بابر — كان للهندوستان حافز مثمر إلى ثقافة العرب (فى عهد بابر) انتهت شهادة المستشرق سيديو للعرب .

ولنصغ إلى شهادة مستشرق آخر هو السنيور كرلو نلينو الذى كان أستاذاً بالجامعة المصرية وبجامعة بلرم بايطاليا (قديماً) فقد جاء فى كتابه (علم الفلك : تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى) وهو ملخص المحاضرات التى ألقاها بالجامعة المصرية ، وقد طبع الكتاب بمدينة روما سنة ١٩١١ م .

قال نلينو : « أما كتب العرب الفلكية فيجوز تقسيمها إلى أربعة أنواع ؛ الأول ، الكتب الابتدائية على صفة مدخل إلى علم الهيئة الوضح فيها مبادىء العلم بالإجمال ، ودون البراهين الهندسية كالجارى فى أيامنا فى كتب السموغرافيا — ومن هذا النوع كتاب التذكرة لنصير الدين الطوسى وكتابه غير مطبوع ، ومنها اللخص فى الهيئة للجغمينى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ (الموافق ١٣٤٤ م) طبع فى إيران مع شرح قاضى زادة الرومى المتوفى فى نحو منتصف القرن التاسع [1] .

النوع الثانى ، الكتب المطولة المستقصى فيها كل العلم المثبتة لجميع ما جاء فيها بالبراهين الهندسية المتضمنة أيضاً لكافة الجداول العددية التى لا غنى عنها فى الأعمال الفلكية وهذه

(١) لقد سبق لى أن كتبت مقالا فى الرسالة الغراء فى العدد (٧٨٨) بعنوان جهود العرب المنسية فى الفلك وبوقته اجتهدت أن أعثر على ترجمة للجغمينى فلم أنجح وكذلك لم أعرف تاريخ وفاته حتى أن حاجى خليفة نفسه فى كشف الظنون (كتابه) — أيضاً لم يعثر على تاريخ وفاة الجغمينى فوضع مكان التاريخ أصفاراً ولم أدر أين عثر هذا المستشرق الايطالى نلينو — على تاريخ وفاة الجغمينى ولا شك أن فى مكتباتهم من المصادر المخطوطة ما ليس لدينا منه شىء .)

الكتب على منوال كتاب المجسطى لبطليموس فنهما تحرير المجسطى لنصير الدين الطوسى ونهاية الإدراك فى دراية الأفلاك لقطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى (وهو تلميذ نصير الدين)

قال نلينو و (النوع الثالث) الكتب المعدة لأعمال الحساب والرصد فقط المسماة أزياجاً أو زيجات أو زيجة، ولفظ زيج أصله من اللغة البهلوية التى كان الفرس يستخدمونها فى زمن الملوك الساسانيين [1] يقول نلينو فى هذه اللغة زيك معناه السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج، ثم أطلق الفرس هذا الإسم على الجداول المديدة التى يبنى عليها كل حساب فلكى مع إضافة قوانين عملها واستعمالها مجردة فى الأغلب عن البراهين الهندسية. ومنها الزيج الصابى لمحمد بن جابر البنانى المطبوع بروما فى ثلاثة أجزاء، وكتب أخرى عديدة (أقول ومنهــا الزيج الايلخانى للطوسى).

وقد ذكر نلينو نصير الدين فى عدة مواضع من كتابه فقال ص ١٩٨ إن أحد علماء القرن السابع للميلاد أعنى سلمسيوس الفرنسى عثر على اسم أحد علماء الفلك البابليين فى شرح نصير الدين الطوسى على كتاب الثمرة لبطليموس فزعم الطوسى أنه منجم بابلى صاحب كتاب يونانى ذائع الصيت وموضوعه صور الوجوه، ألفه فى النصف الثانى من القرن الأول للمسيح.

وأثنى نلينو على الطوسى ص ٢٣٦ فقال إن المستعمل الآن فى أيامنا تسمية الضلع المقابل للزاوية القائمة (وتراً) وهــذا الاستعمال قد سبقنا إليه الطوسى فى كتابه تحرير أصول اقليدس فى الهندسة. وقال نلينو ص٢٥٤ ومما يستحق الذكر أن العرب توصلوا فى النصف الثانى من القرن الرابع إلى إثبات تناسب جيوب الأضلاع لجيوب الزوايا المقابلة لها فى أى مثلث كروى، بل وضعوا هــذه القاعدة أساساً للطريقة التى سموها (الشكل المغنى) فى حل المثلثات الكروية. قال نصير الدين الطوسى فى كتاب الشكل القطاع المطبوع فى القسطنطينية سنة ١٣٠٩) الخ

وليس هنا مقام بيان ما خلد الطوسى من آثار رائعة فى الهندسة وعلم المثلثات وباقى الرياضيات فقد أفردت لذلك مقالا مستقلا. إنما نقتصر فى حديثنا اليوم على جهود الطوسى فى مرصد مراغة وفى علم الفلك والهيئة — فقد كانت حديث المستشرقين ومؤرخى الحضارة الإسلامية العربية ولم نجد من ضرب صفحاً عن ذكره أو ولغ فى ذمه إلا من أعماه التعصب القديم

الحق أن الطوسى رحمه الله من مفاخر الثقافة العربية ومن العقول الجبارة التى غمرت الأوساط العلمية بنتاجها الخصب، فازدهر تاريخ الشرق الأوسط. وقد أنقذ الطوسى منار العلوم بعد أن هددته عاصفة المغول وكادت تنطمس أنواره وتنمحى آثاره؛ فهو الذى منع شر المغول عن الفلاسفة ورجال العلم وأنفق واردات الأوقاف الإسلامية فى بناء حياة علمية جبارة فى مراغة بقيت آثارها فى المكتبة العربية وكم من نفس أحياها باستنقاذها من سيوف التتار، وكم من قلب أحياه بالعلم.

ولنصغ إلى الأستاذ فيليب حتى يحدثنا فى كتابه (تاريخ العرب) ص ٣٧٧ — ٣٧٨.

وإن هولاكو بعد تخريب بغداد بسنة شرع عام ١٢٥٩ بتشيد بقرب بحيرة بورمية مرصد مراغة العظيم، وقد كان أول مدير له نصير الدين الطوسى الشهير (نقلا عن ابن العبرى ص ٥٠٠، وعن جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله).

وفى هذا المرصد نظم جداول فلكية جديدة سماها (الزيج الايلخانى) إذ ألفه على شرف هولاكو أو خانات المغول (أى ملوكهم) وقد ذاعت الجداول وأصبحت مألوفة فى جميع آسيا حتى فى الصين، وأن آثار هذا المرصد القصير العمر لا تزال قائمة حتى الآن (١٩٣٧ م) وبالقرب منها مكتبة أسسها هولاكو أيضاً، وقد قيل إنها كانت تحتوى ٤٠٠٠٠٠ مجلد، وأكثر هذه الكتب كان قد نهبه جيوش المغول فى سورية والعراق وإيران

وقال فيليب حتى ص ٦٨٣: لقد حافظ العرب بعد منتصف القرن الثالث عشر على قيادتهم للعلم من الفلك والرياضيات

---

(١) كان ابتداء الدولة الساسانية سنة ٢٢٦ م أى قبل الهجرة بثلثمائة وست وتسعين سنة شمسية وكان انقراضها سنة ٦٥٢ م (كذا يقول نلينو).

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٦ —

وكان الجندى يمضى إلى القتال لابساً درعه ، وعلى رأسه البيضة أو المغفر(١) ، وفى يده ترسه أو درقته(٢) ، ويتسلح بالسيف أو الرمح أو الحربة(٣) أو الدبوس(٤) ، وهو عصا من خشب أو حديد ، مضلعة ملبسة بالكيمخت(٥) الأحمر والأسود ذات رأس مدورة مضرسة (١) ، أو الالت (٢) وهو كالدبوس ولكنه ذو رأس مستطيل (٣) ، أو المستوفيات وهى عمد من حديد طولها ذراعان مربعات الأشكال لها مقابض مدورة(٤) ، أو الخنجر أو القسى والسهام والنبال والنشاب (٥) .

ويسير الجيش إلى الحرب وأهم ما معه من آلات القتال والحصار المجانيق ، ومنها الكبار تحملها مائة عجلة (٦) ، ومنها دون ذلك ، ومن أنواعه ما يشد بلوالب وأقواس ، أو يدار كالمفلاع . ويستخدم المنجنيق غالباً لهدم الحصون بالحجارة مضخمة أو لرمى الأعداء بالنبال أو المقارب ونحوها من آلات الأذى ، أو لإحراق أماكن العدو بالنفط وغيره (٧) . فإن

(١) البيضة من حديد تلبس على الرأس والمغفر كالبيضة إلا أن فيه أطرافا مسدولة على قفا اللابس وأذنيه . صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٢

(٢) ترس من جلد صبح الأعشى ج٢ ص ١٤٣

(٣) أصغر من الرمح

(٤) ضرب من الجلود المدبوغة

(٥) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٠ وخطط المقريزى ج٢ ص ٢١٤

(١) كلمة فارسية معربة وهى الفأس العظيمة

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٠ وخطط المقريزى ج ٢ ص ٣١٥

(٣) المرجعان السابقان

(٤) النبل ما يرمى به عن القسى العربية والنشاب ما يرمى به عن الفارسية . صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٢

(٥) السلوك ج ١ ص ٧٦٣

(٦) ذيل الروضتين ص ٢٠٤

(٧) تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٥٨

حاوية المثلثات ، ومن الطب خاصة علم أمراض العيون ، ويقول فيليب حتى وكان الإقبال على التأليف — من العلماء الفرس الذين يكتبون باللغة العربية (والحق أن كثيراً من المؤلفين كانوا عرباً أقحاحاً) وكان مركز نشاطهم مرصد الخان (هولا كو) ومكتبته فى مراغة المؤسستين اللتين كانتا تحت إشراف نصير الدين الشهير (١٢٠١ — ١٢٦٤ م) يقول فيليب حتى ومن الجميل أن تقرأ كتاب الكاثوليكى اليعقوبى السورى أبى الفرج ابن العبرى (مختصر تاريخ الدول) وقد أرجعنا فيليب إليه لأنه كان معاصراً للطوسى وكان فى مراغة كما تقدم .

ويظهر أن فيليب حتى لم يطلع على كتاب ابن الفوطى الذى كان أميناً لمكتبة مراغة وكاتباً لنصير الدين ، وقد طبع فى بغداد بإشراف الدكتور مصطفى جواد ، وعلى كل فإن من الغريب أن ينسى فيليب حتى المؤلفين من العرب فى ذلك العهد وهم كثيرون ومنهم من أخذه هولا كو إلى مرصد مراغة كمؤيد الدين العرضى الدمشقى ، وابن الفوطى ومحيى الدين المغربى وآخرين فى مصر والشام والأندلس وبغداد وعلى الأخص فى الحلة قرب بابل التاريخية على الفرات .

ومن أولئك العلامة الحلى تلميذ الطوسى وقد شرح كتابه التجريد فى الكلام وقرأ عليه الإلاهيات بالشفاء لأبى على بن سينا وبعض التذكرة فى الهيئة من تصنيفه . وأما ابن الفوطى فقد نقل ابن العماد الحنبلى أنه أسر فى واقعة بغداد وخلصه النصير الطوسى الفيلسوف فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل وبرع فى الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم . ومن معاصرى الطوسى — السيد على بن طاوس الحلى والشيخ ميثم بن على البحرانى . ومن مشايخه معين الدين سالم ابن بدران المصرى وآخرون رحمهم الله جميعاً .

ضياء الدخيلى

كانت المقذوفات خفيفة ثقلوها بالرصاص، وإن كانت من السوائل كالنفط ونحوه صنعوا لها كفة علقوها بسلاسل [١] .

والعرادات وترمي بالحجارة المرمى البعيد أيضاً ، وهي أصغر من المجانيق[٢] .

ويتخذون الدبابات لتسلق أسوار العدو ، وهي آلات من الخشب السميك . وقد تكون طباقا ، وتغلف بالجلود المنقعة في الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستدير يدفعها الرجال ويصعد الجند في أعلاها ويستعلون على السور ، وينزلون فوقه أو يحاربون المحاصرين من أعلى السور [٣] . وقد يستخدمون الدبابات لهدم الأسوار فيسيرونها ويحتمون بجدرانها ، ويجعلون رأسها محدداً يصدمون به الأسوار حتى تهدم[٤] ، أو يتخذون لهدم الأسوار الكباش ، وهي كالدبابات ولكن رأسها في المقدمة مثل رأس الكبش ، وهو متصل في داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجرى على بكر معلقة بسقف الدبابة لسهولة جره ، فيتحصن الرجال في الداخل ، ويتعاونون من داخل الدبابة على ضرب السور حتى يخرقوه[٥] أو يتخذون الزحافات يدقون بها الحصون والأسوار . وبها أبراج للجند مجهزة بالقسي [٦] .

ويلقي الجند على أعدائهم بندقاً من الحديد يزن عشرة أرطال إلى مائة رطل[٧] ، ورماة هذا النوع من أدوات القتال يسمون الجوخية[٨] ، أو يقذفونهم بقوارير النفط والقطران يرمون بها الحصون والقلاع للاحراق ، ويسمى القاذفون بالزراقين ؛ لأنهم يستخدمون لذلك أنابيب تعرف بالزراقات [٩] .

ومن أشد ما استخدمه المصريون للفتك بأعدائهم النار اليونانية ، وقد كتب عنها الأستاذ عبد الله عنان في كتابه : (مواقف حاسمة) حديثاً طويلا عن نشأتها وتطورها ، فذكر في (ص ١٠٢) أنها كانت تركب من زيت النفط والكبريت والجير والقار . فينتج من ذلك السائل الملتهب . وكانت تستعمل في حروب البر والبحر معاً ، في أثناء التحام الصفوف ، وفي أثناء الحصار . فتقذف من فوق الأبراج أو الأسوار في آنية كبيرة ، أو تطلق في كرات مشتعلة من الحديد والحجارة ، أو في سهام ملتوية قد لفت بالقنب والوبر والشمر مشبعة بالسائل الملتهب . وأما في المعارك البحرية فكانت تحمل في سفن النار : الحراقات . وتطلق من أنابيب طويلة من النحاس ركبت على مضخات ضاغطة توضع في مقدمة السفينة ، وتجعل على هيئة وحوش فاغرة أفواهها تقذف وابلا من النيران السائلة المضطرمة » ويذكر الأستاذ ما كان لهذه النار من أثر في نفوس الفرنج في معركة المنصورة ، وينقل لذلك قول مؤرخ شاهد عيان في تلك المركة من الفرنج هو « دى جوانفيل » الذى يصف هذه النار بأنها تثب مستقيمة كأنها أسطوانة كبيرة ، ولها ذيل من اللهب قدر الحربة ، ودويها يشبه الرعد ، وكأنها جارح يشق الهواء ، ولها نور ساطع جداً من جراء عظم انتشار اللهب الذى يحدث الضوء حتى إنك ترى كل ما في المعسكر ، كما ترى في ضوء النهار[١] ، ويصف هذا المؤرخ ما أحدثته هذه النار من تدمير في معسكرهم ورعب في قلوبهم ، ولم يستطع الصليبيون في ذلك الحين معرفة سر تركيب هذه النيران .

وكان المسلمون يتقون مقذوفات عدوهم بستائر توضع على الأسوار والسفن لتستر المقاتلين[٢] ، ويكافحون نيران عدوهم التي تقذف على مراكبهم بأن يعلقوا حول سفنهم الحربية من الخارج جلوداً مبلولة بالخل والماء والشب والنطرون لدفع أذى النفط ، وكذلك كان يستعمل الأعداء في تحصين آلاتهم الحربية ، ولكن بعض العرب قد اخترع من النيران ما لا يقف الخل في سبيله : صنع العدو في حصار عكا ثلاثة أبراج من خشب وحديد وألبسها الجلود المسقاة بالخل ، بحيث لا تنفذ فيها النيران ، وكانت هذه الأبراج كأنها الجبال عالية على سور البلد ، ومركبة على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر ، ويتسع

(١) المرجع السابق ص ١٥٩
(٢) محيط المحيط
(٣) تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٠
(٤) المرجع السابق
(٥) المرجع السابق
(٦) هامش السلوك ج ١ ص ٥٢٦
(٧) صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٤
(٨) السلوك ج ١ ص ٤٩٨
(٩) صبح الأعشى والسلوك

(١) معارك حاسمة ص ١٠٨
(٢) النوادر لابن شداد ص ١٠٣

سطحها ، لأن ينصب عليه منجنيق ، وقد ملأ ذلك نفوس المسلمين خوفاً ورعباً ، ويئس المحاصرون فى المدينة ، ورأوها وقد تم عملها ولم يبق إلا جرها قرب السور وأعمل صلاح الدين فكره فى إحراقها ، وجمع الصناع من الزراقين والنفاطين وحثهم على الاجتهاد فى إحراقها ، ووعدهم على ذلك بالأموال الطائلة والعطايا الجزيلة ، ولكن ضاقت حيلهم عن ذلك . وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقى ذكر بين يديه أن له صناعة فى إحراقها وأنه إن مكن من الدخول إلى عكا ، وحصلت الأدوية التى يعرفها أحرقها ؛ فحصل له جميع ما طلبه ، ودخل إلى عكا وطبخ الأدوية مع النفط فى قدور نحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار ، ثم ضرب واحداً بقدر ، فلم يكن إلا أن وقعت فيه ، فاشتعل من ساعته ووقته ، وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذؤابته نحو السماء واستغاث المسلمون بالتهليل ، وعلاهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب . وبينما الناس ينظرون ويتعجبون إذ رمى البرج الثانى بالقدر الثانية ، فما كان إلا وصلت إليه واشتعل كالذى قبله فاشتد ضجيج الفئتين ، وما كان إلا ساعة حتى ضرب الثالث فالتهب وغشى الناس من الفرح والسرور ماحرك ذوى الأحلام[1]

وهكذا نرى تفوق المسلمين الحربى فى تلك العصور .

واستخدم المسلمون فى سفنهم الكلاليب يلقونها على مراكب أعدائهم . فيقفونها ، ويشدونها إليهم ، ثم يصنعون جسوراً من الألواح تصلهم بها ، فيدخلون إليها ويقاتلون أصحابها[2]

ولخلق جو من الحماسة فى صدور الجند استخدموا ، والمعركة دائرة ، دق الكئوس ونفير الأبواق ، كما تصنع الآن الفرق الموسيقية .

هذا وكانت آلات القتال تصنع فى مصر والشام وتباع فيهما فى سوق السيوفيين وسوق السلاح .

* * *

وعنى فى ذلك الحين بإنشاء القلاع فى المدن ، والأسوار حولها وكان صلاح الدين يتفقه فى كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق[3] وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر كمعاقل الشام ، فأمر بإنشاء قلعة بالقاهرة وسور يحيط بها وبالقلعة ومصر وأقام على عمارة ذلك بهاء الدين قراقوش الأسدى ، فبدأ فى بناء ذلك سنة ٥٧٢ وهدم ما هنالك من المساجد ، وأزال القبور ، وهدم الأهرام الصغار التى كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ، ونقل ما وجد بها من الحجارة ، وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة وتم قسم كبير من القلعة . وكان صلاح الدين يقيم بها أياماً ، كما سكنها الملك العزيز عثمان ، فى أيام أبيه ، ولكن السلطان مات قبل أن يتم العمل فى السور والقلعة فأهمل العمل إلى أن كانت أيام الملك الكامل محمد ، فإنه أتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية ودواوين الدولة ، وسكنها حتى مات ، وظلت من بعده دار مملكة مصر إلى أن كان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فإنه أنشأ قلعة بالروضة شرع فى حفر أساسها يوم الأربعاء ٥ شعبان سنة ٦٣٨ [1] . وهدم لها ما كان فى هذه الجزيرة من دور ومساجد وكنائس ، وقطع ألف نخلة مثمرة ، كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه ، وأنفق فى عمارة قلعته أموالا جمة ، وبنى فيها الدور والقصور ، وعمل لها ستين برجاً ، وبنى بها جامعاً وغرس فيها جميع الأشجار ، ونقل إليها عمد الصوان من البرابى وعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والزاد والأقوات خشية محاصرة الفرنج ، وبالغ فى إتقانها مبالغة عظيمة . وكان الملك الصالح يقف بنفسه ورتب ما يعمل حتى بلغت حداً يدهش ؛ لكثرة زخرفها وحسن سقوفها وبديع رخامها . ولما كملت تحول إليها بأهله وحرمه [2] واتخذها دار ملك ، وأسكن فيها معه مماليكه البحرية ، ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب . فلما ملك المعز أيبك أمر بهدمها ، وعمر منها مدرسة ، وطمع فى القلعة من له جاه ، فأخذ ما يروقه من سقوفها ، وأخشابها ، وشبابيكها حتى بنى بعضهم منازل منها [3] ، فلما جاء بيبرس اهتم بعمارة قلعة الروضة ، وأراد إعادتها كما كانت ، فأصلح بعض

(١) النوادر لابن شداد ص ١٠٣
(٢) تاريخ الأسطول العربى ص ٧٠
(٣) طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٣٣٠

(١) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣٣٠
(٢) السلوك ج ١ ص ٣٠١
(٣) ابن دقاق ج ٤ ص ٩٧

ما تهدم فيها ، ولكن هيئتها لم تدم فإن قلاوون لم يكد يشرع فى بناء البيمارستان والقبة والمدرسة المنصورية ، حتى أخذ من قلعة الروضة مايحتاج إليه منها ، كما أخذ الناصر محمد منها ما احتاج إليه فى بناء أبواب بقلعة الجبل وجامع له . وهكذا ذهبت القلعة كأن لم تكن (١) .

أما بلاد الشام فكانت مليئة بالقلاع والحصون كقلعة حلب وقلعة دمشق وحصن الكرك وكوكب ، وشقيف أرنون وبصرى وهونين وتبنين وتل باشر وقلعة حماة وحمص وعكا والشوبك وصرخد وكثير غير ذلك . ومعظمها يناطح السحاب بعلوه ويشبه الجبال بمتانته(٢) وعنى بهذه القلاع والحصون ؛ لأن المدينة إذا خلت من حصن يسهل على العدو أن يجتاحها كل حين . وأحياناً كان المسلمون يضطرون إلى هدم أسوار المدن وقلاعها ، حتى لايتحصن بها الأعداء إذا سقطت فى أيديهم ، وقد شاهدنا أمثلة لذلك فيما مضى .

ومما عنى به فى ذلك الحين برجا دمياط ، فقد كانت دمياط هدفاً للصليبيين فى ذلك العصر ، هاجموها فى عصر الدولة الفاطمية والأيوبية . والمؤرخون يختلفون فى وصف هذين البرجين ، فأبو شامة يجعل البرج واحداً فى وسط النيل ، ودمياط بحذائه من شرقيه ، والجزيرة بحذائه من غربيه ، وفى ناحيتيه سلسلتان تمتد إحداهما على النيـــل إلى دمياط ، والأخرى على النيل إلى الجزيرة ، تمنعان عبور المراكب من البحر المالح ، فهو قفل الديار المصرية إذا أوثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور إليها ، ومتى لم تكونا عبرت المراكب ، وبلغت إلى القاهرة ومصر وإلى قوص وأسوار .

والمقريزى فى السلوك (جـ ٢ ص ٧٢ وص ١٨٨) والخطط (جـ ١ ص ٣٤٧) يقول . « وكان إذ ذاك على النيل برج منيع فى غاية القوة والامتناع فيه سلاسل من حديد عظام القدر والغلظ تمتنع فى النيل لتمنع المراكب الواصلة فى بحر الملح من عبور أرض مصر ، وتمتد هذه السلاسل فى برج آخر يقابله ، ويعرف اليوم مكانهما فى دمياط بين البرجين » . وأبو شامة قد وصف ما رآه

(١) خطط المقريزى جـ٣ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩

(٢) خطط الشام جـ ٥ ص ٢٩٢ و٢٩٣ و ٢٩٤

والظاهر أن البرج الثانى القريب من شاطىء دمياط لم تكن له أهمية حربية ، كالبرج القريب من الشاطىء الثانى . ويرجع إنشاء هذا البرج غالباً إلى أيام المتوكل سنة ٢٣٧ . فإن دمياط منذ العصور الأولى للاسلام كانت محط أنظار الغزاة (١) .

وعنى صلاح الدين بهذين البرجين ، فرتب المقاتلة عليهما ، وأتقنت السلسلة التى بين البرجين وشدت إليها مراكب ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ، ورم شعث سور المدينة ، وسدت ثلمه ، فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار .

وهاجم الفرنج دمياط سنة ٦١٥ فى آخر أيام العادل ، وعملوا آلات ومرمات وأبراجا متحركة يزحفون بهـا فى المراكب إلى برج السلسلة ليملكوه ، حتى يتمكنوا من المدينـة ، وألحوا فى مقاتلة أهل البرج ، فلم يظفروا منه بشىء مدة أربعة أشهر ، ثم احتال الفرنج فأقاموا برجاً من الصوارى على بطسة كبيرة وأقلعوا بها حتى أسندوها إليه ، وقاتلوا من به حتى أخذوه (٢) . وكان ذلك ممهداً لأخذهم دمياط على ما ذكرنا . ولما علم العادل بأخذ الفرنج برج السلسلة تأوه تأوهاً شديداً ، ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً ومرض من ساعته ، واشتد مرضه حتى مات (٣) قال أبو شامة : وأذكر وأنا بدمشق حين بلغ الناس أخذ الفرنج برج السلسلة وقد شق ذلك على من يعرفه مشقة شديدة ، ومنهم شيخنا أبو الحسن السخاوى ، ورأيته يضرب يداً على يد ويعظم أمر ذلك . وسمعت الفقيه عز الدين بن عبد السلام يسأله عنه ، فقال : هو قفل الديار المصرية ، وصدق (٤) . ويظهر أن الفرنج خربوا هذا البرج كى لا يكون عقبة فى سبيلهم ولا قوة فى أيدى المصريين كرة أخرى ، فإنا لم نسمع شيئاً عنه عند ما غزا الفرنج دمياط فى عهد الصالح نجم الدين أيوب ، ثم عمره قطز ، وهو البرج الذى اعتقل فيه أسرة المعز أيبك(٥) .

(النهاية فى العدد القادم)

أحمد أحمد بدوى

(١) خطط المقريزى جـ ١ ص ٣٤٥ — ٣٤٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٧

(٣) السلوك جـ ١ ص ١٩٠

(٤) هامش المرجع السابق ص ١٨٨

(٥) السلوك جـ ١ ص ٤١٨

ليتـــنى أدرى !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

ليتـــنى أدرى !
ما الذى يغرى يا حبيب الروح
بالهوى البكر قلبى المجروح ؟
روحك الهيمان ؟ جسمك الريان ؟
حرت فى أمرى ليتـــنى أدرى !

ليتـــنى أدرى !
ما الذى يجرى خلف هذا الباب ؟
والهـــوى يسرى فى دمى المنساب !
آهـــة حرّى تحمـــل السرّا !
حرت فى أمرى ليتـــنى أدرى !

ليتـــنى أدرى !
والدجى مسحور حـــول أيامك !
هل يذيع النـور سر أحـلامك ؟
إنها الأشـباح أشـعلى المصباح !
فى يد الفجـــر علـــنى أدرى !

ليتـــنى أدرى !
كيف لا يظهــــر سرك المســتور ؟
نورك الأحمـــر كيف يخشى النور ؟
بيـــنما سرى ذاع فى شعرى !
آه من أمرى ! ليتـــنى أدرى !

ليتـــنى أدرى !
حين تنساب موجة الإحساس !
ترقص الأهـــداب تسرع الأنفاس !
يخفـــق القلب هل هو الحبُّ ؟
حرت فى أمرى ليتـــنى أدرى !

وفاء وحنـــان . . .

للآنســـة (ن . ظ . ع)

(من وحى قصة سينمائية غربية شاهدتها على الشاشة تمثل أروع صورة للحنان الإنسانى يضفيه رجل على أسرته وزوجته المريضة ، مما يهز أرق المشاعر ، ويثير أنبل الخواطر) .

إلهى ... أفى الغرب هذا الوفاء؟ أتحظى النساء بهذا الحنانْ ؟
وفى الشرق يظلمهُنَّ الرجال ويقسو عليهن صرفُ الزمان !

أتُظْلَمُ حواء روح الحنان ويُجزى الوفاء بهذا العقوق ؟
أتظلم بالشرق مهد الهـــداة وأرض الشداة بنيْل الحقوق ؟

أرى حكمة الله فى شرعه ترد الفساد وتهدى الضلال
ففيم التلاعب بالدين ... ربى وباسم الشريعة يطغى الرجال !

يُريدونهن متـــاعاً لهم تعدَّدنَ مثنى به أو رُباع
أهذا هو الشرع ... يا ويحهم لقد صيَّرُوه سبيلَ الخداع

أخذتم من الغرب تلك القشور وحب المظاهر دون اللُّباب
وأنتم لعمرىَ لا تبتغون سوى الجسم مثل جياع الذئاب

وأنكرتم الروح ... يا ويحكم وأين هو الرفق ! أين الحنان ؟
ونبل النفوس؟ وصدق الوفاء ؟ وأين النبيل بهذا الزمان !

ويالهفَ من ضَلَّلتها المعانى وحثَّت خطاها ابتغاء الكمال
فطاح الخيال بعذب الأمانى ولم تدر أين تحطُّ الرحال !

ضَنَنْتُ بأحلامها أن تُسامَ صَغار الجُسوم وثِقل الأثام
أتهوى إلى الطين بعد التسامى كما يسقط النجم فوق الرَّغام ؟

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

أدعياء الأدب فى الصحافة اليومية :

يأخذ على بعض القراء هذا العنف الذى ألقى به الحياة الأدبية فيما أكتب من تعقيبات ؛ والواقع أننى لا ألجأ إلى هـذا الاتجاه حباً فيه ولا ميلاً إليـه ، ولـكن الحياة الأدبية هى التى تدفعنى دفعاً إلى أن أسلك هذا الطريق وترغمنى إرغاماً على أن أسير فيه ! وما ذنبى إذا كنت أقع على أشياء تجافى الحق والذوق ، وتصدم الخيال والواقع ، وتخالف منطق الحياة والأحياء ؟! وما ذنبى إذا مددت عينى إلى صحيفة من الصحف أو مجلة من المجلات فرأيت ناقداً يكتب فى غير مجاله ، أو أديباً يطمس الحقائق بسخف خياله ، أو شاعراً يفرض شعره على الناس وهو محروم من نعمة الشعور ؟! ...

يا من تأخذون على العنف فى معالجة القضايا الأدبية ، تعالوا واقرأوا معى هذه الـكلمات ؛ إنها من مقال كتبه فى «المصرى» الأستاذ عبد الرحمن الخميسى تحت عنوان « لمنة القلم ».. اقرأوها معى لتعلموا إلى أى حد تثير بى بعض الأقلام حين تتناول مشكلات الأدب والفن هـذا التناول الذى يبعث على الضحك والعجب والإشفاق ! يقول الأستاذ الخميسى :

« ألم تبدل موسيقى فاجنر الألمـانى اتجاه الحياة فى ألمـانيا تبديلا عظيما ؟ إن فاجنر الفرد الواحد ، الذى تغلغلت موسيقاه فى نفوس الألمان والذى طبعت أنغامه بوحشيتها وقوتها روح الشعب الألمانى ، والذى حفزت ألحانه الناس إلى الاستعلاء وإلى التحليق ، هذا الفرد الواحد كان يكتب بقلمه موسيقاه حروفاً صماء على الورق ، ثم يشمل بهذه الحروف حين يعزفها الأور كسترا أرواح الملايين ويبهرها ، ويجلوها ، ويرتفع بها إلى عليين ! . . كانت موسيقى فاجنر الأفق المجيد الذى استنزل منه نيتشه الشاعر الفيلسوف أروع قصائده وأبسل أغانيه ، وكانت هى الأفق المجيد الذى استلهمه فاجنر صورة الإنسان الأعلى . وهكذا ترى أن موسيقى فاجنر هى التى فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه ، وهى التى مهدت الطريق المذهب النازى . . الخ » !

بجرة قلم فتقت موسيقى فاجنر أكمام العبقرية فى نيتشه . . . من أين جاء الـكاتب بهذا الرأى الذى يذوب خجلا أمام الحقيقة ؟ لا أدرى ولا المنجم يدرى كما يقول المـازنى ! يبدو أن موجة الإعجاب بسحر هذا التعبير « فتقت أكمام العبقرية » هى التى طغت برنينها المذب على جوهر الواقع فشوهته فى غفلة من أعين الرقباء !

إن المثقفين فى كل مكان يعلمون أن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع مالقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف!. من يصدق أن فاجنر قد فتق أكمام العبقرية فى نيتشة ، نيتشـة الذى رمى موسيقاه بكل نقيصة ، وأذاق فنه من ألوان الهـدم والسخرية ما أذاق ، ورفع فى وجهه معول التدمير يهوى به فى ضربات قاسية لا تعرف ليناً ولا هوادة ؟!

فاجنر فى رأى نيتشة مثال فذ للشخصية المنحلة ، وموسيقى فاجنر فى ذوق نيتشة نموذج صادق للموسـيقى المريضة ، وفن فاجنر فى ميزان نيتشة همجية تختلط فيها الشعوذة بالجنون ! . . إن فاجنر كما يقول نيتشة : « لا يستطيع أن يهز بموسيقاه إلا أعصاب النساء ، وهكذا تفعل الموسيقى المريضة ! إن فنه يستند إلى دعائم زائفة لا يمكن أن يرضى عنها إلا كل منهوك القوى منحل الشخصية محطم الأعصاب . . إن الفيلسوف الرابض بين جوانحى ليثور على كل ما هو مريض ومنحل ! إن القدرة على خلق فن منحط أهون بكثير من القدرة على خلق فن رفيع ؛ ومن هنا استطاع فاجنر أن يرضى الأذواق الفاسدة ، الأذواق (الفاجنرية) المنحرفة ! .. إن هذا العصر الذى نعيش فيه ليدين بشروره وآثامه إلى شخصية فاجنر ، هذا المتلف الهدام » !

هـذه هى الموسيقى التى قال فيها نيتشة ما قال ، وقال عنها عبد الرحمن الخميسى إنها كانت الأفق المجيد الذى استنزل منه نيتشة أروع قصـائده وأبسل أغانيه ! . . . إننى أنصح قراء « الرسالة » أن يصدقوا نيتشة ، أما قراء « المصرى » فلا بأس من أن يصدقوا عبـد الرحمن الخميسى إذا قال لهم إن موسيقى

فاجنر هي التي خلقت عقلية هتلر وفون مولتكه وبسمارك . . . وفريدريك الأكبر !!

ترجمة تحتاج إلى تصحيح :

تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوى فى عدد « شباط » من مجلة الأديب اللبنانية عن مسرحية الأيدى القذرة « Les mains Sales » للكاتب والفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر .. ولقد استوقفنى ما جاء بمقاله من ترجمة خاطئة لبعض كلمات رأيت أن أصححها ، حتى لا تبعد الشقة بين أصلها فى الفرنسية وبين ما يقابلها فى العربية :

ترجم الدكتور بدوى هذه الكلمات « La putain respectueuse » وهى عنوان مسرحية لسارتر « بالعاهر المهيبة » ؛ وهنا يبدو شىء من الانحراف فى الترجمة لا يستقيم معه المعنى سواء أكان منسوباً إلى عنوان المسرحية أم كان منسوبا إلى الفكرة التى بنيت عليها ! . . . إن المهابة كما يدل عليها موضوع المسرحية وكلمة « respectueuse » لا تنسب إلى « العاهر » وإنما تنسب إلى المحيطين بها عشاق الجسد ، أولئك الذين كانت ترحب بهم وتحتفى بمقدمهم ؛ وإذن تكون الترجمة الصحيحة هى « العاهر الحفية » . أما « العاهر المهيبة » فلا يقابلها فى الفرنسية غير هذه الكلمات :

« La putain respectable » .

وترجم الدكتور بدوى عنوان مسرحية أخرى لسارتر ترجمة خاطئة أيضاً وهى مسرحية « La nausée » ، حيث قابلها بكلمة « القرف » مع أن ترجمتها الدقيقة هى « الغثيان » . . والفارق بين الترجمتين بعيد !

أما قوله بأن « الأيدى القذرة » هى خير ما أنتج سارتر إحكام صنعة فنية وبراعة حوار وإبداع تسلسل ، فلا أجد فى الرد عليه خيراً من رأى الدكتور طه حسين بك فى هذه المسرحية ، وهى أنها أقل أعمال سارتر الأدبية توفيقاً فى مجال العمل الفنى الذى يقوم عليه بناء التمثيلية الحديثة ، وهو رأى جهر به الدكتور طه — كما قال لى — فى وجه مديرة المسرح الفرنسى الذى مثلت عليه مسرحية سارتر ، يوم أن سمت إليه السيدة تسأله عن رأيه فى « الأيدى القذرة » . . ومما هو جدير بالذكر أن المحيطين بالدكتور قد حاولوا فى شىء من اللباقة أن يخففوا من وقع رأيه على شعور السيدة الفرنسية ، ولكن صراحته المعهودة أبت إلا أن تؤكد المرة الثانية ما سبق أن أفضى به ، وهو أن هذه المسرحية عمل فنى يعوزه التوفيق !

بين طه حسين وتوفيق الحكيم :

لم يسعدنى الحظ بالاستماع للمحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور طه حسين بك عن « قصة أوديب فى الآداب المختلفة » ، والتى تناول فيها بالنقد والتحليل بعض الأعمال الفنية التى أعقبت أوديب سوفوكل . . ولقد حدث أن خرج بعض المستمعين لمحاضرة الدكتور وقد وقع فى ظنهم أن الأستاذ توفيق الحكيم قد ناله رشاش من التهكم حين جاء ذكر مسرحيته فى سياق الحديث ! هذا ما فهمته من بعض الذين لقيتهم عقب المحاضرة ومما أورده صديقى الأستاذ عباس خضر حين عرض لها فى الأسبوع الماضى بالتلخيص والتعقيب .

ومن العجيب أنه قد وقع فى الظن أيضاً أن علاقات الود والصداقة بين الدكتور والأستاذ الحكيم تجتاز مرحلة من الفتور ، ليس أدل عليها من هذا الذى قيل وتعرض فيه صاحب « أوديب الملك » لشىء من السخرية !

أود أن أؤكد هنا أن كل ما تبادر إلى الأذهان من ظنون لا يستند إلى دعامة واحدة من دعائم الحقيقة ، فعلاقات الود والصداقة لا تزال تربط بين الرجلين بأقوى رباط .. وإذا كان الدكتور طه قد لجأ فى حديثه إلى شىء من العنف أو إلى شىء من القسوة ، فرجع ذلك إلى صراحته المعهودة التى لا تجامل صديقاً على حساب القيم الفنية والموازين النقدية ، وتلك ناحية أكدها لى الدكتور حين فاتحته فى هذا الأمر منذ أيام . ومما يؤيد هذا القول تلك القصة الطريفة التى أتيت على ذكرها فى الكلمة السابقة ، والتى تمثل بوضوح صراحته السافرة عندما سألته مديرة المسرح الفرنسى عن رأيه فى مسرحية « الأيدى القذرة » ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يتهم الدكتور طه بأنه كان يسخر من فن سارتر أو يتهكم عليه . . وإذا كان الأستاذ الحكيم قد تعرض فى ثنايا المحاضرة لشىء من العنف فقد تعرض فولتير لهذه

العبارة القاسية ، وهى أنه فى تناوله لقصة سوفوكل قد أمعن فى سخف لا يطاق !

لا أدرى لم يعد الناس هنا قسوة النقد تهكما وصراحة الناقد سخرية ، ولم يميلون فى مثل تلك المواقف إلى الظن بأن بين الناقد والمنقود أسباباً من الجفاء يفسرها الوهم بالتحامل ويردها الخيال إلى محاولة النيل من الأقدار ؟ ! ألا يجدر بنا أن ننظر إلى الأمور من خلال منظار آخر يهيىء لنا رؤية الحقائق فى جو لا يكتنفه هذا الضباب ؟ إننى أود أن تتحقق هذه الأمنية فى يوم من الأيام !

درس آخر فى أدب القصة :

يبدو أننى لن أفرغ من هذه الدروس التى تلقى على من حين إلى آخر فى أدب القصة ؛ فبعد أن عقب أحد الأدباء على ما كتبت حول مسابقة الصور للقصة القصيرة ، وبعد أن رددت عليه بكلمات أعتقد أنها وضعت كل شىء فى مكانه ، بعد هذا كله هب « أستاذ » آخر ليمدنى بنصائحه ويزودنى بمعلوماته وهو الأستاذ نصرى عطا الله !

إننى أرحب بأن أكون « تلميذاً » مخلصاً على شرط أن يكون « أساتذتى » على شىء من العمق والإحاطة ... وأشهد أننى لا أضيق بالتوجيه والإرشاد ولو صدر من أديب لم أسمع به من قبل على شرط أن يكون فى توجيهه وإرشاده ما يهدينى إلى أشياء تدق على فهمى المتواضع ؛ ولكن الذى أضيق به ، هو أن يتحدث الأستاذ عطا الله عن فن القصة القصيرة بهذه اللهجة التى تذكرنى بخالدى الذكر « تين وسانت بيف وأرنولد » ، ثم لا أخرج من كلمته بشىء يمكن أن يدفع بى إلى الصف الأول من صفوف تلاميذه !

ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفنى فى القصة القصيرة مجال محدود ، فهل يأذن لى بأن أقدم إليه هذا التعقيب الطريف الذى أدلى به الأستاذ توفيق الحكيم فى حديث دار بينه وبينى يوم أن قطعت بهذا الرأى ؟ لقد قال الأستاذ الحكيم : « أنا معك فى أن العمل الفنى فى القصة القصيرة لا يمكن أن يقاس إلى نظيره فى القصة الطويلة ، إلا إذا أمكن أن يقاس سباق القطط إلى سباق الخيل ؟ ! »

ومن العجيب أن الأستاذ عطا الله يحرم على القارىء الشرق أن يحكم على شخصيتى موباسان وتشيكوف لأن ما نقل من أدبهما إلى العربية أقل من القليل ، ومع ذلك فقد أباح لنفسه أن يتحدث عن موباسان وتشيكوف بلهجة تذكرنى أيضاً بخالد الذكر بندتو كروتشه ... ألم أقل لك إن ما يباح للأساتذه يحرم على التلاميذ ؟!

هذا هو كل ما يستحق التعقيب فى مقال الأستاذ عطا الله ... ومعذرة يا « أستاذى » ، فقد علمت من آخر صفحة فى عدد « الرسالة » الماضى أنك قد فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية فى مباراة القصة القصيرة التى أقامتها وزارة المعارف ؛ ومعنى هذا أن هيئة التحكيم التى لم تقدر فنك كانت أجدر منى بهذا الدرس القيم فى أدب القصة !

أين العلوم فى الرسالة ؟ :

يسألنى الأديب الفاضل الأستاذ عبد المنعم العزيزى فى رسالة بعث بها إلىّ عن مكان العلوم فى « الرسالة » ، مع أنها تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » ... ثم يعقب على سؤاله بقوله إن المهتمين بالبحوث العلمية يجب أن يخصص لهم فى « الرسالة » بعض الصفحات ، أسوة بعشاق النقد والقصة والفلسفة والسياسة والاجتماع ممن تقدم إليهم مجلتنا الرفيعة من أسبوع إلى آخر فنوناً من هذه المعارف المختلفة ... ثم يقول فى ختام كلمته إنه يود أن تستجيب « الرسالة » لهذا الرجاء حتى تكتمل لها رسالتها المثلى فى خدمة الأدب والعلم والفن ، وبخاصة فى هذه الأيام التى يقوم فيها العلم بأخطر أدواره فى توجيه حياة البشر ورسم الطريق أمام مستقبل الإنسانية !

الواقع أنه لو كان الأمر بيدى لاستجبت لرجاء الأديب الفاضل لأننى أوافقه على هذه الآراء الناضجة ... وكم كنت أود أن يكون لى فى رحاب العلم قطرة من فيض العالم الجليل الأستاذ نقولا الحداد ، إذاً لكفيته مؤونة السؤال والرجاء ، ولعلّ الأستاذ الحـــداد يحقق يوماً هذه الأمنية ، فيعطر صفحات « الرسالة » بغزير علمه ، بعد أن عطرها بوخز « المخلوقات الخبيثة » بسنان قلمه !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

النقد الأدبي في القرن العشرين :

ألقى الدكتور محمد مندور يوم السبت الماضى محاضرة عنوانها « النقد الأدبى فى القرن العشرين » فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية . وقد بدأ بتعريف النقد الأدبى بأنه فن تمييز الأساليب قائلا بأن الأسلوب ليس هو طريقة الأداء اللغوى فحسب بل هو كذلك طريقة إدراك الكاتب للعالم الخارجى ثم مدى قدرته على اصطياد المعانى والأحاسيس وإسكانها اللفظ الملائم . ثم قال إن النقد فن لا علم ، ولكنه لا يقوم على الجهل ، فأول ما يطلب فى الناقد الاستنارة ، وإن الناقد يلزمه أن يحصل كثيراً من المعارف ولكن يجب عليه أن ينساها فى الأدب ، فثقافة الإنسان هى مايتبقى فى نفسه بعد أن ينسى ماحصله . والثقافة التى تنبغى للناقد متعددة الجوانب ، وأولها الأدب ذاته الإنشائى والنقدى ، ومن ذلك معرفة المعنى الدقيق للكلمات والاصطلاحات ، فإن كثيرين يرددون كلمات مثل « الواقعية » و « الرمزية » وهم يفهمون خطأ غير معناها ، فيفهمون الواقعية مثلا على أنها تصوير لواقع الحياة كما هو ، ويتبادر ذلك إلى أذهانهم من المعنى اللغوى للكلمة . غير عالمين بالملابسات التاريخية لهذا المذهب الذى يقوم على النظرة إلى الجانب الحالك من الحياة والإيمان بعدم وجود الخير فيها .
ومن ذلك مذهب « الفن للفن » فليس هو كما يفهمه الكثيرون من أنه يقتضى الخروج على مواضعات المجتمع والأخلاق ، وإنما هو يدعو إلى أن تكون غاية الفن صور جميلة لذاتها ، وأن الفن غاية فى ذاته وليس وسيلة للتعبير عن مشاعر خاصة .

ثم قال الدكتور مندور : إن ثقافة الناقد فى القرن العشرين أصبحت ضرورية لتعدد المذاهب واختلاطها ، فمثلا كانت المسرحية إما كوميديا أو تراجيديا ، فجاء النقاد فى القرن العشرين يقولون إن الحياة ليست كلها مآسى كما أنها ليست فكاهة مغرقة فى الضحك ، فهى ليست بالسوداء ولا بالبيضاء الخالصة ، وإنما هى خليط من الأمرين ، فما الذى يمنع من وجود لون رمادى على المسرح ، هو الدراما التى تجمع بين الحزن والضحك ؟

ثم تساءل المحاضر : ترى هل يستحق النقد كل ذلك العناء ؟ وأجاب بأن النقد ليس تبعياً وإنما هو خلق أدبى ، وسيان أن يتحدث جيته عن منظر طبيعى أو إنسان فى الحياة وأن يتحدث عن شخصية روائية أو كاتب زميل ، فتحصيل الأدوات للنقد جهد غير ضائع .

وبعد ذلك قال الدكتور مندور : وفى مصر هل نستطيع أن نقول إن النقد الأدبى قد استقر له أصول ؟ ترجمت كتب ، وكتب نقاد ، بحيث نلاحظ أن النقد أخذ يرتفع عن الشخصيات إلى الأفكار ، ولكن الملاحظ أن وسائل إذاعة النقد لا تزال محصورة ، فأ كثر ما ينشر فى الصحف والمجلات تعريف لا نقد تغلب عليه المجاملة والرغبة فى ترويج الكتاب . وهناك نوع يتمثل فى الطعن والقدح لأسباب شخصية أو أشعبية ... وعلى العموم نرى النقد الأدبى الصحيح من حيث التطبيق على مؤلفاتنا — يعانى ضيق مجال النشر .

ثم قال : إننا الآن فى مرحلة تتطلب أمرين : الأول أن نكثر من النقل والترجمة عن الغرب ، والثانى أن يتجه النقد إلى غرس روح العلم والخلُق الأدبى بجانب نقد الأدب ذاته . وبذلك نستطيع أن ننشئ أدباً أصيلا وأن نبنى على أساس سليم .

وألاحظ أن نقطة نسيان المعارف كانت تحتاج إلى بيان ، وما أحسب الدكتور إلا يشير بذلك إلى الحقيقة النفسية القائلة بأن كل المعلومات تكمن فى العقل الباطن الذى يهضمها ويمائل بينها ، ثم هى تسعف الإنسان فى الفرصة الملائمة دون التفات الواعية الظاهرة ، ويكون ذلك أدنى إلى الأصالة من الترديد الببغاوى ، بل هو الأصالة نفسها . ولكن هل نقول من أجل هذا بنسيان كل ما نحصله ؟ وكيف إذن ندرك ما دعا إليه من معرفة المذاهب الأدبية ودقائق الفروق بينها إذا لم يظل ما نحصله منها عالقاً بالذاكرة ؟

شعر البالاليكا :

رأيت فى « البلاغ » يوم الاثنين الماضى قطعة تحت صورة امرأة وفوق إمضاء « يوسف جبر » عنوانها « بالاليكا » وهى كلام مكتوب على هيئة النظم ، أعنى أنه مقسم أجزاء

كأجزاء الشعر ، ومنه ما يأتى :

قبل شروق السحر
أسمع نجوى وتر
عند خيام الفجر
فمند ما يتنفث
بلحنه الجيران
بسود وجدى ويبعث
ما كان من شجن
فى بالاليـــكا

وأنا لم أذهب إلى « بالاليكا » حتى أحكم على ما توحى به من الروائع ... ولكن أليس لقائل آخر ، ما دام الباب مفتوحاً ، أن ينشر قطعة قد تكون أروع من هذه بعنوان (شرم برم) ؟!

مسرحية أوديب :

قدمت جمعية أنصار التمثيل والسينما رواية « أوديب » على مسرح الأوبرا يوم السبت الماضى ، وهى مسرحية قديمة مترجمة عن الفرنسية ، وقام بدور أوديب فيها الأستاذ جورج أبيض بك الذى قام بنفس الدور وقت أن قدمت فرقته هذه المسرحية سنة ١٩١٢

وقد نقلت الإذاعة تمثيل الرواية إلى مستمعيها ، وكان صوت « الملقن » مسموعاً واضحاً كأصوات الممثلين ، فالمستمع يسمع كلاماً كالفحيح ثم يسمع نفس الكلام من الممثلين بصوت عال ... وكانت فرصة لحذلقة المذيع ، إذ أخذ يخبط ويخلط

كشكول الأسبوع

◘ يتداول الآن بعض كبار الأدباء فى تأليف جماعة أدبية من أغراضها حماية حقوق الأدباء .

◘ يسرنا أن نذكر أن معالى الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا ، قد تماثل للشفاء بعد عملية أجريت له بنجاح فى مستشفى الكاتب ، ومعاليه الآن ينزل إلى حديقة المستشفى لقضاء بعض الوقت فيها . والمأمول أن يكون أستاذ الجيل قد غادر المستشفى حين قراءة هذا ، موفور الصحة والعافية .

◘ فاز فى المسابقة الأدبية التى نظمتها إدارة الثقافة بوزارة المعارف خطيبان ، هما الأستاذ حسين محمود البشبيشى والآنسة عواطف عبد الله بيومى ، فاز هو ببحث أدبى عن « مسلم بن الوليد » ومنح مائة جنيه ، وفازت هى بقصة « قبور فى الطريق إلى تل أبيب » ومنحت عشرين جنيها .

وهذا « الاقتران » بالفوز فى المسابقة بشير خير وسعادة فى « القران » المنتظر . فبالرفاء و « الإنتاج » .

◘ توالى لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية اجتماعاتها للنظر فى الإنتاج الأدبى بوجه عام حتى تستطيع أن تعين الفرع (كالقصة أو الشعر أو غيرهما) الذى تمنح عنه الجائزة فى هذا العام . وقد كان موضوع العام الماضى الدراسات الأدبية الإسلامية .

◘ وأخيراً فتح الله على الإذاعة فأعلنت نتيجة مباراة التمثيليات المزمنة بها ، وقد فاز كل من تمثيليتى (ولادة) للأستاذ خليل هنداوى و (على قد لحافك) للأستاذ محمد نبيه عبد الكريم بجائزة من المرتبة الأولى وقدرها خمسون جنيها .

◘ سئل الأستاذ كامل كيلانى عن رأيه فى فلان الذى يدعى أن الله لم يخلق مثله فى الكتاب والشعراء . فقال : إنه يكرر دعوى سبقه إليها أديب معروف . يحكى أن أميراً جعل جائزة لأبرد حكاية ، وكادت الجائزة تستقر على صاحب الحكاية البائخة ولكن جحا انبرى يقول : أنا أحكى أبوخ من هذه . وحكا الحكاية نفسها . فكان هو الفائز .

◘ سأل أحد الأعضاء بالجمعية التشريعية وزير المعارف فى السودان عن عدد الذين يتعلمون فى جنوب السودان ، فقال الوزير : إننى آخر من يقول بسودان شمالى وآخر جنوبى ولكن لا أستطيع الإدلاء ببيانات عن الجنوب قبل زيارته .

أوليس من مقتضى عدم التفريق بين الشمال والجنوب أن يعرف وزير المعارف حالة التعليم فى الثانى كما يعرفها فى الأول من غير حاجة إلى زيارة إحصائية ؟

◘ قررت وزارتا التجارة والمالية إباحة تصدير الكتب المصرية إلى الخارج بعد موافقة الجهات المختصة .

◘ تبحث الجامعة العربية مسألة توحيد النقد فى البلاد العربية . وحبذا أن تعمل الإدارة الثقافية بالجامعة على توحيد أسماء شهور السنة الميلادية التى يؤدى اختلافها الحالى إلى ارتباك لا داعى له فى بلدان لغتها واحدة .

قبل أن يرتفع الستار ، فقال إن هذه المسرحية مثلت لأول مرة فى مصر سنة ١٩٣٠ ، ورأى أن يدلنا على واسع علمه فقال : إن هذه المسرحية قام عليها المسرح فى كل أمة !! وتصور أنت مسرح أمة واحدة يقوم على رواية واحدة ... ولو أنه قال إن الرواية مثلتها المسارح فى مختلف الأمم لكان معقولا .

وقد بدا أسلوب المسرحية وموسيقاها التى وضعها الشيخ سلامة حجازى ، بعيدين عما يستساغ فى هذا الوقت ، مما جعلها غير مستحقة لإعادة تمثيلها الآن ، وليت الذين قدموا الرواية القديمة أتعبوا أنفسهم ببذل جهد جديد ، فقاموا بإخراج « أوديب الملك » لتوفيق الحكيم ووضع تلحين لها يناسب الذوق المصرى ، بدل هذا الاجترار الذى لا طائل وراءه ...

المسرح بين جيلين :

الجيل الأول يتمثل فى الفرق الحاضرة ، وأهمها الفرقة المصرية التى تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية ، والجيل الثانى هو الجيل الجديد الذى تتطلع إليه الأنظار فى المعهد العالى لفن التمثيل التابع لوزارة المعارف .

ولا ينكر أحد ما أسداه الجيل القديم لفن التمثيل ، ومقدرة

أفراده التي تكونت على مر السنين من المران وتنمية المواهب ، ولكن هناك حقيقتين بارزتين ، الأولى كسل هؤلاء الممثلين في العمل المسرحي ، أو بتعبير أصح انشغالهم عن المسرح بالسينما ، فهذه الفرقة المصرية تجتر الروايات القديمة التي حفظ الممثلون أدوارهم فيها فلا تكلفهم عناء في الحفظ ولا في التجارب (البروفات) وقد دعا مديرها العام الأستاذ يوسف وهبي في أول الموسم ، الأدباء إلى معاونته بالتأليف ، ولكن البرنامج الذي قدمته الفرقة طوال الموسم إلى الآن دل على رغبتها في الراحة من العناء في إنتاج جديد ، فقد قدم لها الأستاذ محمود تيمور بك مسرحية جديدة هي « اليوم خمر » كما كتب لها أيضاً الأستاذ توفيق الحكيم مسرحية « اللص » وقد مضت شهور على فراغ الأديبين الكبيرين من هاتين المسرحيتين وتقديمهما ولم يبد ما يدل على أن الفرقة ستقدمها في هذا الموسم . وتسأل الأستاذ زكي طليمات المدير الفني للفرقة عن ذلك ، فيقول : وماذا أصنع وأنا لا أجد يوسف وهبي ؟ وأين يوسف ؟ في (الاستديو) أي أن « مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ المسرح » ليس عنده وقت للمسرح ! وهكذا نرى أن الممثلين العريقين يتخذون الفرقة المصرية « محطة » يشربون بها النبيذ المعتق ويأكلون الشطائر المعدة في (جروبي) كما يقول ديوان المحاسبة ...

الحقيقة الثانية ، وهي التي تقضي بها سنة التطور في كل شيء ، أن المسرح في حاجة إلى نوع جديد من الممثلين قد يكون أقدر على التقدم بالفن ومسايرة ما جدَّ فيه . وهنا نصل إلى الجيل الجديد المرجو من خريجي معهد التمثيل وطلبته ، ولا شك أن هؤلاء يمتازون بأنهم يتلقون دراسات منتظمة في الآداب والفنون وثقافة العصر ، وأحرى بهم أن يكونوا — كما قال الأستاذ زكي طليمات عميد المعهد في كلمته بحفلة توزيع الجوائز على الخريجين في الأوبرا — « حجر الزاوية في حركة جديدة يكون من ورائها إصلاح وتقدم المسرح المصري يتمان على يد الممثل نفسه وبواسطة الممثل نفسه » وقد قال الأستاذ طليمات أيضاً في تلك الكلمة « لقد جرت الحكومة منذ أكثر من عشرين عاماً ، وهي تحاول الارتقاء بالمسرح ، على سياسة منح الإعانات المالية للفرق العاملة وإجراء تعديل وتغيير في أنظمتها ، ثم الإشراف عليها وتولي توجيهها توجيهاً فعلياً بوساطة اللجان وإصدار القرارات ، وقد أفاد هذا إلى الحد الذي ترون عليه « الفرقة المصرية » كما أفاد أيضاً في إبراز كيان اجتماعي للممثل . ولكن الحكومة اليوم تواصل عملها لتحقيق الارتقاء المنشود ، متخذة طريقاً أخرى ، استلهمتها ولا شك على ضوء البديهية الاجتماعية المبذولة لكل مفكر ، وهي أنه لن يفيد ولن يجدي في شيء أن نحاول إصلاح النظم القائمة بالتغيير والتعديل قبل أن نأخذ بإصلاح الفرد الذي يعمل في هذه النظم ، ويتولاها وينهض بكيانها . فالمعهد بحكم هذا مرجو أن يكون معقد الأمل في تحقيق هذا الإصلاح باعتبار أنه المصنع الذي يخرج رؤوساً جديدة تعد أحسن إعداد لاحتضان المسرح في نظامه الديمقراطي »

وقد أشرت منذ أسابيع إلى أن وزارة المعارف تعمل على إنشاء فرقة نموذجية خاصة بطلبة معهد التمثيل ، وقد كان معالي السنهوري باشا وزير المعارف السابق وافق على المبلغ المقترح لهذه الفرقة وهو ثمانية آلاف جنيه ، وقدم معاليه المشروع إلى اللجنة المالية لمجلس النواب ، وقد رفضت اللجنة الموافقة على هذا « الاعتماد » ورؤى إرجاء المشروع إلى العام القادم . وكان من حجة اللجنة المالية في هذا الرفض الاكتفاء بالفرقة المصرية على أن يضم إليها خريجو المعهد . ولكن الفرقة المقترحة شيء آخر غير الفرقة المصرية القائمة ، لأن الأولى يرجى منها أن تنهج منهجاً آخر يقوم على استغلال الحماس الفني في إحياء التمثيل المسرحي ، وهذا الحماس يخشى عليه أن يخبو وأن يثبط إذا عاشر واصطدم بالجيل القائم المتسلط ، كما يقوم النهج المرجو على الخلاص من الاعتبارات التجارية إذ يكون الاتجاه إلى تقديم مسرحيات من الأدب الرفيع ، والفرقة المقترحة بعد كل هذا تؤمل أن تكون أساساً سليماً لبنيان جديد في المسرح المصري بعد أن دلت التجارب الماضية على فساد البنيان القائم .

وإلى معالي الأستاذ علي أيوب وزير المعارف الحالي أسوق الحديث ، راجياً أن يتم على يديه إنعاش المسرح الراقي ، وحبذا أن تحقق وزارة المعارف الغرض المنشود من الفرقة الجديدة بإمداد المعهد بالمال اللازم لإقامة الحفلات التمثيلية العامة من ميزانيتها الخاصة ، حتى يستطيع أن يبرز مجهوده ويقدم ثمراته ، إلى أن يتيسر إنشاء الفرقة المأمولة .

عباس خضر



ديوان « من وحى الريف »

تأليف الأستاذ توفيق عوضى

بقلم الأستاذ ثروت أباظه

كثرت فى هذه الآونة مدارس الشعر وتعددت مذاهبه . فترى من الشعراء من يقصد إلى المعنى غير محتفل باللفظ أو الصياغة ، وهو فى ذلك يسير بالشعر فى طريق النثر . وترى منهم بعضاً يعنون بالصياغة والألفاظ دون التفات إلى التجديد فى المعنى ؛ وعذرهم فى ذلك أن عنترة شاعر الجاهلية قد قال « هل غادر الشعراء من متردم » فإن كان عنترة منذ ألفى عام قد يئس أن يجد معنى جديداً فهل يبحثون هم عن معنى جديد بعد هذه الحقبة الطويلة من السنين التى مرت فانتهكت القديم وأخلقته ، بل وأخلقت أيضاً ما ظهر فى غضونها من معان جديدة ؟

ومن الشعراء من يقول إن الشعر الصادق إشباع للعاطفة ، والعواطف منذ كانت خالدة على الزمان لا تتغير ؛ فواجب الشاعر إزاءها أن يبين عنها فى أنصع تعبير . وهنا يختلف القوم مرة أخرى ، فمنهم من يرى أن الصياغة يجب أن تكون مشرقة فى عربية صريحة لا تيسير فيها ، ومن الشعراء من يرى وجوب التحلل من قيود الصياغة العربية ؛ ويقف البعض موقفاً وسطاً فتراه يلتزم السهولة في تعبيره مع التزام الصياغة العربية معتقداً أن واجب الشاعر هو الوصول إلى قلب سامعيه من أقرب طريق ، وزعيم هذه المدرسة هو الشاعر العربى الأكبر إيليا أبو ماضى . وقد انضوى كل شاعر تحت مدرسته يأبى أن يجيز لأى مدرسة أخرى أن تقول الشعر معتقداً أن الشعر هو ما يكتب وما دونه كلام لا يصح أن يسمى شعراً ... ولا شك أن هذا التعصب ينساق مع طبيعة الشاعر المتكبرة ولكن واجبه أزاءها ألا ينتقد أبداً . . . ذلك أن نقده على أية حال سوف يكون — رغم أنفه — جائراً . وواجب النقاد إزاء كل هذه المدارس أن يقفوا منها على حياد المتفرج حتى يحكموا على كل شاعر بالنسبة للمدرسة التى يؤمن بها ، وبهذا يكون الميزان سليما لا تحيز به ولا إجحاف ...

والأستاذ توفيق عوضى من الذين يؤمنون بالسهولة دون الميوعة فى الصياغة ولا يقبل أبداً أن يترجم عن إحساس لا ينبعث من صميم قلبه ؛ فهو يفهم كلمة العاطفة فهمها الصحيح ، فقد ذهب البعض إلى أن العاطفة هى الحب أو البغض بما يستتبع كلا الحالين من مشاعر وأحاسيس ، أما توفيق فقد فهمها على أنها انعكاس الصور الخارجية على نفسه الشاعرة ثم عبر عنها على أنها منبعثة من صميمه ؛ وعلى هذا تراه دائم النظر إلى ما حوله يحاذر أن تفوته واقعة فلا يسجل أثرها فى نفسه شعراً . فتراه يقول حين يستأجر الحمار والغلام بثمن واحد :

يزهدنى فى النسل أنى بأمة
تساوى بها الإنسان والعيرفى الأجر
وما دام أجر المرء والعير واحداً
فحمداً لمن أغنى عن النجل بالعير

ويذهب ليقضى أمسية عند صديق له فتطيب وتبعثه فى الصباح يقول مستبشراً به طروبا :

وصحت ذكاء فغنت الأكوان ألحـان الصباح
فسكرت من أضوائها ونعمت بالسكر المباح
ضحكت ثغـور وروده كتضاحك الغيد الملاح
القبلات كأنهن منى تتوج بالنجاح
وذكرت لطفك فانتشيت فكنت ريحانى وراحى
يا صاحبا فى صحبة جمعت أزاهير الصلاح
وعلى اقتراحك قد نزلت وقد نزلت على اقتراحى
فتمازجت أرواحنا كالراح والماء القراح

هذه الرقة التى تلمسها وتلك الانطلاقة التى تجرى بها الأبيات هى لا شك شعور صادق لا مين فيه . وإنك لتراه مع هذا يحب كما يحب الشعراء ولكنه يعبر عن شعوره فى هذه الرقة نفسها. وإنك حين تقرأ له شكواه من الحب لا تملك إلا أن تنزع معه . يقول :

كف الصدود .. كفى .. كفى عذبت قلبى بالجفا
يكفيك مما شفنى أن الحسود قد اشتفى
إن ترض لى طول السقام قضيت عمرى مدنفاً



الرجل يخطب لا المرأة :

تنشر الصحف كل يوم أنباء الزواج ، وربط عقدته والخطبة له في عبارات يأباها فصيح اللغة ، وتنفر منها نخوة الرجولة فتقول مثلا : — (تمت خطبة فلان للآنسة فلانة !) (بحفل بهيج تمت خطبة فلان بكريمة فلان !) . (تمت خطبة فلان إلى الآنسة فلانة !) وغير ذلك مما يطول إيراد أمثاله .

ومما أثار عجبي إني قرأت يوماً في جريدة الأهرام هذا النبأ :

« في حفل عائلي تم زفاف الأستاذ ا . ح . ع المحامي وعضو مجلس بلدي ... إلى الأستاذة ف . ح المحامية فبالرفاء ... »

وهذا كله وأمثاله من الخطأ الذي لا يصح السكوت عليه ، وذلك بأنهم يجعلون الأنثى هي التي تخطب الذكر أو يزف إليها العريس، والذكر هو الذي يُخطب أو يزف إلى العروس . ولكن اللغة تقضي بأن يكون الذكر هو الذي يخطب أو تزف إليه العروس والأنثى هي التي تُخطب وتزف إلى عريسها .

وفي الأساس : خطب الخطيب خطبة حسنة ، وخطب الخاطب خطبة . وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول : خِطب وفي المصباح وخطب المرأة إلى القوم ، إذا طلب أن يتزوج منهم ، واختطبها ، والاسم الخِطبة ، فهو خاطب وخطاب مبالغة وقال تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » وفي الحديث المتفق عليه « ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له الخاطب » . وأما القِران فيقال : قرن الشيء بالشيء فاقترن به ، وجعلوا من المجاز ، هي قرينة فلان لامرأته .

هذا هو حكم اللغة ، إلا إذا كانت الأمور قد انقلبت والمدنية قد تحكمت في اللغة كما تحكمت في غيرها فاستنوق الجمل واستتيست الشاة ! !

محمود أبو ريه

حول الأدب الشعبي في الكويت :

بعث إليَّ أحد الأصدقاء يستنكر تسميتي للخليج الفارسي (بالخليج العربي — الفارسي سابقاً) في مقالي عن (الأدب الشعبي في الكويت) الذي نشر في الرسالة الغراء (العدد ٨١٣) مدلياً لي بأن جميع الكتب التي ذكر فيها اسم هذا الخليج دعي فيها بالفارسي وليس بالعربي كما أنه فارسي الصبغة ... الخ

وأحب أن أنبه هذا الصديق وأمثاله إلى أن هذا الخليج الذي تحده من الشرق بلاد فارس ، ومن الغرب الكويت والبحرين والأحساء ، ومن الشمال البصرة فالعراق ، ومن الجنوب عمان والربع الخالي وبلاد العرب عربي الصبغة تماماً ، وأن تسميته بالفارسي تسمية عتيقة بالية ويكفي أن تعلم أن السواحل العربية التي تطل على هذا الخليج أطول من السواحل الفارسية التي تطل عليه ، كما لا ننسى أن تلك السواحل الفارسية نفسها التي تطل عليه تدعى (عربستان) فسواحله عربية ومياهه عربية خالصة وإن الأسطول التجاري العربي الكويتي الذي على طوله وعرضه ليدلك الدلالة الواضحة على عروبته كما أن الكويتيين والبحرنيين من أعمالهم الهامة صيد أو قطف اللؤلؤ من مياهه . والعرب الذين يقطنون السواحل العربية منه كالكويت مثلاً قد اصطلحوا على تسميته بالخليج العربي ويعتزون بذلك ، فلئن ذكرته الكتب العتيقة فارسياً فقد آن للجديد منها أن يطلق عليه هذا الاسم الحقيقي الطارف .

أحمد طه السنوسي

أو ترج حتفي إنني قد صرت منه على شفا
إن توف أو لا توف لن ارتد عن عهد الوفا

تلك الثورة التي يبدأ بها أبياته هي لا شك مجلى ما يعتلج بنفسه من حب وما جره عليه هذا الحب من المرض .. ثورة عارمة ولكنها رقيقة وصلت إلى قلبك دون أن يركب إليه ألفاظاً أنيقة أو صياغة متبرجة ... إنها مدرسة ... والأستاذ توفيق لاشك من أنبغ تلاميذها . سوف ترى معي ذلك حين تقرأ الديوان كله كما فعلت أنا فخرت في أي قطعة أختار وأيها أدع ثم انتهيت إلى ما نقلت إليك تاركا لك الفرصة لتحار وتختار إذا استطعت أن تختار .

ثروت أباظة

أسف واعتذار :

فى تعقيبات العدد الماضى من « الرسالة » عند الكلام عن مسرحية « سليمان الحكيم » سقطت إحدى العبارات فاحتل معها المعنى الذى كنت أقصد إليه . . ولعل القراء قد فطنوا إلى تلك الفجوة التى فصلت بين شقى التعبير حيث وقعوا على هذه الكلمات : « هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكرى فى كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات النفسية وهو فى ذلك يخضع للجو الذى تسيطر عليه شخصيات أبطاله ، هناك حيث نجد الصراع بين ذهن وذهن لا بين عاطفة وعاطفة » . وصحتها : « هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكرى فى كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات الفكرية أكثر مما يجرى وراء المشكلات النفسية وهو فى ذلك يخضع للجو الذى تسيطر عليه شخصيات أبطاله .. الخ »

لهذا أسجل أسفى ، أما الاعتذار فأتقدم به إلى القراء حيث ضاق النطاق عن تناول قصيدة الشاعر إيليا أبى ماضى بالعرض والتحليل كما وعدت .. فإلى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوى

بيت قلق :

فى العدد (٨١٦) من الرسالة الغراء اطلعت على قصيدة للشاعر الأديب سعد دعبس بعنوان (فى القاع يا رب) مطلعها :

حطمى الزورق يا ريح فقد طال ظلامى
وجرى الشك ورائى ومشى الوهم أمامى

وهى من الرمل المربع (فاعلاتن أربع مرات) . ومنها هذا البيت القلق بالزيادة :

ربما ينعم بالفجر الأقاحى وأنا رهن الظلام

ولا أظن الخطأ من التطبيع فهو بالزيادة لا النقص ، وتمام المعنى بالزيادة الزائدة !

وبعد : فما — بكلمتى — قصدت التصويب ، بل التعقيب بالشكر للشاعر الأديب الذى قام يهدى قصيدته إلى (روح الشاعر البائس « عبد الحميد الديب ») وفاء وذكرى ، فى زمان قل فيه الوفاء والوفيون ، ونضب الذكرى من ألسن الذاكرين .

رحم الله الديب [1] ، وجزى الله الأديب .

(الزيتون) عدنان

مآخذ أربع :

فى عدد الرسالة الغراء رقم (٨١٣) قصيدة للشاعر الملهم زهير ميرزا بعنوان « شهرزاد » وهى قصيدة منورة ماتعة ، وقد ازدانت كالعروس الحسناء برواء بديع لولا هذه المغامز :

قال الشاعر :

١ — « كأسك الفن ومغناك أغاريد المصور »

والمغنى مقصورا واحد المغانى وهى المواضع التى كان بها أهلوها . وأغنيت عنك « مغنى » فلان و « مغناة » بضم الميم وفتحها فيهما : أى أجزأت عنك مُجزاه .

وما أظن الشاعر قصد كلا المغنيين إذ لا يكون المنزل أغاريد المصور بله أن يجزأ عنه مجزاه . وأظن الشاعر حسب « المغنى » من الغناء كما يقول بيرم التونسى على لسان أم كلثوم .

المغنى حياة الروح يسمعها الحبيب تشفيه

ولا وجه له .

٢ — « ونداماك عشيق فاتر اللحظ الكسير »

والندامى جمع ندمان . ذكر الشاعر أولئك الندامى ولم يذكر منهم سوى ذلك المشيق ، وكان الصواب أن يقول : ونديمك أو ندمانك عشيق فاتر اللحظ الكسير أن يأتى بالمفرد دون الجمع

٣ — « ورواء الدهر فاستلقاه خفاق وثارا »

واستلقى : على قفاه ولا معنى له هنا ، والصواب أن يقول : وتلقاه خفاق وثارا ، أى استقبله . ومنه قوله تعالى « إذ تلقونه بألسنتكم » أى يأخذ بعض عن بعض .

٤ — « يرقبك السمار حيرى والمساء »

والصواب أن يقول : يرقبك السمار حيارى بالضم والفتح جمع حيران . أما حيرى فهى المفرد المؤنث .

وكنا نود أن نضرب صفحاً ونسبل ستراً على هذه المآخذ اللغوية لولا أن مكانة الشاعر الذى أتحف قراء « الأديب » بروائعه أعلى من هذه الهنات . وللشاعر شكرى ؛ إذ أن هذه النميزة لا تحط من قيمة هذه « الشهرزادية الرنان » .

يافا — فلسطين : عمان سامي حسين حبش

---

[1] ومن قوله :
(جوارك يا ربى لمثلى رحمة فخذنى إلى النيران لا جنة الخلد !)



قصة من الحياة :

من الأعماق (*)

« مهداة إلى الأستاذ أنور المعداوى »

للأستاذ كامل محمود حبيب

مضى الليل إلا أقله و « إلهام » تضطرب في فراشها لا تستقر، تتلمس الكرى فلا تجده وتنشد الراحة فلا تنالها ، وقد اطمأنت إلى الظلام والسكون يعصرها الهم ويضنيها الأسى ، تنغمر في خواطرها والساعات تنطوى . و « إلهام » فتاة في الثامنة عشرة من سنى حياتها فهى في شبابها الأول تنبض بالحياة وتتفتح عن أمل باسم وتتألق عن جمال رائع فتان ، تشع نوراً وسعادة وتتلألأ بهاء وضياء . لم تذق الحزن ولا عرفت معنى الكآبة ، فهى بين أبيها وأمها وأختها الصغرى في بهجة ما تنقطع أسبابها ، فما لها — الآن — تجلس وحدها في ظلام الحجرة وظلام الأخيلة ؟ وإن الشيطان ليوسوس لها بين حين وحين فلا ترى الحياة إلا عوداً من ثقاب تشعله في ثيابها ، وإلا حبلاً تلفه حول عنقها وتتعلق به فيقضقض عظام رقبتها ، وإلا نافذة تنفتح لتقذف بنفسها منها . ولكنه ما يزال فيها بقية من دين وصبابة من أمل .

وتسرب نور الصباح إلى حجرة إلهام يفزعها عن فراشها وعن خواطرها في وقت معاً ، واندفعت صوب الشباك تريد أن تسرى عن نفسها بعض ما أمضها فما وجدت في نسمات الصبح الندية ما يرفه عنها كربة قلبها ، ولا في النور الجميل المتدفق من لدن المشرق ما يمسح على هم روحها .

يا عجبا ! لقد كانت تجد في بسمة الصبح الجمال والحياة والنشاط جميعاً فما بالها الآن تفر منها في ضيق وملل .

***

وفى عصر يوم من أيام الربيع — منذ أربع سنوات — والرياح تهب رخية لينة توقع لحن السعادة والنور على قيثارة الربيع الهادىء الجميل ، والطائر الغريد يثب على أفنان الشجر وهو يشدو بأنغام النشوة والمرح ، والأزاهير تنفح عبيرها في خيلاء وتتمايل سكرى وقد هزتها اللذة واستخفها الطرب ، والشمس تنحدر إلى خدرها رويداً رويداً لتذر هذا العالم المضطرب ينام في هدوء وراحة وأشعتها تتعابث وتتعانق ، يودع بعضها بعضاً قبل أن تتلاشى لدى المغرب .

حينذاك اندفعت إلهام إلى الحديقة في ثوبها الحريرى الأبيض الرفاف وهى في عطرها المتأرج وشبابها الفياض تنفث الحياة في هذه الناحية وما فيها سوى البستانى العجوز يفحص الأرض بفأسه الصغيرة ، اندفعت إلى الحديقة تحنو على أزهارها وتحبو شجيراتها ببعض عطفها وتتنقل هنا وهناك ، فهى زهرة نضيرة بين أزاهير ، ولكن فيها هى الحياة الوثابة وفيها الجمال الآسر وفيها الخفة والفتنة وفيها السعادة والبشرى . لقد تفتحت الأزاهير وتكاد أوراقها أن تذبل ، أما هى فتوشك أن تتفتح عن أكمامها فتبدو في بهائها ورونقها ملء العين وسحر القلب وإن ربيع الأزاهير لينطوى في غير بطء ولا تلبث ، أما ربيعها هى فيقبل في هدوء وأناة ، وغمر الحديقة نور الفتاة فتراءت كأنما ترقص طرباً وحبوراً .

ودخل « عادل » إلى الحديقة — على حين غفلة — فألفى الفتاة أمامه وجهاً لوجه فرأى فيها معانى قلبه الشاب ولكنه ما يزال في الجامعة وما تزال هى طفلة . وسألها عن أبيها وعن أمها فما وجدهما . لقد خرج معاً ليقضيا شطراً من الليل خارج الدار . وهم الفتى أن يرجع غير أن الفتاة طلبت إليه أن يتلبث قليلاً لتعرض أمامه أزهارها وشجيراتها .

وتحدثت الفتاة في طلاقة واستمع الفتى . وانطلقت وانطلق هو إلى جانبها يحدثها وتحدثه هي حديث الزهر والشجر والربيع والأصيل والعطر .. ورقت كلمات الفتى وتكسرت نبراته ... ثم خرج ووقفت هى تنظر إليه في صمت ، وأحست الفتاة بالوحدة

(*) يا قارئى العزيز : هذه مشكلة من الحياة لم تتم فصولها للان . وأنا أنتظر رأى عقلك فماذا عسى أن تشير ؟ لعل رأيك ينير السبيل لفلبين !

حين رأت عادلاً يتوارى خلف سور الحديقة فأرادت أن تندفع فى إثره لترده إليها ، ولكن ..

وعادل فتى سمهرى القوام قوى العضل وضاح الجبين يتألق وجهه حياة ونشاطاً ، وتنبعث من عينيه أشعة نفاذة قوية علامة الذكاء والفطنة ، وتضطرب فى محجريه آثار عبرات مكفوفة علامة الإنسانية والرقة ، وتتسم حركاته بالاتزان والرزانة علامة الرجولة والقوة ، وهو — إذ ذاك — طالب فى السنة النهائية من كلية الآداب واسع الأفق حلو الحديث طلى الأسلوب رقيق الحاشية ، طيب القلب ، عالى الهمة ، يعتز بعلمه وأدبه ، حريص على كبريائه وكرامته .

لقد دأب عادل — منذ أن التحق بكلية الآداب — على أن يزور « فكرى بك » — والد إلهام — كل أسبوع فهو صديق أبيه وهو عونه هنا فى القاهرة . وإن عادلا ليفزع إلى فكرى بك يستعينه على أمره ويستنير برأيه ويطمئن إلى نصيحته ، وهو فتى ريفى يشفق على نفسه أن يجرفه تيار الدنية ويتهيب أن يعصف به لهو الحياة ، فهو يرى فى (البك) الأب والقائد والمثل الأعلى ، وفكرى بك يرى فى عادل الابن والصاحب والصديق . وأنس واحد إلى واحد واطمأن إليه ، فعادل ما يبرح يزور (البك) و (البك) ما يبرح يفتقد عادلا ويطلبه فيلح فى الطلب ، يقيمه على بعض شأنه ويفتح له بابه وقلبه وذراعيه .

لطالما جاء عادل إلى الدار ، ولطالما تحدث إلى إلهام فى عطف ، ولطالما جلس إليها يعينها على الدرس ولطالما قص لها الأقاصيص وأهدى إليها الكتب ولكنها لم تحس بما يدفعها إليه إلا فى هذه المرة . أفكان ذلك من أثر شعورها بأنه أزال عنها الوحدة فى الحديقة فى عصر يوم من أيام الربيع ؟ أم هو شعور بالعطف عليه حين لم يجد أباها فأراد أن يرتد فى خذلان ؟ أم هو التقدير والإجلال لمن وجدت فيه الحمى والعون ؟ لا ريب فهى قد أحست فى نفسها شعوراً غامضاً لا تعرف مأتاه ولا تدرك كنهه ولكنه يدفع قلبها صوب هذا الفتى .

وبدأت الفتاة تترقب موعد زيارة عادل فى شغف وتنتظر مقدمه فى شوق وتتأهب للقياه فى زينة . ولكنها فى سنها المبكرة ما تزال تجهل ما يضطرب فى نفسها .

وانطوت الأيام والفتاة تأنس إلى فتاها ، تهفو إلى مجلسه وترنو إلى حديثه وقلبها يزداد تعلقاً به وأخيلتها تحوم حواليه فهى تخلق الأسباب لتسأله فيجيب وتتصنع الجهل ليشرح لها درساً أو يحل لها مسألة ، والفتى مطمئن إلى ما تفعل راض بما يجد ، يرى فيه راحة قلبه وشفاء نفسه . غير أن الفتاة لم تستطع أن تدرك كنه ما تحس . هذه العاطفة المشبوبة تبعث فيها الحيرة والاضطراب وهى تكتمها فلا تتحدث بها إلى أمها ولا تبوح بها إلى أختها الصغيرة . وكيف تفعل وفى رأيها أن فتاها لا يبادلها عطفاً بعطف ولا إخلاصاً بإخلاص ؛ وهى إن فعلت لا تأمن أمها أن تغلظ لها فى الحديث أو تتهكم عليها بكلمات قاسية عنيفة . وأختها طفلة لا تفهم لغة القلب ولا تعى حديث الهوى ، وهى لا تستطيع أن تحدث صاحبها بذات نفسها خشية أن يكون فى شغل عنها فيحتقر خلجات روحها ويمتهن نبضات قلبها . وألقت بها هذه الخواطر فى تيهاء مقفرة ثم قنعت بأن تستمتع برؤيته بين الحين والحين ، وأن تسعد بحديثه بين الفينة والفينة ، تروى ظمأ نفسها وتنقع غلة قلبها ، والأيام تنطوى ...

أما عادل فقد أحس بالهوى الجياش يتدفق إلى قلبه فى غير هوادة ولا لين منذ أن رآها تثب بين النبت والزهر ترفل فى ثوبها الحريرى المفهاف تتوثب نشاطاً وحياة وتتألق بهجة ونوراً ، وشغف بها حين رآها تستكمل — على الأيام — أنوثتها وجمالها ، فهو يتودد إليها فى رفق ويسعى إلى رضاها فى صمت ؛ والحياء يمنعه عن أن يكشف لها عن دخيلة قلبه خشية أن تنفر منه فلا يراها بعدُ وأن تزدرى عاطفته فتسخر منه فتتحطم كبرياؤه وتتصدع كرامته .

وحال الخجل بينه وبين أن يحدث أباها بما يكن للفتاة من حب خيفة أن يثور به فيضع بينهما سداً لا يستطيع واحد أن يظهره وإن جهد .

وليست هذه بالسبيل التى يسلكها إلى غايته ، فهناك فى القرية أبوه وهو رجل ذو عقل وتجربة ، يرى الرأى ويوطىء للأمر فينفذ إليه من منافذ يعجز عنها عادل نفسه .

وألقت به هذه الخواطر فى تيهاء مقفرة ، ثم قنع بأن يستمتع برؤية فتاته بين الحين والحين وأن يسعد بحديثها بين الفينة والفينة

يروى ظمأ نفسه وينقع غلة قلبه ، والأيام تنطوى .

ورأى الأب بعيني تجاربه أن الفتى يحنو على الفتاة وأن فتاته تعطف على الفتى ، وخشى أن تمتد يد إلى يد أو يهفو صدر نحو صدر أو تقترب شفة من شفة ، ثم ساورته الريبة واستولى عليه الشك . فاذا يفعل ؟ وهو لا يريد أن يغلق بابه دون الفتى وهو صديق أبيه ، ولا أن يدفعه عن داره وهو يستعينه على بعض شأنه ، ولا أن ينشر ظنونه أمام الفتى فيظن هو ويظن أبوه أنه يعرض ابنته كما تعرض السلعة البائرة فى السوق الراكدة يبتغى من وراء ذلك أمراً . وتملكته الحيرة

وجاء عادل — كدأبه — يزور (سعادة البك) ، ورأته إلهام وهو يدلف إلى حجرة المكتب فانطلقت إلى هناك كعادتها ، ولكن أباها طردها فى غلظة ، ونهاها عن أن تدخل حجرة فيها « الأستاذ عادل » إلا أن يؤذن لها .

وذهل الفتى حين بدا له أن عين الشيخ يقظة مترقبة ، وعجب ألا ينطلى على (البك) ما يتصنعه من رزانة وما يتكلفه من هدوء : الآن وقع ما كان يخشاه وضرب بينه وبينها بحجاب كثيف ما يستطيع واحد أن يظهره وإن جهد . وأطرق الفتى وقد تجهم وجهه وتقبضت أساريره ، ثم خرج من لدن الرجل يهيم على وجهه وقلبه يبكى فى حرقة وألم ونفسه تتغيظ فى أسى ولوعة وثارت كبرياؤه تخاصم الدار وروحه ترف حواليها .

يا لقلبى حين تغشاه غاشية من مصائب الحياة ونكباتها فلا يجد عنها مصرفاً ! الآن ذاق قلب الفتى مرارة الحسرة والكمد حين تلفت فإذا هو وحيد على حيد الطريق ، أما الفتاة ... !

* * *

ومضت سنة كاملة والفتى يدافع نفسه عن الدار التى يهفو إليها قلبه . وحين خيل إليه أنه ثأر لكبريائه واقتص لكرامته أحس برغبة ملحّة تجذبه إلى دار فكرى بك — مرة ثانية — ليرى هناك روح قلبه ونور عينيه وجمال حياته .

وعجب عادل أنْ رأى الخادم يتقدمه ليفسح أمامه الطريق وليقوده إلى حجرة الجلوس دون حجرة المكتب ! ماذا كان ؟ لا ريب فقد أصبح غريباً عن هذه الدار فهو يرى الأستار تسدل فى وجهه ، والأبواب تغلق دونه ، ولا يجد السبيل إلا إلى حجرة الجلوس ، ولا يلقى إلا (سعادة البك) و (البك) يلقاه كما يلقى رجلاً غريباً عنه ويحدثه حديثاً فيه التكلف والتصنع ويجلس إليه فى فتور وملل . وأحس بأن فى الدار حركة لم يتألفها وأن شيئاً يتوارى خلف الأستار المنسدلة . ما ذا وراء ؟ وهو قد كان — منذ شهور — يدخل إلى الدار فى غير إذن فتنفتح الأبواب وترتفع الأستار ويهفو نحوه كل من فى الدار فى غير تحرج ولاحذر ...

وذهب عادل يتحسس من الأمر وإنه لذو حيلة ورأى فتناهى إليه أن فتاته قد سُميت على جلال بن عزت بك وهو ضابط فى الجيش وهو من أسرة ذات جاه وثراء ، وإن الدار تموج منذ أيام بمن يهيئون لليوم السعيد يوم أن تزف إلهام إلى جلال

ورجع الفتى إلى داره يلفه الهم ويطويه الأسى وفى نفسه ثورة بركان هائج لا يهدأ ، فهو يذهب ويجيئ ويضطرب فى الحجرة مثلما اضطرب وحش كاسر فى قفص . آه ، يا قيود الإنسانية لو قُيِّض للفتى أن يقذف بك عن عاتقه لزأر زئير سبع غاظته الحياة وعضّته الأيام ! ولكنك أرغمته على أن يكتم الحيوانية الصريحة فيه ، فهو يضم جوانحه على أتراحه وقلبه يكاد ينشق من فرط الشجن . وحين آده الجهد والإرهاق جلس إلى نفسه يحدثها : « ماذا كان فى غيابى ؟ لعلها وجدت فقدى زماناً ثم تسلت ، ولعل أمها قد طلبتنى ساعة ثم نسيت ، ولعل (البك) انتظرنى حيناً ثم انصرف ! ياللطيشى حين خاصمت هذه الدار وفيها روح قلبى ، ونور عينى ، وجمال حياتى ! هذا ذنبى أحمله وأعانى من وخزاته ما ينوء به ذو الجلد والصبر . ولكن هل أستسلم وأخضع ؟ كلاّ ! غداً أجد السبيل إليها وأحدثها حديث قلبى ، ثم أرى ما ذا تفعل وما ذا تقول . ولكن كيف أفعل وهى قد سميت على رجل غيرى وستصبح — بعد أيام — زوجة وربة دار . إن قلبى لا يستطيع الصبر ولا السلوان ، فغداً أراها وأتحدث إليها » . وانطوى الليل كله فا غمضت عينه ولا هدأت ثائرته ، وفى الصباح انطلق إلى هناك يلقى الفتاة !

وجلس إليها فى غير رقبة ولا حذر يحدثها ويعتب عليها وينشر أمامها مكنون قلبه وهى تقول له : « أترى يوم أن تلاقينا فى الحديقة منذ سنوات أربع ، لقد أحسست بقلبى يندفع نحوك ، وشعرت بروحى تصفق حواليك ، ووجدت — منذ تلك الساعة — لذة الحياة وسعادة القلب ، وخشيت أن أنفض نفسى أمامك ،

وأنت فى شغل عنى ، فلا أجد منك إلا الاحتقار والامتهان ، وأنا أرسف فى أغلال التقاليد وقيود البيت ، وما كان لى — وأنا فتاة فىَّ الخفر والحياء — أن أتحدث حديث الحب إلى فتى فيه الشباب ، لم يسع هو إلىَّ ، ولم يكشف لى عن دوافع قلبه ولا خلجات ضميره » ! وأطرق الفتى ساعة ثم قال : « وما ذا وراء ، وأنا أحبك ملء روحى ، وأراك نور الحياة وشباب القلب ؟ » قالت : « ... وحين وافقت على رأى أبى كنت قد خشيت أن تكون قد طردتنى من نفسك لأنك نأيت عنى ، وخفت أن أطرد خطيبى فأتخلف عن الركب ، وإن شبح ابنة عمى ليضطرب فى ناظرى كلما ذكرت الخطبة والزواج ، فهى قد تأبت حيناً على الزوج أنفة منها وصلفاً . وهى الآن قد أشرفت على الأربعين ولما تجده ، لقد فاتها الركب ، وتخلفت عن القافلة » . فقال : « فما ذا ترين وأنا لا أجد الصبر عنك ؟ إن عقلى قد ضل فهو لا يهتدى إلى رأى » قالت : « سنرى ، وإن فى الوقت فسحة » .

وخرج الفتى ليذر فتاته وحدها فى مضطرب من الأفكار يلتهمها الهم ويفريها الأسى ، وهى جالسة فى ظلام الحجرة وظلام الأخيلة ، وإن الشيطان ليوسوس لهـا فلا ترى الحياة إلا عوداً من ثقاب تشعله فى ثيابها ، وإلا حبلا تلفه فوق عنقها ، وإلا نافذة مفتوحة تقذف بنفسها منها . وأصاب الحزن نفسها ، وزعزعتها الحيرة ، فبدت فى عينى أمها ذاوية ذابلة ، وهى تلق خطيبها فى فتور ، وتحدثه فى ملل ، وهى تغدو وتروح فى تراخ ، وتقضى حاجاتها فى كسل . ونظرت إليها أمها بعينى المرأة والأم معاً ، فتبين لها أن قلبها قد تحول ناحية أخرى ، فراحت تتسلل إلى قلبها فى عطف حيناً ، وفى مكر حيناً آخر ، فما تلبثت الفتاة أن كشفت لها عن خطرات قلبها ...

وراحت الأم تنبه جلالاً إلى أمر ذى خطر ، وتوحى إلى ابنتها الصغيرة أن تسر إلى عادل أن يقطع صلته بهذا البيت فلا يزوره أبداً ، فهو يخلق بزياراته مشكلة يعضل عليهم حلها .

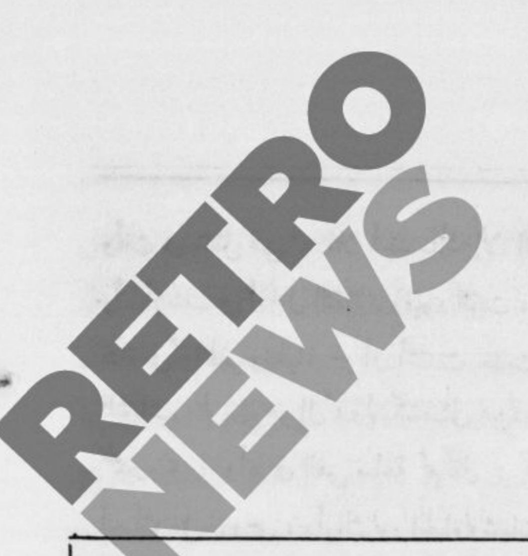
ووعى الشابان كل ما سمعا . أما عادل فانطلق يتلمس دواء لقلبه ، وأما جلال فراح إلى غريمه يحدثه : « ... وأنت تعلم — يا صاحبى — أنها سميت علىَّ ، وأننى أحبها ، وأننى رجل حرب لا أومن إلا بأحد أمرين : الفوز فى المركة ، أو الموت ! فأنت حين تضحى تحفظ علىَّ حياتى وسعادتى ... » فأجابه عادل فى هدوء : « وأنت حين تفوز فى المركة تقتلها وتقتلنى معها » ! قال جلال : « ولكننى قد أعددت كل شىء ، وتستطيع أنت أن توهمها بأنك لا تليق صحياً ، أو أنك تخشى انتقامى » . قال : « وهذا لا أرضاه ، وكيف أرضى أن تنهار كبريائى فى نظر الفتاة ، ولا تنس أن رجلا ثالثاً سيعيش دائماً بينكما . لقد سبقتك إلى قلبها ، وإن كنت أنت سبقتنى إلى خطبتها » . قال جلال : « ولكننى أفزع إلى كرمك ورجولتك » . فأجابه عادل : « هذا شىء لا أملكه ، فنبضات قلبى وقلبها تتفقان معاً ، فكيف أستطيع ؟ » فقال جلال فى رجاء : « أرجو أن تفكر فى الأمر ملياً قبل أن تهدم بيتاً توشك عمده أن تقام على أساس » .

وافترق الشابان ابتغاء أن يقلب كل واحد منهما الرأى ، واتفقا على أن يضحى واحد فى سبيل الآخر !

وظل الشابان فى تردد وحيرة ، والفتاة فى الدار لا تجد الخيرة من أمرها ، وهى قد وافقت منذ حين على أن تتزوج من جلال .

فمن عسى أن يضحى يا قارئى العزيز ؟

كامل محمود حبيب



مطبعة الرسالة



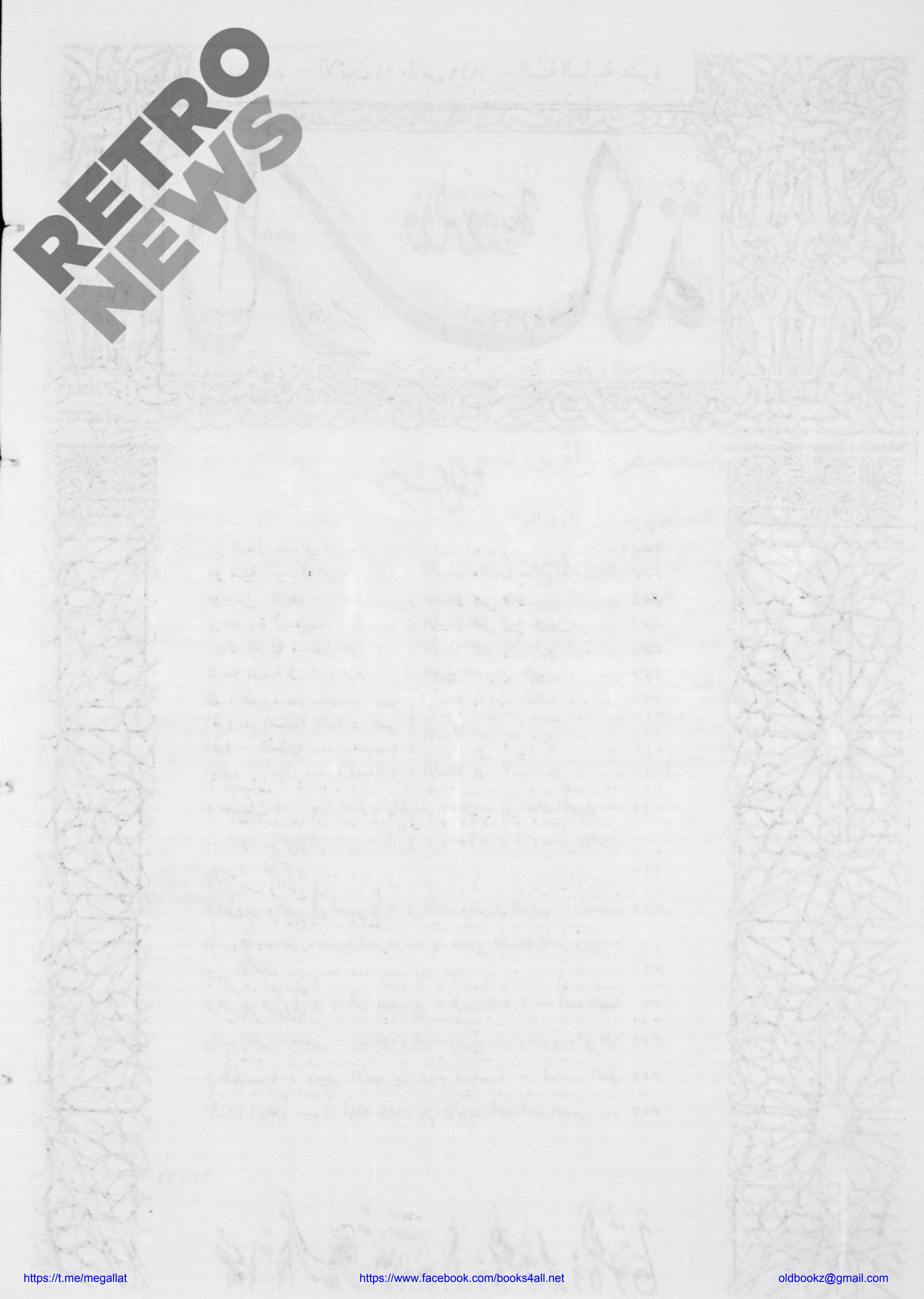
العدد ٨٢٠ — الاثنين ٢١ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

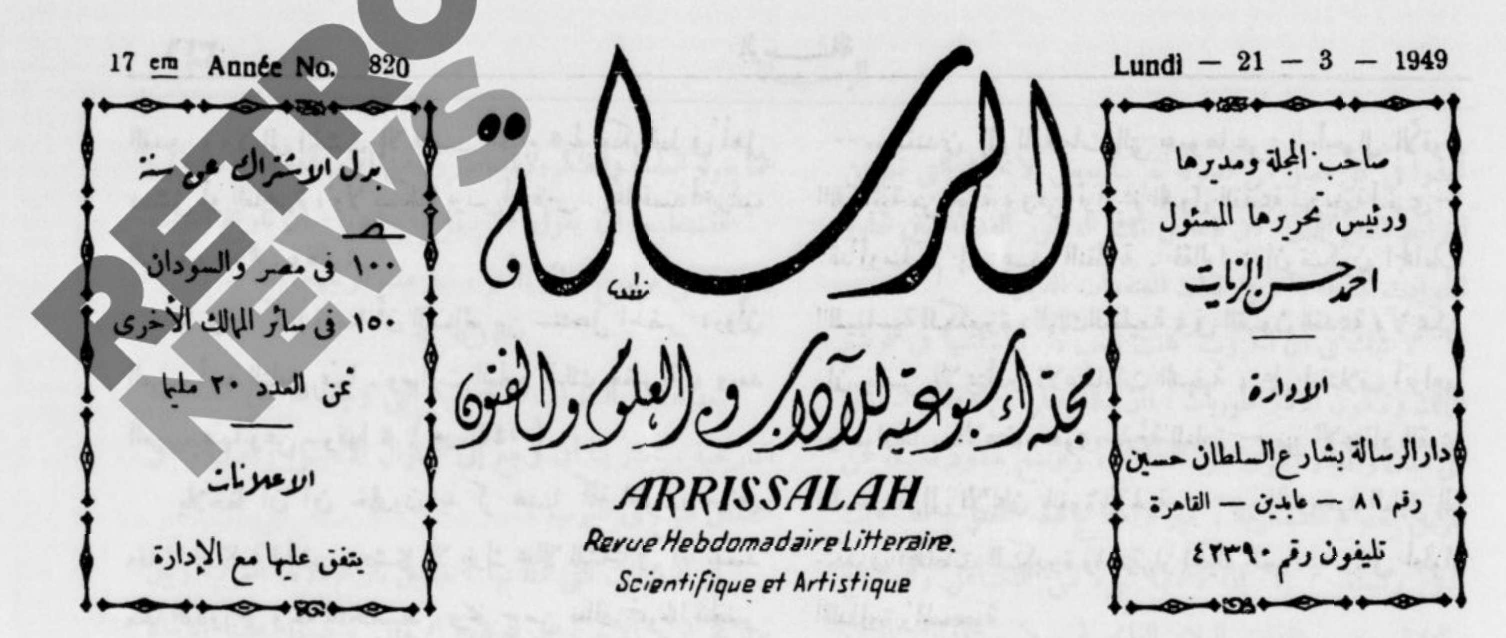


فهرس العدد

٣٢٠٢٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



العـــدد ٨٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢١ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

هل الشقاق طبع فى العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وأما ما ذكرتموه عن رأى ابن خلدون فى هـذه القضية ، فهو أيضاً فى حاجة إلى إنعام النظر .

فقد نقلتم الفقرات التالية ، من مقدمة هذا المفكر العظيم :

« والعرب أصعب الأمم انقيـاداً بعضهم لبعض ، للغلاظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرياسة ؛ فقلما تجتمع أهواؤهم . من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغـة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة » .

أنا أعرف أن ابن خلدون أبدى هـذا الرأى فى مقدمته المشهورة ، ولـكنى أرى من الضرورى أن نفطن جيداً إلى مايقصده من كلمة العرب الواردة فى هذه الفقرات ؛ ثم نبحث عن نصيب رأيه هذا من الصحة والصواب .

من الأمور التى يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام — حين نقرأ مقدمة ابن خلدون ونستشهد بها — أن مؤلفها كان يقصد من كلمة « العرب » العربان بوجه خاص وفقاً لمـا هو متعارف بين العوام — ؛ ولم يقصد قط أفراد الأمة العربية بوجه عام كما نفهمها ونتصورها نحن الآن .

إننى سردت الأدلة الـكثيرة التى تبرهن على ذلك برهنة قاطعة فى عدة مقالات نشرتها فى بيروت وبغداد وفى فصل خاص من الدراسات التى كتبتها عن مقدمة ابن خلدون ، ولا أرى لزوماً إلى إعادة تلك البراهين والأبحاث فى هذا المقام . ولما كانت الدراسات المبحوث عنها قد نفدت ، رأينا أن ننقل هنا نموذجين من البراهين المسرودة فيها ، وقد انتخبنا أحدها من القسم الأول من المقدمة ، والثانى من القسم الأخير منها ، قلت :

« فلنلاحظ الفصل الذى يقول فيه ابن خلدون « إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ولننعم النظر فى الأدلة التى يذكرها لتعليل رأيه هذا :

« فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب ، وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومناف له . فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافى للقدر فينقلونه من المبانى فيخربونها عليه ، ويعدونه لذلك . والخشب إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه .. » (ص ١٤٩) .

ومن البديهى أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيام . ولا مجال للشك فى أن ابن خلدون عندما كتب هذه العبارات وقال « لا يحتاجون إلى الحجر إلا لوضع

القدور ، ولا إلى الخشب إلا لنصب الخيام » لم يفكر قط فى أهل دمشق أو القاهرة ، ولا بسكنة تونس أو فاس . إنما قصد أعراب البادية وحدهم . وقال :

« وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر ، وأن العرب أبعد الناس عنها . وصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها وعن سوقها » (ص ٥٤٤) .

يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة العرب مرتين مقابلا لكلمة الحضر ، بشكل لا يترك مجالا للشك فى أنه يقصد منها البدو على وجه التخصيص ويخرج من نطاق شمولها الحضر على الإطلاق . غير أنى أرى من الضرورى أن ألفت الأنظار إلى موضع الفقرات الآنفة الذكر من أبحاث المقدمة : إن تلك الفقرات مستخرجة من الفصل السابع والعشرين من الباب الثانى ؛ وعنوان الباب المذكور هو : « العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض فى ذلك من الأحوال » . وذلك أيضاً يدل على أن ما جاء فى هذه الفقرات ينصب على الذين يعيشون فى حالة البداوة ، ولا يشمل الذين يعيشون فى المدن . ومن المعلوم أن أحوال المدن والدول تكون موضوعات البابين الثالث والرابع من المقدمة . والفقرة الآنفة الذكر لا تدخل فى نطاق البابين المذكورين .

وبناء على كل ما تقدم يحق لنا أن نعبر عن رأى ابن خلدون فى هذه القضية — وفق أسلوب كلامنا الحالى — بالعبارات التالية : « إن العرب – عندما كانوا فى حالة الفطرة والبداوة — لم يستطيعوا أن يؤلفوا دولة ويؤسسوا ملكا ، إلا عندما تأثروا بدين أو ولاية تزيل عنهم التحاسد والتنافس ، وتحملهم على الانقياد والاجتماع » .

ومن الغريب أن كلمات ابن خلدون فى هذا المضمار — عندما تفرغ فى هذا القالب — تصبح موافقة تمام الموافقة للنظرية التى توصل إليها علماء الاجتماع فى العصر الحاضر عن منشأ الملك بوجه عام : لأن أصحاب هذه النظرية يقولون إن الممالك لم تتكون فى بادىء الأمر إلا بفضل المعتقدات الدينية .

إن الأبحاث التى قام بها عدد كبير من العلماء والمفكرين -- مستندين إلى المعلومات التى جمعوها عن أحوال الأقوام البدائية من جهة ، وعن تواريخ الدول القديمة من جهة أخرى — قد أوصلتهم إلى هذه النظرية . فقالوا : إن تكون الجماعات السياسية الكبيرة والممالك العظيمة ، فى القرون القديمة ، لا يمكن أن يفسر إلا بتأثير الاعتقادات الدينية ، على اختلاف أنواعها وأطوارها . فالاعتقاد بقوى خارقة للمادة — من الاعتقاد بالقوى السحرية إلى الإيمان بالقوة الإلهية — هو الذى مهد السبل إلى تكون الجماعات الكبيرة واستقرار الحياة السياسية .. فى أطوار البداوة والهمجية .

وقد كتب الباحث الإنكليزى المشهور « فرايزر » كتاباً ضخما ضمنه أمثلة وبراهين كثيرة ، تدل على أن الملكية نشأت من الاعتقادات السحرية : كان الناس يخضعون للملك ، لاعتقادهم بأنه يتمتع بقوة سحرية ، وكانوا يرون من الطبيعى أن يخلفه ابنه ، لاعتقادهم بأن هذه القوة السحرية تنتقل منه إليه .

وقد برهن المؤرخ الفرنسى المشهور « فوستل دو كولانتر » — فى كتابه « المدينة القديمة » — أن الحياة السياسية عند اليونان والرومان أيضاً قامت على بعض الاعتقادات والعبادات .

وقد لاحظ جميع المؤرخين أن الاعتقادات الدينية لعبت دوراً هاماً فى سياسة دول القرون الأولى . والاعتقادات الدينية السياسية اجتازت مراحل عديدة ومتنوعة : الملك إله ... الملك ابن الإله ... الملك من نسل الآلهة ... الإله يتقمص جسد الملك ... الإله ينفخ فى الملك شيئاً من روحه ... الإله يمد الملك بالهاماته ... هذه أشكال مختلفة — وأطوار متتالية — من الاعتقادات التى كانت تربط الملكية بالدين ، وتساعد على جمع طوائف كبيرة من الناس تحت إدارة واحدة فى تلك القرون القديمة.

أنا لا أرى هنا مجالا لذكر الأمثلة والبراهين والنصوص التى تؤيد هذه النظرية . ولذلك سأكتفى بالإشارة إلى كتاب « تيارات التاريخ العالمى العظيمة » الذى نشره أخيراً « جاك بترن » أستاذ التاريخ فى جامعة بروكسل . تصفحوا المجلد الأول من هذا الكتاب القيم ، (وهو المجلد الذى يلخص التطورات التاريخية التى حدثت فى العالم منذ القدم حتى ظهور الإسلام) ،

تجدوا فى كل فصل من فصوله تقريباً بعض الأبحاث التى تنم عن الترابط المتين الذى كان قائماً فى تلك العصور القديمة بين تطور الحوادث السياسية وبين تقلب المعتقدات الدينية .

لا شك فى أن الحروب كانت تلعب دوراً أساسياً فى توسع الممالك وتكوين الامبراطوريات : فإن ملك قطر من الأقطار يستولى على مدن وأقطار أخرى بقوة السلاح ، ويوسع حدود ملكه عن طريق الفتوح العسكرية . غير أن نتائج هذه الفتوح ما كانت تدوم وتستقر ، إلا إذا دعمها شىء من التفاعل والتزاوج والتلاقح بين معتقدات البلاد الفاتحة وبين معتقدات البلاد المفتوحة ، وهذا التفاعل كان يأخذ أشكالا مختلفة : تارة كان الاعتقاد ينتشر بأن آلهات جميع تلك البلاد لا يختلف بعضهم عن بعض إلا بالأسماء ؛ فكان يصبح الملك ممثلا لآلهة البلاد الفاتحة والمفتوحة على حد سواء . وطوراً كان يتولد الاعتقاد بأن إله الملك الفاتح هو الإله الأكبر . وأما آلهة البلاد المفتوحة فهى من أتباع ذلك الإله الأعظم ... وعلى كل حال كانت هذه المعتقدات — وأمثالها من المعتقدات المتنوعة — تساعد إلى حد كبير على خضوع أهالى البلاد المفتوحة للحكم الجديد خضوعاً نفسياً ، فكانت تقلل أو تزيل الحاجة إلى استعمال القوة والقسوة لإدامة ذلك الخضوع .

ولا أرانى فى حاجة إلى القول بأن أمثال هذه المعتقدات الدينية السياسية ، ما كان يمكن أن تدوم بعد انقضاء عهود الوثنية القديمة ، ومع هذا أرى من الضرورى أن أشير إلى نظرية « سياسية دينية » سادت على الأذهان فى أوروبا — فى عهد تكوين الممالك — حتى القرن الثامن عشر : وهى النظرية القائلة « بأن الملوك يحكمون بتفويض من الله » . ومما لا مجال للشك فيه أن هذه النظرية كانت بمثابة « الأصداء الأخيرة » لتلك المعتقدات القديمة التى شرحناها آنفاً .

وخلاصة القول أن الأبحاث التاريخية والاجتماعية تدل دلالة قاطعة على أن خضوع الناس إلى أحكام السلطات ، لم يتيسر فى بادىء الأمر — إلا بفضل المعتقدات الدينية .

ويظهر من ذلك — بكل وضوح — أن ما قاله ابن خلدون فى مقدمته المشهورة ، عن العرب فى طور البداوة ، لا يختلف عما يقوله العلماء والمفكرون المعاصرون عن الأمم القديمة بوجه عام .

فنستطيع أن نقول — بكل تأكيد — أن تاريخ العرب لا يشذ عن تواريخ سائر الأمم ، من هذه الوجهة أيضاً .

* * *

بعد هذه النظرات الانتقادية التى وجهناها إلى المقدمات التاريخية ، يجدر بنا أن نرجع إلى السؤال الأصلى ، لنرى : هل الشقاق طبع فى العرب ؟

إن المقارنات التى قمنا بها آنفاً بين تاريخ الأمة العربية وبين تواريخ الأمم الأخرى من وجهة الشقاق ، تسهل علينا الإجابة عن هذا السؤال إجابة مبنية على قياس صحيح واستقراء تام .

إن الشقاق وليد الأنانية ، والأنانية طبع غريزى فى الإنسان ، وجماح هذه الأنانية لا يكبحها إلا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحكومية القوية ، والنزعة المثالية الفعالة ، والإيمان الدينى أو القومى أو الوطنى العميق .

ففى كل أمة من أمم الأرض ، وفى كل دور من أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب فى نفوسهم الأنانية على العوامل التى ذكرناها آنفاً ، ولكن الرأى العام من جهة ، والقوانين الموضوعة من جهة أخرى ، تعاقب هؤلاء وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخرين ، فتحول بذلك دون استفحال هذه الأنانية وانتشارها بين الناس .

غير أنه يأتى أحياناً فى كل أمة من أمم الأرض بعض الأدوار من التاريخ تضعف فيه هذه القوى الوازعة فتنفلت الأنانيات من عقالها ، ويتضاءل تأثيرات الرأى العام فيها ، فتقل سلطة الحكومات عليها ، وكل ذلك يؤدى إلى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس .

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث فى كل أمة من الأمم ، وفى جميع أدوار التاريخ .

وليس فى طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الأمم فى هذا المضمار .

هذا هو جوابى ، يا صديقى الأستاذ ، عن السؤال الذى وجهتموه إلى .

لا يوجد فى طباع الأمة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر

الأمم فى أمس الاتفاق والانشقاق .

يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة ، كما يجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن طبائع الأمم لا تبقى على وتيرة واحدة على مر العصور . وقد صدق من قال : « إن من يتوهم الاستقرار فى طبائع الأمم كمن ينشد البقاء فى الموجات التى تحدث على سطح الماء عند ما ترمى حجرا فيها » .

فإن الماضى لا يقيد الحال تقييداً مطلقاً . وتحقق الوحدة والاتفاق فى الماضى لا يكفى لدرء أخطار التفرقة والشقاق فى الحال ، كما أن حدوث التفرقة والشقاق فى الماضى لا يمنع الاتحاد فى المستقبل .

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضى كثيراً ، وأن نقلع عن الالتفات إلى الوراء دائماً . فلا يجوز أن نحاول تبرير مساوئنا الحالية بنقائص أسلافنا الأقدمين ، ولا أن نسعى لإلقاء مسئولية نكباتنا على عاتق تاريخنا القديم ، ولا يسوغ لنا — على وجه خاص — أن نستسلم إلى دواعى الخور والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل ، بحجة أن الحالة الحاضرة نتيجة حتمية لطبائع الأمة ولمجرى تاريخها العام .

إننا لم نستجمع قوانا المادية والمعنوية ، ونحشدها لتحقيق هدفنا الأسمى ، بل إنما عملنا بتراخ وتردد بدون عزم قوى وتنظيم متين وإيمان عميق ، فأضعنا بذلك فرصاً كثيرة ،

.

ومهما يكن الأمر ، يجب علينا أن لا نقطع الأمل فى النجاح فى المستقبل ، وأن لا نتأخر عن إعادة الكرة بإيمان أعظم ، إذ يجب علينا أن لا ننسى أنه ما من أمة وصلت إلى الكمال الذى تنشده إلا بعد أن اجتازت عقبات كثيرة ، وذاقت مرارة الفشل مرات عديدة ، واضطرت إلى تضحيات كبيرة .

إن الأمم الحية الوثابة تتعظ بالنكبات فتندفع إلى العمل وتواصل الكفاح بحرارة أشد وعزم أمتن ، كما أنها تنفض من الفشل وتستفيد من دروسه فتعيد الكرة لتضمن النجاح ولو بعد حين .

وأستطيع أن أقول : إن الإيمان القوى العميق بإمكانيات أمتنا ، والعمل الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا ، والاستعداد التام للكفاح مصحوباً بروح التضحية الحقيقية ، ومدعوماً بالأمل الذى لا يقهر !

***

، وكأنى أسمع

سلسلة أسئلة اعتراضية تقابل ما قلته آنفاً :

؟ ألا تلاحظ فظاعة الاختلافات التى تهز كيان جامعة الدول العربية هزاً عنيفاً ؟ ألا تشعر بالأخطار التى صارت تهدد مستقبلنا فى عقر دارنا ؟

بلى ، إنى أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك إدراكا تاماً وشعوراً عميقاً وملاحظة دقيقة ، وأتألم من كل ذلك ألماً شديداً.

وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت فى ألمانيا — قبل قرن واحد من يومنا هذا — أقل خطراً من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة ؟ ألم يقل بعض الساسة — عقب انحلال المؤتمر المذكور — « أن الألمان فقدوا حتى قابلية الدفاع عن أنفسهم ؟ » ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين : « أين هى ألمانيا ؟ هل لها وجود فى غير مخيلة بعض الشعراء وأحلام بعض رجال السياسة » ؟ ومع كل ذلك ، ألم تتحقق وحدة ألمانيا فى حياة الكثيرين ممن حضروا مؤتمر فى نكفورن الفاشل ؟

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد : لا يجوز لنا أن نترك مجالا لتسرب الخور والقنوط إلى أنفسنا . ويجب علينا أن نعلم علم اليقين : أن النكبة لا تصل إلى حدها الأقصى إلا عندما تثبط العزائم ، كما أن الفشل لا يصبح تاماً إلا عندما يؤدى إلى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح ...

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة وإتمام الفشل .. بالاستسلام إلى القنوط والخور ...

أبو خلدون ساطع الحصرى

روســـيا والسلم

للأستاذ عمر حليق

هنالك تعليلان فى رأى (ماكس بيلوف)(١) للأسباب التى دعت موسكو مؤخراً لأن تحمل غصن الزيتون وتواجه خصومها حلفاء الغرب أمام الرأى العام العالمى بأنهم دعاة حرب لا يرضون الدخول فى مفاوضات مباشرة لتدعيم السّلم فى هذا الجو الذى ازداد توتراً .

أما التعليل الأول فيقول بأن روسيا جادّة فى حملتها السلمية الأخيرة ، وأن التحطيم الذى أصاب المدن والمساكن الروسية فى الحرب المنصرمة هو تحطيم طاحن لا يزال هوله يسيطر على مخيلة الشعب الروسى فهو يخشى الحرب حقاً ويبغى السلم ، وأن حالته النفسانية هى كحالة معظم سكان أوربا الذين نالتهم المجزرة الأخيرة بويلاتها . ولذلك فإن هذا التعليل يجد من يؤمن به من الأوربيين خصوصاً أتباع الأحزاب اليسارية التى تميل إلى مسايرة السوفيات .

ويقول أنصار هذا التعليل كذلك أن العقلية الروسية ليست عقلية عسكرية كعقلية الشعوب الجرمانية ، ولذلك فإن حرباً طاحنة كالحرب المنصرمة كانت كافية لأن تزيل غشاوة العنف والغطرسة العسكرية عن أعين الروس فتجعل رغبتهم فى السلم حقيقية .

أما التعليل الثانى فيقول إن مراكز التوجيه فى قيادة روسيا السوفياتية اليوم فى يد جماعة من المتهوسين وهم مسؤولون عن مسلك موسكو الحالى فى العلاقات الدولية ، وأن ستالين هو أسير هذه الجماعة التى منها مولوتوف وزير الخارجية وكبار قادة الجيش السوفياتى . وأنه لو تسنى لأحد أن يخترق هذا الحصار المضروب على ستالين — كما فعل عدد من الصحفيين الأجانب فى موسكو مؤخراً — لوجد أن لديه استعداداً حقيقياً للسلم . ويبدو لى أن المستر ترومان ومتشاوريه الخصوصيين فى البيت الأبيض من أنصار هذا الرأى . فهم يعتقدون خطأ أو صوابا بأن ستالين رجل « طيب القلب » على حد تعبير ترومان يرغب فى السلم لو تخلص من أسر (البوليت بيرو) المكتب السياسى الأعلى للاتحاد السوفياتى .

هذان هما التعليلان اللذان يقومان لتفسير حملة السلم التى صدرت عن القيادة الشيوعية الدولية فى الأسابيع الأخيرة .

ولنا أن نتساءل أولا : هل الروس راغبون فى السلم حقاً ؟ وإذا اقتنع حلفاء الغرب بهذه الرغبة ، فلماذا لا يمدون يدهم للروس لتدعيم السلام فى نية صادقة ؟

والجواب على هذا التساؤل صعب . فإن تاريخ السوفيات فى روسيا يشير إلى سرعة التقلب فى سياسة روسيا الخارجية عند ما تتطلب منها الظروف ذلك . وخير مثل على ذلك اتفاق روسيا وألمانيا النازية فى مطلع الحرب العالمية الثانية بالرغم مما فى المذهبين (الشيوعى والنازى) من التناقض والمعاداة والتنافس . ومن أبرز الأمثلة على التقلب موقف الشيوعية السوفياتية من الصهيونية التى وصفها ستالين فى كتاب (الماركسية ومشاكل

(١) أستاذ النظم المقارنة فى جامعة اكسفورد .

الأقليات والاستعمار) الذى صـدر سنة ١٩٢٠ بأنها « حركة رجعيـة انتهازية ، وأنها وليدة الاستعمار الغربى » . وقد كانت الصهيونية محرمة فى روسيا ومضطهدة إلى ما قبل بضع سنوات (عام ١٩٤٣) ، وكانت تحارب فى السر والعلانية . قارن هـذا الموقف الروسى بمحاضر العلاقات بين موسكو ويهود فلسطين والتحالف السوفياتى الصهيونى تر عنصر هذا التقليد الانتهازى فى سـياسة السوفيات الخارجية . وهو فى الواقع تقلب لا تخلو الدبلوماسية الدولية إجمالاً منه وإن كان يبدو عادياً فى سلك السوفيات .

فقد تـكون إذن حملة السلام الروسية الجديدة خطوة انتهازية جديدة يتطلبها الموقف الدولى ، دفع إليها حمل الشـعوب فى المعسكر الغربى على الحد من برامج التسلح الهائلة التى تندفع الآن دول الحلف الغربى فى تنفيذها . والضرب على وتر السلام الحساس فى البلدان الديمقراطية خصوصاً فى الولايات المتحدة يجد صداه فى مجتمع يشـكو من ارتفاع الضرائب التى تتطلبها هذه الالتزامات الضخمة التى تفرضها مشاريع مارشال وشريعة ترومان والبرنامج الجديد لتوسيع هذا النوع من الحرب الاقتصادية فى بلدان الشرق والقارة الأفريقية وأمريكا اللاتينية .

هذا بالإضافة إلى أن حدة الموقف الدولى تفرض تعاونا وثيقاً بين بريطانيا وأمريكا ، فإذا خفت هذه الحدة وشاعت الرغبة فى السلام التى تذكيها حملات ماهرة كحملات الشيوعية الدولية فإن هذا التعاون الإنجلوسكسونى سيفتر بينما تمضى روسـيا قدماً فى برامجها المنظمة التى تتقيد — فى ظل الاقتصاد الماركسى الوجه — بتحالف ثنائى فى مجال الاقتصاد والاستعداد العسكرى فى القارة الروسية على الأقل .

فمن خبراء الشؤون الروسية إذن من يقول بأن هذه الخطوة الروسـية السلمية ليست إلا تـكتيكا لا يستر حقيقة المقاصد والغايات . ويؤكدون بأن رسوخ النظام السوفياتى فى روسـيا اليوم ورسوخ العقيدة الماركسية فى أدمغة حملتها تجعل التقلب فى التصريحات والمسلك الخارجى أمراً مهلاً يستطيع الروس اللجوء إليه دون أن يبدلوا حقيقة سياستهم من خصومهم ومن برامجهم الواقعية لبلشفة العالم . ولنا فى الصهيونية مثل على هذه الحقيقة .

فـكلنا يعلم كيف أن الأحزاب والجماعات اليهودية فى فلسطين والعالم إجمالاً كانت ولا تزال تتوخى هدفاً واحداً هو السيطرة على نقطة التركز فى الشرق الأوسط ، وأن السياسة الصهيونية كانت ولا تزال تتقلب تبع الظروف الطارئة ، فمرة وطن قومى ، ومرة حكم ثنـائى ، ومرة تقسيم محدود بدون شرق الأردن ، وبعـد ذلك — حين تواتى الظروف — أرض الميعاد بحدودها الطبيعية وهى تشمل أجزاء من مصر وسوريا والعراق ولبنان . فوايزمان كستالين كان ولا يزال يتلاعب بتصريحات تتلاءم مع الظروف الحالية . والمتتبعون لتطور المسلك الصهيونى يدركون ذلك تمام الإدراك .

فالتقلب فى سياسة روسـيا الخارجية ، يعود إلى ثقة صناع السياسة فى الاتحاد السوفياتى من رسوخ النظام الذى يسوسونه خصوصاً وأن وسائل المواصلات الفكرية بين الشعب الروسى والعالم الخارجى خاضعة لمراقبة توجيهية دقيقة يتولاها خبراء مهرة مما يجعل للتصريحات الروسية الرسمية طابعين : طابعا للاستهلاك الخارجى ، وآخر للداخلى . وليس من الضرورى أن يتناسق الطابعان . وهذا فى الواقع مسلك تقليدى فى الدبلوماسية الدولية ، ولـكنه لا يتخذ طابع الاتقان الذى يتخذه فى ظل الحـكم السوفياتى المطلق .

وعلى أساس هذا الاستقرار فى النظام الشـيوعى فى روسيا كان خبراء الانجلوسكسون يعتقدون بأن برامج (البوليت بيرو) (والـكومنفورم) الشيوعية الدولية لبلشفة العالم كهدف أساسى جوهرى لتدعيم الشيوعية فى روسيا والدول الشيوعية الأخرى — هذا البرنامج لا يزال موضوع العمل عند السوفيات ، وعلى هذا الأساس ، فلا صحة لادعاء الماركسيين الأخير بأن الشيوعية والرأسمالية والنظم الأخرى تستطيع أن تعيش بسلام فى عالم واحد

والحقيقة التى يشـير إليها هؤلاء الخبراء (ومنهم بوهلن مستشار وزارة الخارجية الأمريكية) هى أن جوهر الفلسـفة الماركسية يصر على أن لا حياة للدول والشعوب الشيوعية المبدأ والنظام فى عالم فيه شـعوب ودول لا تدين بهذا المبدأ . وهذا الإصرار الماركسى يستند إلى نظريات فى الاقتصاد وعلم الاجتماع تحللها العقيدة الماركسية على طريقتها الدياليـكتيكية الجدلية ،

وليس المجال هنا لبحثها .

إذن فإن دعوة للسلم تأتى من جانب السوفيات هى فى الواقع اكتساب للوقت ، وعرقلة برامج التسلح ، وإثارة الوقيعة بين خصوم حلفاء الغرب وهذه جميعها — ككل خطوة من خطوات السوفيات — تستند إلى تحليلات علمية — علمية لأنها مستمدة من السياسة الروسية المنظمة — وهي كالاقتصاد الموجه ومشاريع الخمس سنوات الاقتصادية تلتزم الدقة وتؤمن بالنتائج على أساس هذه الدقة .

وعلى أسس هذه السياسة الموجهة فإن السوفيات يعتقدون بأن كل مجتمع لا يدين بالشيوعية ولا يسير بموجب الاقتصاد الماركسى الموجه مآله إلى التفكك ، فهناك مشاكل التضخم المالى وبلبلة التوازن التجارى وصراع العمال وأصحاب العمل مما يخلق مشاكل اقتصادية واجتماعية تؤدى إلى الثورة العمالية وتطرح بالنظم الرأسمالية فى المراحل النهائية .

ولما كانت روسيا غير مستعدة الآن للحرب استعداد خصومها فمن الخير إطالة مدة الاستعداد وإيهام الدول الرأسمالية والرأى العام الدولى بالرغبة الصادقة فى السلم، وفى ذلك مكسب مزدوج ؛ فهو يحقق النبوءة الماركسية فى تفكك المجتمع الرأسمالى — كما تشير علانية إلى ذلك الدراسات السوفياتية للاقتصاد الأمريكى المعاصر — وهو يعطى روسيا متسعاً من الوقت للاستعداد .

والماركسية فوق ذلك تعتقد بأن طبيعة المجتمعات الرأسمالية متنافسة تسعى لالتهام بعضها البعض — وهذا التنافس أصيل مبعثه طبيعة النظم الاقتصادية على ظل الرأسمالية (والاشتراكية الغربية كبريطانيا ليست ماركسية حقة عند السوفيات) ولذلك فإذا نجحت روسيا فى تخفيف حدة الموقف الدولى استطاعت أن تسبب فتوراً فى شدة التحالف الأمريكى البريطانى وتترك النظم الرأسمالية تكتسب طبيعتها المتنافسية فيقوض بعضها البعض بدل الاتحاد على تقويض الروس بأى ثمن .

ويستنتج من هذا كله — والاستنتاج نظرى فى أكثره — أن روسيا تعلم بأنها عاجزة الآن عن الكفاح المسلح لتعميم المذهب الشيوعي فى كل مكان على أنقاض النظم والمجتمعات التى لا تؤمن بالماركسية — وهذا العجز قصور عن مجاراة المستوى الصناعى والقوة والدعامة المالية المتوفرة فى المعسكر الغربى فى الآونة الحالية على الأقل — وأنها تنهج سياسة عاجلة مؤقتة لتحقيق الحدة فى معسكر الخصم عن طريق التلويح بغصن الزيتون .

وفوق ذلك فقد تكون تجربة المارشال تيتو فى يوغسلافيا حيث مازج بين القومية المحلية الضيقة وبين النظام الماركسى ، ومايشاع من أن الشيوعيين الصينيين ينوون الاقتداء بتيتو — هذه التجربة جعلت موسكو ترى أن المجتمعات الشيوعية خارج الاتحاد السوفياتى قد لا تقبل الرضوخ مباشرة للكومنفورم والبوليت بيرو وإن كانتا تشبهاتها فى الاتحاد الفكرى والأهداف . فإن النظام السوفياتى فى روسيا قد جعلت من القيصرية الروسية الصارمة مجتمعاً روسياً يستسلم بسهولة للحكم المركزى المطلق . وهذه حالة فريدة قد لا تنطبق على كثير من المجتمعات الأخرى خصوصاً فى أواسط أوروبا وشرقيها حيث تكثر الأقليات العنصرية والطائفية وعداؤها للحكم المركزى تقليدى . والواقع أن لينين وستالين قد أوليا مشكلة الأقليات دراسة وافية .

وهذه — كما نرى — حالات تصعب معالجتها على يد موسكو فى جو دولى متوتر ، ولذلك فإن مراكز التوجيه فى معسكر حلفاء الغرب تنظر إلى غصن الزيتون الذى حملته موسكو فى الآونة الأخيرة على أنه مناورة بارعة فى الصراع الدولى لا يلاق رد فعل إيجابى لدى حلفاء الغرب .

وهذا يعنى أن مشاكل السلم الحقيقية لا تزال على ما هى عليه من الخطورة السريعة الانفجار .

(نيويورك) عمر حليق

*معهد الشؤون العربية الأمريكية فى نيويورك

صور من الحياة :

فتى من الريف

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال صاحبي : جئت إلى القاهرة — أول ماجئت — لألتحق بالأزهر ، وكانت أمي قد نذرتني للقرآن ، ونذرني أبي للعلم ؛ فأنا وحيدهما ، وأنا أمنيتهما على الله حين أحسا بالوحدة وقد خلت الدار من الحياة والحركة لأنها خلت من مرح الطفولة وجمالها ، وحين شعرا بأن تاريخهما على الأرض يوشك أن ينبتّ فما لهما ولد ، وحين عاشا زماناً يجدان لذع القحط والجفاف ، جئت إلى القاهرة وأنا فتى ريفي لا أعرف المدينة إلا معنى يقع على أوتار أذني موقع النغم الموسيقي العذب ، فينجذب له قلبي وتنبسط أساريري ، ثم رأيتها فإذا هي نور يخطف البصر ، وحركة يتفزّع لها القلب ، وثورة يحار لها الفؤاد ، وحياة دائمة مضطربة لا تنام ولا تخبو . وبدت عليّ سمات الحيرة والارتباك ، فإنه ليزعجني أن أسير في الشارع خيفة الدنيّ أن يعكر بي وله أفانين شيطانية تسخر من بساطة الريفي وسذاجته ، وخيفة السيارة أن تصفعني ومالي عهد بأساليب الحيطة والحذر ، وخشية الترام أن يحطمني وبه نهم دائم إلى لحم البشر يتأرّث ولا يشبع . ليتني كنت أستطيع أن أغدو وأروح في شوارع القاهرة أتهادى في مشيتي ، وأختال في جبتي ، وأنخر بعمامتي ، وتحت إبطي محفظة بها وريقات صفر لا أعي مما فيها حرفاً !

وكان أبي — رحمه الله — قروياً ، نشأ وتربى في الريف لا يبرحه إلا لماماً ، اتسم بسماته وانطبع بطابعه ، والريف ينفث في بنيه روح الكسل والتواكل ، فهو يقضي ساعات الشتاء يستمتع بالدفء والفراغ ، ويطوي عمر الصيف يستروح النسمات الهينة اللطيفة في ظل شجرة ، يجلس إلى رفاقه على المصطبة يتجاذبون أخبار القرية ، أو يتربعون على الثرى يلعبون السيجة ، أو يعقدون المجالس الصاخبة يشربون الشاي الأسود . ولا همّ له — من بعد — إلا أن ينظر — بين الفينة والفينة — إلى النبت وهو ينسرب من بين الثرى لينمو رويداً رويداً ، وإلا أن يرقب البهائم وهي ترعى البرسيم في هدوء وعلى مهل . وسكن أبي إلى هذه الحياة وهي تنطوي على نسق واحد ، فأصبح لا يطيق صخب المدينة ولا يصبر على ضجتها . ولكنه ما يستطيع أن يقذف بي إلى القاهرة وحيداً ، وهو لا يطمئن إلى واحد من شباب القرية وطلابها ممن تزخر بهم المدينة لأن فيهم الغفلة والطيش ، ومرت الأيام وأبي لا يستقر على رأى .

ثم عهد بي أبي — بعد لأي — إلى الشيخ فهمي وهو شيخ كبير من شيوخ القرية ، نيف على الخمسين ولما يبرح طالباً في الأزهر ، يأتي إلى الجامع بين الحين والحين ، يجلس إلى أستاذه ساعة أو بعض ساعة ، ثم ينفلت إلى القرية في غير تمهل ولا تلبث . وهو حريص على أن يظل طالباً في الأزهر على رغم أنه لا يطمئن إلى حلقة الدرس ، ولا يُعنى بالقراءة والمطالعة ، ولا يأخذ نفسه بالمذاكرة والحفظ ، وهو ضنين بمسكنه في القاهرة ، وهو حجرة ضيقة قذرة ، لا تتنسم هبّات الهواء النقي ، ولا تغتسل بأشعة الشمس الدافئة ، ولا ينفتح جفناها على نور ، ولا ينتفض عن جنباتها الغبار ، عطَلٌ من الأثاث إلا من حصيرة بالية لا تكاد تستر أرض الحجرة ، وإلا من مخدة ولحاف مشت عليهما أحداث الزمن فتركتهما مزقاً لا تتماسك ، وإلا من صندوق ضم أشتاتاً من حاجات الطالب العزب ، مبعثرة متناثرة في غير عناية ولا ترتيب : ففيه الخبز والغموس ، وفيه اللباس والمنشفة ، وفيه الكوز والإبريق ، وفيه ... وفيه الكتاب والحذاء ، وإلا من زير مهجور في ضاحية وإلى جانبه موقد ... وعاش هذا الشيخ بين القرية والقاهرة ، وانطوت السنون فما أفاد علماً ولا أصاب عقلا ولا بلغ غاية ، غير أنه عرف مسارب القاهرة ومنعطفاتها .

وتنازعتني عاطفتان متناقضتان نحو هذا الشيخ — رائدي — فأنا أطمئن إليه لأنه يكشف أمامي الطريق ، وينير لي متاهات القاهرة ومضلاتها ، وغداً يفتح أمامي باب الأزهر فأدخله لأول مرة وعلى شفتي ابتسامة وعلى هامتي كبرياء ، أدخله طفلا يستشعر الرجولة الباكرة والشباب المتوثب والرزانة المتكلفة ، وغداً يريني شيخي وهو في رأي عيني لا يبذني بشيء سوى لحيته البيضاء المرسلة التي تبعث في من حواليه المهابة والاحترام والخوف . وأنا

— إلى ذلك — أمقته لأنني أحس فيه معنى من معانى جهلى ، وعلامة من علامات ضعفى ، فأنا لا أستطيع أن أتبين طريق إلا حين يسير إلى جانبي . وأنا أحتقر عقله ، فكيف يبلغ هذه السن وهو ما يزال طالباً لم يظفر بالشهادة ولا بلغ مبلغ العلماء ! وأكره رجولته وهى قد تضاءلت فى ناظرى حين دخلت الحجرة التى يسكن فوجدتها على تفاهتها وقذارتها تضطرب فى غير نظام ، وتموج بدويبات الأرض . وأبغضه حين يتكلف العطف ويتصنع الحنان ، وهو لا يحس شيئاً من هذه العاطفة ، فهو رجل قفر ممحل ، عزب لم يشهد معنى الأبوة ، ولا ذاق لذة الابن !

وأراد رائدى أن يغرينى بأن أتخذ من حجرته مسكناً فما رضيت ، وكيف أفعل وأنا قد رأيت « السام الأبرص » يدرج على جدرانها فسرت الرعدة فى مفاصلى ، وإنى لأخاف هذه الحشرة وأبغضها وأتفزع لرؤيتها . هذه الحجرة قد بعثت فى الانقباض والضيق ، واستشعرت لدى بابها أن خواطرى الجميلة قد انهارت كلها ، خواطرى التى حاكها خيالى منذ أن غادرت القرية ، ومنذ أن هبطت القاهرة لأرى الحياة والحركة والنور . أين النور المتدفق وهو يغمر الشوارع والمنعطفات ويسيل من النافذ والأبواب ؟ أين ضجة الحياة وهى تصاعد صيحات تهتز لها أرجاء السماء ؟ أين النشاط والحركة ؟ أين المرح والسعادة ؟ لقد توارى كل أولئك خلف جدران هذه الحجرة . يا عجبا ! كيف يعيش الظلام إلى جانب النور ، ويطمئن الهدوء إلى جانب الضجة ، ويحيا الصمت إلى جانب الضجيج ، وتستقر الذلة إلى جانب الكبرياء ، ويهدأ الصغار إلى جانب السمو ، ويلصق الشقاء إلى جانب السعادة ؟ وسيطرت على الدهشة فسلبتنى من خواطرى اللذيذة ، وتبين لى — لأول مرة — كيف يجتمع النقيضان فى صعيد واحد !

وأصر رائدى وأصررت أنا ، فما استطاع أن يثنينى عن عزمى ، ولا رضى بأن أبيت فى النزل ، وإن النزل ليستنفد من مالنا فى ليلة واحدة ما يكفينا أياماً ، وهو حريص على المال شحيح به ، حتى على أنا وهو مال أبى . ثم استحر النقاش بينى وبينه ، فقلت : « أبيت فى حجرة الشيخ على » ، ووافق هذا الرأى هوى فى نفس رائدى ، ولكن غاظه أن أفضل تلك على هذه ! والشيخ على فتى من طلاب الأزهر قمىء نحيف ضعيف يكاد يتهاوى من هزال ، ويوشك أن ينقض من وهن ، يخيل إلى من يراه — بادى الرأى — أنه بقية من إنسان أو أنه نفاية رجل . وإنه ليحس مكانه من الناس وقد تخلف عنهم ، فهو ما يبرح يتهادى فى مشيته ، ويتأنق فى حديثه ، ويشمخ بأنفه ، ويتطاول على رفاقه ، ولكنه لا يبلغ أن يكون رجلا !

وهو يعيش بين خمسة من ذوى قرابته فى حجرة واحدة ، وهو رئيسهم ، لأنه يكبرهم جميعاً فى السن ، ولأنه أعرفهم بالقاهرة ، ولأنه ألصقهم بالأساتذة ، يتقسمون أجر المسكن على سواء ، يتعاونون على نفقات العيش ، ويتآزرون على حوادث الحياة ، يتكاتفون على قسوة الغربة ، ويتظاهرون على مشقة الدرس

ودخلت حجرة الشيخ على مثلما دخلت حجرة الشيخ فهمى من قبل ، فهما على نمط واحد ، لا تبذ واحدة واحدة . ولكن نفسى اطمأنت إلى هذه حين لمست فيها الإيناس بقدر ما نفرت عن تلك حين وجدت فيها الوحشة . أنست إلى هذه لأننى ألفيت هنا الصاحب والرفيق ، ولأننى وجدت مهرباً من الشيخ فهمى ، فما لى به حاجة من بعد ، وهو رجل ضيق العقل ، راكد الذهن ، شحيح النفس ، جامد الكف ؛ وهؤلاء رفاقى : نغدو معاً إلى الأزهر ، ونروح سوياً إلى الدار . وهدأت هواجسى ، فأنا الآن أستطيع أن أعبث مع صحابى كيف أشاء ، وأستطيع أن أمكر بالشيخ على حين تسول لى شيطانيتى أن أفعل ، وهو الآن ولىّ أمرى وقائدى !

وصرفتنى روح المرح واللعب والعبث — بادئ ذى بدء — عن أن ألمس ما أعانى من شظف وشدة ، وعن أن أحس ما أقاسى من حرمان وضيق . والشيخ على ممسك لئيم مخادع ، يراوغ الواحد منا عن قروشه ، ويداوره عن مصروفه ، وهو فظ لا يستشعر قلبه الحنان ولا الرحمة ، ولا يبض كفه بدرهم أتنسم به روح الحياة الناعمة فى القاهرة ، فمشت زماناً لا أتذوق إلا الخبز والجبن والمالح ، ثم جف حلقى وما لى طاقة بذلك !

وضاقت نفسى بما أجد فانطلقت إلى الشيخ فى ثورة جامحة أسأله حقى ، فرتب لى مليما كل يوم لأشترى به متعة الحياة ولذة العيش ! .

وادخرت — بعد أيام — مليمات ، وإن نفسى لتهفو نحو

في ذكرى أديب العربية :

يرحمك الله أبا عبيدة !

للأستاذ محمد سليم الرشدان

يا لله ما أعجب ! هذا هو الدهر تنقضي أيامه وتنطوي لياليه ، فيجتاز بذلك حولاً من العمر ، يطل من ورائه أبو عبيدة ، أديب العربية الأكبر ، العلامة الجليل محمد أسعاف النشاشيبي . فإذا هو ذكرى في ثنايا التاريخ ، وإذا هو حنين تنبض به القلوب ، ثم إذا هو طيف تجتليه الخواطر ، وتفتقده النواظر .

ويح هذه الآمال المديدة ، لطالما زينت له تخوف السبيل ، وهونت عليه وعر المسالك . فعبر كؤودها ، واعروري متونها ، ومضى قدماً لا تقعده المخاطر ، ولا تكبح جماحه الأرزاء . فكلما أدرك غاية ، برزت له من ورائها غايات .

بل ويح هذا الطموح ما زال به يستحث خطوه الجامح ، فهو لا يستقر إلى مآل ، وهو ما يفتأ يشد الرحال ولكنه أخيراً مضى بعد أن خاض شتى المجاهل في دنيا (العربية) ، وتجاوز في ارتيادها بعيد الآفاق . فلم تفته منها صغيرة ، ولم تقف بين يديه كبيرة . فقد ألم بهذه وسبر أغوار تلك ، وأحاط من ذلك كله بما لم يحط به إلا قليل ، فكان شأنه في هذا السبيل ، شأن المجاهد المستبسل ، لا تقعده جراحات الغدر ، ولا ترده أحابيل العدو المخاتل . فخاض غمرة الكفاح ، ولا أيد ولا وزر ، إلا ما اشتمل عليه من مضاء العزيمة ، فأدرك النصر الباهر في كل ميدان ، ومضى في قافلة العمر تزامله العزة والأنفة والإباء ، لا يضير هذه القافلة أن تعترض سبيلها (الثعالب) حيناً ، ثم لا تلبث أن تحول أو تزول .

أرأيت — يا أخي القارئ — بركاناً يتضرم أواراً ، ويتسعر لهيباً ، ويغلي في جوفه شواظ وحمم ، فهو إذا ما فار ومار زفر زفرة أسكت بها من حوله كل باغم ؟ كذلك عهدت النشاشيبي المتقد حيال أعداء العربية ، وأجراء ذوي الأغراض . ومالك لا تستيقن ذلك حين تسمعه يردد ساخطاً :

« وأن نجم ذنب فصاح . (إن لكل عصر لغة ، وإن لطبيعة العصر سلطاناً على القول ، فكيف تنادينا إلى لغة يقول العصر — إن استمعها — ليست هذه بلغتي ! فنحن نشنأ ما تنادينا إليه ، ولا نحب أن نقتل أنفسنا منكبين على القول القديم العتيق ، الذي شرب الدهر عليه وأكل ، ولا نهوى إلا لغتنا المصرية السهلة الواضحة ، التي يفهمها كل إنسان حتى راعي البقر ...) أن نجم لنا مثل ذلك الذنب وعوى عواءه ،

الفاكهة وقد حرمتها منذ زمان وأنا أرى دكان الفاكهي في غدوي ورواحي فيجذبني إليه في شدة وعنف ولكني لا أجد الجرأة على أن أقف ببابه أساومه . ثم دفعني شيطاني إليه — بعد حين — فاشتريت ربع أقة عنب دفعت ثمنها ستة مليمات . ولكن حرارة القيظ تركت العنب يتلهب كأنما أوقد عليه بنار جهنم ، ثم دفعني شيطاني مرة أخرى فاشتريت ثلجاً بمليم واحد . وهكذا أنفقت في واحدة كل ما أملك : سبعة مليمات ادخرتها في أيام وأيام .

وتسللت إلى حجرتنا في حذر وأنا أوقن بأنها خاوية ، وأن أصحابي جميعاً في الأزهر ولن يحضروا إلا بعد ساعة ؛ ودلفت إليها على مهل ، ثم وضعت أمامي العنب وسويت عليه الثلج ، وطفقت أنظر إليه في شوق وأتأمله في شغف ، وأتناول الحبة إثر الحبة ، أتذوقها في لذة وسعادة وطمأنينة .

وعلى حين فجأة انفتح الباب ودخل الشيخ علي ، واعتراني الارتباك والخجل ، ونظر هو إلى الطبق أمامي وقد ملأته الدهشة وسيطر على العجب واندفع يلومني : « عنب وثلج ! عنب وثلج ! هذه هي متعة الحياة ولذتها ! » ثم انصرف وعلى وجهه سمات الغيظ والحرمان في وقت معاً .

وعجبت أنا لحديث الشيخ ، ثم انطويت على نفسي أحدثها : « ما أتفه متع الحياة ولذائذها إن كانت تشترى بسبعة مليمات ! »

ثم انطوت الأيام لتعلمني أن متع الحياة ولذائذها غالية غالية تكلف المرء الدم والعمر والمال جميعاً ...

كامل محمود حبيب

القمناه حجراً وحجرين ، وعصوناه ثم قلنا له : أجل أيها المدجل المحاوت إن لـكل دهر لغة ، وإن لطبيعة المصر سـلطاناً ... غيران (لغتك المصرية) هـذه لغة معتلة ، فنحن ندعوك إلى مداواتها وتقويتها بتلاوة القول القديم ، لـكيلا تُسَلّ أو يدود لحمها ثم تموت ... » .

بمثل هذا القول كان يصمت أولئك الذين طالما دعوا — من حوله — إلى نبذ لغة (القرآن) ، والاسـتماضة عنها برطانة غوغاء السوقة ، وترك ما أفنى أئمة العربية شباة أقلامهم وشباب أعمارهم ، بجمعه واستنباطه من قواعدها وأصولها ، واستبداله بما خيلته طبيعتهم الأعجمية ، من كلام مهمل سقيم ... يا للـكفر الصراح ، ويا للعقوق الآثم ! لم لا يعد هذه (الثلة كالثلة [1]) ؟ ولم لا يعد من كان فى مثـل هؤلاء (ذنباً أفاكاً) ! بل هل عسيتك — لو كنت حيث كان — إلا ممترضاً بمثل قوله :

« كلا ! إن هذا الزنيم قد جهل وجار عن الحق ، واحتقد على لغة العرب فكدح فى محقها (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ...) » . لـكأنى بك تقول ذلك (أو من مثله) ما دمت تغضب لهـذا الإرث الجليل الخالد ، الذى لو كان حصاد عام ، بل لو كان حصاد جيل لتأسى فاقديه . ولـكنه — يا فتى — حصاد المئين من السنين ! فأنى لك العزاء (آنذاك) ؟ والخطب — لو حصل — جليل ، والمصاب — لا كان — مفزع مهول ! فما لأبى عبيدة لا يفزع ؟ بل ماله لايستنفر الإنس والجن والسموات والأرض والجبال . فيخرج من (صومعته) هائجاً ، وهو يردد متسائلا :

« وكيف يسول الخبث والعجز والجهل ولؤم الضريبة ، كيف يسـول كل ذلك للفتى أن يأتى بالـكفر براحاً وبالشر صراحاً ، ولا يحسب لـكفره بالحقيقة حساباً ، ولا يخشى لشرارته عذاباً ، ولا يخاف عقباها ؟ وكيف يهون له احتقاب كل موبقة. أن يؤتى إلى اللغة العربية ... فيجز شعرها ، ويخدش ذلك الخد الأسـيل ... ويخمش ذلك الوجه الجيل ويفحم ! وتصبح (ابنة عوف) مضرب المثل فى القبح ، وهى المثل المضروب فى الحسن والجمال !! ... » .

أرأيت كيف كان أبو عبيـدة (طيب الله ثراه) يغضب للعربية وأهلها . فلا تأخذه فى سبيلها لومة لائم ، ولا يبالى أن يخاصم القريب والبعيـد مادام قد انحرف عن الجادة ، وجانب السراط السوى . وإذا كان المرء يناضل فى ميدان واحد لا يعدوه ، فقد كان هو يناضل (فى آن واحد) فى ميادين شتى . ومن ذلك أن يتصدى (موجهاً أو مجيباً أو معترضاً أو متحدياً) فى أقطار مختلفة ، وفى صحف متعددة ، وقد تنكر خـلال ذلك فى أزياء ، وادرع لـكل ميدان بلبوس . فهو « أزهرى المنصورة » حيناً ، وهو « السهمى » حينـاً آخر . ثم هو إن بالغ فى التواضع (والتواضع خلة لا نمدوه) أرسل ما يكتبه غفلاً من أية سمة ، فيشاركه صاحب المجلة نكتمه معرفاً كلامه الذى ينم عليه بقوله : « لأستاذ جليل » أو بما هو من على شاكلة هذا التعريف . ثم هو جرى لا يهاب . إذا تعرض لأمر تخشى عواقبه ، نحى حجاز التواضع جانباً ، وتبدى للخصوم باسمه وكنيته ، شـأن البطل المقدام لا يبالى أن يعرفه الخصم استهانة بخطره ، وغلواً فى الحفاظ والنجدة . فليرحمك الله أبا عبيدة ، لقد كنت أمة فى رجـل ، وكنت رجلاً (نسيج وحده) .

ليتك تعلم — يا قارئى الـكريم — مبلغ اعتزاز ذلك الأديب الفذ بكتاب الله ! لطالما أجابنى على كثير مما كنت أسأله عنـه بآيات بينات منه . وهو يردف مفتخراً : « أرأيت أى كنز يحوى بين دفتيه هذا الـكتاب ؟ أو رأيت شبيها له فيما عبر بك من لغات (آشور وسريان وعبران) ؟ هيهات ! ولئن تحريت فما أنت بواجد ! (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) . »

كان رحمه الله كثيراً ما ينظر إلى هذا الـكتاب المظيم نظرة الشفق المحب ولسان حاله يستعيد قوله فيه : « يا أيها الـكتاب المعجز ، لقد هلك من يدرك فصـاحتك ، ويكتنه بلاغتك ، ويقدرك قدرك ، ويعطيك من خدمتك حقك . لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ، ويخرون سجداً وبكياً . وهـل يعرف بلاغتك المرقة البليغة ، إلا عربى قح صليب ، لم تشن ملـكته العربية من العجمة شائنة ، ولم تؤذ أذنه كلة قلقة واهنة !! فسقياً لمثل هذا سقياً ، وتعساً ونكساً وترباً وجندلاً

---

(١) الثلة الأولى : الجماعة من الناس . والثلة (الثانية) القطيع من الغنم . وهذا من كلام النشاشيبى .

لن يبقى أن نضل ، فنستحب اللغة المرذولة ، على لغتك البارعة المذبة المضرية ... » .

ولن أنسى يوماً قدمت فيه إليه ، فأقبل على يحدثنى بقلبه ولسانه عن دنيا العروبة والإسلام . وينطلق شأن المؤمن المتفائل ، يؤكد لى اندحار هذه العجمة فى يوم (قرب ابانه) ، وانطلاق لغة الضاد من عقالها لتنهض بأعباء الإنسانية ، وتؤدى رسالة الحضارة . وما فتئ يكرر بين حين وحين : (ولم لا يكون ذلك واللغة هى اللغة ، والآباء هم الآباء ، والابن مهما كان جاحداً عقوقاً فلا بد أن تجذبه أصالة المحتد وكرم النجار ...) ويحين موعد انصرافى فأستشيره فى فقرات من قوله أعرضها نمطاً من أسلوبه وأنا أتحدث عنه فى طليعة الأدباء أثناء بحثى عن (الأدب فى فلسطين) فى المجلة الحبيبة إلى قلبه (الرسالة الزاهرة) ، فلا يكون منه إلا أن يتناول كتاباً يضع سبابته على سطر فيه وهو يقول : (أكتب من هنا ، ولن تنطقنى بقول تنتزعه من سويداء نفسى ، وتستخلصه من قرارة يقينى إلا أن يكون هذا !!) . ثم أجدنى أقرأ (هناك) كلاماً لا يختلف عما كنت أسمعه منذ هنيهة إلا بالفاظه ، وجعلت أعجب حين رأيتنى حيال كلام قاله عام (١٩٢٧) جاء فيه :

« اللغة هى الأمة ، والأمة هى اللغة . وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى ... واللغة ميراث أورثه الآباء والأبناء ، وأحزم الوارث صائن ما ورث ، وأسفههم فى الدنيا مضيع . وإنا أمم اللسان الضادى لعرب ، وإن لغتنا هى العربية ، وهى الأرث الذى ورثناه . وإنا لحقيقون — والآباء هم الآباء ، واللغة هى اللغة — بأن نق عربية الجنس ، وعربية اللغة .

ولو كان المورثون صغاراً ، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وأعظامه ، فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً ... والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداى . (وأن الدهر لصنع) ، وأنها لخير طرفة أطرفها الناس ، والزمان بالخير وإن جاد شحيح . فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية الدرة اليتيمة ، أو كنز الزمان ، ضن به ثم سخا ... » .

يا أخى القارئ : هذه عبرة ناطقة ، أذرفها بين يديك فى ذكرى هذا النابغة العبقرى فإن أنت عرفته من آثاره ولم تره ، فليس الخبر كالخبر ! وإن كان خبره جديداً عليك (وما أخاله يكون) ، فاعلم أننا فى فقده حيال مجاهد كان سيفه القلم ، وميدانه القراطيس ، وجلاده عنيف قاصم ، لا هوادة فيه مع أخصامه ، (وأخصامه أخصام العربية) : .

ولطالما حاز النصر باهراً ، والظفر مؤزراً . فرفع من شأن هذه اللغة الكريمة ، ما أعلى منارها ومهل من عسيرها حتى حببها إلى غلف القلوب . وفى سبيلها لم يجاوز ميداناً إلا صال فيه ولا خصماً إلا ثبت فى وجهه ثبات (أحد) و (أبى قبيس)

وأخيراً ، أثخنته جراحات الدهر ، فسكن الفؤاد النابض بحب العربية وأهلها ، وصمت اللسان الذليق ، وما كان ليصمت لولا أن أصمته الدهر ...

فى رحمة الله أبا عبيدة .

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية فى شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر في العدد ٨١٨)

— ٣ —

أما شعر محرم الاجتماعى فقد كان مضمخاً بعبير عاطر من التوجيه الدينى والإرشاد الخلقى ، فقد نظر الشاعر نظرات صائبة إلى الأوبئة الخلقية التى تفتك بالأمم الشرقية فتحصد المروءة ، وتطيح بالشرف ، حيث انسابت الأفاعى البشرية فى ظلام الاحتلال تنفث سمومها فى الأجسام الصحيحة ، فإذا الإنسان الطاهر العف يتحول مارداً فاجراً يعب الخمر فى نهم ، ويريق الدم المصون فى تهتك ، ويلطخ وجهه بآثام فاحشة يندى لها الجبين ، وقد قام محرم بدور الطبيب الحكيم ، ففحص الداء فحصاً دقيقاً ثم أخذ يشخص الدواء الناجع ، وكان القرآن الكريم قبلته ووجهته ، فنادى بالرجوع إلى آدابه ، وشهر بمن يجترحون السيئات ويقترفون الفواحش ، وقد اتخذ من الجرائم الخلقية التى يرتكبها الإباحيون ، وتنشرها الجرائد اليومية مادة دسمة لإنتاجه . وفى الجزء الأول من ديوانه أقاصيص شعرية تجلى هذه الفضائح ، وقد أحاطها الشاعر بسياج من النصح الأدبى ، والتوجيه الخلقى . وأنك لتلمس لهفة محرم وأسفه حين يتحدث عن شرذمة غاوية ائتلفت على البغى فهوت إلى حمأة الرذيلة تلغ فى أرجاسها الشائنة غافلة عن عتاب الله نابذة وراءها عهود محمد وزواجر التنزيل فهو يقول :

أسيت لمسرفين أعان كلاّ ... على إدمان لذته أبوه
إذا ما عاقر الفحشاء منهم ... أخو النشوات غناه أخوه
لهم فتكات أطلس ما يوارى ... دم الهلاك مخلبه وفوه
عليهم من خزاياهم سمات ... وما أنفوا الفجار فيجحدوه
إذا ما عن فى الظلماء صيد ... تداعوا حوله فتصيدوه
تردى بينهم فتعاوروه ... إلى أن قال قائلهم دعوه

قفا السمار وادلجوا إليه ... وأكبر همهم أن يبلغوه
أيأمرهم بتقوى الله قوم ... وما عرفوا الآله فيتقوه
شباب العار ما تركوا رجاء ... لنا فى مصر إلا خيبوه
أناس ريعت الغبراء منهم ... وضج العرش مما أحدثوه
أتى التنزيل بالمثلات تترى ... وبالحق المبين فكذبوه
فوا أسفى لعهد الله فيهم ... وعهد محمد إذ ضيعوه !!

وفى ديوان الشاعر من هذا الطراز جذوات مشبوبة تتقد باللوعة فليتها وجدت من يسمع أو يجيب !!

ومع أن محرما قد نادى فى صيحاته الاجتماعية بضرورة التعليم كدعامة راسخة يرتكز عليها بناء النهضة ، فقد وجد من الناس من ظن به رغبة عن تعليم الفتاة والنهوض بها إلى ذروة الرقي ، رغم ما امتلأ به ديوانه — فى الجزء الثانى خاصة — من حث على ثقافة المرأة وإيضاح لمركزها الدقيق الذى تحتله فى المجتمع . ولعل هذا الظن الخاطئ قد أتى من مهاجمة الشاعر لدعوة التحرير التى رفع لواءها قاسم أمين ، ونحن إذا نظرنا لهذه الدعوة نجد صاحبها يحث على تعليم المرأة وتهذيبها عن طريق السفور والتملل من الحجاب ! والشاعر وإن كان من المنادين بضرورة تثقيف الفتاة لا يوافق على السفور مهما تكاثرت المبررات ، فاندفع إلى مهاجمة قاسم متأثراً بعاطفته الدينية التى تحرم التبرج تحريما قاطعاً ، وما كان له أن يحيد عن ذلك وهو يضع كتاب الله نصب عينيه . ولعله كان ينظر من وراء الغيب إلى ما سيجره السفور من فتن فشدد عليه النكير . فمحرم إذن يكتفى بضرورة تعليم الفتاة دون ما عداه ، فليس لها أن ترتع فى الأسواق ، وتزاحم الرجال فيما لم تهيأ له من الأعمال ، واستمع حجته فى ذلك إذ يقول :

هممنا بربات الحجال نريدها ... أقاطيع ترعى العيش وهى سوائم
وإن امرأ يلقى بليل نعاجه ... إلى حيث تستن الذئاب لظالم
وكل حياة تثلم العرض سبة ... ولا كحياة جللتها المآثم
أتأتى الثنايا الغر والطرر الملا ... بما عجزت عنه اللحى والعمائم
فلا ارتفعت سفن الجواء بصاعد ... إذا حلقت فوق النسور الحائم
سلام على الأخلاق فى الشرق كله
إذا ما استبيحت فى الخدور الكرائم

أقاسم لا تقذف بنفسك تبتغى | لقومك والإسلام ما الله عالم
ولولا اللواتى أنت تبكى مصابها | لما قام للأخلاق فى مصر قائم
نبذت إلينا بالكتاب كأنما | صحائفه مما حملن ملاحم
أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة | ودبت إلينا فى الظلام الأراقم
ألا إن بالإسلام داء مخامرا | وإن كتاب الله للداء حاسم

ولنقرن هذه الصيحة الناقمة على دعاة السفور بأحدى صيحات محرم فى ضرورة تعليم الفتاة ، لنعلم أن الشاعر لم يحارب تعليم المرأة فى يوم من الأيام ، وإنما احتاط لدينه ومروءته ، وتمسك بكتاب ربه وهدى نبيه . وحسب الإسلام منه أن يذود عن مبادئه فى قوة ، ويتمسك بحدوده في إيمان ، قال محرم :

ما أبعد الخير والمعروف عن أمم | تعيش فوضى وترضى بالحياة سدى

وجاهل ظن أن العلم مفسدة | للبنت فانتقص التعليم وانتقدا
مهلا فرب فتاة أهلكت أسرا | بجهلها وعجوز أفسدت بلدا
الأم للشعب إما رحمة وهدى | أو نكبة ما لها من دافع أبدا
لا يذهب الشعب فى أخلاقه صببا | والأم تذهب فى أخلاقه صعدا
لا تيأسوا وأعدوا الأم صالحة | فهى السبيل إلى إصلاح ما فسدا

على أن الشاعر لم يهاجم قاسما وحده ، بل كان يهاجم من المسلمين من يرى منه نزوعا عن الشريعة ، وكان يتأدب فى هجومه بتوجيه الإسلام ، ويسترشد بتعاليمه ، فلا يميل إلى الإسفاف والمهاترة ، أو يعمد إلى التشهير والتنديد ، بل إن قصائده فى أعداء الإسلام « كهانوتو وكرومر » كانت تخضع إلى المنطق المعتدل وتتحاشى ما ينفر منه الأدب والذوق . ولله محرم ، فطالما جادل بالتى هى أحسن ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع أن الشعراء يبيحون لأنفسهم من الإقذاع فى الهجو ما ينأى عنه ذو الخلق الكامل والنبل الأصيل !!

— ٤ —

بقى أن نتحدث عن الناحية التاريخية فى شعر محرم ، وهى ناحية هامة شغلت جانبا كبيرا من اهتمامه ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من إشارة إلى موقف تاريخى طواه الزمن ، تخلده الشاعر ولا جرم فقد كانت ثقافته تاريخية إسلامية ، حيث استوعب ما قدر عليه من الصحائف المجيدة التى تجلو عظمة الفتح الإسلامى وتتحدث عن أبطاله المعلمين ، فكان له من هذا الاستيعاب مادة دسمة أكسبت انتاجه قوة ذاخرة ، وأمدت شعره بأسباب متينة من الروعة والتفوق !! وإذا كان الشاعر قوى الإيمان بعظمة القادة المبرزين من أعلام الإسلام ، فقد فتحت له عاطفته الدينية أبواب القول فصال وجال فى ميدان التاريخ حتى لينفرد وحده بين شعراء العربية بتصوير البطولة الإسلامية تصويراً لا يتعلق بغباره متعلق ، مهما حاول التقليد .

لقد نظر محرم إلى أعظم أبطال الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فبهرته عظمته الفائقة ، وأخذته روعته الخارقة ، فنظم إلياذة كبيرة تقع فى عدة آلاف من الأبيات المختارة المنتقاة ، يسجل بها تاريخ الرسول الأعظم من ميلاده إلى أن جاءه اليقين . وقد قرأتُ ما وقع لى من شعر الإلياذة فكدت أستظهره فى نهم ، وتأ كدت أن بلاغة محمد قد نضحت عليه من بيانها الرائع ، فتطامن له المعنى الجموح ، ووقفت يده على النادر اليتيم من الأساليب ، وقد راعى أحمد منازع حديثه ، فهو فى بدر وأحد يجلجل ويهدر حتى ليسمعك الصليل والصهيل ، وقد يعمد إلى القافية الشموس فى موقفه الحماسى . فيخضعها لبيانه المشرق . وللقارىء أن يطالع قصيدته الفائية فى فتح مكة فهى وحدها الحجة والدليل .

وكنت أقع فى دهشة عجيبة حين أجد الشاعر يتكلم فى الموضوع الواحد مرات متعددة ، وهو فى كل فريدة من فرائده يطالعك بمعان لم يجش بها خاطره قبل ذلك ، وقد فرض على نفسه أن يحيى رسول الله فى كل عام بقصيدتين فى مناسبتى الهجرة الشريفة والمولد السعيد . أضف إلى ذلك ما يعرض من المواسم الأخرى كذكرى غزوة بدر ، وذكرى الفتح ! ثم هو بعد هذا كله يشعر بأنه لم يقل شيئاً بجانب ما يليق بعظمة محمد فيقول فى مخاطبته :

ما فى النوابغ من لبيب حاذق | إلا وأنت ألب منه وأحذق
والقول مستلب المحاسن عاطل | حتى يقول العبقرى المفلق
أنت المجال الرحب تمتصر القوى | فيه وتمتحن الجياد السبق
حسان منبهر وكعب عاجز | والنابغ الجعدى عان موثق
أطمعتهم فتجاوزوا فيك المدى | وأبيت فانصرفوا وكل مخفق
لى عذرهم ما أنت من عدة المنى | إلا وراء مخيلة ما تصدق

والحق أنه — رحمه الله — كان يجد فى الذكريات الدينية ظلاً وارفاً يتفيأه فى هجير الحياة ، فهى تتيح له الموازنة بين الحاضر والماضى مما تكلمنا عنه قبل ذلك ، كما تمكنه من إسداء النصائح الصادقة لأبناء الدعوة المحمدية فى مختلف البقاع

إلى الخير...

للاستاذ ثروت أباظه

... نعم يا سيدى ، لقد رأيتنى أهيم فى الحوالك من الظلمات ، شارداً أضرب فى الحياة وتضرب بى ولا نصير ... أقطع الطريق أو أقف دونه لا يشجعنى على السير صديق أو يحثنى دون الوقوف رفيق ، وأنا مع الحياة لا أبالى أيان يلقى بى موجها ، فكل أفق لى قِبلة ، فليس لى فى أى أفق من الآفاق أمل مرتقب ، وحولى الناس كلهم لاهٍ عن غيره إلى نفسه ، فلهوت عنهم ؛ ولم يكن لى نفس لأنوب إليها أو أطمح بها ، فكنت أشرئب إلى السماء مرات خمسا بين الصباحين فأسأله فى عليائه أن يفسح بينى وبين أحد عباده على الأرض طريقاً ... فإذا طال بى السؤال دون الإجابة ابتهلت إليه أن يضمنى إلى سمائه أري الرحمة الكبرى من ورائها تاف التقى فى سيبها والمعاصيا .

ولم يكن بى عصيان لأوامره ، غير أننى أحسست على الناس النقمة ، و كرهت أن أرى السعيد منهم ، فأنصرفت إلى دار الكتب حيث يباح التثقيف بغير أجر ، فظلت أقرأ وأقرأ ، وكنت كلما ازددت قراءة قلت فى نفسى : لو لم تكن هذه الكتب من عمل الإنسان لكانت أعظم مما هى عليه ... وكنت أعجب كيف يستطيع الإنسان الكنود أن يخرج مثل هذا الصفاء ... كتاب لا يَملك ، فإذا مللته أنت لم يغضب ، بل يقيم أيان تضعه منتظراً منك المودة ؛ فإذا عدت لاقاك مفتوح الصدر ، صريح العبارة ، لا يخفى عنك شيئاً ؛ وإذا قصر يوما عن ابلاغك مرادك اعتذر إليك وقدم زميلا له يشرح ما غمض فيه .. هكذا يا سيدى عرفت صديقاً على الأرض ، وهكذا كنت أفكر فى شأنه ، فما خاننى ولا خنته ، بل زادنى تجربة وعلما ... وهكذا يا سيدى خلت أن الله قد أجاب به الدعاء وحقق لى الأمل فرحت أكتب إلى الجرائد أستعين بما ترسله من مال زهيد على مأكل يأبى الوصول إلىّ ، أو مسكن ينفر — على رثاثته — أن يضمنى بين حشراته . أما الناس يا سيدى فقد يئست من وجودهم منذ أزمان بعيدة .

وتلك رسالة الشاعر العامل ، إذ يحمل بيده المشعل المضىء فينير السبيل .

وكنت أود أن أتكلم عن الإلياذة كوحدة مستقلة فأعرض لها ببعض التحليل والتشريح ، ولكن القدر قد كتب لها أن تظل فى مهملات وزارة المعارف مجفوة منسية فى عصر مجحف ظالم رسبت الدرر الغالية فى قاعة ، وطفت الجيف المنتنة فوق سطحه ، فطبعت دواوين المتشاعرين من المتافين والمصفقين ، وأهملت ملاحم النوابغ الملهمين . ولولا ما قرأته فى المجلات الأدبية والعلمية كالرسالة والثقافة والأزهر من قصائد متناثرة تنتمى إلى إلياذة محرم لظننتها خرافة تختلق مريب !!.

وإذا تعدينا تاريخ محمد إلى غيره من المرسلين فإننا نجد محرماً قد اندفع أيضاً وراء عاطفته الدينية فنظم فى قصص الأنبياء معلقة طويلة ألقاها فى موسم الشعر وقد ابتدأها بقصة آدم وحواء ، وخروجهما من الجنة ، ثم دلف إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن فروى قصصهم الماضية مبينا جهود كل نبى فى دعوته ، وما قابله به قومه من العناد والاستخفاف ، ثم ما كان فى النهاية من ظهور الحق وخذلان الباطل ، وإن كان هناك فرق شاسع بين حديث الشاعر عن الأنبياء فى ملحمته الجيدة ، وحديثه عن محمد فى إلياذته العامرة ، حيث كان فى الأولى مؤرخا يسجل الحوادث كما حكاها القرآن ، وتناقلها الرواة والمفسرون دون أن تقوم شاعريته بتوليد بارع أو ابتكار رائع ؛ ولكنه فى الإلياذة قد جمع بين التاريخ والفن ، فهو يبدع فى الفكرة والعرض معا . كما يرسم صورة للزمان والمكان . وقد يهتم بالجزئيات الصغيرة فيصوغها فى لباقة تحمد للناثر المترسل فما ظنك بالمقيد بقافية ووزن !! ذلك توفيق كبير .

رحم الله محرما فقد أسدى إلى العروبة والإسلام يداً بيضاء لم يسلفها شاعر عربى قبله ، ومع ذلك فقد عاش حياته الطويلة فى دمنهور كادحاً متعبا لا يجد الناشر الذى يظهر له ديوانه الرائع فى ثوب لائق بمركزه المرموق ، ثم وافاه الأجل المحتوم فسكت الأدباء عنه فى قسوة ، غافلين عن أدبه الحى وفنه الرفيع ، وكأنى به فى حنادس القبر يردد متأوهاً نائحاً بيته الحزين .

ظمئت وفى فمى الأدب المصفى | وضمت وفى يدى الكنز الثمين

(جزيرة الروضة) **محمد رجب البيومى**

ولم يكن اليأس مريحاً — كما يقولون — فقد ضنيت به رغم صداقة صاحبي، الكتاب .. كذلك ياسيدى كنت حين شاء لك ذوقك الأدبي الرفيع أن تختارني لأعمل لديك على سبيل الدوام فقصدت إليك يائساً من الصداقة والشهرة، آملا في الكسب، ولاقيتني يا سيدى فأحببت فى خلقاً وسلوكاً، وأحببت فيك كل ما فيك، ولم أجرؤ أن أبين عن هذا الحب خشية أن يتمادى بي ثم تنقطع بيننا الأسباب.. خشيت على نفسي ياسيدى، ولكن خلقا فيك كريما أبى إلا أن يشجعني فأحببتك وأحببت الناس فيك ولك .. ووجدت نفسي قد خلقت خلقاً آخر، فلا حقد ولا يأس ولا قنوط؛ ومازلت بي ياسيدى تمد لي من عطفك فأمد لك من حبي حتى وجدتني أقول لك من غير داع « إنه لوجاء يوم أغبر قطعنى عنك فإنني والله لن تقوم لى قائمة بعده » ... ولست أنساك يومئذ يا سيدى وأنت تضحك لي في حب كبير ... « إنها أوهام ... طالما يتخيل الإنسان أموراً ثم يجسمها فلا تلبث أن يذيبها مرور الأيام » وقلت لك يا سيدى : « إنه لن يكون هناك أيام لتذيبها فسوف أذوب أنا قبل أن تمر هاته الأيام » هكذا يا سيدى بلغ بي الحب فمشت أرصد حياتي لك ولخدمتك حتى نلت لديك ما نلت. وكنت أنت حياتي بعد أن تقطعت بي أسباب الحياة.

وهأنت ذا يا سيدى اليوم تقصيني عن موارد حبك فأخرج إلى الكتاب مرة أخرى وألاقيه فيلاقيني مفتوح الذراعين حانيا، وكنت أقسمت يا سيدى وأنا أعمل بجريدتك ألا أكتب في غيرها أبداً؛ ومازلت يا سيدى باراً بهذا القسم؛ بيد أنني تذكرت اليوم فقط أمراً لم يخطر لي ببال، تذكرت ياسيدى أنك مرهف الحس، دقيق الشعور، وخشيت ياسيدى إذا أنا حطمت حياتي أن تشعر بما جنيته على، ولا أريدك يا سيدى أن ترجع إلى وأنا حطام لتعيدني على حياة أكرهها مادمت أنت بعيداً عنها. فقلت في نفسي: لأعمل حتى لايشعر بما جناه، وحتى يطمئن إلى أنني مازلت أقاوم الحياة. وإنني يا سيدى حتى اليوم كلما سألني سائل عن سبب القطيعة خلقت في نفسي عيوبا لا أظنها تجرؤ أن تنتسب إلى وأنا من أحببته أنت حينا من الدهر، ولكنني كنت أجور على نفسي حتى لا يجور القوم عليك ... فأنا ما زلت أحبك شأنى دائما، أما ما قام بنفسك من شك في وفى حبي لك فأنت وحدك الذى ستمحوه حين تستبين حقيقة نفسي مادمت لم تستبينها حتى اليوم، وما دمت يا سيدى تعتقد — رغم كل ما أبنت لك — أنني كنت أداهنك وأداجيك. ولعمرى أى فائدة تعود على من المداهنة والمداجاة وأنا لم أطلب منك يوما مطلبا لنفسي ؟.. أى فائدة وقد أغريت لتركك بالمال فكنت أسب كل من يجرؤ على هذا. أى فائدة ا.. اللهم إلا إذا كنت تظنني أمثل لمجرد التمثيل؛ وحينئذ يا سيدى اسمح لى أن أرى في هذا التفكير انحطاطا عما عرفته فيك من ذكاء لماح ... ولكن دعني يا سيدى أقل الحقيقة ... إنك عجبت أن يكون في العالم إخلاص كإخلاصي، واستبعدت أن يحب شخص شخصا مثلما أحببتك، وخشيت أن أكون كاذبا فقلت في ضميرك : لأرح نفسي من عناء البحث والاستقصاء والتحليل، ولأقطع بيني وبينه الصلات قبل أن يفجعني بالخيانة. ولو أنك نظرت إلى ماضي وأنت تعرفه لعلمت أن مكانك من نفسي ليس بالغريب ... لقد كنت يا سيدى بمثابة الواحة التي يجد بها التائه ماء وظلا وعيشا، فهو قائم بها لا يريم ... كنت ياسيدى كذلك في حياتي وما تزال يا سيدى كذلك ولن تزال.

لعلك تعجب لم أكتب إليك كل هذا الكلام ... كتبت لأبين لك عما ينتفض به حسي، ولأطمئنك على قابلي من الأيام فلا يملكن عليك العطف شعورك، ولتهدأ بالا ولتثق يا سيدى أنني لن أصادق بعدك أحداً حتى لا أفجع فيه مرة أخرى، ولكنني سأعيش، وسأعيش بما أمحته لي من شهرة، فأنالك أيان تاق بي الأيام رحلها، ولكنني أستحلفك ياسيدى ألا تعامل غيرى بمثل ما عاملتني ... على أنه لن يتاح لك أن تفعل، فأن أحداً لن يحبك أو يخلص لك كما أحببتك وأخلصت لك ... لأن أحداً لم يلق في حياته إجداباً كما لاقيت. والسلام عليك ورحمة الله.

قرأ صاحبي الخطاب وأنا أتابعه مأخوذاً بأسلوبه المترسل عاجباً من إخلاصه المكين؛ وما انتهى الصديق من القراءة حتى صحوت إليه أقول :

— فمن الكاتب ؟

— لقد عرفت شخصيته وما أظنك بحاجة إلى معرفة اسمه.

— ولم أقصيته عن موارد حبك بعد أن أمحتها له ؟ !

— لقد أجاب هو عن هذا السؤال خير إجابة.

القوة الحربية لمصر والشام

فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

(تتمة)

واقتضت الضرورات الحربية هدم بعض المدن التى يخشى أن تكون خطراً فى يد العدو إذا سقطت فى يده ، وقد رأينا أمثلة لذلك فى فصل الحروب السياسية .

ومن تلك المدن التى هدمت مدينة تنيس التى أمر الملك الكامل سنة ٦٢٤ بتخريبها ، فخربت وظلت خراباً إلى اليوم[١] ، ومدينة دمياط ، ففى عهد المعز أيبك اتفق المماليك على تخريبها خوفاً من مسير الفرنج إليها مرة أخرى ، فوقع الهدم فى أسوارها سنة ٦٤٨ ، وخربت كلها ، ومحيت آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع ، وصار فى قبليها أخصاص على النيل ، سكنها ضعاف الناس وسموها المنشية ، وهى أساس مدينة دمياط الحالية . وفى عهد بيبرس أخرج عدة من الحجارين سنة ٦٥٩ لردم فم بحر دمياط حتى لا تستطيع سفن الأعداء دخوله ، فمضوا وألقوا فيه من كبار الحجارة ما ضيقه ، حتى أصبح من المسير دخول مراكب البحر الكبار منه[١] ، ولا يزال على ذلك إلى الآن .

(١) السلوك جـ ١ ص ٢٢٤

وإذا كانت الضرورة الحربية قد قضت بهدم بعض المدن ، فقد أنشأت الحرب بعضاً آخر ، كمدينة المنصورة التى أنشأها الملك الكامل سنة ٦١٦ ، بعد أن ملك الفرنج مدينة دمياط ، فإنه نزل بموضع هذه البلدة ، وخيم به ، وبنى قصراً لسكناه ، وأمر من معه من الأمراء والجند بالبناء ، فبنيت هناك عدة دور ، ونصبت الأسواق ، وأدار عليها سوراً مما يلى البحر ، وستره بالآلات الحربية والستائر ، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط ، وأخذت تنمو من يومئذ حتى صارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والأسواق[٢] ، وفى هذه المدينة نزل الصالح أيوب عندما هاجم الفرنج دمياط ، فأصلح سورها وجعل الستائر عليه ، وشرع الجند فى تجديد الأبنية هناك[٣] ، وبعد موت الصالح بها ، دارت المعركة التى انهزم فيها الصليبيون هزيمة نكراء.

وأنشأ الصالح أيوب مدينة فى أول الرمل للذهاب إلى الشام من مصر ، سميت الصالحية ، وكان ذلك سنة ٦٤٤[٤] ، وجعل فيها سوقاً جامعة ومسجداً ، وقد أنشأها لتكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل[٥] ، ومنذ ذلك الحين اتخذها الجند مركزاً لهم إذا خرجوا للغزو ، أو عادوا إلى مصر .

* * *

وكان لمصر فى ذلك العصر علم يميزها ، كان لونه فى عصر الدولة الفاطمية أبيض[٦] ، مكتوباً عليه بلون لعله أصفر قوله تعالى : نصر من الله وفتح قريب . وتختلف أحجام الأعلام ، إلا أن أكثرها استعمالا كان طوله ذراعين فى عرض ذراع ونصف[٧] . وكان إلى جانب هذا العلم الرسمى علمان خاصان بالخليفة ، يعرفان بلواءى الحمد ، وهما رمحان طويلان ، ملبسان

(١) خطط المقريزى جـ ١ ص ٣٦١
(٢) خطط المقريزى جـ ١ ص ٣٧٣
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٥
(٤) هامش النجوم جـ ٥ ص ١٥ نقلا عن خطط المقريزى
(٥) السلوك جـ ١ ص ٣٣٠
(٦) تاريخ التمدن الإسلامى جـ ١ ص ١٥٢ وخطط المقريزى جـ ٢ ص ٣١٨
(٧) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٨٠

— أو ما زال مقصيا !!

— أو تظننى إلى هذا الحد من الجحود ! لقد ذهبت إليه أستغفره فنفر ... إن كل ما أرجو أن يبلغ إخلاصى له مبلغ إخلاصه لى ... أرج الله مى .

— والله إن لم تخلص له فأنت أكبر جحود رأيته ، وأعيذك أن تكون ولن تكون ... فبالله عليك لا تسر به إلا إلى الخير .

— إلى الخير دائماً إن شاء الله ... إلى الخير .

ثروت أباظه

بأنابيب من ذهب إلى حد أسنتهما ، وبأعلاها رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب،ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين [١] .

فلما جاء صلاح الدين اتخذ راية ذات لون أصفر [٢] ، وكأن فى ذلك إشارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — مستقلة ذات كيان خاص بها ، ولست أدرى إن كان هذا اللون الأصفر لون أعلام نور الدين أو هو لون انفرد به صلاح الدين ، لأننا نجهل لون راية نور الدين ، ولعلها كانت سوداء كرايات العباسيين .

ولا نعلم بوجه التحقيق السر فى اختيار صلاح الدين هذا اللون . أما سر اختيار الفاطميين للون الأبيض ، فهو مخالفتهم المخالفة التامة للعباسيين ، الذين اختاروا اللون الأسود شعارا لهم فعلى الضد منهم اختار الفاطميون لون أعلامهم .

وظل العلم الأصفر علم الأيوبيين والماليك لمن بعدهم ، وكان من الرايات عندهم عدة أنواع : فمنها راية عظيمة من حرير أصفر ، مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه ، وتسمى العصابة ، وراية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صغار تسمى السناجق [٣] ، وصار للمتولى أمر الأعلام السلطانية فى عهد الماليك وظيفة أمير علم ، أما العلم دار فهو لقب الذى يحمل العلم مع السلطان فى المواكب [٤] .

* * *

ولم أعرف زى الجند فى العصر الفاطمى سوى أنهم كانوا يلبسون السراويل والبرانس [٥] أما بعد ذلك فقد أدخل سلاطين الأيوبيين لبس الكلوتة بمصر Calotte ، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رءوسهم بغير عمائم ، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها ، وكذلك كان يفعل أمراؤهم وجندهم ومماليكهم . ولم يزل السلاطين والجند يلبسون الكلوتات الصفراء بلا عمامة إلى عصر المنصور قلاوون فإنه أضاف لبس الشاش على الكلوتة ، وقد صارت تصنع من الصوف الملطى الأحمر ، وفى عهد ابنه الأشرف خليل رسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركشة ، حتى يميز الأمير بلبسه عن غيره ، وتركت الكلوتات الجوخ الصفر لمن دونهم . على أنها ظلت تلبس فوق ذوائب الشعر المرخاة ، على ما كان عليه الأمر أولا . وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهى صغار ، وحلق رأسه ، وحلق الأمراء رءوسهم ، وتركت ذوائب الشعر .

وفى عهد الماليك كان الجند يشدون أوساطهم ببنود من قطن بعلبكى مصبوغ ، وعليهم أقبية بيضاء أو مشجرة حمراء أو زرقاء ، وهى ضيقة الأكام ، وفوق القباء كران بحلق وأبزيم وصولق ، والصولق جراب أو كيس من جلد ، وفيه منديل طوله ثلاثة أذرع ، فلما جاء قلاوون صاروا يلبسون الأقبية التترية ، وفوقها القباء الأسلامى ، وعليه تشد المنطقة والسيف . ويتميز الأمراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس أقبية فوق ذلك قصيرة الأكام [١] .

* * *

وكان العادة فى الأسرى أن ينزلوا فى معسكر خاص بهم ، تضاف الرجال إلى من فيه من الأسرى ويمضى بالنساء والأطفال إلى القصر الملكى بعد أن يعطى الوزير طائفة منهم ويفرق ما بقى من النساء على الجهات والأقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصناعات ، ويدفع الصغار من الأسرى إلى الأستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ، ويقال لهم « الترابى » وفيهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة ومن كان يستراب به من الأسرى ضربت عنقه ، ولم يعرف قط فى الدولة الفاطمية أنها فادت أسيراً من الفرنج بمال ولا بأسير مثله [٢] ، أما فى الدولة الأيوبية فكانت المفاداة تحدث من الجانبين .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

(١) المرجع السابق ص ٤٦٩
(٢) الروضتين ج ٢ ص ١١٦
(٣) صبح الأعشى ج ٤ ص ٨
(٤) المرجع السابق ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٦٣ .
(٥) نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ص ١٧٨

(١) خطط المقريزى ج ٣ ص ١٦٠ و ٣٥٢ وهامش السلوك ج ١ ص ٤٩٣
(٢) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٤ .

موكب الأبطال

للأستاذ علي محمود طه

(هذا هو النص الكامل لقصيدة الأستاذ الشاعر التي يحيي فيها أبطال الفلوجة بعد أن استلهم موكبهم الظافر بعض المعاني والخواطر)

أقدم فداك حديدها ولهيبها   واغنم مجادتها فأنت ربيبها
مجدُ الفتوح الغرّ أنت وريثه   والحربُ أنت على المدى موهوبها
ما الحرب إلا ما شرعتَ، وما رأت   أممٌ تذود عن الحقوق شعوبها
نادت فهبّ على الدماء ضريجها   يمشي، ويقتحم السعير خضيبها
شرفُ المحارب أن يعف سلاحُه   إن جارت الهيجاء وهو حريبها
ليجير شعباً أو يحرر أمةً   لا تستباح ولا يضام نجيبها
النصرُ أن تلقى الطغاةَ بضربة   شعواء لم يُصبِ الطغاةَ ضريبها
نخذ العدو المستخفّ بطعنة   إن لم تمته، غدا تمِيتُه ندوبها
والمجدُ أن تحمي وراءك قريةً   ضاعت مسالكها وضاق رحيبها
جُن الحديدُ بأرضها وسمائها   تجري وطار، تصيبه ويُصيبها
شدت يدُ الفولاذ حول نطاقها   حلقا تصيح النارُ: كيف أذيبها؟!
بالروح والإيمان أنت قهرتها   بأساً، فلان على يديك صليبها
حتى إذا أعيا العدوّ جلادُها   ووهتْ جحافله وطاش وثوبها
عضتْ على كفيه، والتفت على   ساقيه، وانسدت عليه دروبها
ومشت له منها ضراغمُ غابة   كلٌ الردى أخلابها ونيوبها
قذفت به عنها، وغودر جيشه   بَدداً تعقّبُه الحتوف وحُوبها
جثثاً تعاف البيدُ شربَ دمائها   ويعفّ كاسرها ويأنف ذيبها
شرفاً كماةَ النيل أيُّ بطولة   راع الكماةَ فنونها وضروبها
ومواقف لكمو تُشيد بذكرها   دولٌ وراء النار قام رقيبها
وملاحمُ الأبطال في «فلوجة»   قصص الكفاح غريبها وعجيبها
«هومير» ما غنى بها «طروادة»   وكمثلها ما ألهمتهُ حروبها !

ضربوا الحصارَ على الكماةِ فجاءهم   فطن الشجاعةِ في الحروب أريبها
متمرّسٌ بطباعها متفرّسٌ   في روعها، يَقظ الخطى مرهوبها
فادٍ أحمُّ كأنما احترقت به   حربٌ من الميلاد كان نشوبها
فنما وشبّ، عليه من يحمومها   أدَمٌ زَهاهُ من السِّمات مهيبها
طلعت به إفريقيا وتطلّعتْ   آجامُها وجبالها وسهوبها
يزري بما نصب الدُّهاةُ لصيده   ويضلّ أشراكَ الردى ويخيبها
ما زال مصطرعاً يصول ودونه   بيداء يغشاها اللظى ويجوبها
ساق الطغاةُ لها فرائسَ فتنة   حمراء ينفخ في الجحيم ربوبها
عرضت مآتمها بهم وتقدّمت   أمم تمور على الرمال ذنوبُها
حتى رأته كوى السماء فتفتحتْ   وتلألأت بسنى السلام ثقوبها
ومشى الكميُّ أشمّ بين رجاله   أبطال حرب لا يقر سليبها
لن يُستذلّ ثرىً عليه دماؤهم   سالتْ. لقد روّى الحياة صبيبها

يا أيها الأبطالُ مصرُ إليكمو   بالغار يَستبقُ الشبيبةَ شِيبها
وعقائلٌ خلف الخدور هواتفٌ   كالطير أذّنَ بالصباح هبوبُها
ينثرن بالريحان فوق رؤوسكم   طاقات ورد ليس يذهب طيبها
وهفت غمائمُ في السماء تُظلّكم   ويرفّ مُصعَدُها لكم ومصيبها
وعلى طريق المجد من «فلوجة»   مُهجٌ حوائمُ، في التراب وجيبها
شهداؤكم ودّوا هناك لو أنهم   قدموا بألوية يروع خضيبها
طلعوا بنور الفجر فوق مآذن   تدعو، ورحمنُ السماء يجيبها
هاتوا حديث الحرب كيف تطامنتْ   لكمو مفازعُها وهان عصيبها
في قرية محصورة كسفينة   في لجةٍ هاجت وماج غضوبها
لم تدرِ فيها الريحُ أين قرارها   والشمس أين شروقُها وغروبها
كم حدّثوا عنها وقالوا في غدٍ   للقاع تهوى أو يحينُ رسوبها
وبمصر والدنيا عيونُ أحبةٍ   ألسهدُ والألم الممضُّ حبيبها
ترعى النهار، وتتقي غسق الدجى   هذا يُطمئنها وذاك يريبها
إيه حُماةَ الشرق كم بجهادكم   تشدو العصورُ بعيدها وقريبها
هذي الضفافُ وهذه داراتكم   داراتُ شمس لا يحول شبوبها
ترنو لكم وتكاد من أشواقها   تمشي إليكم حرّاً كهاو دبيبها؟
لم لا أغنيكم قوافيَ التي   غنى بملحمة الحياة طروبها
هي من روائعكم ووحي جديدها   منكم، ومني في البيان رنينها
بالله إن طُفتم بساحةِ عاهل   ترعاهُ مصرُ عيونُها وقلوبها
فتقدّموا تحت اللواء وقرّبوا   هذي السيوف الداميات غروبها
أحيت له ولمصر أيّ مجادة   هي زُخرُهُ الأنورُ وهو وهوبها
هيهات تُنبتُ تربةٌ غيرَ العلى   ما دام يُسقى بالدماء خصيبها

علي محمود طه

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول العبقرية والحرمان :

أستاذى ... ...

قرأت لكم مقالا تحت عنوان « العبقرية والحرمان » بأحد أعداد الرسالة الزهراء . وكنت ككل كتاباتك ملهماً مبدعاً حتى أننى قرأت المقال مرات ومرات ، واستوقف نظرى بين ثناياه كلمات كتبتها عن « بيرون » الشاعر الإنجليزى العظيم عندما تقول : « إن بيرون فى الأدب الإنجليزى قد أبدع أعظم آثاره الفنية وهو يتقلب فى بحبوحة من العيش لا تتهيأ إلا لمن كان فى مثل مركزه الاجتماعى العظيم » .. وفى الوقت نفسه تحاول السيدة أمينة السعيد فى كتابها عن شاعرنا هذا ، وهو أحد أعداد سلسلة « اقرأ » أن تنقض هذا الرأى وأن تقول إن التاريخ الأدبى لم يخلد « بيرون » وأشعاره إلا يوم أن كان يعيش تحت ظلال الحرمان ! وإليك هذه السطور التى كتبتها عنه : « كانت طبيعة بيرون الحقة إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلمه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وإذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وظل على هذا الحال طوال حياته ، فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأكثرها خلوداً » . إلى هنا ينتهى رأى الكاتبة الأديبة . وهو رأى يحتاج إلى التأمل العميق والحكم بأى الرأيين أصوب ... إننا نقدس حرية قلمك ونزاهته ، ونأمل أن يكون الرد على صفحات الرسالة .

عبد العال حسن اسماعيل
(معهد فؤاد الأول بأسيوط)

أشكر للأديب الفاضل كريم التقدير وأدب الخطاب ، وأسجل إعجابى بهؤلاء الشباب المخلصين للأدب والفن من طلاب الأزهر فى هذه الأيام ؛ وإنها لظاهرة تبشر بالخير فى مجال خلق جيل جديد يقرأ ويناقش وينهل من ينابيع المعرفة فى شتى فنون الفكر وألوانه ... من حق هذا الجيل الجديد أن أحييه على صفحات « الرسالة » ، لأن الكثرة الغالبة فيما أتلقاه من رسائل ممتازة هى من طلاب الأزهر لا من طلاب الجامعة !

بعد هذا أجيب الأديب الفاضل بأن هذه الكلمات التى جرى بها قلم السيدة أمينة السعيد تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى ، وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون .. ولقد كنت أرجو أن يكون رأى الأديبة المصرية قائماً على دراسة شعر بيرون مرتبطاً بحياته ومقترناً بطبيعته النفسية والخلقية ، ولو أجهدت نفسها فى هذه الدراسة لخرجت برأى غير الرأى ونظرة غير النظرة ، ولكن كتابها فى ميزان أدب التراجم لا يعدو أن يكون قصة طريفة تدور حوادثها حول شخصية بيرون ومغامراته ونزواته ورحلاته ! ومعنى هذا أن الدراسة النقدية لشعره لم تحظ من قلمها بنصيب ، وكذلك الدراسة النفسية فى مجال الكشف عن صلة الفن بالحياة ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل ما يتلقاه من هزات القلب والشعور !

شخصية بيرون الأدبية والإنسانية شخصية جلية المعالم واضحة السمات . لقد انحدر من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناؤها عن آباء ، ولكن بيرون خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة ومواهب الفنان ، ولقد خففت هذه من حدة تلك فلم يلق الحياة بالشر المطلق الذى يلغى الإحساس بالألم العارض والهم العابر ووخزات الضمير .. كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة العاطفة ، لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الرجل الجميل المدلل الذى لا يمد عينيه أبداً إلى أمام ! وفى محيط الشر والإثم كان « الفنان » الذى فى دمه يستيقظ من حين إلى حين ، ومن هنا كان بيرون يتألم ولكنه الألم العابر كما قلت ، يطرق بابه ليرتد عنه بعد لحظات أمام جوح الشباب المترف الذى يحطم فى سبيل غايته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! الألم فى حياة بيرون لم يكن ألماً بالمعنى المفهوم عند شاعر مثل هاينى ، ولكنه كان لوناً من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هذا التحرر كانت تنبعث أغانيه ... حلوة ، صافية ، عميقة . لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحواً والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار حنجرة

ساخطة ، ثائرة ، تنعى هذا الظلام الذى لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء! من هذه الكلمات الوجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التى لا غموض فيها ولا تعقيد . . . يقول بيرون : « لقد هببت من نومى ذات صباح فألفيتنى مشهوراً يتردد اسمى على كل لسان » ، قالها بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى أيدى الناشرين فدفعوا باسمه إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذى حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلدهارولد » ، وإنه فى رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! . . . لقد جادت قريحته الوثابة بهذا الشعر فى لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون فى ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقــة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به عباب البحر إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هى الحياة .. الحياة التى كانت تفجر الشعر فى أعماقه تفجيراً ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك فى « تشايلدهارولد » !

وإذا ما تردى بيرون فى هوة الإثم والفسق والفجور سعدت نزواته وسعد فنه وسعد قراؤه .. إنها لحظات الصفاء بالنسبة لرجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الجامحة الشريرة فى شخص « أوجاستا » أخته من أبيه . . ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » ، وهى القصة الشعرية التى تصور قصة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سـليم » أو قصة الهوى الآثم بين « أوجاستا » و « بيرون » على التحقيق ! صحيح أنه سجل ألمه المنبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولـكن الحقيقة التى بقيت لنا من شـعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك .. يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعـكاس صادق من الحياة على الشعور .

إن العبقريات كما سبق أن قلت معادن : بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال .. ومن البعض الأول كان بيرون ، ومن البعض الثانى كان هاينى ، ومن البعض الثالث كان جوركى ، ولعل فى هذه المجالة ما يهدى الأديبة المصرية إلى معالم الطريق !

الى صديقى الفنان المجهول :

رسالتك القوية الروح نقلتنى إلى عالمك .: إن عالمك كما بدا لى من خلال كلماتك ترفرف عليه الإنسانية بجناح من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان . لقد ناديتنى بهذه الـكلمات العميقة : « أخى فى الفن ، أخي فى النقد ، أخى فى العروبة ، أخى فى الإسلام ، أخى فى سماوات الفن الإنسانى الرفيع » .. وشاء ذوقك المصفى أن تضفى على قلمى المتواضع من الثناء الجم ما لا طاقة لى على ذكره !

لماذا آثرت ألا تذكر لى اسمك ؟ إننى أود أن أعرفك أيها « الإنسان » .. ويسرنى أن تبعث إلى بشىء من إنتاجك لأراك رأى الفـكر حين يعز على أن أراك رأى العين !

تسألنى ما هى الأبحاث التى تغلغلت إلى الأعمـاق وحازت قبولى ، وما القصص الذى قدرته وما التراجم والدواوين والأبحاث النقدية التى أرى فيها ومضاً من فـكر ونوراً من حس ، وإدراكا للقيم الحقيقية دون التفات إلى البهرج الزائف والغلاف المصنوع؟

معذرة إذا قلت لك إن هـذا السؤال يحتاج إلى شىء من التحديد ، فأنا لا أدرى إذا كنت تريد الجواب عن هذا كله فى نطاق الأدب العربى أم فى نطاق الأدب الغربى أم فى نطاقيهما معاً ! إننى فى انتظار رسالة منك تحدد لى فيها ما تريد الجواب عنه.

ولك ياصديقى المجهول تحية ملؤها الود الخالص والتقدير العميق

لحظات مع ايليا أبى ماضى :

قلت فى عدد مضى من « الرسالة » إن فى شعر المهجر شيئاً يثير إعجابى ، وأوثره بتقديرى ، وأشعر نحوه بتجارب الفـكر والعاطفة ... ذلك هو عمق الصلة بين الفن والحياة ! الحياة فى شعر المهجر نفس عميق ، وهمس رفيق ، ونبع شعور متدفق . ولعل هذه القصيدة التى صدح بها أبو ماضى فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له فى دمشق من خير ما قرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شـاعرية ... عنوان القصيدة « عجباً لقومى » ، ومطلعها هذه الأبيات :

حى الشـآم مهنداً وكتاباً ۔ والغوطـة الخضراء والمحرابا
ليست قبابا ما رأيت وإنما ۔ عزم تمرد فاستطال قبـــابا
فالثم بروحك أرضهـا تلثم عصوراً للعـلى سـكنت حصى وترابا

هنا وفى كثير من شـعر أبى ماضى تلمس الصدق فى الفن كما تلمس الصدق فى الشعور ، وحسب الشاعر المطبوع أن يعبر عن وقع الحياة على وجدانه فيصدق فى التعبير ، وحسبه أن تمر به

التجربة الشعورية فيسجلها فى صدق وأمانة ، وحسب الناقد أن يقنع بمظاهر الصدق الشعورى فى تلوين الصورة ، وأن ينشد بعد ذلك مظاهر الصنعة الفنية فى إبراز الإطار ! أرأيت إلى التناسب النادر بين ضخامة اللفظ والمعنى والخيال فى البيت الثانى ، وإلى قوة الوثبات التعبيرية والنقلات الموسيقية فى البيت الثالث ؟ إن الإيقاع هنا يتعاون مع التعبير فإذا الشعور ينساب مع رنين الكلمات ويهتز تجاوباً مع درجات السلم الموسيقى : فالثم بروحك أرضها — تلثم عصوراً للعلى — سكنت حصى وترابا .. إن التوزيع الإيقاعى هنا أشبه بتوزيع الضوء فى يد مهندس فنان !

وانظر إلى هـذا التوزيع الممتاز مرة أخرى حين يخاطب « بردى » بهذه الهمسات :

روح أطل من السماء عشـية ... فرأى الجمال هنا لحن فذابا
وصفا وشف فأوشكت ضفاته ... تنساب من وجه به منسـابا
بردى ذكرتك للعطاشى فارتووا ... وبنى الهوى فترشفوك رضـابا
مرت بك الأدهار لم تخبث ولم ... تفسـد وكم خبث الزمان وطـابا

وإذا ما انتقل أبو ماضى من مناجاة « بردى » إلى مناجاة «شهيد ميسلون» نقلك معه من أفق إلى أفق .. إن صوته الهامس هناك قد بدأ يعلو هنا فى نبرات قوية صاخبة ، وكذلك موسيقاه . إنها لم تعد تلك الأنغام الهادئة الوديعة التى تنطلق من ناى أشبه بناى الرعاة ، ولـكنها تستحيل هنا أنغاماً أخرى تهز مسمعيك منها ضربات موسيقية عاصفة ، كتلك التى تطالعك من «صوناتة» لبيتهوفن قبل أن تشرف على الانتهاء :

إنى لأزهى بالفتى وأحبـــه ... يهوى الحياة مشقة وصـعابا
ويضوع عطراً كلما شد الأسى ... بيديه يعرك قلبـــه الوثابا
ويسـيل ماء إن حواه فدفد ... وإذا طواه الليـل شع شهابا
وإذا العواصف حجبت وجـه السما ... جـــدل العواصف للسما أسـبابا

هنا لون من الغناء .، ولـكنه الغناء الحماسى الملتهب الذى يتلاءم وشعر الملاحم ، وهكذا يكون الشعر : همسا فى مواضع الهمس ، وحرقا فى مواقف الحنين ، وارتفاع نبض وجهرة صوت فى لحظات التوهج والتوثب والانطلاق ! . . وقف طويلا أمام هـذه الصورة الفنية التى ا كتملت لها الأبعاد والزوايا فى مجال التسلسل التعبيرى : يضوع عطراً إذا ما عرك قلبه الأسى — يسيل ماء إذا ما حواه فدفد — يشع شهابا إذا ما طواه ليل — يجدل العواصف أسـباباً للسماء إذا ما حجبت العواصف وجه السماء ... إن الشاعر هنا لا ينظم فحسب ، ولـكنه يشرف من قمة الفن على الحركة النفسية فى شعره ، كما يشرف الجندى البارع من فوق منصته على حركة المرور فى ميدان يموج بالعابرين !

بعد هذه المناجاة الحارة لشهيد ميسلون يضرب أبو ماضى بجناحيه القويين فى أفق أخر ، حين يعرض لموقف العرب المتخاذل من القضية الفلسطينية . . . ومعذرة إذا ما اقتصرت على ترديد أبياته فى هذا المجال بينى وبين نفسى لأن قلم الرقيب هناك ! حسبى أن أثبت هنا هذه الصرخات :

دنيـاك يا وطن العروبة غابة ... حشـدت عليك أراقماً وذئابا
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً ... واجعل لسـانك مخلباً أو نابا
لا شرع فى الغابات إلا شرعها ... فدع الـكلام شـكاية وعتابا
هذى هى الدنيـا التى أحببتها ... وسقيت غيرك حبهـا أ كوابا

إن وراء هذا الشعر شاعراً جبار الجناحين مكتمل الأداة !

رأى فى ترجمة آلام فرتر :

فى جلسة جمعت بين نفر من أسرة « الرسـالة » وزائرى ندوتها الأدبية ، دار حديث عابر حول الـكلمة التى عقبت بها على رأى الأستاذ سلامة موسى فى ترجمة آلام فرتر للشـاعر الألمـانى جيته . . . وكان التعليق الوحيد من الأستاذ صاحب « الرسالة » هو أن مد يده إلى أحد أدراج مكتبه ، ثم أخرج منه رسـالة بعث بها إليه المستشرق الألمانى الدكتور جولياس جرمانوس حول ترجمته العربية لآلام فرتر . وتناولت الرسـالة وقرأتها فإذا هى قطعة من التقدير العميق والإعجاب البالغ ، بترجمة يقول عنها الدكتور جرمانوس إنها تستحق منه خالص التهنئة على مطابقتها للأصلين الألمانى والفرنسى ، مطابقة بلغت الغاية فى الأمانة والصدق وبلاغة الأداء !

ولم أجد بداً فى سبيل تحديد القيم ووضع كل شىء فى مكانه ، من أن أطلب إلى الأستاذ الزيات أن يأذن لى بترجمة هذه الرسالة التى فرض عليه التواضع أن تبقى فى مـكتبه دون أن يطلع عليها الناس ... وفى العدد المقبل أقدم الترجمة العربية لرأى المستشرق الألمانى فى ترجمة صاحب « الرسالة » لآلام فرتر .

مع الأعماق ولوعة الذكرى :

لو علم الأستاذ كامل محمود حبيب أى جراح أثارتها فى نفسى قصته ، لتردد طويلا قبل أن يتفضل مشكوراً بإهدائها إلى ... أيها الأديب الصديق ، لماذا بعثت بكلماتك من طوايا حلم دفنته ، أشلاء ماض جريح ؟ إن هذا الماضى الذى تنهد يوماً فى سحيق عظامى ، ستجيبك أطيافه فى العدد المقبل وتناجيك رؤاه !

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والفن في المعرض :

لم يخل المعرض الزراعي الصناعي القـام في الجزيرة ، من روائع الفنون ، وأهمها الرسم والنحت . وأبرز ناحية تجلى فيها الفن بالمعرض « متحف الحضارة » الذي يمثل الحضارة المصرية من العصر الحجري القديم إلى العصر الحديث ، بالتماثيل والنماذج واللوحات والخرائط . وأول ما يطالع القادم على المتحف تمثال كبير للانسان الحجري القديم وقف في مدخل كهفه ، والمنظر رائع من غير شك ، والتمثال موفق التكوين من حيث الدلالة على فكرته ، غير أن باب الكهف الحجري محكم منتظم الشكل مما لا يتفق مع العصر الذي يمثله ، وفي القرى المصرية الآن أبواب أقل منه إحكاماً وانتظاماً ، وما يتصور العقل أن يكون باب الكهف في العصر الحجري القديم أكثر من حجر غير منتظم يسد به المدخل على قدر الإمكان البدائي .

ويشتمل المتحف على حجرات خصص كل منها لتمثيل عصر من العصور ، وقد احتوت على مجسمات ورسوم وأدوات تصور مظاهر الحياة في العصر . وأنت تحتاج إلى نحو ساعة تطالع فيها تلك المعروضات الفنية ، فما تنتهي منها إلا وقد ألممت بالخصائص البارزة في عصور التاريخ بمصر ، من العصور البدائية إلى أن ترى الفاروق يرفع العلم المصري على القلعة ، ويوزع الإقطاعيات على صغار المزارعين ، ويضع الحجر الأساسي لمشروع كهربة خزان أسوان ، ولو تأخر الفراغ من إعداد المتحف قليلا لرأيت به الفاروق يعانق بطل الفالوجة الأميرالاي السيد طه بك في يوم عيد البطولة .

وقد استرعى انتباهي في المتحف ما كتب على كل من المناظر الطبيعية المجسمة وهو « ديوراما (١) » و « ديوراما (٢) » الخ . والكلمة تدل على المنظر الطبيعي المجسم . ويقول المشرف على المتحف : لم يضع لنا المجمع اللغوي كلمة عربية بدل « ديوراما » والمتحف كله عربي مصري صنعاً ولغة ما عدا (الديوراما) .

وقد انتثرت في المعرض — عدا متحف الحضارة — آثار فنية جميلة ، وخاصة في معرض وزارة المعارف الذي صفت به تماثيل فريق من أعلام النهضة المصرية في شتى النواحي : كمصطفى كامل ، ومحمد عبده ، وعلي مبارك ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، ومختار المثال وغيرهم . وهناك مكان خصص لمعروضات دار الكتب المصرية التي تتكون من بعض المخطوطات ، وقد وقف جماعة من الطلبة الأزهريين الزائرين إزاء « متن الكافية » يقرؤون بعض عباراته ويتضاحكون ولسان حالهم يقول : هذه الكتب وراءنا وأمامنا !

وفي معرض نقابة الصحفيين رأيت العدد الأول من جريدة « الأهرام » العريقة ، وفي صدره مقال بغير عنوان أوله : « كيفما وجه العاقل أفكاره باحثاً عن حركة العالم الإنساني يرى فروع الحوادث راجعة إلى أصل واحد » فقرأت المقال وسرت مع الكاتب وهو يبحث عن حركة العالم الإنساني ، حتى انتهيت إلى آخره حيث يقول :

« فنلتزم وقتئذ بعد معاناة البحث أن نرجع هذه الفروع إلى أصل واحد أنتج هـذه النتائج وندعوه بالمقال ودليل الحال حب ذات غير مرتب أصدر طمعاً فعل ما ترى » وهذا الحكم المبنى على « التأمل في حركة العالم الإنساني » يدل على أن العالم كان في ذلك العهد كما هو الآن : يسوده « حب ذات » وإن كان قد صار « مرتباً » و « فعل ما ترى » لا يزال الطمع « يصدره » فالعالم هو هو لم يتغير غير الشكل وطريقة التعبير ...

ولا أريد أن أمعن في التأمل والفلسفة كما أمعن كاتبنا القديم فأنتقل إلى « الأخبار البرقية الواردة إلى الاسكندرية » وليس السجع في العنوان فقط ، فهذا أيضاً مطلع الأخبار البرقية : « باريز في ٣٠ تموز » ولو أن صحف اليوم تلتزم مثل ذلك النسق لكنا نقرأ فيها مثل « قصر شايو في ٣٠ مايو » .

ولعل من مظاهر الفنون الجيلة في المعرض ، الرقص ... رقص الخيل على نغمات الموسيقى البلدية . ويظهر أن فن الرقص أصيل لدى الفرس ؛ فإن مشيتها العادية تبدو فيها مخايل الفن

والمدربون الذين يرقصونها يتجهون بها إلى «هز الأرداف» ولو أن الفرنسيين التفتوا إلى موهبة الرقص فى الخيل لاتجهوا بها إلى (الباليه) ومن يدرى ؟

وبعد أن ترى تلك المظاهر الفنية فى المعرض العام تدلف إلى « حديقة الملاهى » فتشاهد الاعتــــداء المنكر على جمال الطبيعة فى حديقة الجزيرة التى كانت من أجمل منازه القاهرة وأحفلها بالجمال ، وطالما كانت مرتاداً للأدباء والفنانين ، ومجلى للقرائح ، ومراحاً للناشئة وقد كنا حين نكتب فى موضوعات الإنشاء عن «البساط السندسى » نتخيل أرض تلك الحديقـة الخضراء الناضرة ، فليس من الهين أن نرى الآن ذلك البساط يطوى لتحل محله الأراجيح و « الأميرة بنورة المسحورة أعجوبة الزمان وتحفة القرن العشرين التى تخرج من زهرية الورد وتتكلم ... »

وقد تبدل زوار الحديقـة خلقاً آخر ، فبعد أن كان يغشاها رواد الطبيعة والهدوء أفراداً حالمين ، أومثنى حبيبين ، أو زرافات مرحين ؛ صارت مطلباً للراغبين فى لعب الولدان وعبث الطفولة ، ومكسباً لذوى الحيلة ، فى ابتزاز الأموال ، من الأجانب .

كشكول الأسبوع

▫ نظمت شاعرة انجليزية هى مسز ج . ب . ويكسرن — أبياتاً بالانجليزية لمناسبة عودة أبطال الفلوجة ، ورفعتها إلى مقام صاحب الجلالة الملك . ومنها ما ترجمته :

« أيها الصناديد ، أبناء مصر أرض الأمل ، أبشروا فهذه ساعتكم العظيمة » .

▫ رأى معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف أن التقدير الأدبى للمرحوم الجارم بك يقضي بتقرير تعليم أبنائه بالمجان فى جميع مراحل التعليم ، فكتب بذلك إلى مجلس الوزراء للموافقة .

▫ استقال معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى من رياسة المجمع العلمى العراقى ، لصدور قانون بالعراق يمنع الجمع بين عضوية البرلمان وأى منصب آخر ما عدا الوزارة . ومما يذكر — على سبيل المماثلة — أن معالى الأستاذ لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عضو بمجلس الشيوخ .

▫ نشرت جريدة « الهاتف » البغدادية افتتاحية عتبت فيها على الشبيبى ، لأنه ذكر بعض الأسماء وبعض الصحف والمجلات دون بعض ، فى محاضرته عن النهضة الأدبية بالعراق فى مجمع اللغة بالقاهرة .

▫ دعا الأستاذ خليل سكاكينى ، فى بحث له بالمجمع اللغوى ، إلى إلغاء قواعد اللغة بجملتها بدل محاولة تيسيرها مرة بعد مرة ، ويرى الأستاذ أن يكسب الناشئ الملكة اللغوية من الكلام الفصيح بعرضه عليه ومخاطبته به وتكليفه القياس عليه فى التعبير عما بنفسه .

▫ كانت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف قد طلبت إلى الدكتور ابراهيم ناجى أن يقوم بترجمة ما يختاره لشكسبير ، لنشره ضمن الكتب المختارة للترجمة . وهو الآن يترجم قصة « شتاء » .

▫ قام الأستاذ محمود لطفى أمين مكتبة المجمع اللغوى ، بتصوير كتاب « التهذيب » للأزهرى المخطوط بدار الكتب ، وضمت النسخة المصورة إلى مكتبة المجمع .

▫ ثارت بالأهرام مناقشة حول (الفول المدمس) فقائل يقول إن أصل الكلمة « مدمث » أى ملين ، وآخر يرجعها إلى « التدميس » بمعنى التغطية والستر . ولا شك أن « الطعمية » هى أيضاً تستحق مثل هذا الاهتمام فهى (أم الفلافل)

وأذكر بذلك أن إخواننا السودانيين يطلقون كلمة «مدمس» على (الفول) الذى نسميه نحن « سودانى » ويطلقون على مدمسنا (الفول المصرى) .

▫ تعمل الجمعية الزراعية على ترجمة بعض الأفلام الزراعية لعرضها فى القسم الخاص بها فى المعرض فى أوائل أبريل القادم .

▫ قال كاتب فرنسى : لو أننا أعددنا كمية من الورق قطعاً صغيرة وكتبنا فى كل منها كلمة تنتهى بلفظة (لزم) كالريالزم والسريالزم والسوشيالزم ، ثم وضعنا الورق فى قبعة وخلطناه فيها لحصلنا من مجموع هذه الكلمات على فصل الفلسفة .

صور شعرية للشعراء :

أعلنت رابطة الأدباء يوم الأحد الماضى عن حديث فى ناديها عنوانه « رأى شاعر فى شعراء الجيل » يعرضه الأستاذ على الجبلاطى ، والشاعر المقصود هو الأستاذ أحمد مخيمر ، وقد نظم رأيه فى خمسة وأربعين شاعراً ، أو صنع لكل منهم — كما يراه — صورة شعرية بأبيات اتبع فيها طريقة أبى العلاء المعرى فى « لزوم ما لا يلزم »

وقال الأستاذ الجبلاطى إنه يقصد عرض لون من الشعر وإثارة الآراء فيه . وقد استمعنا إلى هذه الأشعار ، وطربنا لبعض ما تضمنته من دعابات وما بدا فى بعضها من ومضات ولكنى ألاحظ أن أكثرها تنقصه عناصر الصورة الأساسية وهى ملامح الشخصية الشعرية والقليل ما تبدو فيه هذه الملامح ومن هذا القليل قوله فى الدكتور زكى مبارك :

أديب بنى مجداً وصيتاً ورفعة
وما فتئ القدار يهدم ما يبنى
فليت الألى ، عابوا عليه غروره
رأوا ما يلاقى من عقوق ومن غبن

وقوله فى الأستاذ محمود حسن إسماعيل :

قد ينظم الشعر ولكن يعجمه
فشعره أفق توارت أنجمه

وراء كل خاطر منجمــه
فيا ذوى القـدرة من يترجمـه ؟
قد ضاع من بين يدىّ معجمه

ومنه ما قال فى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ، وأوله قوله :

متأنق فى شعره ولباسه فكأنه لقريضه كواء

أما الكثير الذى يفقد ملامح الصورة ، فهو إما مدح أو هجاء والهجاء هو الغالب ، وقد نال به من شعراء أفاضل . ويحسن بخيمر صنعاً لو أنه طوى هذا النوع من شعره ، فنشرُه يجنى على مايبدع من ألوان أخرى ، وحسبه « لزوم ما لا يلزم » فى القافية !

بين صديقى الأستاذ الأسمر وبينى :

قرأت ما كتبه صديقى الفاضل الأستاذ محمد الأسمر فى العدد الماضى من « الرسالة » رداً على ما كتبته فى الصلة بين قصيدته فى رثاء المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وبين قصيدة الزين فى حافظ إبراهيم . والحق أن كرم الأستاذ الصديق فى الرد أسرنى وكادت محاسنته تمسكنى عن معاودة الموضوع ، لولا منازعة القلم إلى إزالة الغبار عن الحقائق الأدبية فيما يلى :

١ — قال صديقى الأستاذ الأسمر : « إن قصيدة الزين رحمه الله لا علم لى بها » وقال : « ولا هى من المتداول المعروف بين الناس » وأنا لا دخل لى فى علمه ، ولكن أقول إن القصيدة متداولة معروفة بين الأدباء ، ومما يدل على ذلك أنى لما أردت كتابة الموضوع ورأيت أن أتثبت من نصها ، قصدت إلى دار الكتب المصرية ، وما إن أبديت رغبتى فى الاطلاع على قصيدة الزين حتى بادرني الأستاذ أحمد حسين بالقسم الأدبى فى الدار ، بأن القصيدة لديه وأنه نسخها بخطه وقت نشرها لإعجابه بها ، وفى نفس الوقت أسرع بعض الحاضرين إلى إنشادها .

٢ — نعم ليست المعانى المطروقة ملكاً لشاعر دون آخر ، والموافقات اللفظية جائزة الوقوع بين الشعراء ، ولكن الأمثلة التى أتى بها الأستاذ الأسمر ذاتها تدل على أن الأمر فى ذلك لم يعد العبارة أو الشطرة أو الخاطرة . والذى معنا موافقة ستة أبيات لخمسة فى بعض الألفاظ ، وفى المعانى باختلاف يسير فيها ، مع اتحاد الوزن والقافية ؛ فهل يصح أن نسمى اجتماع كل ذلك مواردة ؟

٣ — لم أتنبه لأخذ الجارم من قصيدة شوقى فى إسماعيل صبرى ، وليست هذه أول مرة يأخذ فيها الجارم من شوقى . وارتكاب أحد أمراً لا يسوغ أن تأتى مثله .

وللصديق الكريم تحيتى ووداى ...

من الأعماق :

يسرنى أن أكون أول قارئ لصديق الأستاذ كامل محمود حبيب ، يبدى رأيه فى ختام قصة « من الأعماق » المنشورة فى رسالة الأسبوع الماضى ، فأقول إن موقف جلال موقف غريب إذ يصر على الزواج من إلهام بعد أن يعلم أن فى حياتها شاباً آخر هو عادل ، فمن أبسط الأشياء عند الخطبة أن يتحرى الخاطب عن مثل ذلك حتى لا يعانى شقاء العيش مع زوجته المتوقعة إن كانت تحب رجلا آخر ، ولكنا نرى الحقيقة تسعى إلى جلال ، ومع هذا لا يزال يصر ! فهو إذ ينسحب من الميدان لا يكون مضحياً بل ناجياً بجلده من الشقاء الذى ينتظره .

ولكن المشكلة — فيما يظهر لى — إنما هى كيف يقتنع جلال بضرورة الإنسحاب ، أو كيف يحمل على ذلك ؟ أرى أن يبتعد عادل قليلاً ويترك المعركة تدور بين كرامة جلال — ولابد أن يستشعرها مع الزمن والتكرار — وبين فتور إلهام وإعراضها عنه ، ويمت عادل بالمدد إلى قلبها من بعيد ، وسترى الأم سوء حال ابنتها فتشفق عليها وتتحول إلى جانب عادل فتكون عاملا مهما فى إنهاء الموقف ، بحيث يرى الضابط ضرورة فوز كرامته فى المعركة بالانسحاب ...

عباس خضر



أين العلوم فى (الرسالة) ؟

يسأل الأستاذ عبد المنعم العزيزى الأستاذ أنور المداوى : « أين العلوم فى مجلة الرسالة » فى حين أن هذه المجلة تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » .

لا تلومن الرسالة يا سيدى لأنه إذا كانت كبرى المجلات المخصصة للعلوم قد انمسخت وخلعت عنها ثوب العلم لكى تكتسى ثوباً فضفاضاً ملوناً مزخرفاً لا يمت إلى العلم بشىء ، فلا غبار على الرسالة إذا اقتصرت على الأدب لأن فرسان الأدب كثار والأدب أقرب منالاً من العلم . وإذا كانت المجلة الموسومة بالعلم لم تخصص عُشر صفحاتها لمقالة علمية واحدة لأن بين قرائها عشرة بالمئة على الأقل يفهمون العلم ويودونه ، فلا بدع أن تحرم الرسالة ١٠ بالمئة من قرائها من قطرات العلم مع أن فى قرائها ٢٠ و ٣٠ بالمئة من أهل العلم ويتوقون إلى الاطلاع على ما يستجد من النظريات العلمية ؛ فإذا خصصت الرسالة فى كل عدد ٤ أو ٦ أو ٨ أعمدة لبحث علمى تكون قد أتمت رسالتها وبزت غيرها .

فى معظم ما تصدره مطابعنا من دوريات ورسالات وكتب لا تحيد عن الأدب ، ومعظمه أدب قديم نلوكه ثم نتقيؤه وقد نتقيؤه زنخاً ، وليس فى دور العلم إلا المؤلفات التعليمية للمدارس وطلاب العلم .

ما من مدنية قامت على الأدب وحده . وقد يمكن أن تقوم مدنية على العلم وحده . إن مدنية العالم الحديثة قامت على العلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلكية والطبية الخ . فإذا شئنا نحن أن نبنى فى شرقنا العربى مدنية خاصة بنا يجب أن نحذو حذو أوربا وأميركا فى العناية الأولى بالعلوم ، وإلا فنحن وراء وراء وراء . ولا يمكن أن نتقدم إلى الأمام .

اليابانيون فى قرن واحد شرعوا ينافسون الغرب ؛ لأنهم اقتبسوا العلم من الغرب، حتى إنهم اقتبسوا لغة غربية لكى يتعلموا العلوم بها فأصبحت اللغة الرئيسية لهم . أما أن نقتصر على زخرف الكلام والطباعة فى صحافتنا فما هو إلا مرفين يخدر العقول ويطمس الصواب .

يحفزنى الأستاذ أنور المداوى إلى كتابة بعض مقالات علمية فى الرسالة لكى تستوفى الرسالة حقها من العلم كما تستوفى حقها من الأدب والفن . فأشكره له حسن ظنه بى وقد ألبى طلبه وإن كنت فى العلم دون ما يظن . وله وللعزيزى أطيب تحياتى .

٢ ش البورصة الجديدة
نقولا الحداد

أدب القصة وأدب المعقب :

تفضل الأستاذ الكبير محرر (التعقيبات) فتناول مقالى عن أدب القصة القصيرة بتعقيب جاء صورة صادقة لأدبه ، فقد توهم أننى عنيته بمقالى، كأن الرسالة مجلة منزلية تنشر وتطبع له وحده ، أما القراء فلا حساب لهم ، وراح يحاسبنى — متهكما — على الوقوف منه موقف الأستاذية وهو ما لم يجر فى خاطرى أبداً . وما توهمت لحظة واحدة أننى أقرر جديداً فى أمر القصة ، إنما هى خواطر مرسلة ليس لى فيها إلا فضل الدراسة والتحصيل والاستنتاج ، وأقول بكل تواضع أننى واثق تماماً من صحتها .

وقد ترك المعقب كل ما أوردت فى مقالى من حقائق — لأنه لا يستطيع هو ولا غيره أن ينقص منها حرفاً واحداً — وأمسك بتلابيبى ليحاسبنى على ما توهمه ولم أقله مما يثبت جموح النفس وتمكن شهوة التهكم وتجريح الناس من نفسه .

قال الأستاذ الغاضب « ... ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفنى فى القصة القصيرة مجال محدود ... » فى حين أننى لم أقل إلا العبارة التالية : « من السذاجة أن يقول قائل إن الأقصوصة ليست ميداناً لعرض صور الحياة المختلفة بما تحفل به من كثرة وعمق وغنى وتنوع » وقد استنتج هو من عندياته أن عكس ما أقول لا بد أن يكون غير صحيح ، كأننا بصدد قضية جدلية ! كما أننى لم أقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ، ولم أذهب إلى أن القصة القصيرة تبلغ أعلى مراتبها فى كل حين ، بل ذكرت أمثلة محدودة وقلت إن الشخصيات الفذة هى التى ترقى بالأقصوصة إلى مرتبة الأدب العالى الشامل العميق ؛ ومن البديهى أن مجال الأقصوصة فى أيدى العاديين من الكتاب مجال محدود .

كما أننى لم أنكر مطلقاً — وليس هذا تراجعاً منى — أن القصة الطويلة أوسع مجالاً من القصة القصيرة أو أنها الميدان الوحيد الذى يتسع لدراسة تطور الشخصيات وتفاعلها مع الحياة دراسة وافية ، بل قلت إن الأقصوصة يجب أن تدور حول محور واحد وتعالج أمراً واحداً معالجة خاطفة فكيف استخرج الأستاذ المعقب من مقالى ما ذهب هو إليه ؟؟

ولماذا يحب الأستاذ المعقب أن يضع نفسه دائماً فى بؤرة الضوء ويلتمس لذلك شتى الحيل فيتوهم أنه المعنى بالحديث ، ويقول للناس إن الكتاب يرسلون إليه كتبهم راجين أن ينقدها ويفترض أنه الناقد المثالى الأول فيملن فى زهو وصرامة أنه وجد أكثرها تافهاً لا يستحق العناء ؟!

ويختم الأستاذ كلمته بقوله إننى فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية فى مباراة القصة القصيرة التى أقامتها وزارة المعارف ، ومعنى هذا أن هيئة التحكيم لم تقدر فنى ... أليست هذه مغالطة تكشف عن عنصر آخر من عناصر نفسية كاتبها ؟ ؟ ...

نصرى عطا الله

مدمس :

نشرت الأهرام كلمة لأحد الباحثين تحت عنوان « بين العامية والفصحى » ادعى فيها أن (المدمس) أصله (المدمث) بالثاء المثلثة بمعنى اللين ؛ وأقول إن هذا ليس بصحيح وإليك الأدلة :

أولا : اشتراك المدمس والمدمث فى صفة وهى اللين لا يبرر أنه محرف عنه .

ثانياً : المدمس إدام مصرى وطعام محلى بحت وهو غير معروف للعرب .

ثالثاً : جاء فى « محيط المحيط » للبستانى ما نصه : المدمس طعام فى بلاد مصر يصنعونه من الفول المسلوق والخل والملح والزيت اه . ولم يقل أنه محرف عن المدمث مع أنه يعنى دائماً بالألفاظ الحديثة والكلمات الدخيلة .

رابعاً : جاء فى مادة (دمس) ما نصه : دمسه فى الشىء تدميساً دفنه وخبأه وأخفاه وغطاه وستره اه . ومن هذا أخذ المصريون كلمة المدمس وأطلقوها على الفول المطهى بوساطة الحمام أو الفرن أو نحوهما لأنه يوضع فى قدر بها ماء ويسد فمها جيداً وتدفن فى الرماد الحار حتى تنضج .

خامساً : يمكن اشتقاق كلمة المدمس من (الدمس) بكسر الدال وتسكين الميم وهو ما يتخلف من روث المواشى ويتخذ وقوداً يوضع فى الفرن ونحوه فيتخلف عنه رماد حار توضع فيه القدر بالطريقة السالفة .

سادساً : تسمع فى الريف كلمة (الدمسة) بكسر الدال وتسين الميم وهى عبارة عن مكان محفور أو غير محفور يوضع فيه الدمس السابق وتشعل فيه النار للتدفئة وغيرها ، ويقولون دمس الدمسة دمسا إذا وضع فيها الدمس . ومما يؤيد هذا : الفطير الدمامى ، وهو المصنوع على الدمس .

على حسن هلال

محرر بالمجمع اللغوى

بين نقد وفجر :

أرسل إلينا الأستاذ عبد الرحمن الحميسى يقول إن لديه رداً على ما أخذه عليه الأستاذ المداوى فى « التعقيبات » ، ويرجو أن يفرغ منه هذا الأسبوع لينشر فى العدد القادم .

فصيح ثعلب والشروح التى عليه :

مجموعة جديدة فى فقه اللغة أخرجها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس بكلية اللغة ونشرتها مكتبة التوحيد بالجاميز فى نحو الخمسمائة صفحة .

وتشمل هذه المجموعة : كتاب فصيح اللغة لثعلب ، و كتاب شرح الفصيح للهروى ، و كتاب ذيل الفصيح للبغدادى ، و كتاب فعلت للزجاج ، و كتاب الاشتقاق الكبير لابن دريد . وكلها من أمهات الكتب فى اللغة العربية وفقهها .

ومع هذه المجموعة : دراسات وتحقيقات جديدة قيمة فى اللغة ، وشروح وتعليقات وافية .

ونشر معها لأول مرة فى تاريخ الثقافة العربية شواهد الكتاب لسيبويه مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مع الإشارة إلى مواضع الشواهد من الكتاب لسيبويه .

ونحن فى غنى عن التنويه بهذا العمل العلمى ، وبقيمته اللغوية وأهميته للدارسين والباحثين .

ويطلب الكتاب من مكتبة التوحيد بالجاميز أمام الخديوية وثمن النسخة خمسة وثلاثون قرشاً .



وميض الأدب
بين غيوم السياسة
لصاحب المعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا

بقلم الأستاذ أحمد أحمد العجمى

معالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا وزير المواصلات ورئيس جامعة أدباء العروبة علم من أعلام الشعر والأدب والسياسة ، وهو بشخصه العظيم وأدبه الرفيع فى غنى عن الإشادة بذكره والتنويه بفضله . وآخر الدلائل على علو منزلته فى الشعر والنثر ، ورسوخ قدمه فى النقد والتحليل ، كتابه القيم « وميض الأدب بين غيوم السياسة » .

ولعل السبب الأول فى نشر هذا الكتاب حب المؤلف للشعر حباً سافراً متوقداً يجمله بقول عن القصائد : « وقد أكبر بعضها فأقرؤها واقفاً عند الوثبات التى تتخلل الشعر ... والشعر سحر وفتنة ، وقد افتتنت به ؛ وفيه خيال ، وفى الخيال تسلية ولذة ؛ وهو موسيقى ، وفى الموسيقى طرب وترويح وبهجة ؛ وهو مناجاة تتصل بالروح فتستولى على الشعور وتملك الوجدان . وأعتقد أن الذى لا يهتز لجيد الشعر جاهل أو بليد ، أما الجاهل فلا شأن لنابه ، وأما البليد فله عذره ، لأنه لم يخلق نفسه ، على ألا يلوم غيره ، وويل للشجى من الخلى » .

بهذا الكلام الجميل ، وبهذا الشعور العميق ، وبهذا القلم الصناع تناول المؤلف فى كتابه أكثر الشعراء والكتاب المعاصرين ، فتحدث عن حافظ إبراهيم فى موضعين حديثاً ألم فيه بميلاده ونشأته ونواحى نبوغه وذيوع شعره وما كان بين حافظ وبين « بنى أباظة » من ود وإعجاب . ثم كتب عن شوقى فصلا صور فيه سحره وعبقريته وجمعه بين الثقافتين العربية والغربية ، وتوفيقه البارع فى نظم رواياته الشعرية خاصة « مجنون ليلى » التى كان المؤلف يحفظها عن ظهر قلب . وسجل لأحمد محرم أكبر نصر ظفر به حين قال عنه : إنه شاعر الإسلام غير منازع فى عصرنا هذا ، وأشاد بالإلياذة الإسلامية ورجا من معالى وزير المعارف طبعها .

وكتب عن خليل مطران بك شاعر القطرين وأبدى إعجابه بتقدير الناس له وكيف انعقد الإجماع على حبه ، ونوه بتجديده وبشعره الرقيق فى الغزل وقال : إننى مولع بشعر مطران كل الولع .

ثم كتب المؤلف مقدمته الخالدة لديوان الدكتور إبراهيم ناجى « ليالى القاهرة » فأفاض فى الحديث عن الجديد والقديم ، وعن اللفظ والمعنى ، وعن طرق تعبير المدرسة الحديثة فى الشعر ، وكيف قوبلت هذه المدرسة بالحرب العوان ، وكيف انتصرت هذه المدرسة التى يمثلها ناجى . وأشار إلى الفروق الدقيقة بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة فى الشعر والتفكير ، وإلى شخصية ناجى وطابعه الواضح وعاطفته المتأججة فى كل أشعاره الطريفة ، وقال عنه : إننى لأحب هذا الشاعر كل الحب ، ولا أعتقد أن حبى طغى على تقديرى له ، فهو شاعر رقيق تصل معانيه إلى قلبك قبل أن تصل إليه ألفاظه فى طلاوة وسهولة . وقال : إن ديوانه يمثل نهضة الشعر المعاصر وتطوره . ولعل هذا الفصل أبدع وأروع فصول الكتاب

ثم أبدى المؤلف إعجابه بالأستاذ محمود غنيم وقال : إن ديوانه « صرخة فى واد » صرخة الأدب الرفيع سيرن صداها على مدى الأجيال بين آفاق العروبة . ونوه بخصائص الأستاذ العوضى الوكيل فى ديوانه الجميل « أصداء بعيدة » وأظهر خصائصه قدرته على سرعة النظم سرعة تكاد تكون ارتجالاً ، وإجادته فى الربيعيات خاصة فى ديوانه « أغانى الربيع » ، ونظم الشعر الرائع فى أسرته وأولاده حتى أعد ديواناً كاملاً سماه « عالمى الصغير » . وقال المؤلف عن الشاعر : فأنا إذ أقدمه إلى قراء الشعر العربى الحديث أقدم موضوعاً كاملاً من الأدب العالى والفن الرفيع .

وقص علينا كيف لقى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى فى « غزالة » لأول مرة فى مقدمته لديوانه « أحلام الفجر » — وسيصدر قريباً — وقال عنه : إنه شاعر تنبض العاطفة الجياشة فى كل ما يصادف القارئ من قصائده ومقطوعاته ، وشبه ديوانه بالمعرض الفنى العظيم ، وعلل كيف يراه بحترياً متنبيا فى آن ، أو شوقيًّا عقاديًّا معاً .

ويمتاز ما كتبه الناقد العبقرى صاحب « وميض الأدب » فى الشاعرين : العوضى والغزالى بقوة التحليل ودقة التعليل

وبراعة التذليل والربط بين الشاعرين وأشعارهما برباط محكم لصلتهما به منذ زمان طويل .

وفى وميض الأدب كلمة عن الأستاذ الصاوى شعلان صدر بها كتابه « حكمة الشرق » وبين فيها مقدرته على الترجمة ومعرفته كثيراً من اللغات وفى الكتاب نص الكلمة القيمة التى نشرت فى صدر الرسالة منذ شهور بعنوان « أدباؤنا المعاصرون » يليها نموذج رائع من شعر الشاعر الكبير دسوقى باشا بعنوان « مصر والصين » وهو شعر جدير بوزير . ولا بد من التنويه هنا بأبحاث عظيمة فى الكتاب مثل « لماذا حاربنا الصهيونية » و « من مهرجان العروبة » وقصيدة العقاد فى تكريم المؤلف ، وهي قصيدة قيمة ، ومقدمة ضافية للعقاد فى صلة الأباظية بالأدب وحبهم له ، ومنزلة الدسوقى باشا وفضله على الأدب والأدباء ، وفى آخر الكتاب كلمة مناسبة للناشرين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب الذى وفق فيه معالى إبراهيم دسوقى أباظة باشا ودل على مقدرة بارعة وإحاطة واسعة بوفرة ما تمثل به من أشعار الشعراء ، وكان اختياره الحسن دليلا ناطقاً وبرهاناً صادقاً على ذوقه الرفيع .

ولم يخل الكتاب من مناقشات طريفة لبعض آراء كبار الأدباء ، كمناقشة المؤلف رأى الأستاذ عباس محمود العقاد فى الشاعر المجدد خليل مطران ، ومناقشته رأى الدكتور طه حسين بك فى مراثى الشاعر الخالد حافظ إبراهيم للأباظيين ، ومناقشته رأى أستاذ الجيل لطفى السيد باشا فى شوقى وحافظ ، والمؤلف يبدى آراءه ويدلى بحجج قوية ناصعة تخالف هؤلاء الأعلام ، والرجوع إليها فى الكتاب أفضل من تلخيصها فى كلمات.

وللمؤلف تعبيرات جديدة محكمة كقوله : لغة الشعر غير لغة القاموس ؛ وتعبيرات سديدة حاسمة كقوله : فى رأيى أن الشاعر المجدد تمنيه الفكرة ويتصباه الموضوع ، وربما أبعده هذا عن جمال الأسلوب وإشراق الديباجة وحلاوة التعبير ؛ وتعبيرات لغوية دقيقة كقوله : أمسى اليتيم لطيما « واليتيم من مات أبوه واللطيم من مات أبواه والعجى من ماتت أمه » وتعبيرات ساخرة لاذعة كقوله : فليسمح لى الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك أن أشك فى إسناده هذا الرأى لأستاذنا الكبير لطفى السيد باشا ؛ وتعبيرات لطيفة ظريفة مرحة كقوله فى التعليق على قول مطران :

أقسمتُ ما أشركتُ فيكِ ولم يكن
لى فى الهوى دينٌ سوى التوحيد

بهذا البيت اعترف المطران بالإسلام دين التوحيد فاشهدوا عليه ! !

وتعبيرات أخرى يخفى مدلولها على كثير من القراء كقوله : هل يكون الشاعر الأول — بين شعراء الشباب — إبراهيم ناجى أم أبا شادى أم غنيما أم العوضى الوكيل أم أحمد الغزالى أم خيمرا أم حماما ؛ وكتابة الأسماء بهذا الشكل الملفوف فيها ترتيب مقصود إلا فى اسم أو اسمين .

وفى الكتاب بعض آراء تقبل المناقشة ، ولا خير فى كتاب أدب وشعر ونقد ليس فيه آراء تقبل المناقشة ، كقول أديبنا الكبير فى شوقى : « تستدبر الأجيال ألف عام حتى تعثر على من يقف فى صفه ويصح أن يقارن به ، شاعر واحد بعد ألف عام لك أن تفاضل بينه وبين شوقى — إنه المتنبى » هذا كلام يمليه حب شديد لشوقى يوشك أن يكون غلواً أو تعصباً ، والمتنبى يفوق شوقى بقدر ما بينهما من عدد السنوات !!

وقد فضل المؤلف قصيدة خليل مطران على قصيدة حافظ إبراهيم فى رثاء البارودى ، وهى القصيدة المشهورة التى مطلعها :

ردوا علىّ بيانى بعد محمود ... إنى عييتُ وأعيا الشعر مجهودى

بسبب بيت واحد فى قصيدة مطران هو :

على الشمس أن تهدى البصرين ... وليس على الشمس أن تبصرا !

والبيت رائع جداً ولكن قصيدة حافظ أفضل بالرغم من أنها لا صلة بالشعر القديم ، وإن كان مطران أعظم من حافظ مع كراهيتى الشديدة تفضيل شاعر على شاعر فلكل فنان مزاياه .

ويقول المؤلف : محمود غنيم شاعر مرموق المكانة يقف فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين وليس فى بلاد العرب من لا يعترف له بذلك ! ويبدو أننى — بحق وصدق — من بلاد العجم ، لأننى لا أعترف بأن « محمود غنيم » فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين ، مع إعجابى بفنه الرفيع .

بقيت كلمة فى أسلوب صاحب الكتاب ، وقد قدمت منه نماذج كثيرة ، وهو أسلوب ناصع اللون ، واضح الجرس والرنين ، جزل سهل متين النسج ، أقرب إلى الطبع من الصنعة ، وأدنى إلى السحر من الشعر ، وإنه لسحر مبين .

أحمد أحمد العجمى



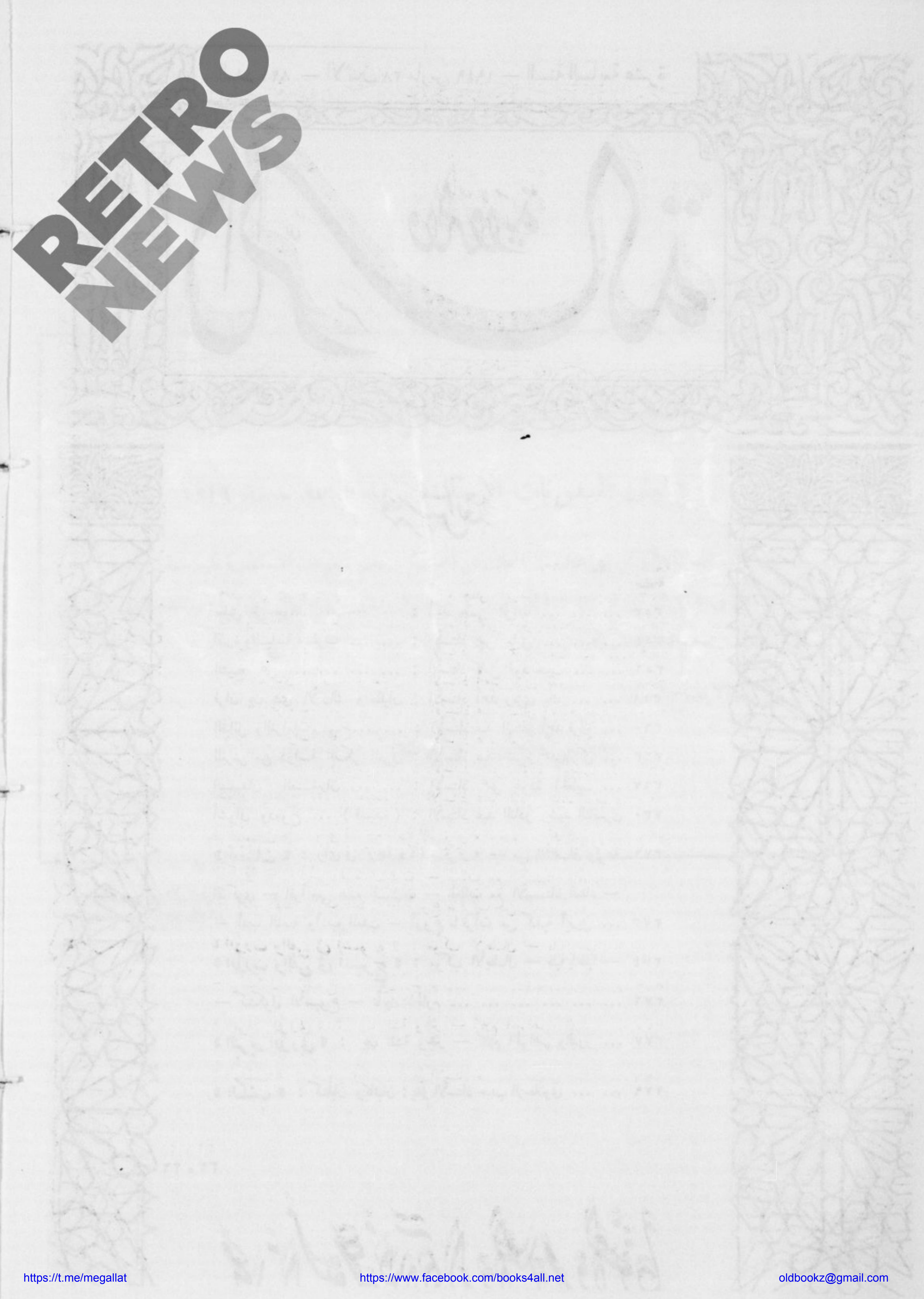
مطبعة الرسالة

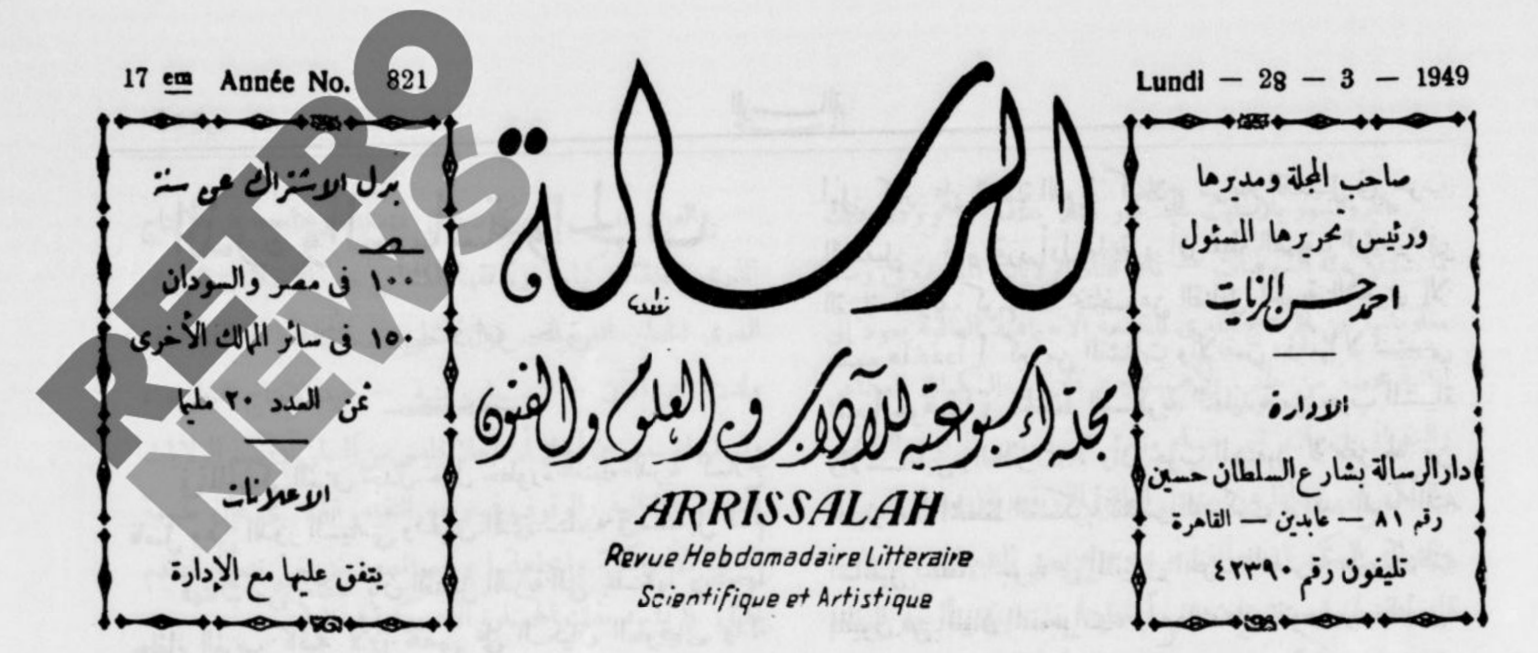




العدد ٨٢١ — الاثنين ٢٨ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

فهرس العدد





العـــدد ٨٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢٨ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

تعليق على جـــواب

صديقى الأستاذ أبا خلدون :

سألتك : هل الشقاق طبع فى العرب ، فأجبتنى أن الشقاق طبع فى جميع الناس . وكما سقت إليك فى سؤالى شهادة التاريخ على شقاق العرب فى الجاهلية والإسلام ، وفى البداوة والحضارة ، وفى الدين والسياسة ، وفى الشدة والرخاء ، سقت إلىّ فى جوابك شهادته على شقاق اليونان والرومان والفرنسيين والألمان فى كل أولئك ! وقصر الشقاق على العرب ، والخلاف على المسلمين ، لم يخطر ببالى حين وجهت إليك سؤالى ؛ فإن من يَقصر الخلاف فى حياة الناس على بعض دون بعض ، كمن يَقصر التقلب فى حال الطبيعة على أرض دون أرض . والله العليم بكل سر والشهيد على كل أمر يقول : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » ؛ إنما قصدت بسؤالى أن أواضعك الرأى فى طبيعة الشقاق العربى الذى لم يحسمه الدين ولم تخففه التجارب : أيصدر عن علة تزول ، أم يصدر عن جِبلَّة تبقى ؟ والذى رابنى من هذا الشقاق ما أراه اليوم من تمرده على الميثاق الجامع ، وخروجه على الرأى الجميع ، وتحديه للخطر المشترك ، لشهوة تستبد ببعض النفوس ، أو لنزوة تعصف ببعض الرءوس ، لا لفلسفة تبرر سياسة الفرقة كما كان عند الإغريق ، ولا لاجتهاد يتوخى سلامة الجماعة كما كان عند الرومان .

أما قولك يا صديقى إن العرب ليسوا بِدْعاً من الأمم فى الشقاق والانشقاق ، فإنى كنت أرفعهم فى نفسى وفى رأيى فوق ذلك ؛ لأن الأمة العربية إحدى أمتين اختارهما الله لإعلان دينه وإعلاء حقه ، فبعث آخر رسله من بينها ، وأنزل دستور شرعه بلسانها ، ووضع ميزان عدله فى يدها ؛ فإذا هى أصاخت كثيرها إلى صوت الغريزة ، واستجابت لدعاء الهوى ، لم تكن حرية بقول الله فيها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . ولا بقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

وأما تفسيرك العرب بالبدو فى قول صديقك ابن خلدون ، فلا يؤخر فى الهَمة ولا يقدم فى الدفاع ، لأنك تعلم أن الموج من العُباب ، وأن العرب من الأعراب ، وأن العصا من العُصَيَّة . والطباع قلما تتغير بانتقال صاحبها من سكنى الوبر إلى سكنى الحجر ، ومن رعاية الإبل إلى رعاية الناس .

وأما تعليلك هذه الصدعات التى أصابت العروبة ففرقت الكلمة وفرقت الدين ، بسرعة الفتح ، واتساع الرقعة ، ومؤونة الانتقال ، وصعوبة الاتصال ، فيضعفه علمك بأن الصدعة الصغرى كانت فى (السقيفة) بعد أن قُبض الرسول ، وأن الصدعة الكبرى كانت فى (الدار) بعد أن قُتل عثمان !

لا يا صديقى ، إن الفردية هى علتنا الأصيلة ، وإن العصبية هى داؤنا الموروث . وإن هاتين الرذيلتين هما جماع الآفات التى مُنى بها العرب ، وعُنى بعلاجها الإسلام . وقد فصَّلت ذلك فى مقالين نشرا فى « وحى الرسالة » . والدليل قائم اليوم يا صديقى على أن الفردية والعصبية لا تزالان توهنان البناء ، وتحللان العقدة ،

الذرة والسياسة والحرب

للأستـــاذ عمر حليق

في المعسكر الغربي جدل حول خطورة القنبلة الذرية كسلاح فاصل وعن الدور السياسي والحربي الذي ستلعبه في مستقبل العالم

فهناك من يعتقد بأن القنابل الذرية التي يملكها وينتجها حلفاء الغرب كافية لأن تقضى على الكيان السوفياتي وآلة حربية في فترة من الصراع المسلح قصيرة الأمد؛ وأنه لا يمكن أن توجد أسلحة دفاعية ضد هذا السلاح الجهنمي .

ويستند أصحاب هذا الاتجاه إلى اختبار اليابان؛ فهذا النوع من التدمير الجهنمي الذي محا مدينتي هيروشيما ونجاساكي شاهد حي على تحليلاتهم وتعليلاتهم وهي تتعرض إلى النواحي الفنية في مفعول القنبلة الذرية وإنتاجها . وعلى رأس أنصار هذا الرأي العالم المعروف البرت إينشتين .

وأصحاب الرأي الثاني متحفظون في نظرتهم إلى سياسة القنبلة الذرية؛ فهم لا يرون في مفعولها هذا الهول العظيم الذي يتصوره الرأي العام العالمي . ومن أبرز أصحاب هذا الرأي العالم البريطاني الشهير البرفسور بلاكيت . P' M' S' Blackett

وهو متخصص في شؤون الذرة، وقد نال مؤخراً جائزة نوبل للعلوم الطبيعية، كما أنه أصـــدر مؤخراً كتاباً ضمنه آراءه بصدد سياسة القنبلة الذرية، فأثار ضجة في المملكة المتحدة في الأوساط العالمية إجمالا، وضرب بذلك مثلا على مكانة العلم وحرية الرأي في ظل الديمقراطية، إذ أن استنتاجاته وتحليلاته تخالف الرأي الرسمي للحكومة البريطانية ولكنها مع ذلك لم تعترض سبيله ولم تنفر من الاستفادة بخبرته العلمية .

ولنعمد إلى عرض فحوى هذا التعليل الذي لا يميل إلى تعليق أمل كبير على القنبلة الذرية كسلاح سريع الفصل في حرب المستقبل . فهو يقرر أول ما يقرر أن نقطة الضعف الرئيسية في القنبلة الذرية كونها لا تختلف عن القنابل الجوية الأخرى إلا بتدميرها عدداً أكبر من المنشئات والأنفس، وأنها لا تستدعى تغييراً جوهرياً في الخطط العسكرية التقليدية من حرب المشاة والأساطيل والطائرات، وأن حرب المستقبل لا مفر لها من اعتبار هذه الخطط العسكرية للنصر العسكري، فقد بلغ ما ألقته أساطيل الحلفاء الجوية على ألمانيا في الحرب المنصرمة مليوناً وثلث المليون من أطنان المتفجرات، ومع ذلك فإن تقرير وزارة الحربية الأمريكية يقول بأن إنتاج ألمانيا الصناعي كان في سنة ١٩٤٤ (بعد أربع سنوات من ابتداء الحرب) أكثر منه في مطالعها سنة ١٩٣٩ . وهذا التقرير الأمريكي الرسمي يعترف صراحة بأن خسران ألمانيا واليابان للحرب كان بسبب فقدان المؤونة من الأغذية والمواد الخام لا بسبب التدمير الجوي — فإن مصانع الحرب في هيروشيما ونجساكي لم تدمرها القنابل الذرية لأنها كانت في الضواحي، وأنه لو تسنى لليابانيين استعمال ملاجىء واقية حصينة لكانت إصاباتهم في الأنفس أخف . فقد كان العالم يجهل آنئذ مفعول القنبلة الذرية فلم يحتط لها بملاجىء واستعداد وقائي يتناسب وخطورتها . ويقول أصحاب هذا التعليل استناداً إلى معرفة فنية بانتاج القنابل الذرية أن هذا الانتاج في الدول التي تملك سر صنعه محدود، وأنها لا تستطيع توفير قنابل كافية لتدمير جميع المدن ومراكز الانتاج الصناعي المادي قبل مضي سنوات عديدة .

والناقدون لهذا التعليل يشيرون إلى أن خبراء القنابل الذرية لدى حلفاء الغرب يعتمدون على ضربة خاطفة على عصب الانتاج لدى العدو بشكل لا يستطيع معه استرداد رباطة جأشه وترميم الخراب والحرب دائرة . وهناك من خبراء الذرة من يعتقد بأن الأنجلوسكسون لا يستطيعون في ظروف السلم إنتاج أكثر من ١٠٠٠ قنبلة في السنة، وهم يقدرون كذلك — ولا يفهم عن مصادر هذا التقدير إلا أنها تستند إلى معرفة تكنولوجية — إن روسيا لن تستطيع إنتاج أول قنبلة ذرية قبل عام ١٩٥٣ . وهذا القصور في السباق يهيء لحلفاء الغرب ذخيرة ٤٠٠٠ قنبلة، وهذا التفوق في الانتاج يمهد للدعوة في بعض أوساط الحلفاء لانهاء الكيان السيوفياتي في أقرب فرصة، وللخلاف على مراقبة الانتاج الذري بين الدول الكبرى عدا تعليلات أخرى سياسية واقتصادية

وتفرقان الجماعة . ولولا أن بيني وبينك ثالثاً يمحو ويثبت، لبينت الأسباب، وعينت الحوادث، وسميت الأشخاص؛ ولكني كضفدع الشاعر التي يقول فيها:

قالت الضـــفدع قولا ردّدتـــه الحكـــماء
في فمي ماء، وهـــل ينـ ـطق مَن في فيه ماء ؟

احمد حسن الزيات

فالبروفسور بلاكيت المذكور مثلا يعتقد — ويردد بذلك ما يشتكي منه السوفيات — بأن عناد الولايات المتحدة فى وضع معلوماتها عن الإنتاج الذرى للخدمة الاجتماعية العالمية يعود إلى أنانية محضة من جانب الأمريكان ، فإن الكيان الصناعي والعمرانى فى بلاد العم سام مثبت على أساس الوقود البترولى والكهربائى ؛ فإذا عم استعمال الطاقة الذرية ، فان ملوك البترول والتوليد الكهربائى وألف نوع ونوع من المنتجات الصناعية المتفرعة منهما سيتضررون ضرراً خطيراً يقلب بعض أوجه النظام الاقتصادى رأساً على عقب ؛ فلا غرابة أن تجاهد واشنطون ومن ورائها ملوك البترول والكهرباء فى سبيل الاحتفاظ بالإنتاج الذرى ضمن نطاق مقيد يراعى فيه مصلحة النظام الاقتصادى الحالى فى أمريكا .

وفوق ذلك فان فى اطلاع روسيا على سر الإنتاج الذرى وتوفير المواد الخام والمساعدة الفنية لهو خطر على تفوق أمريكا الصناعى الفريد . فان الاقتصاد الموجه وسيطرة الدولة على الإنتاج الصناعى فى الاتحاد السوفياتى قد يحقق تعميم الطاقة الذرية فى أقصر وقت على النحو الذى يخشاه ملوك الصناعة والمال فى الولايات المتحدة ، إذ أن ذلك يحقق فى الاتحاد السيوفياتى تطور الحياة الصناعية والاقتصادية على نوع هائل وخطير يضع الولايات المتحدة فى مرتبة ثانوية فى الحضارة المعاصرة والسيادة العالمية .

ويقول أصحاب هذا التعليل الاقتصادى — السياسى : إن مشروع الولايات المتحدة لمراقبة الطاقة الذرية المعروض على هيئة الأمم المتحدة لا يتوخى صادقاً إشراك الدول الأخرى فى سر الإنتاج الذرى ، ولكنه يرمى إلى التعرف على مراكز التجارب الذرية فى الاتحاد السوفياتى متخطياً بذلك الستار الروسى الحديدى عن طريق لجنة مراقبة الأمم المتحدة .

هذه هى وجهة النظر الروسية بصدد مراقبة الذرة .

ويجيب خصوم هذا الرأى مشيرين إلى أن روسيا غنية بالمواد الخام من الفحم والبترول ، وأن قوتها الكهربائية المولّدة أضخم قوة فى العالم على الإطلاق ، وأنها لن تستطيع بأى حال من الأحوال أن تنتج الطاقة الذرية على نطاق واسع قبل مضى ربع قرن على أقل تقدير ؛ ولذلك كان خيراً لها أن تنشط لاستغلال خيراتها بغير الطاقة الذرية .

والقول بأن أمريكا تتحكم متعمدة ومخادعة فى الإنتاج الذرى لتحفظ كيانها وتدفقها الصناعى من الانقلاب الثورى الذرى الخطير المواقب قول خاطىء . فان الطاقة الذرية قد ولدت وهى الآن — لأسباب فنية — قيد الإنتاج البطىء ، ولكنها ستعمم إن آجلا أو عاجلا فليس من المنطق أن تتهم الولايات المتحدة بالأنانية والوقوف فى وجه التقدم الحضرى فإن طبيعة العقلية الأمريكية واتجاهاتها وخصائصها تتوخى تنمية التقدم الآلى كما تشهد بذلك الحضارة الأمريكية الحالية .

* * *

وإذا تركنا هذه التعليلات ورجعنا إلى المسلك الرسمى الذى سلكه حلفاء الغرب فى لجنة الطاقة الذرية التابعة لهيئة الأمم والتى تجتمع الآن فى لايك سكسس للمرة السابعة عشرة وجدناه يتأرجح بين ثلاثة حلول :

واحد منها سلبي ، فالمشروع الأمريكى إذا لم يؤخذ بحذافيره[1] فانه يمنع المعلومات الحيوية منعاً باتاً عن الدول الأخرى .

والثانى إيجابى إلى حد ما رضيت بواسطته الولايات المتحدة مساعدة أعضاء هيئة الأمم فى توفير الإنتاج الذرى بالقدر الذى تحتاج إليه هذه الدول فى صناعتها السلمية . فبذلك تظل واشنطون السيدة الأولى فى مجال التفوق الذرى .

والثالث بريطانى تسوده مسحة المخرج اللبق الذى عرفت به الدبلوماسية البريطانية . فهو يقول إن الخلاف فى جوهره خلاف على الثقة ، وهو يقر المشروع الأمريكى فى أصوله ، ولكنه يطلب تقرر الثقة المتبادلة فى العلاقات الدولية قبل التقيد بالالتزامات الخطيرة .

هذه الأزمة فى الثقة هى عقدة العقد فى الخلافات الدولية ، لأنها تستند إلى تباين فى الميادين والأهداف والسبل . وجميع الحلول التى قدمت ليست سوى محاولات دبلوماسية اللغة مبطنة المقاصد تحاول أن تخرج من المأزق فتنفق الوقت والجهد فى الجدل العقيم ، تذر به الرماد فى عيون الرأى العام العالمى وتستر به استعداداتها للمعركة الفاصلة .

(نيويورك) عمر حليق

(١) راجع بحث للكاتب عن « الخلاف على القنبلة الذرية » فى عدد سابق فى الرسالة

صور من الحياة :

الشيخ على

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا لقسوة الحياة حين تستلب الطائر الغريد من حريته فترغمه على أن يعيش سجيناً يضطرب فى قفص ، يدف بجناحيه بين السياج فلا يستطيع أن ينشرهما . يرى الهواء والماء والشجر من وراء القضبان ولا يجد لذتها ، ويحاول – فى وحدته – أن يترنم بالحان الغابة الشجية فلا تنبعث منه إلا صيحات الأسى والألم ، ثم ينطوى على نفسه فى يأس يستشعر الحزن والكمد ، فالباب مغلق من دونه وماله طاقة بأن يظهره . ولكنه – وهو فى سجنه – لا ينسى أن يسرّى عن نفسه بعض ما يضنيها فيعبث بها ويعبث منها .

***

ما زلت – يا صاحبى – أذكر يوم أن حدثنى أبى حديث سفرى إلى القاهرة لألتحق بالأزهر . فلقد كان لكلماته – إذ ذاك – نغم حلو يبعث فى نفسى اللذة والطرب ، ويشيع فى قلبى السعادة والنشوة ، ويملأ جوانحى مرحاً وسروراً وطافت برأسى أخيلة جميلة جذابة فتراءيت فى عين نفسى شيخاً فيه المهابة والوقار ، وفيه الهدوء والرزانة ، وعلى وجهه سيما العفة والطهر ، يدخل الأزهر فى صمت ويجلس إلى شيخه فى خشوع ، يتأنق فى جبته ، ويختال فى عمامته فابتسمتُ ... ابتسمت حين أحسست بالسمو والعظمة ، فما فى صحابى من رأى القاهرة أو دخل الأزهر ولا مَن لبِس العمامة أو جلس إلى شيخ . ولكن أين أنا الآن مما كان فى خيالى ؟ لقد كان حلماً جميلا يوشك الآن أن ينطفىء ألقه ، فأنا أشعر كأننى أعيش وحدى فى ناحية من الأرض لا أعرف عنها شيئاً ، لا أتفاعل معها ولا تجذبنى هى إليها . وأنا أحس الضيق والملل حين أجدنى بعيداً عن دارى وأهلى لا أرى أبى ولا ألمس عطف أمى ولا أستمتع بالحديث إلى رفاقى فى القرية وجرت الأيام وأنا فى القاهرة أعيش مثلما يعيش الطائر الغريد سُجن فى قفص ، فلا أجد لذة الحياة ولا متعة المدينة ولا رفاهة العيش ، أذوق لذع الغربة وغضاضة الحرمان ، ولا أرى من دنيا القاهرة سوى الأزهر والحجرة وما بينهما فحسب . أغدو إلى الأزهر أستمع إلى شيخى فلا أفهم عنه شيئاً ، وأحفظ كلماته فلا تطرب لها نفسى ، وأستظهر عباراته فلا يهتز لها قلبى . ثم أروح إلى الحجرة التى أسكن لأندفع مع رفاقى فى ثرثرة وهذر ما ينتهيان

وضقت بالحياة هنا فى القاهرة ، وضاقت هى بى ، فذهبت ألتمس لنفسى متنفساً بين صحابى فى الأزهر ، وبين رفاقى فى الحجرة ، فتفجرت حياتى عن لذاذات فيها البهجة والسرور . فنحن – أنا ورفاقى . حين نغدو إلى الأزهر لا نهفو إلى الشيخ ولا نسمى إلى الدرس ، كدأب الطالب المنتسب لا يلصق بشيخ ولا يوثق إلى ميعاد ولا يقيد بدرس ، ولكن ننطلق إلى حماقات الصبى وسفاهات الشباب ، ولكثير من شباب الأزهر حماقات شيطانية تبدو عندما تهب أول نسمة من نسمات الصبح حين يوشك الأزهر أن ينفض عنه سنات النوم ، ومن بعد الظهيرة حين يثقل السكرى أجفان الطلبة من فرط الشبع والامتلاء ، ومن بعد صلاة العشاء حين تنهد الأجسام من أثر الكلال والتعب . فما نبرح فى هزل ومزاح حتى يضج صحن الأزهر ، وحتى يضيق بنا من يتكلف الرزانة ، وحتى يثور من يريد أن يفرغ إلى الدرس أو من يطمع فى أن يهدأ إلى الفراش . فلا نخرج من هناك إلا حين ترتفع فى وجوهنا عصا المشد أو توشك أن تصفعنا نعال الطلبة .

ونحن حين نروح إلى الحجرة نتحلق حلقة واحدة نتفكه بما يفعل أساتذتنا ونتندر بما يقولون ونتهكم عليهم فى عبث وإقذاع . وإن أعجزتنا فنون الحديث أخذ شاعرنا يقرأ طرفاً من قصص أبى زيد الهلالى أو الزناتى خليفة أودياب ، يقرأ فى غير تمتر وينطلق فى غير توقف ، وهو يترنم بما يقرأ فى صوت رقيق جذاب يأخذ اللب ويأسر القلب . وقد نجلس إلى رجال ممن نزحوا عن قريتنا منذ زمان يبتغون سعة من الرزق هنا فى القاهرة فنستمتع معاً بشرب الشاى الأسود ، ويستمتعون هم بوقت جميل فيه المرح واللذة ، ونستمتع نحن بما نسمع من أغانيهم الريفية وألحانهم الشجية ، فتمتلىء الحجرة ضجيجاً تهتز له أرجاء المكان . فلا تهدأ العاصفة إلا حين يدخل الشيخ على فى وقاره المصنوع وهو ينادى بصوت

أجش « الله ، الله ! هذا هو العلم يا مشايخ ! » فينفض السامر في صمت . أما أنا فأنطلق إلى لحافي أتلفف فيه ، أواري ابتسامة السخرية وقد تطلّق بها وجهي .

ولطالما أحسست السعادة بين صحابي في الأزهر ورفاق في الحجرة فما يزعجني إلا هذا الشيخ القزم الممروق ، وهو يثير في نفسي للكآبة والحزن ، وإن حديثه ليبعث فيّ الملل والضيق ، وإن حركاته لتحملني على النفور والبغض ، وإن طباعه لتبذر فيّ غراس الكراهية له والاشمئزاز منه .

والشيخ على فتى ضئيل مهزول تقتحمه العين وتزدريه النفس ، يتعالى حين يحس الصغار ، ويترفع حين يحس الضعة ، ويتكبر حين يحس الذلة ، في وجهه عبوس ، وفي كلامه خشونة ، يتصنع الرقة ويتكلف الظرف . وفي طبعه الشراهة والأنانية فهو يحرمني مال أبي ، فما يحبوني بقرش أشبع به بعض رغبات نفسي ، وإنها لتدفعني إلى أشياء أراها في الشارع ، أهفو نحوها ولا أجد السبيل إليها . وهو يحرمني حاجات القرية ، فأبي يرسل إلى الدجاج والأرز والفطير والعسل والسمن و ... فأراه وأشتهيه ولكن يدي لا تستطيع أن تبلغه ؛ وإن كبريائي لتترفع عن أن تتحدث بهذا لواحد من الناس . وهو فظ لا يجلس إلى واحد منا ولا يتبسط معنا في الحديث ، ولا يلقي إلينا بالتحية ، صلفاً منه وتيهاً ، فهو — في رأي نفسه — شيخ يوشك أن يكون عالماً . ثم هو يتأنق في لباسه الرخيص ويحرص على أن يلبس نفسه — دائماً — ثوب الطاووس .

لشدّ ما غاظني ما أرى من طباع هذا الشيخ وفيها اللؤم والضعة ، ولشد ما ضايقني أن أراه يحاول أن يضعني منه موضع الخادم وأنا شموس صعب ، ولشد ما حزّ في نفسي أن يزعم لنفسه الرئاسة فيريد أن يبسط علينا سلطانه ، وما هو في القرية بشيء .

وثارت شيطانيتي — ذات يوم — ودفعتني إلى أن أعبث بالشيخ فرحتُ أنشيء كلاماً موزوناً مقفى فيه الهجاء القذع والتهكم المر ، والسخرية اللاذعة ، أخاطب به هذا الشيخ القميء ، وأخذت أردده بين رفاق كل مساء في الحجرة ، وفي وقت الظهيرة في صحن الجامع الأزهر ، فما تلبث رفاق أن حفظوه وراحوا يترنمون به وجاءني الشيخ على يفور غضباً ويتوثب غيظاً ، يتكلف الوقار والهدوء ثم صاح في وجهي « أأنت قلت هذا الكلام ؟ » فقلت « نعم ، وويلك إن أنت رفعت يدك أوحركت لسانك ! » وذهل الشيخ لحدبثي حين رأى فيه الجرأة والغلظة ، فقام عني ليكتب إلى أبي يشكوني .

وجاء أبي ليسمع ويرى ، فأغلظ لي في القول وعنف في الحديث ، ولكنه حين أراد أن يعود إلى القرية أعطاني عشرة قروش ... عشرة قروش كاملة ! ورأت طفولتي في نظرات أبي وفي قروشه معاني خفيت على الشيخ نفسه . وسافر أبي إلى القرية ولكن « قصيدتي » ما زالت تلاحق الشيخ في كل مكان ويترنم بها كل لسان .

وضاق صاحبنا بهذا الهجاء فانطلق إلى شيخي ينشر أمامه سفاهتي وقلة أدبي ، وشيخي رجل فظ غليظ جافي اليد واللسان . وأراد شيخي أن يبطش بي ولكنه وجدني لين العود لين العظم ضئيل الجسم فخشي إن هو ضربني أن أتحطم تحت يده أو تحت عصاه ، فنهرني في شدة ثم جذبني من أذني جذبة خِلتُ معها أن رأسي قد انشطر لها شطرين . ورضي الشيخ على ولكن « قصيدتي » ما زالت تلاحقه في كل مكان ويترنم بها كل لسان .

ورضيت نفسي بما فعلتُ . ومرت الأيام والشيخ على يزداد كراهية لي ومقتاً ، وأنا أتمادى في إغاظته وإثارته ، وهو لا يستطيع أن يثأر مني خشية لساني وجرأتي ، وإبقاء على ما يرسله أبي من مال وطعام .

وجاء ابن عمي من القرية — ذات مساء — يحمل معه الطعام والنقود ، وأسررت له أمراً ووافق هو ، فلم تمض ساعة حتى كنت أنا وابن عمي والطعام والنقود جميعاً في حجرة الشيخ حسن .

لقد انفلت الطائر الغرّيد من قفصه ليذر صاحب القفص — الشيخ على — يندب صحبتي حين فقد أطايب الطعام وهي تهطل عليّ من القرية فأتنسم ريحها ولا أتذوقها ، وحين فقد مال أبي وهو كان يستمتع به وأنا أقاسي مرارة الحرمان .

فوداعاً ، وداعاً ، أيها الشيخ القميء ، فما في شراهتك وأنانيتك وبخلك ما يدفعني إلى أن أقول لك : إلى اللقاء ...

كامل محمود حبيب

فزان بين يدي الأتراك والطليان (*)

للأستاذ أحمـــد رمزى بك

المقدمة :

١ — أعبر عن شكرى لهيئة مجلس الإدارة الممثل لرابطة خريجى جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا إذ أتاح لى الفرصة مرة ثانية لكى أتحدث إليكم ، وسيكون حديثى عاماً عن مقاطعة « فزان » وهى الجزء الجنوبى من ليبيا

وهو حديث كما ستسمعونه سهل غير متكلف يعبر عن شعور المتكلم أكثر من أن يكون محاضرة بالمعنى الصحيح ، إذ أننى لا أقصد من هذا تقديم بحث علمى أو تاريخى ، وإنما أتقدم بمعلومات متفرقة ونظرات أوحاها إلىّ ما كان ينطبع فى مخيلتى عند مرور هذا الاسم علىّ فى أوقات مختلفة ومناسبات عدة .

٢ — ولقد اخترت التحدث عن هذا الموضوع لأننى رأيت اسم « فزّان » بارزاً فى الأسابيع الأخيرة ، فهى موضع نزاع قائم بين أهل ليبيا وبرقة الذين يطلبون الوحدة لبلادهم أى لا يفرقون بين الجزء الغربى المسمى ليبيا ، والجزء الشرقى المسمى برقة ، ولا يسلمون بانتزاع الجزء الجنوبى المسمى « فزان » ومع دعاة التقسيم وتوزيع الأسلاب .

٣ — ولا شك أنكم قرأتم فى الصحف أن فرنسا تحتل هذا القسم المسمى « فزّان » وأن السلطات العسكرية المحتلة منعت ممثلى الشعب الليبى ورجال الصحافة العربية من دخول مقاطعة « فزّان » أو الاقتراب من حدودها . فحالت بينهم وبين الاتصال بالسكان . وأترك لحضراتكم تفسير وقع هذا النبأ وأثره فى الضغط على حريات الشعوب المظلومة .

٤ — إن الوحدة الإقليمية التى ينادى بها أهل البلاد هى وحدة قائمة منذ العهد العثمانى ، واستمرت طول الحكم الإيطالى إذ كان يطلق على هذا الإقليم اسم ولاية أو إيالة طرابلس الغرب حتى جاءت إيطاليا واعتدت عليها فأصدر ملكها فى أوائل سنة ١٩١٢ أمراً ملكياً ، جعل الولاية قسمين : قسم ليبيا وقسم برقة وألحقت قائمقامية فزان بالقسم الليبى ، وبقى الحاكم الإيطالى يسيطر على الأقسام جميعها .

٥ — ويجمل الطليان امتداد فزان ٩٠٠ كيلو متراً من الشرق إلى الغرب و ٧٠٠ كيلو متراً من الشمال إلى الجنوب ، ويجملون مساحتها أكثر من ٣٠٠ ألف كيلو متراً وهى كما ترون تتوسط تقريباً الصحراء الكبرى بين وادى النيل وشواطىء المحيط الأطلسى وتكون هضبة يبلغ مستوى ارتفاعها ٥٠٠ متراً فوق مستوى البحر وإن كان يتخللها وديان ومنخفضات تهبط أحياناً إلى ١٥٠ متراً تحت سطح البحر .

٦ — فهى تتمتع بمركز ممتاز جعل منها لمدة قرون مضت ممراً للطريق البرية ، وأصبحت عاصمتها « مرزوق » فى وقت ما مركز تجمع القوافل التى كانت تسير من بلاد المغرب ومن مصر وطرابلس وبرقة فى اتجاهها إلى بلاد السودان وأواسط أفريقيا .

٧ — فالطريق من مصر كان يمر بالجغبوب وجالو وزيلا إلى مرزوق ومنها يتجه جنوباً إلى الأقاليم السودانية ، وأحياناً يتجه إلى حوض النيجر وتمبوكتو .

والمطلع على كتب التاريخ القديمة يذكر الجاليات السودانية التى كانت تأتى من دكرور وتقطن وادى النيل ويحيطها كثير من ملوك مصر وسلاطينها بعطفهم أيام دولتى المماليك ، ثم أتى وقت كانت فيه كل من غات ومرزوق منزلين مهمين من منازل الحجاج المسلمين فى طريقهم من غرب أفريقيا . وأخيراً فقدت المدينتان هذه الأهمية بعد أن اتخذ الحجاج طرق البحر ، وبعد أن أضاعت الأمارات الإسلامية استقلالها فى أفريقيا وخربت الجهات والواحات التى كانت يوماً ما آهلة بالسكان ، عامرة بالمزارع .

ومع هذا فليس ببعيد أن تسترد هذه المناطق منزلة قد تفوق منزلتها الأولى ، إذ أن النصف الثانى من القرن العشرين يخبئ لنا الكثير من المفاجآت وأهمها العودة إلى الطرق العتيقة التى كان أسلافنا يقطعونها فى أيام فإذا بالسيارات تقطعها فى ساعات .

ثلاثة تواريخ هامة يجب أن نضعها أمام حضراتكم حينما نتحدث عن فزان :

(*) ملخص المحاضرة التى ألقاها أحمد رمزى بك ممثل مصر السياسى بسوريا ولبنان من ١٩٣٩ — ١٩٤٤ برابطة خريجى جامعات فرنسا وسويسرة وبلجيكا .

فى مارس سنة ١٩١٤ احتلت إيطاليا مرزوق وخرجت منها فى ديسمبر من نفس السنة .

فى عام ١٩١٧ استردها الأتراك ثم تركوها لأهلها سنة ١٩١٨حتى استعادها الطليان سنة ١٩٢٩

فى ١٢ يناير سنة ١٩٤٣ دخلتها قوات فرنسا الحرة ولا تزال تحتلها إلى اليوم .

وقد أعلن هذا الفتح فى بلاغات ثلاثة عسكرية :

الأول : يصف العمليات الحربية الأخيرة فى الشمال ويعين الجنرال دلانج Delange حاكماً عسكرياً .

الثانى : يعلن سقوط مدينتى سبها ومرزوق معاً .

الثالث : يعدد الأسرى والغنائم ويشيد بعمل الفرق السنغالية التى اشتركت فى المعركة .

٩ — وفى ١٧ يناير سنة ١٩٤٣ أصدر الجنرال ديجول بياناً للسكان جاء فيه :

إلى أهالى فزان الشجعان الكرماء :

أحييكم باسم فرنسا التى حررت بأسلحتها أراضيكم، وستأخذ من الآن فصاعداً على عاتقها حمايتكم .

إن فرنسا ستبقى فى فزان وفى غيرها الصديقة المخلصة لرعاياها المسلمين .

لقد ترتب على هزيمة العدو المشترك أن أصبحت مقاطعتكم تتمتع بالأمن والرفاهية تحت سيطرة فرنسا .

١٠ — ومن ذلك اليوم ، ظهرت نوايا فرنسا فى أن تنتدب على فزان وجاهرت بأنها جزء متمم للمستعمرات الفرنسية أقرب إلى الجزائر وتونس منها إلى ليبيا وبرقة .

بل جاهر رجال فرنسا بأنها المحطة الرئيسية للطريق الجوى بين مدغشقر وفرنسا .

وقيل أن بريطانيا وأمريكا سوف لا تمارضان فى الضم إذا قبلت فرنسا بعض الاشتراطات .

١١ — فما هى فزان حتى تصبح ذات أهمية وموضوع خاص؟ جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى :

هى ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب تقع فى الاقليم الأول ، بها نخل كثير ، ومدينتها زويلة السودان والغالب على ألوان أهلها السواد .

وقد ذكرهم جرير فى شعر له فقال :

قفراً تشابه آجال النعام به عيداً تلاقت به فزان والنوب

مما يشعر أن فزان كان اسماً يطلق على جنس أو قبيل من الناس ، والمسألة تحتاج إلى تحقيق .

١٢ -- ولن أترك هذا القسم من الحديث دون أن أشير إلى باب مشهور من أبواب القاهرة هو باب زويله المعروف باسم باب المتولى ، فقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى جنود الدولة الفاطمية الذين كانوا من هذه المنطقة من أقاليم الصحراء الكبرى .

١٣ — من السهل التعرض إلى وصف الاقليم الفزانى ومظاهر الطبيعة وتضاريسها من وديان وجبال ، والكلام على طرق المواصلات ، فيها وفى داخلها ، كما أنه من المفيد الإشارة إلى توزيع السكان وأصولهم من عرب وبربر ، وعوائدهم وما يسود هذه الجماعات من معتقدات قديمة وأساليب معاشهم؛ ولكن هذه المعلومات موجودة فى المراجع المختلفة ويمكن الاطلاع عليها ، ومجرد ذكرها لا يعد من المواضيع الجديدة التى يصح أن أعرضها فى حديث فرضت من المبدأ أن يكون الغرض منه تنبيه الأفكار للنواحى التاريخية الغامضة من حياة فزان الحديثة والتى تصلح كدروس لنا وتجارب للمستقبل .

١٤ -- وهذه النواحى لا يمكن فصلها عن حياة ليبيا وبرقة ، فلنبدأ بإعطاء صورة من اعتداء إيطاليا على هذا الركن من العالم ، ثم ننتقل إلى تقسيم العمليات الحربية التى كانت فزان مسرحاً لها حتى دخلت قوات فرنسا المحاربة هذه المنطقة وحررتها كما تقول .

(يتبع) أحمد رمزى

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٧ —

من المستحسن بعد أن قدمت في المقال السابق نبذة عن أربع قبائل أن أستقصي خصائص كل قبيلة على حدة مشيراً إلى ما تشارك فيه غيرها أو أحقق ما ينسب إليها وهو بغيرها أحق .

١ — إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم ظل على حاله من بقاء الألف كما هي فيقال فتاى وعصاى ، أما إذا كان قبل ياء المتكلم ألف من حروف الجر « إلى وعلى » أو من الظرف « لدى » فإن الألف تدغم في ياء المتكلم فيقال إلىّ وعلىّ ولدىّ . هذا هو الشائع المستعمل في القبائل العربية ما عدا هذيلاً فإنها تستعمل الجميع استعمالاً واحداً وهو بالإدغام فيقولون فتىّ وعصىّ مثل : إلىّ وعلىّ . قال شاعرهم :

سبقوا هوىّ وأعنقوا لهواهمو فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقد قرأ عبد الله بن أبي إسحق وعاصم الجحدري « قال هي عصىّ أتوكأ عليها » كما قرأهما وعيسى بن عمر « فمن تبع هدىّ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وما شابه ذلك من المقصور المضاف إلى ياء المتكلم قرئ به على لغة هذيل ، اما قراءة الجمهور فهي على اللغة المشهورة .

٢ — « لمّا » يدل في المشهور على الحين أو الشرط إذا كان قبل الفعل الماضي كقوله تعالى : « ولمّا فتحوا متاعهم وجدُوا بضاعتهم رُدَّت إليهم » أو يدل على النفي مع الجزم للمضارع إذا سبقه كقوله تعالى : « كلا لما يقض ما أمَرَه » أما لغة هذيل فيستعمل فيها بمعنى إلا الاستثنائية تقول أقسمت عليك لمّا فعلت كذا أي إلا فعلت كذا . وقد قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر « إن كل نفس لمّا عليها حافظ » بتشديد الميم بمعنى إلا « وإن » في هذه الآية على قراءتهم نافية أي ما كل نفس إلا عليها حافظ . كما جاءت لمّا بمعنى إلا في قراءات صحيحة في سور أخرى .

٣ — ما كان اسما على وزن فَعْلَة مفتوح الفاء وبعده واو ساكنة أو ياء ساكنة فإنه في اللغة المشهورة يجمع جمع مؤنث سالماً على فَعْلَات بإسكان العين بعد الفاء المفتوحة يقال في جمع بيضة وعورة « بيضات وعوْرات » لكن هذيلاً تحرك حرف العلة بالفتح تبعاً لفاء الكلمة يقولون بيضات وعوَرات بفتح الياء والواو . وذكر في تفسير البحر أن الأعمش قرأ « ثلاث عوَرات لكم ... أو الطفل الذين لم يظهروا على عوَرات النساء » بفتح الواو على لغة هذيل . أما الجمهور فقرءوا بالإسكان لكن صاحب البحر نقل نسبة هذا الفتح إلى هذيل وبنى تميم .. ونحن نعلم أن تميماً مبدؤها الغالب إسكان الوسط المتحرك تخفيفاً كما أنه ليس هناك علاقة مجاورة بين القبيلتين حتى تشتركا في ظاهرة قوية كهذه ، ويرجع هذا الخلط إلى أن ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات قال : إن بني تميم يقولون روَضات وجوَزات وعوَرات بتحريك الواو بالفتح وسائر العرب بالإسكان . لكن المشهور في كتب النحو والصرف أن تحريك الواو والياء في مثل جوزات وبيضات هو لغة هذيل بن مدركة وهو ما أرجح صحته لما سبق أن قدمته ، والفراء نسبه إلى هذيل فحسب وقد روى عليه :

أبو بيَضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح

٤ — الفعل أو الاسم المنتهي آخره بياء مكسور ما قبلها تشبع حركته وهي الكسرة في وصل الكلام ووقفه تقول يقضي والقاضي ... الخ أما هذيل فإنها في وصل الكلام تجتزىء بالكسرة عن الياء ولهذا عند الوقف يسكن ما قبل الياء فتضيع وقد أنشد على لغتهم :

كفاك كف ما تُليق درهما
جوداً وأخرى « تمط » بالسيف الدما

وجاء في قراءة سبعية كثيرة ... ذلك ما كنا نبغ ... « يوم تاتِ ... والليل إذا يسر ... وهو الكبير المتعال ... الذين جابوا الصخر بالواد » فبعض القراء يسير على طريقة الهذليين في الوصل والوقف فيسكن ما قبل الياء ويجتزىء بالكسرة وصلا وبعضهم يسير على اللغة المشهورة فيقرءون المتعالي ويسري والوادي .. الخ في الوقف والوصل .

٥ — ذكرت في مقالي سابق أن تميما وقيساً وأسداً وربيعة

يكسرون حرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون أما قبيلة هذيل فإنها تكسر حرف المضارعة إذا كان ثانى فعله الماضى مكسوراً للاشارة إلى أنه فى ماضيه مكسور وأن بعض قبيلة كلب من قضاعة يكسرون جميع أحرف المضارعة أما بهراء وهى من قضاعة فإنها تكسر ما كان أوله التاء فحسب ومع ذلك فإن بهراء هى التى سمى باسمها هذا الكسر فقيل « تلتلة بهراء » فأصبح كثير من الكتاب يخطئون فيحسبون كسر حرف المضارعة على إطلاقه من لهجة بهراء تأثراً بما اشتهر عن ذلك بأنه تلتلتها وبعضهم يخطئ فينسب بهراء إلى تميم وقد رأينا أن بهراء لا تكسر حرف المضارعة إلا إذا كان تاء وعلى العموم فإن القبائل الشمالية وبخاصة النجدية هي التى اشتهرت بكسر حرف المضارعة على التفصيل السابق ولم يشركهم فى بعض هذا إلا هذيل التى تعتبر فى دائرة الحجازيين فيما كان ثانى ماضيه مكسوراً .

وقد رويت أبيات كثيرة فى كتب النحو والمعاجم وفيها كسر حرف المضارعة من ذلك قول الشاعر :

لو قلت ما فى قومها — لم تيثم — يفضلها فى حسب وميسم

أراد لو قلت : ليس فى قومها أحد يفضلها فى الحسب والميسم لم تكن آثما .

وهذا البيت ينطق فى بهراء وتميم وقيس وأسد وربيعة وكلب وهذيل بكسر حرف مضارعه لأن ثانى ماضيه مكسور « أثم » ولأن أول مضارعه التاء ومثل هذا البيت قول الآخر :

قلت لبــواب لديه دارها تيذن ؟ فإنى حمؤها وجارها

أراد : أتأذن ؟ فحذف همزة الاستفهام وقد تقدم بعض ما قرئ به فى مقال سابق .

٦ — نسب صاحب البحر إلى هذيل أنها تبدل الواو المكسورة المصدرة همزة وذلك عند تفسير قوله تعالى « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه » حيث قال « قرأ ابن جبير من إعاء أخيه بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا إشاح وإسادة فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل يبدلون الواو المكسورة الواقعة أولا همزة » وقال الصبان فى حاشيته على الأشمونى : وقرأ أبى ابن كعب وابن جبير الثقفى من إعاء أخيه ...

ونقل عن المرادى : قوله « رأيت فى بعض الكتب أنه لغة هذيل » اهـ ولعل بعض الكتب هو تفسير أبى حيان . أما لسان العرب فقد نسب ذلك إلى قبيلة تميم حيث يقول : إقاط ووقاط جمع وقيط . ولغة تميم فى جمعه إقاط مثل إشاح يصيرون كل واو تجىء على هذا المثال ألفاً « ولعله أراد بهذا المثال » ما كان على وزن فِعال أو فِعالة حيث ورد وشاح وإشاح ووقاط وإقاط ووكاف وإكاف ووعاء وإعاء ووسادة وإسادة وورائة وإرائه ووفادة وإفادة ووقاء وإقاء » وقد يكون أراد بهذا المثال ما كان واواً مكسورة فى أول الكلمة وهو الأظهر فقد ورد « ورب وإرب وورث وإرث ووصر وإصر » حيث يوافق الصبان على الأشمونى فى إطلاقه على ما كان واواً مكسورة مصدرة .

وقد نقل شارح القاموس أيضاً ما ذكره صاحب اللسان .

ويختلف اللغويون فى جواز هذا الإبدال واطراده والقياس عليه أو أنه قاصر على السماع ! فأبو عثمان المازنى يرى أنه مقيس مطرد وغيره يقصره على السماع .

ونحن حين نناقش هذا الإبدال ونريد الترجيح بين نسبته إلى القبيلتين وفى هذه الكتب نجد أنه بتميم ألصق وإليها أقرب وأن ما ذكره أبو حيان وما عزى إلى المرادى فى حاشية الصبان سهو منهما أو خطأ فقد بينت فى المقال الثانى أن هذيلا كالحجازيين لا ينبرون . فإذا كانوا فى المهموز يخففون همزته فكيف يهمزون ما ليس كذلك ! وبينت أيضاً أن قبيلة تميم أحرص العرب على النبر كما أنها قد تلجأ فى إبانة الحرف إلى ما هو أقوى منه وأوضح حتى تنتقل بالهمزة إلى العنعنة وبعضها ينتقل بالياء إلى الجيم فى العجعجة . أما القياس وعدمه فيحتاج إلى قرار يصدره المجمع اللغوى فى جواز ذلك أو قصره على السماع .

وهناك إبدال فى الواو المضمونة المصدرة ولكن لم ينسب إلى قبيلة بعينها أو جهة بخصوصها وقد نقل صاحب لسان العرب عن المازنى قوله : كل واو مضمومة فى أول الكلمة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وإن شئت قلبتها همزة فقلت وُعِد وأُعد ووُجوه وأجوه ووُورى وأورى ... » وورد « وُقتت وأقتت » وذكر أبو حيان فى تفسيره « قرأ الجمهور أقتت بالهمز وشد القاف وقرأ أبو الأشهب وعمرو بن عبيد وعيسى بن عمر وأبو عمرو بالواو

وشد القاف قال عيسى وهى لغة سفلى مضر » اه . وسفلى مضر هى القبائل التى تقارب النجديين أو هى النجديون أما عليا مضر فهى التى تقارب المدينة وما حولها ودنا منها فإما أن « وقتت » بخصوصها هى التى ينطقها سفلى مضر وإما أن يراد بسفلى مضر القبائل القريبة جداً من أهل الحجاز الذين لا ينبرون وهم بعض قيس المجاورون للحجازيين حيث إن الهمز من خصائص النجديين وقلب الواو همزة وهى مضمومة بهم ألصق وبلهجتهم أنسب ، وبخاصة التميميون وقد قيل تميم بن أد وأصله ود . كما ورد فى الواو المصدرة المفتوحة هذا الإبدال بقلة : ورخ وأرخ ووخ وأخ .

ومما يؤيد كون قلب الواو المكسورة من خصائص تميم أن المزهر نسب الإكاف بالهمزة إلى تميم والوكاف بالواو إلى الحجازيين وهذيل تجاورهم أشد المجاورة .

٧ — « متى » اسم يدل على الاستفهام أو الشرط يفيد معنى الزمن فى كليهما فمن الاستفهام قوله تعالى متى نصر الله ومن الشرط قول الشاعر :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد حطباً جزلا وناراً تأججا

أما لغة هذيل فى « متى » فهى استعمالها حرفاً بمعنى « من » الجارة فتعمل عملها وبمعناها سمع من قولهم « أخرجها متى كمه » أى من كمه وروى :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

أراد من لجج فخرجت فى لغتهم عن الأسمية والاستفهام والشرطية . والقرآن الكريم لم تقع « متى » فيه إلا استفهامية

٨ — « الأم » تنطقها القبائل بضم الهمزة ما عدا هذيلاً وهوازن فإنهما يكسران همزتها إذا سبقتها الياء أو الكسرة وقد قرأ بكسر الهمزة « فلإمه الثلث » حمزة والكسائى وقرأ الباقون بضمها .

٩ — تقول هذيل أرجعته وغيرها يقول رجعته ، وجمهور القراء قرءوا ما ورد فى القرآن من الثلاثى : فإن رجعك الله . فرجعناك إلى أمك . ترجعونها . يرجع بعضهم إلى بعض القول وحكى أبو زيد الأنصارى أن المفضل الضبى قرأ : أفلا يرون أن لا يُرجع إليهم قولا . وقال رب أرجعون » من الرباعى على لغة هذيل

١٠ — هذيل وعقيل وطيء يبنون اسم الموصول الدال على الجمع فى حالة الرفع على الواو وفى حالة النصب والجر على الياء وقد جاء على لغتهم :

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

١١ — اشتهر عن هذيل ما يسمى الفحفحة ويعرفونها بأنها قلب الحاء عيناً يقولون فى حتى عتى ، وذكر السيوطى فى كتاب الاقتراح فى أصول النحو أن فحفحة هذيل هي أن يجعلوا الحاء عيناً فيقولون فى هل عل . ولست أدرى من أين جاء بهذا الذى لم يقل به أحد ، بل إن الحاء وإبدالها عيناً لم يذكروا لها إلا عتى فى حتى مما يدل على أن قلبها إنما هو فى هذه الكلمة بخصوصها ويؤيد ذلك ما روى أن عبد الله بن مسعود قرأ : عتى حين ، فلو كان الإبدال مطرداً لقرأ : عتى عين . والذى يبدو لى أن الهذليين يجهرون بالحاء إلى أن تقارب العين وظهر ذلك فى «حتى» بوضوح فجعلها إلى العين أقرب ثم طال بها العهد فصارت فى استعمالهم بخصوصها عتى .

١٢ — كذلك اشتهر عن هذيل والأزد وقيس وسعد بن بكر من قيس والأنصار ما يسمونه الاستنطاء وهو أن يجعلوا العين الساكنة قبل طاء نوناً يقولون أنطى فى أعطى .. والحقيقة أن ما ورد من هذا الاستنطاء هو فى أعطى وتصريفها فحسب ، وهى التى استعملها الرسول فى بعض كتبه حيث قال وأنطوا الثبجة وقرئ عليها إنا أنطيناك الكوثر ، وروى الحديث لا منطى لما منعت ولا مانع لما أنطيت . ولم يرد إلينا أنهم قالوا فى أعطف وأعطب وأعطر وما شابه ذلك : أنطف وأنطب وأنطر . ويخيل إلى أيضاً أن العين فى أعطى دخلها ما يشبه الغنة والإدغام فحولها الأنف إلى ما يشبه النون وبمضى الزمن ورثت على أنها نون وصارت لفظة أنطى مرادفة لأعطى كما أصبحت عتى مرادفة لحتى وليس كل عين ساكنة قبل طاء ينطقونها نوناً ولا كل حاء يبدلونها عيناً ، أما الفحفحة التى ذكرها السيوطى فى الاقتراح فلم أجد من ذكرها غيره وقد تكون الهاء فيها نالت من التقوية عند البدء بها ما جعلها تشبه العين . ولم يرد غير : ألا لغة فى هلا وأل لغة فى هل ولم يقل أحد علا ولا عل .

١٣ — ذكر ابن الجزرى فى غاية النهاية أن هذيلا تكسر أول الماضي المبنى للمجهول إذا كان مضعفاً فيقولون فى رُدَّ بالضم

حول الفكر العربي :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

— ٢ —

إن كانت نهضتنا الثقافية تحتاج إلى تقوية شخصيتنا العربية ، من طريق تجسيم المبادئ الإسلامية فى ظروف الحياة العصرية ، فإنها تحتاج كذلك إلى أن يضع العرب أيديهم على مواضع عبقريتهم التى لمستها الحضارة الغربية ، ومحت معالمها الأصلية التى لن تتضح إلا إذا لجأ العرب إلى دراسة تراثهم الفكرى الذى يعتبر الوثيقة الصادقة الوحيدة التى يختبئ فى ثناياها سمات النبوغ العربى ، وقدراته الفذة ، والذى يسوق البحث فيه إلى معرفة اتجاهات هذا الفكر التى إذا أتيح لها فرص القيام بالأعمال التى تلائمها ، وتتمشى مع نوازعها ، مهرت فى أداء كل ما تكلف به ، وأظهرت براعة فى كل ما يطلبه منها من واجبات سواء أكانت قومية أم دولية . ولذلك يجب على كل من يشتغل بالفكر العربى من العرب أن يراعى هذه الحقيقة ، ويضعها نصب عينيه ، ولا يقف عند حد تحليل العلوم العربية وفنونها ، وإنما يجب أن يتعدى مثل هذه الأبحاث ، ويرمى إلى إبراز مؤهلات العقلية العربية وكفاياتها ، ويهدف إلى رسم الطرق التى تصمم أسس ثقافات جديدة تتفق مع روح المدنية الحديثة ، وتحقق للعرب مآربهم فى الحياة ، ولا ينبغى لأحد من العرب أن يحاكى المستشرقين فى دراستهم للفكر العربى .

لا شك أن المستشرقين هم رواد الباحثين فى الفكر العربى ، وإن كنا نقدر هذا السبق إلا أنهم لم يوجهوا البحث فيه وجهته الصحيحة ، وذلك لأنهم ما أقبلوا على دراسته فى أول الأمر إلا بتأثير نوعين من البواعث : أولهما حب الاستطلاع ومعرفة مدى ما وصلت إليه الثقافة العربية من رقى ، فى وقت كان الغرب يعيش على الفطرة ، فبعثت دراستها فى نفوس الغربيين الحسد والغيرة من تلك الثقافة التى اعتمدوا عليها فى غذائهم الروحى

ردّ بالكسر ، وأن عاصما قرأ « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » بكسر الراء . ويروى أبو حيان أن هذا الكسر لغة بنى ضبة ، وهم بنو عمومة تميم حيث يقول : « قرأ علقمة ويحيى بن وثاب والأعمش » وجدوا بضاعتهم رِدت إليهم « بكسر الراء وهو لغة بنى ضبة » . أما إتحاف البشر فقد نسب قراءة الكسر إلى الحسن فحسب ، واكتفى بأن قال إنها لغة ولم ينسبها إلى قبيلة . ولعل الكسر تشترك فيه القبيلتان .

١٤ — نِعمَ إذا اقترنت بها « ما » تنطقها هذيل بكسرتين فى أولها . أما غيرهم فبإسكان العين أو اختلاس الحركة وقرئ بذلك جميعاً . وهذا وما ينسب إليهم أنهم يقولون المِرء بكسر الميم يقوى اشتراكهم مع ضبة .

١٥ — من ألفاظهم : السرحان والسِّيد بكسر السين معناهما الأسد . الجسة : النار . انتمص الرجل : وتر فلم يطلب ثأره . الجمسوش والجمموس : النخل . التكريم : التكثير . الحساب : الجمع الكثير من الناس . المنج : الرجل . الشبج : الباب العالى البناء . رجل عوّق : جبان . الهكع : السمال . لدّه عن الأمر : حبسه . القمقمانى : الجزار . السنائع : الطرق فى الجبال واحدتها سنيمة . الخلوج من السحاب : المتفرق . المصوب : الجائع الذى كادت أمعاؤه تيبس جوعاً . المبر : جماعة القوم . ويقولون : البوع وغيرهم الباع . ويقولون : السميج وغيرهم السمج . ويقولون صلوته : أصبت صلاة أى ظهره وغيرهم : صليته . وهم وبنو ضمرة يقولون اليازع وغيرهم الوازع . وهم ومن والاهم من أزد السراة يقولون الخزومة ومعناها البقرة . وهم يقولون فى نجد : الساكن الوسط نجد بضمتين . ويقولون : استراب به . وغيرهم : رابه . ويشاركون الحجازيين فى أنهم لا ينبرون . ويشاركون النجديين فى أنهم يقولون الحج بكسر الحاء . وتقول هذيل الضحضاح بمعنى الكثير . واعثقت الأرض : أخصبت . والليث معناه اللسن البليغ .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

فترة طويلة من الزمن ، وأثارت الحقد على حضارة فشلت حملاتهم الصليبية فى القضاء عليها ، فحاول المستشرقون الحط من قيمة هذه الثقافة بالتشكيك فى استعدادات العرب العقلية . والباعث الآخر لا يخرج عن دوافع استعمارية سمت عن طريق الثقافة ، كما سمت عن طريق غيرها من الوسائل : تحطيم روح أمة لم تتهاون فى مقاومة المستعمرين ؛ وقصدت إخضاع العالم العربى بإضعاف الثقة فى مقوماته العقلية وإشعاره بحاجته إلى غيره من الأمم الناهضة ، فيضطر إلى أن يخضع ويقبل سيطرة الغرب ، ويذعن لسيادته . فلا عجب إذاً من تحامل المستشرقين على العرب ، ولا غرابة إذا زعموا أن العقلية العربية عقلية سامية قاصرة عن الخلق ، عاجزة عن استنتاج المعانى المجردة ، غير قادرة على تجاوز الجزئيات المحسوسة ، أو إذا ادعوا أن العرب استمدوا علومهم وفلسفتهم من قدماء اليونانيين الغربيين ، ولا فضل لهم فيما عرفوه من فنون وآداب ومدنية ، فإن معظمها مأخوذ من الفرس والهنود .

ولكن لما أخذت النزعة الاستعمارية تخف باستمرار مقاومة العرب لقوى الاستعمار ، ومناهضة الآراء الاستعمارية ، ومحاولتهم الدائمة لرفع مستواهم المعنوى والمادى ، وإظهار قوة مواهبهم ، وقدرتهم على مجاراة المدنية الحديثة ، والمساهمة فيها ، اختفت تلك الآراء المتطرفة فى العقلية العربية ، وبدأ المستشرقون ينظرون إلى البحث فى الثقافة العربية على أنه ضرب من الهواية العلمية ، ينعمون فيها بفهم فكر ليس من نتاج عقول شعوبهم ، أو يظهرون قسطاً من البراعة فى كشف النقاب عن أسرار إحدى الثقافات القديمة ، أى لا يبغون غير متعة روحية أو نزهة علمية ، ولا ينشدون الكشف عن خواص العقلية العربية ومميزاتها ، ولا يهدفون من وراء ذلك إلى إحياء تراث العرب وبعثه فى صورة تناسب روح الحياة الحديثة ، وتدفع بالشعوب العربية إلى الأمام .

وهذا ما يجب أن يطلبه كل من يبحث من العرب فى آثار ثقافته ، ولا يكتفى بدحض مزاعم المستشرقين وإدعاءاتهم ، أو يرضى باقتفاء أثرهم فى مناهج أبحاثهم العلمية الدقيقة التى تتوخى تحليل الواقع تحليلا موضوعياً بدون أن تهتم بالاستفادة منه فى ترقية مستوى العرب الثقافى ، أى لا تصل هذه الدراسات ماضى العرب بحاضرهم ، أو تربط حياتهم فى عهد الأمويين والعباسيين بحياتهم فى العصور الحديثة ، ولا تنظر إلى التراث العربى على أنه أحد التجارب الثقافية التى مرت بالشعوب العربية ، وأنه يجب أن توجد علاقة وثيقة بين مختلف المراحل الثقافية العربية تبدو فى تطورها الدائم ، وتدفقها المتواصل نحو الرقى والتقدم ، وأن الحضارات المعاصرة يجب أن تهتدى بالحضارات القديمة ، وتتفادى ما وقعت فيه من أخطاء عاقت سيرها الطبيعى . فلو هدف العرب من دراسة فكرهم القديم للكشف عن مقوماتهم العقلية الأصيلة لهيئت لهم السبل لتقوية ما يكتنفها من ضعف ونقص ، وإبراز ما تشتمل عليه من نبوغ ومهارة فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى ، ولتجنبوا كل ما اقترفته سابقاً من أغلاط ، وتمثلوا بكل ما أظهرته من براعة .

إن محاولات كثير من الكتاب لإثبات قدرة الفكر العربى على الابتكار والخلق يستهلك جهوداً عظيمة ، تصرفهم عن البحث الحق فى التراث العربى ؛ وتشغلهم بكتابات بيزنطية لا تقدم ولا تؤخر . فبدلا من أن نتطاحن فى سبيل التدليل على قدرة العرب على تأليف العلوم ، ووضع المذاهب ، وتكوين النظريات ، يجب أن نفتش عن الأسباب التى دعت العرب إلى الأخذ من غيرهم ، وننعم النظر فى الظروف التى نشأت فيها الحضارة العربية ، وتطورت . فان انتقال العرب المفاجىء من بلاد بدوية إلى بلاد ذات مدنية عريقة ومجد ثقافى ، أصابهم بنوع من الذهول ، شل تفكيرهم ، وأفقدهم القدرة على التأمل الحر . ولما حاول العربى أن يندمج فى الحياة الجديدة أخذ يحاكى الشعوب الخاضعة له وهى تفوقه حضارة ومدنية ، وردد علومها وفلسفاتها ، حتى أصبح كأنه صاحب هذه الحضارات . ولكنه ما كاد يلم بمختلف الثقافات حتى تضاربت فى ذهنه ، وتشابكت الاتجاهات الشرقية والغربية ، فأدى ذلك إلى أزمة روحية ظهرت جلية واضحة فى نوبة الشك التى طرأت على نفس الغزالى ، فعبرت بقوة وصدق عن مدى اضطراب الحياة الروحية فى العالم العربى نتيجة لتصادم المذاهب اليونانية بالأفكار الفارسية والهندسية فى العقلية العربية المتشبعة بتعاليم الدين الإسلامى ، فانتاب العرب حيرة فكرية بلبلت أذهانهم وشتتها .

فالبيئة الثقافية التى نشأ فيها الفكر العربى هى التى لم تسمح

له بأن يتدرج فى مراحل النضوج ، مرحلة بعد مرحلة ، وإنما ساقته دفعة واحدة من حالة بدوية إلى حالة راقية ، لم تمهله لينمو نمواً طبيعياً ، وعجلت بنضوجه قبل الأوان فلم تتح له فرص الترقى، أو التمرن على التفكير الذاتى المستقل ، لأنها زودته بثقافات تامة التكوين ، بهرته ، فتعلق بها تعلقاً شديداً لجدتها عليه ، فوقع فى أسرها ، ولم يستطع أن يتخلص منها ، ويتمداها ، لأن ذلك يحتاج إلى فكر تعود التأمل العميق ، ومارس الحياة الثقافية مدة طويلة . وليت تأثير هـذه البيئة الثقافية المعقدة فى الفـكر العربى وقف عند هذا الحد ، بل كما عجلت بنضوجه عجلت بإطفاء جذوته بعد أن أجهدته ، لدرجة أنه بذل كل طاقاته فى استيعاب شتى الثقافات الشرقية والغربية ، فأصابه ضرب من الجمود والركود نتيجة لهذا الإجهاد المفتعل أقعده عن أن ينتج إنتاجاً عربياً خالصاً يتميز به ، فأوحى ذلك للمستشرقين بأن العقلية العربية عاجزة عن الإبداع العلمى ، ولم ينصفوا العرب ويعلنوا أن هذا العجز خارج عن إرادة عقليتهم ولا يرجع إلى أى نقص فيهـا ، وإنما يعود إلى اضطراب الظروف الثقافية التى نشأت فيها هذه العقلية .

بالرغم من كل هذا نبغ بين العرب أفراد قلائل استطاعت عبقريتهم أن تتغلب على هذه الظروف المضطربة ، وتتجاوز ما هو مألوف بينهم من علوم وفنون ، وأبرزت قدرة العقلية العربية فى المجال العلمى ، وابتكرت علوماً جديدة لم ينتبه إليها عامة علماء العرب . ولم يساهم واحد منهم فى ترقيتها . ومن بين هؤلاء المفكرين الأفذاذ عبد القاهر الجرجانى الذى نجح فى وضع نظرية جديدة فى الأدب لم يعهدها العرب من قبـله ، وهى تعتمد على إنعام الذوق فى النصوص الأدبية وكشف أوجه البلاغة فيها ؛ إلا أن هـذا المذهب سريعاً ما ابتلعته النظريات الشائعة التى تستند على المنطق الأرسطى ، ولم يجد له من الأنصار الأكفاء من يرعاه من بعده حتى يستكمل تكوينه . وذلك لإيمان العرب الساذج بسحر المنطق وضرورة تطبيقه على كافة العلوم ليأخذ الصبغة العلمية فى ذلك الوقت . وكذلك الحال بالنسبة لابن خلدون الذى وفق فى تأليف أصول علم جديد أطلق عليه « علم العمران » ويعرف الآن باسم « علم الاجتماع » ابتكرته قريحته التى شغفت بالتاريخ وولعت بملاحظة أحوال مختلف البـلدان التى رحل إليها وتجول فى ربوعها ، واكتسبت ملـكات التفكير المنظم من دراسة الفلسفة بفروعها فساعدته هذه الدراسات وغيرها من العلوم والفنون على استخلاص هذا العلم الذى افتقر من بعده لمن يتعهده ، حتى نسى ونسب وضمه إلى أوجست كونت الفرنسى الذى ظهر بعده بقرون

فأحسب أنه يبدو أن اضطراب البيئة الثقافية ، وتعقدها هو أصل داء الفـكر العربى وعلة أخذه من ثقافات الغير بدون أن يضيف إليها شيئاً كثيراً . ولذلك يجب أن نتعظ بما أصاب عقلية أسلافنا من عقم ، ونجنب فـكرنا الحياة فى أى جو ثقافى خانق يعوق انطلاقه فى عالم الخلق ، ويعرضه لنفس الاتهام السابق ، فتتأ كد مزاعم المستشرقين فى العقليـة العربية . وأول خطوة يجب أن نخطى فى هذا السبيل هو أن نهيئ لأنفسنا بيئة علمية تحث عقولنا على أن تسلك سبلها الطبيعية ، ولا تنخدع ببريق الثقافات الغربية الحديثة ، أو تغتر بما وصل إليه الغرب من مدنية ، وتقبل عليها إقبالا أعمى ، وتظن أن حشو أذهاننا بكافة العلوم والفنون الغربية يعد دليلا على التمدن الصادق ، ويتخذ مقياساً للتثقيف الكامل ، وتغفل عن أن الثقافات الغربية بمـا بلغته من رفعة وعمق ، لا تستطيع أن تنضج العقلية العربية التى تختلف مومّاتها الروحية عن مقومات العقلية الغربية المادية. فلا ينبغى بأى حال أن يقتصر أحد من العرب على التزود بعلوم الغربيين وفنونهم ، بل يجب عليه أن يعتمد اعتماداً رئيسياً فى التثقيف على نتاج عقول أمته ، فينهل من معين الثقافات العربية ، وما يشابهها من الثقافات الشرقية ؛ لأن فـكره فى كنفها يشعر باطمئنان وحرية وانسياب فيستجيب لها ، ويبدع فى شتى نواحى النشاط الفـكرى ، ولا يحس بضغط أية ثقافة غريبة عن مزاجه تلزمه أن يطرق طريقها قسراً ، أو تجبره على أن يتشكل باتجاهاتها بالرغم منه ، فتعرقل تقدمه ، وتهدم ابتكاره .

وهذا لا يعنى أن العربى لا يجب أن يهتدى بتجارب الغرب الثقافية فى تنمية علومه وفنونه ، فإن له جهاداً فـكرياً عظيم الشأن لا يمكن لأمة تريد أن تنهض علمياً أن تستغنى عنه ، أو لا تنتفع بما كسبه هذا الفكر للانسانية من خيرات ، كان لها

أكبر الأثر فيما نحن فيه من حضارة . إلا أنه لا يجوز أن تترك لهذا الفكر أن يسيطر على عقولنا ، أو يتحكم فى أهوائنا ، حتى لا نقع فيما وقع فيه الغزالى من قلق نفسى وارتياب عقلى ، ونمانى شعوراً مؤلماً بالنقص فى قدرتنا العقلية من جراء تضارب نزعاتنا الشرقية بالنزعات الغربية ، الذى قد يحول دون تقدمنا العلمى ، ويجعلنا نحس بحاجتنا الدائمة إلى عون الغرب . فإعداد الجو الثقافى الملائم لطبيعة العقلية العربيه يعتبر الدعامة الأساسية التى تربى عليها النوازع الفكرية تربية حرة تساعد على تشييد حضارة جديدة تنافس الحضارة الغربية .

تلك الحضارة التى لم تعرف طريق المجد إلا بعد أن حطمت قيود الكنيسة التى فرضتها على الفكر ، وتخلصت من استبدال رجال الدين الذين حبسوا العقلية الغربية داخل نطاق التعاليم المسيحية الروحية التى تخالف اتجاهات الغرب التى تميل للمادية ، فكانت حركة النهضة الأوربية التى استغاثت بكفايات الفكر الغربى القديم ، الذى يتمثل فى الفكر اليونانى ، فقامت النهضة الحديثة على أساس بعث ثقافة اليونان ، واستغلال مقوماتها فى خلق حضارة جديدة . وفى هذا الجو الثقافى نجح الفكر الغربى فى أن ينفض عن نفسه ذلك الحمول الذى نشره طغيان الأفكار المسيحية على الروح الغربية ، ووفق فى وضع علوم مبتكرة ، واختراع صناعات متنوعة وآلات كثيرة .

فلم لا يحاكى العربى الغربيين فى هذا العمل ، ويكف عن تقليدهم فى عاداتهم وأخلاقهم ، ويكتفى بما أخذه منهم من ثقافات ويكشف عن مزايا العقلية العربية عن طريق دراسة مخلفات الأفذاذ من العرب أمثال عبد القاهر الجرجانى وابن خلدون وغيرهما دراسة تحليلية ، يحاول أن يستشف منها ميول الفكر العربى الأساسية ، ثم يسعى فى أن يبث هذه الميول فى عقول صغارنا ، حتى يأتى ذلك اليوم الذى ترى أثرها ظاهراً فى كل ناحية من نواحى الحياة العربية .

* * *

ننتهى من هذه المقالة والتى قبلها إلى أن تحقيق نهضتنا الحديثة يعوزه تعاون رجال الدين ورجال الفكر فى جميع البلدان العربية على خلق وسط حضارى تنبسط فيه العقلية العربية ، وتنساب حسب سجيتها ، لا يعوقها أى مؤثر خارجى ولا يفسدها أى عيب داخلى . ولذلك يجب أن يساهم كل من هاتين الفئتين من الرجال فى تنقية الأخلاق العربية ، وتوجيهها أثناء هذه التنقية توجيهاً اجتماعياً صالحاً يتفق مع التعاليم الإسلامية ، ويعود على الوطن العربى بالخير ، ويكسب العرب شخصية قوية ذات لون خاص يميزها عن غيرها من الشعوب . ويمكن أن يستغلوها فى مواجهة المشاكل القومية أو الدولية كما يجب أن يشتركا فى التنقيب عن خواص العقلية العربية ، حتى يمكن لرجال التربية من وضع الطرق التربوية الصحيحة التى تتسق مع العقلية العربية وتنميها إلى أقصى حد يمكن أن تبلغه من الكمال ، ثم استغلالها فى خلق ثقافة عربية جديدة ، تتصل بالحضارات العربية السابقة وتعبر عن حياة العرب الوجدانية والعقلية فى صورة تنسجم مع روح المدنية الحديثة .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

بين بدر وأحد :

الشهيدان الصغيران

للأستاذ عمر عودة الخطيب

— ١ —

قال الفتى عمير بن أبي وقاص لصاحبيه أسامة ورافع وكانوا يلعبون في ظاهر المدينة ، وقد أشرفوا على بيوتها ومساربها :

— هل تريان ما أرى يا صاحبي ؟!

— وما ذا ترى !

— أنظرا . فهاتان رايتان تملوان وتخفقان وما أحسبها إلا الحرب .

— أجل . واسمع هذا التصايح وهذه الجلبة ، وانظر الغبار يجلل الدور ويذهب في السماء ...

— لئن كانت الحرب فوالله لنذهبن مع القوم ، نقاتل في سبيل الله ، ونجاهد تحت لواء رسول الله ...

— لكننا نخشى أن يردنا رسول الله لصغر سننا يا عمير .

— وماذا علينا أن نسير في إثر الجيش، ونتوارى عن الأعين، ونختفي وراء الآكام ، حتى تبدأ المعركة ، وعندها نبرز إلى الميدان ونقاتل المشركين ، ونساهم في إعلاء كلمة الله ، ونستشهد في سبيل هذا الدين ...

— إنه الرأي ورب الكعبة !

وانحدروا إلى المدينة مسرعين ، وقد ذهب كل إلى داره ، يكتم الخبر عن أهله ، ويتجهز للحرب ، ويستعد للقتال ، وكانوا قد تواعدوا على أن يلتقوا جميعاً أمام المسجد ، بعد صلاة الفجر . وأعد كل منهم عدته ، وناموا ليلتهم تلك هانئين وادعين ، يحلمون بالجهاد والنصر المبين ...

— ٢ —

هب (عمير) من نومه ، طرب الفؤاد ، رضى النفس ، هانئ البال ، ومشى نحو النافذة ، يسرح طرفه في ذلك الأفق البعيد ، وكان الليل يتلفت ويسرع في الهروب ، وقد ألح عليه الصبح مسرعاً في السير ... فاستجلى (عمير) في هذا المنظر الرائع معاني الحق والحرية ... تطارد الباطل والعبودية .. وراقه أن ينهزم الظلام أمام النور ، ويتوارى الليل أمام النهار ... واستبشر بهذا المنظر الساحر . واعتبره فأل خير ويمن وفتح كبير ... ورفع يديه الصغيرتين نحو السماء ، وتمتم لسانه بأحلى آيات الدعاء ... وهبت إذ ذاك نسمة رقيقة عطرة ، شرحت صدره ، وداعبت وجهه وشعره ، وكانت تلك لحظة قدسية مباركة ، رق فيها قلبه وصفت نفسه ، وغمره شعور ندى بأسمى معاني الإيمان . فذرفت من عينيه عبرة غبطة وخشوع ، وسبح في بحار من الأخيلة الجميلة والأماني العذاب ... ولم يوقظه من سبحته تلك إلا صوت أمه تناديه : هلم يا عمير فأسبغ عليك وضوءك ، وتهيأ لصلاة الفجر ، فقد نادى المؤذن بالصلاة والفلاح ...

وخف عمير إلى نداء أمه ، وتوضأ ثم أخذ سمته نحو المسجد مشيعاً بنظرات عطف وحنان من أمه الرؤوم . ولم يكد يمشي بضع خطوات حتى ترامى إلى سمعه دعاء أمه له ، بأن يكلأه الله ويرعاه ، فاطمأن لهذا الدعاء وفرح به ، وسره أن يكون هذا الدعاء آخر ما يسمعه من أمه ، وقبل أن يبتعد عن البيت التفت نحوه وألقى عليه نظرة أودعها كل ما في قلبه من حب وحنان نحو أمه وأبيه . وحدثته نفسه أنه ربما كانت آخر نظرة يلقيها على هذه الديار ، وبعدها يفارق هذه الدنيا إلى دار الخلود ، فترقرقت في عينيه عبرة حرّى ، كانت دمعة الوداع . وما قارب المسجد حتى التقى بصاحبيه أسامة ورافع ، وقد دلفا إلى المسجد ، بعد أن التقيا في بعض طرق المدينة ، فما إن رآهما حتى افتر ثغره عن ابتسامة جميلة ، وصافحهما مسلماً ، وكانت الدمعة لا تزال حائرة في عينيه ، وحدثهما عن تلك الساعة المباركة في السحر ، وعن ذلك المنظر الفاتن الجميل ، وعما أثار في قلبه من مشاعر ، وأوحى إليه من معان وبشائر ...

وذهبوا جميعاً إلى المسجد يؤدون الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وطدوا العزم وعقدوا النية على أن يخرجوا معه في غزوته ، يضربون بأيديهم اللينة ، وسواعدهم الرقيقة هامات المشركين ، وقد كان يشعر كل واحد منهم أنه بطل كبير وأنه المسؤول وحده عن هذا الدين ، ذلك أنهم لم

برضموا أفاويق الدعة وينشؤوا فى الحلية والدلال ... إنما تربوا فى (مدرسة الصحراء) وتتلمذوا على (بطل الأبطال[1]) .

— ٣ —

سار (على بن أبى طالب) رافعاً بيمينه راية (العقاب) السوداء ، وبجانبه رجل من الأنصار يحمل الراية الثانية ، وسار المسلمون خلفهما يقدمهما قائدهم الأعظم (محمد) قاصدين بدراً ، ليقاتلوا المشركين الذين جمعوا جموعهم ، واستعدوا للقتال ... ساروا وكانت الأرض تهتز تحت أقدامهم ، والروابى والهضاب تتجاوب مع نشيدهم ، وتجلجل السماء بتكبيرهم ... حتى إذا ما بعدوا عن المدينة ميلا أو بعض ميل ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستعرض الجيش ويتفقد الفرسان ، ويلقى على جنوده الأوفياء تعاليم القائد الخبير ، ويحثهم على الصبر والشجاعة ويضمن لمن يستشهد فى سبيل الله الجنة .

وكان الفتيان الثلاثة قد انتحوا جانباً غير بعيد من مؤخرة الجيش ، يشجع بعضهم بعضاً ، وقد علا البشر وجوههم ، وملأت الغبطة نفوسهم . وكان (عمير بن أبى وقاص) أكثرهم تواريا حتى قال له أخوه : (مالك يا أخى ؟!) فقال : (إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى فيردنى وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة) ... وفيما هما يتحاوران وإذا رسول الله قد أقبل ، فرأى هؤلاء الفتيان الصغار وقد تقلد كل واحد منهم سيفاً يلامس الأرض ، ووقفوا ينتظرون المسير . فسألهم رسول الله عما جاء بهم من المدينة ، فأجابوه بأنهم يريدون الخروج معه لجهاد المشركين ، وأنهم تعاهدوا على الشجاعة والإقدام ، وبذل الروح فى سبيل الإسلام . فضحك صلى الله عليه وسلم إعجاباً بهم ، ونظر إلى تلك الأجسام الصغيرة التى خرجت لتكون وقود الحرب ، فأخذته الرحمة لها ، وأشفق عليها أن تكون طعمة للسيوف ، وعز عليه أن يقذف بها إلى الموت ، فردهم وأبى أن يخرجهم معه . فعظم ذلك عليهم ، وحزنوا من أجله حزناً شديداً ، وجلس عمير يبكى وقد أحزنه كثيراً أن يحرم من الجهاد تحت لواء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقف أخوه وصاحباه من حوله يبكون لبكائه ويودون لو سمح له رسول الله بالخروج إلى الجهاد ، فرق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم له وأجازه وعقد له حمائل سيفه ، فوثب فرحاً نشيطاً ، يودع صاحبيه ويبعث معهما إلى أمه بتحية الجندى الباسل ، لتكون لها عزاء وسلوى ... وذهب المسلمون إلى (بدر) وقاتلوا المشركين ، وأطاحوا برؤوس الكفر ، وزلزلوا كيان قريش ، ورجعوا غانمين ظافرين ، قد أمكنهم الله من عدوهم ، ونصرهم عليه . بيد أنه كانت فى عين كل واحد دمعة حزينة ، استنزفها ذلك البطل الصغير (عمير) الذى استبسل فى المعركة بسالة رائعة ، وخاض غمرات الموت ببطولة نادرة ، حتى وقع (شهيد[1]) إيمانه القوى ويقينه الصادق ، وإقدامه العظيم ...

— ٤ —

حزن رافع وأسامة وأتراب (عمير) كلهم على مصرعه ، وجلسوا يذكرون أيامه ، ويتحدثون عن إيمانه وبطولته ..

قال رافع لأسامة :

— أتذكر يا أسامة ليلة أن التقينا به أمام المسجد !

— نعم وحدثنا حديث تلك الساعة المباركة فى السحر التى أفاضت على روحه صفاء وجلالا ...

— أرأيت إلى ذلك النور الذى كان يلتمع فى جبينه تلك الليلة ؟ وأحسبك رأيت تلك الدمعة التى كانت تجول فى عينيه...

— نعم وأحسب ذلك نور الشهادة ، فقد كان ينم عما فى قلب صاحبه من إيمان وتضحية وإقدام . وأما تلك الدمعة فقد رأيت فيها تلك الليلة معانى الوداع ... الوداع من هذه الدنيا الصاخبة الحقيرة التى يتنازع فيها الناس على حطام فان ، ويظلم بعضهم بعضا ، فيستعبد القوى الضعيف ، ويتعالى الغنى على الفقير

— حق ما تقول يا أسامة ! وهل نسيت موقفه حين ردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سننا يوم بدر ...

— كيف وقد كان — رحمه الله — يدافع الحياة ويطلب الموت ويبكى حرقة على الجهاد ، حتى رق له قلب الرسول صلى الله عليه عليه وسلم فأجازه .

— رحمه الله وجمعنا به فى الفردوس الأعلى من الجنة .

(١) لسعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم عنوانه (بطل الأبطال)

(١) هذا هو الشهيد الصغير الأول

وانصرف الفتيان إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم باستعداد قريش للحرب[١] بعد تلك الهزيمة التي حاقت بهم في بدر ، وحثهم على الصبر والشجاعة ، وأنبأهم بأنه قد عزم على مناجزة القوم وقتالهم وبأنه واثق بنصر الله له ، وأمرهم بالاستعداد للجهاد . فانصرف المسلمون إلى بيوتهم يتهيئون للحرب ، ويعدون السلاح ، ودخل رسول الله إلى بيته بعد صلاة العصر ومعه أبو بكر وعمر . فتقلد سيفه وقوسه وعصب بعمامته رأسه وخرج يتفقد المسلمين .

— ٥ —

سار النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة من أصحابه حتى بلغوا (أُحُداً) وقبل أن يلتحم الفريقان ، وقف القائد الأعظم ، يستعرض جنده ، ويهيب بهم أن يثبتوا ويصبروا ، ويحمسهم ويزكي نفوسهم … وبينما رسول الله يستعرض الجيش ، إذا به يجد فتى صغيراً أخذ يتطاول على أطراف أصابعه ويعلو بنفسه ، فإذا هو (رافع بن خديج) فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من عمله ، وربت على كتفه ، وتقدم منه وسأل عما يحسن من فنون الحرب ، فقيل له بأنه رام يجيد ضرب السهام ، فسمح له بالخروج … وتابع استعراضه حتى وقف على (سمرة بن جندب) وكان فتى حدث السن لدْن العود غض الجسم ، فأشفق عليه رسول الله من القتال وأمره بأن يرجع ، وطيب نفسه ، وأعجب به ودعا له ، فحزن الفتى حزناً شديداً وانصرف باكياً دامع العين ، حسير الفؤاد على ما فاته من أمر الجهاد . ووقع له أثناء انصرافه خاطر اطمأن إليه وفرح به ، فانثنى راجعاً إلى حيث يعسكر المسلمون ، وتراءى على زوج أمه يبكي وقال له : « أجاز رسول الله رافع بن خديج وردني وأنا أصرعه ! ! … » ثم جلس غير بعيد يتطلع بعينيه الدامعتين إلى هذه الصفوف المؤمنة التي امتلأت قوة وعزماً ، وود لو يسمح له رسول الله بالقتال مع هذا الجيش بينما انصرف زوج أمه إلى الرسول ينقل إليه ما قاله سمرة .. فأعجب رسول الله بهذا الرأي وأكبر هذا الإيمان ، وأمر بأن يتصارعا أمامه … وتشابكت الأيدي … وما هو إلا قليل حتى صرع سمرة رافعاً ، فابتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياه وسمح له بالقتال …

(١) كتب إليه بذلك من مكة سراً عمه العباس بن عبد المطلب .

— ٦ —

ابتدأت المعركة ، وخرج من صفوف المشركين فارس صعب المراس قوى الشكيمة يدعو للبراز ، فوثب عليه الزبير وقتله ، وكان كلما خرج من صفوف المشركين مبارز قتله فارس من فرسان المسلمين . حتى اختلط الجيشان ، وحميت المعركة ، وثار النقع ، فلم يعد يسمع إلا صهيل الخيل ، وصليل السيوف ، وقعقعة الرماح ، وصفير السهام . ووقع فيها من الفريقين صرعى كثيرون . وانجلت المعركة بعد أن رد الله كيد الباغين الذين أرادوا بالرسول شراً . وإذا (برافع ابن خديج[١]) الفتى الصغير مخضب بالدماء قد أصابه سهم من سهام المشركين ، هد قواه ، وأنزف دمه . ورآه المسلمون وقد وضع ذراعه تحت رأسه والدماء منه ، وقد استسلم لغيبوبة عميقة . فأيقظوه وضمدوا جرحه ففتح عينيه وسأل عن المسلمين ، واطمأن على رسول الله … ثم أغمض عينيه وسلم روحه الطاهرة الزكية ، وقدمها قرباناً إلى الله ، وبرهاناً على الجهاد في سبيله ، وطارت روحه إلى السماء … إلى الفردوس الأعلى . . . حيث روح صاحبه (عمير) لتنعما هناك بالخلود الدائم … ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه استشهد حزن عليه حزناً شديداً ، ودمعت عيناه ، وقد ذكر بطولته وإيمانه وقال : بعد أن دعا له بالرحمة ، وسأل الله له الجنة (أنا أشهد له يوم القيامة …

(القاهرة) عمر عودة الخطيب

(١) هذا هو الشهيد الصغير الثاني .

أشـــواق ودموع ... (*)

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

كتبت من باريس تقول :

« أيها الطائر العزيز ... لم أحسد بغداد إلا لأنك تغنيها فى غبش الفجر الساحر وعند الأصيل الفاتن ، أغنيات الهوى والشباب ، وأنا فى زحمة الأصداء والأضواء والمباهج لا أحس لهذه كلها صدى فى نفسى ولا أثراً فى وجدانى بل أجهد عينى على أن لا ترى وأذنى على أن لا تسمع ... لأستطيع أن أتخيلك وأنت كما كنت تقرأ لى خلجات قلبك الكبير الحساس ، فرجائى يا طائرى أن تسمعنى غناءك ولو من بعيد ... » « من رسائلها إلى »

سألتنى لم لا أشــدو كما كنت أغنى
ولـماذا لا يبـــارى الوترَ المسحور فنى
قلت يا عذارءَ أحــلامى ويا أصداء لحنى
أو ما كنت نُشـــيد الحبِ فى ليـلِ التمنى
أو ما كنتُ صلاةَ الطيب فى الروض الأغن
أو ما ذابَ حنينى فـــوقَ أوتارِ المغنى

أو تنسَيْنَ وكنت العطرَ فى ثغر الربيع
ونشيداً لم يزلْ هيمانَ فى تلك الربوعِ
وابتساماً شـــعَ فى دنيا دماء ودموع
وسلاماً رفَّ فوق الأرض كالروح الوديع
كيف تَنسينَ حنينى ، كيف تنسينَ ولوعى
أين خلفتِ فؤاداً ضاقَ بالشمل الصديع ؟

لم أزل يا فجرَ الهـــوى ويا ربةَ شعرى
روضةً يفضحُ عطرُ الفنِ منها كل عطر
وهزاراً اطربَ الليل فـلم يجنحْ لفجرِ
وربيعاً نَضراً بالحبِ محفوفاً بســحر
أين أنتِ الآنَ من عطرى وألحانى وزهرى ؟
أين أنت الآن من صدرى ليطويك كسرى ؟

يا « هنائى » كنتِ فى صحراء أعوامى زهرا
يا « هنائى » كنت فى ظلمـةِ أيامى بدرا
أنت نضَّرتِ شبابى فنفحتُ الكونَ عطرا
ولكم أشرقت فى ليـلِ صباباتى فجـرا
وسكبت الوحى فى روحى فصغت الشعرَ سحرا
وإذا دنياى أحــلامٌ وأنغامٌ وبشرى

وإذا بى بعد ما جرعنى الحرمانُ صابا
وأحال اليأسُ دنيـــاى ظلاماً وضبابا
والقنوطُ المرُ أفنى — من أمانى — العِذابا
وغدتْ جنةُ أحـلامى من البلوى يبابا
لحتِ فى حالكِ أيامى — من الغيبِ — شهابا
وتفجرتِ كينبوعٍ ومـا كنت سرابا

أنا من بعدكِ لو تدرينَ قيثارٌ جريحُ
آهةٌ فوق سماءِ (« السينِ ») بالنجوى تبوح
وهزازٌ سرمدىُ الحـــزنِ بالشوق ينوح
وخَيالٌ خلفَ أطيافِكِ يغدو ويروح
يا عذابى الحلوَ شعرى بين كفيكِ يفوح
فاسأليه فهو أشـواقٌ ودمعٌ وجروحُ

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

(*) من ديوان « ليالى الفراق » .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

رأى فى ترجمة « آلام فرتر » :

سيدى :

لقد فرغت من قراءة ترجمتكم العربية الرائعة لقصة آلام فرتر ، ومن القيام بمقارنة دقيقة بينها وبين الأصل المقابل فى الألمانية . بعد هذا أرجو أن تأذن لى بأن أقدم إليك أصدق التهنئة على هذا العمل الباهر . وإنه ليعد فى رأيى خير ما عرفته اللغة العربية فى بابه .

أنا واثق من أن الجمهور القارىء فى مصر ، سيجد فى ترجمتكم ما ينشد من متعة بعيدة المدى وكسب لا يحد . إن الدقة فى هذا الأسلوب التصويرى الوثاب ، أسلوب جيتة ، لتجد أداءها الصادق فى لغتكم ، هذه اللغة التى تصبح تحت سنان قلمكم مرنة طيعة لمشاعر المؤلف ومعانيه .

ولقد قمت بمقارنة أخرى دقيقة بين المصدر الذى نقلتم عنه وبين النسخة الأصلية التى ظهرت عام ١٧٨٧ ، وأستطيع أن أقرر بأن الترجمة الفرنسية التى نقلتم عنها ، قد بلغت من الأمانة حداً يتعذر معه أى اختلاف إذا ما ترجمت القصة عن الألمانية .

إن كتابكم ليفوح منه أرج الإلهام الذى يعبق فى قصة الشاعر الألمانى ، وإننى لأرجو أن تتاح لى الفرصة للاطلاع على كثير من أعمالكم الأدبية .

مرة أخرى أعبر عن شكرى لما لقيت من متعة خالصة فى ترجمتكم لآلام فرتر ، آملا أن أظل .

صديقكم المخلص

بروفسور دكتور جوليانس جرمانوس

هذه هى الرسالة التى بعث بها المستشرق الألمانى إلى الأستاذ الزيات ، والتى شاء تواضعه أن يحتفظ بها أكثر من عشر سنين دون أن يلحقها بأية طبعة من طبعات كتابه أو يشير إليها من قريب أو من بعيد . . ولولا أننى طلبت إليه أن أقوم بنقلها إلى العربية لبقيت إلى الأبد لا تقع عليها عين ولا تسمع بها أذن !

اقرأوا هذه الكلمات التى تضع الحق فى مكانه ، ثم وازنوا بينها وبين كلمات أخرى يجترىء صاحبها على الحق حين يعلن أن الزيات قد ألف آلام فرتر . . . إن الفارق بين الرأيين هو الفارق بين دكتور جرمانوس وسلامة موسى !

من الأعماق ولوعة الذكرى :

أيها الأديب الصديق ، لماذا بعثت بكلماتك من طوايا حلم دفنته ، أشلاء ماض جريح ؟ . .

وأنت يا من جرعتنى الظمأ من كؤوس حرمانك ، ترى هل رفت « من الأعماق » رفيف الزهر فى رحابك ، وتضوع منها عطر الأسى فى ثراك ؟ إن الماضى الذى تنهد يوماً فى سحيق عظامى ، يعود لتناديك أطيافه وتناجيك رؤاه !

أتذكر يوم غمست القلم فى دماء القلب وكتبت قصة هواك ؟ هواك الذى شيعته بالدمع إلى ظلام القبر ، وذقت من بعده غربة الروح فى مأتم الأحلام ؟ ترى هل ذقت يا شقيق الروح غربة الروح . . هناك حيث ترق الكلمات فتستحيل إلى أنات ، تهتك ستار الصبر والجلد ، وتترك مكانها من حنايا الضلوع وشغاف القلب ، وتخرج إلى الناس تروى لهم ما فعلت الأيام ؟ هناك حيث تعبر النجوى عالم الأسى والأنين ، مرتاعة ملتاعة ، تنشد الرى فلا تجد إلا الظمأ ، وتترقب النشوة فلا تحس إلا الألم ، ولا تعود من عالمها هذا إلا بأشتات المنى تحتضر ؟ !

إن فكرى ليقطع المدى وثباً ليفرش طريقك بورود حبى . ترى هل يعبق فى أفقك أرج فكرى ؟ إن روحى لترفرف فوق مكانك بجناح طوته على الجراح عوادى الزمن . . ترى هل تسمع رفرفة روحى ؟ تعال نهتف فى موكب الأيام هتاف الحبب فى كأس فاضت بخمر نواك . تعال نردد فى محراب الشجن صلاة تنشج الحسرة فيها ويعول الأنين . تعال . . . تعال من هناك ، من وراء الأبد ، من وراء الصمت ، من وراء الوحشة المطبقة ، من وراء السكون العميق . تعال فقد تقطعت من بعدك أوتار النغم فما استمع الحيارى لنشيد . . تعال فقد جف من بعدك كأس الصفاء فما سعد الندامى بحبيب ! . . تعال واحمل إلى السماء نفحة من

عبقرية الألم فى الأرض ، وقل لها إننا نعيش من بعدك كما يعيش الشوق الراهب فى دير الذكريات !

اقرأ معى هذه الكلمات :

« عندما يستحيل الحلم إلى جنون ، ينتصب تمثال أسود داخل الروح ، وتبرز فجأة شطئان بلورية تطوف بها جماجم الأحياء ، وتمتد تحتها فى انحدار عنيف بحار متسمة من الجليد ، وتستيقظ العطور والضحكات ؛ وتتفتح الكهوف الخرافية بعد ما تكون الكنوز قد ضاعت فتزدحم الغابات بنهود من نحاس ، وتتصلب الشفاه وهى تبتسم ، وتسمع أصوات القبل آتية خلال النعاس ، ويقف ظل أمام ظل ، وتغادر الفلول الميدان ، ويسمع فى السراديب السحرية قرع الطبول ، وتبدأ المعركة بين الأشلاء ، من أجل الحصول على ذراع أو ساق !

ويحترق الهمس فى الهدير ، وتتداح دوائر فى المياه ، من مكان غير معروف ، قاصدة فى سفرها المرتعش المعتوه التقاء اللانهاية بالعدم » .

هل تستطيع أن تفهم هذه الكلمات ؟ إنها لأديب مصرى اسمه يوسف الشارونى ، دأب على أن يتحف بمثلها فى كل شهر زميلتنا مجلة « الأديب » اللبنانية . . ويوسف الشارونى هذا واحد من فئة أعرف بعض أفرادها من لقائى لهم بين السطور والكلمات ، هذا اللقاء الذى لا يخرج منه أى إنسان عاقل إلا بما خرجت به زوجة الشاعر الإنجليزى روبرت براوننج ، حين قدم إليها الشاعر قصيدة نظمها فى وصف البحيرة فقالت له : إننى لا أدرى إذا كنت تتحدث فى قصيدتك عن بحيرة حقاً أم تتحدث عن كلبنا الصغير !

وأنا والله لا أدرى عن أى شىء يتحدث الأستاذ الشارونى . ولا أدرى كيف اتسعت صفحات الزميلة اللبنانية لهذه البضاعة التى تصدر إليها من مصر ، بعد أن أقفلت فى وجهها جميع أسواق الأدب فى عاصمة المعز ! أباسم الأدب والفن يكتب هذا الكلام ؟ إن الأدب والفن ما خلقا إلا لتثقيف الناس وهديهم إلى معانى الحق والخير والجمال ، فأين من يدلنى على لمحة واحدة من لمحات الأدب والفن فى كلمات السيد يوسف الشارونى ؟ . . قد يقول قائل إنها « سمبولزم » ، وقد يقول آخر إنها « سير رياليزم » ، أما أنا فأحيى الأستاذ عباس محمود العقاد وأقول معه : إنها « تهجيص » ! .

لحظات مع الأستاذ العقاد :

حييته هناك ولا بأس من أن أختلف معه هنا . ومهما اختلفت مع العقاد الناقد فى نظرته وموازينه فستبقى حقيقة أعترف بها بينى وبين نفسى وبينى وبين الناس ، وهى أننى أحترم ثقافة هذا الرجل . إنه يقرأ كثيراً ؛ يقرأ فى كل شىء ، يقرأ قراءة فهم وهضم واستيعاب ، فى بلد قل فيه عدد المثقفين وغمرت أسواقه أمية المتعلمين !

- إن ذوق العقاد لا يرضينى فى بعض الأحيان ، وكذلك موازينه ؛ ولكن ثقافته ورحابة أفقه وسعة اطلاعه تدفعنى إلى تقديره والإعجاب به . هذه كلمات يمليها علىّ الضمير الأدبى ، وإذا كنت قد هاجمت كثيراً من آرائه فإننى لا أبيح لقلمى أن يهاجم ثقافته !

لو أنك مقدم على رحلة عاجلة ، فأى سبعة كتب تصطحب ؟ هذا هو السؤال الذى وجهته إلى الأستاذ العقاد مجلة « الاثنين » فى عددها الأخير فأجاب عنه بأنه يصطحب معه هذه الكتب السبعة : ديوان ابن الرومى ، اللزوميات لأبى العلاء ، تهافت الفلاسفة للغزالى ، تراجم بلوتارك ، مجموعة شكسبير ، تاريخ الفلسفة لبرتراند رسل ، خوالج الحيوان لداروين . ولقد تحدث الأستاذ العقاد عن هذه الكتب حديث ناقد يزن قيمها الفنية مشفوعة بأسباب التفضيل والإيثار .

أما ابن الرومى فأنا أعلم أن الأستاذ العقاد يتفانى فى حبه وتقديره والتعصب له ، ولكن حين يبلغ التعصب حد القول بأن ابن الرومى فى مجال الشعر الوجدانى لا يضارعه شاعر فى العالم كله فهذا هو الانحراف الذى أضيق به ترى أيبلغ ابن الرومى فى وصف الخوالج النفسية ما بلغه جيته وهاينى فى الأدب الألمانى ، وبودلير وفرلين فى الأدب الفرنسى ؟ لا أظن ! لقد كنت أود أن يقتصر الأستاذ العقاد على القول بأن ابن الرومى فى مجال الوصف التصويرى لا يفوقه شاعر فى العالم كله ، فهذا ما لا أختلف معه فيه .

ومرة أخرى تتخلى الدقة عن ميزان الأستاذ العقاد حين يقرر أن « بلوتارك » هو سيد كتاب السير والتراجم فى جميع العصور ... أؤكد للأستاذ العقاد أنه لو قرأ كتاب الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر عن « بودلير » لعدل عن رأيه فى بلوتارك ؛ إن هذا الكتاب كما سبق أن قلت فى « الرسالة » ليعد فى رأى الفن خير كتاب أخرج فى موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى !

بعد هذا لا أدرى كيف يطيق الأستاذ العقاد أن يصطحب معه اللزوميات فى رحلة ينشد فيها المرء متعة الذوق والفكر والخيال ؟... معذرة يا سيدى إذا قلت لك إن هذا الأختيار لا يرضينى ! إن رحلة تخطر فيها اللزوميات لرحلة تصيب الرأس بالصداع وحركة الذهن بالجمود ... لقد كنت أود أن تصطحب بخلاء الجاحظ بدلا من لزوميات أبى العلاء !

أدب القصة وأدب المعقب :

تحت هذا العنوان قرأت فى عدد الرسالة الماضى كلمة خصنى بها الأستاذ نصرى عطا الله ... صدقنى إننى لم أكن أنتظر أن أن يفقد الأستاذ أعصابه فى بداية كلمته ثم يعود فى نهايتها ليفقد ذاكرته ! وصدقنى إننى شعرت نحوه بشيء من العطف الممزوج بالدعاء . . الدعاء له بأن يحفظ الله أعصابه من الأوجاع وذاكرته من الضياع !

لقد رمانى الأستاذ عطا الله بجموح النفس وتمكن شهوة التهكم والتجريح من نفسى ... يبدو أنه قد نسى أن فى الحياة الأدبية فى مصر أناساً يستحقون التهكم ويستأهلون التجريح ويرغمون الناس على الجموح !!

ينكر الأستاذ أنه كان يعنينى بمقاله ... لمن إذن كان يوجه نصائحه بأنه لا يصح أن يحكم القارئ الشرقى على شخصية موباسان لأن ما نقل من أدبه إلى العربية أقل من القليل ؟ لى بالطبع ؛ لأننى أنا الذى كنت أتحدث عن موباسان ! ولمن إذن كان يبعث بتوجيهاته حين يقول (... وليس هناك « حيز محدود » أو « اقتضاب ملموس » أو « حد من حرية الكاتب) ؟ لى بالطبع لأننى أنا الذى كنت أنادى بـ « الحيز المحدود » فى القصة القصيرة

ومن العجيب أنه يؤكد لقارئيه بأنه لم يقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ... ترى من الذى كتب فى هذه المقارنة اثنى عشر سطراً تبدأ بهذه الكلمات : « تختلف القصة القصيرة عن القصة الطويلة لا فى الكم وحده بل فى الكيف أيضاً » ؟

بعد هذا خرج الأستاذ عن موضوع المناقشة ليذكر أننى أضع نفسى دائماً فى بؤرة الضوء ، وأقول للناس إن الكتاب يرسلون إلى كتبهم راجين أن أنقدها مفترضاً أننى الناقد المثالى الأول ، حين أعلن فى زهو وصرامة أننى وجدت أكثرها لا يستحق العناء !

أقسم للأستاذ عطا الله أننى ما أهملت هذه الكتب إلا لتفاهتها ... وكذلك الأمر فيما يتعلق بإهمالى لكلمته الخارجة عن موضع المناقشة !!

أروع ما قرأت عن كذبة أبريل :

لا يصل هذا العدد إلى أيدى القراء إلا ويكون « أول إبريل » قد أوشك أن يحل ضيفاً على هواة الكذب الطريف ... الكذب الذى يلجأ إليه الناس رغبة فى اللهو البرىء ، وشغفاً بالدعابة التى تجنى فى الغالب على الذين لا يعدون المدة لهذا اليوم الخالد فى حساب الظرفاء والكذابين !

ومن طريف ما يذكر فى هذا المجال أن إحدى الصحف الفرنسية قد كتبت فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٤٨ ما يلى : « تقيم الحكومة الفرنسية فى صباح الغد معرضاً ممتازاً للحمير بميدان الكونكورد ، ومن المنتظر أن يهرع الكثيرون من سكان العاصمة لمشاهدة هذا المعرض الذى تقيمه الحكومة لأول مرة ، وتحشد فيه نماذج مختلفة من الحمير التى لم يرها الفرنسيون من قبل » . ولم يقبل صباح أول إبريل إلا وكان ميدان الكونكورد يموج بالألوف ممن صدقوا خبر الصحيفة ولم يقبل المساء حتى صدرت الصحيفة حاملة إلى قرائها هذا التعليق الرائع : (كان للخبر الذى نشرناه أمس عن معرض الحمير أثره البعيد فى نفوس القراء ، حتى لقد أقبل الألوف منهم على مشاهدة المعرض ... ويقول مندوبنا إنه شاهد فى ميدان الكونكورد ما لا يقل عن عشرين ألف حمار) !! .

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

موكب الأبطال :

يقول « مدرس أدب فى الأزهر الشريف » فى مطلع كتاب منه : « ما تزال دولة الشعر بخير ، فقد هزتنى قصيدة الشاعر على محمود طه فى أبطال الفالوجة التى نشرتها الأهرام فى عدد يوم الخميس ١٠ من مارس ، ولا ريب عندى فى أنك قد قرأتها ، وأنها قد هزتك كما هزتنى ، وأن مثلها جدير بأن يحظى بإحدى تعقيباتك فى الرسالة ، سجل الأدب العالى وديوان الفن الرفيع . وإنما حملنى على أن أوجه إليك هذه الكلمة ، حرصى على أن أسجل إعجابى بهذه القصيدة ، وقد مضى لى أن غمزت « أنشودة فلسطين » لصاحبها أيضاً فى الرسالة الغراء ، حتى لا أكون مثل كاتب الشمال ، لا يحصى غير السيئات » .

ويقارن الأستاذ « مدرس أدب فى الأزهر الشريف » بعد ذلك بين هذه القصيدة وبين قصيدة أخرى لشاعر آخر فى نفس الغرض ، وفى نفس الجريدة وقد اصطنع أسلوباً لبقاً فى استدراجى إلى هذه المقارنة ، وكأنى به يؤلبنى على الشاعر الثانى ، إذ يقول فى نهاية المقارنة : « أرأيت — يا عباس — كيف يطغى بعض الشعر ، فيبدو شيطاناً مريدا ، وكيف يتواضع بعض الشعر ، فيبدو ملكا كريما ؟ !! إنى أترك لك الباقى » وهو يقصد بالذى يبدو شيطاناً مريدا ، شعر أبى طه ... كما يعبر فى رسالته ، وما إخال الشاعر الآخر يسر بأن شعره ملك كريم فى هذا المقام ! ويظهر أن الشيطان أليق بالشعر من الملك !!

أما الباقى الذى يقول إنه يتركه لى ، فهو على غير ما كان يتوقع ، فلست أرى داعياً لهذه المقارنة ، فلكل شاعر طاقته ومذهبه وأفقه .

أما قصيدة « أبى طه » فقد رآها القراء فى الأسبوع الماضى كاملة بالرسالة بعد أن أضاف إليها الشاعر ما استلهمه من مشاهدة أبطال الفالوجة يهرع الشعب إلى الاحتفاء بهم وينثر الغيد طاقات الزهر فوق رؤوسهم ، ولا بد أنها هزتهم كما هزتنى وكما هزت الأستاذ الأزهرى ، وحقاً ما قال فى رسالته : « وإذا صح أن فى الشعر مواضع للسجود ، فإن من هذه المواطن فى الصميم :

جن الحديد بأرضها وسمائها ... فجرى وطار ، تصيبه ويصيبها

شدت يد الفولاذ حول نطاقها ... حلقاً تصيح النار : كيف أذيبها ؟

وقد تآخت فى هذه القصيدة قوة التركيب وقوة الروح ، فطابقت بذلك موضوعها الحماسى . ومما يستدعى الالتفات أن بنيانها القوى لم تتخذ لبناته من القوالب المرددة التى يلجأ إليها شعراء الجزالة . وأقول صادقاً ، أو أعتقد أننى صادق إذ أقول : إن قصيدة « موكب الأبطال » من القليل فى أدبنا المعاصر الذى يجمع بين الديباجة العربية المتينة التى يظهر أثر الشاعر فى نسجها وبين نهج المدرسة الحديثة فى الشعر من حيث صدق التعبير والصدور عن الشعور الذاتى دون تقليد أو تزييف . ولعلها أول قصيدة للشاعر نفسه على هذا النحو ، فقد كان يؤثر قرب المنال من عامة القراء ، ولكن الموضوع فى هذه المرة حكم عليه أن يخلد البطولة المصرية فى الفالوجة بشعر يذهب مذهبها فى القوة ومجاوزة المستوى العادى . ولست أريد بذلك أن أفضل القصيدة على غيرها من شعر الأستاذ على محمود طه ، إنما أنعتها بصفاتها ، فلا شك أن السهولة والرقة لهما مكانهما فى غزلياته وغرامياته .

وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر ، وجاءت قصيدته عملاً ممتازاً ، ينبغى أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون العزلة والهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة . ونحن أمة لم تستكمل ضروراتها من الحرية والحياة الراقية المستقرة ، فإذا كان لشعراء أمم أخرى أن يعكفوا على ألوان مترفة من الشعور والتفكير فإن ذلك لا يروج فى بلادنا ولا يناسبها فى هذه المرحلة من حياتها ، وأقل ما يرجى من الشاعر أن يشارك مواطنيه مشاعرهم ويصدق فى التعبير عنها . وما أكثر من يسترون العجز بدعوى « التحليق » الذى لا يأتون منه بشىء ...

فليا يا فليا :

«اطلعت فى العدد ٨٠٩ من الرسالة الغراء على كلمتكم الحكيمة عن شعر (البلا لايكا) التى قلتم فى نهايتها (أليس لقائل آخر ما دام الباب مفتوحاً أن ينشر قطعة قد تكون أروع من هذه بعنوان (شرم برم) ؟

ولقد قرأت فى عدد مارس من مجلة الشرق الأدنى للاذاعة اللاسلكية قطعتين من الشعر للأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، إما أن أضعهما فوق مستوى تفكيرى ، وإما أن أضعهما تحت عنوان (شرم برم) والقطعتان مرسلتان إليكم ، بعد أن انتزعتهما من المجلة ، دفعاً لمظنة التزوير ، لتروا رأيكم فيهما » .

تلقيت هذه الرسالة من الأستاذ محمد محمود عماد المحامى ، ومعها القطعتان المذكورتان ، الأولى عنوانها (فليا يا فليا) أولها بيتان موزونان يستطيع الإنسان أن يفهم منهما أن (فليا) لها محب يخفق قلبه بحبها ، وأن للحبيبين أسطورة « تعيش مع الغاب » وبقية القطعة :

حكم هوى العذراء
لو عرب سنا الجوزاء
طوقت همسة بالزهور
فليا يا فليا يا حلمى الكبير
رحماك بالقلب فهو كسير
فيليا يا فليا اسمعى لى الغناء
يزجى الهوى ما يشاء

استطعت أن أقرأ وأن أفهم الأربعة السطور الأخيرة وآخرها موزون ، أما الثلاثة التى قبله فهى كسير كالقلب ، غير أن القلب كسير من حب (فليا) ، والكلام الذى قبل ذلك لم أعرف أى شئ هو !

والقطعة الثانية عنوانها «حلم الزواج الساحر» أجزاؤها مشردة تائهة بين ثلاثة بحور ، وبعضها كالقلب الذى حطمته (فليا) ، فمنها :

لو أننى فى الواج
أغلقت قلبى بالرتاج

الشطر الثانى من « مجزوء الكامل » أما الأول فلم أدرك معناه ولا وزنه ، لأنى لم أعرف معنى كلمة (الواج) ولا ضبطها .

ومن القطعة أيضاً :

أواه لو تكن مى
حبيبتى ضياء عينى

الشطر الأول من «مجزوء الرجز» والثانى من لا شئ .. وقد استطاعت « لو » بقدرة خارقة أن تجزم « تكن »

يا أستاذ عبد الرحمن الخميسى ، لا أريد أن أكون شديداً فى مناقشتك ، فأنا أهدأ من زميلى الأستاذ أنور المعداوى وأذكر أننا التقينا مرة ، فعتبت على لطفك أنى عرضت بك فى بعض ما كتبت ، وقلت إنك تحب أن أواجهك بالنقد لتستطيع

كشكول الأسبوع

□ فهم بعضهم غير ما قصدنا من المقابلة بين رئيس المجمع العلمى العراقى ورئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، من حيث الجمع بين هذا المنصب وعضوية البرلمان . والذى نقصده أن مثل هذا المنصب العلمى لا ينبغى أن يحسب فيما يمنع الجمع بينه وبين غيره ، ولا سيما أن مكافأته المادية لا تذكر .

□ لما زار معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف قاعة الشرف التى صفت فيها تماثيل عظماء مصر فى المعرض ، رأى أن تقوم الوزارة بصنع تماثيل من البرونز لهؤلاء العظماء تقام فى الميادين والحدائق العامة ، وقد شرعت الجهات المختصة بالوزارة فى إجراءات تنفيذ هذا المشروع .

□ يشتغل الدكتور طه حسين بك الآن بتأليف كتاب عنوانه « دراسات » وموضوعه الكلام على المذاهب الأدبية المعاصرة .

□ كانت وزارة الشئون الاجتماعية قد كلفت بعض الفنيين إعداد أفلام تعالج المشكلات الاجتماعية ، وقد أنجزت ثلاثة أفلام هى «العامل» و « الطفولة المشردة » و « الفلاح » وقد عرضت يوم الأربعاء الماضى بسينما ريفولى ، وهى الآن تعرض بالمجان فى المعرض الزراعى الصناعى .

□ تتلقى وزارة المعارف طلبات من الدول الغربية لعقد اتفاقات ثقافية . والوزارة توافق على بعضها وتبدى ملاحظات على البعض الآخر وتتضمن هذه الاتفاقات تبادل الأساتذة والطلبة ، ومن هذا التبادل — بطبيعة الاتفاق أن توفد بلجيكا مثلا طلبة يتعلمون فى جامعات مصر ، باللغة العربية طبعاً ... لعل وعسى ...

□ تنظر وزارة الشئون الاجتماعية فى مشروع إنشاء قاعة للمحاضرات والاحتفالات القومية ، فى القاهرة ، على أن تعمم الفكرة فى عواصم الأقاليم .

□ امتنعت الآنسة أم كلثوم عن الغناء حتى تتحسن صحتها ، عملا بمشورة الأطباء . نسأل الله أن يشمل المطربة المحبوبة بعنايته ويمنحها الصحة والعافية .

□ جرى فى الأسبوع الماضى انتخاب ملكة الجمال من بين طالبات الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، بإشراف الدكتور هوارد عميد الجامعة . وكنا نظن أن ذلك يحدث فى ملهى (الأوبرج) فقط !

□ مما رأيت فى قصة بالعدد الأخير من « الأديب » بقلم أمين يوسف غراب — ما يلى : « لكلاهما فيه حق ولكلاهما فيه نصيب » وفى القصة أخطاء غير ذلك . وقد سمعت مرة أحد « أعلام » القصة الذين ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، يقول : إن كبار الكتاب والعباقرة — أمثاله طبعاً — لا يعبؤون باللغة والقواعد ... فهل يرى السيد غراب هذا الرأى ؟

□ قررت لجنة التحكيم فى مسابقة فاروق الأول للصحافة الشرقية ، توزيع الجوئز على الصحفيين الشبان الفائزين وقد فاز الأستاذ وديع فلسطين بالجائزة الأولى فى المقالات ، وقدرها خمسون جنيها . وذلك لعدة مقالات كتبها فى السياسة الخارجية المصرية .

الرد . وها أنت ذا تراني قد فعلت . فهل تتفضل وتشرح لنا ما لم ندركه أنا والأستاذ عماد ، وتبين لنا الحكمة في استعمال « هيئة البحور المتحدة » في القطعة الواحدة ، ولم وقف غير الموزون ينظر إلى الموزون محطما كسير القلب ؟ ولا تنس « لو » التي منحتها حق الجزم ، وقد كان يمكن أن تمنعها من ذلك ، فيكون الشطر الأول كالثاني ، ولا ضرورة !

والأستاذ محمد محمود عماد ينتظر الرأي ، هل القطعتان فوق مستوى تفكيره — وتفكيري أيضاً — أو هما من نوع (شرم برم)؟ وهو على حق في ذلك ، فلا ثالث للأمرين . وأنا أوثر أن أضمهما فوق مستوى تفكيرنا، حتى يتفضل الأستاذ الخميسي بالإفادة

تأبين الجارم :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأبين المرحوم علي الجارم بك يوم الأحد الماضي لمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته . وقد اختير لذلك المكان الذي فاض روح الفقيد فيه ، وهو دار الجمعية الجغرافية ، حيث كان يستمع إلى قصيدته في رثاء المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا .

وقد قصر التأبين على كلمة للأستاذ أحمد العوامري بك ، وقصيدة للأستاذ عباس محمود العقاد . أما كلمة العوامري بك فقد كانت جامعة ، عمد فيها الأستاذ إلى السرد التاريخي لحياة الفقيد منذ كان طالباً في دار العلوم ، وما تخللها من جهوده في التعليم واللغة والأدب ، وفصل ذلك تفصيلا وافياً في نظر التاريخ وقد بدا هذا التفصيل كأنه ممل ، نظراً إلى أن الحاضرين من المثقفين والأدباء الذين لا تخفى عليهم هذه المعلومات .

وقد ألقى الأستاذ شوقي أمين قصيدة الأستاذ العقاد الذي لم يتمكن من الحضور لمرضه — عافاه الله — وقد كان إلقاء الأستاذ شوقي هادئاً معبرا ، فأدى الشعر أحسن أداء .

وأول قصيدة الأستاذ العقاد .

فجعت مصر يوم نعى على   بالأديب الفهامة الألمعي
شاعر لازم القريض إلى أن   كان يوم الفراق حرف روي
وقضى واجبين يوم قضى نحبا   وأعظم بالواجب المقضي
واجب الشعر، والوفاء مدى العمـ   ـر فطوبى لشاعر ووفي
إن جهد الرثاء لوعة راث   في مضامين شعره مرثي

القرابين الغنائية لطاغور :

كتب الأستاذ عبد اللطيف شرارة بالعدد الأخير من مجلة « الأديب » اللبنانية ، بعنوان « قربان الأغاني » نبه فيها على تقصير أدباء العرب في دراسة طاغور وترجمة آثاره ، وذكر بعض ما ترجم منها إلى العربية ثم قال : «ولكن أحداً من أدباء العرب المعاصرين لم يفكر في نقل ديوانه الأعظم (قربان الأغاني) الذي سما فيه طاغور إلى أعلى ذروة يستطيع أن يبلغها شاعر ، إن في الحس المرهف ، وإن في الحكمة الصافية ، وإن في روعة التعبير عن أغرب الأجواء الروحية والصوفية . دام الأمر كذلك إلى أن جاء الأب يوحنا قمير — وهو من عني بفلاسفة العرب ومفكريهم فسد ذلك الفراغ ونقل (قربان الأغاني) إلى لسان العرب»

وأذكر أن الأستاذ كامل محمود حبيب نقل ذلك الديوان إلى العربية من نحو اثنتي عشرة سنة ، ونشرته (الرسالة) تباعاً ابتداء من العدد (٢٣٠) الصادر في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٧ بعنوان : (جيتا نجالي) وقدمت له الرسالة بما يلي :

«جيتا نجالي كلمة هندية بنغالية معناها القرابين الغنائية وهي أناشيد صوفية تبلغ ١٠٣ نشيد نظمها طاغور في البنغالية ثم نقلها بنفسه إلى الانجليزية ، وشهرتها في الأدب العالمي كشهرة رباعيات الخيام . وهي تمثل الروح الغالبة على فلسفة طاغور من جهة ، والطبيعة المميزة للبوذية من جهة أخرى . وسننشرها كلها مترجمة بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب » .

وقد أتاح لي ذلك فرصة سعيدة ، إذ رجعت إلى مجموعتي من الرسالة ، ونعمت وقتاً بقراءة هذه الأناشيد الروحية العالية ، وأقطف للقارىء أولها فيما يلي :

« أنت خلقتني أبديا ، تلك مشيئتك . هذا الحطام الفاني — جسمي — أنت تفرغه مرة ومرة ثم تملؤه بالحياة الغضة . هذا الناي الصغير أنت علوت به وهبطت ؛ ثم وقعت عليه أنغاماً سحرية خالدة ، وحين لمست يداك قلبي الضعيف لمسة إلهية ، شاع فيه السرور وانبعث منه لحن أخاذ ، وبين يدي الضعيفتين استقبلت آلاءك العظيمة ، والأعوام تتصرم وأنت ما تزال تحبوني وفي قلبي شوق وطمع » .

وقد ترجم الأستاذ كامل لطاغور ، غير ذلك ، ديوان « البستاني» ونشر تباعا في المقتطف سنة ١٩٤٠ ثم جمع في كتاب ، وترجم له كذلك « قطف الثمار » ونشر أيضاً في المقتطف سنة ١٩٤١ .

عباس خضر



بين نيتشه وفجنر :

كتب الأستاذ أنور المداوى فى عدد « الرسالة » رقم ٨١٩ فى باب « التعقيبات » كلمة تحت عنوان « أدعياء الأدب فى الصحافة اليومية » يرد بها على الأستاذ الخميسى فيما كتبه بجريدة المصرى عن موسيقى فاجنر وأثرها فى الفيلسوف نيتشه خاصة والشعب الألمانى عامة . فحمل حملة شعواء على الخميسى لا داعى لنقلها فقد طالعها القراء ... وإنى أقول للأستاذ المداوى كلمة هادئة ... ترفق يا صديقى فما هذه بلهجة ناصح مرشد ، وإنما هى لهجة مصارع جامح ... وحتى لو كان الحق فى يدك والباطل فى يد غيرك فلهجتك تشوه جمال حقك ... فما بالك إذا لم يكن معك كل الحق ، وليس مع غيرك كل الباطل ؟!

إن ما قاله الأستاذ الخميسى عن تأثر نيتشه بموسيقى فاجنر حق لا شك فيه ، وقوله (إن موسيقى فاجنر فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه) يدهشنى بصدقه ودقته ؛ هذا التعبير الذى جعله الأستاذ المداوى هدفاً لأمر سخرياته . وإليك الدليل يا أخى (الأستاذ) بقلم نيتشه نفسه من كتاب (رسائل الصداقة بين نيتشه وفاجنر) وهو سفر يقع فى حوالى مائتى صفحة من القطع الكبير منه طبعة بدار الكتب بالقاهرة (Jntimate betters—The Nietzsche — Wagner Correspondence) وهو حافل بآيات الإعجاب والإشادة التى طالما أهداها الفيلسوف إلى صديقه الموسيقار المظيم . ونحن نكتفى منه بمقتطفات من إحدى هذه الرسائل — على سبيل التمثيل لا الحصر — (صفحة ٨٥) كتبها الفيلسوف يهدى معه نسخة من أول كتاب (تفتقت عنه عبقريته) إلى صديقه الموسيقار وقد سماه : « مولد التراجيديا من خلال روح الموسيقى » .

وهذا المؤلف بالذات تناوله البروفسور ليشتنبرجر فى أبدع فصوله من مؤلفه القيم عن نيتشه — إنجيل السوبرمان —

ويفتتح نيتشه خطابه بهذه العبارة الشائعة فى خطاباته لفاجنر :

أيها الأستاذ المظيم التبجيل :

لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه وإذا كنت أعتقد أننى به قد أصبت الحق فليس لذلك سوى معنى واحد هو أنك فى فنك على حق مدى الزمن والخلود — فى كل صفحة من صفحاته تجد شاهداً ناطقاً بشكرى على كل ما أوليتنيه ؛ ولكن يعرونى الجزع لشكى المخيف — إلى أى مدى استطعت أن أظهر نفسى أهلا لنفحاتك ؟ ! سأكون قادراً على إبداع أعمال أخرى أفضل فى مقتبل الأيام وأقصد بمقتبل الأيام ذلك الزمن الذى يكون فيه فن بايروت (يقصد فن فاجنر) قد طار صيته .

وفى نفس الوقت أشعر بالزهو إذ أحس بنفسى كجمرة تضطرم ؛ لأننى من الآن فصاعداً سيقترن اسمى باسمك إلى الأبد .

مدينة بال فى ٢ يناير ١٨٧٢ — ف . نيتشه

الا ترى يا أستاذ معداوى أن نيتشه يعترف صراحة بأثر فاجنر وفنه فى أول كتاب تفتقت عنه عبقريته ؟ فكل صفحة من صفحاته شاهد ناطق بذلك كما يقول الفيلسوف نفسه !! وإن نجاح نيتشه فى كتابه ليس إلا برهانا على نجاح تأثير الموسيقار وفنه ؟ بل إن الفيلسوف ليؤججه الشعور بالزهو والفخر إذ شعر باقتران اسمه باسم الموسيقار المظيم إلى الأبد ! مسكين أيها الخميسى الدعى ! يا من تتناول مشكلات الأدب والفن هذا التناول الذى يبعث على الضحك والعجب والإشفاق !

إن [المثقفين يا أستاذ فى كل مكان يعلمون حقاً أن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف] ولكن هؤلاء المثقفين أنفسهم يعلمون أيضاً أن هذه الموسيقى بالذات قد لقيت من قلم نيتشه أسمى آيات المديح . إنها حقيقة ذات وجهين يعرفهما كل مثقف فى كل مكان ! فهل أظهرت يا أخى أحد الوجهين وأخفيت الآخر متعمداً لترخى لقلمك العنان فى سخرياته من الخميسى الدعى الذى يصدم الخيال والواقع ويخالف منطق الحياة والأحياء هو وأمثاله (على حد قولك) حين يكتبون ؟! أم أنك كنت بالوجه الثانى لتلك الحقيقة على غير علم ؟! إننى أترك لك اختيار إحدى الحالين ... ولست أغبطك على هذا

الموقف ... الذى لا يبعد كثيراً عن ذلك الذى أراد أن يتمسك من الآية القرآنية بعبارة (لا تقربوا الصلاة ...) وترك الباقى لغاية فى نفسه وإن كنت شخصياً أنزه ناقداً مثلك عن هذه الغايات !

أما سبب ذلك الانقلاب من النقيض إلى النقيض للفيلسوف على صديقه الموسيقار فيعزوه المثقفون أو بعضهم على الأقل إلى علاقة غرامية أحس بها الفيلسوف نحو زوج صديقه الفنان ... حين كان يتصل بالزوجين اتصال المعجب ويخالطهما مخالطة الصديق ... وللحب سلطان فوق كل سلطان يا صديق — ولما عرف الزوج السر وقعت الجفوة بين الصديقين ... وإنك لتعرف أيها الأخ أن نيتشه لا يعرف فى المواطف انصاف الحلول .. فإما الصداقة الجارفة وإما المداوة الصارخة ، وهو فى فلسفته أيضاً كذلك ... فهو إما هدّام مدمر كأعنف ما يكون الهدم والتدمير ، وإما بان كأضخم ما يكون بناء بنّاء ... ومن كتبه التى تشهد بذلك — زرادشت — ضد المسيح — شفق الأصنام — ...

ولقد سبق لينتشة أن رفع شوبنهاور وفلسفته إلى عنان السماء ثم عاد وذمهما أشنع الذم .. ثم حملته المنيفة التى شنها على المسيح والديانة المسيحية . . إن ما قاله مالك فى الخمر هو بعض ما قاله نيتشة فى المسيح . والعجيب أنه كان يعد أولا ليكون من رجال الكنيسة .. !! ويقول نيتشة فى كتابه — ما وراء الخير الشر — وربما يعلل بهذا القول تقلباته المنيفة — إن المفكر عندما يبلغ الثلاثين يكون قد مر بجميع الأدوار التى مرت بها الإنسانية فى تطورها .

كنت أحب أن أنتهز هذه الفرصة لأستطرد فى بحث عن نيتشة الفيلسوف العجيب الفذ ، ولكنى أرجىء هذا إلى فرصة أخرى . وأشكر للأستاذ المداوى أن أتاح لى إنصاف الحق وأحب أن أقول له مخلصاً . . والله لولا حرمة الحق ما حركت قلمى فى هذا الموضوع — وإذا كان الخميسى صديق فالحق عندى أعز من كل صديق .. وفى النهاية أهمس فى أذنه : إنها جولة كسبها منك الخميسى لأنك لم تسد الثغرة حين سددت الضربة ... وعسى أن توفق فى جولة أخرى .. على أن كاتباً مثلك ينتظره مستقبل باهر عليه أن يبذل غاية الجهد ليحفظ قلمه بعيداً عن آفة الهوى ...

محمد فهمى

(الرسالة) تلقينا رداً آخر للأستاذ الخميسى فاكتفينا برد الأستاذ فهمى لاقتصاره فى النقل ووفائه بالغرض .

كلام الجواهر والدرر :

فى ص ١٣٥٠ من عدد (الرسالة) ٨٠٤ يقول كاتب المقال : « ترجمة الأوزاعى لابن حجر العسقلانى » .

عنّ لى أن أحقق هذا فرجعت إلى كتاب (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى) الذى نشرته مكتبة القدسى بالقاهرة فوجدته فى ص ١٢٠ يسرد ما ألف من التواريخ فى أفراد مخصوصين ، ثم يحيل على كتابه (الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) فرجعت إلى النسخة المصورة فى دار الكتب المصرية فعثرت فى خاتمته على جريدة حافلة فى ذلك ، يقول فيها : وسيرة أبى عمرو الأوزاعى جمعها الشهاب أحمد بن محمد بن زيد الدمشقى الحنبلى أحد من أخذت عنه ، فى جزء سماه « محاسن المساعى فى مناقب أبى عمرو الأوزاعى » .

وقد ترجم السخاوى لابن زيد هذا فى تاريخه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) المطبوع بمصر ، وذلك فى الجزء الثانى منه وذكر فى ثبت مؤلفاته كتابه هذا « محاسن المساعى » .

ثم رجعت إلى الباب الخامس من « الجواهر والدرر » المعقود لمؤلفات ابن حجر العسقلانى ، وهو فى ١٨ صفحة كبيرة ، فلم أجد فيه ذكراً لكتاب فى هذا الموضوع للحافظ . ولو كان له مصنف فى ذلك لما خفى على تلميذه الأثير شمس الدين السخاوى وترجم له ابن العماد فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) فى أربع صفحات ، وسرد من أسماء مؤلفاته ٧١ كتاباً ، ليس منها هذا الكتاب .

وقصدت أيضاً إلى (الضوء اللامع) فوجدت للحافظ ترجمة فيه ، ليس فيها شىء من ذلك أيضاً .

وعلى هذا فالنسخة الموجودة فى دار الكتب من « محاسن المساعى » المنسوبة إلى الحافظ ابن حجر هى للشهاب بن زيد قطعاً .

محمد أسامة عليبه



كتابان وكاتبان

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

فى الربع الأول من القرن الحالى ، كان يقول الأدباء فى مجالسهم فى أديب كان معروف المكانة الأدبية آنذاك : إنه يؤلف عندما يترجم ، ويترجم حينما يؤلف .

تلك المقالة التى كانت تقال همساً فى مجالس الأدباء كانت تنطبق على أكثر كتاب وأدباء ذلك الجيل ممن كانوا يردون الأدب من موارد الغرب ، ولم يكن يستثنى منهم إلا نفر حرصوا على كرامتهم الأدبية وعلى كرامة الأدب نفسه من الابتذال ، فبقيت آثارهم تدل على أمانتهم فى الترجمة وفضلهم فى النقل .

ما كاد يهل الربع الثانى من القرن العشرين ؛ عصر الآداب والفنون والعلوم ، حتى ظهرت بيننا ظاهرة جديدة فى الترجمة والنقل استحدثها كاتب شيطان لبق مرن ، واسع الاطلاع على الأدبين العربى واللاتينى ، فتوفر دائماً للحركة والعمل ، ودأب على الإنتاج وعلى إثارة الضجيج حوله ، وما لبثت تلك الظاهرة بدعة الشيطان الدريش ، أن انتشرت بين الكتاب لسهولتها وهم اقتباسها واستهالها عند الكثيرين من الكسالى الذين تستهويهم الشهرة ويجتذبهم حب الكسب . وهكذا صار تلخيص الكتب والروايات الغربية ونشر هياكلها بعد مسخ روحها ونسخها هو القاعدة فى الترجمة والنقل ، ولكن أبى الأمناء من المترجين ، وهم قلة ، والحرصاء على النقل الصحيح فى آداب الغرب إلا السير فى طريقهم القديمة ، والنهل من الينابيع النقية الصافية ، غير آبهين بالبرهات والخزعبلات الشيطانية ، وقد أنكروا ذواتهم واستهانوا بمنفعتهم حباً للأدب ، ووفاء لأمتهم الناهضة . وهكذا أعدوا للجيل الجديد موائد فوقها ما فوقها من الشهى المستحب من أدب الغرب النافع .

* * *

الترجمة فى الأصل فناء شخصية معجبة فى شخصية مبدعة . وهى ككل الفنون لا محيد لمتعشقها من موهبة طبيعية . فكما أن المستحيل على غير الموهوب أن يكون موسيقياً أو شاعراً أو رساماً ، كذلك يكون من المسير أن يكتسب الكاتب فن الترجمة اكتساباً « وفن الترجمة لا يكفى فيه الجهد المبذول ، ولا تحمل العناء ؛ ولا بد فيه من التوفيق » . ولما كانت خصائص إعجاب المترجم الأمين تتقارب من خصائص المبدع الفنى وتضارعها ؛ لأن كليهما يستلهم الوحى من فيض الروح ، ولما كانت نهضتنا الأدبية فى وقتنا الحاضر قد سبقت النهضات الأخرى غير الأدبية بمراحل ، وقد سلكت فى سيرها الحى سبيل الجد فى الإنشاء والتأليف والترجمة ، ولما كانت الأمانة رائد المترجين الموهوبين وهدفهم ، صار لزاما بحكم تطورنا أن ينجلى صبح الترجمة وأن يشرق نورها ، وقد انجلى ذلك الصبح البهيج فى أمور ثلاثة تستوقف النظر وتسترعى الانتباه .

الأول : القدرة على تقمص روح المترجم عنه والاندماج فيه

الثانى : الحرص على جو الزمان والمكان وحسن الاختيار .

الثالث : استيعاب فلسفة الموضوع وإبراز شخصية المترجم .

وقد وضحت هذه الصفات الثلاث وتبدت فى كتابين ظهرا حديثا : الأول « ڤيراتا » للأستاذ على أدهم الكاتب الفنى عن التعريف ، والثانى « أقاصيص مأثورة » للأستاذ كامل البهنساوى بك القاضى بالمحكمة المختلطة .

فى كتاب الأستاذ أدهم خمس عشرة قصة تمثل الأدب الألمانى والفرنسوى والروسى والإيطالى والبولندى ، منها المستمدة من صميم الحياة ، ومنها القائمة على الأسطورة . وكذلك فى الكتاب الثانى خمس عشرة قصة تمثل الأدب الذى اختاره الأول ، منها ثلاث تمثيليات هى « ڤاوست » و « كارمن » و « البوهيمية » وقصة ملخصة تمثل الأدب البولندى قرأتها كلها بلذة المطالع ، ورغبة الناقد ، وحب الإفادة والتتبع ، وقصد التعريف .

تمنيت لو عمد الأستاذ البهنساوى بك إلى النقل وأهمل التلخيص ، ولكنى وإن كنت أرضى بعض الرضى عن تلخيص

التمثيليات الغنائية ولكنى لا أرضى أبداً عن تلخيص قصة « حارس المنارة » ولا أقبل أى عذر يسوغ حذف صورة واحدة أو اقتضاب جملة واحدة من تلك القصة العظيمة لأنها بجملتها قائمة على التصوير الفنى .

يجلس البهنساوى وأدهم على مائدة أدبية واحدة حافلة بأغذية دسمة متنوعة ، إلا أن الأول جائع يتلقف لقمته بنهم ويبتلعها على عجلة . والثانى جائع أيضا ولكنه يتناول طعامه بقدر وتمهل وأناقة بمضغ ويزدرد ولا يعف عن المرق والتوابل « يرمرم وينقنق » ويطبق على الحلوى والفاكهة ، ويهب ويدب ... ويجتر . وأنت ترى هذه المائدة ممدودة فى كتابيهما عليها الكثير من ألوان وأنواع الأدب الشهية ما عدا الأدب السكسونى !!

البهنساوى بك قاض فى التحقيق التجارى ، والأستاذ أدهم « دعباس » بحكم وظيفته بوزارة المعارف ، لا يترك صغيرة أو كبيرة لا يحققها ، وكفى به أنه — فى أكثر ما يكتب — نباش قلوب العظماء ومستحضر أرواح الخالدين فى كتب التاريخ يسألهم عن اللمحة الخاطفة التى غفلت عدسات المؤرخين عن تسجيلها ليردها إلى حقيقتها ويضعها وضعها الصحيح ، فكاتبان هذا شأنهما فى حياتهما اليومية — أدبية وعملية — قد لا ينحرفان فى الترجمة عما اكتسباه من ضبط ودقة يوجبهما حكم العمل ، فضلا عن حكم الفطرة الأصيلة الدقيقة .

إن الدقة فى الترجمة والأمانة فى النقل ، وهما الخلتان اللتان تجمعان بين البهنساوى وأدهم فى كتابيهما التوأمين ، يفرق بينهما الأسلوب ، فأسلوب القاضى إنما هو « تقريرى » محض ، فى حين أن أدب القصة بعيد عن التقرير الفقهى والقانونى ، وقد لمس الأستاذ خليل مطران هذا الموضوع لمساً رقيقاً فى مقدمة الكتاب حيث قال « توخى نافل أقاصيص مأثورة إلى لغة الضاد أن يجلوها للمطالعين مصورة بمثل التصوير الشمسى » وقال أيضاً : « ينبغى أن يكون الكلام متحركا بحركات الحياة فى كل حالة من متعدد حالاتها » بيد أن أسلوب أدهم أدبى مجنح ، وقد حرص على المعنى وحافظ على جمال المبنى . أما الأستاذ البهنساوى فقد حرص أيضاً على روح الموضوع واحتفظ بجو المكان ، وقد لزم كل منهما طبعه الأصيل .

عنى الأستاذ البهنساوى بتقديم قاصى قصصه وتمثيلياته وتعريفهم بترجمة حال وسير موجزة أراد بها أن يستوفى الواقف عليها ما يعينه على إدراك الكنه فى تلك الأقاصيص ، وتفهم الخصائص التى تمتاز بها كل منها فى نوعها وفى بيئتها ، إلا أنه أوجز كثيراً واكتفى بذكر سنة الولادة والوفاة . وإليك المثال فى التعريف « وولوع « بول هيس » مؤلف قصة « الناضبة » بالرحلات إلى إيطاليا هى التى أوحت إليه فنه » . فى حين أن الأستاذ أدهم عنى ذات العناية ، ورمى ذات الهدف ، ولكنه لم يوجز بل وقف فى تعريف القاص الذى ترجم عنه ، وفى التمهيد له بفلسفة القصة موقفاً لم يسبقه لمثله سواه من المترجين .

قال يترجم لكاتب ألمانى : « وكتابة جاكوب فاسومان لم تتسم كما يبدو بالإشراق والصفاء والاتزان ، وإنما تمتاز بالجدية والصرامة والقوة ، فلا يطالعك من صفحاته الروض الناضر ، أو الصباح البسام ، وإنما تشرف منها على الليل المدلهم والعاصفة المازفة ، وهو لا يكشف لك عن حرية الإنسان وقوته ، ومجده وعظمته ، وإنما يريك مصارعة الإنسان لأحزانه العميقة ، وهمومه الشديدة ، ومطاردته لأهوائه العنيفة وشهواته الغلابة . وربما كانت قوة شعوره أعظم من قوة فنه » : وقال فى التمهيد لفلسفة قصة « اضطهاد » للكاتب الفرنسى بوتيه : « الحياء علة من علل الإرادة ، وآفة من آفاتها الشخصية . وقد عرفه أحد من توفروا على بحث طبيعته ، بأنه حاجة ماسة إلى العطف وجدت ما يصدها ويدفعها ، أو يغرر بها ويخدعها ، والحيى إنسان عاطفى يود أن يفتح قلبه وينفض ما فى نفسه ولكنه يحجم عن ذلك ... » .

* * *

ما كل قصة جديرة بالترجمة حتى وإن كان مؤلفها من كبار القصصيين ، وما كبار القصصيين أصحاب الشهرة العالمية سوى أناس مثلنا يصيبون ويخطئون ، يجيدون ويقصرون فى الإجادة . ويكفى للدلالة على ذلك أنه ما من كاتب من الخالدين سلمت تواليفه كلها من النقد خصوصاً بواكيرها أو خواتيمها ، وأن شهرتهم ما قامت إلا على القصة التى تحمل من عناصر الحياة الإنسانية ومن خصائص الابتكار والإبداع الفنى أوفرها ، ومن إكسير الخلود ما يجعلها موفورة النضارة والجمال والحيوية لكل جيل وزمان وأمة .

ولا عبرة بمـا ينشره الناشرون التجار من قصص كتبها العظماء قبل تمـام نضوجهم ، بل العبرة فى الاختيار : لأنه عنصر فنى أساسى . وقد أحسن الأسـتاذان : الهنساوى وأدهم اختيار القصص كلها لأنها تمثل ألواناً من أدب وقسمات من حيوات نحن فى أشد الحاجة إليها ؛ ولأنها تعين كتاب القصة منا وتسد حاجة الذين لم يتيسر لهم أن يعرفوا لغة أجنبية ؛ ولأنها ركن من أقوى أركان الثقافة التى ترفع مستوى المنتجات الفكرية وخصوصاً فى نواحى السياق والاستنباط والتصرف فى الفن القصصى .

إنى وإن كنت استحسنت ما اختار الأستاذ أدهم من القصص التى ستكون نمـاذج للذين لم يخرجوا بعد فى قصصهم عن نطاق الغرائز ودائرة الشهوات الجنسية . لا أميل إلى الأسـطورة ، ولا أستسيغها سواء أكان ملفقها تولستوى أو زفايج — وهذا لا يعنى أنى لا أقدرها قدرها ولا أقيم وزناً لمراميها الإنسانية التى هى فوق مستوى البشر كما فى قصة « فيراتا » وإن كانت تدفع بالفكر إلى ما وراء المعقول وبالذهن فى جواء واسعة للتصور والتخيل ، بل لأن إدراكنا ما برح يقف عند بداءة الأشـياء وأوائل الأمور ، ولأنه ما برح يزحف فى نطاق ضيق من المـادية الملموسة المنظورة ، ولمـا نفقه بعد نطاقنا الضيق وحدوده فما بالك بما هو أبعد من البداءة وأعمق من الأوائل ؟

* * *

قال الأستاذ الهنساوى فى مقدمته « من بين فنون الأدب وطرف البلاغة تفردت القصة بالذيوع ، وخصها جمهرة المطالعين بالأولوية ، وحبسوا عليهـا أوقات فراغهم ؛ والسر فى ذلك هو اتصال الرواية بالحيـاة ، ففيها تأخذ الحوادث بأعناق بعضها زاخرة بالشخصيات ، وقد أفرغ عليهـا الـكاتب من فنه المبدع ما يجعلها ماثلة أمامك يجرى فيها الدم تهتف بالبقاء للبقاء فتكون متعة للناس ، ومطلبهم جيلا بعد جيل » .

وقال الأستاذ أدهم : « والقصـة فى العصر الحاضر كثيرة الألوان متنوعة الشكول ، تـكاد تتحدى كل تعريف وتتجاوز كل تحديد ، وتختلف صورها لاختلاف العقول وتباين الأمزجة فلا يستطيع الإنسان أن يحدد معالمها ، ويحصى سماتها وملامحها» وكلما كانت القصة أصدق فى تصوير الواقع وترديد صـدى الحياة كانت أدخل فى الأدب والفن وأدنى إلى البقاء والخلود » .

وأعيد هنا ما سبق لى قوله فى مقدمة كتابى « شباب قلب » لا شك فى أن القصـة قصيرة كانت أم طويلة ، هى خير وسيلة للتعبير عن الخلجات الإنسانية ، وأرحب مجالا للذهن الخصب ، وأبرع حيلة يحتال بها صاحب الرسالة على عقول ومشاعر لا تؤخذ ولا تستصلح إلا بالحيلة والتشويق » .

* * *

وددت لو أقف طويلا حيال قصة من تلك القصص والأقاصيص الممتعة التى دبجها المترجمان الفاضلان فى أدبنا العربى ، ويسرنى أن أقول إنه سيكون لـكتابيهما الأثر الفعال فى الإعداد لإنشـاء القصص ، وأنهما سيخلدان ذكراهما كترجمين أمينين ، وأنهما يعينان على النهضة الأدبية وتوسعة آفاقها وتهيئة الأسباب القوية لتبلغ المقام الحقيق بها بين أرقى اللغات فى هذا العصر .

حبيب الزحلاوى

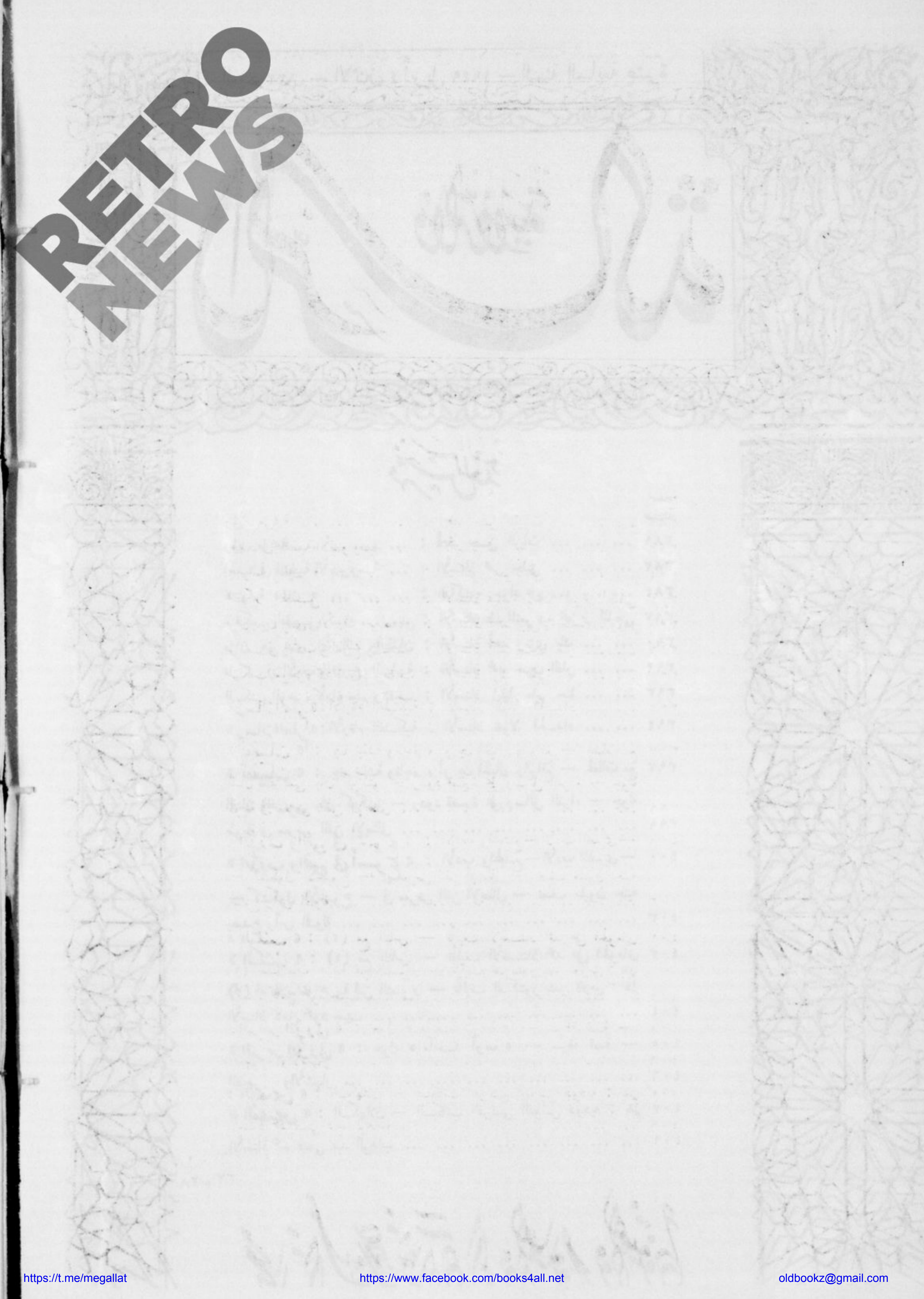


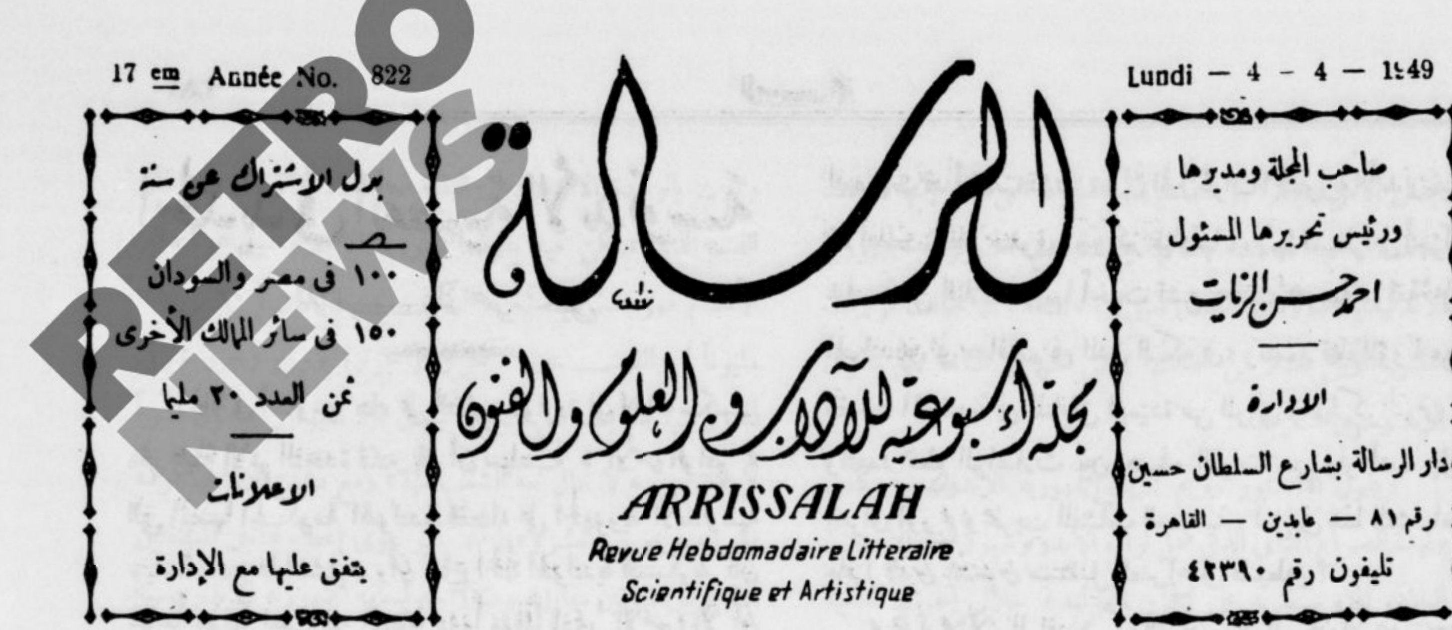
العدد ٨٢٢ — الاثنين ٤ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



فهرس العدد

٣٢٠٢٨





17 em Année No. 822 — Lundi — 4 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ٤ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

رُؤيا مزعجـــة

لم أكد آوى إلى فراشى البارحة حتى انثالت على خاطرى صنوف أشتات من جملة ما سمعت وقرأت عن حال المشردين من عرب فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجُرّدوا من مالهم بغير رحمة ، وقُضى فى مصيرهم بغير عدل . وكان مبعث هذه الصور حديث سمعته عصر الأمس من صديق عاد من فلسطين بعد ما رأى بعينيه أفظع مناظر البؤس ، وسمع بأذنيه أروع مآسى الحياة . وكنت وهو يتحدث أتمثل من خلال وصفه طرائد صهيون من ورّاث المجد وربائب النعيم يلوذون بمغاور الجبال وكهوف الأودية ، ويتبلغون بيابس النبت وآسن الماء ، ويتسترون بأخلاق الثياب ومِزَق الخيش ، وأطفالهم دِقاق الأشباح فوق ظهورهم أو بين أيديهم يتضاغون من الجوع ويتطارحون من الكلال ؛ ونساؤهم الشواحب العجاف يجررن أرجلهن الدامية على الحصى جراً فلا تكاد تتبعهن من فرط اللغوب . فإذا ذكرن ما صنع بهن علوج إسرائيل ذرفن ما بقى فى المآقى ، ثم تطلعن لهفى إلى صلاح الدين الهاشمى يستصرخنه للمجد المغلوب ، والتراث المغصوب ، والعرض المسلوب ، فتهب وا أسفاه ريح (غربية) تعدل بصرخاتهن عن القصر إلى القفر ، فلا يسمعهن وريث الرشيد ، ولا ينجدهن سليل المعتصم !

أمست هذه الصور المروعة تتمثل فى ناظرى ، أو تتراءى فى خاطرى ، وصوارف العمل أو شواغل الناس تخففها الساعة بعد الساعة ، حتى خلوت إليها على وسادى القلق ، فتوالت فى ظلام الغرفة مسرعة على عينى ، كما تتوالى صور الفلم متلاحقة على عين الشاهد ، فرأيت فى أطراف فلسطين وعلى حدود جاراتها المضيافة ثلاثة أرباع المليون من كرام العرب يعيشون فى المضارب والملاجئ عيش الحرمان ، يقتاتون السّوف ، ويكابدون الجوع والخوف ، وينظرون إلى رياضهم الجنية تعيث فيها الذئاب ، وإلى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لأنفسهم إلا عبرات تتحدر وزفرات تتصعد ، ومجلس الأمن ووسيط هيئة الأمم ولجنة التوفيق ودول الديمقراطية يستطعمون الواغل لصاحب المأدبة فلا يُطعم ، ويستعطفون الدخيل على مالك الدار فلا يعطف !

وثَقُل الأسى على أعصابى المضطربة فغلبنى النوم . ولا أدرى بعد كم دقيقة أو ساعة من رقادى دخل علىّ فى مكتبى صديقى المغفور له إسعاف النشاشيبى فى هيئة مبذوءة وثياب رثة : بذلة من الصوف المهلهل لا لون لها من البلى ولا معالم ، وطربوش كلبدة الفلاح دارت عليه لفافة من بقايا قميص ممزق ، وحذاء غليظ من أحذية الجيش لا رباط له ولا جورب ... فقلت له وأنا لا أصدق عينىّ ولا أملكهما : ماذا صنع الدهر بالثرىّ السخى المترف المتنطس يا إسعاف ؟ ! فقال فى تسليم واستكانة : هوما ترى ! رأيت بعينى حى (الشيخ جراح) يُستباح ويجتاح ، ودارى العربية تحتلها كتيبة يهودية ، ومكتبتى الحبيبة تنقل إلى الجامعة العبرية ، وضياعى الخصيبة فى يافا يحول ريعها إلى تل أبيب ! فلما رأيتُنى أصبحت لا دار ولا أهل ولا مِلك ولا مال ، هاجرت مع المهاجرين ،

الجديد في القضية الأندونوسية

للأستـاذ عمر حليق

الحالة فى أندونوسيا بناء على التقارير الواردة إلى لايك سكسس مقر هيئة الأمم المتحدة تشير إلى أن سياسة « الأمر الواقع » التى اتبعتها الحكومة الهولندية للقضاء على الجمهورية الأندونوسية سياسة مصيرها الفشل ، وأن نجاح الحملة الهولندية العسكرية كان نجاحاً مؤقتاً لعبت فيه الدعاية دوراً موفقاً بادئ الأمر ، إلا أن حقيقة الأوضاع العسكرية والسياسية تظهر بوضوح تعقد الحالة مما يتطلب تغييراً جوهرياً فى موقف الهولنديين من الجمهورية الأندونوسية ، ومن عنادهم تجاه مقررات مجلس الأمن الدولى ، ومن الصوت الأسيوى الذى ناصر الأندونوسيين من مؤتمر نيودلهى

والتقارير عن الحالة فى أندونوسيا ترد عن ثلاثة مصادر :

(ا) لجنة التوفيق الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة التى تعمل الآن في أندونوسيا . (ب) ممثلى الجمهورية الأندونوسية .

(حـ) الحكومة الهولندية .

وفيما يلى بإيجاز أهم ما بعثت به هـذه المصادر الثلاثة من معلومات تلقى ضوءاً على مستقبل الصراع بين الحرية والاستعمار فى ذلك الجزء المهم من العالم الإسلامى :

فلجنة التوفيق الدولية (وهى المعروفة سابقاً بلجنة المساعى الحسنة) تؤكد بأن الوضع العسكرى وحالة الأمن فى أندونوسيا هما الآن أبعد ما يكونان عن الاستقرار ، فلقد احتلت القوات الهولندية فى ضربات خاطفة ، وبعد استعداد شهور طويلة ، بعض المدن الأندونوسية الكبرى ، ولكنها عجزت عن السيطرة على أكثرية المناطق الريفية كما عجزت عن تأمين المواصلات بين مناطق احتلالها وعن حفظ الأمن حتى فى المدن التى ترابط فيها الجيوش الهولندية . ويقول مراقبو هيئة الأمم إن حرب العصابات قد أخذت تشتد ، وإن فلول قوات الجمهورية الأندونوسية قد أعادت تنظيم صفوفها وتركيز قيادتها ، وإنها تسيطر على أجزاء شاسعة من البلاد ، وإنها أخذت تشن حملات هجومية موفقة على الهولنديين فى معاقلهم فى المدن الكبرى ، وتتعمد قطع المؤونة عن القوات الهولندية فى المناطق البعيدة عن الموانى ومراكز التموين ، وتتعمد قطع المواصلات بين هـذه القوات حتى ولو أدت إلى إحراق الزرع وتخريب المنشآت العمومية . لعل فى هذا النشـاط حافزاً للذين يضمون مستقبل الصراع فى فلسطين !

ويقول هؤلاء المراقبون كذلك أن معظم السكان الأندونوسيين ينهجون منهجاً سلبياً فى مناطق الاحتلال الهولندى فيتعمدون المقاطعة وعرقلة الأعمال التى تعود على الهولنديين بالنفع .

وتلخص تقارير اللجنة الدولية هذا الوضع العسكرى السيئ فتقول إنه ليس للحكومة الهولندية قوات عسكرية كافية لحفظ النظام فى منطقة الجمهوريين ، وإن الإدارة المدنية الهولندية هناك لا تحظى بثقة الشعب وتعاونه ، وإن على الهولنديين والحالة هذه أن يكفوا من المواربة وأن يعيدوا نظام الحكم الجمهورى ، وأن يحملوا قرارات مجلس الأمن القاضية بتأليف اتحاد الولايات الأندونوسية فى نطاق الحكم الذاتى الذى يتدرج بالبلاد فى فترة شهور قصيرة إلى الاستقلال التام ، بعيداً عن السيطرة الهولندية .

وترد الحكومة الهولندية على تقارير اللجنة الدولية هذه فتقول إن تحليل الوضع العسكرى والسياسى فى البلاد هو رأى خاص تبديه اللجنة ، وإنه لا يستند إلى المعلومات الوافية الصحيحة.

ولكن الهولنديين يعترفون مع ذلك بأن الوضع فى أندونوسيا ليس مرضياً ، ولذلك فإنهم تواقون إلى التعاون مع الزعماء الجمهوريين الوطنيين فى إيجاد حل وسط — حكومة اتحادية تشمل المناطق الرئيسية الثلاث فى الجزر الأندونوسية تكون مرتبطة بالعاصمة الهولندية لاهاى ارتباطاً من شأنه أن يحفظ المصالح الهولندية التى يعيش عليها الجزء الأكبر من الاقتصاد الهولندى لا فى أندونوسيا فحسب ، بل فى هولندا نفسها .

وجواب ممثلى الشعب الأندونوسى من الوطنيين الجمهوريين على هـذه المقترحات الهولندية يؤكد بأن طبيعة التعاون الذى تنشده هولندا يقضى على بعض الحقوق الأساسية للقوميين الأندونوسيين . فيشير الدكتور محمد رويم Roem رئيس الوفد الأندونوسى الملحق بلجنة التوفيق الدولية فى مذكرة بعث بها إلى

ولجأت إلى مصر مع اللاجئين . وقد كنت تقول لى وأنا أوثر « الرسالة » بجهدى الضئيل : لولا غناك لأعطيناك . وها أنذا اليوم أصبحت فارغ الكف والقلب من المال والأمل ، لا فى الجيب ولا فى الغيب ! ثم بكى فبكيت ؛ وسمع نشيجى بعض أهلى فأيقظونى ، فاستيقظت وأنا أحمد الله لصديق أن مات ، قبل أن يقاسم وطنه وقومه هذه النكبات !

احمد حسن الزيات

مجلس الأمن مؤخراً إلى أن طريقة التسوية التي تدعو إليها هولندة تخالف اتفاقية سابقة عقدتها هولنده مع الحكومة الجمهورية الأندونوسية المعروفة باتفاقية رنفيل Renville ، كما تخالف قرارات مجلس الأمن فضلا عن تجاهلها بعض النواحي الهامة من حقوق الأندونوسيين الشرعية .

ويقول الدكتور رويم : إن الجمهورية الأندونوسية كانت وليدة الصراع الدامي الذي حمل لواءه الأندونوسيون ضد الاحتلال الياباني إبان سيطرته على الجزر الهولندية خلال الحرب العالمية المنصرمة ، وأن هولنده عجزت عن حماية الأندونوسيين من العدوان الياباني ، وتركتهم لمصير قاتم عند ما تراجعت القوات الهولندية في جبن أمام جحافل اليابانيين . ولقد بذل الوطنيون الأندونوسيون أرواحاً غالية ثمن الاستقلال الذي عملوا له في وجه العسف الياباني ، وأعلنوه عند ما واتتهم الفرصة السانحة في أعقاب هزيمة اليابان .

فأي حق لهولندة أن تطالب بأن تكون شريكة في تقرير مصير أندونيسيا أو أن تطالب بحقوق وامتيازات ؟

ثم إن هناك نقطة قانونية تصر على أهميتها مذكرة الدكتور محمد رويم ؛ وهي أن النزاع بين الجمهورية الأندونوسية وهولنده هو نزاع دولي وليس نزاعاً محلياً كما يدعي الهولنديون ؛ فقد اعتدت دولة هولنده على دولة أخرى (هي الجمهورية الأندونوسية) ذات سيادة اكتسبتها بالدم والنار ولها من العمر ثلاث سنوات معترف بها من دول عديدة في طليعتها دول الجامعة العربية . وقد اعترف بها مجلس الأمن الدولي كذلك ، ووصف الهولنديين بأنهم خصم للجمهورية الأندونوسية ، إذن فدعوة الحكومة الهولندية دعوة غير قانونية ، والمشروع الهولندي الذي تحاول هولنده بواسطته أن تسوي النزاع مشروع باطل لا يستند إلى قانون فوق كونه يتضمن في خبث القضاء على حرية الشعب الأندونوسي وسيادته . فهو يرمي إلى تقسيم البلاد ثلاث مناطق، كل منطقة لها حكم ذاتي خاص، ولكنها تشترك في إدارة مركزية تكون سيطرة الهولنديين عليها قوية في معظم الشؤون الداخلية ، وفي السياسة الخارجية .

وهذه المناطق الثلاث التي يقترحها الاستعمار الهولندي للبلاد الأندونوسية مقسمة تقسيما مشوها يخدم مصالح الهولنديين ويعبث بالوحدة الاقتصادية والثقافية للبلاد . وفوق ذلك فإن القسم الذي تمكن فيه نفوذ الجمهورية الأندونوسية هو أكبر الأقسام فهو يضم الأكثرية الكبرى من السكان (٦٠ من ٧٥ مليوناً) والقسمين الآخرين (جزيرة بورنيو وجزر شرق أندونوسيا) لا يضم من السكان سوى ١٥ مليوناً يخضعون قسراً لإدارة صورية لا تنال ثقة الشعب بها ، ومع ذلك فإن الحكومة الهولندية بموجب مشروعها المذكور تنوي إعطاء هاتين المنطقتين الأخيرتين صوتين مقابل صوت واحد لمنطقة الجمهورية الأندونوسية التي تشكل ٩٠ بالمئة من السكان . وتؤكد مذكرة الدكتور رويم بأن الإدارات الصورية التي أقامها الهولنديون في مناطق سيطرتهم في بورنيو ومنطقة الجزر الشرقية في أندونوسيا لن يتسنى لها أن تعيش ساعة واحدة إذا سمح للشعب الذي تسيطر عليه أن يعبر عن رغبته الصادقة باستفتاء محايد أو انتخابات ديمقراطية .

ويضيف ممثلو الجمهورية الأندونوسية في تفنيدهم لما استتر من شر في المشروع الهولندي مشيرين إلى أن فترة انتقال الحكم من الهولنديين إلى الوطنيين جُملت بطريقة تجمل السيادة الوطنية في المستقبل حين تتحقق ، سيادة قلقة ضعيفة لا تلبث أن ترتمي في أحضان الاستعمار الهولندي . إذ أن القوة الحقيقية في فترة الانتقال ستظل في أيدي الهولنديين وسيمنع الجمهوريون في فترة الانتقال هذه من ممارسة الإدارة ، والحكم في مراكز التوجيه وسيمنعون حتى من إنشاء قوات بوليسية وعسكرية لحماية البلاد وصيانة الأمن ويترك ذلك كله في يد الجيش الهولندي ، ولن يكون للاندونوسيين تمثيل سياسي خارجي ولا اتصال مباشر بالعالم الخارجي .

وقد بحث مجلس الأمن مؤخراً هذه الشكاوى والادعاءات والتقارير الواردة من المصادر الثلاثة : اللجنة الدولية ، وممثلي الجمهوريه الأندونوسية ، ومن الهولنديين ، فقرر أن تظل قراراته السابقة بصدد النزاع في أندونيسيا أساساً لتسوية الحالة . وهذه القرارات في جملتها في صالح الوطنيين الأندونوسيين وهم يريدونها أن تكون أساساً للحكم على مستقبل السيادة في ذلك الجزء الغني من القارة الأسيوية .

وقد ندد مجلس الأمن بموقف الحكومة الهولندية بصدد

سماعه شكاوى لجنة التوفيق الدولية من أن الحكومة الهولندية تعمل متعمدة على عرقلة أعمال اللجنة فتماطل فى التعاون ، وتحاول أن تتفادى قرارات مجلس الأمن وأن تقوض النظام الجمهورى فى أندونوسيا .

وتلاقى القضية الأندونوسية عطفاً منقطع النظير فى الأوساط الدولية الغربية إذا قورنت بقضايا التحرر الأخرى والإسلامية منها على الأخص . ولعل السبب فى ذلك مغريات الجزر الأندونوسية والسعى لاكتساب صداقة الأندونيسيين الذين سيفوزون عاجلا أو آجلا بسيادتهم التامة على بلادهم .

وكان موقف مندوب الحكومة الهولندية فى جلسات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بالقضية الأندونوسية أميل إلى التسليم . وهذا ما يبعث المتتبعين للقضية الأندونوسية على الاعتقاد بأن الجمهوريين سينالون فى المراحل النهائية سيادتهم .

(نيويورك) عمر حليق

« وقعة صفين »

للدكتور جواد على

واقعة صفين من الوقائع الهامة التى يجب دراستها بعناية ، لأن لها ولسائر الوقائع الأخرى التى وقعت فى صدر الإسلام أثراً كبيراً فى التاريخ العربى . وقد عنى جماعة من الرواة بأخبارها وألفوا فى ذلك كتباً ، تعد فى نظر المؤرخ المراجع الأولى التى يجب الرجوع إليها لمعرفة العوامل السياسية والظروف التى لعبت دوراً جسيما فى إثارة تلك الأحداث التى أثرت فى مستقبل العرب والإسلام .

وتلك المصنفات التى ذهب الدهر بأكثرها هامة جداً لأنها المراجع الأولى التى يجب أن يعتمد عليها المؤرخ فى تدوين التاريخ وليس لكتب اليعقوبى والطبرى والمسعودى وابن مسكويه ، وابن الأثير وغيرهم تلك القيمة — على جلالتها وأهميتها — التى يضعها الناقد الحديث للأصول . ثم إن هذه الكتب نفسها قد رجع إليها واغترف منها . وقد أخذت أكثر أخبارها من شهود عيان . وليس الخبر كالعيان .

من أجل هذا ومن أجل رغبتنا فى تدوين تاريخ نقى للعرب صاف يعيد إلى ذهننا صفاء الإسلام وصفاء تلك العقيدة التى حاربت الحمية الجاهلية والتفكير الجاهلى والعصبية القبلية ، ومن أجل أن يكون لنا تاريخ مكتوب وفق الأساليب العلمية الحديثة مستمد من المصادر الأولى وجب علينا التفتيش قدر الطاقة عن أقدم النصوص لدراستها دراسة علمية حديثة ، ولا سيما تلك النصوص التى دونت فى البيئات المحايدة التى لم تنجرف مع التيارات السياسية ومن أشخاص عرفوا بالعلم والاطلاع ، وفى الأماكن التى حدثت فيها تلك الأحداث أو كانت قريبة منها . ويؤسفنى أن أقول إن أكثرها قد فقد وأتلف عمداً أوسهواً ، فنحن لا نملك من الكتب التى وضعت فى الصدر الأول شيئاً ، ولا نملك من المؤلفات الأصول غير مؤلف أو مؤلفين .

فالعالم العربى والعالم الإسلامى بل والعالم الغربى فى حاجة إلى هذا التاريخ ، إلى تاريخ علمى منظم دقيق يكتب بروح حيادية على نمط الكتب المؤلفة فى الغرب ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بالاعتماد على الأصول ، وعلى محسن فهم الأصول عقول ، ولأجل هذا لا يمكن الاعتماد بعد اليوم على مؤلفات المستشرقين لأن ما فيها إما أن يكون غير حيادى وإما أن يكون ناقصاً لا يعبر عن نفسية هذا الشعب ، لأنهم لا يستطيعون التعبير عن نفسيته ولا فهم عواطفه . ثم إن من العار على أمة تريد النهوض ومجاراة الأمم الأخرى الاعتماد على المستشرقين وفيهم الغالبية من الصهاينة أعداء العرب والإسلام . من أجل هذا كان سرورى عظيماً بكتاب «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة ٢١٣ للهجرة ؛ لأنه أصل من تلك الأصول التى أبحث عنها والتى كتبت عن وقعة واحدة وجمعت مختلف الروايات التى قيلت عنها . وأرجو أن نوفق إلى روايات أخرى تمثل وجهة نظر أهل الشام مثل روايات عوانة الكلبى الذى كان يعرفها بحكم اتصاله بكتاب التى كان لها نفوذ هناك ، كما أتمنى العثور على كتب أخرى عن هذه الوقعات وعن الحوادث المهمة التى وقعت فى صدر الإسلام .

ولنصر بن مزاحم مؤلفات قيمة تناولت الأحداث التى وقعت فى العراق ، وهو ثقة فيها وقد نقل عن مؤلفاته جماعة من المؤرخين

فاعتمد على كتابه « كتاب الجمل » الذى تناول أحداث وقعة الجمل أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة . أخذ ذلك عن على بن أحمد بن الحسن المجلى عن الحسين ابن نصر العطار وهو ابن نصر ابن مزاحم المنقرى [١] . ووضع رواياته هذه مع الروايات الأخرى التى أخذها عن السرى عن شعيب عن سيف بن عمر الأسدى الكوفى المؤرخ الشهير وصاحب الكتب المعروفة فى الفتوح والردة والجمل وغير ذلك ، والذى هو موضع ثقة الطبرى فيها حتى أنه رجحه على الواقدى ، وهو سند نصر بن مزاحم بنفس الوقت .

وقد ألف غير واحد من المؤرخين فى وقعة صفين ، منهم أبو مخنف لوط بن يحيى المتوفى سنة ١٥٨ للهجرة . [٢] وهو من أنشط الرجال الذين عنوا بتاريخ العراق ؛ وهو من مشائخ نصر ابن مزاحم بنفس الوقت . وقد اعتمد عليه الطبرى فى وقعة صفين والتاريخ الأموى والأحداث التى وقعت قبل صفين وأورد من كتب أبى مخنف قطعاً طويلة تمطينا فكرة مهمة عن الأسلوب المشرق الذى اتبعه فى تدوين التاريخ وفى الإنشاء العربى فى ذلك العهد [٣] وهو مرجع لأكثر المؤرخين . ويمكن جمع أقواله المشتتة فى كتب الواقدى والبلاذرى والمسعودى وغيرها وتكوين فكرة عامة عن هذا المؤرخ القديم .

وألف أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وهومؤرخ شهير ومرجع لايحتاج إلى تعريف فى وقعة صفين [٤] وقد أشار إليه وإلى أبى مخنف الأستاذ عبد السلام محمد هارون فى مقدمته لكتاب صفين . وألف غيرهما ممن لم يشر إليهم الأستاذ مثل إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم أبو حذيفة البخارى المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة فهو من معاصرى نصر بن مزاحم ، وكان مثله صاحب مؤلفات فى الأحداث الإسلامية . فله كتاب الفتوح وكتاب الردة وكتاب الجمل وكتاب الألوية وكتاب صفين وكتاب حفر زمزم وكتاب المبتدأ وهو فى مبدأ الخلق ، ومثل إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى الكوفى المتوفى سنة ٢٨٣ للهجرة وهو مؤلف صنف فى هذه المواضيع كتباً مثل كتاب الجمل وكتاب صفين وكتاب الحكمين وكتاب مقتل أمير المؤمنين وكتاب أخبار عمر إلى غير ذلك من الكتب التى ذكرها أصحاب التراجم [١] . ومثل الغلابى أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار أحد الرواة للسير والأحداث والمغازى وله من الكتب كتاب مقتل الحسين بن على وكتاب وقعة صفين وكتاب الجمل وكتاب الحرة وكتاب مقتل أمير المؤمنين فهو من المؤلفين فى تواريخ أحداث العراق [٢] .

ولقد عنى الكوفيون عناية خاصة بتدوين الأحداث الإسلامية التى وقعت فى العراق وبأمر الفتوحات ، وهم يتفوقون فى ذلك على أهل الشام وعلى أهل المدينة الذين عنوا بالسيرة والمغازى وأحداث الحجاز وبالدولة بقدر ما للدولة من علاقة بالمدينة . فلم يهتم رواتهم بما كان يقع فى العراق أو الشام أو ما إلى ذلك . ويشبه أهل الكوفة فى ذلك رواة أهل اليمن الذين حافظوا على الرواية التاريخية وأحيوا القصص الشمى وخلقوا لليمن قصصاً اصطبغ بالصبغة المحلية وبالعصبية القبلية . ولوجود عدد كبير من الرواة الذين يرجعون أنسابهم إلى اليمن فى مدينة الكوفة دخل ولاشك فى تقدم فن التاريخ فى هذا المكان .

ونصر بن مزاحم راوية من رواة أهل الكوفة من الطبقة الممتازة وقد فقدت أكثر مؤلفاته مع الأسف ، وإن كانت لا تزال بمض قطع منها محفوظة فى بطون الكتب التى اقتبست منها . وقد كان ولده « الحسين » من الرواة وقد سجل له أبو الفرج الأصبهانى شيئاً من الأقوال فى كتابه « الأغانى » . وفى كتاب صفين قطع أخذت من كتب ألفت فى أيامه أو فى أيام مضت قبله . فحفظ نصر لنا بذلك نماذج من النثر ترينا كيف كان المؤرخون يكتبون

وقد عرف كتاب صفين بين الناس واقتبس منه ، قديماً وحديثاً . وممن نقل منه عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد شارح كتاب « نهج البلاغة »

---

(١) الطبرى تاريخ الأمم والملوك جـ ٥٨ ص ١٧٢ (الطبعة المصرية)

(٢) راجع عن أبى مخنف تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمن الملحق جـ ١ فى المؤرخين . وكذلك وستنفلد عن المؤرخين ومقدمة ولهوزن لكتابه القيم « الدولة العربية وسقوطها » .

(٣) بروكلمن ملحق جـ ١ قسم المؤرخين . مقدمة الأستاذ ص « و »

(٤) ياقوت إرشاد جـ ٢ ص ٢٣٢

(١) ياقوت ١٨ ص ٢٩٥ ، الطوسى ٩ فهرست ص

(٢) ابن النديم فهرست ص ١٥٧

وقد أدخل في كتابه كتاب «وقعة صفين» لنصر وجزاه إلى أقسام جعل كل قسم في الموضع الذي يليق به من الخطبة أو الإشارة. وقد أدخل في كتابه في الواقع كتباً أخرى من الكتب التي ألفت قبله ولا مجال للبحث عنها في هذا المكان.

وقد دفعني البحث الذي أقوم به في الوقت الحاضر عن المصادر التي أخذ منها الطبري في تاريخه المعروف لمجلة المجمع العلمي العراقي على مراجعة كتاب «وقعة صفين» في جملة كتب كثيرة رجعت إليها فكان تحقيق الأستاذ السيد عبد السلام محمد هارون محقق هذا الكتاب الذي طبع عام ١٣٦٥ للهجرة في القاهرة هو الحافز لي على الكتابة في هذا الموضوع.

والحق أن الأستاذ قد أجهد نفسه وبذل عناية تستحق التقدير في إخراج هذا المؤلف الثمين، وقد وضع لرجال السند ولأشخاص الرواة تراجم مختصرة تناسب المقام وزينه بفهارس أحيت الكتاب، وهو عمل متعب لا يعرف مشقته إلا الساكنين الذين دفعهم القدر إلى الاشتغال بالتحقيق في بلاد لا تقيم للتحقيق العلمي وزناً ولا تضع له أية قيمة.

وقد حملني إعجابي بالإخراج على إبداء بعض الملاحظات البسيطة التي جاءت في المقدمة. من ذلك قول المحقق «طبع هذا الكتاب لأول مرة على الحجر في إيران سنة ١٣٠١ وهذه الطبعة نادرة الوجود عزيزة المنال حتى أنها لم تدخل خزائن دار الكتب المصرية إلا منذ عهد قريب، وهي نسخة مروية تقع في ثمانية أجزاء في صدر كل منها سند الرواية التي تنتهي إلى نصر بن مزاحم وهذه الأجزاء الثمانية في ٣٠٥ صفحة ... الخ ...».

وقد تحدث السيد عبد السلام محمد هارون عن حالة الكتاب في مصر؛ أما في العراق فهو موجود يباع عند الورّاقين بثمن زهيد وكنت أود أن يشير إلى ما ذكره المستشرق «بروكلمن» عنه في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» فعندي أنه يستحسن من كل محقق أو مؤرخ الإطلاع على ما جاء عن الكتب وأصحابها وإن كان البحث لا يخلو من أوهام في بعض الأوقات. فقد أشار «بروكلمن» إليه وذكر أنه طبع سنة ١٣٠١ (١٨٨٤) بمدينة طهران طبعه «فرج الله الكاشاني». وكنت أود أن يشير إلى ذلك اعترافاً بخدمة من سبقنا من الباحثين. والظاهر أن الأستاذ لم يراجع كتاب هذا المستشرق وإلا كان في مقدمة من أشار إليهم.

والواقع أن الأستاذ لو قرأ الصفحة الأولى من كتاب «وقعة صفين» المطبوع بإيران لوجد إسم الناشر إذ جاء فيها: «يقول الراجي عفو ربه الغني فرج الله بن هاشم العلوي الفاطمي الحسيني أن كتاب الصفين في شرح غزاة أمير المؤمنين ... الخ». وجاء في آخر الكتاب اسم الخطاط الذي طبع الكتاب على الحجر واسمه محمد حسن في سنة ١٣٠٠ هـ لا سنة ١٣٠١ كما ذكر ذلك بروكلمن والأستاذ عبد السلام محمد هارون.

وجاء في مقدمة السيد هارون «وهناك نسخة ثالثة كانت في ضمير الغيب وأمكنني أن أكشفها شيئاً فشيئاً بمطالعتي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الذي جرت عادته على أن يضمن تأليفه جملة من الكتب ينثرها في تضاعيف كتبه ...». وكنت أود أن يطلع الأستاذ على كتاب بروكلمن فقد أشار فيه إلى أخذ ابن أبي الحديد لكتاب صفين ونثره في تضاعيف كتابه كما أشار إلى النسخة التي أشار إليها السيد عبد السلام محمد هارون وهي المطبوعة في بيروت عام ١٣٤٠ بعد حذف الأسانيد منها. وكنت أود ألا يكتفي الأستاذ بقراءة النص المطبوع بإيران، بل كنت أطمع أن يقرأ الصفحة الأولى منه وهي مقدمة أشار فيها إلى كتاب آخر حوى وقعة صفين وهو كتاب شهير جداً يقال له «بحار الأنوار» وقد قرأ «بروكلمن» الصفحة الأولى من طبعة «وقعة صفين» التي اعتمد عليها السيد عبد السلام محمد هارون فأشار إلى هذا الكتاب.

وكتاب «بحار الأنوار» دائرة معارف في العلوم الشرعية والتاريخ وهو من مؤلفات محمد باقر بن محمد تقي المجلسي الأصفهاني المتوفى سنة ١١١٠ للهجرة (١٧٠٠ م) ويقع في ٢٦ مجلداً بدئ بطبعه طبعاً حجرياً سنة ١٣٠٣ وانتهى منه سنة ١٣١٥، وقد حوى المجلد الثامن منه وهو المجلد الخاص بالإمام علي بن أبي طالب على وقعة صفين، فأدخل المجلسي كتاب وقعة صفين في هذا المجلد وشغل حيزاً واسعاً منه من صفحة ٤٨٤ حتى صفحة ٦٢١. ولو طالع الأستاذ هذا الكتاب الذي أشار إليه «بروكلمن» وقبله ناشر كتاب وقعة صفين في الصفحة الأولى منه لوجد

أساليب التفكير :

التفكير الفلسفي

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

فوضى التعريف :

عودتنا كتب الفلسفة التى تقدم لعامة القراء أن تطالعنا فى السطور الأولى بمعنى كلمة فلسفة فتردد إنها كلمة من أصل يونانى مركبة من « فيلو » أى محب و « سوفيا » أى الحكمة ، وتنتهى من ذلك إلى أن الفلسفة معناها « محبة الحكمة » . ثم تمضى لتؤكد فى جرأة أن أول من استعمل الكلمة للدلالة على علوم الفلسفة عالم يونانى من أعلام الرياضة والفلك والموسيق، فيثاغورس الذى توفى فى القرن الخامس قبل الميلاد ؛ إذ قال : « لست حكيما ، فالحكمة لا يتصف بها غير الآلهة وما أنا إلا محب للحكمة » . تردد الكتب ذلك القول مع أنه لم يثبت بالدليل التاريخى الباتّ أن فيثاغورس أول من استعمل كلمة فلسفة بمعنى اصطلاحى ، فالمؤرخ « هيرودوت » يذكر أن « كريزوس » قال « لصولون » إنه سمع أن صولون قد جاب كثيراً من الأقطار يتفلسف ، وأن الذى دفعه إلى ذلك رغبته فى المعرفة[1] .

ولذلك يحق لنا أن نرجح أن هيرودوت أول من استعملها للدلالة على علم من العلوم ، أو — على الأقل — أن نشك فى نسبتها إلى فيثاغورس .

وعودنا جمهور المثقفين أن يتساءل عن معنى الفلسفة ، ويتطلب تعريفاً جامعاً مانعاً لها فى كلمات قلائل، ولما كان موضوع الفلسفة غير واضح المعالم ، غير محدود الأفق ، ولما كانت المعرفة الفلسفية متشعبة الأطراف ، متنوعة الاتجاهات حتى ليستحيل أن تفضى إلى نتائج ثابتة نهائية شأن العلوم المختلفة ، لما كان الأمر كذلك تعذر تعريف الفلسفة على اعتبار أنها لون من ألوان التفكير البشرى ، أو فرع من فروع المعرفة الإنسانية .

وإذا كان الفلاسفة قد تصدوا لتعريفها فإن تعريفاً واحداً من تعريفاتهم لم ينج من النقد فضلا عن التقريع ، حتى ليتعذر علينا أن نجد فيلسوفين يتفقان على تعريف واحد . سر ذلك أن كل فيلسوف إذ يتصدى للتعريف إنما يكون واقعاً تحت تأثير فلسفته الخاصة فيكون التعريف الذى ينتهى إليه مجرد عبارة قصيرة توجز

(١) (المدخل إلى الفلسفة) تأليف كوليه وترجمة أستاذنا الدكتور أبو العلا عفيفى .

الكتاب كاملا ولوجد له نصاً ثانياً يساعده كثيراً على التحقيق . والظاهر أنه لم يعثر عليه فى دار الكتب المصرية وفى مكتبات مصر .

وقد أشار المجلسى فى كتابه إلى وجود زيادات فى كتاب صفين لم ترد فى كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد . وقد استفاد المجلسى وهو عالم محقق واسع الاطلاع من نسخة قديمة لكتاب وقعة صفين . كما استعان بكتب أخرى عن هذه الوقعة مثل « كتاب صفين » لإبراهيم بن ديزيل الهمدانى الذى من رواته « حبة العرنى » وهو من رواة نصر بن مزاحم . وكذلك سيف ابن عمر الضبى الكوفى المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة الراوية الشهير صاحب الكتب فى الردة والفتوح والجمل ومسير عائشة وعلى . وقد نقل عن الصعب بن حكيم بن شريك بن نملة الكوفى . ومثل كتاب شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى وغير ذلك .

وقد سبق لعالم آخر أن اعتمد على كتاب « صفين » فأخذ منه شيئاً حذفت منه الأسانيد هو الشيخ السيد محسن الأمين من علماء الشام أدخله في كتابه « أعيان الشيعة » فى الجزء الخاص بالإمام على المطبوع سنة ١٣٥٤ للهجرة والظاهر أن الأستاذ لم يقف عليه .

هذه ملاحظات بسيطة دفعنى على تدوينها موضوعى الذى اشتغل فيه فى الوقت الحاضر عن « مصادر تاريخ الطبرى » لا تغض من قيمة الكتاب سجلتها رغبة منى فى التعقيب لأن العلم بحر لا يحاط به مهما أوتى الإنسان من علم . أرجو من القارئ ألا يسىء ظنه فى قيمة التحقيق والإخراج .

(بغداد) جواد على

فلسفته ، وتركز مذهبه .

أفلاطون ، مثلا ، يصف الفيلسوف بأنه شخص غايته معرفة الأمور الأزلية ، أو الوصول إلى حقائق الأشياء ، أو الارتقاء من العلم بشئون حياتنا الوهمية إلى إدراك مسائل الحياة الأزلية . وهو يصدر فى ذلك عن نظرية عرف بها ، نظرية المعانى أو المثل ، التى ترى العالم المحسوس الذى نحيا فيه حياتنا الراهنة عالم أشباح زائلة ، لحقائق أزلية أبدية لا تحس وإن لم يكن من المستحيل إدراكها إن اصطنعنا التأمل العقلى الخالص من أوهام الحس والبدن . فيصبح العلم بأمور هـذا العالم تافها ، فى حين يصبح العلم الحق هو الإحاطة بعالم الحقائق الأزلية الروحية ، وما ذلك العلم غير الفلسفة . بل تراه يقول : « الفيلسوف الحق هو ذلك الذى يسمى إلى انتزاع الروح من الجسد» (١) ألا يلخص ذلك القول نظريته فى العلاقة بين الروح والجسد التى ترى الإنسان لا مركبا من روح وجسم ، بل تراه روحاً حلت عرضاً فى جسد هو سجن لها ينبغى أن تتحرر منه ؟

وشيشيرون ، الخطيب الرومانى ، ينافح عن الفلسفة الرواقية التى تدين بالفضيلة غاية للحياة ، وترى السعادة فى الخضوع لمحتوم القضاء ، والإذعان للقدر ، والابتسام للخطوب ، والرضا بواقع الأمور . ذلك أن الأمور ليست فوضى إنما هى وفق إرادة عليا خيرة عاقلة ، ثم هى فضلا عن ذلك منبثة فى أرجاء الكون ، حالة فى جنباته . حتى لتصبح السعادة شأناً من شئون النفس لا يتوقف على الظروف الخارجية ، ولا يرتهن باعتدال الأمور أو تقلب الأحوال ، إنما هى طوع أمرك إن ارتضيت حكم الإرادة الكلية ، وازدريت اللذات الجسدية . ينافح شيشيرون عن الفلسفة الرواقية هذه ، فهل نعجب حين يذكر فى معرض الحديث عن الفلسفة : « أيتها الفلسفة ! أنت المدبرة لحياتنا : أنت صديق الفضيلة وعدو الرذيلة ، ماذا تكون حياة الإنسان لولاك ؟! » أو حين يضع حدود المعرفة الفلسفية بقوله : « إن الفلسفة هى العلم بأفضل الأشياء ، والقدرة على الانتفاع به بكل وسيلة ممكنة » .

إن شيشيرون بقوله هـذا لم يعرف الفلسفة بقدر ما عرفنا وجهة نظره الخاصة .

وأرسطو ، المعلم الأول ، يقسم الفلسفة إلى فروع عدة جميعها حكمة بيد أن «ما وراء الطبيعة» أحق تلك الفروع باسم الحكمة وهو يسمى علم ما وراء الطبيعة « الفلسفة الأولى » فى مقابلة « الفلسفة الثانية » ويعنى بها العلم الطبيعى . ويعرف الفلسفة الأولى بأنها العلم الإلهى الذى يبحث فى الله ، المحرك الأول ، مسبب الأسباب وعلة العلل ، ذلك أن دراسة الله عبارة عن دراسة الوجود من حيث هو كذلك ، فضلا عن أن الطبيعة الحقة للوجود تتجلى فيما هو دائم لا فيما هو زائل .

وإليك مثل من الشرق العربى ، عالم مسلم مشبوب العاطفة الدينية ، ذلك هو الجرجانى ، بطل التعريفات ، يعرف الفلسفة بأنها « التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية » . فبأى تعريفه خير معبر عن نزعته الفكرية فكيف ننتظر منه أن يكون تعريفاً للفلسفة فى ذاتها ؟!

وإذا كان معنى الفلسفة يختلف من فرد إلى آخر فهو يختلف كذلك من عصر إلى آخر . كان فى القرون الوسطى العلم الذى يصل إليه العقل بطريق النظر الفكرى الصرف فى مقابلة العلم الإلهى الذى يصل إليه الإنسان بطريق الوحى .

وهكذا صار معنى الفلسفة العلم العقلى المنظم . وفى العصور الحديثة تدل كلمة فلسفة على مجموعة العلوم النظرية التى تستند إلى النظر العقلى الصرف فى مقابلة مجموعة العلوم المستندة إلى الملاحظة والتجربة .

ناهيك بشتى التعريفات التى تنكر الفلسفة وتزدرى الفلاسفة يطلقها نفر من المتزمتين الحرفيين فى تدينهم ، يصدرون فى تعريفهم لها عن تهيب من العقل وخشية على إيمانهم السطحى من عمق التأمل العقلى ؛ أو يتفكه بها قوم من المازحين الجهلاء يصدرون فى تعريفهم لها عن العداء لما يجهلون : فمن تعريف لها بالكفر والزندقة ، إلى القول بأنها تعقيد البسيط ، إلى اتهامها بتهمة الثرثرة والقدرة على الحديث حين ينبغى وحين لا ينبغى ، أو قوة الحجة فى مجال الحق أو مجال الباطل على حد سواء .

فقد اتضح إذن بعد هذا العرض السريع أن لا سبيل إلى الوقوف على حقيقة الفلسفة من تعريفاتها ، كما أنه لا سبيل إلى حقيقة المرء من بطاقته ، أو الكتاب من عنوانه . وإن تم التعريف

(١) (فيدون) من محاورات أفلاطون .

عن أمر ما ، فمن اتجاه صاحبه العقلي أو نظريته الفلسفية أو شعوره نحو النهج الفلسفي منكراً كان أو مؤيداً .

النهج الفلسفي :

إن تعريف الفلسفة قد يوهم القارئ أنها مجرد علم من العلوم ، ابتدأه أو ابتدعه ذلك النفر من الحكماء ، وتعاون على إقامته وتطوره أجيال الفلاسفة ؛ في حين أن الحقيقة التي تخفى على الكثيرين من طلاب الفلسفة المبتدئين ، أن الفلسفة أسلوب من أساليب التفكير البشري ، وناحية من نواحي النشاط الفكري . فالإنسان المنطوي على طلب المعرفة ، المطبوع على تفسير الظواهر ، المتلهف على تلمس العلل والأسباب والغايات كما ينهج النهج الخرافي في تفكيره ، قادر إذا ما بلغ طوراً من التقدم العقلي أرقى ، وإذا ما تهيأت له ظروف مادية خاصة ، على أن ينهج نهجاً فلسفياً . بل إن بذور التفكير الفلسفي لتبرز في طفولة المرء وفي طفولة البشرية . وقد انتهيت في مقال سابق من الرسالة[1] بعد استعراض أمثلة من الشرق القديم إلى أن الخرافة أو الأسطورة وإن كانت تطبع التفكير الشرقي القديم ، فإن الفلسفة كانت تطل برأسها بين الفينة والفينة ، وفي ذلك المحيط من ظلام الفكر حيث تتراقص الردة والأشباح والشياطين التي تراها عين الخيال وتذكيها العاطفة والهوى ، كانت تنبثق أحياناً بروق فلسفية ومحاولات لتفسير الأمور تفسيراً عقلياً ، فتنجاب الأشباح وتبدد الخرافات إلى حين .

وأضيف إلى ذلك أن الفلسفة كثيراً ما كانت تبلغ الأوج دون أن تبدد الأشباح تبديداً تاما . وكثيراً ما ألمت بها نكسات لا يزال التاريخ يذكرها فقد أعقب العصر الذهبي للفلسفة اليونانية إبان القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد ذبول هو ارتداد إلى الفكر الشرقي القديم من حيث الامتزاج بالدين والاقتصار على مباحث الأخلاق والميل إلى التصوف ، وما التصوف في حقيقة الأمر إلا نوع من الإعراض عن العلم العقلي الذي يستند إلى الدليل والبرهان ، والاكتفاء باليقين القلبي والإيمان . وفي عام ٥٢٩ بعد الميلاد أغلق الامبراطور يوستنيانوس مدارس الفلسفة في أثينا ، وكانت قد أقفرت من التلاميذ ، وتناقص عدد العلماء فيها وخمد الفكر الفلسفي في اليونان ليذكر في الشرق ، في ربوع فارس حيث كسرى أنوشروان ، صديق الفلسفة الذي فتح ذراعيه للنازحين من ربوع الاضطهاد الفكري .

(البقية في العدد القادم) عبد المنعم عبد العزيز المليجي

(١) التفكير الخرافي في العدد ٨١٠ من الرسالة .

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمــــد رمزى بك

— ٢ —

العدوان الإيطالى :

١٥ — فى أكتوبر عام ١٩١١ رُوِّع العالم الإسلامى والعربى بخبر اعتداء صارخ قامت به إيطاليا على القطر الطرابلسى بغير إعلان حرب وبدون مسوغ . ولم يكن هناك نزاع أو مايشبه النزاع ، بل كان هناك أمن وسلام . ولم يعلم الناس بأمر مفاوضة انقطعت أو أمر اختلاف على مبدأ أو رأى أو قاعدة مما تختلف عليه الأمم والشعوب فيتخذ ذريعة للحرب ، بل لم يسمعوا بشئ أو ببعض الشئ مما يحضر الأذهان لمثل هـذا العدوان وينبه العقول لمقدمه .

١٦ — وإنما سيرت إيطاليا بوارجها وجحافلها واستيقظ أهل المدن طرابلس وبنى غازى ودرنة الآمنة ، على أصـوات المدافع ، تقذف عليهم الحم والموت فى عقر دارهم . فيالله من يوم كنا صـغاراً لا نعقل من الأمر شيئاً ، ولـكننا لمسنا الألم والأسى ، مرتسمين على وجوه الآباء والأهل والعشيرة والجيران فحزنت قلوبنا لحزنهم وتألمنا لألمهم .

كنا صغاراً نلعب ونلهو — فتركنا اللهو وقاطعنا اللعب وشعر كل منا بأن ساعة فاصلة قد دقت فى حياته . نعم كان وقع الاعتداء شـاملا وكان الجرح عميقاً ليس من الجراح التى تبرأ وتلتئم وتنسى مع الزمن .

وسرت بين الناس موجـه دافقة ، من تلك الموجات التى تملأ النفوس والمشاعر ، وتخفق لها القلوب ، وارتجت مصر من أقصاها ، فمن كتب عليهم القتال من المجاهدين قاتلوا وقتلوا ، ومن لم يقدر على تحمله جاد بالمال عن نفسه وبنيه .

وأتى أنور ومعه حفنـة ممن باعوا أنفسهم فى سبيل الله ، وصعد عرب طرابلس وعرب برقة وعلى رأسهم السـيد أحمد السنوسى ليكتبوا بدمائهم ملحمة من ملاحم الملثمين والموحدين فى دفاعهم وجهادهم واستماتتهم عن أرض أندلس فواجهوا الموت وعاينوا الهزيمة ، كما لاح لهم الظفر والمجـد ، وقاتلوا وانتصروا واستشهدوا ، وامتلأت أيديهم بالعتاد والسلاح وأسرى العدو .

١٧ — وفجأة خفتت أصوات المدافع وعادت السيوف إلى أغمادها وسادت فترة هدوء على الجبهة . نعم لقد قامت حرب أشد هولاً ، هى حرب البلقان واتجهت الأنظـار لمارك فى جبهة مقدونيا حيث تعرض ثلاثة ملايين من المسلمين للهجوم والتشتيت وتساءل الناس عن المصير .

أما مقدونيا فرثاها شوقى بقوله .

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام

وأما ليبيا وبرقة فقد استحوذ عليهما الطليان ورتل قائل بشعر قديم[1] فقال :

أحقاً خبا من جـــورندة نورها
وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت منازلها ذات العلا وقصورها
ترى للاسى أعلامها وهى خشع ومنبرها مستبعد وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وإمامها وزائرها فى مأتم ومزورها

كلا لم تدم تلك المحنة طويلا إذ قامت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ ودخلت إيطاليا الحرب ، فارتجت البلاد فعادت إلى الجهاد وبدأت ملحمة جديدة من تلك الملاحم الخالدة فى تاريخ العروبة التى تقاتل فيها فئة صغيرة فئة كبيرة — فيأتيها النصر من عند الله .

١٨ — لقد فرحت مصر وفرحنا بمعارك درنه وعين زارة[2] وغيرها من التى منّ الله بها على المجاهدين والمرابطين وذوى البأس فى قتال الطليان وكان ذلك فى عامى ١٩١١ — ١٩١٢ . أما أيام الحرب العظمى فقد سار المجاهـدون فيها من نصر إلى نصر ، بل كان يوم يمر يأتى إليهم نصر جديد من عند الله ، ولم تمض

(١) من مراثى الأندلس ومن نظم أبى جعفر من خاتمة فى حوالى سنة ٩٠٤ هجرية أوردها الأمير شكيب أرسلان فى كتابه (الحلل السندسية) .

(٢) تبعد ١١٠ كيلو متراً من مدينة طرابلس وهى واحة .

١٩١٥ إلا وقد زحزحوا الطليان عن برقة واستعادوا فزان، واقتحموا حصونهم ومعاقلهم واحدا بعد الآخر، واستحوذوا على أسلحتهم وسياراتهم وأسروا كتائبهم المرتزقة من سود وحبش وغيرهم، ساقوهم بأسلحة الطليان لقتال الطليان وتلك والله مقدرة لأهل برقة وليبيا.

وتتبعوا المنهزمين وسدوا عليهم المنافذ والطرق. وفي يوم أصبحت العاصمة تحت أزيز رصاصهم وغدا الساحل تحت سيطرتهم فأتتهم المؤن والذخائر من حيث شاءوا.

فهل رأيت دفعة كهذه الدفعة أو قوة من المستضعفين يملأها الإيمان والثقة في النفس والدعوة إلى الحق والقتال في سبيل الله عملت في القرن العشرين عملا يشبه هذا؟ إنها وايم الله وقفة رائعة.

١٩ — وانتهت الحرب العظمى الأولى ١٩١٨ وتدخل الإنجليز بين الطليان وأهالي البلاد فاعترفوا بنظام ليبيا ومسراطة وأقروا أمارة برقة ووقعوا المعاهدتين وضمنوا استقلال الداخل وخيل للناس أن عهداً من الطمأنينة والأمن قد أشرق.

وفي يوم من الأيام إذ موسوليني يضرب بمواثيق إيطاليا وضماناتها عرض الحائط وحنث بالإيمان المأخوذه وآثار حرباً ضروساً مهلكة يحاول بأساليبها إبادة شعب بأسره. كانت تعليماته وأوامره وقراراته واضحة لا شبهة فيها فليراجعها من يشاء يجدها في كتبهم وما نشره قوادهم.

وكان كبش الفداء شعب ليبيا.

٢٠ — قابل هذا الشعب، صدمة الخيانة بشجاعة نادرة. رأى الحرب تفرض عليه في دياره، فواجهها كما يواجهها كل مقاتل كريم كتبت عليه التضحية فقدم بنيه وأحفاده. ضيق عليه الخناق بحصار من البر والبحر، فتحمل وصبر. أوذى في حريته ومعاشه وماله ودكت بيوته، ولكن لم ينزل على حكم ظالميه، ولا تراجع عن مبدأ من مبادئه.

واتبعت إيطاليا سياسة العنف والتشريد، فلم ترع شيخاً ولا مقعداً ولا طفلاً ولا رضيعاً وخربت المنازل وأفنت قبائل وحولت بقاعاً عامرة فجعلتها صعيداً جرزاً.

٢١ — هذا هو الشعب الأبي الكريم الذي حررته الديمقراطية في الحرب الأخيرة واتخذت من اسمه عنواناً ومثلا لتحرير الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها. والذي جمعت من أفراده ورجاله المتطوعة، وحاربت بهم، وقالت للعالم هأنذا قد أرجعت الحق لأهله، وأنقذت أول شعب وقع العدوان عليه وأزلت أثر الظلم والطغيان عن عاتقيه.

وترقب أهل البلاد نعمة الخلاص، وباتوا يملون الآمال، فماذا يراد بهم اليوم؟ إننا لنسمع الكثير من اللغط. فمن قائل بعودة هذه الأرض البائسة إلى سادتها الطليان، وآخر يقول بانتداب الغير عليهم كأن هذه البلاد خلو من السكان!

٢٢ — أنه ليهمنا نحن معاشر الأمم العربية، شأن برقه وليبيا، ويهمنا شعب هذه البلاد. لماذا؟ لأننا منه وهو منا. إنها لصلات الدم والقربى والثقافة والتاريخ الحي، لا التاريخ المتحجر الجامد، ثم ما يوجبه هذا التاريخ المشترك من ذكريات الجهاد والنصر والهزيمة.

إننا نعبر عن رأيه ونقول، هذا الشعب لا يريد شيئاً مستغرباً أو فوق متناول الإنسان، وأنه يريد أن ينعم بحدوده وبلاده واستقلاله وحريته. إنه يطلب كياناً تحت الشمس شأنه شأن بقية الشعوب الصغيرة.

فهل تجاب دعوته؟ وهل يجد لتضحياته حسابا، وهل يعترف بجهوده؟ أم ستعرض بلاده للبتر والتقسيم، ويوضع مصيره وحريته ليضارب بها في سوق توزيع مناطق النفوذ؟!

٢٣ — كان عدد سكان ليبيا وبرقة العرب في مستهل عام ١٩١٠ أكثر من مليون نسمة؛ وقد هبط هذا العدد إلى أقل من النصف، على أثر سياسة التشريد التي اتبعتها الحكومة الفاشستية فكأن هذا الشعب قد بذل من الأنفس والأرواح دفاعاً عن كيانه واستقلاله ما لم يبذله الشعب الإيطالي طوال قرن من الزمن ثمناً لتحريره! فهل رأيتم شعباً يضحي بنصف عدده في سبيل مثله العليا؟

هذا هو الشعب العربي في ليبيا وبرقة الذي ينتظر أن يكتب الناس تاريخ جهاده في الفترة بين حربين عالميتين.

والآن أعود بحضراتكم إلى نهاية عام ١٩١٤ أي بعد إعلان الحرب الأولى في الأشهر التي كانت فيها إيطاليا على الحياد.

(يتبع) *أحمد رمزي*

(ملحوظة): سبق للرسالة أن نشرت مقالا عن ليبيا بقلم أحمد رمزي وقد استعان به في محاضرته هذه.

طرائف:

فى الأدب والتاريخ والسياسة

« دار الحقوق إلى فتاها المجتبى »

للأستاذ محمـــد حسين الفار

أثار بنفسى انتخاب دولة خطيب الثورة الوطنية الأستاذ الزعيم إبراهيم عبد الهادى باشا رئيساً للهيأة السعدية الموقرة على أعقاب استشهاد زعيم النزاهة العفيف العيوف الأبى الشريف النقراشى باشا عليه الرحمة والرضوان .

أثار بنفسى هذا الانتخاب ذكريات كريمة قديمة برغم ما أعانيه الآن من ظروف ملتوية ، وأوبقات عاتية ، إذ عاد بذا كرتى إلى سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف ، حينما كان الزعيم الجليل المغفور له سعد زغلول باشا فى دست الحكم واستصدر عفواً عن الرعيل الأول من المجاهدين الأحرار الذين كانوا باكورة من حكم عليهم بالإعدام فى سبيل البلاد ، واستبدل بعد بالإعدام السجن مدداً متفاوتة ، وكان بمكان الرياســة منهم المرحوم المبرور رجل الوطنية الصامتة عبد الرحمن بك فهمى طيب الله ثراه ، كما كان أبرزهم مكاناً وأنبههم شأناً خطيب الشباب المتوثب إبراهيم أفندى عبد الهادى الطالب بالسنة الرابعة بمدرسة الحقوق السلطانية إذ ذاك .

خرج هذا الرعيل الأول من السجن على أثر استصدار العفو أطهاراً أبراراً ، فاحتفت بهم مصر حكومة وشعباً ، واحتشد لهم المصريون زمراً وأفراداً ، وأقيمت لهم حفلة تكريم كبرى عرفت بحفلة تكريم المسجونين السياسيين ، وألقيت فيها خريدة شوقية خالدة عرّج فيها أمير الشعراء أحمد شــوقى بك الشاعر الخالد نضر الله نُزُله على فتى الحقوق المجتبى إبراهيم أفندى عبد الهادى ، فقد اختصه بذكر اسمه فى فريدته الشوقية دون سائر المسجونين المكرمين جميعاً .

ذلك أن الفتى الناهض إبراهيم عبد الهادى قد تقدم لترشيح نفسه ، كما رشحته جدارته لرآسة لجنة شباب القاهرة والأقاليم التنفيذية العليا ، وتقدم منافساً له فى تلك الرياسة حسن أفندى يسن النائب السابق والوفدى المعروف . ولكن الزعامة خطبت ود إبراهيم منذ فتائه ، فقد اكتسح خصمه ، ومحا من قائمة انتخاب الرياسة اسمه ورسمه . وكان لمدرسة الحقوق فى أمثال تلك المعارك الانتخابية بين الشبيبة المثقفة يد طولى وقِدح مُعلَّى ، فوقف سوادها الأعظم ، وجمهورها الأكرم ، خلف إبراهيم خطيب الشباب الموهوب .

فأشاد بذلك أمير الشعراء وشدا ، وغرد البلبل الصيداح ، فأسر الأفئدة ، ونقع الصدى بسلسله العذب ودُرّه الفريد الذى يفنى الزمان ولا يفنى ، ويبيد الدهر ولا يبيد .

وذلك فى قصيده الرائع الذى توّج به هامة حفل التكريم ، والذى كان مطلعه ذلك الغزل الرقيق الذى بلغ منتهى العذوبة وغاية الطلاوة والرواء :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا ... الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرانيات بكل أحور فاتر ... يذر الخلى من القلوب عميدا
الزاويات من السُّلاف محاجراً ... الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائراً ... الراتعات مع النسيم قدودا
أقبلن فى ذهب الأصيل ووشيه ... ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا
يحدِجن بالحدق الحواسد دُميةً ... كظباء وجرة مقلتين وجيدا
حوت الجمال فلو ذهبت تزيدُها ... فى الوهم حسناً ما استطعت مزيدا
لو مر بالوُلدان طيف جمالها ... فى الخلد خروا ركعاً وسجودا
أشهى من العود المرنم منطقاً ... وألذ من أوتاره تغريدا

وهنا انتقل انتقالا رائعاً ، وتخلص من الغزل إلى السياسة تخلصاً بارعاً ، إذ قال :

لو كنت سعداً مطلق السجناء لم ... تطلق لساحر طرفها مصفودا
ما قصر الرؤساء عنه سمى له ... سعد فكان موفقاً ورشيدا

وهكذا ســار أمير الشعراء كما عهده الناس يتدفق بياناً وسحراً ، فنوه فيما ساقه لنا من روائع آياته وخوالد بيناته بفتى الشباب المرتجى فى ذلك العهد إبراهيم عبد الهادى مشيراً إلى تبوئه مكان الزعامة من الشبيبة فى بيتين من أوابد الشعر وبدائع القريض حافلين بالإشادة والثناء . ذلك إذ قال :

دار الحقوق إلى فتاها المجتبى ... ثنت العنان وألقت الإقليدا

الكتب الموجـــزة

كأداة تعليم وتثقيف

للأستاذ إيليا حليم حنا

ما هى الكتب الموجزة ؟

أقصد بالكتب الموجزة الكتب التى تعطينا الفكرة الأساسية المتماسكة المشوقة عن الموضوع بشكل عام دون أن تخوض فى دقائقه فتثير رغبتنا فى الاستزادة ، فنجرى وراء التفاصيل فى مصادر أخرى فتكون بذلك سلماً ووسيلة تشويق للالمام بالموضوع وحافزاً لقراءة الكتب المطولة الأصيلة .

وهذه الكتب هى الطريق إلى مدارك العامة وقلوبهم يجدون فيها غذاء لايتعب الذهن فى تلقفه ، لأنها لا تتناول الاصطلاحات الفنية والتفاصيل العلمية المعقدة . وهى لا تفيد العامة فقط ، فإنها ذات فائدة كبيرة للخاصة الذين يشغلهم موضوع واحد قد لا يتسع وقتهم لغيره فتكون لهم فى النواحى المختلفة الأخرى أداة تثقيف قيمة فى نواح مغايرة .

ولا يقصد بهذه الكتب تلك الملخصات التى تعطى نتفاً من الموضوع من هنا وهناك دون تماسك وتشويق من باب العلم بالموضوع فقط ، فإن هذه ضعيفة الأثر تكاد لا تثير الرغبة فى القراءة ، لأن مادة هذه الملخصات أشبه بجسم معلق فى الهواء لا يرتكز على حامل يحمله . وهذه الكتب التى لا تتناول الموضوع كوحدة متماسكة مشوقة هى العامل الأول الذى لا يجعل المتعلمين يقبلون على القراءة بعد تخرجهم فى مدارسهم ومعاهدهم . وطالب العلم فى مراحل دراسته المختلفة يركز الفكرة المبتورة على المحافظة والاستذكار ، وليس على التفكير السليم والرغبة ، فيعانى كثيراً فى حفظ ووعى الملخصات المدرسية التى لا ترابط بينها ، ويحاول أن يبقيها بالتكرار ، ثم لا يلبث أن ينساها ، ثم يعود من أجل الامتحان فيستذكرها وهكذا ، وتكون النتيجة أخيراً أن ينفر من المواد التى درسها فى المدرسة ، ولا يحاول أن يقرأ ما يمت إليها بصلة بعد أن ينتهى من مرحلته الدراسية ، لأن معلوماته كانت ملخصة تلخيصاً بعيداً عن مبدأ الكلية ، أى إدراك الشىء وتذوقه كوحدة حية قبل فحص طريقة تركيبه من أجزاء مختلفة . والشخص منا يرى الزهرة كلها فيجذبه منظرها وشكلها ، وإنما لو قدمت له أول مرة يراها فيها مشرحة إلى أجزاء لا تماسك بينها ولا اتساق ، فإنه لا يلبث أن يلقى بها ولا يرى فيها أى جاذبية . هكذا الملخصات التى لا يراعى فيها الناحية الكلية عند تقديمها تكون أشبه بأشلاء مبعثرة لا ترابط بينها ولا حياة فيها .

ودراسة الشىء كوحدة بأسلوب مبسط سهل يجعل هذه الوحدة نواة للتثقيف والاتساع فى محيط هذا الشىء ، وأرى أن نبدأ بصورة كاملة عامة عن المادة بحيث نبرزها بما يشوق فيها فى الكتب الملخصة أو الموجزة ، وهذا يجعلنا نسعى من تلقاء أنفسنا إلى الاستزادة منها ، فمثلا فى بدء دراسة علم الفلك ، أو عند وضع كتاب موجز عنه أرى أن نبتعد عن القوانين الطبيعية ، ونعالج عجائب الكون معالجة مشوقة فى هيئة قصة عن الأفلاك فى مسالكها ، وموضع بعض النجوم والكواكب التى ترى بالعين المجردة ووقت ظهورها ، ثم نذكر شيئاً مشوقاً عن النجم الذى نتأمل صفحة السماء فنراه . وأنا واثق أن هذا سيدفع من يقرأه إلى الاستزادة فى كتب أصيلة مطولة . وفى التاريخ أيضاً بدلا من أن نتكلم عن الوقائع الحربية وأسبابها ونتائجها يجب أن نبدأ بحياة أحد الملوك كقصة ، ونبرز فيها النواحى المثيرة ، أو الخصال

عمدت لإبراهيم فانتخبت فتى ثبت الجنان على الزمان جليدا

هذا ما خلد به أمير الشعراء أحمد شوقى بك زعامة إبراهيم البكرة التى أهلته لها جدارته ، وقفزت به إليها كفاءته .

وبعد ، فلست أدرى ، ولا المنجم يدرى — كما يقولون — لِمَ أسقط هذان البيتان من القصيدة الخالدة حين طبع الجزء الأول من ديوان الشوقيات ؟ !

ألحزبية الصارخة فى ذلك العهد يد فى هذا ؟ أم ماذا ؟ !

وهل من الأمانة للأدب أن نقبر بعض روائعه فى لحود الإهمال وزوايا النسيان لأى غرض مهما يكن ؟ !

وقصارى الكلام نأمل أن يتدارك هذان البيتان الخالدان لدى الاضطلاع بأول طبعة فى المستقبل لهذا الديوان أداء للأمانة وإنصافاً للناس ، فهذا شأن كل طاهر المنصر ، طيب الأرومة ، عريق الأساس ... والسلام على من اتبع الهدى .

محمد حسين النفار

المدرس بالأزهر الشريف



الأرقام الفلكية

للأستاذ نقولا الحداد

في هذا الزمان متى كان عدد شيء يتجاوز المألوف قيل إنه يعد بالأرقام الفلكية . في حرب روسيا مع اليابان في أوائل هذا القرن كان ربع مليون ياباني مقابل ربع مليون روسي ، فقيل هذا عدد من الجيوش لم يسبق له مثيل ، حتى إذا زاد عدد الجيوش على هذا القدر قالوا هي أرقام فلكية .

وصار عدد الجيوش في الحرب الأخيرة يعد بالملايين فلا بدع أن يوصف بالأرقام الفلكية . ولما كانت أمريكا تنفق فيها كل يوم ٦٤ مليون ريال ، وإنجلترا تنفق ١٤ مليون جنيه ، قالوا هذه أرقام فلكية ، وكذلك قيل لما خسرت روسيا في الحرب عشرين مليون جندي ذلك لأن في علم الفلك أرقاماً لا يكاد يتصورها العقل ولاسيما أرقام الأبعاد والمسافات بين النجوم والكوكبات فلم يعودوا يحسبون هذه الأبعاد بالكيلومترات أو بالأميال ، بل صاروا يحسبونها بمقدار سرعة النور . فما يقطعه النور في ساعة أو يوم أو سنة صاروا يحسبونه مقياساً على اعتبار أن النور يقطع في الثانية مسافة ٣٠٠ ألف كيلومتر أو ١٨٦ ألف ميل . فالأرض تبعد عن الشمس ٨ دقائق بهذا المقياس . فلنرما هي أبعاد الأجرام الفلكية وكيف تحسب . ولنبتدئ بأقربها للأرض ، ثم نتقدم صعداً إلى أن يحار العقل في الأرقام والأبعاد .

القمر أقرب جرم إلى الأرض وهو مولودها ، يبعد عنها نحو ٢٣٩ ألف ميل . ولما كان محيط الأرض نحو ٢٥ ألف ميل كان أنه إذا تدحرجت الأرض نحو القمر فقبل أن تتم العشر قلبات تصل إلى القمر . ولو أمكننا أن نقطع الأرض قطعاً كل قطعة بقدر القمر لأمكننا أن نفصل من الأرض ٤٩ قمراً .

والشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون مليون ، فلو تدحرجت

الجيدة والعادات والتقاليد والأساطير ، ونترك النواحي المفصلة من أسباب ونتائج وتواريخ لمن تشوقه المادة ويريد التوسع فيها ، لأن هذه الدقائق والحقائق الجافة تنفر القارئ الذي لم يتذوق الموضوع ، ولم يعرف عنه شيئاً كلياً مجملاً من قبل .

٢ — مزايا الكتب الموجزة :

١ — هذه الكتب بذرة ثقافية تنمو وتكبر وتمهد للدراسات الدقيقة والشرح التحليلي في الكتب الأصيلة .

٢ — ترشدنا إلى ما يمكن أن نتذوقه من أنواع المعارف المختلفة ، ولا تستغرق منا وقتاً طويلا نندم على ضياعه إن لم نتذوق ما نقرأه ، وبوساطتها نعتمد على أنفسنا في اختيار الغذاء الثقافي الذي نهضمه ، لأن مثل هذه الكتب تقرأ للتذوق وللبحث عن الكتب الطويلة الأصيلة في الموضوعات الملخصة التي فازت بإعجابنا وأثارت رغبتنا .

٣ — تساعدنا على متابعة التيار الثقافي في النواحي التي لم نخصص لها كل اهتمامنا وجهودنا ، والتي لا يلذ لنا أن نخوض في تفاصيلها ؛ والحقيقة أنه لولا الاتجاه إلى ملخصات الكتب والمقالات الأصيلة ، لأصبح من المستحيل أن نلاحق السيل المنهمر من ثمرات المطابع .

٤ — أثبتت التجارب أن متوسط ما يستوعبه الطالب في الدقيقة من المادة الملخصة بالطريقة الكلية ضعفان ونصف ضعف ما يستوعبه من المادة الأصيلة المفصلة .

٥ — تربي الكتب الموجزة في الشخص الميل إلى القراءة ، لأنها لا تثقل على طبع السواد الأعظم من جمهرة القراء لبعدها عن التفاصيل الفنية التي لا يهضمها القارئ العادي ، كما أنها لا تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير للتركيز وحصر الذهن والانتباه

٦ — صغيرة الحجم مريحة في استعمالها يمكن أن تلازم جيب القارئ في أسفاره ، كما أنها تحتل مكاناً صغيراً في المكتبة علاوة على رخص ثمنها الذي يجعلها في متناول الجميع .

(الأبيض — سودان) إيليا حليم حنا
دبلوم عال في التربية — دبلوم صحافة
مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب بمدرسة النهضة الوسطى

الأرض نحو الشمس لقلبت على نفسها نحو ٣٦٥ قلبة تقريباً قبل أن تصل إليها . ولكن يجب أن نخرج نحن منها قبل أن تشرع تتدحرج ، لأن حرارة الشمس تحرقنا عند أول قلبة تقلبها الأرض . ومتى وصلت الأرض إلى الشمس صهرتها حرارة الشمس التي تبلغ عند سطحها ٦ آلاف درجة بمقياس سنتغراد . وإذا سقطت الأرض المصهورة أو المتبخرة إلى باطن الأرض حيث الحرارة ٤٠ مليون درجة سنتغراد امتزجت أبخرة الأرض بأبخرة الشمس .

قلنا إن النور يسير بسرعة ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية فهو كسرعة الصوت مليون مرة . ويمكننا أن نفصل من الشمس مليونا وثلثمائة ألف أرض . ولو وضعت الأرض في مركز الشمس ومعها القمر على بعده المعلوم عن الأرض لبقي القمر يبعد عن سطح الشمس بقدرما يبعد عن الأرض ، لأن نصف قطر الشمس ٤٣٢٠٠٠ ميل في حين أن بعد القمر عن الأرض ٢٣٩٠٠٠ ميل

حول الشمس ٩ كواكب (سيارات) أقربها إليها عطارد . وهو يبعد عنها نحو ٣٦ مليون ميل ، وأبعدها السيار بلوتو وهو يبعد عن الشمس نحو ٤ ساعات نور . ولكن متى بعدنا عن نظامنا الشمسي بسرعة النور فبعد ٤ سنين و ٦٥ يوماً نصل إلى أقرب نجم إلينا إذا جعلنا وجهتنا إليه . والنجم المسمى قنطوروس أو Alpha Centoros والنجوم لا تقرب إلى بعضها أكثر من هذه المسافة .

بعض الأحيان نرى أمام الهلال نجمة كأنه يحتضنها ، هي كوكب الزهرة ، ولكنها تبعد عنه نحو ٢٦ مليون ميل ، وهي أكبر منه بنحو ٤٥ مرة

ولا يخفى عليك أننا لا نزال في جوار الشمس ، وما بعدنا عنها أكثر من ٤ سنين وخمس السنة إذا سرنا بسرعة النور . أنظر كم في السماء من نجوم فهي لا تكاد تحصى ، ولا نرى منها إلا القليل ، اللهم إلا بالمقراب (التلسكوب) وهذه النجوم تتباعد بعضها عن بعض بمثل بعد قنطوروس عن الشمس تقريباً .

أبعد مسافة استطاع أقوى تلسكوب أن يكتشفها هي مسافة ٥٠ مليون سنة نورية .

النجوم التي نراها بالمرقب (التلسكوب) في أثناء الأربع وعشرين ساعة ضمن نطاق درب التبان الذي يسميه الأفرنج الدرب اللبني تبلغ نحو ٣٠٠ ألف مليون نجم تقريباً . وهذه المجموعة الهائلة من النجوم تسمى « المجرة » . وشمسنا مع كواكبها تقع في الثلث الأول بعد مركز المجرة . وجميع هذه النجوم أو الشموس تدور حول المركز وأسرعها أقربها إليه ، وأبطؤها أبعدها عنه والشمس تقضي ٢٥ مليون سنة لكي تتم دورتها حوله . وقطر محيط هذه المجرة نحو ٠٠٠ر ١٥٠ سنة نور ، وسمكها نحو ٢٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠٠ سنة نور . وإذا جمعت جميع هذه النجوم معاً كانت كتلتها ١٦٠٠٠ مليون مرة ككتلة الشمس . وذلك نحو ٥٢ أمامها ٢٧ صفراً من الأطنان .

هذه النجوم أو الشموس التي تعد بالملايين تختلف في الحجم اختلافاً كبيراً . وشمسنا من الحجم الذي هو دون الوسط . والجوزاء المساة Betelgius كبيرة جداً بحيث لو وضعت في مركز الشمس لغطت جميع فلك الأرض ، أي لملأت الرحبة التي تدور الأرض فيها حول الشمس وزادت عليها . يعني أن قطرها يزيد على ٢٧٢ مليون ميل وهي تبعد عنا نحو ٣٠ سنة نورية . وتعد من كوكبة الجبار Osion وهي أسطع الكوكبات في السماء

ومعظم النجوم جماعات جماعات ، كأنها أسراب متضامنة وتسمى كوكبات . وبعضها مجموعة نجوم وبعضها تعد بعشرات الألوف ومئاتها . وكل كوكبة منظومة قائمة بنفسها وتدور على نفسها . وفي الوقت نفسه تدور مع سائر الكوكبات الأخرى والنجوم حول مركز المجرة العظيمة .

نحن إلى هنا مازلنا في نطاق المجرة فإذا خرجنا منها يجب أن نطوف على بعد مليوني سنة بسرعة النور من حول مركز المجرة من جميع النواحي ، فنشرع نصطدم بمجرات أخرى مثل مجرتنا وهي مبتعدة بعضها عن بعض كبعدها عن مجرتنا ، ونظام كل منها كنظام مجرتنا ولكنها تختلف حجماً اختلافاً قليلاً .

وإلى الآن أمكن العلماء أن يكتشفوا نحو ٣٠ مليون مجرة . وقد يمكن أن يكتشفوا غيرها متى نصب مرصد كاليفورنيا العظيم الذي تبلغ قوته أربعة أضعاف قوة مرصد جبل ويلسن الذي هو أعظم مرصد إلى الآن . ولما كان النور الذي يرد من أي نجم إلى الموشور (أي المطياف الذي يحل النور إلى ألوانه السبعة) يدل على أن النجم يبتعد عنا إن كان طيفه يدنو من الأحمر ، ويقترب إلينا إن كان يدنو من البنفسجي ، فقد رئي أن طيوف المجرات والأجرام تدنو من الأحمر (ما عدا بعضها لأسباب لا محل لتفسيرها هنا) وهو أمر يدل على أن الأجرام تتباعد بعضها من بعض ومقدار الانحراف أو الابتعاد يدل على مقدار سرعتها .

ومعنى ذلك أن الكرة الكونية الشاملة جميع العوالم تنتفخ وتتسع . والمتطرفة منها تبتعد بأسرع من القريبة للوسط . وعلى بعد ١٣٥ مليون سنة نورية تبلغ سرعتها ١٤٫٣٠٠ ميل فى الثانية ومتى صارت السرعة (على بعد آخر) كسرعة النور أى ٣٠٠٠٠٠ ميل فلا يعود أعظم المراصد يرى ذلك الجرم الذى فاقت سرعته سرعة النور مهما بلغت قوته .

وبحسب رأى ادنغتون أن حجم الكون الأعظم يتضاعف كل ١٣٠٠ مليون سنة . فإذا صحت نظريته فالكون كان أصغر جداً مما هو الآن . وعلى حسابه فالكون ابتدأ منذ ٩٠٠٠٠ مليون سنة (قبل الخليقة أى قبل ٤٠٠٤ سنة ميلادية) . وما ذا كان قبل أن ابتدأ هذ الكون ؟؟

وفى رأى تجايمس تجينز . ابتدأ الكون مجموعة فوتونات أى ذرات ايثر كانت مالئة الحيز الكونى . ثم مدَّ الله تعالى أصبعه فحرك هذا البحر الفوتونى فجعلت الفوتونات تتجمع الكترونات فبروتونات فذرات فجزئيات فأجسام فأجرام فعوالم فأكوان . وبعد أن تشع كل ما فيها من حرارة تتقلص وتعود تبتدئ أن تتمدد من جديد وتعود إلى سيرتها الأولى . وهكذا دواليك من الأزل وإلى الأبد بلا بداية ولا نهاية . واللانهاية واللابداية ملك الله . فلا يمكن الإنسان أن يحصيهما بقاصر عقله .

وفى رأى علماء آخرين أن محيط مجموعة المجرات التى هى كرة الكون الأعظم (وخصوصاً فى رأى اينشطين) نحو ٦٠٠٠ مليون سنة نور . وهى ذات قدر محدود أى معين لا يزيد ولا ينقص . فبحسب حساب اينشطين أن الكون مؤلف من الكترونات تبلغ نحو ٦ أمامها ٧٢ صفراً (٦×١٠^{٧٢}) وهى ضمن نطاق ٦٠٠٠ مليون سنة نور كما تقدم .

وبعد هذا النطاق لا توجد أجرام مادية وإلا شعرنا بوجودها بواسطة مراصدنا وعن يد إشعاعاتها إن كانت من طبيعة كوننا الأعظم هذا . أما إذا كان ثمت بعد ذلك عوالم أخرى ليست مادية أو ليست من طبيعة كوننا هذا فليس لنا أن نقول بها ما دام ليس لنا دليل حسى على وجود شىء آخر . وأما أن نفرض فروضاً ونقول قد يمكن أن يوجد عالم آخر يختلف عن عالمنا فليس من منطق يبرر هذا الفرض . وإلا يمكننا أن نفرض ألوف الفروض ويكون الكلام ثمت لغواً .

وقد نسأل : إذا كان لهذا الكون نطاق واسع يحده محيط قدره ٦٠٠٠ مليون سنة نور فماذا وراء هذا النطاق ؟ هنا يقف العقل حائراً لأنه لا يستطيع أن يتصور المحدود الذي لا وراءه شىء — لا يستطيع أن يتصور النهاية التى لا شىء وراءها كما أنه لا يستطيع أن يتصور اللابداية . هنا يبتدئ جهل الإنسان المطبق مهما تعمَّق فى العلوم ، وتبحر فى الفلسفة ، وتوسع فى اكتشاف أسرار الكون . هنا يقف العقل حائراً .

قد يفهم العقل ما بقى من أسرار الكون وهو أكثر جداً مما عرفه ولكنه لا يمكن أن يفهم اللامتناهى واللامحدود . إن هذا العقل البشرى الصغير الذى هو ذرة فى الكون ولا يقاس بشىء أمام عظمة الكون . لقد أدرك عظمة الكون وشمله كله بعلمه . فهو على حقارته أعظم من هذا الكون إذ استطاع أن يحتويه فى عقله . فما أصدق قول أبى العلاء المعرى فيه .

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة **نقولا الحداد**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

بين نيتشه وفاجنر أو بين الخيال والواقع :

تطوع الأستاذ الشاعر محمد فهمى لينتصف لصديقه الأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، وخيل إليه — وما أخصب خيال الشعراء — أنه قد انتصف له !

أول شىء أسجله للأستاذ محمد فهمى أنه رجل طيب ، والدليل على أنه رجل طيب هو أن كل دليل استند إليه لا يغير شيئاً من جوهر الحقيقة التى يقررها ميزان النقد ؛ النقد الذى يقف من النصوص موقف التأمل والمناقشة ، ويقف من التاريخ موقف التمحيص والمراجعة .

لقد قلت إن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف ، وأوردت مما قاله الفيلسوف فى الفنان قليلا من كثير ، ووافقنى الأستاذ فهمى على ما قلت ، ولكنه عاد ليذكرنى بأن هذه الموسيقى قد لقيت أيضاً من قلم نيتشه أسمى آيات المديح ... أنا والله أعلم هـذا يا أستاذ ولـكن علمى يختلف عن علمك ؛ يختلف عنـه بقدر ما تختلف عقلية ناقد عن عقلية شاعر !

يا قراء « الرسالة » تعالوا نسلط الضوء على الدليل الفذ الذى أورده الأستاذ فهمى فى مجال الانتصاف لصديقه ، إنه رسالة ... رسالة من نيتشه إلى فاجنر بمناسبة أول كتاب أخرجه وأهداه إليه ، تلك التى يقول له فيها : « لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » إلى هنا ونقف قليلا لنتهم الأستاذ فهمى بتشويه الترجمة فى سبيل تأييد رأيه ! إن الـكلمات المقابلة لهذه الترجمة العربية المشوهة هى :

May this work in some slight degree repay the extraordinary interest you have shown in its genesis. إن التشويه هنا متركز فى عبارة : « رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » لقد ترجم الأستاذ « you have shown » بكلمة « أوليتنيها » تكلموا يا من تعرفون الانجليزية . وترجم « in its genesis » بكلمة « فى خلقه » ، تـكلموا يا من تعرفون فن الترجمة ! تكلموا لتقولوا إن المقابلة الصـادقة لـكلمات نيتشه تتمثل فى هذه الترجمة : « لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، جزاء لما أبديت من اهتمام بالغ فى أثناء إخراجه » ! ... يريد نيتشه أن يقول لفاجنر إنك أظهرت نحوى كثيراً من الاهتمام والعطف بمناسبة أول كتاب ألفتـه ، وإنى لآمل أن يجزيك إهداؤه إليك أجر ما أظهرت من كريم العاطفة نحو مؤلفه ! ولـكن الأستاذ فهمى يريد أن « يجبر» نيتشه على القول بأن كتابه مدين بخلقه لفاجنر !

هـذه ملاحظة على هامش المشكلة نعود بعدها إلى جوهر المشكلة ... هل يعلم الأسـتاذ فهمى فى أية سن اتصل نيتشه بفاجنر ، وفى أية سن بعث إليه بهذه الرسالة المرفقة بكتابه الذى أهداه إليه ؟ لو علم لبحث عن دليل آخر غير هذا الدليل المتهافت الذى أورده فى كثير من الزهو والثقة والاعتداد ! لقـد اتصل نيتشه بفاجنر فى سن الخامسة والعشرين ، وألف كتابه الأول وأهداه إليه فى سن الثامنة والعشرين ، وفى هذا الوقت كان فاجنر فى التاسعة والخمسين من عمره ... شاب ناشئ يخطو أول خطوة فى طريق مجد يتطلع إليه ، وشيخ قطع طريق المجد كله حتى بلغ منتهاه . وهنا نرفع معول التدمير لنهوى به فى « رفق » على الدليل الفذ الذى يزهى به الأستاذ فهمى ويعتد ! شاب ناشئ يتملق أستاذاً فى الموسيقى طبقت شهرته الآفاق ليمهد له طريق الشهرة والظهور ، ولا بد — شأن كل ناشئ يعيش فى رحاب أستاذ كبير — من التملق والمجاملة فى سبيل الوصول إلى تحقيق أمانيه ... هـذه هى الحقيقة التى يقررها الواقع ويقررها رومان رولان فى كتابه « L'histoire de la musique » (ص٦٣) ولعل الأستاذ يوافقنى على أن كلمات يعليها التملق فى السن المبكرة ، غير

كلمات عليها الإيمان والثقة والفكر الناضج فى السن المتأخرة ! يقول نيتشه لفاجنر فى سن الثامنة والعشرين : إنك موسيقى عظيم أشمر بزهو لا يحد حين يقترن اسمى باسمه إلى الأبد ، ويقول له فى سن الخمسين : إنك رجل منحل ، متلف هدام ، لا تهز بموسيقاك المريضة إلا أعصاب النساء ... بأى القولين نثق وبأى القولين نؤمن ؟ . أبقول الفتى الناشىء المتملق الذى لا تعينه سنه على وزن الفن بميزان الملكة الناضجة ، أم بقول الفيلسوف العبقرى الذى نطق بكلماته الأخيرة فى وقت كان يطلق عليه فيه سيد المفكرين ؟ ... إننا نهمل كلمات المجاملة التى نطق بها الفتى الناشىء ليصل عن طريقها إلى مجد يتطلع إليه ؛ نهملها ولا نقيم لها وزناً على الإطلاق ، ولا نثق إلا بتلك الكلمات الأخرى التى نطق بها الفيلسوف العظيم فى أوج نضجه الفكرى واستقامة موازينه وفهمه لحقائق الأمور ، نثق بها لأن نيتشه يقول لنا بصراحة : « إن رأيى الأول فى فاجنر قد غيرته السن ، أما رأيى الأخير فلن تغيره الأيام » نفس المصدر « L'histoire de la musique » ، (ص ٦٨) ... إن بعض الآيات فى القرآن الكريم يا أستاذ قد نسخت أحكامها أحكام آيات أخرى ، فلم لا تنسخ أحكام نيتشه الأخيرة أحكامه الأولى ، وتلغيها ، وتدفع بها إلى زوايا الإهمال والنسيان ؟!

من هنا يا أستاذ فهمى أصدرت حكمى على هذا الرأى الذى نادى به صديقك ووافقته أنت عليه ، حين يقول إن موسيقى فاجنر قد فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه ! لقد ولد نيتشه يا صديقى وفى دمه بذور عبقرية موهوبة ، ولو قدر له ألا يرى فاجنر لما تبخرت من نبع فكره المحلق قطرة واحدة من قطرات عبقريته ، وكل من يقول بغير هذا الرأى إنسان لا يحترم عقله ... متى كان إعجاب رجل بآخر ومديحه له دليلا على تفتيق أكمام العبقرية فيه ؟! إننا نستطيع أن نفرض المستحيل ، والمستحيل الذى نفرضه لنمضى مع الأستاذ فهمى إلى نهاية الشوط ، هو أن نيتشة قد أعجب بفاجنر وأن هذا الإعجاب قد ترتب عليه خلقه لعبقريته . إذا فرضنا هذا وحلقنا فى أفق الشعراء والتقطنا النجوم ونثرناها درراً من الكلام ، وخرجنا من هذه الدرر بهذه الحقيقة الفذة ، فإننا نستطيع أيضاً بهذا الميزان الذى يقام على أجنحة الخيال أن نقول إن موسيقى بتهوفن قد فتقت أكمام العبقرية فى جيتة ! ألم يكن جيتة يعجب بموسيقى بتهوفن ، ويقدمها ، ولا يعدل بها موسيقى فنان آخر ؟ لا بأس على الإطلاق من أن نعلن على الملأ هذه الحقيقة التى تذوب خجلا من روعة هذا القياس !

بقى أن نرفع معول التدمير مرة أخرى لنهوى به فى « رفق » على آخر دليل أورده الأستاذ فهمى ، وهو أن نيتشة قد صب نقمته على فاجنر حين أقصاه هذا عن بيته وقطع صلته الغرامية بزوجته ، يصدق الأستاذ فهمى هذا الفرض الذى نقل إليه ، فلم لا يصدق هذا الفرض الآخر الذى يمكن أن يقال له ، وهو أن نيتشة لم يخلع على فاجنر أثواب المديح والإطراء إلا بفضل علاقته الغرامية السابقة بزوجته ؟! ... ترى أكان نيتشة حين رمى فلسفة شوبنهاور بالزيف والخواء ، ترى أكان متصلا بزوجته أيضاً ثم قطعت هذه الصلة يا أستاذ فهمى ؟ حنانيك يا موازين النقد !

بقى شىء يفرض علىّ الموقف أن أثبته فى ختام هذه الكلمة ، وهو أننى أشكر للأستاذ عبد الرحمن الخميسى رحابة صدره فى تقبل نقدى له ... الحق أنه أدهشنى بهذه الروح المثالية حين لقينى منذ أيام فى ندوة الرسالة ، وحين قال إنه لا يضيق بالنقد مهما عنف ما دام هدفه الأول هو الكشف عن الحقائق ووضع كل شىء فى مكانه .

إننى أسجل إعجابى بهذه الروح الطيبة ، وأرجو أن أكون قد كشفت عن حقيقة الصلة بين نيتشة وفاجنر ، كما يقررها الواقع لا كما يتصورها الخيال !

وللأستاذ الخميسى أطيب تحياتى .

لحظات مع الفنان الفرنسى جان كوكتو :

يزور مصر الآن فنان فرنسى موهوب هو جان كوكتو ، ولا أعرف رجلا من رجال الأدب والفن فى عصرنا الحاضر تعددت مواهبه كما تعددت مواهب هذا الرجل ... إن كوكتو رسام وشاعر وكاتب مسرحى وناقد وأديب ، وهو بعد ذلك مخرج مسرحى يشرف بنفسه على إخراج قصصه وقصص غيره فى فرقة الممثل الفرنسى النابه جان ماريه ، وهى الفرقة التى تعمل منذ أيام على مسرح الأوبرا الملكية .

ولقد استوقف نظرى ما جاء بمقال الدكتور طه حسين بك فى « الأهرام » عن كوكتو حين قال : « وجان كوكتو أديب فرنسى ممتاز ، ولعله أن يكون من أظهر الأدباء الفرنسيين وأشدهم امتيازاً فى هذا العصر ، وربما كان أظهر الخصال التى تميزه أن نزعاته الأدبية والفنية لا تسلك طريقها إلى الفوز دون أن تلق من العقاب والمقاومة ما يثير حولها كثيراً من الخصومة والجدال » !

الواقع أن هـذه الكلمات التى نطق بها أديبنا الكبير تقرر الواقع فى كثير من الدقة بالنسبة إلى فن جان كوكتو . . . إن الرجل فنان ممتاز ما فى ذلك شك ، ولكن فنه يثير كثيراً من الجدل واختلاف الرأى بين خصومه وأنصاره ، أناس يرفعونه إلى القمة وآخرون يهوون به إلى الحضيض ، والزمن وحده كفيل بتقدير فن الرجل ووزنه بميزانه . ولقد تهيأ لى أن أطلع على أربع رسائل تلقاها من باريس أحد أصدقائى من بعض زملاء دراسته فى السوربون ، وهى تدور كلها حول كوكتو وفنه ورحلته إلى مصر : رسالتان تحطان من قدره وتحملان على خلقه ، ورسالتان ترفعان من فنه وتشيدان بمواهبه ، وأنا بين الرسائل الأربع يأخذنى العجب من رجل لا يلقى رأياً وسطاً بين المحبين به والمتحاملين عليه !

مهما يكن من أمر كوكتو وأمر خصومه وأنصاره ، فإننى أشارك الدكتور طه دهشته من أن بيئة ثقافية واحدة فى مصر ، لم تفكر فى إحداث صلة بين هـذا الأديب العظيم وبين شبابنا المثقفين .. الواقع أننا نغط فى نوم عميق !

ردود قصيرة على رسائل القراء :

أشكر للصديق المجهول الذى كتب إلى من القاهرة جميل تقديره ، وأود أن يبعث إلى باسمـه وعنوانه لأرد إليه تحيته ، أما الصديق الآخر المجهول الذى كتب إلى للمرة الثانية من الاسكندرية فأرجو أن يبعث إلى أيضاً باسمه وعنوانه لأجيبه عن أسئلته التى أشرت إليها من قبل ، لأن الإجابة عنها فى « الرسالة » ستشغل الصفحات الثلاث المحددة للتعقيبات .

أما الأديب الفاضل صبرى حسن علوان الطالب بكلية العلوم بجامعة فؤاد فيعتب على تلك التحيـة التى وجهتها إلى طلاب الأزهر ، ومما جاء فى رسـالته : « . . وأحب أن تحيى الشباب المخلصين للأدب والفن على أنهم أدباء ، لا على أنهم من طلاب الأزهر أو طلاب الجامعة » ! . . إن ردى على هذا العتاب هو أننى ما حييت هؤلاء الشباب إلا لأنهم أدباء ، ولـكن من حقهم على أن أشـير إلى أنهم من الأزهر ، ومن حقك على أيضاً أيها الأديب أن أحييك مشيراً إلى أنك من الجامعة . وهذه رسـالة رابعة من بغداد يناقشنى فيها الأديب الفاضل محمـد روزنامجى الطالب بكلية الحقوق حول ما كتبته عن الأستاذ سلامة موسى . أحب أن أقول لهذا الصديق العراقى الفاضل إننى أرجو أن يتسع وقتى لأرد عليه فى رسالة خاصة . ورسالة خامسة من طنطا يقول مرسلها الأديب الفاضل محمود محمد على إنه يؤيد ما أبديت من رأى فى شخصية بيرون الأدبية والإنسانية ، ويرجو أن أتناول بالنقد والتحليل — كما فعلت عند الحديث عن بيرون — بعض الشخصيات الأدبية فى مصر ... إننى أشـكر له خالص ثنائه وقد أستجيب لـكريم رغبته .

أما الرسالة السادسة فمن « أبو حمرة — سـودان » يقول صاحبها الأديب السودانى الفاضل عبد الرحيم الحاج محمد إنه يود ألا أقتصر فى « التعقيبات » على التوجيـه الأدبى وحده ، بل يجب أن أخصص جانباً منها للتوجيه الاجتماعى .. يسعدنى أن أحقق هـذه الأمنية فى القريب . وأقول لصاحب الرسالة السابعة الأديب الفاضل محمد على مخلوف بمعهد التربية العالى بالإسـكندرية إننى سأدفع بقصيدتك إلى الأستاذ الزيات مع تزكيتى ، كما أقول لصاحب الرسالة الثامنة الأديب الفاضل على أحمد الخطيب الطالب بمعهد الإسكندرية الدينى إن الـكتاب الذى رجع إليه لا يعتمد عليه ، لأنه يشوه الوقائع الثابتة ويخالف منطق التاريخ .. ولهؤلاء القراء الأصدقاء جميعاً أصدق الود وأخلص التحية .

جولة طويلة فى معرض الفن الإيطالى :

لحظات جميلة وممتعة ، تلك التى قضيتها منذ أيام فى معرض الفن الإيطالى . . كم أود أن يزور المثقفون هـذا المعرض الممتاز الذى نظمته جمعية محبى الفنون الجميـلة بالقاهرة ومتحف بينالى بمدينة البندقية بإيطاليا ، ليحلقوا بأفـكارهم كما حلقت فى سماء الفن الرفيع ! يؤسفنى أن يضيق النطاق عن التحدث عما شـاهدت ، فإلى العدد المقبل حيث أقدم للقراء عرضاً تحليلياً لبعض اللوحات الممتازة التى وقفت منها موقف التأمل والدراسة والمقارنة .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والمجتمع:

قامت مناظرة يوم الخميس الماضي في قاعة على باشا مبارك بكلية دار العلوم، موضوعها «هل الأدب للأدب أو الأدب في خدمة المجتمع؟» ورأس المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن، وتناظر في الموضوع ستة من الطلبة، فأيد الرأي الأول عبد الخالق الشهاوي وأحمد عبد الله البهنساوي ومحمد محمود عبد النبي، وأيد الرأي الثاني محمد موسى طحان وأحمد غنيم وأحمد الزقم.

وسأعرض هنا بعض ما قاله المتناظرون، وأعلن أولا أني لست محايداً، وإنما أقول بالرأي الثاني، ولهذا سأجعل من همي أن أفند ما لم يفند من أقوال أصحاب الرأي الأول، وأعرض صفحاً عما لا أراه ينفع من كلام أصحاب الرأي الثاني.. ولا شك أن للقارئ حريته فيما يرى.

قال الشهاوي: إن الأديب ينتج وهو حالم ولا يتجه في إنتاجه إلا إلى الجمال، وليس من هدفه الحق والمنفعة والخير. وأقول: إن الأديب لا يحلم بالهواء وما هو حين يستسلم للغفوة الأدبية إلا يستوحي ما رسب في أعماقه من شئون الحياة وصور المجتمع؛ أما الجمال فلا تعارض بينه وبين الحق والمنفعة والخير، ولم الفصل بينه وبينها وكثيراً ما يكون داعياً إليها؟ وقال هل تريدون أيضاً أن تكون الأساطير الأدبية في خدمة المجتمع؟ ورد عليه غنيم بأن الخرافية في الأدب ليست مقصودة لذاتها وإنما هي تشيد بالمثل العالية.

وقال البهنساوي: إن الأديب يشعر بما يشعر حراً فكيف تحملونه على أن يعبر كما يريد المجتمع؟ وقال: إنه قد يغضب من المجتمع فكيف يعبر عن غضبه بما يرضى المجتمع؟ وقال: إن الإنسانية هي نبع الأدب لا الاجتماعية. ورد غنيم بأن الأديب إنسان ممتاز يشعر بما في الحياة شعوراً ممتازاً ويترجم عنه لصالح المجتمع دون أن يملى عليه شيئاً، وإنه حين يغضب من المجتمع لا يعاديه وإنما يثور عليه لإصلاحه، وقال: إن الأديب لا يكون إنسانياً إلا إذا كان اجتماعياً.

وقال عبد النبي: إن الأخلاق اعتبارية تتغير والأدب خالد يعبر عن الحقائق الثابتة. وأقول: نحن لا نريد من الأديب أن يكتب في الأخلاق مباشرة، وإنه حين يثور على وضع من الأوضاع الأخلاقية إنما ينشد التطور ورقى المجتمع.

ورد طحان على أن الأدب فن من الفنون الرفيعة لا يقصد إلا إلى الجمال، فقال إنا لا نسلم بأن الفنون قاصر أمرها على الجمال، فأنت تمر بتمثال الحرية مقاماً في أحد الميادين فيوحي إليك معاني الوطنية ومشاعرها، ولم يقل أحد بأنه يجب عليك أن تشعر بجمال التمثال وتمضي دون أن تحس شيئاً من أهدافه القومية والاجتماعية. ومن ظريف ما قاله طحان: إن «الأدب للأدب» كالنحو للنحو.. أي أن الإنسان بناء على هذا يعرف النحو ويلحن كما يشاء، لأنه يعرفه لذاته لا ليقيم به الكلام ... وتساءل غنيم: هل الأديب حشرة إتلافية؟

وقال الزقم: إننا إذا نظرنا في الأدباء الخالدين لم نجد إلا من خلدته آثاره في خدمة المجتمع.

وقد أثار المتناظرون موضوع «التابعي وأسمهان» إذ قال أحد الفريق الأول: إن التابعي يكتب في «آخر ساعة» مذكراته عن أسمهان ليعبر عن أحاسيس هذه الفنانة، ولم يعبأ بمن ثاروا عليه. وقد كان ذلك مثار حملات من الفريق الثاني على شغل تلك الصفحات بمثل ذلك الكلام. والحق أن الفريقين ظلموا التابعي، فليست مذكراته عن أسمهان من «الأدب للأدب» وإنما هي تهدف إلى أغراض اجتماعية وسياسية يستشفها القارئ الفطن من خلال ما يعرض من حوادث.

وختم المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن مثنيا على المتناظرين وحسن نقاشهم وما بدا فيه من الروح الرياضية قائلا بأنه إذا كان العمل الرياضي تمريناً للجسد فهذا تمرين للفكر، والثاني أحق بأن تسوده الروح الطيبة. وآثر الأستاذ ألا يجرى الاستفتاء بين الحاضرين لأن المقصود ليس انتصار فريق على آخر وإنما هو بحث الموضوع وتبين جوانبه. وأبدى رأيه في الموضوع فقال إنه لا تعارض بين الرأيين، لأن الأدب ينبع من الفرد ومن المجتمع، ومدار الأمر فيه على الصدق، والأديب الصادق التعبير يخدم الإنسانية فرداً أو مجتمعاً.

وقد كان أصحاب الرأى الأول يرددون أن الأديب ليس واعظاً ولا مرشداً ولا مقرر نظريات وعلوم . وكان الفريق الثانى يقول بأن الأديب لا بد أن يعالج شؤون المجتمع ويكتب فى مشكلاته . وهنا أمر يحسن الالتفات إليه ، وهو أن الأديب لا يدعو إلى الأخلاق دعوة مباشرة ولا يعالج مشكلات المجتمع كما يعالجها الباحث الاجتماعى ؛ وإنما هو يتناول كل ذلك بطريقته الفنية وصوره الأدبية ومن المسلم به أن تجارب الحياة أجدى من الوعظ إن كان فيه جداء ، والأديب يعبر عن تجاربه الشعورية فينقل القارئ إلى عالمه ويؤثر فيه بحيث يجعله مشاركا له فى التجربة ، والأديب حين يتجه إلى المسائل الاجتماعية إنما يأتيها من حيث آثارها فى صوره وأشخاصه ، لا من حيث هى مشاكل يقترح لحلها كذا وكذا .

والأدب الآن يتجه إلى الإنسانية وتحليل النفس ، والأديب حين يتغلغل بقلمه إلى إبراز المشاعر الإنسانية وتحليلها إنما يهدف إلى الحق والخير والجمال .

الأدب المصرى :

قال الأستاذ بدوى طبانة فى كلمة له بالأهرام ، إنه لاحظ وهو يحقق كتاب « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » للعماد الأصفهانى — أن مصر أنجبت نحو مائة وثلاثين شاعراً فى القرن السادس الهجرى ، جلهم إن لم يكن كلهم مغمورون لم يتناولهم علماؤنا وأدباؤنا بالدراسة كما تناولوا غيرهم من أعلام المشارقة والمغاربة .

وأذكر أن بعض الكتاب قد أثار هذا الموضوع منذ سنين ، ونبه على إهمال مصر الأدب المصرى مع جدارته بالإحياء والدراسة ، وأنشأت الجامعة كرسياً بكلية الآداب للأدب المصرى ، شغله الأستاذ أمين الخولى ، ووضع له منهجاً لم ينفذ ، والأستاذ يدرس الآن فى الكلية مواد ليس من بينها الأدب المصرى وهو لا يزال أستاذ الأدب المصرى !

ولا يزال أساتذة تاريخ الأدب فى المدارس وكليات الآداب ودار العلوم واللغة العربية يمرون بالأدب المصرى عابرين معجلين ، وقلما يحظى هذا الأدب بالتفات الأدباء فى غير المدارس والكليات .

ولعل من أسباب ذلك أن أكثر مراجع التاريخ والأدب فى العصور المصرية المتأخرة مخطوط .

ولا شك أن أول ما يجب عمله فى هذا السبيل ، هو إحياء

كشكول الأسبوع

□ من البرنامج الذى وضع للتعاون العربى فى اجتماع أقطاب الدول العربية ببيروت ما يلى :

١ — تقوية نفوذ اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية بطريقة تجعلها إدارة مركزية لها نفوذها وسلطتها على الإدارات العلمية والثقافية فى جميع البلاد العربية .

٢ — الدعوة إلى مؤتمر لغوى لكى تصبح اللغة العربية متفقة فى مصطلحاتها ومظاهرها مع الظروف العلمية الجديدة ، مع تنسيق المصطلحات العلمية ولا سيما الأسماء الجغرافية العامة .

□ أعرب سفير إسبانيا فى مصر لسعادة عبد الرحمن عزام باشا عن رغبة بلاده الاشتراك فى مهرجان ابن سينا الذى تعتزم إقامته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية . وقد رحب عزام باشا بهذه الرغبة .

□ زار معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف مؤسسة الثقافة الشعبية ، وألقى هناك كلمة قال فيها : إننى قرأت فيما قرأت أن الموسيقى كانت تدرس فى الأزهر الشريف عند نشأته إلى جوار دروس الفقه .

□ ألقى الأستاذ زكى طليمات محاضرة عن « فن الإخراج » بالجامعة الأمريكية ، أوضح فيها أصول هذا الفن ودقائقه ، ومما قاله أن أول ما يشترط فى المخرج الفهم ، فهم ما بين السطور وإدراك المرامى الخفية ، حتى يستطيع إبراز الرواية فى الإطار اللائق بها .

□ وافق معالى وزير المعارف على اعتماد ثلاثة آلاف جنيه فى الميزانية الجديدة لإقامة حفلات تمثيلية نموذجية يقدمها خريجو المعهد العالى لفن التمثيل وطلبته فى دار الأوبرا الملكية . وقد حقق معاليه بذلك رغبة العاملين على ترقية التمثيل المسرحى فى مصر .

□ قال الدكتور أحمد عبد النبى بك فى محاضرة عن الموسيقى بالجامعة الأمريكية : إن ترديد كلمة « يا ليل » وإن كان موافقاً للأصول الفنية إلا أنه لا يلائم ذوق العصر ، فليرح المغنون أنفسهم من مناداة الليل الذى لا يجيب .

□ اتجه الرأى أخيرا فى وزارة المعارف ، إلى أن خير حل لمسألة مراقب التعليم بالسودان هو تعيين مراقب جديد يكون مقره الخرطوم ، ويسند إلى المراقب السابق منصب آخر بالوزارة .

□ جاءنى من الأستاذ أحمد أحمد العجمى أنه سبق الأستاذ أحمد مخيمر إلى نظم صور شعرية للأدباء ، وأن الأستاذ العوضى الوكيل نسج على منوال مخيمر فى ذلك وأعد للطبع ديواناً كاملا بعنوان « رسوم وشخصيات » والأستاذ العجمى يريد تسجيل أسبقيته على الاثنين فى هذا المضمار . والرسالة تسجل للمرحوم أحمد الزين السبق على أولئك جميعا .

□ صدر أخيراً كتاب « رسالة الشاعر » للأستاذ إبراهيم الأبيارى ، وهو يتضمن بحثاً عن رسالة الشاعر فى الحياة ودراسة طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام فى ضوء هذه الرسالة .

□ اتصل بى الأستاذ عبد الرحمن الحميمى ، وأوضح لى وجهة نظره فيما كتبته فى الأسبوع الماضى عن قطعتين من شعره ، وموعدنا لبسط ذلك الأسبوع القادم .

هذه الكتب بالتحقيق والطبع لتكون فى متناول طلاب الأدب، وعندنا هيئات حكومية وأهلية تعمل فى إحياء تراثنا الثقافى، كالقسم الأدبى بدار الكتب، وإدارة التراث العربى بوزارة المعارف، ودار المعارف، فهلا وجهت عنايتها إلى هذه الناحية ؟

فى معرض الفن الإيطالى :

هناك على شاطىء النيل فى قصر الخديو إسماعيل، أخذت معروضات الفن الإيطالى مكانها، وفى مدخلنا إلى هذا المعرض استغرقنا السرور بمرأى الجنود المصريين حيث تعودنا أن نرى السحن الحمراء التى كانت تحتل هذا القصر، وشارك العلم المصرى المرفوع قلوبنا فى الخفقان. ألا ليت معرض الفن المقام هناك والذى نقصد إليه، كان مصرياً .. حقاً إن الفن لا وطن له كما يقولون، ولكن ظروف المكان تحتاج إلى استدراك ...

المعرض فخم، والمكان فخم، تنقل بصرك بين اللوحات المعروضة وبين النقوش على السقوف والجدران، فتحار بين هذه وتلك، ومن الغريب أنهما يتشابهان فى الفخامة. وقد جلنا بالمعرض، فاستدعى التفاتنا إتقان الأبعاد والألوان، ولكن قلما وقفنا مشاركين فى إحساس وشعور. وطالما وقفت وقفات شاعرة أمام لوحات فى معارض مصرية، أما فى هذا المعرض الإيطالى فلم أحس بالمشاركة الوجدانية إلا فى بضع صور، منها صورة الحصان الميت وقد وقف بجانبه صاحبه العجوز البائس وملامحه تنطق بأنه لا يملك سواه، وصورة أم تنظر إلى ابنها نظرات كلها حنان، وفى مقابل هذه الصورة صورة أخرى كبيرة بها امرأة تحمل طفلها وبقرة بجانبها رضيعها، والصورة الكبيرة فخمة جيدة التلوين، باهرة المنظر، ولكنها فقيرة فى الإحساس والوجدان، ومن الصور التى أعجبتنى أيضاً لوحة تهجم فيها عنزات على عربة حشيش، وبالقرب منها راعية تبدو فيها « الرعاية » واضحة.

وقد وقفنا أمام صورة هناك نحدقت فيها لأرى ما هى، وأنا أقول لصاحبى : هذه الصورة لا بد أنها من « السرياليزم » ثم أردفت : إنها تمثل ديكا. فقال صاحبى — وهو الأستاذ أنور المداوى — بما أننا تبينا فيها ديكا فلا يمكن أن تكون من « السرياليزم » !

نصف مليون جنيه يصدع رأس الدولة :

صرح دولة إبراهيم عبد الهادى باشا للصحفيين فى أحد اجتماعاته بهم، بقوله « إن ميزانية وزارة المعارف قد تضاعفت عدة مرات حتى أصبحت الآن حوالى ثمانية عشر مليوناً من الجنيهات، تضاف إليها ثلاثة ملايين جنيه للتعليم الجامعى، أى أن واحداً وعشرين مليوناً من الجنيهات تنفق فى العام الواحد فى نشر نور العلم ومحاربة الجهل فى مصر. وقد تدهشون إذا عرفتم أن إيرادات المصروفات المدرسية لا تواجه من هذا المبلغ الضخم غير ثمانمائة ألف جنيه .. »

ومعنى ذلك أن الدولة تنفق على التعليم نحو ٢٦ مثلا لما تحصله من التلاميذ، وأنت قد تريد الذهاب إلى حلوان مثلاً، فيقدم لك العامل فى (شباك التذاكر) ورقة تبرع لإحدى الجمعيات الخيرية بقرش، وإذا ناقشته قال لك : من يدفع ستة قروش لا يكثر عليه قرش ! فهل نقول للدولة كذلك : إن ثمانمائة ألف جنيه ليست شيئاً إلى جانب واحد وعشرين مليوناً من الجنيهات ؟

والأمر أهون من ذلك، فإن وزارة المعارف تبذل جهوداً وتنفق أموالاً بسبب تنظيم المصروفات المدرسية، فهناك بحث حالات المجانية ونصف المجانية ومن لا يستحق المجانية، وتتفرع من ذلك أعمال كثيرة يقوم بها موظفون ينظرون فى أعمار التلاميذ ونسب نجاحهم، وفى إحصاء أبناء المدرسين والصحفيين والضباط وفحص حالاتهم لتبين من يستحق نصف المجانية منهم، وفيمن لديه ولدان ينفق عليهما فى إحدى المدارس الثانوية وما يعادلها فيعفى بقية أولاده، ومن لديه ولد واحد إذا كان مدرساً وفيمن أخنى عليهم الدهر ... إلى غير ذلك من التحصيل والرصد وكتابة (الاستمارات) وإعداد الميزانية، مما يخصص له موظفون يتناولون مرتبات ويطالبون بتطبيق (الكادرات).

ولا بد أن كل ذلك يستنفد بعض ثمانمائة ألف الجنيه ؛ وما يتبقى بعد ذلك، ولنفرض أنه نصف مليون جنيه، يصدع رأس الدولة بالشكاوى، ويشغل وقت الرؤساء والنواب والشيوخ وغيرهم من ذوى الجاه بالوساطات والشفاعات، ويشغل بال المعوزين من آباء التلاميذ ويربك حياتهم ويتحيف مستوى معيشتهم، وقد يحملهم على بذل ماء الوجوه فى التوسل والرجاء، ولا يخفى أن الأولاد تنطبع فى أذهانهم صور من ذلك تخل بمعيار النظر الصحيح إلى الأمور.

نصف مليون جنيه ... استغنوا عنه وضموه إلى الواحد والعشرين. وأريحوا أنفسكم وأريحوا الناس ...

عباس خضر



على هامش كتابين

١ – مع النـــــاس

تأليف الأستاذ محمد علي الحوماني

الأستاذ الحوماني أديب لبناني جمع إلى أدبه الفياض وشعره الرصين وحديثه الطلي، سرعة الخاطر ودقة التعبير وسلامة الأسلوب، وهو عربي يعتز بعروبته ووطنيته. بدأ حياته مجاهداً ضد الاستعمار الفرنسي – وهو ما زال في مقتبل العمر وفي فجر الحياة، غض الإهاب لين العود – فأحيل إلى المجلس التأديبي، ولكنه لم يستخذ ولم يستسلم، ففر إلى شرق الأردن حيث أخرج ديوان الحوماني (سنة ١٩٢٦)، وديوان نقد السائس والمسوس (سنة ١٩٢٨).

ومنذ ذلك الحين اضطربت به نوازع الحياة ودوافع السياسة، فأخذ يتنقل بين وطنه (الشرق العربي كله) وبين المهجرين الأمريكي والأفريقي. وكان في كل بلد يصل حبله بقادة الرأي وزعماء السياسة وأهل الفكر يبادلهم الحديث ويناقشهم الخاطرة، وتفجر الحديث – في هذه المجالس – فنوناً، وتفتق عن أبحاث قيمة ناضجة في الأدب والعلم والسياسة والاجتماع والفن. فهو – من ناحية – يتحدث عن الموسيقى حديثاً عبقرياً فيقول: «الموسيقى هي واحد من هذه الأشياء التي لا تستطيع التعبير عنها بأكثر من أنها لغة تخاطب الروح مباشرة دون ما رمز من إشارة أو تصوير. أما الموسيقى، الموسيقى العبقرية، فإن الروح تتناولها من يد العازف على رنة الوتر دون ما جهد أو إعنات، وتمليل هذه الهزة الروحية التي يتأثر بها السامع وهو يصغي إلى توقيع الفنان يكاد يعجز بيان الفكر الحاذق». وهو – من ناحية أخرى – يتحدث عن الدين: «فالعروبة في أي زمن تستهدف للزوال إذا لم يعضدها الدين ...»

هذه المجالس، وهذه الأحاديث، عمل صحفي جليل لا عجب إن قام به المؤلف، وهو صاحب مجلة (العروبة) اللبنانية. ولقد ضمنها كتاب «مع الناس»، وهو كتاب فيه ألف فكرة لألف رجل، وللمؤلف فكرة واحدة هي إيمانه بقول سيد العرب (ص): «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». وهو دائرة معارف عربية يستطيع المرء أن يرى من خلالها العقل العربي وهو يضطرم في الشرق والغرب معاً، وأن يعيش حيناً بين أهل الرأي وسادة الفكر من العرب يحس نبضات قلوبهم وخلجات أفكارهم ونوازع أنفسهم، فيلمس – من قريب – آراءهم وخواطرهم، ويشرف على آمالهم وأمانيهم

وإن القارئ ليجد خواطر المؤلف منبثة بين أضعاف الكتاب في سطور متناثرة هنا وهنالك، يستطيع الأديب الدقق أن يضم أشتاتها بعضاً إلى بعض لتصبح مبدأً يقول بأن الأمة توشك أن تنهار إن هي لم تتمسك جهدها بثلاثة أشياء متساندة مترابطة هي: اللغة والأخلاق والدين. فهو يوقن بأن «اللغة قبل كل شيء، لأنها العنصر الذي يتقوم به أمجاد الأمة، فعلينا أن نعلم الولد كرامة أمته ومجدها في الكلمات العربية ليقرأها ويشعر أنه يشرف على مجده وعزته القومية من خلال الحروف والكلمات». وهو يؤمن بأن «الثورة التي تقوم في العالم على أساس الأخلاق، إنما تمهد للانسانية فتنمو وتصعد إلى مستوى الملكوت. أما الثورة من أجل السياسة، أو العصبية للعنصر أو الوطن، فإنما هي مدعاة للتناحر لا تنفك تفتك في البشرية حتى تصل بها إلى المهد الذي نحن فيه: علم يصعد إلى السماء لينحل قنابر تتفجر أو مدافع تدمر فتعود بنا إلى دور الوحشية الذي تمسنا الحاجة فيه إلى أمثال موسى وعيسى ومحمد ...» وهو يعتقد بأن «التعصب للدين ليس عقبة تصدم الإنسان في نهوضه إلى الحياة الحرة كما يتوهم من لا يفقه الدين، فإنا نرى اليهود في العالم كله يتعصبون لدينهم، ونراهم محسودين من جميع العالم، والعالم مسخر لهم، وهم بضعة عشر مليوناً. فلو تعصب المسلمون لدينهم تعصب اليهود – ودينهم مدني فوق كل دين – لكانوا المثل الأعلى على هذه الأرض ...»

وهكذا يرى المؤلف أن اللغة والأخلاق والدين هي العُمُد الثابتة المتينة التي يجب أن تكون أساساً لرقي الأمة وسموها ...

وحبذا لو أخذنا بهذا الرأى ، حبذا ...

وإن الكاتب ليحس صعوبة شديدة فى الكتابة عن هذا السِّفر لما فيه من آراء متفرقة وأبحاث متشعبة ، بقدر ما يلمس القارئ فى قراءته من لذة ومتعة . وإنى لا أجد ما أقدم به هذا الكتاب إلى قراء العربية سوى أن أقول : إنه دائرة معارف تسمو بقيمتها وزوائها .

٢ - اصطلاحات عربية لفن التصوير

تأليف الدكتور بشر فارس

هذا « مبحث ألقى فى المجمع العلمى المصرى فى جلسة علنية فى السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨ » ، وهو مُعجم يحتوى على اصطلاحات فرنسية فى فن التصوير عدتها تسعة وثلاثون ومائة جمعها الدكتور بشر ورتبها على حروف المعجم الأفرنجى وترجمها هو ، فصارت مرجعاً قيما للباحث والكاتب والقارئ ، ثم أخذ يوضح مدلولات الألفاظ العربية المقابلة للتعبير الفرنسى « وقصر الكلام هنا على الكلمات التى هى من ثمرة بحثه وعدتها خمس ومائة » .

وخشى المؤلف أن يعثر المطلع فى معجمه على لفظة خشنة ، أو اصطلاح جاف ، فاستدرك يقول : « وتوانى فى أثناء النقل أتقرب ما استطعت من اللغة الجارية عندنا لهذا الزمن ، متلفتاً إليها ، أو مستشهداً ، خشية أن تتسع الفجوة بين الذوق السائد واللفظ المستنبط فيموت وليداً » .

ولقد كتب الدكتور بشر تصديراً لهذا البحث جاء فيه : « على أن أحداً لا يشك فى أن لغتنا الكريمة وإن زخرت بالألفاظ وعلت بالتعبيرات لتقصر اليوم عن الأداء الأفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وكأنى بك ترى اضطراباً واختلافاً فى أكثر مايقع عليه بصرك . لذلك بدا لى أن أهيئ طائفة من الاصطلاحات الدائرة فى باب التصوير وما يجرى مجراه ، عسى أن تستقيم أداة التأليف ، وتندفع آلة النقل ... »

هذا هو رأى الدكتور فى اللغة العربية ، فهو يراها قاصرة عن الأداء الإفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وأنا لا أوافقه فى ما ذهب إليه ، فإن لغتنا الكريمة لم تضق يوماً بعلوم اليونان حين بدأت النهضة العلمية الإسلامية ، وحين ازدادت نشاطاً وقوة فى العصر العباسى ، فراح العرب — إذ ذاك — ينقلون علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات ، فنقلوا — فى سنوات — مئات من أمهات الكتب فى الفنون المختلفة . ولم تعجز عن أن تقتحم باب العلوم الرياضية حين نقل « محمد بن موسى الخوارزمى » أرقام الحساب عن الهنود وأدخلها فى العربية ، وحين وضع « الصفر الحسابى » فحل بذلك أكبر معضلة رياضية فى العالم ، وحين وضع جداول اللوغارتيمات وهى ما تزال تحمل اسمه حتى اليوم فهو يعرف عند الفرنجة باسم Algoritmi . ولم تقصر عن أبحاث الميكانيكا والإيدروستاتيكا بين يدى « أبى الريحان البيرونى » حين وضع كتابه « الآثار الباقية » . ولم تضعف أمام أبحاث « الحسن بن الهيثم » فى الضغط الجوى — وهو قد سبق فى ذلك البحث تورشيللى بخمسة قرون أو أكثر — ولا فى البصريات . وإن أبحاث ابن الهيثم التى استغرقت نيفاً وستين كتاباً كلها فى العلوم التعليمية (الطبيعية) ما تزال مرجعاً يهتدى بنوره علماء الغرب للآن .

هذه اللغة التى وسعت كل هذه الأبحاث ، وهى أسس النهضة العلمية فى أوربا ، ووسعت غيرها مما يضيق عن سرده هذا المقام ، لا إخالها تقصر عن الأداء الإفرنجى فى صنوف والصناعات .

على أننى ما زلت أعجب أن يقول الدكتور بشر بذلك وهو نفسه قد استعان باللغة العربية — فى معجمه — فى التعبير عن الألفاظ اللاتينية المقابلة . ولو أنها عجزت عن هذا الأداء لما أمدته بهذه المصطلحات .

ومهما يكن من خلاف بين رأى المؤلف ورأيى فإنه لا يسعنى إلا أن أعترف بأنه قد بذل جهداً عظيما مشكوراً فى تصنيف هذا المعجم

كامل محمود حبيب



حول « مآخذ أربعة » :

تفضل الأديب الطالمة سامى حسن حبشى — فى العدد ٨١٩ من الرسالة الغراء — فشمل قصيدتى « شهرزاد » بثنائه الكريم ونقده الرفيق : ورأى فى القصيدة مآخذ أربعة أخذها علىّ . وردى عليه كما يلى :

١ — ذهب الأخ الناقد فى تفسيره لكلمة «مغنى» الواردة فى البيت التالى :

« كأسِـكِ الفنُّ ومغناكِ أغاريدُ المصورِ »

مذاهب ، خرج منها بأنه لا وجه لاستعمالى هذه الكلمة فى هذا المقام . أما أنا فأقول بأن كلمة « مغنى » — كما وردت فى البيت — إنما قصدتُ بها المنزل : وليس المنزل مجرداً عُريانا ، أو « الوضع الذى كان به أهلوه » ، ولكنه المنزل الذى تدل عليه كلمة مغنى نفسها . وأظن أن الأديب الفاضل مى ومع المرحوم أمير البيان الارسلانى حينما وجه هـذه الكلمة — مغنى — توجيهاً خاصاً خرج منه إلى أنهـا « منزل الأنس والطرب والهناء والسمر . أو هى باختصار نُزُل السامر » . وعلى هـذا يكون المعنى الذى رميتُ إليه : إن مغناها — وهو موطن سمر شهرزاد وأنسها — أصبح أغرودة من أغاريد المصور ، تُلهم الشعراء والكتاب . إذ لا وجه للقول مطلقاً بأن مغنى شهرزاد (بمعنى غناء) قد أصبح غناء المصور ... إذ يركُّ المعنى ويسفُّ جداً : فما كانت شهرزاد تغنى أصلاً : وليس غناؤها هو الذى يدوى فى أجواء المصور ، وإنما الذى دوّى هو سامرها وأصداء ذاك السامر ! .

وكنت أرجو من أخى الناقد عدم الاتكاء على الزجال السيد بيرم التونسى ؛ فهو الذى يغرف منا ومن مفاهيمنا .

٢ — واعترض الناقد الفاضل على البيت التالى :

« ونداماك عشيقٌ فاترُ اللحظ الكسير » ، بقوله : كان الصواب أن يقول : ونديمك عشيق ؛ أى أن يأتى بالمفرد دون الجمع !

وواضحٌ هنا شىء من الإبهام لدى الأخ الناقد ؛ لأنى عنيتُ تماماً اتجاهى حينما قلتُ : « ونداماك عشيق ... » : لأن الأبيات السابقة توضح هذا الاتجاه ، إذ قلت :

وليـاليكِ غـرامٌ بين أحضان الدُّهور
كأسِـكِ الفنُّ ومغناكِ أغاريدُ المصور
ونداماكِ عشـيقٌ فاترُ اللحظ الكسير .. »

فتلك الليالى ، وتلك الكأس ، وذاك السامر ، بحاجة إلى ندامى لا إلى نديم . وقد جُمع أولئك الندامى فكانوا ذاك العشيق « شهريار » الفاتر اللحظ الكسير ! وواضح أن اللغة تُقرنى على ما ذهبت إليه ، تأويلاً (١) ودون تأويل أيضاً .

٣ — وأخذ علىّ حضرة الأخ الناقد قولى : « ورواه الدهر فاستلقاه خفاقى وثارا » ذهاباً منه إلى أن « استلق » إنما هى من « استلق على قفاه » — ولا معنى لهـا هنا » وأنا معه حقاً إن كانت استلق بالمعنى الذى ذهب إليه . ولكن اللغة وحدها هى التى تقول بأن الاستفتاح بالسين والتاء إنمـا للدلالة على الطلب ، قياساً على قولنا (رضى واسترضى ، بكى واستبكى ، غنى واستغنى) ومن هـذه الزاوية القياسية الصحيحة يتضح أننى كنت على صواب فى هذا الاستعمال .

٤ — أما المأخذ الأخير حول «السماء حيرى» فوجهة نظرى أن كلَّ جمع مؤنث ، فعاملت الجمع معاملة الفرد والمؤنث .

وإننى فى الختام أشكر للأخ الغالى هذه الفرصة التى جمعتنى وإياه لتعارف على صفحات «الرسالة» الأم ؛ وأنعم به من تعارف وأعظم بها من رسالة تؤديها « الرسالة » .

دمشق — زهير ميرزا

(١) التأويل : كل نداماك عشيق ...

سرقة قصة :

لم يستنكف الأستاذ عبد الله عبد الصمد البشير من أن ينقل قصة أمريكية مشهورة لكاتب أمريكي مشهور ثم يدعى أن الله قد وهبه مقدرة على كتابة القصة القصيرة . فلا يشير إلى كاتبها بكلمة واحدة بل وينشر القصة فى مجلة الدنيا الجديدة عدد مارس الذى صدر أخيراً تحت عنوان « صانع السم » .

أما القصة الأمريكية فهى راشيل « Rachel » وأما كاتبها فهو الكاتب الأمريكى ارسكين كالدويل « Erskine Caldwell » وقد ظهرت هذه القصة فى مجموعة من القصص الأمريكية القصيرة تحت عنوان « Modern American Short Stories » ونشرت فى كتاب رقمه ١١٢ من سلسلة بنجوين « penguin Books » وطبعت بالقاهرة إبان الحرب الماضية .

ولو أننا قرأنا راشيل وهى القصة الأمريكية لوجدنا مثالا رائعاً للقصة القصيرة تدل على أن هناك من الكتاب من يستطيع أن يخرج قصة قصيرة محبوكة مستوفية للشروط الفنية للقصة .

لقد استبدل الأستاذ عبد الله عبد الصمد البشير باسم راشيل فى القصة الأمريكية سميحة فى قصته المصرية ، ثم أختصر القصة الأمريكية . فقصته ترجمة مختصرة للقصة الأمريكية. ولا يخفى هذا على قارئ القصة الأمريكية إذ أن النهاية والبداية فى القصتين بل والأفكار فيها واحدة رغم الاختصار فى القصة التى زعم للفضال عبد الله عبد الصمد البشير أنه كتبها .

لا ينبغى أن يغمط حق المؤلف فلا يذكر بينما يذكر اسم المترجم . إن حق الترجمة للمجلات والصحف معروف الأهمية ، ولكن يجب عند تمصير القصة أو المقال أن تكتب كلمة للتعريف بمن كتبها قبل أن يعرف من مصرها .

شفيق أحمد عبد القادر

جامعة فؤاد الأول

الشهر والأشهار :

نشرت (الأهرام) الغراء كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها : لا مانع من استعمال الفعلين « شهر » و « أشهر » على حد سواء استناداً لما ورد فى (المنجد) وهو أشهر الأمر أظهره وصيره شهيراً اهـ

وأقول : لم يرد فى المعاجم القديمة أشهره متعدياً أصلا ، وإنما ورد فيها اشتهره بمعنى شهره .

وأخشى أن يقال : جاء فى مستدرك شرح القاموس : ومن المجاز أشهرت فلاناً أستخففت به وفضحته وجعلته شهرة . اهـ فإن هذا النص منقول عن أساس البلاغة ، ونص عبارته كما جاء فى طبعتيه : ومن المجاز اشتهر فلاناً ... الخ

ولكن جاء فى (المغرب) للمطرزى من علماء القرن السادس أو السابع الهجرى (٥٣٨ — ٦١٦) ما نصه : وأشهره بمعنى شهره غير ثبت اه . وقوله : غير ثبت أى ليس بحجة . وجاء فى المصباح للفيومى من علماء القرن الثامن الهجرى : وأما أشهر بالألف فغير منقول اه . ونقل صاحب المياز هذا النص بدون تعليق . وهذا يدل على أن أشهره كان مستعملا بمعنى شهره الثلاثى ولكنه مشكوك فيه. ولعلنا نظفر به فى المخطوطات اللغويه القديمة فإن هذا الاستعمال المتواتر قد يكون موروثاً عن العرب .

على حسن هلالى

بالمجمع اللغوى



الكهلان

للكاتب الفرنسي ألفونس دوديه

— هل هذا كتاب أيها الأب أزان ؟

— نعم يا سيدى . أنه آت من باريس .

كان الشيخ الوقور ينظر إلى كل ما هو قادم من باريس في رهبة وإعجاب ، ولذلك سلم لى الرسالة بعناية واحترام .

ولما كنت رجلاً لا أسير وراء الخيال ، ولا أبالى بسحر العاصمة ، فقد ألقيت نظرة على الرسالة القادمة فى الصباح المبكر وكأنها نذير بحلول زائر سأبتلى بمقدمه هذا اليوم . ولكنى كنت مخطئاً ، فقد كانت الرسالة تتضمن الآتى :

« عزيزى دوديه — يجب أن تغلق الطاحونة اليوم وتذهب فى مهمة لأجلى إلى إيجور . إنها على بعد عشرة أميال ليس إلا من الطاحونة ، نزهة صباحية لشباب مثلك (ولم يذكر نزهة أوبتى !) وعندما تصل ، اسأل عن ملجأ الأيتام ، فبجواره تقع دار صغيرة ذات نوافذ رمادية ، وحديقة خلفية . وستجد الباب دائماً مفتوحاً ، فادلف إلى الدار دون أن تطرقه . ثم صح بأعلى صوتك « صباحاً طيباً يا أصدقائي ، إنى صديق موريس » وعندئذ ستشاهد عجوزين ، من الحفريات ، قبل عهد الطوفان ، غارقين فى مقعدين أكثر قدماً منهما فعانقهما لأجلى كما لو كانا من أجدادك الطيبين . ثم تحدث معهما فسرعان ما يشتركان معك فى حديث واحد لا ينتهى — حديث موضوعه موريس . وان يكلا مطلقاً من تقريظ كال منقطع النظير لذلك الأنموذج الكامل الفريد الذى لم يكن ولن يكون . وأرجو ألا تتخلى عنى ، ولا تتردد فى الإجابة عن أسئلتهما . اضحك كما تشاء ! ولكنهما جداى ، رفيقاى فى حياتى الطويلة إلى عشر سنوات مضت . نعم ، إنها عشر سنوات منذ أن رحلت عنهما قاصداً باريس .

« إن هذين الأرنين الواهنين قد يتناثران فى الطريق إذا حاولا القيام برحلة إلى هنا . فأرجو يا صديقى الطحان المحترم أن تقوم بواجبات البنوة بدلا منى وتقبلهما . لقد انتهيت من رسم صورة لك بالحجم الطبيعى عندهم ، ولونت فيها ملامحك باللون الوردى ... » وسارت الرسالة على هذا النمط حتى نهايتها .

وهكذا شاء حظي العاثر ألا أستمتع بهذا اليوم الفريد ؛ فأظل بالدار غارقاً فى بحار أحلامى فى ركن تغمره الظلال . وها أنذا مرغم على الابتعاد عشرة أميال ، سائر تحت وهج الشمس ومثار الغبار يؤذى عينى . ولكن ، كل شيء يهون فى سبيل الصديق ، وأغلقت الباب ، وأدرت المفتاح ، ومضيت ومعى متبغي وعصاى .

وصلت إلى إيجور قبيل الساعة الثانية . كانت القرية تكاد تكون خاوية ، كان أهلها يعملون إذ ذاك فى الحقول . ولم أجد هناك بالطبع ألا أتانا تتمتع بضوء الشمس ، وحماماً يحوم حول نافورة الكنيسة ، وجنادب — أكثر نشاطاً من زميلاتها فى أوران — تتعالى أصواتها حول شجرة الدردار الأخضر ، وقد أغبرت أجسامها . وهكذا لم أشاهد مخلوقاً يرشدنى إلى ملجأ الأيتام . وفجأة لاحت (جنية) طيبة لنجدتى . فقد لمحت عجوزاً هزيلة منطوية على نفسها فى مدخل . فسألتها عن الطريق ، فأشارت بأصبع متخاذلة . وبدا لى الملجأ كأنما ظهر بفعل عصا سحرية . كان بناء شامخاً قديماً قابضاً ، يعلوه صليب من الآجر ، وقد نقشت على مدخله كتابة لاتينية ، وقامت بجواره دار صغيرة ، ذات نوافذ رمادية وحديقة خلفية . كانت مقصدى ، فدلفت إليها دون أن أقرع بابها .

إن مشهد تلك الدار قد نقشت فى ذاكرتى إلى الأبد : تلك النظافة التامة ، وذلك الهدوء الشامل فى الردهة الطويلة ، والجدران الوردية ، والحديقة بأزهارها تتمايل مع النسيم ، وقد بدت خلال النوافذ ذات الألوان الزاهية ، وصفائح الجدران المزدانة بصور الزهر ، وقد حالت من القدم . وخيل إلى كأنى فى دار أحد أشراف سيدان . وسمعت خلال باب منفرج نصف انفراجة دقة ساعة ، وصوت طفل يقرأ فى صوت جهورى ، كلمة كلمة ، ومقطعاً مقطعاً « ثم — أنا — القديسة — ايرينيه — صحت — أنا — دقيق — الأله — ويجب — أن — أطحن — وأنثر — بأنياب — تلك — الوحوش ... » واقتربت وأنا أمشى على أطراف قدمى وتطلعت .

شاهدت فى غلالة من ضوء النهار الساكن ، كهلا منفرج الفم ، واضعاً يديه على ركبتيه ، ومستغرقاً فى سبات عميق على

مقعد . كانت وجنتاه موردتين ، وجلده مجعداً حتى أطراف أصابعه . وجلست تحت قدميه فتاة صغيرة ، ترتدى (شالا) طويلا أزرق اللون ، وقلنسوة صغيرة زرقاء — لباس الأيتام . وكانت هي التي تقرأ سيرة القديسة إيرنيه من كتاب يكاد يقارب حجمها . وكانت القراءة العجيبة تفعل فعل المخدر في الحجرة الساكنة . فقد كان كل من الكهل في مقعده ، والذباب في السقف ، والكنارى في القفص ، في سبات عميق . ولم يعكر صفو الحجرة سوى دقات ساعة الجد ، وقد تدفقت أشعة الشمس خلال النافذة بذراتها الكثيرة المتراقصة . وكانت الطفلة لا تزال تقرأ وسط ذلك النعاس الشامل « وسرعان — ما — اندفع — أسدان — صوبها — وافترساها ... » ودلفت إلى الحجرة عند هذه المرحلة الخطيرة !

كان من الجلى أن الأسدين الضاريين لم يحدثا أدنى اضطراب لأهل الدار . ولكن ، عندما لمحتنى الفتاة ذات الرداء الأزرق ، أسقطت الكتاب وقد ندت عنها صرخة رعب . واستيقظ الكنارى والذباب ، ودقت الساعة ، وقفز الكهل في فزع وذهول . ووقفت بالمدخل حائراً ، ولكنى تدرعت بالشجاعة وصحت قائلاً « عم صباحاً يا صديقى ! أنا صديق موريس » .

وفعل موريس فعل الطلسم . هرول الكهل صوبى مفتوح الذراعين ، وعصر يدى ، ثم جعل يجول في الحجرة ويصيح في في ذهول « يا الهى ! يا الهىَ ! » .

وأشرقت كل تجعداته ، وتحول وجهه قرمزيا من الحماس . ثم تمتم قائلا « أواه يا سيدى ! أواه يا سيدى ! » .

ثم هرول صوب الباب يصيح قائلا — هلم يا « ماماه » ، اسرعى يا « ماماه » . وفتح باب في الردهة ، وسمعت صوت حركة ، ثم دلفت « ماماه » .

ما أرقه مشهداً عاطفاً مثيراً ! كانت السيدة العجوز ترتدى وشاحاً ورداء كرمليا باهتاً ، وتحمل في يدها منديلاً مطرزاً . وما أشد الشبه بينهما وياله من شبه عجيب ! أن أقل تبديل في الملبس ، من قلنسوة أو ما شابه ذلك ، وإذا بك تحسب الجد جدة . فلم تكن تختلف عنه إلا في كثرة تجاعيدها . وكانت لهما فتاتان صغيرتان من الأيتام ترعيانهما — الكهولة ترعاها الطفولة ! وانحنت الجدة انحناءة منخفضة ، كما كان يحدث في عهد الفروسية ولكن لم يطلق الكهل صبراً لذلك ، فقطع الاحتفال القصير قائلا — « ماماه » هذا صديق موريس .

وارتجفت السيدة وكأنها ورقة من شجر الحور ، وسال الدمع على وجنتيها ، وسقط منديلها ، واحمر وجهها أكثر احمراراً من وجه الجد . ومع أن الكهلين لا يحملان في عروقهما سوى قطرة واحدة من الدم ، فقد كان أقل انفعال يؤثر عليهما يكسى وجهيهما بقناع قرمزى . وقالت السيدة للفتاة الزرقاء — اسرعى ! مقعداً للزائر . وقال الكهل لفتاته — افتحى النوافذ .

ثم أخذ كلاهما بذراعى وسارا في خطى قصيرة إلى النافذة حتى يتفحصا الزائر ، واستحضرت المقاعد وإذا بى جالس بينهما ، وقد وقفت الطفلتان خلفهما . وأخذت الأسئلة تترى على : كيف حاله ؟ كيف يقضى وقته ؟ لماذا لم يأت لمشاهدتنا ؟ هل هو سعيد ؟ وهكذا انهالت أسئلتهما قرابة الساعة .

وتحملت ذلك في جلد ، وأخبرتهما بكل ما أعرفه ، بل اختلقت ، بل حتى جاملت . وقلت — ما أرق لون غلاف الحائط يا سيدتى ! إنه لا زوردى جيل ، مزدان بأفنان الورود .

فقالت — حقاً ؟ ثم أضافت وهى تلتفت إلى « باباه » — أليس هو شاباً وسيما ؟ فقال — أجل ، أجل . شاب وسيم !

وشاهدت أثناء محنتى ، إيماءات من الرأسين المشتعلين شيبا ، واشراقات على الوجهين المجعدين ، وضحكات صبيانية جزلة ونظرات متبادلة . ثم التفت إلى الكهل قائلا — ارفع صوتك . أنها لا تكاد تسمع . وأخذت « ماماه » بثأرها فقالت — ارفع صوتك . إن سمعه ثقيل .

وأطعت ، فابتسما ابتسامة شكر ، وظلا يبتسمان وهما يسبران غور عينى ، ويبحثان فيهما عن شبيه لولدهما . ونظرت في أعينهما ، فشاهدت في حلكتها كأنما بدا خلال الضباب المخيم عليها وجه صديق يبتسم . وفجأة صاح الرجل في عجب وهو يهب من مقعده — « ماماه » أتحلمين ؟ ! لعله لم يتناول غداءه بعد .

وخشيت أن تكون أفكارها قد انتقلت بها إلى موريس ، فسارعت أؤكد لها أن الصبى العزيز لا يتناول غداءه متأخراً .

وقال الرجل — إنى أعنى صديق موريس .

فقالت — أوه ، عفواً يا سيدى ، عفواً كثيراً .

كان جوعى قد زادت حدته ، ولذلك لم أراوغ .

وقالت للطفلتين — اسرعا أيتها الصغيرتان الزرقاوان ، وضعا غطاء يوم الأحد وسط المائدة واستحضرا أنخر الأوانى المنمقة بالزهور . اسرعا ، لا تضحكا كالأوز الابله ، هيا .

وفى لمح البصر كان الطعام معداً . وقالت الجدة وهى تقودنى

إلى المائدة — هذه وجبة بسيطة وأرجو المعذرة لعدم اشترا كنا معك . فقد تناولنا طعام الغداء قبل الظهر .

لقد كان الكهلان كلما حل عليهما ضيف يقولان دائماً أنهما تناولا طعام الغداء قبل الظهر !.

كان الغداء يكونا من قطعتين من بياض البيض ، وبعض التمر ، وقطعة من الحلوى تدعى « الباركت » تكفى لأن تطعم الجدة وكناريها مدة أسبوع . واتجهت إلى الأنظار أثناء تناولى الطعام . كانت الصغيرتان الزرقاوان تتخافتان ، والكنارى يغرد قائلا — أوه ، انظروا إلى النهم الشره الكبير ، أنه يلتهم كل « الباركت » .

كان ذلك النهم الشره الكبير — فى الواقع قد التهم كل ما على المائدة من طعام دون أن يشعر بذلك . فقد كنت غارقاً فى تأمل الحجرة الهادئة المشرقة ، وما يفوح منها من أريج الذكريات.

ووقعت عيناى على فراشين صغيرين ، يكادان يشبهان المهد . وتخيلتهما عند الفجر ، وما زالت ستائرهما المزركشة الحواشى منسدلة ، والساعة تدق ثلاثا ، وقت استيقاظ الكهلين . وسمعتهما يتبادلان الحديث :

— أنائمة أنت يا « ماماه » ؟

— كلا يا عزيزى .

— أليس موريس شاباً وسيما ؟

— أجل ، أنه شاب وسيم ، وسيم .

نعم كان مدار حديثهما كله عن موريس . لا شىء غير موريس . من الصباح المبكر إلى المساء الندى !

وبينما كنت غارقاً فى تأملاتى ، إذ بمأساة تجرى فصولها فى طرف الحجرة . كان الكهل واقفاً على مقعد ، يجاهد جهاد الأبطال ليصل إلى قارورة من الشراب المحفوظ ، قائمة على قمة الصوان ، لم تمسها يد منذ عشر سنوات ، بل ظلت تنتظر عودة موريس . وأخذت زوجه تثنيه عن القيام بهذه المحاولة ، ولكن الجد كان قد وطد العزم على الحصول عليها وفتحها تكريماً لضيفه . وكان يجاهد بكل عصب من أعصابه ، وعضلة من عضلاته ، والصغيران ممسكان بالمقعد ، والسيدة الكهلة تنتظر فى خوف ورعدة وقد ترددت أنفاسها ، وذراعاها ممتدتان لتنقذ البطل عند الضرورة ، وأخيراً ، وبعد مجهود فائق ، نال الكهل مكافأته ، ودفع بالقارورة إلى الجدة وقد أشرق وجهها . وهبت رائحة البرغموت الشذية من الملبوسات داخل الصوان .

واستحضروا قدح موريس الفضى وامتلأ بالشراب حتى حافته . نعم ، كان موريس يعشق هذا الشراب . وهمس الجد وهو يناولنى القدح وقد سال لعابه فى تلذذ ابيقورى — أنت مجدود ، فإنك لا تحصل على مثل هذا الشراب فى الطاحونة . إن جدته تحفظه له . ومها كانت الجدة خبيرة فى حفظ الشراب ، فإنها فشلت هذه المرة ، فقد نسيت أن تحليه بالسكر . على أية حال ، يجب أن نتغاضى عن شرود ذهن الكهول . ووقفت لهذه المناسبة ، وصررت على أسنانى ، ثم جرعت الشراب دون أن تطرف عينى . وهمست فى انفراد بينى وبين نفسى — سيدتى أن شرابك فظيع !

وعندما قمت أستأذن فى الانصراف ، ألح على الكهلان أن أستمر فى سرد حقيقة قصة ذلك المثال الكامل ، ولكن الوقت كان قد أزف للرحيل بعد أن خبا الضوء ، لا سيما وأن الطاحونة « على بعد عشرة أميال ليس إلا ! » .

وهب الكهل واقفاً وهو يقول — معطفى يا « ماماه » من فضلك . يجب أن أرافقه إلى ما بعد الميدان .

وأشارت « ماماه » إلى برودة نسيم الليل ، ولكنها لم تثبط نزوة الكهل . وبينما كانت تساعده على ارتداء معطفه الاسبانى الزين بالأزرار الصدفية ، وقد انتشرت عليه بقع السموط ، إذ قالت له — والآن يا عزيزى ، عدنى وعداً مخلصاً ، ألا تتأخر طويلا فأجاب الكهل ، منتصراً ، فى لهجة تدل على أنه لن يأتى الدار قبل الصباح — نعم ! كلا ! ربما أتأخر ، وربما لا أتأخر — لا أعرف ! ولا أبالى ! — لا تنتظرى يا عزيزتى ، فمعى المفتاح .

ونظر كل منهما فى عينى الآخر ، ثم انفجرا ضاحكين حتى سالت دموعهما . وضحكت معهما الصغيرتان الزرقاوان . وشاركهم الكنارى يغرد مع مرحهم . وإنى أعتقد بينى وبينكم — أن الشراب قد أخذ برأسيهما وجعلها فى نشوة .

كان الظلام يخيم رويداً رويداً ، عندما غادرت الدار يرافقنى الجد . وكان الرجل يسير فى زهو واعتداد فى ذلك المساء خلال القرية ، وقد اشتبك ذراعه بذراع صديق موريس . فكيف يشعر بحارسته الصغيرة الزرقاء وهى تتبعه عن بعد حتى تعود به إلى داره ؟ وكانت الجدة واقفة على مدخل الدار تراقبنا ، وقد أشرق وجهها ، وهى تقول — أترى ؟ أن رجلى لا يزال قادراً على المشى !

محمد فتحى عبد الوهاب

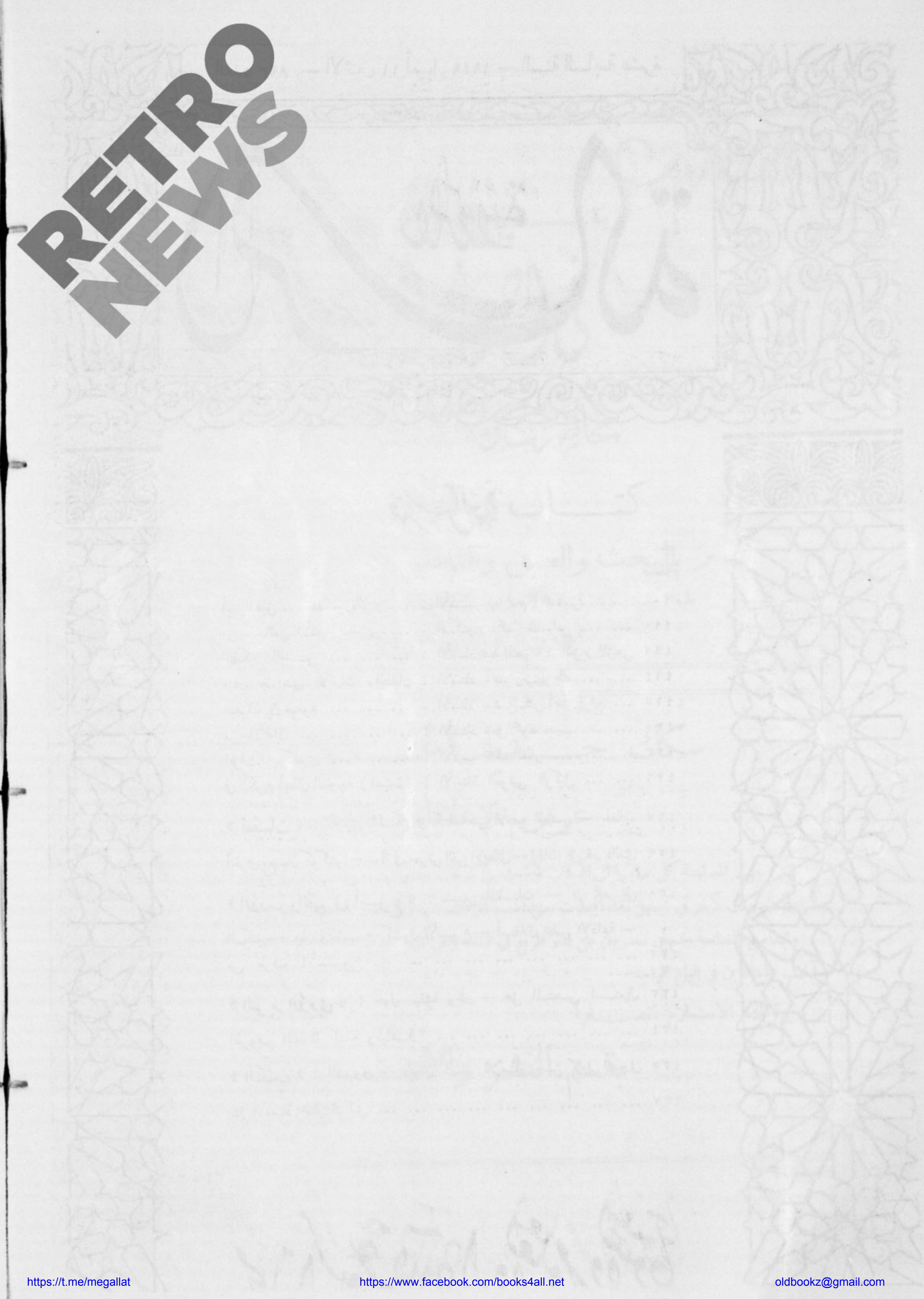
مطبعة الرسالة

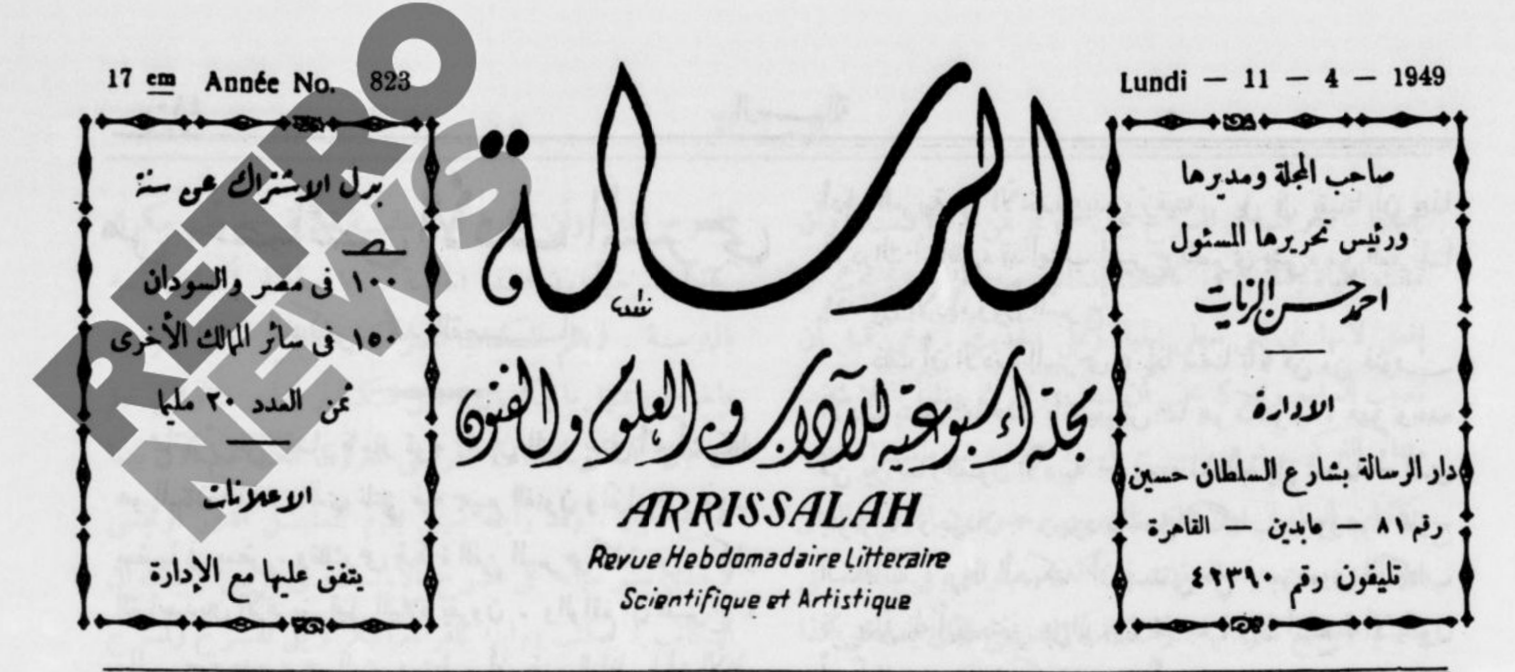




العدد ٨٢٣ — الاثنين ١١ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

فهرس العدد




17 em Année No. 823

Lundi — 11 — 4 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ١١ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أيها المنطق ... لقد خبرناك !

أذاعت شركة روتر للأنباء الشرقية منذ أيام نبأ خطيراً اهتزت له قلوب هنا وقلوب هناك!، وبعض الاهتزاز يثيره العجب حيناً ويثيره الإعجاب حيناً آخر ... العجب من تناقض الأقوال والأفعال ، والإعجاب بهذه القدرة القادرة على التحول من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى الشمال . ولا بأس من التحول والتناقض ما دام منطق التبرير يفسر التناقض على ضوء المصلحة الفردية ، ويصور التحول على هدى التلاعب بالألفاظ والعبارات !

وإليك هذا النبأ الخطير : « كانت بريطانيا هى الدولة الوحيدة التى رفضت اليوم أن تؤيد مساعدة مؤسسة اللاجئين للمهاجرين اليهود إلى إسرائيل ، قبل أن يتفق على حل لمشكلة اللاجئين العرب . أما الأعضاء الخمسة عشر فى المجلس العام لهذه المؤسسة ، فقد أعطوا أصواتهم فى صالح مساعدة هؤلاء المهاجرين بمبلغ تسعة ملايين دولار ، تصرف لهم خلال السنة التى تنتهى فى شهر يونيو القبل . وقد قال مستر إدموند مندوب بريطانيا فى المجلس : إن من غير اللائق إطلاقاً أن تمنح هذه المؤسسة مساعدات لهجرة اليهود إلى فلسطين ، فى الوقت الذى تبقى فيه مشكلة اللاجئين العرب معلقة بدون حل » !

وهكذا تجد أن بريطانيا تقف دائماً فى صف العرب ... تقف باللفظ المنمق والقول الملفق والشعور المصنوع ! لقد وقفت وحدها لترفع الصوت عالياً ينقل إلى أقطار العروبة عطفها البالغ على مشكلة اللاجئين العرب ؛ هذا العطف الذى يتمثل فى قبض يدها عن مساعدة مؤسسة اللاجئين الدولية للمهاجرين اليهود ! إنك تستطيع أن تقف طويلاً لتزن كلمات المندوب البريطانى بميزان القيمة اللفظية التى ترتكز على دعائمها كل نتيجة عملية ... تستطيع أن تقف عند هذا التعبير الذى يمكن أن يبرز بوادر الانحراف فى الغد القريب ، وهو أن بريطانيا ترى « من غير اللائق » إطلاقاً أن تؤيد مؤسسة المهاجرين اليهود قبل الاتفاق على حل لمشكلة اللاجئين العرب ! إننا واثقون من أن بريطانيا لا تعنى ما تقول ، وأنها ستؤيد غداً ما تنكرت له اليوم ، وأنها ستمد لليهود يد العون كما مدتها لهم من قبل ، ولا اعتراض بعد ذلك ولا عتاب ... وأى اعتراض هذا الذى يمكن أن يوجه إلى المنطق البريطانى حين يعالج القضايا الدولية بأمثال تلك الكلمات التى تنساب من كفتى الميزان كما تنساب قطرات الزئبق دون أن تلحظها عيون ؟ ! إن المنطق البريطانى يعد لكل موقف يحتمل التحول ما يلائمه من صيغ وعبارات . ولن تجد فى قاموس البلاغة الدبلوماسية أعمق ولا أبرع ولا أروع من هذا التعبير : « إن من غير اللائق » أن يحدث هذا الأمر؛ و« إن من غير اللائق » أن يقع ذاك ! هذا الوضع لائق ، وهذا الوضع لا يليق ... ولا بأس من هذه التعبيرات الزئبقية التى يطالعنا بها المنطق البريطانى اليوم كما طالعنا بها بالأمس ، حين وقف مستر بفين ليعلن على رءوس الأشهاد فى مجلس العموم أن بريطانيا ترى « من غير اللائق » أن تعترف بحكومة إسرائيل ، لأن هذه الحكومة لم تتوفر لها الأسباب القانونية التى تبرر قيام دولة مستقرة الجوانب مكتملة

من خصائص الأدب المسرحي

للدكتور محمد القصاص

مما يؤثر عن رتشار فاجنر قوله : « إن المسرح فى أتم أشكاله هو المكان المقدس الذى تلتقى فيه جميع الفنون وتتزاوج ويذوب بعضها فى بعض . وتلك هى فكرة الفن المسرحى كما تصوره كبار التراجيديين الإغريق قبل الميلاد بقرون . والواقع أن المسرح ، والمسرح وحده ، هو الذى يستطيع أن يقدم للناظر الحد الأعلى من نشاط فنى يتضافر فيه الفن المرئى plastique والموسيقى والشعر ، بأنصبة متساوية متناسقة ، على أن تسحر بصره وسمعه وقلبه وعقله فى آن واحد . ولكن أيصدق هذا الحكم فى عصرنا الحالى على المسرح الغنائى وحده (Le théatre Lyrique وهو الأبرا البحتة) وهو الذى عناه فاجنر بلا ريب فى جملته السالفة الذكر دون أن يصدق على الدرامة الأدبية ، الدرامة التى تتكلم لا التى تغنى ؟ نحن لا نظن ذلك بأية حال لأن كل تأليف مسرحى مهما كان حظه من الروح الأدبى ومن التجريد العقلى لا يمكنه أن يستغنى عن مشاركة الفنون الأخرى فى تكوينه دون أن يختل توازنه ويفقد مقومات العمل المسرحى الأساسية . إذ لا سبيل له إلى القلب ولا إلى النفس دون العين والأذن . فالتمثيلية لا تفرض على مؤلفها أن يعنى بالكتابة وأن يراعى القيم الأدبية فحسب ، هذا العمل الذى يتفق فيه مع كاتب المقالة والقصة والقصيدة ، بل لا بد وأن يوجه اهتمامه نحو الموسيقى يصبها فى كلماته ونحو الفن الجسمانى من صور وحركات يحمل بها عباراته كأنه يرى ابطاله فوق خشبة المسرح . وأما هذا الإدراك السقيم الذى يسيطر على غالبية كتاب التمثيليات عندنا من بين رجال الأدب ، فيجعلهم ينظرون إلى التأليف المسرحى على أنه عمل كتابى محض ، فهو الذى يضرب على آثارهم بالبوار ويحرم المسرح المصرى مشاركة أدباء العربية فى الأخذ بيده وترقيته . بل فى يقيننا أن هذا الإدراك الخاطئ قد أصاب المسرح المصرى بشىء من العقم لما باعد بين الأدباء وبين المسرح .

ذلك أن الأدب المسرحى ، إذا سلمنا بأنه فن من فنون الأدب يتميز عما عداه بأنه يفيض عما هو مكتوب ، فهو وحده من بين سائر الفنون الأدبية — ومعه الخطابة إلى حد ما — الذى يتوفر له وجودان : وجود داخل الكتاب ، ووجود خارج الكتاب . وإذا أمكنه أن يستغنى عن وجوده فى الكتاب فلن يتأتى له أن يستغنى عن الوجود خارجه ، وإذا أتيح له ألا يكون أدبياً فلن يجوز ألا يكون مسرحياً .

ذلك أن النص ليس كل شىء ، وإن كنا لا ننكر أهميته الكبرى ، فهو نواة الدرامة والخلية الأم التى لا يمكن الاستعاضة عنها إذا فقدت . لأن الفكر إذا ما تخلى عن النص ، أى عن الألفاظ والعبارات ، فقد تخلى عن تحديده لنفسه وبالتالى عن وجوده خارج الفكر . وإ كثار التفكير عن المسرح أمر مستحيل الوقوع ، لأن المسرح إذا ما باعدنا بينه وبين الفكر فقد فرغناه من لبه ومن مادته الأساسية . وهذا إزراء به وحط من قدره . ولكن ذلك لا ينبغى أن ينسينا أن الدرامة لها لغتها ، وهى غير لغة القصيدة وغير لغة المقالة والقصة ؛ لأن آثار الفن الأدبى غير المسرحى إذا لم تجد قارئها المأمول يوم صدورها أمكن لها أن تنتظر قارئاً بعيداً لم يوجد بعد . يساعدها على ذلك أن كاتبها (وهو الذى نسميه الكاتب البحت) فى وسعه أن يودعها كل ما فى نفسه أو جله على الأقل لا يحده فى ذلك من خارج فنه إلا مقتضيات اللغة العامة من نحو وصرف ومفردات وما هو من هذا القبيل . أما الكاتب المسرحى فإنه إذا أخذ نفسه بالنظر إلى الكلمة نظرة الشاعر والقصاص فراح يعد كتابه بالكلمات الرصينة والصيغ الجميلة والتراكيب المتينة المتمشة بالحياة ، دون مراعاة لما تقضى به ظروف المسرح الخاصة ، فإنه يجعل من مسرحياته أعمالا لا تصلح لغير القراءة أو الاحتفاظ بها فى أحد المتاحف أو المكاتب العامة لأنها فى هذه الحال تكون أعمالا جامدة فى حروفها لا تستطيع الخلاص منها : فعلى كاتب التمثيلية إذن أن يحمل كلماته بتلك القوة المسرحية التى تجعل منها كلمات مسرحية ملفوظة وفاعلة .

نعم إن الكلمة تتحكم فى كل شىء (الكتاب والمسرح فى ذلك سواء) ، فهى مندوب القلب والفكر ، مندوب النفس

السكيان ... ومع ذلك فقد رأت بريطانيا أن تعترف بحكومة إسرائيل ، لأن « من غير اللائق » أن تسبقها أمريكا إلى هذه المكرمة ، والعهد بالشرف البريطانى أنه السباق دائماً إلى المكرمات!

أيها المنطق : حنانيك ... لقد عرفناك ، ودرسناك ، وخبرناك!

(ا . م)

جميعها . غير أنها فى المسرح يجب أن تمر من فم الإنسان وأن تبعث الحياة والحركة فى كائنات إنسانية من لحم ودم ؛ يجب أن تفعل لأنها هى التى تعطى الحياة وتملى الحديث . وهى قبل أن تصيب السامع وتحركه يجب أن تصيب وتحرك جهازاً كاملا معقداً متنافر التركيب : هو المسرح بأسره بما فيه من أشياء مادية وكائنات إنسانية . والكاتب المسرحى وحده دون المخرج والممثل هو الذى يبعث هذه الصفات فى كلماته وعباراته ، فى القطعة التى يكتبها بجميع مقوماتها . والكاتب المسرحى الذى يستحق هذا اللقب لا يعتبر نفسه قد خلق خلقاً مسرحياً إذا ما تناول قلمه ونشر قرطاسه وراح يسجل عليه حلماً جميلا من ابتكاره ، غير آبه بظروف المسرح الخاصة ، حتى ولو كان هذا التسجيل آية فى الجمال الأدبى والكمال المنطقى معاً . أجل لا يصح لهذا الكاتب أن يعتبر نفسه قد خلق عملا مسرحياً إذا ما ألف بين جماعة تتحاب وتتباغض ، تعيش وتموت ، تبعاً لهواه وإرادته ، دون أن يكون هذا الحلم ممكن التحقيق ، ممكن « اللعب » ، ممكن الظهور فى الخارج وفوق خشبة المسرح . لأنه ليس فى مقدور المخرج والممثل أن يخلعا على عمله ولغته من الحياة والحركة ومن الصور والأشارات ما لم يستطع هو أن يقوم به ، اللهم إلا عن طريق الافتعال الظاهر ، وفى هذه الحال يرى المتفرجون أنفسهم أمام قطعتين تمثلان فى آن واحد ويقوم بتمثيلهما نفس الأشخاص : إحداهما ملفوظة من خلق الكاتب ، والأخرى « ملعوبة » من خلق المخرج والممثل ؛ أو بأن يخلقا عمله خلقاً جديداً يختلف اختلافاً جوهرياً عما أراده ، وفى هذه الحال من حق كل شخص أن يتساءل لمن تنسب هذه الرواية ، ألكاتب أم للمخرج وفرقته ؟

نحن لا نعنى بذلك أن يعمد المؤلف إلى رسم هذه الحياة فى روايته بكل تفاصيلها ودقائقها حتى لا يدع شيئاً لتصرف الممثل ونزواته : فمثل هذه المبالغة تضرب على الدرامة بالجمود ، فهى فى حاجة إلى حياة أخرى لتتفحصها وتبرزها . وإنما نعنى أن يقترح على الممثل ، من طريق خفى ، مجموعة من الأمكانيات ليختار من بينها : على الكاتب أن يشير ويبدأ ، وعلى الممثل أن ينفذ ويكمل.

وهذا الذى قدمنا يفترض فى المؤلف معرفة عميقة بوسائل المسرح الفنية وأن تكون له به حاسة فطرية — ولن يكون كاتباً مسرحياً دون هذه الحاسة . ويا حبذا لو أنماها فى نفسه بالممارسة . فمعظم الكتاب المسرحيين الخالدين كانوا يقومون بإخراج وتمثيل ما يكتبون ، مثل شكسبير وملبير . ونحن نعلم أن جان ككتو الكاتب الفرنسى المعروف الذى يقيم الآن بيننا مخرج كبير ، وقد رأيته بعينى يقوم بتمثيل الدور الرئيسى لإحدى مسرحياته على مسرح الأمبسادير فى باريس . ذلك أن الكاتب لا يكتب روايته للقراءة أصلا ، بل للمسرح ولمسرح خاص ، ومن أجل الجمهور ، جمهور خاص ، ولتمثل دون تأجيل فيتحتم عليه أن يكون على معرفة عميقة بهذا المحيط .

قد يقول معترض إن اعتبار الأثر المسرحى على هذا النحو من شأنه أن يقضى على هذا بأن يكون لاحقاً بعصره الذى ألف فيه ، رهناً بالظروف التى أحاطت بكتابته ، ما دامت حال المسرح فى تغير دائم وهذا حق من جهة وباطل من جهة أخرى . حق لأن الكاتب يجب أن يكتب للعصر الذى يعيش فيه وأن يراعى فيما يكتب ظروف المسرح العابرة وتلك الوسائل التى فى متناول يده فى اللحظة التى يكتب فيها بما فيها من خير وشر ، ولذلك فإنه لا يكاد يبقى من عمله للأجيال المقبلة إلا المجهود الأدبى دون العناصر المسرحية التى لا يمكن إدراكها على حقيقتها إلا للذين عاصروا تحقيق الرواية ؛ ونحن نعلم أن الأثر الأدبى ليس كل شىء فى المسرحية . وباطل من جهة أخرى لأن التأليف المسرحى لا يمكن أن يتخطى جيله إلى الأجيال المقبلة إلا بهذه الشروط التى أسلفنا الكلام عنها . وإذا لم يبق من عمل الكاتب بعد قرن أو أقل أو أكثر من قرن إلا كلمات ، فإن هذه الكلمات تكون فى تلك الحال جديرة بالاحتفاظ بشىء من هذه الحركة الفعالة الخاصة بالدرامة . فإن كان صاحبها قد كتبها بعيدة عن فكرة التطبيق كان لها جمالها ولا ريب ، ولكنه جمال من نوع آخر . أما إذا أحسسنا حياة عميقة تسرى فى شرايينها فلا شك أن هذه الحياة إنما جاءتها من أن المؤلف قد تصورها متصلة بعصرها الذى كتبت فيه ، وكتبها لتحقق وسط الحياة التى عاشت فيها ومن أنها قد حييها بالفعل وفوق المسرح أناس من لحم ودم . لأن الكلمات المكتوبة إذا كانت قد كتبت حقاً

أساليب التفكير :

التفكير الفلسفي

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

الفلسفة والشعر :

بل إن أطول الفلاسفة باعاً فى ميدان التأمل ليس بمنجاة من شطحات الخيال ، ونزوات الشعر ، وضغط القصائد المكبوتة — تعصف بينائهم الفلسفى بين حين وآخر حتى لتكاد من قوتها لدى البعض أن تسلكهم فى عداد الشعراء المتفلسفين ، أو الفلاسفة الشاعريين . فذاك أفلاطون : برغم عبقريته الفلسفية ، وتناسق مذهبه ، وتكامل آرائه ، تعصف به فى رحلة الفكر أنواء الخيال ، وتهب عليه فى جفاف البحث العقلى نسمات شاعرية تتبدى فى نظرية المُثل وما يورد لها من تشبيهات ، كقصة الكهف المشهورة التى ترى الحياة الدنيا أناسا يحيون فى كهف مظلم ، مقيدين بالأغلال حتى ليقضون العمر مولين ظهورهم لباب الكهف لا يستطيعون حراكاً ، وموكب الحياة والأحياء ماض فى سبيله أمام باب الكهف لا يرون منه غير أشباح وأخيلة ترسلها شمس قوية من خارج على جدار الكهف . فهم لطول العهد بتلك الأشباح ولحرمانهم من معرفة الأصول التى تنبعث عنها يظنون لجهلهم ومحدود فكرهم أنها الحقائق . كذلك شأننا فى الحياة الدنيا ، طال مقامنا فيها ، وكبلتنا أغلال الحس وسلاسل البدن ، فتوهمنا الكائنات المادية حقائق واقعة ، فى حين أنها صور زائلة لحقائق باقية ، ممسوخ مشوهة لمثل كاملة ؛ ثم يمضى أفلاطون الحالم بعالم كامل تتحقق فيه المثل العليا التى يطمح إليها ، مثل الحق والخير والجمال ، ليتمثل عالماً آخر غير عالمنا يجد فيه ملاذ من نقائص عالمنا ، ثم يدعو الناس أن يحلموا معه فى قول شاعرى حلو يورده فى محاورته « المأدبة » :

« إن ما يعطى قيمة لهذه الحياة إنما هى مشاهدة الجمال السرمدى نقياً لا تشوبه شائبة ، بسيطاً لا تغطيه أشكال وألوان مصيرها إلى الفناء . هذى مراحل الحب يقطعها فى البحث عن ضالته ، وشفاء لغليله ، فهو واسطة ومساعد يحفز النفس إلى الكمال ، ويهيج الذكرى القديمة : ذكرى المثل والحياة السماوية الأولى ، ذكرى الفردوس المفقود تحن إليه بكل جوارحها . فالمحب الحقيقى الكامل هو الفيلسوف يزدرى الجمال الزائل الذى يملأ النفس جنوناً ليتعلق بالجمال الدائم . »[1]

وبعد فذلك تأمل أفلاطون ، فلسفة تمتزج بالوجدان : فيها تطلع إلى الجمال ، فيها حنين إلى عوالم مبتغاة ، فيها ذكريات وحب وأمل نبيل . ولاعجب فقد زاول أفلاطون الشعر فى شبابه ثم صرفه عنه أستاذه سقراط .

وهذا برجسون فى العصر الحديث يتميز أسلوبه بطابع رقة وروح فنية تتبدى فى منهجه الفلسفى الذى يسلكه فى الوصول إلى الحقيقة ، مقابلاً به منهج الاستدلال العقلى الذى يشوه الواقع ولا يزودنا منه إلا بوجهة نظر سطحية تجريدية ؛ ذلك هو منهج الحدس أوالذوق (intuition) كما يحلو للبعض أن يسميه . ويعرفه برجسون بأنه نوع من التعاطف العقلى يتعمق المرء بواسطته كنه الأمور وجوهرها .

وابن سينا — الشيخ الرئيس — يصوغ نظريته فى النفس وخلودها وسبق وجودها على الجسد فى قصيدته العينية المشهورة

(١) نقلا عن الأستاذ يوسف كرم فى تاريخ الفلسفة اليونانية.

لتمر بأصوات أناس ولتتقمص صورهم وتحرك أعضاءهم وتتشكل بأشكالها فلابد لها من أن تحتفظ بهذه الذكرى . أما إذا كتب المؤلف مسرحيته دون مراعاة لفكرة التحقيق الحالى فقد فقد كيانه ، وما عليه إلا أن يفتش له عن مهنة أخرى .

فالكاتب المسرحى تابع لأمكانيات المسرح، تابع لأمكانيات الممثلين ، وبعد أن يصفى حسابه مع الأسلوب ومع قوانين الفن المسرحى (من الحركة ، وتسلسل الحوادث ، والتتابع المنطقى والفن المرئى . . . الخ) يرى لزاماً أن يلجأ إلى صاحب الملابس والمزخرف والكهربائى والميكانيكي والمخرج ، ثم بعد كل هذا بل قبل كل هذا إلى الممثل . ولا شك أن فن الكاتب يصاب بأفدح الخسائر إذا كان التناسق بين هذه الوسائل مفقوداً أو كان ما فى المؤلف من نقص مما يتيح للمخرج أو الممثل أن يشتغل لحسابه الخاص .

محمد القصاص

دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

التى يبين فيها كيف هبطت النفس إلى الجسد من عالم آخر على الرغم منها ، وكيف سجنت فى ذلك الجسد ، وكيف تسعى إلى التحرر منه ، والعودة ثانية إلى العالم النائى ، عالم الروح الخالد .

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تمنع وترفع
محجوبة عن كل مقلة ناظر وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهى ذات توجع

* * *

إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربة لازب لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفيــة فى العالمين نخرقها لم يرقع

ذلك شعر وخيال ، ومع ذلك فقد كان الشيخ الرئيس فيلسوفاً لأنه يأبى إلا أن يبرهن على روحانية النفس وجوهريتها وخلودها برهنة منطقية .(١)

أما محيي الدين بن عربى ، زعيم التصوف الفلسفى فى الإسلام فيصوغ جل مذهبه قصائد شعرية ، زاخر بحر الوجدان ، مشبوب العاطفة ، يعبر عن نظرية وحدة الوجود التى ترى الكون والله كائناً واحداً لا وجودين منفصلين ، وترى كل موجود مظهراً من مظاهر الله أو مجلى يتجلى به الله لعباده حتى ليستوى فى نظاره كل موجود ويتحد كل دين ، يقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توارة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

* * *

وبعد فلست أريد أن أقحم نفسى فى الأدب فأتمثل بشعر أبى العلاء المعرى أو رباعيات عمر الخيام أو أناشيد طاغور الصوفية لأبين بعض ما تنطوى عليه من فلسفة عميقة تكسب شعر هؤلاء رصانة وتزيده رونقاً وبهاء . إنما أريد أن أخلص إلى أن النشاط الفكرى تيار معقد متشابك متعدد الاتجاهات ، وهو مع ذلك تيار دائب الحركة مستديم الفوران . فالعقل منذ نشأته ، يحاول معرفة الواقع كما هو ، وإرجاع المعلول إلى علته أو كشف الستر عن غايته . فإن كان الإنسان طفلا فى بداوة الفكر وطراوة الذهن فالخيال مزود إياه بتفسيرات لا أساس لها من الصحة ، والإيمان مثبت لتلك التفسيرات لا لشيء إلا لأنها تصادف هوى فى نفسه ، فلا يصبح — وقد آمن — فى حاجة إلى البحث عن دليل أو برهان . وما الداعى إليهما وقد اطمأن قلبه إلى ما وصل إليه من تفسير . ألا ترى إلى المصرى القديم مطمئناً كل الاطمئنان إلى خلوده ؟ لا خلود روحه فحسب ، بل خلود جسده أيضاً ؟ واثقاً من البعث حيث يلقى جزاء ما كسب وحساب ما اكتسب ؟ حيث يستمتع بما استمتع به فى هذه الحياة من نعيم ، بل حيث يلقى العوض عما حرم منه فيها من سراء ؟!

ما سر يقينه ذلك الذى لا يقبل الشك ؟! رغبة فى الخلود قابعة فى كل نفس ، وسعى خفى إلى اللذة الكبرى التى تقصر عنها حياة الأرض القصيرة الغاصة بالمتاعب والآلام . رغبة محتدمة ، وهوى مستبد ، وطموح متطلع إلى المجهول ، تسخر جميعها المطية الذلول ، الخيال ، ليفسر الكون ويكشف عن سر الوجود . بيد أنه عندما تكاثر المعارف الواقعية وتبدو الحقائق الخافية ، ويكتشف الإنسان وهمه فضلاً عن جهله ، لا يجد مناصاً من مواجهة الواقع ، والسعى إلى رد المعلولات إلى العلل ، ونسبة المسببات إلى السبب ؛ تارة فى تحرر نهائى من الأهواء وتنحية للخيال ، وتارة فى تحرر جزئى منها دون تملك تام لناصية الأمور . إن فعل المرء ذلك قيل إنه عالم أو فيلسوف : عالم إن اكتفى بتقرير الواقع وإرجاع الظواهر المحسة إلى أسبابها ، وسعى إلى اكتشاف قوانين العالم الطبيعى دون غيره باستخدام منهج الملاحظة المباشرة والتجربة المحض ؛ وفيلسوف إن أوغل فى التفسير متعدياً حدود العالم الطبيعى ، متجاوزاً البحث فى الجزئيات إلى البحث فيما هو أعم وأرحب ، مستخدماً منهج البرهان المنطقى والاستدلال العقلى . أميز هنا بين الفلسفة والعلم برغم أن العصور القديمة بل والحديثة حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادى لم تألف هذا التمييز فكانت جماع المعارف النظرية الحرة من الأسطورة تنضوى تحت كلمة فلسفة أو حكمة ؛ ولم يميز العقل الإنسانى ذلك التمييز الحاسم بين شطرى النشاط الفكرى المتكامل ، إلا فى مطلع القرن السابع عشر ، أى فى أعقاب عصر النهضة بما خلق من نهضة علمية تجريبية قامت على أنقاض الاتجاهات الفلسفية التقليدية .

عبد المنعم المليجى
المدرس بمدارس حلوان الثانوية

(١) النجاة لابن سينا .

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزى بك

— ٣ —

انسحاب الطليان من فزان فى عام ١٩١٤ :

٢٤ — يفسر كتّاب إيطاليا أن ظروف التعبئة العامة فى إيطاليا أملت سياسة إخلاء المستعمرة من حامياتها فى الداخل والاكتفاء باحتلال الساحل ويعدون هذا الانسحاب بمثابة نكبة كبرى على الدولة الاستعمارية ، فقد كان هروباً سريع أمام الخطى قوات السنوسيين الذين توغلوا فى كل جهة

كانت برقة مهد السنوسية ولما اشتدساعدها امتدت حركتها إلى نواحى المستعمرة الأخرى فكان الجزء الجنوبى المتد شمالى فزان من نصيب السيد محمد العابد ابن الشريف محمد ابن على السنوسى الحسنى الأدريسى الخطابى الذى بدأ الدعوة إلى الجهاد فى تلك الجهات . وقد وجد السيد العابد أنصاراً له عديدين نفذوا أوامره وقاموا بنشر دعوته خير قيام منهم محمد مهدى السنى ابن محمد ابن عبد الله السنارى وهو من مواليد السودان .

٢٥ — وقد انتشرت دعوته حتى وصلت إلى قبائل الطوارق وانضم إليها كثير من زعماء الجنوب الذين بدأوا يهاجمون المواقع الحصينة التى كان يحتلها الفرنسيون والإيطاليون على السواء وكان أن تألفت حكومة بدوية تحت زعامة دينية حكمت هاتيك البقاع وبقيت تحتل فزان وأجزاء من الأراضى الفرنسية طول مدة الحرب الماضية حتى تقلص ظلها بسرعة غريبة حينما أرسل نورى باشا القائد التركى ثلاثة من الضباط المغامرين الذين نجحوا فى استخلاص فزان والجهات المجاورة واستعملوا أساليب السياسة والدهاء والمفاجأة فى تنفيذ أغراضهم .

٢٦ — وكانت أول غارة للثوار ضد حصن سبها الإيطالى فى ليلة ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ إذ حصل الهجوم على الحامية ليلا حينما ملأ المجاهدون أسوار القلعة وسلطوا نيرانهم وأعملوا السلاح فاضطرت القوة للتسليم إلا من تمكن من الهرب تحت الظلام منسحباً إلى إلى سخنا فى الشمال . جاء فى وصف هذه المعركة أن رصاص المهاجين كان ينهمل على عساكر أرتيريا فنسمع أزيز المصابين كما نسمع أصوات الفيران التى أخذت فى مصيدة .

ويقول الطليان أن السيد العابد هو المسئول عن مجزرة سبها إذا انتقل مراً من الكفرة إلى واحة واو الكبير واتخذها مركزاً للدعاية وبعث منها بداعيته مهدى السنى الذى دخل وادى الآلاف وهناك دعا الناس إليه وحرض المقاتلين على مهاجمة الحصن حتى إذا نجحوا كان على رأس الغنائم وإذا فشلوا عاد إلى سيده بواو . ولما دخلوا الحصن واستولوا عليه فأصبح طريق فزان مفتوحاً أمامهم .

٢٧ — وما كاد يصل خبر الكارثة إلى السلطات الإيطالية حتى تيقنت بحلول الخطر على حامياتها الموزعة فى فزان ، فبعثت بسيارات وصلت إلى مرزوق فى ليل ديسمبر سنة ١٩١٤ حملت الضباط والجنود الأوربيين وتركت الحاميات المكونة من عساكر المستعمرات تتلقى بصدورها رصاص الثوار وهى التى تولى قيادتها جاويش عربى من متطوعى الفرق اليمنية اسمه محمد بن عبد الله من قبيلة بنى حبيش .

ولاشك فى أن تصرف السلطات العسكرية الإيطالية على هذا النحو كان مدعاة لسقوط هيبة إيطالية فى الصحراء مدة من الزمن ولم تسترجعها إلا بعد مضى سنوات طويلة .

٢٨ — ولا بد أن نذكر شيئاً عن هذا اليمنى المتطوع فى صفوف الإيطاليين فهو قد بدأ خدمته فى الصومال الإيطالى ضمن الجنود الذين اعتادت الحكومة الإيطالية تجنيدهم من عرب اليمن رغم أن هذا الجزء من أملاك الدولة العثمانية . وقد أظهر هذا اليمنى تفانياً فى خدمة إيطاليا إذ توجه فى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩١٤ إلى منزل الضباط بمدينة مرزوق فوجده خالياً لجزم بانسحابهم فقرر فى نفسه أن يأخذ مكانهم ، وعاد إلى القلعة وأعلم الحامية بأن الطليان قد ذهبوا إلى الشمال فى صدد تلق أوامر جديدة صادرة إليهم بمداومة القتال وسيعودون ومعهم الإمدادات . وهكذا صمد هذا اليمنى على رأس القوة المحاصرة بالقلعة مدة ١٦ يوماً أمام الثوار المحيطين به حتى اتصل بعض هؤلاء برجال الحامية وقرروا التسليم . وتذهب الرواية الإيطالية إلى أنه أخذ العلم الإيطالى الذى كان

يرفرف على القلعة وعاد به إلى منزله حيث حرقه أمام زوجته .

٢٩ — ولما وقع أسيراً أراد السنوسيون أن يستفيدوا من خبرته فى تدريب القاتلين وتهيئتهم للحرب على طريقة الجيوش الإيطالية فأبى : وعُدّ إباؤه من مفاخره .

وإنما نسوق هذه الحادثة بالذات لأن المؤلفين الطليان اتخذوا منها دليلا على صلاحية التدريب العسكرى الإيطالى وتأثيره فى بعض النفوس من السكان الوطنيين والوصول بها إلى درجة التضحية فى خدمة الحكومة وتهمنا هذه الناحية بالذات ، فإن الفرنسيين قد برعوا فى تجنيد العناصر الملونة الأفريقية ، وتقدموا فى أساليبهم إلى درجة تقرب إلى الكمال فقد رأينا كيف يتعلم السنغالى القواعد الأولى بهوادة وصبر بحيث لا يتعد التعليم ساعة من النهار موزعة على دقائق معدودة تسمح لهذا الجند أن يستوعب دقائق الأسلحة بطريقة تغلب عليها قواعد علم النفس بحيث يخرج بعد أشهر وهو متحمس إلى الفرقة وللعلم ولفرنسا .

فالى الذين يتولون تدريب النشء على القواعد العسكرية نسوق هذه الأمثلة للتدليل على أن تجارب علم النفس هى التى يجب أن تسير على هديها للتغلب على المصاعب التى تواجهنا فى تهيأة منظمات الشباب وتدريب الجنود : إذ يصعب على النفس أن تقرر نجاح المستعمر الناصب وقصور الأمم الفتية الناهضة .

٣٠ — هذه الناحية من حياة فزان طول عامى ١٩١٥ و ١٩١٦ تحت الحكم السنوسى تكلم عنها ضابط إيطالى وقع فى أسر السنوسية واعتقل فى معسكرى واو الكبير وواو الناموس وطبيعى أن معلوماته التى دونها فى يومياته مستقاة مما كان يصل إلى علمه من طريق الثوار الذين عاش بينهم .

أما الفترة العثمانية التى تولى فيها الضباط الأتراك حكم الولاية فستأتى فى القسم التالى وقد تخللها هجوم من المتطوعين وعمليات حربية داخل الأراضى الفرنسية فى الصحراء الكبرى وأراضى الجزائر والجزء الجنوبى من تونس وهى خارجة عن نطاق فزان وأشير على المهتمين بجهاد الأمم المظلومة والمغرمين بالتاريخ الحربى أن يقرأوا كتاب الكولونيل larcher عن :

T , Empire Ottoman En Guerre

استيلاء الأتراك على فزان وانتزاعهم الجزء الجنوبى من مستعمرة ليبيا من أيدى حلفائهم السنوسيين

٣١ — ظهر فى أفق أفريقيا فى أواخر عام ١٩١٦ نورى باشا شقيق المرحوم أنور باشا إذ وصل إلى السلوم وتوجه منها إلى إجدابيه ثم غادر برقه فى غواصة أوصلته إلى مصراطة التى اتخذها مع من معه من الضباط الألمان والأتراك مركزاً لحركاتهم العسكرية ضد الإيطاليين وهى عمليات لا شك أنها خارجة عن موضوع فزان .

٣٢ — وكان نورى باشا[1] فى إجدابيه حينما عرضت عليه فكرة من تلك الأفكار التى لا يتركها تمر أمامه رجل مثله بدون أن ينفذها . وتتلخص هذه الفكرة فى أن مهمته فى طرابلس الغرب لن يلازمها التوفيق إذا لم يدعم جهاده بعمل حاسم فى الجنوب يرمى إلى احتلال مقاطعة فزان وتحريرها من السنوسيين حتى يتمكن من تهديد المستعمرات الأفريقية للحلفاء أى فرنسا وبريطانيا . باتجاه الصحراء الكبرى وشمال السودان المصرى .

لذلك أرسل بعثتين إلى الجنوب الأولى وجهتها الفكرة والثانية وجهتها فزان .

٣٣ — كانت بعثة فزان مكونة من ثلاثة ضباط : « إحسان ثاقب » و « سنوسى شوكت » و « محمد الأرناؤطى » . أما الأول فكان يوزباشياً من أهالى طرابلس وتخرج من المدارس العسكرية العثمانية وامتاز بقوة إرادة هائلة وكان الثانى من أهالى برقة تعلم فى مدرسة المدفعية وحصل على رتبة الملازم . أما الثالث فكان من الضباط المغامرين الذين لايقف أمامهم عائق وهو من كريد.

٣٤ — فلنتصور قوة صغيرة تغادر إجدابيه وتتجه إلى الجنوب وتمر بالمراده وبير نعيم وزيلة وتكاد تهاجم من قطاع الطرق ونظراً لضعفها ، تصل إلى انتزاع إقليم مثل فزان وتهدد منه المستعمرات الأوربية الأخرى .

فعلى الطريق الواقع بين أوجله ومرزوق افترق الثلاثة أبطال . أما أولهم فاتجه رأساً إلى عاصمة فزان حيث دخلها وأقام حكومة باسم السلطان بانضمام قوات السنوسيين إلى لوائه . أما الآخران فكانت وجهتهما واو الكبير حيث استقبلها السيد العابد السنوسى

(١) توفى نورى باشا قتيلا فى حادث انفجار مصنع للذخائر الحربية : وهو صهر الأميرة المصرية عفت حسن : وجاء نعيه فى الجرائد المصرية عام ١٩٤٩ .

بحفاوة زائدة وأطلقت المدافع ترحيباً بهما وقدما إليه هدايا سلطان تركيا وفرمانا بمنحه رتبة الباشوية كما وزع النقود الذهبية على الجنود والأتباع .

وكان القصد من هذه الحركة الأخيرة إشغال السيد العابد حتى لا تتجه أنظاره إلى فزان وما يقوم به الضابط الثالث .

٣٥ — ولم يكد الضابطان يغادرا واو الكبير متجهين جنوباً حتى وصلت الأنباء بالحركة التي قام بها ثاقب في مرزوق ولذلك وجه السيد العابد قوة من رجاله تحت قيادة صهره السيد العاشب زحفت على مرزوق وأجلت الأتراك عنها واستعملت كل وسائل العنف والتشريد مع الأهالي . ثم اتجهت شمالا إلى الأبيض حيث التقت مع القوة التي جمعها الضباط العثمانيين وهناك دارت معركة فاصلة انتهت بهزيمة السيد العابد وأسر صهره العاشب الذي حوكم على النهب والقتل الذي ارتكب في مرزوق فأعدم شنقاً في سبها ولما وصلت هذه الأنباء إلى السيد العابد غادر واو الكبير منسحباً إلى الكفرة .

٣٦ — إن هؤلاء الضباط من أهل طرابلس الذين تلقوا تدريباً عسكريا في مدارس الأتراك قاموا بعمل من أعظم الأعمال فهم فرادى كان اعتمادهم على الجنود الوطنيين الذين جندتهم الدولة العثمانية في السابق ثم على الجنود خدموا في الجيوش الإيطالية وأخيراً حينما توصد شأنهم عرفوا كيف يضمون الجنود الوطنيين من المغاربة والطوارق والسنغال إلى صفوفهم .

٣٧ — إن هذه الصفحة خطيرة وهي تكاد تقنعنا بمخاوف الدول الاستعمارية في أفريقية بأكلها إذا قدر لها أن تواجه في المستقبل رجالا من هذا النوع فيهم التصميم والإرادة ومواجهة الأخطار ومن هذا نفهم جيداً مركز فزان في القارة الأفريقية . لأن الذي يسيطر عليها بوسعه أن يملأ السودان والصحراء بالدعوة والدعاية التي يريدها : ويهز الاستعمار الأوروبي

وقد جاء في كتاب الكولونل لارشيه الذي أشرت إليه ذكر بعض عمليات ترتب عليها تسليم مراكز عسكرية فرنسية بعتادها في الحرب العالمية الأولى .

٣٨ — ويشير صاحب كتاب طرابلس Sahara Tripolitauo أن الحكومة التي أنشئت بفزان استطاعت أن تربط مرزوق بخط تلغراف مع مسراطة باستعمال زجاجات المياه المعدنية لحمل الإسلاك وذكر أنه لجأ إليهم ولقي لأول مرة معاملة مدنية ورأى بعينه حركة القوافل والاتصال بين الشمال والجنوب وإلى رجالها يرجع الفضل في ترحيله إلى مسراطه حيث ضم إلى معسكر الأسرى الإيطاليين فاتصل بالعالم لأول مرة وعرف أهله بوجوده حياً يرزق بعد أن كانوا قطعوا الأمل من حياته .

وقد بقيت فزان تدار بمعرفة هؤلاء مادامت حكومة مسراطه قائمة حتى أمضيت الهدنة ١٩١٨ فانسحب الألمان والأتراك ثم رأس الحكومة « رمضان الشتوى » ثم ساد فزان عهد من الفوضى نتيجة للنزاع الداخلي .

٣١ — وفي سنة ١٩٢١ جاء « فولبي » حاكما للمستعمرة فاتجه إلى احتلال مسراطة ثم أقرت الحكومة الفاشستية سياسة القمع والفتح والتشريد فأخذت ١١ عاماً بين ١٩١٨ و ١٩٢٩ للوصول إلى فزان .

ومن دروس هذه الحقبة وتجاربها أخذت الدولة المستعمرة بمجرد استعادتها لهذه الأراضي تنفذ برنامجاً واسعاً لرصف الطرق ، وأنشأت حصونها على أحدث طراز منها Forte Elena الذي يعد أقوى الحصون الدائمة في المنطقة وهو في مدينة سبها . وسنرى في القسم التالي مشاكل إيطاليا وقوادها مع فزان وأهلها .

(يتبع) أحمد رمزي

عبد الله بن مسعود

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

« وعاء ملئ علماً »
عمر بن الخطاب

أسمعني علم القرآن :

تلك قريش فى جبروتها متربصة بمن يجيب داعى الله ويشهد لمحمد بالرسالة . فما يلم به من آمن إلا فى خفاء ، ولا يتلو أحد ما أنزل الله إلا همساً أو من وراء جُدر . وإن قريشاً لتبالغ فى الإيذاء وتمعن فى العقاب ، يخشى ألسنتها من له قوم عديدون ، ويتوق أذاها من حرم الكثرة والأتباع ، فكيف بمن لا أهل له ولا عشيرة . وأولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تسللوا إلى حيث يجتمعون وبينهم فتى يوشك أن يبلغ الحلم ، ذلكم هو عبد الله بن مسعود . قال أصحاب الرسول : والله ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟ قال ابن مسعود : أنا ذلكم الذى يجهر لهم فقالوا وهم يرون جسمه الذى تقتحمه العين لفتى ما له فى مكة من ركن شديد : إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إذا أرادوه فقال : دعونى فإن الله سيمنعنى .

وما راع قريشاً فى أنديتها ضحى ذلك اليوم إلا صوت يتردد فى جوانب البيت ينبعث من عند مقام إبراهيم : « بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ... » واستقبل السورة يرتلها فتأملوا صاحب الصوت فإذا هو عبد الله ابن مسعود ، فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون : ما يقول ابن أم عبد ؟ فأجاب منهم مجيب : إنه يتلو ما جاء به محمد ، فاندفعوا إليه يضربون وجهه ، ولكنه ما يكف بل جعل يقرأ وهم يضربون حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثرت بوجهه ضربات القوم ولطماتهم ولعل أشدها كانت لطمة عدو الله أبى جهل . قال له أصحاب الرسول وقد رثوا لحاله : هذا الذى خشينا عليك فقال : ما كان أعداء الله قط أهون علىّ منهم الآن ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً قالوا : حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون

إنك غلام معلم :

كان أبوه مسعود وأمه أم عبد قد تركا قومهما هذيل الذين يسكنون جبل السراة قريباً من الطائف وأقاما بمكة حيث حالف مسعود عبد الله بن الحارث بن زهرة خال زوجه أم عبد والدة عبد الله بن مسعود ، ولما صار غلاماً يافعاً اشتغل برعى الغنم لعقبة ابن أبى معيط من سادات قريش ، وبينما هو قائم كعادته أقبل رسول الله ومعه أبو بكر فقال يا غلام هل معك من لبن ؟ قال : نعم ولكنى مؤتمن ، فقال له ائتنى بشاة لم تحمل ولم تلد ، فأتاه بواحدة فجعل الرسول يمسح ضرعها ويدعو الله حتى درت فأتاه أبو بكر بإناء فاحتلب فيه ثم قال لأبى بكر : اشرب فشرب أبو بكر ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم بعده ، ثم قال للضرع : اقلص فقلص فعاد كما كان . هذا وعبد الله يشهد ويسمع فقال : يارسول الله علمنى من هذا الكلام فمسح رأسه وقال : إنك غلام معلم .

لقد أسلم عبد الله فكان من السابقين وترك غنم عقبة فأخذه الرسول وجعله فى رعايته ، فلقد كان أبوه حليف أخوال الرسول وإن جدته لتمت بصلة القرابة إلى أخوال الرسول ، وعقبة من رءوس الشرك ولن يبقى عليه بعد أن أصبح من أتباع محمد فكان يخدم رسول الله : يلبسه نعله ، ويمشى معه وأمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام . حدث أبو موسى الأشعرى قال : لقد قدمت أنا وأخى من اليمن ، وما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبى عليه الصلاة والسلام . وتمر الأيام ويشتد أذى قريش للمسلمين فيهاجر جماعة منهم إلى الحبشة وفيهم عبد الله ثم يهاجرون إلى المدينة ومعهم عبد الله .

هذه رأس أبى جهل :

نحن فى العام الثانى من هجرة الرسول فى غزوة بدر الكبرى وهذا أبو جهل ملقى بين الجرحى وقد أمر الرسول أن يلتمس فى القتلى فوجده عبد الله بن مسعود بآخر رمق فوضع رجله على عنقه قال أبو جهل لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعباً أخبرنى لمن الدائرة فقال لله ولرسوله وإنى قاتلك ، قال أما إن أشد شئ لقيته اليوم قتلك إياى فقتله وحمل رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل ، فقال الرسول : ألله الذى لا إله غيره ؟ وردها ثلاثاً ، قال نعم ، ثم ألقى رأسه بين يدى الرسول فحمد الله تعالى وسجد شكراً له .

لقد عاش عبد الله حياة الرسول مقرباً منه أثيراً عنده قال له مرة : اقرأ علىّ سورة النساء ، فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأ عبد الله حتى بلغ : « فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » ففاضت عيناه صلى الله عليه وسلم وأمره مرة أن يصعد شجرة فيأتيه بشئ منها فنظر أصحاب الرسول إلى حموشة ساقيه — أى دقتهما — فضحكوا ، فقال النبي : ما يضحككم ؟ لرِجْلَا عبد الله فى الميزان أثقل من أحد

فى أيام الخلفاء :

كان عبد الله فى حياة أبى بكر مع الجيوش التى سارت إلى الشام ، وكان موكلا بأمر الغنائم وشهد موقعة اليرموك ، ثم رجع إلى المدينة فكان مقرباً إلى عمر ، قال زيد بن وهب : إنى لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود ، يكاد الجلوس يوارونه من قصره ، فضحك عمر حين رآه فجعل يكلم عمر ويضاحكه وهو قائم ثم ولى فأتبعه عمر بصره حتى توارى ، فقال : « وعاء ملئ علماً » ولما أنشئت الكوفة ، كتب عمر بن الخطاب إلى أهلها : « إنى قد بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى »

ظل عبد الله بالكوفة حياة عمر ، وزمناً من أيام عثمان ، فلما كادت فتنة القراءات تقع بين المسلمين ، كلف عثمان جماعة من الصحابة وعلى رأسهم زيد بن ثابت أن ينسخوا المصحف الذى جمع أيام أبى بكر ، وأرسل عثمان إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق ما نسخ بعد أن أبقى مصحفاً بالمدينة سمى المصحف الإمام وعين زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدنى ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكى ، والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر بن قيس مع البصرى ، وأمر أن يحرق ما عدا هذه الخمسة المصاحف إذ كان فيما عداها بعض الاختلاف اللفظى الذى كان مأذوناً فيه من قبل توسعة على المسلمين. حينئذ تأثر عبد الله بن مسعود لأنه كان يرى نفسه أولى من زيد بن ثابت بالإشراف على نسخ المصاحف ، ولعله كان يرى أن يستمر جواز ما كان مأذوناً فيه ؛ يضاف إلى هذا أن له مصحفاً فيه بعض الاختلاف ، ويتناوله الأمر بالإحراق ، هذا إلى أن كثيراً من التابعين من أهل الكوفة تلقوا عنه فقال : لقد علم أصحاب محمد أنى أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم ولو أنى أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله منى تبلغنيه الإبل لأتيته . وقال : لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة — وفى رواية سبعاً وسبعين — وإن زيد بن ثابت لصبى من الصبيان » لكن خشية الفتنة التى أطلت برأسها وخوف أن يدخل فى القرآن ما ليس منه والحرص على وحدة المسلمين جعل سيدنا عثمان ومن حوله من كبار الصحابة لا يعبئون بأى اعتراض ، ولقد سبق أن كلف أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن فى مصحف واحد مما كان مكتوباً ؛ وشهد شاهدان أن هذا المكتوب هو عين ما سمعه كاتبه من فم الرسول فلم يبد عبد الله بن مسعود اعتراضاً لأن ذلك كان جمعاً للقرآن خوفاً عليه من الضياع بوفاة حفاظه ، ولم يأمر أبو بكر بالاقتصار على ما جمع وحرق ما عداه مما كتبه آخرون أو حفظوه ، أما سيدنا عثمان فقد ألزم الناس — وهو محق — بالاقتصار عليه وعبد الله يعلم أن جامعه هو زيد بن ثابت ويرى أنه أولى منه لسبقه فى الإسلام ويعلم أن الرسول انتقل إلى الرفيق الأعلى والصحابة يقرأ كل منهم كما علم لهذا كان منه ما قال.

قال ابن شهاب الزهرى : بلغنى أن رجالا من أفاضل الصحابة كرهوا مقالة عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ ابن حجر فى شرحه على صحيح البخارى : والعذر لعثمان فى ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التى كانت جمعت فى عهد أبى بكر وأن يجعلها مصحفاً واحداً ، وكان الذى نسخ ذلك فى عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت لكونه كان كاتب الوحى فكانت له فى ذلك أولية ليست لغيره »

ولقد بلغ سيدنا عثمان ما قاله عبد الله ، فأرسل إليه يأمره

بالقدوم عليه بالمدينة ولعله خشى أن يظل فى العراق يلقن مصحفه الذى يدخل تحت إباحة «أنزل القرآن على سبعة أحرف ...» فاجتمع الناس على عبد الله بالكوفة فقالوا : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه فقال عبد الله : إن له علىّ حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من يفتح باب الفتنة » وتوجه إلى المدينة واستغنى عما كان مفروضاً له من العطاء .

دخل عليه مرة عثمان يعوده فى مرضه فقال له ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى . قال : فما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضنى . قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لى فيه . قال : يكون لبناتك . قال : أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة . إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً » فلما توفى رضى عنه سنة ٣٢ هـ دفع عثمان مجموع ما كان مفروضاً له وامتنع عنه إلى ورثته . وقال أبو الدرداء حينما بلغه موت عبد الله : ماترك بعده مثله

مصحفه وبعض قراءاته :

أجمع الأئمة على أن ترتيب الآيات توقيفى فقد كان بأمر الرسول جاء به جبريل من الله العزيز الحكيم أما ترتيب السور فالصحيح أنه ليس توقيفياً ، ولهذا اختلفت مصاحف الصحابة فى ترتيبها فمصحف علىّ كان مرتباً حسب نزول السور يبدأ بالمكى ثم المدنى وأكتفى بذكر ترتيب السور العشر الأولى من كل مصحف ، ولمن شاء المزيد أن يرجع إلى الإتقان وكتاب المصاحف .

	المصحف المشهور	مصحف أبى	مصحف ابن مسعود	مصحف على
١	أم الكتاب	أم الكتاب	البقرة	اقرأ
٢	البقرة	البقرة	النساء	ن
٣	آل عمران	النساء	آل عمران	المزمل
٤	النساء	آل عمران	الأعراف	المدثر
٥	المائدة	الأنعام	الأنعام	اللهب
٦	الأنعام	الأعراف	المائدة	والشمس
٧	الأعراف	المائدة	يونس	الأعلى
٨	الأنفال	يونس	براءة	والليل
٩	براءة	الأنفال	النحل	والفجر
١٠	يونس	براءة	هود	والضحى

وهذه مقارنة بين بعض ما روى من قراءة عبد الله والقراءات الصحيحة السند المشهورة :

	القراءة الصحيحة السند	ما روى من قراءة ابن مسعود
١	اهدنا الصراط المستقيم	ارشدنا الصراط المستقيم
٢	صراط الذين أنعمت عليهم	صراط من أنعمت عليهم
٣	فأزلهما الشيطان عنها	فوسوس لهما الشيطان عنها
٤	إن البقر تشابه علينا	إن البقر متشابه علينا
٥	وإثمهما أكبر من نفعهما	وإثمهما أكثر من نفعهما
٦	إنما وليكم الله ورسوله	إنما مولاكم الله ورسوله
٧	والمتردية والنطيحة	والمتردية والمنطوحة
٨	لا يظلم مثقال ذرة	لا يظلم مثقال نملة
٩	إن كانت إلا صيحة	إن كانت إلا زقية
١٠	كالعهن المنفوش	كالصوف المنفوش

تلاميذه وأثره :

لعبد الله بن مسعود أثر فى قراء الكوفة سواء كانوا من السبعة أم من العشرة ، أم من الأربعة عشر فقد تلقى عنه عاصم ابن ضمرة والحارث بن عبد الله وزر بن حبيش وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو عمرو سعد الشيبانى وعبيدة بن عمرو والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وزيد بن وهب وعلقمة بن قيس وعبيد ابن نضلة وأبو الأسود الدؤلى . وإلى هؤلاء — الذين انفرد بعضهم بالأخذ عنه ، وبعضهم جمع إليه الأخذ عن غيره من الصحابة والتابعين — تنتهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى من السبعة وخلف من العشرة والأعمش من الأربعة عشر هذا إلى جانب ما تلقوه من رواة آخرين عن صحابة مختلفين .

لكن هؤلاء الذين رووا لنا قراءة (١) ابن مسعود وغيره اقتصروا على ما وافق الرسم العثمانى وتركوا ما خالف ذلك تبعاً لأمر الخليفة واتباعاً لإجماع المسلمين فأصبح ما يروى مخالفاً للرسم العثمانى من قراءته وقراءة غيره كأبى بن كعب وعلى وسعد بن أبى

(١) يمثل قراءة ابن مسعود الصحيحة الموافقة للرسم العثمانى رواية أبى بكر شعبة عن عاصم أحد القراء السبعة حيث قال عاصم لحفص : ما أقرأتك هو ما تلقيته عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على وما أقرأته لشعبة هو ما تلقيته عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود .

عود على بدء :

من الأعماق

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

كتبت فى العدد ٨١٩ من « الرسالة » الغراء قصة « من الأعماق » ، وتركتها — كما هى فى الحياة — بدون خاتمة ، وانتظرت رأى عقل القارئ العزيز لعله ينير السبيل لقلبين ، فانثالت علىّ الرسائل من كل ناحية ، فاجتمع لى منها آراء أعرض بعضها على صفحات « الرسالة » . وأنا — إذ أفعل — أدير الكلام على طريقتى وأسلوبى ، لى الأسلوب والأداء ، ولأصحاب الرسائل الرأى والفكرة :

وقاص وابن عباس وغيرهم يستدل به فى التفسير ويستعان به فى التشريع ولا يعول عليه فى الصلاة والعبادات مع العلم أن هؤلاء السابقين وغيرهم وافقوا عثمان وأقروه ولزموا ما وافق رسم المصحف الإمام والواقع أن ماروى عنهم مخالفاً له لا تتفق فى ضبطه الروايات ما ذلك إلا لهجران الأئمة الثقات تحمل روايته وتكلف حفظه والعناية بتحقيقه فأصبح سنده منقطعاً . وشرط صحة التعبد بالقرآن أن يكون صحيح السند إلى جانب ما اشترطوه من موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وموافقة العربية ولو بوجه من الوجوه ، أما اختلاف القراءات السبع وغيرها من القراءات الصحيحة فيرجع السبب فيها إلى أن الجهات التى وجهت إليها المصاحف التى أمر بنسخها سيدنا عثمان كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة ، فلما أمر بحرق ما عدا تلك المصاحف وأن يسيروا على رسم واحد ثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة بشرط موافقة الرسم العثمانى ولو احتمالا وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لما رأوا فى ذلك من الاحتياط للقرآن ؛ فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم متمسكين برسم وخط واحد .

عبد الستار أحمد فراج
المحرر بالمجمع اللغوى

جاء فى رسالة الأديب عيسى الأشعرى بأسيوط — بعد كلام طويل — ما يأتى :

سيدى — يا حضرة الضابط الفاضل — أنت تؤمن بأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز فى المعركة أو الموت . فدعنى أجثو أمامك فى خشوع وأنحنى لك فى احترام ، أنشق عبير روحك الوثابة ، وأقبّل ثرى وطئته قدمك الطاهرة ، وأستمتع ساعة باستجلاء طلعتك الصارمة ، أحيى فيك الشجاعة والشهامة والرجولة . وحين رجعت إلى أرض الوطن الغالى — عائداً من الميدان — رأيتك يا قلب مصر النابض ، وأملها البسام ، وعلمها الخفّاق ، نخفق لك قلبى واهتزت مشاعرى ، لأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز فى المعركة أو الموت . آه لو استطعتُ فاقتحمت هذا الجمع الزاخر وهو يفور ويضطرب لأقف بين يديك أقدم لك نبضات قلبى ووثبات فؤادى وصلوات روحى !

تلك هديتى إليك ، فقلبى قد تفتح عن تقدير لك وإجلال ، وفؤادى قد انتشى بعطر إيمانك الزكى ، وروحى قد هفت نحو زهرات شبابك النضير المتألق . فأنت بعثت فينا — من أطواء الزمن — روح العزة والكبرياء .

لقد قلت لى — إذ ذاك — : « إننى أنا القنبلة التى يقذف بها عاهل البلاد العظيم فى وجه العدو فتنفجر هدّامة مدمرة ، وأنا المدفع يطلقه القائد الأعلى على صفوف الطغاة فلا يخطئ ولا يخيب ، وأنا السيل العرم الذى يتدفق فيجرف فى تياره الجناة وإن عتوا وتجبروا » .

هذه الشجاعة ، وهذه العقيدة ، وهذا الإيمان ، كل أولئك — يا سيدى — أشرقت نوراً يتلألأ على جبين الوطن فينعكس على صفحات التاريخ فخراً تنحنى له هامة الزمن ، وتخضع أعناق الجبابرة ...

وحين سللت سيفك زها وأشرق تاريخ الوطن ، وثارت حميته ، وتأججت كبرياؤه ، وتألقت فيه روح الحرية . وحين قذفت فى الميدان بالحديد والنار ، ارتد العدو على أدبارهم خاسرين ، وانهزموا أمام عزمك صاغرين ، وفزع كل ذى طمع ، وذعر كل ذى مأرب . وحين أصررت وتقدمت فى شجاعة ، وصبرت فى إيمان — حينذاك — انطوى العالم بين جناحيك فى ذلة

وصفار ، وصمتت ألسن كانت لولاك سليطة بالباطل ، جريئة على الحق . فدعني — يا سيدى — أجثو أمامك فى خشوع ، وأنحنى لك فى احترام ، لأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز فى المعركة أو الموت !

هذا أنت — ياسيدى — فى نفسى ، أما هذه المعركة القلبية ، فأنت إن ظفرت بها خسرت هدوء قلبك وراحة نفسك . غداً يجذبك عملك الشريف عن دارك فتذر زوجك وحدها ، فتذهب وما فى خيالك سوى خاطرة واحدة ، فأنت ما تبرح ترى بعينى قلبك شبحاً يضطرب حول دارك يوشك أن يلجها فى غيبتك . سيثور بك الشك ، وتلتهمك الريبة ، وتصفعك الغيرة ، فتعيش فى حيرة قاتلة تصرفك عن الواجب المقدس . فدع الفتاة تنطلق إلى فتاها ، وفى الأرض مراغم كثير وسعة .

ستقول : هـذه فتاة عاقلة متملة تقضى حق الزوج وترعى واجبها ، وهى من بيت راسخ الأرومة طيب الجرثومة ، يتدفق فى عروقه دم الشرف والإباء والكرم منذ الجد الأول . ولكن هل لها غير قلب المرأة وعاطفة الأنثى وروح الإنسان ؟ ستخلو حيناً إلى نفسها تحدثها حديثاً طويلا لو اطلعت عليه لوجدت مس الفزع والرعب فى نفسك ... فدع الفتاة تنطلق إلى فتاها ...

وإذا انكشفت القصـة كلها أمام الأب فرأى نوازع قلب ابنته سافرة واضحة ، فإن تجاربه ستدفعه حتما إلى أن يتلمس لها السعادة التى تريد ، وسيضن بها أن تقضى عمرها فى مضطرب من الأفكار يعصف بها اليأس ويقصمها الأسى !

***

وفى رسالة الأستاذ محمـد أحمد شكم المدرس بمدرسة سعيد الأول باسكندرية رأى يشبه رأى الأديب الأشعرى .

***

وإن فى رأى صديق الأستاذ عباس خضر المنشور فى العدد ٨٢٠ من « الرسالة » حلا سيكولوجياً عجيباً ، فهو يرى « أن يبتعد عادل قليلا ويترك المعركة تدور بين كرامة جلال — ولا بد أن يستشعرها مع الزمن والتكرار — وبين فتور إلهام وإعراضها عنه ، ويبعث عادل بالمدد إلى قلبها من بعيد ، وسترى الأم سوء حال ابنتها فتشفق عليها وتتحول إلى جانب عادل فتكون عاملا مهماً فى إنهاء الموقف ، بحيث يرى الضابط ضرورة فوز كرامته فى المعركة بالانسحاب ... »

***

هذا رأى العاطفة والقلب ، أما أصحاب الرأى الثانى ، رأى العقل والمنطق ، ففى مقدمتهم الأديبة الآنسة سلوى الحومانى ، ففى رسالتها يتحدث عقل المرأة وقلبها فى وقت معاً ، فكلامها ثائر هادئ ، يطمن فى هوادة ويصفع فى رفق ، وهى قد استهلت رسالتها بقولها : وإنى أشكر كاتب قصة « من الأعماق » ، لأنه أتاح لى فرصة أخوض فيها غمار هذا الموضوع وهو من صميم الحياة . إن الفتاة لتجد حرجاً كبيراً فى أن تتحدث — علانية وفى صراحة — فى مثل هذا الموضوع ، لأنها تشعر فى قرارها بالرجعية العقلية تدفعها عن هذا المضمار ؛ وهى حين تتنحى عن إبداء الرأى ترتـكب خطأين : الأول ، أنها تذر الموضوع يفقد نصف الحيـاة حين يفقد نصف الرأى . والثانى ، أنها تفر من ميدان الحياة وهو ميدانها .

ثم تتدفق بعد ذلك تقول : ... ويجب أن ينسحب عادل من هذا الميدان ، فهو يغالط نفسه حين يزعم أنه يحب الفتاة حب قلب وعاطفة وتضحية ، وهو لو صدق لما انقطع عن زيارتها سنة كاملة ، لأن « أباها نهاها عن أن تدخل حجرة فيها الأستاذ عادل ، إلا أن يؤذن لها » .

هذا — ولا ريب — سبب تافه ضئيل لا يستطيع أن ينهض عذراً لمن يحب فينطوى سنة كاملة عن مَنْ أحب . لقد أراد أن يثأر لكرامة خدشت — كزعمه — فهل عجز عن أن يلقى فتاته خفية وفى مأمن من الرقيب ، أو قعد عن أن يرسل إليها رسولا يحدثها حديث قلبه وينشر عليها ذات نفسه ، وهو رجل ذو حيلة ورأى ؟ لقد كان يستطيع أن يفعل لو أراد ، فإذا ضاقت به الحيلة أو خانه الرأى ، انطلق إلى أبيها فى غير وناء ولا تريث يكشف أمامه رغبة قلبه وأمل حياته ، أو طار إلى أبيه هو يخبره الخبر كله ، ولكنه لم يفعل شيئاً ، بل وقف على حيد الطريق ينظر إلى الركب وهو يسير ، ثم يزعم — بعد ذلك — أنه يحب فتاته حب

قلب وعاطفة وتضحية .

والفتاة أيضاً كاذبة فيما تزعم ، فهى تتصنع لفتاها وما بها سوى التصنع ، ولو أنها أحست له حباً صادقاً لما وافقت — بادئ الرأى — على أن تتزوج من جلال ، ولاستطاعت أن تجد التعلات والأسباب لترفض أو تؤجل ، ولما قالت لعادل تعتذر : « وخفتُ أن أطرد خطيبي فأتخلف عن الركب ، وإن شبح ابنة عمى ليضطرب فى ناظرى كلما ذكرت الخطبة والزواج ، فهى قد تأبتْ حيناً على الزوج أنفة منها وصلفاً . وهى الآن قد أشرفت على الأربعين ولما تجده ، لقد فاتها الركب ، وتخلفت عن القافلة » .

هـذا حديث خلو من الروحانية القلبية ، لا يحمل عاطفة ، ولا ينبض بإحساس .

هذا نوع من الحب فيه فورة الشباب وجموح العاطفة فحسب ، والحب فى أى صورة من صوره لا يصح أن يكون أساساً للسعادة الزوجية ، لأنه ضعف عقلى يسيطر على الفتى والفتاة فى سن الطيش والاندفاع ، فيتمثل لهما صوراً أخاذة وأضواء خلابة تخطف البصر وتخلب اللب .

ولا عجب ، فإن بناء أساسه هذا الضعف يوشك أن ينهار !

وأخيراً ، إن فتاة فى الثامنة عشرة من سنى حياتها لا تستطيع أن تختار فتاها اختياراً فيه الرأى والعقل والتجربة .

لقد اختار أبوها ، اختار برأيه وتجاربه وأبوته ، وهى ألقت السَّلم لرأى أبيها — بادئ ذى بدء — فلو أن عادلا ظل منزوياً لأصبحت إلهام زوجاً لجلال لا تلقى بالا إلى من زعمت بأنها تحبه .

والآن ، كيف يخول عادل لنفسه أن يقتحم باب الفتاة ليغريها بأمر ، وكيف تطاوعه هى ، وهى توشك أن تكون زوجاً وربة دار ، فليستشعر عادل رجولته وإنسانيته ، ويذر العش ترفرف عليه أجنحة السعادة والطمأنينة ...

* * *

وكتب الأديب صبرى علوان بجامعة فؤاد ما يأتى :

إن القصة التى ذكرت — ياسيدى — هى قصة صديق لى هو فى نفسى أخ ، وفى قلبى حبيب . وهو رجل فيه الرجولة والإنسانية ، وفيه القوة والفتوة ، فيه العلم والأدب ، وفيه ارقة والظرف ، وهو موظف حكومى لا يملك غير راتبه ، وموظف الحكومة الآن رجل فقير لا ترمقه عين ، ولا يغبط على حال . أما هى ففتاة فى مستهل الحياة ، مشرقة كالضحى ، ندية كالفجر ، رشيقة كالغصن ، نضيرة كالزهرة ، تتأرج عطراً وحياة وجمالا ... جمعهما الحب وتعاقد قلباهما على أمر . ثم جاء الفتى الثانى يخطب الفتاة إلى أبيها وبين يديه الثراء والشباب والجاه ، فوافق الأب ، واستسلمت هى ... وترامى الخبر إلى صاحبى ، فتوارى إلى الأبد عن عينى فتاته حين أحس أنها ستجد السعادة والرفاهية فى دار خطيبها ... توارى وفى قلبه الأسى والكمد ، وضحى بقلبه فى سبيل من أحب ... فهل يستطيع عادل أن ينسج على هذا المنوال؟

* * *

وقال « فتى الأندلس » فى رسالة افتتحها بتحية حارة مشكورة إلى كاتب « من الأعماق » :

.. وإلهام فتاة عاقلة حصيفة تفحص الأمور بعقلها فحسب ، ودليلى على ذلك قولها : « وحين وافقتُ على رأى أبى كنت قد خشيت أن تكون قد طردتنى من نفسك لأنك نأيت عنى » ... فهى إذن قد هفت نحو جلال ، واستشعرت ميلا له ، ونسيت عادلا . أما العاطفة التى بدت لعادل منذ أن كان وكانت ، فلم تكن حباً عميقاً يسمو على النوازع المادية ، ويعلو على الخواطر الأرضية ، بل كانت ألفة عقلية استشعراها لأنهما عاشا صديقين حيناً من الزمن . لهذا أرى أن ينسحب عادل ليذر الحياة تنطلق بالخطيبين إلى غايتها .

* * *

هـذه آراء بعض صحابى من قراء « الرسالة » ، وللباقين — ممن تنطوى آراؤهم تحت هذه المعانى — تحيتى وشكرى ، ثم عذرى عن أن أذكر حديثهم .

أما رأى الحياة فى هذه المشكلة ، فسأقصه فى العدد القادم — إن شاء الله — ولطالما امتدت يد الحياة إلى مشاكلنا لتحلها بطريقة عجيبة تسخر من المنطق البشرى ...

كامل محمود حبيب

إيوان كسرى

للأديب كاظم المظفر

ازدهرت الدولة الفارسية فى عهدين من عهودها التاريخية المهمة : العهد الأول ، أيام سابور المعروف بـ « ذى الأكتاف » ؛ والعهد الثانى ، أيام الملك العادل كسرى أنوشروان . فقد تنازع هذا مع ملك ررما الذى كان العدو الأول للفرس وأول منافس لكسرى . وقد حاربه وتغلب عليه فى عدة مواضع بعد أن واصل هل زحف جيشه إلى مجاهيل أفريقيا واليابان والصين والروس فأصبحت إمبراطوريتهم من أعظم إمبراطوريات العالم .

وكانت عاصمة ملكهم « طيسبون »[1] . وذلك أيام الملوك الساسانية وكثير ممن سلف من ملوك فارس الأولين . وتقع هذه المدينة فى الجانب العربى للمدائن من أرض العراق ، ولكن سابور بن هرمز حوّل العاصمة إلى الجانب الشرقى من المدائن ، وسكن هناك بعد أن بنى الإيوان المعروف بـ « ديوان كسرى » لهذه الغاية[2] ... وإنما سمى الأيوان باسم كسرى دون أن يسمى باسم بانيه سابور لما أدخل عليه الثانى من محسنات كثيرة فى هيكله كالزخرف والنقش وإقامة التماثيل بعد أن أتم الأماكن الناقصة من بناء هذا الإيوان ، إذ لم يتسن لسابور إتمام بنائه قبل موته .

والإيوان ينبئنا عما وصلت إليه الحضارة الفارسية من تقدم ورقى وازدهار . وفى ذلك يقول الخطيب البغدادى فى وصف المدائن : « لم تزل المدائن دار مملكة الأكاسرة ولهم بها آثار عظيمة وأبنية قديمة منها الإيوان العجيب الشأن . لم أر فى معناه أحسن منه صنعة ولا أعجب منه عملا[3] » وقيل إنما سميت هذه المدينة بالمدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والأكاسرة وما أبقوا فيها من الآثار وهى على جانبى دجلة شرقاً وغرباً ودجلة تشق بينهما[1]

ومن أهم الأسباب التى دعت ملوك فارس إلى جعل عاصمتهم فى المدائن موقعها الجغرافى الحسن وهواؤها الطيب النقى وتربتها الصالحة وماؤها العذب . ويقال — فى هذا الصدد — إن الاسكندر المقدونى نزل المدائن وسكنها بعد أن جال فى ربوع الأرض وبعد أن وطئ السهل والجبل فلم يختر منزلا من منازل العالم التى رآها وفتحها سوى المدائن . وقد بنى بها مدينة عظيمة وجعل عليها سوراً أثره باق إلى وقتنا هذا[2] . إلى أن توفى فيها وحمل تابوته إلى الاسكندرية ؛ لأن أمه كانت مقيمة هناك ودفن عندها[3] .

ولما فتح المسلمون بلاد الفرس واستولوا على المدائن تحت قيادة سعد بن أبى وقاص فى صفر سنة ١٦ هـ وهى السنة الرابعة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، خرب المسلمون ما خربوا من قصورها وانتهبوا ما انتهبوا من رياشها وأثاثها ، ووصل عمل التخريب إلى إحراق ستر باب الإيوان فأخرجوا منه ألف ألف «مليون» مثقال من الذهب . فبيع المثقال بعشرة دراهم وبلغ ذلك عشرة آلاف ألف « ١٠ ملايين » درهم . وقد جعل سعد بن أبى وقاص الإيوان محطاً لرحله وصلى فيه صلاة النصر بثماني ركعات (٤) .

وأنشئت فى الدور الإسلامى الأول مدينة البصرة والكوفة فانتقل الناس إليهما . وما كاد المنصور يختط مدينة بغداد ويبنيها حتى تهافت الناس عليها وهجروا المدائن شيئاً فشيئاً حتى أصبحت أكثر الدارات خاوية والبنايات والقصور قفرا .

ولقد أراد الرشيد أن يهدم الإيوان وشاور فى ذلك يحيى بن خالد البرمكى حين كان معتقلا عنده إثر الفاجعة المعروفة فأشار عليه بأن لا يفعل ، ولكن الرشيد أصر على رأيه فى هدم الإيوان ، وشرع فى تخريبه . ثم نظر فإذا يلزمه فى هدمه أموال طائلة لا طاقة له بها ، فأمسك عن ذلك وكتب إلى يحيى يعلمه الخبر فأجابه أن ينفق فى هدمه مهما بلغ من الأموال ويحرضه على فعله . فعجب الرشيد من تناقض كلامه وبعث إليه يسأله عن

(١) وقد أورد بعض المؤرخين هذه العاصمة باسم طيسفون

(٢) مروج الذهب للمسعودى

(٣) تاريخ بغداد

(١) و (٢) و (٤) تاريخ بغداد

(٣) الكنى والألقاب

عن هذا . فقال : أما ما أشرت عليك به فى الأول فلأنى أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت ، وأن يكون من يرد فى الأعصار ويطرأ من الأمم فى الأزمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول إن أمة قهرت أمة هذا بنيانها لأمة عظيمة شديدة منيعة . وأما جوابى الثانى فأردت به نفى العجز عن أمة الإسلام كى لا يقول من يأتى فى الأعصار الأتية إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنت فارس ... فلما بلغ الرشيد ذلك قال : قاتله الله فـا سمعته قال شيئاً قط إلا صدق فيه ثم أعرض عن هدم الإيوان(١)

أما الآن ، فلم يبق من ذلك البناء الشامخ إلا طاقه وجناحاه . وقد ورد أن هـذا الإيوان من أعظم أبنية العالم ، وهو مبنى بالآجر على مرتفع من الأرض طوله (١٥٠) ذراعاً ، فى عرض مثلها ، وأمامه ميـدان طوله (٨٠) ذراعا فى عرض (٢٥) . وقيل سـعة الإيوان من ركنه إلى ركنه (٩٠) ذراعا وارتفاعه (٨٠) ذراعا . وقد تهدم هـذا الإيوان ولم يبق منه فى القرن السابع الهجرى على ما ذكر ياقوت إلا طاق يعرف بطاق كسرى ، وهو طاق عظيم بنى بالآجر طول كل آجر نحو ذراع فى عرض أقل من شـبر . وكان فيه من التماثيل والصور شيء كثير : منها صورة كسرى أنوشروان وقيصر ملك أنطاكيه وهو يحاصرها ويحارب أهلها (٢) .

وأما المدائن فقد أصبحت شـبه قرية فى الجانب الغربى من دجلة أهلها فلاحون ، شيعة إمامية . ومن عاداتهم أن نساءهم لا يخرجن نهاراً أصـلا(٣) . وفى الجانب الشرقى منها مشهد الصحابى المعروف سلمان الفارسى رضوان الله عليه ، وله موسم يذهب الناس إليه لزيارته والتبرك به ويكون ذلك فى منتصف شعبان من كل سـنة . وكان على مقربة من الإيوان قبران محترمان يرقد فيهما الصحابيان : عبد الله الأنصارى ، وحذيفة ابن اليمان فأشرفا على الغرق لأن مياه دجلة كانت — ولا تزال — تنال من الشاطئ ، فنقلت الحـكومة بقايا رفاتهما إلى جامع سلمان الفارسى فى عام ١٣٥٠ هـ بمهرجان عسكرى فخم (١) .

وقد شاهدت الإيوان منذ سنة تقريباً فرأيته لم يبق من عظمته غير الطاق المرتفع الذى يطاول السحاب بعلوه . أما ما وصـفه «البحترى» من تلك الصور المنقوشة على الإيوان كصورة كسرى وجنوده وقواده وهم يتقدمون إلى جيـوش أعدائهم الرومان . وصورته والجارية الحسناء تقدم إليه كأس الشراب وقد احدقت به المغنيات والراقصات . كل تلـكم الصور وأمثالها لا وجود لها الآن فى الإيوان فقد انطمست أعلامها وانمحت آثارها . والفرق واضح بين ما كان عليه الإيوان فى عصر الدولة العباسية وبينه فى عصرنا الحاضر .

وكان من ولع شعراء العرب بوصف مايرونه من آثار الطبيعة وما فيها من جمال وسحر ، أو تجهم وعبوس ، أن تطرقوا إلى عظمة هـذا الإيوان ، وذلك حين كانوا يقفون على أطلال المدائن الخاوية فيتصورون أن أهلها أحياء يسيرون فى الأزقة والشوارع بدعة واطمئنان وأن الملوك فى وسط قصورهم مع بلاطهم وحاشيتهم وما عليهم من ثياب مزركشة وحلل زاهية فتستفز هذه الأخيلة قريحة أولئك الشعراء وتحرك هـذه المناظر قيثارتهم الشعرية ، فيروحون ينشدون قصائدهم التى تفيض بعواطفهم المـكبوتة إزاء ذلك الملك الذاهب فيأتون بالشعر والسحر الحلال . وكان من بين الذين شاهدوا عظمة الإيوان وما فيه الشاعر الأرجانى الذى رأى التماثيل الموجودة فى الإيوان فنظم قصيدته الرائعة التى لم تدعه إلى نظمها عصبية للفرس — كما يدعى البعض — وإنما كان استجابة لطبع الشاعر وتلبية لسجيته المطلقة التى دعته إلى وصف بعض الصور الجميلة التى شاهدها . وكان من هذه القصيدة قوله :

رأيت عجيباً والزمان عجيب ... رجالا ولـكن ما لهن قـلوب
تماثيل فى صخر نحيت كأنهـا ... بنو زمن لم يلف فيه أريب
نزلنا وفوداً فى حماها ولم يكن ... لنا من قراها فى الوفود نصيب
فنحن لدى كسرى إبرويز غدية ... نزول ولـكن الفناء جـديب

(١) مروج الذهب للمسعودى
(٢) دائرة المعارف للبستانى
(٣) تلخيص الآثار فى عجائب الأقطار

(١) العراق قديماً وحديثاً للسيد عبد الرازق الحسنى

بظاهر قرميسين والركب محدق   حواليه فيهم جنيئة وذهوب
لدى ملك من آل ساسان ماجد   وقور عليه التاج وهو مهيب
مكان المناجي من خليليه واقفاً   وإن عز منهم سامع ومجيب
يرينك من تحت الحوادث أوجهاً
بها من تصاريف الزمان شحوب
وقاموا على الأقدام لا يعتريهم
مدى الدهر من طول القيام لغوب

وقصيدة شاعر الدولة العباسية أبو عبادة البحتري التي وصف بها الإيوان فكانت آية من آيات التصوير الشعري بعد أن سارت مسير المثل لما فيها من وصف بديع دقيق بعد أن ذكر جميع ما رأى من النقوش والتماثيل التي ارتسمت على جدران الإيوان وما أحيط به من العظمة والجلال . . . وها هو يقول في أولها يمتدح نفسه :

صنت نفسي عما يدنس نفسي   وترفعت عن جدى كل جبس
وتماسكت حين زعزعني الد   هر التماساً منه لتعسي ونكسي

إلى أن يقول في وصف الإيوان مشيراً إلى ما فيه من زخرف وتصاوير :

لو تراه علمت أن الليالي   جعلت فيه مأتماً بعد عرس
فإذا ما رأيت صورة أنطا   كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوشر   وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
وعراك الرجال بين يديه   في خفوت منه وإغماض جرس
وكأن الإيوان من عجب الصنـ   ـعة جوب في جنب أرعن جلس
مشمخر تعلو له شرفات   رفعت في رؤوس رضوى وقدس
ليس يدرى أصنع إنس لجن   سكنوه أم صنع جن لإنس
غير أني أراه يشهد أن لم   يك بانيه في الملوك بنكس

وقال ابن الحاجب في وصف الإيوان ويخاطب بانيه ويذكره بتقلب الدهر وعثرات الزمن :

يا من بناه بشاهق البنيان   أنسيت صنع الدهر بالإيوان(١)
كتب الليالي في ذراها أسطراً   بيد البلى وأنامل الحدثان

(١) معجم البلدان للحموي .

إن الحوادث والخطوب إذا سطت   أودت بكل موثق الأركان

ولشاعر قريش السيد الشريف الرضي يفتخر بالإسلام وقوته على الفرس وذلك في ذي الحجة ٣٩٧ هـ وقد اجتاز بالمدائن ونظر الإيوان فبهره منظره وأنشد في ذلك :

قربوهن ليبعدن المغارا   ويبدلن بدار الهون دارا

إلى أن يقول :

قد نزلنا دار كسرى بعده   أربعاً ما كن للذل ظؤارا
وإذا لم تدر ما قوم مضوا   فسل الآثار واستنبئ الديارا
آل ساسان حدا الخطب بهم   واسترد الدهر منهم ما أعارا
كل ملموم القرى صعب الذرى   زلق العقبان منه والنسارا
جمجموا الإيوان في مبركه   مبرك البازل قد فض السفارا
مطرقاً إطراق مأمون الشذا   غمر النادي حلماً ووقارا
أو مليك وقع الدهر به   فأماط الطوق عنه والسوارا

ويحكى أن الملك جلال الدولة البويهي اجتاز بالإيوان فكتب عليه(١) :

يا أيها المغرور بالدنيا اعتبر   بديار كسرى فهي معتبر الورى
غنيت زماناً بالملوك وأصبحت   من بعد حادثة الزمان كما ترى

وروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مر على المدائن عند ذهابه إلى حرب الخوارج في النهروان ... فلما رأى آثار كسرى وقرب خرابها قال رجل ممن معه :

جرت الرياح على رسوم ديارهم   فكأنهم كانوا على ميعاد
وإذا النعيم وكل ما يلهى به   يوماً يصير إلى بلى ونفاد

فقال علي : أفلا قلتم كما قال الله عز وجل : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منتظرين »(٢) .

وكان ممن زار المدائن وشاهد القصر الأبيض – الإيوان – الأمامان الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب (ع) وذلك حين قتل أبوهما وقد توجها إلى المدائن فلحقهما الناس بساباط فحمل على الحسن رجل من أهل الكوفة فطعنه في فخذه ، وسبقهم الإمام

(١) الكنى والألقاب   (٢) تاريخ بغداد

حتى دخل قصر المدائن فأقام فيه نحواً من أربعين ليلة ثم توجه إلى معاوية بن أبي سفيان وصالحه

ومن العلماء الذين وقفوا على أطلال الإيوان علم الهدى السيد المرتضى الذي استثارت المناظر قريحته وطفق ينشد من قصيدة معروفة منها :

يا زميلي أنخ بشرق ساباط مناخاً على الركائب دحضا
قد رأينا الإيوان إيوان كسرى فرأينا كالطود طولا وعرضا
وترى العين منه أبهة الملك وعيشاً لأهله كان خفضا
حيث كانت ضلوع من ولج الأيوان ينفضن بالمخافة نفضا

ولعل أحسن من وصف الإيوان من المعاصرين شاعر النجف السيد محمود الحبوبي في قصيدته العامرة «وقفة على طاق كسرى» يقول في أولها :

قفا واسألا أعجوبة الزمن الكبرى
عن الأعصر الأولى وعن ربه كسرى
لقد شاهد الأجيال والدهر يافع وشاهدها والدهر محدودب ظهرا
ومرا على آثارها بعض ساعة بها تريان الفرس والأمم الأخرى
هنا كان كسرى أم هنا لست داريا
سلا هذه الجدران فهي به أدرى

وأنشد في الإيوان أيضاً الشاعر النجفي الشيخ عبد المنعم الفرطوسي قصيدة عامرة أولها :

قف بالمدائن واستنطق بها العبرا عن ألف جيل وجيل فوقها عبرا
واستعرض الدهر أشكالا منوعة فيها لتعرف من أحوالها صورا
واستخبر الرسم عنها حين تقرؤه فسوف يعطيك عن تاريخها خبرا
والعين إن تك قد فاتتك رؤيتها فلا يفوتك منها أن ترى الأثرا

ويقول فيها مخاطباً الإيوان :

أنشودة أنت للأجيال خالدة لذاك أضحى فم الدنيا لها وترا
وآية طأطأ الدهر الخطير لها لما تسامت على عليائه خطرا
وفكرة في دماغ الفن زاولها قرناً فقرناً ليبديها فما اقتدرا
حتى إذا نضجت أفكاره ولدت نتيجة ترهب الأجيال والعصرا

(النجف — العراق) **كاظم المظفر**

في تكريم أبطال الفلوجة

للأستاذ العوضي الوكيل

دارت رحاها ، واستمر مريرها وطغت زمازمها ، ولج قتيرها
حميت على الأسد الغضاب دروعها فانداح في لجج الفضاء زئيرها
من كل أروع تطّبيه شهوة للنصر ... يلفح جانبيه سعيرها
يمضي إلى غاياته ، وكأنه قدر يبيد خصومه ، ويبيرها
في كفه كأس المنون روية وعلى العدا الباغين راح يديرها
هل في صوارمه ، وفي آماله إلا أمانيل يرام نشورها
أخت تضام فكيف ينكل دونها إن لم يجرها فالفناء مجيرها
وشقيقة أخنت عليها عصبة أمصارها أسلابهم وثغورها
هتفت ألا أين النصير ، فإن ينم عنها . فأين على الزمان مجيرها ؟
يمضي لها شاكي السلاح مقذف خفاق ألوية العلا ، منشورها

أرأيت للأبطال في « فلوجة » قصصاً تألق في العيون سطورها
إن أغطشت دنيا الكفاح ، تألقت فأضاء آفاق الكنانة نورها
فصل من التاريخ ترنو نحوه حقب الزمان وتشرئب عصورها
حرب العزائم تلك . خاب مجولها وتطاحن الأرواح ، فازصبورها

وجزيرة في البيد تصخب حولها الـ لجج الهوادر ما يخف هديرها
إن يندفع موج إلى شطآنها الشـ ماء ردته هناك صخورها
ما كان من سور هناك فإنما جلد الرجال على المكاره سورها
المسكر المحصور في أرباضها جن تثور فلا يطاق ثؤورها
حلفت بمصر فصدقت أيمانها مهج يفيض على الرمال طهورها
ما راعها قصف الحديد وفتكه كلا ، ولا نار يفور زفيرها
راح الكفيف بها يسدد رميه فيصيب أبعد ما يصيب بصيرها
يد خالق الأكوان ترمي دونه فيقيم من تقديره تقديرها
وإذا التقى الإيمان في قلب امرئ بالعزم أيسر في الحياة عسيرها
أبطال مصر هفت لكم أنسامها
وشدت بكم فوق الغصون طيورها
في كل منعطف ، وكل ثنية دنيا يفيض حبورها وسرورها
في حيث سرتم يفتدي ريحانها بسطاً . وتنتظم الطريق زهورها
حتى السماء . رمت عليكم طلها بشراً . وودّ على الحشود مطيرها
وتلفت الملك الهمام لجيشه في نظرة لا يختفي تفسيرها

عاش المليك لمصر ، قائد نهضة سارت ، وفي نعماه كان مسيرها

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

توفيق الحكيم في كتاب عن الأدب المعاصر :

سيدى الأستاذ

قرأت لك كل ما سطره قلمك منذ أن تناولت قلمك لتكتب . تتبعت فصولك النقدية فى « العالم العربى » ثم تتبعت بعد ذلك مقالاتك وتعقيباتك فى « الرسالة » ، وكما تبدى رأيك فى الغير فلا بأس من أبدى رأيى فيك . إن ملكتك الناقدة هى خير ملكاتك جميعاً ، بل هى خير ملكة إذا ما وضعت ملكات النقاد المعاصرين فى الميزان ! ... بالله لا تتعرض لهذه الكلمات بالحذف إذا ما نشرت هذه الرسالة وعقبت عليها ، إنها رأى حر يبديه فيك إنسان قرأ أكثر ما أخرجته المطبعة فى الشرق والغرب من دراسات نقدية ، إنسان يزن أقدار الناس ويؤمن بما يقول ... ولولا إعانه برأيه لما لجأ إليك يسألك بعض العون فى فصل من فصول كتاب يضمه منذ شهور عن الأدباء المعاصرين !

إننى أعرف أنك صديق لهذا القصاص العبقرى توفيق الحكيم وليس من شك فى أنك قد درست شخصيته الفنية من خلال كتبه دراسة ناقد ، ودرست شخصيته الإنسانية من خلال معرفته دراسة صديق ، أعنى أنك تستطيع أن تربط بين الشخصيتين لترسم لنا صورة دقيقة لهذه الشخصية المزدوجة التى تبدو لعينى مبهمة ولفكرى معقدة ... !

إن شخصية توفيق الحكيم هى الشخصية الوحيدة التى أقف منها دائماً موقف الشك وعدم الثقة من ناحية وزنها والحكم عليها ، حتى هؤلاء الذين اتصلت بهم من معارفه ليحدثونى عن طبيعته النفسية كما هى فى واقع الحياة والفن ، لم يستطيعوا للأسف أن يمدونى برأى فاصل أطمئن إليه ، يبدو أنه مبهم حتى على الذين يعرفونه ويتصلون به ... لست أدرى إن كنت سأجد عند قلمك مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة ! إننى أرجو إذا تحققت هذه الأمنية ألا تسبب لك هذه الرسالة بعض الحرج إذا ما كشفت عن أشياء قد لا ترضى صديقك ... مهما يكن من شىء فلا تنس أنك تؤرخ للأدب ، وأن النكوص عن ذكر الحقائق فى سبيل إرضاء الصداقة من شأنه أن يجرح التاريخ الأدبى والضمير الأدبى ، وهذا هو الانحراف الذى أنزه قلمك عن الوقوع فيه !

إنك تعلم ولا شك أن النقد الأدبى الحق هو ما قام على دراسة أدب الكاتب مرتبطاً بشخصيته ، لأن الأسلوب من الرجل كما يقول بوفون ، وكل دراسة لا يتحقق لها هذا الجانب تفقد عنصراً خطيراً يهدد قيمتها الفنية بالضياع ! ... على هذا الأساس أريد أن تكتب ، ولا أطلب منك صفحات فإن سطوراً تقدم لى مفتاح هذه الشخصية تكفينى . ولا أطلب منك تطبيقات فحسبى أن تمدنى بالقاعدة العامة وعلىّ أنا أن ألتمس المثال !

وفى انتظار كلمتك الفاضلة ، أرجو أن تتقبل تحيات المقدر لفنك

محمد عادل المرصفاوى

قسم الدراسات العليا — جامعة فاروق

أشكر للأستاذ الفاضل هذا التقدير الذى يسبب لى كثيراً من الحرج ... لقد ظن أن الحرج سيتمثل فى نقدى لشخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية ، ولكن الحرج كل الحرج يتمثل فى هذه الكلمات التى تخصنى بثناء لا أستحقه ! يا صديقى ، آمل ألا يدفعك الإعجاب بكاتب إلى الغلو فى تقديره ، وبخاصة فى هذا الكتاب الذى ستخرجه فى القريب عن الأدب المعاصر وتقيم فيه الميزان لأقدار الأدباء ... إن رسالتك لتنبىء عن عقلية ناضجة حقاً وفهم أصيل لقيم الدراسة النقدية ، وفى هذا ما يطمئننى على أن كتابك سيكون له فى رحاب النقد الأدبى مكان !

إنه ليسعدنى أن أقدم إليك كل ما فى حدود الطاقة من عون .. سأقدم إليك رأيى فى فن الأستاذ الحكيم مرتبطاً بشخصيته ، وهو رأى أقمته على دراسة أعتقد أن عناصرها قد اكتملت على هدى صلتى به وقراءتى له . إننى أوافقك على أن هذه الشخصية تحتاج إلى كثير من التثبت قبل الإقدام على الكتابة عنها والحكم عليها ، لأنها من الشخصيات التى لا تتكشف لدارسيها إلا بعد تأمل وعناء !

أرجوا أن أضع بين يديك « مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة » فى العدد القادم إن شاء الله . وثق

أننى سأحدثك عن توفيق الحكيم الصديق بما يرضى الحق وحده والفن وحده، وللأستاذ الفاضل تحيتى خالصة .

لحظات أخرى مع جان كوكتو :

الكاتب الفرنسى مشغول ... مشغول بمقابلاته، ومشغول بمسرحياته، ومشغول بجولاته الفكرية ونهويماته الفنية؛ ومعنى هذا أن زائره لن يظفر من لقائه إلا بالرأى الطائر والحديث العابر، وهذان أمران يقنع بهما مندوب صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية لينقل إلى القراء لمحات خاطفة عن جان كوكتو! ... أما أنا فقد حاولت أن ألقاه لقاء أديب يود أن يجلس إليه ساعات يسأله عن كل شىء ويتحدث معه فى كل شىء : فى أدب القصة، فى أدب المسرحية، فى الموسيقى، فى التصوير، فى النقد الأدبى، فى الشعر، فى كل تلك الفنون التى يشارك فيها جان كوكتو ويستطيع أن يتحدث عنها حديث خبير . حاولت أن ألقاه هذا اللقاء ولكنه اعتذر بضيق وقته وكثرة شواغله، مما لا يتيح لزائره غير فترة يقضيها معه ويخرج منها بالرأى الطائر والحديث العابر ... وكما اعتذر إلى عن هذا اللقاء الطويل فقد اعتذرت إليه عن هذا اللقاء القصير، بعد أن قدمت إليه تحيتى وتحية «الرسالة» وبعد أن تلقيت خالص شكره على التحيتين مع رجائه بتلبية رغبتى إذا تهيأت له فسحة من الوقت فى مقبل الأيام!

لا بأس إذن من أن نقضى مع جان كوكتو لحظات من تلك اللحظات العابرة التى قضاها معه مندوب «المصور» وخرج منها بهذه الآراء العابرة التى تحمل بعض اللمحات والتوجيهات سأله مندوب «المصور» : هل شاهدت مسرحيات مصرية ؟ ما هى ملاحظاتك عليها ؟ ألم توح إليك مصر بكتابة شىء عنها ؟ ما رأيكم فى آثارنا ؟ وأجاب الكاتب الفرنسى بأنه لم يشاهد غير قصة سينمائية مصرية واحدة، حفلت بالحشو والتعقيد وكأنها عشر قصص فى قصة! أما الإخراج فيمج بالمبالغات والحركات المفتعلة والانفعالات المتلاحقة المتباينة التى لا تفهم ... إن الفيلم المصرى فى رأى كوكتو لا يهدف إلى فكرة، وإن المؤلف الحق هو من يهدف بقصصه إلى الدعاية لفكرة، وكلما بسط هذه الفكرة وأوضحها وفق ونجح فى الوصول إلى هدفه، واستطاع أن يخرج بعمله من نطاق المحلية فى الفن إلى نطاق العالمية! أما مصر فقد قال عنها كوكتو إنها أوحت إليه الكثير ... لقد انفرد بأبى الهول ساعات فى النهار والليل، وصادف من قلبه منزلة حسنة فباح له بسره، أما هذا السر فسيحمله إلى المصريين كتاب يود كوكتو أن يفرغ منه فى الشهور المقبلة، كتاب يقبس أسلوبه السحر من وحى النخيل الباسق على ضفاف النيل! بعد هذا يقول كوكتو إنه زار دار الآثار العربية ورأى فيها أشياء عظيمة رائعة، ولكن طريقة عرضها خاطئة ... إنها مكدسة كما لو كانت فى مخزن!

هذه الآراء الناضجة يبديها فنان ناضج، يملك من رهافة الذوق وعمق الخبرة وطول المران ما يعينه على النظر الثاقب، والحكم الصائب، والتقدير الممتاز ... إن كل ما نطلبه من كتابنا القصصيين، ومخرجينا السينمائيين، والمشرفين على صناعة الفيلم المصرى، هو أن يتدبروا هذه الكلمات لأن الذى ينطق بها هو جان كوكتو لا الأستاذ يوسف وهبى! وما نطلبه من هؤلاء نطلبه من أولئك الذين يقومون بأمر دار الآثار العربية، وحسبهم أن الذى يوجههم إلى الأصول الفنية فى عرض تحفنا وآثارنا هو جان كوكتو أيضاً لا الدكتور زكى محمد حسن!

أما الشىء الذى نطلبه من الكاتب الفرنسى فهو أن يكون صادقاً فى إصغائه لكلمات أبى الهول، أميناً فى نقل حديثه ونجواه ... إن أبا الهول لا يمكن أن يتجنى على وطنه، لأنه عاصر تاريخه، وأشرف على حضارته، وبارك منذ خمسة آلاف عام مجده الخالد؛ إننا فى انتظار كتاب جان كوكتو لننظر فيما إذا كان قد استمع لكلمات محدثه أم انقاد لنزوات هواه!

جولة فى معرض الفن الإيطالى :

هذا المعرض الممتاز أقامته بسراى الخديو إسماعيل بشكنات قصر النيل جمعية محبى الفنون الجميلة بالقاهرة؛ بالاشتراك مع متحف بينالى بمدينة البندقية بإيطاليا ... ولقد ساهم فى إعداده كثير من المتاحف وقاعات العرض العامة بميلانو وفلورنسا والبندقية وبلزانس وتريستا، وأصحاب المجموعات الخاصة؛ أما المدارس الفنية التى يمثلها هذا العدد الكبير من اللوحات التصويرية الرائعة، فموزعة بين النيوكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية والذاتية والسريالية .

سأقدم إليك مما شاهدت بعض لوحات ممتازة إذ يضيق النطاق عن التحدث عن كثير ... اللوحة الأولى «أولاد الأمير والأميرة تروبتسكوى» للفنان الرومانتيكى الملهم دانيال رازونى . ستلمس

فى هذه اللوحة عبقرية التلوين والتظليل ... إن رانزونى ينقلك بظلاله وألوانه إلى آفاق واقتشى وموريللو وبوسان ، ولكنه يختلف عنهم فى ظاهرة الميل بفنه إلى الأجواء القاتمة المحجبة ، تلك الأجواء التى تخضع لأثر البيئة فى مزاج الفنان ... لقد كان رانزونى من أبناء مقاطعة يغلب فيهما الضباب على الإشراق ، ومن هنا انعكس الجو الذى عاش فيه بحسه على الفن الذى عاش بروحه ، وما الفن كما قلت غير مرة إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور !

أما اللوحة الثانية فهى « الحصان الميت » لأبرع فنانى إيطاليا فى القرن التاسع عشر جيوفانى فاتورى ... إن فاتورى لا يمكن أن يسمو بظلاله وألوانه إلى مقدرة رانزونى ، ولكنه يبزه ويتفوق عليه فى مجال الفن التعبيرى . إن مزية هذا الفنان تتركز فى ريشته التى تنقل إلى الورق أدق ما فى الحياة من لمحات ؛ نظرة واحدة إلى لوحته الفريدة تنبئك بأن هذا الرجل الواجم المطرق الملتاع ، لا يملك من دنياه غير هذا الحصان الملقى تحت قدميه ... هنا وجه معبر تطلق الريشة من قسماته أعمق معانى اليأس والألم والدموع ! هل تعرف دى لاكروا فى دقة تعبيره ؟ إن فاتورى يذكرك بهذا الفنان !

تعال بعد ذلك لنتأمل هذه اللوحة الثالثة « حنان الأم » .. إن مبدعها ترانكيلو كريمونا يمتاز بالجمع بين موهبتين : التلوين والتعبير . أما التلوين فطريقته فيه تختلف عن طريقة زملائه ، إن ألوانه على القرب متداخلة ، باهتة ، تمتزج فيها الأضواء بالظلال ولكنها على البعد شىء آخر ... إنها تبدو لعينيك متناسقة ، مشرقة ، متميزة ببراعة التصميم ! أما فى مجال التعبير فإن هذه اللوحة تذكرك بلوحة أخرى لرفائيل هى « العذراء والطفل » ... إن كريمونا يكاد يقترب من رفائيل فى تصويره لأسمى معانى الأمومة فى نظرات السيدة العذراء ، وفى تعبيره عن أرفع معانى البنوة فى نظرات السيد المسيح !

وقف طلايلاً أمام هذه اللوحة الرابعة ، إنها « المهجوم على عربة الحشائش » لحامل لواء المذهب الواقعى فى إيطاليا فيليبو باليتزى ... إن هذا الفنان يمتاز بالحساسية المرهفة ؛ الحساسية التى تطبع أعماله الفنية بطابع الحركة الجياشة المتدفقة . تمثل هذه اللوحة عدداً من المواعز يهجم فى نهم بالغ على عربة محملة بالحشائش ... أنعم النظر فى وثبات المواعز وفى تلك النشوة المنبعثة من عيونها وهى مقبلة فى ثورة الجوع على غذائها الحبيب ، لتلمس كيف يشيع باليتزى الحياة والحركة فى لوحته ، وكيف يغرقها فى جو من الواقعية التى تطبع الفن بطابعها القوى الصادق المتميز .. إن الحركة فى فن باليتزى تذكرنى بتمثيلها فى فن رمبرانت !

بقى أن أشير إلى لوحات أخرى تغرى بالتأمل وإطالة الوقوف وهى : « الراحة » لأنطونيو فونتانيزى ، « وموسيقى الشاة » للويجى نونو ، و « رجل يقرأ » لجينوبى أباتى ، و « الحظيرة » لباليتزى صاحب « عربة الحشائش » ، و « غروب الشمس فى سان مورو » لفونتانيزى أيضاً ... أما الحجرة التى تقع إلى اليمين وأنت تتخطى الباب الخارجى فلا تحاول أن تدلف إليها حتى لا يفسد ذوقك ، إنها حجرة السير ريابزم ! !

إيفات على قبر غاندى :

هل تعرف هذا الرجل العظيم هربرت إيفات ؟ إنه وزير خارجية أستراليا ، والرجل الذى هز أعماق الضمير الإنسانى حين وقف أكثر من مرة ليدافع عن حقوق الأمم الصغيرة أمام هيئة الأمم المتحدة! لقد شاهدته منذ أيام فى إحدى الصحف اليومية وهو يحج إلى قبر الروح العظيم ؛ شاهدته يقف وقفة العابد المتبتل يضم يديه فى خشوع إلى صدره ، وكأن القبر الذى أمامه قد استحال إلى محراب ! ولقد خيل إلى فى وقفته تلك أن عينيه تسران إلى القبر حديثاً فيه رؤى ما كان أروعها وأطياف ... إن هربرت إيفات كان يتحدث فى لغة الصمت إلى الرجل الذى وهب قلبه للانسانية وضحى بحياته من أجل السلام . ترى ما ذا كان يقول له وهو فى رحاب الأبد وفى ضيافة السماء ؟ وأية كلمات تلك التى انطلقت من نظراته الحالمة لترطب الثرى المعطر برفات رجل السلام والوئام والمحبة ؟ ... لعله كان حديثاً عن الإنسانية التى مات ذبها الضمير يوم أن امتدت إلى غاندى يد لطخها العار فأطفأت الشعلة وعصفت بالضياء ، وأى ضياء هذا الذى خبا يوم أن قضى الروح العظيم والقلب الكبير ، وترك الحياة من حوله تنتفض تحت قبضة الظلام ؟ ... ما كفرت بالضمير الإنسانى إلا بعد أن قتل غاندى ، وما كفرت بالضمير الإنسانى إلا بعد أن وقف إيفات ليدافع عن حقوق الضعفاء فضاع صوت الحق وسط ضجيج الباطل وخفت صداه ... ترى أكان إيفات يتحدث إلى غاندى عن خيبة الأمل وضيعة الرجاء ، أم كان يسأله الرأى ويستمد من روحه العون ويقضى حقوق الوفاء ؟!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

شعر المناسبات :

قلت فى العدد الأسبق من « الرسالة » بصدد الكلام على قصيدة « موكب الأبطال » للأستاذ على محمود طه : « وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر وجاءت قصيدته عملا ممتازاً ينبغي أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون الهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة ... » الخ

قال لى صديق من الشعراء ، وقد قرأ ذلك : أتدعو إلى شعر المناسبات ؟

شعر المناسبات ؟ تلك كانت قضية أثارها بعض الكاتبين منذ زمن ، فأزروا بمن يحملون أنفسهم على القول فيما لا يشعرون به بدافع المجاملة أو الملق أو حب الظهور أو غير ذلك من دوافع النظم الذى يخلو من حرارة التعبير الصادق .

ولكن قل لى بالله أيها الصديق : إذا جاءت مناسبة قومية أو اجتماعية فخالجت نفس الشاعر أو هزت مشاعره واستجابت لها شاعريته ، أنقول له : امسك عليك لسانك فهذا شعر مناسبات؟

المسألة ليست شعر مناسبات وغير مناسبات إنما هى شعر صادق وشعر متكلف ، وكما يكون كل منهما فى شعر المناسبات يكون فى غيرها ، فكم من شاعر يتملح بالوجد والحب والهيام وهو لا يعرفها غير ألفاظ !

حقاً إن كثيرين من المتهافتين على مائدة الشعر يكثرون من التزييف فى المناسبات ، ولكن الصيرفى الحاذق يميز الصحيح من الزائف ، فلا يرفض النقود كلها لأن هناك مزيفين كثيرين .

فلم محمد على الكبير :

درست وزارة الشؤون الاجتماعية موضوع إخراج فلم عن حياة محمد على باشا الكبير يصور مختلف مراحل حياته وأعماله العظيمة وفتوحاته المجيدة ، ليكون ضمن مظاهر الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على وفاته . ويرجى أن يكون هذا الفلم دعاية لمصر لما سيعرضه من روائع تاريخها فى تلك الفترة التى وضع فيها أساس مصر الحديثة ، إلى أنه عمل فنى يعتبر الأول من نوعه فى مصر التى لو سئلت الآن عن إنتاجها من الأفلام الثقافية لصمتت صمتاً يخرجها منه فلم محمد على المنتظر .

وقد أرسل معالى وزير الشؤون إلى دولة رئيس الوزراء مذكرة بنتيجة دراسة هذا الموضوع ، وهى تتلخص فى أن اللجنة المؤلفة لإعداد المشروع قد انتهت من وضع مشروع القصة وقدرت نفقات إنجاز الفيلم باللغات العربية والفرنسية والانجليزية بمبلغ ٨٠٠٠٠ جنيه وقد أبدت شركة مصر للتمثيل والسينما استعدادها لتنفيذ هذا المشروع ، على أن تعاونها الوزارات التى يحتاج الفلم إلى معاونتها فيه وأن تمنحها الحكومة إعانة مالية قدرها ٣٠٠٠٠ جنيه ، تردها إلى الحكومة إذا بلغ إيراد الفلم مقدار نفقاته .

هذا وقد كتبت بعض الصحف تشير بأن يستعان ببعض الأجانب فى تأليف قصة الفلم وكتابة (السناريو) . وهو رأى لا أراه على شيء من الصواب ، لأنه فلم قومى ولا بد أن يشتمل على نواح سياسية قد تصطدم برضاء بعض الدول الاستعمارية التى كانت تناوئ مصر وتعمل على إحباط مساعى محمد على ، كما حدث فى حرب المورة وإرسال الأساطيل إلى الاسكندرية .

فإذا قيل إن من نختارهم للعمل فى الفلم من الأجانب سيعملون تحت إشرافنا وإنهم لن يستطيعوا أن يشوهوا مفاخرنا ، أقول : كيف نحملهم على تزويد الفلم بالحرارة القومية التى لا يشعر بها إلا المصريون ؟

إن إعداد الفلم وإخراجه بأيد مصرية يكسبه الحياة ويلبسه الروح الوطنى المنشود ولو جاء غير مستكمل لأسباب الكمال الفنى ثم هى فرصة طيبة لتجربة الجهود المصرية وتدريبها فى هذا المجال .

بيان وتعقيب :

التقيت بالأستاذ عبد الرحمن الخميسى على أثر ما كتبته(١)

---

(١) العدد ٨٢١ من « الرسالة »

عن قطعتين له هما «فليا يافليا» و «حلم الزواج الساحر» وكان قد اتصل بي بالتليفون قبل اللقاء كما ذكرت في الأسبوع الماضي وتحدثنا في الموضوع فأفضى إلى بوجهة نظره فيه ، وهي تتلخص في أن تينك القطعتين من «أوبريت الأرملة الطروب» التي قصد بترجمتها إلى العربية نقل فن من الموسيقى الغربية إلى الأسماع الشرقية لتتعود هذا النغم ، عسى أن يؤدي ذلك إلى ترقية الموسيقى العربية ، وأنه حين ترجم القطعتين كان في جوتلك الموسيقى العالمية ، فكان يساير نغماتها ، وينظم مقاطع موافقة لها وإن كانت مخالفة للأوزان العربية ، إذ كان غرضه أن يحافظ على النغم ويؤلف مقاطع للغناء لا شعراً للقراءة . وقال الأستاذ : إنه لا يعرف من أين جاءت كلمة (الواج) التي لا معنى لها في قوله :

لو أنني في الواج
أغلقت قلبي بالرتاج

ولا يذكر لها أصلا . أما (لو) في قوله :

أواه لو تكن مني
حبيبتي ضياء عيني

فأصلها (إن) وقد حرفت في الطبع وأنا لا أوافق الأستاذ الخميسي على ما ذهب إليه في

كشكول الأسبوع

□ أشرنا فيما مضى إلى اتجاه في مجمع اللغة نحو إرجاء الانتخاب لملء الكرسي الخالي من قبل حتى ينتهي الترشيح للكرسي الذي خلا بوفاة الجارم . وقد استقر الرأي على ذلك ، وتنتهي مدة الترشيح للثاني في الأسبوع القادم ، ثم تحدد جلسة لانتخاب العضوين . وقد توفي في هذا الأسبوع الدكتور محمد شرف بك عضو المجمع .

□ رأت الفرقة المصرية أن مسرحية « الماس » التي كتبها لها الأستاذ توفيق الحكيم ، تحتاج إلى تعديل في نقطتين ، الأولى تتعلق بالنقد الاجتماعي ، والثانية ارتفاع المستوى الفكري في بعض أجزاء الرواية عن مستوى الجمهور . وقد قبل الأستاذ الحكيم أن يخفف من نقد الطبقة الأرستقراطية ولكنه متوقف في النزول إلى مستوى الجمهور .

□ تلقى الدكتور طه حسين بك دعوة من جامعة لندن لإلقاء سلسلة من المحاضرات فيها أثناء شهر مايو القادم .

□ نشرت « المصري » يوم الثلاثاء الماضي ما يلي : « وزع حضرة الأستاذ توفيق مفرج والسيدة المحترمة مدامه الدعوة لحفلة عشاء الخ » وكلمة (مدامه) خطأ في لغة (الخواجات) وصحتها (المدام بتاعه ...) .

□ كانت إحدى المذيعات تذيع نشرة الأخبار الثانية يوم الاثنين في الأسبوع الماضي ، فقرأت البلاغ الرسمي الصادر في زواج سمو الأميرة فوزية هكذا : « تم اليوم بقصر القبة العامر عقد جواز ... الخ » وقد نشر البلاغ بالصحف والكلمة فيه « زواج » لا (جواز) فأين كان عقل المذيعة ..؟

□ كتبت الحكومة الإسبانية إلى وزارة المعارف تقول إنها قررت تدريس اللغة العربية والفن العربي في جامعاتها ، وتبدي استعدادها لقبول بعثة من الطلبة المصريين على نفقتها ، لدراسة أصول الحضارة العربية في الأندلس . هذا وقد نشرت « أخبار اليوم » خطاباً يقول صاحبه فيه إن مصر تقبل الطلبة من أبناء البلاد العربية في معاهدها وتعلمهم على حساب دافع الضرائب المصري ... ويدعو إلى منع ذلك ! فليت شعري ماذا تقول إسبانيا — جريا على هذا المنطق العجيب — إذا قبلت حكومتها طلبة مصريين ؟

□ صدر أخيراً كتاب « ڤولتير » للكاتب الفرنسي أندريه موروا ، وقد عربه الأستاذ عبد الحميد الدواخلي المحرر الأول بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فأخرجه في أسلوب عربي جميل .

□ تلقت وزارة الخارجية من اتحاد البريد العالمي أنه قرر اعتبار اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية له ، وقد صدرت مجلة الاتحاد باللغة العربية إلى جانب اللغات الأخرى .

□ قررت حكومة الباكستان جعل العربية لغة رسمية في بلادها ، وهي بسبيل وضع الخطة واختيار الكتب لتعليمها ونشرها بين الباكستانيين .

إخضاع تأليف الأغنية للنغمات الغربية ، وللأستاذ مذهبه وذوقه في الموسيقى الغربية ، أما ذوقنا في موسيقى الشعر وغنائه فهو منطبع على الأوزان العربية ، ولست ممن يستسيغون ذلك الذي يسميه النغم العالمي ، ثم هل يصح أن نؤلف كلاماً غير مفهوم لينسجم مع لحن ما ؟ إننا إذن نحتاج إلى إعادة النظر في أن « كلامنا لفظ مفيد كاستقم » لنرى هل نستثني بعض الأغنيات لغرض موسيقي ، من كلامنا المفيد ...

استقلال مجلس الإذاعة :

يتضمن قانون الإذاعة الجديد الذي تبحثه الجهات المختصة أن تمنح الإذاعة استقلالا ذاتياً فيما يتصل بالأعمال الفنية . ولكنها تخضع في ميزانيتها العامة لوزارة الشؤون الاجتماعية وألا يكون مدير الإذاعة عضواً في مجلس إدارة الإذاعة وله أن يحضر جلساته بصفة مستمع فحسب ، وكذلك المستشار .

وقد كان ذلك القانون مثار جدل وأخذ ورد بين إدارة الإذاعة وبين الجهات التشريعية في الحكومة ، وكانت الإذاعة حريصة على المطالبة باستقلالها لتكون بعيدة عن التيارات الحزبية السياسية ، وقد نالت

هذا الاستقلال فى الجانب الفنى من أعمالها . ولكن هناك استقلالا أهم من ذلك وأبعد أثراً فى تنظيم هذه الناحية الفنية وهو استقلال مجلس إدارة الإذاعة عن موظفيها من المدير والمستشار والمراقب وغيرهم

نرى مجلس الإذاعة يجتمع وينفض ، وتنشر الصحف ومجلة الإذاعة أنباء اجتماعه والموضوعات التى نظر فيها والقرارات التى اتخذها ، فإذا هى لا تكاد تخرج عن علاوات الموظفين وترقياتهم وتحديد أجور الفنانين ومبنى الإذاعة الجديد . وكأنها صيغة ممدة أو قطعة محفوظة أو « شريط مسجل » يذاع على أثر كل اجتماع وكأن هذه البرامج التى أجمع الناس على سخفها ليست من اختصاص مجلس الإذاعة .

والواقع أن موظفى الإذاعة « الفنيين » يقدمون من يشاءون ويؤخرون من يشاءون ، ويتملقون الكبير ويخطبون ود النافع حتى أصبحت الأمور فى الإذاعة تجرى وفق الاعتبارات الشخصية أكثر من الاعتبارات المصلحية . وترفع الأوراق إلى مجلس الإذاعة للموافقة ، فيوقع الأعضاء بالموافقة ، ثم ينظرون فى علاوات الموظفين ومبنى الإذاعة الجديد .. الخ

وقد تضمن القانون الجديد أيضاً أن يؤلف مجلس الإذاعة من أحد عشر عضواً ، ستة من الوزارات وثيقة الاتصال بأعمال الإذاعة ، وخمسة من كبار المشتغلين بالأدب والثقافة . وحسن جداً ألا يكون المدير أو المستشار عضواً فى هذا المجلس كما ينص القانون الجديد ليتم للمجلس استقلاله ، فيبحث كل شىء ، ويناقش كل ما يجرى ، وليضع خطة وهدفاً يشرف على تنفيذهما بحيث لا يحيد عنهما أحد .

وكما تحرص الإذاعة على استقلالها لتكون بمنأى عن الحزبية السياسية ، فإن مجلس الإذاعة يجب أن يكون مستقلا عن الموظفين ليكون هو أيضاً بمنأى عن حزبيات موظفى الإذاعة واعتباراتهم الشخصية .

من طرف الأسبوع :

زرت الصديق الكبير الدكتور إبراهيم ناجى فى مكتبه بمستشفى الخازندارة ، والدكتور الأديب هو مدير المستشفى ، فبادرنى قائلا : اسمع لما أقول لك . ليس هنا أدب ، ولا فن . هنا طب وأطباء فقط . ثم أخذنا فى حديث الأدب والشعر ! ولم أخرج من عنده حتى اتفقنا على تعريف الأدب (بلغة الطب) بأنه داء لا برء منه .

ومما أطرفنى به الدكتور أبيات قالها لصديقه الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير التموين عند ما ذهب إلى معاليه فى الوزارة ولقى هناك ما لقى من السكرتير ، فكتب الأبيات وطلب من السكرتير أن يوصلها إلى معالى الوزير ، وانصرف . والأبيات هى :

لم أنس فى باب الوزير الذى ... لقيت من ركن ومن لطع
وعسكرى قائم دونه ... كالسيف فى طول وفى قطع
وللأفندى نفخة مرة ... ذممتها ما شاء لى وسعى
وكيف أنسى مرة موقفى ... عندك بين السيف والنطع

ومن طرف الأسبوع أيضاً أن الآنسة أمانى فريد قدمت قصيدة إلى جامعة أدباء العروبة لتلقيها فى الحفل الذى أقامته الجامعة للاحتفاء بأبطال الفالوجة ، وأول القصيدة :

أأبصرتمو العاصف الرعدا ... أأبصرتمو الضيغم الأسودا

ولما عرضت القصيدة على معالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا ، واطلع عليها ، وردت على خاطره قصيدة الأستاذ على محمود طه التى أولها :

أخى جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدا

فقال معاليه : إما أن يأتى الأستاذ على طه فيلقى بنفسه وإما لا !

عباس خضر



حول نيتشة وفجنر :

يقول الأستاذ محمد فهمي في الرد على الأستاذ أنور المداوى :

« أما سبب ذلك الانقلاب — أى انقلاب نيتشة على فجنر — من النقيض إلى النقيض للفيلسوف على صديقه الموسيقار فيمزوه المثقفون أو بمضهم على الأقل إلى علاقة غرامية أحس بها الفيلسوف نحو زوجة صديقه الفنان » ولا يمكن أن يكون في هذه الأسباب الصغيرة مرّ تحول رأى نيتشة في الفنان الكبير ؛ وإن نيتشة يعتبر في تاريخ الفلسفة الواحد الفرد الصارم العميق والذاهب إلى الحقيقة كيفما كان ثمنها ، والذى ظل يحارب المرض والجنون والفقر سعياً وراء الحقيقة حتى دفع ثمنها آخر قبس من نور عقله العظيم .

والأستاذ « محمد فهمي » لم يصور لنا بأسلوب علمى صريح معنى فكرته ؛ فأى شئ يمثله لنا تأثر نيتشة بفجنر ؟ هل يعنى بهذا أن فجنر تسلط على نيتشة بعصاه السحرية حتى شكله تشكيلاً موضوعياً ؟ ومعنى هذا أن فجنر شكل أسلوب تفكير نيتشة ولون ميوله الفنية والفلسفية ووجهة نظره نحو الناس والأشياء وأوضاع الكون حتى نراه قد حارب في الميدان الفكرى الذى حارب فيه فجنر ومن أجل فكرة فجنر !

هذه الصورة من التأثر هي التى تشغل مكانها في أحكام النقد الفلسفى . فنحن نقول مثلاً : إن « إنجلز » تأثر « بماركس » لأنهما حاربا من أجل فكرة واحدة وغاية واحدة في الحياة ، وهذا هو الذى لم يحدث بالنسبة لنيتشة وفجنر ، فإن نيتشة قد تأثر بفجنر كصديق وتأثر بشوبنهور كأستاذ ، وكانت سنه في ذلك الحين قرابة الخامسة والعشرين ، وكانت هذه المرحلة بالنسبة لنيتشة مرحلة تحصيل واستيعاب : مرحلة هام فيها الفيلسوف الشاب وراء الحقيقة تساوره الوساوس والشكوك في قيمة الوجود ومعنى الحياة ، وأخيراً وجدها نيتشة قائمة في نفسه ، وإذ ذاك وصل إلى نقطة الارتكاز فثار بعقله الجبار على كل الأصنام ، ودعا إلى تحطيم ألواح الوصايا والآراء الفلسفية الداعية إلى الحياة السلبية ، وقد أيقن في قرارة وجوده الفلسفى أن الإنسان العظيم هو الذى يبدع القيم والاعتبارات ويخلع على الحياة لون تفكيره .

وعندما وصل نيتشة إلى المرحلة الإيجابية من حياته تنكر للصديق والأستاذ تنكراً شريفاً من أجل رسالته الفلسفية ، فاحتفظ بحبهما ولكنه حاربهما في أقدس ما آمنا به من آراء ومعتقدات في قيمة الفن ومعنى الحياة .

ولذلك تعتبر خصومة نيتشة لشوبنهور وفجنر مفتاح شخصيته الحقيقية ؛ إذ هي المرحلة التى ابتدأ بعدها يخاطب الحياة كفيلسوف لأن هذه الخصومة كانت الأساس الذى بنى عليه أخطر آرائه في القيم والأوضاع والفن . وقد اعتبر نيتشة أن مرحلة الإخلاص للأستاذ وللصديق كانت فترة نوم عميق وتخدير لرغبات الحياة فبدا كالهادم العابث الذى زال من صدره عامل الرحمة والإشفاق حين راح يحطم أسوار الشرائع وأبراج الأخلاق .

يقول نيتشة : « يجب على طالب الحقيقة ألا يحفل بما تجنيه عليه جهوده من انتصار أو اندحار فهذا من شأن الحقيقة ، إذ عليه أن يكون خصماً قاسياً لما آمن به من آراء وحقائق ؛ فإذا صادفه من الآراء ما يناقض الحقائق التى قال بها فعليه أن يأخذ بها دون تردد » — وهكذا كان شأن نيتشة في كل شئ فهو مخلص للحقيقة حتى ولو كانت ضد آرائه التى قال بها .

يقول نيتشة عن صداقته لفجنر وعن اتجاهه الفلسفى : « كنا صديقين غريبين ... كلاهما له غايته وله سبيله ... قد نتلاقى ونرفع أعلام اللقاء كما فعلنا ... ولكن الضرورة التى لا تدفع قد تقذف بمركبينا قذفة جديدة نحو بحار مختلفة وأنواء متباينة . قد نتراءى ولكن لا نتلاقى ... كم لوحتنا الشمس والأمواج !! نظل غريبين لأن الشريعة الغالبة تريد ذلك ، ولكن صداقتنا تبقى شيئاً قدسياً ... وهكذا نريد أن نؤمن بصداقتنا في النجوم ؛ حتى في العهد الذى يجب أن نكون فيه خصمين على الأرض » .

إن هذا وحده يكفى للاستدلال على أن نيتشة يحترم عزيز الذكريات في نفسه لصداقته للفنان ؛ ويجحد بعنف رسالة فجنر الفنية لأنها لا تمثل حقيقة الحياة ، وفى ذلك اعتراف ضمنى على أنه لم يأخذ من فجنر شيئاً ولم يتأثر به . وقد رأينا فيما مر بنا من الأدلة شيئاً من الجزم والوضوح يكفى لهدم ما يدعيه الأستاذ « الخميسى » من أنه « فتق أكمام عبقرية نيتشة » :

فما كان لهذا المفكر الجبار أن يتأثر أو يستمد وجوده الفلسفى من أى إنسان مهما تكن مكانته في الحياة الفنية ؛ وهو

الذى قال فى « زرادشت » لرفاقه وأنصاره : « ماذا يهم (زارا) من جميع المؤمنين به ؛ إذ عليكم أن تجحدونى لتجدوا أنفسكم ».

ابراهيم السيد السروجى

هل من المستحسن استعمال الحروف المنفصلة كتابة وطباعة ؟

إن الكتابة بالأحرف منفصلة لا تكون أمراً محدثاً أو شيئاً جديداً فيما إذا جرى عليها الخط العربى ؛ إذ لو نظر القارئ الكريم إلى تاريخ الأبجدية العربية لعلم أن هذه الطريقة قد سار عليها الخط العربى فى أول نشأته سواء فى بلاد اليمن ذات الحضارة القديمة أو فى عهد مملكتى : لخم وغسان . كما أنه سارت عليها جل الأبجديات السامية كالفينيقية والآرمية والمسند والسريانية والعبرية والتدمرية وغيرها . ولا زالت بعض هذه الخطوط مستعملة إلى وقتنا الحاضر وعلى نفس الطريقة المذكورة كالأمهرية فى الحبشة وغيرها .

وأنا لا أرمى بقولى هذا إلى نبذ الطريقة المعتادة (المتصلة الحروف) كلا . . بل مرماي الوحيد استعمال كلتا الطريقتين معاً على حسب ما يقتضيه المقام والذوق والفن .

إن فى استعمال الطريقة المشار إليها قد لا تخلو من أمور لها أثرها الحسن بل ربما كانت خطوة طيبة فى مضمار الخط العربى ومجاراة للتجدد النافع . ومن الأوفق الآن أن أعرض على القارئ الكريم بعض النقط التى قد نستفيدها فيما إذا اتبعت هذه الطريقة فى بعض الحالات فأقول :

أولا : يسهل بهذه الطريقة تعليم الأبجدية العربية قراءة وكتابة ، وذلك لعدم لزوم تنويع الحرف كتابة فى أول الأمر

ثانياً : سهولة التصفيف بها فى الطباعة مع اقتصاد الوقت والعمل .

ثالثاً : سهولة ضبط الكلمات المطبوعة بها .

رابعاً : بساطة تجسيمها للأطفال (بالورق المقوى) ونحوه مع الحركات وقدرتهم بعد ذلك على تركيب مختلف الكلمات وقراءتها .

خامساً : وضوح الكلمات المكتوبة أو المطبوعة بها ، وذلك لبروز وضعها وظهور شكلها ولو مع صغر حجمها

سادساً : السلامة من الالتباس والغموض والتعقيد فى الكلمات المرسومة بها . والتى طالما تعترى بعض الكلمات فى الطريقة المعتادة لاندماج حروف هذه الكلمات وتركيبها مع عدم ظهور شكلها ولاسيما فى الكتابة الخطية

سابعاً : عدم إيجاد أى صعوبة فى تطبيق هذه الطريقة ، إذ لا يعزب عن القارئ الكريم أنه ما فتئت هذه الطريقة متبعة فى بعض الكلمات فى الطريقة الحالية ، وذلك فيما إذا كانت الكلمة مركبة من بعض الحروف الستة الآتية : ا و د ذ ر ز ، أو مع حرف متطرف كما فى الكلمات : رزق زرع أدب ، روض ، دروس ، إدراك الخ . وهذا مما يجعل تطبيق هذه الطريقة طبيعياً

وقد رأيت من الجميل أن ألفت القارئ إلى أهم الحالات أو المواطن التى يجب أن تتبع فيها الطريقة المذكورة إتماماً للفائدة

١ — كتابة عناوين الكتب والنشرات والمواضيع إذا أريد بروزها

٢ — فى رسم أسماء الأعلام المختلفة والكلمات المتشابهة كتابة والمتباينة نطقاً كما فى كلمات الدَّرَّة والدِّرَّة والدُّرَّة والذُّرة والحِلْم والحُلُم وغيرها ، والمراد وضوح شكلها وضبطها

٣ — فى كتابة جذور مواد المعاجم ومشتقاتها لإبراز وضعها بالنسبة لشرح المادة ولتنسيق ضبطها بالحركات والسكون .

٤ — فى كتابة أنواع اللوائح (اللافتات) ونحوها .

٥ — فى كتابة أو طبع مختلف الإعلانات أو بعض فقراتها طلباً لما يقتضيه الذوق أو الحاجة .

٦ — فى كتابة الأسماء والعناوين الشخصية إذا لزم توضيحها .

٧ — فى سبك الأختام وما شابهها .

٨ — فى كتابة أو طبع الفقرة أو الفقرات المراد إبرازها للقارئ فى صفحات الكتب أو أعمدة الجرائد والرسائل ونحوها .

هذا ما رأيت إثباته على صفحات « الرسالة » الغراء إذ ربما يكون فى الأمر ما يلفت القارئ الكريم ، آملا أن يجد فيه ذوو الشأن وأرباب المطابع مايرتاح له ذوقهم ويلائم الواقع والله وحده ولى التوفيق .

(طرابلس الغرب)

عيسى سالم الأسود



الشـــروق

ديوان شعر للأستاذ حسن كامل الصيرفي

بقلم الأستاذ مختار الوكيل

علم الله كم فرحت وسعدت حينما أهدى إلىّ صديقى الكبير الأستاذ حسن كامل الصيرفى ديوانه الجديد الأنيق « الشروق » . فرحت لأنه أعاد إلى ذاكرتى تلك الحقبة الطيبة المباركة من مطالع الشباب الغرير الطافر ، التى تعارفنا خلالها وتعاونا فى ظلال تلك الدوحة الأدبية الفنية الوارفة الظلال « أبولو » التى رعت النهضة الشعرية فى هـذه البلاد وفى سائر بلاد العروبة ، وأحدثت — بفضل نشاط باعثها الدكتور أبى شادى نزيل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم — نهضة وثابة جريئة فى دنيا الشعر والأدب ؛ فعليها وعلى باعثها وروائدها الأول ألف تحية وسلام !!.. وسعدت لأن الشعر الأصيل الحى لا يزال ، فى هذه الآونة التى طغت المادية فيها على كل شىء عداها ، يجد التأييد والمؤازرة الصادقة من الناشرين المخلصين الذين يأبون إلا أن يطلعوا القارئين على روائع الإنتاج الأدبى ، فيسوقون إليهم هـذا الشراب الخالد من نبع الشعر الكريم ليكرعوا منه فتطهر نفوسهم ويذهب عنها ما يرين عليها من صدأ المادية الصماء !! ..

***

عرفت الصيرفى إذن منذ ستة عشر عاماً شاعراً متصوفاً يميل إلى الرمزية ويجنح إلى الإغراق فى التأمل ، لا ينظر إلى ظواهر الأشـياء والمرئيات وإنما يتعمقها ويغوص إلى باطنها باحثاً عن صميمها وجوهرها ، ويعانى التجارب الشخصية ويكابدها ولـكنه لا يتحدث عنها ، إذ ينظم ، حديثاً شخصياً وإنما يصوغها مبلورة فى تجارب عامة مما يعانيه جمهرة الناس فى كل مـكان وزمان .

أجل ، وعرفت الصيرفى فى ذلك الحين شاعراً رشيق اللفظ موسيقى الجرس ، يحسن بموسيقاه الطلية المنغومة التعبير عن نفسه الصافية وروحه النقيه الشفافة ، كما عرفته شاعراً صادقاً لا يتعب الناقد فى التعرف على شخصيته مما ينظم !

وبينما كان معظم الشعراء أو الذين عرفوا بأنهم شعراء ينظمون فى المناسبات التافهة ويمدحون ويتهالـكون على الملق والرياء ، ويرثون ويمعنون فى تكلف البـكاء ، كان حسن كامل الصيرفى من القلة الثائرين على تلك الأوضاع المتـكلفة المقيتة ، الذين يؤثرون النظم عندما تتحرك عواطفهم وتجيش نفوسهم وتستعد لاســتقبال « الوحى » الفنى ، ولو كان ما ينظمونه فى قطعة بكماء أو صخرة جرداء !! .. وعرفت الصيرفى فى طليعة المعنيين بمتابعة الحركة الشعرية فى مختلف الأقطار العربية ، بل وفى بلاد المهجر ، فـكان يواصل الـكتابة ناقداً ومقدماً ومعقباً على النتاج الشعرى والأدبى والفنى فى بلاد المهجر وبلاد العروبة على اختلافها ، وتولى فى غير مَنٍّ تعريف الأدباء المصريين بوصفائهم فى المهاجر الأمريكية وفى الأقطار العربية الأخرى ، فى زمن قلت فيه الصلات والروابط فيما بينها . ولعل شاعرنا قد شغف حباً بأدب المهجر ، ولعل نفسه انجذبت إلى تلك الينابيع المتحررة فى المهاجر فتاقت إلى انعتاق فنى مماثل .. !! ومن هنا تلاقت روحه بأرواح أولئك المجددين عبر الأطلنطى ، وامتزجت بها فى انسجام رائع أنتج لنا تلك الأشعار « الصيرفية » التأملية الصوفية ذات الموسيقى المنغومة والألفاظ الرقيقة الوضيئة !! ..

***

ذلك هو الصيرفى الشـاعر كما عرفته منذ ستة عشر عاماً ، وازدادت معرفتى به توثقاً بما كان ينظم وينشر من دواوين حافلة ، إلى أن تفضل فأسعدنى بديوانه الجديد « الشروق » . فهل تغير الصيرفى أو حاد عن الاتجاهات التى جملها قبلته ، أو آمن بشعر المناسـبات ، أو عزف على أوتار أخرى كانت غريبة عنه فى ذلك الشباب الباكر ؟ أشهد لقد طالعت ديوان الصيرفى الجديد فمثلت حيالى فى كل قصيدة ، بل وفى كل بيت من قصيدة ، تلك العناصر التى امتاز بها شعره الباكر ، وإن كانت الأيام والتجارب قد مكنت لتلك العناصر وأبرزتها فى أقوى صورة وأنصع ديباجة ؛

دافع الشاعر فى قصيدته الأولى عن الشعر ووجه الخطاب فيها « إلى أولئك الذين يقولون إن الشعر لم يعد من مستلزمات هذا العصر » ، ولقد ذكرت ، وأنا أطالع هذه القصيدة الرائعة ، دفاع الشاعر الإنجليزى ب . پ شيللى عن الشعر ، وأشهد أن قصيدة الصيرفى هذه قد هزتنى وحركت شجونى ؛ وأعتقد أنها قصيدة بارعة رائعة ، ولقد أعجبت غاية الإعجاب بقوله :

فيوم نُفارق الدنيا وتلك قصيدة الله
سنغرق فى صداه المذْبِ بين ضيائه الزاهى

وهنا يلخص الشاعر الكون كله ويختصره ويعتبر نهايته « القصيدة الكبرى » قصيدة الشاعر الأكبر المعجز !

ولعل قصيدة « الحرمان » التى أهداها الشاعر إلى صديقه الدكتور أبى شادى ، الذى ناضل وجاهد ، وأحس بمرارة الحرمان ؛ هى من خير قصائد الديوان ، بل لعلها من أقوى القصائد التى تصور الحرمان فى الشعر العربى الحديث . اسمعه يقول :

أعبد الحسن زها فى كوكب
أجتليه صامتاً لم أعرب
وهو لم يشعر بإحساسى وبى . . . !
خاطر من حسنه فى موكب
مشرق من نوره المنسكب
فائض الكأس شهى المشرب . . !

ولا أستطيع التعليق على هذه اللوحة الفنية البارعة ، لأن كل محاولة تبذل فى هذا السبيل إنما تشوه من جمالها وتخدش من ملاحتها ، واستمع إليه حيث يقول :

كلما جئتُ بمعنىً مُعْرب
عن هوى قلب ولوع متعب
فرّتْ الألفاظُ حيرى تختبى
فهى كالشمعة فى عين الأبى
وهى كالفكرة فى ذهن الصبى . . !
وهى كالفتنة فى قلب النبى . . !

والواقع أن الشاعر الذى تفر منه « الألفاظ » وهو يبحث عنها جاهداً ساعة الاحتشاد للنظم هو وحده الذى يستطيع أن يدرك جمال الحيرة وجلال اللوعة الممثلتين فى هذه الأبيات المعربة غاية الإعراب عن القلق والحرمان

أما أغنية « القبلة » فهى من أرق المقطوعات الغنائية التى طالعتها أخيراً ، وهى جديرة بأن تلحن وتغنى فتطعم أغانينا بطراز راق من الفكر الممتاز والمعنى المستطاب ، ويا حبذا قوله منها :

أغرودة فى السكون يطوى بريق العيون
فيها ، فتور الجفونْ
لو ردّدتها الشفاهْ
فى لثمها . بادلينى !

* * *

والصيرفى فى قصيدته « اجمليني حلماً » شاعر متصوف حالم رقيق اللفظ نقىّ الصور ، ويا ما أبرعه حيث يقول :

اجمليني حلماً يطوف ويسرى من قلوب الورى إلى شفتيك
اجمليني حلماً لذيذاً شهياً مثلما يحلم الفقير بملك
اجمليني حلماً كما أنت حلمى فأريك الحياة من غير إفك
بلبلات الجميل تنقل عنى شعر قلب نقلته أنا عنك

كذلك يبلغ الصيرفى المدى فى الإجادة فى قصيدته « الأفق » حيث يقول :

أنت كالأفق إذا حاولت أن أبلغ الغاية منه بعدا
تعبت عيناى فى إدراكه وشكت رجلاى فيه الجددا
أشهد الأسرار فيه تختفى كالأغانى فى تضاعيف الصدى
فإذا حاولت أن أكشفها صرت سراً طيها قد خلدا
ليتنى أفق ! فلا أتعب من يرتجى الأفق وقربت المدى !!

كذلك يبلغ الصيرفى أقصى غايات الإبداع فى قصائده العاطفية الصادقة « تهدانى » و « القائد المدحور » و « وحدة العمر » ، وهذه الأخيرة مقطوعة من الشعر التجريبى المشوب بالفلسفة الهادئة الرزينة ، على الرغم مما تنطوى عليه من مرارة وسخرية كما فى قوله :

تعال فربما جاوزت دارى
فتجزبنى الحياة إلى قرارى
فأمشى بين أضواء النهار
إلى ليلى ويهزأ بى انتظارى !!

وشد ما أعجبت « بنشيد الثورة » الذى نظمه الشاعر فى

نوفبر عام ١٩٣٥ وكم يكون رائعاً ومفيداً لو وجد هذا النشيد عناية من ملحنى العصر البارزين ، ولا أحب أن أقبس منه هنا ، فيحسن الرجوع إليه جملة فى الديوان ، لأن النقل منه يشوه جماله.

ولقد لاحظت فى شعر « الشروق » ظاهرة « جديدة » هى ميل الشاعر إلى الإكثار من الحديث عن « الصمت » و « السكون » ففى قصيدة « إلى المعبد » يقول :

«والصمت» يغمره ويفنى ذاته ولقد يكون «الصمت» خير تعبد

ويقول فى القصيدة نفسها :

طال الوقوف به فأعيا «صمته» هل تنفع النجوى بباب موصد؟

ويقول فى قصيدة « ساعة اللقاء » :

ساكن الأرض « صامت » فى حنين
لنشـــيد مرجع من مماتك

وفى « خمرة الفن » يقول :

ما أعجب « الصمت » أحيانى وأنطقنى !
فهل يحرك هذا « الصمت » منشده ؟

وفى « تنهداتى » يقول :

قالت : علام تنهداتك فى « سكونك يا حبيبى ؟
هل أنت فى فردوس حبك حامل عبء الغريب ؟

وفى « ثورة الجدول » يقول :

« سكنت » إليه « سكون » المصلى
أمام جـــلالة محـــرابه
يعانق نور الجلال البعيد وينسى الرغائب فى بابه

وفى « موت فنان » يقول :

أأنت يا « صامتا » تؤوب أيامه المدى البعيـــد

ويقول :

هجرت ألحانك العذاب وعشت فى « صمتك » الحزين

ويقول :

« أصمتك » الموحش الكئيب يا هاتف الأمس سخريه
بعالم مغـــرم يذوب على ترانيم أغنيـــه ؟

ويقول :

قد خف فى « صمتك » المنون بروحك الحية الصدى !

إلى غير هذه الإشارات والتعبير والصور التى تنوه بالصمت وترسم السكون فى لوحات موحشة وأخرى ساخرة أو حزينة أو متفلسفة أو رمزية .

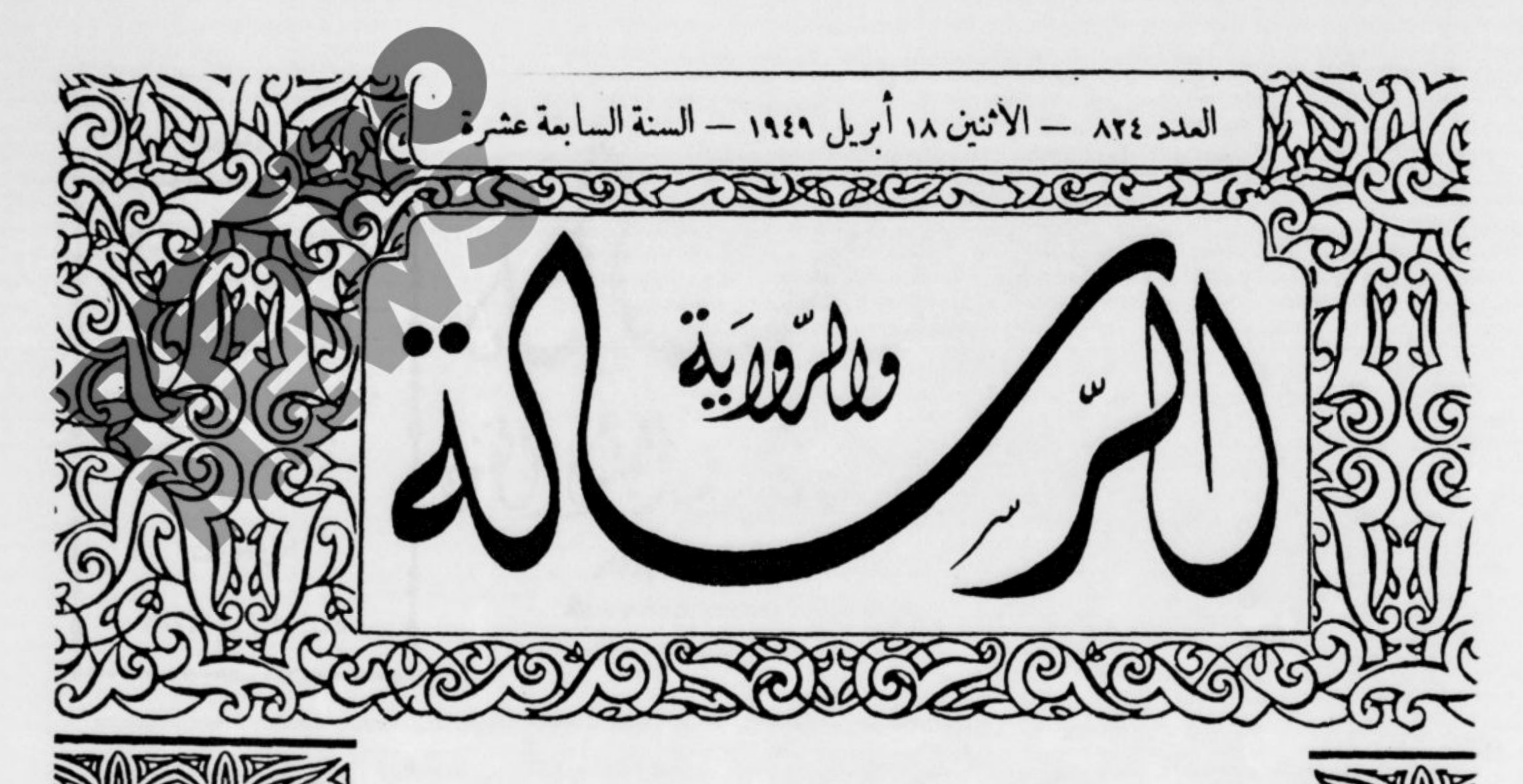
حقاً لقد سعدت بمطالعة ديوان الصير فى الجديد «الشروق» هذا الديوان الذى أضاف كثيراً إلى ثروة الشعر المصرى الأصيل المبتدع الذى نسعى جاهدين لكى يزداد ازدهاراً وإشراقاً ، حتى تكون له آخر المطاف على مدرسة الاتباعيين والتقليديين الذين يعيشون على المدائح والمراثى والمجاملات والمناسبات .

فهنيئاً لمدرسة الجديد بهذا الديوان الرشيق الذى سكب فيه شاعرنا الكبير روحه المتأملة ، وعاطفته الخالصة ، وموسيقاه الرقيقة ، وهنيئاً لشاعرنا بهذا الإنتاج القيم الذى نرجوه أن يتصل ويستمر لخير النهضة الشعرية .

مختار الوكيل



العدد ٨٢٤ — الأثنين ١٨ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

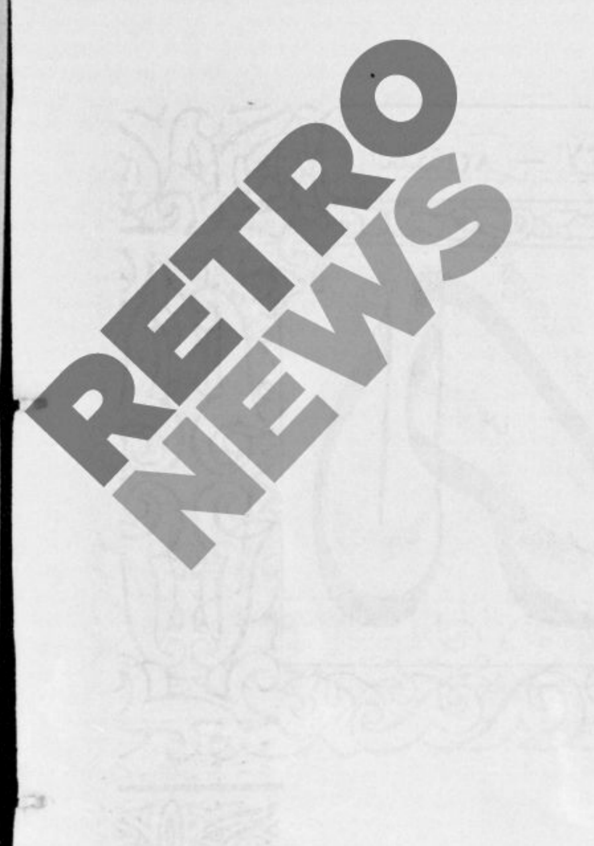


فهرس العدد

صفحة

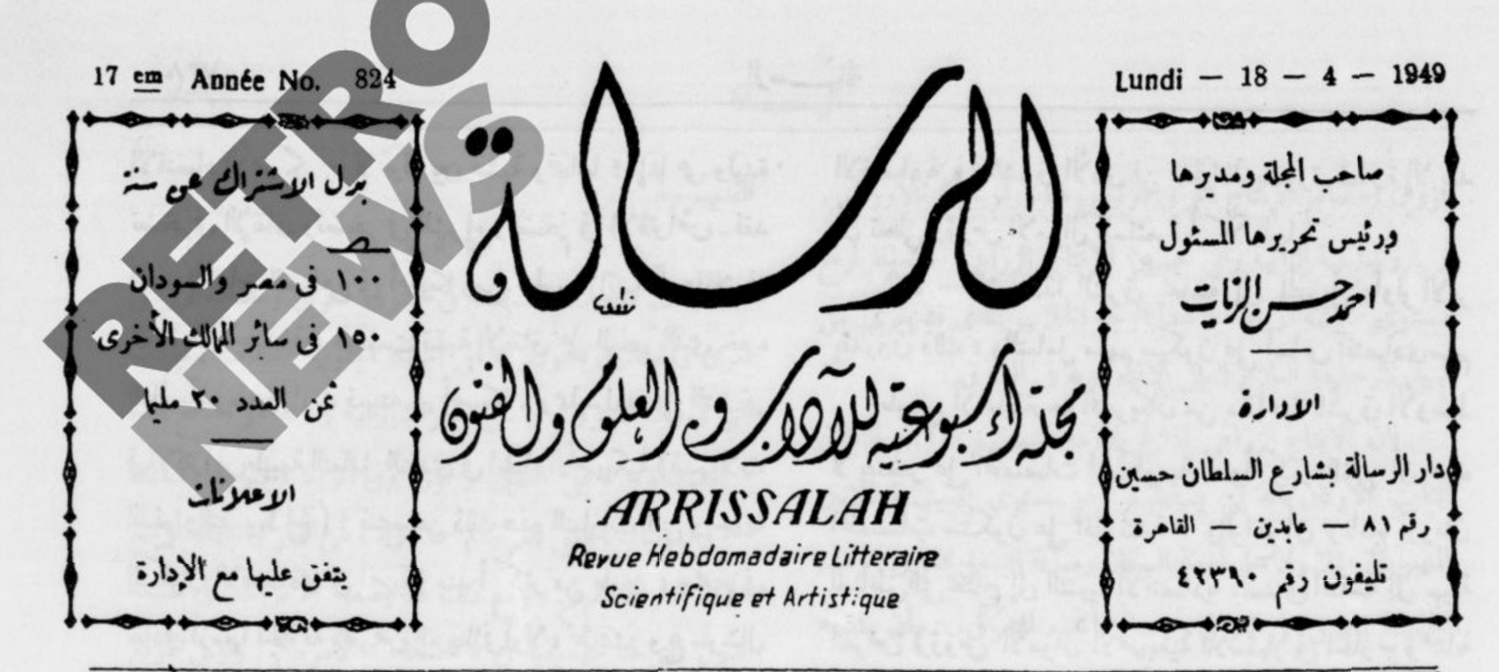
٣٢٠٣٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17 e Année No. 824

Lundi — 18 — 4 — 1949



العـــدد ٨٢٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ١٨ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الدولار والشرق العربي

للأستاذ عمر حليق

هناك حقائق خطيرة قل أن تتعرض لمعالجتها ألسنة الرأى العام العربي عندما تتحدث عما يقترحه المعسكر الغربي على الشرق العربي من مساعدة اقتصادية ومحالفة عسكرية . وهذه المغريات التي تنقلها إلى القارئ العربي في غير فطنة مواصلات فكرية هي فريسة بؤر التوجيه الضار في السفارات الأجنبية وفي وكالات الأنباء « العالمية » التي يعيش على محصولها الإخباري قارئ الصحف العربية والمستمع العربي .

ومن أبرز هذه الحقائق تجاهل المعقبين العرب لحقيقة الوضع الاقتصادي القلق الذي تعيش عليه الولايات المتحدة وهي عماد المعسكر الغربي ، وحاجة هذا الوضع إلى استثمار الأموال في المناطق التي توفر الربح العاجل المضمون كمنطقة العالم العربي .

فللمشروعات الأمريكية للمساعدة الخارجية كمشروع مارشال أوجه أخرى غير الأوجه السياسية . « الإنسانية » التي يبدو أن معظم ألسنة الرأى في الشرق العربي ميالة إلى التعلق بها وحدها .

وحين نسلم بأن التوسع السوفياتي وذيوله السيئة في شتى نواحي النشاط الإنساني هو أخطر ما يواجه حاضر الشرق الأدنى يجدر بنا كذلك أن لا ننسى مطلقاً ما يستتر من الشر في الاستسلام المطلق للتوسع الأنجلو أمريكي ؛ فإن امتداد مشاريع « المساعدة » الأمريكية إلى الشرق العربي هو توسع تستلزمه الأزمات الحاضرة في السياسة والاقتصاد والحرب التي تواجه المعسكر الغربي .

ولعل الوقوف على الوضع الاقتصادي في الولايات المتحدة وعلى برامج التوسع التجاري الذي لا مفر للصناعة البريطانية من تحقيقه إذا حرصت على النهوض الصحيح — هذا الوقوف يلقى ضوءاً هادياً على سياسة الدولار في منطقة الجامعة العربيه .

إن الوضع الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية قلق ؛ وليس هذا الجزم مقتبساً من تعقيبات « برافدا » و « ازفستيا » وراديو موسكو ؛ بل هو حقيقة لا يستطيع الأمريكان كتمانها عن أنفسهم وإن استطاعوا — بفضل ما لهم من نفوذ قوى في المواصلات الفكرية العالمية — التقليل من خطورتها خصوصاً لدى الشعوب التي ينقصها الوعي الاقتصادي الحساس كشعوب الشرق الأوسط

وأبرز مظاهر هذا القلق الاقتصادي في منطقة الدولار مشكلة التضخم المالي وازدياد التبطل بين العمال الفنيين والصناعيين والتباين في معدل الإنتاج والاستهلاك ، وألف وجه ووجه من المشاكل الاقتصادية المعقدة التي تأتي في أعقاب الحروب الكبرى فالنكسات الاقتصادية — والنكسة وصف معتدل لحاضر

الاقتصاد الأمريكي — لا تولد بين عشية وضحاها ؛ إنما هي وليدة تضخم في الإنفاق وتضخم في الشراء وتضخم في الاقتراض. فقد اتسع الإنتاج الصناعي في أمريكا زمن الحرب اتساعاً هائلا في طفرة غير اعتيادية ، فارتفعت نسبة الإنفاق على النحو الذي خبره العالم بأسره ، وزادت نسبته في أمريكا . ومما ساعد على التضخم في الاقتراض طبيعة التعامل النقدي في الحياة الأمريكية (تسهيلات الدفع والتقسيط الخ) ؛ فنتج عن ذلك هذه التيارات التي واجهها الكيان الاقتصادي في أمريكا منذ أكثر من عامين ، ونجح في تفادي أزمتها الجارفة بالقرض البريطاني أولا ، ثم بمشروع مارشال وببرنامج التسلح الهائل الذي ينفذ في إسراف يستوعب العمال العاطلين ثانياً . وهو يحاول الآن أن يخطو خطوة إنقاذ أخرى على طريق التوسع الاقتصادي في المناطق « المتأخرة » .

إن إنهاض التنمية الاقتصادية ضرورة لاستقرار السلم العالمي — هذه حقيقة مسلم بها ، ولكن المهم في هذا المعرض هو الوقوف على بعض العوامل الأساسية في مسألة قد تقرر مصير الكيان العربي لأجيال عديدة .

فالمساعدة الاقتصادية المقترحة ليست إحساناً خالصاً لرفع مستوى المعيشة للبائسين في الشرق العربي ؛ فالضمير الأمريكي لم ينفعل كثيراً لفاجعة فلسطين بالرغم من أن له اليد الطولى فيها .

والمساعدة الأمريكية ليست سهماً يوجه للشيوعية التي تربض على أبواب الشرق الأدنى — فموقف أمريكا من التطور في الصين ، وقصدها من تزويد الأتراك بحاجتهم الماسة ينفيان ذلك — ولكنها مصلحة فيها عنصر أناني وضرورة اقتصادية ملحة تضع في يد الشرق العربي عنصر مساومة فريد .

ذلك لأن هذا الشرق في رأي المستر إميل شرام رئيس بورصة نيويورك الكبرى ، من أفضل المناطق لاستثمار رؤوس الأموال الأمريكية لأسباب عددها في عدد يناير من مجلة عالم الأمم المتحدة وهي :

أولاً — إن الوضع الاقتصادي في الشرق الأدنى سليم جداً . فهو لم يتضرر من الحرب المنصرمة .

ثانياً — أن هذا الشرق لا يواجه وعياً اقتصاديا ، ولا نزعة اشتراكية جدية تعرض رؤوس الأموال الأجنبية للتأميم . فالقدمية الاقتصادية في الشرق الأدنى لن تستيقظ بصورة خطيرة إلا بعد أن تعطي رؤوس الأموال المستثمرة أكلا طيبا .

ثالثاً — إن هذا الشرق بحاجة إلى التمويل وأولو الأمر يقدرون ذلك ، والتعامل معهم سيكون على أساس اقتصادي سليم وطبيعي أن مايقترحه الأمريكان من مساعدة للشرق الأوسط لا يقتصر على المخصصات الحكومية . وأكبر الظن أن هذه المخصصات ستكون على أقل نسبة . والواقع أن برنامج ترومان للمناطق التي تحتاج إلى التنمية الاقتصادية قصد في أساسه إلى تهيئة الفرص لرؤوس الأموال الأمريكية للاستثمار في الخارج وضمانة أرباحها .

وهناك نواح أخرى لا بد من الوقوف عليها لأية مساومة قد تدفع دول الجامعة العربية إلى الأخذ بها في هذه التيارات الجارفة .

فكما يستفاد من القليل الذي تنشره الصحف الأمريكية ومن الكثير الذي تنشره الصحف العربية ! عن طريقة حكومة أمريكا في مد مشروع مارشال إلى الشرق العربي ، فإن المساعدة ستقتصر على ناحيتين :

الأولى: تحسين الدفاع الاستراتيجي من الناحية الحربية الصرف ومن وجهة نظر حلفاء الغرب الصرف كذلك .

والأخرى: تنمية الإنتاج الزراعي كوسيلة لرفع مستوى المعيشة. والتريث في بحث هاتين الناحيتين يكشف عن شؤون غاية في الخطورة للكيان القومي في كل من الدول العربيـة ، وفي السياسة الأقليمية التي تمثلها الجامعة العربية التي لا مفر — لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، للناطقين بالضاد من السير بموجبها على الرغم مما ألم بها من نكسات .

فمشاريع الإنتاج البترولي وأنابيبه وتأمين سريانه وحماية مواصلاته ستكون لولب « الإنماش » المقترح .

وطبيعي أن للشرق العربي حاجة ماسة لتحسين المواصلات ؛ ولكن هذا التحسين إذا توخى ماينتظر منه من فوائد وجب أن لا يتقيد بمصلحة الإنتاج البترولي على حساب النواحي الأكثر أهمية والأشد ضرورة ؛ فالناحية الحيوية في مشكلة المواصلات في الشرق العربي أعقد من أن تقتصر على الإنتاج البترولي والمطارات السعودية والليبية القريبة من آبار الزيت الروسية في (باكو) وفي حوض

قزوين ومصانع الإنتاج الحربى الروسى فيما وراء جبال الأورال .

وللناحية الثانية وهى تحسين الإنتاج الزراعى كوسيلة لرفع مستوى المعيشة أوجه غير هذا الوجه الخلاب الذى قد يغرى من لم يدرك حقيقة العلاج للعلل الاقتصادية فى الشرق .

فان الانتاج الزراعى إذا لم يلازمه التصنيع الواسع النطاق الثابت الأركان فانه لن يستطيع رفع مستوى المعيشة لملايين المصريين مثلا ولا حل أزمة السكان وضآلة الدخل القومى : وهذه الحقيقة تنطبق على العراق وسائر أنحاء الشرق . وأن طبيعة العوامل الاقتصادية التى تدفع أمريكا وبريطانيا لمساعدة الشرق العربى تتطلب أن يظل هـذا الشرق مستهلـكها لا منتجاً للسلع التى يعيش عليها الـكيان الاقتصادى فى أمريكا وبريطانيا . ولعل المصلحة البريطانية فى هذه الناحية أشد انتفاعاً وأبعد فى النتائج العملية . فإذا أشرك الأمريكان البريطانيين فى مشاريعهم للشرق الأوسط فإن البريطانيين قد أشركوا من قبل (ركفللر) وأمثاله من أقطاب المال الأمريكان فى هذه الإمبراطورية الاقتصادية التى تعمل الآن فى صمت فى أواسط القارة الأفريقية .

هذه ألوان من الحديث قد تساعد على معرفة بعض مواطن الضعف والقوة فيما يقترحه المعسكر الغربى . ويضاف إلى هـذه التلميحات الاقتصادية ذيول والتزامات سياسية خطيرة العواقب . فإن أى مساعدة أو منحة أو قرض يستلزم التعاون مع الـكيان اليهودى فى فلسطين سيحقق له فى الحاضر والمستقبل ما حققته الناحية الخفية من أعمال « مركز تموين الشرق الأوسط » الذى أقامه الحلفاء إبان الحرب العالمية الماضية ؛ إذ استطاع الاقتصاد اليهودى بواسطته أن يتركز بعـد أن كان مضعضع الـكيان مشرفاً على الإفلاس ، واستطاع أن يحظى بأنواع من المواد الخام والتصنيع الحربى عن يد مركز تموين الشرق الأوسط ، وهذا ما أثبتت معارك فلسطين مبلغ خطورته . والذى يزيد من حدة الدعوة إلى هذا الحذر من مثل هذا التعاون مع يهود فلسطين — مباشراً كان أم غير مباشر — المناصرة الشديدة التى يلقاها مشروع « مساعدة » الشرق الأوسط في البرلمان الأمريكى من الشيوخ والنواب الذين حملوا منذ سـنين لواء العمل للمصلحة الصهيونية

* * *

ليست الخيرات الـكامنة فى الشرق العربى وحدها هى التى تغرى واشنطون بالتودد ؛ ففى أمريكا الجنوبية أضعاف الخيرات التى فى هذا الشرق . وليس خطر الشيوعية وحده هو الدافع لهذه « المساعدة » ، ففى الصين وكوريا وفى أمريكا الجنوبية كذلك — وهى الباب الخلفى للعم سام — ثغرات من الفقر والجهالة أوسع مما فى الشرق العربى ، ومع ذلك فلا يضعها الأمريكان فى طليعة الدول التى لها الأسبقية فى « السخاء » الأمريكى . وليس الموقع الاستراتيجى وحده كذلك هو السبب الوحيد .

ولـكن هذه الأسباب مجتمعة أوجدت حالة فريدة ، تجتمع فيها المصلحة الاقتصادية الاستثمارية مع الحاجة العسكرية ، وأخشى أن أقول مع النغمة الصهيونية . فعلى الذين يتولون التوجيه فى هذه الحالة مسؤولية فاصلة فى الـكيان الأساسى للعالم العربى .

وإذا كان لابد من مساومة فلتـكن على أساس من المصلحة القومية تراعى فى حرص وفطنة حاضر العرب ومستقبلهم ، والتيارات الجارفة التى تحيط بهم .

(نيويورك) عمر حليق

المسرح والجمهور

للدكتور محمد القصاص

ليس الفن المسرحي هو المؤلف وما كتب فحسب ، ولا المؤلف ومعه الممثلون وحدهم ، بل لا بد له من جمهور أيضاً . تلك هي الدعائم الثلاث التي إذا فقد المسرح إحداها انهار .

بالطبع كل من يكتب ويطبع يبتغي أن يقرأ ، وإلا لا كتفى بتسجيل خواطره وأفكاره تسجيلا سريعاً دون أن يعمد إلى تنظيمها وتبويبها وطبعها ونشرها . فالفن اجتماعي بطبعه إذا عمى بجوهره . ومن ثم فإننا نعجب لكاتب يكتب ما لا يفهم القراء ومالا يعنيهم (ولا نتكلم هنا عن الشعر فقد يكون له موقف خاص) الكاتب الذي يعيش — كما يقال — في برجه العاجي بعيداً عن الحياة وعن الناس .

ولا نقصد من وراء ذلك أن يخر الكاتب راكعاً أمام جمهوره فيتملق عواطفه مهما انحطت ، ويتغنى بمواطن الضعف فيه ؛ كلا ، فإن هذا مفسدة للأدب مفسدة للفن ، بل هو إلى التهريج أقرب منه إلى الفن .

ولكن احتقار الجمهور والبعد عنه ، ومخاطبته بلغة غير لغته ، والاشتغال بنجوم السماء دون الأرض ومن عليها ، جرم مرتكب في حق الفن والمجتمع على السواء . ومع ذلك فقد نسلم جدلا ، جدلا فقط ، أن الرسام يستطيع أن يرسم لوحة يحتفظ بها لنفسه ، ولنفسه فقط ، وأن الشاعر يستطيع أن يكتب قصيدة يرددها بينه وبين نفسه من طلوع الشمس إلى غروبها ، ويكتمها عن جميع من عداه ، وأن القصاص قد يكتب قصة ثم يتركها تغط في سباتها العميق سنين وسنين حتى يأتي يومها ، حتى يأتي جمهورها بعد زمن يطول أو يقصر . ولن يضيرها ذلك في شيء فهي قد وجدت بالفعل منذ انتهى صاحبها من كتابتها ، ولن يزيدها وجوداً أن تظفر بعشرة قراء أو بعشرة آلاف قارئ أو بمائة ألف قارئ . ولن يكون لقارئها أي تأثير عليها ، بل هو الذي سيتأثر بها تأثراً سطحياً أو عميقاً ، عاجلا أو آجلا .

ومن جهة أخرى إذا كانت أفكاره عسرة الهضم ، أو كان ملتوى الأسلوب معقد التعبير مقتصداً في المقدمات خفي النتائج ، فقد يجوز له أن يترك كلامه على ما هو عليه دون أن يجهد نفسه في أن يرفع عن كتابته غموضاً يستطيع القراء أو غالبية القراء رفعه ولو بشيء من العسر . ذلك لأنه يعلم أن الكتاب يستطاع أن يقرأ وأن تعاد قراءته ، وأن كاتبه يستطيع فتحه أو إغلاقه متى شاء وأنى شاء ، وأن يكرر من عباراته كلما عن له أن يفعل حتى يفهم . فإذا لم يكن بعد ذلك أهلا للفهم فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

أما العمل المسرحي فله شأن آخر فهو بمثابة كتاب يقرأ جماعة ، ومتى فتح لم يتسن لواحد من القراء أن يغلقه تبعاً لهواه . كتاب تدار صفحاته من تلقاء نفسها من أول صفحة إلى آخر صفحة . إذا قيلت منه كلمة فقد فاتت ، وليس لسامع أن يرجو من الممثل إعادتها ، وإلا أصبحت قاعة المسرح ميداناً لكوميديا أخرى غير كوميديا المؤلف : كوميديا الجمهور لا كوميديا الممثلين ، إذا راح المتفرجون — كما تخيل أحد الساخرين — في رواية غامضة يقومون الواحد بعد الواحد ، مطالبين بإعادة تلك الجملة أو بتفسير هذه الكلمة ، فيتصدى لهم الأذكياء أو من يتظاهرون بالذكاء فيطلبون إليهم أن يتركوهم ينصتون في هدوء وألا يقطعوا على الممثلين سلسلة اللعب ؛ ويجيبهم الأولون على عنفهم بعنف أشد منه ، حتى ينتهي بهم الأمر إلى التقاذف بالشتائم ثم إلى استعمال الأيدي . وهنا ينتقل تمثيل الدراما من فوق المسرح إلى قلب الصالة . على كل حال سواء أدفع المتفرج أجر مكانه أم لم يدفعه ، فإنه يصر على أن يفهم ، وأن يفهم على الفور كلمات المؤلف بمجرد أن يفوه بها الممثل .

ومن ثم وجب أن تكون التمثيلية مثلا أعلى في قوة الإفهام ووضوحه . فالمسرح إذاً معبد الوضوح ، يجب أن تسمى فيه الأشياء بأسمائها . وويل للمؤلف الذي يحاول أن يمثل قطعة باللغة الصينية على مسرح من مسارح القاهرة لا يفهم زائروه غير العربية . تلك هي إحدى الحقائق الكبرى التي على كاتب المسرحية أن يراعيها ، مهما كلفه ذلك من جهد ومن تضحية : أعني أن يستعمل لغة مشتركة بين الجميع ، مفهومة من الجميع ، مهما كانت

منتقاة طافحة بالصور والأخيلة موغلة فى الروح الأدبى .

وإليكم حقيقة أخرى ليست أقل من صاحبتها فى الأهمية . وهى أمر يتعدى الكلمات والعبارات إلى الموضوع الذى تعبر عنه ، إلى الأفكار التى هى لباس لها . فما جدوى الكلمة الواضحة المعنى والعبارة الصحيحة المبنى اليسيرة الفهم الجميلة الصورة ، إذا كانت الفكرة التى تعبر عنها أو العاطفة التى تصفها أو تستثيرها لا تمت بشىء إلى ما فى ذهن الجمهور وقلبه ، إذا كانت لا توقظ فيه صدى ولو خافتاً لهذه العاطفة أو تلك الفكرة ؟ وأسوأ من ذلك إذا أثارت فيه عاطفة مضادة لما أراد الكاتب ، أو إذا أثارت عاطفة ما عند بعض المتفرجين فجعلتهم يبكون وأخرى مناقضة لها عند البعض الآخر فجعلتهم يضحكون .

فعلى الكاتب المسرحى أن يخاطب عواطف وأفكاراً مشتركة بين جميع أو معظم أفراد جمهوره ، ولو كانت موزعة بينهم بأنصبة مختلفة .

قد يعترض علينا معترض فيقول : أواثق أنت من أنه قد يوجد شخصان فقط يؤخذان من بين الشعب دون اختيار فيرى بعد الاختيار أنهما يتفقان فى إحدى الفكر اتفاقاً كاملا ؟ ونحن نجيب على هذا بأن الاتفاق فى التفاصيل أمر عسير . ولكن من الطبيعى أن يتفق أفراد مجتمع من المجتمعات التى يصح أن يطلق عليها هذا الاسم فى طائفة من القيم العقلية والأخلاقية : كالحق والباطل ، والخير والشر (ولا نقول الجميل والقبيح ، فإن تلك قيم جمالية تخضع لاختلافات كثيرة لا محل لذكرها هنا) . فالاتفاق على الخير والانفاق على الشر ، ذلك هو الحد الأدنى الذي على المؤلف أن يسعى فى تحقيقه حتى يتحقق التناسب بين عمله وجمهوره . ذلك هو الشرط الأساسى الذى يجب أن يتوفر فى التمثيلية لتثير انفعال الجمهور ولتجتذبه إلى ما يريد المؤلف أن يجتذبه إليه . فالقطعة التمثيلية لا تكون حقاً ولن تحيا حقاً إلا إذا حييت فى نفوس الجمهور كما حييت فى نفس الكاتب والممثل ، وفى نفس اللحظة التى يشاهدها فيها . وهذا ما جعل جاك كوبو من أعلام المسرح الفرنسى يقول : « لن يكون هنالك مسرح بمعنى الكلمة إلا يوم نجد رجل الصالة يتمتم بنفس الكلمات التى يفوه بها رجل المسرح فى نفس الوقت وبنفس القلب . » نعم لا يمكن أن يكون ذلك إلا يوم يصير رجل الصالة ورجل المسرح والمؤلف وكأنهم شخص واحد ؛ ولابد لهم لذلك من ميدان معنوى مشترك . هذا الميدان يستطاع العثور عليه بسهولة فى مجتمع سليم التكوين ، فيه شىء كثير من التجانس ، يجتمع على الاعتراف ببعض الخير لأنه خير ، وببعض الشر على أنه شر ، وببعض الحق على أنه حق . أما إذا كان المجتمع مهلهلا لا تجانس فيه فإن مهمة المؤلف تعتبر من أشق الأمور . ففى هذه الحال يتعسر على الشاعر أن تتفق ويصعب على الكاتب أن يخاطب جمهوره بلغة يفهمها الجميع . ولكنه حتى فى هذه الحال لن يعدم أن يجد بذوراً طفيفة لآمال ومخاوف مشتركة . وحينئذ فعليه أن يتخذ منها نقطة ارتكاز يصدر عنها فى مسرحيته ، وأن يتخذ من مسرحيته ومن نشاطه فى الأدب المسرحى وسيلة لتقريب ما تنافر من عقلية أبناء وطنه . وهنا يبدو لنا بعض ما يستطيع المسرح أن يقدم للوطن والمدنية من خدمات . فمن الخطأ إذاً أن ننظر إلى المسرح (على نحو ما يفعل البعض) كما ننظر إلى حجرة مغلقة تدور بها بعض الأحداث ثم رفع منها أحد حوائطها فأصبح ما يجرى بداخلها على مرأى من المارة ، ولكنهم يشاهدونه مبهوتين دون أن يستطيعوا المشاركة فيه بعقولهم وقلوبهم ، بل دون أن يفهموا شيئاً منه ؛ وإنما يجب أن ننظر إليه كمنصة منصوبة فى ميدان عام تمثل عليها أحداث ، وتتصارع فوقها أفكار وميول وعواطف تتصل بنفوس الشاهدين جميعاً . فهو لذلك مكان التبادل النفسى بمعناه الصحيح . وعلى الكاتب المسرحى أن يدرس فى الحياة نفسها شروط هذا التبادل وأن يستخرج قوانينه حتى يضمن تحققه فى عمله ، وحتى لا يكلم الجمهور بلغة غير لغته .

فالفن المسرحى يقتضى وجود عادات ووجود مجتمع ووجود شعب بأنبل معانى الكلمة .

فالفن المسرحى ليس فناً مغلقاً ، ولا مما يؤجل تحقيقه خارج الكتاب الذى كتب فيه ، بل فن مفتوح ، فن الساعة التى يكتب فيها .

محمد القصاص

دكتوراه فى الآداب من جامعة باريس

أمام أبي الهـــول

للأستاذ راجي الراعي

يا إلـه الصمت ، ويا ملتقى الأسرار ، ويا عقدة الألسنة ، ويا مثال المتأملين !

أيها الأسد الرائع المتحفز منذ القدم للوثوب على فريسته التي لم يجدها بعـد ... يا ربيب الفراعنة ، ويا رفيق « الأهرام » ، ويا عجيبة المصريين ... أيها المتكبر الجبار الذي لم يخفض رأسه لأحد في الدنيا ، وقد مرت كلها من أمامه ... يا مصيبة الزائرين ويا محتج الحائرين ... أيها الضاحك الباكي ، السعيد البائس ، الحائر المهتدي ، الثمل الصاحي ، القوي بأهرامه ، الضعيف برماله ، الجرئ بصدره ، الحكيم بلسانه ... أيها البحر الذي تلاطمت فيه أمواج الأسرار ولم تنفث زبدها ... أيها الناسك الذي لم يؤمن بالعالم فأقام في صومعة الرمال وانقطع إلى ربه ونفسه ، الناسك الأكبر ، زعيم الناسكين ، تدق له نواقيس الذكرى في أودية التاريخ التي تعاقبت عليه ، ومن يستطيع أن يحصيها ؟.

أيها الثمل بالذكريات غمرته بخمورها فلم يقو على العربدة ، وكيف يعربد الغريق ؟ وطوقته بجهالها وقبحها فجمد كالمجنون وتكأكأت عليه الخلائق ...

أيها البطل الضائع الذي ازدحمت في بطولته مشاهد القرون على مختلف ضروبها وألوانها فضاق بها ذرعاً ولبث مكانه لا يبدى حراكا ...

أيها المبرد بوسادته الحجرية لظى المغرمين ، المخجل برباطة جأشه المذعورين الفارين ، المحطم بصخرة حيرته وشكه سفينة المهتدين ، المخرس بفصاحة عينيه زمرة المعربدين ، الهازئ بالعابرات والعابرين ، الضاحك على الأذلاء الخانعين ، الباكي على الضاحكين!

يا أبا الهول الذي هالته نفسه فلم يعرف أين يضعها وكيف يعبر عنها ، ويا فتنة النيل ورب الوادي ... أيها الأمين الأكبر الذي يحمل مفاتيح التاريخ ولم يخن واجب الأمانة ، أيها المبرم مع المجهول عهداً يحسده عليه المعلوم ، أيها الغارق في لجج اللانهاية ولم يبلل ثوبه ... أيها المبسوط في حجره المنكمش في تصلبه ، أيها الطليق بعينيه السجين بين ألغازه ، أيها الناظر إلينا نظرته الغريبة بين صممه وبكمه كأنه يفتش بين السماء والأرض عمن جاءه بالصمم وعقل لسانه ليصفعه ويضمه إلى قلب رماله ...

أيها الواقف بين الماضي والمستقبل كأنه الصلة المفقودة التي نفتش عنها ! أيها الرجل العجيب الذي لم يتحرك بعد في هـذا الجيل ، والكهرباء تشع في وجهه ، والطائرة تحلق فوق رأسه ! أيها الصابر صبراً دهشت له الأرض التي تصبر على موتاها ، ودهش له البحر الذي يصبر على غرقاه ...

أيها المتمرد الأكبر ، أيها الحاكي الذي يردد أصداء الإنسانية ، أيها العداد الذي يحصي فضائل الخليقة وعيوبها وساعات نعيمها وبؤسها ...

يا أبا الهول !

أتيتك بعد تلك القرون التي توالت على رأسك .. أتيتك في القرن العشرين متأخراً ، وتفرست فيك ، فخطرت لي النعوت والأسماء التي كسوتك بها ... رأيتك بعيني ولا أدري بأي عين رآك أسلافي ، وحرت فيك كما حاروا من قبلي ، ورمتني الحيرة بين أمواج الخيال فتخبطت في أسرارك ، وغرقت في أوصافك !

ما هي حقيقتك يا سيدي وأين هي ؟ وهل أنت تجهلني كما أجهلك ؟ من أنا ؟ أنظر إليّ جيداً ... أقوى أنا أم ضعيف ؟ أسعيد أنا أم بائس ؟ أنا كاتب يعرض في القراطيس رسوم النفس والحياة ... فهل أطربك قلمي ، وهل رأيت رسومي ؟ ؟ هل أنت شاعر بي ، أم أنت تنظر إليّ وترى نفسك؟ !

قل لي أبا الهول : ألأمسى أنا أم لغدي ؟ وأين هو رقمي في جدول الإنسانية ؟ وهل في جبيني السطر الذي تفتش عنه منذ القدم ؟ أمصيب أنا في عقيدتي أم مخطئ ؟ أنا للشاعرية ... فهل في حجرك من شعري ؟ وهل الشعراء في نظرك هم الناس ، وهل في صدرك القاسي فؤاد رحيم ؟

أتيتك أسألك عن حقيقتك وحقيقتي ، فهل من جواب يخرج من فك ويريحني ؟ أما تاقت نفسك يا صاحبي إلى الكلام ولو مرة واحدة ، ألم تسأم الصمت ؟ ؟

حدثني .. وإن كنت معقود اللسان ، ففي عينيك الجاحظتين ألف بيان دفين ... لا تخش أن تبوح لي بسرك ، فقد هجرك الناس وجئتك وحدي ، وفي هذا الدليل على حبي وإخلاصي ...

إن في رأسك حلماً كبيراً قديماً حار فيه لسانك ، وسقط تحت أثقاله صدرك ، فجثمت مكانك صابراً صبر الأسياد لا صبر

فلسفة طاغور الأخلاقية :

مشـــكلة الشر
فى ضوء وحدة الوجود

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

إن اعتناق طاغور عقيدة وحدة الوجود لم يضف جـديداً للفكر الهندى ، بل هو أخذ من القديم ، وترديد لنفحات حكماء السابقين . وإن تدعيمه هـذه العقيدة بتوضيح ما يكتنفها من إبهام ، وما يشيع فيها من إشكال ، أو بعثه لها فى قالب شعبى يجدد من حيويتها ، ويذيبها بين العام قبل الخاص ، ولئن كان فيه شئ من الجدة فإنها لا تظهر طاغور إلا بمظهر المدافع عن تراث دينى عتيق . وإنما الذى يفصح عن إبتكاره الفكرى ، هو إستعانته بهذه العقيدة فى تدعيم المبادئ الأخلاقية ، وتفسير ما يشوب الحياة الإنسانية من شر ، وما ينتابها من سوء .

وإن كان فى تصور تجلى الله فى مكونات الوجود فى صورة قانونها العام شئ من البراعة الفكرية ، فإن تصور حلول الله فى الإنسان على صورة القانون الأخلاق ، ينم عن مهارة روحية فائقة ، تظهر قدرة طاغور الملائكية فى كيفية إحكام ربط الإنسان بالله ، إذ جعل أنضل ما فى الإنسان مستمداً من الله ، واتخذ من أنبل ما يحتويه كيانه من قيم روحية سبيلا لتحقيق اتحاده بخالقة اللانهائى . وإن كان هناك كثير من البشر يعصى أوامر القانون الأخلاق ، الذى ليس إلا قبساً من نور الله فاض به على الإنسان ، فظهر فيه فى قالب فطرته الخيرة ، التى تحارب الغرائز البهيمية والشهوات المنحطة ، وتقاوم سحر ملاذ الدنيا ، وتدفع إغراء متعها المادية ، كما تطهر النفس من كل ما يمكن أن يتسرب إليها من دنس ، وتخضع حياة الإنسان للقيم الفاضلة ؛ فإن هؤلاء الذين يعصون هـذا القانون الخالق ، ولا يؤمنون بسيادته على النفس ، يعتقدون أن منفعتهم الخاصة يجب أن تكون قانون حياتهم الوحيد ، ويفضلوا أن يتمردوا على فطرتهم الخيرة على

العبيد ... لقد أقعدك حلمك عن السير ، وملأ نفسك فلهوت به عن الناس ...

حدثنى أبا الهول : ما هذا الحلم الذى تنسج خيوطه على مهل ؟ أما حان لك أن تستريح ؟ لقد طال حلمك وطال صبرى !

بما ذا تفكر ؟ أبالله وسمواته وكواكبه ونجومه ، أم بالقرون التى مرت بك ، أم بهذا العالم الفانى ، أم بى ؟ ؟

حدثنى .. ولـكن لا ، ابق صامتاً ، فإننى أخاف إذا تكلمت أن لا يقال بعد ذلك : هذا (أبو الهول) ... إن صمتك حديث الناس ، وقد لا يكون حديثك حديثهم ، فما يدريك أن تكون الكلمة الأولى التى تنطق بها وبالا عليك ، ودليلاً على أنك لم تكن إلا حجراً .. ابق صامتاً ... إن قوتك فى صمتك ... أنت ملك الصمت ، فلا تخلع عرشك بيدك !

ولعلك فقهت معنى الحياة ، فرأيت أن الصمت خير ما فيها ، أنت صخرة اقتطعتها السموات من جبال عظمتها وأمجادها ، فـكبرت نفسك حتى أنفت أن يكون اللسان بوقها وترجمانها ورسولها ، وهل يصلح اللسان ، هذا الثرثار الضعيف المزعج ليعبر عن أسرار النفس والطبيعة ؟ هل يقوى على الثبات فى ساحة النفس الـكبيرة إذا ثار بركانها ؟

انظر إلى الفيلسوف كيف يخرس ساعة يصطدم بالمجهول ، وإلى الجندى كيف يُعقل لسـانه ساعة يصطدم بالخطر ويصافح الموت ، وإلى الفنان كيف يصمت صمته العميق ساعة يسحره الجمال ، ويحتل الشاعرية أعماق قلبه ... وانظر إلى الفقير الذى شرب ثمالات الـكئوس كيف يعجز عن النطق وفى فمه كل دموعه ، وإلى المؤمن الناسك كيف يقطع لسانه ليتصل بالخالق ، وإلى النسور والأسود كيف تأوى إلى عزلتها وصمتها وتترفع عن الخلائق ...

ابق صامتاً ، أبا الهول ، فقد يكون فى صدرك كثير من الحسد والضغينة والرياء والضعف والـكبرياء والطمع واللؤم ... وأنا لست بحاجة إلى نفث سمومها ، فيكفينى ما ينساب فى طريق من الأفاعى ... يكفينى هذا الإنسان الذى يوزع لسانه الشقاء فى العالم ويكشف ما انطوى عليه صدره !

ابق صامتاً ، فلا أدرى ما وراء صمتك ... إن كنت إنساناً فزميلك يكفينى ، وإن كنت من جماعة « الأولمب » فابق بين آلهتك ...

ابق صامتاً ، فالصمت أرحب من الـكلام وأبلغ لأنه يحويه !

راجى الراعى

أن يستبسلوا لها إذا تعارضت مع فائدتهم ، ويقبلون أن يتبعوا أهواءهم الخبيثة ما دامت ترضى رغباتهم الجشعة . وبذلك يفسحون المجال لهذه الرغبات لأن تعيث فساداً فى النفس ، وتملأها بأنانية بشعة طاغية ، تحبسها فى سجن رهيب من المصالح الخاصة ، لا تسمح لها بأن تخرج من دائرة الذات الضيقة إلى ساحة المجتمع الإنسانى ، بل تبذر فيها بذور الطمع ، وتلقنها فنون إقتراف الخطايا ، فتغرق فى بحر من الآثام ، وتقع فى وهدة الشر ، فتغيب عنها معرفة الله الكامن فى أغوارها على صورة ذلك القانون الذى أبت أن تخضع له ، وتتقيد به .

وبذلك يحجب الإثم والشر عن النفس إدراك قانونها العام ، ويسلبها حب الذات القدرة على تحطيم أغلال الأنانية ، فتحيد عن طريق وحدة الوجود ، وتعجز عن معرفة أن جوهرها يتضمن أكثر من وجودها الفردى ، وتخفق فى الإحساس بالله الذى أودع ذاته فى طياتها ، وبالتالى تفشل فى الكشف عن اتحاد الله بسائر الأشياء ، وتخيب فى تحقيق كمالها الروحى ، ولا تتمتع بالحياة فى كنف حقيقة الحياة الأولى ألا وهى حقيقة « وحدة الوجود » .

وخروج الإنسان عن طاعة قانونه الخاص مرده إلى أن الله وإن قيد الإنسان بضرورة الخضوع لهذا القانون ، ترك له حرية تامة فى طاعته أو عصيانه ، كما منحه إرادة حرة لها التصرف فى الشئون الدنيوية ، ولم يلزمه بفعل الخير أو تجنب الشر ، لأن فطرته تسمح له بأن يميز بين الخير والشر ، وتمكنه من أن يسلك طائعاً مختاراً الطريق السوى . لأن فى النفس الإنسانية نوعين من الرغبات : أحدهما خاص والآخر عام . والرغبات الخاصة تجرى وراء المطالب الذاتية ، وتقف عند حد الفوائد الشخصية ، بينما الرغبات العامة مطالبها تتعدى كل ماهو ذاتى ، وتنشد خير كل ما هو كلى مثل الأسرة أو الوطن أو الإنسانية . وإردة الإنسان يمكنها أن تسير تحت ضغط أى النوعين من الرغبات ، وتملك القدرة على تغليب سيطرة الرغبات العامة على الرغبات الخاصة .

فإن خضع الإنسان لقيادة القوانين الأخلاقية ، وتحكم فى أهوائه ونزعاته سار فى طريق الخير ، وإن اتخذ من الإيثار والتضحيه سبلا لسعادة الغير ، فهو لا شك مساهم فى خدمة أهله ، ومشارك فى إصلاح وطنه ، ومجاهد فى سبيل ترقية الحياة الإنسانية عامة . وإن بذل نفسه رخيصة من أجل عشيرته أو بلاده ولم يكترث بما يعانيه من حرمان ، فقد عرف كيف يذيب الأنانية ، ويقضى على حب الذات فى نفسه ، وإن أصر على تحقيق خير البشرية ولم يحل دون ذلك ما يقف أمامه من صعوبات ، فإنه يمد لنفسه طريق الاندماج فى الله . وعلى يد هؤلاء الذين فازوا بسرور غير محدود ينبع من الحياة فى حقيقة وحدة الوجود ينال البشر سعادتهم ، ويتخلصون من كل ما ينغص عليهم حياتهم من شر ، وينتشر بينهم الخير .

أما الذى يأبى أن يخضع للقوانين الأخلاقية ، ويركب رأسه ويريد على الدوام أن يستولى على ربح خاص لا يشاركه فيه أحد ، أو يحظى بمزايا لا ينافسه فيها إنسان ، فإنه فضلاً عن أنه لن يهتدى إلى حقيقة وحدة الوجود ، ولا بد أن يصطدم برغبات الجماعة ، ويدخل فى حرب مع كل نفع عام عندما يعرقل نفعه الخاص . وذلك يشيع التفرق والتنابذ بين أفراد المجتمع الإنسانى ، وينشر بينهم التكالب على المصالح الذاتية ، بل يحطم ما يربطهم من علاقات محبة وتعاون ، فتنحل أواصر الأسرة ، ويتفكك كيان الوطن ، وينعدم الأمل فى تآلف دول العالم ، وينقلب النظام الطبيعى فى الحياة إلى فوضى ، فيضع القوى قوانين جائرة يدعى أنه وضعها لتنظيم المجتمع ، بينما هى تستمد أصول تشريعها من أشرار الأنانية ، وتعتمد على القوة والوحشية فى تنفيذها ، وتبتدع أساليب جديدة فى إذلال الإنسان الوديع واستغلال الشعوب المتأخرة

ولكن إذا أمعن غيه ، وصمم على أن لا يحيد عن طريق حب فائدته ، واستكبر أن يطيع أوامر القانون الخلقى ، سيلبث فى صراع عنيف مستمر مع صالح الكل ، يستفحل أمره شيئاً فشيئاً إلى أن يقضى عليه آخر الأمر . وهذا مصير كل فرد يقف فى وجه الجماعة ، ولذلك يجب على الإنسان أن يكبح جماح غرائزه وشهواته التى تلح فى طلب المنافع الخاصة ، وتوهمه بأن هذه المنافع هى غاية حياته ، وتحرضه على أن لا يسلم أمرة النفس للقيم الروحية التى تطلب منه أن يعيش لغيره كما يعيش لنفسه ، وأن يضحى برغباته الشخصية إذا تعارضت مع سعادة النفس الكبرى التى تشمل حياة الإنسانية بأجمعها . والإنسان العاقل هو من يوفق بين الرغبات التى ترضى النفس القروية وبين رغبة إسعاد المجتمع الإنسانى ، لأن كل من يحاول أن يقف وحده فى وجه قوى المجتمع ، ويرغب فى أن يحصرها فى نطاق فائدته مصيره

إلى الدمار . إن سجل التاريخ الإنسانى لحافل بالثورات العظمى ، التى تشهد بأن الجزء حينما يحتقر الـكل ، وينشد لنفسه منافع خاصة من دون الجماعة ، ويسير فى طريق منفصل عن طريقهم ، لا بد أن تثور ضده القوى الـكلية ، وتشن عليه حرباً لا هوادة فيها حتى ترغمه على أن يسلك طريقها العام صاغراً .

يتضح مما تقدم أن نار الشر تندلع من شرر عصيان الأوامر الأخلاقية التى تنذر بأن الأنانية ستسود حياة الفرد ، وأن الإرادة ستسكن لسيطرة الشهوات والغرائز ، التى تفسد الناحية الخيرة فى النفس ، وتتلف مقوماتها الروحية وتدفعها فى طريق الخطايا والآثام ، وتوهمها بأن ذاتها هي غايتها الوحيدة فى الحياة ، وأن لا عمل لها إلا الجرى وراء غنمها الشخصى . ومثل هذه الأهواء الشريرة تخيم على البصيرة فتحجب عن الروح إدراك الله المستقر فى قرارة النفس على صورة القانون الخلقى ، فيضل الإنسان فى غياهب الشر ، ويبعد عن طريق وحدة الوجود . كما تلائم هذه الأهواء الفردية الحياة العامة وتعرقل تقدم المجتمع الإنسانى ، وتسوق التأثر بها إلى خوض غمار حرب مع قوة العواطف الخيرة ، أو يصطدم بالمصالح العامة ، لأنها تؤذى أغلبية القوم وتضر بمنافعهم ، وتوقع عليهم ظلماً وجوراً لا تصبر عليه النفوس طويلاً ، وسريعاً ما تتآلب عليه وتحطمه ، وتضع الحق فى نصابه ، وتسلب من الظالم أداة ظلمه ، وترده إلى طريق الصواب ، وتجبره على أن يفعل الخير للجميع .

فرغبة الشر رغبة ذاتية عرضية ، لا تدوم إلا بدوام سيادة الأنانية على النفس ، وتزول عند مثول رغبة الخير التى تنسجم مع القانون الأخلاقى . أما الشر فى حد ذاته فحقيقته سلبية غير ثابتة ، ولا ينفك يتحول فى مظهره إلى أن يصبح فى آخر الأمر خيراً يعم الجميع ، لصراعه الذى لا ينقطع مع قوى الحق التى تنشد حقيقة وحدة الوجود . ومثل الشر فى تغيره هذا مثل الفلسفة الفكرية التى يأخذ العلم فى تنقيحها وتصحيحها شيئاً فشيئاً إلى أن تصبح حقيقة ثابتة .

بينما رغبة الخير يقويها فى النفس الإيمان العميق بأن الله أودع ذاته الإنسان على صورة القانون الخلقى ، الذى يجب أن نتمسك به كل عاقل ، ويرضى رضاء تاماً أن يخضع لتعليماته وإشاراته . والخير قبس من لدن الله ينير سبيل الروح نحو وحدة النفس الإنسانية ، ويهديها إلى الكشف عن أوجه الله المختلفة فى أعماق الكون ، فمن رغب الخير سار فى طريق وحدة الوجود وأتبع هدى رغبة كلية إيجابية تتمشى مع أغراض الحياة العامة وتدفعه دفعاً حثيثاً نحو الرقى والسعادة ، وتحصن بقوة لا ترهب نيران الشر المفترسة ، وتسحق الأنانية فى النفس . إن تطور الحضارات ، ودأب الإنسان المتواصل فى الوصول إلى أرفع درجات الكمال ، لأوضح دليل على أن الخير يتغلب على الشر ، وأن الغيرية تنازع الأنانية ، وأن الوحدة الإنسانية تبتلع كل وحدة فردية ، وأن العالم فى طريقه نحو وحدة الوجود .

فليس هناك ما يدعو للاعتقاد فى أن الحياة شر فى شر ، أو تسير من الشر إلى الشر ، ولا خير فيها على الإطلاق ، ولن ينجو فيها أحد من سوء . لأن الشر فوق أنه حقيقة سلبية متغيرة غير ثابتة على الحال ومآلها للزوال ، لا يمكنه أن يعوق تدفق تيار الحياة أو يعرقل تحقيق مثلها العليا فى الخير ، أو يفتت من عزم الإنسانية الوطيد على الفوز بحقيقة وحدة الوجود عن طريق التمسك بالقانون الخلقى الذى هو إحدى آيات الله التى تكمن فى شتى الموجودات . وأن ما بلغه الانسان من تمدن ليشهد على أن الشر ليس له من القوة الإيجابية ما للخير ، ولا يقدر أن ينضب ينابيع الخير التى خاض بها الله على الحياة الانسانية ، بل إن ما فى الوجود من شر يلاحظ أنه يتلاشى تدريجيا مع تقدم الحياة المستمر ، بينما ما يتحقق من خير تبقى أصوله ثابتة فى أعماق الحياة ، ويبدو أثرها فى مختلف نواحى النشاط الانسانى . فالحياة تتحرك دائماً نحو الخير متخذة منه وسيلة لتثبيت أركان الوحدة الانسانية ، التى عن طريقها تسير البشرية خطوات نحو وحدة الوجود .

أما ذلك الشر الذى ينتشر فى الكون ، ويقاسى منه البشر كافة أصناف الآلام ، ليس دليلا على أن الحياة فى أصلها تجلب الشر ، وإنما هو علامة على أن الحياة الإنسانية لم تبلغ بعد كمالها الأقصى الذى يجب أن تبلغه ، وأنه ما زال أمامها مراحل شاقة من التضحية والإيثار عليها أن تبذلها ، حتى تصبح حقيقة وحدة الوجود حقيقة حية فى القلوب ، فينعم الجميع بالراحة والسعادة والسعادة والأمن وينجون من ظلام الشر الذى يثير القلق ، والخوف والحزن فى النفوس .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية

ختام قصة :

من الأعماق

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

... وظل الشابان في تردد وحيرة ، والفتاة في الدار لا تجد الخيرة من أمرها ، وهي قد وافقت منذ حين على أن تتزوج من جلال ...

وأصر جلال على رأيه في تشبث وعناد ، لأنه خطب الفتاة إلى أبيها فوجد منه الرضا والقبول ، ووجد من أمها العطف والحنان ، والتى في أهلها الصاحب والرفيق . وأهله يتأهبون — منذ حين — ليوم الزفاف وهو قريب . على حين قد أخذ هو يستعد لما بعد هذا اليوم — لشهر العسل — في سرور واستبشار .

ما ذا يضير الفتى بعد ، وإنه ليدخل إلى دار الفتاة فيجد من يستقبله في حفاوة وإيثار ، ومن يتحدث إليه في رقة وحنان ، ومن يبذل له العطف والمحبة ، ومن يحرص على راحته وهدوئه ، وأخيراً يجد من يودعه في حرارة وشغف .

وأحس فكرى بك بأن في شباب جلال وقوته ما يبعث في الدار الحياة والحركة ؛ وما يرسل في قلبه الهدوء والطمأنينة ، واستشعرت الأم في الفتى النور والبشرى . لقد انبثق هذا الشعور في قلبيهما قوياً عميقاً ، لأنهما عاشا عمراً يلتمسان الابن (الذكر) فلا يجدانه ، والرجل ذو ثراء وذو حاجات ، يقعده عن أن يشرف على كثير منها ما يحس من وهن وضعف من أثر الشيخوخة التى تدب في مفاصله رويداً رويداً . وهذا أخوه الفلاح يسيطر على رغباته ويغتال ماله في عنف ، وهو يقوم على حاجات العزبة ، ويدير أمورها ، ويستبد بشئونها ، ثم لا يرسل إلى سعادة البك إلا فضلة ما يبقى من غلات أرضه ، والبك لا يستطيع أن ينزع الأطيان من بين يدى أخيه فتضطرب شئونها ويختل أمرها وما له عهد بإدارتها ، ولا أن ينال حقه بقوة القانون فتلوكه الألسن ، ويتندر به الفلاحون في مجالسهم .

والآن ، جاء جلال — بعد لأى — ليكون ابناً في الدار لتنبض بالحياة والنشاط ، وسيداً في العزبة ليزيح عنها هذا الكابوس الجاثم على خيراتها ومنافعها

كل أولئك غشى على عينى الفتى فلم يلق باله إلى هذا الشحوب البادى على وجه الفتاة فيعصف بنضارتها ورونقها ، ولا إلى هذا الفتور الذى يستلبها من إرادتها حين تلقاه . ولم يزعجه هذا النفور الذى يلمسه دائماً ، فهى لا تأنس إليه إلا ريثما تنفلت من لدنه . ولم يضايقه أن لا تبسم له إلا ابتسامة جافة عابرة ينبجس من أضعافها معنى الألم والحسرة . فهو لا يحس أنها تنطوى على بغض له ما تستطيع أن تبوح به خشية أن تجتاحها ثورة الأب ونقمة الأم . إنه لفى شغل عن ما يختلج في أطواء الفتاة ، لأنه سعيد في هذه الدار ، سعيد بالضجة التى تكتنفه هنا وهنالك ، سعيد بالزواج من هذه الفتاة الجميلة الزكية . غير أن خاطرة كانت تحوم حول عقله توشك أن تلجه فيدفعها عنه في شدة وعنف ، خاطرة نبت غرامها في قلبه منذ أن تحدث إلى عادل حديثه وحديث الفتاة ، فوجد منه الإصرار والعناد ، لقد استطاع أن يوهم نفسه بأن الفتاة تلقاه في سهوم وصمت من أثر الحياء والخفر ، وأنها تنزوى عنه حين تريد أن تتصنع الدلال و تمنع ، وهو حين يسيطر عليه الشك يتخيل بأن خلجات نفس الفتاة نزوة طائشة من نزوات الشباب لا تلبث أن تهدأ وتستقر .

وانطوت الأيام تدفع المشكلة إلى نهايتها .

* * *

أما عادل فكان يرى الحوادث حواليه تضطرب وتندفع إلى غايتها ، وما له يد يدفع بها هذه العاصفة وهى توشك أن تلفه في غير رحمة ولا شفقة . لقد كان يلقى فتاته بين الحين والحين لا يستطيع أن ينزع نفسه عنها ، ويجلس إلى جوارها يتحدث إليها ، وإن قلبه المكلوم ليئن أنيناً يسمع ويرى ، وهو يوارى زفراته الحرى ، ويدارى عبراته الساخنة خلف ستار من الرجولة والكرامة .

ولكن عين الفتاة كانت تنفذ إلى ما وراء الحجاب فلا ينطلى عليها هذا التصنع وهى ترى فتاها ينهد من حزن عميق ، ويتضعضع من أثر الصدمة . وهو يرى فتاته تذوى وتذبل لأنها تنقاد إلى أمر . آه ، ليت هذا الفتى المرح الطروب ينطلق على سجيته فلا

يدع الأوهام الكاذبة تكبّل روحه الوثابة . !

وضاق عادل بما يجد ، فانطلق إلى أبيه فى القرية يطب لروحه وترفق الأب الشيخ بابنه الشاب وهو يحدثه : « يا بنى ، وما ذا عسى أن أفعل والفتاة قد سميت على فتى آخر ؟ أفتراني أستطيع أن أطلب إلى فكرى بك أن يطرد خطيب ابنته فى غير ذنب لتستقر أنت مكانه ؟ إننى — وقد عركتنى الحياة — لا أومن بالحب ، وهو خرافة قلبية خلقها الشباب ليبرر بها نزوات الطيش وبدوات النزق ، والحياة الزوجية — فى رأى العاقل — دار وزوجة وأولاد . وغداً تطم حاجات الدار على ثورات القلب ، وتمسح تكاليف الحياة على نوازع النفس ، وتبدو الحياة أمامك طفلاً يدرج فى فناء الدار ، ثم صبياً يتقلب فى المدرسة ، فإذا هو شاب تنمحى حاجاتك أنت لتفسح الطريق لما يطلب هو ، فتبذل له المال والنفس والروح جميعاً ... ولكن ، ألا تعلم شيئاً عن الفتى الذى تزعمه غريماً لك ؟ » قال عادل : « أنا لا أعلم من أمره شيئاً ، ولم أجلس إليه إلا مرة واحدة فى مقهى على النيل من مقاهى الجيزة . لقد جاء ليحدثنى حديثه ، ويطلب إلىّ أن أنسحب من هذا الميدان كى لا أخلق المشكلة التى يعضل حلها . إنه فتى وسيم الطلعة ، ربق الشباب ، عليه سيما القوة والجد ، وعلامة النعمة والثراء ، وهو هادئ الطبع ، لين الحديث فى غير ضعف ... هو جلال بن عزت بك » !

وبدت الدهشة على وجه الأب حين سمع هذا الإسم ، ونظر إلى ابنه نظرة صارمة ، ثم راح يقول : « الأميرالاى عزت بك ! إنه رفيق الصبا ، وترب المدرسة والملعب ، وصديق الشباب ، وإنه منى بالمكان الذى أحرص فيه على رضاه لأياد كثيرة له عندى . هذا أمر لم تكن تعرفه من قبل . وهكذا ترى أننى لا أستطيع أن أزاحمه فى أمر اختاره لابنه وسبقنى إليه . ولا ريب فى أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتما إلى أن تبقى علىّ وتنزل عند رأيى ، فدع عنك هذا الأمر ، دعه وأنا أختار لك من تشاء لتكون زوجاً لك ، وأبذل لك الجهد والمال لترضى ! »

وخرج الفتى من لدن أبيه يتعثر فى خيبته ، وإن قلبه ورجولته ليتجاذبانه ، فما يدرى ما ذا يفعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً . الآن — وقد سدت الأبواب جميعاً فى وجهه — لم يبق أمامه إلا أن يتوارى عن عينى الفتاة إلى الأبد . ولكن رجولته أبت عليه أن ينسل خفية كما يفر الجبان الرعديد من الميدان تحت سترين من الظلام والسكون .

لقد عقد العزم على أن ينسحب مثلما يرتد الجندى العاتى الجبار حين يرتد فى وضح النهار ووجهه دائماً قبالة العدو ، لا يطأطئ رأسه ولا تذل هامته ، فذهب إلى الفتاة يعلن أمامها رأيه فى قوة وصراحة .

وجلسا معاً فى ناحية من حديقة الدار . لقد جاء يعلن لها رأيه ورأى أبيه . ولكنه تخاذل أمام جمالها الآسر وهو إلى جواره يشع حياة ونوراً ، وتداعى أمام حبها المتأجج وهو يتألق فى روحه بهجة وروعة ، فأمسك عن الحديث . أفكان يطمع فى أن يمد فى عمر سعادته قبل أن يفترقا إلى الأبد ، أم كان يشعر بأن فى كلماته صفعات عنيفة فهو يؤجل حيناً بعد حين رحمة بقلبين ؟ ولكن صوت أبيه الشيخ رن فى أذنيه ينادى : «ولاريب فى أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتماً إلى أن تبقى علىّ وتنزل عند رأيى » . فهمّ مندفعاً يعلن رأيه ، وانطلقت كلماته هينة رقيقة ولكنها وقعت على قلب الفتاة المسكينة فى مثل قوة العاصفة العاتية فأجهشت للبكاء ، وانطلق صوب الباب يريد أن يهرب من ضعفه

لقد انطلق عادل ليهرب من ضعفه ، ولكنه ما كاد يقترب من الباب حتى ارتطم بشاب يزحمه الطريق : هوجلال . لقد رأى جلال بعينيه .. رأى الفتى والفتاة فى كن تحت شجرة من أشجار الحديقة يستمتعان بالخلوة فى منأى عن الرقيب ، فوقف ينظر فى ذهول وغيظ وحديثهما لا يكاد يبلغ مسمعيه . وحين انطلق عادل صوب الباب أخذ جلال عليه الطريق ، ولكن عادلا لم يعبأ به وانطلق فى طريقه دون أن يلتفت إليه ، يريد أن يهرب من ضعفه

وحز فى نفس جلال ما رأى ، فانطلق إلى الفتاة يربّت على كتفها ويقول فى غيظ وكمد : « لا تحزنى يا فتاتى ، لقد رأيت وسمعت . والآن أتنحى أنا لتجدى السعادة والرفاهية إلى جانب الحبيب» . ثم اندفع إلى أمها فى ثورة تفور وتغلى يقذف فى وجهها بخاتم الخطوبة .

لقد خسرت الفتاة الحبيب والزوج فى وقت معاً ، وجلست فى زاوية ، وإن شبح ابنة عمها ليضطرب فى ناظريها كلما ذكرت الخطبة والزواج ، ابنة عمها التى أشرفت على الأربعين ولما تجد الزوج .

كامل محمود حبيب

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزى بك

— ٤ —

إيطاليا تسترد فزان :

حينما يتكلم جراتزيانى تنصت السموات العلا ويفتح الناس آذانهم ، إلا أهل فرنسا فهم لا يتركونه من غير أن يناله رذاذ من نقدهم : أنظر إليه يقول : « لا توجد على الأرض دولة بوسعها إن تفخر أنها ختمت حملة استعمارية بالنصر الذى ختمنا به حملتنا على الكفرة وفزان : ليس بوسع الفرنسيين أن يدّعوا شيئاً من ذلك ، بل نؤكد أمام العالم تفوقنا عليهم رغم الانتقادات التى توجه إلينا من سكان ما وراء الألب (يقصد فرنسا) أو سكان ما وراء المانش (يقصد بريطانيا) » .

ثم انظر إلى ردهم الحاسم بعد فتحهم فزان فى سنة ١٩٤٣ فيما نشره الفرنسيون بسخريتهم المعروفة :

qne répondre ä telle vsntardises

bèau de lion dovt,d'In oonp de griffe nos troupes ont dépoullé , maltre crszlani

أنصت إليه فى مؤلفه :

يحدثنا عن نفسه : Pace Romsna In libia

« ها قد أعطيت الكلمة لتحكيم السيف وإنها لكلمة مقدسة حينما نريد أن نفرض إرادتنا على خصم عنيد ؟ إنها مقدسة ولمائة مرة حينما نقذف فى وجه الأهالى الوطنيين الذين صمت آذانهم عن سماع أى منطق إلا ما توحيه إليهم عقولهم الهمجية ، أولئك لا يقنعهم شىء سوى استعمال القوة تصحبها العدالة » .

أرأيتم مثل هذا إلا فى عهد قيصر ! ! !

فهو إذن يشيد بعمل الحكومة الفاشية التى قررت فرض إرادتها باستعمال السلاح يقول إن سياستها تتلخص فى جملة واحدة « أصبح من الحتم الخروج من الحالة المبهمة السائدة فى المستعمرة وأن تفرض إرادة الحكومة على كل جهة ، وأن يكون فرض التسليم والخضوع شرطاً نهائياً Sine qua non لكل عمل سياسى مع الأهالى ، فعلى كل من يباشر أى سلطة حكومية أن يواجه أهل البلاد بهذه الحقيقة التسليم بلا قيد وشرط أو الحرب بلا هوادة » .

وكانت هذه هى السياسة التى نادى بها فولبي والذى وقف من أول الأمر ينادى « بأن حق إيطاليا من الناحية الدولية فى امتلاك المستعمرة حق ثابت لا نزاع فيه ، وأن عناد الأهالى ما هو إلا ثورة يحركها بعض الرجال المتعطشين للسلطة تقودهم أطماعهم الذاتية فليس هناك روح قومية أو حركة وطنية تحركها عواطف عالية أو روح جماعية ، وإنما هناك أطماع وأغراض وأهواء : فلنضرب ضرباً قاسياً » وهل وجد المستعمرون فى مدغشقر وفى أندونيسيا غير هذا المنطق ؟

وجاء جراتزيانى ينفذ خطته لاحتلال فزان على طريقته الخاصة وإلا فانظر إلى تعلماته للوحدات التى يقودها : فهى تعبر عن نفسية يجدر بنا تتبعها :

١ — توزع قوات الاحتياطى على أنحاء الجبهة بطريقة تمكن من الاستفادة منها بغير إضاعة وقت ولكى يسهل تجمعها واستعمالها إذا احتاج الأمر إليها لضرب العدو ضربات قاصمة .

٢ — تقسم الجبهة إلى أقسام ، وأن يتولى كل فى دائرته مطاردة العدو بواسطة أفواج متحركة Colonne mobibe تبدأ عملها من نقط ارتكاز مختلفة ومتباعدة ولكنها متجهة فى سيرها إلى غرض واحد — أو تظهر أنها متجهة لأغراض متعددة فى وقت واحد مع تلاقيها عند هدف واحد ، وبذلك تتوزع قوات العدو المتجمعة أو تتفرق أو تتبث فى أماكنها .

٣ — يراعى أن تستعمل الوحدات على أساس العمل على جبهة واسعة الأطراف ، أى تعمل كل واحدة على أنها مستقلة تماماً فى تحركها إلى أبعد مدى وتترك كل قواعد وأساليب التعبئة القديمة ، وتعتمد الوحدات على مرونتها فى الحركة والتقدم والعودة بدون أن تلجأ إلى طلب مساعدة الوحدات الأخرى : يفهم من هذا أنه اتبع نظام دوريات دائمة متحركة بانتظام[1] .

وقد تبين من كتابته رأيه فى المقاتلين العرب ، فهو لا ترهبه كثرتهم العددية بل يقرن النصر بالقرار الحازم والتقدم للهجوم ،

(١) وهو ما اتبعه الصهيونيون فى منطقة النقب .

قالهم لديه اكتشاف أماكن تجمع الثوار ومهاجمتها بغير تردد ويوصى بأنه عند التلاقي يجب إشغال العدو وقبول المعركة، فإذا حاول العرب الانسحاب لا تتركهم قوات الجيش ولا تمكنهم من الراحة واستعادة شجاعتهم، بل يجب مع انسحابهم إصابتهم مادياً والفتك بهم حتى تفنى قوة المقاومة لدى العدو ولا يستطيع استعادتها.

ثم عاد فقرر «أنه لا يصح احتقار شأن الثوار، بل يحسن إعطاؤهم ما يستحقونه وليذكر الطليان أن عزيمة العرب وإن بدا مظهرها قوياً في المبدأ إلا أنها لا تستند على قوة دافعة مستديمة، ولذلك تضعف وتهبط في النهاية فالمقاتلة من الثوار لا يسعهم أن يصمدوا في المعركة طويلاً أمام قوات نظامية مدربة تدريباً أوربياً»

ويهمنا أن نتعرف إلى جميع آرائه فينا فهو يتكلم بصراحة ويوسعنا أن نصلح أخطاءنا دائماً إذا اطلعنا على مايكتبه عنا أمثال هؤلاء ويقرر «أن حاجات العرب في الميدان محدودة. ولذلك لديهم مقدرة فائقة على جمع وسوق قوات كبيرة واستعمالها في ميادين مختلفة والعربي مقاتل بغريزته وطبعه فهو لا يهاب المواجهة ولا يخشى التصادم، ويعتمد على عاملين: مقدرته على التضليل ليصل إلى توزيع القوة التي أمامه وتفرقها حتى لا تعمل كوحدة متكاتفة وقوية ثم يعتمد على المؤثرات الافريقية التي تصيب الجيوش الأوربية وتسبب لجنودها التعب والإعياء حينئذ يضرب ضربانه».

ثم يعقب هذا بقوله: «إنه في كل مرة من تلجئهم الظروف إلى مواجهة حالة قتال تقرب من أساليبنا الأوربية، ويتحتم عليهم قبول المعركة يدب الخلل في صفوفهم ثم يسهل لنا التفوق عليهم لعدم تمكنهم من الوسائل الفنية المديدة التي بين أيدينا» على ضوء هذه التعليمات الصريحة قاد جراتزياني جنوده في العمليات التي سبقت فتح فزان وهي عمليات بوليسية على حد تعبير إخواننا الهولنديين حينما يتحدثون عن جهاد الشعوب

وفي هذه الأثناء جاء بادوليو إلى ليبيا وتولى سلطتي الحاكم العام والقائد الأعلى «وكان هذا في نظر جراتزياني فتحاً جديداً عبرعنه بقوله «بعد عشرين عاماً من التلكؤ والتردد والهزائم تسلم الأمور ليد عسكرية وتضع لأول مرة برنامج منسجم جامع روعي تطبيقه بإرادة قوية».

وبهذا انتقلت السلطات العليا ليد العسكريين، فأمر بأن تكتب هذه العبارة وتعلق على بابه «ليس لدى هذه القيادة خزينة لدفع مرتبات». وذلك لاعتياد الحكومة الإيطالية على توزيع مرتبات نقدية وهدايا وأسلحة وذخيرة وقال إنه رفض من المبدأ الدخول في مفاوضات أو إعطاء مواثيق أو وعود، وصرح في كل مناسبة أن الحكومة تريد أن تعرف من هم أصدقاؤها ومن هم أعداؤها وأخذ يترنم بمقطوعة من شعر فرجيل الشاعر الروماني.

tu regere imperio populos Romano menuto
Parcere subjectus et debellare Superbus

وتعريبه «تذكر أيها الشعب الروماني أنك ستدعى إلى حكم الشعوب فاعف عمن يلين لك واخضع الأقوياء لسلطانك».

وهكذا نرى أن فزان فتحت لنا آفاقاً بعيدة نطل فيها على حوادث متعددة ونتعرف فيها على نفسية القواد وغرورهم ورأيهم فينا:

فلنقف قليلا لنحدد أثر الحوادث وتسلسلها التاريخي في فاصل قبل الدخول إلى المقاطعة وحروبها الحديثة.

فنحن نعلم أن فزان كانت مستقلة تحت حكام من أمراء بني خطاب من قبائل الهوارة كما حكمها ملوك من السودان ولا تزال بقايا قصورهم وقبورهم قائمة. ونحن نذكر نقلا عن صاحب تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار «حوادث عن أمراء فزان» في ولاية سليمان داي التركي وحروب صاحبها المنصور بن الناصر ابن المنتصر ورفضه دفع الأتاوة وعراكه مع الوالي ثم حروبه وعودته وشكوى أهل فزان للسلطان أحمد بن السلطان محمد ابن مراد بن سليم بن سليمان فهذه حوادث تتكرر في كل عصر حتى عصر عبد الحميد. وكان أن أصبحت فزان منفى لرجال الأحرار من الأتراك في عهده والغريب أن يلجأ حكام روما الفاشيون إلى فزان والكفرة لفرض الإقامة الجبرية على فريق من أعداء العهد الفاشي، فإذا جنود فرنسا حرر بعضهم وكان قد مضى عليهم سنوات وهم مبعدون من أوطانهم.

لنذكر بعد ذلك أن إيطاليا جمعت في أواخر سنة ١٩١٣ حملة قوامها ١٢٠٠ جندياً إيطالياً ووطنياً تحت قيادة الكولونيل مياني ووجهتها من طرابلس إلى الجنوب واحتلت المراكز الهامة

حتى وصلت إلى مرزوق ولكن هذا الاحتلال لم يدم طويلا كما ذكرنا ففي نهاية عام ١٩١٤ انسل الطليان منسحبين إلى الشمال تاركين الجنود الوطنيين وحدهم فدخل فزان السنوسيون مع حلفائهم من الطوارق وأقاموا بها حكما لم يدم طويلا لأن الأتراك أعدوا الكرة فزحزحوا السنوسيين عنها وعينوا إحسان ناقب متصرفاً للاقليم وجعلوا المدعو خليفة زاويه في وظيفة محاسبجي للمتصرفية حدث هذا في سنة ١٩١٧ ثم تولى الأخير السلطة في نهاية سنة ١٩١٨ ولما غادر الضباط الأتراك البلاد بعد عقد الهدنة — ثم ساد عهد من الفوضى والتنازع بين الأخير وجماعة سيف النصر وشيخ يدعى عبد النبي انتهى باستيلاء الأخيرين على مرزوق وطرد خليفه من المقاطعة فلجأ الأخير إلى الطليان وهو بحالة يرثى لها فأعطاه جرازياني منزلا وخادماً ووعده بأن يستخدمه في فتح فزان .

وضعت خطة الفتح بناء على إرشادات المارشال بادليو وروعيت فيها منتهى الدقة بحيث لم تتجاوز اعتمادات الصرف ٢١ مليون ليره إيطالية أي ما يقرب من ٢٠٠ ألف من الجنيهات المصرية يدخل فيها تكاليف تمبيد الطريق لغاية سبها وإصلاح الطريق من سبها إلى مرزوق ثم منها إلى غات على الحدود الفرنسية .

ثم كل هذا ابتداء من النصف الأول لسنة ١٩٢٩ وتحدد شهر ديسبر لابتداء العمليات الحربية التي وضعتها القيادة العامة في طرابلس من ناحية تعبئة القوات المكلفة بالفتح وتهيئتها وإمدادها بسريات النقل وكل ما يتعلق بمراكز التموين والتجمع ونظام سوق الجيش وتركت على عاتق جرازياني الناحية الفنية ناحية اختيار الضباط وتدريب القوة المكلفة بالزحف .

لحصر همه في اختيار أعوانه ووضع لذلك شروطاً ألزم نفسه باتباعها فاشترط .

١ — أن يكون الضابط على خلق قيم وجرأة وإرادة .

٢ — أن يكون من المتحمسين للأمور الاستعمارية .

٣ — أن يكون من الذين يتحملون المشاق ويرضون بالتخشن في العيش .

ولما عرف كيف ينتقى ضباطه فرض هذه الشروط على ضباط الصف ثم أخذ يختبر معلومات ومقدرة رجاله ففرض على القوة القيام بتمرينات متعددة على خاصيات حرب الصحراء واهتم بوسائل الارتباط والمخابرة مع الطائرات حتى يسهل الاتصال بين الوحدات وبعضها وبينها وبين القيادة وطبع كتاباً مختصراً عن فزان وأحوالها ووزعه على الجنود وضباط الصف وأخذ في تحضير خريطة مفصلة على أحدث ما وصل إليه علم السلطات عن طبيعة الأرض والمناطق وأسماء البلاد والمسافات التي تفصلها .

ولم ينس خليفة زاويه الذي انضم مع الطليان على رأس مفرزة من الوطنيين ومعه مهدى موسى للانتقام من أعدائهما في مرزوق وتحركت القوتان في نهاية شهر أغسطس وقاتلت جماعة من المجاهدين تحت قيادة سيف النصر واحتلت واحة براق الواقعة على طريق سبها .

ولما وصل خبر احتلالها إلى طرابلس أصدر بادوليو أمره بالتقدم إلى مرزوق وأن تتكون القدمة مكونة من فوج من السيارات المدرعة ومعه كتيبه من جنود ارتيريا تحملها السيارات وتتبع كل هذا قافلة تحمل ما يكفى لمدة شهر من المؤن والذخائر ولما وصلت الحملة إلى براق وجدت أن سبها قد سقطت في يد خليفة وبهذا أصبح الطريق مفتوحاً إلى مرزوق .

يقف الطليان هنا موقفاً خاصاً يشيرون فيه إلى أخطائهم الماضية فهم يدرسون عمليات سنة ١٩١٣ ويقررون أن أسلافهم لم يفكروا في حماية مواصلاتهم[1] وكان تقدمهم لاحتلال مراكز العدو دون التفكير فيما تتعرض جنودهم إذا تركوا جيوباً للعدو يشن الغارة منها عليهم وكان أن سقطت حامياتهم وعزلت واحدة تلو الأخر ويكشف جرازياني عن فكره بقوله « إن هذه الأخطاء لن تتكرر مرة أخرى » ولذلك ترك الزعماء الوطنيين يتقاتلون في فزان . حربهم الداخلية الفانية التي تحضر للرق رؤوسهم وأخذ يستعد لحملة واسعة النطاق وكان ذلك في الشهور بين نهاية أغسطس و ٢٥ نوفبر سنة ١٩٢٩ حيث وصل فجأة إلى سبها وأصدر تعليماته التي تتلخص في .

١ — اتمام تطهير الجزء الشمالي بأكمله واحتلال براق وسبها بالقوات النظامية .

٢ — السير مرة واحدة إلى واو الكبير على طريق مرزوق — الكفرة ومنها كانت الحملة التي وجهها العابد إلى سبها سنة ١٩١٤ .

(١) ظهرت هذه الأخطاء في حملة فلسطين ١٩٤٩ .

حول مشكلة السكان فى مصر

للأديب محمد محمد على

إن دراسة السكان على جانب كبير من الأهمية للباحث الاجتماعى ، وذلك لوجود علاقة متبادلة بين تكوين وحجم المجتمع من جهة ، وبين النظم الاجتماعية والمظاهر الحضارية من جهة أخرى . وعلى ضوء هذه الدراسة توضع خطط إصلاح المجتمع . والسكان فى العالم موزعون توزيعاً غير صحيح ، لأن هناك عوامل كثيرة تؤثر فى هذا التوزيع ، وأهمها المظاهر الجغرافية والموارد الطبيعية والتحسينات البشرية .

وفى مصر يتجمع السكان (تسعة وتسعون فى المائة منهم) فى جزء صغير لا تتجاوز مساحته خمسة وثلاثين كيلو متراً مربعاً ، فتبلغ كثافة السكان ٧٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع على اعتبار أن عدد السكان قد وصل تسعة عشر مليونا . وتختلف هذه الكثافة فى جهات القطر المختلفة ، وتبلغ أقصاها فى المنوفية : أشد المديريات إزدحاماً ، إذ تزيد الكثافة على ثمانمائة نسمة . ولا عجب فى هذا الازدحام فإن اعتماد الأهالى على الزراعة .

ومن مقارنة التعدادات المتتالية يتبين لنا أن عدد السكان فى مصر قد تضاعف فى نصف القرن الأخير إذ زاد من تسعة ملايين وسبعمائة نسمة فى عام ١٨٩٧ إلى تسعة عشر مليوناً فى عام ١٩٤٧ حيث بلغ متوسط الزيادة ٢٪ فى السنة . وهذه زيادة كبيرة لا تتناسب وزيادة الموارد الطبيعية : وذلك هو أصل الداء وأس المشكلة . فإن المساحة المنزرعة لم تزد فى هذه الفترة إلا حوالى ثمانمائة ألف فدان إذ بلغت فى عام ١٩٤٥ خمسة ملايين وسبعمائة ألف . وليس من شك فى أن هذه الزيادة الكبيرة فى السكان تؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ، لكنها زيادة فى طبقات معينة ألا وهى الطبقات الدنيا ، لأنها لا تزال تعتقد أن فى زيادة السكان خيراً وبركة ، اعتماداً على قول الرسول الكريم (ص) « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ثم لطبيعة الفلاحين فى حب النسل الكثير . ومن جهة أخرى نجد أن الطبقات المثقفة والعليا تستخدم وسائل ضبط النسل بنجاح كبير لدوافع اقتصادية وصحية وثقافية . إذن فالطبقات الدنيا هى التى يتخفض مستواها من هذه الزيادة ، وهم سكان الريف المهمل فى شتى الخدمات الاجتماعية .

وتعتبر الملكية المقارية عماد النظام الاقتصادى الزراعى فى مصر . فقد بلغ عدد الملاك فى عام ١٩٤٥ : ٠٠٠ ر ٦٠٠ ر ٢

---

٣ — الهدف الأخير احتلال مرزوق — أوبارى — غات لحدود الصحراء الفرنسية .

إن القصد النهائى هو أن تتطور المعركة على شكل ديناميكى وينتهى للوصول إلى احتلال نهاية الحدود السياسية وإخضاع أبعد المناطق مما لا يتصور العرب أن فى وسع الحكومة الإيطالية الوصول إليها [1].

وقد نفذت هذه الخطة التى كان الكتمان رائدها بحذافيرها تامة فاستولت إيطاليا على واو الكبير ومرزوق وفى ٣٥ فبراير سقطت غات التى غادرها الثوار منسحبين إلى داخل الأراضى الفرنسية وفى ٣٠ مارس تركت مفرزه من قوات البادية مراكزها فى فزان متجهة جنوبا فاحتلت جبال طمو فى ٢ إبريل أى على بعد ١٥٠٠ كيلو مترا من الساحل وأتمت حركتها بأن عادت إلى مراكزها عن طريق بئر الوعر وبقيت إيطاليا تسيطر على فزان حتى قامت الحرب الأخيرة . أليس فى ذكر هذا مايحرك فى النفس أشياء ؟

نعم لقد انتهى عهد إيطاليا وانتهى جراتزيانى وسلمت جيوشه فى صحراء مصر ولكن الدروس التى ألقاها علينا فى زحفته إلى فزان تستحق العناية أو تنبهنا إلى بعض الأخطاء التى وقع فيها أسلافنا أو وقعنا نحن فيها ألم يكن من الأوفق لنا أن نعرف أساليب الخصم الماتى وأن الاستعمار مجموعة تجارب والحروب سلسلة من الدروس القاسية والفرص تأتى ولا تعود .

والآن انتقل إلى الحلقة الأخيرة لفزان وهو احتلال فرنسا لهذا الإقليم :

(النهاية فى العدد القادم)

أحمد رمزى

(١) قارن هذا بعمليات اليهود فى النقب وخليج العقبة ١٩٤٩.

٣٢٠٣٣

أى ١٥٪ من السكان . فإذا فرضنا أن كل مالك يعتبر رباً لأسرة قوامها خمسة أفراد ، فإن عدد من يعتمد على الزراعة من سكان القطر كمورد رزق يبلغ نحو خمسة وسبعين فى المائة من جملة السكان . ومن هؤلاء الملاك سبعون فى المائة يقل ما يملكه الواحد منهم عن فدان ! ولا جدال فى أن الفقر يؤدى إلى سوء الصحة ، بالإضافة إلى الجهل الضارب أطنابه نرى أن ثمانين فى المائة من سكان مصر الحديثة يعيشون عيشة ضنكا ! وهذا أمر عجيب فى بلد ذى مناخ معتدل وموقع ممتاز ، وهو يعد مهد أقدم حضارة أضاءت بنورها ظلمات العالم . وهنا نتساءل : هل يؤدى ازدياد السكان إلى انخفاض مستوى المعيشة ؟ ولكل سؤال جواب كما يقول جميل لصاحبته . فما ينبغى أن نتشاءم كما تشاءم ملثس Malthus (١٧٦٦ — ١٨٣٤) فى انجلترا ، فقد حذر مواطنيه من كثرة التناسل وحثهم على تأخير الزواج مع حياة العفة . وحينما تغيرت الأحوال ونهضت الصناعة فى القرن التاسع عشر ، زاد عدد السكان زيادة فائقة استجابة لزيادة الموارد ، ولم يصحب ذلك انخفاض فى مستوى المعيشة .

قد يقال إن أمام المصريين أرض الله واسعة فليهاجروا إليها ، ولكنا المصرى قد تعود التعلق بأرضه منذ القدم ، ثم إن الهجرة ليست بالأمر الهين السهل ؛ لأسباب مختلفة وظروف متباينة . وقد يقال إن ضبط النسل هو الحل الصحيح ، ولكنه غير ممكن من الناحية العملية إذ أن وسائل ضبط النسل قلما تلاقى نجاحاً عند الطبقات الدنيا كما أشرنا من قبل ، مع أن المجتمع لا يرغب فى زيادتهم الكبيرة ، وذلك بعكس الحال عند الطبقات المثقفة والعليا التى توسعت فى استخدام ضبط النسل مع أن كثرة نسلهم ليس منها ضرر ، إذ أن فى إمكان هذه الطبقات أن تربى الأطفال مهما كثروا تربية حسنة . إذن فعلاج الحال نجده فى الموارد الطبيعية .

ففى الناحية الزراعية يمكن زيادة الأراضى المنزرعة وذلك بإصلاح الأراضى البور وبواسطة مشروعات الرى مثل مشروع وادى الريان وغيره والاهتمام بطرق الزراعة والعناية بأنواع النباتات وتحسينها ، مع ملاحظة قانون الغلة المتناقصة وهو أن للأرض حداً فى الإنتاج لا تتعداه مهما أجرى من وسائل التحسين والإصلاح ، وكل زيادة فى الإنتاج يحصل عليها بأكثر من زيادة متناسبة فى الأيدى العاملة .

ويرى سعادة حافظ عفيفى باشا أن هناك أربع وسائل لرفع مستوى المعيشة فى مصر (١) :

١ — قيام الشركات المساهمة .

٢ — رفع الرسوم الجمركية على الموارد الأولية والآلات .

٣ — العناية بأجور العمال وتحسينها .

٤ — تشجيع التصدير إلى الخارج .

وهناك غير ذلك من وسائل رفع المستوى الاقتصادى للشعب مثل الضرائب التصاعدية وتأميم المشروعات والتصنيع الريفى والتوجيه المهنى للنشء ... ومن وسائل رفع المستوى الصحى مثل العناية بمياه الشرب والمساكن الصحية وإنشاء المستشفيات والتأمين الصحى للسكان وتشجيع الجمعيات الخيرية . والاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة الشعبية ومحو الأمية لرفع المستوى الثقافى . هذا مع العلم بأن هناك ارتباطاً بين النواحى الاقتصادية والصحية والثقافية ؛ فلا صحة للقول الشائع بأن نبدأ فى القضاء على الأعداء الثلاثة الفقر والمرض والجهل واحداً فواحداً ، مع أن المشكلة واحدة وينبغى علاجها من كافة الوجوه .

ولا بد لنا من أن نسجل بالفخر فى هذا المقام ما قامت به حكومة الفاروق أعزه الله من جهود فى سبيل رفع مستوى الشعب بمختلف الوسائل .

والخلاصة أن ازدياد السكان لا يؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ما دامت هناك إمكانيات لزيادة موارد الغذاء ، إلا أن هناك ضرورات تستوجب استخدام وسائل ضبط النسل مثل عدم ملاءمة الحالة الصحية أو اشتغال المرأة بالأعمال المختلفة وغير ذلك . وينبغى أن نتذكر دائماً فرنسا التى ما زالت تعانى خطر قلة عدد سكانها ، إذ استخدم ضبط النسل فى أول الأمر كعلاج للمشكلة عندهم ، ثم بمضى الزمن أصبح ضبط النسل من تقاليد السكان الذين لم يستطيعوا التخلص منه رغم إغراءات الحكومة المختلفة لزيادة النسل . مع أن المقصود بضبط النسل فيما نرى هو مراعاة مقتضى الحال فى الزيادة والنقصان .

محمد محمد على
قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

(١) جريدة المصرى ١٩٤٩/٢/١٠

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

توفيق الحكيم فى ميزان الفن والنقد :

الرأى الذى كونته لنفسى عن فن توفيق الحكيم قبل أن أعرفه ، هو الرأى نفسه الذى انتهيت إليه بعد أن عرفته . كل ما حدث هو أن معرفتى به قد زادتنى اقتناعاً بهذا الرأى وإيماناً به . أما هذا الإيمان فقد قام على دراسة بعيدة المدى لفنه أولا ولشخصه ثانياً ، وأستطيع أن أقرر وأنا مطمئن أن كل ما أكتبه هنا — فى رأيى على الأقل — يتسم بسمة المعرفة ، والصدق ، والثقة التى تستمد عناصرها ومقوماتها من الواقع الملموس .

أول مزية من مزايا هذه الشخصية الفنية أنها من الشخصيات النادرة التى تتمتع بحظ كبير من القلق النفسى ، وهو أول أداة من أدوات كاتب القصة . . . ومن طبيعة الشخصية القلقة أنها تثير دائماً ألواناً من « الصراع الفكرى » فى ثنايا القصة والمسرحية ، وكلتاهما تعتمد أول ما تعتمد على هذه الدعامة الفنية الفذة ، وأعنى بها « الصراع » ! القلق الدفين والشك الملح صفتان تجريان مجرى الدم فى طبيعة توفيق الحكيم النفسية ؛ ومن هنا تجد شخصيته القلقة منعكسة بوضوح فى أكثر ما يكتب ، ويستطيع الذين لم يتصلوا بهذا الكاتب ، ولم يتهيأ لهم أن يعرفوه معرفة خبرة ودراسة ويقين ، أن يلتمسوه هناك فى كثير من شخصيات قصصه ومسرحياته ... إنها شخصيات حائرة ، قلقة ، مترددة ، يندر أن ينتهى بها المطاف إلى استقرار . وهكذا تجد توفيق الحكيم فى واقع الحياة ؛ يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس : فى تأملاته ، فى تهويماته ، فى سبحاته الروحية ؛ وهو لهذا كله يثير فى فنه أشتاتاً من المشكلات الفكرية العميقة التى تحفل بالصراع ، ولكن أى صراع ؟ إن توفيق الحكيم يذهب فى مقدمة « أوديب الملك » إلى أنه يقيم الصراع دائماً على دعامتين : الواقع والحقيقة ، أى أنه يفرق أبطال قصصه ومسرحياته فى خضم من « الصراع الفكرى » الذى تتجاذبهم فيه أمواج الواقع من هنا وأمواج الحقيقة من هناك . . هذا حق ولكنه ليس كل الحق ؛ إن فى بعض مسرحياته صراعاً بين الواقع والخيال ، وقد يبدو الخيال لبعض الواهمين ضرباً من الحقيقة ، كما حدث لبعض شخصيات توفيق الحكيم فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » !

وسواء أكان الصراع فى « أهل الكهف » و « أوديب الملك » صراعاً بين الواقع والحقيقة ، أم كان صراعاً بين الواقع والخيال كما حدث فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » ، سواء أكان هذا أم ذاك فإنك تخرج من هذا « الصراع الفكرى » بظاهرة فنية ملموسة ، وهى أن شخصيات توفيق الحكيم القصصية تفر من الواقع هنا وهناك . . . ومرة أخرى تجد هذا الفنان منعكساً بلحمه ودمه على صفحة فنه ، لماذا ؟ لأن هذه هى طبيعته النفسية والفكرية ؛ لقد قدر له أن يلقى الحياة بهذه الطبيعة العجيبة ، يلقاها ليفر منها ، جرياً وراء الحقيقة أو جرياً وراء الخيال !

« الصراع الفكرى » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ، أما « الصراع النفسى » فلن تجد منه إلا ومضات لا تلبث أن تشع حتى تختفى ... فى هذا التيه من التأملات الفكرية والتهويمات الذهنية ، وتستطيع أن تلمس هذا بوضوح فى « أوديب الملك » ؛ لقد حاول توفيق الحكيم جاهداً أن يتخلص من هذه الظاهرة التى تفرض نفسها على فنه ليتمد بتمثيلية سوفوكل عن حيز « المسرح الذهنى » ولكنه لم يستطع ... من هنا تنبع شكواى من فن توفيق الحكيم ؛ شكواى من انعدام « الصراع النفسى » ! إن أول مزية من مزايا هذا الصراع هى أنه حين يرسم لك الخطوط الرئيسية فى مشهد من المشاهد أو فى شخصية من الشخصيات ، يجملك تعيش بفكرك وشعورك فى محيط هذا الجو الذى تمتزج به ويمتزج بك ، فإذا أنت متجهم فى جو المشهد القاتم والشخصيه العابسة ، وإذا أنت منطلق الأسارير فى جو المشهد الوضىء والشخصية الباسمة ... لهذا كله لم يهزنى « أوديب » فى محنته ؛ أوديب الذى تحالفت عليه المقادير فقتل أباه وتزوج من أمه . وكذلك لم تهزنى « جوكاستا » الشقية البائسة ؛ جوكاستا التى تنجاب عن عينيها الغشاوة يوماً فترى أن الزوج هو الابن ، وأن الأطفال الأحباء قد خرجو إلى الحياة ، كما خرج أبوهم من قبل ... خرجوا جميعاً من بطن واحد !

هذا النقص فى « الصراع النفسى » تحل محله موهبة أخرى فى « الصراع الفكرى » ، ولولا هذه الموهبة الفذة لما ملىء هذا الفراغ فى فن توفيق الحكيم ... إن طبيعته القلقة قد انعكست

على شخصيته الفنيـة فأكسبتها فيضاً من المزايا التى لا تجتمع كثيراً لغير هذا الفنان : منها هذه الحرارة المتدفقة التى يضفيها على فنه إشماع ساطع من عنف الصراع ونفاذ التأملات ، وتلك الحركة الجياشة التى تشيع فى ثنايا المواقف النابضة بالحيوية والانطلاق

ومع ذلك فأنا أرجـو من الذين قرأوا « أوديب الملك » وغيرها من المسرحيات التى يطبعها طابع « الصراع الفكرى » أن يرجعوا إلى « سليمان الحكيم » ... إنهم سيلمسون ظاهرة فريدة لا عهد لهم بها فى فن توفيق الحكيم . ظاهرة وقفت عندها وأطلت الوقوف ، ودرستها فى كثير من التأمل وإنعام الفكر ... « صراع نفسى » وهذا هو العجب ، «وقلب إنسانى» وهذا هو الأعجب! ترى أكان توفيق يوم كتب «سليمان الحكيم» يعيش فى نفس التجربة التى صورها بريشته لقلب « بلقيس » حين خاض هذا المعترك الرهيب بين حب «منذر» وجاه «سليمان» ؟ أكاد أقطع بصحة هذا الظن ، وإلا لما استطاع توفيق الحكيم أن يهزنى كل تلك الهزات الشعورية العميقة فى هذا العمل الناضج من أعماله الفنية ؛ أقول « هزات شعورية » لأن العهد بتوفيق الحكيم أنه فى أغلب آثاره لا يهز قارئه إلا « هزات فكرية » ! ...

« سليمان الحكيم » فى إنتاجه كله تقف وحدها متفردة بأكمال « الصراع النفسى » وقوة النبضات فى القلب الإنسانى، وحكم التفرد أمر لا يقاس عليه إذا ما أقمنا الميزان للشخصية الفنية على مدار إنتاجها كله ؛ ومعنى هـذا أننى أعود فأكرر بأن « الصراع الفكرى » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ... الهمسة فى فنه تنبع من الشفتين لا من القلب ، واللمسة فى فنه تأتى من الذهن لا من النفس ، والانفعال فى فنه يصدر من إطالة التأمل لا من جيشان العاطفة . وهذا هو توفيق الحكيم فى واقع الفن وواقع الحياة ! .

تعال بعد ذلك أحدثك عن موهبـة أخرى فى فن توفيق الحكيم هى موهبـة الحوار — قد تقول لى إن توفيق الحكيم ينطق شخوص قصصه ومسرحياته فى بعض الأحيان بما يبعـد عن أن تنطقهم به الحياة . إننى أوافقك على ما تقول ، ولـكنك لا تستطيع أن تنكر أنه يدير دفة الحوار بمهارة فائقـة تنسيك هذا الجانب الذى يلوح منه شبح الاعتراض . ولا تستطيع أن تنكر أيضاً أنه قصاص قادر على الانفعـال فى تلك المواقف التى تتطلب دفقات هائلة من السرعة والحركة وحرارة التعبير ، وتلك مزية تنقص الـكثيرين من كتاب القصة !

أما الموهبة الأخيرة التى تهزنى فى فن توفيق الحكيم فهى أن القصة بين يديه تمتاز با « التصميم الفنى » ... إنه يعرف كيف تبدأ القصة ، وكيف تسـير . وكيف تنتهى ، دون أن يكون هنالك شذوذ أو اضطراب فى هذه المراحل الثلاث ؟

هذا هو كل ما يمكننى أن أقدمه إلى الأستاذ محمد عادل الرصفاوى فى حدود المجال الذى طلب إلى أن أكتب فيـه ، وإننى لأرجو أن أكون قد وضعت بين يديه مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة ... على حد تعبيره حين كتب إلى مشيراً إلى شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الأدبية والإنسانية!

كرافتشنكو ينتصر على مجلة « ليتر » الفرنسية :

أخيراً وبعد نضـال مرير عاصف عنيف شهدت أدواره جوانب قاعة المحكمة بسراى العدل فى العاصمة الفرنسية ، أصدر القضاء حكمه فى صالح الـكاتب الروسى الثائر على نظام الحكم فى بلاده ... فيكتور كرافتشنو ! وبهذا الحكم الفاصل بين صاحب « آثرت الحرية » وبين القائمين على أمر مجلة «لى ليتر فرانسيز » ، تنهار أدلة الاتهام التى وجهها خصوم الـكاتب الروسى إلى حقيقة كتابه وما حوى من وقائع ومعلومات ! .

إنها لطمة قاسية من غير شك ، تلك التى وجهها القضاء الفرنسى منذ أيام إلى الشيوعية الروسية الفرنسية ... وأية لطمة أقسى من أن يصدر حكم القضاء مؤكداً نسبة الـكتاب إلى صاحبه ، ومؤيداً لـكل ما تضمنه من بيانات أوردها كرافتشنكو ليدلل بها على فساد نظم الحكم فى بلاده ، تلك النظم التى تحد من حرية الرأى والفكر ، وتلغى الـكرامة الفردية والعقلية وكل ما ينشده الأحرار من مثل فى المجتمع الـكريم ؟!

إن كرافتشنكو يخرج اليوم مرفوع الرأس ، بعد أن حكم له القضاء بتعويض قدره خمسون ألف فرنك عن الجزء الأول من الدعوى التى رفعها على المجلة الشيوعية الفرنسية ، وبعد أن حكم له بتعويض آخر مماثل للتعويض الأول فى مقابل الجزء الثالث من الاتهام ... أما مسيو كلود مورجان مدير المجلة ومسيو أندريه ورمستر رئيس تحريرها فقد قضت المحكمة بتغريم كل منهما مبلغ خمسة آلاف فرنك ؛ ومع إلزامها بنشر هذا الحكم فى أول صفحة من صفحات « ليتر فرانسيز » ... مجلتهما الأسبوعية !!

هـذا هو ما وافتنا به شركات الأنباء عن آخر مرحلة من

مراحل هـذه القضية المثيرة ، ولـكن هيئة الدفاع عن محررى المجلة الفرنسية تمد المدة لاستئناف هذا الحـكم فى الأيام المقبلة ... ومعنى هذا أن هناك فصلا أخيراً يهم النظارة أن يشهدوه ! .

« كافر » للشاعر السورى زهير ميرزا :

هذه مجموعة شعرية تستحق تحية القلب وتحية القلم .. قال صاحبها وهو يتفضل مشكوراً بإهدائها إلىّ : « أقدم إليك هذا الشعـر ، صدى لـكلمتك (تحية قلبية وأخرى قلمية) ، التى لولاها ولولا الرسالة ما تم مثل هذا اللقاء الفكرى الذى أرجو أن يكون فاتحة صداقة متسامية ، رائدها الـكفر بالمفاهيم للايمان بها » ! ... إهداء فيه تحليق وشعر فيه تحليق ، وأنا أحب أن أعيش فى أجواء المحلقين من أمثال زهير ميرزا ، سـواء كانوا كتاباً أم شعراء .

أجل ما فى هذه المجموعة الشـعرية أن زهير ميرزا يصب شعره فى قالب من الحوار الفنى الذى يدور حول فـكرة ، تنبع من أعماق الشعور لتحلق على أجنحة الخيال ... ولا أقول إن الفكرة جديدة ، ولـكن الجديد فيها هو تلك اللقطات البارعة التى تجيد اختيار الزاوية فى مجال الإخراج الفنى للصورة النفسية ، تلك التى يتسع لها إطار التعبير ولا يزيد !

صورة من النفس يلفها وشاح من ومضة الفكر ، وإذا أنت فى « الحقيقة الـكبرى » مأخوذ بصراع العقل والعاطفة بين « قمر » و « شهر زاد » ... هناك حيث تنفر الروح من هذا « الشيء » المادى الذى تبلى جدته فى عالم الواقع وتحيا فى عالم الوهم الطليق ! وهكذا يمضى زهير ميرزا فى « لقاء » « وغانية وفـكر » و « كافر » و « مصرع المثال » ... أما « لقاء » فتصوير هذا النضال النفسى الذى يثيره « نداء الأعماق » فى طريق قد خلت من كل شئ إلا من فتى وفتاة ؛ أمواج من دعاء الوجـدان تعترض سير الشراع الحالم ولا تزال به حتى يغيب تحت أطباق العباب ! وفى « غانية وفـكر » يقبل جسد وتمرض روح ... وتحتدم المعركة بين اللهب المنبعث من وقدة نار تتأجج ، وبين الفراشة التى تحوم حول النور تبغى الضياء ولا تريد أن تحترق ؛ إن ريشة زهير قد بلغت الغاية فى تلوين هذه اللوحة التى تمثل فورة الصراع بين بائعة الجسد وبين راهب الفكر !.. أما « كافر » فتنقلك إلى ذلك الجو الفكرى السابح فى أعماق الوجود وحقيقة الحياة ؛ هل تذكر قصيدة « الطلاسم » لإيليا أبى ماضى ؟ إن جناحى زهير ميرزا يضربان فى هـذا الأفق ضربات عميقة تهز الخيال المحلق فيما وراء المجهول !

إننى لا أريد أن أقدم للقراء بعض النماذج من هذه المجموعة الشعرية حتى لا يغنيهم القليل عن الـكثير ، إننى أود أن يرجعوا إلى المجموعة كلها ليقضوا مع الشاعر لحظات جميلة وممتعة كتلك التى قضيتها معه ... أما أنت يا صديقى زهير فيسعدنى أن نكون صديقين ، يلتقيان على الـكفر بالمفاهيم للايمان بها ، وليس أحب إلىّ من هدم يقوم على أنقاضه بناء !!

جوهر النفوس عندنا وعندهم :

نشرت « المصور » فى الأسبوع الماضى صورة لصبى أمريكى يجلس بين أكوام من الأوراق المالية ، ثم أشارت إلية بهذه الـكلمات : « إنه (بوبا) الفتى المقعد الذى ضاق ذرعاً ذات مساء بوحـدته وبالحياة ، فقصد إلى دار الإذاعة فى ولاية تكساس بأمريكا ، حيث ناشد المستمعين أن يمدوه ببعض (الدراهم) التى تعينه على الحياة ... وما كادت تنقضى بضعة أيام حتى دعى إلى مقر البريد حيث سلمه مديرها الرسائل التى وردت إليه من أنحاء الولاية استجابة لدعوته . وقد وجد الفتى نفسه غارقاً فى أكوام من الرسائل تحمل فى داخلها ثروة تقدر بعشرين ألف دولار ، هبطت إليه من السماء » !

هل تستطيع أن تقف معى لحظات لنزن هذا الخبر الذى يحمل إلينا قليلا من الألفاظ وكثيراً من المعانى ؟!. ترى لو كان هذا الصبى المقعد فى مصر ، وذهب إلى دار الإذاعة ليذيع نداء الحاجة على ذوى القلوب الرحيمة ، ترى ماذا كان يحدث ؟ الشئ الذى أتصوره ولا يمكن أن أتصور شيئاً سواه ، هو أن يهاجم ذوو القلوب الرحيمة دار الإذاعة هجوماً لا « رحمة » فيه ، لأنها سخرت الجهد وأضاعت الوقت فى خدمة المقعدين والمتسولين !.. والشئ الذى أتوقعه ولا يمكن أن أتوقع شيئاً سواه ، هو أن تضج الصحف بالشـكوى من تفاهة هـذا « البرنامج » الذى تفتقت عنه أذهان المشرفين على الإذاعة ، أولئك الذين لاهم لهم إلا إزعاج المستمعين !

ألا ما أبعد الفارق بيننا وبينهم ... هناك قلوب من ذهب وهنا قلوب من قصدير !!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

العربية تزحف على بر وزير المعارف :

كتب معالى الأستاذ على أيوب بك وزير المعارف ، صفحة جديدة فى تاريخ الكرامة المصرية ، إذ أعز اللغة القومية ورفع لواءها على مكاتب السفراء ورجال السلك السياسى الأجنبي فى الأسبوع الماضى ، حينما أمر بكتابة الدعوات التى أرسلت إليهم لحضور حفل المرشدات باللغة العربية ، على خلاف ما جرت عليه الوزارة من كتابتها باللغة الانجليزية أو الفرنسية .

وهى دفعة من الدفعات التاريخية التى قام بها رجال من رجالنا فى العصر الحديث لنصرة اللغة العربية والتمسك بها ورفع شأنها باعتبارها لغتنا وأن لا شخصية لنا إلا بسيادتها .

ولا شك أن من حقنا أن نكتب بلغتنا لمن نشاء ، ولكن كنا نتسامح ونفرط فى هذا الحق ، ولم يحدث أن تمسكنا به واستطاع أحد أن يصدنا عنه ، بل على العكس كنا نتطوع بتمكين الأجانب من إهمال لغتنا لأننا نهملها معهم . وهذا هو السفير البريطانى يرد على دعوة معالى وزير المعارف باللغة العربية أيضاً ، آسفاً لعدم إمكانه تلبية الدعوة لتغيبه بالاسكندرية يوم الحفل . فأين كنا من زمان ؟!

إن اللغة تقوى بقوة أصحابها وتضعف بضعفهم ، وليس هناك لغة حية ولغة ميتة ، فالأحياء والأموات هم الناس .

مدرسة حديثة فى فن القصة :

لا تقر فضل الخير على الشر ، ولا تعترف بفارق بين الفضيلة والرذيلة ، ولا تميز الحق من الباطل ؛ أية نزعة من نزعات الإنسان عندها كأية نزعة أخرى ، لا تقول للص يا لص ، ولا تقول للبطل يا بطل ، لأنه لا جريمة ولا بطولة ، فلكل عمل دوافعه ومقدماته ، وكل ما يأتيه الإنسان أمر طبيعى لا ينبغى الحكم عليه ولا يجوز أن يستنكر .

هى مدرسة حديثة فى فن القصة ، ظهرت فى مصر ، وأعلنت صوتها يوم الأحد الماضى فى نادى رابطة الأدباء ، على لسان الطالب الأديب صلاح حافظ الذى ألقى محاضرة دعا فيها دعوة هذه المدرسة وأعلن ميلادها فى زهو ، وتطامن فبشر بزعيمها الجالس بجوار المنصة يمدعن سيماه خجل التواضع .

والزعيم أو الكاتب القصصى الأول فى هذه المدرسة الحديثة ، هو الأديب محمد يسرى أحمد ، وأعلام المدرسة وأنصارها والتحمسون لها ، يجتمعون فى واحد هو محاضرنا الأديب صلاح حافظ ، وهما طالبان بالسنة الثالثة بكلية الطب ، إنهما يشرحان الإنسان الحى كما يشرح الإنسان الميت فى قصر العينى . هل يأبه الطبيب للقذارات أو يأنف من روائح الجثث ؟ كذلك كاتب القصة يحلل الإنسان كما هو ويتغلغل فى أعماقه ليصورها كما هى ، فإن قلت إن غاية الطبيب المشرح الوصول إلى الحقائق العلمية قالت لك المدرسة الحديثة فى فن القصة إنها لا غاية لها ، فالكاتب يجب أن يبدأ القصة ويسير فيها مع الطبيعة لا يهدف إلى شىء ، فإن قلت إن الطبيعة لا تعتسف طريقها فهذا هو الفارق بين الطبيعة وبين المدرسة الحديثة .

يظهر أننى تأثرت بمذهب هذه المدرسة فى عرض الأشياء كما هى وإبراز الإنسان كما هو ، فإنى أتحدث عنها كما هى ، وإتماماً للخطة أضربت فى هذا الموضوع عن استعمال علامات التعجب لأنها تدل على الانفعال وقد تشير إلى الحكم . وأستمر فى السير على هذه الخطة فأقول :

حدثنا المحاضر صلاح فقال إن المدرسة الحديثة قد اكتسحت كل ما عداها وأحرزت نصراً مؤزرا فى مسابقات القصة المختلفة ففاز يسرى بقصة فى مهرجان الشباب ، وبأخرى فى مسابقة الإذاعة ، وبثالثة فى مسابقة الثقافة العامة ، وفاز هو ، أى صلاح ، بقصة فى المسابقة الأخيرة .

وليس هذا هو كل إنتاج المدرسة الحديثة ، فقد كان ليسرى فى مهرجان الشباب قصة غير التى فازت ، تحدث فيها عن حادثة غرام بين فنان وأخته وحلل العوامل التى جعلت بطل القصة يفتتن بمحاسن أخته ويستمتع بجسدها ثم يقتلها . ولم يعجب ذلك الاتجاه النفسانى فى فن القصة شيوخ الأدب

المحكمين فى المسابقة ، فرفضوها وقال إن الأستاذ عبد الله حبيب قرأ هذه القصة ، إذ كان يعمل فى تنظيم المهرجان ، حتى وصل إلى نهايتها وهو لا يشعر أن فيها جريمة ترتكب ، وإنه دافع عنها أمام لجنة التحكيم (وقد سمعت أنا أيضاً ذلك من الأستاذ عبد الله) .

وأنا ما زلت أتحدث على طريقة المدرسة التجريدية ، ولكنى وصلت إلى نقطة أرانى فيها مضطراً إلى الخروج مع المدرسة نفسها عن طريقتها . شيوخ الأدب جامدون لا يقدرون الاتجاه النفسى الجديد لأنه يخالف اتجاههم ، فالشيوخ يتحدثون عن جمال الربيع ولا يهتمون بالإنسان ، فإذا عرجوا عليه لزموا السطوح ولم ينزلوا إلى الأعماق ، كما يقضى بذلك علم النفس ، وكما تفعل ذلك المدرسة الحديثة. وقرأ المحاضر فى هذا المعنى رسالة كتبها يسرى إلى الأستاذ فريد أبو حديد بك، ومن فقراتها « لا يا سيدى . نحن جيل وأنتم جيل » .

ثم أرجع إلى الطريقة التجريدية فأقول : هكذا يقضى الشيوخ بفوز قصص المدرسة الحديثة فى المباريات ، وتعتز المدرسة بذلك ، ثم تهاجم الشيوخ الذين حكموا بفوز قصصها . أقول هكذا فقط ولا أذكر الوفاء ولا الاعتراف بالجميل فليس شئ من هذا فى معجم المدرسة الحديثة فى فن القصة . أما لماذا قضت لجان التحكيم فى المباريات بفوز تلك القصص، فقد قال أحد أعضائها وهو الدكتور إبراهيم ناجى ، فى تعقيبه على المحاضرة : إن القصص التى فازت ، إنما فازت لأن بقية القصص المقدمة تافهة ليس فيها شئ من فن القصة بل هى حكايات و (حواديت)

وجرياً على مذهب تلك المدرسة فى العطف على الضعف الإنسانى وإن جانب الذوق السليم واندفع مع الحيوانية السائمة — لا أريد أن يتجه القلم إلى القسوة على بطليها ، غير أننا نختلف فى أن نرفق بهما غاية .

إنكما يا ابنىّ تتعجلان . وإنى وإن كنت لم أقرأ لكما يبدو لى من الملابسات والقرائن أنكما من ذوى الاستعداد ويمكن أن يجيء منكما ، ويدل ما يقول الأستاذ عبد الله حبيب عن قصة عاشق أخته على براعة يسرى فى السياق والحبكة ، ولكن ما أشبه حال الأستاذ وهو يقرأ

كشكول الأسبوع

▫ حدد المجمع اللغوى فى اجتماعه الأخير جلسة اليوم الثانى من شهر مايو القادم لإجراء انتخاب بين المرشحين لشغل الكرسيين الخاليين به .

▫ بناء على رغبة ملكية سامية ، تعمل وزارة المعارف الآن على تغيير اللوحات المعلقة بواجهة المتحف المصرى والمكتوبة باللغة الإنجليزية متضمنة نبذاً عن الآثار المختلفة ، بحيث يوضع بدلها لوحات مكتوبة باللغة العربية .

▫ يبدأ عرض مسرحية « اللص » يوم ١٦ إبريل الحالى على مسرح الأوبرا الملكية . وقد أعلن عنها فى الصحف بطريقة « توزيعية » بين المؤلف توفيق الحكيم والمخرج زكى طليمات والممثل الأول يوسف وهبى . ولعل هذه أول مرة يرضى فيها يوسف وهبى بالقسمة العادلة .

▫ قدم فريق التمثيل بالأزهر رواية « خالد بن الوليد » على مسرح الأزبكية فى الأسبوع الماضى . ولم تتح لنا الفرصة لمشاهدة باكورة الإنتاج الأزهرى . وهنا تطور مدهش ... فلو نشرهنا الخبر منذ عشرين سنة على سبيل التنبؤ لكان موضع الاستغراب والذى نرجوه أن يكون من وراء هذا الاتجاه إنشاء فن مسرحى إسلامى له خصائص تميزه وتتفق مع الرسالة الدينية .

▫ أصدرت لجنة النشر للجامعيين «العدالة الاجتماعية فى الإسلام» للأستاذ سيد قطب ، وهو كتاب يعرض موقف الإسلام من الحياة الإنسانية عامة والعدالة الاجتماعية خاصة . وقد بين المؤلف ذلك أحسن تبيين فدل على ما توافر له من فهم روح الإسلام وروح العصر والقدرة الأدبية على التعبير .

▫ وقع اختيار لجنة تشجيع التأليف والترجمة بوزارة المعارف ، على طائفة من الكتب الألمانية والإنجليزية والفرنسية المؤلفة فى العلوم والفنون والآداب لنقلها إلى اللغة العربية ، وعهد بترجمتها إلى طائفة من رجال الجامعتين والمعاهد العليا والأدباء .

▫ لاحظت إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف أن برنامج الإذاعة الذى ينشر غير مستوف — فيما يتعلق بالأحاديث — البيانات المطلوبة لتضمينها السجل الثقافى ، وأن البرنامج نفسه كثيراً ما يتغير عند الاذاعة ، فكتبت عدة مرات إلى إدارة الاذاعة لتوافيها بالبيانات المطلوبة دون أن تتكرم بالرد ...وأخيراً تبين أن لإدارة الإذاعة أذناً من طين وأخرى من عجين ...

▫ كشف عالم أثرى مصرى مقابر بمنطقة سقارة ، ووجد فى إحداها تمثال لكاتب مصرى قديم اسمه « نفركا » ومعناها لطيف الظل .

▫ ينعقد المؤتمر الثقافى العربى الثانى بالاسكندرية فى أغسطس القادم .

▫ تعمل وزارة المعارف على إقامة معرض فنى بالخرطوم تعرض فيه مجموعة عن أعمال الفنانين المصريين المعاصرين .

القصة غير شاعر بأن فيها جريمة ترتكب ، بمن (نشلت) حافظة نقوده وهو لا يدرى .

إن مناقضتكما للأخلاق الكريمة بهذه الدعوة مناقضة ظاهرة ، وأنتما لا تنكران ذلك ، وإنما تتمسكان بأهداب الفن وأنا لا أدرى كيف يتسق الفن مع مخالفة الذوق السليم وإغفال المثل الإنسانية والانسياق مع الحيوانية البحتة . وما هو الفن الذى يتجرد من العاطفة ؟ إن تحليل الأشخاص وإظهارهم دون انفعال وحكم ، عن طريق التصوير الفنى ، على ما يأتون وما يدعون لا ينتج إلا شيئاً قد يسمى « علم نفس تطبيقياً » أما الفن فلا بد فيه من عاطفة الفنان ، فإن تجرد منها فليس فناً . والعاطفة فى العمل الفنى إما أن تهدف إلى الخير وتتجه نحو الجمال الذى يهفو إليه الذوق الفنى السليم ، أو تنزل إلى الشر وتتدلى إلى القبح .

أريد أن أفرض فى شأن هذين الشابين أحسن الفروض ، وهو أنهما يتكلفان الشذوذ على طريقة « خالف تعرف » ولا بأس بأن حققت لهما شيئاً من ذلك ، وغاية ما أرجو أن يكون الثمن هدايتهما إلى سواء الأدب القويم .

رسالة من غراب :

تلقيت رسالة كريمة رقيقة من الأستاذ أمين يوسف غراب ، على أثر ما ظهر فى « كشكول الأسبوع » خاصاً بخطأ لغوى فى قصة له بمجلة الأديب ، قال الأستاذ فى رسالته « أما الخطأ الذى تفضلتم بالإشارة إليه فأنا أعترف به ، ولا أريد أن أحمل المطبعة وزره ، أو أحيله على غيرى كالذى نقل عنى هذه القصة مثلا . ولكنى لا أعترف بأنه كان يستحق عنايتكم إلى هذا الحد ، أو يستأهل إشارتكم الكريمة ، إن هناك على ما أعتقد من جديات الأمور ما هو أجدر بعنايتكم وأحق بتوجيهاتكم . كنت أفهم مثلا أنكم تتحدثون عن القصة فى مجموعها كوحدة فنية ... الخ »

وأقول إنى لم أعرض لنقد القصة حتى أستوعب نواحيها المختلفة ، ولم يصرفنى هذا الخطأ عن جديات الأمور . إنما هى نظرة من زاوية ، صيغت فى سطور من « الكشكول » وليس من دأبى تتبع الأخطاء اللغوية ، ولا آتى بشىء من ذلك إلا لملابسات أخرى غير مجرد الخطأ ، والذى لا بس إشارتى إلى قصة الأستاذ غراب هو ما ألاحظه من استهانة بعض الكتاب ذوى المواهب الفنية بسلامة الأسلوب وصحة اللغة .

وقد لمحت فيما قرأت للأستاذ سمات الإجادة الفنية ، وقد بدا لى من رسالته أن ما ندّ من قلمه ليس عن استهانة ، وأنا لا أعتبره ممن قلت إنهم ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، وقد حسب أنى أعنى ذلك ، وسألنى : « ألست معى فى أن هؤلاء الذين ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، أحسن عملا وأكثر نفعا من أولئك الذين ركبت الصحف والمجلات ظهورهم ؟ » ولو سألنى أى الفريقين أسوأ أثراً وأكثر ضرراً لكان من المحتمل أن أجيب ...

الخطب المؤذية :

كنت بالأمس فى أحد نوادى العاصمة ، مع الحاضرين لسماع محاضرة تلقى به ، وقام سكرتير النادى ليقدم المحاضر ، وأنا للآن لا أعرف اسم هذا السكرتير ، أما المحاضر فهو شخصية معروفة ، فبالله أيهما أولى بالتعريف ... ؟ وهى عادة متفشية فى أنديتنا وجمياتنا ، ينتهز السكرتير أو الوكيل أو الرئيس وقد يكون المراقب أو أمين الصندوق ... ينتهز أحد هؤلاء فرصة اجتماع الناس لسماع محاضرة لأحد الأعلام ، فيحتل المنصة نحو نصف ساعة بحجة التقديم للمحاضرة وما هو إلا يريد توكيد شخصيته . أعجبنى مرة أن رأيت الدكتور طه حسين بك يبرز إلى الجمهور وحده على المنصة بقاعة المحاضرات بالليسيه فرانسيه ، فلم يقدمه أحد ، وما هو بحاجة إلى تقديم .

ذكرنى موقف ذلك السكرتير بما كان قد نشر فى إحدى الصحف من التبع فى بعض ولايات إفريقية الجنوبية لحماية الناس من الخطب الطويلة المملة ، إذ يوجبون على الخطيب أن يقف على قدم واحدة ، فإذا تعب ومست الأرض قدمه الثانية يجب أن يمسك عن الخطابة وإلا منعه السامعون من الاسترسال بالقوة ! ولو أن فى تلك الولايات من يقدم الخطباء كمن هم لدينا فى مصر ، لقضوا عليهم أن يقفوا على إصبع واحدة من قدم ...

وكم كان ظريفاً ذلك الأعرابى الذى حضر حفل زواج قام فيه خطيب فحمدل وهلل وكبر وأطال فى ذلك حتى أمل ، فقال له الأعرابى : أيها الخطيب لا تقم الصلاة فإنى على غير وضوء .

عباس خضر



كلمة أخيرة فى نيتشه وفاجنر :

حين قارب نيتشة الثلاثين كان كما قال فى كتابيه زرادشت — وما وراء الخير والشر — قد مر بالمراحل التى مرت بها الإنسانية فى تفكيرها ، إذ كان قد عب بشراهة ونهم شديدين من الفنون والفلسفات قديمها وحديثها . وكان الفيلسوف فى السن التى اتصل فيها بفاجنر أستاذاً فى أرقى الجامعات الأوربية ؛ فهو فى صلته بالفنان رجل له مكانته الفكرية ومركزه الاجتماعى ، لا شاب ناشىء كما يريد أن يصوره الأستاذ المداوى منساقاً مع قول رومان رولان المتعصب لبيتهوفن كل التعصب حيث نجده فى كتاب سماه بتهوفن الخالق — Beathoven the Creator — وإن محاضرات الفيلسوف « الناشىء » ودراساته فى تلك السن لا زالت أهم المراجع فيما عالجته من موضوعات — وقد كانت الفلسفة الأغريقية وعلى الأخص أفلاطون أهم الينابيع التى استقى منها نيتشة ، إذ يصور نفسه فى إحدى رسائله[1] إلى فاجنر فى ذلك الحين جالساً بين عدد من كتب هذا الفيلسوف يكاد يحجبه عن الرائى — ولا أظنه بهذا يتملق الفنان أو يدّعى — أما فى الفلسفة الحديثة فقد تتلمذ على شوبنهاور حتى رفعه إلى الدرجة العليا التى رفع إليها فاجنر فى عالم الفن . (انظر كتابيه — شوبنهاور المعلم — والفاجنرية الكاملة) وكان قد استوعب أيضاً فلسفة ماركس وله عنها تنبؤات صدقت بشكل يدعو إلى الدهشة — إذ أن نيتشة هو الذى تنبأ فى كتابه ما وراء الخير والشر لفلسفة ماركس بالذيوع ، وعين بالذات الدولة التى ستحمل مشعلها وهى روسيا فى وقت كان لا يتصور هذا أحد ؛ لأن روسيا كانت ترزح تحت حكم القياصرة الحديدى — وقد صح ما تنبأ به نيتشة فاحتضنت روسيا الماركسية الألمانية وحملت مشعلها -- وقد كان هذا العصر الذى ضم فاجنر وشوبنهاور ونيتشة يموج بأحداث جسام . فقد حدث أن اهتزت أوربا كلها لموجة فكرية عنيفة كان لها ما للقنبلة الذرية فى عصرنا من وقع ، بل ربما أكثر ، فهذه جاءت فى عصر ألف فيه الناس العجائب وكانت القنبلة منتظرة منذ سنوات .

(١) كتاب رسائل الصداقة بين نيتشة وفاجنر .

أما ذلك الحدث الخطير فقد كان مفاجأة عنيفة ...

وذلك هو نظرية التطور لداروين ١٨٥٩ التى زلزلت الأفكار فى أوربا بل العالم طيلة النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ولما أوشك نيتشة أن يكمل الحلقة الرابعة من عمره كانت نفسه تجيش أعظم جيشان عرفته نفس مفكر ... إن نفسه التى امتلأت بفلسفة الإرادة عند شوبنهاور وعالم المُثل عند أفلاطون وألهبتها روائع موسيقى فاجنر أخذت تنتفض انتفاضاً شديداً ... إنها تتمخض عن مولد فجر جديد قد يغير مجرى التفكير الإنسانى كله ! وظل فكره فى هذا الميلاد قرابة عقده الخامس . لقد بدأ داروين حبل الخليقة من الخلية إلى الإنسان فجاء نيتشة (حين أحس بأنه امتلأ كالنحلة التى ملأت حمل عسلها)[1] وتهيأ للرسالة ، فمد يده وتناول الحبل من داروين ليعبر به قنطرة الإنسان الحالى إلى السوبرمان ... ومن هو السوبرمان؟! إنه الهدف الذى تسمى إليه البشرية فى تطورها ... « وكما صار القرد بالنسبة إلى الإنسان فسيصير الإنسان بالنسبة إلى السوبرمان ... » !

وهكذا خرج زرادشت نبى نيتشة بإنجيل دينه الجديد . دين السوبرمان الذى لا بد أن تصل إليه البشرية (فى زعمه) محطمة فى طريقها كل شىء يعوق هذا السير فوجب إذن أن تتسلح بالقوة والعنف — وهكذا تطورت فلسفة الإرادة عند شوبنهاور إلى إرادة القوة عند نيتشة وسقط شوبنهاور المتشائم أمام سوبرمان نيتشة المتفائل وتحطم إله المسيحية الشفوق الحنون بما فيه من مشابه من أفلاطون (ليست المسيحية إلا الفلسفة الأفلاطونيه ختمت بخاتم إلهى)[2] لأن الشفقة والحنان أخطر العوائق فى طريق السوبرمان ... وأصبحت موسيقى فاجنر التى كانت تحلق بنيتشة فى سماء الفكر لا تستطيع اللحاق به فى آفاق السوبرمان .

وهكذا هوت الآلهة من سمائها فى نظر نيتشة تلك الآلهة التى طالما قرب إليها قرابين العبادة وتسابيح العبودية .. ومَن أفلاطون الآن؟ ومن شوبنهاور؟ ومن فاجنر؟ بل من هو الشعب الألمانى كله الذى رماه نيتشة بأقسى النعوت ؟ كل هذا لا شىء مادام لا يؤمن بالسوبرمان ... وهل للقرود (الإنسان الحالى) قيمة فى نظر السوبرمان؟ هذه قصة تحطيم نيتشة لآلهته الأولى ... قد يكون هناك بعض

(١) كتاب زرادشت .

(٢) سانت هيلير فى مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو .

الأسباب عجلت تحطيم بعضها قبل الآخر كزوجة فاجنر مثلا إن كان حقاً لها كل هذا الأثر ، ولكن التحطيم كان آتياً لا محالة . فهذا هو حكم التطور فى عقلية الفيلسوف الذى بينا خطوطه البارزة بقدر ما تطيقه عجالة فى مقالة ...

ويؤسفنى بعد هذا أن أناقش الأستاذ المداوى فى التوافه التى وقف عندها كل الوقوف وركز فيها هجومه ... ليس لكلمة genesis فى الإنكليزية كلها إلا هذه المعانى :

Birth' Creation' beginning

ولادة ـ خلق ـ سفر التكوين ـ لا الإخراج ـ (أى خلق العالم) فكيف يصدق أى عقل ترجمتها بلفظة إخراج؟! أما الجملة الأخرى You have shown فنصبة على خلق الكتاب «مولد التراجيديا» أى على القائم بخلقه وكلا الوضعين يؤيد ترجمتى . أما تملق الفيلسوف الشاب للفنان الكبير ليأخذ بيده فى طريق المجد ، فهذه وصمة لا تليق بالأستاذ المداوى ، فكيف تليق بنيتشة العظيم ؟!

تقول «إن العبقرى يولد وبذور العبقرية فى دمه ؟ كيف تعتقد أنى لا أقر هذا؟! لكن هذه البذور ألا تحتاج إلى هواء وإلى شمس وتربة تمد فيها جذورها ؟! إنها بغير هذا تظل بلا شك بذرة عبقرية لا عبقرية .. والشمس والماء والهواء لا تحيل البذرة ياسيد (سروحى) إلى شمس أو إلى ماء أو إلى هواء ، وإنما هى عوامل مساعدة على التفتيق والإنبات وهكذا كل تأثير فى العبقرية يا صديق . وتقول : (ما كان لهذا الفكر الجبار أن يتأثر أو يستمد وجوده الفلسفى من أى إنسان مهما تكن مكانته فى الحياة الفنية) . إن الحياة الفنية هنا شأنها شأن أى حياة. ليس العبرة بنوع التأثير بل بوقوعه على أى وجه. ثم إنك تقول إن زارا قال لرفاقه وأنصاره ماذا يهم زارا من جميع المؤمنين به ؛ إذ عليكم أن تجحدونى لتجدوا أنفسكم ... والصواب أن نقول هذا للأستاذ المداوى الذى ينكر أى إيمان سابق لنيتشة بفاجنر ما دام قد جحده أخيراً ، ويرى ذلك كان تملقاً متحدياً كل حقيقة ! مع أن نيتشة ظل يمجد فاجنر حتى أواخر عقده الرابع (١)

أما سؤالك عن تأثير بيتهوفن فى جوته يا أستاذ معداوى فهو مثل معكوس لأن جوته الفيلسوف كان يكبر بتهوفن بمراحل ، بينما نيتشة كان مع فاجنر فتى ناشئاً يخطو أولى خطواته كما تقول . ومع هذا لا نستطيع أن نحكم بعدم تأثير موسيقى بتهوفن فى تفتيق عبقرية جوته عن بعض المعانى . ونيتشة بالذات ذو سليقة موسيقية لأنه شاعر لا ناقد — يا أستاذ معداوى — إذ هو القائل : « إن كتابى زرادشت أنغام موسيقية صدحت فى داخلى فأصغيت إليها وسجلتها » !

أما استشهادك بالناسخ والمنسوخ فى القرآن فإننا نقول بوقوع التأثير فى عبقرية نيتشة والتأثير وقع أيضاً فى فترة مابفصل الآيات المنسوخة قبل نسخها ، فمثلا فى آيات الخمر قد شرب الخمر بعض الصحابة فعلا بمقتضى إباحة الآيات المنسوخة قبل وقوع النسخ وهذا مؤيد لقولنا أيضاً ... أما كلمة خلق العبقرية التى ذكرتها فلا محل لها مطلقاً فى المناقشة ؛ وشتان بين الخلق والتفتيق ! يا أيها الأستاذ الناقد !

أما ما جاء فى مقالك من لغو فنمر عليه كراماً ...

محمد فهمى

فى تفسير الامام محمد عبده :

جاء فى تفسير جزء (عم) للأستاذ الإمام — رحمه الله — عند تفسير أول سورة (الليل) ما يأتى :

(والليل إذا يغشى) يبتدئ فى هذه السورة بأن يقسم بالليل وهو الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة من الدمدمة وإطباق العذاب ... اهـ

والإمام يعنى بالسورة السابقة سورة (الشمس) التى آخرها «فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها » والمعلوم أن سورة الشمس سابقة لسورة الليل فى الترتيب لا فى النزول إذ أن سورة الليل نزلت بعد سورة الأعلى — وبذلك يكون لا محل هنا لذكر المناسبة التى ذكرها الإمام .

أما المناسبة ؛ فلما كان المقسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس فى الحياة اشتملت صيغة القسم على أشياء مختلفة لتركيز المعنى المقصود فى عقول المخاطبين ... فقد أقسم بالليل والنهار فى قوله « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » وهما مختلفان — كما أقسم بخالق الذكر والأنثى فى قوله : «وما خلق الذكر والأنثى» وهما مختلفان أيضاً ، كأنه يريد أن يقول لهم : إن اختلاف سعيكم فى الحياة مؤكد تأكيد اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى ذلك الاختلاف الذى لا يتطرق إليه أدنى ريب ولا تستطيعون إنكاره

محمد عبد الله السمان

مدرس بمدارس الاسلام الكبرى الابتدائية بالجيزة

(١) against wagner 1888

أين توفى الإسكندر :

ورد فى مقالة الأديب كاظم الظفر عن (إيوان كسرى) أن الاسكندر المقدونى توفى فى المدائن وحمل تابوته إلى الإسكندرية لأن أمه كانت تقيم فيها . والتاريخ يقول غير ذلك إذ يقول إن الإسكندر توفى فى مدينة بابل وتابوته لا يعرف له مقر حتى الآن وأمه عند وفاة ابنها الإسكندر تقيم فى بيللا Pella مسقط رأس عائلة الإسكندر .

عزيز خانكى

جمع غيور :

جمع غيور على غيورين صحيح على مذهب الكوفيين لأنهم لا يشترطون فى الصفة التى تجمع جمع تذكير ألا يشترك فيها الذكر والمؤنث سواء كانت على وزن فعول أم لا بخلاف البصريين وقس عليه نظائره ، ولا يخفى أن هذا الجمع المألوف المشهور ، أخف وألطف من جمع التكسير (غُير) الغريب المهجور .

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

سويا بمعنى معا :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب تحت عنوان « فتى من الريف » فى عدد الرسالة ٨٢٠ فأعجبنى الأسلوب القوى والتركيب المتين والبلاغة المتدفقة فى كلامه ولكن رأيت فى ثنايا تعبيره عبارة جذبت نظرى .

ففى ص ٣٣٣ يقول على لسان هذا الفتى « وهؤلاء رفقائى نغدو معاً إلى الأزهر ونروح سوياً إلى الدار ...

واستعمال سوياً فى هذا الموضع بمعنى معاً خطأ شائع على الألسنة لأن لفظ سوى إنما هو بمعنى مستو .

قال فى اللسان ورجل سوى والأنثى سوية أى مستو فأرجو التنبيه على فساد هذا الاستعمال فى مجلتكم الزاهرة التى تدعو دائماً إلى رفع الثقافة العربية والأساليب البارعة فى مختلف الأقطار العربية .

عبد العليم على محمود

قلم صنع لا صناع :

ورد فى المصباح المنير فى مادة صنع ما يلى (ورجل صنع [بفتحتين] وصنع اليدين أيضاً أى حاذق دقيق . وامرأة صناع [وزان كلام] ... الخ) .

وعليه نقول : قلم صنع ؛ لا صناع كما جاء فى عرض الأستاذ المجمى لكتاب (وميض الأدب بين غيوم السياسة) فى عدد الرسالة (٨٢٠) إذ قال : وبهذا القلم الصناع تناول ... الخ) . هدى الله الأقلام ، فصيح الكلام .

(المنصورة) اسماعيل أبو ضيف

تاريخ الأزهر :

(لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو العيون)

الجانب الثانى فى تناول التاريخ هو الذى يعطى جوه ؛ ويشيع الدفء فى أنفاسه ؛ ويبعث الحياة والنشاط والتأثير فى جسمه . وهنا يغدو الجانب الموضوعى وهو الهيكل العظمي مكسواً باللحم والدم . وعمل كاتب التاريخ هو تقديم صورة حية واضحة لما يعالجه . وهذا ما يحسه القارئ لهذا العمل الذى قام به فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون فى التأريخ للأزهر وإلقاء الضوء على تلك البيئة الفاطمية التى ولد بين أحضانها الأزهر . فشهدنا ميلاده ووقفنا على الآمال التى كانت معقودة على هذا الوليد ، ثم تطوره حتى صار جامعة إسلامية كبرى . ثم يعطينا فكرة عن مواد الدراسة فيه ، ويقدم لنا شيوخه الذين تولوا قيادته ، ويقف بنا غير طويل ليعرفنا بأشهر رجاله ، ويعرج بنا على نظام الدراسة قبل النظام وبعده ؛ ثم بين تلك الأطوار التى مرت عليه حتى استقر به المقام فى هذه المرحلة الأخيرة وما يطبعه من سمات فكرية وروحية . وهذا عمل قيم جاء فى وقته ؛ فتاريخ الأزهر الحافل لم تكن صورته واضحة محددة إلا فى أذهان القلة القليلة من المثقفين ؛ وما عداهم فهى مبهمة مطموسة رجراجة .

وقد غدت بفضل هذه الدراسة واضحة للعيون مستقرة فى الأذهان . ولعل هذه الدراسة الموجزة تكون فاتحة لدراسات مستفيضة دقيقة تتناول كل ناحية من نواحيه . وبعد فلا أظن أن أستاذنا فى حاجة إلى تقديم آثاره فى نواحى الجهاد السياسى .



قصة من روائع موباسان :

الغريب . . . !

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

— ١ —

أخذنا بأطراف الحديث والعربة تغادر بنا مدينة « كان » زاخرة براكبيها ، ولم نكد نتجاوز « بارسكن » حتى صاح أحدنا :

— ها هو ذا المكان الذي كانت تذبح فيه الناس !

فإذا بنا نخوض في أخبار الخرافات ، ونتناول سيرة أولئك القتلة الذين كانوا — فيما مضى — يسلبون الناس أرواحهم ويغتصبون أموالهم . فراح كل منا يدلي بما يساوره من قصص ، ويطرح ما يراوده من خواطر ... وطفقت النساء يحملقن مروعات في ذلك الظلام الحالك من خلال النوافذ ... يتوجسن خيفة أن تقع أبصارهن على رأس آدمي لدى الباب !

وتأهب أحد الأطباء — وكان يشد رحاله إلى الجنوب كل عام إذا ما بدت تباشير الشتاء — ليلقي في أسماعنا واحدة من تلك القصص التي يكتنفها الغموض والغرابة :

« لم يسعدني الحظ يوماً لكي أبلو شجاعتي وأمجم جسارتي في أمر من هذا القبيل ، إنما كنت على معرفة بسيدة قد طواها الموت وكانت ممن أعالجهن ... حدث لها أمر من أغرب الأمور وأشدها حزناً في هذا الوجود ...

« كانت روسية تدعى « الكونتس ماريا بارنوا » ... وهي امرأة عظيمة ذات حسن ساحر وفتنة باهرة ... وأنتم تدركون كم هن جميلات أولئك الروسيات بأنوفهن الرقيقة ، وثغورهن الرشوفة ، وعيونهن النجل ، وقدودهن الغضة . وما يبدين من الصلابة والإباء مع فيض من العذوبة والإغراء ... فيهن كل ما يخلب لب الرجل الفرنسي ويثير افتتانه !

« وكانت « الكونتس » فريدة بينهن ، وقد فطن طبيبها منذ سنوات إلى الداء وهو ينهش في صدرها ، فأخلص لها النصح في أن تسعى إلى جنوب فرنسا ... بيد أنها أبت أن تبارح « سان بطرسبرج » ، فانثنى الطبيب — في الخريف الماضي — فأنذر

والأدبي والديني لا تزال رائمة خصبة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

قصص الأطفال الحسابية المصورة :

(تأليف الأستاذ حسن محمد السكرى)

هذه سلسلة جديدة من « كتيبات » صغيرة الحجم عظيمة النفع كبيرة الفائدة توفر على تأليفها الأستاذ حسن محمد السكرى المدرس بمعاهد المعلمين ، وأفرغ فيها الجهد المشكور فجاءت متمشية مع أحدث طرق التربية الحديثة لتعليم مادة الحساب .

ومادة الحساب — لا شك — من المواد الجامدة التي لا يقبل عليها صغار التلاميذ وبخاصة في المراحل الأولى من التعليم ، وذلك لخلوها من أدوات التشويق والترغيب وجلب انتباه الصغار والأستاذ مؤلف الكتاب وفق كل التوفيق حين جعل مسائله الحسابية قصصاً مصورة ملونة مشوقة تدفع الأطفال وترغبهم في قراءتها كموضوع من موضوعات المطالعة ، وكمسألة من مسائل الحساب في آن ، وفي ذلك يقول في تقديم كتابه « علق على وضعها ما ألمسه من شغف الأطفال بمطالعة القصص ، وما أراه من خير محقق في الاستفادة بهذا في تدريبهم أثناء المطالعة على بعض العمليات الحسابية حتى تزدوج الفائدتان العربية والحسابية » ...

وبعد : فإننا نزجي أفضل الشكر للأستاذ المؤلف الذي أخذ على عاتقه القيام بهذا العمل الجليل في خدمة النشء ، ونرجو أن ينتفع الأبناء بالإقبال على أمثال هذه المؤلفات التي تتوخى الفائدة ، وتستهدف أسمى الأغراض ، وأنبل الغايات

(الزيتون) عدنان أسعد

زوجها بسوء المصير ، فألح هذا على امرأته أن ترتحل إلى « منتون » فى فرنسا .

« فاستقلت القطار — منطوية على نفسها فى عربتها — أما حاشيتها فقد أقامت فى ناحية أخرى من القطار .

وران عليها الحزن واحتواها الشجن ، وهى جالسة على كثب من الباب تلق بطرفها إلى الحقول والقرى وهى تمر بها فى إثر بعضها ، وقد استشعرت ألم الوحدة ، وأحست لذع الوحشة فى حياتها وهى عاطلة من أطفال يملؤونها بهجة وبشراً ، وخالية من ذى رحم يحيلها مرحاً وأنساً ... غير زوج ماتت فى قلبه عواطف الحب ، ونضبت منه عيون الحنان . . فلم يتورع أن يقذف بها فى ركن قصى من العالم دون أن يصحبها كما ينبذون الخادم المريض فى معزل عن الخلق !

وكان تابعها « إيفان » ينزع إليها فى كل محطة لينظر إن كانت سيدته تروم أى شىء فيؤديه لها ، وكان رجلا كهلا شديد الإخلاص ، مغلق القلب على الطاعة ، سريعاً إلى إنجاز كل أمر تلق به إليه ...

وبجأة عنّ لها أن تحسب ما قدم لها زوجها — فى اللحظة الأخيرة — من النقود الذهبية الفرنسية ، ففتحت حقيبتها الصغيرة ، وأفرغت فى حجرها ذلك الفيض الأصفر الرنان !

وعلى حين غرة أصابت وجهها نسمة قارسة من الهواء ، فرفعت رأسها — وقد تولتها الدهشة — تستجلى الأمر ، فإذ بالباب قد فتح ، فلم تملك الكونتس المضطربة سوى أن تطرح غلالتها السمراء على ما فى حجرها ، ثم قبعت مترقبة !

فلم تمض لحظات ، حتى دلف من الباب رجل عارى الرأس ، جريح اليد ، لاهث الأنفاس ، وأغلقه من خلفه ، واستقر فى مقعد يلق إلى جارته بنظرات حادة ، ثم لم يلبث أن لف منديلا حول رسغه المخضب بالدماء !

فأحست السيدة لفرط خوفها أنها تكاد تغيب عن وعيها ، فلا مجال للريب فى أن هذا الرجل قد لمحها وهى تحسب نقودها ، فخف إلى سلبها ... ثم ... ثم يزهق روحها ! إنه ما برح يحدجها بنظراته الثاقبة ... مضطرب الأنفاس ، مقطب السمات ، يتربص بها الفرص حتى يثب عليها !

قال بغتة : سيدتى ... لا تخافى ولا تجزعى !

فلم تنبس ببنت شفة ، وقد تحجر لسانها ، وطنت أذناها ، وازداد قلبها خفقاً !

واستطرد فيما يقول : ما أنا بشرير ... أيتها السيدة !

فأمسكت على صمتها ، ولكن حركت ساقها فجأة — وهى لا تدرى — فأخذ الذهب يتدفق إلى الأرض كما يتدفق الماء من الصنبور ... فمكث الرجل يحملق حيناً وقد أخذته الدهشة فى ذلك السيل الذهبى ، ثم لم يلبث أن انحنى يلتقطها ويجمعها !

فهمت مروعة ، وألقت بكل ما معها على البساط ، وهمت أن تجرى تروم النجدة وتتوخى النجاة !

ولكن الرجل — وقد أدرك ما هى مقدمة عليه — قفز إليها وأطبق على ذراعها ، ثم دفعها فى غلظة إلى حيث كانت تجلس وهو ممسك برسغها ... وراح يقول فى صوت مرتعد النبرات : اصغى إلى يا سيدتى ... لست بشرير ، ولا معتد أثيم ... والبرهان على صدق ما أقول أنى سأجمع هذا الذهب وأرده عليك لا ينقص دانق ، ولكنك إذا لم تكونى لى عوناً وملاذاً حتى أعبر الحدود ، فما أنا إلا رجل ضائع يساق إلى موته ، ولن أبوح لك بغير ذلك !

فى خلال ساعة سيمرق بنا القطار من الحدود الروسية ، وحياتى معلقة حينئذ بين يديك رهن بمشيئتك ... ولا يذهب بك الخيال ، وتتوزعك الوساوس ، إلى أنى سفكت دماً ، أو سلبت مالا ، أو جئت أمراً يخالف الشرف ويدنس الضمير ... أقسم لك أنى لم أجانف إثماً ولم أقارف ذنباً ... ولكن لن أبوح لك بالمزيد !

ثم ركع ثانية ، وراح يجمع الذهب ، حيث انتثر تحت المقاعد وفى ثنايا البساط ، حتى إذا امتلأت الحقيبة به مرة أخرى ، ناولها لجارته فى هدوء دون أن تنفرج شفتاه عن كلمة يرددها ... ثم انثنى إلى الركن الآخر من العربة فجلس فيه لا يحرك ساكناً ! ومكثت هى جانحة إلى الصمت وقد لفها السكون ... وما برحت الغشية تراودها من أثر الخوف والرعب ، وإن أفرخ روعها وبدأت نفسها تنزع عن الاضطراب ويطمئن قلبها رويداً رويداً !

أما هو ، فقد جلس لا يريم ، ولا يختلج له طرف ، وهو يحدق أمامه ، شاحب الوجه ، تعلوه صفرة كأنها صفرة الموت ... وأخذت هى ترسل إليه — بين الفينة والفينة — نظرات عاجلة تختلسها اختلاساً ، وسرعان ما ترتد عنه ... بدا لها الرجل وضىء

الوجه منبسط السمات ، عليه سيماء السيادة والنبل ، قد تجاوز عقده الثالث !

وكان القطار ينساب فى سرعة مخيفة خلال الظلمات الطامية ، ويرسل بين آونة وأخرى صفيره الحاد يمزق هدأة الليل بحدته ! ولكن ما لبث أن خفف من سيره ... ثم سكنت حركته بعد أن زفر بعض الصفيرات ... فلما برز « إيفان » من الباب ، ألقت « الكونتس ماريا » نظرة عجلى على رفيقها ، ثم قالت لخادمها فى صوت خافت ونبرة سريعة : « إيفان سوف تعود إلى الكونت ، فما بى حاجة إليك ! »

فحملق فيها الرجل بعينين واسعتين يتراقص فيهما الاضطراب وقد تجلت على وجهه الحيرة ، وأرتج على لسانه القول : « ولكن يا سيدتى ! » فأجابته :

— « كلا ... لا تصحبنى ... فقد غيرت من فكرى ورجعت عن رأيى ... ومن الخير أن تبقى فى روسيا ... إليك بعض النقود لتعود بها ، وناولنى قبعتك وعباءتك ! »

فخلع الخادم فى جزع ودهش قبعته وعباءته دون أن ينبس بسؤال يستجلى به الأمر ، فقد عودته التجارب وعلمته الأيام أن يطيع أهواء سادته ويجيب نزواتهم ولو كانت غريبة مباغتة ، ثم ارتد على أعقابه مغرورق العينين بالدموع !

ولم يلبث القطار أن اندفع يطوى الأرض شطر الحدود . فقالت « الكونتس ماريا » لرفيقها : « إن هذه الأشياء لك — أيها السيد — أنت الآن « إيفان » خادمى ... ولا أروم إزاء ذلك سوى شرط واحد ، هو ألا تحدثنى بكلمة ، ولو كانت تحمل معنى الشكر ! » . فانحنى الرجل فى رقة دون أن ينبس ببنت شفة !

ثم عاد القطار إلى الوقوف ثانية ، وصعد إليه نفر من الضباط فى أرديتهم الرسمية ، فدت لهم الكونتس يداً بأوراقها قائلة — وهى تومئ إلى الرجل فى مؤخر العربة — :

« ها هو ذا خادمى إيفان وأوراقه هنا ! »

***

انطلق القطار فى سيره من جديد ، وقد جلس كلاهما غير بعيد من الآخر ، والليل يضمهما ، والصمت يحتويهما ، حتى إذا انسلخ نور الصبح من دياجير الليل ، وقف بهما القطار فى محطة ألمانية ، فنهض الرجل المجهول ، وقام إلى الباب قائلا فى صوت هادئ رقيق :

— معذرة يا سيدتى إن أخلفت ما كان من وعدى ، بيد أنى قد حرمتك من خادمك ، فلا أقل من أن أحل مكانه ، أما تعوزك حاجة ؟ !

فأجابته فى فتور : اذهب وادع وصيفتى !

فمضى ثم طواه الخفاء ، ولم يقع عليه طرفها بعد ذلك إلا حينما كانت تتناول غداءها فى إحدى المحطات وهو يرمقها من بعيد ، ثم أخيراً فى « منتون » حيث استقر بها النوى !

— ٢ —

وثاب الطبيب إلى الصمت هنيهة ، ثم وصل ما انقطع من حديثه قال :

« وذات يوم ، بينما كنت أتلقى مرضاى فى عيادتى ، دخل على شاب فارع القامة وسيم المحيا وسألنى فى هدوء وسكينة : « أيها الطبيب ، لقد أقبلت متقصياً أخبار الكونتس ماريا بارنوا ! إنى من أصدقاء زوجها ، وإن كانت لا تربطنى بها معرفة ! »

فأجبته : « لقد أفلت الزمام من يدها ، ولن تطأ أرض روسيا بعد الآن ! »

فإذا بى أرى الرجل يغرق فى البكاء ، ثم مضى فى سبيله يترنح كمن ذهبت بلبه الخمر ! وقد أخبرت « الكونتس » فى المساء بما كان من شأن ذلك الرجل الغريب ، فهزت رأسها وقد لاحت على وجهها سيماء التأثر ... ثم أخبرتنى بتلك القصة التى رددتها على أسماعكم لتوى !

ثم أضافت قائلة : « إن هذا الرجل الذى لا أدرى عنه شيئاً . يتبعنى الآن كظلى ! . ولا أكاد أخرج يوماً حتى ألتقى به ... فينظر إلى فى رقة ونبل .. بيد أنه لم يحاول أن يخاطبنى أبداً ! .. وران الصمت عليها حيناً ، وهى تحاول أن تجمع شتات فكرها .. ثم قالت : « تعال . . . سأراهنك على أنه قائم تحت النافذة فى هذه اللحظة ! . »

وغادرت كرسيها الطويل ، وخطت إلى النافذة .. ثم أزاحت الستار عنها ، وجعلتنى أرى ذلك الرجل الذى أتانى فى الصبيحة . جالساً على مقعد فى الروضة التى أمامنا .. يمد بصره إلى المنزل . . فما إن وقع بصره علينا — ونحن فى النافذة — حتى نهض من

جلسته ، ومضى فى الطريق لا يلوى على شئ ، حتى غاب عن ناظرينا ! . .

وحينئذ فطنت إلى شئ عجيب يبعث الحزن ويثير الإعجاب . لقد أدركت سر ذلك الحب الصامت الذى توثقت عراه وتمكنت وشائجه بين هذين المخلوقين اللذين جهل كل منهما صاحبه كل الجهل !..

إنه يهيم بها ويعبدها عبادة خالصة ، ويود أن يفديها بحياته . فكان يقبل على فى كل صباح يسألنى : « كيف حالها ؟ ! . » وهو على يقين من أنى أدرك مدى أحاسيسه ومشاعره . . . ثم ينشج فى نحيب وجزع وقد أسدل على وجهه راحتيه... كلما أحس بأنها تزداد ضعفاً وتشتد نحولاً ... وقد ثقلت عليها وطأة العلة .

قالت لى يوماً :

« إنى لم أخاطب ذلك الرجل العجيب سوى مرة واحدة . ولكن يبدو الآن كأنى أعرفه منذ عشرين سنة ... » وحينما التقت به ردت على انحناءته الرقيقة : بابتسامة أضاءت على ثغرها ، وفاضت على صفحة وجهها ! وقد أحست — على رغم خطاها السريعه إلى القبر — أنها سعيدة كل السعادة هانئة كل الهناء بذلك الحب الذى يفيضه عليها هذا الإنسان ويغمرها به فى وفاء نبيل وإخلاص شاعرى ...يكاد أن يذهب بنفسه كل مذهب !. ولكنها أبت أن تعرف اسمه ورفضت أن تخاطبه وهى .. تردد : « كلا ... ثم كلا ... أن هذا سوف يمحو تلك الصداقة الغريبة بيننا ... ويفسدها .. ينبغى أن يظل كل منا جاهلاً صاحبه . قريباً إليه بقلبه بعيداً عنه بلسانه ! »

أما هو ، فقد كبت نفسه وراضها على ألا يدنو من صاحبته ... وحزم أمره على أن يفى بعهده الذى قطعه على نفسه فى العربة وهو ألا يكلمها أبداً ... وقد كانت هى خلال الساعات الطوال التى يشتد فيها الوهن عليها ويضيق صدرها بالحياة . . تنهض عن مقعدها وتسعى إلى النافذة فتزيح ستارها ... حتى تنظر إن كان ثمة تحت النافذة ؟! فإذا اطمأن بصرها إليه وهو جالس على مقعده لا يريم ... انثنت إلى فراشها ، وقد انفرجت شفتاها الذاويتان عن ابتسامة رقيقة !..

وأشرقت عليها الشمس ذات يوم جسداً بلا روح ، وقد طوى الموت صفحة حياتها !.. وبينما كنت أهم بمغادرة البيت ... أقبل على الرجل شاحب الوجه زائغ العينين ، وقد تجلى على محياه أنه علم بوفاتها منذ لحظة .. وابتدرنى قائلا فى صوت كله رجاء وتوسل : « كم أود أن أراها ولو لحظة فى حضرتك ! » فأخذته من ذراعه ودلفنا إلى المنزل معاً . فلما بلغنا حيث سجيت السيدة الميتة . ركع إلى جوارها فى خشوع ، وأمسك بيدها فى رفق ، وطبع عليها قبلة طويلة حارة تبللها الدموع ... ثم انقلب على أعقابه :.. وانطلق فى سبيله ... وكأنما تجرد من مشاعره وتعطل من أحاسيسه !..

وخيم الصمت برهة على الطبيب ! ثم عاد الحديث : « إن هذه الحادثة هى أغرب ما مر بى من الحادثات . بل لعلها الوحيدة التى تظهر لكم الناس ... وماهم عليه من غرابة وجنون !.. » فتمتمت إحدى النساء فى نبرة خفيضة : « لم يكن هذان المخلوقان سادرين فى جنونهما كما تذهب بك الظنون ... بل إنهما كانا ! إنهما كانا !.. »

بيد أنها لم تمض فى عبارتها ... فقد شرقت بالدموع ! ولم يدرك أحد منا ما كانت ترمى إلى قوله ... إذ حولنا دفة الحديث لنهدئ من روعها وننزل على قلبها السكينة .

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

مطبعة الرسالة



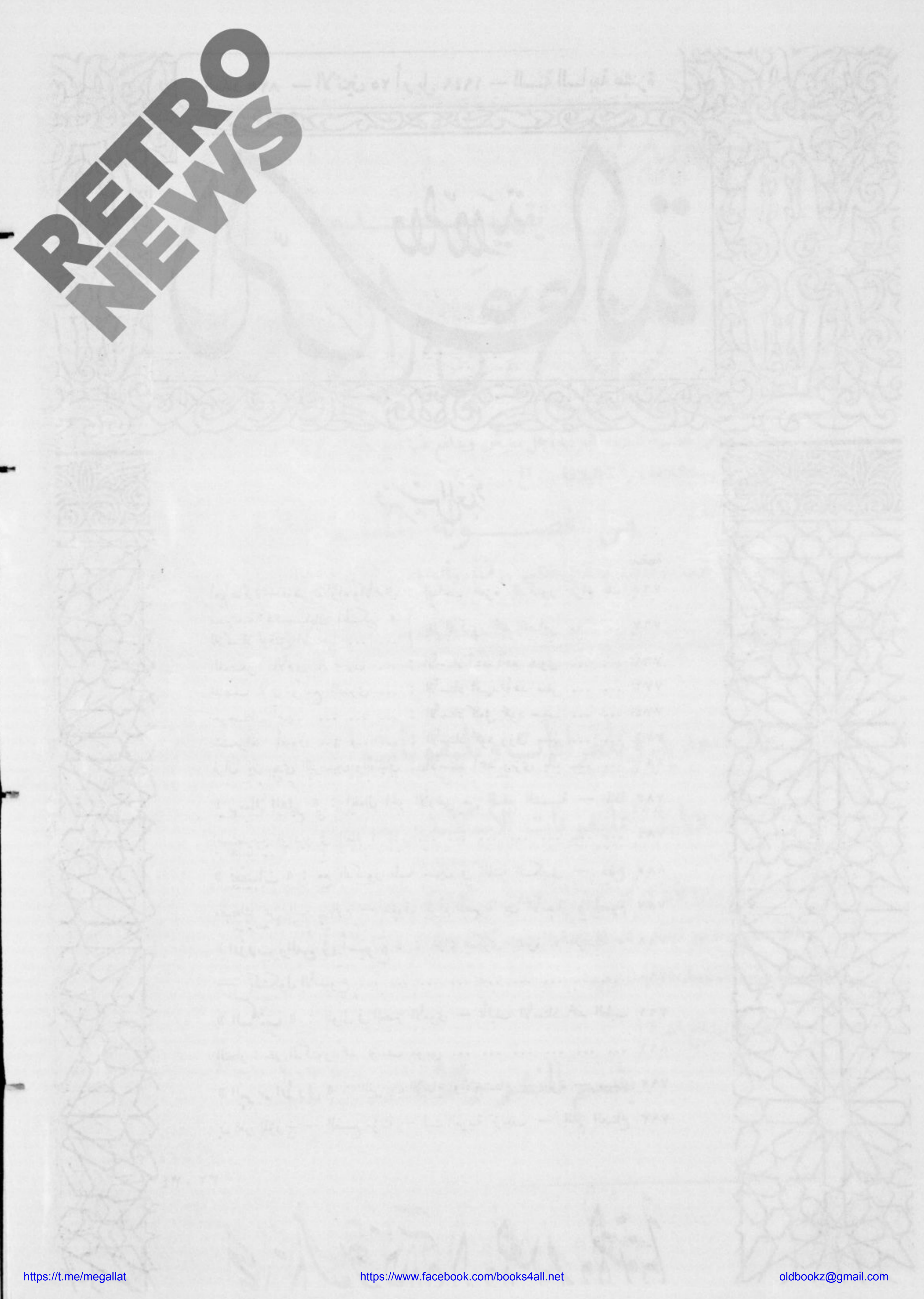

العدد ٨٢٥ — الاثنين ٢٥ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

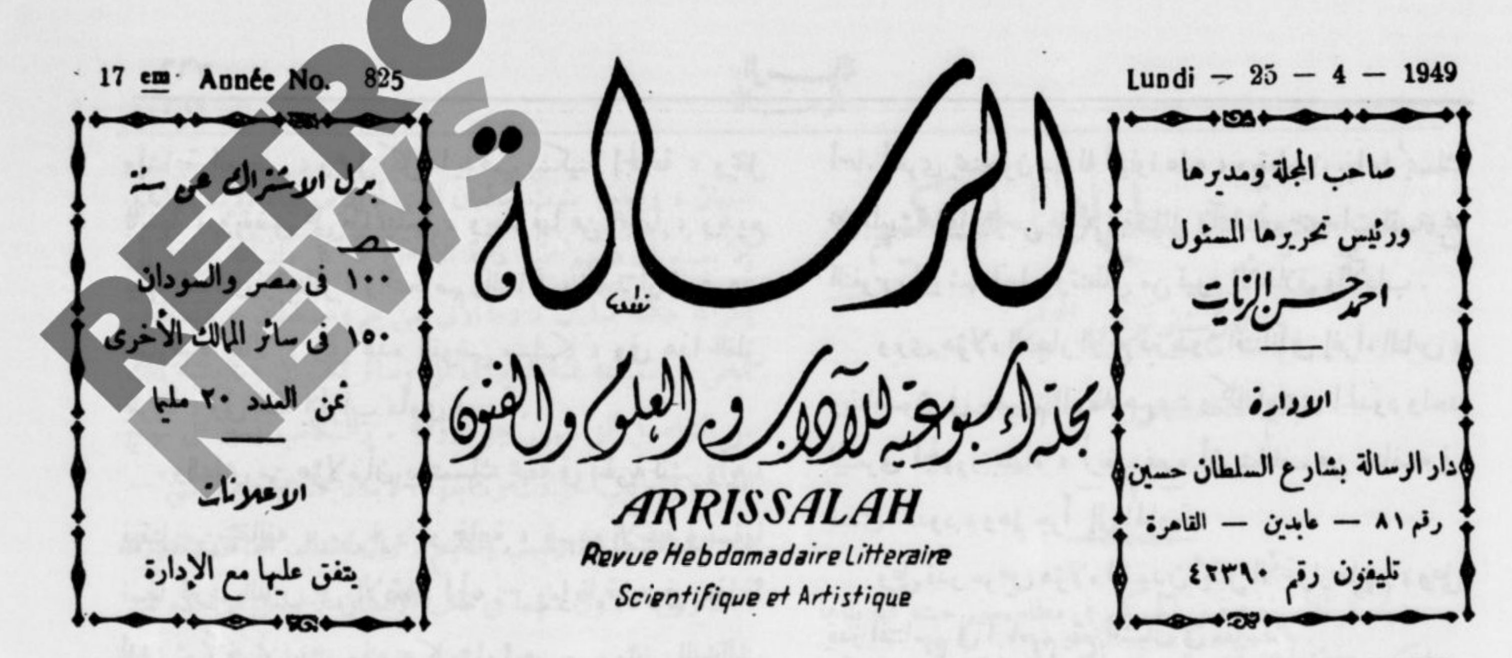
الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٣٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العـــدد ٨٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أمم حـــائرة

فوضى الآراء والأعمال

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بجدة

يحس الإنسان حيثما توجه فى هذا العالم قلقاً واضطراباً وسخطاً ، ويسمع أينما حلّ ضوضاء وصخباً وجدالاً . كأن قلق النفوس واضطرابها ، أو هذه الضوضاء النفسية التى تدوّى فى كل فكر وكل قلب — صدى الضوضاء الحسية المستمرة المسلطة على الخلق فى هذا العالم ، من سياراته وقطاراته وطائراته ومجاهره ومذياعاته ؛ أو كأن هذه الضوضاء الحسية التى لا يجد الناس منها مفراً ولا عنها حِوَلاً ، صدى لتلك الضوضاء النفسية . لا جرم أن هذه الضوضاء متصلة بتلك ، فالعالم فى ضوضاء نفسية وحسية ، وفى صخب ظاهر ومضمر ، وعيشة الإنسان بين الضوضاءين شقاء ، وجهاده للخلاص منهما عناء .

كل طائفة لها مذهب ، وكل إنسان له رأى ، وإلى المذاهب والآراء ، مآرب وأهواء ، لُبِس فيها الحق بالباطل ، والصدق بالكذب .

وقد طويت المسافات ، ورفعت الحجب ، فصار الإنسان فى بقعة من العالم يقرأ ويسمع ما فى أقصى البقاع كأنه يعيش فيها ، ويقيم بين أهليها . فاجتمعت على الإنسان ضوضاء العالم كله ، ونزاعه ، وفتنه .

والمسائل الكبرى التى كانت شغل الفلاسفة والعلماء فى العصور السالفة وضعت فى هذا العصر ، بهذه الوسائل ، وسائل النشر والإذاعة ، أمام كل قارئ ، بل كل أمىّ ، فشارك الجهلةُ العلماء ، واستوت الأئمة والدهماء . كل يسمع أو يقرأ ويفكر ويقول . فما ظنك — مع هذا كله — بما تموج به الجماعات من مذاهب وآراء ، وأقوال وأفعال ؟

كل طائفة وكل فرد يعلن بما فكّر وما قدّر ، وكل قارئ أو سامع يردد ما قرأ أو سمع ، وتدعى كل طائفة وكل فرد أن له الحرية كاملة مطلقة فى أن يعلن رأيه ، وينشره على الناس بشتى الوسائل ، ويدافع عنه بكل الطرائق .

فإن أعوزته الحجة ، وخذله البرهان ، ولم يجد لمذهبه فى العقول قبولا ، ولا لرأيه فى الجماعة مساغاً ، فلا بأس عليه أن يكذب ويخدع ويفترى ويلبس الحق بالباطل ، ويبذل المال إن استطاع ، ويستعين بالشهوات إن قدر ، ويتوسل بكل ما عرف الناس من وسائل الدعوة أو الدعاوة .

وإن لم تُجدِ الدعوة ، ولم ينفع الخداع والتلبيس ، والتسميع والتشهير ، فلا بأس أن يوجه حربته إلى الإخلال بالنظام ،

وإشاعة الفوضى ، وعمل كل ما يذهب بسكينة الجماعة ، ويخل بأمنها ، ويقضى على طمأنينتها ، ويصرفها عن عملها ، ويذيع بينها التعادى والتنافر ، والتخاصم والتقاتل ، لتجد آراؤه فى هذه الضوضاء مجالا ، وفى هذه الفوضى مسلكا ، وفى هذا القلق طريقاً ، وفى هذا الخراب مأوى !

وللداعى من هؤلاء أن يستمسك بحقه فى الحرية لنشر رأيه ، فيقتل من يخالفه ، من فرد أو جماعة ، ويهدم الأبنية وينسفها نسفاً ليرغم الناس على الإذعان لرأيه … وما ذا عليه فى هذا ؟ أليس حراً فى أن ينشر مذهبه كما يشاء ؟ هو حر ، وليس للمخالف حرية مثله فى أن يستمسك برأيه ويدفع عنه ؛ بل ليس له الحرية فى أن يعيش . وإذا أُخذ بجريرته نادى بحقه فى الدفاع عن نفسه والاستعانة بالمدافعين ، وطالب بحريته فى أن يقول ما يشاء ، قبل أن يقضى عليه .

صارت هذه الحرية البائسة كلمة تقال فى الحق والباطل ، وينادى بها فى الخير والشر ، والصلاح والفساد . وأين هؤلاء الأغرار من أخلاق الأحرار ؟ لقد اشتبه عليهم الأمر ، والتبست عليهم السبُل ، فهم فى أمر مريج .

***

هذه فوضى المذاهب والآراء ، فوضى الحرية فى الدعاء إليها والدفاع عنها !

وفوضى أخرى فى سنن الجماعة وآدابها ، وعمل الفرد وسيرته : فتحت على النـاس أبواب من اللذات ، وزينت لهم فنون من الشهوات ، ونشـأت بجانبها ضروب من التجارة وألوان من المـكاسب ، اتخذت إليها سُـبُلاً شتى ، وطرقاً مختلفة ، لا يبالى سالـكوها بما يقترفون إن أصابوا الربح الذى يبتغون !

افتنّ تجار المآثم فى التزيين والترغيب والفتنة ، فهفا كثير من الناس إليهم وعلقوا فى شراكهم . وللناس شرائع تعصمهم من المآثم ، ولهم آداب ومروءات تمسك بهم عنها ، وفيهم إباء وحياء ؛ ولـكنها لذات فاتنة ، وشهوات قاهرة ، وخدع غالبة ، وفتن محيطة . فيرجع الخادعون والمخدوعون إلى تسمية الأشياء بغير أسمائها فيقولون : الحرية والجمال والرياضة والفكاهة … إلى أسماء أخرى يحتجون بها لما أقبلوا عليه ، ويقطعون بها ما يُمسك على المعيشة الفاضلة من عقائد وفضائل وآداب ومروءات لتستريح النفوس إلى شهواتها ، وتنطلق من قيود الأخلاق والآداب .

ويرى هؤلاء التجار الربح فيزيدون افتناناً فى إغراء الناس ، ويتنافسون فى جذبهم إلى ملاهيهم ، وكلما اعتدى الحدود واحد ليُغرى الجمهور بجلباه ، أنِف غيره أن يتخلف عن منافسه فى تعدى الحدود ، وهلم جراً إلى الهاوية .

وعلى قدر حرص هؤلاء المفسدين يُقبل الأغرار عليهم ، وعلى قدر افتنانهم فى آثامهم يقع الشبان فى مفاسدهم .

والحرية المظلومة يمتل بها هؤلاء وهؤلاء . وما هى الحرية ، ولـكنها العبودية ، عبودية المال ، وعبودية الشهوات .

والجماعات تسير إلى مهالـكها سادرة فى غفلاتها ، والحـكومات ذاهلة عن تبعاتها . يحسبون الأمر هيناً وهو يفعل فعله فى آدابنا وأخلاقنا وجماعتنا وأسرنا وفى عقولنا وأجسامنا . وإليه فيما أرى يرجع كثير مما نحن فيه من عبث وفوضى وعصيان على القوانين قوانين الأسرة ، وقوانين الجماعة ، وقوانين الحـكومة .

ولا بد للناس من سنن صالحة ، وقوانين حازمة ، تحمى الأغرار من عبث الفجار ، وتصون الناشئين من تضليل المضللين ، وتعصم الشبان من التهافت فى هذه النيران التى لا تبقى ولا تذر!

هذه فوضى الأخلاق بعد فوضى الأفـكار .

(للـكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

مسرحية «سليمان الحكيم»

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

— ١ —

يذكر الأستاذ توفيق الحكيم فى مطلع مسرحيته أنه بناها على كتب ثلاثة : القرآن والتوراة وألف ليلة وليلة؛ وأنه سلك فيها مسلكه من استخدام النصوص القديمة والأساطير لإبراز صورة فى نفسه . ولعل هذه الكلمة خير ما يلخص مذهب الأستاذ الحكيم ومنهجه فى التأليف المسرحى . فماذا أخذ من هذه الكتب الثلاثة وماذا ترك ؟ وما الذى أضافه إليها من فنه ومن فكره ؟ هذا ما نريد الآن أن نعرفه .

أما قصة القمقم والصياد ففى ألف ليلة وليلة ؛ ولكن الصياد فيها ، لما رأى من لؤم الجنى الذى أراد أن يقتله جزاء تخليصه إياه من سجنه ، يحتال عليه حتى يدخله القمقم من جديد ويغلقه ثم يقذف به فى البحر كما كان . وهو مسلك لا يتصور غيره من إنسان ، لأنه يتفق مع طبيعته وفكرته عن العدالة حتى فى أسمى صورها . ولكن صياد سليمان الحكيم لم يفكر فى شئ من هذا ، بل راح يحاور الجنى ويداوره فى بلاهة تشبه القداسة ، أو قداسة تشبه البلاهة ، ليصل معه إلى اتفاق شريف ، وهو هادىء الطبع أمام الموت الذى يهدده كأنه سقراط يهزأ بالموت وبالجلاد فى سمو يليق بسيد الفلاسفة . وتلك ظاهرة بارزة لدى الأستاذ توفيق الحكيم ، وفى الرواية التى ندرسها على وجه الخصوص؛ ظاهرة تنزع إلى إظهار شخصياته الثانوية أكثر تميزاً من أبطاله أنفسهم ، فنراهم فى كثير من مواقفهم « يسمون على أنفسهم » على حد تعبير المؤلف — عن شعور أو غير شعور . وقد نرجع إليها فى مقال آخر . وأما القرآن فهو الذى أمده بالشطر الأكبر من هيكل المسرحية : ففيه قصة الهدهد ، وحكاية النمل ، وخطاب سليمان إلى بلقيس يدعوها أن تمثل بين يديه ، واستشارتها لرجال دولتها ، وهديتها لسليمان ، ورفض سليمان الهدية ، ثم إذعانها لزيارته ، وعرض أمرها عليه ، وقصة عرش بلقيس ، وصرح سليمان ، وأخيراً موت سليمان الذى لم يعرف نبأه الإنس والجن إلا بعد أن دلتهم عليه دابة الأرض تأكل منسأته . هذا إلى إطرائه حكمة سليمان ، وما أوتى من علم وسلطان ، وتسخيره للجن ، ومعرفته للغة الطير والنمل وسائر الحيوان وما يشبه ذلك من التفاصيل التى تهيئ جو الرواية . والكاتب يسير على نهج القرآن فى ترتيب الحوادث وتتابعها ، لايكاد يختلف عنه فى شئ — من هذه الوجهة فحسب بالطبع . وإن اختلف القرآن والتوراة أخذ برواية الأول منهما فى غالب الأحيان . وجل ما أخذه من الكتاب المقدس من هذه التفاصيل التى قلنا إنها تهيئ الجو المعنوى للرواية وما يسمى فى لغة المسرح « بالديكور » زوجات سليمان الألف ، وماشيته ، وبذخ قصوره الذى لا يحيط به وصف ، وثراؤه الذى لا يحده حصر . ولعل الكتاب المقدس هو الذى أوحى إليه بفكرة الرواية ولو من بعيد ، أو على الأقل بالخاتمة التى انتهى إليها سليمان . ففيه أن سليمان — وكان يهيم بالنساء — قد حاد فى شيخوخته عن سبيل الحكمة باغراء من نسائه الأجنبيات اللائى حولن قلبه عما كان قد عاهد عليه ربه ، فأصر الله على أنه ينتقم لعهده ، ولكن لا من سليمان نفسه بل من ابنه . غير أن الكتاب المقدس لا يقول بأن بلقيس هى التى كانت سبباً فى سقطة سليمان كما فى المسرحية ، ولكنه يرجعها إلى هيامه بالنساء على كل حال . ومع ذلك فنحن نعلم من قصة أخرى حبشية تتصل بتفاسير العهد القديم ، أن سليمان أحب بلقيس ، وسواء أبادلته بلقيس الحب أم لم تبادله ، فإن هذا الحب قد أثمر مولوداً تنحدر من ذريته سلالة البيت المالك الحبشى . ولكنا لا نعرف إن كان مؤلفنا قد علم بأمر هذه الرواية أم لا .

هذه قصة الملك سليمان أو نبى الله سليمان كما وردت فى الكتب المقدسة والأساطير القديمة . فماذا صنع بها توفيق الحكيم ؟ كيف خلق منها بفنه وفكره شيئاً جديداً ، عملا أدبياً ورواية تمثيلية ؟ قبل أن نجيب عن هذا السؤال نفضل أن نشير إلى بعض المسالك التى يسلكها المؤلفون عادة فى استخدامهم للأساطير وحوادث التاريخ فى الأدب القصصى والتمثيلى ، لنرى أيها اختار توفيق الحكيم :

قد يعمد الكاتب إلى الحادث التاريخى فيصوغه صياغة جديدة ليجعل منه قصة أو رواية فنية ، دون أن يضيف إليه شيئاً

من لدنه غير الصياغة والأسلوب القصصي أو التمثيلي ، اللهم إلا أن يعمد إلى بعض نقط لم تكن بارزة في النص الأصلي ، وإن كانت مما يسلم به ولو ضمناً ، فيبرزها ويضخمها ؛ أو إلى بعض الأبطال فيبالغ في إظهار بطولتهم ويشيد بفضائلهم ، ولكنه لا يختلف اختلافاً جوهرياً عن وجهة نظر النص الأصلي ؛ بل إن كان هناك اختلاف فهو اختلاف في الكم «والرتوش» . وقد يعمد الكاتب إلى الحادث التاريخي أو الأسطورة ، فيفسرهما تفسيراً جديداً يختلف عما هو شائع من تفسيرها ، بل وعما يعطيه نصهما ، كما فعل شوقي في مصرع كليوباترة أو كما أراد أن يفعل . وقد يناقض هذا التفسير الجديد مرمى النص القديم على خط مستقيم ، كما فعل جان بول سارتر Jean Paul Sartre في أسطورة أورست Oreste لما اتخذ منها مادة لمسرحيته الخالدة « الذباب »

ومسلك ثالث ، هو أن يتخذ الفنان من الحادث التاريخي أو من الأسطورة إطاراً يحيط به أفكاره الخاصة ، إناء فارغاً يصب فيه مذهبه في الميتافيزيقة أو الأخلاق أو المجتمع أو غيرها ، وقد تكون فكرة المؤلف لا تمت بسبب إلى ما في الأسطورة . ولكنه يتخذ من حوادثها المادية آلة ينشر عليها خيوطه وخاماته لينسج منها الثوب الذي يريد ، ومن أشخاصها أبطالا يتقمصون أفكاره لتحيا في نفوسهم ، وتتجلى في أفعالهم وأقوالهم . وهذا هو المسلك الذي سلكه توفيق الحكيم لما خلق بفكره وفنه رواية « سليمان الحكيم » من النصوص التي تكلمنا عنها .

فما هو فن الأستاذ توفيق الحكيم في هذه المسرحية ؟ وما هي الفكرة التي أراد هذا الفن على أن يحملها عنه إلى جمهوره ، قراء كانوا أم متفرجين ؟ الفكرة ، بل الدعوى التي يحمل الأستاذ توفيق الحكيم من قطعته عرضاً لها ودفاعاً عنها ، هي وجود قوة خفية ، قوة عليا تسيطر على أعمال الإنسان وتختار له كما تشاء هي لا كما يشاء هو ، حتى إذا ما سار في الطريق الذي اختطت له أو التي حملته على السير فيه دون إرادة منه ، وضعت أمامه من العراقيل ما لا يستطيع التغلب عليه ، أو ما لا ينبغي له أن يتغلب عليه ، ما دامت تلك مشيئة الأقدار . وكأن هذه الأقدار أو القوة الخفية — إذا سلمنا بمنطق الأستاذ الحكيم — لا تبغي من وراء ذلك إلا العبث والسخرية من بني الإنسان . ولا أظن كاتباً يطمع في تصوير الإنسان في صورة من التفاهة والاحتقار أكثر مما

عمل أو مما أراد أن يعمل مؤلف سليمان الحكيم . والميدان الذي اختاره الأستاذ المؤلف لإبراز فكرته وتحقيق صدقها هو ميدان الحب ؛ ميدان القلب والعاطفة لا ميدان العقل والفكر ؛ لأن شخصية الفرد — على ما تريد المسرحية أن تظهره — تتكون من واديين منعزلين : وادي العقل والذكاء وفيه الإنسان سيد نفسه ولكنه قليل الخطر في حياته وحياة العالم . ووادي القلب ، وادي الحب والبغض ، موطن السعادة والشقاء ، ومفتاحه في يد الأقدار ، في يد تلك القوة الخفية التي تديره وتدير معه الإنسان « من خارجه » ولا سلطان لغيرها عليه . وتمزيق شخصية الإنسان على هذا النحو قد يرضى الأمثال المأثورة والحكم العامية ، ولكن عقل الفكر قد ينبو عنه بعض الشيء . لأن الحب مثلاً قد يكون مبعثه الإعجاب والتقدير الشعوريين أو غير الشعوريين ؛ وقد يكون منبعثاً عن أشياء أخرى كثيرة كامنة في عقل المحب الباطن ، وعدم اطلاعنا عليها لا يبرر حكمنا عليها بالعدم . ولكن المؤلف يجعلنا نرى سليمان — ذلك الشيخ المتصابي ، ذلك المزواج الذي يقتني في قصوره ألف امرأة — يهيم ببلقيس بمجرد أن سمع اسمها من الهدهد ، وكأنه مدفوع إلى هذا الحب بتلك « القوة الخفية » التي تديره دون أن تختلط بنفسه والتي لا قبل له بها .

ويكشف لنا سليمان عن هذا الحب « الشيطاني » بدعوتها لزيارته ، وفي قلقه وهو ينتظر مقدمها في قصره ، حتى لكأنه جالس على أحر من الجمر ، وفي غيرته من منذر لما « حدثته بصيرته بأنه المالك لقلب الملكة دونه . وهو الذي « شم عطرها وبينهما بحار من رمال ، ودعاها وبينهما آماد طوال . » . وما تكاد تستقر في ضيافته حتى « يفاوضها » في أن « تنزل » له عن قلبها ، بعد أن صرحت له بهيامها بغيره . فإذا آنس منها إعراضاً راح يبهر عينها بمساعدة العفريت ، ويمخرق لها بشعوذته وألاعيب سحره . قد يعترض علينا معترض بأن هذه الأشياء موجودة بالفعل في النصوص القديمة ، وأن المؤلف لم يفعل غير أن استغلها في إبراز فكرته ودعمها ولكنه على أية حال استغلال غير موفق . بعد هذا عماذا تنجلي التجربة ، أو المعجزة إذا شئنا ؟ عن إصرار بلقيس على ألا « تبيع » إلى سليمان ، وإمعانها في حب منذر ، إذ « لو كان قلبها في يدها ما زال حراً لمنحته إياه مرة أخرى »

العمــــل الأدبى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

يقف الأديب عند سرير جنـدى جريح عائد من ميدان القتال ، فيثير فيه منظره معانى شتى للبطولة والتضحية . أو يدخل مصنعاً قد انصرف فيه كل عامل إلى آلته ، ومضت الآلات فى عملهـا تنتج مسرعة ، فيوحى إليه ما يراه بخواطر عن الدأب والنظام والتقدم . ويحاول أن يسجل إحساسه إزاء ما رأى ، وأن ينقل هذا الإحساس إلى غيره ، فينشىء مقالة أو يقرض قصيدة أو يؤلف قصة أو رواية ، ويختار لذلك ألفاظه وأساليبه ، بحيث تنقل إحساسه نقلا صادقاً غير منقوص.

هذه المقالة أو القصيدة أو القصة أو الرواية هى العمل الأدبى ، فهى الصلة بين الأديب والسامع أو القارئ ، وبها انتقل إحساس الأول إلى الثانى . ونستطيع أن نعرف العمل الأدبى بأنه « التعبير عن تجربة للأديب بألفاظ موحية » ، والتعبير بالألفاظ هو الذى يميز الأدب من باقى الفنون الجميلة ، لأن الأدب يعبر باللفظ ، بينما تعبر الموسيقى بالصوت ، والرسم باللون ، والنحت بالحجارة .

ونعنى بالتجربة كل ما خبر به الأديب ومر بنفسه من شعور ، سواء أكان حقيقياً أم متخيلا ، فقد تكون حادثة صادفت المنشئ فى حياته أو صادفت غيره ، وقد تكون قصة سمع بها ، أو منظراً رآه ، أو فكرة عرضت له ، أو وهما مر بخياله ، ومن هنا كان كل شىء فى الحياة صالحاً لأن يكون مادة للأديب ، يتخذ منها صوراً لبيانه ، على شريطة أن يكون قد امتزج بشعوره وملك عليه جوانب نفسه ، ودفعه إلى الكلام ، ولهذا وجب أن يكون فى التجربة أمر غير عادى مألوف ، وأن تكون ذات قوة ممتازة ، وشدة خاصة ، حتى تبعث فى الأديب القوة الضرورية لمجهود أدبى يستطيع به أن يصف التجربة فى صدق ودقة وإتقان وبراعة ، وبذلك يستطيع أن يبعثها مرة أخرى فى نفوس قارئيه .

هذا ، وإن الحقائق العلمية ، قد يمزج بها الأديب إحساسه ، وينقلها بهذه الصورة إلى القارئ ، فتصبح عملا أدبياً رائعا ، كما سنرى فيما يلى :

إن التجربة لا تكون بسيطة أبداً ، بل لا بد أن تكون مكونة مما تحمله الحواس إلى الفكر ، ومما يأتى به الفكر نفسه من معان يدعو بعضها بعضا ، فالواقف أمام نهر النيل مثلا ، لا تنقل إليه حواسه لون مائه ، وحركة موجه ، وما على جانبيه من حقول فحسب ، بل تنقل إليه أيضاً رقة النسيم ، ولون السماء ، وما قد يكون فيها من سحاب ، وهو يضيف إلى ذلك إحساسات أخرى ولدها خياله كموازنة هدوئه بالبحر وثورانه ، وقد يطوف هذا الخيال بينابيعه ، وبالشعوب التى تعيش على ضفافه ، أو يعود متوغلا فى القدم ، فيذكر ما قام على شاطئيه من حضارة ومدنية ، فإذا كانت تلك اللحظة الشعورية قوية تتطلب التعبير عنها ، فإن الأديب يستخلصها من بين ما يمر به من التجارب ، ويحتفظ بها فى نفسه ، وكلما احتفظ بها ازدادت غنى بما ينضم إليها من ألوان الإحساس وبتداعى المعانى . فإذا أراد أن ينقل تجربته إلى غيره ، وجب أن ينقلها كاملة ، فلا نكتفى منه بأن يصور لنا آثار التجربة ، ولا أن يذكر الظروف التى حدثت فيهـا فالشاعر الذى يروقه منظر من مناظر الطبيعة ، لا يستطيع أن ينقل تجربته هذه إذا اكتفى بذكر المنظر الذى رآه ، أو ذكر الإحساس الذى خالطه عندما رآه ، بل يجب أن يؤدى تجربته كاملة الأجزاء لما شاهده وما أحسه معاً ، مرتبطين ارتباطاً وثيقاً ، حتى يحس بها القارئ إحساساً كاملا ، وتنتقل إلى شعوره ، فيتخيلها ،

(هذه المرة دون تدخل القوة الخفية !!) . ثم عن حب مكتوم ولكنه متبادل بين منذر وشهباء وصيفة بلقيس ، كشف يفاجئ بلقيس فيكاد يقضى عليها بقسوته ، ويهيئ بذلك الفرصة « لنبى الله » ليضاعف من شماتته بها وضحكه من خيبة أملها . أليس هو الذى يقول واصفاً لهذا المنظر : « استخدمت وسائل فظيعة لقهرها وتعذيب قلبها ... لقد أردت التشفى من صدها برؤية دماء نفسها تشخب وجراح فؤادها تسيل ... حتى انهدت بين يدى وانهارت وأنا أرسل فى وجهها الشاحب الضحكات » . وأى ضحكات ؟ ضحكات تدوى بها أرجاء القصر ، مما لا نتصور صدوره من شخص أضناه الحب وأذله .

(لها بقية)

محمد القصاص
دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

كما أدركها منشئها ، ويمثل هذا التناول بخلد الأديب لحظة من لحظات شعور مرت به فى حياته .

إن فى الإنتاج الأدبى لعملا إراديا للأديب ، ذلك أنه يتناول تجربته ، وهى مكونة من أجزاء ، فيرتبها ترتيباً متسقا ، ثم يأخذ فى إيضاح سلسلة خواطره واحداً واحداً ، على أن يكون لكل خاطر منها دخل فى تصوير التجربة وإكمالها ، فيكون له وجود من أجل نفسه ، ووجود من أجل الكل الذى هو جزء منه ؛ وبجمع هذه الأجزاء تصير التجربة وحدة متسقة ، وكلا موحدا ، يتصل كل جزء فيها بسائر الأجزاء . أما إذا كان بعض الأجزاء لا دخل له فى تكوين الصورة ، ولكنه جاء بطريق الاستطراد ، أو لم تكن التجربة مسلسلة الخواطر ، يرتبط بعضها ببعض ، فإنها تنقل إلى السامع مشوهة لا صلة بين أجزائها ولا اتساق .

وهاك تجربة لقتيلة بنت الحارث وقد أخذت تعاتب الرسول لقتله أخاها النضر برغم قرابته له ، واتصاله بنسبه :

أمحمد يا خــير صنو كريمة ... فى قومها ، والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أصبت وسيلة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هنـــاك تشقق

فقد بدأت حديثها معه تناديه باسمه نداء القريب الذى لا كلفة بينك وبينه ، مشعرة إياه بشدة الصلة بينهما حتى لكأنها توحى إليه بأن هذه القرابة القريبة ما كانت تنتظر على يده هـذا المصير . ثم انتهت إلى مكانة الرسول فى قومه ، فنادته واصفة بما يتفق مع هذه المكانة ، وكأن قلب الأم الذى فى كل أنثى دفعها إلى أن تصفه بأنه خير ابن لأم كريمة فى قومها ، وأب عريق فى الشرف ، حتى إذا انتهت من استرعاء سمعه بهذا النداء أخذت تسأله سؤال الوجع الموقن بأن حكم القضاء قد تم ولا سبيل إلى استرجاعه ، فاستخدمت لذلك هذا الإستفهام الحزين الموحى بأنه لم يكن ثمت خطر فى إطلاقه ، فضلا عما فى هـذا الإطلاق من مكرمة المن ، وأتت بكلمة (لو) المشعرة بالأسف لدلالتها على امتناع وجود الفعل . وما كان أدق ذوقها فى اختيار كلمة ربما ، الدالة على حسن الأدب ، والتماسها العذر للرسول ، وتلميحها إلى ما فى العفو برغم الغيظ والحنق من مثل أعلى جدير بالاقتداء ، حتى إذا انتهت من ذلك لمست من الرسـول موضع العطف فذكرته بقربه منه واستحقاقه أن يظفر برعايته . ثم تنتقل من ذلك إلى تصوير هذا القريب الجدير بالود أو بالمن والعتق — هـدفاً لسيوف أقربائه ، تتناوله بأطرافها فتمزق بتمزيق أديمه القرابة وتقطع أواصرها .

وهكذا كان كل جزء له أثره فى نقل هذه التجربة التى ملكت نفس قُتيلة ، ونجحت فى إيصال ألمها للسامع ، حتى روى أن الرسول بكى ، وقال : لو سمعتها قبل اليوم ما قتلته .

نستطيع أن نسمى التجربة التى تسيطر على الأديب ، وتدفعه إلى التعبير عنها بالإلهام ، وكلما عظم هذا الإلهام احتاج إلى قوة كبيرة تستطيع التعبير عنه تعبيراً يمثله تمثيلا صادقاً ، ولذا كان كبار الأدباء ذوى سلطان على اللغة ، وقدرة قديرة على التعبير ، فاستطاعوا أن ينقلوا إلينا من التجارب أعظمها وأسماها .

وإن لدى الأديب إحساساً لغوياً ممتازا ، يستطيع به أن يختار من الألفاظ ما هو قوى فى تصويره ، واضح فى دلالته على مراده ؛ ويدرك ما تستطيع الألفاظ أن توحى به إلى القارىء ، وإن للألفاظ لوحياً يشع منها ، فيملأ النفس شعوراً ، ويثير الوجدان ، ويحرك العاطفة ؛ ذلك أن الألفاظ قد تراكم حولها بمضى الزمن والاستعمال ، معان أخرى أكثر من هذه المعانى التى نجدها لها فى القاموس ، فليس ما بين يدينا من معانى الألفاظ فى المعاجم سوى هـذه المعانى المتبلورة ؛ والأديب البليغ هو من يستنفد ما للألفاظ من معان أضفاها عليها الزمن ، فتثير فى النفس أعمق الإحساسات ، وتملأ الخيال بشتى الصور . وإذا شئت فانظر فى القاموس إلى معانى كلمات : أم ، وطفولة ، ومدرسة ، ووطن مثلا ، فالأم فى اللغة هى الوالدة ؛ ولكن هـذا اللفظ يثير فى النفس إذا سمع أسمى معانى الحب ، وأقدس ألوان العواطف ، وأشرف آيات الإيثار ، وأعمق معانى الحنان .

وليست الطفولة سوى وقت الصبا فى القاموس ، أما إذا سمعت فإنها تثير تلك الخواطر التى تحوم حول هذه الأيام النضرة ، وعلى هاتيك اللاعب المعززة ؛ وكم ذكريات تثيرها المدرسة فى النفس ، حول عهود محبوبة ، وآمال مرتقبة ، وأصدقاء مختارين ، بينما هى فى المعجم مكان الدراسة .

أما كلمة الوطن فقد تراكم حولهـا من المعانى والذكريات ما أشار ابن الرومى إلى بعضه حين قال :

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذاكا

فلا عجب أن تثير كلمة الوطن فى النفس هذه الذكريات العذبة المحبوبة . وإن أردت أن تدرك شدة وحى الألفاظ فاقرأ قوله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ وانظر أى تقزز ونفور يثيره فى النفس تخيـــل أكل لحم الأخ ميتا ...

واقرأ قول الشاعر :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحـــه ، فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

وأرشـــفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامـــة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ، ويأذن للنسيم

يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وانظر ما توحى به إلى النفس (لفحة الرمضاء) فإنها تشعرك بهذا الهواء الساخن يلفح وجهك ، ويرمض عينك ، فتكاد تضع يدك على هـذا الوجه ، تحجب بها عنه هذه السخونة الممضة ، وتحس كما أحس الشاعر بفضل هذا الوادى عليه ، فقد حماه من وهج الشمس وسطوة الحر ، فلا غرابة أن يدعو له من كل قلبه أن يسقيه مضاعف الغيث . وانظر ما توحى به إلى خيالك كلمة (دوح) من ظل ظليل ، ونسيم بليل ، تسكن إليه النفس بعد لفحة الرمضاء . وتخيل حنو المرضعات وما يثيره من معانى العطف والحنان . أما (أرشف) فتوحي إليك بهذه المتعة التى يحس بها الظمآن لفحة حر الشمس فأوى إلى ظل ظليل ، وأخذ يشرب على مهل ، ليستمتع بالمـاء الزلال ، وكيف يجده حينئذ ألذ من المدامة . وتخيل كذلك ما يثيره عندك كلمة (يروع) والصورة التى ترسمها ، وكلمة العذارى ، وموضع الفاء التى تدل على هـذه الحركة السريعة الناشئة من الروعة .

وهكذا استطاع الأديب بهذه الألفاظ الوحية أن يسيطر على خيالنا ، وأن ينقل إلينا إحساسه وشعوره . ولعل هذا هو السر فى أن علماء البلاغة قد كرهوا استعمال الـكلمات الغريبة لأنها تعجز عن أن تثير فى النفس معنى قبل البحث عنه ، فضلا عن أن تثير هذه الخواطر التى تحيط بالـكلمة إذا استعملت .

على أنه قد يشفع فى بعض الأحيان لاستخدام الـكلمة الغريبة أنها وضعت فى موضع سهل الأسلوب فهمها ، وكانت هى جرسها موحية بمعناها ، ولعل من ذلك قول شوقى :

خلوا الأكاليل للتاريخ إن له يداً تؤلفها درا وخشلبا(١)

فهذا الجمع بين الدر والخشلب يوحى بما بينهما من البون الشاسع ، وفى حروف الـكلمة الغريبة ما يوحى بأنها تعنى شيئاً حقيرا .

والإحساس اللغوى عند الأديب هو الذى يختار اللفظ اختياراً دقيقاً ، بحيث يؤدى المعنى على وجه لا لبس فيه ولا اضطراب ، وهو لذلك يلحظ الفروق الدقيقة بين الـكلمات ويأخذ من بينها أمسّها بمعناه ، حتى تقوم بواجبها من التوصيل الصادق . سمع ابن هرمة أديباً ينشد قوله :

بالله ربك إن دخلت فقل لهـا هذا ابن هرمة قائماً بالبـاب

فقال له : لم أقل (قائماً) ، أكنت أتصدق ؟ قال : (قاعداً) ؟ فقال : أكنت أبول ؟ قال : فماذا ؟ قال : (واقفا) ، وليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى(٢) .

بل إن الإحساس اللغوى قد يرهف ويدق ، فيختار من الـكلمات ما يكون بين أصواتها وبين الموضوع ملاءمة ، بحيث يكون فيها تقليد للشئ الموصوف ، حتى كأنه يوحى به إلى الخاطر كما تحس بذلك فى كلمة (أرشف) من الشعر السابق ، وكما اختار المتنبي كلمة (تفاوح) فى قوله :

إذا سارت الأحداج فوق نباته تفاوح مسك الغانيات ورنده

فهى تدل بصيغتها على هذه الموجات النسيمية ، تحمل فى أردانها عبق المسك والرند ، وكلمة صليل فى قوله :

وأمواه تصـل بهـا حصاها صليل الحلى فى أيدى الغوانى

فهى تسمعك بحروفها وسوسة المياه تداعب الحصى .

وبعض ألفاظ اللغة أسلس على اللسان وأجمل وقعاً على الأذن من بعض ، وهوجمال ظاهرى يساعد الأديب على إيصال تجربته . وعلماء البلاغة يذكرون من صفات الألفاظ المفردة ما يصح أن تلتمسه هناك .

وفضلا عما للكلمات من خصائص يدركها إحساس الأديب كذلك النظم فى العبارة الأدبية يحمل معنى أكثر مما تؤديه الجملة بجريها على النحو ، فإن هناك قوى يبثها المؤلف فيها ، عن غير عمد حيناً ، وعن عمد حيناً آخر ، فنجده يقدم ويؤخر ويذكر ويحذف ويصل ويفصل ، ويأتى ببعض ألوان المعارف دون بعض ، وحيناً

(١) الخشلب : الزجاج .

(٢) الوقوف لا يقتضى الدوام والثبوت أما القيام فيقتضيهما .

من أدبنا المجهول :

المنصف

لابن وكيع المصري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ

للأستاذ السيد أحمد صقر

كان أبو الطيب المتنبي (٣٥٤ هـ) يرسل قصائده الفرائد فتسري في أرجاء العالم العربي مسرى الأضواء، حاملة بين أطوائها بذور نقدها، فتملأ الدنيا بدويها، وتشغل الناس بحديثها، فنهم من يكبرها ويغلو في إعظامها والإعجاب بها، حتى يملك عليه الإعجاب أقطار نفسه، ويأخذ بمسارب حسه؛ ومنهم من يحقرها، وينغض من شأنها، ويسرف في ثلبها، حتى ليكاد يخرجها من حلبة الشعر، ويسل صاحبها من بين الشعراء؛ وبين أولئك وهؤلاء أقوام قد تفارتت حظوظهم من المودة والبغضاء، والإعجاب والإزراء، فيكثرون من الحديث عنها والجدل فيها كما قال المتنبي :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ

ولعل أهم مسألة شغلت النقاد، واستأثرت بنشاط أفكارهم مسألة سرقات المتنبي، فقد كان الرجل واسع الثقافة، دائب الاطلاع على أشعار الشعراء، يجيل النظر فيها، ويعمل العقل، ويدير الفكر بنفس مشوقة وحس جميع، فكان إذا جاشت نفسه بالقريض ربما ألم بهذا المعنى أو ذاك، وطاف بهذه الفكرة أو تلك شاعراً بما صنع أو غير شاعر، وقد اهتبل النقاد مسألة السرقات هذه، وحاول بعضهم أن يصدم بها المتنبي في مجالس الإنشاد، واتخذها الحساد غرضاً يصوبون إليه سهامهم المسمومة لعلهم ينالون من عظمته، ويديلون من ذكره، فيشفوا بذلك نفوسهم، ويذهبوا غيظ قلوبهم. وكان أول من عرض لها وكتب فيها الصاحب ابن عباد وأبو علي الحاتمي (٣٨٨). ولما ألف الجرجاني (٣٦٦ هـ) كتاب «الوساطة» أدار الحديث فيه عن هذه السرقات، وأفاض حتى أنفق فيها أكثر صحائف الكتاب. وجاء معاصره ابن وكيع المصري فألف كتاب «المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي» وابن وكيع هذا «شاعر بارع، وعالم جامع، قد برع على أهل زمانه، فلم يتقدمه أحد في أوانه، وله كل بديعة تسحر الأوهام، وتستعبد الأفهام» وله ديوان شعر جيد[1] ولد في مدينة تنّيس بالقرب من دمياط، ومات بها في جمادى الأولى سنة ٣٩٣، وقد ضاع ديوان شعره، ولم يبق من كتاب المنصف إلا نسخة واحدة فيما يقول بروكلمان، محفوظة في مكتبة برلين برقم ٧٥٧٧، وهي تقع في ١٦٧ لوحة، وفي كل لوحة صفحتان، يستغرق الجزء الأول منها ١٤٨ لوحة، واللوحات الباقية من الجزء الثاني ... وهو كتاب نفيس حقاً أضعه في ثقة وأمن في طليعة كتب النقد الأدبي، وأعد مؤلفه في مقدمة الطبقة الأولى من أعلام النقد، لا في القرن الرابع وحده بل في كل العصور. ولنفاسة هذا الكتاب وطرافته، لا أريد أن أحدثك عن فكرته وأسلوبه ومنهجه، بل أذر مؤلفه يحدثك عن ذلك كله لتتبين بنفسك أغراضه ومقاصده، وتتعرف بذوقك رأيه وتفكيره، ولئن كان الكتاب يعرف من عنوانه كما يقال فإنه أيضاً يفهم من مقدمته.

(١) يتيمة الدهر ٣١٧/١ .

يدع المعرفة إلى الفكرة، وآنا يستخدم أداة من أدوات الطلب مكان أخرى، أو يأتي بزخرفة في مكانها. وقد وصل علماء البلاغة إلى إدراك كثير من هذه الأسرار، فمقدوا علما يتحدث عن خصائص الجملة، ودعوه علم المعاني، وعلما للخيال الذي يعقد الصلة بين الأشياء ودعوه علم البيان، وآخر لبعض ألوان الجمال وسموه علم البديع.

ولكن خصائص النظم لا تقف عند حد الجملة بل إن للأساليب خصائص، فمنها ما يناسب الانفعال السريع والحركة المتوثبة، ومنها ما يناسب العاطفة الهادئة والحركة البطيئة، وقد يدفع الإحساس الفني الأديب إلى انسجام في النظم وموسيقى لفظية، تساعد على الإيحاء، وإن هذا الانسجام وهذه الموسيقى يصلان إلى الذروة في فن الشعر، وبذلك يستطيع الأديب أن يصل إلى أسمى درجات التأثير.

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

قال ابن وكيع : « أما بعد حمد الله والصلاة على رسوله الكريم ، وعلى آله المصطفين الأخيار الطيبين الأبرار ، فإنه وصل إلىّ كتابك الجليل الموضع ، اللطيف الموقع ، تذكر إفراط طائفة من متقدمى عصرنا فى مدح أبى الطيب المتنبى وتقديمه ، وتناهيهم فى تعظيمه وتفخيمه ، وأنهم قد أفنوا فى ذلك الأوصاف وتجاوزوا الإسراف ، حتى لقد فضلوه على من تقدم عصرُه عصرَه وأربَ على قدرِهِ قدرُه . وذكرت أن القوم شغلهم التقليد فيه عن تأمل معانيه ، فما ترى من يجوز عليه جهل الصواب ، فى معنى ولا إعراب . وذكرت أنهم لم يكتفوا بذلك حتى نفوا عنه ما لا يسلم لفحول الشعراء من المحدثين والقدماء منه ، فقالوا : ليس له معنى نادر ، ولا مثلَ سائر ، إلا وهو من نتائج فكره ، وأبو عذره ، وكان لجميع ذلك مبتدعاً ، ولم يكن متبعاً ، ولا كان لشيء من معانيه سارقاً ، بل كان إلى جميعها سابقاً ، فادّعوا له من ذلك ما ادعاه لنفسه على طريق التناهى فى مدحها ، لا على وجه الصدق عليها فقال :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله ... إذا القول قبل القائلين مقول

وهذا تناه ومبالغة منه كاذبة ، وقد يأتى الشاعر بضد الحقائق ، ويتناهى فى الوصف وهو غير صادق . وذكرت أنك عارضت دعواهم بأبيات ، وجدتها فى شعره مسروقات ، فادعوا فيها اتفاق الخواطر ، ومواردة شاعر لشاعر . واحتجوا عليك بامرئ القيس فى قوله :

وقوفاً بها صحبى علىّ مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فوافق خاطره خاطر طرفة فى قوله :

وقوفاً بها صحبى علىّ مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وأحببت إنهاء ما عندى إليك ، غير متحيف لك ولا عليك ، فأقول والله الموفق للصواب :

إن القوم لم يصفوا من أبى الطيب إلا فاضلا ، ولم يشهروا بالتقريظ منه خاملا ، بل فضلوا شاعراً مجيداً ، وبليغاً سديداً ، ليس شعره بالصعب المتكلف ، ولا اللين المستضعف ، بل هو بين الرقة والجزالة ، وفوق التقصير ودون الإطالة ؛ كثير الفصول ، قليل الفضول . لكنه بعد هذا لا يستحق التقديم على من هو أقدم منه عصراً ، وأحسن شعراً ، كأبى تمام والبحترى وأشباههما ، فإنى لا أزال أرى من منتحلى الآداب من يعارض شعريهما بشموه ، ويزن قدرهما بقدره ، من غير انتقاد للشعر استعمل فيه كد فكره ، ولا استقصاء نظره ، وإنما قلد الحظوة الرافعة ، والشهرة الذائعة ، والنفوس مولعة بالاستبدال والنقل ، لهجة بالاستطراف والملل ، ولكل جديد لذة ، فلما كان شعره أجدّ فيهم عهداً ، كانوا له أشد وداً . وهبنا أغضينا لهم عن تفضيلهم إياه على من لا يشق غباره ، ولا يعشر مقداره ، مع علمنا فى ذلك أن مذهبهم أوضح فساداً من أن نطالب لهم المعارضة ، أو نتكلف من أجلهم المناقضة ، فكيف بالإغضاء عن نفيهم عنه ما لا يسلم منه بدوى أو حضرى ، جاهلى أو إسلامى ، من استعارة الألفاظ النادرة ، أو الأمثال السائرة . وإذا كانت مستعملة فى أشعار جميع الناظمين من القدماء والمحدثين . وسلمنا لهم نفيهم عن أبى الطيب ذلك كنا قد سلمنا لهم أنه أفضل أهل الشعر فى كل أوان وعصر . وهذه دعوى لا بد من كشف أسرارها وإظهارها ، وهى بالعناية أولى من الأولى ، لأن تلك دعوى خصت طائفة ، وهذه تعم جميع القائلين من الأولين والآخرين . ولقد ادعى قائلها إفكاً واسماً ، وظل للحق فيها دافعاً ؛ لأنه ادعى وقوع جميع الشعراء فيما سلم أبو الطيب منه ، وفقرهم إلى ما غنى عنه ، وهذه صفة تتجاوز الصفات ، وتكاد تشبه المعجزات . ولو علم صدقها أبو الطيب من نفسه لجعلها آية له عند تنبيه ، ودلالة على صحة ما ادعاه من تنويه ، يتحدى بها أهل دعوته .

(البقية فى العدد القادم)

السيد أحمد صقر

صور من الحياة :

حرمـــان . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا صاحبي ، لا تمتهن عبراتي المهراقة بين يديك ، فما أرسلتها من ضعف ولا سكبتها من عجز . فالعبرة — يا سيدى — هي ذوب القلب السامى حين يطل على آلام الإنسانية وهى تضطرم وتتأجج ، وهى خلاصة الدم النبيل حين تأخذه الرقة والحنان ، وهى الصريح المحض من صفاء الروح وحرارة الحياة وسمو النفس ولعمرى إن جامد العين إنسان لم يبلغ بعد درجة الحيوان .

* * *

إننى أذكر — الآن — يوم أن فررت من حجرة الشيخ على ، ذلك الفتى القمئ العبوس . لقد اختاره أبى ليكون قائداً لى فوجدت فيه غلاً بغيضاً إلى نفسى ثقيلاً على قلبى ، فرحت أحطم هذا القيد بطريقة صبيانية جميلة . وتدفقت النشوة فى قلبي حين رأيتنى أمكر بالشيخ على فأغلبه على أمره وأنتصر على أساليبه الملتوية الوضيعة . وظفرت — لأول مرة — بالحرية التى تدفعنى إلى أن لا أخشى الرقيب ولا أخاف أبى ولا أرهب الشيخ على . وأصبحت وما فى حياتى من ينهرنى عن لهو ولا من يردعنى عن غى ولا من يدفعنى عن طيش ، فارتدغت فى حماقات ما دعنى عنها واحد من رفاق ولا ذوى قرابتى : فأنا لا أذهب إلى الأزهر إلا حين يحلولي ولا أطمئن إلى أستاذ إلا حين أجد فيه الفتور والضعف ولا أستمع إلى درس إلا حين ألمس فيه ما يجذبنى إليه ؛ ثم لا أجد وازعاً يغرينى بالقراءة والمطالعة ولا أحس ميلاً إلى الاستذكار والتحصيل ، فاطمأنت نفسى إلى عبث الطفولة ولهو الصبا . وأبى فى القرية لا يعلم من أمرى شيئاً وفى رأيه أن ابنه الشيخ الصغير يوشك أن يسمو إلى مرتبة ذوى المكانة والشأن من مشايخ الأزهر وإلى جانبي الشيخان حامد وحسن لا يستطيع واحد منهما أن يلومنى على أمر ولا أن يؤذينى بحديث. وذهبت غير بعيد ، ثم استحالت حالى فلمست فى حريتى معانى رجولتى . وللرجولة فى نفس الصبى علامات لا تتم إلا بها . فأنا أقضى صدر النهار جالساً إلى عمامتى أهيئها على نسق وأرتبها على طريقة ، أطويها وأنشرها ثم لا أبرح أطويها وأنشرها فلا أهتدى . وأنا أخلو إلى جبتى طرفاً من الليل — أزيل عنها ما علق بها من غبار وأمسح ما لونها من طين ، والطريق بين الأزهر والدار ضيق قذر تتراكم فيه — دائماً — الأوساخ والوحل ، ثم يعجزنى أن أدفع بها إلى المكواء ومالى طاقة بما يطلب من أجر ، فأنشرها تحت الحشية علّها تبدو فى رأى العين قريبة عهد بالمكواة . وأنا أنطوى على حذائى — ساعة من زمان — أطليه بالورنيش حيناً وأغسله بالماء أحياناً . ثم تصنعت الرجولة فأخذت أمشى الهوينى منتصب القامة متزن الخطو ، وأتحدث فى هدوء ورزانة ، وأجلس إلى شيخى فى ثقة واطمئنان ، وأستمع إلى الدرس فى أناة وصبر . ومضت أيام ثم غلبتنى طبيعتى الصبيانية وضاقت بما أتصنع فإذا أنا صبى بين صبيان يملأون الحارة صياحاً وضجيجاً ويندفعون فى لهو ولعب ما ينتهيان إلا أن يثور بنا صاحب الدار أو يهرّ بنا رجل من الجيران فننطلق فى ذعر صوب الحجرة كفئران أفزعهم قط كاسر

* * *

وأنست إلى حجرة الشيخ حسن وما هى بأوفر حظاً من حجرة الشيخ على ولا أسعد حالا من حجرة الشيخ فهى ، وما فيها غيرنا : أنا والشيخ حسن، والشيخ حامد . ثلاثة ضمتهم آصرة القربى وجمعهم وشيجة السن فكلاهما تربى فى الكتاب وزميلى فى اللعب ورفيقى فى الغيط وصاحبى فى القرية . هنا وجدت الحرية والراحة وسعدت بالهدوء والطمأنينة .

أما الشيخ حامد فهو فتى مدلل رقيق الحاشية لين الأعطاف لدن الأوصال غض الإهاب . وضىء الوجه ، وسيم القسمات ، يتألق نضارة وجمالا ، يتأنق فى لباسه ويتثنى فى مشيته ويتأرج فى عطره ، ليس فيه من معانى الرجولة إلا ثياب الرجل ولكنه صاحبنا وعلينا أن نرعاه ونتعهد حاجاته .

وأما الشيخ حسن فهو فتى في فجر العمر أيد فى غير نزق ، صلب فى غير جفوة ، رقيق القلب رضى النفس حلو الحديث خفيض الصوت . أخذ نفسه بالشدة والقسوة فهو يصرفها عن

نوازع الحياة ويلفتها عن شهوات المدينة ، ويجد لذته فى الدرس والكتاب ، فيقبل على الدرس فى نهم ويطمئن إلى الكتاب فى رضا ، ويقضى سحابة النهار فى صحن الأزهر لا يبرحه إلا إلى حلقة الدرس أو إلى الصلاة . وعلى وجهه سمات حزن ما ينجلى ، وفى عينيه عبرات تترقرق ما تنحدر ، من أثر ما لاقى من عنت الأيام وجفوة الحياة .

لقد أحس الشيخ حسن اللوعة والأسى حين ماتت عنه أمه صبياً فوقع بين فظاظة أبيه الجاهل وشراسة زوجه القاسية . وأبوه رجل ريفى لم تصقله الحياة ولا هذبته التجارب فهو جافى الطبع غليظ الكبد لا تأخذه الرأفة ولا تهزه الشفقة ؛ وزوج أبيه فتاة فى مقتبل العمر وريق الشباب ، مكرت بالرجل فأذاق ابنه البأساء والضراء وضربه بالجوع والعرى وأرهقه بالعمل فى الحقل وفى الدار ، ولكن أحقاد نفسها كانت تتأرث حيناً بعد حين فراحت تمكر بالصبى وأبيه فى وقت معاً فدفعه إلى الأزهر ... دفعه إلى هناك ليعيش ضائعاً يعانى غمرات الحياة وشظف العيش وقسوة الحرمان . ولكنه رضى بالكفاف إن وجده ، واطمأن إلى الجوع ، وسعد بالعرى ، وصبر على الحرمان ، ووجد اللذة والسعادة فى الدرس .

وعاش الفتى فى دنيا نفسه يسكن إلى آلامه ويستقر بين خواطره ، يفزع عن الناس لأنه لا يجد فيهم الصاحب ، وينفر من الجماعة وما فيهم من يشعره بالعطف . وهو أبى النفس كريم الأخلاق يترفع عن أن ينشر ضعفه أمام واحد من الناس لأنه يخشى أن يسخروا منه ويتندروا به . وأبوه فى القرية فى شغل عن أن يعنى بابنه ومن ورائه زوجه توحى إليه بأمر فهو لا يرسل إليه إلا نفاية الخبز ، وإلا قدراً من المش ، وإلا قروشاً يدرأ بها سفاهة صاحب الدار . ثم هو يرى الشيخ حامد إلى جواره ، هذا الفتى المدلل ، وهو يستقبل أطايب الطعام والمال تترادف إليه من القرية فى الفينة بعد الفينة ، فلا يهش لها وإن نفسه لتجذبه إليها جذباً عنيفاً ، والشيخ حامد يلح عليه فى أن يشاطره الطعام والشراب والمال فيتأبى عليه . ولشدما كان يحزننا أن يفر من هذا الطعام وهو شهى لذيذ فيعتصم بالأزهر من بكرة النهار حتى الهزيع الأول من الليل ، فلا يجلس إلينا إلا حين يوقن بأن الطعام قد نفد أو فسد .

ولطالما أزعجنى أن يعيش هذا الفتى بيننا لا يطمئن إلى واحد منا ، ولا يلمس المتعة فى صحبتنا ، ولطالما حاولت أن أصل إلى قرارة نفسه لأستل منها أشجانها فما ظفرتُ إلا بالخيبة والإخفاق فعاش بيننا غريباً عنا .

وسار الفتى فى سبيله لا يلوى على شىء يدفعه قلبه وعقله وكرامته معاً إلى غاية يبتغيها ، فتقدم فى خطى فساح يقفز فوق هامات رفاقه حتى أوشك أن يبلغ .

يا عجباً ! ما لهذا النبت الغض وقد غذته القسوة وغمرته أشمة الشدة وسقاه الحرمان ... ماله أينع ونما واشتد غراسه فأثمر الرجولة والعبقرية والنبوغ ؟ أفكانت جيماً تصقله من صدأ وتحفزه إلى غرض ؟ .

وفى ذات مساء دخلنا الحجرة — أنا والشيخ حامد — فاذا الشيخ حسن يلقانا فى بشر وإشراق على غير عادته ، ويتبسط معنا فى الحديث على غير شيمته ، ويشاركنا اللهو على خلاف طبعه . واستولت علينا الدهشة والذهول أن رأيناه متهللا ، وقد انبسطت أسارير وجهه ، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة رقيقة ، وزالت عنه سمات التجهم والعبوس . وعهدنا به أن ينزوى فى ناحية لا يأنس إلا للوحدة ، ولا يلوذ إلا بالصمت . ماذا جرى ؟ لقد جاء رسول من عند أبيه يحمل إليه — لأول مرة فى حياته — ألواناً من الطعام ومبلغاً من المال . لقد كان الطعام تافهاً والمال ضئيلا ، ولكنهما أزاحا عنه كابوس الهم والأسى حين أحس فيهما معانى جياشة من عطف أبيه وحنانه .

وفزعنا نحن عن طعامه مثلما كان يفزع عن طعامنا ، وعجز عن أن يثنينا عن عزمنا ، فراح يأكل بقدر ويدخر من طعام اليوم لمائدة الغد ، والطعام يكفيه أياما .

ما لى أهب اليوم من نومى مضطرب الأعصاب مقلقل الخاطر مفزع الوجدان كأنى أنتظر حادثة أو أتوقع أمراً . لقد ظللت طول يومى أحس فى نفسى خيفة وفى قلبى ذعراً ، رغم أن هذا اليوم من أيام الربيع الجميلة الهادئة . وكان قد مضى ثلاثة أيام منذ أن استقبل الشيخ حسن رسالة أبيه التى أزاحت عنه خواطره السود ، فعجب وهو فى مرحه ونشوته أن رآنى ساهما مقطب الجبين مشغول البال ، فجلس إلىّ يريد أن يصل إلى قرارة نفسى

ليستل منها أشجانها فما ظفر إلا بالخيبة والإخفاق . وانطلقت أنا إلى الأزهر أريد أن أتحلل من أعباء نفسي والتي تقل همي هناك بين رفاقي وأصحابي . وعند الأصيل جاء الشيخ حامد يندفع نحوي وعلى وجهه سمات الفزع والرعب وعلى حركاته علامات الخوف والاضطراب . وحين رآني تشبث بي يجرني وهو يردد في ذهول « تعال ، تعال ! الشيخ حسن ، الشيخ حسن ! » فطرت معه إلى الحجرة ، إلى حيث أرى الشيخ حسن يتلوى من الألم وجبينه يرفض عرقاً ، وهو صامت لا ينطق بكلمة ، ولا يفصح عن شكاة ولا يرسل صيحة . لقد كان جلداً صبوراً حتى حين سرى السم في عروقه من أثر الطعام الذي أزاح عنه النعمة فحفظه في صندوقه وفي قلبه أياماً حتى فسد وتسمم . وانسرب الرعب في نفسي من أثر ما رأيت فانعقد لساني وشلت حركتي ، فجلست إلى جانبه أنظر ثم ألقيت بنفسي عليه ... ألقيت بنفسي عليه وهو يلفظ آخر أنفاسه ثم اندفعتُ أبكيه ، أبكي فيه الصداقة الصافية والشجاعة الكاملة والرجولة الباكرة وهو ما يزل في سن الصبا .

فلا تتهمني — يا صاحبي — عبراتي المهراقة بين يديك ، فما أرسلتها من ضعف ولا سكبتها من عجز ...

كامل محمود حبيب

طرائف من العصر المملوكي :

شـــعراء أميون

للأستاذ محمود رزق سليم

ما الأمية ؟ وما مبلغ صلتها بالشعر ؟

أول ما يطالعنا من معاني الأمية أنها الجهل بمبادئ القراءة والكتابة ، اللذين هما مفتاح الثقافة ، والطريق المؤدي إلى العلم . غير أننا نجد أحياناً أناساً ممن مهروا في القراءة والكتابة ، ونالوا من العلم والثقافة حظاً ، ينحدرون إلى جهالة جهلاء وضلالة عمياء ، إذ لا يفرقون بين حق وباطل ، ولا يميزون بين فضيلة ورذيلة ، ولا يؤدون حق العلم عليهم بالترفيه عن قومهم ، وبخدمة أوطانهم ، أولئك والأميون سواء ، بل إن بعضاً من الأميين الذين لم يمحصهم أدب ، ولم يوقحهم تعليم ، قد يكونون أسلم نية ، وأطهر طوية ، وأصدق عاطفة ، وأعرف بأقدار الناس وحقوق الأوطان . وقد استعاضوا بالذكاء والتجربة عن أميتهم ، ودرسوا علوم الحياة في مدرستها فتخرجوا فيها فضلاء يشأون أولئك الذين أخرجتهم الكتابة من ربقة الجهل ، وخلصتهم القراءة من حظيرة الأمية ، ولكن لا تزال بنفوسهم من الجهل الأصيل علقة ، ومن الأمية الراسخة لوثة .

وليس معنى ذلك أننا نتجنى على الكتابة والقراءة ، ونصلح مع الأمية ، ونحط من قدر الثقافة . كلا وحاشا : ولكننا نحبها جميعاً على أن تكون الطريق الموصلة إلى فهم الحق فهماً صحيحاً ؛ وبلوغ الفضيلة بلوغاً كاملا .

ويبدو أن هذا المعنى الذي نفهمه الآن عن الأمية ، لم يكن معروفاً قبل أن تسلك الكتابة الخطية سبيلها إلى الانتشار والذيوع . فكان الأميون هم العامة لا الخاصة ، والأوشاب لا الأشراف ، والإمعات المغمورين لا الرؤساء المشهورين ، ولهذا أطلق اليهود قديماً لفظ « الأميين » على عرب الجاهلية استهانة بأمرهم ، وتحقيراً لشأنهم ، حتى رفع الله هذا اللفظ وشرفه وكرمه ، فنعت به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

أما الشعر فهو فطرة موهوبة لا خلة مكسوبة ، ولحن إلهي لا نغم تعليمي ، تكسبه المقادر في نفوس جبلت منذ أزلها على أن تكون شاعرة ، نفوس تتوثب عاطفاتها ، وتتوقد إحساساتها وتسجل عليها الأيام ما يطيب لها من حادثات بشرية ومشاعر إنسانية .

وتولد هذه النفوس أمية كسائر النفوس ، فإذا خرجت عن أميتها ، ونزعت منزع الثقافة زادت حذقاً وفراهة ، وأصبحت دانية إلى كمالها .

وقد أنجبت البشرية ، وولدت قبل عهد الكتابة والقراءة ، كثيراً من الشعراء . وشعراء العرب في العصر الجاهلي كانوا يمتون إلى هذه الأمية بأوشج الصلات . غير أن هذه الأمية لم تمنعهم أن يكونوا شعراء ، ولم تمنع نفوسهم أن تتغنى بما تجيش به وأن يكون غناؤها على جانب من الرونق والجودة والصدق والسمو ، استأهل إعجاب الأجيال ، واستحق أن يكون موضع دراسة ، بل بابا من أبواب العلم والثقافة حتى اليوم . وقد أفادتهم

— بلا ريب — زجاجة عقولهم وثقوب نظرهم وسمو تجاربهم ، عوضاً عما عانوه من الأمية والجهل بالقراءة والكتابة .

ويتبين لنا مما سبق أنه لا غضاضة على عصر — أدبى من عصور الكتابة والقراءة أن يكون من بين شعرائه قوم أميون لا يقرءون ولا يكتبون . بل العجيب حينذاك ألا تطرد طبيعة الأقدار وفطرة البشرية ، فتقتصر الشاعرية على قوم من المثقفين بالقراءة والكتابة ، بدلا من توزيعها على الناس والبيئات والطوائف بقسطاس مستقيم عادل ، ما دامت الشاعرية فطرة موهوبة لا خلة مكسوبة — كما أشرنا —

وفى الحق أن الأقدار مطردة فى طبيعتها ، والبشرية متشابهة فى عصور فطرتها ، جارية على وتيرة واحدة ، وتوزيع الموهبة قائم على العدالة منذ القديم . فلكل جيل شعراؤه ، وكذلك لكل بيئة ولكل طائفة . لا تبالى الأقدار فى توزيعها واختيارها بأن تخص من يقرءون ويكتبون بأوفر حظ من الموهبة ، وأوفى نصيب ، دون سواهم .

ومنذ ذلك العصر الذى وجدت فيه الكتابة الخطية سبيلها إلى الوجود والحياة والقوة والاستمرار ، واتخذت منهجاً أولياً ، تعليمياً ، للراغبين فى العلم ، والساعين إلى الثقافة ، ومن ثم فرقت الناس إلى شطرين : عالم يقرأ ويكتب ، وجاهل أمى لا يقرأ ولا يكتب . ومنذ ذلك العصر الذى تولدت فيه اللغات العامية ، وافترقت فيه لغة العامة عن لغة الخاصة . نقول : منذ العصرين المذكورين ، والطبيعة سائرة على وتيرتها ، مطردة فى بابها ، توزع موهبتها توزيعها العادل . ولهذا كثيراً ما ترى مخايل الشاعرية ، ودلائل الفنية بادية فى أوساط الأميين .

غير أن حرص أهل الفصحى ومؤرخيها عليها ، وحفاظهم الشديد على سلامتها ، نفرهم من الأمية والعامية ، ومن أدبائهما ، وشعرائهما . لا يلمون بحياتهم ونتاجهم إلا فى حذر وإباء ، وأنفة وكبرياء . ولهذا طغى عليهم سيل الحرمان ، وسحب عليهم ذيل النسيان . فعاشوا نكرات مغمورة ، وأغفالا مهجورة …

وبعد فنحن لا ندرى بالضبط ، ما موقفنا من الشعراء العوام ، وما رأينا فى إنتاجهم الشعرى ؟ أنحمده لهم أم نجحده ، ونشكره أم نكفره . وهل نغبط عصرهم عليهم أم نغمطه ، ونهنئه بهم أم نعزيه ؟ …

وقد قلنا « الشعراء العوام » لا « شعراء العامة » ، لأننا نقصد أولئك الأدباء ، الذين شبوا أميين لم يتعلموا الكتابة والقراءة ، ولذلك لم يسلكوا سبيلهم إلى المطالعة والبحث والتحصيل والدرس ، ولكن غلبت عليهم حرفة الأدب ، ونزعت بهم نازعة الشعر ، فنظموا بالفصيحة السليمة شعراً قوياً بارعاً ، ومشرقاً ساطعاً ، يتضمن الجديد من المعنى ، والمفيد من الرأى ، والسلس من الحديث — فضلا عما نظموه من الشعر العامى .

فهل أمثال هؤلاء وصمة فى جبين عصرهم ؟ من حقنا أن نشوهه بهم ، ونعيره بوجودهم ؟ أم نعتبرهم حلية من حلاه ، وزينة من زيناته ، لأنهم استطاعوا على رغم عاميتهم وأميتهم ، أن ينفذوا بفنهم وشاعريتهم ، إلى الفصحى ، فينظموا بها ، ويصوغوا الأبيات مصقولة بصقالها ؟ .

هؤلاء كشعراء الجاهلية ولكن بفرق يسير … وهو أن شعراء الجاهلية كانوا يعيشون والفصحى سليقة فى اللسان ، تجرى مع الخاطر مجرى الطباع . أما شعراؤنا العوام فقد عاشوا فى بيئة عامية اختلطت لغاتها وتبلبلت لهجاتها ، فكانت محرفة اللسان سقيمة البيان .

هكذا عاش عدد من الشعراء فى العصر المملوكى . ولكنهم رغم هذا ، قادتهم فطرتهم السليمة ، وأذواقهم المصقولة ، إلى أن يدلفوا إلى الفصيحة المعربة من بابها ويعيشوا ردحاً فى رحابها ، وينظموا الأبيات الرائقة فى جنابها . فوعت بطون الأسفار طرفاً من أخبارهم ، وروت لمامن أشعارهم ، تنم عن فنهم وتدل عليه ، كما نم الأرج عن الزهر ، ودل الخرير على النهر .

وكان بعضهم بحكم عاميته ، ينظم كذلك الأزجال ، وما إليها ؛ ولكنه يضرب فى وديان من الظرف واللطف ، ويفيض بألوان من السحر والبيان .

ونحن فيما يلى ننوه ببعض هؤلاء فنهم :

الأمير بيبرس الفارقانى . كان من المعمرين ، وتوفى عام ٨٠٨ هـ وأسس حماما تجاه المدرسة البندقدارية . وكان من أهل الدين والصلاح . وله مشاركة فى العلم . وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . ويزن الشعر بطبعه ، وله شعر جيد باللغة الفصحى . ومن قوله فى الغزل ، وفيه تورية :

من لى بظبى غرير بالللحظ يسبى المالك

إذا تبدى بليــــل جلا سناه الحوالك
من حور رضوان أبهى لـكنه نجل مالك

روى ذلك ابن إياس فى البدائع .

ومنهم ابن الربيع . وهو مجاهد بن سليمان بن مرهف ابن أبى الفتح المصرى التميمى ، ويعرف بالخياط . كان أديباً رقيقاً ويعتبر من كبار أدباء العوام . عاصر الشاعر المصرى البارع المرح أبا الحسين الجزار ، والأديب ناصر الدين بن النقيب ، وغيرهما من أدباء الحلبة الأولى فى العصر المملوكى . وكانت بينه وبين كثير منهم مراسلات ومساجلات . وقد سل لسانه زمنا على الشاعر أبى الحسين الجزار ، فهجاه وهجا شعره . ومن هجائه قوله :

أبا الحسين تأدب ما الفخر بالشعر فخر
وما تبللت منه بقطرة وهو بحر
وإن أتيت ببيت وما لبيتك قدر
لم تأت بالبيت إلا عليه للناس حكر

ومن شعره فى التشوق والحنين ، مخاطباً البرق :

أعد يا برق ذكر أهيل نجد فإن لك اليد البيضاء عندى
أشيمك بارقاً فيضل عقلى فوا عجباً تضل وأنت تهدى
ويبكيك السحاب وأنت ممن تحمل بعض أشواقى ووعدى
بعثت مع النسيم لهم سلاماً فما عطفوا علىّ له برد

وقد توفى مجاهد عام ٦٧٢ هـ . وتحدث عنه صاحب فوات الوفيات .

ومنهم أيضاً شرف بن أسد المصرى . قال عنه صاحب الفوات « شيخ ماجن متهتك ظريف خليع ، يصحب الكتاب ، ويباشر الندماء ، ويشبب فى المجالس على القيان » . ونقل أيضاً عن صلاح الدين الصفدى قوله عن هذا الأديب ، قال « رأيته غير مرة بالقاهرة وأنشدنى كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك . وكان عامياً مطبوعاً ، قليل اللحن . يمتدح الأكابر ويستعطى الجوائز . وصنف عدة مصنفات فى شاشات الخليج والزوائد التى للمصريين والنوادر والأمثال ، ويخلط ذلك بأشعاره وهى موجودة بالقاهرة عند من كان يتردد إليهم » .

وقد توفى ابن أسد المصرى عام ٧٣٨ هـ .

ولم يرو له الصفدى شيئاً من شعره الفصيح . وروى له موشحة زجلية طريفة يخاطب بها شهر رمضان فى دعابة وتفكه ويبدو أن رمضان إذ ذاك كان شديد الحرارة ، فأثارت حرارته فى الشاعر هذه الدعابة .

ومن لطيف ما رواه الصفدى لهذا الأديب العامى ، مقامة منثورة مسجوعة ، فيها فكاهة وفيها حوار بين أحد النحاة وأحد الأساكفة ، يطلب فيها النحوى من الإسكاف نعلا ، طفق ينعتها له ، ويصف شروطها . فرد عليه الإسكاف رداً محنقاً ملأه بالكثير من الكلمات الغريبة .

ومما جاء فى هذه المقامة ، وصفاً للنعل على لسان النحوى قوله: « ظاهرها كالزعفران ، وباطنها كشقائق النعمان . أخف من ريشة الطير ، شديدة البأس على السير ، طويلة الكعاب . عالية الأعتاب ، لا يلحق بها التراب . ولا يعرفها ماء السحاب تصر صرير الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب . جلدها من خالص جلود المعز . ما لبسها ذليل إلا افتخر بها وعز » . الخ

ومن الشعراء الأميين أيضاً إبراهيم بن على الحرانى ، ويعرف بعين بصل . كان حائكا ، وكان عامياً أمياً ، نظم الشعر الفصيح فى الغزل والوصف وغيرهما .

ومن غزلياته قوله من قصيدة :

جسمى بسقم جفونه قد أسقما ريم بسهم لحاظه قلبى رمى
كالريح معتدل القوام مهفهف مُرّ الجفا لكنه حلو اللمى
رشأ أحل دمى الحرام وقدرأى فى شرعه وصلى الحلال محرما
رب الجمال بوصله وبهجره ألقى وأصلى جنة وجهنما

وله قصيدة جيدة فى وصف دمشق وجناتها يقول فى مطلعها :

ربوع جلق للأوطار أوطان وليس فيها من الندماء ندمان
كم لى مع الحب فى أقطارها أرب إذ نحن فى ساحة الجيرون جيران
أيام تجرير أذيالى بها طرباً ولى مكان له فى السعد إمكان
إذ بت أنشد فى غزلانها غزلا لما عزت كبدى باللحظ غزلان

ومنها يقول :

قم يانديمى إلى شرب المدام بها من قبل يدرك بدر السعد نقصان
فأنت فى جنة منها مزخرفة وقد تلقاك بالرضوان رضوان

وأنت فيها عن اللذات فى كسل انهض فما بلغ اللذات كسلان
أما ترى الأرض إذ أبكى السحاب بها
آذارها ضحكت إذ جاء نيســان
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت فى الروض منه إلى الأبصار ألوان
زمرد قضب فيها مركبة ... جواهر ويواقيت ومرجان .الخ

ومن يقرأ هـذه القصيدة بتمامها ، يستروح فيها أنساماً من قصيدة أمير الشعراء شوقى بك فى وصف دمشق ؛ ولا سيما أن القصيدتين من بحر واحد وروى واحد .

هذا ، ويقول صـاحب فوات الوفيات : إن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان (المتوفى عام ٦٨١ هـ) — كان قد قصد هذا الشاعر ، واستنشده من شعره فقال له : أما القديم فلا يليق وأما نظم الوقت الحاضر ، فنعم . وأنشده :

وما كل وقت فيه يسمح خاطرى بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضى الشرع الشريف تيمماً
بترب وهـذا البحر يا صاحبي معنا

ومن الأميين أيضاً : ذلك الأديب الشاعر الرقيق صاحب البيتين المشهورين :

قد بلينا بأمـــير ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فينـــا يذكر الله ويذبح

ذلك الشاعر هو إبراهيم المعمار . قال عنه صاحب الدرر الكامنة : شاعر مشهور عامى ، لـكنه ذكى الفطرة ، قوى القريحة ، لطيف الطبع ، ولم يتمدح بأحد . وقال إنه مات عام ٧٤٩ هـ .

وبمناسبة ذكر عام وفاته ، نشير إلى أن المؤرخين اختلفوا فيه والذى يبدو لنا أنه من شعراء النصف الأول من القرن الثامن .

وقد نظم الشعر فى أغراض كثيرة منها : النقد ، والفكاهة ، والغزل والمجون والخمريات والوصف . وقد اصطنع البديع وبخاصة التورية . وكان سلس الأسلوب ، واضح المعانى ؛ غير أن له أخطاء لغوية أحياناً .

وإلى جانب شعره الفصيح ، نظم الزجل والمواليا ، فى نفس الأغراض الشعرية التى طرقها .

ومن شعره قوله ؛ وفيه اقتباس :

قال لى العاذلون أنحلك الحب وأصبحت فى السقام فريدا
أئذا صرت من جفاهم عظاما أبوصل تعود خلقاً جديداً
ما رأينا ولا سمعنا بهذا قلت كونوا حجارة أو حديداً

ومنه وفيه تورية :

يا قلب صبراً على الفراق ولو روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن ظهرت بما يخفيه قلبى سقطت من عينى

وبعد فهؤلاء خمسة شـعراء أميين لا يقرءون ولا يكتبون ، جاد بهم عصر المماليك ، فجادوا الناس بالبديع الممتع من الشعر ، فلا أقل من أن نذكرهم بالحمد والشكران بدل الذم والنسيان .

حلوان **محمود رزق سليم**
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

فزان بين يدي الفرنسيين والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

(تتمة)

احتلال فرنسا :

فى سنة ١٩٤٠ وقبيل عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا دعت الحكومة الفرنسية الجنرال والقائد العظيم فيجان لتولى القيادة العامة وسد ثغرة سيدان ، لقد تحطمت الجبهة واندكت حصون خط ماجينو فى الشمال والزحف الألمانى لا يقف ورادبو برلين يصيح « لو بعث نابليون من قبره ، لما كان فى وسعه أن يغير القدر المحتوم » لقد هزمت فرنسا وتمزقت جيوش الجمهورية .

وكنت جاراً للجنرال كابو وقد زالت الكلفة بيننا وفى عصر أحد الأيام دعانى لمنزله وقال لى إنه يغادر البلاد الليلة إلى مصر فالسودان فأفريقيا الغربية فراكش إلى فرنسا ، وذلك بناء على دعوة فيجان الذى طلب إليه أن ينضم إلى هيئة أركان حرب الجيش الفرنسى ، إذن يجب أن يكون بجبهة القتال قبل أربعة أيام قلت « إنكم تنتظرون قرارات حاسمة لإيقاف هذا الزحف المستمر » قال : « إن إنقاذ فرنسا يحتاج إلى معجزة » . إن ذكر أربعة أيام للوصول إلى فرنسا هى التى لفتت نظرى ، فهذا القائد يغادر بيروت إلى القاهرة ومنها إلى الخرطوم ومنها إلى وادای ومنها إلى بحيرة تشاد ثم تمبوكتو ومنها إلى وسط الصحراء ثم الدار البيضاء ليصل فى أربعة أيام إلى فرنسا « التى كان بوسعه أن يصلها فى ساعات » .

هذا الموقف الحاسم فى استراتيجية البحر المتوسط سببه دخول إيطاليا الحرب تلك الدولة التى تملك من المراكز ما يمكنها من أن تشل حركة الحلفاء جميعاً وتجعل من البحر قسمين وتدخل فى صميم القارة الافريقية بقطاع يهدد أملاك أمبراطوريتين .

ومن هذا نفهم أول مبرر يدفع الفرنسيين للتمسك باقليم فزان على أساس أنه على الطريق الجوى بين مدغشقر وفرنسا .

وحينما عقدت الهدنة ظهرت حركة الفرنسيين الأحرار التى تزعمها الجنرال ديجول أخذ يسعى إلى جمع شمل الأمبراطورية تحت لوائه فكان أول من انضم إليه الجنرال كاترو بالهند الصينية ولكن موقف اليابان حال دون استمراره فغادرها واتجهت الأنظار إلى منطقة قريبة فكان الكنغو الفرنسى أول القاطعات التى انضمت إلى الحركة والغريب أن الظروف تركت هنالك حاكما وطنياً من الشعوب الملونة وهو الذى توفى قبل نهاية الحرب بالقاهرة وكان أمل فرنسا يستهدف أن تحتفظ بمكان لها على مائدة الحلفاء ، ولذلك تغير اسم فرنسا الحرة إلى فرنسا المقاتلة وحاول الجنرال ديجول مراراً أن يسمح له بالجلوس مع روزفلت وستالين وتشرشل ، وكان الأولان يعترضان على وجود فرنسا لأنها سلمت ولم تحارب ولذلك اتجهت إرادة فرنسا الحرة إلى تحمل أعباء قتال فى أى جبهة وكان أن سمحنا بفرق من المتطوعين وجنود المستعمرات تحارب فى صف البريطانيين وبين أيدينا فى سوريا ولبنان ذكريات ضباط البر والبحر والجو الذى كانوا يخترقون حدود فلسطين للانضمام إلى قوات فرنسا المحاربة ، وكان أن ظهرت قوات فى ميدان سوريا ولبنان ، ثم فى الحدود المصرية فى بير حكيم حين استبسلت قوة فرنسية أمام قوات تفوقها عدداً عن جنود المحور .

إلا أن العملية الحربية المنفصلة والمستقلة تماماً عن بقية جيوش الحلفاء هى العملية التى تولتها فرنسا المقاتلة بزحفها من بحيرة تشاد عبر الصحراء الكبرى وانتهت إلى فزان . وهى من أعظم حركات حروب البادية .

ولقد كان رأى فرنسا فى الحكم الإيطالى يختلف تماماً عن رأيها اليوم وإليك الدليل من نشرة رسمية لحكومة الفرنسيين الأحرار وسأقرأها بالفرنسية :

Jamsis aucune puissance coloniale n' a traitéavec sussi peu de pitié, d'humanité on même simplement de con sens' les populations sur lequelles des traitèsleur donnaient des droits. On n'a jamais spolié,on n ' a jamais massacrè , on n 'a gaiuaie exterminé uu peuple, comme les aliens l'ont fait pu peule tripolitain. Les rapports ies plus accaplants , les pha tographies les plus significatives s'amnocelaientsur les bureaeey de la S. D. H. sans que les Etats Soeiétaires prissent le moindre omdrage de ces horreurs . on devine avec quelle ferveur les Fezzanais attendaient la libération

Nous svons trouvé apprés d,eux non seulement le secours que nous etions en droit d,escompter , mais un appui amical.

كانت مقدمة هذه الحركة . عملية من أخطر العمليات التى مرت فى تاريخ حروب البادية ولكنها أشبه بحركة كشفية منها بعملية حربية . فقد قام من الجانب الفرنسى ضابط اسمه جان كولونا دورنانو من ضباط قوات البادية الفرنسيين واشترك معه ضابطان بريطانيان اجتمعا فى القطاع الجنوبى حيث تلتقى الحدود بين المستعمرات الإيطالية والفرنسية وحدود السودان وكان هذا فى ٤ يناير سنة ١٩٤١ وفى ١١ يناير تمكنت هذه القوة المخاطرة من تدمير مطار مرزوق والسودة بعد أن ظل الضابط الفرنسى كولونا دورنانو تحت وابل رصاص الطليان . وتعرضت بعد هذه الحملة واحة كفرة والجزء الجنوبى من فزان لعدة هجمات سنة ١٩٤٢

وفى أوائل سنة ١٩٤٣ زحفت قوة الجنرال leclerc الفرنسى من الجنوب وأهم أغراضها احتلال فزان وتحريرها وكان مركز التجمع Fort samy ثم Faya وأنت اللؤن والذخائر وبالسيارات من برازافيل ، وكانت القوة الزاحفة عددها ٧٣٨ ضابطاً ورجلا

وقد اختير موعد الزحف بين شهرى نوفبر وفبراير وفى ٢٥ ديطمبر أذيع أول بلاغ عن العملية بتضمن دخول القوة فى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٢ أراضى فزان ، وفى ٣٠ ديسمبر احتلت أم الأرانب بعد مناوشات مع قوة إيطاليا وسلم عشرة من الضباط وأكثر من مائتى جندى وطنى وفى الوقت نفسه سلمت البطرون ثم سبها وفى ١٢ يناير سلمت مرزوق .

كان الاستعداد لهذه العملية كاملا من جميع الوجوه وجاءت فى الوقت المناسب الذى كان الحلفاء يدفعون بجيوش المحور إلى الحدود التونسية ، ولذلك تمكنت الحملة الفرنسية بعد احتلال فزان أن دخلت طرابلس فى ٢٥ يناير ، واحتلت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٤٣ غد أمس .

وقد أشتركت القوات الهوائية الفرنسية وأبلت فى المعارك بلاء حسناً ، ولكن عظمة الحملة فهى فى تنظيمها وسيرها وأنها حركة مفاجأة رغم أن الحرب التى واجهت الحملة هى حرب مع الطبيعة أكثر من أنها حرب مع الطليان ، وقد دلت عمليات الصحراء من ١٩٤١ إلى ١٩٤٣ على أن قيادة الحلفاء كانت تحسب حساباً للمطارات الإيطالية فى الكفرة وفى مرزوق ، وقد ذكر الفرنسيون أنهم وجدوا فى مطار الكفرة البريد السرى الذى كان يرسله حاكم جيبوتى التابع لحكومة فيشى مما يدل على أن مطارات الصحراء كانت تسمح باتصال الإيطاليين بإثيوبيا مع دونتى المحور .

هذه هى العمليات التى أدت إلى دخول الفرنسيين وهى بطبيعتها مكملة لحركات الحلفاء فى شمال أفريقيا ، ولقد كانت الأهداف تبدو مستعصية وبعيدة عن التحقيق لو كانت مستقلة تماماً ولكنها كملية للحروب الاستعمارية الصحراوية تستدعى أن نقف قليلا لنتحدث عن الصحراء .

حروب الصحراء :

للصحراء روعة تحدث عنها الكثيرون من أهل أوربا من رجال الجندية وغيرها . فخافقها تمثل فى نظرهم حدود بحر متسع من الرمال يدعو الواقف على شاطئه أن يركب الأخطار فيكتشف فيها ما وراء الأفق أو هى قطعة من عمل الطبيعة تتحدى الإنسان — أقصد الإنسان الواعى — وتدعوه أن يقدم عليها ويواجهها وينازلها ليكتشف ما تخفيه فى أنحائها .

ولذلك كثر عدد الرواد وانتهى الأمر إلى أن أصبح للصحراء حروب ومعارك وأنظمة علق عليها المستعمرون أهمية خاصة . وكان من أهم مظاهرها وفوائدها أنها تخلق تلك الفئة الممتازة من الرجال الذين تخرجهم مدارس الحروب الأفريقيـة والأسيوية بتجاربها القاسيـة . ويعد أفراد هذه الفئة ذخراً لا يقدر بثمن للبلاد التى تملك المستعمرات الشاسعة البعيدة عن العمران والتى يحتاج استتباب الأمن فيها إلى القيـام بحملات دائمة ومستمرة ضد أهالى وسكان البلاد الوطنيين الذين يحدثون أنفسهم بالدفاع عن أوطانهم .

فلكي يكون لدينا مثل هذه الفئـة الممتازة لنرد العدوان وشره ، يجب أن ندفع بعدد من رجالنا دائماً إلى الأخطار فإن لم تكن لدينا حروب وجب أن نشجع هذا الفريق أن يتطوع خارج البلاد وأن يشترك فى أية حروب قائمة بصرف النظر عن ميلنا لهذا الفريق أو ذاك من المتحاربين . إنما يكون غرضنـا الأساسى الحصول على تجارب كل فريق وأساليبه فى القتـال متجهين إلى تربية روح المغامرة فى النفوس .

من هذه المدرسة تخرج قواد المستعمرين الذين قادوا الحروب فى أوربا وكانوا قوة للبلاد التى ينتمون إليها ذلك لأن وجودهم فى جو يدعو إلى تحمل المتاعب ومواجهة الأخطار وأخذ المسئوليات

بثقة فى النفس يخلق فيهم صفات ممتازة أهمها الجرأة على الوقوف أمام عقبات تبدو مستعصية ووسط ظروف تمد خطيرة ثم تعويد النفس على أحد القرارات السريعة الحاسمة وتنفيذها وهى صفات تبدو فى كثير من الأمم وكأنها قد فقدتها مع اليوم الذى فقدت استقلالها فيه .

وليس معنى هذا أننا معاشر الشعوب الإسلامية فى تاريخنا الطويل المملوء بالحروب المتتالية سواء فى آسيا أو أفريقيا لم نذق طعم الانتصار وحلاوته ، بل كان لدينا من هذه الفئة الممتازة كثيرون ، ومنهم من لا يمكن مقارنته بغيرهم من الرجال الأوربيين نظراً لتفوقه ، ومنهم لا يقل فى صفاته عنهم .

ولقد كان من أسلافنا من قادوا الحملات عبر الصحراء عدة مرات ودانت لهم القارة الأفريقية بحسب الأساليب التى كانت متبعة فى عصرهم فهناك حملات من الشمال إلى الجنوب عبر الصحراء الكبرى وحملات من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب قام بها أسلافنا من المرابطين والموحدين على شكل أوسع وأعظم مما يفتخر به قواد المستعمرين من الإيطاليين والفرنسيين . ولكننا اليوم مضطرون أن نأخذ من الغرب وأن نتتبع خطواته ، وأن ندرس هذه الحملات ونقلدها حتى أساليب القتال على أراضينا وأوطاننا .

بعد مضى سبعين عاماً على حملة فرنسا التى ساقتها على الجزائر أى فى سنة ١٩٠٠ احتلت القوات الفرنسية المقيمة فى جنوب الجزائر واحة عين صلاح ، وكان هذا الاحتلال بمثابة فتح جديد قابله العالم بدهشة زائدة ذلك لأن فرنسا فاجأت العالم بانشاء قوة عسكرية جديدة للبادية يرجع الفضل فى تدريبها وتهيئتها إلى الماجور لابرن فهذه القوة أشار إليها جراتزيانى فى كتابه عن إخضاع ليبيا وقال إن إيطاليا أدخلت هذا النظام لديها وزادت عليه فتولى قيادة رجال البادية الدوق داوستى الذى أخذ هذا العمل بجد ولا أزال أذكر حديثه عن الأيام التى قضاها وسط الصحراء وكيف أنه كان يعبر عن حنينه الدائم وهو فى أوربا عن أيامه فى تلك البقاع .

والتكلم عن قوات البادية وتنظيمها لا بد أن يذكر العمل الذى قام به الماجور جلوب باشا المسمى بابى حنيك فى بادية الشام، فهذه وإن كانت بعيدة عن فزان إلا أنها نوع من أعمال الأوربيين يستحق اهتمام أولى الأمر وتفكيرهم .

ماذا نستخلص من محاضرة فزان :

أولا : اهتمام الدول الأوربية بالصحراء الأفريقية مما يتطلب منا ضرورة التعجيل بإنشاء معهد الصحراء لدراسة مستقبل الصحارى فى بلادنا وفى القارة الافريقية وفى آسيا خصوصاً جزيرة العرب .

ثانياً : اهتمام الدول الاستعمارية بطرق المواصلات عبر الصحراء وهى مواصلات برية وهوائية .

فالأولى ستعود بنا إلى طرق القوافل القديمة فعلينا أن نستعد من الآن على دراسة هذه الطرق ورسمها على الخرائط ثم العمل على إعادتها واكتشاف مواقع المياه فيها ، أما الطرق الهوائية فأول واجب يحتم علينا إنشاء مطارات حديثة فى مناطق الواحات المصرية حتى تكون دائماً على استعداد للمساهمة مع الآخرين فى تعمير الصحراء .

يسير العالم بخطوات سريعة نحو توطيد سيطرة الدول الأوربية مرة أخرى على المشارق والمغارب ، ومشكلة فزان إحدى المشاكل المرتبطة بمستقبل ليبيا ، وقد ظهر للعيان كيف تطورت السياسة العامة بالنسبة لإيطاليا فهى قد كانت تقبل منذ سنتين مساعدة الدول العربية بأصواتها لاستعادة الأرتيريا والصومال فى مقابل الاعتراف باستقلال ليبيا كاملا ، أما اليوم فلا أدرى هل تقبل ذلك ؟.

من الناحية الفرنسية يبدو لنا أن فرنسا تحاول أن تعمل على إعادة نفوذ إيطاليا كاملا ، وفى هذه الحالة هل تسلمها حدودها القديمة أم تقتطع فزان ، وإذا سلمت لها بفزان هل تحتفظ بـ ٠٠٠ ر ١٠٠ كيلو متراً من الأراضى التى سلمها لافال إلى موسولينى ؟ وما هو موقف الإنجلو أمريكان ؟ ...

إن موقفهم يتلخص فى الاحتفاظ بالمراكز الاستراتيجية .

ولا يوجد شك فى أن بريطانيا لها مراكزها فى برقة كما لا يوجد شك فى أن أمريكا لها مراكزها فى طرابلس .

فى مصلحة من استقلال ليبيا موحدة . .

هذا ما تمليه تطورات السياسة العالمية ومقدار الثقة التى يحصل عليها أهل ليبيا وبرقة أنفسهم .

أما أهل فزان فداخل السور الحديدى أسلاك شائكة وجنود السنغال ، مثلهم كمثل ملايين من بنى آدم لا يتمتعون بما يسمى حقوق الإنسان : تحرمهم منها أمم كانت هى أول من نادى بحرمة حقوق الإنسان .

أحمد رمزى



انفعال الجو الأرضى من السفع الشمسية

لماذا اضطرب الراديو فى العالم؟

للأستاذ نقولا الحداد

فى الخامس من هذا الشهر اضطربت الإذاعات اللاسلكية فى العالم من الصباح حتى الساعة الأولى بعد الظهر فلم يعد أحد يسمع إذاعة واضحة كأن البحر الأثيرى التج وأمواجه هاجت فضرب بعضها بعضاً والتطمت لجحه . وكانت الإذاعات اللاسلكية يطغى بعضها على بعض ، فلم يعد أحد يفهم كلاماً أو يميز نغماً إلى أن أذاع راديو لندن : « نأسف أن إذاعاتنا لم تنتظم اليوم بسبب اضطراب صاخب فى قرص الشمس » .

ذلك لأن براكين السُّفَع الشمسية هاجت متجاوزة حد هياجها المعتاد . فأثرت مغنطيسيتها فى مغنطيسية الأرض وكهربائيتها فى كهربائية هذه وقلقلت إيجابيتها وسلبيتها وعكست اتجاهاتها فاضطربت إبرة الحك Compass بحيث لم يعد الملاح يعرف يمينه وشماله واتجاهه القويم وانتفضت كهربائية الشمس فصادمت كهربائية الأرض واضطرب ميزانها . وبالإجمال يقال أنه لم يبق اعتدال كهربائى أو اعتدال مغنطيسى على الأرض .

وقد لاحظ العالم الإنسانى كله أن شتاء هذا العام كان صارماً جداً وبرده كان قارساً وثلجه ومطره متدفقين . وفى أوائل هذا الشهر (إبريل) ، ونحن الآن فى الربيع ، كان الطقس قاسياً حتى أنه كان فى الخامس عشر منه كأنه طقس يناير . فعاد الناس يرتدون المعاطف الثقيلة بعد أن خلعوها .

هذه تأثيرات الشمس على الأرض حين تثور السفع الشمسية وتهيج براكينها كأن الشمس غضبت فانقضت صواعق غضبها على أولادها السيارات وأقمارها ومن جملتها الأرض وما الأرض بأعز عندها من سائر الكواكب ، إلا إذا كانت الشمس قد استاءت من هذه الفتاة المدللة من بين فتياتها الأخريات لما بدا من أخلاق أهل الأرض الجهنمية فاختصتها بهذه النقمة.

أما هذه السفع فهى بقاع على سطح الشمس تكثر أو تقل بلا ميعاد مقرر ، ولا قرار معين . وإنما تكثر إلى ناحيتى القطبين وتقل جداً عند خط الاستواء . والبقعة الشمسية تكبر أو تصغر بلا سبب معروف . فقطر الواحدة يختلف بين بضعة عشر ميلا إلى ٥٠ ألف ميل وأكثر . والظاهر أنه كان من سفع هذا العام أو هذا الشهر سفع ضخمة جداً سببت هذا الاضطراب فى الجو المتيورولوجى الأرضى .

والسفع الشمسية كمعظم الظاهرات الشمسية غامضة لم يتفق العلماء حتى الآن على تفاسير مقنعة لها . ولهم فيها نظريات مختلفة ومعظمها ظنون وتخمينات .

وأكثرهم يرجحون نظرية العلامة « هايل » الذى اشتغل كثيراً فى دراسة الظاهرات الشمسية وتعليلها . وهذا ملخص نظريته السفعة هى فى الظاهر بقعة قاتمة فى الشمس وسطها ظل ثقيل ومن حوله ظليل خفيف . وتحيط بها بقع ساطعة . ولدى التدقيق فى رصدها من مرصد قوى تبدو كأنها بركان هائج . وشكلها كشكل القمع — القمع الذى يسكب فيه الماء إلى القارورة — منفرج كثيراً فى خارجه . وهو قائم فى الجو الشمسى الخارجى المسمى « فوتوسفير » . وأنبوبته تتدلى إلى ما تحت الفوتوسفير . ولما يقذف منه من غاز يظهر بشكل « بالوعة » أى دوامة أو « دردور » وسرعة دوران هذا الدردور هى فى الغالب مرافقة لأصل المجال المغنطيسى الذى فى الشمس . هى بالوعة فوّارة لا بلاّعة والغالب أن دورانها لولبى . ثم إن الغازات المتصاعدة منها تحمل معها كثيراً من الذرات المكهربة ومنها تتدفق التيارات الكهرطيسية

وقد أثبت التحقيق أن التيارات التى تتصاعد من السفعة الواحدة ، وهى لا تزال فى الجوف ، إنما هى منخفضة الحرارة عن معدل حرارة سطح الشمس الذى هو ستة آلاف درجة من مقياس سنتيغراد . وحرارة تلك الغازات المتصاعدة لا تتجاوز ألفى درجة سنتيغراد . إذن فلابدع أن يكون تمدد السفع وتضخمها سبب هبوط الحرارة على سطح الأرض وتساقط الأمطار .

ولا يزال هبوط الحرارة هناك مجهول السبب ، على أنها صاعدة من بيئة أشد حرارة من السطح .

والراجح أن المجال المغنطيسى فى الشمس ذو صلة بدوران الشمس المحورى . وفى رأى أحد العلماء أن الدردور (أو الدوامة) الأصيل ممتد تحت سطح الشمس على عمق عميق امتداداً أفقياً ، ولعله يمتد فى دائرة حول باطن الشمس، وأحياناً يلتوى إلى سطحها حيث يطلق من هناك مقادير عظيمة من طاقته . وهذا ما يفسر انطلاق الغاز من نصفى الكرة الشمسية على مقربة من القطبين مدة أسابيع ، وهو يعلل ظهور السفع ثم انطفاءها هنا فهناك حيناً بعد حين من غير مواعيد أكيدة . وكذلك يعلل نشاط السفع فى اتجاهها نحو خط الاستواء الشمسى .

وقد ظهر من مباحث « هابل » أن للشمس مجالا مغنطيسياً مشابهاً جداً للمجال الأرضى . والقطب الشمالى المغنطيسى كزميله فى الأرض . وهو قريب جداً لقطب الدوران الشمالى ولكنه غير مطابق له تمام المطابقة .

وقد لوحظ جيداً أن التغييرات حتى الطفيفة فى المحور المغنطيسى تنبثق من الأرض أو ترد إليها بفعل دوران الشمس المحورى . وقد رئى أن القطب المغنطيسى منحرف ٤ درجات عن قطب الدوران . وأن ذاك يدور حول هذا فى ٣١ يوماً ونصف اليوم . ومقدار حدته المغنطيسية الشمسية مائة ضعف حدتها الأرضية .

هذه السفع تنشأ فى نصفى الكرة الشمسية وكل من الجانبين ضد الآخر فى الإيجابية والسلبية . ومتى بلغت أشدها فى الضخامة ظهرت الاضطرابات المغنطيسية والكهربائية فى الشمس وبالتالى على الأرض .

مدة حياة السفعة الواحدة من يوم إلى ٤ أيام للسفع الصغيرة . وأما السفع الكبيرة فقد تطول حياتها أياماً وأسابيع وأشهراً حتى ١٨ شهراً أحياناً .

ولما كانت السفعة كالدردور أى كالبالوعة تدور على نفسها حول محورها دورة لولبية ، فهى ترحل ولو ببطء نحو خط الاستواء الشمسى أومن الشرق إلى الغرب أو بالعكس ، والصغيرة منها أسرع من الكبيرة .

أما أقطار هذه السفع فتفاوتة من ٥٠ ميلا إلى ٤٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ (من أربعين إلى خمسين ألفاً) وأحياناً تبلغ إلى ١٥٠ ألف ميل ، وهذا نادر . فطبيعى إذن فى هذه الحالة أن يكون تأثيرها على الأرض شديداً جداً . ولا بدع أن تختل الإذاعات اللاسلكية ، وأن نرى سفعة كهذه رأى العين عند الضباب ، أو من وراء زجاجة مموهة بالسواد ، أو إذا كان الجو الأرضى غائماً قليلاً شفافاً . ولا يستغرب القارئ هذا الكبر إذا علم أن حجم الشمس مليون و ٣٠٠ ألف مرة كحجم الأرض ، وسعة سطح الشمس ١٣ ألف مرة كسعة سطح الأرض . وإذا وضعنا الكرة الأرضية فى السفعة الكبيرة غرقت فيها وبقى حولها فراغ كبير.

أما سبب ظهور هذه السفع فلا يزال مجهولا ، وقد ظُن أن للكواكب السيارة والرجم تأثيراً فى الشمس ولاسيما حين تتقارب بعض السيارات على جانب واحد من الشمس ، ويخرج قطب محورها أو يزوغ عن موضعه . ولكن هذا الظن لم يصادف تحبيذاً من جميع العلماء ، وإنما يقال بالإجمال فى هذا الموضوع إن الطاقة فى باطن الشمس حيث الضغط شديد تتفلت هنا وهناك كأن الشمس تتنفس الصعداء لكى تسرّى عن نفسها ، فتنفجر الطاقة كانفجار البراكين ، وتظهر السفع بشكل فوهة البزكان المنفرجة وتشرع تتسع كاتساع البالوعة التى تدور دوراناً لولبياً ، وتتسع وتتسع حتى تبلغ عشرات ثم مئات الألوف من الأميال ، وهى تتحرك متجهة إلى خط الاستواء الشمسى . وحين تنشأ السفعة على مقربة من القطب الشمالى تنشأ أخت لها على مقربة من القطب الجنوبى

ومتى صارت كل منهما تدنو من خط الاستواء تشرع تصغر وتتقلص حتى تتلاشى تماماً ، ويندر أن تعبر خط الاستواء ، ومتى تقاربت السفعتان إلى خط الاستواء تتفانيان متنافيتين تنافى الإيجابية والسلبية .

وجماعات السفع فى إبان تضخمها ترى فى متوسط كل من نصفى الكرة الشمسية كنطاقين حول الشمس يحزمان نصفيها.

تنشأ السفع هكذا قليلة أو كثيرة ، وتتضخم وترحل من عند القطبين إلى الاستواء على طول السنة عاماً بعد عام ، وتبلغ فى بعض الأعوام أشدها. وقد لوحظ أن شدتها دورية ، كل إحدى عشر سنة تقريباً تحتد مرة احتداداً فائقاً ، كما حدث فى هذا العام وفى هذا الفصل . وبعد ذلك تخف هذه الحدة رويداً رويداً إلى أن تبلغ درجة التراخى والخمود أو الهمود .

بناء على هذا بعد ١١ سنة تقريباً سيرى سكان الأرض غالباً اشتداد البرد فى مثل هذا الفصل ، واختلاط اللاسلكى ، واضطراب الجو على العموم .

نقولا الحداد
٢ شارع البورصة الجديدة بالقاهرة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مع الدكتور طه حسين فى الفتنة الكبرى :

أخى الأستاذ

أملى الدكتور طه حسين بك فى كتابه « الفتنة الكبرى » الجزء الأول الآراء الثلاثة التالية :

١ — (وسيرى الذين يقرءون هذا الحديث أن الأمر كان أجل من عثمان وعلى وممن شايعهم وقام من دونهم . وأن غير عثمان لولى خلافة المسلمين فى تلك الظروف التى وليها فيها عثمان لتعرض لمثل ما تعرض له من ضروب المحن والفتن) ص ٥ .

٢ — (هذه المشكلات الكثيرة التى ثارت من نفسها أو أثيرت أيام عثمان — لا لأن عثمان كان هو الخليفة — بل لأن الوقت كان قد آن ليثور بعض هذه المشكلات من تلقاء نفسه وليثير الناس بعضها الآخر) ص ٩ .

٣ — (ولكن لو سار عثمان سيرة عمر ولو لم تدخل قرابته بينه وبين الناس لما كانت الفتنة . ولما احتجنا إلى إملاء هذا الكتاب) ص ١٥٦ .

وإننى لأرى من ظاهر هذه الآراء تضاربها الواضح عند ما يحاول الدكتور تركيز رأيه فى أسباب الفتنة ومشكلاتها . فأرجو من الأستاذ المعداوى أن ييسر لنا الأمر ويوضح ما أراده الدكتور ويدلنا على الحقيقة التاريخية فى هذا الحدث المهم فى الحياة الإسلامية ... ودمتم عوناً لمحبى المعرفة وطالبى الثقافة الصحيحة .

حسين حسوم

معلم المدرسة الغربية

العراق — الناصرية

أشكر للأستاذ الفاضل حسن ظنه ، وأجيبه بأن هذا التناقض الذى يبدو له من ظاهر هذه الآراء مرجعه إلى أنها تقف وحدها فى رسالته الكريمة ، دون أن ترتبط بما حولها من شروح وملاحظات تتناول أسباب الفتنة ودواعيها ... ولو ربط الأستاذ بينها وبين ما سبقها وجاء بعدها من تحليل لمقدمات الفتنة ونتائجها لانتفى التناقض الذى يبدوله من ظاهر الألفاظ فيما كتب الدكتور طه حسين ؛ هذه الألفاظ التى تحتفظ بدلالتها المنوية إذا ما طبقت على ما جاء بكتاب « الفتنة الكبرى » من تفسير لمجرى الحوادث ووقائع التاريخ .

يشير الدكتور طه فى الرأى الأول إلى أن غير عثمان لو ولى خلافة المسلمين فى تلك الظروف التى وليها فيها عثمان لتعرض لمثل ما تعرض له من ضروب المحن والفتن ، ثم يشير فى الرأى الثالث إلى أن عثمان لو سار سيرة عمر ولو لم تدخل قرابته بينه وبين الناس لما وقعت الفتنة ... وقد يبدو هنا شىء من التناقض بين الرأيين ؛ لأن كلمة (غير عثمان) فى الرأى الأول قد تنصرف إلى غيره من صحابة الرسول وفيهم عمر بن الخطاب ، ولأن الدكتور قد قطع فى الرأى الثالث بأن عثمان لو سلك مسلك عمر فى معالجة الأمور لما وقعت الفتنة على هذا الوجه الذى وقعت عليه . الواقع أنه لا تناقض هناك ولا شذوذ ؛ لأن الدكتور يقصد من وراء (غير عثمان) أولئك الذين رشحوا للخلافة بعد مقتل عمر وكان من الممكن أن يليها أحدهم لو لم يقع الاختيار على عثمان ... فلو وليها على بن أبى طالب أو عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبى وقاص أو طلحة بن عبيد الله أو الزبير بن العوام لتعرض كل واحد منهم لمثل ما تعرض له عثمان من ضروب السخط وصنوف الكيد وفنون الوقيعة ! كل ما حدث هو أن عثمان رضى الله عنه قد عجل بوقوع الفتنة بضعفه وتسامحه وقلة خبرته بشئون السياسة وأصول الحكم وطبائع النفوس ؛ ولو قدر لغيره من هؤلاء الذين أتينا على ذكرهم أن يأخذ الأمور بشىء من الحزم والعنف لأبطأت الفتنة فى سيرها بعض الإبطاء ولتأخرت النهاية عن موعدها بعض التأخير ، ولكن هذا كله لم يكن ليحول بينهم جميعاً وبين هذا المآل الذى كان بالنسبة إلى عثمان خاتمة المطاف .

هذا التفسير المقبول يمكن أن نعالج به الشق الأول من الرأى الثانى حين يقول الدكتور طه حسين بأن هذه المشكلات التى ثارت من نفسها أو أثيرت أيام عثمان — لا لأن عثمان كان هو الخليفة — بل لأن الوقت كان قد آن ليثور بعض هذه المشكلات

من تلقاء نفسه وليثير الناس بعضها الآخر ... أقول الشق الأول من هذا الرأى لأننا لانستطيع أن نبرئ عثمان من هذه المشكلات التى أثيرت وكان لطبيعته النفسية والخلقية فى إثارتها أكبر أثر وأوفى نصيب . أما تلك المشكلات الأخرى التى ثارت من تلقاء نفسها فأوافق الدكتور طه على أنها لم تثر لأن عثمان هو الخليفة ، بل لأن الوقت كان هو السبب الأول والدافع الأصيل إلى بعثها وإثارتها بعد أن كتمت أنفاسها يد عمر ، وأخمد صوتها حزم عمر وحد من جموحها سوط عمر ... يوم أن كان يدوى فوق الرءوس ويلهب الأجساد ! .

بعض المشكلات أثاره الوقت ولم يكن لعثمان يد فيه وبعضها الآخر أثاره عثمان « الخليفة » بضعفه وتسامحه واستسلامه لذوى قرباه ... أقول هـذا لأن هناك كتاباً عن « عثمان بن عفان » يطمس حقائق التاريخ حين ينظر صاحبه إلى الفتنة ودواعيها من وراء هذا المنظار الدينى الساذج الذى يظهر له عثمان فوق مستوى الشبهات والتبعات ! ما هكذا تعالج القضايا التاريخية بوضعها فوق مشرحة العواطف الدينية ؛ إننا لا نستطيع أن نضع على أعيننا هذا المنظار إلا إذا استطعنا أن نلغى العقل والمنطق حين نتحدث عن هذه الفتنة الكبرى دون أن نقدم النتائج مستندة إلى المقدمات ... موقف عثمان من مقتل الهرمزان ، تدليله لقرابته ، إنصافه المنتمين إليه على حساب الناس ، عزله ابن أبى وقاص عن الكوفة ليحل محله الوليد بن عقبة ، إقصاؤه أبا موسى الأشعرى عن البصرة ليضع فى مكانه عبد الله بن عامر ، خلعه عمرو بن العاص عن مصر ليخلفه فيها عبد الله بن أبى سرح ، إيثاره الحكم بن العاص طريد الرسول ، إغداقه المال على مروان بن الحكم صفيه المقرب ، خضوعه لتوجيهات معاوية فى نفى أبى ذر ، اعتداؤه أو اعتداء رسوله على عمار بن ياسر ... كل هذه الأمور وأشباهها قد فرقت الشمل وعصفت بالصفوف ، لأن عثمان كان هو الخليفة . ولئن كان السخط قد ولد فى النفوس هذا الانفجار ، فلأن عثمان قد شارك فى الأمر بضعف رأيه وقصور نظره وسقوط هيبته !

أما المشكلة الكبرى التى أثارها الوقت ولم يكن لعثمان فيها ذنب ولا جريرة ، فهى اتساع رقعة الفتوح ، وتدفق الأموال ، وانطلاق الأرستقراطية القرشية من معاقلها انطلاق الأسود السجينة قد تخلت عن زجرها قبضة السجان . ولم تكن القبضة الجبارة غير قبضة الجبار العادل عمر بن الخطاب لقد كان عمر يقف أبداً فى طريق هذه الارستقراطية التى لا يصدها جشع ولا يحدها طموح ، لأنه كان أخبر الناس بالطبيعة القرشية إذا ما خلى بينها وبين ما تطمح إليه من سؤدد وما تطمع فيه من سلطان ... الدرة فى يمينه تخشع لرؤيتها رءوس السادة من قريش والكلمة تحت لسانه تخضع لسطوتها نفوس السادة من قريش : « ألا إن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حى فلا ، إنى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا فى النار » !

ولكن عمر يموت وتتنفس قريش بملء رئتيها بعد أن لقيت العواطف المكبوتة ما لقيت من قسوة الكبت ومرارة الحرمان ، وما كان لرجل غير عمر أن يقف فى وجه هـذه القوة المتحفزة للتوثب والانطلاق فى غير حكمة ولا روية ولا اتزان ... لا هذا الخليفة المستضعف ولا هؤلاء الذين قاموا من بعده ليخلفوه ، لأن الأرض لم تظفر بغير عمر واحد لا شبيه له فى العدل ولا النظير !

فى رحاب الوقت على التحقيق ثارت من تلقاء نفسها هـذه المشكلة الرئيسية وما تفرع عنها من مشكلات ، وفى رحاب عثمان على التحقيق أثار الناس وأثاز هو ما جد بعد ذلك من أزمات !

وقائع مضحكة عند السير ريبازم :

يذكر القراء أننى تناولت مذهب السير ريبازم بالنقد فى عددين سابقين « من الرسالة » ، حيث تحدثت عنه فى مجال الأدب والفن عند عميديه فى فرنسا : بريتون وبيكاسو ... ويذكرون أيضاً أننى رميت هذا المذهب بأنه شعوذة فنية لا أكثر ولا أقل ، وبأنه « لخبطة » ولا شىء غير « اللخبطة » ! قلت هذا فتصدى للرد على فى جريدة « البصير » التى تصدر فى الإسكندرية أديب لا داعى لذكر اسمه لأن أحداً لا يعرفه ... ولقد هاجمنى الأديب الإسكندرى فى بداية كلمته حتى خيل إلى أنه يمت بصلة القرابة إلى مسيو أندريه بريتون أو أنه على الأقل أحد تلاميذه النابغين !

قال الأديب النابغ بعد تهجمه النابغ : « وبذلك شاء الأستاذ المداوى أن يقضى بجرة قلم على مدرسة فنية ذات شهرة

ذائعة ترتكز إلى مبادىء يدين بها فنانون هم الآن فى طليعة حركة التجديد ، يكفينا أن نذكر اسم زعيمهم (بيكاسو) للتدليل على أهمية ثورتهم على التقاليد القديمة . وبيكاسو فنان معاصر ، مبدع مذهب السير رياليزم ، ولنا إلى تاريخ حياته رجعة . إنما حديثنا اليوم حول موضوع السير رياليزم فى حوار مع (نيكولا كالاس) وهو شاعر يونانى يعيش الآن فى نيويورك ، وقد طبع له فى باريس منذ عشر سنوات كتاب (النقد الفلسفى) من أجل ما يتضمنه ما جاء فى موضوعنا .

— ما هى أغراض السير رياليزم ؟

— يرمى السير رياليزم إلى التقليل — إن لم يكن التخلص نهائياً — من التناقضات المفضوحة القائمة بين الحلم والحياة المستيقظة ، أو بين الخيال والواقع ، أو بين الشعور واللاشعور . ويرمى أيضاً إلى الخروج بالشعر من (غرفات) الشعراء المشهورين إلى عالم واسع الجنبات ، يصبح فيه هذا الشعر ملكا مشاعاً للجميع ! .

— ولكن ألم يكن الشعر أو التصوير ملكا مشاعاً للجماعات !

— لم يكن الشعر أو التصوير ملكا للجماهير على النحو الذى يقصده السير رياليزم . فيما مضى كان الشعر والتصوير مجرد تضليل وخداع للفرد . أما الآن فالسير رياليزم يفهمهما على أنهما تعبير عن أعمق الرغبات التى تختلج فى أعماق الفرد .

— ما هى أهم قواعد السير رياليزم ؟

— الشىء الذى يجب أن يكون نصب أعيننا دائماً هو الحقيقة والحقيقة لا ضير عليها مع التخفى وعدم التصريح ! بل إننا باتباعنا هذه السبيل إنما نساعد على التحلل من القيود الشكلية وهذا يعتبر من أظهر أهدافنا ! .

إلى هنا ونكتفى بهذا القدر من كلمات هذا الشاعر اليونانى المخرف ... وأى تخريف أروع من قوله بأن الحقيقة لا ضير عليها من التخفى وعدم الوضوح ؟ لست أدرى كيف تختفى الحقيقة عن أعيننا وأذهاننا ثم يتهيأ لنا القول بأننا قد عثرنا على الحقيقة ، ولست أدرى كيف نعيش فى ظلام الحيرة من الفهم لأهداف المذهب السريالى فى لوحة فنية أو قطعة شعرية ثم يتيسر لنا القول بأننا نعمل فى رحاب النور ! أليس من المضحك حقاً أن يذهب السرياليون إلى أن الشعر والتصوير كانا مجرد تضليل وخداع للفرد ، وأن السير رياليزم هو وحده الذى ينهض بهما إلى مستوى رفيع من التعبير عن أعمق الرغبات ؟ ! ... تصور أن الغموض ينهض بالوضوح ، وأن المجهول ينهض بالمعلوم ، وأن الشعوذة تنهض بالعقل ، وأن الخيال السقيم ينهض بالمعنى الجميل ! هل تستطيع أن تتصور ؟ لا أظن ... اللهم إلا إذا فقدنا نعمة الذوق والشعور ! !

حقوق المرأة المصرية بين الأنصار والخصوم :

تدور منذ أيام على صفحات الصحف اليومية معركة حول مطالبة المرأة المصرية بحقوقها السياسية ، وفى هذا الموضوع قرأت فى « الأهرام » كلمة « موزونة » للأستاذ محمد زكى عبد القادر يقول فيها : « ... وذكرت أنه منذ سنوات دخلت الفتاة المصرية المحكمة وعليها روب المحاماة ، وحسب الرجال أن الفتيات سيهرعن إلى هذا الروب ، ولكن المهنة الشاقة ظلت وقفاً على الرجال ! ... لو كنت صاحب سلطان لفتحت أبواب البرلمان ومنصات الوزارة للمرأة ، وأطلقت لها كل عمل تزاوله كما تشاء ، واثقاً أنها ستظل حتى وهى فى أوج السلطان ، يسعدها أن تسمع من رجل كلمة إعجاب أضعاف ما يسعدها أن تبلغ كرسى الوزارة ! » .

هذا الذى يقوله الأستاذ زكى عبد القادر يقرر الواقع بلا جدال ... وكم أود — لضيق النطاق — أن أسأل المطالبين بحقوق المرأة سؤالا واحداً لا أنتظر الجواب عنه : كم فى مصر من المثقفات اللائى يستطعن النهوض بهذا العبء الخطير ويشاركن بثقافتهن الناضجة فى ركب الحياة السياسية ؟

إننى أنظر فلا أرى منهن من تعينها ثقافتها على تحمل المسئولية الضخمة غير عدد ضئيل لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، ومع ذلك فقد بحت الأصوات من المطالبة بحقوق المرأة فى مصر ... بالله خففوا من هذه اللأواء ، وإذا قال واحد منكم بأن الجامعة يمكن أن تخرج لنا جيلا ناهضاً من الفتيات المثقفات فقد كذب على الواقع الذى لمسته يوم أن كنت فى الجامعة ؛ إن الفتاة المصرية لا تذهب إلى الجامعة طلباً للعلم ... ولكنها تذهب إليها طلباً للزوج !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عراك فكري بندوة الرسالة :

لقد أصبحت محنة فلسطين والحوادث التي وقعت أخيراً على مسرحها ومن أجلها — محنة لأفكارنا ومشاعرنا في هذه الأيام ابتلينا ولا نزال نبتلى بها من أفراد نحمد الله على أنهم قلة لا يعبأ بها . أفراد من مواطنينا اضطربت أفكارهم واختلطت عليهم حقائق الأمور من جراء تلك الحوادث ، فصاروا يجادلوننا في « العروبة » فيخلطون بين حقيقة الوحدة الخالدة وروح الشعوب المتآخية وبين اختلاف الساسة وتهويم الجامعة .

ألحت عليّ تلك المقدمة فلم أجد مناصاً منها ، على كراهيتي للمقدمات ، قبل أن أدخل إلى « ندوة الرسالة » حيث اعتركت في هذا الموضوع وما تفرع منه — أفكار جماعة من أدباء العرب : من مصر ، ومن لبنان ، ومن العراق . كان أحد طرفي المعركة الدكتور فلان ، ولا أسميه خشية أن يعتبر ما قاله مما يُتحدث به في المجالس ويُتحرَّج من نشره ، ويكفي أن أذكر أنه كاتب معروف ، وكان يكتب بالرسالة فيما مضى ، وهو إلى ذلك من هيئة التدريس بالجامعة . أما الطرف الثاني فهم سائر من كان في الندوة وعلى رأسهم الأستاذ الزيات عميد الرسالة ، والباقون هم الأساتذة محمود الخفيف ، وكامل حبيب ، ومحمد علي الحوماني وإبراهيم الوائلي ، وكاتب هذه السطور .

وقد كنا أو كان الطرف الثاني يناقش الدكتور (الطرف الأول) فتخطر لهم الفكرة الواحدة أو يورد أحدهم خاطراً ويأتي آخر بحجة أخرى ؛ وسأورد ما علق بذهني من ذلك جملة ، أي من غير تفصيل وإسناد إلى فلان أو فلان ، وأضيف إليه ما خطر لي بعد الجلسة ؛ وقد ذكرت الأسماء لما لأصحابها من فضل في المناقشة ، وعلى أي حال ليس بين الخيرين حساب ...

كان مثار المناقشة ما تضمنه « كشكول الأسبوع » في الأسبوع الأسبق من الإشارة إلى ما نشرته إحدى الصحف لأحد قرائها من استنكاره ترحيب مصر بأبناء شقيقاتها العربية وتعليمهم في معاهدها ، ومقارنة ذلك بما أبدته الحكومة الأسبانية من الاستعداد لقبول بعثة من الطلبة المصريين على نفقتها في جامعاتها . بدأ الحديث بالدهشة لذلك الذي نشر في تلك الصحيفة فانبرى الدكتور يقول :

— أتريدون الحق ؟ إن أبناء مصر أولى .. ويجب ألا نبذل جهداً أو مالا لغيرنا ونحن في حاجة إليه ، وكفى ما بذلنا ..

فجاءه الرد يقول :

— يا أخي ، كيف تقول بهذا ؟ أتنكر التعاون العلمي بين الشعوب العربية ؟ وإذا كانت الهيئات المالية تدعو العالم كله إلى التعاون الثقافي أفلا يجدر ذلك بالبلاد العربية وهي ذات لغة واحدة وثقافة مشتركة ؟ ولم التفاضل بين المصريين وغيرهم في هذا المجال ؟ وبم يؤثر هذا القدر الذي تبذله مصر لتعليم أبناء شقيقاتها في تعليم أبنائها ؟ وإذا كانت الجامعات الغربية تفتح أبوابها للطلبة من مصر وغيرها من البلاد العربية أفتقفل مصر أبواب جامعاتها ومعاهدها في وجوه شقيقاتها ؟ على أن ما نبذله من مال أو جهد في الميدان العربي على اختلاف جوانبه إنما نبذله في تعزيز القومية العربية التي يدفع إليها وعي الشعوب العربية ، والتي تدعو إلى التكتل والتعاون والتقارب ، والتي لا ينال منها إخفاق في تجربة سياسية أو فشل من جراء الألاعيب الخارجية والدسائس الاستعمارية .

قال الدكتور : لا اعتبار عندي لكل هذا ، إنما مدار الأمر في نظري على ما نستفيده نحن ؛ ونحوا عني ألفاظ العروبة والوحدة والأخوة ، أنا أريد استفادة مادية .

— أنت أحد المؤلفين المصريين ، فلك عدة كتب ولا شك أنه قد وزع منها عدد كبير في البلاد الشقيقة ربما يكون قد غطى نفقات الطبع إن لم يكن جلب ربحاً ، فما نظن ما وزع في مصر كافياً لذلك ، هذا مثل قريب لاصق بشخصك نسوقه إليك مجاراة لمقياسك المادي ، وإذا كان لا بد من هذا المقياس فإن الاستفادة لا ينبغي أن تقتصر على الفوائد الوقتية والمنافع القريبة ، فإن مصر

أغنى البلاد العربية وأكثرها حظاً من العلم والثقافة ، وهى إذ تمد يدها إلى شقيقاتها وتتيح لها ما ينقصها فإنها تكسب مودتها وثقتها فتتحول إليها بدل أن تتجه إلى الأمم الغربية ، والشقيقات ولا شك يستفدن من مصر ، لأن معاملة مصر لها تختلف عن معاملة الغرب من حيث الإخلاص أو على الأقل من حيث تجرد مصر من المطامع التى ينطوى عليها الغرب فتحمله على عرقلة تقدمها . أما فائدة مصر مما تتيحه لسائر البلدان العربية من التقدم فهى أنها تجد فيها أخوات قوية قادرة على مبادلة النفع بالنفع . ولم لا تقول معنا إنها تكون حينئذ أجزاء متينة فى الكل العام وهو الكيان العربى؟ والفائدة إذن هى كفائدة الفرد مما يعود على الجماعة من الخير العام . ثم قل لنا يا أخانا فى أى سبيل كانت مصر ولا تزال تبذل للأجانب من الغربيين ؟ وهل استفادت مصر من كل ما أغدقته على هؤلاء ؟ بل هل نجت من تشهيرهم بها وتقولهم عليها ؟ وما هى الفوائد التى يجنيها الشعب المصرى من فرق الممثلين والراقصات التى تجلب إلى مصر كل عام ؟

قال الدكتور : ما دامت هناك استفادة فأنا مسلم بما تريدون .

ولم يرد الأستاذ الخفيف أن تنتهى المناقشة عند هذا الحد فقد أقبل فى أثنائها ولم يحضر أولها ، فلم يشبع من منازلة صديقه الدكتور ، فأعلن أنه يريد أن يصفى معه الحساب هذه الليلة فى قضية طالما أتعبه بالجدال فيها ، وكان الأستاذ الخفيف يعانى ألماً فى الحلق وبحة فى الصوت ، فما استشعر الحماس للنزال حتى لان حلقه وتوضح جرسه ، قال :

ألا تعلمون أن هذه الأفكار منشؤها عند الدكتور أنه لا يؤمن إلا بالغرب فى كل شىء وينكر الشرق والعروبة وما إليهما ، ويرى أنه يجب أن نغلق هذا الباب الشرقى ونفتح الباب إلى الغرب على مصراعيه فنقطع كل صلة بماضينا وعروبتنا ونأخذ عن الغرب كل شىء بل نسعى إلى الاندماج فيه . . ؟

اتجه الجميع إلى الدكتور مندهشين ، ونظراتهم تسأله : أحقاً ترى هذا ؟!

قال الدكتور نعم ... فأنا أتصور مثلا أنى مدير جامعة ، وأردت أن أضع برنامجاً لدراستها فهل أجد غير العلوم الغربية ؟ ليس فى الشرق ما يستحق أن

كشكول الأسبوع

□ انتهت لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية من مهمتها فى فحص الكتب الأدبية ، واختارت الكتاب الذى يستحق صاحبه جائزة فؤاد الأول للآداب عن سنة ١٩٤٩ ، ورفعت قرارها إلى معالى وزير المعارف . والكتاب الذى تقرر إجازته من الأدب الوصفى ، ومؤلفه أحد كبار الأدباء ممن لم ينالوا الجائزة فى العام الماضى . وسيعلن ذلك يوم الاحتفال بذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول يوم ٢٨ إبريل الحالى .

□ تلقى مجمع فؤاد الأول للغة العربية رسالة من هامبورج كتبها إليه الدكتور شاده الذى كان مديراً لدار الكتب الخديوية بمصر ، نعى فيها الدكتور فيشر المستشرق الألمانى وعضو المجمع ، وقال إنه توفى فى فبراير الماضى بالمنطقة الروسية من ألمانيا ، وقد كتب المجمع إلى وزارة الخارجية لتتحرى حقيقة هذا النبأ ، كى يتحقق المجمع صحته قبل أن يعلن خلو المكان .

□ « اللص يوسف وهبى . اللص توفيق الحكيم . اللص زكى طليمات » هكذا ظهرت الإعلانات فى الصحف عن مسرحية « اللص » الجديدة ... وقد قيل للأستاذ توفيق الحكيم إن الإعلان هكذا غير لائق . فأجاب بأن مما يعزيه أن له شريكين ...

□ تألفت لجنة لتخليد ذكرى المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، رئيسها لطفى السيد باشا ، وأعضاؤها الدكتور طه حسين بك وأحمد عبد الغفار باشا ومنصور فهمى باشا والدكتور ابراهيم مدكور ، وقد جعلت اللجنة من عملها جمع آثاره الأدبية وطبعها ونشرها .

□ يشكو الصحفيون ورجال الفكر فى لبنان من قانون المطبوعات الذى صدر هناك أخيراً والذى يحاكم بمقتضاه الآن كثير منهم .

□ يقوم قسم التشريع فى مجلس الدولة بإعداد مشروع قانون لحماية الملكية الأدبية والفنية ، وذلك تمهيداً لعرضه على البرلمان .

□ جاء من جرينسبوز بالولايات المتحدة أن الاستعداد يجرى هناك لإعداد البعثة التى ستقوم بالبحث عن سفينة نوح فوق جبل أرارات فى شمال تركيا . ويقول الدكتور سميث رئيس البعثة إنه يريد بكشف السفينة الرد على سخرية العلم بقصة الطوفان .

□ وافقت لجنة النهوض بالسينما التى يرأسها وزير الشؤون الاجتماعية على اشتراك مصر فى مهرجان السينما الدولى الذى يقام بمدينة « كان » فى سبتمبر القادم ، واختارت ثلاثة أفلام مصرية لعرضها فى مهرجان المؤتمر .

□ كانت الجامعة العربية قد طلبت من الحكومة التركية أن تأذن لها فى إيفاد بعثة علمية لفحص ما فى مكتبات تركيا من المخطوطات العربية وتصويرها ، فأذنت مرحبة . وقد سافرت فعلا البعثة برياسة مدير معهد المخطوطات بالجامعة ، وهى الآن تواصل عملها هناك ، وقد ورد منها أنها تفحص حوالى ١٢٠ ألف مخطوط ، وصورت عدداً كبيراً منها ، وتأمل أن تفرغ من مهمتها فى ثلاثة أشهر .

يدرس ، وحتى الثقافة العربية أكتفى منها بما درسه وحققه المستشرقون ، ولا قيمة لما عدا ذلك !! وأنا لا أرى أن هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر ، وإنى أراكم تلوكون كلمة العروبة فمن هم العرب ؟!

ارتفعت درجة الحرارة فى المجلس ، وتدفقت الردود تقول :

— أتسأل عن العرب ؟ نحن العرب ... نحن العرب بوراثاتنا التاريخية وما كسبناه ومزجناه بها من الثقافات المصرية ، نحن العرب الذين نتحـد فى قيمنا الروحية واتجاهاتنا الفكرية والاجتماعية ، ونختلف فى كل ذلك عن الغرب . وها نحن أولاء فى مجلسنا هذا نمثل ثلاثاً من الدول العربية ، يطبعنا طابع واحد فى التفكير والمشاعر ، ونتشابه حتى فى الشكل والسحنة ، لا يختلف مصرى عن عراقى أو لبنانى إلا كما يختلف أبناء الأمة الواحدة من حيث الفروق الفردية ، ولو أننا انتقلنا بكامل هيئتنا إلى مجتمع أفرنجى لأحسسنا أننا غرباء عنه ولتزايل الدم من الدم ...

وليس معنى أن نأخذ العلوم والمخترعات الحديثة عن الغرب أن نفقد شخصيتنا ونفنى فيه . وإذا كنا الآن نأخذ من الغرب علومه فقد أخذ كثيراً من حضارتنا وعلومنا واستعان بها فى نهضته الحديثة ، وفى مكتبات أوربا نحو خمسمائة مجلد فى الإشادة بالحضارة العربية وما أسدت إلى العالم الغربى .

إننا لا نغلق الباب الغربى بل نحن دائبون على الاتصال بالغرب والاقتباس منه والانتفاع بحضارته ، فلم تقول أنت بغلق الباب الشرقى وقطع الصلة بماضينا وثقافتنا العربية بما فيها من آداب وعلوم وفنون ؟ ولا شك أننا استطعنا فى نهضتنا أن نكون ثقافة عربية حديثة مبنية على تراثنا الثقافى وعلى ما قبسناه من الثقافة الغربية ، وعجيب أن تدعو إلى ما درسه المستشرقون من الثقافة العربية وفى نفس الوقت تدعونا إلى هجر هذه الثقافة فأنت تحرم علينا ثقافتنا وتبيحها للمستشرقين !

على أن ثقافة الغرب إما علوم أو آداب وفنون ، فالعلوم نتلقاها منه باعتبارها أدوات لتنظيم الحياة وتيسير وسائلها ، أما الآداب والفنون ، وهى ألصق بالأرواح والمشاعر ، فنقتبس منها ما يلائمنا لنضيفه إلى آدابنا وفنوننا التى هى الأساس فى ذلك لأنها نتاج بيئتنا وصورة حياتنا ومرآة نفوسنا .

وهنا قال الدكتور :

— ما هى فنوننا ؟ هل عندنا موسيقى كالموسيقى العالمية ؟

— فنوننا هى التى نتذوقها ، وإن كان فيها نقص فإننا فى سبيل استكماله . ونحن نتذوق موسيقانا ونطرب للجيد منها ولا يضيرنا أن غيرنا لا يستسيغها ، وماذا يهمنا من كلمة « عالية » ما دام الوصف بها لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة لأذواقنا ؟

— إن الطفل يضرب (الصفيحة) بالعصا ويسر لما يحدثه ذلك من صوت ، فهل معنى ذلك أنه موسيقى راقية ؟

— إن هذا التشبيه يمكن أن ينطبق على الموسيقى الغربية بالنسبة للشرقى الذى لا يرى فيها إلا تصديعاً للرءوس .

نحن نسمع مثلا موسيقى عبد الوهاب وغناء أم كلثوم ، وغير عبد الوهاب وأم كلثوم من فنانينا المجيدين ، فنتذوق فنهم ونسر به ، لأنه يعبر عن مشاعرنا ويخاطب قلوبنا ، فهو منا وإلينا ، ولذلك نشعر بقرب الموسيقى الأسبانية من نفوسنا أكثر من موسيقى البلاد الأوربية الأخرى ، لأن الأسبانية تنزع إلى أصل عربى كان فى الأندلس . وليس مما يقع أن يحول مشير المذياع إلى محطة أجنبية ، وأم كلثوم تذيع إحدى حفلاتها الغنائية ، لتسمع بدلا منها غناء إحدى الفرنسيات أو الإنجليزيات .

قال الدكتور وهو يتهيأ للانصراف : إن تذوق الموسيقى الأوربية يحتاج إلى تربية وتثقيف .

فسأله أحد الجماعة : عمن أخذ الأوربيون موسيقى (الجاز) ؟ فسكت ، وناب عنه من أجاب : من موسيقى الزنوج ...

ثم انصرف قبل أن يبدى رأيه فى تذوق موسيقى الزنوج وهل يحتاج إلى تربية وتثقيف ...

عباس خضر



الموالى فى العصر الأموى

تأليف الأستاذ محمد الطيب النجار

بقلم الدكتور محمد يوسف موسى

كنت دائماً أرى أنه من الخير أن نغير من فهمنا للتاريخ عامة والإسلامى خاصة ، ومن الغاية التى ندرسه من أجلها ، ومن المنهاج الذى نصطنعه فى دراسته . فقد اعتاد الباحثون فى التاريخ العناية التامة بالأحداث السياسية فى كل تفاصيلها ، ولكنهم يهملون تماماً أو يكادون التأريخ للنواحى الاجتماعية والفكرية ونحو ذلك من مقومات الحضارة الإسلامية ، هذه النواحى التى توفر على دراستها واستخراج النتائج والعبر منها نفر من أفاضل المستشرقين .

كنت دائماً إذاً أنقد طريقتنا فى دراسة تاريخنا الإسلامى ، وأدعو إلى الأخذ بطريقة أخرى تكون غايتها الأولى دراسة الحضارة الإسلامية ؛ بمعنى ألا نسرف فى العناية بالناحية السياسية ، هذه الناحية التى لا يجب أن يكون القصد من دراستها إلا بالقدر الذى يتيح لنا أن نفهم تماماً ما كان من تطور فى نواحى الاجتماع والفكر وما يتصل بذلك من ألوان الحضارة .

من أجل ذلك أرانى مسروراً حقاً إذ أقدم لقراء « الرسالة » كتاب «الموالى فى العصر الأموى» لمؤلفه الفاضل الأستاذ الشيخ محمد الطيب النجار أحد أساتذة التاريخ الإسلامى بالأزهر ، والحائز لدرجة الأستاذية فى التاريخ . إن هذا الكتاب ، فى الغاية التى قصدها المؤلف ، وفى المنهاج الذى سار عليه ، يحقق ما كنت أرى أن يكون فى دراسة التاريخ الإسلامى .

بحث الأستاذ — وقد أخذ نفسه حقاً بالحيدة التامة إزاء صراع الأحزاب والمذاهب ، وبأن يكون غرضه البحث عن الحقيقة وحدها — فى الفصل الأول من الكتاب نشأة الرق فى الإسلام والعصبية العربية التى تحولت فيما بعد إلى عصبية إسلامية ، وحالة الموالى الاجتماعية قبل العصر الأموى . وفى الفصل الثانى توفر فى بحثه على تصوير حالة الموالى فى العصر الأموى ، هذا العصر الذى كان يموج بالعصبية موجاً حتى كان نافع بن جبير بن مطعم إذا مرت به جنازة قال : « من هذا ؟ فإن قالوا قرشى قال وا قوماه ! وإذا قالوا عربى قال وا بلوتاه ! وإذا قالوا مولى قال هذا مال الله يأخذ مايشاء ويدع مايشاء » ! ص ٣٥ .

وفى الفصلين الثالث والرابع تناول بالبحث سياسة الدولة الأموية نحو الموالى ، وكيف وجد الأمويون أنفسهم فى هذه المشكلة بين تيارين عنيفين : الإسلام وما يدعو إليه من عدالة عامة ومساواة بين الأجناس ، والعصبية الجنسية العربية الحادة التى لم تقبل هوادة إلا فى عهد عمر بن عبد العزيز . وانتهى البحث بالإشارة إلى أن الموالى لم يجدوا لأنفسهم فرجاً إلا فى التوفر على العلم والسيطرة على الحركة الفكرية فكان لهم من الرفعة من هذا السبيل عوض ما فاتهم بسبب التعصب عليهم من الدولة والأفراد ؛ ثم مقاومة تيار العصبية العربية بتيار آخر قوى هو تيار الشعوبية ؛ وأخيراً مؤازرة الحركات الثورية ، التى انتهت بزوال الدولة الأموية ، وذلك لكى ينتقموا لأنفسهم ، وتكون دولة جديدة يكون لهم فيها مركز السيادة والقيادة .

هذه الوسائل الثلاث ، التى حاولوا بها استرجاع مجدهم الذى قضى عليه الإسلام ، هى موضوعات الفصول الأخيرة من الكتاب . وبعدها كانت خاتمة ونتيجة البحث كله ، ثم بحث خاص بالرق والولاء فى الإسلام لصلة هاتين المسألتين بموضوع البحث العام الأصيل .

هذا هو موضوع الكتاب الذى نقدمه الآن للقراء ؛ وقد رجع المؤلف فى بحثه إلى أمهات المراجع الأصيلة العربية والأجنبية ، وسار فى معالجته على نور وبصيرة وفى أسلوب علمى واضح ؛ وإن كان النقد الدقيق يجد فى لغته وأسلوبه أيضاً بعض الهنات .

وهنا أجهر مرة أخرى بكل قوة بضرورة أن يخرج الأزهر من بقية الجمود الذى يلابسه فيعنى عناية شديدة باللغات الغربية ، ويقرر دراسة بعضها دراسة جدية منذ أول مرحلة الدراسة الثانوية ، بحيث لا ينتهى الطالب من الدراسة العالية حتى يكون أجاد لغة واحدة على الأقل وألمّ بلغة أخرى . ذلك ضرورى وبديهى لطلاب الأزهر ، إذا أردنا أن يكون منهم علماء حقاً ، وإذا كنا حقاً جادين فى دراساتنا .

محمد يوسف موسى



الفن بين الإبداع والاستمتاع :

حفلت قاعة المحاضرات بمعهد التربية العالى بالاسكندرية مساء الإثنين ١٧ ابريل بجمع كبير من رجال الأدب والتربية والتعليم بسماع المحاضرة التى ألقاها الأستاذ — أحمد زكى — عن موضوع الفن بين الإبداع والاستمتاع . وحاول فيها أن يفسر نفسية المبدع أو المنشىء ونفسية المستمتع على ضوء علم النفس . فاستطاع أن يعرض أحدث ما بلغه علم النفس فى تفسير نفسية كل من الفنان الخالق والمستمتع .

وسأحاول أن أقدم إلى القارىء خلاصة تلك المحاضرة : فقد ابتدأ بتعريف الفن بأنه الطبيعة نفسها موشاة بوجدان الفنان ، وأن عمل الفنان يقوم على التفاعل بين الشعور وبين اللاشعور ، أى بين الوعى والعقل الباطن ، وهى الحالة التى نعرف بحالة الوحى الفنى . وفيها تخف وطأة الرقيب على اللاشعور فيظفر الفنان بذلك الإنتاج الذى قد يعجب هو نفسه كيف تأتى له .

وهذه الظاهرة هى ما كانت تسمى قديماً بشياطين الشعر . ثم تناول نفسية المستمع وقسمها إلى طوائف أربع :

الطائفة الترابطية : وتقدر جمال الفن على قدر ما يثيره هذا الفن فى نفوسهم من ذكريات . فتتوقف قيمته على ما يحمل من هذه الخصائص .

الطائفة الذاتية : وتقيس الفن بحسبان تأثيره على إحساساتهم وكلما زاد الأثر الفنى فى تأثيره على حاسة من حواسهم كاللون مثلا كان تأثيرهم أشد وانفعالهم أكثر .

الطائفة الموضوعية : وهؤلاء هم أندر الطوائف بين المستمتعين بالآثار الأدبية وهم ما يعرفون بنقاد الفن وواضعى مقاييس نقده . فهم يقفون من الأثر الفنى موقفاً موضوعياً ويحاولون بيان ما فيه من أسرار الفن ودلائل العبقرية ، ولا يدعون لتأثرهم الشخصى دخل كبير فى تقويم هذه الآثار .

الطائفة التعبيرية : وهم يخلعون على الاشياء والظواهر الطبيعية صفات إنسانية عامة مثل البحر غاضب والأمواج تختال الخ . .

ثم تناول بعد ذلك المذهب الذى كان يذهب إلى أن الجمال عبارة عن نسب عددية ، بمعنى أن الوجه الإنسانى يجب أن يكون بالنسبة للجسم كله بمقدار كذا حتى تصبح الصورة جميلة . وأبان بطلانه . ثم أشار إلى تأثير هذا التقسيم فى الاستمتاع بالفن ، ومقياسه مما حمل بعض الناس على القول بأن الجمال ذاتى لاموضوعى . ولكن لاشك فى أن الجمال موضوعى إلى حد كبير ، ولا بد له من عاملين أساسيين هما الوحدة والتنوع . فالوحدة هى المحور الذى يدور حوله العمل الفنى والتنوع هو الذى يلون الصور ويساوق بينها حتى يتم خلقها . وتتمثل الوحدة فى القصة فى الحبكة ، وفى الصورة بوحدتها العامة ، وهى أن كل ما فيها من ألوان يخضع لغرض عام ، ويهدف إلى تحقيق غرض معين . والمستمتع عادة لا يبحث فى العمل الفنى عن كل هذه الخصائص حتى يستمتع ، بل هو يحس ما فيه من اضطراب لم يستطع أن يثيره عنده ما هو خليق بأثارته ، وهو ما يعرف مثلا فى اللحن بالنشاز . ثم لم ينس المحاضر أنه فى معهد التربية وبين مدرسين فختم محاضرته بالإشارة إلى وجوب الوحدة والتنوع فى الدرس حتى يثير فى نفسية الطفل الإحساسات المختلفة ويبعث يقظته للدرس . ويتعهد جوانب شخصيته المختلفة من وجدانية ومزاجية وفكرية ، لأن المدرس الحديث يجب أن يعنى بكل هذه الجوانب حتى يتسنى إخراج الشخصية المتكاملة ، لا أن نعنى بأفكار التلاميذ ، ونهمل جوانبهم الأخرى فنخرج رجالا حظهم من تكامل الشخصية ضئيل .

محمد عبد الحليم أبو زيد
دبلوم فى التربية وعلم النفس

١ — المزة :

فى مساء ١٣ إبريل حدثنا بالمذياع الدكتور عزمي بك عن حالة سورية بعد الانقلاب الأخير ، وعرض لنزول الوطنى الكبير السيد القوتلى اليوم فى (المزة) ونطق بها بفتح للميم ، والصواب

كسرها على ما فى معجم البلدان والقاموس المحيط وغـيرهما ، بل طبعت مكتبة القدسى بالقاهرة لمشرين سـنة خلت رسالة خاصة بتاريخ هذه البلدة اسمها (المعزة) وفيها النص على ضبطها بذلك

٢ — سيف بن عمر المؤرخ :

يقول الدكتور جواد على فى عـدد « الرسالة ٨٣٢ » : (سيف بن عمر الذى هو موضع ثقة الطبرى) . ويقول العلامة الـكوثرى فى مقالة له فى ذلك : سيف بن عمر يقول عنه أبو حاتم : متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدى . وقال الحا كم : اتهم بالزندقة وضعفه غير واحد . والطبرى نفسه يقول : لم نقصد بكتابنا هـذا قصد الاحتجاج . . ، وإنمـا أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا .

عبد الله معروف

الضبع مؤنثة :

جرت الصحف على تسـمية القائد المظفّر بطل الفلوجة « الضبع الأسود » ، وألمت إحداها أنه يغضى عن تلك التسمية مبدياً الغضاضة ، ولديه الحق فى إغضائه وغضاضـته ، لأن « الضبع » مؤنثة ، وليست — كما هو شائع — ذات فتك ، بل متسمة بالجبن ، فالمقام ناه عن الاتسام بها ، وأين الألقاب فى دولة الآساد ؟

إن مذكرها « ضِبْعانٌ » ، والجمع « ضباعين » ، وأنثاه — بتلك الصيغة — « ضبعانة » ، والجمع « ضبعانات » ، وجمع الذكر والأنثى « ضباع » ، وتحياتنا « للأسد الأسود ! »

(بورسعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

ليت العربية تزحف :

يمتلىءُ القلب سروراً — ولا شـك — حين تزحف اللغة العربية على يد وزير المعارف ويرتفع لواؤها على مكاتب السفراء ورجال السلك السياسى الأجنبي ، فليس هناك — كما يقول الأستاذ العباس — لغة حية ولغة ميتة . ومن حقنا أن نـكتب بلغتنا لمن نشاء .

ذكرت — بهذه المناسبة — أن مكتب الجوازات بوزارة الداخلية المصرية يضع تأشيرة الإقامة على جوازات أبناء البلاد العربية باللغـة الأجنبية ؛ فقلت لنفسي : ألا ليت اللغة العربية تزحف إلى هذا المـكتب ... فأرى تأشيرة الإقامة على كل جواز — ولو كان أجنبياً — بلغتنا القومية . فليس فى الـكرامة مجاملة أعز الله هذه اللغة وأهلها .

(فتى الفيحاء)

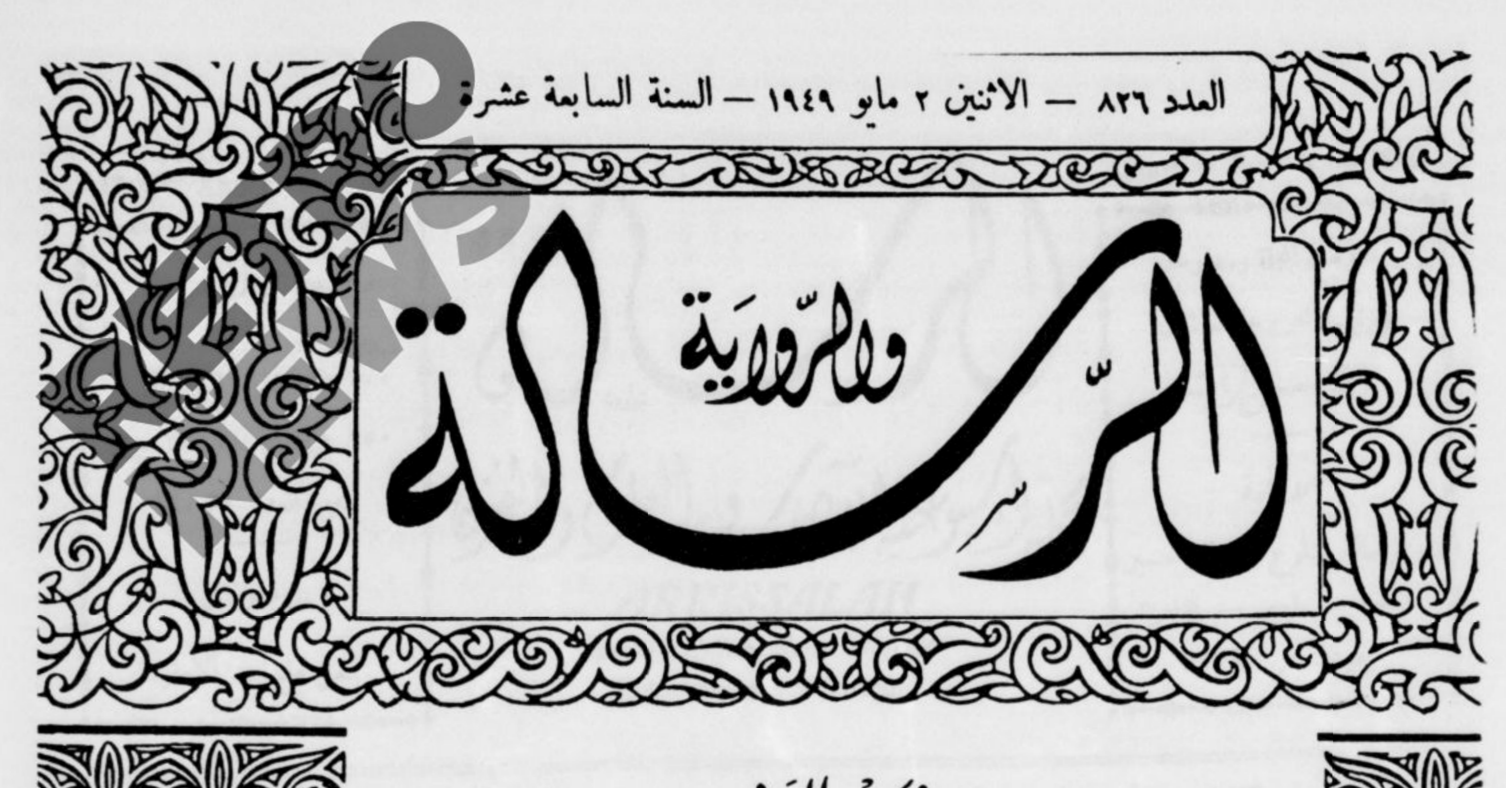
القلم الصناع :

فى العدد ٨٣٤ من (الرســالة) الغراء نقل أديب بالمنصورة بعض ما ورد فى المصباح المنير فى مادة صنع زاعماً أنى أخطأت فى قولى : « بهذا القلم الصناع » وفى القاموس المحيط : « رجل صنع اليدين بالـكسر وبالتحريك وصنيع اليدين وصناعهما حاذق فى الصنعة » فليس فى قولى خطأ ، وإنمـا الخطأ فى المراجع الناقصة والمُـراجع العجلان .

أحمد أحمد العجمى



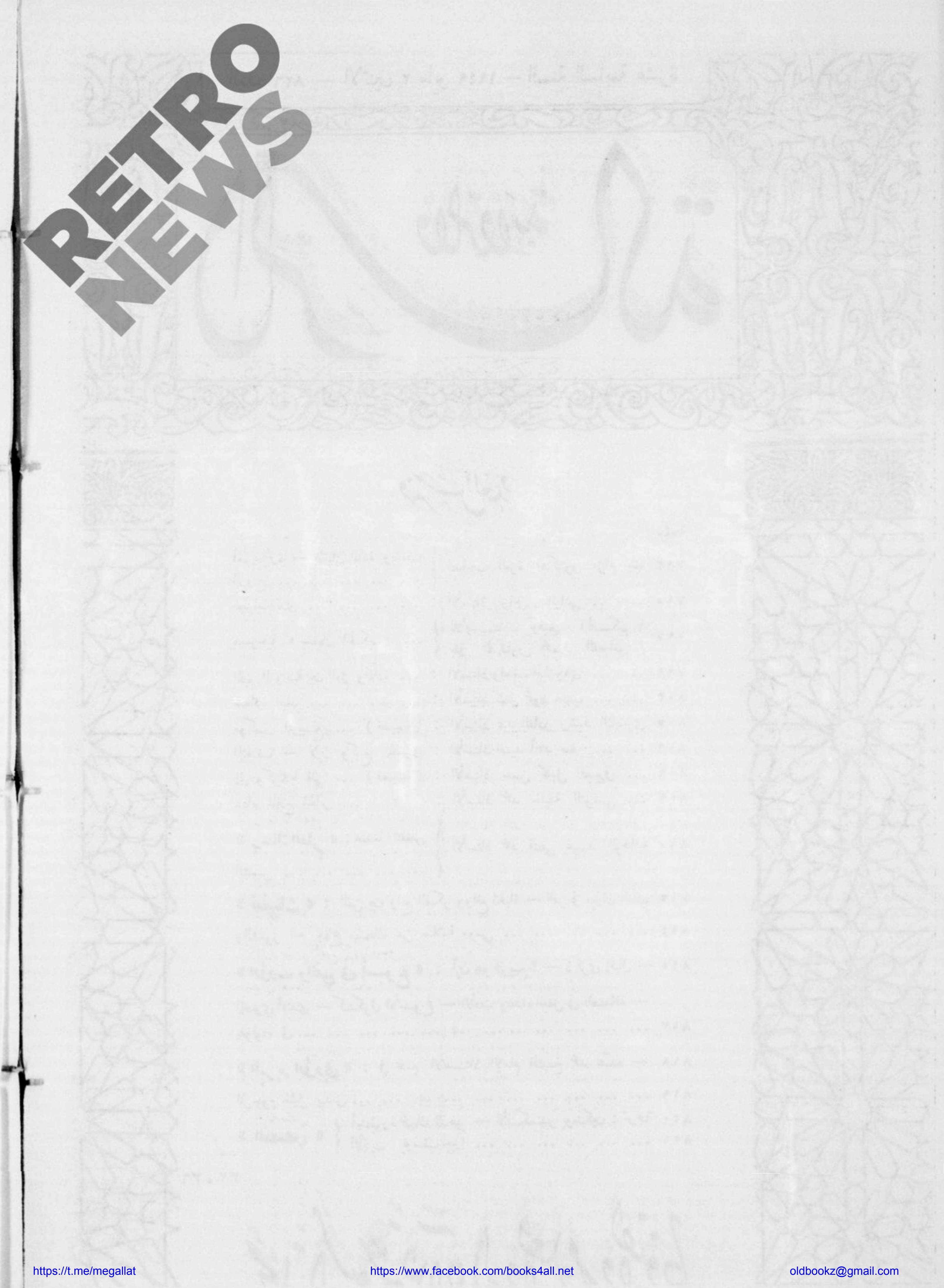
العدد ٨٢٦ — الاثنين ٢ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

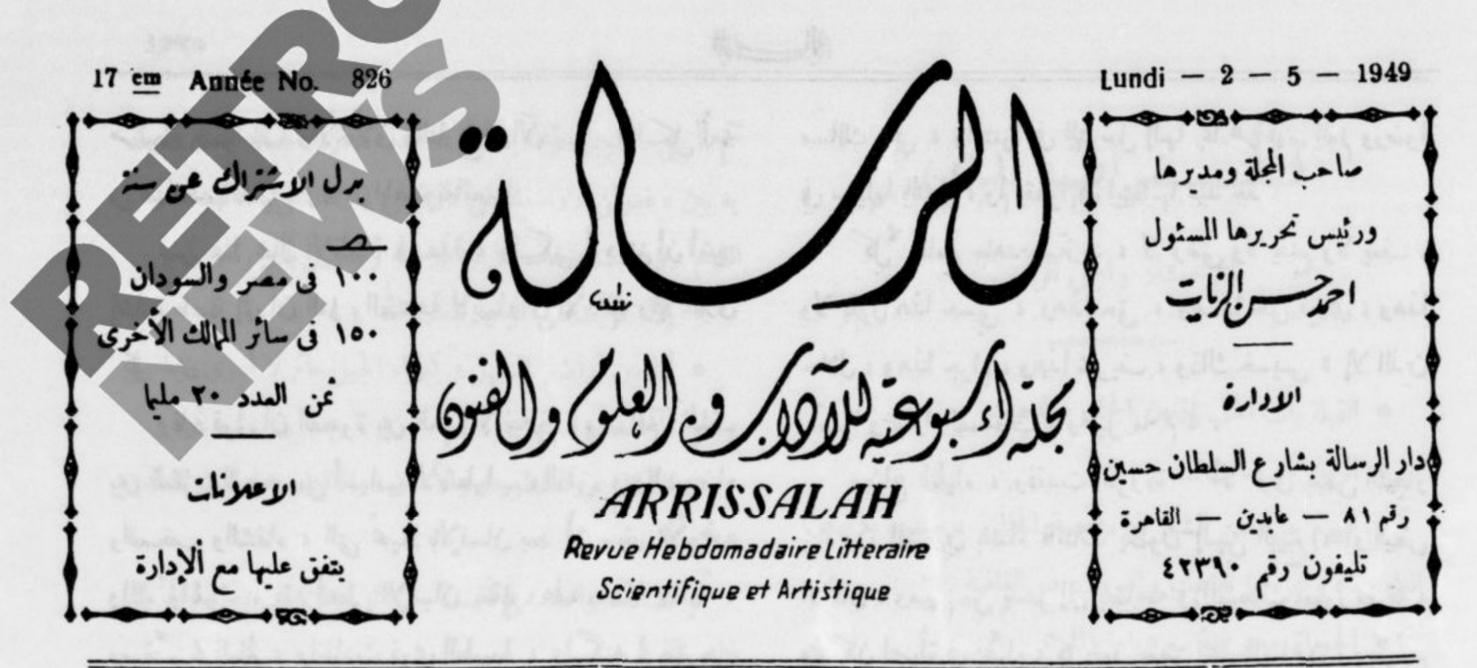


فهرس العدد

٣٢٠٣٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العـــدد ٨٢٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ رجب سنة ١٣٦٨ — ٢ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٢ — أمم حـــائرة

طغيان المادة وضعف الروح

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بجـــدة

كشف العقل أسرار الطبيعة فاخترع عجائب العلوم والفنون والصناعات ، وغيّر تاريخ البشر كله . واهتدى الناس إلى سنن للحكومات ، ونظم للجماعات ، ضبطت كل شيء بالنظام والقانون . وعرفوا من قوانين الصحة ما عصمهم من كثير من الأوبئة والعلل ، وافتنوا في عمران البلاد ، وتعبيد الطرق ، وتشييد المساكن ، وذللوا كل صعب ، وقرّبوا كل بعيد بفنون الهندسة وغيرها . وابتكروا في الملابس والزينة ما ابتكروا . وتهيأ لهم من أسباب الحضارة ووسائل الرفاهية ما لا يحتاج إلى بيان ، فهو ملء الأسماع والأبصار .

ولكن الأنفس لم تساير العقول ، والرقي الروحي لم يدرك الرقي الحسي ، وليس عجيباً أن يسمو العقل ، ويتسع العلم ، ولا تسمو النفوس ، وأن تتقدم الأفكار ولا تتقدم الأخلاق ، فتصرف العقل أكثره في أمور خارجة عن نفس الإنسان ، وإدراكه يجول في عالم الطبيعة . وهو في بحثه لا يفرّق بين الإنسان وغيره ، ولا يبالي بالخير والشر . فمقاصد العلم تتحقق بكشف الكهرباء — مثلا — وضبط قوانينها وتسخيرها . وسواء بعد هذا استعمال الكهرباء للاضاءة ، أو المداواة ، أو استعمالها للقتل والتدمير .

إلى العلم ترجع الحضارة الصناعية القائمة على قوانين الطبيعة والخارجة عن نفس الإنسان . وأما النفس الإنسانية وملكاتها وحالاتها ونزعاتها ، فأمور وراء هذا كله وهي حقيقة الإنسانية .

وهي التي تدرك الجمال والقبح ، وتميز بين الخير والشر ، وتقبل على الفضيلة ، وتنفر من الرذيلة .

وهي مناط الأخلاق والعواطف والفضائل والرذائل ، وإلى هؤلاء ترجع الحضارة الإنسانية وما يتصل بها من آداب وسنن وعادات ونحوها .

وبهذه تقدم الإنسانية ، وبها يكون تقدمها الحق وتخلفها وعلوها أو سفولها . ومن أجل أن العلم يتصرف في قوانين طبيعية خارجة عن نفس الإنسان كانت العلوم غير مختلفة بين الأمم في قوانينها ، فلا تختلف الرياضة أو الكيمياء بين أمة وأمة ، ولا بين إنسان وإنسان ، إلا بمقدار ما تزيد أمة عن أمة ، أو فرد عن فرد ، في الإحاطة بقوانين الرياضة أو الكيمياء . وبهذا كان نقل علم من أمة إلى أخرى يسيراً لا إعضال فيه .

وأما الحضارة الإنسانية ، فهي مختلفة باختلاف الأمم والأفراد يعسر أن تنقل من أمة إلى أخرى ، إذ هي متصلة بصميم النفس ،

مرتبطة بالعواطف والأخلاق والتاريخ والآداب . ولكل أمة فى هذا خصائصها ، ولها مزاياها ونقائصها .

ليس هنا مجال الإفاضة فى هذا ، ولكنى أردت أن أشير إشارة عاجلة إلى أن العلم والصناعة لايسايران الآداب والأخلاق كل حين .

وغاية قولى أن الفجوة بين العلم والأخلاق ، ومسافة الخلف بين العقل والروح من أسباب الاضطراب والقلق ، والضوضاء والصخب والشقاء ، التى تحيط بالإنسان بعد أن سخر الأرض والماء والهواء ، فقد أعطى الإنسان بعقله وعلمه ملكا عظيماً ، وسخّر له العالم ، وانقادت قوى الطبيعة ، ولكنه لم ينل من المعالى الروحية ، والفضائل الإنسانية ما يكافئ هذا الملك ، ويلائم هذا السلطان ، ولم يبلغ من العدل والإحسان والعفة وأخواتها ما يسيّر هذا الملك على شريعة منصفة ، وسنة قويمة ، فكان كمن أوتى ولاية ليس أهلاً لها ، ومن ورث ثروة لا يحسن تدبيرها . ومن أعطى سلطاناً تصرف فيه بأهوائه على غير هدى . وكالشرير المسلح بالبنادق والسيارات وما يشبهها مما يمكن له فى الشر ، ويبلغه مقاصده من الأضرار والأفساد .

ألا ترى إلى قوى العقل وقوانين العلم كيف يوجهها العدوان والبغى ، والشره والجشع والضلال والحيرة ، إلى تدمير الحضارة وأهلها

* * *

ولم يكف الأشرار عن الشر على كثرة ما اخترعت الحكومات من وسائل لأخذ المجرمين وتعقبهم ومراقبتهم ، وعلى كثرة ما أقامت من شُرَط وحرس وجيوش ، وما سنت من سنن للمحاكمة ، وقوانين للعقاب . ذلك بأن كل هذه الوسائل لا تمس النفس ، ولا تصل إلى الوجدان ، وإنما هى قيود وسلاسل ، وأخذ وضبط ، وسجن للأجسام ، ولو أن ارتقاء النفس الإنسانية كان على قدر افتنان البشر فى وسائل السيطرة والأخذ والعقاب ما احتاج البشر إلى هذه الوسائل ، أو لاستغنوا عن معظمها ، ولو أنصف الناس استراح القاضى .

* * *

ومن آثار هذا التباعد بين العلوم والأخلاق ، والتفاوت بين العقول والأنفس أن سلك الناس إلى المال والجاه والشهوات مسالك شتى ، وافتنوا فى التوسل إليها بما عنَّ فهم العلم ورضوا فى سبيلها بالدنايا ، ولم يقفوا فى ابتغائها عند حد .

كلٌّ طامع جاهد مستزيد ، لا يرضى ولا يقنع ولا يعف ، ولا يقول هذا حسبى ، وهذا حق ، وهذا حق غيرى ، وهذا حلال ، وهذا حرام ، وهذا شريف ، وذاك خسيس « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم » .

وضاع الحياء ، وفقدت المروءة ... ألا ترى بعض التجار يجذبون المشترين بنساء فاتنات يكلون إليهن البيع ، أو قبض الأثمان ، ومنهم من يدعو إلى بضاعته فى الصحف بصور مغرية ، ولو كان امرأة فى حمَّام ، كما يفعل بعض تجار الصابون ، ويعينهم على هذه الدنايا أصحاب الصحف ابتغاء الربح أيضاً !

ألا ترى الصحف والجرائد والمجلات ، إلا النادر ، تستهوى الناس بنساء عاريات ، وصور مفسدات ، وقصص موبقات ؟ !

أليس معنى هذا ، حين تسمى الأشياء بأسمائها ، ويكشف عنها تمويهها ، أن ناشر هذه الصور يتوسل إلى الرواج بأن يجذب الناس — بكل وسيلة — غير مبال بالأخلاق والأعراض ، يستوى عنده الصلاح والفساد !

رحم الله من قال : « تجوع الحرة ولا تأكل بثديها » !
ومن قال :

ولقد أبيت على الطَّوى وأظلّه حتى أنال به كريم المأكل !

* * *

غلبت الناس المادة ، وضعفت فيهم الروح ، فجهادهم ونزاعهم وصياحهم وضوضاؤهم فى المادة ولها إلا قليلا . بل هذه الشيوعية التى فتن بها بعض الناس وحسبوها مثلا عالياً ، أو المثل الأعلى فى التسوية بين الناس ، هى مادية خالصة تنكر كل شىء إلا الخبز ، فهى كالمساواة بين القطيع فى المرعى ، وليس للقطيع اختيار فى السير أو الوقوف ، وليس له حق فى غير الكلأ والماء .

فأما التدين والسمو الروحى والحرية والفضائل والأواصر الرحيمة التى تربط بين الوالدين والأولاد ، وكل ما هو بسبب من هذه ، فتنكره الشيوعية ، لأنها دين وُلد فى هذا العصر ، وهذا العصر يعرف المادة ، ويحرص عليها ، ويخضع لها ، ويموت فيها !

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

قطـــــرات ندي

للأستاذ راجي الراعي

* القبلة بنت الحب اقترن بالجمال فولدها .
* الرماد نار شابت .
* اليوم بيت من الشعر فى ملحمة الخالق ، صدره ما سبق الظهيرة ، وعجزه ما تلاها ، والغروب هو القافية .
* الحصاة حجر يذوب هياماً بالماء .
* العقل جنون هادئ .
* فى القمة شيء يقول لك : قم .
* الاحتضار غبش الموت ! .
* الغفران هبة .
* القُبَل لهث الحب وأنفاس النفس .
* القبلة كتاب النفس فى كلمة ، أو كلها فى حرف .
* كم من يد رسمت فى باطنها خطوط الإجرام ، ولا معصم لها يعصمها من المنكر .
* إنك لا تستطيع أن تلد الرائعة إذا لم يختل توازنك . . ألا ترى المرأة كيف تمزّق أحشاؤها لتلد جنينها .
* هى ثوره منذ البدء إن الله جل جلاله حين قال : (ليكن النور) ، ثار على الظالمة .
* أذيبوا أثمن درركم فى الكأس إذا قمتم تشربون نخب الله .
* الغمد عقل السيف .
* السيف لسان القوة .
* الموجة شهوة البحر .
* الصرخة رداء يتمزق ، أوجدار ينشق فى الصدر .
* الصدور ألواح العرش الذى يتربع عليه الموت .
* الرماد ثورة سكنت ، أو جنون صحا ، أو جريمة ندمت ، أو فجور تاب ...
* كلما قرأت الشعر عجبت للخيال الحرّ يرضى بقيود الوزن والقافية ... أتسميها تلك التى هبطت عليك من سمائك صاعقة ، ثم تأتينى بالطويل والمديد ... ما هذا المارد الجبار الذى رميت به بين ، فعولن ، ومستفعلن ، وفعلن ، ومفاعلن ، فألبسته ثوب القزم ، وذهبت بنصف ما فيه إرضاء (للخليل) وقوافيه ؟ .
* إذا تعريت من الدنيا لبست الله .
* أنا بين تواضع السهل وكبرياء الجبل حائر لا أدرى ما أفعل برأسى أأرفعه أم أحنيه ...
* الكلم ، والسطور ، والألحان ، والألوان محاولات للتعبير عما فى النفس .
* لسانك واحد من ألسنة رأسك انفلت من بينها ولجأ إلى فك فآواه .
* الموت هبة تسترد .
* الجسر بسطة ذراع وأداة صلح وتسوية .
* الذئبة التى أرضعت مؤسس روما ، محت شراسة الذئاب منذ كان الذئب .
* الأعمى عينه مقلوبة تنظر إلى الداخل .
* أنت الصخرة البطل ، إذا انزلقت عنك الحياة فلم تأبه لها ولم تنل منك .
* التوبة يدان : يد تمحو ، ويد تكتب .
* بين الأوراق والثمار ، مابين الأصداف والجواهر .
* الصبر حفّار يحفر فى الصدور لحوداً .
* الجبين الذى ترجفه الفكرة الجريئة جبين جبان .
* بيت الصلاة هو البيت ، وما سواه من البيوت ، حجر وطين .
* الانطلاق طلاق بين طموحك ووهمك .
* المومياء نساء عاصيات ساخرات يضحكن على الموت .
* نولد فى العاصفة ، عاصفة الهوى . . . ونقيم فى العاصفة ، عاصفة الحياة . . . ونرحل فى العاصفة ، عاصفة الفناء ، فكيف يرجى أن نكون عقلاء إذا كان العقل ذاك الذى نلبسه ثوب الهدوء والسكينة ؟ أين وكان العقل هذا فى قلب تلك العواصف ؟ ؟ .
* الظل تعاسة تتذكر أنها كانت شعاعاً .
* كلما رأيت تمثالا شعرت بالموت يقف منتصباً

* السيارات حول الشمس وصائفها .

* إن الأرواح لا تندغم فبين قبلتين مشتعلتين تجد داعماً قليلا من الرماد .

* من الناس من حشر في الخليقة حشراً كحروف الكلمات التي لا تلفظ .

* الصلاة هدير بحر الإيمان والمرساة التي تقف بها سفنكم في مرفأ الخالق .

* في كل طية من طيات القدر مستقبل محجوب .

* الجبال عناد الطبيعة ، والماء خلقها الدمث .

* لقد تقاسمت الأمجاد القمم فلكل مجد قمة .

* أزهار الشجرة أحلامها تتحقق في الثمار .

* ظل الشجرة شفقتها .

* الصحراء كف مبسوطة تستجدي الماء .

* الأعماق آفاق مطوية .

* الدخان والرماد يتقاسمان النار ، فهي لا تملك نفسها .

* الكسل يحتضن الحلم .

* لو خيرت لاخترت أن أنسل من شمس إلى أخرى .

* نحن دقائق هذا الغبار الذي يقال له : الزمن .

* لو كنت الفتنة لاتخذت مقامي بين الحياة والموت .

* أنت مهما تضخمت جثتك وطالت قامتك طفل على سريرين تهزها الأم والمنون .

* إذا أغضبت البحر أتاك بزبده وغرقاه ، فإذا استهنت به أخرج لك من قلبه الدرر .

* الحمد لله الذي خلق الجفنين ليطبقا على وقاحة العين وشرودها والشفتين لتطبقا على الثرثرة .

* الغصة بنت الحشرجة ! .

* السم لعاب الإثم .

* الثرثرة ما تطفح به الكأس .

* النور : نار ساكنة هادئة وادعة ، والنار نور ثائر .

* الذكرى ريح تعصف في الظلام ... ورقاد يفرك جفنيه ... ونسيان ينسى نفسه ...

* الأقدار قدرة القادر .

* الأمل فم يلثم جبين الغد .

* أرى في الحياة شيئاً يهزأ بك مهما أتيت بالمدهشات .

* القوى النفسية تتجاذب قمة الرأس في صراع هائل مستديم .

* كلما فشلتُ انقصف فيّ غصن من شجرتي الفانية .

* الله في شغاف قلبك وعصب عينك فحذار ! .

* إذا انبطح الجبل انقلب سهلا .

* تتعاقب عليّ الشموس كأنها تحاول أن تردني إلى أمر أو تردني عنه .

* الحجر يقول للجدار : لولاي لم تكن . . . والجدار يقول للحجر : لولاي لم تلق وسادة تلقي عليها رأسك ... الجرة تقول للكأس : لولاي لم تنعم بك شفة والكأس تقول لها : لولاي لذهبتِ هدراً ...

* لو لم تكن حياتكم ليلا لما تقتم إلى النور ، ولعلّ الخالق أطلقها ظلمات تتبعها ظلمات لكي تنطفئ في صدوركم شعلة الإيمان فلو كنتم تسبحون في بحور من نور لألفتموه ولم تفكروا في الخالق ، ولو كنتم في النعيم وأشجاره وأنهاره لما خطرت لكم جنة الخلد ولو كان في دموعكم ندى الفجر لما حسبتم للفجر حساباً ...

* ما رأيت غازياً كالوهم يغزو الناس جيلا بعد جيل .. إن له سيفاً يشق كثافة الدهور كأن السيوف كلها مندغمة فيه فهو السيف ولا سيف بعده . .

* المغامر الكبير سباح بحره الدنيا يعيش في الموجة ومن أجلها .

* ليس لك أن تستصغر الطير والحيوان مادمت تصف الإنسان بالأسد إذا بلغ أقصى شجاعة وبالعقاب إذا بلغ رأس القمة .

* في الدماغ سراديب يكمن فيها الخبث والدهاء والحيلة ، وقمم شاهقة يتسلسل فيها المجد والشمم ، ومنبسطات تعدو فيها جياد الإرادة ، ورواكين تقذف بالشهوات والأهواء ، وآفاق تحلق فيها نسور الخيال ، وعروش من ذهب يتربع عليها العقل ذو السلطان والصولجان ، وجنات تجري من تحتها الأنهار ينشد على ضفافها الإحساس أنغامه الشجية ...

* الموت عظمة في حلق الأمل وشبح يقهقه في رحم المرأة ..

راجي الراعي

مسرحية «سليمان الحكيم»

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

— ٢ —

بعد الألاعيب والمفاجآت التي تكلمنا عنها في المقال السابق يرجع سليمان فجأة عن فكرته في استمالة قلب بلقيس إليه بعد أن أمعن في تعذيبها والسخرية منها حتى في أشد ساعات محنتها؛ فيتوب إلى الله ويخلو إلى تأنيب ضميره اللاذع وجحيم شعوره بسقطته، كما تعدل بلقيس عن « البصبصة » لمنذر وتبارك زواجه من شهباء حبيبته، ثم تغفر لسليمان زلته وتبالغ في الغفران، وتعزيه في محنته حتى لكأنها تهنئه على أن هيأت له « الأقدار » هذه الفرصة السعيدة لتطهره من الأدران. أو ليست هي التي تجيبه وهو يأسى على ما وقع منه: « من هذه الأخطاء تبرز أحياناً بصائرنا متفتحة ... كما تتفتح الأزهار النابتة في الأوحال ».!

وهكذا يستقر كل أمر في نصابه: فقد أرغمت القوة الخفية سليمان إرغاماً على حب بلقيس، وأرغمت بلقيس إرغاماً على ألا تبادل سليمان حباً بحب، وكذلك الحال بالنسبة لبلقيس ومنذر سواء بسواء. ومن ذلك يعرف العاشقان غير المشوقين « إن الحب قدر صارم يضرب ضربته حيث يريد هو لا حيث نريد نحن ». فتهدأ نفساهما، ويندمان على أن لم يعرفاه منذ البداية، ويباركان السماء أن جعلت الأشياء على ما هي عليه، « إذ لا ينبغي أن نكره هذا كثيراً ... يجب أن تكون فينا زهرة لم ترو، وجوع لم يشبع، ورغبة لم تنل، وصيحة لم تسمع ... بهذا نستطيع أن نكون جديرين حقاً بالحكمة والتمييز، خليقين بفهم القلب الإنساني ومخاطبته، قادرين على أن نحمل إليه العزاء ورسالات السماء. » والغريب بعد هذا الكشف العجيب، كشف أن كل ما كان قد كان لغاية، بل لخير الغايات على حد تعبير فلتير متهكماً على لسان بنجلس Pangloss (وإن كان ذلك قول يتنافى مع فكرة الأستاذ الحكيم الأساسية) نقول الغريب بعد هذا أن يستمر سليمان في حزنه وندمه حتى يقضي الحزن والندم على حياته. ولكن لعل ذلك من فعل « القوة الخفية » لغاية في نفسها أيضاً.

هذه هي الفكرة التي هدف المؤلف إلى إبرازها في كتابه، وتلك طريقة عرضها. وقد رأينا أنها لا ترفع من قدر الإنسان، وأن عرض الكاتب لها لا يرفع من قدرها في حد ذاتها، بل يبرزها مشحونة بالتناقض وبالتافه وما لا يفهم. وإلا فكيف نلمس في حب سليمان لبلقيس وإعراض بلقيس عن مبادلته حباً بحب أثراً لقوة خفية دفعتهما إليه؟ ألا يكون أقرب إلى المنطق أن نرى في رفض بلقيس أن « تنزل » عن حبها لمنذر « لتبيعه » إلى سليمان أثراً لفرديتها المستقلة عن فردية سليمان، وبرهاناً على حريتها التي هي غير حرية سليمان؟ عندئذ تصير المسألة صراعاً بين حرية وحرية، بين ميول وعواطف وظروف من جهة وميول وعواطف وظروف من جهة أخرى، بين نفس تعيش في زمان ومكان معينين ونفس أخرى تعيش في زمان ومكان معينين أيضاً. اللهم إلا إذا كان الأستاذ يشترط في حرية الإنسان ليعترف بها أن تكون شيئاً منفصلا عن مقومات شخصيته كل الانفصال، شيئاً يدير الإنسان من خارجه على نحو ما رأى في القوة الخفية. أو إذا كان يرى أن الحرية في الحب، بل وفي غير الحب، يجب أن يتمتع بها طرف دون الآخر. فما دام سليمان قد أحب بلقيس فما عليها إلا أن تتبعه كالمجماء يلوح لها بحزمة البرسيم، بل كالحجر يلقى به من حالق دون حرية ودون شعور. وما دامت بلقيس قد أحبت منذراً فما على منذر إلا أن يلغي حريته وكل ما يكون شخصه المعنوي ليبادل بلقيس حباً بحب وهياماً بهيام. إن كان ذلك ما يريد الأستاذ الحكيم، فإنه يحمل الحرية ما لا تطيق ويعرفها تعريفاً لم يعرفه لها أحد من قبله، فتمنى لبني الإنسان أو لبعض بني الإنسان حرية الآلهة لا حرية البشر ليخرج بهم من حدود البشرية إلى ملكوت الألوهية. وإلا لم يعترف بأن لبني الإنسان حرية. تذكرني هذه النظرة في فهم الحرية بفكرة ساذجة عن الحرية أيضاً يلقنها سارتر Sartre لإحدى أبطاله لينقضها ويسخر منها. وكانت هذه الفتاة قد تآمرت مع أخيها على قتل أمها لسبب ما، فقتلاها. ولكن الفتاة بعد الحادث وقعت فريسة للندم، وصمد الفتى للضربة لأنه فعلها بحريته، فيقول لأخته لينتشلها من براثن الندم: « أنا حر يا إلكترا.

لقد انقضت على الحرية انقضاض الصاعقة ». وتجيبه الفتاة : حر؟ أما أنا فلست أشعر بأنى حرة . أتستطيع أن تعيد ما كان وكأنه لم يكن ؟ لقد وقع منا ما وقع ولسنا أحراراً فى أن نوجهه إلى ما كان قبل أن يقع . أتستطيع أن تمنعنا من أن نكون قاتلى أمنا إلى الأبد؟ فيرد عليها أورست قائلا : «أو تظنين أنى أريد منعه؟ إنه فعلى أنا ، وسأحمله على كتفى إلى الأبد » . أجل إن حرية الإنسان محدودة بحد الإنسان ، حرية غير تجريدية ، بل متصلة بتفكيره وعواطفه وشهواته وكل ما هو من شخصه ، ولكنها الحرية على كل حال . ولا يجوز فى حكم العقل أن يدفعنا ما لها من صفة نسبية ، من صفة الإنسانية إلى إنكار وجودها كما فعل مؤلفنا الكريم .

ربما رأى القارئ أننا أسرفنا بعض الشيء فى عرض فكرة الأستاذ الحكيم وشرحها ونقدها . ولكننا إن فعلنا ذلك فلأننا نعتقد أن الفكرة فى العمل الأدبى يجب أن تحتل المكان الأول لأن الكاتب إذ يكتب ، لأن الكاتب إذا راح يجمع الكلمات فى جمل يتوخى أن تكون واضحة مفهومة فلا بد أن أمراً غريباً عن مجرد الكتابة لذات الكتابة قد ساقه إليها ، ذلك هو عزمه على أن يبلغ النتائج التى وصل إليها بذهنه إلى الآخرين . فإذا فعل ذلك دون أن يكون لديه شيء يقوله فقد فعل ما فعل فى الفراغ . وأظن ذلك مما يجب أن تتنزه عنه أعمال العقلاء . وقد قلنا فى مقال سابق إن إقصاء التفكير عن المسرح إفراغ له من مادته الأساسية وإزال لقدره وحط من كرامته . كما نرى أنه من أجل أعمال الناقد أن يتتبع فى العمل الأدبى نظرة الكاتب إلى العالم والحياة والناس ، سواء أ كانت هذه النظرة شعورية أو غير شعورية ، ويحررها وينقدها ويقومها . لأنه إذا كان من أهم وظائف الأدب ، كما يقول أندريه جيد . أن يضيف إلى المعرفة الإنسانية أرضين جديدة (فى الميادين النفسية مثلا) ، أرضين يتعسر الوصول إليها بطرائق أخرى غير طرائق الأدب فإن من وظيفة النقد أن يقوم هذه الأرضين ليجعلها صالحة للاستغلال ، ويسهل للانسان السيادة عليها . وفى اعتبارنا أن الأستاذ توفيق الحكيم جدير بهذا النقد الجدى ، جدير به وإن لم نرض عن أفكاره فى رواية سليمان الحكيم التى ندرسها هذا العام مع طلبة الفلسفة بكلية الآداب . هذا إلى أن هذه الفكرة كان لها أثرها الفعال على فن الرواية نفسه كما سنبين قيما بعد . أما الآن فنود أن نشير إشارة عاجلة إلى الباعث الذى يجنح بالمؤلف إلى اختيار مثل هذه المواضيع مادة لمسرحه ، وأن ندلى بوجهة نظرنا فيه .

يرى الأستاذ ويصرح بهذا الرأى فى مقدمة مسرحيته : « أوديب الملك » بأن الدين كان أساس التراجيديا عند الإغريق القدماء . فيقول : « أساس التراجيديا الحقيقية فى نظرى هو إحساس الإنسان أنه ليس وحده فى الكون ، وهذا ما أعبر عنه بعبارة الشعور الدينى ... مهما كان شكل التمثيلية وإطارها وأسلوبها والأثر الذى تحدثه فى النفس فإن هذا كله لا يسوغ فى رأيى وصفها بالتراجيديا ما دامت لا تقوم على هذا الشعور الدينى » . وهذا كلام لا نرتاب فى صدقه وثقاته . فموضوع التراجيديا عند إسخيل وسوفوكل مثلا مأخوذة من عبادة الشعب بطريق مباشر . وكانت تمثل أمام شعب مجتمع متجانس يرى فى آلهته الآلهة الحقيقيين ، وفى أبطاله الأبطال الحقيقيين ، وكلهم أبلوا فى حماية الوطن وإعلاء كلمته . فتعرض على الشعب أعمالهم الجليلة ومظاهر بطولتهم وكلها معروفة من الجميع ، حية فى نفوس الجميع . تعرض هذه الأفعال العالية والبطولة النادرة ، وتعرض معها جرائم الأسلاف ونكباتهم ، أولئك الأسلاف الذين يرزحون تحت سطوة القدر القاسى : فمن خرافة بروفين إله النار الذى يخدع الآلهة فتقضى عليه الآلهة بأن يظل طول الأبدية مشدوداً إلى صخرة وقد جثم عليه نسر عات ينخر كبده دون أن يخفف عنه العذاب أو يقضى عليه فيموت ، إلى الملحمة التى انتهت بهدم طرواده وما تخللها من أعمال البطولة التى تعلو على طوق الإنسان ، إلى سلسلة المآسى الفاجعة التى ترتبت ترتبا حتميا على مأدبة أترية المشؤومة حتى انتهت بمحاقة أورست المروعة ، إلى الانتصار الهلينى على العدوان الفارسى ، ذلك الانتصار الذى كانت ذكراه تلهب قلب كل يونانى بالحماس . فكلها موضوعات شعبية دينية ليس منها واحد فقط لا يمتزج امتزاجاً بروح كل فرد فى الشعب وبأخفى خفايا نفسه . وقد دعى شعراء التراجيديا للاحتفال بها أى إلى الاحتفال بروح الشعب المشترك وإيمانه المشترك فى وقار ، بل فى أسمى ما يكون الوقار . دعى الشعراء التراجيديون لتقديم أعمالهم عن هذه الموضوعات ، وكان على الشعب أن يتفانى فى تكريم من كان منهم أهلا للتكريم ، أعنى من استطاع خيراً ممن عداه أن يثير فى نفسه (نفس الشعب) الانفعال الذى كان ينتظره من بروميتى وأجاممنون وأوديب وأورست بعد أن تقمصهم أمامه أشخاص أحياء بضع ساعات من نهار .

(للبحث بقية)

محمد القصاص

دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

القيم الروحية بين العلم والمادة (*)

للأستاذ واصف البارودى

الإنسان مجموعة متناقضات ؛ لذلك تراه متناقضاً فى طبعه وفطرته . فهو صادق كاذب ، وكريم بخيل ، وشجاع جبان ... الخ ولا تجد صفة من هذه الصفات متلبسة بلباس الفضيلة والرذيلة حتى ترى إمكان تلبسها بالكساء الآخر . فالصدق أب الفضائل ، والكذب أم الرذائل ؛ ومع ذلك ألا نجد الصدق رذيلة فى النميمة ونقيصة فى الغيبة ؟ ... ثم ألا نعتبر بعض مظاهر من الكذب ، فى إصلاح ذات البين مثلا ، فضيلة ندعو إليها ؟ ... وهل فى العالم إنسان يعتبر البخل فيما تستلزمه الكرامة الإنسانية ، وفيما تقتضيه واجبات المحافظة على الوطن رذيلة ما ؟ وهل فى السماح بأرض الوطن فضيلة ترتاح لها النفوس ؟ ... مثلا . فأين الفضيلة ؟ وأين الرذيلة إذن ؟ ... أهما مستقران فى الألفاظ ؟ أم هما من المعانى المنبثقة من صميم النفس بحسب إشماع روح المجتمع فيها بأمر من الخالق المدبر ، وبحكمته ؟ ...

المطلق هو الله وحده ، وكل ما يصدر عن هذا الكون نسبى لأنه خاضع ، بحسب تكوينه ، للتطور والتحول ، بحكم مطاوعته لفعل المؤثرات فى الخارج ، وبحكم استجابته لأحكام التفاعل التكوينى المستمر فى داخله . فلا غرابة إذا تجاذبته المتناقضات ، ولا عجب إذا اشترط تحققه الإنسانى بتحقيق التوازن بين تلك المتناقضات ، وبتركيزها ! ...

لكل كائن خصائصه التى يتميز بها ، ويعرف . وخصائص الإنسان إنما تنجلى بمظاهر إنسانيته . وهذه لا تبرز إلا بتحقق الإرادة والحرية . وبقدر ما يتنازل الإنسان عن إرادته وحريته ، يتنازل ، فى الحقيقة ، عن إنسانيته . ولذلك كانت الحياة البشرية فى الأفراد والمجتمعات ، كفاحاً مستمراً بين عزة الحرية ومنعة الإرادة ، وبين ذل الجبرية واستسلامها . فالجبرية ضعف وجمود ، والحرية قوة وتجدد . وهاتان المقيدتان المتناقضتان تلخصان ، فى الحقيقة ، تاريخ البشرية منذ وجد الإنسان .

فمنذ تعرف الإنسان بهذا الكون المادى فكر بالسيطرة عليه وكان التوفيق حليفه فى جميع الأدوار . غير أن المادة لم تكن تحجم عن الانتقام منه كلما وجدت لذلك سبيلا ، ومظهر انتقامها أبرز ما يكون فى سوقه إلى جبريتها ، والجبرية هى الصفة الملازمة للمادة ، ووسيلتها فى الإنسان جسمه ، إذ الحرية صفة تلازم الأرواح ، والإرادة مظهر سام لها ؛ ولا تكاد المادة تسوق الإنسان لجبريتها حتى ينقاد لهواه ويمق إرادته . ومنشأ الهوى فؤاد هدام ، وسريرة مظلمة . وفى ظلام الفؤاد والسريرة تتناثر الفكرات السامية وتلتحق بالعدم ، فلا يكون لها أى تأثير فى توجيه الإنسان ، أو فى تحقيق إنسانيته ؛ فيعيش حيواناً يدعى أنه إنسان ناطق .

الإنسان مجموعة متناقضات ، وبقدر تقدمه فى الحضارة تزداد مظاهر التناقض فى نفسه . ولا تنجلى إنسانيته إلا فى إيجاد التوازن بين تلك المتناقضات ، وفى تركيزها ، على ما سبق وألمنا إليه . وهذه هى الحكمة التى تقضى بوضع كل شئ فى محله ؛ وبهذا تتكون حقيقة الفضائل وتتفاعل عناصرها . قال أحد الفلاسفة : « ليست الفلسفة إدراكاً وتأملا وحسب ، وإنما هى حكمة » .

المادة والعلم :

من مظاهر التناقض فى نفس الإنسان تعلقه بحقائق العلم ومستلزماته ، وحرصه على مقومات الجسم والتنعم بملذاته . فالعلم والمادة متناقضان بحسب الظاهر ، ولكنهما فى الحقيقة ، وسيلتان تصلحان لرفع مستوى الإنسان بتحقيق إنسانيته الفردية والاجتماعية ، إذا أحسن التصرف ، وعرف حدود كل منهما ، وكان لبقاً فى استخدامه . والخير ، وكل الخير ، يستقر فيهما معاً ما داما يستعملان أداة أو وسيلة ؛ ومتى أصبح أحدهما غاية للانسان فى حياته ، تبدأ الشرور .

فالمال ، مثلا ، مع فوائده الجمة يقوم عثرة فى سبيل التقدم متى حصل اضطراب فى نظام جمعه وتوزيعه ، فيصبح بعيداً عما تقتضيه الحياة الاقتصادية والحياة الإنسانية من رقى . ويكون مظهر الاضطراب المادى فى أمور ثلاثة هى :

(*) ملخص الحديث الذى ألقى فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة يوم الخميس فى ٣١ مارس سنة ١٩٤٩

١ — تعقيم المال : وهو الرغبة فى جمعه وكنزه فى الأرض ، أو فى الصناديق ، فيصبح عقيما ، إذ لا ينتج أعمالا ، ولا يساعد على تحقيق أى مشروع .

٢ — تحكم الآلة : والآلة إذا تحكمت بالإنسان تحوله لآلة . ولا نخشى هنا من أن تصبح وسيلة لكثرة العاطلين عن العمل ، وحسب ؛ وإنما نخشى أن تنقلب نفسية الإنسان وروحه لنوع من الآلية فيفقد بذلك إنسانيته . وتدارك هذا الخطر إنما يكون بالتربية وبتبديل أنظمة العمل وتثقيف العمال .

٣ — اتخاذ المادة معياراً للقيم . ومتى اتخذ المادة معياراً للقيم انجذبت إليها النفوس فتتأثر بخصائصها المميزة لها ، وأهمها الجبرية فيعتقد الإنسان بأن مساق جبر حسب النواميس التى تساق بها المادة نفسها . وهنا يمكن الخطر .

وأما العلم فإنه يظهر لأول بادرة أنه يتعلق بالنفس لتعلقه بالمعرفة . وهو من حيث الغرض متعلق بالمادة نفسه ، لأنه وسيلة التحكم بها مبدئياً . ويخشى عند ما يتعلق العلم بالمادة تعلقاً شديداً أن يكتسب منها صفة الجبرية ، فيقول بها ، كما ظهر لنا من أقوال كثير من العلماء ، ولا سيما فى عصور الانحطاط . وقد ظهرت بوادر هذه العقيدة عند الكثيرين من علماء عصرنا هذا ، فكانت دليلاً على ظهور أمارات الانحطاط فى مؤسساته العلمية والاجتماعية ، وأخذت الحضارة تنذر بالانهيار .

قال مونتانى : « من الجرأة الغريبة أن يرفع إنسان نظره أمام العلم » فأجابه هنرى ماربون مؤخراً قائلاً : إننا نحترم العلم ونخضع له ، ولكن هل يقضى علينا ذلك باحترام العلماء أصحاب النظرات التصاعدية التى تتصل بالأوهام والسخف ، وبالخضوع للعالم الذى يتخذ علمه وسيلة لاقتناص المادة والمناصب ، ولخداع الناس ؟..

أننا نعرف كثيراً من الحوادث التى اتخذ بها العلم وسيلة لتحقيق مآرب خاصة ، واقتناص فوائد مادية ، دجلاً وتزييفاً ، ومن قبل أناس مشهود لهم بالعلم والثقافة ، وكانوا ، فى الحقيقة ، على شئ من العلم والمعرفة . ولا يندر أن نجد مثقفين يقولون ما لا يفعلون ، نفاقاً ورياء ؛ فهم يتخذون المعرفة والمبادئ وسائل رخيصة فى سبيل تحقيق ما تميل إليه أهواؤهم ، وأشباع جشعهم وأطماعهم .

القيم :

العلم ، بذاته ، لا يعرف الخير ولا الشر . والمادة بذاتها ، لا تعرف الخير ولا الشر . وكل شر أو خير يتأتى عن العلم أو المادة ، إنما يكون منشأه الإنسان . فالخير والشر كامنان فى نفس الإنسان وحده ، وفى روحه ... ومن هنا نستطيع أن ندرك أهمية القيم .

يقول الشاعر :

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه ، أو أقل

وأسمح لنفسى أن أقول : قيمة الأعمال تقدر بنسبة صلتها بروح الإنسان . فالإنسان هو معيار كل شئ ، حسب تعبير بروتاغوروس لا العلم ولا المادة ، ولا العمل نفسه .

القيم الروحية :

القيم تتصل بالأعمال التى يقوم بها الإنسان . فكل عمل نقوم به ، إنما يقدر ببواعثه . فإذا كان منشأه الهوى ، أى الفؤاد المبهم المظلم ، أو بتعبير آخر : النفس الأمارة بالسوء ، فلا تكون له أية قيمة إنسانية ، لأنه فى هذه الحالة يكون فعلاً مجبراً . وليس للأعمال الإنسانية قيمة صحيحة إلا إذا صدرت عن الإرادة المتحققة فى الحرية . فصلة الأعمال والسلوك بروح الإنسان أى بإنسانيته ، هى التى تهبها قيمة ما . والروح لا تكون روحاً إلا بالإرادة والحرية ، لأن الروح ، فى حقيقتها ، حياة وحركة وتقدم وثورة..

وتقدر قيمة الأعمال بالبواعث . فإذا كانت البواعث أموراً خارجة عن الروح ، أو بتعبير آخر : إذا لم تكن منبثقة عن الفعالية الروحية ، فلا يكون للعمل قيمة روحية ، وإنما تنسب قيمته إلى الباعث الذى أدى لوجوده . فإن كان كسب المال ، مثلا ، فتكون قيمته مادية ، وإن كانت الشهرة ، فهى الزهو والغرور . فما رأيك فيمن يولم وليمة وينفق عليها بسخاء ، ويكون له من ورائها مأرب تجارى ؟ أيصح أن يدعى كريماً ؟ أعتقد أن من ينفق قرشاً على فقير بباعث الشفقة والرحمة ، هو أجدر بالاتصاف بالكرم من ذاك المستثمر . إن صفة الكرم وأمثالها لا تمنح إلا لمن يقوم بهذا العمل بباعث روحى داخلى ، لا لمآرب خارجية .

فالقيم الروحية إنما تقوم بالروح ، بصفة أنها عمل بذاتها ، وبسبب البواعث على العمل . وهذه القيم يسبقها نزوع له مبدأ ، وله غاية ، وبينهما قوة حركية يبعثهما الحدس والعاطفة . فإما أن تذهب إلى النفس الظالمة فتنقاد للهوى ، وإما أن تتصل بالفؤاد البناء فتتصل بالإرادة ، فيكون العمل إراديا حراً ، أى إنسانياً . صور أحدهم من يبذل من ماله دون أن يكون لبذله أية قيمة روحية فقال :

يعطى ويمنع ، لا بخلا ولا كرماً وإنما نزعات من وساويس

أثر الانفعال والتفكير فى القيم :

ومما يقوى هذه النزعات ، ويبعدها عن نظام القيم الروحية ، الانفعال . والانفعال نسيب الهوى . ولذا يقول علماء النفس : إن الأمم الكثيرة الانفعال قليلة الإنتاج . ألا ترانا نحن فى مؤسساتنا وفى منظماتنا ، كثيراً ما نبدأ بحماس شديد ، وننتهى إلى لا شىء ؟ ونعبر عن ذلك بقولنا : « إننا نفور فورة الحليب » . وهذا ما يتهمنا به الغربيون فيقولون عنا : إنهم يسيطر عليهم الانفعال فلا تخشوهم ؛ ولكن اصبروا عليهم بادئ الأمر ، وسرعان ما يهدأ انفعالهم ، ويسكن فى نفوسهم الحماس .

إننا نحترم الأمم التى تعتمد على التفكير فى سلوكها ، فلم لا نجعل التفكير والتؤدة من مبادئ سلوكنا ، أى من القيم الروحية التى يجب أن تصدر عنها انفعالاتنا النفسية ؟ وهل شيد أسلافنا صروح الحضارة إلا بهذا التفكير ؟ ...

المثلث الخالد :

تتجمع هذه القيم الروحية فى الثالث الخالد ، وهو الحقيقة والجمال والخير . فالحقيقة توافق داخلى بين فعالية الروح وموضوعها . والإنسان بحاجة لمعرفة الحقائق ليحيى إنساناً . ولا يمكن الحصول على الحقيقة إلا إذا تجردنا عن مصالحنا وأهوائنا .

فللحقيقة قواعدها الخاصة ، وهى موجودة فى الكون ، ولكنها موجودة بالقوة ، والإنسان هو الذى يخرجها لحيز الفعل ، فتصبح به كائنة بالفعل . والإنسان الذى أنيط به إخراجها لحيز الفعل يستطيع تزييف هذه الحقائق وقلبها ، ومن هنا يصدر إمكان الدجل والتزوير ، من العلماء أنفسهم .

والفرق بين الحقيقة المجردة والحقيقة المزيفة أن الإنسان يصل للأولى بقدر ما يترك نفسه على سجيتها ، ومتى أراد التزييف بذل جهداً خاصاً . ولذلك تقع التبعة فى تزييف الحقائق على الإنسان وحده ، لأنه يقوم به بمحض إرادته . ولعمرى أنها جريمة من أفظع الجرائم ، سواء أخدع الإنسان بذلك نفسه ، أم خدع الآخرين .

أما الجمال فهو ما يثير فى النفس الانبساط والإعجاب معا . وأقصد بالانبساط معناه اللغوى ، أى امتداد النفس واتساعها ، فيشعر الإنسان أمام أى مظهر من مظاهر الجمال بامتداد فى روحه يجعله يحاول أن يتجاوز نفسه فى السمو .

تصور نفسك أمام أثر فنى رائع ، وأثر معمارى خالد ، أو أنك تقرأ قطعة أدبية فنية ، أو تستمع إلى سيمفونية راقية ، أو أنك أمام غير ذلك من آثار الفنون الجميلة ، فتشعر بذلك التأثير ، إذا كان فى روحك انطلاق . وما ذلك إلا لأن الجمال ، فى حقيقته ، حر مجرد ؛ والتأثر به إنما يكون نتيجة لفعالية روحية حرة مجردة . فمتى اتصل هذا الإحساس بمأرب أو غرض ذهبت روعة الجمال ، وضاعت على الإنسان مسرات سحرة ، فيصبح حيواناً مخربا ، يفسد على الجمال روعته . أو يخسر الجمال قيمته الروحية .

تذوق الجمال استجابة لفيض من القوة الروحية وفعاليتها ، يبذلها الإنسان للبذل . كلنا يشعر ، لاسيما فى أوقات فراغه ، بفيض من الفعالية يحتار فى أمر استخدامها ؛ فإذا لم يجد مخرجاً ألقت بالإنسان فى نياهب الذهول ، فيصبح أسير الأحلام النهارية ، ويتأثر بالمنامات . وهذه حالة كثيراً ما تؤدى إلى الضعف والفساد . إن قوى الإنسان بحاجة لأن تتمرن للتمرن ، فلا تكتفى بالعمل المادى ؛ فوجب أن تصرف فى الألعاب ورياضة الجسد ، وفى تذوق الجمال فى مظاهره المختلفة من أدب وموسيقى وتصوير وغيرها من آثار الفنون الجميلة .

فإذا اهتمت الأمم الراقية بهذه الفنون والرياضة البدنية ، فإنما تمنى بذلك لتحتفظ فى الشباب قوامه الروحية ، ولتنمى هذه القوى ، خشية من تحولها لفساد ، أو ذهول ، تضعف معها إنسانية الإنسان وقد تتلاشى . فلا غرابة إذا رأينا المربين يؤيدون مبدأ إصلاح المجتمع بالفنون الجميلة وبتشجيعها .

إن الفنان الجدير بفنه يتحكم بالزمن تحكما لا يستطيعه غيره . يستطيع كل إنسان أن يعود إلى أي مكان سبق ومر به ؛ ولكنه لا يستطيع أن يستعيد لنا لحظة مرت سوى الفنان من بنى الإنسان. والفنان يستطيع ، عـدا ذلك ، أن يستبق تلك اللحظة ، وأن يخلدها . فإنه يأخذ من أى مظهر من مظاهر الجمال ، وقد تجلى فى زمن من الأزمان ، عناصر هامة يركب منها رائعته التى تحفظ لك ذلك التجلى وزمنه ، ويجعل باستطاعتك العودة إليه متى أردت. فـكأنه يحرر هذه العناصر من جبرية المادة ونواميسها ، ويمنحها كياناً جديداً يصله بروحك . وهذا ما يضمن للأثر الفنى الخلود . إنه قد عبر عن نفسية الفنان ، وانبثق عن روحه ، فكانت له قيمته الروحية . ولهذا جعل الفلاسفة الجمال مبدأ للخير .

والخير هو حصول الشىء على كماله ، أو ، حسب تعريف بعض المعاصرين ، ما يجب اختياره .

فالحرية والإرادة شرطان أساسيان فى تحقيق وجوده ولا يستطيع الإنسان أن يكون حراً فى اختيار ما يجب اختياره إلا إذا كان مثقفاً لحد ما .

ومن هنا نشأت فـكرة وجوب العناية بتثقيف الجماهير فى الأمم الديمقراطية الحرة ، إذ مهما كان العمل عظيما ، فلا يعتبر فضيلة ، إن لم يقترن بالفهم والتفـكير ، أى بالروح العلمية .

فهذه القيم : الحقيقة والجمال والخـير ، مهما افترقت فى مفاهيمها ، فإنه بجميعها أنها تشترك كلها فى تـكوين المثل العليا الصحيحة . ولا تـكون المثل العليا صحيحة إلا إذا دخلت فى دائرة التأمل والإرادة ، وكانت ثورية فى طبيعتها .

قال بيجوى : « ... وهكذا ، فإن أول شـكل للمثل الأعلى فى التاريخ ، وأول شـكل يكشفه ، هو النقد والمناظرة ، وإنه لدرجة ما ، ثورى دائماً » . ولعله يقصد بالثورة ، هنا ، ثورة النفس على النفس ، ليتم الانقلاب فيها أولا ، قبل أن تفـكر فى قلب المجتمع : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (قرآن كريم)

إننا ندعو للقيم الروحية لتستقر مشاريعنا ، ولتستمر ؛ لأن المشاريع التى تتعلق بالفرد تزول بزواله ، أو بزوال نشاطه . قال ويلز: « إذا أردت أن تبعث شعباً من الشعوب من غفوته ، فحسبك أن تبعث فى حياته روحاً علمية فى التفـكير ، وشعوراً لطيفاً فى النفس يتفجر عنه الحب والعواطف » .

ومن هنا يجب أن يندفع الإنسان إلى العمل . فلا بد فى الحصول على مسرات القيم الروحية ومباهجها وفى بلوغ نتائج تأثيراتها الرائعة فى توجيه الأمم وإنهاضها وعظمتها ؛ لا بد فى ذلك كله من أن يبدأ المواطنون بثورة النفس على النفس ؛ ولا يتسنى لأى إنسان القيام بهذه الثورة إلا بعد تحطيم الأصنام المتربعة على عرش قلبه ، قبل كل شىء .

لا يمكن معرفة الحقيقة الناصعة ، وتذوق الجمـال الرائع ، والانجذاب إلى عمل الخير النافع ، ولا يستطيع الإنسان اعتناق المثل العليا ، وهى وحدها تبعث الاطمئنان فى النفوس ، إلا بمواجهة الواقع . ومواجهة الواقع بصدق وإخلاص ودراية يقضى حتما بتحطيم ما فى النفس من أصنام تدفعها لطرق ملتوية لا تستقيم معها النفوس . والأصنام كثيرة : منها ما هو مادى خارجى يؤثر فى النفوس ، كالمظاهر المادية ووسائل الترف ؛ ومنها ما هو نفسى داخلى يتأكل فى النفس إنسانية الإنسان . وكل امرىء يعرف أصنامه ، وما دام عابداً لها فليس له أن ينتظر رقيا ولا تقدما فى نفسه ، بله فى مجموع يعتمد عليه .

قال بارودى : « نخشى من جمود المؤسسات والأخلاق والعقائد ، لئلا تتحول لآلية نفسية أو اجتماعية ، تصبح معها عائقاً عن التقدم » .

فلا يكفى إذن أن نتبنى القيم الروحية ، بل يجب أن تتجدد حيويتها فى نفوسنا بقوة فعاليتنا الروحية ، ولا يتم ذلك على أكمله ويبعده عن التزوير والدجل والتزييف ، إلا إذا اتصلت بالمثل الأعلى الأعظم ، وهو جماع القيم الروحية فى سموها ، أى الحقيقة المطلقة ، والجمال الأسمى ، والخير الأعظم ، وهو الله ..

فمتى اتصلت قيمنا الروحية بالله ، تصبح روحانية ، فتتوازن وتتركز وتتوحد ، وتـكون منشأ الوحدة بين البشر ، إذ لا يجوز أن يكون اسمه ، جل شأنه ، وسيلة تفرقه بين المواطنين والشعوب والأمم .

واصف البارودى

صور من الحياة :

ســــعادة البك ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

ما لهذه الحياة تمزج الجد بالهزل ، وتخلط الحق بالباطل ، وتجمع بين الشدة واللين ، وتوائم بين الصعب والسهل ؟ لعلها تبتغي أن تنفث في الناس الأمل فلا يعتريهم الملل ، وتبعث فيهم المرح فلا يضنيهم الأسى ، وترسل فيهم الرجاء فلا يقتلهم اليأس !

***

سعادة البك رجل نيف على الأربعين ، نال حظاً ضئيلاً من الثقافة العربية والفرنسية ، درج في بيت من بيوت المجد والغنى والجاه ، وكان أبوه الباشا يعتز به ويدلله ويقربه إلى نفسه وقلبه في وقت معاً ، فشب يرفل في الثراء والنعمة ، ويتألق في الصحة والعافية ، ويتقلب في السكينة والهدوء . يأوى إلى المسكن الرحب الأنيق ، ويسعد بالثوب الغالي الجميل ، ويسكن إلى الطعام الشهي اللذيذ . يقضي أيامه بين القاهرة والعزبة ، يأخذ من هناك لينفق هنا عن سعة ، ويستمتع في الريف بالهدوء الوادع والجو الرخو ، والهواء النقي ، والخضرة النضيرة ، ويستمتع في القاهرة بالصخب المثير ، والحركة المستمرة ، واللهو البرئ . وهو إن وجد في العزبة ما يشغل بعض وقته فهو في القاهرة لا يجد إلا صراعاً عنيفاً بينه وبين الزمن : يريد أن يقتل الوقت فيقتله هو ، ويحاول أن يلمس فيه الراحة والطمأنينة ، فلا يحس إلا الضيق والضجر . والأيام تمر وهو يقضي صدر النهار قلقاً مفزعاً لا يجد الصاحب ولا الرفيق ، والناس في شغل عنه . وهو في آخر النهار يتذبذب بين شرفتي الكونتيننتال وشبرد ، يضطرب من نضد إلى نضد ، ومن جماعة إلى جماعة ، وصحابه جميعاً من ذوي المكانة والشأن ، ومن أصحاب الرأي والكلمة ، يجلس إليهم في الشرفة ويزورهم في المنزل ، ويرافقهم في اللهو ، ثم هو يهيء لهم المآدب الفخمة ، والسهرات الماتعة ، يدعوهم إلى الملهى والمسرح فلا يتمنعون . وهم لا يملون صحبته ، ولا يمل هو ، فهو خفيف الظل لطيف المعشر ، طيب القلب ، حلو الحديث ، بارع النكتة ، حاضر البديهة ، لا يثقل على واحد منهم بحاجاته ، لأنه في غنى ، وهو لا يشغل نفسه بحاجات غيره .

عرفته منذ شهور ، وقد ران عليه القلق من أثر الفراغ ، وسيطر عليه الاضطراب من أثر الخمول . ولقد اطمأن إليَّ فراح ينشر أمامي نوازع نفسه وخطرات ضميره : فهو يطمع في أن يلي منصباً عالياً من مناصب الدولة ، ولكن أنى له الشجاعة التي تدفعه إلى أن يتحدث بذات نفسه إلى واحد من صحابه ، وهو في نفسه عظيم بين عظماء ، لا يسمو عليه الوزير ، ولا يبذه الباشا ، ولا يعلو عليه المدير . لا ريب فإن طلبه سيضع من قيمته في نظرهم جميعاً ، ولكنه سيجد الخلاص . وشمله مركب العظمة فهو لا يتكلم إلا عن عظمته هو ، وعن مواهبه وعبقريته ونبوغه .

وفي ذات يوم قال لي : « أرأيت ؟ لقد وُلي فلان باشا وزيراً لوزارة كذا ، ولولا أنه صديق لنازعته المنصب ، ولو أنني فعلت لظفرت به ولغلبته على أمره » وابتسمت لكلماته الجبارة حين رأيت مركب العظمة يتوثب شامخاً في غير تواضع مترفعاً في غير تحرج ، ثم قلت « وأنت لو شئت لاختارك معالي الباشا ، وهو صديقك ، وكيلا لوزارته » قال لي «حقاً ، حقاً ! غداً أذهب إليه لأهنئه ولأطلب إليه ما أريد في شجاعة وتثبت » .

وغدوت إلى مدير مكتب معالي الوزير ، وإن بيني وبينه صلات العمل وأواصر الصداقة ، فألفيت صاحبنا البك جالساً على كرسي وثير وعليه سيما العظمة والكبرياء ، وبين يديه ورقة وبين أنامله قلم ، فحييته في احترام وجلست إلى جانبه أحدثه « ماذا تفعل يا سيدي البك » قال « لقد أردت أن أقابل معالي الوزير فلم أجده فأنا أكتب إليه خطاباً أهنئه بالمنصب الجديد ، وأطلب إليه ما أريد » قلت « وماذا تريد ؟ » قال « أريد أن أكون عضواً في مجلس الشيوخ في المكان الذي خلا بوفاة فلان باشا » قلت :

وماذا عسى أن يملك الوزير من هذا الأمر ، وهو بين يدى مولانا الملك » قال « لا عجب أن تقول هذا القول وأنت موظف صغير لا تفهم عن المناصب الكبيرة شيئاً . ألا تعلم أن معالى الوزير إن شاء حدّث دولة الرئيس فى شأنى حديثاً طيباً ، فما يحجم دولة الرئيس عن أن يزكينى لدى مولانا الملك » قلت « عجباً ! كيف فاتنى هذا الرأى ! »

ثم انطوى البك على قلمه وقرطاسه ، وفرغت أنا إلى مدير المكتب ، فقال لى « أو تعرف شيئاً عن هذا الأفندى ؟ » قلت عابثاً « لا تقل هذا ! إنه رجل من ذوى المكانة والخطر ، وهو صديق روحى لصاحب المعالى الوزير ، لا يوصد فى وجهه باباً ، ولا يرد له شفاعة » قال « ولكنه يجهل التقاليد الحكومية » قلت « وله ؟ » قال « لقد طلب إلىّ أن يلتقى الوزير ليهنئه ، وليطلب إليه أن يعينه عضواً فى مجلس الشيوخ ، وهذا أمر لا يد للوزير فيه » قلت « الآن ترى ! »

وناديت سعادة البك ليشاطرنا الحديث فجاء فقلت له : « وإذا قال لك الوزير إننى لا أملك أمر تعيينك عضواً فى مجلس الشيوخ ، ولا أستطيع أن أحدث دولة الرئيس بذلك ، لأنك لم تكن يوماً سياسياً من ذوى الرأى والمبدأ والعقيدة ، ولم تكن عضواً فى حزبه »

قال : « آه ، نعم . لقد فاتنى هذا الرأى ، ولكن إذن أطلب إليه أن أكون مديراً عاماً لإدارة كذا » .

قلت : « وأنت رجل لا عهد لك بما تتطلبه هذه الإدارة من أعباء ، وهى إدارة فنية ، ثم إن هذه وظيفة تحط من قدر رجل عظيم مثلك » .

قال : « فما ذا أفعل ؟ »

قلت : « إذن لا معدى لك عن أمر واحد ، هو أن تكون مديراً لمكتب معالى الوزير » .

قال فى غضب : « أى خساسة وأى ضعة ! لقد جئت أرجو الرجل — وهو لا يعرفنى — فتلقانى فى بشر واحترام ، أفأسعى — بعد ذلك — لأنتزع كرسيه ؟ لا ، لا . لن يكون ذلك أبداً ! »

قلت : « هذا مكانك أنت ، فستلتقى هنا عظماء الدولة يرجون رضاك ، ويتملقون كبرياءك ، وينحنون لك ، وستكون أنت — إلى ذلك — صاحب الرأى لدى معالى الوزير ، وكاتم سره ، ورفيق نفسه » .

قال : « لا ، لا . لن يكون ذلك أبداً ! »

قلت : « وماذا عليك والمدير نفسه راض ، لا يجد غضاضة فى أن ينزل لك عن كرسيه ؟ »

قال : « أفيرضى هو ؟ فلنسأله ... »

وبدا للمدير ما أحاول من عبث ومزاح ، وراقه ما أفعل ، فأراد أن يسرى عن نفسه بعض عنت العمل ، فقال فى مكر : « نعم ، أنا راض على شريطة واحدة » .

فأجابه البك فى لهفة : « وما هى ؟ »

قال المدير : « أن تسعى لدى معالى الباشا لأكون مديراً للادارة التى ذكرت » .

قال : « لا بأس ، فهذا أمر سهل بسيط » .

ثم خلا البك إلى قلمه يديره على القرطاس مرات ومرات فلا يهتدى . وأعجزه أن يكتب كلمة واحدة فنادانى كى أعينه على أمره وقد حزبه ، قال « تعال ، يا أستاذ ، أرنى كيف تكتب طلباً أقدمه إلى معالى الوزير . فأنت — كما تزعم — أديب كبير » قلت « وما للأدب وللطلبات الحكومية . إن الأديب يكتب على نسق خاص لا تستسيغه الأوراق الحكومية وهى لا تنضم — عادة — إلا على ألوان من التملق وأساليب من الخضوع وفنون من الذلة وأنواع من المسكنة ، وأنا لا أحسن شيئاً منها » قال فى غضب ومن ذا الذى يحسنها غيرك أيها الموظف ؟ » قلت فى ابتسام « مدير المكتب يمليك عليك فهو يختار — دائماً — من الكلام ما يرضى الوزير ويتملقه » قال وهو يلتفت إلى المدير « نعم ، أفتسمح يا سيدى المدير فتملى » .

ورأى المدير أن المزاح يوشك أن ينقلب جداً ، فاضطرب فى كرسيه حين تراءى له ما سيكون بعد ، فأعرض عن البك ومال إلى يسر فى أذنى « أرأيت كيف جرنا المزاح إلى الهاوية ؟ » قلت « أى هاوية ؟ » قال « هذا الرجل صديق الوزير ، ما فى

ذلك من شك ، وهو سيصر على أمر وسيحدث به الباشا ، فما ذا ترى سيقول حين يعلم ما كان منى وما كان من هذا الرجل . لا ريب أنه سيثور على ويقذف بى إلى أقصى الأرض رغم ما تعرفه من ثقته بى وحرصه على » قلت « لا تخف ! » ثم التفت إلى سعادة البك أحدثه قائلا « أنطلب إلى الوزير أن تكون مديراً لمكتبه ؟ كيف ترضى أن تكون خادما له تحمل حقائبه وتتبعه كما يتبع الكلب الأمين سيده ، وتنمحى أنت بين مشاغله ورغباته ؟ » فثار حيناً ثم قال « ومن قال ذلك ؟ » قلت « هذا هو عمل مدير المكتب » قال « لا ، لست أرضى بأن أكون تبعاً لأحد ، يكفيني أن أعين عضواً فى مجلس الشيوخ » قلت « حسناً ، هذا مركز ذو شرف وجاه » .

وأخذ مدير المكتب يملى والرجل يكتب إلى الوزير رجاء أن يعينه عضواً فى مجلس الشيوخ ، وتنفس المدير واطمأن وهدأت وساوسه . ورضى سعادة البك . ثم التفت البك إلى مدير المكتب قائلا « مُرْ من يكتب هذا الطلب على الآلة الكاتبة ، وسأحضر غداً لأقدمه بنفسى إلى معالى الوزير » وأجاب المدير بالإيجاب . ولكن الشواغل شغلته عن أن يفعل .

وجاء البك فى الميعاد فألقى طلبه ملقى فى ناحية . وبداله أن مدير مكتب الوزير قد أهمل شأنه فثار به . وعلى حين غفلة منه اندفع صوب باب الوزير يقتحمه ليشكو هذا الموظف المهمل ، فما انتبه المدير إلا ليرى البك أمام الوزير وجهاً لوجه ، والوزير يهش له ويبسم ويلقاه فى سرور . وعجب المدير لما يرى ولكن الوزير أمره بأن لا يوصد بابه فى وجه سعادة البك لأنه صديق روحه ورفيق قلبه .

لقد دخل البك الثرى حجرة الوزير لم يقف ببابه لحظة واحدة ... دخل وخلف من ورائه موكباً لجباً يقف لدى الباب ، تنطوى الأيام وأن الواحد منهم ليخشى أن يحين حينه قبل أن يلقى معالى الوزير ...

كامل محمود حبيب

موكب الربيع ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

النغم النشوان

يا حبيبى ، ظمئت روحى وأضناها الحنين
أنا هيمان وشكى فيك يا حلو يقين
رقد الليل فما تفضح نجوانا العيون
قم نلَبِّ دعوة الحب فدنيانا الفتون
زورق الحب على الشط كقلبى المطمئن
قم فهذى ليلة الحب وهيا لنغنى

* * *

أقبلت أطياف آذار تحيينا ابتساما
جددت للقلب أفراحاً وللروح هياما
فأقيموا للربيع السمح عيداً يا ندامى
عمت الفرحة وادينا أنسلوها نياما
يا هنائى آه لو كنت على الأحزان عونى
أتمناك على البعد وهل يجدى التمنى ؟

* * *

يا لياليها بوادى السحر عودى يا ليالى
لم أزل نشوان أستلهم أقباس الجمال
فالدجى غاف وبدرى والأمانىُّ حيالى
الهوى يوحى إلى نفسى تهاويل الخيال
أين يا ليل ندامای وأكوابى ودنى ؟
أترى يرجعها الليل فأسقى وأغنى

* * *

الضحى النشوان يغوينى وسحر الصبح يغرى
فأغنى وأغانى مع الأنسام تسرى
الهوى يحويه لحنى والشذا يطويه شعرى
فأنا زنبقة سح عليها صوب عطر
قل لمن ينكر شدوى أين من سمعك لحنى
لو تفهمت أناشيدى لما أنكرت فنى

(بغداد) **عبد القادر رشيد الناصرى**

من أدبنا المجهول :

المنصف

لابن وكيع المصري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ

للأستاذ السيد أحمد صقر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

أو لم يسمع النافون عنه أخذ الكلام من النثر والنظام قول الفرزدق : نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ؟ أو ما سمعوا قول الحكماء : من العبارة حسن الاستعارة ؟ وما شيء بأعجب من وقوع جملة الشعراء في أمر يشترك فيه قديمهم ومحدثهم من استعارة الألفاظ والمعاني على مر الزمان بتحكيك الفحول منهم الشعر وتنقيتهم إياه ، حتى إنهم كانوا يسمون قصائدهم الحوليات ، لأنهم كانوا يعيدون فيها النظر حولا حولا قبل ظهورها ، فلم يعصمهم طول النظر وكد الخواطر والفكر من أن يلم بعضهم بكلام بعض . ثم لا يرضى مقرظ أبي الطيب حتى يدعى له السلامة الكاملة من عيب لم يتكامل في أحد قط تكامله فيه . وأنى له بالسلامة من ذلك وقد جاء على ساقة أهل الشعر بعد استيلاء الناس على حلو الكلام ومره ، ونفعه وضره ، وهذا الظلم الواضح والأفك الفاضح .

وسأدل أولا على استعمال القدماء والمحدثين أخذ المعاني والألفاظ ، ثم أعود إلى تنخل شعر أبي الطيب ومعانيه ، وإثبات ما أجده فيه من مسروقات قوافيه التي لا يمكن فيها اتفاق الخواطر ، ولا تساوي الضمائر ، لأن ذلك يسوغ في النذر القليل ، ويمتنع في التواتر الكثير . وسأنصفه في كل ذلك ، فما استحقه على قائله سلمته إليه ، وما قصر فيه لم أدع التنبيه عليه ، لئلا يظن بنا الناظر في كتابنا خوراً في قصد ، أو تقصيراً في نقد . وذلك يلزمنا إلحاق ما فيه عيب غير السرقة بالمسروق ، خوفاً من أن يقول قائل قد تجاوز عن أشياء من الفثاثات واللحون والمحالات كانت أولى من الذكر للسارقات . هذا إن لم يعبر عنا بالغفلة عنها إلا لتجاوز لها . وينبغي إذا عملنا على تسليم ما له من السرقات إليه ، ورد المقصر منها عليه ، أن أثبت لك وجوه السرقات ، محمودها ومذمومها ، وصحيحها وسقيمها ، وأعرفك ما يوجب للسارق الفضيلة ، وما يلحقه الرذيلة ، ليكون ما نورده له وعليه مقيساً على أس قد أحكمناه ، ونهج قد أوضحناه ، وما غرضنا في ذلك الطعن على فاضل ، ولا التعصب لقائل ، وإنما غرضنا إفادتك ما استدعيناه ، وكفايتك الفحص عما استكفيناه ، لتظهر على خصمك ، وتزداد قوة في علمك ، وبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

هذه هي المقدمة الرائعة التي قدم بها ابن وكيع المصري بين يدي كتابه ، وفيها كل الغناء لمعرفة قيمة الكاتب والكتاب . وقد تحدث ابن وكيع بعد ذلك عن السرقات ووجوهها المشرة المحمودة ، ومثيلاتها المذمومة حديثاً ممعجباً مطرباً مركزاً شاملا ، ثم قال : « وقد عرفتك الآن وجوه السرقات محمودها ومذمومها لتسلم من الحيف عليه ، وتقفى في الحقائق بما له وعليه مما أوجبه حكم السرقة من الإنصاف ، ولقبنا كتابنا « المنصف » لما قصدنا من إنصاف السارق والمسروق منه » .

وعقد بعد ذلك فصلا ضافياً عن أنواع البديع أو وجوهه ، كما يعبر ، ثم عقب عليه بقوله : « وقد قدمت لك من هذه الأقسام ما تقوى به معرفتك بنقد الشعر فائقه ومقصره ، وأطلعتك على سرائر رذله ومتخيره ، لتفاضل بين الشعراء بأصل ، وتنطق بمدل » . ثم شرع في مقصوده الأصيل ، وهو بيان سرقات المتنبي . وقد نهج في تبيانها منهجاً ممتازاً ، ذلك أنه تتبع شعر المتنبي تتبعاً تاريخياً ، وسايره بالنقد من أبياته الأولى إلى آخر قصيدة قالها ...

وقد خلا كتاب المنصف من ذلك الثقل البغيض الذي يشيع الملل في نفس القارئ ، والذي تحسه واضحاً قوياً في كتاب الوساطة . وما كان خلوه من ذلك الثقل مصادفة ولا عفواً ، وإنما كان أمراً قصد إليه المؤلف قصداً ، واحتال للخلاص منه احتيالا بإيراد الأخبار النادرة ، والمعاني الباهرة ، كاملة غير مُخدَّجة كلما اقتضى المقام إيرادها ، واستدعت المناسبة القوية ذكرها .

وقد نبه على صنيعه هذا في مواطن كثيرة يقول في أحدها :

« وإنما قصدناه قصداً ، وأتيناه عمداً ، لأن موضوع الكتاب الفائدة للقارئ ، ولسنا نأمن عليه من الإكثار عاقبة الإضجار بمعنى واحد من السرقات ، فنريد أن ننقله إلى استماع شعر مطرب ، أو خبر معجب ، لنروح عن قلبه ، ونجلو صدره ، بما فى الانتقال ، من حال إلى حال ، من مداواة القلوب من الأملال » .

ومما هو جدير بالذكر أن ابن وكيع قد اعتمد على ذوقه الخاص فى نقد شعر المتنبى ، ولم يقتصر على سرد أقوال السابقين من النقاد ، كما صنع غيره من المؤلفين ، وإنما أجال نظره ، وأعمل فكره ، وأدار عقله فى شعاب شعره ، ثم عبر عن مشاعره وآرائه وأحاسيسه وأفكاره فى قوة ووضوح وثقة واعتزاز ؛ ومن هنا كانت نفاسة الكتاب ، وسمو منزلته بين كتب النقد الأدبى .

وقد حرص ابن وكيع فى كتابه على أمرين عظيمين : نقد الصورة الشعرية ومحاولة إصلاحها ، والموازنة المفصلة بين المعانى التى يتوارد عليها الشعراء . فقد ضرب فى هذين اللونين من ألوان النقد بسهام وافرة ، وأتى فيها بما يعجب ويطرب ، ويلذ ويشوق

قرأ ابن وكيع قول المتنبى :

بدت قمراً ومالت خوط بان   وفاحت عنبراً ورنت غزالا

فلم ترقه الصورة الشعرية ، لأن المتنبى قد أفسدها بإلحاقه « العنبر » بين المشبهات التى شبه بها محبوبته ، وهى القمر ، والغصن ، والغزال ؛ فقال : وقوع « فاحت عنبراً » بين هذه التشبيهات التى هى أعضاء ، قلة صنعة ، وضيق عطن بما يليق فى البيت ، ولو قال « وماجت لجة » يريد ردفها كان البيت كله تشبيهات ، وكان أحسن فى صنعة الشعر ؛ ولو جعل البيت بثلاثة تشبيهات فقال : « تثنى مائداً ورنت غزالا » لا كتفى بذلك .

وجميع البيت موجود فى قول ابن الرومى :

إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشت   فالغصن مال وإن رنت فالريم

وقال البحترى :

فهى الشمس بهجة والقضيب ال   نضر ليناً والريم طرفاً وجيداً

ويقرأ قول المتنبى :

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا   وجدت بى وبدمعى فى مغانيكا
فعم صباحاً لقد هيجت لى شجناً   واردد تحيتنا إنا محيوكا
بأى حكم زمان صرت متخذاً   رئم الفلا بدلا من رئم أهليكا
أيام فيك شموس ما انبعثن لنا   إلا ابتعثن دماً للحظ مسفوكا

فلا يعجبه البيت الأخير لأنه لا يشاكل البيت الذى قبله ، ولا تنسق به الصورة الشعرية فيقول : « هذا بيت ردىء الصنعة ، لأنه كان فى حديث الوحش ثم قال : « شموس » ولو قال « ظباء » كان قد أورد ما يجانس البيت الأول » وأحسن من قوله فى بقية البيت قول أشجع :

وإذا نظرت إلى محاسنها   فلكل موضع نظرة قتل

وقال أبو نواس :

رسم الكرى بين الجفون محيل   عفى عليه بكا عليه طويل
يا ناظراً ما أقلعت لحظاته   إلا تشحط بينهن قتيل

قال ابن وكيع : وقد أخذت هذا المعنى فقلت :

لا ووجه لك بيدى   صفحة السيف الصقيل
وسواد الشعر الأسـ   ود فى الخد الأثيل
وعيون لك لا تطـ   رف إلا عن قتيل
ما جميل الصبر عن مثـ   لك عندى بجميل

ومن ميز بين اللفظين عرف الفرق بينهما .

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبى :

شاب من الهجر فرق لمته   فصار مثل الدمقس أسودها

فيقول : « تخصيصه الشيب فى فرق اللمة ضيق عطن بلفظ يعم جملة اللمة وكان ينبغى إذا خصص فرق اللمة بالشيب أن يقول « فصار مثل الدمقس أسوده » لعود الهاء على المذكر .

ولو قال :

شابت لهجر الحبيب لمته   فصار مثل الدمقس أسودها

كان فى الصنعة أملح ، وهو مأخوذ من قول القائل :

يبنى عنه أبان فى شعرى   أبيضه بعد حسن أسوده

فى هذا البيت مجانسة من ذكر البين والإبانة ، وفيه مطابقة ، وفيه ضرب من استخراج معنى احتذى عليه ، وإن فارق ما قصد به إليه ، من ذلك قول امرئ القيس :

فظل العذارى يرتمين بلحمها   وشحم كهداب الدمقس المفتل

فشبه الأبيض بالأبيض ، فنقل أبو الطيب هذا التشبيه من الشحم إلى الشيب وشبه الأبيض بالأبيض ، ففى هذا البيت رجحان على ما قاله أبو الطيب ، والسابق أولى به .

ويقف ابن وكيع عند قول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانة يميل به بدر ويمسكه حقف

ويقول : « إضافة الرمانتين إلى غصن البانة تدل على أن أغصان البان من ثمرها الرمان ، وقد عرفنا مقصده ، إنما شبه الثديين بالرمانتين ، وقدها بالغصن ، وأرانا جمع خلقها غرائب لا تجتمع ، ولا تقع إلا فيه ، ولو أمكنه أن يقول : « رمانتان في غصن بانة » كان أسوغ في مقصده كما قال ابن الرومي :

أغصان بان عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان

فكل يعجب مما ليس في العادة اجتماعه . فأما إطلاقه اللفظ على الرمان أنه من ثمر البان بغير مقدمة توضح مراده فلا أستحسنه ها هنا . وقوله : « يميل به بدر » فالبدر وجهه ، وليس يميل وجهه بقده ، لأن قده إذا مال ، مال بوجهه حيث يميل . وابن الرومي أشعر منه في إثباته أن الفواكه ليست مما يحمل البان ، فدل على أن المراد التشبيه لا الحقائق ، وهو أولى به . وهذه معان متداولة إذا نشط لأحدها فلا بد من إخراج مواضعها ، ومع ذلك فقد عرفتك نقصان صنعته فيها ، وكلاهما بالسلامة أرجح وهما أولى بما قالا » .

ويوازن ابن وكيع بين قول المتنبي :

هم الناس إلا أنهم من مكارم تغنى بهم حضر ويحدو بهم سفر

وبين قول ابن الرومي :

وقد سار شعري شرق أرض وغربها
وغنى به الحضر المقيمون والسفر

فيقول : « فألفاظ بيت ابن الرومي يأخذ بعضها بأعناق بعض ، وقد عرف « الحضر والسفر » بالألف واللام ، فيمكن أن يقال : إن الناس كلهم قد عنوا به ، وأبو الطيب نكر ، فأمكن أن يكون المعنى فرقة من الحضر وفرقة من السفر . وإذا كان كلام ابن الرومي أشرح وأمدح بإمكان العموم فيما خص فيه أبو الطيب ، فابن الرومي أحق بما قال . ولعل قائلا أن يقول : جمع أبو الطيب حالتي الغناء والحداء ، فصارت له زيادة فإنه إنما يحتسب له بذلك لو كان الغناء لا يكون إلا في الحضر ، فإذا صلح للحضر والسفر ، لم يصح تقسيمه ، وقد قال عمر بن الخطاب : نعم زاد الراكب ، فجعله بمنزلة الزاد للمسافر .

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبي يخاطب حادي عير حبيبته :

قفا قليلا بها عليّ فلا أقل من نظرة أزودها

فيقول : « معنى هذا البيت غير غريب . ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئاً ، بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع ، وهو في هذا الأخذ كما قال ابن المعتز في المشق :

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

فيجب علينا الاهتمام بما اهتم ، وهذا البيت من قول ذي الرمة :

فإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

وهو من قسم المساواة ، وقال ابن أبي فنن :

ما ضر لو زودت خلك نظرة قبل الرحيل وقلت قولا يجمل

إلى آخر ما هنالك من النفائس التي تضمنها كتاب (المنصف)

السيد أحمد صقر

المدرس بالليسية الفرنسية بمصر الجديدة

إلى وكرك يا قلبي!

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

إلى وكرك يا قلبي ففي وكرك أحلامك
تعانق فيه ما يوحيه من شعرك إلهامك
وتفنى في جلال الحب والأحلام آلامك
وتزخر فيه أصداؤك بالنجوى وأنغامك
فقد تسحرك الدنيا فتستيقظ آثامك
إذا ما حدت عن وكرك أو غرتك أوهامك

إلى وكرك يا قلبي فقد حاصرنا الليل
وجنت حولنا الدنيا فلا وحي ولا عقل
وخفت زمر العشاق كالأحلام تنسل
دعتها الشهوة العمياء فانساق بها الرحل
وهامت في ضلالتها بكأس قلما تحلو
فلذ بالوكر ياقلبي — حسبك ذلك الظل

إلى وكرك يا قلبي لتطرح عنك أعباءك
وتسمع في سكون الليل من جارك أصداءك
ولا تعبأ بأضواء ينسيك أضواءك
فحلمك لم يزل يقظان يستلهم إحياءك
يطل عليك من مرقاه يستطلع أنباءك
فلا تحفل بمن تبسم، أو تزمع إغواءك

إلى وكرك يا قلبي فإن الليل خداع
ترى الأضواء ساحرة وهذا السحر إيقاع
وهذي الفتنة الحيرى غوايات وأطماع
وهذا الحب يا قلبي ملذات وإمتاع
وهذي حية الجنات تلهو بالألى انصاعوا
فعد للوكر يا قلبي فلا تشقى وتلتاع

حسن كامل الصيرفي

دعاء الملاح الحائر

للأستاذ محمد خليفة التونسي

أيها الخابط في اليم اتئد قد توغلت، فهل تسمعني؟
يمم الشط، فما فيما تود راحة، آمنت أم لم تؤمن!

يمم الشط الذي منه أتيت تحظ بالراحة فيه والسكون
أنت — لا شك، إذا أوغلت — ميْت
حيثما يبتلع اليم السفين

يمم الشط، ولا تخدع بما يتراءى لك في الأفق البعيد
تلك أوهام كِذاب كلما زدت إيغالاً تراءت من جديد

تلك أوهام على اليم تلوح راقصات في جمال ساحر
لا يراها غير ذي القلب الطموح فيناديها بعزم صابر

فإذا أوغل لم يظفر بما كان يرجو من نعيم وسلام
وهو — لا بد — سيفنى ندما إذ يرى اليم ظلاماً في ظلام

قد يريد المرء ما فيه دماره ولقد ينكر ما فيه علاه
من له — والغيب محجوب سراره
عنه — أن يعرف ماذا منتهاه

أيها السادر في أحلامه لا تطاوع شهوة السبح اللجوج
آفة الإنسان في أوهامه وإذا شط الهوى عز الخروج

ما لهذا اليم حد ينتهي عنده، والسبح لا يجديك غنما
لا، ولن تلق به ما تشتهي من منى أفنين أيامك هما.

يمم الشط، ودع ما يثقلك حسبك الشط، ففي الشط غناه
خير أوهامك وهم يحملك ويعزيك إذا عز العزاء

إنما دنياك لهو ولعب وهما أنفس ما يقني الرجال
قاله والعب طالما اسطعت تصب خير ما في وسع أبناء الزوال

(كوبري القبة) محمد خليفة التونسي



من طرائف العلم :

عند ما تتقلص الشمس

صرح العلامة سير جيمس جينز أن الشواهد تدل على أن الذرات الكائنة فى مركز الشمس تكاد تتقلص تقلصاً هائلا ، فيصير مصدر إضاءة المجموعة الشمسية نجماً باهت اللون ، يعجز عن إمداد وجه البسيطة بالحرارة التى تكفل استمرار الحياة ، وأن احتمال انقلاب الشمس إلى نجم ضعيف الضوء قد يحدث فى أية لحظة .

فهل معنى ذلك أن حياة البشر تبلغ نهايتها سريعاً ؟ ! إن مقياس الزمن – لحسن الحظ – فى تقدير الفلكيين لمثل هذه النهاية يعادل ملايين الملايين من السنين . فإن تكن خاتمة الأرض قريبة فى عرفهم ، فإنا نستغرق أجيالا وأجيالا قبل أن تكون .

على أن الباحث قد يتأمل ويسأل : ما الذى يحدث إذا تقلصت الشمس وتحولت إلى نجم من النجوم التى تدعى «الأقزام البيض» ؟ إن مثل هذا النوع من النجوم له كثافات تفوق كثافة الماء آلاف المرات . فتوأم الشعرى ٤ و ٤٠ أريدانى ، وثان مانن كثافتهما على التوالى ٤٤ ألف ، و ٩٠ ألف و ٥٥٠ ألف كثافة الماء . أى أن جزءاً صغيراً من النجم ڤان مانن فى حجم عود الثقاب قد يزن وبع طن على الأرض . أما توأم الشعرى فكتلته تضارع كتلة الشمس تقريباً . ولذلك يمكن الباحث أن يفرض أنه إذا حدث للشمس انقلاب ما ، فإنها تتحول إلى ما تحول إليه هذا النجم . وسيجد فى هذه الحالة أن جزءاً صغيراً جداً من الشمس المتقلصة قد يزن عدة أرطال على الأرض .

ولكن كثافة الشمس فى حالتها الراهنة تعادل كثافة الماء ١ر٤١ مرة . فجزء منها فى حجم عود الثقاب يزن ضعف وزن عود الثقاب العادى المصنوع من الخشب الذى كثافته ٧ر٠ من كثافة الماء . أى أن هذا الجزء من الشمس يزن ١/٥ من الأوقية .

وعند ما تتقلص الشمس ، ينكمش قرصها إلى ما يقرب من ١/٢٣ من قطرها الحالى ، وبذلك تنقص مساحتها آلاف المرات عن مساحتها الراهنة . وإذا فرض أن حرارة سطح الشمس وشدة إضاءتها لا تتغيران أثناء التقلص ، فإنهما ستكونان بعد ذلك أقل ألف مرة من ذى قبل . إن شدة إضاءة الشمس لسطح الكرة الأرضية فى يوم من أيام الصيف تقدر بنحو عشرة آلاف شمعة للقدم الواحدة . أى أنه إذا وضعت عشرة آلاف شمعة على ارتفاع قدم واحدة من سطح الأرض فإن إضاءتها تعادل إضاءة الشمس ، للقدم الواحدة . وعند ما تتقلص الشمس تنخفض شدة إضاءتها إلى ما يقرب من عشر شمعات للقدم الواحدة فى يوم صاف السماء ، أو خمس شمعات فى يوم كثير الغيم . وعلى ذلك ، فإضاءة الأرض نهاراً لن تعادل أكثر من إضاءة إحدى الغرف ليلا بمصباح كهربائى عادى . ولما كانت شدة إضاءة الغرفة نهاراً تقدر بحوالى ١/٢٠٠ من الإضاءة فى العراء ، فإن الشمس المتقلصةَ لن تكون قوة إضاءتها فى الداخل تقدر بأكثر من عشر الشمعة . وستصبح حينئذ إضاءة القمر ١/٢٠٠٠ من إضاءته الحالية ، وبذلك تتعذر رؤيته .

ولكن قبل أن تصل الأرض إلى حقبة التثلج الأبدى ، تمر عليها أطوار غريبة الحوادث أثناء التغييرات المستمرة داخل الشمس . ويتنبأ العلماء أنه عند ما تفقد ذرات الشمس المركزية آخر كهاربها يحدث تقلص عام فيها ، يكون من جرائه تولد الزلازل على الأرض ، وانتشار البرودة على سطحها ، ولكن قد تحدث فى بعض الأحيان اندلاعات نارية قصيرة الأمد تسبب جواً

حاراً على سطح البسيطة ، فينشأ من هذه الحرارة الفجائية كثير من الأمراض كضربة الشمس والحميات وغيرها . ويتلف المحصول الزراعى من التغير الحرارى ، وتموت العضويات الصغيرة . وتقوم الشعوب الجائعة تطالب بتشكيل هيئة حكومية عالية قادرة على توفير الغذاء . وتقوم هيئة تنفيذية دولية بتنظيم السفر إلى المناطق الاستوائية الحارة ، حيث الحرارة تلائم المعيشة . ولن تمنح تصريحات السفر إلا لكل من ينتفع بمعلوماته وأعماله للمحافظة على كيان البشر . وسيهلك الكثيرون جوعاً .

وأول من يسافر إلى المناطق الاستوائية علماء طبقات الأرض والمهندسون والمعدنون والكيماويون . فعلماء طبقات الأرض يبحثون عن أماكن مناسبة لإيواء الناس ، والمهندسون يعملون على تشييد الملاجئ والمساكن . وستكون لخبرة المعدنين فى إنشاء طرق تحت الأرض منفعة هائلة يتمتع المعدنون من جرائها بنفوذ اجتماعى كبير . أما الكيماويون فيقومون بإنتاج شتى أنواع الطعام الصناعى بدلا من ذلك الذى ضاع بتلف المحصول الزراعى ، وهلاك الماشية .

وعند ما يستقر الناس فى معيشتهم الجديدة ، سيجدون أن سطح الأرض قد تغير تغيراً كبيراً . فتجمد مياه المحيطات والبحار تجمداً تاماً ، وتزداد البرودة زيادة هائلة ، ويتكاثف بخار الماء من الجو وبذلك تخلو السماء تماماً من السحب .

ولعل الإنسان يعمل على تكييف نفسه فى ذلك الوسط الجديد ، فإن لم يستطع فقد وصل إلى نهايته المحتومة .

محمد فتحى عبد الوهاب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة :

إنى لمغتبط إذ أرى شخصية أدبيــة ممتازة كشخصيتك ، تقف فى « الرسالة » الغراء طارقاً بأسلوبك التحليلى النفيس شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الأدبية .. الواقع أن هذا الكاتب الكبير الذى تربى فى أحضان القانون واجتـذبه الأدب إلى أحضانه وانتزعه من البيئة التى نبت فيها وعاش فى كنفها ، كان شمساً جـديدة ضمت إلى شمس الأدب فزادت الأدب العربى نوراً وبهجة وَرواء ! .

إننى لا أوافقك على رأيك عند ما تقول : « إن توفيق الحكيم فى واقع الحياة يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس » .. إن أمامنا مثلا واضحاً يظهر جلياً فى كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » الذى ألفه بعد أن كان وكيلا للنائب العام . يقرأه الإنسان فيحس إحساساً عميقاً من قرارة نفسه أن الأستاذ الحكيم فى هذا الكتاب أديب وفيلسوف ... تارة يتهكم على بعض مفارقات الحياة ، وتارة أخرى يسمو بفكرته ويحلق بالقارئ فيخيل إليـه أنه فى قلب الحكمة يسمع ويرى المتقاضين والمتهمين ، ويعالج بقلمـه بؤس الفلاحين فيؤكد لنا أنه يعيش فى دنيا الناس لا فى دنياه هو كما تقول ! .

فهل للأستاذ أن يتناول بقلمه الرائع لمحة خاطفة عن شخصية الأستاذ الحكيم فى كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » ، الذى يصدره بتلك الكلمات : « أيتها الصفحات التى لن تنشر ، ما أنت إلا نافذة مفتوحة أطلق منها حريتى فى ساعات الضيق » ؟.

محمد رضوان

كلية الحقوق بجامعة فؤاد

الفن فى ميزان القلب والشعور :

إن كلمتك التى طالعناها فى « الرسالة » عن الأستاذ توفيق الحكيم رغم قصرها وتركيزها قد أطلعتنا على كثير من الحقائق والقيم التى لم يطلعنا عليها كاتب من قبل ، إننا نهنئك من أعماق نفوسنا على أنك لم تتأثر فى نقدك — كما يفعل الغير — بالصداقة وما تفرضه من مجاملات ! ولكن الحقيقـة الكبرى التى أحب أن تفسرها لنا تفسيراً كاملا وصريحاً هى قولك : « صراع نفسى وهذا هو العجب ، وقلب إنسانى وهـذا هو الأعجب » ... هل نفهم من هذه اللمسة السريعة العابرة أن الأستاذ توفيق الحكيم لا يهتز بين جنبيه قلب قوى الخفقات مكتمل النبضات ؟ إن هذه النقطة هى أهم ما يجب أن تكشف لنا عنه فى كلمات حاسمة وفاصلة ، لأنها فى الواقع مثار كل خلاف بين أنصار فن الأستاذ الحكيم وبين خصومه ! .

مصطفى عبد العليم

دبلوم معهدى الصحافة والتربية

ناحيتان جديرتان بالبحث والدراسة بعد أن عرض لهما فى هاتين الرسالتين أديبان فاضلان ... الواقع أننى كنت أشعر وأنا أكتب عن الأستاذ توفيق الحكيم أن هناك قراء سيدفعهم التركيز فيما كتبت إلى شىء من الاستفسار ، لأننى كنت أحرص كل الحرص على إبراز القواعـد العامة وأعنى كل العناية برسم الخطوط الرئيسية . ومرجع هـذا إلى أن الأديب الفاضل الذى رغب إلىّ أن أكتب فى هذا الموضوع ، قد ألزمنى أن أدور حول هذا الهدف وأن أتحدث فى حدود هذا النطاق ... وإذن فلا بأس من العودة إلى ما سبق أن عرضت له من آراء وأحكام ، لأتناول بالتوضيح بعض ما لم يتضح عنـد الإشارة العامة واللمحة العابرة ، لينتقل فى رحاب الشرح والتفصيل ما غمض فى رحاب الإيجاز والتركيز ! .

أول شىء أقرره فى مجال الرد على الرسـالة الأولى هو أننى أوافق صاحبها على ما أبداه من رأى فى شخصية الأستاذ الحكيم الأدبية ... الواقع أن هـذا الفنان مهما وجه إليه من نقد ومهما أخذ على فنه من نقص ، فستبقى حقيقة يقررها كل منصف حين تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربى المعاصر ، وهى أن توفيق الحكيم هو واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث فى مصر . قد يأتى بعده فى هذا الجيل أو الجيل الذى يليه من يرفع البناء الفنى

لهذا الأدب طبقات ، ولـكن توفيق سيظل فى ميزان التاريخ الأدبى هو البانى الأول والموجه الأول ، فلولاه لما كان عندنا قصة فنية ، ولما كان عندنا مسرحية ناضجة ، ولما كان عندنا نفر من كتاب الشباب يستطيعون أن يحملوا الراية حين يخلو لهم الميدان ... إن لم يكن اليوم ففى الغد القريب على كل حال . والفضل كل الفضل لأن هـذا الفنان قد حمل المشعل منذ سنين فأنار الطريق ، ودفع السالـكين بكلتا يديه إلى الأمام !.

إننى حين أعلن أن بعض جوانب هـذه الشخصية الأدبية لا يرضينى فليس معنى هذا أن توفيق الحـكيم يقف وحده فى مجال النقص والقصور ، كلا ··· فما يسلم كاتب فى الشرق ولا فى الغرب من هذا الذى يأخذه النقد على توفيق الحـكيم ! إن « أوديب الملك » التى أخرجها منذ شهور لم تبلغ الغاية التى كنت أرجوها من كاتب يدرك تمام الإدراك ما ينتظره من صعاب وهو يطرق أبواب سوفوكليس ، ولـكن هذا العمل الفنى الذى أخفق فيه توفيق الحـكيم وهو يواجه عميد التراجيديا اليونانية يعلو فوق مستوى أمثاله عند من حاولوا نفس المحاولة من كتاب المسرحية فى أدب الغرب ، وسأقف فى كل وقت وفى كل مكان لأقول إن « أوديب » توفيق الحـكيم أفضل بكثير من « أوديب » جان كوكتو وأندريه جيد !

بعـد هذا أعود فأقول للأديب الحقوقى الفاضل إننى حين قلت عن توفيق الحـكيم إنه يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس كنت أرمى إلى أدبه المسرحى لا إلى هذا الأدب الذى يدخل فى باب اليوميات ··· إن الكتاب الذى أشار إليه لا يعد قصة بالمعنى المفهوم من القصة ، ولـكنه مشاهدات نقلها الأستاذ الحـكيم من واقع الحياة إلى الفن بعد أن لونتها ريشة القصاص بألوان العرض الفنى الذى يأخذ من القصة ثوبها الخارجى ولا يتعـداه . ومع ذلك فأنا أحب أن أوضح نقطة تدخل فى صميم هذا الجانب الذى نبحث فيه ، وهو أن توفيق الحـكيم قد مضى يعـالج فن المسرحية فى الوقت الذى ابتعد فيه عن الحياة وانطوى على نفسه . إنك عند ما تقرأ أعماله الفنية الأولى التى سجلها ليصور بها تلك البيئات المختلفة التى عاش فيها بالجسم والفـكر والروح والحواس تلمس أن الحياة تتنفس تنفساً عميقاً فى فنه ، وأن عدسة القصاص قد بلغت من دقة اللقطات ما لا يتهيأ إلا لـكل فنان مفتوح العينين والقلب والذهن ··· اقرأ مثلا « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » تحس أن الحياة فيهما تكاد تنتفض بين يديك وتتحرك أمام ناظريك ؛ تنتفض بعوالم لا تحصى من الصور النفسية والنماذج البشرية ! لقد كانت العدسة البارعة تنتقل من الشوارع إلى الأزقة ، من المدينـة إلى القرية ، من القصر إلى الـكوخ : ترقب ، وتتأمل ، وتسـجل ··· وإذا حرارة التعبير قد ارتفعت لتلفح إحساسك على الورق ، وإذا لمحة الخاطر قد استحالت فـكرة فى ثنايا العرض ، وإذا ركب الأحياء قد انتقل فى حركة نابضة إلى السطور والـكلمات !

لقد كان توفيق الحـكيم يعب الحياة عباً إن صح هذا التعبير ويوم أن كان بطل على ميدان الحياة الفسيح المترامى أمام عينيه كان يطل من نافذة مفتوحة ، هى نافذة الحواس المتحفزة لالتقاط كل ما تقع عليه من صور فى دقة ووعى وانتباه ، وهذه هى الفترات المستيقظة فى فن توفيق الحـكيم ··· فترات مستيقظة نقلت عن كتاب الحياة سطوراً فيها عمق وروح وأصالة ، فإذا « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » نسـختان أمينتان تغمض عينيك بعد الفراغ منهما لتبدأ الحياة سيرها فى دروب النفس ومسارب الشعور ، ولا بأس من أن تغمض عينيك فإن الصورة قد انطبعت على صفحة الفكر والخيال ! ··· هذا هو الفن الرفيع حين يتصل بالحياة وحين يقبس من الحياة ، ليعيدها إليك لوحة تـكتمل فيها الزوايا وتأتلف الأبعاد .

فى حى السيدة زينب جلس توفيق الحـكيم إلى مائدة الحياة فتذوق من ألوان الطعوم ما شممت رائحته فى « عودة الروح » . وفى مدينة دسوق قضى فترة من شبابه وكيلا للنائب العـام ، يتحدث إلى الحياة وتتحدث إليه ، حتى نقل إليك حديثهما ذلك الطلى النابض فى « يوميات نائب الأرياف » .. وفى مدينة النور قدمت إليه الحياة كأساً غير الـكأس وسقته من رحيق غير الرحيق ، وكان مذاق هـذه الـكأس الجديدة هو تلك الجرعة الملهبة فى « زهرة العمر » و « عصفور من الشرق » . فى كل عمل من هـذه الأعمال الفنية خامة قصصية تستمد نفاستها من هذا المعدن الممتاز الذى لا يخبو له ضوء ··· معدن الحياة !

ولـكن توفيق الحـكيم ينتقل من حال إلى حال ··· يغلق النافذة المفتوحة التى كان يطل منهـا على ميدان الحياة الفسيح المترامى أمام عينيه ، وكأنى به قد سئم ضجيج الحياة والأحياء ! ولا بأس عنده من أن يرقب هذا المسرح الزاخر بالنظارة والممثلين

من وراء هـذه النافذة ذات الزجاج « المصنفر » الذى يحجب الرؤية عن الأنظار ، ولـكن هذا الزجاج « المصنفر » لا يتيح له الرؤية الـكاملة لتلك الفصول المتعاقبة من رواية الحياة ... وإذن فلا مناص من الرجوع إلى المخيلة فى تمثل حركات النظارة والممثلين ! وهنا مفرق الطريق بين عهد وعهد فى أعمال توفيق الحـكيم الفنية ... فن يأخذ مادته من الحياة فى فترة من فترات شبابه ، وفن آخر يأخذ مادته من المخيلة فى فترة من فترات ما بعد الشباب ، ويسدل الستار أو يكاد على تلك الألوان التى تستمد عناصرها ومقوماتها من واقع الحياة ، ليرفع مرة أخرى عن تلك الألوان التى تستمد عناصرها ومقوماتها من واقع الأساطير ! ... قد يقول بعض النقاد إن الأسطورة فى فن توفيق الحـكيم مرجعها إلى أنه يريد أن يحلق فى كل أفق ويريد أن يطرق كل ميدان ؛ وقد يبدو هذا التفسير مقبولا لو كان هناك شىء من الاقتصاد فى العمل الفنى الأسطورى ولـكنه إغراق له دلالته ومرماه ، وأبلغ الدلالة فيه أن توفيق الحـكيم قد ابتعد عن الحياة وأن الحياة قد ابتعدت عنه ، وحين غاب عالم الصور الحية عن ناظرية لجأ إلى عالم الرؤى والأطياف ؛ عالم المخيلة التى ترتب المنظر ، وتحرك الشخوص ، وتصنع الحوار ، من وراء النافذة المغلقة لا فى رحاب الهواء الطليق !

ومن يدرى فلعل توفيق الحـكيم يعود مرة أخرى إلى الحياة بعد هذا الهجر الذى طال أمده واتسع مداه ، ولعله يكون قد عاد فى هـذه المسرحية التى تعرض منذ أيام على مسرح الأوبرا الملـكية ... إننى لم أشاهدها بعد ، وأرجو إذا ما شاهدتها أن تتحقق هذه الأمنية التى أنتظرها منذ بعيد ، وهى رؤية فن توفيق يعب الحياة عبا كما كان . عندئذ سألهب قلبى من الإعجاب وكفى من التصفيق !

بعد هذا أعود إلى الرسالة الثانية لأقول لصاحبها إن مسألة القلب الإنسانى فى فن توفيق الحـكيم هى مشكلة المشكلات ... هل يملك قلباً إنسانياً أم لا يملك ؟

هذا هو السؤال ! إنه يملك هـذا القلب ، ولـكنه القلب الذى لا يفتح على مصراعيه لتتدفع النبضات قوية جياشة متدفقة . إنه قلب يفتحه صاحبه للحياة بمقدار ، ويفتحه للناس بمقدار ، ويفتحه للفن بمقدار ... وفى غمرة هذا الضعف فى الخفقة القلبية تطغى الموجة الفـكرية والومضة الذهنية ، هذا الطغيان الجارف فى قصصه ومسرحياته !

فى « عودة الروح » و « زهرة العمر » و « عصفور من الشرق » و « الرباط المقدس » و « شهرزاد » و « بجماليون » و « أهل الـكهف » تحس إحساساً عميقاً أن نافذة القلب الإنسانى فى فن توفيق الحـكيم لم تـكن تفتح لتهب منها رياح الوجـدان ، حتى تعود فتنغلق أمام عواصف الفـكر المنبعثة من تأملات الذهن وسبحات الخيال ! أما فى « سليمان الحـكيم » فقد انتصر القلب على العقل ... وهـذه هى المعجزة التى دفعتنى إلى القول بأن هذه المسرحيـة تقف منفردة با كتمال « الصراع النفسى » وقوة النبضات فى القلب الإنسانى ، ودفعتنى إلى الظن بأن توفيق الحكيم كان يعيش فى نفس التجربة الشعورية التى صورها بقلمـه لقلب « بلقيس » بين حب « منذر » وجاه « سليمان » ! . . . من هنا قلت وأنا فى معرض الحديث عن « سليمان الحـكيم » : « صراع نفسى وهذا هو العجب ، وقلب إنسانى وهـذا هو الأعجب » ؛ لقد كان مصدر العجب البالغ أن توفيق قد خلا إلى قلبه خلوة طويلة ، تمت فى غفلة من عين هذا الرقيب الصاحى الذى لا يغفل ، وأعنى به الفـكر ! .

إن الفن فى ميزان الذهن المجرد شىء ، وفى ميزان القلب النابض شىء آخر ؛ هناك هزات فـكرية ، وهنا هزات شعورية . وما أبعد الفارق بين الفنين فى حساب النفس وحساب الزمن ! .

دفاع مضحك عن سلامة موسى :

لى صديق أديب هو فى الوقت نفسه صديق للأستاذ سلامة موسى ، ولـكن يظهر أن إخلاصه للـكاتب (الجبار) يفوق إخلاصه لى ... والدليل على ذلك أنه كتب فى الرد علىّ مقالين أحدهما فى « الأديب » والآخر فى « المقتطف » ، حاول فيهما بكلّ ما أوتى من علم أستاذه أن يرفعه إلى السماء ؛ ولـكن السماء كانت قد امتلأت بضحكات الساخرين فلم يبق فيها مكان للـكاتب الجبار فبقى كما تركته منذ أسابيع .. على الأرض !! إن سلامة موسى فى رأى تلميذه الذى لا أعرف له تلميـذاً سواه « مفخرة خمسة أجيال فى تاريخ مصر ، وإذا كان لـكل كاتب مدرسة فإن المدرسة الأولى للدكتور طه حسين بك بلا منازع ، والمدرسـة الثانية منسوبة إلى الأستاذ سلامة موسى بغـير شك » ... هكذا والله العظيم ! ولو سئلت النمـلة رأيها فى الذبابة لقالت : هـذا فيل كبير ! ! .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أين هو الربيع :

حفلت الصحف والمجلات المصرية فى هذا الأسبوع بالكلام على الربيع وبصور الربيع ، وتفنن بعضها فى عرض صور الحسان فهذه تخلع للربيع ، وهذه تغفو ليصف الشاعر الفتنة النائمة ، وهذه تتحدى أزهار الربيع بما تبدى من مفاتن . وترى هنا وهناك قصائد يتغنى فيها الشعراء بالربيع وما يسبغ على الكون من جمال .

ذلك كله على رغم هذا الجو المتقلب الذى لا يستقر على حال وعلى رغم هذه الرياح ، رياح الخماسين ، التى تقذى العيون وتزكم الأنوف . فأين هو الربيع ؟ إن هذا الجو الكدر المضطرب سينقلب بعد قليل إلى حر لا يطاق .

إذا كان للربيع وجود فهو فى بلاد أخرى غير مصر ، شرقية وغربية ، وهم يشعرون به لأنه يأتى عندهم بعد شتاء قاس ، وينتقل فيه الجو ببطء وتدرج ؛ أما عندنا فهو انتقال من شتاء معتدل ، وإيذان بصيف ثقيل ، وهو فترة مضطربة لا يستقر فيها الجو على حال . وإنى أشعر أن الخريف عندنا أجمل من الربيع ، فهو يقبل بعد الصيف كما تقبل نسمات الأصيل بعد الهجير ، والجو فيه أكثر استقراراً من الربيع ، ولم أر فيه شجراً يسقط ورقه كما يقولون ، فالشجر فى مصر دائم الإيراق وقليل منه يسقط فى الشتاء ، والأزهار كثيرة ناضرة فيها على مدى العام ، وحتى صور الحسان فى الصحف والمجلات لا تنقطع لها مناسبة ...

فما نصيب تلك المظاهر التى نصطنعها فى الربيع من الصدق؟ أليست كلها تقليداً فى تقليد ؟ وكم من شاعر يتغنى بجمال الربيع وليس فى عالمه إلا جدران قهوة أو غرفة مغلقة ، ويتحدث عن الحب فى الربيع وهو لا يحب غير نشر القصيدة أو إلقاؤها فى حفل ، ويشيد بشدو الطيور وهو لا يسمع غير ما يطلبه المستمعون من الإذاعة ...

إن الربيع الحقيقى فى مصر هو (البرسيم) ربيع الحمير ...

ذكرى اقبال :

احتفت سفارة الباكستان فى القاهرة بالذكرى الحادية عشرة للشاعر الفيلسوف محمد إقبال ، يوم الخميس الماضى فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية . وقد ألقى سفير الباكستان الحاج عبد الستار سيت كلمة ترحيب ، وألقى الدكتور حسين الهمدانى محاضرة عن حياة الشاعر وشعره ، وألقى الدكتور عثمان أمين محاضرة عن « إقبال الفيلسوف » وأنشد كل من الشاعرين محمود حسن اسماعيل ومحمد مصطفى حمام قصيدة ، وألقى آخرون كلمات أخرى .

وقد تضمنت كلمة الدكتور الهمدانى أن إقبال ولد سنة ١٨٧٣ فى عائلة براهمية تشتغل بالزراعة فى قرية (لوهار) بكشمير . وبعد أن أتم تعليمه فى المعاهد الهندية لم يلتحق بخدمة الحكومة لضعف بصره فتفرغ للأدب والشعر . ثم رحل إلى أوربا سنة ١٩٠٥ قاصداً كمبردج ثم هيدلبرج بألمانيا ثم ميونخ حيث حصل على شهادة الدكتوراه نتيجة لرسالة قدمها بعنوان « تطور الفكرة العقلية فى إيران » وفى سنة ١٩٠٨ حصل على شهادة فى القانون وعاد إلى وطنه .

وقال إن إقبال عندما اقتحم باب الشعر ألفى الوخم والكسل والقنوط مخيمة على حياة الناس كافة كما وجد روح التشاؤم سائداً من جراء الاستعمار ، فأيقظ قومه وبعث فيهم الكفاح والحياة ، ومزق الأستار التى كانت تحجب الحقائق عن أعين الشعب . ولم يقتصر على الخيال والجمال الفنى فى شعره بل راح يجاهد ويهيب بقومه أن يقلعوا عن أفكارهم القديمة ويتجردوا من روح التواكل الذى كان يشيع بينهم . وقد نادى بوجوب انفصال المسلمين عن الهندوس وتكوين دولة خاصة بهم ، فتحققت أحلامه بعد وفاته وقامت دولة الباكستان .

وقد ألقى سعادة السفير كلمته بالإنجليزية ، ومما يذكر لذلك أن فى الباكستان الآن حركة تهدف إلى نشر اللغة العربية ، فقد تقرر تعليمها بالمدارس الباكستانية على نطاق واسع ،

وجاء فى نشرة لسفارة الباكستان بالقاهرة أن متحدثاً بلسان وزارة المعارف الباكستانية قال إن الحروف العربية أثبتت تفوقها على الحروف الأردية ، وقد عرف المؤيدون لاستعمال الحروف العربية أن ذلك يدعو إلى توثيق العلاقات بسائر الأمم الإسلامية، كما أنه يعتبر الوسيلة الفعالة للنهوض بالتجانس الثقافى وتوحيد الغايات إلى المستقبل القومى .

ومما يذكر أيضاً أن رجال الدولة فى الباكستان ضربوا المثل بأنفسهم فجعلوا يتعلمون اللغة العربية . ولا أشك فى أنه لن يطول الأمد حتى يلقى سفير الباكستان بالقاهرة كلمته فى ذكرى إقبال باللغة العربية .

المصرى أفندى :

هو الفلم الذى عرض فى الأسابيع الأخيرة بسينما مترو بالقاهرة ، وقد ألف قصته محمد كامل حسن ، وأخرجه ومثل البطل الأول فيه حسين صدقى وممن اشترك معه فى التمثيل اسماعيل يس ومديحة يسرى ولولا صدقى . ويعالج الفلم قضية إنسانية فى صور من البيئة المصرية، تلك هى مشكلة الأولاد وحالة الأب المعيشية ، فالمصرى افندى (حسين صدقى) شاب فقير يرزق أو « يصاب » بأولاد كثيرين ، توائم وغير توائم ، من زوجته (مديحة يسرى) وتمر الأسرة بشدائد تجعل الوالد يضيق بأولاده ، ويكاد يتحطم عند ما يفاجأ بثلاثة توائم . ثم تنجاب الشدائد ويقبل المال وتتبدل الحال غير الحال ... ولكن الأحداث تذهب بالأولاد ولا يبقى إلا ابنت واحدة (عيشة) التى تصاب بمرض شديد فلا تشفى منه إلا وهى مقعدة . ويصبح الوالد من كبار الأغنياء ولكنه فى الوقت نفسه أكبر الأشقياء ، فقد هده الحزن على أولاده وخاصة حسن الذى اختفى ولم يُعرف له مقر ، وتنتهى الرواية باللقاء بين الولد المفقود الذى صار شاباً وبين والديه المحطمين والأخت المقعدة التى تذهلها المفاجأة السارة عن حالها ، فتهب واقفة تمشى نحو أخيها حسن ...

ويعرض الفلم صوراً رائعة من الحب الزوجى والتعاون بين الزوجين فى الملمات ، إلى جانب ما يبينه من تفاهة المال وعدم جدواه فى السعادة الحقيقية . ويمتاز الفلم بالروعة الأصيلة ، والوصول إلى الأهداف عن

كشكول الأسبوع

□ أقول للسائلين عن افتتاحيات عميد الرسالة : إن الأستاذ رأى — عملا بمشورة الأطباء — أن يمسك عن الكتابة لفترة وجيزة ، نرجو أن يستعيد فيها نشاطه ويستكمل صحته .

□ الذى فاز بجائزة فؤاد الأول للآداب هذا العام ، هو الدكتور طه حسين بك عن كتاب « هامش السيرة » .

□ قرر مجلس الوزراء تعيين الشاعر الكبير الأستاذ على محمود طه وكيلا لدار الكتب المصرية

□ تبين أن بعض القصص والتمثيليات الفائزة فى مسابقة الإذاعة غير صالحة للاذاعة ... فلم إذن حكم بفوزها وإجازتها ؟ ألكثرة النقود ؟ وماذا ستقول إدارة الإذاعة لديوان المحاسبة ؟

□ جرت رابطة الأدباء على منح الألقاب جزافاً لمن يحاضرون بها ، ومن ذلك « صاحب العزة مبارك بك إبراهيم » والأستاذ مبارك إبراهيم أديب فاضل ولكنه ليس (بك) وهو وكيل الرابطة ، ونعم الوكيل ... وقد تحدث فى محاضرته عن زجال صعيدى اسمه « أبو عليوة » .

□ حدث فى الحلقة النهائية لمبارزة السيف العالمية التى جرت فى مصر أخيراً ، أن تقدم اللاعب الإيطالى الفائز لمصافحة منافسه الفرنسى ، فاستقبله هذا المنافس بضربة قوية ... لو حدث هذا من مصرى أو أي شرقى لقامت صحف العالم الغربى تندد بالوحشية والفوضى . وبعد فنقدم هذا الفرنسى « للتمدن » هدية لصحف بلاده التى كانت تشهر بمصر والمصريين .

□ تقرر أن يحتفل بالذكرى الألفية لابن سينا في مارس من العام القادم ببغداد . وتعمل الجامعة العربية على طبع ما لم يطبع من مؤلفات ابن سينا ، كما تعمل على تنسيق العلاقة بين احتفالها بذكراه واحتفال إيران بها فى العام القادم أيضاً .

□ قررت نقابة الصحفيين دعوة بعض رجال الصحافة القدماء ممن اعتزلوا العمل بالصحافة أمثال هيكل باشا وحافظ عوض بك ، إلى إلقاء محاضرات عن ذكرياتهم الصحفية ، على أن يتحدث بعضهم عن بعض .

□ وقعت اللجنة المالية بمجلس النواب على زيادة إعانة الفرقة المصرية من ١٣ ألف جنيه إلى ٢٠ ألف جنيه ، وزيادة المبلغ المعتمد للتأليف المسرحى من ١٥٠٠ جنيه إلى ٣٠٠٠ جنيه ، واعتماد ثمانية آلاف جنيه فى ميزانية وزارة الشؤن الاجتماعية لتأليف فرقة من بين خريجى معهد التمثيل العالى يطلق عليها « فرقة الطليعة »

□ رفع أحد المؤلفين دعوى على إحدى المجلات أمام محكمة مصر التجارية ، لأنها نشرت فقرات من كتاب له ، فقضت له المحكمة بجنيهين تعويضاً من صاحب المجلة ، مقررة بذلك حق الملكية الأدبية .

□ تعلن الفرقة المصرية عن رواية « سر الحاكم بأمر الله » فتهمل اسم مؤلفها الأستاذ أحمد على باكثير ، ولكنها لا تستطيع ذلك فى الإعلان عن مسرحية « اللص » للأستاذ توفيق الحكيم . فهل هى أرستقراطية فنية ؟..

طريق المرض الفني من غير إشعار بوعظ ، والخلو من التهريج والحشو ، والفكاهة فيه طبيعية غير مقحمة ، ويبلغ فيه اسماعيل يس غاية الظرف ، وهو يؤدى دور الفنى الذى لا يشعر بحاجة إلى تنمية المال حتى يولد له ولد بعد انتظار طويل ، وكانت المفارقة أن يقترن هذا بما يتوالى على (عديله) المصرى افندى الفقير من الأولاد وهو فى شوق ولو إلى نصف ولد ...

و « المصرى افندى » فلم عظيم من غير شك ، وهو يأتى الآن فى هذه المرحلة من مراحل الفن السينمائى فى مصر ، كما أتى فلم « العزيمة » لحسين صدقى أيضاً فى المرحلة الأولى ، كل منهما ينقل هذا الفن إلى « الموضوعية » مصاغة فى قالب من الفن الممتع الشائق . وقد تعمدت أن أغفل فلم « نحو المجد » الذى أخرجه حسين صدقى أيضاً ، لأنه وإن كانت قصته جيدة إلا أن هناك أشياء أفسدته ، منها إقحام « شكوكو » فى الفلم من غير مناسبة لجاء ثقيل الظل .

وفى فلم « المصرى افندى » هنات قليلة ، منها (السبوع) الذى احتفل فيه بولادة الولد الأول للمصرى افندي ، فإن (برجيلاتك وحلقة فى ودانانك) لا تتفق مع استنارة الزوجين وعصريتهما ، وقد تم زواجهما على طريقة عصرية فى غاية البساطة .

الأدب وغذاء العقل فى الصحافة :

ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى محاضرة عن « الصحافة المصرية فى ربع قرن » يوم الجمعة الماضى بالجامعة الأمريكية ، عرض فيها للصحافة فى طورها الأول ثم قال : وفتحت الصحف صدورها للأدباء فصاروا ينشرون فيها شعرهم ونثرهم ، وكانت أسبق الصحف إلى ذلك — على ما أذكر — جريدة الدستور لصاحبها الأستاذ فريد وجدى بك ، وكان عونه فى هذا الباب هو الأستاذ العقاد ؛ وجريدة « الجريدة » التى كان يتولى أمرها الأستاذ الجليل لطفى السيد باشا ، وقد استعان بجمهرة من الأدباء منهم المرحوم محمد السباعى ؛ ثم تلتها جريدة المؤيد فجعلت للقسم الأدبى صفحة خاصة وكلت أمرها إلى الأستاذ العقاد .

ثم انتقل إلى الصحافة فى طور تقدمها الحديث ، وقال : وقد جر هذا الرقى الصحفى إلى أمور يشكو منها العقلاء والمشفقون منها أن كثرة المادة فى الصحف والمجلات وتنوعها وحسن عرضها وقرب منالها ، كل ذلك صرف الكثيرين عن قراءة الكتب ، وعودهم الاكتفاء بهذا المادة السهلة الميسرة ، وهذا شر كبير لأنه لا غنى عن غذاء العقل كما أنه لا غنى عن الغذاء للبدن ، ومادة الصحف لا تكفى لتغذية العقل .

يقولون لى :

يقول الأديب محمد فتحى سعيد بمدرسة دمنهور الثانوية (وقد وصلنى كتابه منذ أسابيع ولكنى رأيت أن أعود إليه) : قلتَ فيما كتبته رداً على الأستاذ الأسمر « ليست هذه أول مرة يأخذ فيها الجارم من شعر شوق » ومعنى ذلك أن الجارم كان يسطو على شعر شوق ولكننا نعرف عن الجارم أنه شاعر فذ وأديب مجيد . إلى أن يقول : وجدير بنا الآن أن نترحم على الجارم بعد ما استعصى على الشعراء رثاؤه .

وأقول : إن الوقوع فى سرقات أدبية لا ينافى الإجادة والشاعرية الفذة ، وقد ألفت كتب فى سرقات شعراء كالمتنبى ، وقد وصل الأمر إلى الاغتصاب مع إكراه الشاعر القائل على أن يتنازل عن ملكية ما قاله مفاداة لعرضه من هجاء المغتصب . والدلالة على السرقة الأدبية لا تنافى أيضاً الترحم على الفقيد ، وعند ما تتقدم فى الدراسة الأدبية سترى فى باب السرقات بكتب الأدب أن كل السارقين المذكورين فى هذه الكتب قد ماتوا .. يرحمهم الله ...

ويقول لى الأديب الشحات السيد زغلول (مدرسة رأس التين الثانوية — توجيهة آداب) : منّ الله على بالنجاح فهممت بقلمى لأكتب لك وأزف إليك تلك البشرى ، كأنك ممن يهمهم أمرى وممن يسرون لنجاحى :

وقد يبدو لبعض القراء أن هذا « القول » تافه ، ولكنه ليس كذلك ، فهو تعبير عن شعور . إن الطالب الأديب « الشحات السيد زغلول » دائب على قراءة «الرسالة» وقد كتب إلىّ قبل ذلك ، وهو يشعر من طول الملازمة الفكرية كأنى من أسرته ... وحقاً لقد سرنى نجاحه كأننى ممن يهمهم أمره . نجاح مبارك يا سيد شحات ...

ويقول لى الأستاذ أحمد طه السنوسى : اطلعت على كلمة لكم



في تفسير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

ترتيب آيات الكتاب العزيز حصل بتوقيف من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على ذلك انعقد الإجماع ، فكان الرسول إذا نزلت عليه الآية وتلقاها من جبريل الأمين لقنها أصحابه فوعتها صدور الحفظة منهم ، وأمرهم بأن تكون مع آية كذا من السورة التي تكون فيها الآية ، وإن كان ذلك على خلاف ترتيبها في النزول . وعلى أساس هذا الترتيب الذي أرشد إليه الرسول قام بناء نظم القرآن المعجز ، وأحكمت آياته ، وتوثقت معانيه واتسقت كلماته .

وأما ترتيب السور فيرى كثير من العلماء أنه توقيف كترتيب الآيات وقال آخرون إنه عن اجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم . وسواء أكان الترتيب بين السور بتوقيف من الرسول أم كان عن اجتهاد من الأصحاب ، فما لا شك فيه أن اتفاق جمهور الصحابة على هذا الترتيب المعروف الذي عليه المصحف العثماني أمر له قيمته ومعناه ، وليس يخفى على ذوي البصائر من أهل العلم والذوق سره ومغزاه ، وإن لم يكن على حسب ترتيب السور في النزول ؛ فالترتيب بين السور كالترتيب بين الآيات ليس مبنياً على ترتيبها في النزول ولكنه قائم على ما بينها من الروابط والمناسبات .

وإدراك ما بين الآيات وما بين السور من صلة ومن مناسبات يحتاج إلى علم جم ، وطبع ملهم ، وشعور مرهف ، وبذلك اختلفت أنظار العلماء وتفاوتت مداركهم . ولقد كان للأستاذ الإمام القدح المعلى والسبق في هذا الميدان ، يعرف ذلك بالاطلاع على تفسيره جزء (عم) .

أسوق هذا لمناسبة ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله السمان في الرسالة — عدد ١٨ ابريل — رداً لما قرره الأستاذ الإمام في تفسيره (جزء عم) من بيان المناسبة بين سورة (الليل) وسورة (الشمس) ، إذ اختلط الأمر على الكاتب والتبست عليه المناسبة بين السورتين والمناسبة بين القسم والمقسم عليه في (سورة الليل) فقال ما نصه :

(جاء في تفسير جزء عم للأستاذ الإمام — رحمه الله — عند تفسير أول سورة الليل ما يأتي (والليل إذا يغشى) يبتدئ في هذه السورة بأن يقسم بالليل وهو الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة — سورة الشمس — من الدمدمة وإطباق العذاب .. اهـ (ولم يذكر بقية المناسبة) ، ثم قال : والمعلوم أن سورة الشمس سابقة لسورة الليل في الترتيب لا في النزول ، إذ أن سورة الليل نزلت بعد سورة الأعلى (لعله يريد أن يقول إن سورة الليل نزلت قبل سورة الشمس) ، وبذلك يكون لا محل هنا لذكر المناسبة التي ذكرها الإمام . أما المناسبة فلما كان القسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس في الحياة اشتملت صيغة القسم على أشياء مختلفة لتركيز المعنى المقصود في عقول المخاطبين .. فقد أقسم بالليل والنهار في قوله (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وهما مختلفان — كما أقسم بخالق الذكر والأنثى في قوله (وما خلق الذكر والأنثى) وهما مختلفان أيضاً ، كأنه يريد أن يقول لهم : إن اختلاف سعيكم في الحياة مؤكد تأكيد

تحت عنوان « نصف مليون جنيه يصدع رأس الدولة » في الرسالة الغراء ، فأحببت أن أكتب لك شيئاً عن ذلك (الروتين) العجيب ، وإن له مساوىء ولكنها طريفة تفتر لها الأفواه عن بسمات ، وقد صارت هذه البسمات أيضاً من (الروتين) .. كثيراً ما ترسل المصالح الحكومية خطابات مسجلة إلى أفراد من الناس تطالبهم فيها بمبالغ قد تكون عشرة مليمات أو سبعة ، وتنفق على الخطاب ثمانية عشر مليما !

ويقول لي الأستاذ الشاعر محمد المديسي : إن الأبراج المقدسة لم تدع لنا إلا آمالا في أمثالكم الذين يهيئون لأنفسهم مكانة عند أمثالنا ...

وأقول له : إن « رغبتنا » في المكانة عند أمثالكم لا تجديكم شيئاً ... كما أننا لم نستفد من رغبة أحد في مكانة لدينا ...

عباس خضر

اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى ..) اه

وأعود فأقول إن الكاتب قد وهم فى رد ما قرره الأستاذ الإمام ، إذ توهم أن ترتيب السور مبنى على ترتيب النزول وأن المناسبة بينها تتبع ذلك ، وإذ توهم المناسبة بين المقسم عليه والقسم مناسبة بين السورتين ، فالتبس عليه الأمر . ووهم أيضاً فى زعمه أن المقسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس فى الحياة فحسب ، وأن الغرض من القسم تركيز هذا المعنى المقصود فى عقول المخاطبين . ذلك بأن المقسم عليه هو الإجمال والتفصيل معاً فى قوله تعالى (إن سعيكم لشتى ، فأما من أعطى واتقى) .. الخ ، وأن المقصود من القسم هو تقرير المعنى الإجمالى والتفصيلى فى النفوس وتأكيده حتى لا يرتاب أحد فى أن عواقب الخير والجزاء عليه ليست كعاقبة الشر وجزائه . وقد أوضح الأستاذ الإمام هذا المعنى أتم إيضاح إذ يقول : (فإن خطر لك سؤال كيف يقسم سبحانه على أن سعى الناس شتى مختلف مع أن هذه القضية بديهية لأن جميع من يفهم الخطاب يعلم أن مساعى الناس وأعمالهم مختلفة متنوعة إلى هذه الأنواع التى ذكرت ، ومثل هذا الخبر البديهى لا يحتاج إلى تأكيد ، بل الإخبار به غير مفيد — فإنى أجيبك أولا بأن المقسم عليه هو الإجمال والتفصيل معاً ؛ ولا شك فى أن الوعد على الإعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى بالتيسير لليسرى ، والوعيد على البخل والاستغناء والتكذيب بالحسنى ، بالتيسير للعسرى ، يحتاج إلى تأكيد ، فيكون التأكيد لمجموع الأخبار للأول منها فقط) .. فما ذكره الكاتب من الرد والتعليل بعيد عن الصواب .

محمد أحمد الغمراوي

المرحوم خليل بيدس :

سلاماً وإكراماً ، وبعد فلا بد أنك سمعت بخليل بيدس وعلمت من هو من الناس .

لقد مات خليل بيدس وكل الناس يموتون . بيد أنه أبى ، ويشق على أن أنعاه إليك فى مثل هذا الوقت وفى بلاد غير البلاد التى أحبها وتمنى على الله أن يكون فيها مثواه الأخير

مات أبى بعيداً عن بيت المقدس . وكان أخى قد رجا منه أن يغادرها أسوة بسواه فينقذ نفسه وينجو بمكتبته وأثاث منزله . ولكنه أبى وسفه رأى كل محبذ للفرار ، وأكد للجميع بأن الجيش العربى سوف لا يتأخر عن احتلال القدس فى ليلة ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ . كان يؤمن بذلك إيماناً عظيماً ... ويسخر من كل من يرتاب بنوايا الملك عبد الله . بيد أن الملك عبد الله خيب الأمل ، وسقطت القدس الجديدة فى يد العدو . وكان أبى وابنته هما الشخصين الوحيدين الباقيين فى حى البقعة ، فانسحبا على أثر احتلال اليهود للتلال المشرفة على ذلك الحى ، وكابدا فى هربهما المشقات والأهوال .

ولما استقر به المقام فى بيروت ، وأجال الطرف حوله ، فلم يجد كتبه ومخطوطاته ومؤلفاته ، ولم يعثر على مقعده ومكتبه ، طارت نفسه شعاعاً ؛ بيد أنه تجلد وأخفى ما جاش فى صدره ... ولم يزل يتقلب على جمرات متقدة من اللوعة والأسى حتى اخترمه الموت أخيراً ، فأراحه من همه وغمه ، وأراحه من وصبه وألمه .

وفى الليلة التى فاضت فيها روحه ، نفث جميع أحزانه فى كلمات وجيزة خاطب بها زوجه ... قال لها وهو يتألم ولكن لا يدرى أنه سينام فلا يستيقظ : نفسى حزينة حتى الموت ..!

والشئ الذى حز فى قلبى وأرمض نفسى يا سيدى ، هو أن يقضى والدى فلا يلتفت إليه أحد ممن نهل من مناهل أدبه ، ولا يكترث بموته مخلوق من الذين كانوا يطرونه ويتمدحونه ويثنون عليه ويشيدون بعلمه وبفضله أثناء حياته ... وكأنه إنسان عادى ما خدم العلم والأدب وما هذب النشء وما وضع المؤلفات وما أنشأ الفصول والقصص والمقالات ..! هذا الجحود يا سيدى أمضنى كثيراً وهذا النكران للجميل هطلت له دموعى .

أرجو أن تتكرم على أو على الأستاذ خليل بيدس — الذى لم يجد بعد موته من يكتب عنه سوى ابنه — بنشر الكلمة المرفقة مع هذا الكتاب فى الرسالة الغراء . وتفضل بقبول جزيل احترامى وتقديرى .

أميل خليل بيدس

(الرسالة) ستنشر الكلمة فى العدد التالى ، ورحم الله الأستاذ خليل بيدس وجزاه خيراً على ما قدم للعربية ، وعوضه برضاه عنه من جحود الناس لفضله .

تصويب :

حدث سقط مطبعى فى فقرة من موضوع « عراك فكرى بندوة الرسالة » فى العدد الماضى ؛ إذ جاءت الفقرة هكذا : « وأنا لا أرى أن هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر » والصواب : « وأنا لا أرى أن هناك شرقياً وغربياً ، وإنما هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر » .

عباس خضر



أسطورة الديك الذهبي (*)

لألكسندر بوشكين

كان يجلس على عرش مملكة قوية ، لن أذكر اسمها ، قيصر اسمه دادون ، لا شبيه له في الرجال . ولما كان دادون شجاع القلب ، فإنه لم يترك واحداً من جيرانه دون أن يشن عليه الحرب . أما وقد كبر الآن فقد رأى أن يتيح لجسمه الهرم شيئاً من الدعة والاطمئنان . غير أن الأعداء انتهزوا الفرصة ، فهاجموا المملكة من دون رحمة ، ونهبوا الديار ، وطحنوا جيش دادون طحناً . أما جنوب المملكة فقد كان محصناً ، والشرق هو الجهة التي كان يأتي منها العدو .

وفي ذات يوم نزلت بالشواطئ كتيبة عاصفة ، فاضطرب القيصر أيما اضطراب ، وهجر النوم جفنيه . خيل إليه أن حياته لم تكن في يوم ما أمرّ منها الآن ، فلم ير إلا أن يطلب العون من منجم الدولة ، ذلك الخصي الشيخ الممتلئ حكمة ومعرفة .. لبى الخصي النداء ، وجاء البلاط يحمل في حقيبته ديكاً ذهبياً ، وقال : ليأمر مولاي بنصيب هذا الديك على عمود من الخشب ، فيحرس المملكة . فإنه إذا لم يكن ثمت خطر ظل هادئاً مطمئناً ، فإذا لاح الخطر في الأفق انتفض من سكونه ، وانتفخ عرفه الأحمر ، وصاح صيحة تنبه القوم ، وأشار إلى الجهة التي يأتي منها العدو » .

فرح القيصر لهذا الحل السعيد ، وقال : سأعطيك في مقابل هذا ما تريد . ستكون رغبتك رغبة القيصر أين شئت ومتى أردت » .

وجثم الديك في مكانه يسهر على المملكة ، بينما أوى القيصر الهرم إلى فراشه ينعم بالنوم المهنيء ، ولا يلقي بالاً إلى حوادث الزمن . ولم يعد الخطر يدهم الناس ، ولم تمد مخالب العدو تهدد القيصر العجوز .. دادون ! ...

فلما مر عامان كاملان ، إذا بأصوات تزلزل الأفق وتطرد النوم المهنيء عن عيون الناس . وأقبل قائد الجيش صائحاً : قيصري وسيدي ، انهض فالمملكة في حاجة إلى ابنيك الباسلين !

تأوه القيصر ثم قال : ما الخبر ؟ فأجاب قائد الجيش : الديك صاح .. والناس في رعب شديد . وتلفت القيصر حواليه ، وأرهف السمع ، فإذا صيحات من المشرق ، وإذا الديك قائم منتفض يصيح : كوكو .. روكو ! .. كوكو .. روكو ! فالتفت القيصر إلى القائد صارخاً : أعدوا الجياد .. أعدوا السلاح ... انطلقوا سريعاً إلى الحدود ! . وإلى الشرق طار الجيش الكثيف يقوده الابن الأكبر لدادون .. حينئذ هدأت ثورة الديك ، وكف عن الصياح ! .

مضت أيام ثمانية ولم يأت عن الجيش خبر : أقاتل ، أم فر ؟ صه ..! صه ..! لقد صاح الديك من جديد — فليذهب الجيش الثاني إلى الشرق وعلى رأسه الابن الثاني لدادون . نعم ، وفي هذه المرة أيضاً مرت أيام ثمانية ولم يأت الخبر ! فلما صاح الديك للمرة الثالثة ، هب دادون العجوز ، وقاد سائر الجند بنفسه ، ومضى إلى الشرق وهو يطمئن الناس ، وإن لم يكن هو في دخيلة نفسه بمطمئن ...

ساروا الليل والنهار حتى أدركهم التعب وهمدت قواهم . هذا والقيصر في عجب ودهشة : لا دليل على معركة ... ولا أثر لساحة ... ولا معسكر ... ولا رجمة يثوى تحتها بطل ...

في نهاية اليوم الثامن ، صعد القيصر في شعاب تل ، وصعد خلفه الجنود — فماذا رأوا ؟ !

بين قمتين من الصخر رأوا خيمة من الحرير قائمة ! كان صمت عجيب يسيطر على المكان .. وفي مجرى ضيق بسفح الجبل ، وجد القيصر أبطاله الذين أرسلهم مذبوحين ... وأمام باب الخيمة وجد ابنيه الأكبر والأصغر ، كلا ملقى بلادروع ، وقد أغمد سيفه في جنب أخيه . كان الكلأ مصبوغاً بالدم ، والجياد تمرح في الوديان

(*) على هذه الأسطورة أنشأ رمسكي كورساكوف جانباً من احدى أوبراته وهي « الديك الذهبي »

والقيصر المسكين يولول فى جنون : آه يا ابنىّ ! كلا النسرين صاده الصياد . . وا ضيعتى ، وا ضيعتى ! ! » وناحت الجنود لنواحه ، ورددت الآفاق الصدى ، فكأنما شارك الجماد فى الحزن والأنين ...

وعلى حين فجأة انشق ستار الخيمة عن ملكة شاماخان تلمع لمعان الشروق ، أومأت إلى القيصر محيية ، فلاح دادون وكأنه طير من طيور الليل فى سناها الخاطف ، سمرت عيناه فى جمالها ، وطار من رأسه كل حزن وأسى على ابنيه اللذين لقيا الهلاك . وتبسمت هى لدادون ، ثم انحنت قليلا ، فأمسكت بيده وقادته إلى داخل خدرها ، وقدمت إليه طعاماً ملكياً فاخراً ، فلما تناول منه ، قادته إلى أريكة موشاة بالذهب ، مسترة بالدمقس .

سبعة أيام وسبع ليال ، والقيصر « دادون » ينهل من السرور ، ويطيع الملكة طاعة عمياء . ثم حان الرحيل ، فتأهبت الجنود ، وهيئوا الركاب ، وسار الجميع فى طريقهم إلى عاصمة المملكة ...

كان الناس قد بلغهم الخبر ، فإذا جموع هائلة بأبواب المدينة ، وإذا هتاف عال يستقبل الموكب : عاش دادون ! عاشت الملكة ! عاش دادون ! عاشت الملكة !

ولكن من هذا الرجل الأبيض الرأس واللحية الذى يشق الجموع ليلحق بعربة القيصر ؟ إنه الخصى الحكيم !

أقبل على القيصر يقول : تحيتى يا مولاى ! فقال القيصر : ماذا تريد ؟ قال : حساب بيننا يا سيدى ... لقد أقسمت أن تجيب رغبتى ... إنى أريد هذه الفتاة ... ملكة شاماخان !

فصرخ الملك دهشاً : إنك تهذى ... ما نفع فتاة لخصى ؟ اطلب شيئاً آخر فأقدمه إليك ... اطلب خير ما فى حظيرتى من جياد ، أو مرتبة من مراتب الحكم ، أو إن شئت فاطلب ذهباً ... حتى نصف ما فى المملكة !

قال الساحر : لا شىء مما يوهب يستحق أن يرغب فيه ... إنى لا أطلب غير ملكة شاماخان !

جن القيصر من الغضب وصاح : لقد أخطأت فى تقدير عنك أيها العبد ... لم يكن جديراً بى أن أتركك تتحدث !

وبصولجانه قرع دادون هامة الخصى قرعة شديدة ، فسقط الرجل على الأرض ميتا !

وحينئذ اهتزت المدينة اهتزازاً شديداً ارتعب له قلب دادون! ولكن الفتاة علا ضحكها فى تلك الساعة ... فما كان منه إلا أن تكلف الابتسام ، وأمر بمواصلة المسير ...

وعلى حين فجأة سُمع صوت ضئيل ، وإذا بالديك الذهبى يطير إلى العربة الملكية ، وإذا به يستقر على هامة القيصر ، فنفض ريشه أولا ، ثم نقر دادون فى وسط هامته ، ثم حلق فى الجو عائداً إلى السماء ...

ونزل القيصر من العربة ، فإذا به يسقط على الأرض بدوره ، وإذا به يئن أنة واحدة ... ثم يسلم الروح !

أما الملكة ، فإن أحداً لم يرها بعد ، وكأنها لم تكن هناك ! !

إن الأساطير وإن بعدت عن الحقائق قد يستفيد منها اللبيب عظة أو اثنتين . .

يوسف جبرا

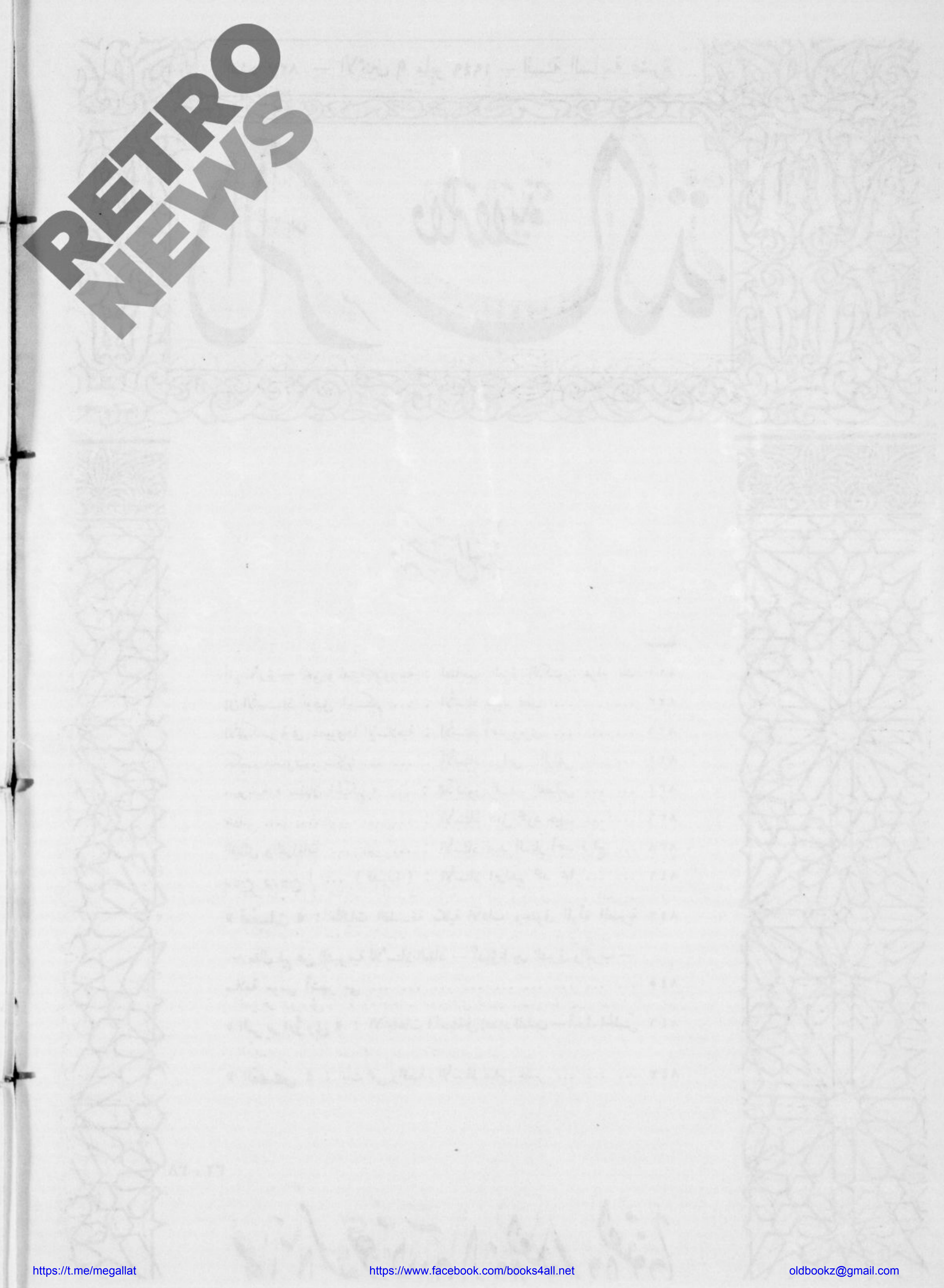
مطبعة الرسالة



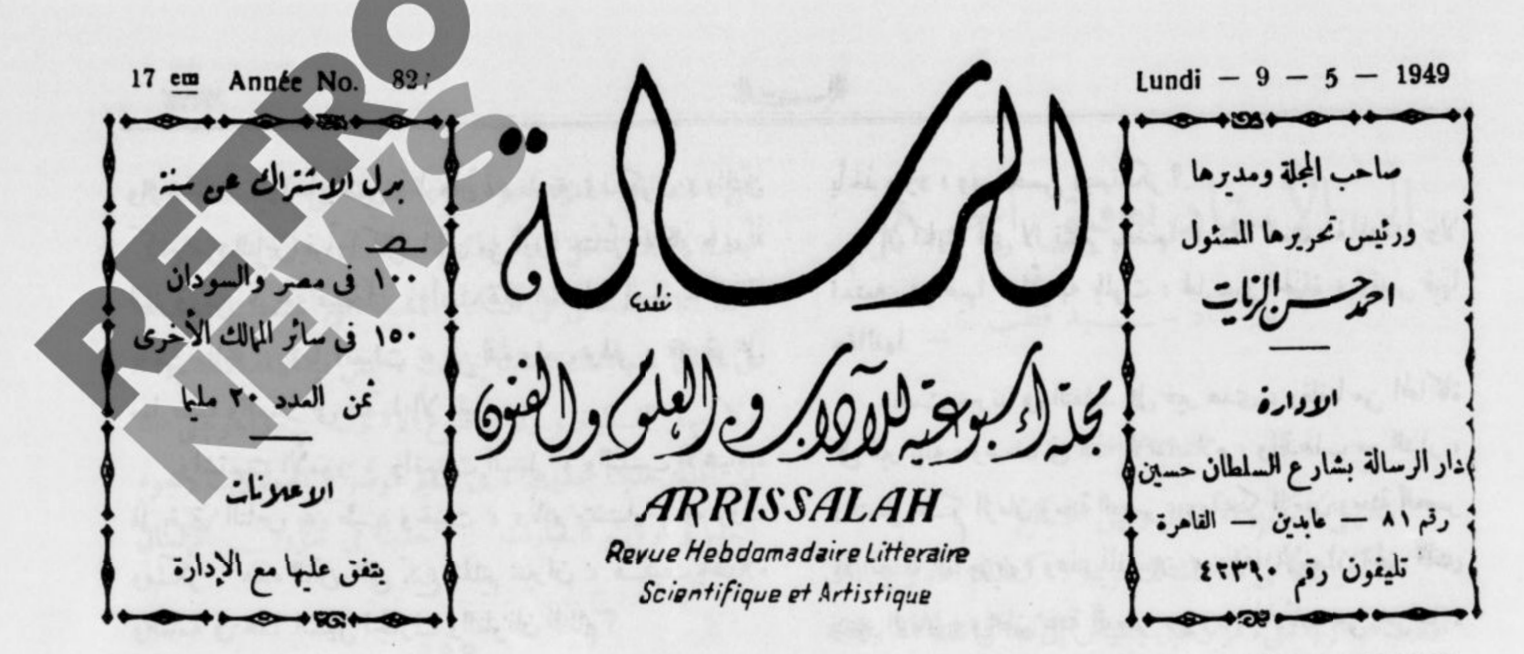
العدد ٨٢٧ — الاثنين ٩ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



فهرس العدد



17 em Année No. 827 — Lundi — 9 — 5 — 1949



السنة السابعة عشرة « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٦٨ — ٩ مايو سنة ١٩٤٩ » العـــدد ٨٢٧

٣ - أمم حائرة

نحن والمدنية الأوربية

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بجدة

أعني بكلامي هذا الأمة المصرية أولا ، ويتناول الكلام الأمم المشابهة لها المتصلة بها من العرب والمسلمين بما تشابهت أحوالهم فيما ورثوا من حضارة قديمة ، وبما تقارب نظرهم إلى الحضارة الحديثة .

طلعت هذه الحضارة على الشرق مع قوم يعدّهم الشرقيون — ولا سيما العرب والمسلمون — أعداء ، سجّل التاريخ كثيراً من حروبهم ووقائعهم ، ولم يخلُ عصر من إغارتهم على المسلمين ، أو إغارة المسلمين عليهم ، منذ انتشر الإسلام في غربي آسيا وشمالي أفريقية وفي جنوبي أوربا : أسبانيا وجزر البحر الأبيض ثم البلقان .

وظهرت هذه الحضارة والنزاع مستمر ، والمعارك دائرة ، ولم يغير أصحاب هذه الحضارة من خططهم ، ولا عدلوا عن سيرهم ، بل استعانوا بما أمدتهم به الحضارة الحديثة من علم وصناعة في الغلبة والسيطرة على من عجزوا عن قهرهم وتذليلهم من قبل .

فلم يكن بد أن ينفر الشرقيون ، وبخاصة الدول الإسلامية ، إذ كانت مجاورة لأوربا ، وكانت صاحبة السلطان في آسيا كلها ما عدا الصين ، وفي أفريقية — لم يكن بد أن ينفر هؤلاء من الحضارة التي طلعت عليهم بين الحديد والنار على أيدي أعدائهم القدماء ، وطلعت مشوبة بكثير مما يخالف عقائدهم وآدابهم وسننهم.

وسرعان ما أيقن المدافعون عن أنفسهم من أهل الشرق أنهم مغلوبون لا محالة إن لم يدفعوا هؤلاء الأعداء الأشداء ، بمثل سلاحهم ، ويلقَوهم بمثل عددهم ، ويكيدوهم بمثل خططهم وتدبيرهم . فلم يجدوا مناصاً من أن يأخذوا من أوربا حضارتها الصناعية على قدر الطاقة وعلى قدر ضرورات الدفاع .

لم تكن هذه الحضارة موضع تردد ، إذ دعت إليها ضرورة الدفاع عن الأنفس والأوطان ، ولم تكن موضع ريبة لأنها قائمة على قوانين طبيعية لا تختلف في الشرق والغرب ، ولا تلائم أمة دون أمة ، ولا تتصل بتاريخ دون آخر ، وهي لا صلة لها بالدين والأخلاق والآداب والعادات والعرف والطباع ونحوها .

أخذ المسلمون الحضارة الصناعية على قدر ما مكّنهم علمهم وخبرتهم وأحوالهم ، وعلى قدر ما يسرت لهم أوربا الأخذ . أخذوا نتائج هذه الحضارة الصناعية ، وحاولوا أن يأخذوا ما تعتمد عليه من علوم وفنون .

ثم أخذوا كذلك ما لم يجدوا مناصاً من المسارعة إليه من نظم للجيوش ، ونظم للدولة ، ونظم للادارة .

ثم زاد اتصال الغرب والشرق بالاقتباس والاقتداء ، ثم بغلبة الغربيين على كثير من الأقطار وإقامتهم فيها واختلاطهم بأهلها .

وأخذت هذه الحضارة أمم الشرق بالرغبة والرهبة ، وبالسطوة

والزينة ، فسايروها راضين وكارهين ، وعارفين ومنكرين ، وافتتن كثير من الناس فرأوا كل ما أتى من أوربا حسناً ، وكل ما ورثه الشرق من تاريخه قبيحاً . وزادت هذه الحضارة إغراء بما ازينت به من مناظر ، وما اتصلت به من لذة ولعب ولهو ، فلم يقو على معارضتها والصبر على فتنتها إلا قليل .

واشتبهت الأمور ، وانبهمت السبل ، والتبست الأشياء ، فلم يفرق الناس بين طيب وخبيث ، ونافع وضار ، ومعروف ومنكر . هذه الفتن التي تدع الحليم حيران ، فكيف بالجهلاء والعامة في هذا السيل الجارف والطوفان الطام ؟

ولم يفرّق الناس في هذه الفتنة العمياء ، وهذه المحنة الصماء ، بين الحضارة الصناعية والحضارة الأخلاقية ، ولم يميزوا بين ما يلائم وما لا يلائم ، فقاسوا الأخلاق والآداب وسنن الجماعات وروابط الأسر ، وقاسوا العقائد والمذاهب ، على السيارات والطائرات والغواصات والمدمرات ، وعلى البرق والهاتف والمذياع ، وفتنوا بالمسرح والسينما والمرقص ، وبالتزين والتبرج والتعرى . واختلط الحابل بالنابل ، وضاع الحق في هذه الضوضاء ، وضلت المروءة في هذه السوق ، ونادى العقلاء فلم يسمع لهم ، وقال الحكماء فلم يبالَ بقولهم ، وغُلِب الناس على أمرهم حتى اختلف القول والعمل ، فترى الإنسان ينكر الشيء ويفعله سيراً مع الدهماء ، ويخالفه اعتقاداً ورأياً وقولا ويخضع له في داره بين أهله وأولاده . وبلغت الفتنة أن قال بعض الكبراء وأنا أحاوره في الطريقة المثلى : « إن الطريقة المثلى هي الواقع » .

وقد أنكرنا أنفسنا وحقرنا ما عندنا وأعظمنا ما عند غيرنا وأخذتنا الرهبة والروعة من كل جانب . وكم زرينا على أشياء ورثناها وعرفناها ، حتى أخذها أهل أوربا وأعجبوا بها فنقلناها عنهم ، ورضينا بها إذ رجعت إلينا من بلادهم ، كما هجرنا الهندسة العربية في الأثاث وغيره ، ثم حكيناهم في الإعجاب بها فاتخذناها بعد أن سميناها « أربسكا » .

وكما أعرضنا عن سباق الخيل وضروب الفروسية والرياضة التي كانت لنا ، ثم عكفنا على قمار في سباق يربّى خيلا ولا ينشّىء فرسانا ... وأمثال هذين كثير .

والإنسان في هذا الضعف والخوف لا يصح له رأى ، ولا تستقيم له طريقة . وكيف يصح الرأى إن لم يعتد الإنسان بنفسه ، ويثق بعقله . ويعرف أن له كياناً واستقلالا ، وأن له الحق أن يأخذ ويرد ، ويستحسن ويستنكر ؟

إن الحياة التي لا تشعر بنفسها ، ولا تستمد قواها ، ولا تستعين بمواهبها ، لأشبه بالموت ، لها صور الحياة ، وليس فيها حقائقها ...

عظمت حيرتنا في التقليد على غير هدى ، وقلقنا من المحاكاة على غير بينة ، وضعفنا في هذا الاستسلام ، والذهاب مع التيار ، والتعلل بحكم الزمان وسنة العصر ، وما حكم الزمان وسنة العصر إلا تعِلّة العاجزين ، وعذر المفلسين ، وإنما الإنسان الحق الذي يسير الزمان ، ويخلق سنة العصر ، ويرد الحادثات عن مجراها ، ويسيرها على الطريقة التي يرضاها .

فلما ألفينا أفكارنا وحقرنا مذاهبنا ، والطرق أمامنا مختلفة ، والمذاهب ملتبسة ، نزع كل منا منزعاً ، وذهب على ما تخيل مذهباً ، فكان اختلاف الآراء في الجماعة ، وتناكر المذاهب فيها ، وكانت هذه الحيرة ، وهذا القلق ، وهذا الاضطراب .

ليتنا حين أخذنا عن غيرنا أخذنا الجليل والحقير ، وحاكينا في الجد والهزل ! وكم في الغربيين من قدوة صالحة ، وأسوة نافعة ، وخطة جيدة . ولكن عظائم الأعمال لها وسائل من الكد والدأب واحتمال الشاق والصبر عليها . والمجد مصاعد شاقة ، وتكاليف مرهقة . وسفساف الأعمال هينة قريبة لذيذة يستطيعها كل من شاءها ، ويهبط إليها من لم يكلف نفسه الصعود . فقد أسرعنا في هزل الغربيين ولهوهم ومظاهرهم ، وشق علينا أن نضطلع بكثير مما اضطلعوا به وعملوا له ، في نظام محكم وخطة شاقة ، ودأب لا يكل .

لسنا جاهلين بمحاسن الحضارة الحديثة وفضائلها ومزاياها ، ولا غافلين عن لذاتها ومتعها ؛ ولكننا لا نجهل كذلك رذائلها وعيوبها ، ولا نغفل عما وراء لذاتها من مهالك للأمم ومفاسد للجماعات . ما أيسر أن يُعفِيَ الإنسان نفسه من الإصلاح ، ويهز مع الغُواة ، ويستمتع مع المستمتعين ، ولسنا عن هذا عاجزين ، ولكن الأمانة التي في أعناقنا للأمة ، والواجب الذي علينا لها ، والبصر بما وراء المظاهر ، وإدراك ما بعد الحاضر ، كل أولئك يمَنِّى الفكر ، ويقلقه ويسلط عليه هموماً لا تنام ولا تُنيم . فيُلزم نفسه الدعوة إلى الإصلاح ، والأخذ بالأشق ، وحرمان نفسه من كل ما يأباه الوجدان اليقظ ، والعقل الصحيح .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

صديق الكبير الأستاذ توفيق الحكيم .

شكراً لك على هديتك الكريمة : كتابك الجدير « الملك أوديب » . إنها شيء عزيز ثمين بالقياس إلى هنا فى تلك « الورشة » الضخمة السخيفة ، التي يسمونها : « العالم الجديد » !

لقد استروحت فى كلمة الإهداء : « ممن يذكرك دائماً » نسمة رخية من روح الشرق الأليف — فالذكرى هى خلاصة هذه الروح — وما كان أحوجنى هنا إلى تلك النسمة الرخية ... إن شيئاً واحداً ينقص هؤلاء الأمريكيين — على حين تذخر أمريكا بكل شيء — شيء واحد لا قيمة له عندهم ... الروح !

بحث يقدم للدكتوراه فى إحدى جامعاتهم — وقد قدم فعلا — عن : « أفضل الطرق لغسل الأطباق » أحب إليهم ألف مرة وأهم من رسالة عن «الانجيل» ، إن لم يكن أهم من ذات الإنجيل !

أمامى وأنا أكتب أليك هذه الكلمات فى مطعم ، شاب أمريكى يثب على صدره « سبع » ويجثم على ظهره « فيل » ! لا تُرعْ ! فذلك السبع إنما هو رسم يملأ فراغ رباط عنقه ، وهذا الفيل إنما هو رسم كذلك يملأ فراغ صدريته ! لقد رسم السبع باللون البرتقالى الفاقع على أرضية « أخضر زرعى » ، ورسم الفيل باللون الكحلى على أرضية « كرنبى » ، وهذا السبع مع رباط الرقبة مدلى فوق الصدرية لا تحتها حسب مزاج « التقاليع » !

هذا هو الذوق الأمريكى الغالب فى الألوان !

والموسيق ... ولكن مالى وهذا كله ؟ إن ذلك حديث آخر ليس وقته الآن .

أردت فقط أن أقول لك : كيف كانت هديتك لى فى « العالم الجديد » !

***

أشعر بأنى أرد لك بعض جميلك حين أحدثك بصراحة كاملة عن عملك الفنى الجديد ، مؤثراً هذه الطريقة على كتابة مقالة نقد . ليست بى الآن أقل رغبة لكتابة مقالات ، وليس لدى الوقت أيضاً ؛ إنما يشجعنى على الكتابة اللحظة أننى أستحضر شخصك فى خيالى ، وأبادلك حديثاً بحديث ، ليس فيه كلفة التحضير ، ولا تمحل الفكرة ، ولا اصطناع الأسلوب ... ما أحوجنى هنا لمن أبادله حديثاً بحديث ، فى غير موضوع الدولارات ونجوم السينما وماركات السيارات ... حديثاً فى شؤون الإنسان والفكر والروح !

***

دعنى أحدثك أولا عن « المقدمة » فهى تكوّن مع « مقدمة الترجمة الفرنسية » و « التعقيب على المقدمة الفرنسية » مبحثاً خاصاً له قيمة ذاتية فى موضوعه . ثم إن الحديث عنه قد يكون فى ذاته حديثاً عن تمثيليتك الجديدة .

ولنسر معاً خطوة لخطوة فى بحثك الممتع الطويل ...

مالى أحس — أيها الصديق الكريم — كأنك خائف قلق من ذاكرة التاريخ ؟ ذلك الخوف وهذا القلق اللذان يدفعانك دفعاً إلى تسجيل دورك بقلمك فى خط سير التمثيلية العربية ؟

أحب أن أطمئنك منذ اليوم على أن التاريخ الأدبى لن ينسى لك دورك الأساسى الذى قمت به فى وضع « القالب الفنى » للمرة الأولى فى تاريخ الأدب العربى للرواية التمثيلية ... وصنعه على أساس فنى صحيح . وإلا فإن محاولات كثيرة قد سبقتك لوضع هذا القالب (أشرت أنت إليها إشارة سريعة فى مقدمتك ، وسيتناولها تاريخ النقد بالتفصيل والتطويل) إلى أن جئت أنت فوفقت نهائياً لتكوين قالب فنى للحوار يحمل « فكرة » تدخله فى باب الأدب ، وينهج نهجاً لم يلحقك فيه إلى اليوم أحد ، ولست أدرى متى يظهر التالى لك ، أو المتفوق عليك ، فيه ؟

***

هذا دورك الذى لن ينسى . دور فى « تاريخ التطور الفنى » . أما نصيبك الذى سيبقى فى باب « القيم الفنية المطلقة » فأخشى أن أقول : إنك لم تقم به بعد ، لأنك — فى باب التمثيليات — لم تهتد بعد إلى النبع الأصيل الذى تستقى منه روحك العميقة لا فكرك الواعى ، فتنشىء عملاً خالداً فيه حياة وروح

لقد اهتديت أحياناً إلى النبع — ولكن في باب غير باب التمثيلية — في: «نائب في الأرياف» وفي «عودة الروح» وفي لمحات متفرقة في «زهرة العمر» وبعض كتبك الأخرى. أما في باب التمثيلية، فلم يكن لك — غير القالب الفني — شيء يبقى، اللهم إلا خفقات ضائعة مخنوقة في ركام أجنبي غريب!

معذرة يا صديقي، فذلك وجه الحق فيما أرى. وستعلم بعد قليل لماذا أرى. أما الآن فأحب أن أسجل حقيقة أخرى ... إن دورك هذا الذي حققته إلى اليوم فعلا، ليس صغيراً ولا قليل الأهمية. فهو دور حاسم في تاريخ هذا الفصل من كتاب الأدب العربي. إنه القنطرة التي لم يكن منها بد، ليعبر عليها الفنان الأصيل الموهوب فيما بعد. وقد تكون أنت نفسك ذلك الفنان الأصيل الموهوب في عمل فني جديد، حينما تهتدي إلى النبع الأصيل المخنوق في نفسك تحت ركام من الثقافة الغربية الطاغية.

إنني لا أعيب الثقافة — فهي أمر لا بد منه اليوم لتكوين الأديب — ولكن الذي أعنيه أنك أيها الصديق — شأنك في هذا شأن ذلك الجيل كله من الشيوخ — تستلهم ثقافتك الفنية الغربية، قبل أن تجد ذاتك الأصيلة.

من هنا يفقد فنك — كما تفقد أعمالهم جميعاً — ذلك الطعم الخاص الذي يتذوقه القارئ في آداب كل أمة، والذي يميزه عن آداب الأمم الأخرى.

إنكم لا تجدون أنفسكم في خضم ثقافتكم. إنكم تمتحون من رؤوسكم أكثر مما تستوحون قلوبكم. وهذا هو العنصر الخطر عليكم جميعاً.

إنك تهتدي إلى النبع في مقدمتك، ولكن بذهنك الواعي، لا بشعورك الغامض. لهذا يخطئك التوفيق عند التطبيق.

تقول:

«ما من شيء أقوى من الميراث! .. إذا كان للخلود يد فإن الميراث يده التي ينتقل بها الكائنات من زمان إلى زمان ... ما طبائع الأفراد وخصائص الشعوب ومقومات الأمم، إلا ميراث صفات وسمات، تنحدر من جيل إلى جيل. وإن ما يسمونه العراقة في شعب ليس إلا فضائله المتوارثة من أعماق الحقب. وإن الأصالة في الأشياء والأحياء هي ذلك الاحتفاظ المتصل بالمزايا الموروثة كابراً عن كابر، وحلقة بعد حلقة .. هكذا يقال في شعب أو رجل أو جواد. وكذلك يقال في فن أو علم أو أدب ...».

كلام صادق ثمين عميق جميل ... ولكنك تعرفه بوعيك يا صديقي، ولا يكمن مبهما فعالاً دون أن تدري، في اتجاهاتك الفنية وأعمالك ...

لقد اتجهت وأنت تحاول وضع القالب الفني للتمثيلية المصرية إلى الأساطير الإغريقية تستلهمها موضوعاتك ... لماذا لأن نشأة المسرح كانت إغريقية، ولأن الأوربيين — وهم ورثة الإغريق — قد جعلوا المسرح الإغريقي والتمثيلية الإغريقية والأساطير الإغريقية أساساً لأعمالهم!

ولكنك أنت يا سيدي لست من ورثة الإغريق. لا أنت ولا شعبك الذي تعيش فيه. قد تكون من ورثتهم بثقافتك وقراءاتك ولكن هذه قشرة رقيقة لا تنشيء فناً خالداً أصيلا.

«ما من شيء أقوى من الميراث. إذا كان للخلود يد فإن الميراث يده التي ينتقل بها الكائنات، كما تقول!

إنك في حاجة لأن تستلهم وراثتك الأصيلة المتغلغلة في ضميرك آلاف السنين ومئات الأحقاب، لا أن تستلهم ثقافتك الطارئة في عمرك الفردي المحدود.

هنالك النبع يا صديقي لو شئت لأعمالك الخلود!

***

لقد تساءلت. لماذا لم ينقل العرب، فيما نقلوا عن الإغريق، التراجيديا الإغريقية؟ وكان من بين التعليلات التي ذكرتها — وإن لم ترضها — «صعوبة الفهم لذلك القصص الشعري، وكله يدور حول أساطير لا سبيل إلى فهمها إلا بشرح طويل، يذهب بلذة التتبع لها، ويقضي على متعة الراغب في تذوقها».

لقد كدت تضع يدك على السر، ولكنك تركته مسرعاً لتقول:

«لكن على الرغم من وجاهة هذا التعليل، فإني لا أعتقد أن هذا أيضاً يحول دون نقل بعض آثار هذا الفن. فإن كتاب الجمهورية لأفلاطون قد ترجم إلى العربية. وما أشك أن فيه من الأفكار حول تلك المدينة المثالية ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه. ولكن ذلك لم يمنع من نقله ... بل إن هذه الصعوبة

بالذات قد دفعت الفارابي إلى أن يتناول جمهورية أفلاطون ، فيضفي عليها ثوباً جديداً من خواطره ، ويصبها في قالب عقليته الفلسفية الإسلامية » .

وهكذا تبعد نهائياً عن السر وكان منك على لمسة إصبع !

إن الفارق بين كتاب الجمهورية والتراجيديا الإغريقية لبعيد .

... إن الجمهورية موضوع يحتاج إلى (فهم) والتراجيديا موضوع يحتاج إلى (شعور) . وهذه هي العقدة في قضية العرب والفن الإغريقي ؛ ثم في قضيتك أنت بالذات يا صديقي العزيز .

إن الصعوبة الأساسية في الأساطير واستلهامها ليست في الحاجة إلى (الفهم) فالفهم قد يكون ممكناً بالشرح على نحو من الأنحاء . ولكن الصعوبة الحقيقية كامنة في الشعور بها في أعماق الضمير . إن الأسطورة تنبع من ضمير الشعب لا من رأسه ؛ وتعيش كامنة في دمه وأحاسيسه . هي « ميراث » شخصي لكل شعب ، لا يمكن نقله إلى ضمائر الشعوب الأخرى ، كما يمكن نقل الثقافات إلى الرؤوس ، بل كما يمكن أحياناً نقل الأعمال الأدبية التي لا تقوم على أسس وراثية كالأساطير .

لا بد أن تعيش الأسطورة حياتها في تاريخ الأمة وضميرها ، حتى يستسيغها ذوقها ، وتنبض لها قلوبها .

لهذا لم يكن ممكناً أن يشعر العرب بجمال التراجيديا الإغريقية المستمدة في صميمها من هذه الأساطير ، ولا أن تنتقل إلى تراثهم كما انتقلت الفلسفة ، لأن الفلسفة تراث ذهني في الأغلب ، والأسطورة تراث شعوري في الصميم .

هذه هي المشكلة . أما ما قلته من أن السبب الأساسي هو شعور العرب بحاجتهم إلى الفلسفة وإلى العمارة ، وعدم شعورهم بالحاجة إلى الشعر . فهو نفسه يحتاج إلى تعليل ! لماذا لم يشعروا بحاجتهم إلى الشعر ؟ لأن شعرهم كان فيه الكفاية للتعبير الكامل عن حياتهم الشعورية الأصيلة ؛ ولأن الشعر الإغريقي لم تمش أساطيره في ضميرهم ، ولم تندس في كيانهم لتصبح شيئاً غامضاً تائهاً كما كانت في كيان الإغريق !

***

هنا نجيء لمشكلتك أنت بالذات ، بل لمشكلة جميع الذين يجعلون الأساطير الإغريقية أساساً لأعمالهم الفنية ، ولو كانوا من الأوربيين المحدثين — على أنهم ورثة هؤلاء الإغريق — !

إن الأسطورة لا تعيش في دمائكم — وفي دمك أنت المصري بوجه خاص . إنها لم تنبع من ضمير شعبك . إنها لم تصاحب تاريخك . فكيف تنشيء منها أدبا له حياة ؟

قد تقول : إنك تحسن عملك الفني على أساس يتفق مع طبيعة الأسطورة ؛ بل مع طبيعة التراجيديا الإغريقية ، وقد قلت ذلك . قلت : إن الشعور الديني هو أساس التراجيديا ، وأن هذا الشعور عميق في حسك . فأنت تشعر بازدواج العالم ولا ترى أن الإنسان وحده في هذا الوجود .

ولكن هذا كلام عام . ألمح فيه تفكير الذهن ولا أتذوق فيه طعم الشعور .

إن الميثولوجيا الإغريقية مختلفة في طبيعتها عن التبعين الأصيليين لك كمصري مسلم . فلا هي تتفق مع طبيعة الميثولوجيا المصرية القديمة ولا مع العقيدة الإسلامية الحديثة .

الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية تدفعها حيوية عارمة إلى كل تصرفاتها . حيوية لا تعرف العدل والحق والخلق والضمير ، لأنها حيوية عاتية شهوانية باطشة . فليس لديها ما يمنع من صب كل هذه اللعنة على «أوديب» لمجرد شهوة أو حقد من « أبولون » . كذلك صنعت مع « هرقل » و كذلك صنعت مع « بروميثيوس » وغيرهما . وجو الأساطير الإغريقية كلها يوحي بهذا الطابع الخاص الأصيل .. وهذه الآلهة نفسها يسيطر عليها « القدر » أو قوة تشبهه ، وقد لا تكون مخيرة هي الأخرى في دفعاتها وشهواتها وبطشاتها !

والآلهة في الميثولوجيا المصرية القديمة تسيطر عليها فكرة العدل والخلق والحق — في الغالب — فلعنة مثل لعنة « أوديب » غير مستساغة في ضمير الميثولوجيا المصرية القديمة .

فأنت — يا صديق — بضميرك المصري القديم لا تعيش في نفسك هذه الأسطورة الإغريقية !

وأما الإسلام فينبذ نهائياً فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله . وقد بينت أنت نفسك أن فكرة القدر في الإسلام لا تتفق مع الفكرة الإغريقية .

فأنت — يا صديق — بضميرك الإسلامي الحديث ، لا تعيش في نفسك هذه الأسطورة الإغريقية !

منارة الماضي :

الاســـكندرية
في عصورها الاسلامية

للأستاذ أحمد رمزي

قال ياقوت الحموى : « لو استقصينا فى أخبار الاسكندرية جميع ما بلغنا لجاء فى غير مجلد »

قدم إلى فى الأسبوع الماضى ، حضرة رئيس مكتب السجل التجارى بمدينة الاسكندرية[1] ، نسخة من كتاب طبعته الغرفة التجارية المصرية وعنوانه « الاسكندرية » من وضع لجنة المدينة التى أشرفت على تنسيق قسم خاص للثغر فى شارع وادى النيل بالمعرض الزراعى الصناعى السادس عشر .

ولما تصفحت مقدمة الكتاب ، قرأت نبذة تاريخية ألفها أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة فاروق ، ما انتهيت منها حتى أكبرت هممهم ، وشعرت بعظمة الإنتاج الذى تخلقه البيئات العلمية ، تلك البيئات التى تعيش وتحيا حيث توجد الجامعات .

وكان تفاؤلى فى محله لأنى قرأت فى الأقسام التى أفردت لتاريخ الاسكندرية الإسلامى ، كلمات تعبر عن شعور النفس العربية المسلمة حينما يتعلق الأمر بتاريخنا المهضوم الحق . انظر إلى كلمة الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة واستفتاحه : « ما فقدت الاسكندرية فى العصر الإسلامى شيئاً إلا استعاضت به غيره » . واسمع قوله : « لم تلبث المدينة أن تعربت ، ودليل ذلك أننا لا نجد إلا عصبيات عربية فى فتنة الأندلس سنة ١٨٣ هـ » فهذا كلام لم نسمعه من قبل : فيه حيوية وإخلاص .

ثم اطلعت على بحث الدكتور جمال الدين الشيال وعرضه للعصرين الأيوبى والمملوكى ، فأعجبنى حين أعطى لصلاح الدين حقه ، وكلنا يعرف ما هى علاقة هــذا العاهل العظيم بمدينة الاسكندرية[1] . وكم كان موفقاً فى حديثه عن تاريخ المدينة حينما أفاض عليها حلة شائقة من التحقيق العلمى وحين توج كل ذلك بذكره لزيارات الملك الظاهر بيبرس واهتمامه بأمورها .

كان هذا فى نظرى بمثابة فتح جديد فى تأريخ مدننا المصرية

(١) مكتب السجل التجارى تابع لإدارة السجل التجارى من فروع مصلحة التشريع التجارى الملكية الصناعية

(١) من الغريب ألا نجد ميداناً أو شارعا يحمل اسم صلاح الدين وهو الذى دافع عن الاسكندرية

وقد يعن لك أن تقول كما قلت فعلا : إنك عالجت الأسطورة من جانب آخر جديد . جانبها الإنسانى العام . ففى « أوديب » مثلا جعلت «الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها . طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة » .

ولكن الأسطورة هى الأسطورة . فلعنة الآلهة هى التى خلقت جوها وحوادثها .

لقد عاشت تراجيديا سوفوكل ، لأنها نبعت من حرارة وجدانه بالأسطورة الحية فى ضميره وضمير شعبه . أما عملك أنت وعمل الآخرين من المعاصرين الذين لا يؤمنون بالأسطورة إيمان سوفوكل . فلن تكتب له الحياة إلا بمقدار ما فى نفس كل منكم من إيمان حار بأسطورة « أوديب » ، وبمقدار ما عاشت هذه الأسطورة فى ضمير شعبه وضميره من الحقب والسنين ، وبمقدار تناسق هذه الأسطورة مع الحياة الشعورية له ولشعبه بوجه عام .

ولا تؤمن بما يقوله الدكتور طه — مساه الله بالخير — ويردده من أن مصر إغريقية التفكير ، لأن مدرسة الاسكندرية القائمة على أساس الفلسفة الإغريقية تركت آثاراً عميقة لا تمحى ! لا تؤمن بهذا فإنما هذه هى فتنة الدكتور الكبرى بالإغريق !

قد يكون ذلك صحيحاً فى الفلسفة ؛ فى منطقة من مناطق الفكر المصرى لا فى سائر مناطقه . أما المنطقة الشعورية فلم تمسها تلك الفلسفة . فضمائر الشعوب لا علاقة لها بالفلسفة . والأساطير تنبع من هذه الضمائر الحية لا من الأذهان الجرداء !

والفنون لا تكتب لها الحياة إلا حين تمتح من هذه الضمائر المكنونة ، حين تتصل بالنبع العميق السارى وراء الأذهان والأفكار ...

ما من عمل واحد يخلد إلا إذا فاض من الشعور .

(وشنطون) سيد قطب

إذ ما رأيت كتاباً أو دليلا تعرض لتعريف مدينة الاسكندرية إلاومرّ على عهدها العربى والإسلامى مروراً بسيطاً لا يشفى الغليل كأن عهد الإسلام والعروبة كان عهداً غريباً عن مصر وأهلها !! فكل من كتب عن تاريخ الاسكندرية من كتاب الفرنجة وغيرهم يولى العهدين الرومانى واليونانى جلّ اهتمامه ، ويبرزهما بروزاً ساطعاً ، بل منهم فريق يسرف فى القول ويغالط فى الحقائق حتى إذا جاء لعهدنا قال : «إن المدينة فقدت أهميتها وعمرانها وأصبحت خراباً بلقعاً » . فكأنه يقول فى مواجهتنا : لدى هؤلاء القدماء المدنية والحضارة ، ولدينا الجهل والخراب . ! لديهم كل ما يحبب ولدينا كل ما ينفر ! . أليس فى هذا دعوة إلى إنكار شخصيتنا وإلى الفناء فى الغير فناء لا نرضاه لأنفسنا ولا لأحفادنا ولا لنهضتنا القومية ؟!

***

كنت منذ سنة أعمل على رأس مصلحة السياحة المصرية ، وكان من ضمن عملى الاطلاع على بعض الكتب والنشرات التى تتكلم عن الاسكندرية وعرضت على مجموعة من هذه منها القديم والحديث ، وكان من بينها كتاب لعالم غربى أريد إعادة طبعه على نفقة الحكومة المصرية ، ولما قرأته دهشت من كثرة ما حواه من الأخطاء عن تاريخنا القومى ، فحاولت جهدى أن أرد الحق لنصابه وأرفع بعض الإبهام وأعطى صورة واضحة عن تاريخ المسلمين وأثرهم ، وكنت أؤمل وقتئذ من جمهرة المثقفين فى مصر ومن أهل المدينة أن يقوموا بواجبهم فى سد هذه الثغرة التى تضعف من إيماننا فى أنفسنا ، وتقلل من أمجادنا ، وتجعلنا فى النهاية غرباء عن تاريخنا .

كل هذا دفعنى إلى الإلمام إلماماً تمهيدياً لما كانت عليه عظمة هذه المدينة . فخرجت بأشياء تجعلنى أسلم بما جاء به ياقوت الحموى فى معجم البلدان من أن ما وصله عنها يستحق أكثر من كتاب واحد . ونحن أمام تاريخ الإسلام فى الاسكندرية نقرر أنه فى حاجة إلى عدد من المجلدات الضخمة .

***

وإليكم أول ما تبادر إلى ذهنى فى تلك الأيام ، أنقله كما هو ، قلت : « الذى أعرفه وأشعر به عن أهل الاسكندرية حين أزور مدينتهم ، هو أنهم أهل رباط ونجدة ، ترى فى وجوههم أن أصولهم وفروعهم تنحدر من صميم القبائل العربية التى رابطت فى هذا الثغر الإسلامى ؛ فيهم نخوة وشدة وحماس ودفعة وإقدام على المخاطر . وتلك صفات انفرد بها أهل الثاغرة والمرابطة فى أنحاء العالم الإسلامى من أهل الثغور والمواصم الذين كتبوا بدمائهم ملاحم الحروب ، فهم إذن سلالة أولئك الذين فتح الله على أيديهم هذا الثغر وأبناء الأبطال الذين صدوا وهزموا كل من حاول الاعتداء على أراضى مصر الإسلامية طول مدة العصور الطويلة الماضية التى نعمت فيها البلاد بنعمة الاستقلال الصحيح والعزة والكرامة » . وأرانى اليوم أكثر تمسكا بهذا الرأى مما كنت.

رجعت إلى ما كتبته أيام السياحة ؛ لأنى أعجبت بالقسم التاريخى من كتاب الغرفة التجارية ، فعدت إلى أوراق الماضى أقلبها ، ثم حمدت الله أن تنبهت الغرفة لهذا التاريخ الإسلامى ، وسلمت أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب هذه الأمانة ، فأدوها وهذه لفتة جديدة لم تعرفها المدينة قبل اليوم .

ولكن مثلى يطمع فى الكثير من هذا ؛ يطمع ان تعرض عليه حوادث التاريخ الحى ، وأن يتغنى بمواقف أهل المدنية ، وينادم آثارها الإسلامية ؛ ويشمخ بأدبها العربى وبروحها الوثابة وبما خلفته وتركته لنا تلك العصور العزيزة علينا ، وهذا عمل عظيم ، أؤمل أن يتولاه الأدباء والعلماء والمؤرخون وأهل الآثار ورجال الدين والقضاة وكل محب للاسلام والعروبة .

***

فهذه مدينة أصبحت أكبر منازل الرباط فى مصر منذ أتم الله فتحها على يد منقذ مصر الأكبر « عمرو بن العاص » ، فبرزت بروزاً فى تاريخنا لا يمكن إنكاره ولا الإقلال من أهميته رغم الطمنات التى يوجهها الغير إلينا وتحديهم لنا .

إن أيام الفتح توحى بالكثير من المواقف وقد أوحت بالفعل شيئاً من ذلك: أننى لاأزال أذكر ما نقل عن عمر وهو يحدثنا قائلا : « ثلاث قبائل من مصر ؛ أما مهرة : فقوم يَقتلون ولا يُقتلون ، أما غافق : فقوم يقتلون ويقتلون ، وأما بلى : فأكثرها رجلا صحب النبى صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارساً » . قال هذا عندما نزل بعض هذه القبائل فى الاسكندرية إبان القتال الدائر حول أسوارها

عند ما حمل الروم على العرب فقتلوا لأول مرة رجلا من مهرة — ولم يكن قد قتل أحد منهم قبل ذلك اليوم — واحتزوا رأسه وحملوها . وقالوا : « لن ندفعها حتى نأتي برأسه » . فقال لهم عمرو : « كأنكم تغضبون على من يبالي بغضبكم . احملوا على القوم واقتلوا منهم ثم ارموا برأس قتيل منهم يرموكم برأس صاحبكم » فخرجت الروم واقتتلوا . فقتل من الروم رجل من بطارقتهم ، فاحتزوا رأسه ورموا به الروم ، فألقت الروم برأس المهرى إليهم . فقال : « دونكم الآن ، فادفنوا صاحبكم » . وقد تكون هذه القصة واقعية أو من عمل الرواة بقصد الدعوة إلى الحماس ، وهذا لا يهمنا بقدر أنها تعرفنا من كان على أبواب الاسكندرية يقاتل . وهؤلاء هم أصحاب المدينة . إذ أجمع المؤرخون على أنهم عند الفتح كانوا من خلاصة القبائل العربية التي استوطنتها بعد جلاء الروم عنها . قال المقريزي : « إن لخماً كانت أعز من في ناحية الاسكندرية وأطرافها »[1] . وهي قبيلة امتدت فروعها وبطونها في صميم مصر ولا يزال أبناؤها في إقليمي البحيرة والشرقية ، ولها المواقف التاريخية في كل حادث من حوادث التاريخ . وليس من السهل إنكار التاريخ والخروج على الأصول والأنساب .

وللاسكندرية مواقف ومعارك وأحداث تحدث التاريخ عنها وأهلها أحق من غيرهم بآثارها والتفاخر بها ، ولم يكن سكانها في تلك العصور ممن تلين قناتهم . أولا يمتد الخصوم بهم فيصفونهم بالاصفار المتراصة ، وإنما كانت سيوفهم مرهفة ، ورماحهم للجهاد قائمة ، وكانت لهم في البحر جولات ، طالما أدخلت الرعب والخوف في نفوس الروم والفرنجة ومن معهم . نعم ؛ جاءتهم قبائل عربية من المغرب ومن الأندلس ، أنزلوها حيناً باختيارهم ، وحيناً بعد حروب دامية . ومن نزل منهم رحبوا به ، ومن لم ينزل على حكمهم أرجموه على سفنه وبعثوا به إلى البحر ثانية ؛ فهم مرابطون بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .

نقل الكندي في فضائل مصر ما قاله سفيان بن عيينة لأحمد ابن صالح : « يامصري ، أين تسكن ؟ » قلت : « أسكن الفسطاط قال : « اتأتي الاسكندرية ؟ » قلت : « نعم » قال سفيان : « تلك كنانة الله يحمل فيها خير سهامه »[1]

ونقل السيوطي في كتابه : أنه نعى إلى عبد الله بن مرزوق الصيرفي ، ابن عم له اسمه خالد بن يزيد ، وكانت وفاته بالثغر الاسكندري ، فلقيه ثلاثة هم : موسى بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن سعد ، منصرفين وكل منهم يقول : « ألم تكن ميتته بالاسكندرية ؟ . إذن هو حي عند الله يرزق ويجرى عليه أجر رباطه ما قامت الدنيا ، وله أجر شهيد حتى يحشر على ذلك » .

أحمد رمزي

(البقية في العدد القادم)

(١) وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون « الصوفية » يأمرون بالمعروف فترأس عليهم رجل منهم يقال له « أبو عبد الرحمن الصوفي » فصاروا مع الأندلسيين يداً واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لخم أعز في ناحية الاسكندرية . (خطط المقريزي ص ٢٧٩ الجزء الأول) .

(١) خطط المقريزي ص ٢٦٢ الجزء الأول .

حكيم فيلسوف يتكلم ...

للأستـــاذ راجى الراعى

مشى كعادته فى كل صباح إلى ساحة المدينة بخطوات الفيلسوف الحكيم ، وأقبل عليه الناس لحمد الله وشكر ، ثم حدجهم بنظراته القوية الصافية العميقة ، فانشق ألف حجاب ، وانقلب الظل شعاعاً ونحات الفلسفة ، وعبق الجو بالروحانية ، وفاح عطر الحكمة ...

وسأله واحد من الجمع :

حدثنا أيها السيد عن التضحية فقال : -

— جميل أن تضحوا بنفوسكم فى سبيل المثل العليا ، وأجمل منه أن تبقوا أحياء لتكملوا أداء الرسالة الروحية ...

جميل أن تحترقوا ليستضاء ويهتدى بنوركم ، وأجمل منه أن لا تضرموا فيكم الأحطاب لتنقذوا من تأكله النار ، وتقطعوا عنه ألسنة اللهيب .

لا تغرقوا أنفسكم فى بحر الوجود ليتسنى لكم أن تنقذوا الغرق . . وكلما أنقذتم غريقاً وأقفلتم فى وجهه باب الموت فتح لكم باب فى السماء ...

أبقوا المناجل فى أيديكم لتحصدوا حصادكم ... إن الحياة ليست بمعطف تلقونه بسرعة وخفة عن أكتافكم ، ولا هى قطعة النقد ترمون بها فى الخزانة . . إن للحياة وزناً وثمناً . . إن لها حوضاً من مائها لا يجوز لكم أن تفرغوه فى لحظة لتسقوا الأرض مهما اشتد جفافها وطال ... إن مياهكم تنبع من صدر الله .. الحياة أمانة فى أيديكم فمن جازف بها خان الأمانة وإن ارتدت خيانته ثوب الصدق والإخلاص ...

وسأله آخر : ما هى كلمتك فى الكبرياء أيها الحكيم فقال :

— لا صغير ولا كبير فى الكون ... كل شعاع من الشمس شمس مقتضبة وكل قطرة من البحر بحر بليغ ، وكل حبة من الرمال صحراء مكبوتة ، وكل نسمة فى الأثير أثير ينطوى على نفسه. الجزء فى الكل والكل فى الجزء ، والكل واحد ... إن فى الذرة الصغيرة ما فى الأفق الذى لا حد له ، هما صفحتان فى كتاب وعينان فى وجه ...

ليس لأحد ان يشمخ على الآخر :

الحجر يقول للجدار : لولاى لم تكن ، والجدار يقول للحجر : لولاى لم تلق وسادة تلقى عليها رأسك ... الخمرة تقول للكأس : لولاى لم تنعم بك شفة ، والكأس تقول لها : لولاى لذهبت هدراً ...

لا كبير ولا صغير فى الكون ...

إن الرسالة واحدة وإن تغير الغلاف ، واصل الحياة واحد وهدفها واحد فلا تشمخو بأنوفكم على الخلق ... إن المهود واللحود تجمعكم فى صعيد واحد ...

كلما شمختم على الآخرين وتخيلتم أنفسكم عظاماً ضربتكم القبور بهيا كل عظامها ...

وارتفع فى الساحة صوت ملائكى يسأل عن الصلاة فأطرق الفيلسوف ثم قال :

— الصلاة هدير بحر الإيمان ، والمرساة التى تقف بها سفنكم فى مرفأ الخالق ... الصلاة هى وهج الإيمان الذى يشتعل فيكم فكلما ألقيتم الأحطاب فى ناركم صليتم .. هى الحنين إلى الأصل الذى جئتم منه ، والى الوطن الأكبر الذى تهتم عنه ..

إنكم تصلون لتطلبوا إلى الخالق إكمال ما نقص فيكم وإيقاظ ما كمن فى أعماقكم ولتبلغوه شوقكم إلى الآخرة ، إلى اليوم الذى تنطلقون فيه من أسر هذه الكرة التى تستبد بكم وتدميكم بقيودها ، ولتفتحوا له جراحاتكم فيرى فيها مواضع الألم وطوابع المجرمين وحنق الطغاة وقسوة الزمن ...

الصلاة لسان الظمأ النارى فى النفس يستجدى الماء من ينابيع النعيم ... وأنتم كلما حننتم على جريح أقمتم لله هيكلا ، وكلما حطمتم سيفاً من سيوف الغدر والخيانة والظلم برق لكم سيف فى السماء ، وكلما قابلتم الإثم والرذيلة بجباه مقطبة بسم لكم السيد ...

الصلاة أن تستعجلوا الرحيل من هذه الفانية ...

وإذا صليتم فلا تنسوا هذه الكلمات :

اجعلنى يا رب صالحاً للمثول بين يديك ... اعطنى جناحين

لأطير إليك ... أنا تائه فاهدنى . . خذنى بيديك وتنقل بى من شمس إلى شمس ومن نجمة إلى نجمة ومن مجرة إلى مجرّة حتى أقع منهالـكا على عتبة بيتك وأستريح ... أحل ساحة نفسى من كل شئ عداك ... اعطنى القوة لا لأصرع الجبار ، ولـكن لأجعل من الصعلوك جباراً يطاول برأسه النجوم حتى يشرف على دارك . قيدنى بحبك .. أنت فى ضميرى وطفولتى فخذنى بيدك ولا تدعنى أنا الطفل الـكبير أقع فى الهاوية ...

وسأله أحدهم عن الصبر فقال :

أنتم بين إرادتين : إرادة الإقدام وإرادة الصبر وأعظمها الثانية .

جميلة هى الموجة المقتحمة الهائجة وأجمل منهـا الصخرة التى تردها ...

جميل السيف وأجمل منه الدرع التى تتقيه ...

جميل البركان وأجمل منه الجبل الذى يعرف أنه الجبل الوقور الرصين فيبقى حممه فى أحشائه لا يزعج بها الفضاء ولا يقلق العابرين ...

وتقدم منه شاعر وسأله عن الطبيعة وكتابها فقال :

— إن للطبيعة رسوماً وأصواتاً فهل أنتم تنظرون وتسمعون ؟

الشمس تقول : أنا صـورة من خيال الله إطارها الأفق فيسمعها البحر فيقول : أنا خلجة فى الصورة ، وتسمعها الرياح والأعاصير فتتنادى وتصرخ بصوت عظيم : نحن من أبواق الله ننذركم بشر المصير إذا كنتم لا تؤمنون.. والجبل يتكلم ويقول: أنا الجلال والوقار لا أبرح مكانى ولـكن الإيمان ، الإيمان وحده يذهب بى حيث يشاء من مكان إلى آخر ، أنا فى مهب الإيمان على الرغم من صخورى وضخامتها وعلوها ، ريشة طائرة ... ويسمع الينبوع كلمة الجبل فيقول : أنا قطرة من خمرة الله ... وتهب الخمرة من الـكأس لتقول : أنا من دمه ... وكل نجمة من هذه النجوم تقول لـكم : إن بينى وبين رفيقتى عالماً مهجورا وفراغاً مخيفاً ، كذلك أنتم فى مناطق نفوسـكم التى لا تمد ... إن بينها أبعاداً شاسعة وقد تموتون والمنطقة الواحدة تجهل الأخرى.

وللقمر كلمته وهى أن لا تخدع به فهو يستعير نوره من الشمس وفى شعاعه المطمئن اضطراب العاجز ... والزهرة تتنهد وتتأوه قائلة : ما دمتم تقطفوننى بأيديكم السمجة الغليظة ، فلستم من المؤمنين بالفن والأرج والجمال ، وإذا ذبلت وتحولت عنكم فذلك لانكم لا تفهموننى ...

والمطر رحمة وكرم والبرق إلهام ، والرعـد غرور وزئرة ، والصاعقة جنون ، والسنابل أصابع كف الحياة وهى تصفع الموت ، والبركان عقل باطن ثار وانفجر ، وندى الفجر دموع ، والظهيرة جحيم ، والأصيل هدنة والليل وشـاح من أوشحة الموت ، والغابة أسرار والدرر فى الأعماق مواهب ، والضباب حيرة ، والنار ألسنة تخطب على منبر الفناء ، والنور نار وادعة سا كنة

وتعالت الأصوات صائحة :

— حدثنا عن الخالق والخليقة فنظر إلى السماء ثم قال :

— الخليقة قصيدة كانت مطوية تحت جناح الله فأطلقها شعراً منثوراً فى ساعة طاب له فيها أن ينثر الشعر ... هى قصيدة الحب والجمال وشاعرها الله ... لقد كنتم طيوراً تغرد فى حديقة الخالق ، والشوق إلى تلك الحديقة التى تنقلتم على أفنانها قبل أن عرفتم هذه الشمس هو اسمى وأبرز ما فى نفوسـكم التى نحن أجنحتها حنيناً لا يغذيه ولا يبلغه هدفه إلا الحب الروحانى ينير الطريق ويحرق الحجب الـكثيفة ... إن وجه الله الحبيب لا يُرى على ضوء العقل والعلم وإنما يرى على ضوء النار التى يضطرم بها الوجدان ... إن الله يدرك بالوجد وبالعشق الإلهى الذى يقطع إليه وحده المراحل والأودية فإذا أطفأتم ناره فى صدوركم انقلبتم رماداً ...

واقترب منه ملاك وسأله عن الملك والملا كين فقال :

إن اليد التى تتلمس الأشياء ويندلع بين أصابعها لهيب الحلم والشوق والحنين هى اليد الحمراء الجميلة ، فإذا ظفرت بها تروم وقبضت عليه أثقلها الرماد والتراب وتوارى جمالها ... إلا ترون الينبوع كيف يفقد روحه إذا بلغ البحر ، والصحراء كيف كيف تهدم كيانها إذا اهتدت إلى الينبوع فجربوا ما استطعتم أن تطيلوا المسافة بين ينابيعكم وبحورها وبين صحاريكم وينابيعها . وبعد فما هو هذا الذى تملـكون ؟ هذه الأجسام هأجسامكم ، أتحسبون أنها لـكم ؟ إنها للتراب الذى تخلى عنها إلى حين ثم يستردها ويقفل العين التى كانت النفس تطل منها على الوجود ..

وهذه الأموال التى تحشدونها وخزائنها الحديدية ، هى من التراب أيضاً ، من مناجمه التى تفتتحون لحودها ثم تعودون إليها وليس فى أيديكم غير أصابعها التى ستتحول إلى سنابل فى الحقول ... وهذه البيوت التى تقيمون بين جدرانها ليست لكم وكيف تملكونها وهى باقية يوم ترحلون ... إن الحجر أشد منكم شكيمة وقوة وصبراً فى ساحة البقاء ... ما الذى تملكون ؟؟ أتحسبون أنكم تملكون الفكرة والعاطفة ، إن أفكاركم وعواطفكم حلقات كسلاسل قديمة لا يدلكم فيها ولا تعرفون من أمرها إلا أنها توثقكم ... إن قلوبكم ليست لكم فهى تقيم فيكم على الرغم منها وتلح بنبضاتها المتعاقبة للخروج من أقفاصها ، أصابها (كوبيد) ببعض سهامه الطائشة ، فوقفت فى صدوركم وظلت هناك جريحة تئن وتستغيث طارقة باب النجدة للانعتاق من الأسر ...

والمرأة التى تتخذونها لكم رفيقة ليست لكم أيضاً فستظل إلى الأبد لغزاً لا يدرك سره ، وكيف يملك المجهول ؟ وهؤلاء الأطفال الذين تلدونهم قطرات دم كثيفة من سهام (كوبيد) تجمدت وتجسدت وأطلقها (كوبيد) لتلعب فى فنائكم ... وهذه الحدائق ليست حدائقكم فى أشجارها الألوف من الخلق الذين تقمصوا وتجلوا أزهاراً وثماراً ... لا ، إنكم لا تملكون شيئاً أنتم وملوككم ... الملك لله ... هو وحده المالك ...

وسألوه عن الصمت والكلام فقال :

الصمت هو الأصل ، وقد خلق الإنسان ليفكر ويتأمل ويحلم ... إن ما يحيط به من الأسرار والأعاجيب فى السماء والأرض يوقفه موقف المعجب الثمل المشدوه المأخوذ بالمظائم والروائع لا تترك له مجالا لكلمة يقولها . . .

إن الحيرة والأعجاب والوجد والذهول والانجذاب تخرس الألسنة وساحة الحياة أضيق من أن تسع قصور الخيال والتأمل والأحلام فأين فيها مكان الكلام ؟ ألا ترونه الدخيل يحشر نفسه فى صفوف الحياة حشراً ويتطفل على مائدتها ؟ الصمت وشاح تتشح به النجوى والتقوى ويتورع به التصوف والإيمان وعليه يقوم بيت الله ... الصمت يجمع نفوسكم والكلام يفرقها ... إن الآفاق كلها بنيرانها وشموسها ومجراتها صامتة فكيف تتكلمون ولم تتكلمون؟؟

ودنا منه فيلسوف وسأله عن الكلمات وقوتها وطنينها فقال:

إن الصور والرسوم التى تعرضها لكم الحياة لا تبدو لكم على حقيقتها فأنتم تلبسونها بكلماتكم الأثواب التى يحلو لكم أن تنسجوها .. إن الكلمات التى تستقونها من معاجمكم هى التى تسيركم ، الكلمات الضخمة القوية الطنانة التى تجعل من النسيم عاصفة ومن الشرارة ناراً تحرق الغابة ، ومن الشئ التافه شيئاً يتضخم ويعلو حتى يملأ الجو والساحة . .

قد يكون ما ترونه مظلماً فتطلقون عليه كلمة تشع فيصبح فى نظركم منيراً ... إن كلماتكم منافخ تنفخ الروح فى الأموات ومطافئ تطفئ الحياة فى الأحياء . . كلها من نسيجكم وإبركم تضيق وتتسع بإرادتكم وأوهامكم ومعاجمكم .. إن الفقر لا يحمل الجراحات التى تتخيلونها ولكن كلماتكم فيه حملته المدى والطعنات القاتلة ، والغنى ليس الطريق إلى السعادة ، ولكن ما نسجتموه حوله أجلسه على عرش العروش يوزع اللذات ويفتح أبوب النعيم.

إنكم تكثرون من الكلمات فيضيع عليكم الكثير من أهدافكم وأنتم فى ذلك كالشجرة التى تكثر أوراقها فتقل ثمارها . التفخيم والتضخيم ووراءهما التشويش والتعقيد والحيرة والإلهام والإبهام من صنع أيديكم كأنه يلذ لكم أن تكثروا النجوم فى آفاقكم لتضيعوا فى مسالكها ..إنكم تلهون بطنين الألفاظ عن دقة المعانى وحقيقة الحياة وجوهرها وكأن كل كلمة من كلماتكم حجر تلقون به فى البحيرة الهادئة الحكيمة الوادعة فتقلق وتضطرب وتفقد الكثير من سكينتها وجالها . .

إن الله لم يتلفظ بغير كلمتين (ليكن النور) يوم رفع عنا الستار فى حين أنه رب الأبجدية والمعاجم .. إن الخالق يوم خلقنا كان بليغاً ..

وسألوه عن القوة الظاهرة والكامنة فقال :

— فى عالم الروح قوى كامنة تنتظر من يطلقها فإن شخصية الإنسان لا يبدو منها إلا العشر ما تنطوى عليه والباقى مختزن راقد فى الأعماق .. إن القوى الدفينة فى رمالكم عديدة بعيدة الأغوار، وما يستطيعه هذا المخلوق البشرى الذى يحسب نفسه ضعيفاً يمتد على مسافات لو كان له أن يجتازها فى عالم الحقيقة والمحسوس لأتى بالمدهشات . . . إن فى الإنسان فيضاً من نور الخالق ، ولكن

مسرحية « سليمان الحكيم »

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

(تتمة)

كنا نتكلم فى نهاية المقال السابق عن رأى الأستاذ توفيق الحكيم فى أن التراجيدية تقوم على أساس من الدين ، ووافقناه على هذا الرأى ، وذكرنا أن تلك كانت حالها عند الإغريق . والآن نقول بأن ذلك كان شأن التراجيدية أيضاً فى أوربا المسيحية خلال العصور الوسطى . فقد كانت تستمد موضوعها من صميم العبادة المسيحية والطقوس الكنسية . ففى بادئ الأمر لم يكن المسرح إلا صورة مكبرة لما يعمل فى الكنيسة أثناء القداس لجعله أبلغ تأثيراً فى النفوس ، وأشد أسراً للقلوب ، وأفعل فى استثارة العاطفة . بعد ذلك صارت تمثل حياة ابن الإله فى صورة درامية تنفطر لها القلوب ، وحياة السيدة العذراء ، ومعجزاتهما ، ثم معجزات القديسين . ومن بعدها أخذت الخرافات والأساطير الدينية تغذى التراجيديا بإعادتها التى لا تنضب . وكلها أشياء شعبية أليفة للشاهدين ، وفى متناول فهم الجميع وإحساسهم . كانت تمتزج بها الدعابة من حين لحين ، بل كانت تنزل فى بعض الأحيان إلى درجة من السخرية لا تليق بقداسة الدين ؛ حتى كانت السلطة الزمنية تضطر إلى التدخل ؛ ومع ذلك فقد ظلت الأرض الخصبة التى أزهر عليها المسرح التراجيدى أكثر من ثلاثة قرون هى عصره الذهبى دون جدال .

هل هذا ما يعنى الأستاذ توفيق الحكيم عند ما يقول بأن التراجيدية لا تقوم إلا على أساس دينى ؟ إن كان ذلك مقصوده فإننا نوافقه كل الموافقة . ولكننا نأسف أن نرانا مضطرين إلى التصريح بأن التوفيق قد أخطأه دائماً عند الاختيار ، ولا سيما فى مسرحية سليمان الحكيم . لأن الأستاذ لعله يخلط بين الإيمان والعواطف الدينية من جهة ، وبين جدل المتكلمين من أمثال أبى حنيفة ، وإبراهيم النظام ، وأبى الحسن الأشعرى من جهة أخرى ، فبدل أن يتخذ موضوع مسرحيته من صميم العاطفة الدينية وما يغذيها من أساطير ، وكرامات ، ومآس يؤمن المؤمنون بحقيقتها وواقعيتها إيمانهم بالتاريخ وبالحقائق الكونية ، راح يبحث عن هذا الموضوع فى الكلام والفلسفة السكولاستية .

العيون لا تقع منه إلا على بضعة أشعة هى التى تأتى بكل هذا الذى ندعوه العبقرية والموهبة والوحى والخيال الخلاق والفن الرفيع ، والبقية الباقية غائبة عن الحس منطوية على نفسها ولا أدرى ما يكون من أمركم وأية أهوال تقذفون بها فى هذه الأجواء ، وأية أسرار تهتكون حجبها إذا لم تصب شموسكم بالكسوف وتجلت شخصياتكم على وجهها الأتم . . خذوا من ساعاتكم ساعة الإلهام وساعة الخطر وساعة الحلم وساعة الخطر وساعة الحر تلمسوا بأيديكم ما تقوى عليه عقولكم الباطنة إذا ما خرجت عن ذهولها ..

إن نظرة واحدة من نظرات تلك العقول فى يقظتها تكفى لخلق هذه الروائع فى الفن ، وتلك العجائب فى العلم ، وإن شهاباً واحداً من تلك الشهب النفسية يتصل بكم نوره يكفى ليضمكم فى عداد الأبطال والمستشهدين ، ويجعل من أسمائكم سيوفاً تبلغ من المضاء حداً تخترقون به كثافة الأجيال ..

آه لو استيقظتم اليقظة التامة الكبرى لتأخذ العين ما قدر لها من مجال فى هذا الوجود ، وتنطلق ذراتكم الروحية لتذليل هذه الصخرة الشامخة العاتية الهازئة القديمة القائمة فى طريقكم ، صخرة المستحيل ..

إن فى قبتكم النفسية التى لا تقل عن هذه القبة الزرقاء روعة وسناء مئة ألف نجمة لا يضئ منها إلا نجوم قليلة معدودة فإذا ما أضيئت كلها وجدتم نفوسكم التائهة وشعرتم بذلك الارتياح النفسى الذى تسمونه السعادة ، ولقد حان لكم أن تنشروا كل ما فى كتابكم من صفحات لتحقيق حلمكم الأكبر .

راجى الراعى

أفيظن أن فكرة القضاء والقدر، ولا سيما على النحو الذى يعالجها به فى مسرحيته، فى وسعها أن تحرك قلب إنسان، أو أن تثير انفعال مؤمن أياً كان؟ الواقع أن الإيمان شىء والفلسفة مهما انحطت شىء آخر. ومع ذلك فقد عرف العالم الإسلامى — على نحو ما — هذا النوع من التمثيل، تمثيل المآسى الدينية فى الطرقات والميادين العامة على نحو ما كان يفعل الإغريق القدماء أول عهدهم بالتمثيل. من ذلك مأساة مقتل الحسين، ابن بنت رسول الله (ص) التى يقوم الشيعة فى إيران والعراق بتمثيلها يوم عاشوراء من كل عام.

فى هذا اليوم يحيي عامة الناس من ممثلين ومشاهدين أحداث يوم كربلاء، لا على حقيقتها، بل كما أرادت الأساطير وحماسة الإيمان أن تكون. يحيون هذه الأحداث الجسام التى تجتمع عليهـا خفقات قلوبهم، وتثير فى نفوسهم عواطف اجتماعية، ويفنون فى تمثيلها لشدة امتزاجها بنفوسهم واستيلائها على قلوبهم ولصوقها بإيمانهم. حتى لقد حدثنى بعض الأصدقاء ممن شاهدوا هذا اليوم بأن من المشاهدين من ينسى نفسه نسياناً تاماً، حتى ليصيب نفسه بأذى قد يودى بحياته على غير شعور منه. على مثل هذه «العواطف الدينية» قامت التراجيدية الإغريقية، وتراجيدية أوربا المسيحية حتى عهد كرنى. وهذه العواطف الدينية هى التى يجب أن تكون أساساً للتراجيدية، هذه العواطف التى تلهب النفوس وتجمع بين القلوب، لا جدل المتكلمين ومذاهب الفلاسفة السكولستيين، كما فعل مؤلف سليمان الحكيم، خلطاً منه بين العاطفة الدينية، وبين الجدل حول الدين الذى لم يمس يوماً قلب إنسان، وقد ينبو عنه فى عصرنا الحاضر عقل كل إنسان.

فإذا رأى الأستاذ الحكيم أن هذه المواضيع الدينية الساذجة أصبحت شيئاً بالياً، وأن على الكاتب أن يشغل قلمه بما هو أجدى فى عصر طغى فيه جد الحياة وقسوة العمل، فليترك إذن ميدان التراجيديا لتموت فى هدوء كما هى حالها فى كل مكان من بلاد الغرب؛ ولينزل إلى ميدان « الدرامة » ميدان الحياة الاجتماعية؛ إلى العالم الذى نعيش فيه، فيصفه لنا بخيره وشره، وإلى العالم الذى يريد لنا أن نعيش فيه، فيهدينا إلى طريقه، سواء أكان ذلك فى ميدان العمل أم فى ميـدان الروح، فى ميدان الاجتماع أم فى ميدان الميتافيزيقة. أما أن يصر على التراجيدية وهو يبتعد عن موضوعها على غير شعور منه لأن نفسه غير مهيأة له، فتلك خسارة كبرى على فن توفيق الحكيم، وهو فنان كبير، وتبديد لمواهبه فى الهباء، وهو ذو مواهب حقة لا نظن أحداً يشك فى قيمتها.

ومن أفدح ما أصاب فن الأستاذ الحكيم فى القصة التى ندرسها من جراء الفكرة التى تقوم عليها، والتى دفع الكاتب إليها تشبثه بالتراجيدية مع بعده عن الصواب فى إدراكه للأسس التى تقوم عليها وإغراقه فى حب التفلسف، أن جاءت روايته غير قابلة للتحقيق المسرحى لخلوها مما يثير قلب الإنسان أو يتصل بنفسـه، وبعدها عن واقع الناس والحياة الحقيقية. والظاهر أنه يدافع عن هذا المذهب، ويعـده مذهباً مقبولاً، أعنى كتابة أدب مسرحى غير مسرحى، وعمل روايات مسرحية، لا لتمثل بل لتقرأ فى أوقات الفراغ. ففضـلا عن تجلى هـذه الظاهرة فى « سليمان الحكيم »، نراه يقول فى مقدمته « لأوديب الملك »: « وأعنى بالمسرح هنا كل فن يرمى إلى تصوير الأشياء والأفكار على خشبة أو شاشة أو موجة أو صحيفة ... بأن يقيمها حية تتحادث وتتحاور وتبرز مكنون سرها أمام الناظر أو السامع أو القارئ » ولكنا — كما قلنا فى مقال سابق — إذا سلمنا بأن الأدب المسرحى فن من فنون الأدب قائم بذاته، وجب علينا أن نسلم بأن ميزة هذا الفن إنما هى فى الصفات التى تمكنه من التحقق فى الخـارج، من اللعب على خشبة المسرح. لذلك قلنا إنه إذا تأتى له ألا يكون أدبياً فلا يصح له بحال من الأحوال ألا يكون مسرحياً. هذا هو شرط المسرحية الأول بل حدها. فأول الأضرار التى أصابت المسرحية من جراء الفكرة التى حملها المؤلف إياها، إنمـا جاءت مسرحيته لا تمت بشىء إلى قلب الجمهور وعقله، مسرحية لا تحرك فيه عاطفة ولا صدى لعاطفة وهذا ضرر لا يستهان به لأنه جعل منهـا قصة غير تمثيلية ولكن فى صورة حوار.

أما الضرر الثانى فلا يقل خطورة عن الأول، وهو انعدام الشـخصيات فى المسرحية، انعدام ما يميز بعضهـا من بعض تمييزاً ذاتياً. إذاً لا تكاد توجد بينها شخصية واحدة تصدر فى

مسلكها فى الحياة عن بواعث نفسية وإرادة إنسانية ، عن تقدير شخصى ، وعن عواطف وميول ودوافع داخلية هى ملك لها وجزء من كيانها المنوى ، وتميزها عن غيرها من أبناء جنسها وتلون مسلكها فى الحياة بألوان تختلف عما عند الآخرين اختلافا قد يكون كبيراً وقد يكون طفيفاً ولكنه جوهرى وذو خطورة عظمى ، لأنه هو الذى يهب الإنسان إنسانيته ويسبغ على كل فرد فرديته . وهو الذى يجعل من كل إنسان كوناً شاملا شاسعاً غامضاً يستحق الدراسة والتأمل ، كوناً منطقياً تارة وغير منطق تارة ، تتصارع فيه الأهواء والعواطف والشهوات والأفكار وجميع العوامل النفسية والانعكاسات الخارجية . من هذا الصراع الداخلى ، جلياً كان أو خفياً ، ومن اصطدام حرية الفرد بحرية الآخرين ؛ ومن نضاله ضد قوانين الكون الراسخة ، تنفجر درامة الحياة الواقعية بما فيها من مآس ومهازل وأبطال هم بنو الإنسان جميعاً . وكلهم شاهد ، وكلهم ممثل . وكلهم يلعب دوراً أصيلا فى الدرامة ؛ دوراً لايلغى شخصيته ولوكان ملغى الشخصية ، ولا يجعل منه نسخة من الآخرين لأنه يصدر فى عمله عن نفسه ، عما فيه من صفات ؛ حتى عند ما يحاكى الآخرين ؛ لأنه وجود إنسانى له كيانه . درامة الحياة هذه هى التى يجدر بالكاتب المسرحى أن ينقلها لنا على المسرح كما يراها بعينه وكما يدركها هو ؛ ينقلها بأبطالها بعد أن يتقمصهم الممثلون .

أما شخصيات الأستاذ توفيق الحكيم فى رواية سليمان الحكيم فهى أشبه بالآلات ؛ تأتيها الحياة من خارجها بدل من أن تنبثق من داخلها ؛ وتفرض عليها الحركة من السماء فرضاً بدلا من أن تخلق هى الحركة ؛ لذلك كانت كلها بسيطة متجانسة تجانس حبات القمح ، حتى عند ما تبدو مختلفة بعض الشىء . وذلك لأن أفعالها وتصميماتها غير ذاتية . ومرجع هذا كله ، مرجع انعدام الصراع وعدم التميز والحياة الحقيقية فى شخصيات سليمان الحكيم إنما هو إلى دعوى المؤلف أن الحب وسائر أمور القلب ، بل كل وازع خلق وكل ما يستطاع الحكم به على سلوك الفرد والجماعة إنما هو أثر لقدر صارم يضرب ضربته حيث يريد هو ، لا حيث نريد نحن . وتلك عقبة كبرى تحول بين القصة وبين المسرح ، لأن المسرح كما قلنا يشترط الحياة والحركة ، الحركة الداخلية والحركة الخارجية ، والارتباط بين هذه وتلك . ولكننا إذا أخذنا أبطال الحكيم واحداً واحداً ، وقذفنا بهم خارج الرواية لنحل محلهم أفراداً غيرهم أياً كانوا ، لبلغت الرواية نفس النتيجة التى بلغتها ولما تغير شىء فى الوجود ، ما دامت القوة الخفية هى القوة الخفية والإطار المادى الذى يحيط بهم هو هو لم يتغير . فهى أشخاص تشبه العرائس الخشبية (mararionettes) قد تصدر عنها حركات بهلوانية عجيبة ، ولكن الفضل فيها يرجع إلى اليد الخفية التى تحركها من وراء الستار . وإلا فهل يمكن لإنسان ، ولوكان المؤلف نفسه ، أن يستخرج لنا من قصة سليمان الحكيم صورة لسليمان تتبين فيها أنموذجاً بشريا خاصاً ؛ أو حتى صورة إنسانية شائعة ؟ وأرجو من القارئ الكريم ألا يخلط بين ماقد يكون فى ذهنه من صورة لسليمان الذى عرفه فى النصوص القديمة وصورة سليمان الذى نفتش عنه عبثاً فى القصة .

فلسنا نعرف شيئاً عن باطن سليمان ، ولا عن مذهبه فى الحياة إن كان له فيها مذهب ، ولا عن وازعه الخلق ، ولا عن صلة كل هذا بما يظهر من أعماله فى الحياة الخارجية وبحظه فيها من سعادة وشقاء له ولمن يحيط به . بل كل ما نعرفه عنه أنه أوتى الحكمة والثراء ، وأنه أحب بلقيس قضاء وقدراً ، وأن بلقيس لم تحبه قضاء وقدراً أيضاً ، فسعى له العفريت لاستمالة قلبها إليه بالوسائل التى نعرفها فى القصة ؛ فلما لم يفلح علم أن كل شىء بقضاء وقدر . ويمكننا أن نقول نفس الشىء بالنسبة لبلقيس ومنذر وغيرهما ، فبلقيس أحبت منذراً دون أن يحبها ، فسعت لاستمالة قلبه إليها على غير جدوى ، وبقدرة قادر استبان لها أن كل ذلك كان بقضاء وقدر . وأحب الصياد الجارية التى اشتراها بماله ولم تحبه ، فسرحها من فوره ، ولم يحاول أن يستميلها إليه كما فعل سليمان ، وعرف من البداية أن كل ذلك بقضاء وقدر . عرف ذلك لأنه لم يعط ما أعطى لسليمان من القدرة التى تحجب المعرفة عن الإنسان وتجنح به دائماً — على حد ما يفهم من فلسفة الأستاذ الحكيم — إلى أن يسىء استعمالها فيحاول المحال . يقول على لسان سليمان :

« هى القوة يابلقيس تغمض بصائرنا أحياناً عن رؤية عجزنا الآدمى ، وتنسينا ما منحتنا من حكمة ، وتزين لنا المضى فى كفاح لا أمل فيه ... فنسير بغرورنا تحت نظرات الرب الساخرة ... آه يا بلقيس

ليس يخشى على الحكمة شيء غير القدرة ... الآن أدرك لماذا أعطاني ربي وهو السلطان والغنى والقدرة إلى جانب ما سألت وهو التمييز والحكمة » . فيلس يتميز الإنسان إذن إلا بما يحوطه من مظاهر الحياة الخارجية .

وكان الطبيعي أن تؤدى تفاهة الشخصيات وسطحيتها إلى خلوها من الصراع الداخلي (من أى نوع كان) خلواً يكاد يكون تاماً . أما الصراع الخارجي ، صراع الإنسان ضد القوة الخفية التي أراد الكاتب الكريم أن يجعلها أساساً لمسرحيته ، فلا يكاد يحسه القارىء في شيء ؛ لأن الإنسان فيها إذا صارع هذه القوة ، لم يفعله إلا بوحى من هذه القوة نفسها ، وكان صراعه معها أقرب إلى العبث منه إلى الجد ، لأنه صراع مدبر مصطنع ، صراع الملهاة لا صراع المأساة ، صادر من شخصيات سلبية ، إذا صح لنا أن نستعمل هذا التعبير . وإذا خلت التراجيدية من الصراع ، فقد فقدت كيانها كما يذهب الأستاذ الحكيم نفسه في رأيه الذى أشرنا إليه في المقال السابق . وكانت نتيجة كل ذلك لصوق الرواية بحروفها ، وضحالة حوارها وجموده . نعم نحن لا نخفى إعجابنا الشديد بمهارة الأستاذ النادرة في إدارة الحوار ، وقدرته الفذة في جعله يتتابع بعضه من بعض سلساً كالماء ، دون أن يبدو فيه أدنى تكلف . ولكنه خلو من الحياة والحركة ؛ إذ كان أصحابه شخصيات مجردة منهما . وذلك يجمل إحساسنا بوجود تلك الشخصيات الإنسانية التي مسخت أحجاراً ؛ فجاء حوارهم حواراً غير مسرحى ، وصار الكتاب من الوجهة الفنية ، أشبه بمحاورات أفلاطون مثلا منه برواية تمثيلية . فلولا تدخل الكاتب في كل حين ليلق بحكمه وأحكامه الخلقيه والميتافيزيقية لتعذر على القارئ فهم غرضه من روايته ونظرته للحياة . من مجرد تتبعه لمسلك أبطاله النفسى (إذا سلمنا بأن في الرواية مايشعر بما يبدو في طوايا نفوسهم) والخارجي . ولعل الفصلين السادس والسابع من الرواية خيرشاهد على مانقول ، ففيهما يحاول الأستاذ أن يلخص وجهة نظره ، ويحرر دعواه الفلسفية ، ويستخلص مغزى قصته ، التي كان قد نوى أن تحملها عنه أحداث الرواية إلى القراء والشاهدين ؛ يفعل ذلك على نحـو ما يفعل مؤلفو الدراسات والرسائل العلمية فيما يسمونه بالخاتمة Canclusion . ولكنه يرسله على شكل حوار على لسان أبطاله . والواقع أن هذا العمل ضرورى لإيضاح مقاصد المسرحية ولكنه عمل غيرمسرحى

والآن إذا اردنا أن نجمل في سطور ما فصلناه في مقالاتنا الثلاثة قلنا بأن أساس الفكرة التي بنى عليها الأستاذ توفيق الحكيم قصته غير سديد ، ولا سيما أن استخراج هذه الفكرة من وقائع المسرحية أمر عسير ، بل قد توحى هذه الوقائع نفسها على ما فيها من بعد عن واقع الحياة الحقيق — بعكس الفكرة الدعاة ، وفي تلك الحياة يبدو التناقض من وقائع الرواية وبين الحكم والأحكام التي ينطق بها المؤلف أبطاله . ولما كانت فكرة الرواية غير جديرة بإثارة الجمهور أو تحريك عواطفه ، كان حظ الرواية من النجاح في التمثيل ضئيلا . وإذا أضفنا إلى ذلك تفاهة شخصياتها وحرمانهم من الحركة الذاتية ، نقول كل هذه الأشياء مجتمعة تبعد عن الرواية صفة المسرحية الحقة بعداً شاسعاً . كما أن اطمئنان الأشخاص النفسى ، إلا فيما يضيف المؤلف في حكمه على لسانها من قلق لا يظهر أثرها في مسلكها في الحياة ، مما جعل الرواية خالية من كل صراع .

وبعد فتلك دراسة إجمالية للرواية لا ندعى لها الشمول ؛ فقد تركنا التفاصيل جانباً ، ولم نهتم بتحليل حوارها ، وبيان مقدار ما فيها من ملاءمة بين أصلها ومعانيها . وإذا كنا قد سجلنا عليها بعض المآخذ ، فإننا نعترف لمؤلفها الكاتب الكبير بأصالة فنه ، وصدق فهمه للأدب فهماً يختلف عما هو شائع لدى كثير من كتابنا — ولا سيما في باب القصة — من أن الأدب فن مهارة وحذق يهدف إلى توليد المعانى المبتكرة البراقة المعجبة وخلق المفاجآت العجيبة المسلية دون أن يكون فيه أثر لنماء الفكر الجدية . وإذا كان ذلك حكمنا على سليمان الحكيم ، فإننا نعتقد أن أدب الأستاذ توفيق الحكيم وفنه أوسع وأخطر من أن يمثلها كتاب واحد من كتبه . لذلك نرجو أن تتاح لنا فرصة قريبة ندرسه فيها دراسة تليق بمكانه في نفوسنا ومقامه في نهضتنا الأدبية . ونرجو أن تحتل هذه الدراسة مكانها في كتابنا عن المسرح في مصر الذى نعمل على إخراجه إن شاء الله .

محمد القصاص
دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة باريس

صور من الحياة :

ضعف

للأستاذ كامل محمود حبيب

تباً لك يا من تتشح بالمبادئ الفجة والنظريات السقيمة لتغوى العقول المتداعية والأذهان الضعيفة فتخدعهم عن الوطن وهو روح القلب ، وتصرفهم عن الدين وهو نور الحياة ، وتشغلهم عن اللغة وهي سر الكرامة . أى شيطان وسوس لك - يا صاحبي - فرحت تمتهن الوطن والدين واللغة ، وجئت تريد أن تسترق الناس منها جميعاً لتذرهم - بعدها - حطاماً خوى من الكرامة والرجولة والإنسانية . لقد قلت لى يوماً « أنا ابن الطبيعة وثمرة الحرية فدعنى أهم فى أرجاء الأرض لا يقيدنى وطن ، ولا يمسكنى دين ، ولا تربطنى لغة . دعنى أنطلق منها فهى أغلال ثقيلة تشل عقلى وتصمق خواطرى وتعبث بأفكارى » آه يا صاحبي ، إنك حين تنبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة تسجل على نفسك أن فى عقلك لوثة وأن فى خواطرك خللاً ، وأن فى أفكارك صدعاً .

* * *

لقد درج أحمد وشب فى كنف الريف ، ونما وترعرع فى حضن النيط ، وقوى واشتد فى ظل الدين . ثم دفعه أبوه إلى الكُتّاب ليقرأ - أول ما يقرأ - القرآن ، ويتعلم - أول شئ - الوضوء والصلاة . وقضى سنوات يغدو إلى الكتاب ويروح إلى الدار أو إلى الحقل ويختلف إلى المسجد ، وأبوه رجل ريفى جلف ، غليظ الكبد ، شديد البخل ، سريع الغضب ، ضيق العقل ، ثائر الأعصاب ، تنزعج الدار لرؤيته ، وتتفزع لغضبه ، وهو - دائماً - يتلمس أوهى الأسباب لنزجر زوجه فى عنف ، ويعاقبها فى جفوة ويقسو عليها فى إفراط ، والزوجة تضطرب بين يديه فى صمت وتبكى فى تخاذل ، والدار فى عينيها جحيم تتسعر ما يهدأ أوارها ، ولا يسكن لهبها إلا حين يتوارى هذا الوحش الكاسر .

وشب الفتى بين أب جاف وأم متكسرة ، يشهد عنت الأب وثورته ويقاسى هوان الأم وذلتها ، وهو عاجز اليد واللسان لا يستطيع أن يرد أباه ولا أن يدفع عن أمه ، فعاش هملاً فى ناحية من الدار يفتقد العطف ، وقلب أبيه صلب لا ينبض بشفقة ، ولا يخفق برحمة . والبخيل - دائماً - رجل أرضى النزعات ترابى المشاعر طينى الجبلة لا تشرق فى نفسه أضواء الرجولة ولا ومضات الإنسانية . وأمه فى شغل تجتاحها العواصف من حولها فلا تحس فى قرارتها معانى المرأة ولا روح الأنثى .

وهكذا اضطربت الحياة فى ناظرى الفتى وتزعزت أركانها ، فنشأ ضعيف النفس ، واهى الروح سقيم الخلق وضيع الهمة ، وبدا منقبض الأسارير مشلول العقل ، لا يحس السعادة فى طفولته ولا يجد اللذة فى صباه ولا يستشمر المتعة فى شبابه ، يأنس بالوحدة ويطمئن إلى الخلوة ، وتمقدت نفسه فانحط عن أترابه ، وسفل عن زملائه . ولزمته هذه الخصال فعاش عمره مضعضع الجانب مفلول العزيمة مستلب الحرية .

وحين انتظم فى سلك المدرسة وجد فى الكتاب سلوة وعزاء فدفن نفسه بين دفتيه لا يبغى عنه حولا ، فصدأ عقله من طول ما انكب على الدرس ، ونحل جسمه من طول ما أرهق ذهنه ، وذوى شبابه من طول ما ذاق من حبس ومن حرمان . وإن الطالب فى المدرسة ليقع بين عدوين : المدرس والمنهج . فالمدرس فى المدرسة يسيطر عليه الفتور والملل فهو يشرح فى خمول ويعامل تلامذته فى قسوة ، لا يندفع إلى العمل فى نشاط ، ولا يهب إلى الدرس فى رغبة ، وإن نفسه لتتوثب سخطاً وكراهية حين يحس عنت العمل وضياع الحق ، وإن حيويته لتخبو رويداً رويداً حين يخيل إليه أنه قد تخلف عن الركب ، فهو - فى رأى نفسه - يبذل غاية الجهد ولا يجد الجزاء ، ويستفرغ منتهى الطاقة ولا يلمس الوفاء . أما المنهج فهو أخلاط من العلم ينوء بها العقل المتألق ، وأشتات من النظريات يتيه فى أضعافها الذهن المشرق ، وألوان من الدرس يضل فى ثناياها الفكر المتوثب . فما بال أحمد ؟ لطالما كان يتعثر فى علومه ، ولكنه سكن إلى الدرس لا يريم ، فهو يخشى وطأة أبيه وإن يده لغليظة ، ويكره داره فى القرية ، وإن جنباتها لموحشة ، ولا يطمئن إلى أمه وإن فيها التكسر والخذلان

* * *

وتخرج أحمد — بعد لأى — فى مدرسة المعلمين العليا قسم الآداب ولكن أعجزه أن يكون مدرساً ناجحاً بالمدارس الثانوية فانطلق يتلمس مخرجاً . ووجد الخلاص على يدى رجل من رجال الدولة ذى مكانة وشأن ، فراح يتملقه ويستخذى له ويستجدى عطفه ، فقربه الرجل إلى نفسه وأدناه من مجلسه ، ونقله من المدرسة إلى الديوان ليكون صنيعة له هو ، وليكون مرءوساً له ، وليكون آلة صماء يديرها على أى نسق شاء .

وجلس الفتى إلى مكتبه فى الديوان ، وإن قلبه ليتوثب فرحاً من أثر الفوز ، ولكنه ما لبث أن رأى نفسه ساقة بين زملائه ، منبتًّا عن رفاقه ، لا يكاد يبلغ شأوهم ، ولا يستطيع أن يرق إليهم ، فاستولى عليه اليأس وتملكته الحيرة .

أما الرجل ، فهو موظف كبير فى الحكومة ، وسمته الوظيفة بميسمها ولفّته فى خصالها . والوظيفة الحكومية تسم الموظف الكبير بالغطرسة والكبرياء وتصبغه بالعظمة والتسامى ، فهو يركن — دائماً — إلى من يتملقه ويتمسح به ، وينفر — أبداً — ممن يحس فيه الإباء والكرامة والشرف . وتسم الموظف الصغير بالضعة والذلة . واطمأن الفتى إلى رئيسه الكبير حين وجد فيه العون والساعد ، واطمأن الرئيس إلى الفتى حين لمس فيه الطاعة والاستكانة . وعاش أحمد تبعاً لرئيسه يتصاغر أمامه إن أغلظ له القول ، ويتضاءل له إن أرهقه بالعمل ، لايستشعر فى ذلك الاحتقار ولا المهانة ، وهو يرى أن الأمر قد تهيأ له واستقام ، وأن المستقبل — فى رأى عينه — قد تفتح له وازدهر على يدى هذا الرئيس ...

وكان الرئيس رجلا يتصنع الأدب وما توافرت له أداته ، ويتكلف العلم وما تكاملت له أسبابه ، فاتخذ من الشباب المثقف صنائع ضمهم تحت جناحيه وحباهم بعطف موهوم ، بذل لهم الوعد الخلاب ، ومد لهم فى الأمانى البراقة ، ثم راح يستنزف شبابهم الغض ويستغل عقولهم الناضجة ، فامتلأت داره بمن يقدم له الأبحاث العلمية ، ومن يترجم له أمهات الكتب الغربية ، ومن ينشئوا له المقالات القيمة لقاء كلة معسولة ، أو ابتسامة عابرة ، أو دريهمات لا تقيم أود ...

ووجد الرئيس فى أحمد فتى سلس القياد ، سهل الخضوع ، لين العريكة ، لا يمل العمل وإن أضناه ، ولا يضيق بالجهد وإن أسقمه ، ولا يقصر فى أمر وإن أعضل عليه ، فاصطفاه لنفسه وعهد إليه — فيما عهد — أن يترجم فصولا من كتاب فى الفلسفة

ودخلت — ذات مرة — إلى مكتبه فى الوزارة فألفيته جالساً إلى هذا الكتاب يترجم فصوله إلى اللغة العربية ، وبين يديه قاموس كبير ، ومن حوله رفاقه فى المكتب وقد انغمروا فى نقاش عنيف صاخب ، فامتلأت أرجاء الحجرة بالضجة واللغط والضوضاء والفتى منصرف عن الحديث إلى الترجمة لايعبأ بما حوله ... وعجبت أن يؤدى الفتى هذا العمل الفنى الدقيق فى هذه الضجة الصاخبة ، وهو يتطلب المكان الساكن والأعصاب الهادئة والفكر المتفرغ !

وَىْ ... كأن هذا الفتى يعمل عملا آلياً لا روح فيه ولا معنى! لا عجب إن أخرج للناس صفحات مهلهلة متداعية تتكدس فى جوانبها الأخطاء اللغوية والأغلاط الفنية ... ولكن الفتى كان حريصاً على أن يرضى رئيسه وأن يقدم له أكبر إنتاج فى أقصر وقت ...

وحين لمس الرئيس فى الفتى الجد والإخلاص والجلد عزم على أن يجزيه أجر ما فعل . وفى ذات يوم أخذ يحدثه قائلا : « كيف تقضى وقت فراغك يا أحمد ؟ » قال : « فى البيت يا سيدى » . فقال الرئيس : « أفلا تريد أن تشغل فراغك بعمل يدر عليك مالا ؟ » قال الفتى : « وكيف السبيل يا سيدى ؟ » قال : « لقد وجدت لك عملا يرضيك ، أقدمه لك جزاء إخلاصك واجتهادك » قال الفتى فى سرور ونشوة : « وما هو يا سيدى ؟ » قال : « أن تقوم بالتدريس مساء فى معهد (كذا) الأجنبى » ... واندفع الفتى إلى رئيسه يلثم راحته شكراً له على فضله وتقديره !

ودخل الفتى المعهد ليبيع كرامته وشرفه ورجولته بثمن بخس دراهم معدودات ... واطمأن عميد المعهد إلى استخذائه وضعفه ، فشمله بعطفه وحباه بصداقته ... ثم ... ثم قرر — بعد حين — أن يوفده فى بعثة إلى الخارج ليتم دراسته على نفقة المعهد ليكون صنيعة له وعوناً وساعداً .

ولبس الفتى القبعة .. لبس القبعة ليزل عن كرامته ولينبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة ...

كامل محمود حبيب

القبـــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٨ —

تقدم ما شاركت قبيلة أسد فيه غيرها عند الكلام على تميم وهذيل ، وهـذا ما نسب إليها بخصوصها ، أو مع غيرها مما لم يسبق الكلام عليه ، وقد صرت الترجمة لها وتبيان أما كنها .

١ — الفعل الماضى الثلاثى المعتل الوسط ، وهو المسمى الأجوف مثـل : قال ، وباع إذا بنى للمجهول ، فأ كثر القبائل تكسر الحرف الأول وتقلب حرف العلة ياء يقولون : بيع وقيل بإخلاص الكسر فى أول اللفظ ، وهـذه اللغة هى المشهورة بين قبائل العرب ، لـكن بنى فقعس وبنى دبير من أسـد ، وبعض قبيلة هذيل يضمون الحرف الأول ويقلبون الألف واواً يقولون : بوع وقول بإخلاص الضم فى أول اللفظ ، وقد روى عليه قول الشاعر :

ليت وهـل ينفع شيئاً ليت   ليت شباباً « بوع » فاشتريت

وقول الآخر :

«حوكت» على نيرين إذ تحاك   تختبط الشوك ولا تشـــاك

ولم يقرأ أحد على هذه اللغة مما ورد مبيناً للمجهول فى القرآن الكريم .

وهناك وجه ثالث فى طريقة بناء هذا النوع للمجهول وهى لهجة لبعض أسد وبطول من قيس منها عقيل ذلك بأن يجعلوا حركة الحرف الأول بين الضمة والكسرة ، وبهذه اللهجة قرأ الكسائى وهشام : قيل وغيض وحيل وسيء ، وجيء وسيق وافقهما نافع وابن ذكوان فى سيء ، وسيئت وزاد ابن ذكوان فى موافقته :حيل وسيق . وهذه اللهجة تسمى فى إصطلاح القراء والنحاة : الإشمام . وهناك إشمام آخر ليس هذا موضع بحثه .

٢ — ما كان صفة على وزن فعلان بفتح الفاء ، فالقبائل العربية تجعل مؤنثة إذا كان له مؤنث على فعلى ما عدا صفات قليلة ، عددها الأشمونى ، تبلغ أربع عشر صفة منها خمصان بمعنى الضامر البطن ، وقشوان بمعنى الرقيق الساقين ، وسيفان للرجل الطويل .

ولهذا فإن ما كان مؤنثه فعلى يمنع من الصرف — أى التنوين — ويرفع بالضمة ، وينصب ويجر بالفتحة بشرط عدم إضافته ، وعدم تعريفه بأل ، لـكن قبيلة أسد تجعل المؤنث دائماً على وزن فعلانة ، فيقولون مثلا فى مؤنث غضبان: غضبانة ، وغيرهم يقول غضبى . وعلى لغة أسـد تصرف جميع الصفات المذكرة وتجر بالـكسرة .

وهنا نتساءل عن هذه الصفات الأربع عشرة التى استثناها النحاة وقالوا إن مؤنثها فعلانة ، أ كانت فى أول أمرها تستعمل بلفظها ، ومعناها عند قبيلة أسد ؟ أو غلب استعمال أسد لها ؟ وعنها أخذتها القبائل العربية بمؤنثها ؟ واستعملت مذكرهـا مصروفاً كاستعمال أسد لها ؟ أم أن النحاة واللغويين وجدوا فى الآثار الأدبية مؤنثها فعلانة — وما ذلك إلا من استعمال أسد — فحكموا بصرفها ومنعوا غيرها من الصرف ؟ مع أنه قد يكون هناك مثلها ؟ وإذا كانت هذه الصفات مستعملة من أول الأمر عند القبائل العربية الأخرى ، فلم كانت وحدها هى التى تؤنث على فعلانة ؟

فى رأيى أن هذا كان من الآثار الأدبية التى استقرأها النحاة واللغويون فاقتصروا على استثنائها وكان حقهم ألا يخضعوها لهذا الاستثناء . كما أرى أنه يجوز لنا أن نمنعها من الصرف حتى تسير على النمط الغالب فى القبائل الأخرى بأن تعرب إعراب ما لا ينصرف كما يجوز لنا أن نؤنثها على فعلى تبعاً للقاعدة العامة عند القبائل حتى مع عدم النص على ذلك فى معاجم اللغة ! ولا معنى لاستثناء بدون معنى ، ويجوز لنـا أن نصرف جميع الصفات المذكرة التى على هذا الوزن إذا سلـكنا طريقة أسـد . على أن بعض هذه الصفات التى استثنوها ، سمع له تأنيث على فعلى بجانب تأنيثه على فعلانة . حكي ابن الأعرابى امرأة خمصى ؛ وأنشـد للأصم الديرى :

لـكن فتاة طفلة خمصى الحشى   غريرة تنام نومات الضحى

ونلحظ هنا أن الأصم الديرى من دبير وهى بطن من أسد فإما أنه خالف لغته وجرى على نهج القبائل الأخرى فى تأنيث

فملان ، وإما أن هذا البطن الذى ينتمى إليه ، يخالف بقية بطون أسد فى تأنيثه .

وسمع أيضاً : كبش أليان ونعجة أليانة وأليا . وجاء ضحيانة وضحيا .

ونجد صفات لم يستثنوها ومؤنثها فملانة ، فقد ورد شفة ذبانة أى ذابلة ، ونظر القاموس لها بقوله كريانة . وقال شارحه إنها من الصفات التى جاءت على فملانة فى حين أن القاموس وشارحه لم يذكرا لفظة ريانة فى مادتها . وقالت أعرابية : أجد عينى هجانة — أى غائرة — وشفتى ذبانة وأرانى حبلانة . ولفظة هجانة لم يذكروها فى المستثنيات ولم يذكروها أيضاً فى مادتها ، وإنما جاءت عرضاً فى مادة اخرى .

وقد جرت القراءات القرآنية على اللهجات الغالبة فى استعمال ما كان له مؤنث على فعلى ممنوعاً من الصرف حيث لم يقرأ أحد بالتنوين « غضبان أسفا ... » « حيران له أصحاب » بل اتفقو على منع الصرف . ولم تجىء أى لفظة من المستثنيات فى القرآن حتى نحكم عليها .

٣ — بنو مالك من أسد يضمون « ها » التنبيه التى تأتى بعد « أى » فيقولون فى ياأيها الرجل ، ويأيها الناس : يا أيهُ الرجل ، ويا أيه الناس إلا إذا تلاها اسم إشارة ، فحينئذ يوافقون بقية القبائل فى فتحها وذلك مثل أيهذا . وقد قرأ ابن عامر أيه الثقلان وأيه المؤمنون بالضم فى حالة الوصل على لغة بنى مالك . ونسب شارح القاموس هذا الضم إلى بنى أسد عموماً .

٤ — إذا كان الاستثناء مفرغاً بمعنى أن المستثنى منه ليس مذكوراً فى الكلام فإن ما بعد إلا يكون حسب ما يقتضيه العامل تقول ما جاءنى إلا محمدٌ . ومعلوم أن لفظة « غير » تقوم فى بعض استعمالها مقام « إلا » على أن تكون حركة المستثنى التى يستحقها ظاهرة على « غير » نفسها وهى مضافة إلى ما بعدها تقول ما جاءنى غير محمد برفع غير ، وإضافتها إلى ما بعدها ... الخ المعروف فى علم النحو لكن بعض بنى أسد ويشاركهم بعض قضاعة يفتحون « غير » فى الاستثناء مطلقاً سواء تم الكلام قبلها أم لم يتم يقولون « ما جاءنى غيرك » « وما جاءنى أحد غيرَك » بفتح الراء فيهما وتكون لفظة « غير » على لغتهم هذه مبنية على الفتح عند استعمالها فى الاستثناء .

٥ — فقعس ودبير من أسد يخفضون « حيث » فى موضع الخفض وينصبونها فى موضع النصب يقولون كان ذلك حيث التقينا . ومن حيث لا يعلمون » ولم يقرأ أحد على لهجتهم فى حالة الجر أما حالة النصب فقد وافقوا بعض بنى تميم . وسبق من قرأ بها كما سبق أن اللغة المشهورة هى بناء حيث على الضم دائماً .

٦ — بنو أسد يلقون حركة الهمزة إلى ما قبلها إذا كان ساكناً وذلك فى حالة الوقف فيقولون هذا البُطُو وكرهت البُطَا وهو يسير ببطىء . وسبق أن بعض تميم يفعلون ذلك

٧ — تقدم أن فعل الأمر المضعف يفك إدغامه عند الحجازيين ويظل على إدغامه عند النجديين إلا أن النجديين يختلفون فى حركته الأخيرة فكعب وغنى من قيس تحركه بالكسرة مطلقا وأغلب النجديين يحركونه بالفتح سواء كان بعده ساكن أم متحرك أما أسد فتحركه بالفتح مالم يكن بعده ساكن فإنها تكسره فمثل قولك . ردّ الجواب يقولون ردّ الجواب وتقدم لنا أن بعض تميم يحركون الآخر بحركة فاء الكلمة فى الأمر فتحا وضما وكسرا .

٨ — الفعل الذى ينتهى بواو الجماعة أو ياء المؤنثة يقف عليه بنو أسد وبعض قيس فى قوافى الشعر بحذف الضمير يقولون عند الوقف على صنعوا وتكلمى : صنع وتكلم وليس لوقفهم هذا أثر فى القراءات .

٩ — تقول أسد فى جبريل باللام « جبرين » بالنون بكسر الجيم أو فتحها ولم يقرأ أحد بلغتهم . كذلك يؤنثون الهُدى والسُرى بمعنى أنهم يعيدون إليهما الضمير مؤنثاً .. الخ والقرآن الكريم استعمل الهدى على اللغة المشهورة بالتذكير : (قل إن هدى الله هو الهدى . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) ولم تقع لفظة السرى فى القرآن الكريم .

١٠ — هُوَ وهىَ الضميران يسكنون آخرهما فى الوصل والوقف ولا يفتحون الواو ولا الياء وقد روى :

وكنا إذا ما كان يوم كريهة فقد علموا أنى وهْو فتيان

١١ — العضد بفتح فضم ينطقونه بفتح فكسر وذكر البحد أن بعضهم قرأ سنشد عضدك بأخيك بفتح فكسر أى على لغتهم ولم يسم القارئين .

١٢ — يقولون قنط يقنط كضرب يضرب وغيرهم يقول كعلم يعلم وقرأ الجمهور قنطوا بالفتح على لغتهم وقرأ الأعمش وابن وثاب بالكسر على لغة غيرهم . وقرأ أبو عمرو والكسائى والأعمش ومن يقنط على لغتهم بالكسر والباقون بالفتح على لغة غيرهم

١٣ — المسكين ينطقونه بفتح الميم . وبكسره غيرهم ولم يقرأ أحد بلغة أسد .

١٤ — من ألفاظهم : إن السمر لخادع : ارتفع وعلا . كلت فلاناً فارأيت له ركزة : أى ليس بثابت العقل. ما أعوج بكلامه : أى ما التفت إليه كرنأ الشمر وغيره : كثر والتفت وتراكم . الأصلج : الأصم .

١٥ — حكى الأخفش أن بعض بنى أسد يقولون فإنهم ، وإما بكسر الفاء والواو بمعنى أن الكسرة أثرت فيما قبلها وتغلبت عليها .

قبيلة كنانة :

وهذا ما ينسب إلى كنانة التى سبق أن ترجت لها وبينت مساكنها .

١ — المشهور فى المثنى أن يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء لكن بنى الحرث بن كعب وزبيد ومراد وهم من مذحج من كهلان وخثعم وهمدان من كهلان وعذرة من قضاعة وبطون من ربيعة وبكر بن وائل من ربيعة وبنى العنبر وبنى الهجيم من تميم كل هؤلاء مع كنانة يلزمون المثنى الألف فى جميع أحواله رفعاً ونصباً وجراً ، وقد جاء على لغة هؤلاء فى القراءات المشهورة إن هذان لساحران ، وقرأ أبو سعيد الخدرى والجدرى فكان أبواه مؤمنان وحمل على هذه اللغة حديث « لا وتران فى ليلة » وقد اقتصر كتاب الصاحبى وكتاب النوادر وكتاب المغنى على نسبة إلزام المثنى الألف مطلقاً إلى لغة بنى الحارث بن كعب ، وذكر غيرها كنانة وأضاف بعض الكتب قوله : وأهل تلك الناحية » وأغلب هذه القبائل متجاورة وكنانة التى تشترك فى هذا الإجراء هم بنو بكر بن عبد مناة لأنهم هم المجاورون لبنى الحارث بن كعب .

ويلحق بما سبق أن كلا وكلتا فى اللغة المشهورة ترفعان بالألف وتنصبان وتجران بالياء إذا أضيفتا إلى الضمير وتعربان إعراب المقصور بأن تلزما الألف فى جميع الأحوال إذا أضيفتا إلى الاسم الظاهر لكن لغة كنانة — ولا بد أن من شاركوها فى المثنى مثلها — تلزمهما الألف دائماً .

والقرآن الكريم جاءت به كلتا فى حالة رفع بالألف « كلتا الجنتين » وليس فيه كلتا فى حالة نصب أو جر لتبين استعماله وكذلك « كلا » فى القرآن جاءت فى حالة رفع « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما » .

٢ — الأسماء الخمسة أو الستة ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء ، لكن كنانة وخثعم وبنى الحارث بن كعب — ولابد أن من سبق ذكرهم مثلهم — يلزمونها الألف فى الرفع والنصب والجر وقد روى :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

وفى البيت شاهد على إلزامهم المثنى الألف .

وقد صرح أبو زيد فى كتابه النوادر وأحمد بن فارس فى كتابه الصاحبى وغيرهما أن هذه القبائل تقلب الياء ألفاً إذا جاءت ساكنة بعد فتحه ولو كان ذلك فى الحرف وقد روى :

« طاروا علاهن فطر علاها »

وأصله عليهن وعليها . وروى :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغاً لناباه الشجاع لصمما

ورويت أبيات كثيرة على لغتهم .

٣ — تقول كنانة فى « نعم » حرف الجواب نعم بكسر العين وقد قرأ ابن وثاب والأعمش والكسائى بكسرها على لغتهم

٤ — أكثر العرب تقول سيناء بالفتح والمد أما كنانة فتقول سيناء بكسر السين والمد أيضاً . وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والحسن « طور سيناء » بكسر السين على لغة كنانة . وقرأ الباقون بالفتح .

٥ — تقول كنانة لقيته على غشاش بكسر الغين وفتحها ولقيته غشاشاً بالفتح والكسر بمعنى لقيته على عجلة .

٦ — تقدم أن هذيلا تقول يازع فى وازع ولم ينصوا على أنها تبدل الواو ياء أما بنوضمرة من كنانة فقد نص بعض اللغويين على أنها تقلب الواو ياء يقولون يازع فى وازع وقد روى لخضيب الضمرى :

لما رأيت بنى عمرو ويازعهم أيقنت أنى لهم فى هذه قود

لكن هذا النص أرى أنه توسع كثير فهل يقولون فى والد ووارث وواهب وواحد ... الخ يالدوياهب ... أو أن نصه استنتاج من لفظة يازع التى نطقها شاعر منهم ؟ أو أن لها نظائر وأمثال أخرى لم يذكروها ؟ على أننا لا ينبغى أن نقيس على هذا الإبدال بل نقتصر فيه على السماع .

عبد الستار أحمد فراج
المحرر بالمجمع اللغوى

ربيع ... وربيـــع !

للأستاذ إبراهيم محمـــد نجا

قال لى صاحبى غـداة رآنى ... باكيا ، والربيع فوق الروابى
كيف تبـــكى وفى الوجود ربيع
شارف الكون من وراء السحاب ؟ !
وسرى فيـــه بهجة وغناء ... وشباباً يضم روح الشباب
هو فى الزهر رقة وعبـــير ... وخرير فى الجدول المنساب
وهو فى الأفق بسمة وصفاء ... وانطلاق من أسر كل حجاب
وهو فى قلب كل عذراء حُلْمٌ ... بحيـــاة فى جنة الأحباب

أنت يا صـــاح بلبل ، فترنم ... فى الروابى ، أو فى رحاب الفضاء
واقطف الزهر ، وانسم العطر ، واسكر
من رحيق النـدى ، وخمر الضـــياء
زهرة فى الربيع — لو كنت تدرى —
هى خـير من عالم فى الشـــتاء
قطرة المـاء فى الربيع تراها ... بهجةَ النفس ، وهى قطرة ماء !
لمة النور فى الربيع لهـا فى ... النفس رَجْعٌ كأعذب الأصداء !
ساحر ذلك الربيع المفدّى ... مبدع للحياة والأحيـــاء !

أنت فى رَيِّق الشباب ، فلا تبـ ... ـك ، فإن الشباب روح الحياةِ
وإذا لم يكن من الدمع بُدٌّ ... فتنظَّرْ عهدَ المنى الضائعات
حين يأتى المشيب وهو خريف ... تدرك النفس فيه سر الممات
سوف تبكى عند المشيب كما تجـ ... ـهش نفس عميقة الحسرات
أو كروح قد أخطأت عالم النو ... ر ، فهامت فى عالم الظلمات
لذة العمر فى الشباب ، فبادر ... لذة العمر قبل يوم الفوات !

ليت شعرى : ماسر هذا البكاء ... والمغانى نشوى بخمر الغناء ؟
فالربيع الجميل لحن جميل ... عزفتـــه ملائك فى السماء
والصباح الوضىء لحن مضىء ... تتراءى ظـلاله فى السماء !
كل ما فى الحيـاة يعزف لحناً ... من بهـاء ورقة وصـــفاء
كل ما فى الحياة ينشر فى النفـ ... ـس أريج المنى ، وعطر الرجاء
أنت تبكى ، وكل شىء يغنى ! ... ليت شعرى : ماسر هذا البكاء ؟

قلت : يا صاحبى بكيت لأنى ... لم أجد فى الحياة أسباب أنسى !
الربيع الذى تراه ، بعيـــد ... عن شعورى وعن ضميرى وحسى
والربيع الذى أريد ، بعيـد ... عن حياتى كأنه حلم أمسى
أنت لا تنظر الوجود بعينى ... لا ... ولا تدرك الحياة بنفسى
رب شمس تشع فى الكون نوراً ... حجبتها عنى سحائب يأسى !
وربيع يسقى الرحيق المصفَّى ... ما سقانى إلا مرارة كأسى !

لا تحدث عن الربيع ، فإنى ... قد عرفت الربيع روحاً ومعنى
أنت لا تعرف الربيع إذا كنـ ... ـت تراه زهراً ونهراً وغصـــنا
ليس روح الربيع ما تجد النفـ ... ـسُ ، ولكنه الذى تتمنى
هو عند العشـــاق ليلة حب ... طار فيها طير الهوى وتغنى
ويراه المفزَّعون الحيـــارى ... فى صحارى الحياة ، هدياً وأمنا
خير ما فى الحياة أن تتمنى ... فسِرُّ القلب دائماً أن يحنّا

إن تمنيتَ أن تعيش وحيداً ... فى الصحارى ، أو فى أعالى الجبال
فهناك الربيع ... تبصره النفـ ... ـس إذا حلقت وراء الأعالى
وهناك الربيع ... فى هدأة الليـ ... ـل ، وهمس الربا ، وصمت الرمال
وانطلاق الحياة من عالم الحـــ ... ـس ، إلى عالم الرؤى والخيال
واهتزاز الوجدان إذ يتلقى ... من جمال الحياة سرَّ الجمال
خالد ذلك الربيـع المرجَّى ... وربيع الأنام مِلك الزوال

وإذا شئت أن تعيش مع النا ... س ، وتلقى الربيع زهراً وعطرا
فاقطف الزهر ، وانسم العطر منه ... واملأ الكأس من ندى الفجر خمرا
غير أنّ الزهر الجميل سيفنى ... ثم يغدو فى باطن الأرض سرا !
وتجف الأوراق فى كل غصن ... فترى الغصن ذاهلاً مصفرا !
هذه سُنَّة الحياة ، فلا تحـ ... ـزن إذا أقبل الربيع ومرَّا
كل ما ليس باللباب سيمضى ... ثم يأتى ، وهكذا مستمرا

لا تلمنى إذا أضـــمت ربيعى ... فربيعى مكفن بالدموع !
ما غناء الربيع إن لم يُثِر قلـ ... ـبى وروحى ، ولم يهز ضلوعى ؟

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

طالبات الفلسفة بكلية الآداب وحقوق المرأة المصرية :

... ...

قرأت فى « الرسالة » الغراء كلمتكم التى تدور حول « حقوق المرأة المصرية بين الأنصار والخصوم » ... لقد كانت كلمة قاسية ، ولكن ماذا يضير ؟ لقد علمتنا القسوة التى يرمينا بها الدهر من حين إلى حين رحابة الصدر ، وهذه ميزة أخرى تفيدنا فى حياتنا السياسية التى هى حياة وكفاح ونضال وصبر على المكاره !

تقولون عن كلمة الأستاذ زكى عبد القادر إنها كلمة موزونة ، ولست أدرى ماذا يضيركم معشر الرجال أن تروا المرأة وقد أعجبت بمدح أو إطراء ! أتريدون منها أن تخرج عن طبيعتها الوادعة ولو فى أشد الشئون قسوة ومشقة ؟ إن هذا لما يسرى عنها ويجعلها تطمئن إلى مستقبلها فتمشى بخطى وئيدة ، وهو أنها بالرغم من اشتغالها بهذه الأعمال المضنية إلا أنها ما زالت محتفظة بأنوثتها الفياضة . . إن هذا من جانبكم لا يعد حسداً بل هو غبطة !

ثم ذلك السؤال الذى لا تنتظرون الجواب عنه ، وهو أن عدد المثقفات قليل ... مهلا مهلا يا سيدى الأستاذ ! كم كان عدد الرجال المثقفين يوم أن سن قانون الانتخاب عام ١٩٢٤ ؟ ! لقد كنا نود أن يوجه إلينا هذا السؤال بعد مضى ربع قرن آخر من تعديل قانون الانتخاب تعديلا يلائمنا نحن معشر النساء ... إننى لواثقة من أنه لو كان هذا العدد الموجود الآن من المثقفات وهو لا يرضيكم لقلته ، أقول لو كان موجوداً يوم أن سن قانون الانتخاب لكفل للمرأة حقوقها من ربع قرن مضى ! ولكن فى تلك الأيام لم يكن إقبال الفتيات على كليات الجامعة كمثل إقبالهن اليوم ، مما يبشر بالمضى فى تحقيق هذه الغاية وإخراجها إلى حيز التنفيذ ... والآن وقد أصبحت الكليات مفتوحة الأبواب للطالبات ، ويزداد عدد الملتحقات بها والمتخرجات فيها سنة بعد أخرى ، تراهن وقد أسند إليهن ما يسند إلى الرجل من أمور يقمن بها على خير ما يرجى وينتظر ، بعد هذا ما الذى يمنع من إعطاء المرأة حقوقها السياسية ، بل وأقول كرسى الوزارة ؟!

أما قولكم بأن الفتاة المصرية لا تذهب إلى الجامعة طلباً للعلم بل طلباً للزوج فما كنا ننتظر من أستاذنا هذا الكلام ... لنفرض أنه بطريق المصادفة قد لمستم بعض الأمثلة الشاذة يوم أن كنتم فى الجامعة ، ألا يكون من الظلم أن تخرجوا من هذه

ما غناء الربيع ما دام لم يبـ ... مث حنينى ولهفتى ونزوعى ؟
كان عندى من الربيع مثال ... فأباد الردى مثال الربيع !
فطويت الأعراس ... أعراس أيا ... مى ، وأطفأت بالدموع شموعى !
إن يكن حل فى الربوع ربيع ... فربيعى هناك تحت الربوع !

يا ربيع الحيـاة إنى غريب ... عنك ، فاذهب إلى سواى ودعنى
يا ربيع الحياة إن حياتى ... لربيع أضاعه الموت منى !
كان روحاً مرفرفاً فى ضميرى ... وشعورى ، وكان قلباً يغنى
كان وحياً لكل فن جميل ... ومثالا لكل روعة حسن
كم سقانى الأفراح فى كأس أيا ... مى ، وأصغى إلى غنائى ولحنى
ثم جفت أفراح كأسى لما ... غاب عنى ، فصرت أشرب حزنى !

لا تحدث عن الشباب ، فإنى ... قد فقدت الشباب قبل المشيب !
أين منى الشباب ، والقلب يحيا ... بين جنبىّ كالأسير الغريب ؟
كان قلبى — إذ كنت أحيا بقلبى — ... يتغنى مثل الهزار الطروب
كان يبنى بالوهم عشا ، ويمضى ... بالأمانى فى كل أفق رحيب !
ماله الآن لا يعيش على الوهـ ... ـم ، كما عاش منذ وقت قريب ؟
أين أشواقه ، وخفقُ جناحيـ ... ـه وراء الأفق البعيد الرهيب ؟
ليت شعرى كيف استحال رماداً ... بعد أن كان جذوة من لهيب ؟
هذه آية المشيب ، وإن كنـ ... ـتُ أرانى فى عمر غصن رطيب ؟
كيف لا أذرف الدموع وقد حا ... ن مغيبى من قبل وقت المغيب ؟
الوداع الوداع أيامَ عمرى ... وسلام على الشباب الحبيب !

(الاسكندرية) إبراهيم محمد نجا

الأمثلة بقاعدة عامة تطبقونها على المئات ؟ ! إن الإنجليز وهم أساتذتنا فى العلم والسياسة قد منحوا المرأة حقوقها السياسية متمثلين بقول شريدان : « النساء يحكمننا فلنجتهد فى جعلهن صالحات » ... ولقد برهنت فى سنين قلائل على أنها جديرة بهذا الحق ، وجديرة بقول لامارتين : « إن كل عمل مجيد وعظيم أساسه المرأة » !

عن طالبات قسم الفلسفة بكلية الآداب

آنسة رسمية على خليل

أشكر للآنسة الفاضلة أدب الخطاب ولطف العبارة ... إنه ليسعدنى حقاً أن يكون من بين فتيات الجامعة فى هذه الأيام من تخاطبنى بهذا الذوق الجميل ، ومن تناقشنى بهذا الخلق الكريم ، ومن ترد على بهذا الأسلوب المهذب .

بعد هذا أقول للآنسة الفاضلة إن ما جاء بكلمتى من عبارات غلفت بالقسوة واتشحت بالمرارة ، كان مرده إلى الواقع الذى تكشف لعينى يوم أن كنت فى الجامعة ، ممثلاً فى جيل من الفتيات قد تكون منه حتى اليوم بقية .. ولكن هذه البقية لا يمكن أن تحول دون وجود المثقفات والمهذبات من أمثال الآنسة ومن تحدثت إلى باسمهن من طالبات قسم الفلسفة بكلية الآداب . هذا أمر يفرض على الحق أن أسجله فى كثير من الغبطة ، ويفرض على الإنصاف أن أخصه بكثير من الإعجاب ... وأ كتفى بهذا القدر الذى تنوب فيه الإشارة عن الإفاضة ويغنى فيه التلميح عن التصريح ، حتى لا نثير الغبار من جديد حول قضية لا يحسن أن يثار حولها الغبار ... وأعنى بها قضية طالبات العلم وطالبات الزواج ! .

تسألنى الآنسة الفاضلة فى مجال التعرض لعدد المثقفات فى مصر كم كان عدد المثقفين يوم أن سن قانون الانتخاب فى عام ١٩٢٤ . من قال لك يا آنستى إننى أنظر إلى القلة فى عدد المثقفين بمنظار وإلى القلة فى عدد المثقفات بمنظار ؟ إننى ما نظرت فى يوم من الأيام إلى عدد المثقفين فى مصر ممن منحوا حقوقاً سياسية إلا بمنظار قاتم يمتزج فيه الإشفاق بالرثاء ! أقسم لك لو كان الأمر بيدى لما منحت طلاب الحقوق السياسية ما يتطلعون إليه من سلطان إلا بمعيار .. معيار قوامه الثقافة الكاملة فى كل أمر من أمور الحياة ، ولا ضير على الإطلاق من أن نظفر بمائة رجل من هذا الطراز لأنهم لو وضعوا فى الميزان لكانوا خيراً من ألوف !

المثقفون فى مصر قليل يا آنستى والمثقفات أقل ... ومن الخطأ أن نعمم وضعاً من الأوضاع بما فيه من أسباب النقص والقصور لأنه قد أصبح حقيقة واقعة ، كلا ! فما كان النقص فى صورة من صوره ليبيح لنا أن نتخذه مقياساً فى نظرتنا إلى كل قيمة من القيم وكل حق من الحقوق ... إننى أرد بهذه الكلمات على ما سقته من حجج وما أتيت به من براهين ، ولو شئت لنقلت القضية من ميدان إلى ميدان ولا بأس لدى من هذه النقلة التى تتيح للحديث أن يفيض ولأفق النقاش أن يمتد ! إننا نستطيع أن ندير دفة الجدل إلى ناحية أخرى لا صلة لها بمسألة القلة العددية فى مجال التعليم والتثقيف ... هناك حيث نلتقى فى رحاب قضية أخرى تتصل بوظيفة المرأة الأساسية فى الكون ومكانها الطبيعى فى الحياة .

تطالب المرأة بحقها فى كرسى النيابة وبحقها فى كرسى الوزارة ، وبالمشاركة فى كل أمر من أمور الدولة وكل شأن من شئون الحكم ، وكأننا قد فرغنا من كل ما يواجهنا من صعاب فى إصلاح المجتمع ولم يبق أمامنا ما يتطلب العلاج الحاسم غير هذه المشكلة بالذات ، لا فقر هناك ولا مرض ولا جهل ، ولا ألف مشكلة تتفرع عن هذه المشكلات الثلاث وتتطلب الكثير من الرعاية والاهتمام ! تنسى المرأة المصرية هذا كله وتنسى معه وظيفتها الحيوية وطبيعتها الأنثوية ... تنسى وظيفتها فى كيان الأسرة ، وطبيعتها فى نظام البيت ، ومكانها فى رحاب الأمومة ، ولا تفكر إلا فى أن تكون صاحبة جاه وسلطان !

إننا نريد أن نسأل المرأة المصرية عن غايتها من كرسى النيابة وعن هدفها من كرسى الوزارة ؟ إن الغاية المبرأة من الهوى وإن الهدف المنزه عن الغرض هو أن تضم جهودها وعلمها وثقافتها وخبرتها بشئون الحياة فى خدمة المجتمع الذى تعيش فيه ... كل هذا ميسر وكل هذا جميل ، ولكنها تنسى أن البيت سيهمل فى سبيل كل أمل مرجو وكل منصب منشود ، والبيت الذى تشرف عليه الزوجة الصالحة والأم الفاضلة هو صانع الرجال وخالق الأجيال ! ... إن المرأة تستطيع أن تحقق رسالتها المثلى وهى فى رحاب البيت وفى نطاق الأسرة ؛ تستطيع أن تمد الوطن عن طريق الرعاية الكاملة والتربية الناضجة والتوجيه الرشيد بالأبناء النابغين ... وعن طريق هؤلاء الأبناء يتهيأ لها أن تضع يديها على عدد من المناصب بدلاً من هذا المنصب الواحد الذى تسعى إليه ،

حين ينوب عنها فى خدمة المجتمع أفراد متعددون ، وعشرون يداً تشارك فى إقامة ألبناء خير من يدين !!

فى هذا المجال يا آنستى نطق شريدان بكلماته و كذلك لا مرتين ، وحول هذا المعنى الذى قصدت إليه دار أغلب ما قيل فى المرأة من كلمات جهر بها رجال الإصلاح ! أما عن عدد النساء فى البرلمان البريطانى والكونجرس الأمريكى فإنه لا يتجاوز أصابع اليدين . هذا مع بعد الفارق بيننا وبينهم فى ميدان العلم والسياسة والتقاليد والعادات ! إذا لم يقنعك اليوم هذا المنطق يا آنستى ، فأرجو أن يقنعك منطق الحياة فى مقبل الأيام !

مقال قيم عن الشيوعية للأستاذ العقاد :

يهودى ، ومتعلم فاشل ، وفتاة عابثة ، وماجن مستهتر ، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه ، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة ... هذا هو قوام كل مجموعة شيوعية توجد فى مصر أو فى غيرها فلا تخلو الخلايا الشيوعية من أصناف هذه التشكيلة ، وقد يكون الشيوعى الواحد تشكيلة كاملة من جميع هذه الأصناف !

وكل شىء يمكن أن تدعيه هذه المخلوقات فيصدق ، إلا أنهم محبون للخير مخلصون لبنى الإنسان غيورون على الإنصاف ؟ ولن يعجب أحد إذا قيل له إن هذه « اللامة » البشرية تسعى إلى الخراب ، وإنهم يدينون بالشيوعية لأنها ترضى فى نفوسهم تلك النزعة إلى التخريب ! أما أن يقال ، ولو من قبيل الخيال إن هذه اللامة هى التى تنشد الخير وتصلح نظام الاجتماع فذلك من وراء التصديق ، ومن وراء المعقول !

وكلهم معقولون مفهومون إذا كان التخريب هو الغاية التى يسعون إليها ، لأن اليهودى يستفيد من هدم المجتمع أن يستولى على العالم الذى لا أثر فيه للأخلاق ، أو للعقائد ، أو للوطنية ، أو للأسرة والمتعلم الفاشل يحقد على الناجحين فلا يبالى أن يتقى غليل الحقد بكل مصيبة تسوى بين الإخفاق والنجاح والفتاة العابثة تهدم المجتمع الذى يسميها على الأقل عابثة ، وتتطلع إلى المجتمع الذى يسميها « بطلة » أو رائدة من رواد التقدم والتحرر من قيود الآداب والأخلاق . والماجن المستهتر بطل كتلك البطلة حين يصبح الأدب وضبط النفس نكسة إلى الوراء وجوداً يعاب . والعامى الجاهل تابع لكل ناعق . والمشاغب المتاجر بالشغب صاحب بضاعة يعرضها فى كل سوق ، ولا سيما السوق التى تضاعف له الثمن وتغنيه عن الكدح الشريف والمسخ المشوه لديه من أسباب التخريب ما لا يحتاج إلى بيان ! !

طالعت هذه الكلمات منذ أيام فى جريدة « الأساس » للأستاذ العقاد ... وأجمل ما فيها هذا التقسيم الرائع لعناصر الشيوعية فى مصر وغير مصر ، وهو تقسيم لا يعدو الواقع الذى تراه العين ويتمثله الفكر ورردده اللسان ؛ ولا يعدو الحق حين نرده مع الأستاذ العقاد إلى مصادره الأصيلة من التحليل والتعليل ونقيمه على دعائمه الطبيعية من الدراسة النفسية والخلقية ! ...

أنا واثق أن هناك « أحراراً وتقدميين » سيشفقون على من هذه « الرجعية الفكرية » التى أؤيدها بقلبى وقلمى فيما كتب الأستاذ العقاد ، ولكنهم لو علموا مبلغ إيمانى بهذه « الرجعية » لأشفقوا على أنفسهم من نعمة التقدم والتحرر التى تدفع بكل مثل أعلى إلى الحضيض ! حسبهم كما يقول العقاد أنك لن تلقى منهم أحداً يعرف الشيوعية معرفة بحث وتحقيق ، فإن وجدت منهم من قرأ بعض الكتب فيها أو أحاط بما نشره كارل ماركس ولنين وغيرهما من « فلسفتها » فلن تجد الباعث له على الإيمان بها فكرة صالحة للاقتناع ؛ فما من فكرة صالحة للاقتناع تقنع أحداً سليم العقل والنفس بتقويض المجتمعات الإنسانية كافة تنفيذاً لحكم قضى به فيلسوف واحد أو مائة فيلسوف ! ... إن العقاد يبلغ الغاية حين يقول : كل فكرة لغط بها كارل ماركس وأتباعه هى فى الواقع محل بحث طويل وشك كثير ، كلها جدليات فى جدليات ، ولكن الشيوعى « المفطور » يؤمن بهذه الجدليات إيماناً لا يسمح بذرة من الشك ولا بشىء من الحيطة والمراجعة ؛ لأنه لا يؤمن بالشيوعية على قدر ما فى عقله من برهان بل على قدر ما فى نفسه من الهجوم على الخراب !

أدباؤنا بين الشرق والغرب :

هذا عنوان مقال كتبه الدكتور محمد مندور منذ أسبوعين فى جريدة « الأهرام » متحدثاً فيه عن مدى تأثر كتابنا وشعرائنا بالثقافة الغربية فى إنتاجهم الأدبى ، ولقد ذهب الدكتور إلى أن روح هذه الثقافة قد ظهرت فى بعض شعرائنا ولم تظهر فى البعض الآخر ... إن أكبر شاعرين عرفتهما مصر الحديثة فى رأيه وهما محمود سامى البارودى وأحمد شوقى قد اتصلا بثقافة الغرب لمعرفتهما باللغة الفرنسية ، ومع ذلك لا نكاد نعثر على أثر للآداب الغربية فى شعرهما ، بينما يظهر هذا الأثر فى شعر ولى الدين يكن وخليل مطران واسماعيل صبرى !



الاتجاهات الحديثة في اعداد المعلمين :

كانت قاعة المحاضرات هذا المساء بمعهد التربية العالي بالإسكندرية لا تكاد على سعتها تسع المستمعين . وما إن جاء موعد المحاضرة حتى وقف صاحب العزة عميد المعهد يقدم السيدة أسماء فهمي بقوله : إنها كانت أول طالبة بالجامعة المصرية وقد سافرت إلى أوربا وتخصصت في التربية . وكانت أول عميدة مصرية لمعهد التربية للمعلمات . ثم وقفت السيدة (أسماء فهمي) وأشارت إلى أنها ستعرض للاتجاهات الحديثة في إعداد المعلمين لا في مصر وحدها بل في أمريكا وانجلترا وفرنسا . فقالت : لم تكن هناك مشكلة الإعداد للمعلمين . فكان كل من أراد أن يتصدى للتعليم يجد أمامه السبيل ميسرة . وفي سنة ١٨٧٢ أنشئت أول مدرسة لهذا الغرض وهي دار العلوم . وفي سنة ١٨٨٠ أنشئت مدرسة المعلمين ؛ حتى إذا كان الربع الأول من القرن التاسع عشر أنشئت أول مدرسة لإعداد المدرسين للمدارس الأولية كانت تدرس فيها التربية بجانب المواد الأخرى . ثم أشارت إلى الحالة في إنجلترا فقالت : وفي انجلترا حتى سنة ١٨٦١ ألفت لجنة لدراسة حال المعلمين ، وأشارت إلى من كان يتولى التدريس في تلك العهود بقولها : فالخدم والعاملون وأصحاب المطاعم والفقراء والمصابون بالسل ، كل هؤلاء كان يمكنهم التدريس في المراحل الأولى . أما التدريس في الثانوي فكان يستمد من الجامعات . وفي أمريكا قبل منتصف القرن التاسع عشر لم تكن هناك مدارس للمعلمين ، حتى إذا ارتفع لسان النقد قائلا : كيف لا نفكر في المعلمين وإذا أردنا إصلاح حذاء فكرنا فيمن يجيدون ذلك ! وسرعان ما اتجهت بفضل هذ النقد إلى طرق إعداد المعلمين . وبعد الحرب العالمية الأولى نشطت الاتجاهات الإنسانية وتجلى ذلك في إعداد المعلمين . ففي مصر اتجهت العناية بمدرسة المعلمين واهتموا بتعديل مناهج المدرسة السنية ، ولم يكتفوا بمدارس المعلمين ، بل قامت معاهد التربية . ثم تحدثت عن إعداد المعلم في أمريكا بقولها إن أهم الهيئات في أمريكا لإعداد المعلمين هي الجامعات ، والكليات ومدارس النورمال ؛ ففي بعض الولات يبلغ عدد الجامعات ٩٥ جامعة . وبأمريكا ١٧٠٠ معهد لإعداد المعلم، وأمريكا مع هذا تشكو قلة المعاهد . وأهم مايسترعي النظر أن الجامعة هناك تطلب إلى من يتقدم إليها للتدريس شهادة بحسن السير والسلوك وشهادة تثبت اهتمامه بالشئون الاجتماعية . وفي أمريكا يجمعون

إن الذي يدهشني في كلام الدكتور مندور هو فهمه الاتصال بثقافة الغرب ممثلا في معرفة اللغة ! متى كان فهم اللغة وإجادتها دليلا على أن صاحبها قد نهل من ثقافة هذه اللغة وعب من آدابها ؟! إنني أعرف أفراداً هنا في مصر يعرفون اللغة الفرنسية كما يعرفها الدكتور مندور ومع ذلك فهم لا يعرفون إذا كان « سارتر » فرنسياً أم أمريكياً ، فيلسوفاً يتحدث عن « الوجود والعدم » أم عالماً يبحث في « النسبية وتحطيم الذرة » ! .. ثم هل تأثر رجل كإسماعيل صبري بالثقافة الغربية في شعره كما يقول الدكتور مندور ؟ إن ديوان صبري بين يدي وأنا أكتب هذه الكلمة ، وهذا شعره أراجع في قصائده نفسي وأرسل وراء أبياته ذوقي فلا أخرج بشيء على الإطلاق مما انتهى إليه الدكتور مندور ... إن صبري كما يدل عليه شعره لأبعد من ذكرهم الدكتور جميعاً عن التأثر بروح الثقافة الغربية ، اللهم إلا إذا كان الدكتور يفهم « التأثر » على وجه لا يشاركه فيه أحد من الناس ، كما فهم « الاتصال » على أنه معرفة لغة من اللغات !

سلامة موسى أشهر مني :

بعد أن فرغت من كتابة التعقيبات تلقيت رسالة عاجلة من قارىء شاء أن يغفل ذكر اسمه ، خضوعاً لمقتضيات الشجاعة . يكفي أن القارىء الفاضل قد غضب على غضبة مضرية ختمها بهذه الكلمات : « مهما حملت على الأستاذ سلامة موسى فهو أشهر منك في مصر والبلاد العربية وأعرف عند الناطقين بالضاد » !

أنا لا أنكر يا أستاذ أن سلامة موسى أشهر مني ... ولكن لا تنس أيضاً أن محمود شكوكو أشهر مني بكثير ! !

أنور المعداوي

بين التعليم المهنى والنظرى . أما فى انجلترا فالدراسة فى الجامعة نظرية ؛ وبعد الجامعة يتلقى الطالب التعليم المهنى . وفى أمريكا لا يفرقون فى الأعداد بين المدرس الأولى والثانوى فشهادتهما واحدة ، وإن كان بينهما اختلاف فى بعض المواد التى يقومان بتدريسها . وتبدى أمريكا اهتمامها الشديد بعشا كل البيئة ، فكل طالب يكلف ببحث عن البيئة التى يعيش فيها ، ثم تقرأ هذه البحوث فى اجتماعات خاصة . ومن الاتجاهات الحديثة فى أمريكا عمل دراسات صيفية يختلف إليها المدرسون فى الصيف فتكون الجامعات فى الصيف أشبه بخلايا . وهناك عيادات لعلاج عيوب القراءة أو عدم القدرة على النطق . وفى أمريكا خصصت الجامعات مراكز للايضاح ، فيحصل المدرس على ما يريد من أشرطة سينمائية أو ملابس أو غيرها بواسطة الإخصائيين . ثم أشارت إلى أن الجامعات فى أمريكا يقصدها الشعب من جميع الطوائف من أطباء وتجار وأصحاب مهن ؛ فإذا ما اجتمع المدرس بهؤلاء كان عاملا مهماً فى توسيع دائرة فكره . ومن الاتجاهات الحديثة أيضاً العناية بسيكولوجية الطفل المباشر . ولا يكتفى بالمحاضرات فى علم النفس ، بل يطلب إلى الطالب أن يلازم بعض التلاميذ فى البيت والمدرسة وفى ألعابهم وفى غدوهم ورواحهم ، ويدرسهم على ضوء علم النفس دراسة موضوعية غير مفسرة ، ثم تقدم هذه الدراسة إلى الجامعة .

ثم أشارت إلى الحالة فى مصر بقولها : إلى أى حد يتمشى فى مصر هذا النظام ؟ لقد تعددت فيها المعاهد دون ترابط : فهذه معاهد التربية ومدارس المعلمين والمعلمات الأولية والراقية . وإلى جانب ذلك يوجد عدد آخر ، فلا شك أنها تشكيلة كبيرة ، وهذا ينافى مبدأ الديمقراطية . ولا يزال الكثير منا يدين بالتفرقة بين مدرس المدارس الأولية والابتدائية والثانوية ، ويذهب فى زعمه إلى أنه لا حاجة بنا إلى إمداد مدة دراسة المعلم الأولى ، فعمله لا يحتاج إلى كثرة المعلومات .

وهذا خطأ من الوجهة السيكولوجية ، فمهمة المدرس خطرة فى كل مرحلة من المراحل الأولية أو الابتدائية أو الثانوية ، ويجب أن يكون حاصلا على أكبر قدر ممكن من الثقافة . وقد يكون لنا بعض العذر فى قبولنا لهذا القدر الضئيل من الثقافة بالنسبة للمدرس الأولى لو كان الغرض هو إيصال المعلومات ، ولكنه مدرس ومرب ومنشئ جيل . وختمت السيدة الفضلى المحاضرة بالإشارة إلى حاجتنا إلى تقوية الوعى القوى فى معاهد المعلمين ، ثم قالت : وعلى المعلم تقع أخطر المسائل ، وفى عنقه أعز الأمانات ، فإذا نجحنا فى إعداد المدرس الصالح فلابد أن ننتصر على كل مشاكلنا التى تعترضنا فى التربية والأخلاق

محمد عبد الحليم أبو زيد

أخبار الجليس :

عهد المجمع اللغوى الملكى إلى لجنة من الأدباء فى تحقيق هذا الكتاب للقيام بنشره ، والمنتظر من هذه اللجنة أن لا تغفل التعليق عليه بمآخذ العلماء عليه . وإنى ناقل كليمة من (سيرة الإمام أبى يوسف للعلامة الكوثرى) كمثال لعثرات المعافى النهروانى مؤلف الجليس الصالح : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرىء ، حدثنا محمد بن خزيمة بنيسابور عن المزنى عن الشافعى قال : مضى أبو يوسف القاضى ليسمع المغازى من ابن اسحاق أو من غيره ، فترك مجلس أبى حنيفة أياماً ، فلما أتاه قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ قال له أبو يوسف : إنك إمام، وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ : أيهما كانت أولا ، بدر أو أحد ؟ فانك لا تدرى أيهما كان قبل ، فأمسك عنه . يقول الأستاذ الكوثرى: هذا اختلاق صرف تكذبه شواهد الحال ، لأن أبا حنيفة هو الذى يحدث أصحابه فى مسانيده عن تفضيل عمر — رضوان الله عليه — أصحاب بدر فيما فرض لهم فى الديوان على باقى أصحاب الغزوات المتأخرة . وهو الذى يتلو فى ختماته ليلا ونهاراً قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) المعروف نزوله فى أحد ...

وصاحب الجليس الصالح يحكي أن المأمون حمل الشافعى على شرب عشرين رطلا من النبيذ ، ففعل ولم يتغير عقله ، كما فى لسان الميزان : يقول الأستاذ الكوثرى : إن الإمام الشافعى لم يلق المأمون فى عهد خلافته ألبتة . فهذا كذب بحت كتلك الأقصوصة . والمعافى النهروانى ليس من رجال التحرى فى النقل، وكتابه يجمع بين الجد والهزل : وفى سند الحكاية الأولى محمد ابن الحسن بن زياد ، وهو النقاش المشهور بالكذب . قال الخطيب البغدادى : فى أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة . وقال الذهبى إنه كذاب . وقال البرقانى : كل حديث النقاش منكر : وقال طلحة بن محمد الشاهد : كان النقاش يكذب فى الحديث ، والغالب عليه القصص . وترجمته فى تاريخ بغداد للخطيب ولسان الميزان وميزان الاعتدال وغيرها .

عبد الله معروف



بنت عمي راقصة

للأستاذ عباس خضر

حينما أقبلت على صديقي الأديب المعروف الأستاذ محمد مختار البرجي ، وهو جالس في إحدى أمسيات الصيف الماضي على طوار (بار اللواء) – ألفيته متثاقلا يضع مرفقه على المنضدة ويسند رأسه إلى راحته ، فأخذت مجلسي على الكرسي المقابل له في الناحية الثانية من المنضدة ، مكتفياً بتحية خفيفة دون أن أمد يدي لمصافحته ، ورد هو التحية رداً خفيفاً أيضاً ، ثم أردف يقول وهو يميل برأسه على يديه المشتبكتين فوق المنضدة :

– سأنعس خمس دقائق .

– فلتكن عشراً .

وأرسلت بصري إلى الشارع وإلى العابرين به ، ولكن فكري كان مشغولاً بأمر الصديق ، أهو متعب أم مهموم ؟ ولم يدع هو هذا التفكير يشغلني طويلاً ويقلق بالي ، فقد رفع رأسه وأشعل لفافته ؛ وابتدأ الحديث بيننا تافهاً ، وقد تجنبت أن أسأله عما يهمه ، ولكنه نظر إلى وقال :

سأقص عليك قصة ... كنت أصطاف منذ سنين في رأس البر ، فقام بنفسي في إحدى الليالي أن أجول بمدينة دمياط ، وطاب لي الجلوس على قهوة بها . وبينما أنا جالس اقترب مني شاب كان يتأملني من بعد وأنا أتغافل عنه وقال لي :

– حضرتك الأستاذ محمد مختار البرجي ..؟

– أتعرفني ؟

– أنت خالي ...

– خالك ؟! ومن أنت ؟

– أتعرف أن لك عماً اسمه علي مختار ؟

– نعم أسمع عنه ، لقد توفي أبي وأنا صغير ، ونشأت مع أمي في القاهرة ، وكانت تذكر لي عمي هذا وعماً آخر وتقول إنهما في دمياط ، ولكن من أنت ؟ وما مكانك من عمي علي مختار ؟ قل لي أولاً كيف عرفتني !

– كيف لا أعرفك وصورك تملأ بيتنا . نفصلها من الصحف والمجلات ونزين بها الجدران ، واسمك يملأ أسماعنا ويبعث النشوة في نفوسنا ... هلم يا خالي ... كم تسر أمي برؤيتك ! أمي بنت عمك علي مختار ...

طرق الشاب باب منزلهم ، وقد طلب إلي أن أتأخر قليلاً حتى أكون بحيث لا يراني من يفتح الباب ، وفتحت له أمه ، فبادرها بأنه سيفاجئها الآن بهدية نفيسة هي أعز أمانيها ، ثم أردف: سترين الآن يا أماه ابن عمك الأستاذ محمد مختار البرجي .

وتقدمت ، وكان لقاء حاراً أترك وصفه لأنك تدركه من طبيعة الموقف . واستمر الصديق يقول: لا أطيل عليك الكلام . عرفت مما دار بيننا من حديث أن الشاب يحل محل أبيه المتوفى في تجارته الموفقة ، وأن عمي علي البرجي توفي منذ زمن غير قليل ، وكذلك عمي الثاني وله أولاد يعيشون أيضاً في دمياط ، كما عرفت من بنت عمي هذه أن لها شقيقتين متزوجتين .

وتبادلنا الزيارات العائلية ، وتوطدت العلاقة ، وتم التعارف بين هؤلاء الأقارب الأعزاء وبين أسرتي وأولادي في القاهرة ، وساد هذه العلاقة مودة وسرور كان لهما أثر كبير في تجديد نفوسنا جميعا . ثم مضت الأيام ، وصرنا نشعر بالقرابة ، وغفرنا لصروف الزمن ما قضت به من التشتت فيما مضى .

واحتسى الأستاذ البرجي قهوته ، وجذب أنفاسا من لفافة أشعلها ، واستأنف يقول : وجاء إلي مرزوق افندي ، وهو ابن عمي الثاني ، وقد اعتاد زيارتي عندما يأتي إلى القاهرة ، ولكنه في هذه المرة جاء لأمر ... قال :

– أعد نفسك لما سألقي عليك من نبأ .

– قل ...

– إنه نبأ مؤلم ! وأحب أن تكون شجاعاً في تلقيه .

– هاته ، أسرع ، فقد يكون كلامك أشد منه .

– ما أحسبك لقيت في حياتك أشد مما سأفضي إليك به ،

ولا مفر لى من ذلك ، لأن هذا الأمر يهمك كما يهمنا .

— لا تخش على شيئاً فأنا أليف شدائد .

— أتعلم أن لك ابنة عم اسمها سنية وأنها ... راقصة !!

— إيه ...

— ألم تقل إنك حليف شدائد؟ لا تجزع يا أخى لأنى أريد أن تعاوننى فى ثبات على ما جد فى أمرها . وأجمل لك قصتها فى أن أمها كانت قد تزوجت بعد وفاة أبيها ، وكانت أخواتها الثلاث قد كبرن وتزوجن ، أما سنية فقد ضاق بها زوج أمها ، وضاقت هى بما لقيت من قسوة وخشونة ، فتسللت إلى القاهرة ، ثم احترفت الرقص ، وهى الآن تعمل فى إحدى (الصالات) وكانت قد تزوجت بشاب من أهل الفن توثقت بينها وبينه أسباب المودة فى أثناء عملهما معاً فى (الصالة) وعاشرها سبع سنين ، ثم طلقها أخيراً .

— إيه .

— وقد ذهبت إليها اليوم وأردت أن أنقذها من هذه البيئة فعرضت عليها الزواج ، فأبت ، وسخرت منى . وقد اعتزمت أمراً أريد أن تعاوننى عليه ... نقتلها فنغسل عارنا بدمها .

— هون عليك يا أخى ، فالذى بنفسك سيذهب بعد حين ، ولن تقتلها ، وأنا لا أستطيع قتل دجاجة . إذهب إلى حالك ودع الأمور تجرى فى مجاريها .

ولم أرد أن أخاشن ابن عمى وهو فى زيارتى ، فتلطفت معه حتى ودعته وانصرف بعد الغداء ، وقد انفثأ غضبه ، وعاد أدراجه إلى بلده كأن لم يكن شىء . وكنت حريا أن أسأله عما جد فى شأن ابنة عمنا وهى هى كما يعلم منذ أمد بعيد ، وجعلت أفكر فى الأمر وأنا لا أستطيع أن أتصور كيف نقتل فتاة دفعها التيار إلى هذه الناحية من الحياة ... وهل تقتل الفتاة لأنها راقصة ؟! وكلما تذكرت ما كان يريدنى عليه من المعاونة على قتلها عرتنى رعدة اشمئزاز واستنكار لفكرة القتل البشعة . ويختلط هذا كله بألم يحز فيها حينما أتصور حياة الراقصات التى أعرفها ، وأن بنت عمى واحدة منهن ... ودار رأسى من التفكير والألم .

وأخذت طريقى إلى نادى الصحفيين . وما أخذت مجلسى هناك حتى جاء الخادم يدعونى إلى التليفون ، فأمسكت السماعة وأصغيت ، فسمعت صوتاً ناعماً يقول :

— أنا قريبة لك .

— أعرفك ..سنية بنت عمى .

— إذن حضر إليك اليوم مرزوق أفندى . ولكن كيف تقول إنى بنت عمك ؟ ألا تنكرنى ؟!

— إنك بنت عمى من غير شك . أريد أن أراك .

— وتريد أيضاً أن ترانى ؟ أجاد أنت فى كلامك ؟

— دعى هذا ، ولنتم الحديث حين تحضرين .

وأقبلت سنية بعد قليل ، ومن المتبع فى النادى أن يكتب الزائر اسمه فى دفتر الزائرين ، فأمسكت أنا القلم وكتبت اسمها هكذا : سنية على البرجى .

وانتبذنا ركناً قصياً بالنادى ، وهى تقول لى :

— إن اسمى سنية على فقط . فلم أرد أن ألوث اسم « البرجى » الذى عرفت أنت به .

— ليكن اسمك من الآن سنية على البرجى !

— لا أكاد أصدق ما أرى ، فما كنت أطمع أن أنال اعترافك بى فيما بيننا فضلاً عن مجاهرتك بقرابتى !

قالت ذلك وطأطأت تفتح حقيبة يدها وتخرج منديلاً تمسح به دموعها ، ثم تابعت :

أما مرزوق افندى فسامحه الله .. لقد كان منزلى مثواه كلما جاء إلى القاهرة ، ولم أكن أضن عليه بما يطلب حين تقصر يده ... فما باله اليوم يستشعر العار فى مسلكى ؟!

— قال لى إنه عرض عليك الزواج .

— نعم ورفضت . ومن أجل هذا تعرضت لعاصفته .. وأنا ما زلت — ولا أخفى عنك — أحب زوجى السابق ، وقد تعودت لوناً من الحياة معه ، ولم يذهب من نفسى الأمل فى أن يعود إلينا حسن التفاهم ويرجع الماء إلى مجراه . ثم أنا إن تزوجت مرزوق أفندى فسيكون خيال ماضى منغصاً لحياتنا ، وهناك الأهل الذين لفظونى ثم أنكرونى .. كيف يطيب لى العيش فى وسطهم ؟ ثم نظرت إلىّ نظرة فيها مزيج من الحنان والشكر ، وقالت :

وأنت يا ابن عمى ... كم أنا سعيدة بهذه الكلمة . ابن عمى كلمة بحثت عنها كثيراً فلم أجدها إلا حينما رأيتك تكتب اسمى فى الدفتر سنية على البرجى !

وأجهشت ، فانخرطت فى بكاء ... ثم قالت :

وأنت يا ابن عمى جبرت نفسى ، جبر الله نفسك !

وانصرفت سنية ، وقد وعدتها بالزيارة فى منزلها . وارتاحت نفسى لحسن استقبالى لها واغتباطها بذلك . ولكن كان فى نفسى شىء يدفعنى إلى بحث ما يحيط بها ... نعم لقد مكثت سبع سنين متزوجة ، وقد عرضت عليها فى النادى أن تكون على حريتها فتطلب ما تشاء فى المقصف كل شىء ... ولكنها أبت وأكدت أنها لا تشرب الخمر وأنها ليست كما قد أظن ... الخ . ولكنى فى الوقت نفسه أعرف (الصالات) وما فيها من (فتح) وغيره ... لذلك جعلت أرقب أحوالها فى زياراتى لها ؛ فلم أجد ما يريب .

وكنت مرة فى نادى نقابة الممثلين مع صديقى الأستاذ أحمد كامل أحد نجوم المسرح والسينما وعضو مجلس إدارة النقابة ؛ وقصصت عليه قصة بنت عمى ؛ وتعمدت أن أذكر اسمها — فى عرض كلام — قبل أن أفضى إليه بقرابتها وقصتها ؛ وهو صاحب مغامرات مع كثيرات من هؤلاء الراقصات ومثيلاتهن . فلما وصلت فى القصة إلى التلويح بشىء من التشكك ، قال لى : حسبك لأن تطمئن أن تعلم أنى لا أعرفها !

وصحبت سنية بعد ذلك إلى نادى نقابة المثلين ؛ وعرفت أعضاء النادى بها . ثم طلبت أن تشترك فى النقابة ؛ فقال لى الأستاذ أحمد كامل : إننا لا نقبل فى النقابة راقصات (الصالات) ولكن من أجلك سأعمل على قبولها .

وقيد اسم سنية فى نقابة المثلين . واقترن ذلك بالاتصال بأحد منتجى الأفلام ؛ وتم الاتفاق على أن تظهر سنية فى فلم جديد ، وهى الآن تعمل به وقد تركت العمل فى (الصالة) .

واغتبطت اغتباطاً كبيراً بهذا التوفيق فى نقل ابنة عمى من بيئة (الصالات) إلى مستوى الممثلين والممثلات ، وأنت تعلم أن هذه الطائفة من أهل الفن قد أصبحت لها اعتبارها ومكانتها فى مجتمعنا الحديث . وقد صرت أنظر إلى سنية نظرة المطمئن الذى لا يجد غضاضة فى الظهور معها فى المجتمعات ، ولا أخفى أننى كنت قبل ذلك أواجه الأمر الواقع ، وكنت أحدث نفسى بأنه يجب على أن أقول للناس : هذه ابنة عمى ! فلا أدعهم يتسارون بذلك ... وكان سرورها بى وبعملى هذا يعوض فى نفسى بل يفوق كثيراً ما أشعر به من خفى الشعور ، بل يكاد يمنعه . أما بعد أن صارت ممثلة وعضواً فى نقابة المثلين فقد طابت نفسى وراق بالى

وسكت الأستاذ البرجى ، وهو ينزع الغلاف الشفاف عن علبة اللفائف الجديدة ، ويطويه بيده ويرمى به ، ثم يشعل لفافة ويأخذ منها نفسا ؛ ويسند رأسه المثقل إلى راحته وسحابة الدخان تتراقص أمام سحابة الهم على وجهه .

قلت له : إن ما فمات شىء عظيم ، وهو يدعو إلى الارتياح ، فما لك مهموماً ؟

فنظرت إلى كمن يطلب الصبر حتى آخر القصة ، وقال :

كنا أمس فى النادى ، أنا وسنية وأحد الوزراء السابقين ، وهو صديق قديم معروف بميله إلى الأدباء والفنانين . جلسنا نحن الثلاثة معاً ، فطاب مجلسنا ، وتبسط معنا صديقنا الوزير السابق فأكثرنا من الطرف والدعابات ، وأشرقت البسمات على وجوهنا ، حتى جذب ذلك إلينا الأنظار . ثم انفض المجلس ، وتفرقنا فى أرجاء النادى ، وإذا أحدهم يدنو منى قائلا فى شبه همس :

لا تسرف فى الظهور مع بنت عمك فنحن فى مصر ...

ولست أدرى أحاسد هو أم ناصح ، وعلى أى حال قد قال ما قال ...

عباس خضر

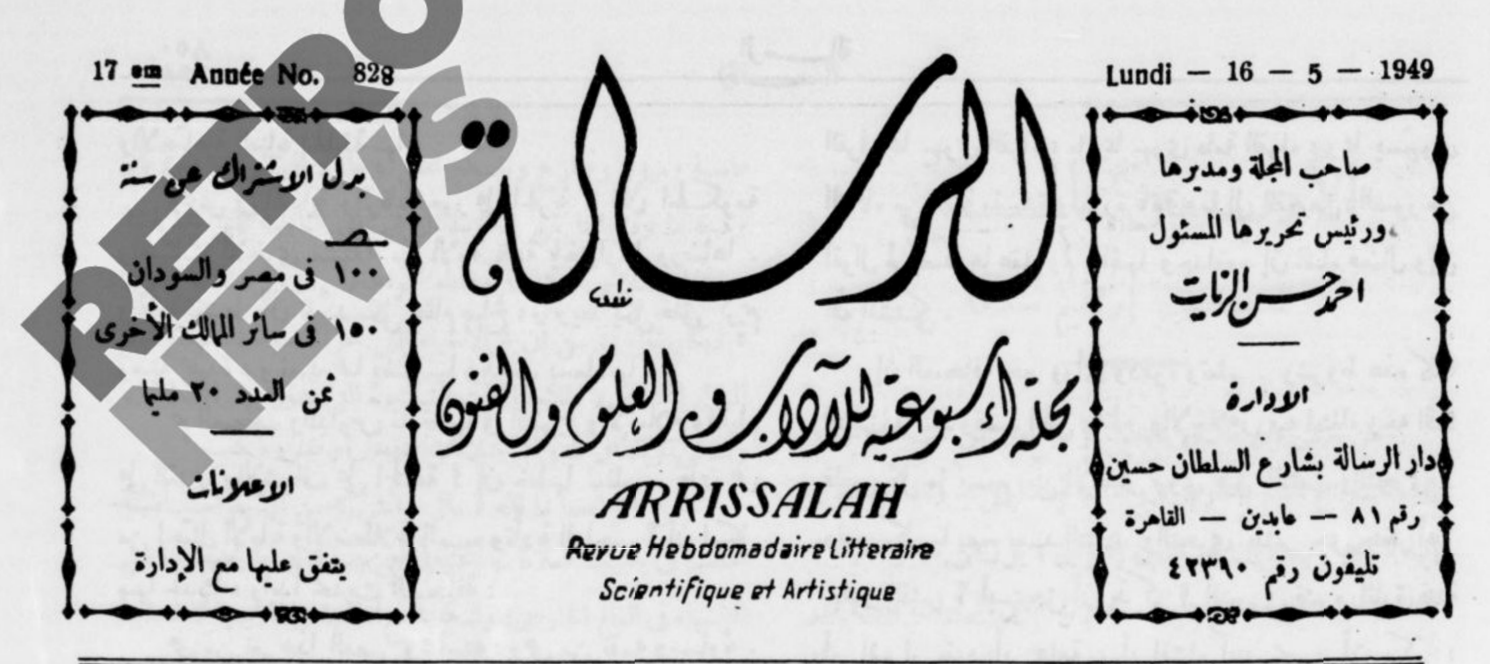
مطبعة الرسالة


العدد ٨٢٨ – الاثنين ١٦ مايو ١٩٤٩ – السنة السابعة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العـــدد ٨٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ رجب سنة ١٣٦٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٤ ـ أمم حائرة

الهداية والرقابة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إن قامت الجماعة على غير طريقة ، وعملت على غير خطة ، فكيف تستقيم على محجّة ، وكيف تقصد إلى غاية ؟ وإذا انبهمت الغاية ، واشتبهت السبل ، ساغ لكل جاهل أن يدل على الطريق ، واستطاع كل ناعق أن يقول : « هذا هو النهج » وليس بعد هذا إلا الضلال والحيرة .

لا بد من عقل رقيب ، وفكر ناقد ، ورأى سديد . ولا بد أن يكون للعقل والفكر والرأى طريقة تؤدى إلى الناس نصيحتها ، ونظام يعرّف الناس بدعوتها ، وقانون ينفذها . فلا تضيع الآراء السديدة فى ضوضاء المضلّين ، وصيحات المبطلين . ولا بد من رقابة الجماعة ومن سلطانها متمثّلين فى نظام الحكومات وفى الطوائف التى تقر لها الجماعة بالهداية والرقابة والتقويم .

إنى لأرى أموراً تحدث فى نظام الأسَر وسنن الجماعة ، لا يُعرف كيف نشأت ؛ وهى لا تجد من أولى الشأن رعاية إن كانت صالحة ، ولا حرباً إن كانت فاسدة . وأرى كثيراً من العادات تشيع على كره عقلاء الأمة والمصلحين فيها . فأسأل نفسى وأسأل أصحابى : لمن قيادة الجماعة ؟ وبأى يد أزمّتها ؟ فأرى أحياناً أن مبتدعى هذه العادات الكريهة ، ودعاة هذه العادات السيئة ، من أصحاب الهوى المولَعين بالتقليد ، أو طائفة من التجار الساعين وراء الكسب بأية وسيلة ، ومن أصحاب الملاهى وأشباه هؤلاء . فهؤلاء يقضُون فى أمور تُحسب هينة ، وهى فى سِيَر الجماعة ذات عواقب وخيمة ؛ يراها المفكرون المبصرون وتكلّ عنها أبصار من لا يتجاوزون الظاهر ، ولا يدركون ما بعد اليوم . هؤلاء ، ومن ورائهم الدهماء ، يسيّرون الجماعة أحياناً بأهوائهم ومآربهم ، ويدعو الخيار فلا يستجاب لهم ، ويقول المصلحون فيُسخر منهم ، ويُغضى أولو الأمر تهاوناً واحتقاراً ، عن أمور يرونها صغيرة وما هى بصغيرة .

قد شمل القانونُ والنظام كلَّ الجوانب فى الجماعات الحاضرة قانون الحكومة وقانون الهيئات التى تقرها الحكومة على اختلاف النظم والأسماء .

كانت الجماعات ، فيما سلف ، لا ينالها القانون والسلطان إلا فى بعض شئونها ؛ ولكن حكومات هذا العصر تشرف على كل شىء ، وتحاول الإصلاح فى كل شىء ، بالإجبار أو الإرشاد ؛ فالتعليم والصحة والرياضة وأمور اجتماعية كثيرة تتولاها الحكومات أو هيئات تقرها الحكومة وكانت من قبل لا تعنى بها الحكومات إلا قليلا .

فلا جرم أن هذه الحكومات والجماعات المختلفة قادرة على الهداية والرقابة والتقويم والتهذيب إن عنيت بالأمور النفسية

والاجتماعية المنافية الخليقة بها

وليس في الهداية والرقابة جور على الحرية . فإن الحكومة والهيئات الأخرى مشتقة من الأمة قائمة باختيارها ورضاها . والأمة تغتبط بأن تقيَّد بكل نظام صالح ، وتُربط بكل خلق كريم وسنة حميدة ، وتُصد عما يضر بها ويذهب بسعادتها .

ثم الصحف والمدارس ما خطبها في التقويم والإصلاح والقيام على النشء والإشراف على الجماعة ؟ إن خطبها لعظيم . فأين هي من احتمال الأمانة والاضطلاع بالعبء وتأدية الواجب ؟ إن لكل منها لحديثاً ، وأبدأ بحديث الصحافة :

هي من نعم هذا العصر ومحاسنه ، وهي من نقمه ومساوئه . وهي عظيمة الخطر كبيرة الأثر في الجماعات . تطلع على الناس صباح مساء بأخبار وآراء ، وعلم وفن، وأمر ونهي، وجد وهزل، لا تدع أمراً مما يهم الإنسان في معيشته الخاصة ، أو أحوال الجماعة التي يعيش فيها ، أو الأمم الأخرى إلا عرضت عليه خبراً عنه ، أو رأياً فيه ، أو نبذة من علم يتصل به ، أو فن يرجع إليه ، أو تاريخ يبينه ، أو قصة تصوره .

وهي تنتشر في كل جانب وتلقى الإنسان في طريقه وداره ومدرسته ومتجره ومصنعه وحيثما كان في شأن عام أو خاص : تطلبه وإن لم يطلبها ، وتقتحم عليه وإن لم يدعها .

وأمر الصحافة أبين وأوضح ، وأشيع وأجلى من أن يُعنى الكاتب ببيانه ، أو يحس حاجة إلى الكلام فيه .

فانظر كيف أثرها إن صدقت ، وتحرت الصدق ، وطلبت الحق ، وأخلصت في طلبه ؛ وعملت للخير ودعت إليه ، وسارت على طريقه لا تحيد ولا تضل ، ولا تميل ولا تزيغ ، ولا تجور ولا تحابي !

وانظر كيف أثرها إن خلطت صدقاً بكذب ، ولبّست حقاً بباطل ، وعملت لنصرة فرد أو طائفة أو حزب ، وزينت لها العصبية أن تُزيِّن كلَّ ما يقول حزبها وما يفعل ، وإن تقبّح كل ماينطق به خصمها وما يعمل ! وانظر كيف أثرها إن بغت الانتشار والربح بكل وسيلة ، واحتالت لهما بكل حيلة ، ولم تبال صلاح الناس وفسادهم ولا خيرهم وشرهم ! وانظر كيف هي إن فتنت القراء وأضلتهم وتركتهم على قلق وتردد في آرائهم وأعمالهم ، ولبس وحيرة في أخلاقهم وآدابهم . وأقامتهم في بيداء مضلة لا تبين سبلها ولا تعرف أعلامها ؟ كيف أثرها إن احتالت على القراء بما يهوى القراء ، بل بما يهوى عامة القراء ، وبما يستهوى الدهماء من قصة مفسدة وصورة فاتنة وما إلى القصص والصور من أقوال لم يُصدرها عقل ولم يراقبها وجدان . إن الداء عضال وإلى الله المشتكى .

إن الصحافة خبر ورأى ودعوة وتعليم . وشروط هذه كلها التثبت والنقد وقصد الحق والخير والإخلاص فيه ابتغاء وجه الله؛ فليس كل ما يُسمع من الأخبار يروى قبل التثبت والتحرى . وليس كل ما يصح بعد التثبت والتحرى يُنشر حتى يُنظر أهو جدير بالنشر ؟ أيستحق أن يذكر ؟ أليس في نشره إثارة فتنة أو إضرار بفرد أو جماعة ، أو إفشاء لسر يحسن أن يكتم ، أو إظهار لأمر يجمل أن يسر ؟ ومرجع هذا كله إلى وجدان القوّام على الصحف وعلمهم وبصرهم وإخلاصهم . وإن لهم من أولئك رقيباً أكبر من كل رقيب وأعظم شأناً وأقوى سلطاناً من الحكومات والقوانين .

واما أن يختلق الخبر ، أو ينشر دون تثبت ، أو يذاع لنكاية أو لتشنيع أو تسميع أو إثارة فتنة فيها هوى للناشر أو مصلحة له أو لحزبه ، فهذا تنكره مروءاتنا وأخلاقنا وديننا وتاريخنا . ومهما يقل القائلون في حرية الأخبار وحق النشر ، فلن يجد من عقولنا قبولا ولا في ضمائرنا رضا . فليتق الله في أنفسهم ومواطنيهم وأمتهم وفي الناس جميعاً هؤلاء الكاتبون وهؤلاء القائمون على الصحف .

وأما الرأى فعماده علم ونظر وترو . فإن رُمىَ بالرأى دون إحاطة بموضوعه ، أو دون تفكير فيه ، أو بغير إعمال الروية كان حريّاً أن يبعد من السداد ، وأن يخذله الرشاد ، وكان خليقاً أن يَضل ويُضل ويُفسد ولا يُصلح .

فهل الآراء التي تطلع بها الصحف صباح مساء ، أعطيت حقها من المعرفة ، وشرطها من الروية ، وحظها من الإخلاص ؟ أي فارق بين الكاتب الذي يكتب فيما لم يحط به علماً ، وبين المعلم الذي يتكلم على تلاميذه وهو لم يحط بدرسه ولم يوفه بحثاً وفكراً ؟

هذا ، إن حاد بالرأى عن الصواب جهل أو تهاون أو عجلة . فمابالك إن زاغ به هوى ، وأريد به تضليل ، وقصد به إلى مأرب؟ وكيف إذا اختلفت الأهواء وكثرت الآراء ، وكلها لا تهدى إلى الحق ، ولاتبغى الخير ، ولاتبالى إلا بهزيمة الخصم والتسميع به

الأدب بين عالمَين

للدكتور إبراهيم سلامة

نحن نعيش بين عالَمين يتجاذباننا ويحاول كل منهما أن يردنا إلى ناحيته: « العالَم الخارجى » و« العالَم الداخلى ». ولك أن تقول إننا لا نحيا متجاذبين بين هاتين القوتين، بل نحن نعيش فيهما؛ فلنا حواس تنقل ما تقع عليها، فتدرك العين المرئيات، والأذن المسموعات، واليد الملموسات. فحواسنا تنقل إلينا صور الحياة كما هى، ولكننا لا نعيش فى هذا العالم المادى وحده، وإلا ضقنا به وتخلصنا منه، وكان من حرم حاسة من هذه الحواس كأنما أغلق أمامه باب من أبواب المعرفة بالحياة. وما هكذا خلقنا وما هكذا نعيش! فنحن نعيش أيضاً فى عالَم داخلى من إدراكنا لما تجلبه حواسنا، ومن تأويلاتنا لهذه المدركات بعد عرضها على مافينا من حاسية وميول ونوازع وتفكير نحال به مايرد إلى نفوسنا، وذكاء نرد به ما يرد علينا من العالم الخارجى إلى الناحية التى نجد فيها منفعتنا وصلاح شئوننا وغذاء عواطفنا. ومن هنا ما يقول « ديكارت »: من أن « الأشياء التى تحرك حواسنا تهيج فينا الميول المختلفة لا للاختلافات الكثيرة التى تدور بها المحسات، ولكن لاتصال هذه الاختلافات بنفعنا أو ضررنا »

ومن هنا أيضاً ما قاله « مال برانش » من أن حواسنا أمينة مخلصة فى تعليمنا الملاقات المختلفة التى بيننا وبين ما يحيط بنا من الأشياء فى العالم الخارجى؛ ولكنها مع أمانتها وإخلاصها لا تعطينا صورة صادقة عن كل ما نحس به، فما حواسنا إلا هبة إلهية لحفظ حياتنا ».

فديكارت الفيلسوف ومال برانش الأديب متفقان على أن العالم الخارجى الذى تربطنا به حواسنا ليس عالمنا وحده، بل فينا ميول تهيج وتثار بتلك الآثار المحسة ليست صورة صادقة لما نحس به، فنحن نعيش أيضاً فى عالمنا الداخلى الذى يحررنا من

والقارىء الساذج فى حيرة بين الآراء المتصادمة، والأهواء المتقاتلة حتى يميل به طبعه أوهواه إلى جانب، أوتستمر به الحيرة والضلال. إن كل من يمسك قلماً ليكتب فى صحيفة يتصدى لأمر عظيم، ويتحمل تبعة جسيمة. فليتق الله فى كل فكرة يفكر فيها، وفى كل كلمة يسطرها. ولينظر ما أثر فكرته وكلمته فى أمته، وما حق هذه الأمة عليه.

وأما الدعوة فينبغى أن تكون إلى الأخلاق العالية والسنن الصالحة يُدعى إليها بكل وسيلة، وتسلك إليها كل سبيل. وينبغى أن يحذر كل الحذر من الدعوة، صريحة أو خفية، إلى التحلل من الأخلاق والفرار من التبعات؛ فإن النفوس قد احتملت أعباء الواجب وصبرت عليها ولم تبال بما فيها من مشقة وحرمان؛ ابتغاء ما هو أعلى وأشرف وأعظم؛ ابتغاء الحق والخير وإيثاراً لما هو أجل من خير الناس وصلاحهم. فإن ارتابت فى هذه الأعباء الثقيلة ودعيت إلى الدعة، وإيثار الأهون عليها والأحب إليها، والاستجابة إلى الأهواء والإخلاد إلى اللذات والخضوع للمطامع، والسكون إلى سفاسف الأمور والإشفاق من جليلها. صادفت الدعوة منها هوى ولقيت منها إصاخة واستراحة إليها باطناً وإن نفرت منها ظاهراً، إلى أن يضعف الوجدان الذى يحبب إلى النفس إيثار الأشق الأعظم من الأمور، وإلى أن تُسِفَّ الهمة التى تتقدم بالإنسان على الصعاب وتنأى به عن اللذات؛ استجابة للمعانى الجليلة التى يسَّر الله بها البشر إلى الكمال الذى قدره لهم.

إن الإنسان يعيش تحت أوقار من الواجبات وأوامر الأخلاق وتكاليف الجد، كما يعيش تحت أثقال من الضغط الجوى. فإن دعى إلى طرح هذه الأعباء واستراح إلى هذه الدعوة هلك كما يهلك إذا خف عنه ضغط الجو. ورب كلمة فاتنة أو قصة ساخرة تنقض فى نفس الناشىء أو تزلزل كل ما أمرَّت التربية فى نفسه، وتاريخ البشر فى فؤاده! فلينظر الكاتبون وليتقوا الله.

وأما التعليم فكذلك يعمل له الفكر والنظر، ويختار ما هو أنفع للناس وأقرب إلى الصواب من الأمور النفسية والآفاقية على هدْى العلم، وإرشاد التجارب وهلم جرا.

ما أقدر الصحافة على الإصلاح! وما أقدرها على الإفساد! وما أكثر المصلح منها فى عصرنا هذا وفى بلدنا هذا وما أكثر المفسد منها! فن كان مصلحاً فليزدد إصلاحاً، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته.

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

الخضوع للعالم الخارجي ، ويجعلنا عبيداً له عبودية العالم إلى الملاحظة والمشاهدة والاستقراء ، وعبودية التقليدى إلى قاعدته يلتزمها ويقيس بها مسائل العالم . والعالمان كما ترى مشتبكان متدخلان ، ولكن ينفرد العالِم « بالعالم الخارجي » يستمده في الملاحظة والمشاهدة ، وينفرد الأديب « بالعالم الداخلي » يستغرق فيه ويتسع بطبيعته لتأملاته وتصوراته . إن الأديب الذى استمتع بمنظر من المناظر الجمالية ، ثم جلس بعد مشاهداته إلى مكتبه إنما يجلس إلى تأملاته ، ويجلس إلى صور وتصورات قد تكون موادها الأولى من العالم الخارجي عالم المحسات ، وقد يزيد فيها وينقص بما يهبها من حيوية وخيال وإضافات لم تكن لها فى عالمها الأول . والفرق بين الوقفتين هو الفرق بين ما يسميه علماء النفس « بالخيال الاسترجاعى » و « الخيال الابتكارى » وإذا كان الخيال الثانى أسمى من الخيال الأول سمواً قد يصل إلى درجة الاختراع فى الصور العقلية ، وإلى درجة الخلق والابتكار والإبداع فى الصور الأدبية ، فذلك لأن الخيال الاسترجاعى يعتمد أكثر مايعتمد على استعادة المحسات كما هى فى العالم الخارجي ، فى حين يعتمد الخيال الابتكارى على العالم الداخلى الذى يمده بكثير من القوى النفسية التى تعتبر أساساً للجدة والابداع .

إن عالم الحس ضاغط ملزم ؛ أما عالم الصور والتصور فحر طليق . إننى أمام شجرة وقع عليها نظرى لا بد لى من أن أراها لأنها وقعت على مدى نظرى؛ ولابد لى من أن أراها شجرة ، ولايمكنني أن أقول إلا إنها شجرة . أما الأديب فله أن يقول « إنها كلمة طيبة كالشجرة الطيبة » وله أن يقول إن صاحبه الذى لا فائدة فيه كشجر السرو « له رواء وما له ثمر » ولابن الرومى أن يقول إن صاحبه جاف جامد كشجر الخلاف :

فغدا كالخلاف يورق للعيـ ـين ويأبى الأثمار كل الأباء

أن المحسات تتحكم فى الأدب لأنها ضاغطة ملزمة كما قدمنا . فلا حرِّية للأديب أمام العالم الخارجي ، أما فى عالمه الداخلى فحُر طليق يتحكم فى صوره حتى ولو جاءته من عالم الحس فيطاردها ويحل أخرى محلها ويجمعها ويفرقها ويتركها أمامه ، تتجمع وتتفرق ، وتتناصر وتتزاحم ، وتتوالد وتتقلص ، ليؤلف خياله كما يريد ، أو لتطاوع هذه الصور خياله كما يريد أن يبرزها الخيال . فعالم الحس يعرف بشاراً ضخماً قوياً لو توكأ على جدار لانهدم الجدار ؛

ولكن بشاراً لا يرى فى برديه إلا جسماً ناحلاً « لو توكأت عليه لانهدم » والناس تسمع المتنبي وتراه ملء العين وملء برديه ، ولكنه يرى نفسه ضئيلاً هزيلاً ، بل يريد أن يخائل الناس فى حواسهم ليروه كما يرى نفسه من النحول والذبول ولولا كلامه ما كان فى جسمه مَعلم يدل على حياته :

كفى بجسمى نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

إن « تين » شيخ المفتنين فى الأدب والنقد إذا كان لا يرى فى « الصورة » إلا أنها « إحساس ضعيف » ، وإذا كان « أبنجهوس » من علماء النفس يفرق بين الإحساس والصورة فيرى أنها باهتة مصفرة كأنها من مادة الأثير ، وإذا كان غيره من علماء النفس أمثال بهنس لا يرى فى الصورة إلا مادة ضئيلة شفافة متشعمة مخيلة قابلة للذوبان بل للتبخير ، فأن الأدباء يرحبون بمثل هذه الصور ويرون فيها مادتهم المطاوعة للخيال ، ومن ثمَّ للخلق والابتكار . لنحذر إذن علم النفس فلا نتورط فى تقسيماته وقواعده إذا أردنا أن نحتفظ للأدب بمواده ؛ فإن الصورهى متاع الأديب ينضده كيفما شاء ويستمتع بمرآها ولو كان باهتاً مصفراً . إن علم النفس « بموضوعيته » الحاضرة التى يريد بها أن يثبت شخصه أمام غيره من العلوم يريد أن يضغط على « الذاتية » التى يمتز بها الأدب ولا يمكنه أن يتخلص منها لا فى الانتاج ولا فى النقد . فكما أن للأديب عالمه كذلك للأدب « علم نفسه » الذى لا يحب أن يخضع لعلم النفس الخاص دائماً ، بل له أن يتحكم فيه أحياناً . إن هذه الصور الباهتة قد تتجسم أمام الأديب حتى لتكون حقيقة ماثلة أمامه ، وحتى لا يستطيع أن يفرق مع تسلطها بين الحقيقة وبين الخيال ؛ وفى هذا الاتصال أو المزج سر الأدب . فأجمله ما تخيلت فيه لترجع بحقيقة ، وماحققت فيه لترجع بخيال . فحقيقة الأدب تبدو لجدتها أنها متخيلة ، وخيال الأديب يبدو لإمكان وقوعه أنه حقيقة واقعة . فسر الجمال الأدبى فى الإضافات التى نضيفها إلى العالم الخارجي ، وفى المثالية التى ندركها من الصور الداخلية سواء أكانت صوراً نفسية محضة ، أم صوراً خارجية تحولت إلى صور نفسية وباعدنا بينها وبين عالمها الأول بما أضفينا عليها من المثالية . إن الأدب وجماله فى هذه الزيادة التى نضيفها إلى القيم الوجودية فى العالم الخارجي ، وإلى القيم الاصطلاحية اللغوية . وإن الذوق الأدبى ليس فى القيم اللغوية للألفاظ ولا فى

القيم الحقيقية للمعاني ، بل في القيمة التقديرية التي يهبها الأديب هبة للألفاظ والمعاني ، أي في القيمة التصويرية . وبعبارة حديثة في الانسجام الذي نحسه في الموسيقى ، ونحسه أكثر عند النشاز ، وفي الملاءمة التي نحسها بين الألوان في التصوير ، ونحسها أكثر إذا اختلطت هذه الألوان ونبا بها النظر ، وفي الفترات الزمنيــة التي نحسها في التقسيم والوزن والفواصل وإراد المعنى؛ هذا التقسيم المعبر عنه بالمقابلة أو Symetrie . وبقدر احتفاظنا بهذه التقديرية أو الإضافية تكوّن نظرتنا للأدب . فالأدب «الكلاسيكي» اهتم بالقيم الحقيقية وغالى فيها . والأدب « الرومانتيكي » اهتم بالقيم الإضافية والفردية التي نضيفها إلى القيم الوجودية الحسية والعقلية . وقد غالت الرومانتيكية في أهمية القيمة الإضافية الجمالية فأصبح كل شيء في نظرها فناً ، وكل ظاهرة ولو علمية فنية ؛ حتى لقد قيل إن الطبيعة نفسها عمل فني ، وإن الكائن الحي نفسه فن . فالفن الحديث ليس في إضافة قيمة جمالية إلى قيمة علمية فحسب ، بل في اتحاد الفكرتين : العلمية والجمالية في صورة تدرك في العمل العقلي المستمر .

هذه المغالاة في الرومانتيكية وهذا التعصب للكلاسيكية أثارا الأدباء والنقاد في القرن التاسع ؛ فإن سانت بيف Sainte Beuve وتين Taine وغيرهما بعد سنة ١٨٥٥ قاموا للمناداة بالحقيقة في الأدب Le vrai وكانت قومة ضد الرومانتكية وضد الكلاسيكية معاً ، وفي مصلحة مذهب « السرياليزم » (الحقيقة) في الأدب . لقد ابتدأ أنصار المذهب بوصف العالم الخارجي وحده فالتجأوا إلى الحياة نفسها يصفونها كما هي ، ويصفون الأحياء في الأحيـــاء الفقيرة كما هم ، ولكنهم أخفقوا لأن الوصف كان لمجرد الوصف لا للحكم عليهم ولا للاهتمام بهم ، فكانوا كالنباتيين الذين ينظرون إلى المزروعات التي أمامهم من غير أن يميزوا بين أنواعها ولا بين الفروق البارزة في هذه الأنواع . وكشفت هذه النهضة عن أمثال ستاندال وبلزاك وفلوبير ممن جعلوا لهذه المدرسة الحديثة معالم مقررة ، فلم يعد العمل الأدبي خيالياً محضاً أو فردياً محضاً يصدره الأديب وهو في عالمه الداخلي من غير رعاية للحياة . فلقد نادى فلوبير بأن الإنتاج الأدبي لا بد أن يكون موضوعياً وأن يكون في نفس الأديب عكساً ذهنياً لما تعرضه الحياة مؤسساً على مصادر حقيقية يطيل الأديب فيها النظر ليتخير منها ما يريد (العالم الخارجي) هذه المصادر لا تشل الخيال ولا تمنعه الحركة ، فإنه سيكون الرقيب على هذه المصادر والصور يتخير منها ما يتلاءم مع فنه وخياله (العالم الداخلي) ، فكان فلوبير يجري هنا وهناك وراء الحقيقة التي تتفق وأحلامه ، وبذا ينتقل عمله الأدبي من أن يكون مجرد وصف أو مجرد تحليل علمي إلى أن يكون خلقاً وابتكاراً . لهذا أسبغ فلوبير على أدبه نوعاً من المنطق ولكنه منطق الحياة ، واقترض كثيراً من الصور العقلية للطب والفلسفة ، ولكنه لم يقترض من الطب والفلسفة قوانين بل اقترض منهما معنى الحياة . وأعمال الأبطال في رواياته تبدو طبيعية كما تبدو المسببات عن الأسباب ، فالوسط والظروف والأمزجة التي تعيش فيها شخصياته الروائية هي التي تقودهم بدوافعها وتعقدها وتطلعاتها ورغائبها إلى مصائرهم ، وكأنها أسباب لنتيجة حتمية واقعية . وهذه الحقيقة أو هذه الواقعية في الموضوع قادت أسلوب فلوبير إلى الصورة المعبرة والكلمة الحقيقية والوزن المنسجم والرقابة على خياله حتى لحق أسلوبه بالكلاسيكية في كثير من مظاهره ، وبعد عن الرومانتكية باعتماده على الواقع؛ فقد كان يجمع بين حقيقة العبارة والكلمة في معناها الحاضر ، وبين حقيقتهما في معناها الدائم المعروف .

وكان إدموند ، وجول دي كونكور ، من أصحاب نظرية المصادر Theorie du document (العالم الخارجي) ولكنهما لم يقفا موقفاً فاتراً بارداً أمام هذه المصادر ، فكانا فنانين تلتهب أعصابهما وتتألم لتألم الإنسانية (العالم الداخلي) فابتكروا صوراً وكلمات جديدة وأخضعاها لأحساسهما وخيالهما حتى قادهما هذا الازدواج من ناحية إلى مذهب الطبيعة Natusralisme ، ومن ناحية أخرى إلى مذهب التأثريين Impréssionnisme

بعدما تقدم ننكر الأدب وننكر رسالة الأديب بل ننكر طبيعة النفس إن حاولنا أن نجعل من الأدب أداة وصفية لما يقع تحت أسماعنا وأبصارنا لنكون واقعيين من غير أن نتعرض لما تحدثه هذه المناظر والمشاهد في نفوسنا من ألم وامتعاض أو لذة ومسرة ؛ وننكر رسالة الأدب ونمنع عنه مدداً غزيراً إن حاولنا أن نصف نفوسنا وأن نفرضها فرضاً على قارئينا في غير رعاية للواقع وللحياة . إن الذكاء في آخر تحليلاته معناه إدراك العالم الخارجي والداخلي معاً ، فالذكي هو الذي أدرك شيئاً ما وأدرك أنه المدرك لذلك الشيء . وللأديب ذكاؤه وحساسيته .

دكتور إبراهيم سلامه

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

... لكأنما أسمعك تقول فى عتب يشوبه الألم والغضب : لماذا تنسى أننى من قبل قد عالجت : « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » وكلها موضوعات إسلامية أو شرقية . ولم تكن محاولاتى قاصرة على « أوديب » و « بيجماليون » و « براكسا » .

شيئاً من التمهل يا صديق الكبير .

أتذكر على أى أساس عالجت هذه الأساطير الشرقية ؟

لقد عالجتها على الأساس الذهنى ... فكرة تناضل فكرة ؛ أفكار مجردة تتحرك على « مسرح الذهن » كما ألهمت أنت أن تسميه !

إن عبقرية الشرق الأصيلة لم تكن يوما ما مجرد عبقرية ذهن تجريدية . لقد كان الذهن قوة من قواتها ولكنه لم يكن قوامها الأصيل : إنها أبداً كانت عبقرية حس حى أو روح رفاف . نجدها فى الهند صوفية مضحية عميقة ، وفى العرب طبعاً حياً متوفزا ، وفى مصر وداعة وبساطة وإيمانا .

إن عبقرية الذهن التجريدية عبقرية غربية . وعلى وجه خاص ، عبقرية فرنسية !

آه يا صديق ! ليتك لم تذهب إلى فرنسا !

ولكنك ما كنت بمستطيع إذن أن تقوم بدورك الأساسى فى وضع القالب الفنى الصحيح للتمثيلية العربية . فدراستك هناك للمسرح الإغريقى هى التى مكنتك من وضع القالب السليم .

إن الخير لا يمكن تمحيضه . والشر لا يخلو من الخير بحال .

والآن يا صديق هل أدلك على النبع ؟

لقد قال لك أستاذك الفرنسى كما قلت فى زهرة العمر ، وأنت تعرض عليه محاولاتك باللغة الفرنسية : «أكتب بلغتك لتبدع»!

هذا هو نفسه ما أقوله لك : استوح « ميراثك » لتبدع !

إن هذا الميراث هناك كامن فى ضميرك ، تخنقه ثقافتك الفنية الفرنسية . إنك تبعد عنه كلما ذهبت إلى الإغريق وغير الإغريق تستلهم أساطيرهم القديمة . إنك مصرى . مصر القديمة الغائرة فى أعماق التاريخ ، السارية فى ضمير الزمن ... مصر هذه ما تزال كامنة فى مصر الحديثة التى تعيش فى ثوب مستعار ... مصر القديمة بأساطيرها هى نبعك الشخصى العميق . ولن تحتاج إلى رحلة وراء آلاف السنين . ما عليك إلا أن تعيش مفتوح القلب والحس والعين فى ريف مصر وفى أحيائها العامة ... دعك من « سليمان باشا » و « الزمالك » و « المعادى » و « الدقى » ... هذه رقع مستعارة فى الثوب الأصيل . هذه لطخ شوهاء فى اللوحة المتناسقة .

افتح قلبك وحسك وعينك ، ثم اقرأ شيئاً عن مصر القديمة ولاحظها ما تزال حية فى ضمير الشعب وعاداته وسلوكه ... ثم اكتب ...

خذ القالب الأوربى . القالب وحده . ولكن صور فى هذا القالب الضمير المصرى ، بروح مصرية ، وحاول أن تهتدى إلى عبقرية الشرق الأصيلة . وهى ليست مجرد عبقرية الذهن التجريدية !

وحين تتناول الأسطورة المصرية لا تحاول أن تجردها من اللحم والدم ، والانفعالات والمشاعر ، لترى ما وراء ذلك كله من فكرة ذهنية تجريدية ... خذها حية بلحمها ودمها ، وصغ منها مسرحيتك .

ولكنك لن تصنع هذا إلا إذا أحسست الأسطورة حية فى شعورك ، غامضة غائرة فى ضميرك .

إن أجل الأعمال الفنية ما تم فى نصف وعى ونصف غيبوبة . استيقظ حين تضع القالب فحسب ، أما ذات الموضوع فيجب لكى يعيش ويخلد أن يكون غائراً فى أعماق ضميرك إلى حد أن تشعر وأنت تكتبه كأنك عشته فى زمن لا تذكره ولا تدريه !

إنك يا صديق لن تتجاوز منطقة التاريخ الأدبى إلى منطقة القيم الفنية المطلقة ، إلا حين تهتدى إلى النبع — نبعك الموروث الأصيل — وإلى عبقرية الشرق — عبقرية القلب والضمير .

ولكنى أعرف أن هذا عمل عسير .

إن «اللعب» الذهنى على الأساطير الإغريقية يسير على قواعد موجودة فعلا ، فالأوربيون عبدوا الطريق . أما استلهام الأساطير المصرية فعمل تبدؤه أنت بلا نموذج أمامك مرسوم !

ولقد يكون من المغالاة والإرهاق أن نطلب إلى فرد واحد ،

وضع القالب الجديد فى الشكل وفى الموضوع ... ولكننى لا أجد حتى اليوم سواك فى عالم التمثيلية أطلب إليه هذا الاقتراح المقبول!

لقد وجد فى عالم القصة والرواية من يستلهم الطبيعة المصرية الخالصة، بروح مصرية خالصة — وهذا هو الأهم. فليس من الضرورى — فى غير الأساطير وما يشبه الأساطير — أن يكون الموضوع مصريا، ولكن المهم أن يعالج بروح مصرية.

والاستطراد يسوقنى إلى «قنديل أم هاشم» ليحيي حقى. وإلى «خان الخليلى» لنجيب محفوظ.

لقد استلهم يحيى حقى أعماق الطبيعة المصرية وهو يصور الإيمان بكرامات الست «أم هاشم» وما يتصل بها من عقائد وأساطير. كذلك استلهم نجيب محفوظ هذه الأعماق وهو يصور «سخرية القدر» بآمال الناس وأحلامهم وحياتهم جميعاً.

لقد كانا مصريين دماً ولحماً وعاطفة وشعوراً فى هذين العملين المعجبين ... وذلك هو الطريق!

وعلى ذكر «نجيب محفوظ» فإنى أستشعر فى نفسى الخوف على هذا الشاب القصاص الموهوب!

لست أذكر متى سمعته يقول ونحن نتحدث عن رواية: «زقاق المدق» إنه أراد أن يدخل قالباً معيناً فى الرواية المصرية. قالب الرواية العرضية لا الطولية، وأنه لهذا صاغ روايته فى هذا القالب الجديد.

القالب ... ! هذا هو الخطر الأكبر يا صديقى نجيب! لست أفهم هذه الكلمة اللعينة! أفهم أن يتم العمل الفنى أولا، بلا قصد من صاحبه أن يضعه فى قالب معين. ثم يأتى النقاد بعد ذلك فيقيسونه، ويجمعون سماته، ثم يسلكونه فى عداد القوالب الموجودة بالفعل أو يسجلون أنه قالب جديد!

إذا وضعت القالب أولا فإنك لا بد أن تخنق عملك ليكون وفق هذا القالب. وفى كل خطوة ستستيقظ لتقيس هذا العمل، وترى إن كان قد خرج على القالب الموضوع!

لا. لا. حذار أيها الصديق المرجوّ. إن القالب لا قيمة له إلا فى عالم التاريخ!

معذرة — أيها الأستاذ الكبير توفيق الحكيم — لقد شطح بى الحديث إلى هنالك. والحديث شجون!

فلنعد إلى ما كنا فيه ...

فكرة أريد أن أصححها عن «الفلسفة الإسلامية» كما يصورها ابن رشيد وابن سينا والفارابى ... فقد ألممت بهذا فى بحثك الممتع الطويل.

إن هذه الفلسفة قد تصح تسميتها «الفلسفة الإسلامية» بمعنى أنها قد وجدت فى أرض إسلامية على يد أفراد مسلمين.

ولكن يكون من الخطأ العميق اعتبارها «فلسفة الإسلام» وقد آن أن تصحح هذه الغلطة القديمة الحديثة!

إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة إن هى إلا انعكاسات للفلسفة الإغريقية فى ظل إسلامى. وهى لا تبلغ أن تصور الفكرة الكلية للاسلام عن الكون والحياة والإنسان. هذه الفكرة الخالصة الكاملة المتناسقة.

ما أشبه الدور الذى قام به هؤلاء الفلاسفة الإسلاميون بالدور الذى تقومون أنتم به الآن — أنت وجيل التمهيد من الشيوخ — فتنة بالفلسفة الإغريقية، ومحاولة لتفسير الإسلام على ضوء هذه الفلسفة. والإسلام يحمل فكرة مستقلة مختلفة فى طبيعتها الأصلية، عن طبيعة الفكرة الإغريقية من الأساس[1]!

من أذهانهم لا من قلوبهم استمدوا فلسفتهم ... وهكذا تعملون!

لهذا وجدت تلك الفلسفة اهتماماً وعناية من الأوربيين ورثة الإغريق؛ لأنهم قادرون على فهمها والإحساس بها. أما فكرة الإسلام الصميمة الكلية عن الكون والحياة والإنسان فهى شىء آخر لم تصوره تلك الفلسفة، ولم يتمثله الأوربيون. وتبعاً لذلك لم يتمثله المحدثون من المسلمين الذين يتلقون كل ثقافتهم عن الأوربيين!

ومالى ولكم أنتم، والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام!

أنا واثق أن سيكون لنا أدب خالد؛ وأن ستكون لنا حياة فكرية وإنسانية ملحوظة. ذلك يوم نؤمن بأنفسنا، يوم نشعر أن لدينا ما نعطيه، يوم نستلهم طبيعتنا الأصيلة. يوم نهتدى فى ذواتنا إلى النبع العميق.

(وشنطون) سيد قطب

---

(١) راجع كتاب «العدالة الاجتماعية والإسلام» فصل «فكرة الإسلام عن العدالة الاجتماعية».

صور من الحياة :

قبعـــــة ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر – يا صاحبي – يوم أن لبست القبعة لأول مرة ، يوم أن كنت ترسف في قيود أربعة : أبيك وهو جافي الطبع شيطاني الجبلة أرضي النزعة ، وأمك وهي مستكينة واهية متداعية ، ورئيسك وهو يستذلك بفضله وأياديه ، وعميدك وهو يتخذك صنيعة له وداعية لأغراضه . لطالما استيقظت كرامتك فتراءيت في عين نفسك سقيم الوجدان مستلب الرأي والإرادة ، وكنت لا تجد خلاصاً إلا أن تمق والديك فلا تزورهما أبداً ولا تعني بأمرهما ، وإلا أن تستخذي لرئيسك وأن تتودد لعميدك عسى أن تكسب الرضا أو تدفع الأذى .

ورأيت الميناء يموج بالسَّفْر من كل جنس ، وإلى جانب كل مسافر ثلة من الأهل والأصدقاء يودعون وينصحون ويشجعون . وإن كلمات الوداع الحارة لتصّاعد حواليك تصكُّ مسمعيك ، وإن عبرات الحب والإخلاص لتنهمر هنا وهنالك على خطوات منك لتكون قذى في عينيك . ولكنك أنت لم تجد صاحباً واحداً يرقّه عنك وينفث فيك من روحه ومن شجاعته ومن حبه ، فوقفت وحيداً تنظر .

وتحركت الباخرة فوقفت على ظهرها جامداً ترمق أرض الوطن وهي تتوارى خلف الأفق فما نبض قلبك بشوق ولا خفقت روحك بحنين ولا جاشت مشاعرك بعاطفة . ثم وليت وجهك شطر الغرب ، ورحت تتنسم أول نسمات الحرية – كرأيك – حين خيل إليك أنك ألقيت عن نفسك قيوداً أربعة كبّلك بها الوطن .

ترى هل استمتعت هناك بالحرية التي افتقدت هنا ؟

وتقبلك عميد الجامعة هناك بقبول حسن لأنك صنيعة معهد (كذا) الأجنبي ، وإن جناب العميد لرجل علم وأدب وإنه لذو حيلة ودهاء ، ولكن ماذا أفدت هناك ؟

لقد عشت هناك مثلما عشت هنا : منقبض الأسارير تأنس بالوحدة وتطمئن إلى الخلوة ، تغدو إلى الجامعة وتروح إلى الحجرة ، تصغي إلى الدرس – صدر النهار – في غير ملل ، وتنكب على الكتاب – شطراً من الليل – في غير ضجر ، وإن عميد الجامعة هنا ليحبوك بعطفه ويغمرك بفضله لأنه يمتّ إلى عميد المعهد هنا بأواصر هي : الصداقة في الشباب والأخوة في الدرس والوحدة في الجنس والتآلف في الرأي . وأنت هناك طالب الجامعة مثلما كنت هنا طالباً في المدرسة ترضى بالقليل وتقنع بالتافه ، وأنت هناك خامل الذكر مثلما كنت هنا وضيع الهمة ، وأنت هناك بعيد عن لذائذ الحياة ومتعها مثلما كنتَ هنا تعاني الحرمان والضيق . ولكن عميد الجامعة أراد فأصبحت ، بعد سنتين ، دكتوراً في الفلسفة . وتراءيت في عيني رأيك فيلسوفاً ضخماً فتصنعت الرزانة وتجملت بالهدوء ، ثم ركبك الغرور وجرفتك الكبرياء ، فما كان يليق بك أن تكون رجلاً ممن يعيش في مضطرب الحياة ونوازعها ، وأنت ابن سقراط وتِرب كَنْت وصاحب ديكارت . ولكن ، آه – يا صاحبي – لقد عجزت الفلسفة عن أن تسوّي منك رجلاً آخر غير الذي كانه منذ سنين ، إلا أن تلوى لسانك بكلمات لا تبينه فتزيدك عيًّا على عيك ، وإلا أن تشوب لهجتك لكنة أعجمية بغيضة إلى القلب والنفس فتضيف حمقاً إلى حمق فيك ، وإلا أن تجهر بآراء هدّامة تحسبها حديثة مبتكرة فتضم سفهاً إلى سفه فيك . ثم ... ثم جلست إليّ في ندوة ثقافية في القاهرة تحدثني بآرائك قائلاً « أنا ابن الطبيعة وثمرة الحرية فدعني أهم في أرجاء الأرض لا يقيدني وطن ، ولا يمسكني دين ، ولا تربطني لغة . دعني أنطلق منها فهي أغلال ثقال تشل عقلي وتصمق خواطري وتعبث بأفكاري » فعجبت أن يكون هذا حديثك وأنت ابن الريف وثمرة الغيط وربيب الدين !

ماذا دهاك ، يا صاحبي ؟ أفكان لسنتين أن تحولا عقلك من حال إلى حال فتنزل عن كرامتك وتنبذ المعاني السامية للوطن والدين واللغة ، على حين قد عشت نيفاً وأربعين سنة في وطنك ، عشتها جميماً تتنقل بين المدينة والريف ، وأنت في المدينة لا تحس إلا العمل الشاق المضني وإلا هذا الزقاق الضيق القذر الذي تسكن في ناحية منه ، وأنت في الريف لا ترى إلا أهلك وهم من أوساط

الناس وإلا دارك وإن رائحة الروث ما تبرح تتأرج فى جنباتها .

يا عجبا ! فما بال الشاب يذهب إلى هناك ليعيش سنوات وسنوات، وهو فى ثورة الشباب وفورة الصبا ، يستمتع بالقوة والثراء ويتألق فى النضارة والذكاء ... ما باله يعود إلى وطنه فلا تحس فى لسانه التواء ولا فى كلامه لكنة ولا فى آرائه جفوة ، على حين أنه بلغ غاية العلم وتسنم ذورة الفلسفة .

قد كان لى أن أقول : لعل أضواء المدنية فى الغرب قد خلبتك فعشى بصرك فما عدت ترى فى الشرق إلا ذبالة توشك أن تنطفىء ، أو لعل نور الثقافة الإفرنجية قد سلبك عقلك فما أصبحت تلمس هنا — فى الشرق — إلا ظلمات من الجهل تكاثف بعضها فوق بعض ، أو لعل بهرج الحضارة هناك قد طمس على قلبك فرحت تحتقر الوطن والدين واللغة ... قد كان لى أن ألتمس لك عذراً فى شىء من هذا لو أنك أخذت منها بنصيب أو ضربت فيها بسهم ، ولكنك عشت هناك على حيد الحياة لا ترى إلا الكتاب والدرس والحجرة ، ولا تحس إلا العمل المرهق ، ثم ... ثم الوحدة والحرمان .

ورجعت — يا صاحبى — إلى وطنك لتتلقفك قيودك من جديد . ولكن القبعة التى لبست ترفعت عن القرية وتسامت عن الريف ، وأبوك شيخ هِمٌّ عصفت به السنون فانحطت قوته ووهى جَلَده فهو يرنو إلى عطفك ويصبو إلى حنانك ، وأمك عجوز شمطاء قد عبث بها الزمن فتقوس ظهرها وسقطت أسنانها فهى تهفو إليك ، وقلبها يرف حواليك . لقد ترفعت القبعة عن القرية فى حين أنها تعبدت لرئيسك القديم واستخذت لعميد المعهد الأجنبى . وهكذا تحررت من قيدين لترسف فى قيدين .

وجاءك رسول أبيك يقول لك « إن أباك يكاد يلفظ آخر أنفاسه ، وإنه ليهتف باسمك بين الحين والحين ، وهو فى غمرة المرض ووطأة الحمى ... » وأصغيت إلى الحديث — يا صاحبى — بأذنك ، وقلبك فى شغل لا يحس معنى الإنسانية ، فما انطلقت إلى القرية إلا حين جاءك البرق يقول « مات أبوك اليوم » مات أبوك وفى قلبه شوق يتأجج لأن يرى ابنه العاق .

وجلست إليك أمك فى ضعفها وشيخوختها تستجدى عطفك ورجولتك ، فأصغيت أنت إلى حديثها بأذنك ، وقلبك فى شغل لا يحس معنى الإنسانية . وجرفتك كبرياء القبعة فاستوليت على ميراثك من أبيك وهو ضئيل ، ثم طرت عن القرية إلى الأبد لتذر أمك وحدها ...

وجئت أنا — بعد أيام — لأعزيك فى أبيك ، فألفيتك تبسم — لأول مرة فى حياتك — وأنت مسفر الوجه طلق المحيا . لقد كان يخيل إلى أننى سأراك منكسف البال شارد الذهن وقد أرمضك الحزن وهدك الأسى ، يفريك الندم على أن قصرت فى حق أبيك ، وامتهنت أمنيته الأخيرة وهو على فراش الموت . فما بالى أراك فى نشوتك وسرورك لا يعنيك إلا أن تظفر ببعض ماله ؟ لقد تراءيت فى ناظرى رجلاً نزل عن رجولتك وإنسانيته وكرامته فى وقت معاً ، فكرهتك واحتقرتك .

يا لقلبى ! إن فى الحياة أناساً يقشحون بثوب الإنسان وإن ضلوعهم لتنضم على مثل روح الثعلب ! آه لو انسلخوا من إهابهم لتكشفت نفوسهم عن مثل نتن الجيفة !

وهناك ، فى البلد الأجنبى ، تعلمت فلسفات ثلاثاً نبعت كلها من القبعة التى لبست بعد أن نيفت على الأربعين : فلسفة العقوق والجحود ، وفلسفة الكفران والكنود ، وفلسفة الاستسلام والخضوع ...

وتلقفك هنا رئيسك وعميدك معاً . أما رئيسك فموظف كبير فى الحكومة ذو شأن ومكانة ، وأما عميدك فرجل أجنبى ذو جاه وسلطان . وتنازعك الرجلان حيناً ، ثم ظفر بك العميد . ظفر بك لتتحدث بلسانه وتفكر برأيه وتتفلسف بعقيدته ، ولتنفث سموم جنسه فى شباب الجيل ، ولتعلم النشء أن القبعة شىء مقدس يستهوى العقل ويسجد له الفكر ، على حين أنها شيطان يتوثب مكراً وخداعاً .

وجلست إلى تلامذتك توحى إليهم بفلسفة القبعة . وبدا لأعينهم ما يتوارى خلف كلماتك فتلاقت نظراتهم فى عجب ، وتقابلت ابتساماتهم فى سخط ، ثم انصرفوا من لدنك وعلى ألسنتهم كلمات الاحتقار والسخرية . لقد سخروا منك أنت أيها الفيلسوف العظيم لأنك أردت أن تمكر بهم وتستلبهم من الوطن والدين واللغة فما انطلى عليهم أسلوبك ولا خدعتهم فلسفتك . وقال واحد منهم : إن أستاذنا الفيلسوف قد لبس القبعة ذات مرة ... لبسها لينزل عن كرامته ، ولينبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة ...

كامل محمود حبيب

الغـــــريزة

للدكتور فضل أبو بكر

الغريزة عبارة عن ميل خاص ونزعة مجبولة فى نفس الكائنات الحية منذ ظهورها إلى عالم الحس والوجود . وقد تكون نتيجة المعرفة وليدة التجارب حيناً ، كما قد تتجرد عن كل ذلك فى معظم الأحيان ، وأن ذلك الميل وتلك النزعة تمليهما ضرورة الحياة والكفاح من أجلها .

ذلك الميل وتلك النزعة يتجليان فى صورة نشاط تبدو بوا كره فى مستهل حياة الكائن ، ويكون أشبه بالنشاط الفسيولوجى كما يظنه الإنسان لأول وهلة نتيجة لعقل أو روية . وعمل الغريزة يكون أوضح فى الحيوانات ولا سيما الدنيا منها مثل الحشرات مثلا .

أما موضوع الغريزة ، فهو من المسائل التى كثر حولها الجدل وتضاربت الآراء إلى حد بعيد ، إذ يرى البعض فيها عملا آلياً ميكانيكياً كعمل الساعة ، أو فسيولوجياً بحتاً غير إرادى كعملية الهضم ، وفريق آخر يعتبرها ناتجة عن معرفة وفهم ، أو على الأقل فيها مسحة من الذكاء .

كذلك هم يتساءلون مختلفين عن نشأتها ووجودها فى الكائن : يظن البعض أنها تنشأ كاملة من أول وهلة ومن غير حاجة إلى صقل وتهذيب . ويقول البعض إنها تولد ناقصة بدائية ثم تنمو وتتطور بنمو الكائن . ويقف فريق آخر موقفاً وسطاً بين هذا وذاك ويعتقد بأن بعض الغرائز — وهى الموروثة — تولد كاملة من غير حاجة إلى تطور ، وبعضها — وهى المكتسبة — تكون ناقصة ثم وتكتمل شيئاً فشيئاً بمرور الزمن .

يقف الإنسان حائراً إزاء هـذه الآراء المتضاربة المتنافرة ، وسبب هذا التنافر — كما اتضح أخيراً للباحثين — هو أن بعضهم يخلط بين الغرائز وبين بعض المظاهر الحيوية الفسيولوجية لما يوجد بينها من تشابه يشتد فى بعض الأحيان . وأول من ألمع إلى هذا اللبس هو العالم السيكولوجى البلجيكى « لوى ڤرلين » وفرق بين الغرائز والظاهرات الفسيولوجية ، وأن هذه الظاهرات وإن كانت فى بعض الأحيان تحتم وجود الغرائز وتدعو لخلقها إلا أن هنالك عوامل أخرى غير العوامل الفسيولوجية كما سيتضح لنا جلياً فيما يلى :

خواص الغريزة ومميزاتها :

يقول البعض إن الغريزة لها صفة « نوعية » بمعنى أن كل الحيوانات التى تنتمى إلى نوع واحد تشترك فى الغرائز ، ويكون عمل الغريزة فيها بطريقة واحدة ، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن لحشرة الزنبور نحو ألف من الأنواع ، وكل نوع له طريقته الخاصة فى صيد الفريسة التى يقتات منها ؛ فالنوع المسمى بال Cerceris tuberculata يفترس حشرة من ذوات الأربعة أجنحة ، والتى تعيش على البقول الجـافة والحبوب واسمها Charancon هذا النوع من الزنابير — وكل الأفراد التى تنتمى إلى نوعه — له طريقة خاصة فيما يتعلق بالصيد ، إذ يلسعها ويحقنها بمادة يفرزها ، ومفعول هذه المادة هو شل حركة الفريسة فقط دون موتها ، ثم ينقلها إلى مأواه ويبيض عليها ، حتى إذا ما فقست البويضات ، وجد صغار الزنابير طعاماً جاهزاً من دون سعى ولا مشقة . ونوع آخر من أنواع الزنابير هو ال Bembex يعيش دائماً على حشرات الذباب ، وضرب آخر منها هو ال Compile لا يأكل غير حشرات العنكبوت ، إلى غير ذلك من الأنواع الكثيرة ولكل نوع طريقة خاصة فى اقتناص الفريسة ونوع الفريسة .

كذلك لكل نوع طريقة خاصة فيما يتعلق بالمسكن ، فمنها ما يحفر جحره فى هامات الصخور ، أو على أديم الأرض ، أو فوق الجدر والحيطان ، أو جذوع الأشجار ؛ ومنها ما لا يحفر ولا يشق ، ولكنه يعيش فى مخابئ طبيعية بين لحاء عيدان الأشجار ، أو داخل ما تجوف من الأصداف والمحار .

غير أن نوعيـة الغريزة لا يمكن أن نقبلها إلا بشئ من التحفظ ، إذ هى ليست بنوعية مطلقة ، ولكنها نسبية لحد ما ، تعتريها بعض الشواذ ، كما أشار إلى ذلك « ڤرلين » بعد تجاربه التى أجراها فى الأناث من طير الكنارى Canari والتى تولد فى أقفاص الأسر ، وجد أن بعض تلك الأناث لا تكون عندها غريزة بناء العش كاملة ، إذ تبنى عشها بطريقة مشوهة ناقصة ، وقد تخفق إخفاقاً تاماً ، بينما البعض الآخر — وهو من نفس النوع — يعشعش بطريقة عادية تامة . كذلك يروى العالم السيكولوجى « أشيل يوربان » فى كتابه « سيكولوجية الحيوانات المتوحشة » بأن لأشبال الأسود وصغار الفهود عادات وغرائز

ليست ثابتة كما هو المتوقع .

هذا ، ونجد العكس فى بعض الحيوانات والحشرات بمعنى أنه رغماً من انتمائها إلى أنواع مختلفة ، تتحد فى بعض الغرائز أحياناً كمادة تصنع الموت ، وهى حيلة تلجأ إليها بعض الحيوانات والحشرات بقصد الدفاع أو الهجوم . مثال ذلك حشرة من ذوات الأربعة أجنحة حمراء مبرقشة بنقط سوداء ، وهى أشبه شكلا بحشرة « الجعران » ، وهذه الحشرة اسمها Coccinelle وإذا ما أسرها الإنسان ووضعها على كفه مثلا أو فوق سطح مستو ، فإنها تستلقى على ظهرها وتقبض أرجلها ولا تبدى أى حركة أو علامة للحياة ، وإذا ما تركتها وشأنها استعادت حيويتها وأطلقت أنفاسها ثم ولت هاربة طلباً للنجاة . وهذه طريقة دفاعية مدهشة حقاً قد يحسدها عليها الإنسان فى بعض الأحيان كما أن هنالك بعض الحيوانات من ذوات الثدى أشبه بالفار الصغير واسمه Raton laveur ، لأنه لا يأكل شيئاً إلا إذا غمسه وغسله فى الماء ، ويسميه الأنجلوسكسون بالـ Racoon هذا النوع من ذوات الثدى يلجأ إلى نفس الحيلة ويشترك مع الحشرة المذكورة فى هذه الغريزة ، ولكنه يستعملها طريقة للهجوم على صغار الطيور

نشأة الغريزة :

يقول عالم الحشرات الفرنسى « فابر » بأن الغريزة تولد كاملة منذ وجود الحيوان وعليه فهى ليست فى حاجة إلى صقل وتهذيب مستشهداً بما أجراه من تجارب فى مجموعة من حشرات الفراش والزنابير ؛ غير أن الكثير من العلماء نذكر منهم « پول مارشال » لا يرى رأى « فابر » إذ يقول « مارشال » بأن بعض أنات الزنابير وإن كانت حقيقية كما شاهد « فابر » بأنها تلسع الفريسة لسعة تشلها من غير أن تميتها ثم تتركها لصغارها لتأكل منها طعاماً شهياً يقيم الأود ويسد الرمق بعكس ما إذا كانت الإناث تميت فريستها وتتركها جثة هامدة ، إذ يكون الطعام فى هذه الحالة أقل إثارة للشهية وأضعف قيمة غذائية ، كما أن هذه الغريزة عند إناث الزنابير والتى تبدو لأول وهلة وليدة عقل مدبر ؛ إلا أنه يظن أن تلك الإناث لم تصل إلى هذا الحد من الإتقان إلا بعد مرور أزمان سحيقة خلال تطورها ونشوئها .

كذلك العالم البيولوجى الإنجليزى « بريد » يعتبر الغريزة ناقصة فى أول نشأة الحيوان تتطور وتنمو بنموه . مثال ذلك ما نشاهده فى صغار الدجاج إذ هى لا تجيد فى حداثتها عملية (التنقير) اللازمة لقوتها ، فتراها تخطئ كثيراً حين تنقر الحبوب إذ لا تصل إلى هدفها إلا بعد محاولات ثم تزداد مهارة شيئاً فشيئاً خلال نموها .

ويوافق « بريد » « فرلين » ؛ إذ هو أيضاً يؤمن بتطور الغريزة ؛ إذ شاهد أن إناث بعض الطيور لا تتقن بناء الأوكار فى حداثتها ولا تصل إلى حد الأجادة إلا بعد أن تبلغ من عمرها حداً يؤهلها لذلك .

غاية الغريزة وأهدافها :

إن المرمى البعيد الذى تهدف إليه الغرائز إنما هو بقاء النوع على مدى الأزمان . وتتخذ لذلك عدة وسائل : منها ملاءمة البيئة ، وهى غريزة سبق أن تكلمنا عنها فى مقال سابق وتعرضنا إلى آراء « داروين » و « لامارك » و « اسبنسر » فيما يتعلق بها . ونضيف إلى ذلك أنه كلما كان الحيوان أرقى كانت ملاءمته للبيئة أوضح وأكبر . وعلى ذلك فهى عند الطيور دائماً ملاءمة البيئة فى بناء أوكارها من حيث طقس المكان الذى تعيش فيه وباختلاف الفصول فى ذلك المكان . أما عند الحشرات فهى أقل وضوحاً . مثال ذلك ما شاهده « فرلين » فى بعض أنواع الحشرات التى تبنى بيوتها من الطين أو الصلصال ، يقول « فرلين » إذا أدخل بعض التعديلات داخل تلك البيوت فإن بعض الحشرات لا تعيره انتباهاً وتستمر فى حياتها كما لو لم يحدث شىء ؛ ولكن البعض الآخر — وهو من نفس النوع — لا يحلو له العيش ولا يطيب له المقام فى هذه البيئة الجديدة فيعيد هندسة ويهدم ما قوض من أركانه مهما طال أمد التجربة ومهما كلفه من مشقة وعناء .

قلنا إن المرمى البعيد للغريزة هو بقاء النوع فهى فى خدمة النوع أكثر مما هى فى خدمة الفرد ، ولو تراءى العكس فى بعض الأحيان . والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما شاهده « فابر » و « فرلين » فى هذه الحالة إذ تبين لهما أن إناث الدبور عند ما تدخر لصغارها الحشرات التى تشلها وقبل أن تفقس

البويضات وتظهر الصغار إلى عالم الحس والوجود فى هذه الفترة شاهد أن الإناث قد تجوع وتشتد بها غائلة الجوع إذ يندر الصيد أحياناً ويتعذر الطعام . وقد شاهدا أيضاً أن تلك الإناث تلف وتدور حول الفريسة المشلولة وتتلمسها فى حالة عصبية . ولم يشاهد قط عنها أن التهمت ما ندرته لبنيها من طعام ، فتؤثر بنيها على نفسها رغماً عما بها من خصاصة وحرمان .

غير أن « أشيل بوربان » فى كتابه سيكولوجية الحيوانات المتوحشة يقول أن هذه القاعدة قد ينتابها بعض الشذوذ أحياناً ، إذ شاهد بعد تجارب أجراها فى بعض الحيوانات المتوحشة المأسورة لهذا القصد ، شاهد بعض أناث النمور والأسود والدببة تتخلى عن صغارها يوم ولادتها وتنفر منها نفوراً تاماً ، وسمى هذه الظاهرة الشاذة « بالغريزة الضالة » وقد عزاها غيره إلى حالة مرضية تنتاب تلك الأمات . وقد يكون للأسر دخل فى ذلك وشبهوها بما يحدث للمرأة النفساء أحياناً بما يسمى « جنون الولادة » وهو نوع من الذهان والهلوسية الحسية والشعور بالاضطهاد يقودها إلى التخلى عن مولودها بل وقتله إذا اشتدت وطأة الداء ولم تتخذ الاحتياطات اللازمة بإبعاده عنها .

وهنالك ظاهرة أخرى غريبة تشبه من حيث الشذوذ — الغريزة الضالة وتسمى « بغريزة الروتين » بمعنى أنها لا ترمى — كغيرها من الغرائز — إلى هدف يستفيد منه الحيوان وهو ما نشاهده عند الكثير من الكلاب وهى عادة دفن الأطعمة كاللحوم أو العظام أو غيرها بعد أن تحفر له حفرة بمخالبها الأمامية ثم تواريه التراب . وقد تلجأ أو لا تلجأ إليه بعد ذلك مع أن بعض الكلاب التى تفعل مثل هذا قد تكون كلاباً مدللة من أصحابها ولم تعرض إلى الجوع يوماً ما ! !

ولكن « روسل » يقول إن الكلاب إنما تخبىء ما زاد على حاجتها وتدخره مهما توفرت الأطعمة ، وفى هذا شىء من بعد النظر بلا شك ، وهو ما يطابق المثل العربى الذى يقول : « أن تزد الماء بماء أكيس » .

قد يكون رأى « روسل » مقبولا لحد ما ، ولكن هنالك فريقاً من الكلاب يدفن أشياء غير قابلة للأكل مثل الحجارة ، أو قطع الأخشاب ، أو الملابس ، وهو يدفنها بنفس الاهتمام كما لو كانت ذات فائدة غذائية . وفى هذا المثل الأخير تتضح غريزة الروتين بصورة أوضح . ثم إن الكلاب فى دفنها الأشياء من غذائية أو غير غذائية تختلف ، فتارة تلجأ إلى مكان بعيد وتختفى عن الأنظار ، وتارة تدفن ما تريد دفنه بمرأى ومسمع عن الناس بغض النظر عما إذا كان المدفون مما يؤكل أو مما لا يؤكل ! !

أسباب الغريزة ودوافعها :

إن للغريزة أسباباً داخلية وأخرى خارجية مؤثرة على الحيوان . ويقول « رابو » إن عمل الغريزة يتوقف على استمالات خارجية ومؤثرات حسية ، فأناث بعض الحيوانات حين تتهيأ للحبل وتكون فى حالة فسيولوجية قابلة له تبعث منها روائح خاصة من شأنها جلب الذكور وإغرائها جنسياً ، وحاسة الشم عند تلك الحيوانات تلعب دوراً أهم من غيره فيما يتعلق بالناحية الجنسية ، والدليل على ذلك ما قام به « فابر » من تجارب . وضع « فابر » أنثى من أنواع الفراش هو ما يسمى بالـ Gasteropacha guercus وضمها داخل إناء مقفل الجوانب عدا نافذتين صغيرتين تسمحان للهواء بالمرور ووضع الإناء وما يحوى فى مكان منعزل ، فوجد بعد مضى ثلاثة أيام نحو ستين من ذكور الفراش تلتف حول الإناء لما ينبعث منه من روائح جلبت ذلك الجيش من الذكور ، ثم وضع بعد ذلك نفس الأنثى فى إناء من زجاج يشف عما بداخل الإناء ، ولكنه محكم القفل لا يسمح بمرور الهواء ، ثم تركه فى مكان منعزل مدة ثلاثة أيام ، فلم ير غير اثنين من الذكور ، وقد أجرى العمليتين عدة مرات ، وكانت النتائج دائماً واحدة . أما لدى بعض الحشرات مثل العنكبوت ، فإن حاسة السمع تلعب دوراً أهم من غيره من بقية الحواس ، إذ تعتمد عليها فى اصطياد الفريسة .

من هذا يحق لنا أن نقارن عمل الغريزة بظاهرة الـ Tropisme وهى عبارة عن قوة طبيعية تؤثر على الكائن وتجذبه إليها فتكون إيجابية ، أو تصده عنها وتقصيه فتكون فى هذه الحالة سلبية مثل ذلك « الجذب الأرضى » ، إذ يكون إيجابياً فى النبات بالنسبة للأصول والعروق ، إذ هى تتجه نحو الأرض وتندفن فى جوفها ، وسلبياً بالنسبة للسيقان والجذوع والأوراق ، إذ تتجه اتجاهاً مضاداً وتنفر عن جوف الأرض ، وكذلك ظاهرة « الجذب

الضوئى » تكون فى النبات عكس ما يحدث بالنسبة إلى ظاهرة الجذب الأرضى .

كذلك نشاهد مفعول تلك الظاهرة ، أى الـ topisme فى بعض أنواع الحشرات من ذوات الأجنحة النصفية تعيش على عصير النباتات واسمها Puceron ailé ، فإذا وضعتها فى مكان فهى تتجه دائماً نحو النور . وكذلك نوع من أنواع الذباب اسمه Drosophile تجذبها الروائح الأثيرية والحمضية المنبعثة من الفواكه المختمرة ، وهذا ما يسمونه بالجذب الكيماوى .

وقد حاول العالم الإنجليزى « لوب » تعليل مثل هذه الظاهرات ، ولكنه عللها تعليلاً ميكانيكياً خالياً من الإرادة ، بل ومن مظاهر الحياة ، وزعم بأن كل أنواع الـ Tropisme ما هى إلا إحدى مظاهر الجاذبية العامة خاضعة لها ، وهى كذلك أشبه بالجذب المغناطيسى .

لقيت آراء « لوب » شيئاً من الرواج حيناً ولكنها هوجمت وتبين خطأها . خذ مثلا حشرة العثة فهى تنجذب نحو النور ولكن حين يحين موعد البيض تبحث عن مكان مظلم لا يتطرق إليه بصيص من نور . والأمثال كثيرة فى هذا الصدد مما دعا الباحثين إلى أن يعتقدوا بأن عمل الـ Topisme ليس عملاً ميكانيكيا كما يظن «لوب» وأن الغريزة ليست إلا نوعاً منه كما كان يعتقد .

كذلك توجد عند الحيوانات غريزة التوجيه تعتمد فيها على الذاكرة وعلى حاسة البصر أكثر من سواها من الحواس ؛ فإذا فصلت النحل من خلاياه وباعدت بينه وبينها نحواً أكثر من أربعة كيلو مترات ثم أطلقت سراحه بعد ذلك فإنه يرجع بسهولة إلى خلاياه من غير ما يضل طريقه إليها ، كما تتفاوت درجة غريزة التوجيه لدى الحيوانات .

الغريزة والعقل :

رأينا مما تقدم أن الحيوانات حتى الدنيا منها مثل الحشرات كالنحل والزنبور والطيور تقوم بأعمال يظنها الإنسان لأول وهلة ناتجة عن عقل مفكر مدبر مما دعا إلى الخلط بين العقل والغريزة فى كثير من الأحيان . فبرجسون يقول إن العقل والغريزة ينشآن جنباً لجنب ويتشابهان فى كثير من الأحيان ويكمل بعضها عمل البعض الآخر ولكنهما يختلفان فى كثير من الأوجه ، ويعتقد بأن الغريزة أميل إلى الآلية وإن كانت لا تخلو من مهارة وشىء من الإلهام .

فالغريزة تتوغل داخل الأشياء ، بينما العقل يطرقها من الخارج ويعلم ما يربطها ببعضها البعض ، فهو يبتكر ويحلل ولكنه مع ذلك يفتقر إلى موهبة فلسفية وفنية لفهم الحياة على وجهها الصحيح .

كذلك كان يظن « أسبنسر » « ودانتك » بأن الغريزة عبارة عن صفة فسيولوجية يرثها الفرد من النوع الذى ينتمى إليه ؛ ولكن المتفق عليه الآن هو أن الغرائز عبارة عن ميول سيكولوجية وفسيولوجية بعضها موروث وآخر مكتسب ، تولد ضعيفة مترددة ثم تتهذب وتنصقل بنمو الحيوان .

ولنذكر الآن بعض الغرائز عند الإنسان :

غريزة التملك :

وهى تظهر جلياً عند الطفل إذ يحاول أن يمتلك كل ما تمتد إليه يده أو يقع تحت بصره . وسبب ذلك تنازع البقاء وطلب الخلود ؛ وهذه الغريزة تشمل عدة غرائز أخرى مثل غريزة الصيد ؛ فإذا أتيحت للطفل الفرصة أن يقتحم عشاً للطيور أو قفصاً للدجاج فإنه يأسر صغارها ويستولى على بيضها ، كما يحلو له أن يتصيد الحشرات مثل الجراد والفراش وتبدو عليه سيماء الغبطة ؛ وقد يكون ذلك بدافع من غريزة التملك أو يكون ذلك نتيجة لبقايا وآثار وراثية كامنة فى نفسه وقتما كان الصيد ضرورة حيوية للانسان الأول يقتات منها .

غريزة الحروب :

كثيراً ما نشاهد الأطفال من مختلف الأجناس والبيئات مولعين بتنظيم صفوفهم فى هيئة جنود محاربة ، ويشنون الحرب بعضهم على بعض متسلحين بالطوب والحجارة أو العصى الرفيعة فى حرب هجومية قد يكون الدافع لها غريزة التملك إذا كان هنالك من الأشياء ما يتنازعون من أجله ويود كل فريق أن يكون له دون غيره ، أو بدافع حب السيطرة ، أو تكون حرباً دفاعية بعوامل من غريزة حب البقاء .

غير أن بعض السيكولوجيين يرى فى حروب الأطفال هذه عاملا جنسياً ؛ إذ أن الطفل يتهيأ بهذه الحروب الصغيرة إلى حرب

أ كبر وهي حرب الغرامية بكرها وفرها ، بعنفها ولينها ، مع المرأة ، أو حرب دامية من أجل المرأة إذا ما حاول غيره أن يتملكها أو يغتصبها منه . غير أن هذا التأويل قد يكون بعيداً لا يخلو من المبالغة حتى أن « فرويد » نفسه الذي يعزو كثيراً من مظاهر سيكولوجية الإنسان إلى دوافع جنسية لا يرى في غريزة الحروب عاملا جنسياً . ويقول فرويد : إن غريزة الحروب عند الأطفال ناشئة عن غريزة الاعتداء والميل إلى الخراب والتدمير .

الغريزة التناسلية :

كان الرأي السائد قديماً أنها تبدو عند سن المراهقة ، ولكن المسلم به الآن أنها تظهر عند الطفل وهو في مهده رضيعاً كما يقول « فرويد » كما تدخل في طور جديد عند ما يبلغ الطفل الخامسة من عمره ، ومن الخامسة إلى أن يبلغ سن المراهقة يسمونه « بالطور الكامن » تكون فيه الغريزة مكبوتة بدافع من الحياء وحب قواعد الأخلاق والعرف ، ثم بعد سن المراهقة بعامين أو ثلاثة يكون ميل الشاب أو الشابة أقرب إلى الحب الأفلاطوني والهوى العذري البريء منه إلى الحب المادي . والسبب في ذلك أن الشاب في مثل هذه السن يكون ميالا إلى المثالية «والرومانتزم» وتحلو له الأحلام وقد يتهرب من لقاء المرأة مكتفياً بالطيف محتقراً — إلى حد ما — اللذات الجسدية . وقد عزا السيكولوجي « مندوس » هذه الظاهرة إلى حصانة من جانب الطبيعة ترمي إلى التريث حتى تنضج الأحياء الملقحة فتكون وقتئذ أقدر على أداء وظيفتها . وقد شرح « مندوس » هذه الظاهرة وغيرها في كتابه الممتع « عقلية المراهق » .

والغريزة التناسلية كما يعلم الجميع ترمي إلى بقاء النوع . وكلما كان الكائن الحي من حيوان أو نبات ضعيفاً كان لزاماً عليه أن يكثر من النسل ؛ لأن أغلب ذراريه — لضعفها — عرضة للفناء على حد قول الشاعر العربي :

بغاث الطير أكثرها فراخا ... وأم الصقر مقلاة نذور

دكتور

فضل أبو بكر

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

منارة الماضي :

الاسكندرية
في عصورها الاسلامية

للأستاذ أحمد رمزي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

فهذه الاسكندرية التي يحاول البعض أن تطغى على عروبتها كليوبطرة والبطالمة والأغارقة ! هي كما نرى في تاريخنا الحي الذي ننحدر من أصلابه : كانت موئل المجاهدين والمقاتلين والشاغرين الذين لم ترهبهم قوة الحدثان ، ولا أخافهم بأس العدو ولا هد من عزيمتهم توالى الخطوب .

ولذلك عاشوا وفي قلوبهم — كما قلت — نخوة وحماسة ودفعة ، وفي أخلاقهم بأس المجاهدين والمرابطين ، وفي عروقهم دماء أولئك الأبطال ، الذين كانوا يقومون كل عام بالصائفة في بلاد الروم ، ويحشدون الحشود إلى آسيا الصغرى وانطاكية وثغورها . فأين هم والأغارقة ؟! . ولماذا لا تسمى الأشياء بأسمائها ؟! .

ومن الغريب أن أسلافنا لم يغمطوا القدماء حقهم !! . فقد ذكر المقريزي في خططه : « أن هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعاً » . ونقل عن وصيف شاه : « أن العمارة كانت ممتدة من رمال رشيد إلى الاسكندرية ومنها إلى برقة . » فكيف يأتي في عصرنا من يغمط حق أسلافنا ؟ ومع هذا فالعمران الذي كان سائداً في القدم تولاه بعنايتهم المسلمون في أيامهم ، فقد ذكر جغرافيو العرب[1] أن هذا العمران بقي وزاد بدليل ما جاء من وصف البلاد بين سخا والاسكندرية ، وما ذكروه عن الحمامات والمساجد والأسواق على الطريق ووصفهم لزراعات الكتان ومعاصر زيت الفجل ، وما كانت عليه المدينة من رواج الصناعة

(1) ابن خرداذبة — راجع خطط المقريزي صفحة ٢٦٢ الجزء الأول

والتجارة ، واحتكارها للتوابل وطرق النقل بين الشرق والغرب . . فأين هذا مما يدعون من الخراب والفوضى وحشر هذا دائماً مع العروبة والإسلام ؟ ! .

فإذا تركنا العصور الأولى ودخلنا العصور الوسطى كما يقولون: أراني على حق إذا أشرت إلى ما جاء به الدكتور جمال الدين الشيال في العصر المملوكي : من ذكره ما أدخل على نيابة الاسكندرية من محاسن ووصفه كيف كان يخرج نائبها بالموكب الرسمي من دار الإمارة . وقد عدت إلى صبح الأعشى (١) وقرأت ما كتب عنها وما ذكر من أنها نيابة جليلة ونائبها من الأمراء المقدّمين وهي تضاهي في الرتبة نيابة طرابلس الشام ، وجاء فيه : « فإذا سار (النائب) إلى دار النيابة ... وضع الكرسي في صدر الديوان مغشيٌّ بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف نمجاة سلطانية ومُدَّ السماط تحته » .

لقد أنصف قسم التاريخ — في شخص الدكتور الشيال — الاسكندرية لأول مرة ، وأنصف فيها تاريخ مصر الإسلامي . وكم يكون عمله مستكملا لو كشف لنا أسماء النواب ابتداء من سنة ٧٦٧ هجرية أي في الدولة الأشرفية شعبان إلى زوال الدولة المصرية بانتهاء حكم الغوري .

إنه ليسهل الحصول عليها في نظري ، فقد اطلعت في عصر الملك الظاهر برقوق من حوادث يوم الاثنين رابع ذي الحجة سنة ٧٨٩ هجرية (ديسمبر ١٣٨٧ — يناير ١٣٨٨ ميلادية) : «خلع الملك الظاهر برقوق على الأمير زين الدين أمير حاج بن الأمير علاء الدين مُغُلْطَاي وولاه نيابة السلطنة بثغر الاسكندرية عوضاً عن الأمير بجمان المحمدي بحكم عزله . وفي يوم الجمعة ١٢ ذي الحجة توجه طُلُب الأمير زين الدين أمير حاج إلى ثغر الاسكندرية نائباً بها » (٢) .

وممن ولي نيابة الإسكندرية بزلار بن عبد الله العمري المتوفى سنة ٧٩١ هجرية ترجم له القاضي زين الدين طاهر بن حبيب فقال عنه : « كان أميراً لطيف القبالة وافر الهمّة والشجاعة في كل ملحمة شديد القوة في اللعب بالشمهري والحسام تصيب سهامه كل غرض يصوبها عليه » .

فهؤلاء رجال تولوا الحكم في العهد الإسلامي ، وأعتقد أن أسماءهم جديرة بأن توضع على الطرق والشوارع ، بل هي أولى من الأسماء الأعجمية التي يواجهها كل من زار الثغر الإسكندري ؟ فينظر إليها ويتأسف .

إنني واثق من أن جامعة فاروق ستكشف صفحات خالدة في تاريخنا القومي للمدينة ، وتغير رأي الناس فينا .

أكتب هذا وأنتظر الشيء الكثير من معهد الاسكندرية الديني وأؤمل أن يبعث رجاله وعلماؤه الحياة في التراث الديني للثغر الإسكندري لكي نتعرف إلى أئمته وعلمائه وأوليائه : فنقرأ تراجمهم من جديد ونسعى لزيارة قبورهم ونتبين آثارهم وما خلفوه من ورائهم .

وإليك قطرة من بحر زاخر بالأحبة من السلف الصالح ، قطرة من أوائل القرون الأولى :

في ١٧٧ هجرية توفي بالإسكندرية عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني صاحب أبي هريرة .

١٣٥ — « توفي أبو عقيل زهرة بن معبد التيمي بالإسكندرية عن سن عالية . قال الدارمي زعموا أنه كان من الأبدال روى عن أبي عمر وابن الزبير .

١٦٧ — « توفي أبو شريح عبد الرحمن بن شريح المعافري بالإسكندرية روى عن أبي قبيل وطبقته وكان ذا عبادة وفضل ؛ قال السيوطي في حسن المحاضرة ذكره ابن حيان في الثقات .

١٨١ — « ومات بالإسكندرية يعقوب بن عبد الرحمن القاريُّ المدني روى عن زيد بن أسلم وطبقته .

٢٨١ — « توفي العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المواز الإسكندراني المالكي صاحب التصانيف أخذ عن أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم وانتهت إليه رياسة المذهب وإليه كان المنتهى في تفريع المسائل .

أين علماء الإسلام وحملة أنوار الشريعة المحمدية وأين قضاة الإسكندرية في هذا الزمن ، بل أين أصحاب المذهب المالكي ؟ ما لهم يخفون هذه الأنوار عنا وراء ظلال المهجمين على تاريخنا الخالد ؟ أقولها كلمة حق : يا قوم إن تسعة أعشار الإيمان قوة وصلابة وشجاعة : ولكم أسوة في شيخ الإسلام ابن تيمية الذي نزل سجينا في برج من أبراج مدينتكم وكان له شبا كان أحدهما يطل على البحر والآخر على المدينة وتردد عليه أسلافكم من الأكابر

(١) ص ٦٣ الجزء ٤ (٢) ابن الفرات

والأعيان والفقهاء يقرؤون عليه ويستفيدون منه ، فهل هد الاعتقال من عزيمته ؟ وهل أنقصت الأيام وشدتها من حماسته وشجاعته ؟ كان قوة من قوى الإسلام الدافعة ، فليكن منكم فريق على سنته وإقدامه ...

أقول هذا وأمامى أسماء من تولوا القضاء بهذا الثغر فى عصور الإسلام الزاهية ، أود لو يتسع المدى أمامى فأتكلم عن كل واحد منهم ، أحقق عصره وأخرج من كتب التراجم حياته وآثاره ؛ ولا أخص أشهرهم ولا أعلمهم ، وإنما بين يدى قضاة الملك الظاهر برقوق وبينهم القاضى جمال الدين الشهير بالحميدى الفقيه الحنفى تولى بعد القاضى همام الدين ، ولو شئت المزيد فارجع إلى ما تركه من آثار تجد أن ناحية القضاء الإسلامى ميدان لا يزال بكراً يطلب البحث والدرس والتقييد والإفاضة .

فإلى قضاة الثغر الوطنيين والشرعيين أوجه كلامى فنى عنق كل منهم أمانة . وما القضاء الوطنى إلا تكملة للقضاء الإسلامى وشعاع انبثق من أنوار ساطعة فى فترة أربعة عشر قرناً من الزمن .

أما تاريخ الإسكندرية الحربى فهو صفحة من صفحات الخلود لم تكتب بعد . ولن أحدثكم عن عمل الإسكندريين فى حروبهم وقتالهم ، وإنما أكتفى بأن أشير إلى بطولة امتازوا بها خلال القرون الماضية وهى حماية الحصون والقلاع ، وخدمة الأساطيل الإسلامية .

جاء فى حوادث سنة ٢٦١ هجرية أن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن الأغلب ولى إفريقية وحسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير فى الطرق وهى آمنة ، وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة إلى الإسكندرية فيصل الخبر منها الإسكندرية فى ليلة أو أكثر وبينهما مسيرة أشهر

وجاء فى حوادث سنة ٦٧١ : اهتمام الملك الظاهر بيبرس بأمر الشوانى وكيف أمر بإعداد مائة منجنيق ونصبها على أسوار الإسكندرية .

وجاء ذكر أبطال من الرجال حذقوا رماية القوس من أهل الثغر واختصوا بحماية الأبراج ؛ فهؤلاء أتى بهم يوماً الظاهر برقوق واستعرضهم بالقاهرة تحت اسم رماة القوس بالرجل .

ولست أعرف مدينة من مدن البلاد العربية ضاعت آثارها الإسلامية وأزيلت أغلب معالمها مثل مدينة الإسكندرية .

وقد حاولت أن أجد لذلك مبرراً فلم أقدر : سوى تلك الرغبة التى نراها فى عبادة الدنيات التى انقرضت ، واتهام المسلمين بأنهم قوم يسرع الخراب على أيديهم . فأسوار المدينة فى العهد الإسلامى وأبراجها قد أزيلت ؛ وكانت بقايا باب رشيد لا تزال قائمة فإذا بمكانها يستعمل حديقة عامة ؛ ونحت شمار أن القبور لا تحوى أصحابها أزيلت معالم المدينة الإسلامية وقبور العلماء والأولياء والصالحين ، وكل ما يذكرنا بماضينا : حتى أسماء الأحياء والشوارع قد تغيرت باسم التجديد . فكأنما قد ولدنا اليوم ، وكأننا خُلِقنا بمثنا وليس لنا ماض يذكر وتاريخ يعرف . ولولا عناية كريمة شملت قلعة السلطان قايتباى تستحق أن نحمد ونشكر ، لبقيت جدرانها مهدمة ولزالت مع الزمن .

إن النهضة الصحيحة هى التى تستند على تاريخنا العربى وتذكرنا بأيامنا ومواقفنا ، وأعيد ما سبق لى أن كتبته يوماً ونشرته :

« إننا معاشر الأمم الإسلامية أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضى ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة ، وهو فى قوته وبروزه وأثره لا يمكن أن يقارن به تاريخ أية أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها فى الحضارة » .

أحمد رمزى

كيف تقـــرأ كتابا؟

للأستـــاذ إيليا حليم حنا

كيف أقرأ كتابا ؟ !

نعم كيف تقرأ كتابا تنغمس فيه فيستغرقك ويستولى عليك فتعيش فى عالم كاتبه وتحيط نفسك بجوه، تشعر بإحساساته وشعوره وخوالجه التى هى عصارة عقله وقلبه، وتحلق بروحك وفكرك فى عالم علوى ساحر متجرداً عن الزمن والمكان وكل ما يدور فى محيطك المادى سائراً فى دروب التفكير العميق منسجماً مع الكاتب تحادثه وتناقشه بصوت عقلك. فى هذا العالم الفكرى المهيمن الأخاذ تستشف ما وراء الكلمات والسطور وترى غير ما يراه الناس وتحكم غير حكمهم وتحس إحساساً خاصاً بك وتصل إلى نتائج قد تكون مكملة لما قصد إليه الكاتب، وهذه ناحية من نواحى الإبداع والتوليد لا تظهرها إلا الحمية الذهنية والتركيز الفكرى والاندماج فى جو الكاتب.

هذه هى القراءة التى أعنيها والتى توسع الفكر وتصقل الملكات وتغنى النفس وتظهر ما تنطوى عليه من قوى الخلق والابتكار الكامنة وتخلق من الفرد العادى شخصاً ممتازاً متفوقاً يمثل أرقى طبقات الذهن البشرى.

والنقاط الآتية هى دستور القارىء الذى يرى فى القراءة نموه الفكرى وزاده النفسى، ويسعى إليها يقضى فيها أهنأ أوقاته وأحبها إلى قلبه كلما أراد الاستزادة والاستلهام.

١ — لا تستفيد مما تقرأ إن لم يكن لك غرض من قراءتك؛ فلا تدع الكتاب يكون لذة عابرة بل اخزن من ثروته وأضف جديداً إلى معلوماتك وحياتك.

٢ — يجب أن تقرن القراءة بالتفكير التمثيلى Assimilative Thinking الذى يرى فيه القارىء إلى فهم ما يقرأ وحذقه وهضمه ولا يتأتى هذا إلا بالتجرد عن العالم الخارجى وحصر كل انتباهه وتفكيره وانطوائه على نفسه وهو يقرأ صامتاً.

٣ — اقرأ بسرعة متفاوتة، فالسير من الأفكار والآراء يحتاج إلى تأن حتى تنفذ إليه. والسهل اقرأه بأقصى سرعتك فى القراءة.

٤ — إلى جانب الكتاب الذى تقرأه جهز كراسة تقيد فيها سوانحك الطارئة كما هى بغير تهذيب أو صقل حتى تفرغ من قراءة الكتاب، فتعود إليها تصوغها صوغاً مناسباً. ولكن لا تدع هذه الخاطرة تفلت وتطير.

إذا أتتك فكرة تجلو غوامض موضوع سبق قراءته فبادر بكتابتها حتى لا تضيع فى ضباب الذاكرة المطبق لئلا تفر وينقطع أثرها.

٦ — إذا عرضت لك فكره وسلكت بك طريقا جديدة من التفكير فدع عقلك يسبح طليقاً مسجلاً تفكيرك حتى تفرغ منه ثم تعود إلى الكتاب.

٧ — اكتب ملاحظاتك واستنتاجاتك التى تعن لك على هامش الكتاب — إذا كان ملكك — وضع الخطوط تحت الأفكار والقطع التى ترغب فى تذكرها بصفة خاصة.

٨ — لاحظ كيف تسير النقاط الفرعية ومقدار انسجامها مع الغرض الرئيسى ثم سجل الفكرة الرئيسية فى كل جزء مما تقرأ وضع علامة استفهام أمام النقاط التى صعب عليك فهمها أو التى تريد أن تتوسع فيها واكتب ملخص الفكرة التى استخلصتها من الجزء الذى تقرأه وسجل كل ما يخطر ببالك من الأسئلة والأفكار.

سجل الآراء الجديدة التى هى نتاج تفكيرك وضع تحتها الحرف الأول من اسمك أو علامة تدل على أنها لك.

٩ لا تنتقل من فكرة إلى فكرة دون غاية ودون رابطة معقولة بين الأفكار حتى تشعر بلذة التفكير وتنساق مع الكتاب فى عالم فكرى جميل وقد حصرت كل انتباهك وتأملك دون أن تشعر.

١٠ — لا تأخذ كل ما تقرأ قضية مسلمة بل زن الآراء وانقدها نقداً بريئاً ثم احكم على كل منها حكماً مجرداً عن الأهواء على ضوء معلوماتك السابقة واربط الماضى بالحديث فيتحول إلى فكرة جديدة مستقلة بعد أن تعمل فيها تفاعلاتك الذهنية وتجاربك. قف عند هذه الفكرة متسائلا (ماذا عسانا أن نستخلص منها لأنفسنا وللانسانية من فائدة عملية ؟).

١١ — بعد الفراغ من قراءة الكتاب حاول فى اليوم التالى أن تكتب بإيجاز رأيك عنه وما يعن لك من آراء حرة فى

الموضوع وسيدهشك أنك تكتب عنه أكثر مما قرأت فيه ؛ وتنساب الأفكار على القرطاس سلسة طيعة لا التواء ولا صعوبة فى تسلسلها كأنك تنقل من صفحة أمامك بل أسهل ؛ ذلك لأن العقل الباطن يشتغل بالموضوع فى الوقت الذى يبدو لنا فيه أن عقلنا الظاهر فى دعة وخمول .

١٢ — إذا كان موضوع الكتاب قد أثار اهتمامك فاجعل هذا حافزاً للاستزادة من نفس الموضوع فى كتب أخرى .

١٣ — إذا كنت لا تعرف شيئاً عن الكتاب الذى تريد قراءته فاقرأه بسرعة لتكون لك فكرة إجمالية عنه ثم بعد ذلك انتقل إلى دراسة التفاصيل فيه إن أعجبك موضوعه .

١٤ — ليكن رائدك « اقرأ وفكر واعمل » فإن أجمل صيغ الحياة وأجلها وأنفعها هى التى يمتزج فيها نبل المثل الأعلى وجدوى العمل المحكم ، والعمل بغير ثقافة حركة بصيرة ، والثقافة بدون عمل بصيرة مشلولة .

الأبيض — سودان **إيليا حليم حنا**

دبلوم عال فى التربية — دبلوم صحافة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

ومضات فكر من وحى الربيع :

قلت لنفسى وجحيم القيظ يلفح الوجوه فى يوم من أيام الأسبوع الماضى : أنحن حقاً فى الربيع ؟ ... أين هو الربيع الذى يفيض على الحياة من رقة أنسامه ، ويضفى على الأحياء من روعة أحلامه ، ويوحى إلى الأقلام من سحر معانيه ؟ !

الربيع فى لغة الفن بسمة ترف على الشفة ، وومضة تشع فى العين ، وفرحة تختلج فى الشعور ، وهمسة تحلق فى نجاج الروح ...

والربيع فى لغة الطبيعة زهرة تفوح بالأرج ، وطير يصدح على غصن ، وموجة تهدهد موجة ، ونسمة تداعب نسمة ، ونغم ينساب من خرير جدول ... فأين لغة الفن والطبيعة من لغة الواقع الذى نعيش فيه ؟ !

الربيع عندنا حلم من أحلام اليقظة يستغرق فيه الخاطر ولا تراه العيون ، وصفحة من كتاب الطبيعة نطالعها فى وجوم وحيرة ، ونطويها فى سكون وصمت .. ثم لا تثير بعد ذلك فى حنايا الضلوع عاطفة !

وقلت لنفسى : إن أدبنا لو خلا من الروح فهو مظلوم ... أين الطبيعة الوادعة التى يستطيع فى رحابها أن يتنفس ، وأين الآفاق الحانية التى يتهيأ له فى ظلها أن يعبر ، وأين الأجواء الطليقة التى تمده بينابيع الجمال ليتدفق ويفيض ؟ !

لا شىء فى أيدينا من هذه النعم التى اصطفى بها الله أرضاً دون أرض ، وخص بها سماء دون سماء ... وبشراً يموجون فى موكب الحياة دون بشر ! !

من صفاء الطبيعة يستمد الأدب إشراقة اللفظ ، ومن إشعاع الطبيعة يقبس الأدب حرارة العبارة ، ومن ألوان الطبيعة يرسم الأدب جوانب الصورة ، ومن توثب الطبيعة يحلق الأدب على أجنحة الفكر والخيال ... ولكننا محرومون من الربيع فى ريعانه ، ومحرومون من عيد الطبيعة فى إبانه ؛ ومن هنا عاشت نفوسنا فى حرمان من البهجة التى تفيض ولا تقطر ، وعاش أدبنا فى حرمان من الموهبة التى تبدع ولا تقلد ، وانتهى بنا المطاف إلى لون من الفن الكئيب الذى ينقل عن الطبيعة الواجمة كل معنى حزين ، وكل فكرة حيرى ، وكل مشهد قاتم ... هناك حيث تلقى الحياة فى خمارها الأسود الذى يحيل البسمات إلى أنات !

أدبنا المصرى صورة من بيئتنا المادية ... فيه ما فيها من طابع الكآبة والخمول ، وفيه ما فيها من صبغة التكرار والجمود ، وفيه ما فيها من سمة المظهر البراق الذى يلوذ بالسطوح ولا يدرك الأعماق !

إنك تظلم الأديب فى مصر حين تدفع إليه بالقلم وهو محروم من مصادر الوحى ، وتظلم الفنان فى مصر حين تفرض عليه الإبداع وهو بعيد عن عناصر الخلق ، وتظلم هذه البقعة من الأرض حين تطالبها بإخراج العباقرة وهى خواء من منابع الإلهام ! !

أدبنا فى الخريف ، ونفوسنا فى الخريف ... وذنبنا أننا نتلقف أنسام الربيع من صفحات الكتب ومن أفواه الناس !

ردود قصيرة على رسائل القراء :

حقيبة البريد فى هذا الأسبوع عامرة بالرسائل ... بعضها شعر بعث به إلى أصحابه ليأخذ طريقه إلى صفحات « الرسالة » ، وبعضها الآخر أسئلة من القراء وتعقيبات .

أما الرسالة الأولى فمن الأديب الشاعر يوسف جبرا وبها قصيدة أسماها « صرخة » ؛ إنه يسألنى عن رأيى فى قصيدته قائلا : «وإن كان فيها خروج على أدب يحول دون نشرها فلماذا لا نحرق « الديكامرون » و « ألف ليلة » و «اعترافات جان جاك» ؟ ..

أود أن أجيب الشاعر الفاضل بأننى من الذين يدينون بالقول المأثور : « L'art pour L'art » الفن للفن . وقد كتبت فى هذا الموضوع مقالا فى « الرسالة » تحت عنوان « دفاع عن الأدب » تعرضت فيه لرأى الفيلسوف الإيطالى نبدتوكر وتشه فى أدب الاعترافات عامة وأدب جان جاك على الأخص . هذا من جهتى ، أما من جهة الأستاذ صاحب «الرسالة» فسأعرض القصيدة عليه ليرى فيها رأيه ... فى نطاق فكرتها الفنية لا فى نطاق روحها الشعرية ، لأنها ترضينى فى حدود هذا النطاق الأخير .

أما الرسالة الثانية فبها قصيدة أخرى للأديب الشـاعر كيلانى حسن سند تحت عنوان « فى طريق الحياة » ... فى شعر الأديب الفاضل نفحات طيبة تنبىء عن موهبة ، وسأعرض قصيدته على الأستاذ الزيات مع قصيدتين أخريين إحداهما تحت عنوان « ذكرى وربيع » للشاعر الإسكندرى أحمد محمود عرفة ، والأخرى تحت عنوان «إلى السودان يا أماه» للشاعر الدمنهورى عبد المطلب منجى .

وهذه رسالة خامسة من « كوستى — سودان » أشكر لمرسلها الفاضل (ع . م) ولعله الأديب الشاعر عبد الله موسى كريم تقديره ، وأجيبه بأننى فى انتظار رسالته الثانية لأرد عليه فى رسالة خاصة . ورسالة سادسة من « أم روابة — سودان » يعرض على فيها الأديب الفاضل محمد الحسن شاع الدين بالنيابة عن زملائه أعضاء نادى « أم روابة » الأدبى ، أن يوجه إلى الأعضاء بعض الأسئلة الأدبية فى كل أسبوع لأجيب عنها على صفحات « الرسالة » نظراً لخلو بلدهم من أديب «حجة» يرجعون إليه ... إننى مع شكرى الخالص لهذه التحية الكريمة يؤسفنى جد الأسف ألا أستطيع تلبية هذه الرغبة الغالية نظراً لضيق وقتى من جهة ، ولكثرة الموضوعات المحلية التى تحتاج إلى تعقيب من جهة أخرى ...

وفى الرسالة السابعة يسألنى الأديب الفاضل محمود أحمد سعيد بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية عن بعض كتاب « الرسالة » القدماء ، ولماذا آثروا هجر رسالتهم فى خدمة الأدب والفن باختفائهم عن العيون والأسماع ... الحق يا أخى أننى أعجب معك لهذا الاختفاء الذى لا أعرف سبباً يبرره أو يدعو إليه !

وأنتقل إلى الرسالة الثامنة ... إن مرسلها الأديب الفاضل ع . ص العرابى من «ساحل سليم» يعقب على ما كتبته حول الصبى الأمريكى المقعد الذى أذاع نداء الحاجة إلى ذوى القلوب الرحيمة من إحدى دور الإذاعة الأمريكية بقوله : « إن هذا الصبى المقعد لو كان فى مصر لما سمح له بالوقوف أمام باب الإذاعة ، فما بالك بالوقوف أمام الميكروفون الذى أصبح وقفاً على المحاسيب والأذناب .. ومع ذلك يقولون إن الشرق شروق ونور وإن الغرب غروب وظلام » !

أما الرسالة التاسعة فمن « المدلية » ، يعبر فيها الأديب الفاضل مصطفى أحمد عثمان عن رغبته فى أن أفسح له طريقاً إلى صفحات « الرسالة » بعد استئذان عميدها فى عرض نتاج قلمه .. إن ردى بعد شكره على كلماته الأولى التى خصنى فيها بفيض من ثنائه ، هو أن « الرسالة » ترحب بكل إنتاج أدبى يتسم بالنضج والأصالة بصرف النظر عن الأسماء والألقاب !

وهذه هى الرسالة العاشرة والأخيرة يقول فيها مرسلها الأديب القاهرى الفاضل عمر اسماعيل منصور بعد كلام طويل عن الأستاذ سلامة موسى : « أناشدك الله يا سيدى ألا تكتفى بما كتبت عن هذا الرجل ... إننا نلح فى الرجاء بأن تنزع عنه هـذا الثوب الشفاف الذى يضلل به المخدوعين والجهلة وضعاف العقول » !

وأنا أقول للسيد عمر إن الأستاذ سلامة موسى أهون من أن أشغل نفسى به وأشغل معى القراء ، بعد أن كتبت عنه ما كتبت على صفحات « الرسالة » !

ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص الشكر وعاطر التحية .

حقوق الأدباء بين الرعاية والإهمال :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم منذ أيام كلة فى « أخبار اليوم » أشاد فيها بتلك الروح المثالية التى تجلت فى موقف معالى وزير المعارف من الأستاذ الشاعر على محمود طه والدكتور طه حسين بك فقد أصدر الوزير أمراً بتعيين الشاعر وكيلا لدار الكتب المصرية ثم أفاض فى الثناء على الدكتور بمناسبة فوزه بجائزة من جوائز المغفور له الملك فؤاد ، وهى جائزة الأدب . أشاد الأستاذ الحكيم بتلك الروح النادرة لأن صاحبها قد تجرد من رداء الحزبية حين كرم الأدب فى شخص الكاتب والشاعر ، وكلاهما لا يمت بصلة من الصلات إلى حزب الوزير وميوله السياسية ... ثم انتهى الأستاذ الحكيم إلى أن هذه الظاهرة الكريمة إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الأدب بخير ما دامت الدولة ترعى حقوق الأدباء

كتب الأستاذ الحكيم هذه الكلمة فى « أخبار اليوم » فانبرى الدكتور إبرهيم ناجى للرد عليه فى جريدة « صوت الأمة » بكلمة أخرى ذهب فيها إلى أن الأدب فى مصر ليس بخير كما يخيل للأستاذ توفيق الحكيم ؛ لأن الدولة إذا كانت قد رعت حق الكاتب الكبير والشاعر الكبير فما أكثر المهملين من الكتاب والشعراء ... أولئك الذين لم يحظوا من رعاية الدولة بنصيب ؟

إننى أعقب على الرأيين فأقول : إن بعض الأدباء فى مصر قد ظفروا برعاية الدولة وهم أهل لهذه الرعاية ، فليس لمعترض أن يعترض على ما رد إليهم من حقوق ... من هذا البعض الدكتور طه حسين والشاعر على محمود طه ! ولا أستطيع أن أختلف مع الدكتور ناجى فى أن هناك أدباء قد أغفلت جهودهم فى خدمة الأدب إغفالا لا يليق بدولة ناهضة أن تقدم عليه ... كما لا يستطيع الدكتور ناجى أن ينكر أن هناك أدباء قد نالوا من عطف الدولة أكثر مما يستحقون لأنهم أبواق ، ولا حاجة بى إلى الإفصاح فهم أغنياء عن التعريف !!

نخرج من هذا كله بأن الأدب فى مصر بخير بالنسبة إلى الفئة الأولى من الأدباء ، وليس بخير بالنسبة إلى الفئتين الأخريين وهذا هو التحديد الذى يجب أن يذكر عند التعرض لموقف الدولة من الأدب وأهله بوجه عام !

الفن والحياة بين أمس واليوم :

هذا عنوان كلة فى « الأهرام » تناولت فيها السيدة بنت الشاطئ بالعرض الطلى والتحليل النابض موقف الفن من الحياة بين الماضى الغابر والحاضر المشهود . ولقد كانت الكلمة من وحى مشاهدتها للحفل الرائع الذى أقيم لتكريم الأدب والعلم فى جامعة فؤاد الأول ، حين أقبل مندوب صاحب الجلالة الملك ليقدم الجوائز للمتفوقين الأعلام .

لقد كان رائعاً حقاً أن تجول الأديبة الفاضلة بفكرها بين الأمس واليوم ، لتقوم بموازنة طريفة بين موقف الفن من القصر وموقف القصر من الفن فى عهد القدامى والمحدثين ... يوم أن كان الشعراء يقفون بأبواب الملوك وقفة الذل والخضوع فى انتظار صلة قد يظفرون بها وقد لا يظفرون ، ولا بأس لديهم من ضيمة الكرامة الشخصية والعقلية فى غمرة القول الملفق والشعور المصنوع ... كما فعل ابن نباتة السعدى حين ورد على ابن العميد ، وكما فعل ابن هانئ الأندلسى حين طرق أبواب المعز ، وكما فعل أبو الطيب المتنبى حين أحسن الظن بتقدير كافور !

من عهد أولئك القدامى تنتقل السيدة بنت الشاطئ إلى عهد المحدثين بهذه الكلمات : « فأين هذا مما نرى اليوم ؟ اليوم تقدم جائزة الملك تقديراً للأدب وتكريماً للعلم ! ... ولمن تقدم ؟ للأديب والعالم ، لم يقفا بباب ، ولا امتهنا بسؤال ، وإنما عكفا على الدرس وشغلا به ! ... وعلى أى شىء تمنح ؟ على درس أدبى لم يرد فيه ذكر للملك صاحب الجائزة ، وعلى بحث علمى لا صلة له بالقصر ! ... وأين ؟ فى دار العلم ، يسعى بها من القصر العامر رسل كرام مختارون ، تقديراً للجامعة واعتزازاً بها ! ... وهكذا أصبحت أموال الملوك ترعى الفن والعلم وتبذل لرفع شأنهما ، وقد كانا — كلاهما — من قبل مسخرين فى خدمة كل ذى مال أو سلطان ! فهل انعكست الأوضاع ودارت الدنيا وتغير نظام الكون ؟ كلا ، لا شىء من ذاك ... فإن مشهد اليوم ومشهد الأمس ليسا سوى مظهرين اثنين ، لصلة الفن بالحياة » .

هذا كلام جميل ، وأجمل منه قول الأديبة الفاضلة : « ونحن (الأمناء) الذين اتخذنا الكرامة شعاراً وحاربنا الأدب الرخيص المرتزق ، نبارك هذا المظهر الكريم ، ونرى فيه طلائع النهضة التى طالما تمثلناها ، وبشرنا بها » ! .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

تقدير الدولة للأدباء :

بدا فى الأسبوعين الأخيرين تقدير الدولة للأدب والأدباء فى أشخاص جماعة كريمة من رجال الأدب ، فقد ظفر الدكتور طه حسين بك بجائزة فؤاد الأول الأدبية لهذا العام ، وتفضل مندوب جلالة الملك فى الحفل الذى أقيم لذلك بالجامعة فصافح عميد الأدباء وسلمه الجائزة . وقد كان للعطف الملكى الكريم نحو الدكتور طه وقع حسن وأثر بليغ وخاصة فى نفوس الأدباء ، لما ينطوى عليه من التكريم والتقدير لعميدهم العظيم .

وانتخب أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات عضواً بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ولم يكن من اللائق أن يظل الأستاذ بعيداً عن المجمع وقد ضم أقرانه من أعلام الأدب فى مصر ؛ وإن لانتخابه لمعنى من التقدير الخالص ، فهو لاينتمى إلى حزب يقدمه ولا شيعة تنصره .

وعين الأستاذ الشاعر على محمود طه وكيلا لدار الكتب المصرية ، وكان قد ترك خدمة الحكومة لملابسات اضطرته إلى الاستقالة ، ولكن معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف مسح على آثار تلك الملابسات فأعاد للشاعر حقه . وإن لمعاليه فضلا ملحوظاً فى ذلك رددته الصحف وتحدثت به المجالس ، إذ تعالى بهذا العمل وبتحيته السمحة للدكتور طه حسين فى احتفال الجامعة على كل اعتبار من الاعتبارات التى اعتدنا أن نرى رجال السياسة عندنا يضعونها موضع الاهتمام . ويضاف إلى ذلك عطف معاليه على الأستاذ محمد سعيد العريان ؛ إذ أحله المحل اللائق به فى الوزارة بعد أن تقاذفته الوظائف المختلفة على كره منه .

وإن الدولة ، إذ ترعى الأدب بمثل هذه العناية وذلك الروح إنما تقوى الحركة الأدبية فى الأمة وتنمى ثروتها الفكريه الخالدة وإذا كانت الدولة تهتم بتقوية الجيش وتعزز أسلحته للدفاع عن حرية البلاد واستقلالها ، فإن أقلام الأدباء لها شأنها فى الدفاع المعنوى ضد كل الشرور والآفات إلى ما نضطلع به من رسم المثل وتحقيق الغايات البعيدة والقريبة .

فن الأدب فى الإذاعة :

لا أقصد هذه الأغانى الرخوة التى يشكو بعض الناس من إذاعتها على أبنائهم وبناتهم إذ يخشون بأسها على أخلاقهم ؛ ولا أقصد تلك الألحان المثيرة التى أذاعتها الإذاعة فاعترض عليها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وأقنع إدارة الإذاعة بأنها تنافى الحياء ، فاقتنعت . وكثيراً ما تخطئ الإذاعة ، وقليلا ما تهتم بإصلاح الخطأ ، ويكون هذا القليل من قبل ما لا قبل لها بدفعه .

ولندع هذا ، فما إليه قصدت ، إنما أقصد الأدب بالمعنى الفنى وما إليه من ألوان الفكر والثقافة . والأدب فى إذاعتنا المصرية قليل من زمان ، ولكنا نراه أخيراً يكاد يمحى فى برامجها ، وقد كانت تذيع سلسلة اسمها « أعلام الأدب العربى » وقد قطعتها منذ شهور . وحسناً فعلت ، فما كان هذا البرنامج إلاصفحات من مذكرات تاريخ أدب اللغة فى المدارس الثانوية ، ولست أدرى هل منعتها الإذاعة لتفاهتها وسخفها أو لغير ذلك ، ولكن هلافكرت فى برنامج أدبى آخر؟ ويقولون إن فى الإذاعة قسما لسماع الإذاعات الأجنبية للاستفادة من برامجها ، فهلا استمع هذا القسم إلى الإذاعات العربية المختلفة التى تقدم ألواناً حية من الأدب العربى قديمه وحديثه ؟ وفى العام الماضى قام مدير الإذاعة برحلة إلى عواصم أوربا لزيارة دور الإذاعة فيها والاطلاع على برامجها ... أفلا قام بزيارة لدور الإذاعة العربية ليرى كيف تنتفع بالكفايات الأدبية وخاصة المصرية ؟ وقد زار فيما زار دار الإذاعة البريطانية ، فهل عرج على القسم الأدبى فيها ورأى الجهود المصرية الأدبية فيه ؟ .

ومما كانت تقدمه الإذاعة من ألوان الأدب وأمسكت عنه التعريف بكتب الأدب العربى القديمة ، وكان يقوم بذلك الأستاذ على أدهم على خير وجه ، ويعلم علام الغيوب لم منعت الإذاعة هذا البرنامج ، وتقول هى فى مجلتها إنها تهتم بالأحاديث التى تعالج الشؤون الحيوية والمسائل العامة ، ولنفرض أن المستمعين جميعاً

أغلقوا أذهانهم وأذواقهم دون الغذاء الأدبي والفكرى وأصبحوا لا تعنيهم إلا المنافع المادية القريبة ، فاذا تقدم لهم الإذاعة؟ نظرة واحدة إلى البرنامج — ولا أجشمك الإصغاء إليه — ترى منها أن أكثر الموضوعات لا فائدة منها ، فهذا «أهم حوادث الأسبوع» يتلو عليك ما نشرته الصحف من أيام ، وكذلك البرلمان فى أسبوع ، وهذه أحاديث يلقيها كبار الموظفين كالنشرات التى تصدرها المصالح بالإحصاءات وما تم من الأعمال وما أدرج فى مشروع الميزانية إلى غير ذلك من الهذر الذى لا فائدة منه إلا باقفال أجهزة الإذاعة فيخف الضغط على تيار الكهربا ويقل الاستهلاك ...

الليل لنا :

هو الفلم الذى عرض أخيراً بسينما استديو مصر ، ألفه يوسف جوهر ، وأخرجه ومثل دور البطل الأول فيه محمود ذو الفقار ، واشترك فى التمثيل سليمان بك نجيب والمطربة صباح . يبدأ عرض الفلم فإذا حشد من الحوادث المختلطة المزدحمة يؤدى إلى نشوء حب بين نوال (صباح) المغنية بفرقة الكواكب وبين طبيب شاب (محمود ذو الفقار) من أبناء الباشوات ، ينتهى هذا الحب إلى الزواج . ولا بد أن نجتاز كل هذه الحوادث الكثيرة حتى نصل إلى نبضة القصة أو فكرتها ، عند ما تلجأ نوال إلى شقة رسام شاب هرباً من الشرطى الذى اشتبه فيها فظنها من بنات الليل ، وكانت فى أثناء ذلك لا تزال تعمل بفرقة الكواكب ولم تتزوج بعد من الطبيب ؛ يستقبلها عباس (الرسام) فى شقته ويعرض عليها الشراب فتأبى ، فيستشعر نبل الفنان ويرفق بها ، ثم يسرف فى الشراب ويأخذه النوم ، ثم يصحو فيجدها نائمة على مقعدها فيتأمل جمالها ويغطيها بمعطفه ويعود إلى النوم ، ثم تصحو هى فتجده نائماً على مقعده فتغطيه بالمعطف ، وتتسلل خارجة بعد أن اطمأنت إلى ذهاب الشرطى من أمام المنزل . ويتهم بعد ذلك الرسام بقتل عمه لخلاف بينهما ، وقد وقعت جريمة القتل فى الليلة التى كانت نوال بشقته فيها ، وفى الوقت الذى كانا فيه معاً ؛ وعند محاكمته يطلب شهادة نوال وكانت قد تزوجت من الدكتور وحيد (الطبيب ابن الباشا) ويصل علم ذلك إلى زوجها وأبيه ، فيعمل الباشا (سليمان نجيب) على إبعادها عن الشهادة خشية

كشكول الأسبوع

□ انتخب الأستاذان أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى عضوين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية مكان المرحومين الجميل باشا والجارم بك . وكان بين المرشحين الأستاذ محمد توفيق دياب بك والدكتور بشر فارس ، وقد أرسل كل منهما برقية تهنئة للأستاذ الزيات .

□ بالمجمع الآن كرسيان شاغران ، خلا أولهما بوفاة الدكتور محمد شرف بك ، والثانى بوفاة المستشرق فيشر ، وقد تلقى المجمع من زوجته رداً يتضمن الشكر على تعزية المجمع لها ، وبناء على هذا الرد أعلن المجمع خلو المكان .

□ تألفت فى لبنان لجنة لتكريم الشاعر اللبنانى الكبير بولس سلامة لمناسبة منحه وسام الاستحقاق الإيرانى . وستقام حفلة التكريم ببيروت في ٢٢ مايو الحالى . وقد وجه الأستاذ رشيد يوسف بيضون نائب بيروت ، الدعوة إلى الأدباء المعروفين فى العالم العربى للاشتراك فى الحفلة بكلمات تلقى فيها أو تنشر فى كتاب يضم كل ما يتعلق بتكريم الشاعر .

□ يقول الأستاذ توفيق الحكيم إنه لما كان نائباً فى الأرياف كان أحياناً يركب الحمار فى بعض الطرق الزراعية ، فلاحظ أنه — أى الحمار — كثيراً ما يترك الطريق الممهد الواضح ويعرج يمينا أو يلتوى شمالا ، ثم يقول الأستاذ : إن الحمار فيلسوف ، لأنه يترك الحقائق الواضحة ويعنى نفسه بالبحث هنا وهناك .

□ تقدم الإذاعة سلسلة تمثيلات بعنوان « عيسى بن هشام » مأخوذة من كتاب « عيسى بن هشام » للمرحوم محمد بك المويلحى ، وقد رأي شقيق المؤلف خليل بك المويلحى أن هذه الإذاعات مسخ للصور الأدبية فى الكتاب ، ومن ذلك أن الإذاعة تجعل الباشا بطل « عيسى بن هشام » يقول لامرأة في الترام : (يا حلمبوحه) إلى غير ذلك . فأقام دعوى يطالب فيها بتعويض ألف جنيه . وقد حدد لنظرها يوم ١٣ يونيه أمام قاضى التحضير بمحكمة مصر الكلية .

□ وكذلك أقام الأستاذ محمد الأسمر دعوى ضد الإذاعة ، لأنها لم تدفع إليه أجر أغنية « فرحةُ الشرق » وتكملة قصيدة « سلوا قلبي » وهو يطلب لذلك تعويضاً خمسائة جنيه . وقد حدد يوم ٣٠ مايو الحالى لنظر هذه القضية أمام قاضى التحضير بمحكمة مصر .

□ أسهل طريقة للحصول على لقب دكتور مثلا أو (بك) مثلا أيضاً — أن تلقى محاضرة فى نادى رابطة الأدباء .

□ أنشأت إدارة الإذاعة مدرسة لتربية الأصوات ، فإذا كان الناس لا يطيقون أصوات من تختارهم الإذاعة ، فما بالك بمن تربى أصواتهم ؟

□ من المناقشات اللغوية التى تدور رحاها على الصفحة الثالثة من « الأهرام » الخلاف على « أسف له » فواحد يخطئه وآخر يجيزه ، وهو شىء يؤسف له ...

□ وافق مجلس الوزراء على اعتماد ثلاثين ألف جنيه للمساهمة فى إنتاج فلم محمد على الكبير الذى يقوم بإعداده ستوديو مصر .

تلويث سمعته وتمانى هى صراعاً هائلا بين واجبين: المحافظة على كرامة أسرة الزوج، وإنقاذ الشاب البرىء من الإعدام وليس له دليل على البراءة غير شهادتها، وتبدع صباح فى تمثيل هذا الموقف وتصب حيرتها فى أغنية رائعة. وأخيراً تذهب إلى المحكمة وتشهد بأنها كانت مع المتهم فى شقته وقت وقوع حادث القتل، وتم ذلك فى موقف أجاد المخرج تهيئته بحيث لم يغضب الباشا الذى كان يعارض فى شهادة زوج ابنه أشد المعارضة.

هـذا الجزء الذى ذكرته من وقائع الفلم هو أقوم ما فيه، ولـكنه لم يأخذ حقه من العرض والإبراز، بل راح ضحية الزحمة والاختلاط فى حوادث القصة وضحية تلك الفواصل الطويلة من الرقص والغناء، والغناء خاصة فى غير موقعه؛ ولم أفهم الحكمة فى عرض منظر الرقص الزنجى الذى كانت تغنى فيه نوال وهى مطلية بالسواد فى شكل قبيح أمام حبيبها الدكتور وحيد الذى جاء يشاهدها فى فرقة الـكواكب بعد أن عرف أنها ممثلة، وتسميها حوادث الفلم ممثلة مع أنها لم تمثل شيئاً إنما كانت تغنى فقط، هل أريد بذلك أن يراها الدكتور على هـذا القبح فيزداد شغفه بها؟!

وفى منظر واحد يبدو على مسرح فرقة الـكواكب أبو الهول والأهرام فى وسط أشجار وأزهار.. وغناء لبنانى ورقص مصرى بلدى! والقدرة التى تجمع بين كل ذلك فى مكان واحد هى التى تجمع فى طبق واحد بين السمك واللبن والتمرهندى ...

وعند ما تلتقى نوال وصاحبتها الراقصة بالدكتور وحيد لأول مرة، وتزعمان أنهما مدرستان، تنفرج فلقتا ثوب الراقصة عن بطنها العـارى فى زى الرقص، فيلاحظ الدكتور ذلك، وأنه لا يتفق مع ادعائهما أنهما مدرستان، فتقولان إنهما كانتا فى حفلة مدرسية... فأى حفلة مدرسية ترقص فيها المدرسات عاريات البطون؟!

وأظن أن حكاية ابن الباشا الذى يحب البنت الفقيرة (الخفة) قد أكلت عليها الأفلام المصرية وشربت حتى شبعت وارتوت، ومن المؤسف أنها تلف فى هذا الفلم الجزء الدعم القيم؛ ومن عيوب الأفلام المصرية أن بعضها يحاكى بعضاً، ثم تتكرر المحاكاة حتى تمل، ثم تسخف!

أما اسم الفلم (الليل لنا)، فهو كلمة من أغنية غنتها المغنية فى فرقة الـكواكب بالليـل... ولست أدرى إذا كانت المغنية غنت بالنهار — هل كان يسمى الفلم «النهار لنا»؟!

دفاع شاعر عن الربيع:

يقول صديقى الشاعر الأستاذ إبراهيم محمد نجا: أنت تقول يا صديقى إن الربيع لا وجود له فى الطبيعة المصرية، والربيع موجود أمام ناظرى الآن وأنا أكتب لك هذه الـكلمات... موجود فى الحديقة التى أشرف عليها من نافذتى، موجود فى أزهارها المختلفة الأشكال والألوان، هذه التى كانت فى فصل الشتاء سراً فى باطن الأرض، حتى جاء الربيع فكشف السر وأزاح الستار! وقد أعجبنى قوله: أما اضطراب الجو فى بعض أيام الربيع فذلك شىء لا يؤثر على الشعر والشعور، لأن القصيدة هى وليدة حالة نفسية فى لحظة زمنية تمتلئ فيها النفس بالمشاعر وعتلئ فيها الذهن بالتأملات.

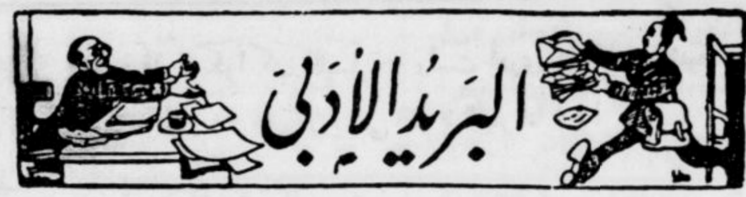
وهو دفاع صادق من شاعر إزاء هجوم رآه موجهاً، ضمناً، إلى ما قال من الشعر فى الربيع، وللأستاذ نجا قصيدة فى العدد المـاضى من «الرسالة» عنوانها «ربيع وربيع» وقد عدل فى خلالها عن الحديث فى ربيع الطبيعة إلى ربيع القلوب والأمانى، وأنا أوافقه على هذا النحو فهو حقيقة شعورية ظاهرة، أما ربيع الطبيعة فى مصر فأنا لا أزال أسأل: أين هو؟ وقد وصل إلى كتاب الأستاذ فى يوم شديد القيظ وهو اليوم التالى لـكتابته! فإن كان ينعم بالربيع فى الاسكندرية، حيث هو، فإنا فى القـاهرة لا نجد ربيعاً ننعم به، وقد نالنى الربيع المزعوم بالقذى فى عينى فحجب وجه «الأدب والفن» فى الأسبوع الماضى... وإذا كانت الاسكندرية تنعم بالربيع فربيعها إذن يتصـل بربيع آخر، هو الصيف على شاطئ البحر، كما يقول الأستاذ فى رسالته، ربيع آخر أزهاره السابحات الفاتنات!

وقلت فى كلمتى السـابقة: إن الفصل الممتع عندنا حقا هو فصل الخريف، وقد قال البحترى:

وليالى الخريف خضر ولـكن شغلتنا عنها ليـالى الربيع

وكان البحـترى يعيش فى بلاد ذات ربيع جميل، ولذلك شغلته ليالى الربيع، أما نحن فـالنا — ما عدا الأستاذ نجا فى الاسكندرية — غير ليالى الخريف.

عباس خضر



العمل الأدبي :

عرف الأستاذ أحمد أحمد بدوى العمل الأدبي فى مقاله بالرسالة الغراء أنه « التعبير عن تجربة للأديب ، بألفاظ موحية » وقد لفت هذا التعريف نظرى إلى ما عرف به الأستاذ سيد قطب العمل الأدبي فى كتابه « النقد الأدبي . أصوله ومناهجه » أنه « التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية » ..ولعل التعريف الثانى أعم وأوحى ... واستشهد الأستاذ بأبيات لقتيلة بنت الحارث وهى تعاتب الرسول ... الخ . بأبياتها البليغة ... وأن الرسول (صلعم) بكى .

فأذكر هنا أيضاً أن المرحوم الأستاذ الكبير النشاشيبي قد تعرض إلى هذه الأبيات « فى إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب » فى الرسالة الزهراء العدد ٦٤٥ السنة الثالثة عشر — بنقله عن السيرة لابن هشام — تعرضاً أثبت اختلاقها . وقال المرحوم فى تعليقه على النقل : « إن الذى قيل هو من الأباطيل ، فما عملت قتيلة فى أخيها شعراً ، ولم يقل النبي ما عزى إليه ، وما كان النضر المحتشد المجتهد فى هدم ذاك البناء الإسلامى الإنسانى العربى حقيقاً بأن يمن ذلك البانى عليه » ولولا أن الخبيرين نشرا فى الرسالة الزهراء ، ما كتبت هذه الكلمة ، وذكر ... وجاء أيضاً فى الاستشهاد بقول الشاعر « وهو حمدونة الأندلسية » « نزلنا دوحه فحنا عليه » والصواب « فحنا علينا » حتى يستقيم المعنى ويجمل ؛ أبقى الله الرسالة سجلا للحق والأدب الرفيع .

صبرى حسن علوان

١ — الأشقياء :

قرأت حديثاً فى الصحف : أن الحكومة توالى البحث عن هؤلاء الأشقياء . والكتاب يريدون المجرمين والقتلة واللصوص . ويستعملون كلمة الشقى بمعنى المجرم أو الجانى . والصحيح الذى تؤيده المعاجم : أن الشقى ذو الشقاء . والشقا ، والشقاء ، والشقوة ، والشقاوة : البؤس والشدة ونقيض السعادة .

فالصواب أن يقال : توالى الحكومة البحث عن الجناة والمجرمين .

٢ — الكساء :

نقرأ كثيراً ، أن كثيراً من الوزارات قد أقيلت : لأنها لم تهيىء للشعوب الغذاء والكساء . وهذا تعبير خاطىء ؛ لأن الكتاب يستعملون الكساء بالمد : لمطلق الملبوس .

والحق الذى تؤيده النصوص أن الكساء : ثوب بعينه . وهو نحو العباءة من الصوف . قال الشاعر :

جزاك الله خيراً من كساء فقد أدفأتنى فى ذا الشتاء
فأمك نعجة وأبوك كبش وأنت الصوف من غزل النساء

والصواب : أن يقولوا : « الكسا » بالقصر مع ضم الكاف جمع كسوة بكسر الكاف وضمها . وهو كل ما يكتسى .

عبد السميع على محمود
المدرس بمعلمات أسيوط

رجعة إلى القلم الصنع :

قلت فى صدد سابق معقباً أن ال (قلم صناع) خطأ و أن الصواب (قلم صنع) لا صناع؛ إذ الصنع وصف للمذكر ، والصناع للمؤنث . غير أن هذا القول لم يرض الأستاذ العجمى وأصر على صواب ال (قلم صناع) مستدلاً بهذه العبارة فى القاموس (رجل صناع اليدين ، وصناعهما) .

والحق أن (القلم صناع) خطأ ، والعبارة القاموسية لا تنهض دليلا على الجواز ، لأن (اليد) مؤنثة (والقلم) مذكر . فقول القاموس (صناع اليدين) وصف مضاف للفاعل المؤنث فلا تُقِس القلم المذكر على اليد المؤنثة . وإليك ما فى لسان العرب نصل الصاد حرف العين قال : (رجل صنع اليد وصناع اليد وامرأة صناع اليد .. والذى اختاره ثعلب رجل صنع اليد وامرأة صناع اليد .. ورجل صنع اللسان ولسان صنع) .

وفى هذا الكفاية ؛ لمن يريد الهداية .

(المنصورة) **اسماعيل أبو ضيف**

الضبع يذكر ويؤنث:

قرأت كلمة فى مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان «الضبع مؤنثة» أنكر فيها كاتبها تذكير الضبع ، وهذا ليس بصحيح ؛ فقد جاء فى المصباح ومعيار اللغة : الضبع بضم الباء فى لغة قيس وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل تقع على الذكر والأنثى ، وربما قيل فى الأنثى ضبعة بالهاء كما قيل فى سبع وسبعة والذكر ضبعان بكسر الضاد كسرحان ، والأنثى منه ضبعانة اه

وجاء فى حياة الحيوان للدميرى وعن ابن الأنبارى أن الضبع يطلق على الذكر والأنثى ، وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوى فى كتاب الافصاح فى فوائد الإيضاح للفارسى عن أبى العباس (المبرد) وغيره اه

على حسن هلال
المجمع اللغوى

١ — وقعة صفين :

قال الدكتور جواد على فى الرسالة : (وقد ألف غير واحد من المؤرخين فى وقعة صفين) ، وسرد طائفة منهم ، وفى (تاريخ الإسلام للذهبى) الذى يطبع فى القاهرة أن ممن ألف فى هذا الموضوع يحيى الجعفى ، حيث نقل عنه .

٢ — راقنى ذلك :

ويقول الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فى عدد « الرسالة ٨٠٧ » : (واقتبسوا من لغاتهم ما راق لهم) . والصواب : (ما راقهم) .

عبد الله معروف

إعلان عن جوائز فاروق الأول سنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٥٠ هى :

١ — علوم الحياة ، ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية .

٢ — أ — العلوم الكيميائية ، مثل الكيمياء العضوية ، وغير العضوية ، والكيمياء الحيوية ، والتغذية .

ب — العلوم الجيولوجية ، مثل الجيولوجية ، وعلم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) والتعدين .

٣ — العلوم الاجتماعية :

أ — علم الاجتماع ، وعلم التربية ، وما يتصل بذلك من العلوم .

ب — الفلسفة وعلم النفس وما يتصل بذلك من العلوم .

ج — التاريخ .

د — الجغرافيا .

هـ — الآثار .

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم لنيل الجوائز :

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القومى ، وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى .

ويرسل الانتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٩ . ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٥٠ . لمناسبة عيد الميلاد الملكى السعيد .

وزير المعارف العمومية

على أيوب

١٧٨٤



قصة مصرية :

« من وراء الأبد »

للأستاذ أنور المعداوى

(إلى الذين يفهمون القصة على خير ما تفهم القصة على أنها لوحة نفسية ، وظلال إنسانية ، وفكرة من أعماق الحياة) .

يا صديقى العزيز :

تسألنى عن هذا السر الذى أثار فضول الناس ، سر زواجى الذى لم يدم ؟.. ولم لا تقول إنه أثار فضولك أيضاً فكتبت إلى تسألنى ؟! ومع ذلك فسأكشف لك عن سرى الذى أصبح ذكرى ... كل ما أرجوه منك أن تحتفظ بهذه الذكرى الغالية كما احتفظت بغيرها من ذكريات شبابنا . فلا تدعها إذن تترك مكانها من قلبك ، حسبها أنها تركت مكانها من قلبى ... لتقص عليك وحدك قصة الحرمان !

أتذكر يوم كنت تصفنى بأننى إنسان أضاع عمره محلقاً على أجنحة الخيال يرتاد عوالم مجهولة ، ويطرق آفاقاً لم يطرقها مخلوق على أرض البشر ؟! . أنا معك يا صديقى فى أننى كنت وما أزال ذلك الإنسان الذى يقف على الأرض كما يقف غيره من الناس ، ومع ذلك فهو يمد يديه إلى السماء ليلتقط النجوم !.. لقد كنت أعيش فى دنياى الخاصة وكنت تعيش فى دنياك ، وعلى الرغم من هذا التناقض فقد التقينا حول مائدة العلم فى الجامعة ، لقاء شب من لحظاته الأولى بين أحضان الصداقة ... وكانت صداقة بريئة حلوة ، لم يعكر صفوها بعد الشقة بين طبعى وطبعك ، وبين مزاجى ومزاجك . أنت فى أعماق الواقع وأنا فى أعماق الخيال ... ومع ذلك فقد التقينا فى الجامعة ، وتركناها ذات يوم إلى الحياة ، وظللنا كما كنا صديقين !

وفرقت بيننا بعد ذلك الأيام . بقيت أنا فى القاهرة وذهبت أنت إلى أطراف الجنوب ... واختلف طريقى وطريقك ألم نكن دائماً فى نظرتنا إلى الحياة مختلفين ؟! لقد فضلت العمل فى وظائف الحكومة وآثرت العمل الحر ... أتذكر يوم خطر لى أن أفتح محلا لبيع الزهور فى حى الزمالك ؟ إنك رميتنى بما كنت ترمينى به دائماً يوم كنا فى الجامعة ... بالنزق والطيش والجرى وراء الخيال ! لقد كنت تقول لى بلهجتك الساخرة الحبيبة : زهور ؟ يالك من شاعر ! ماذا تجنى من وراء الزهور يا حليف الخيال ؟.. ستذبل زهورك يوماً ما ، وستمشى وحدك فى جنازة العطر !! ومضيت فى طريقى لا أكاد أصغى إلى سخرياتك . فتحت المحل ، وربحت الكثير من المال ، وانتصرت بسلاح الخيال فى أول معركة خضت غمارها ضد الخيال !..ومع ذلك فإن كلماتك لا تزال ترن فى أذنى رنينها بالأمس ، ترى أكنت تقرأ صفحة الغيب سطوراً خطتها لى وحدى يد الزمن ؟ أم أنك يوم أطلقت جملتك تلك الساخرة كنت تنفذ بوعيك الباطن إلى ما وراء المجهول ؟!.. لقد ذبلت زهورى يا صديقى ، ومشيت وحدى فى جنازة العطر ، والأمل ، والدنيا التى ذهبت إلى غير ميعاد!

أتذكر يوم كنت ترغبنى فى الزواج وتقود أفكارى إلى حواء ؟ لقد كنت ألقاك دائماً بجواب واحد هو أننى لم أجدها ! إن الذين يعيشون فى دنيا الواقع ترضيهم نفحات من الجمال المادى المشدود بالأرض ، أما أنا فكنت أبحث عن جمال آخر ... جمال تربطه بالسماء خيوط إلهية غير منظورة ! إن جمال الروح يا صديقى هو الذى كنت أبحث عنه ، وحين يئست من وجوده على أرض البشر رحت أنشده فى سماء الوهم ! لقد كنت ألتمس فى الزهور شيئاً من العزاء ... رائحتها ، نضارتها ، ألوانها البهيجة ... أليس فى هذا كله بعض ما كنت أنشد من جمال الروح ؟ هل تصدق أن هذا الخاطر هو الذى حملنى على أن أفتح محلا لبيع الزهور أنسقه بذوق الشاعر وخيال الفنان ؟ ! ... بالله لا تدع الابتسامة ترف على شفتيك ، فقد تستحيل فى عينيك دموعاً ! !

لعلك تستحثنى على أن أبدأ القصة ، فاستمع إذن لقصتى :

كان أول لقاء بينى وبينها ذات صباح ، حين هبطت من عربة التاكسى ودلفت إلى المحل تطلب باقة من الزهور ... ولأول مرة رأيتنى أترك مكانى ، وأسبق أحد عمالى إلى لقائها ، وأقدم لها بنفسى باقة من زهور البنفسج غلفتها — كما طلبت — بزهور البانسيه ، ونظرت إلى الفتاة نظرة امتنان ، وتمتمت ببعض كلمات شكر ... وخرجت !

كان مظهرها ينم عن حزن عميق ، تجلى واضحاً فى قسمات الوجه ونبرات الصوت ... وخيل إلى أن هناك عزيزاً قد فقدته ، وأن تلك الزهور قد أعدت لتوضع فوق القبر الذى لف أحلام شبابها بغلاف من الصمت الأبدى الرهيب ، هناك حيث تقفز من كوى الفناء أشباح وطيوف ! أما جمالها فكان فريداً فى نوعه ... لم يكن جمالا صارخاً يهز العيون حين تنظر إليه ، ولكنه كان جمالاً هادئاً ، معبراً ، يهز مسارب الروح والعاطفة ... كان أشبه بقطعة موسيقية حزينة يتنزى لإيقاعها الفكر الحائر والشعور الملتاع ! ... أما عيناها ، فقد كان فيهما أكثر من معنى مبهم ، لقد كان فيهما يا صديقى آثار رحلة طويلة إلى عالم مجهول ... وفى هذا اللقاء الأول رثيت للجمال يتشح فى الربيع بوشاح الأسى والشجن ! وتكرر بعد ذلك لقاؤنا فى موعد لا يتغير ... فى الساعة العاشرة من صباح كل ثلاثاء ، حين تهبط من عربة التاكسى ، تلك الزائرة الحزينة لتطلب كمادتها باقة من زهور البنفسج أغلفها كمادتى بزهور البانسيه ! وعلى مر الأيام نشأ بيننا نوع من الود البرىء تحول معه الرثاء فى قلبى إلى حب عميق ... وجاء على يوم شعرت فيه بأن أحلامى الحيرى فى خضم الحياة ، تلك التى ضلت طريقها فى متاهات الخيال السابح وراء الوهم قد وجدت ملاذها هنا ... فى هذا الوجه النبيل الذى شمت منه فى روحى ومضات الأمل ! !

سألت عن أسرتها فعلمت أنها من أكرم الأسر ، وسألت عن قصتها فعلمت أن خطيبها الشاب قد ودع الحياة منذ شهور ، وأن هذا الأسى الدفين هو كل ما خلف لها من ثروة أثقلتها الأحزان ... وفكرت فى غير تردد بأن أتقدم لخطبتها لأملأ فراغ قلبها ودنياها وفراغ قلبى ودنياى ، وخيل إلى أننى قد وجدتها ... حواء ، تلك التى قضيت العمر أبحث عنها فى سماء الوهم حتى لقيتها أخيراً على أرض البشر !

وفى رحاب الزوجة الحبيبة ذقت — لأول مرة — طعم الحياة ... كانت الحياة قبل أن ألقاها أشبه بفكرة شريدة معذبة لم تجد دفء خاطر تأوى إليه ! كانت لحناً حائراً لا معنى له ... لحناً نبذته شفتاى حين لم تستجب لأنغامه فى حنايا الضلوع عاطفة ! كان الوفاء والحب والحنان المتبادل هى كل معالم الطريق الذى سرنا فيه جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وروحاً إلى روح ... كنت أنسى كل متاعب الحياة حين تلقانى وعلى شفتيها ابتسامة مشرقة ، وفى عينيها بريق المودة من لقاء طويل ، هيأته الأحلام تحت ظل وريف فى واد من أودية السعادة !

ومضت بنا الحياة فى طريقها تطوى الأيام حتى أقبل يوم لا أنساه ... كان ذلك حين خرجت من البيت ذات صباح ، ثم عدت إليه بعد ساعتين لأمر من الأمور فلم أجدها هناك ! سألت عنها الخادمة الصغيرة فأنبأتنى بأن سيدتها لم تعين لها المكان الذى ذهبت إليه . وساورتنى الظنون وانتابنى شك قاتل ملح عنيف ... ترى أكانت زوجتى تترك البيت قبل اليوم أثناء غيابى عنه ؟ ! عدت إلى الخادمة الصغيرة أسألها فأنكرت ، وتحت الضرب المبرح لم تجد بداً من الاعتراف ، وأصبح الظن حقيقة ... سيدة محترمة تغادر بيتها مرة فى كل أسبوع إلى حيث لا يعلم أحد ، ترى ما ذا يخبىء لى القدر القاهر فى جعبته ؟ ! ورحت أذرع أرض الشرفة ذهاباً وجيئة فى انتظار الزوجة الغائبة ... وفى غمرة الوعى الذاهل والفكر المحموم ، لم أدر كم من الوقت مر على وأنا أتلفت إلى كل عربة مقبلة من هنا أو من هناك ، مترقباً أن تكون قد عادت بها من المكان المجهول !

وأخيراً أقبلت عربة تاكسى ما لبثت أن هدأت من سرعتها ووقفت أمام البيت ... وهبطت منها زوجتى ! وأسرعت كالمجنون أهبط الدرج وثباً حتى كنت فى ثوان ممدودات أمامها وجهاً لوجه ... وحين رأيت لونها قد شحب ، ونظراتها قد عراها الذهول .. رحت أسأل السائق عن المكان الذى ركبت منه ... وفى صوت هامس متلعثم أنبأنى الرجل بأنه قد عاد بالزوجة الحبيبة من مقابر الإمام الشافعى !

وصعدنا إلى البيت صامتين ... وحين احتوتنا إحدى حجراته رحت أنظر إلى عينيها الشاردتين ، محاولا أن أستشف سرهما المخبأ وراء قطرات الدموع !

أما هى ، فقد أطرقت برأسها إلى الأرض ، وراح صدرها يعلو ويهبط ، وجسدها ينتفض انتفاضة الحمى ...

وأخيراً أمسكت بيدى بين يديها لتقول لى بصوتها اللاهث المتهدج :

— محمود ... يا زوجى الحبيب ... إغفر لى أن أقول لك كل شيء ... أقسم لك ... أقسم لك أنى كنت أضع بعض الزهور على قبره ... لقد عاهدته أن أظل وفية لذ كراه ... لقد أقسمت له يوماً أن أظل على عهدى له ... كان ذلك حين ودع الدنيا وتركنى من بعده وحيدة ... محمود ... إن قلبى الذى كان له أصبح لك ... حسبك قلبى ... بالله لا تضق بأفكارى إذا اتجهت إليه لتؤنسه فى وحشته ... وبيدى إذا وضعت يوماً على قبره زهوراً ترطب ثراه ... محمود ... هل تغار من رجل مات ؟ ... تكلم ... تكلم يا زوجى الحبيب واغفر لى ... اغفر لى أننى لم أبح لك قبل اليوم بشيء ! !

حاولت أن أتكلم فماتت الكلمات على شفتى ... كنت كمن أغفى إغفاءة طويلة استيقظ من بعدها على حلم مخيف بعث رجة الفزع فى أوصاله !

ولأول مرة شعرت بأن أشباح الشقاء ترفرف على المكان بأجنحتها السود فتحيل النور فى عينى ظلاماً ...

وتركتها تنتحب وعدت إلى غرفتى مكدود القوى ، أشبه بجندى عاد إلى بيته بعد المعركة ... عاد ليبحث عن أحبابه بين ركام الأنقاض !

ومرت على ليال لم أذق للنوم فيها طعماً ... حاولت أن أنسى وأن أغفر ولكنى لم أستطع ! لقد تكشفت لى الحقيقة الكريهة البشعة ، وهى أن زوجتى لم تكن صادقة فى حبها لى ... لقد كان قلبها هناك ، يمسح بيد الذكريات فوق القبر الذى طوى بين جنباته أول أمل !.. سبع ليال مرت على كأنها سبعة ذئاب جائعة تنشب أظفارها فى قلبى ، كنت أشعر شعوراً عميقاً أن هذا القبر الرابض فى صحراء الإمام قد سلبنى أعز ما أملك ، وأن هذا الفتى المسجى فى جوف الثرى لص ... ضل طريقة إلى بيوت الناس وقادته قدماه إلى بيتى وحده ، ليسرق أنفس كنز وهبته لى الحياة ! وكلما نظرت إلى وجه زوجتى بدت لى الدنيا جحيماً لا يطاق ، لقد عاد إلى سابق عهده يوم رأيتها لأول مرة : الحزن العميق والأسى الدفين ! أما عيناها فقد أطل منهما الماضى البعيد ... حار فيهما ألف معنى مبهم أو ألف رحلة طويلة إلى عالم مجهول !

ومر شهر وشهران وثلاثة وكلانا يعيش فى العذاب ... العذاب الملح المبرح المتصل الذى تراودنى أشباحه الرهيبة فى الليل والنهار ، وتقذف بى إلى خارج بيتى أنشد العزاء فى الجلوس إلى الناس ! لم أعد أطيق رؤية البيت إلا حين آوى إليه لأنام ، لا تجمع بينى وبينها كسابق عهدنا حجرة واحدة ... كان الخيال يصور لى أن هناك حاجزاً هائلاً يحول بين ضم جسمينا فى فراش واحد ، هو ذلك القبر الكئيب البغيض الرابض فى صحراء الإمام . القبر الذى كان يخيل إلى أنه يترك مكانه كل ليلة لينعم بأحضان زوجتى حتى الصباح !!

ولم يكن هناك يا صديقى بد من أن نفترق ... ترى هل جنى على الخيال ؟ لست أدرى !.. كل ما أدريه أن حواء قد ذهبت ، وأن زهورى قد ذبلت ، وأننى قد طويت القلب على أحلامه وقذفت به بعيداً ... بعيداً فى وادى الذكريات .

أنور المعداوى

خوفاً من أبيـــه !

وأخيراً تهالك « خالد » على مقعده فى قنوط وقد أيقن أنه فقد ساعته ، فلم يترك مكاناً إلا بحث فيه ولا صديقاً إلا سأله عنها

وبالرغم من أن حجرته خالية إلا من أجلاد جسمه ، هادئة إلا من دقات قلبه ، فإن طايفاً فارع العود منقبض الأسارير راح يحدق فيه مستخفاً بذكائه وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفى صوته نبرة ازدراء ! !

وخرج من الغرفة إلى عرض الطريق ضائقاً بذلك الطيف الذى أعاد إلى خياله صوراً كالحة لتلك المواقف التى تكون بينه وبين والده حين يفقد أحقر حاجاته !!...

واستقبله الشارع على غير ما تعوّد . لقد بدا له كالرسوم الحائلة فى كراس عتيق ! وكأنما أصوات المارة لضعفها تصل إلى أذنيه من بعيد ...

وعجزت أضواء الطريق الألاقة ومعروضات المحالّ المغرية أن تخرجه عن نفسه أو تبعث إليها شعاعاً من أنس ..

ولكن محلا لبيع الساعات فى نهاية الطريق استطاع أن يخترق بأضوائه نطاق كآبته ، وأن يستوقفه أمام معرضه ، وأن يتملق نظراته الموزعة بمرأى ساعاته الجذاب ...

وأخذت عيناه فى لهفة ساعة تشبه ساعته فى الحجم والنطاء ، وإن كانت دونها فى الثمن والرواء !

وهنا افتر ثغره ليبارك فكرة رائعة تفتح عنها ذهنه المضطرب . إن والده لايستطيع أن يدرك الفرق الداخلى بينهما ؛ وسيكفى شراؤها لتعود المياه إلى مجاريها ...

ولكن سرعان ما شعر بخيبة مرة تخاذلت لها قدماه وانطبقت شفتاه على حطام ابتسامة ... الشراء ؟ ! إن ما معه من المال لا يبقى منه إذا اشترى الساعة ما يسد عوزه إلى أن تبدأ الإجازة التى سيرجع فيها إلى قريته ...

وهنا مرت أمام عينيه صور متلاصقة لتلك المواقف التى تكون بينه وبين والده حين يفقد شيئاً من أشيائه ، ثم تذكر فى مرارة زوجة أبيه وهى تفترص تلك المواقف لتملأ عينيها الوقحة بمنظر دموعه الذليلة وهي تتلمس طريقها على خده الشاحب المزيل !

وهنا وجد نفسه مدفوعاً إلى شراء تلك الساعة ، هازئاً من آلام الحرمان التى سيلاقيها مادام يقاسيها وحده ولن يطلع عليها سواه !

وبعد أسبوع كانت مائدته قد سئمت تلك الوجبات الخشنة ، ومعدته قد عافت تلك الأكلات التافهة . وكان قد تعود أن يسمع رفاقه يتساءلون عن تلك الصفرة التى تغطى وجهه والإعياء الذى يحد نشاطه ! واستطاع أن يجيب رفاقه بما تعود من لباقة ، وأن يتحمل الألم بما انفطر عليه من صبر ..!!

ولكننا نرى نفسه القوية تنهار فى يد الألم وتتخاذل فى حلبة الصراع مع الأقدار ، حين يطلب ناظر مدرسته إلى كل طالب أن يتبرع بعشرة قروش للنشاط الرياضى بالمدرسة ! !

لقد شعر بأن القدر يتحداه ويسخر من إيمانه بكرامته ! ! إنه لايستطيع أن ينكص عن دفع هذا المبلغ لشهرته الرياضية بالمدرسة، ولا يستطيع أن يدفعه إلا إذا قدر أن يبقى يومين بدون طعام

وتحامل الشجاع الجريح على نفسه وصوّب إلى صدر القدر آخر سهم من كنانة صبره وإيمانه ...

وفى اليوم الذى ابتدأت فيه إجازته كان يسرع على إفريز المحطة ليلحق بالقطار المسافر إلى قريته ...

وفى إحدى عربات الدرجة الثالثة ألقى بجسمه المنهوك وجعل يستعرض آلامه المضنية التى مرت به ، وكأنه جندى مثخن يشفى غليله بمرأى قتلاه فى الميدان !

واختلجت على شفتيه ابتسامة باهتة كانت تسترجع شجاعته وتستنهض أمله وتزف إليه كرامته فى إطار من الثقة ...

وسمع صوتاً يهتف من أعماقه : مرحى أيها الجندى الباسل ! لقد آن لك أن تلقى الجزاء ! ! ولكن أى جزاء يا ترى ؟ ؟

لقد راح يتخيل موقف والده منه وقد علم بفقد ساعته وطفق ينحى عليه بألوان من القسوة وضروب من العنف لتكون فرحته أشد حين يعلم أن شيئاً من ذلك لن يحدث ! ! وازدادت البسمة وضوحاً حين غادر القطار إلى بيته فى أقصى القرية ، كأنما استردت نشاطها من طول ما نامت على شفتيه ...

وفى حجرة من حجرات البيت وقف يقبل يد والده قبلة آلية ، ثم رفع رأسه ليرى وجه والده ، وكأنما غادر حجرته بالمدينة منذ أسابيع ، وسمعه يقول وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفى صوته نبرة استخفاف : ما هذا الذهول الذى لا ينفك مستولياً عليك ؟ كيف نسيت أن تأخذ ساعتك وأنت مسافر ؟ !

محمد أبو المعاطى أبو النجا

مطبعة الرسالة



العدد ٨٢٩ — الاثنين ٢٣ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



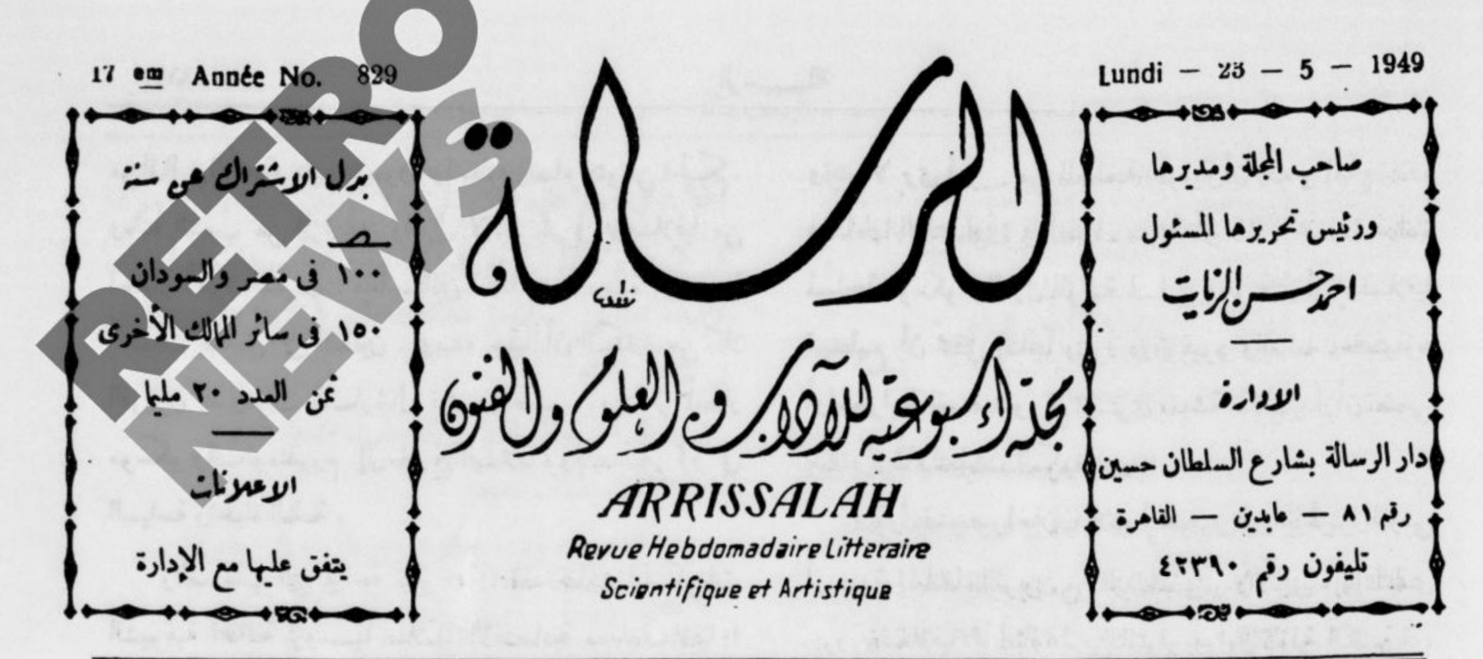
فهرس العدد

٣٢٠٤٢

مجلة الرسالة الأسبوعية للعلوم والفنون

17 eme Année No. 829

Lundi — 25 — 5 — 1949



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ رجب سنة ١٣٦٨ — ٢٣ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

تيتو والشيوعية « القومية »

للأســتاذ عمر حليق

يقف المارشال تيتو سيد يوغسلافيا موقفاً فريداً إزاء هذه التيارات الجارفة التى تهب عليه من المعسكرين المتطاحنين : السوفياتى والغربى .

فهذا الخليط من الأقليات العنصرية والطائفية التى تؤلف « اتحاداً جمهورياً من الشعب اليوغسلافية » يمر فى فترة عصيبة فى خطورتها . ذلك لأن موقف التحدى الذى يقفه المارشال تيتو من الإدارة المركزية للشيوعية الدولية (الكومنفورم) الذى يعمل بوحى من موسكو جلب عليه غضب المعسكر الروسى فى شرق أوربا وأواسطها وفى البلقان ، ولم يكسبه — إلى الآن على الأقل — بركة حلفاء الغرب ومؤازرتهم ونصرتهم . وتيتو على رغم ذلك قوى العقيدة فى صلاح الماركسية الأصيلة كما تنص عليها تعاليم ماركس ولينين كأساس للحياة السعيدة ، وهو كافر بالنظم التى يعيش عليها المعسكر المادى للشيوعية .

وماركسية تيتو ليست اشتراكية معتدلة على غرار المجتمعات الاسكندنافية مثلا ، أو تلك التى تحاول توطيدها فى بريطانيا حكومة العمال .

فالنظام الذى يصوغ به تيتو حاضر يوغسلافيا هو نظام شيوعى أصيل فى وسائله وأهدافه . وليس خلافه مع موسكو والكومنفورم يمس العقيدة الماركسية وإنما يمس تفسيرها والوسائل لتدعيمها وتحقيق مراميها .

والواقع أن تيتو « سوفياتى » أكثر من ستالين ؛ فإن جوهر الخلاف بين يوغسلافيا وموسكو يعود إلى إصرار تيتو على الاعتقاد بأن نجاح الماركسية ورسوخها فى الفكر والمسلك لن يتحقق فى هذه المركزية الدقيقة الصارمة التى تفرضها موسكو بواسطة الكومنفورم على الأحزاب والجماعات الشيوعية التى تعيش خارج الاتحاد السوفياتى ؛ بل إنه يؤمن بأن لكل مجتمع ظروفاً خاصة ومؤثرات خاصة ونزعات عاطفية وتكويناً خلقياً خاصاً ، فلا يمكن أن تصهر جميعا لتكون لينة مطاوعة لتوجيهات دقيقة تصدر عن موسكو أو الكومنفورم وتمس المصالح القومية للذين اختاروا الاشتراكية نظاماً للحياة .

وقد انقضت أكثر من عشرة أشهر على انفصام عرى الوئام بين المارشال تيتو وبين موسكو والدول الشيوعية الأخرى ، واتخذ هذا الخلاف صورة جدية فى الأسابيع الأخيرة عند ما حشدت ألبانيا وبلغاريا بعض قواتها على الحدود المشتركة مع يوغوسلافيا ؛ ولكن هذه الحالة السيئة لم تضعف من مركز تيتو ولم تقلل ثقة الشعب اليوغسلافى بزعامته .

وتركز النظام الحالى فى يوغسلافيا يعود إلى أسباب ، منها أن الأغنياء ومترفى الطبقة الوسطى بالرغم من استيائهم من الاشتراكية التى حققها تيتو هم الآن مشلولو النشاط ليس لديهم

من المال والأنصار مايستطيعون بواسطته إقصاء تيتو عن الحكم. وعامة الشعب من المزارعين والعمال لا مفر لهم في يوغسلافيا من اختيار أهون الشرين : فإما ستالين وإما تيتو . وهذه الوضعية كذلك تنطبق على المثقفين . ويبدو جلياً أن الكثرة من كلا الفريقين قد رضيت بالمارشال تيتو مواطنهم . وقد فر أنصار موسكو والكومنفورم إلى خارج البلاد ، ولم يعد لهم أثر في السياسة والحياة العامة .

والصعاب التي تواجه تيتو جمة ؛ فقد قطعت الحكومات الشيوعية المحالفة لروسيا صلاتها الاقتصادية مع يوغسلافيا ؛ وتحفظ حلفاء الغرب في تعاملهم مع تيتو في السياسة والاقتصاد . وبقي هذا الاشتراكي العنيد مصراً على ألا يساوم طرفاً من الطرفين (السوفياتي والغربي) على حساب الاشتراكية القومية التي يعمل لتوطيدها في وطنه . فتيتو يرى أن الوسائل التي يتبعها السوفيات وحلفاؤهم من الدول الشيوعية الأخرى لتحقيق الماركسية الصحيحة هي طريقة خاطئة تخالف تعاليم لينين من حيث أنها لا تراعي الخصائص الفردية لكل مجتمع ، ولا تحاول أن تفرض على العالم بأسره نظاماً موحداً لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات وما هي عليه من تباين في كثير من الطبائع والميول والاتجاهات . ومع أن الماركسية تصر على بلشفة العالم في المراحل النهائية من التطور ، فإن لينين رأى أن يراعي طبيعة هذا التباين الاجتماعي عند ما انكب على توطيد الماركسية في الاتحاد السوفياتي أولا تاركا العالم الخارجي وشأنه ، وهذا على عكس ما جرت عليه السياسة الروسية في سنوات ما بعد الحرب .

وتيتو كذلك لا يرى أن من الخير ليوغسلافيا أن تترك التجربة الاشتراكية الناجحة التي توطدت فيها الآن لترتمي في أحضان الرأسمالية .

وخلاف تيتو مع موسكو لا يقتصر على المبادىء الفكرية وتفاسيرها ، بل إنه يمس التعامل الاقتصادي كذلك .

فان سيطرة موسكو على منطقة نفوذها في شرقي أوربا تستدعي أن تنسق يوغسلافيا إنتاجها الزراعي والصناعي بحيث لا ينافس الصناعة والانتاج الروسيين وإنتاج الدول الشيوعية الأخرى لئلا تنفصم عرى الوحدة الاقتصادية في منطقة النفوذ الشيوعي .

وتيتو لا يرى أن من المصلحة القومية أن يحصر إنتاج بلاده ونشاطها الاقتصادي في أصناف معينة أو مقادير محدودة مراعاة لمصلحة موسكو والدول الموالية لها . وهو يرى أن يوغسلافيا تستطيع أن تحقق إنتاجاً وافراً دون قيود والتزامات اختيارية أو اضطرارية فتستفيد وترفع مستوى معيشة سكانها بدل أن تضحي بذلك إرضاء لتعليمات الكومنفورم .

ويقول تيتو صراحة إن بلاده لم تتحرر على يد الجيش الروسي أو جيوش الحلفاء الغربيين من النير الطلياني والألماني ، وإنما الذي حرر يوغسلافيا هم أبناؤها من الثوار ورجال المقاومة السرية ، ولذلك فليست يوغسلافيا مدينة لأحد ، وهي ترفض الانصياع لأوامر موسكو والاستسلام لرغبات الغرب .

هذه العزلة الاقتصادية والسياسية التي اختارها تيتو لنفسه ولبلاده قد استوجبت التزامات ثقيلة . وقد أصر تيتو على أن يلمس بنفسه طبيعة هذه الالتزامات وانعكاساتها على طبقات الشعب فقام يجوب أنحاء البلاد ليتعرف مطالبها ويقف على مشكلات الأقليات العنصرية والطائفية المختلفة الميول والنزعات .

وكان لاختبار تيتو حالة الشعب ووسائل الإنتاج اختباراً شخصياً أثر بليغ في تفهمه لحقيقة الوضع ومواطن الضعف وإمكانيات القوة . كما أن اتصالاته الشخصية قد عززت مكانته في قلوب الشعب تعززاً متيناً . وتيتو هو أول زعيم شيوعي مسؤول يترك قصره المحاط بالحراس ويندفع في طول البلاد وعرضها يدرس ويتعرف عن كثب .

ولقد اكتشف تيتو البون الشاسع بين وضع المشروعات والبرامج على الخرائط والورق وبين حقيقة تنفيذها . فقد وجد أن العمال في المصانع والمزارع التي تملكها الدولة بطيئو النشاط قليلو الإنتاج منحطو المعنوية بسبب الظروف الصعبة التي تحيط بالحياة العمالية . فعمل تيتو جادا لزيادة نشاطهم وإنتاجهم ورفع معنويتهم عن طريق التحسين في شؤون العمل وظروفه وشروطه الصحية وساعات الراحة والحصة في الأرباح وجوائز التفوق وغير ذلك من المؤثرات النفسانية التي يعلمها المعنيون بشؤون العمل والعمال .

وقد أفاد تيتو كثيراً من الجولات في طول البلاد وعرضها للتعرف على الاتجاهات السياسية ومبلغ مناصرة الشعب له في

قطـــرات ندي

للأســـتاذ راجى الراعى

* سم زعاف ، والمحبة سلاف، والغرور أصداف، والحياة غلاف.

* كلما رفعت ستاراً من ستائر الغيب غرد لى طائر فى الجنة .

* الأبراج كثيرة وأعلاها تلك التى تتنقل بينها الشمس ويقيم فيها العباقرة .

* اليأس جدار يتداعى .

* ثلاثة حدود لم تعرف بعد : الحد الذى تقف عنده قدرة المرء ، والحد بين العقل والجنون ، والحد بين الجريمة والعبقرية .

* كيف ترجو أن يقـوم بناؤك فى الأرض والحجر فى إحساسك وضميرك ؟

* كأنى بهذه الجبال جبلت من كبريائك وكبريائى !

* أنا فى رأسى وما يحويه من ذاكرة وإرادة وعقل وشعور وخيال بين منجم وجواد وميزان وقيثارة ومجنون .

* أرى فى المحراث مركبة للعلاء تجر إلى الخالق .

* إن المواهب رفيعـة عزيزة منيعة أنيقة لا تعرف التطفل والابتذال ، ولا القيد والإذلال ، ولا تؤخذ رخيصة ولا يسمع لها فى كل مقام مقال : اسقنى خمراً لأسقيك خمراً .. هات لى أحوانى لآتيك بجناحى .. أرسل بطاقة الدعوى إلى الملا ، لترى وجهى فى الوليمة الخالدة .

* البركان تطلقه الأرض إذا جأرت بالدعاء لله .

* الليل ضباب أسود .

* كلما مر بى يوم نزع الموت من طريقه إلى حجراً !

* للفجر مهمته ، يقوم بها فى كل صباح بنشاطه المعروف : يبدأ بتلاوة سيرة الليل ، ويسكب نداه ، ويمهد طريق الشمس ، ثم يتوارى أمامها تهيباً وإجلالا .

* العقل يهمس والهوى يصرخ .

* الصدى رسم الصوت .

* أين أذهب بأحلامى إذا ما احتضرت غداً ؟ أأذبحها حلماً حلماً على عتبة القبر ؟ ليست يدى حمراء فـلا قدرة لى ولا جرأة على هذه المجزرة .

* الميت أمانة نودعها التراب ولـكنه لا يحفظ الوديعة .

* ألم تهتد بعد إلى الطريق ، ولم تختر الرفيق وأنت بين ذاك الرحيق رحيق الجنة ، وهذا الشهيق شهيق الجحيم ؟

* بين المراقى والبخيرات صلات .

موقف الضغط السوفياتى الشرقى ومن السلبية الغربية .

والظاهر أن موسكو والـكومنفوم لن تترك تيتو يطبـع الشيوعية بطابع قومى محلى وينفر من المركزية الصارمة التى استنتها موسكو لنفسها ولحلفائها . فبالإضافة إلى حرب الأعصاب وتجمع الجيوش الشيوعية على الحدود اليوغسلافية وحملات الدعاية والتشنيع الذى تتعرض له يوغسـلافيا وعاهلها فإن تيتو يواجه حركة جدية من المعسكر السوفياتى تبتغى اقتطاع أجزاء واسعة من الأرض اليوغسلافية وضمها إلى قطاعات يونانية وبلغارية وألبانية لتأليف دولة بلقانية شيوعية جديدة تعرف باسم « مقدونيا »

وهذا التحدى السوفياتى لتيتو يلاقى منه صلابة حازمة . وإلى الآن لم يطلب تيتو معونة من حلفاء الغرب . ولا يبدو أن الحلفاء قد عرضوا عليه هذه المونة ، وكل ما طلبته يوغسلافيا من الحلفاء وغيرهم من الدول الحيادية هو زيادة التبادل التجارى دون التقيد بالتزامات سياسية أو عسكرية .

ومن الجدير بالإشارة إليه أنه بالرغم من هذا الاختلاف الجدى بين تيتو وموسكو فإن الوفد اليوغسلافى فى الأمم المتحدة لا يحيد مطلقاً عن الأخذ بوجهـة النظر السوفياتية والتصويت بجانب الـكتلة السوفياتية فى القضايا المعروضة على الأمم المتحدة .

وللمرء أن يتساءل عن المدى الذى قد يستطيع تيتو أن يثبت فيه على هذه الصلابة ، وهل سيدفع فى المراحل النهائية لمحالفة المعسكر الغربى أم سيخضع لموسكو ؟

الجواب فى هذه الأيام الحبالى التى تلد كل عجيب ...

(نيويورك) عمر حليق

* بين الأوراق والثمار ما بين الأصداف واللآلىء .

* لكلٍّ دمعة ؛ فإذا بكى الجبل ذرف ينبوعا .

* إن لطريق الواجب منعطفات هى الخيانات .

* الفم الذى لا يشبع ولا يرتوى هو فم الشهرة الشرهة .

* كلما تمثلت مرارة يومى الأخير قمت إلى الأيام بفم الشره الولهان أمتص ما فيها من الشهد .

* أنا مثقل بأيامى وبلاياى ومطامعى وموتاى وأحلامى ، ولا أزال مع ذلك قائماً أسعى لم أرزح بعد تحت أثقالى...أفى ساق هذه القوة الجبارة وأنا أحسبنى ضعيفاً ؟. أفىّ هذا العتو وأتململ، وأخاف وأشكو ؟

* أقدم الممالك وأشدها رسوخاً وهولا وطغيانا مملكة الأموات ، يتولاها رجل صولجانه المنجل وشريعته القدر ، وجيشه راقد وخزانته فارغة وعلَمه هو العدَم وعرشه من تراب تخلعه عنه يين الحين والحين يد تمتد إليه من دار الخلد .

* من وثق بالله وثق بنفسه ووثق به الناس. إنها الثقة المثلثة.

* كم من عبد ذليل هيل عليه التراب ألف مرة قبل يومه الأخير فانطوى قبره على ألف قبر !

* فى كل عاصفة وإعصار خطيب عظيم من خطباء الطبيعة يدعو إلى الثورة ، وفى كل صاعقة غضبة لجوبيتر ، وفى كل بركان أرض تمزق أحشاؤها ، وفى كل فجر ستار يرفع ، وفى كل جبل كبرياء مجسدة ، وفى كل سهل خضوع واستسلام ، وفى كل ينبوع قلب لشاعر عبقرى ، وفى كل نجمة عين رقيب ، وفى كل ليل طليعة من طلائع الموت ، وفى كل شيطان ساع من سعاة الجحيم .

* لقد خلقتم أفراساً لتنطلقوا فى الفضاء الرحب والسهل الفسيح حتى تبلغوا الحد الذى رسمه لكم القدر .

* لولا البين التى تفرقنى فى الدنيا لجمعت نفسى وخلوت بها وعشنا معاً فى جو من الطهر الناصع والمجد الساطع والفلسفة الجامحة التى لا رادع لها ولا وازع .

* أنا حى ولكننى أحمل موتاى وموتى العتيد الذى غرز فى وتداً منذ ولدت ورحل على أن يعود إلى بعد حين حاملا حيمتى لينصبها لى هناك على رابية عساها تكون زاهرة وبين قوم أرجو ألا يكونوا الشياطين .

* قد ترقد الفكرة أعواماً ثم تمر بها فكرة أخرى فتوقظها وتمشى الفكرتان متعانقتين كأنهما على موعد فى طريقها إلى هنائك أو شقائك ...

* إذا جفت البحور اطلقها الإنسان من صدره وعينيه فزخرت ببلاياه ...

* الثدى قِرَب الحب .

* الأساطير هوس التاريخ وتهاويله .

* الأصداء هى الأصوات فى أبانيها وقحتها وعنادها

* الله هو الطيب يفوح ريحه فى العبقرية .

* الجنون عقل سقط تحت أثقاله !

* الرأس والصدر والبطن ثلاثة أقفاص أناطيرها السجين .

* الجبين هو الشاطىء الذى يلقى فيه الدماغ مراسيه كلما خاض عباب التفكير وعاد من رحلته ...

* الحجر فى أسس البناء تضحيةٌ ونكران ، وفى زاويته سيادةٌ وزعامة ، وفى جداره شبابٌ ومعونة ، وفى سقفه عطف وحماية ؛ وهو فى سفح الجبل طموح ، وفى شمابه مخاطرة ، وفى قمته غطرسةٌ وشمم ؛ وفى الأعمدة تمردٌ وشموخ ، وفى الخرائب حنين وذكرى ، وفى القبور سأم وهجران ...

* الجنون رجل مجنون يلبس حداد عقله الميت !

* البحر كأس من الماء إذا شرب هرقل .

* الأمثال دنانير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس .

* الغصن الذى يحمل الثمرة اليانعة يد تشير إلى الخبرة والحنكة .

* البصر بعض البصيرة أو هو أداتها .

* بين السَّحر والغسق يوم يتقلب بين الهم والقلق ، ودهر وعد وما صدق ... ويجيئنى الليل ويأتى الأرق ... وما أنا إلا سهم أطلقه الحب فانطلق ، ولسان نطق وقلب خفق ... وطارق طرق فكان جزاءه الفلق ... ولله سره فى ما خلق ...

* ما ذا تفعل تلك المئات من الشموس الماجنة فى المجرة ... أتراها تنام على غارها القديم أم هى تنتظر خلائقها وأمجادها العتيدة؟

* الزمان فم لعابه الأمل ولسانه التاريخ ولقمته العمر ونابه الموت ...

* الضباب فكرة غمضت فى رأس الطبيعة .

* الذكرى جرس يطن فى أعماق وادى النسيان .

* الشمم هو ما ارتفع فيك من الهضاب والقمم .

* فى اليوم الواحد يتصارع العقل والجنون ألف مرة كأنهما الأسد والنمر فى غابة الرأس .

* النجوم وشى الليل ، أو جيش غلب على أمره ، أو نظرات الخالق فى ما صنع ، أوشهودنا ونحن نحتكم إلى الزمان ، أوسلك من اللآلىء انتثر ، أو بقايا سيارة كان لها يوما ثم ارتطمت بما شقها ووزعها فى الفضاء ...

* كلما احتك الخالق بخليقته سكنت رياح الكفر وتألق فى سماء الإيمان كوكب جديد .

* إن فى كسوف الشمس وخسوف القمر شيئاً من المياه والسأم والقنوط ...

* كل فكرة نبضة من نبضات الرأس .

* الليل عقد ينفرط نجوماً ...

* الكفن آخر هبات الناس للناس !

* المهد أول اللحد ، واللحد مهد الآخرة .

* كلما أقر الهلال ترنح أملى واطمأن طموحى .

* من قلت تموسه و كثر ضبابه فتح له الفن ذراعيه وضمه إلى صدره .

* الأعوام أعمدة الزمن .

* كلما رأيتُ الشجرة السامقة الشامخة حسبتُ أن الأرض تتطاول إلى السماء لتراها وتبثها الشكوى .

* من نحر الحب أكل قلبه .

* ما دام هناك رقاب تنحنى فلا بد من بقاء النير !

* يدفنونه هنا فينهض هناك : تلك هى البطولة .

* خلقت لنا الجباه لنجابه بها الدهر ، فمن ألق سلاحه أمام الحياة تخلى عن جبينه .

* السهول أكتاف الجبال ، والأودية بطونها ، والقمم رءوسها ، والشعاب عروقها ، والمغاور أفقاصها ، والآكام أطفالها ، وللثلوج شيبها ، والأشجار خيالها ، والرياح وحيها وتذكاراتها ، والصخور ضلوعها ، والرسوخ فى الأرض عقلها وبقاؤها ...

* الرجل الكبير تقرأ على صحيفة قبره فى كل صباح سطراً جديداً

* الموت هدنة ثم يستأنف العراك .

* غضون الوجه والجبين أثلام يشقها محراث الحياة .

* القراطيس لا تحمل وطأة العباقرة .

* الطمع سكرة لا كؤوس لها .

* الأرض التى ترحك بسنابل خيراتها هى التى تظلمك بحديد قيودها .

* كلما تعددت ذاتيتك قل عنادك .

* كلما رأيت الشمس تميل إلى المغيب خشيت على ما نسجته من الأحلام .

الإيمان ذراع النفس مرتفعة إلى السماء تبتهل ، والكفر ذراعها المبتورة .

* المخترعون أقرب الناس إلى الخالق .

* كلما فنيت أحلامى فى أهدافها طاب لى البقاء .

* الموت وحده هو الذى يمتقك مما أنت فيه . . إن فى حريتك تراباً ولحداً .

* الأبله ساعة تحطمت آلتها .

* الفجر طفولة ، والظهيرة كهولة ، والمساء شيخوخة ، والليل هو الموت .

* حكاية الليل والنهار حكاية جدار تبنيه وجدار ينهار .

* السماء ترى الأرض بصواعقها فترميها الأرض ببراكينها .

* قد يكون البركان احتجاجاً على الإنسان الذى تلعب يده بأحشاء الأرض .

* الكهرباء المظيم أسلاك توثقه بالخلود .

* إننى أرى التراب عالقاً بالجباه الذليلة .

* المقيم صفر فى سفر الوجود .

* النجوم عديدة ولكن هل لك بينها نجمة ؟

* كلما نظرت إلى الأفق الجبار شعرت أنى ما أزال طفلا .

راجى الراعى

صور من الحياة :

قبعـــة تتفلسف

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا صاحبي ، أي شيطان وسوس لك فرحت تمتهن الوطن والدين واللغة ، وجئت تريد أن تسترق الناس منها جميعاً لتذرهم — بعدها — حطاماً خوى من الكرامة والرجولة والإنسانية ؟

لقد كان حديثاً عجباً أن تقول «أنا لا أومن بالوطن ولا بالدين ولا باللغة لأنها قيود ثقال . وأحْرِ بمن يتحرر منها أن يسود العالم كله .

أما الوطن فهو كلمة براقة تستهوى القلوب الضعيفة وتستغرق الألباب السقيمة ، وتخلب العقول الجامدة . على حين أنها — في رأى الفيلسوف — فارغة من المعنى خالية من الحياة . والوطن هو نعرة بالية توارثها جيل عن جيل في غير إمعان ولا روية ، وهو آثار فكرة التعصب العتيق حين كانت القبائل المتشعبة تنبث في فجاج الأرض ومتاهاتها ، تخشى أن يتخطفها الناس من حولها ، وهو لفظ جاف لا يحمل في ثناياه إلا صورة من جشع الإنسان الأول وكآبه حين اضطربت الأنانية في نفسه — لأول مرة — فاختار قطعة من الأرض ووضع حواليها الصُّوى والعلامات ثم قال : هذه ملكي .. هي وطني ! »

ونسيت أن الوطن روح تتدفق في مسارب الدم وتخفق بين طيات القلب ، وهو تاريخ حي ينبض في ملاعب الصبا ومسارح الشباب ، هناك تحت الدوحة الباسقة على شاطىء النيل ، وفي ظلال شجرة الجميز على ضفة الغدير ، حيث تداعبهما أنفاس الصبح الندية أو تمابثها نسمات الأصيل الهينة ، والسماء صافية والجو صحو ، وصوت خرير الماء يصّاعد نغماً شجياً يلعب بالفؤاد ويعانق القلب ويهز المشاعر .

هناك في موكب الحياة على بساط الطبيعة السندسي وهو يتراقص في رأى العين ليوقع لحناً عذباً فيه جمال الحياة وجمال الموسيقى ...

وقلت « إن الوطن فكرة تتفجر من خلالها ألوان من صراع القوميات العاصف وتفور من جنباتها ضروب من الحروب الطاحنة فتدفع العالم ليتردى في هاوية من الهلاك والدمار ... هاوية ما لها من قرار ... آه ، لو أصبحت الدنيا كلها وطناً واحداً ، إذن لانمحت الآثام والشرور ! والوطن هو قانون الغابة في المملكة الحيوانية لأنه يوحي للأسد بأن يحمى حوزته ويذود عن عرينه ، ثم لا يتورع عن أن يقتحم كِناس الظبي الوديع فيفتك به ويهدم داره » .

ونسيت أن الوطن هو أمٌّ يتدفق الحنان من قلبها ، وأبٌ يتوثب العطف من حناياه ، وأبناء هم نور العين وجمال الحياة وبهجة العمر وسعادة القلب ، وأهل تهدأ بهم النفس ويأنس إليهم الفؤاد ، وهو عش الطير يأوى إليه ليجد الراحة من عناء العمل ويلمس الطمأنينة من عراك العيش ويشمر بالأرض من فزع العاصفة . أرأيت — يا صاحبي — طيراً يحوم حول بقايا عشه المتهدم بعد أن عصفت به ريح صرصر عاتية أو عبثت به يد غشوم قاسية ؟ إنه — ولا ريب — يتضرم أسى ولوعة ويتنزى ألماً وحسرة لأن عشه الحبيب قد تمزق فوجد — في قرارة نفسه — فقد وطنه العزيز .

هذا هو الوطن في نفس الطير ، فما بال الإنسان ؟ ولكنك أنت أحسست الضياع في طفولتك والحرمان في شبابك والوحدة في رجولتك ، فلا عجب إن أنت كفرت بالوطن لأنك لم تستشعر معناه إلا في تلك الحجرة الضيقة المظلمة في ذلك الزقاق القذر الوضيع حيث عشت وحدك ضائعاً منبوذاً ؛ فحملت لأهلك ووطنك كراهية وبغضاً ، وتأرّثت نفسك حقداً وحسداً ، وحاولت — جاهداً — أن تضع من جمال الوطن وفتنته وأن تثلب فنونه وآدابه وأن تحتقر ذكاءه وعبقريته وأن تحط من صفائه ورونقه عسى أن تشفى داء نفسك السقيمة أو أن تنقع غلة قلبك المريض ورحت تنافح عن الأجنبي وتشيد بعلمه وترفع من قدره لأنه نفخ فيك أنت ، يا صاحبي ، من روحه ووسمك بسماته وخلق منك فيلسوفاً كبيراً ، تفلسفت آراؤه فخان الوطن والدين واللغة .

***

وسمعتك تقول : « أما الدِّين فهو غلٌّ ثقيل ينحط بهم

الرجال عن أن تنهض بجلائل الأعمال ، وهو خرافة الأخلاق السامية ، وهو روح التخاذل والتواكل . ألا تعلم بأن اليهودى يتوسل إلى الثراء بالسرقة والربا ، ثم يسيطر — بالمال — على الأمم يصرّفها كيف شاءت أنانيته وأطماعه ؟ وأن الدول القوية تغتر الشعوب الضعيفة بكلمات الشرف والعدل والرأفة وما بها غير الرياء والمكر والخداع وغير شره المال وكلب الذهب ؟ وأن الأخلاق القويمة لتصطرع فى نفس الرجل القوى مثلما تصطرع الأحزاب فى قلب الأمة الفتية فتنهش لحمها وتمصف بحيويتها » .

ونسيت أن الدين نور سماوى يهبط إلى الأرض فتنجاب له ظلمات الحياة ومتاعبها ، ويتدفق فى نواحى الروح فيغمرها بالسلام والطمأنينة ويجذب الإنسان عن النوازع الأرضية ويترفع به عن الوساوس الشيطانية ليلبس ثوب الملاك وهو إنسان يسير على الأرض ...

إننى أذكر — يا صاحبى — يوم أن أرغمت على أن أعيش فى قرية نزل بها بلاء الحمى النخاعية الشوكية يحطم أهلها ويمصف بشبابها فانطلقت إلى طبيب القرية — وهو صديق — أسأله دواء أتقى به شر هذا الوباء الجارف ، فما راعنى إلا أن أرى فى نظراته علامة الدهشة ، فقلت له ! « ما بالك ؟ » قال « ألست مسلماً ؟ » قلت « بلى ، وما للأسلام ولهذا البلاء النازل ؟ » قال . « فأنت تتوضأ خمس مرات كل يوم ، وفى كل مرة تتمضمض ثلاث مرات ؟ » قلت « نعم ! » قال « هذا وقاء من شر هذا البلاء » ثم اندفع فى حماسة يحصى الفوائد الصحية للوضوء والصلاة . هذا هو رأى العلم فى بعض معانى الدين ، فماذا تقول فلسفتك أنت ؟ والدين يشفى الأدواء الاجتماعية مثلما يشفى الأدواء الجسمانية

وسمعتك تقول « وأنا رجل أنانى لا أعتقد إلا فى الكسب المالى ولا أوقن إلا بالفوز المادى . وهذا « فلان بك » رجل عظيم ، سلك إلى غايته طرقاً لا يردعه عنها دين ولا خلق ، فزوجه فتاة شابة ذات جمال ودلال تمهد له السبيل الوعر وتفتح له الباب الموصد ثم تدفعه إلى الهدف فى سهولة ويسر ، وهو من ورائها يندفع حتى كاد أن يبلغ . ولو أنه تشبث بخرافة الدين أو تعلق بسراب الأخلاق لقعد عن الغاية وتخلف عن الركب » .

ونسيت أن الرجولة والشهامة والنزاهة كلها من أمور الدين.

ثم قلت « إن من عبث الأخلاق ما نرى : فالفضائل أشياء نسبية ، يتحلى بها الرجل من أوساط الناس فيبدو فى أعين الناس فاضلاً كاملاً ويتمسك بها الرجل وهو من العظماء فيتمثله الناس منافقاً مخادعاً . وإن الناس ليتندرون بالرجل العظيم إن هو خلا إلى المسجد والمسبحة والمصحف بقدر ما يسخرون من الرجل المادى إن هو عكف على مجالس الخمر والقمار والفجور . وإن الرجل العظيم ليسرق الآلاف فلا تزدريه عين ولا يحتقره قلب ، وإن سرق الرجل المادى درهماً واحداً كبّله القيد الحديدى وإن الزعيم اللبق ليسطو على الشعب فيستلبه من ماله ومن مشاعره ليعبث بها فى لذائذه ومسراته ثم لا يجد إلا التبجيل والتقديس » .

ونسيت أن ميزان الأخلاق — فى رأى الدين — واحد لا يتغير : فالسارق لص أبداً ، ومن يفرط فى عرضه هو ... هو الديوث .

ولكن لا عجب ، فأنت تريد أن تبلغ غاية المجد فى غير كد ولا جهد ، وإن المرء ليستطيع أن يشبع رغبات نفسه ونوازع قلبه عن طريقين: الجهاد المتواصل والاستخذاء المهين الوضيع . وأنت قد دأبت على أن تستخذى لرئيسك لتكون — فى يوم ما — رجلاً ذا مكانة وشأن . وفاتك أن المجد الذى يقام على دعائم من المداهنة والخداع والتمويه مجد متداع يوشك أن يهوى ويتهدم .

• • •

وقلت : « أما اللغة فقد انحطت عن غيرها من اللغات الحية ، فما ذا فيها غير كلمات صلبة جاسية وعبارات جافة قاسية وألفاظ واهية متداعية ، فى حين أن اللغات الغربية تموج بالحياة وتنبض بالعقل وتخفق بالثقافة وتتألق بالعلم . ونحن أمة وهى عزمها وانحلت قوتها فذهبت — فى ضعف — تفخر بما تلفظ بطن الأرض من آثار وتتعلق بأهداب خيال زال منذ زمان . لقد أصابتنا كبوة لا نستطيع أن نفيق منها إلا أن تنلق أذهاننا فى وجه الثقافة العربية الفجة لتتفتح للثقافة الغربية النابضة » .

ونسيت أن فى اللغة مجد الأمة وعزتها القومية ، وأن من خلالها تتأرث حرارة الوطنية والكرامة . هذه اللغة — يا صاحبى — قد وسعت علوم اليونان وفلسفتهم فى فجر النهضة العلمية الإسلامية واقتحمت باب الرياضة والفلك والطب ، ولم تقصر عن العلوم

الأعلام والرايات

للأستاذ أحمد رمزى بك

أرى الراية الصفراء يرمى اصطفاقها بنى أصفر بالراعفات اللهازم
فتسبى فلسطيناً وتجبى جزائراً وتملك من يونان أرض الأعاجم(١)

إن التاريخ الإسلامى بأكمله لا يزال بكراً لم يدرس بعد الدراسة العلمية الصحيحة. وأغلب ما نشر من الكتب الحديثة عنه هو من قبيل جمع المعلومات وتبويبها ولذلك جاء أكثر ما بين أيدينا من المطبوعات وهو لا يتعرض لحل مشكلة من مشكلات البحث ولا قضى بأمر نهائى فى مسألة مستعصاة.

وقد أثير أخيراً فى مجلة الرسالة موضوع لون الراية التى اتخذها صلاح الدين لجنوده(٢)، واتخاذه اللون الأصفر الذى بقى علماً للأيوبيين والملوك مصر من دولتى الأتراك والشراكسة.

والكتابة عن موضوع الأعلام وألوانها، قد تكون جزءاً من الكتابة عن أنظمة الجيوش الإسلامية وتقاليدها، وقد تكون جزءاً مما أطلق عليه القدماء اسم ترتيب المملكة ونظام المواكب العظام ...

(١) الروضتين جزء ٢ ص ١١٦.
(٢) الرسالة عدد ٨٢٠ ص ٣٤٢ بحث الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم عن القوة الحربية لمصر والشام فى عصر حروب الصليبيين

ويدخل فى ترتيب المملكة نظام الملك وتقاليده وأبهته وقواعد المراسم فى الحفلات العامة.

وكل هذه المسائل لم تدرس بعد الدراسة الكافية فى الدول الإسلامية ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة المملوكية أو إلى نهاية الدولة العثمانية، ثم قيام الأسرة العلوية بمصر.

وقد تعرض لمثل هذه الأبحاث المرحوم جورجى زيدان بك فى كتابه عن تاريخ التمدن الإسلامى، واعتقد أن ما جاء فى هذا الكتاب هو من قبيل جمع المعلومات المتفرقة، لا من قبيل الدراسة العلمية الصحيحة، ولم يصل إلى علمى بعد أن هناك من تعرض لدراسة هذه الأمور دراسة علمية سوى الأستاذ «ماير» بالجامعة العبرية بمدينة القدس الذى أخرج كتاباً عن «الرنوك» فوضع بذلك أساساً علمياً يصح أن يتخذ لزيادة الأبحاث وتطورها ومعرفة أصول الرنوك وألوانها وهو عمل يحتاج إلى عناية وتدقيق وإلمام باللغات الشرقية ومدنيات الشعوب الطورانية ولهجاتها ومقدار تأثرها بمدنيات آسيا وكل هذا عمل لا شك أن المستقبل كفيل بتحقيقه.

أما ما يخص جانبى ترتيب المملكة وتنظيم الجيوش، فكل دولة من الدول الإسلامية لها طابعها الخاص بها. ويمكن فيما يخص مصر أن تقسم البحث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ترتيب المملكة فى زمن الخلفاء الراشدين إلى آخر الدولة الأخشيدية.

القسم الثانى: الدولة الفاطمية.

القسم الثالث: الدول الإسلامية التى بدأت من عهد صلاح الدين إلى ابتداء الحملة الفرنسية.

أما الكلام عن القسم الأول، فكان ولا يزال ميداناً للبحث والاكتشاف العلمى وجمع المعلومات، ويظهر أنه كان محاطاً بالغموض فى العصور الماضية بدليل أن صاحب صبح الأعشى يقول إنه لم يتحرر له معرفة ترتيب المملكة فيها، والظاهر له أن أغلب النواب والأمراء حينئذ كانوا على هيئة العرب واستمروا كذلك حتى ولى مصر أحمد بن طولون وأبناؤه فأحدثوا فيها ترتيب الملك. وهذا الباب الأخير من القسم الأول أى من ابتداء الدولة الطولونية

الطبيعية والميكانيكا ... فوضعت بذلك أسس النهضة العلمية فى أوربا حين كان الغرب يغط فى سبات عميق ويرسف فى أغلال من الجهل والعمى.

وغفلت عن أن المكتبة العربية التى بين أيدينا الآن لا تمثل إلا خمسة فى المائة من إنتاج الذهن العربى الشرقى، فلطالما عبث بها الفاتحون فأوسعوها حرقاً وتمزيقاً وقذفاً فى أعماق النهر.

لعلك – يا صاحبى – تؤمن فى قرارة نفسك بما أقول، ولكنك لبست القبعة ذات مرة ... لبستها لتتنزل عن كرامتك ولتنبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة.

كامل محمود حبيب

إلى نهاية الأخشيدية يحتاج إلى عناية الباحثين ، والدخول فيه عسير لأن مواده لا تزال قيد البحث والتنسيق .

فإذا دخلنا العصر الفاطمي ، نجد أنه كان موضع عناية المتقدمين وأن بين أيدينا مادة للبحث مدونة ومبوبة وتصلح للدرس والمقارنة .

أي أنه وسع الكاتب أن يتناول ترتيب المملكة من جهة نظام الملك وتقاليده وأبهته وقواعد المراسم في الحفلات العامة كما قلنا ، ثم يعرض للملابس التشريفية الكبرى وما كان يلبسه الخاصة والعامة والجند والأمراء ، ثم يخلص إلى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العامة كالتاج وشدة الوقار والمظلة وغيرها .

أما الأعلام في العهد الفاطمي بالذات ، فيحتاج درسها إلى احتراس شديد ، وكذلك دراسة السلاح وأصناف الجند وتعبئتهم في لصفوف والمواكب ، وأعتقد أن لدينا من المواد والمعلومات ما يجعل دراستها تحت متناول يد الباحث ، لو كان ملماً بالقواعد لمعمول بها في العالم الآن ، إذ لكل دولة من الدول القائمة ومنها مصر مراسمها الخاصة بها وتقاليدها ، كما أن لجيوش البر والبحر قواعد تختلف بعضها عن بعض ولكنها ترجع في النهاية إلى أصول متعارف عليها . وقد نجد في بعض هذه الأنظمة بقايا من أثر الشعوب الشرقية واضحاً ملموساً(١) .

فإذا اطلعنا على أنظمة الجيش البريطاني ، نجد أن قواعد الأعلام والرايات واستعمالها منتظمة فيما يخص ما يرفع منها للملك وللقواد ولأصناف الفرق ، ونجد قواعد التحية بالمدفعية وأنظمة خاصة بالموسيقى (٢) .

وما يقال عن الجيش البريطاني ينصرف أيضاً إلى الجيش الإيطالي ، فقواعد التحية بالأعلام وغيرها منظمة في كتب معمول بها يطلق عليها Norme Per il Servizio di Presidio

فهذه قواعد قائمة إلى اليوم ونحن في حاجة إلى الإلمام بها وتعرفها قبل الدخول في موضوع الأعلام والرايات ولو كان الكلام عنها تاريخياً ؛ إذ أن إخراج ما في بطون الكتب من المعلومات وتنسيقها يحتاج إلى تفهم ما يجرى به النظام والعرف في الوقت الحاضر لكي يجيء عملنا على أساس علمي .

***

قرأت في البحث الذي نشرته مجلة الرسالة للأستاذ بدوي قوله في تبرير اختيار صلاح الدين للراية الصفراء « وكأن في ذلك إشارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — فهي مستقلة ذات كيان خاص بها » .

وأختلف معه فأقول :

أولا : إن إعادة الخطبة لبني العباس لم يجعل من مصر ولاية عباسية وإنما كان هذا العمل دينياً أكثر منه سياسياً أو إذا شئت هو إعادة اعتبار المذهب السني وضم ولاية من الولايات إلى الأقطار التي تدين بالولاء الديني لخليفة بغداد(١) .

ثانياً : إن صلاح الدين حينما اتخذ اللون الأصفر وإن كان يؤمل في الاستقلال بولاية أو سلطنة لم يقصد ولم يبرر عمله باختيار لون خاص يضمه على أعلامه .

إذن علينا أن ندرس لون العلم على أساس غير هذه الناحية التي أشار إليها الأستاذ بدوي ويخيل إلى أن العصر امتاز بوجود نظامين : نظام الخلافة العباسية ،ونظام الملك . وعلى هذا يمكن استخلاص بعض الحقائق اللازمة لهذا الاختيار :

للخلافة شعارها وللسلطنة شعارها :

إن اختيار اللون الأسود لبني العباس قديم والكلام عنه يخرجنا عن غايتنا . وهو لون اشتهر به بنو العباس وأصبح شعاراً لهم منذ إنشاء الدولة العباسية ولا يفهم من هذا أن نظام الدولة العباسية وترتيب الملك فيها حرّم استعمال لون آخر بل كان للدولة عدة رايات وأعلام مختلفة اللون والشكل بدليل ما جاء في الطبري أن أحد الخلفاء وهو المتوكل على الله نصب علماً أبيض اللون وسماه لواء العمل وهذه ناحية كما قلت تبعدنا عن الغرض الذي رسمناه لأنفسنا . ولذلك أعود إلى القرن السادس الهجري وأقول : إنه ورث ما كان متبعاً في القرنين السابقين : الخامس والرابع ، أي ابتداء من دولة بني بويه ثم قيام الدولة السلجوقية

(١) يبدو هنا الأثر واضحاً في نظام موسيقى الجيوش الأوربية وفي أنظمة كتائب الفرسان مثل « الإهلان » في ألمانيا وبولونيا .

(٢) kings Regulations and orders for the Army

(١) وهو ما يدخل في التفويض العام الذي كان يصدر من دار الخلافة للمتغلبين من السلاطين « تقليده الأمور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك » .

فالذي ألمسه هو أن العالم الإسلامي الذي يدين بالولاء الديني لبني العباس عاش في تلك الحقبة من الزمن وبلاده تحمل شمارين: شعار الخلافة بأعلامها وألويتها وتقاليدها وشعار الملكة أو السلطنة بترتيبها وألويتها وأعلامها.

ولم يكن هناك ما يحول دون قيام الشعارين أو النظامين في وقت واحد ولذلك أجزم بأن صلاح الدين حينما أعلن الخطبة لبني العباس وأقام شعارهم في المساجد جاء إلى مصر ومعه شعائر السلطنة أو الملكة المتغلبة. وهي منبثقة من نظام الدولة السلجوقية التي كان يتبعها الأتابكة ولو في مظاهرها وشعائرها، ومنهم نور الدين الشهيد الذي فتح صلاح الدين مصر باسمه. وكان تابعاً له وقائداً من قواده على رأس جنود من التركمان والأكراد الذين يدينون بالولاء للدولة الأتابكية التي تخضع في أنظمتها وتقاليدها لآل سلجوق الذين يمثلهم رغم استقلال الولايات وتغلب المتغلبين عليهم ما يطلق عليه.

سلطان السلاطين أو ملك الملوك:

وكان هذا اللقب من مسميات الدولة السلجوقية وهو لا يطلق إلا على من يكون في ولايته ملوك تحت سيطرته. فالملك في نظرهم من يملك مثل الشام أو مصر أو مثل أفريقية أو الأندلس وتكون عدة عسكره عشرة آلاف فارس على الأقل [1].

فإن زاد بلاداً أو عدداً في الجيش كان أعظم في السلطنة وجاز له أن يطلق عليه السلطان الأعظم فإن خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة، ومثل خراسان وعراق العجم وفارس، ومثل أفريقية والمغرب الأوسط والأندلس كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية » اهـ. قاله ابن فضل الله في المسالك نقلا عن علي ابن سعيد [2].

تقليد سلطان السلاجقة:

ولدينا وصف كامل للمراسم التي اتبعتها خلافة بغداد في تقليد سلطان السلاجقة وهي جديرة بالتأمل والدرس؛ لأنها تعطينا صورة حية لأساليب هذا العصر [3] ثم تجعلنا نعود إلى أوائل دولة

(١) الروضتين ج ١ ص ٣٤

(٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ص ٩٢

(٣) راجع تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٣

بني بويه فنجد أن هذا التقليد اتبع في عهد عضد الدولة فناخسرو الذي كان أول من خوطب في الإسلام بالملك شاهنشاه [1]. ولدينا صورة لتقليد صمصام الدولة سنة ٣٧٣ هـ لا تختلف في مظاهرها عن تقليد السلطان السلجوقي سنة ٤٤٧ هـ [2]. ونعود إلى هذه الحفلة فنعرضها كما جاءت في كتب الأقدمين:

جلس الخليفة القائم بأمر الله يوم السبت ٢٥ ذي القعدة سنة ٤٤٧ هـ دخل عليه سلطان السلاطين طغرل بك.

تُوِّج وطُوِّق وسُوِّر.

أفيضت عليه سبع خلع سود في زيق واحد واتخذت له بها مملكة الأقاليم السبعة.

شرف بعمامة مسكية مذهبة لجمع بين تاجي العرب والعجم.

لقب بالمتوج والمعمم.

قلد سيفاً محلى بالذهب.

عاد وجلس على الكرسي.

قام ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن لموضع التاج الخسروري.

سأل مصافحة الخليفة فأعطاه يده دفعتين

قلده سيفاً آخر كان بين يديه.

ختم له بتقليد السيفين، فقلد ولاية الدولتين.

خاطبه بملك المشرق والمغرب.

من ذلك يتضح أن تقليد الخليفة للسلطان تم بمقتضى مراسم موضوعة روعي فيها جلال سلطان الخلافة وعظمة سلطان الأرض

قارن هذه المراسم بحرص الملك الظاهر بيبرس أن يتم تقليده طبقاً لها عند إعادته للخلافة العباسية في مصر مع اختلاف في بعض مظاهرها.

(للكلام بقية) أحمد رمزي

(١) المنتظم من تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ص ١١٣ ج ٧

(٢) بنو بويه سنة ٣٧٣ هـ ذيل كتاب تجارب الأمم للوزير أبي شجاع الملقب ظهير الدين الروزراوي ص ٨٤٠ وفيها ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمة السوداء وسور وطوق وتوج، وعقد له لواءان وحمل على فرس بموكب ذهب وقيد بين يديه مثله وجرى عهده بتقليده الأمور فيما بلغت الدعوى من جميع الممالك وعاد إلى داره وجددت البيعة وأطلق رسومها وأقيمت الدعوى وغيرت السكة.

فلسفة طاغور الأخلاقية :

الآلام ثروة الانسان الناقص

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

ان طاغور الذى برأ الحياة من الشر ، وأرجع وجوده فيها إلى عصيان الإنسان لقانونه الأخلاق ، لم يغب عن باله ما يعترى الإنسان من نقص فى عقله أو فى إرادته ، ولم يغفل ما يسببه هذا النقص للانسان من متاعب ، وما يجره إليه من فشل يثير فى نفسه ألواناً متضاربة من الآلام قد تشقى حياته وتنفث فيها التعس .

ومع ذلك لم يلق طاغور تبعة هذه الآلام على الحياة ، وأخذ يدلل على أنها لا تتعارض مع السعادة ، ولا تسوق الإنسان بالضرورة إلى الشقاء . وزعم أن الله خلق قوى الإنسان ناقصة وإرادته محدودة ، وأن النقص فى حد ذاته لا يؤذى الإنسان ، وأن حدود الإرادة لا تحد من نشاطها ، وإنما الذى يؤذيه هو أن تظل قواه على ما هى عليه من نقص ، وتبقى إرادته حبيسة حدودها على الدوام بدون أن يسعى لاستكمال قواه الناقصة ، ولا يجد فى أن تصير إرادته المحدودة غير محدودة .

ولو خلق الله بادئ ذى بدء قوى الإنسان كاملة وإرادته غير محدودة ، لفقدت قدرته اللانهائية من ناحية كل معنى لها ، ولتعذر على الإنسان من ناحية أخرى أن يرتقى فى سلم الوجود حتى يصل إلى تلك الدرجة الروحية النموذجية التى يندمج فيها وجوده فى وجود الله ، ويصبح هو والله حقيقة واحدة ؛ لأن القوة لا تتطور إلى أن تتم نموها إلا إذا دفعها النقص لتكمل ، وأن الإرادة لا تتحرك حتى تصبح غير محدودة إلا إذا كانت تعمل على التحرر من نطاق حدودها الذاتية لتفنى فى إرادة الله غير المحدودة . فلولا نقص الإنسان ما عرف الكمال ، ولولا حدود إرادته ما صارت غير محدودة .

فنقص الإنسان ونهاية إرادته لا يسيئان إليه بقدر ما يدفعانه إلى طلب أرقى مراتب الكمال ، وبلوغ السعادة القصوى بالتلاشى فى لا نهاية الله . وما خص الله الإنسان بهما إلا ليمكنه من العودة إلى النبع الذى انبعث منه ، ويحفزه على الفناء فى روحه الكبرى التى تشمل كل الوجود . وأن جود النقص وبقاء نهاية الإرادة على ما هما عليه ، يعدان الحياة بسموم الألم وما يتفرع منه من حزن وخوف وقلق .

ولذلك يجب على الإنسان أن يفتش عن أسباب نقصه سواء أكان فى عقله أم فى إرادته ، ويعمل على أن يقومه ، ولا ييأس من طول مدة التقويم ، ويثابر على معالجة عقله وإرادته حتى يصل إلى مكانة من الرقى الروحى ينمحى فيها شعوره بأى نوع من الآلام سواء أكانت من تلك الآلام التى تنتاب النفس حين يصدر عنها إثم من الآثام ، أو من تلك الآلام التى تطرأ عليها عند الفشل فى أداء عمل من الأعمال .

أما عن الآلام التى سببها اقتراف الخطايا ، فترجع إلى جهل الإنسان بجوهر حقيقته وغفلته عن أن إرادته مرتبطة بقانون خلقى ليس إلا صورة من صور سرور الله التى تتجلى فى الكون ؛ وأنه يجب على النفس أن تعلم أن الله مستقر فيها فى قالب القانون الخلقى ، كما يجب على الإرادة أن تأتمر بأوامر هذا القانون ، فإنه هو الذى يفك أسرها ويساعدها على تحطيم قيود الرغبات والأهواء ، ويفتح لها الشعب لتنساب تدريجياً إلى لا نهاية الله ، وتوصلها إلى تلك الحالة الروحية التى تبلغ بها ملكوت السماء ، فيستحيل عليها ارتكاب الذنوب التى تقلقها وتبعث فيها الأحزان ، وإنما تمتعها بنعيم الحياة فى الحقيقة المطلقة الأبدية التى لا تتباين فيها جميع الموجودات .

بينما الفشل فى العمل يمكن التغلب عليه بتنمية المواهب ، وترقية الملكات ، وتربية المهارات عن طريق العلم والعمل ، لأن التزود بثقافة توسع من أفق المعرفة ، وتزيد من قوة الإدراك ، تجنب الوقوع فى غلطات تجلب مشكلات شاقة . وإن ممارسة العمل ممارسة واقعية تكسب دراية عملية به ، وبراعة فائقة فى أدائه

إلا أن كثيراً من الناس يزعمون أن هذه البراعة لا تكتسب بدون مشقة ترهق النفس وتذيقها بعض الآلام ، وأن الذين نضجت مداركهم ومهرت قدراتهم لا تخلو حياتهم من آلام ومتاعب ، فضلاً عن أن مجرد وجود الإنسان فى الحياة يكلفه عذاباً دائماً ، إذ يتطلب منه كفاحاً متواصلاً ليحصل على ما يوفره حاجاته المادية .

ولكن طاغور يسخر من هؤلاء القوم ويصورهم فى صورة من يحسب ثقل ضغط الهواء على جسم الإنسان ، فيجده ثقلاً هائلاً فيبالغ فى تقدير ما يرزح تحته جسم الإنسان من أحمال ، وينسى

أن من خواص هذا الجسم أن تتعادل مقاومته مع هذا الضغط ، بحيث لا يشعر بأى شىء ينوء بحمله ، فإن كل ما يلاقيه الإنسان فى الحياة من محن وخطوب لا يفوق الطاقة البشرية ، ويشبه إلى حد كبير ضغط الهواء الذى لا نكاد نحس بوجوده ، وأن فى قدرة الإنسان أن يقاومه ويتغلب عليه بأقل جهد .

وإذا بحثنا عن سبب شدة وطأة الآلام ، وعنف وقع المتاعب على الإنسان ، وجدنا أنه يرجع إلى أنه ينظر إلى الحياة نظرة ضيقة تنحصر فى الحاضر دون المستقبل ، وتقصر مطالب ذاتية عارضة دون المطالب العامة الدائمة ، فإن لم يحرز ما يريد بأسرع ما يمكن ، وفى أقرب فرصة ، وبأقل جهد ، يقلق ويضطرب ويظن بالحياة الظنون . وإن نزل به خطب جزع لضياع غنم عاجل لا يستفيد منه إلا شخصه . وإن خذل فى تحقيق مآربه أحس بخيبة مرة تضايقه . وإن عاقته عوارض الحياة دب فيه اليأس والقنوط ، بينما لو نظر إلى الحياة نظرة رحيبة تضم الحاضر والمستقبل ، وتحتضن خير كافة البشر الذى لا يتحتم تحقيقه فى الوقت الحاضر ، إذ قد يتحقق فى المستقبل القريب أو البعيد لما اكترث بما يقابله من أهوال ، ولما حركت المتاعب كوامن أشجانه ، ولا قدم غير هياب على تنفيذ كل عمل يراه ينفع الإنسانية ولا يرهب العذاب فى سبيله ، وكان على استعداد دائم لأن يتحمل المشاق طائعاً مختاراً ، ويقاسى الحرمان دون تذمر ، لا يسأم النضال الطويل ، ولا يثبط همته الفشل المتوالى ، لأنه يدرك أن هذه الآلام ما هى إلا قرابين زهيدة فرضت على من يريد أن يحظى بالحياة فى الذات الإلهية عن طريق تعميم ضرب من الخير الدائم بين الناس . فمن يرض أن يعانى الآلام ليسعد البشر ، تقو عزيمته على تذليل كل عقبة تعترض هذه الغاية ، وتهون عليه نفسه فيضحى بها فى سبيل خير الإنسانية ، ويسير سيراً حثيثاً نحو تلك الحياة الروحية التى لا يحس فيها المرء إلا بحقيقة فريدة لا مثيل لها ، هى حقيقة اتحاد الخالق بالمخلوقات التى يتمتع فى كنفها بسعادة عذبة هادئة ، ويتلذذ بغبطة حلوة تحيط الإنسان بهالة من النشوة والحبور ، تدفع عنه مرارة الألم ، وتحميه من تمس الأحزان .

فطلب الحياة فى الله يصهر المعانى المألوفة ، فيصبح السرور الذى تريد أن تنعم به مضنياً ؛ لأن طريقه وعر صعب ، كما يصبح الألم الذى نسقاه محبوباً لأنه يقودنا إلى إسعاد الغير ، ويسوقنا إلى الاتحاد بالله . فمن يرحب بالتضحيات من أجل الخير العام المستمر ، يعط لحياته قيمة عليا ينمحى فيها الفوارق بين شتى المعانى التى يحياها عامة الناس ، ويفقد السرور والألم عنده تأثيرهما المتناقض للتداول ويتساويان ، ولا يمتاز بعضها عن بعضها بشىء ، لأن التمتع بالسرور لا يحدث بدون مقاساة الآلام ، والآلام هى الضريبة التى تمهد لنا طريق السرور . فالسرور والألم مختلطان ، لا يسهل التمييز بينهما فى مثل هذه الأحوال الإلهية .

ولكى يعيش الإنسان فى سرور دائم يجب أن يخوض ميدان الحياة الاجتماعية ، ليبنى ويهدم ما لا يروقه ما بناه ، ويضع القوانين ويغيرها إذا وجدها لا تلائم خير المجتمع ، ويخلق الأكداس المكدسة من الآراء ، ولا يبالى ما قد يقع فيه من أخطاء فإن استمراره فى خلق أفكار جديدة يصحح غلطاته ، ويكشف عن أسرار الطبيعة وقوانينها الحق ، ويخترع مختلف الآلات ، أى يعمل بلا انقطاع ولا يخشى الفشل ، فإنه سبيل النجاح والتقدم ، ولا ينفك يبدل فيما وصل إليه من علم وعمل ، ويغيرما دام فيها نقص أو عيب ، ويبحث راضياً مرضياً ، لا يفكر مطلقاً فى تجنب الألم أو الهروب من المتاعب ، بل يظهر براعته فى القضاء على ما به من نقص وتحويله إلى كمال ، ويبرز مهارته فى مختلف أنواع الألم من خذلان ونصب وشجن وخوف ، ويجعلها عنصراً من عناصر السرور . فلا ينبغى لأحد أن يعتزل الحياة رعباً من آلامها ومتاعبها ، وإنما يجب عليه أن يتحملها صابراً ، عالماً أن الألم ثروة الإنسان الناقص ، وعلامة على أنه أكبر من حاضره ، وبمثابة قوة دافعة تصيره عظيما فى الحياة ، وتخطو به من حاضره المحدود نحو مستقبل باهر غير محدود .

إن تطور الحضارات ، وتقلب المدنيات ، ونبذ الإنسان للقديم وابتكار حديث يقوم مقامه ، لدليل على أن الإنسان لا يفتأ يجد ويخلق ويسير من مرحلة إلى مرحلة أفضل منها ، حتى يبلغ أقصى درجات الكمال التى تكفل له السعادة المرجوة .

فالشكوى من الآلام والمتاعب شكوى لا مسوغ لها ، ولا ينبغى أن نترك لها أى منفذ لتتسرب منه إلى نفوسنا ، وتلقى فيها نواة التشاؤم ؛ لأن الآلام ضرورية لتقدم الحياة ، ومحك دقيق يقيس رقى الإنسان وبحسب مدى ما وصل إليه من سعادة ويبين ما بقى عليه من أشواط ليصل إلى ذلك السرور السرمدى الذى ينبعث فى النفس من توافق حياة الإنسان مع حياة الله .

عبد العزيز محمد الزكى

في دنيا البطولات :

ثلاثة جاهدوا فصدقوا ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمي ؟ !
وإباء محلق بي عن الضيـ ـم كما زاغ طائر وحشي ؟ !
« الإمام الشريف الرضي »

لعلك — أيها القارئ — تخالني حين تقرأ هذا العنوان ، سأحدثك عن ثلاثة من أعلام الجهاد ، ممن تردد ذكرهم على ألسنة الناس ؟ لا يا أخي ! ما أنا وذاك ؟ إن لهؤلاء في مواطنيهم من يفي بطولتهم حقهاء وإن حديثي عنهم — لو فعلت — لا يجاوز أن يكون إلمامة عابر ، لمح في الأفق البعيد جبلا ، فهو يصف منه تهاويل ما خيل إليه ، دون أن يصل بيقينه إلى كنه مسالكه وشعابه !

إذن فما لي ولأولئك ! ودعني أحدثك عن ثلاثة عرفتهم بنفسي ، وصحبتهم عمراً من دهري . وقد جاهدوا فصدقوا في جهادهم ، حتى ارتقوا إلى مراتب البطولة ، إلا أنها صامتة متواضعة ، لم يتبعها زيف من الجلبة ، ولم يتقدمها بهرج من الرياء.

إن هؤلاء الثلاثة من القرويين ، وإن شئت فقل من (الفلاحين) ، على رأى مواطنيهم (من أبناء الذوات) ! وهم من ثلاث قرى مختلفة ، إحداها نكرة في القرى ، لا يصلها طريق ذلول ، إلا أن يكون انحداراً من شماف الجبال ، أو صعوداً من بطون الوديان . فاذا ما التمست إليها سبيلا ، كنت كمن يرق في السماء ، أو ينحدر في هاوية ليس لها قرار !

ولا يذهب بك الظن بعيداً ، فتخالهم من سواد الدهماء ! وإنك لتعلم أن الظلمة لا تمتزج مع النور ، وأن الجهل شر ضروب العمى ، وأن من عمى قلبه لا تستقيم له المسالك ، فهو يخبط خبط عشواء لا ينتهي بصاحبه إلى غاية . فلو لم يهذبهم العلم لما أدركوا معنى الجهاد ، ولو لم تصقلهم المعرفة لما استيقنت قلوبهم :

« إن حب الوطن من الإيمان .. »

فهم من أبناء الجامعات ، حملوا منها رسالة العلم ، ثم تقلبوا في الآفاق يؤدون هذه الرسالة وأخيراً هتف بهم الوطن فلبوا نداءه ، ثم عز عليهم أن يهجروه في محنته حين هجره الكثيرون من أبنائه . وكانت العاقبة أن سقط أحدهم شهيداً ولسان حاله يردد قوله :

وأهوى بمعفر وجهي ثراك قرباً وذلك جهد المقل !

وبقي الآخران مرابطين صابرين ، أحدهما يجاهد بقلق ، بعد أن ألقى من حوله السلاح ؛ والثاني مايزال في خطوط القتال ، يبذل حشاشته ، ويراوغ منيته . يدفعه أمل باسم يحمله على أن يردد في نجواه : « من طلب الموت وهبت له الحياة » .

أتذكر فيما مر بك أن شاعراً قتله بيت من شعره ؟ إنه المتنبي حين هتف به غلامه : « أتفر وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم ؟ »

فرد عنان جواده وقال : « بلى ؛ أنا القائل » ، ثم قاتل حتى قتل .. وإن هذا البطل الذي أسوق إليك نبأه قتلته (كذلك) أبيات من شعره ! أو تدرى كيف ؟ كانت جحافل (جيش الإنقاذ) تستعد للانسحاب من مدينة (الناصرة) ، ماخلا كتائب تنتثر هنا وهناك ، يقابلها العدو وجهاً لوجه . وكان ذلك الفتى يقود كتيبة منها ، وصمد هو ورفاقه في وجه العدو المنتصر ، حتى ضاقت عليهم السبل ، وكادوا يطوقون.

فالتفت إلى أصحابه يصدر أمره بالانسحاب ، فاذا بأحد المجاهدين يصيح في وجهه — وقد ألهبته سورة الجهاد — : وا ذلاه ! أتفر وأنت القائل : سأحمل روحي على راحتي .. ؟ » فأجاب — وقد أشرق في وجهه نور الشهادة — : « نعم والله ! أنا الذي أقول ذلك » ووثب من مكمنه يخترق حجاباً كثيفاً من الرصاص ، وهو يردد بصوت يسمعه من خلفه :

سأحمل روحي على راحتي وألقى بها في مهاوى الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتا ن ورد المنايا ونيل المنى
أرى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادي هو المبتغى
لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتاً كريماً : فذا !!

وسقط المجاهد البطل يلفظ أنفاسه وهو يردد عجز البيت الأخير : « ومن رام موتاً كريماً : فذا !! » وكان آخر ما تلفظ به قوله : « الحمد لله على الشهادة .. » . ولم يكن ذلك أول جهاد قام به ، فلقد كان له قبل ذلك جهاد طويل ، ولكنه في ميدان

آخر . فقد تولى التدريس زمناً فى كلية النجاح الوطنية بنابلس ، كما تولاه زمناً في العراق . فلقن طلابه دروساً فى (الوطنية) ، أضعاف دروسه فى اللغة والأدب . وكان له فى الصحافة المحلية ميدان لايفتأ ينثرفيه من آيات إبداعه شتى الألوان . وقد طوف فى الأقطار العربية المجاورة ، وتعرف إلى جماعة الأدباء فيها ، فأصبح بينهم علماً يعرفه القريب والبعيد . ومَنْ مِن أدباء فلسطين ومتأدبيها لا يذكر القصيدة العصماء التى استقبل بها الأمير السعودى يوم زار بيت المقدس . وكان أحد أبياتها قوله :

(المسجدالأقصى)أتيت تزوره ؟ أم جئته قبل الضياع تودعه ؟

لقد كانت تلك القصيدة — يومذاك - حديث المجالس ، وطرفة الأدباء . وكأنما تكشف له فيها حجاب الغيب ، فنظر من خلفه ما صارت إليه الأمور !

وإن لهذا الشاعر من ضروب القول ما يضيق عن سرده المجال (لو وصلت إليه يدى !) ، وحسبك أنه يقع فى دواوين ! ولا أدرى ماذا فعل الله بآثاره ، وإنى لأعلم أنها كانت لا تزال مخطوطة كلها .. ويحضرنى من غزله أبيات — له ما يفضلها — من قصيدة عنوانها (يا غادرة !) قال فيها :

روحى فقد راح الذى بيننا
كالبارح السالف ما أن يعود!

روحى ولا تأسى على حالتى وانسى مواثيقى وخونى العهود
لا تحملى من ذكر عهد الهوى إن الهوى صعب وحمل يؤدد !

روحى فقد راح الذى بيننا ..

إذا تلاقينـــا فلا تنظرى أرى وميض الغدر فى ناظريك
ولا تشـــيرى لى ولا تومئى وددت لو تقطع كلتا يديك !

روحي فقد راح الذى بيننا
فلعنة الحب وقلبي عليك ..

هـذا هو أحد الثلاثة المجاهدين ، بذل من أجل وطنه غاية ما يملك (وهو دمه !) وخلف من ورائه فى قرية (عنبتا) أطفالا ليس لهم عائل ، وأيما لم يترك لها تراثاً ، إلا أن تكون هذه البطولة الفذة ، تنشىء عليها صغاره ! ! ، فرحم الله الشهيد البطل (عبد الرحيم محمود) ...

يا أخى القارئ ؛ لست أزعم لك أن ما قام به هؤلاء الثلاثة بطولة نادرة ، وأعمـال خارقة يعجز عنها الآخرون من بنى الإنسان ! ولكنها مواقف كريمة ، تتمثل فيها الرجولة الصادقة ، ويطمئن إليها الخلق النبيل . وإنك لتسمع فى (مجالس) ، وتقرأ فى صفحات (كتب) ، الكثير عن (النجدة والحفاظ ؛ فزيد يأنف الضيم والعار ، وعمرو يأبى الذل والصغار) ! ولكنك حين تلتمس هذا الـ (زيد) ، أو تطلب ذاك الـ (عمرو) ، تجدهما — إلا أن تواتيك المصادفة العجيبة ! — قد تخلفا فى زوايا تلك (المجالس) أصداء تتردد ، وفى صفحات تلك (الكتب) مداداً تحتضنه سطور !!

أرأيت إذن أن الأعمال تقاس بما يحوطها من ظروف ، وأن الشاعر كان صادقاً كل الصدق حين قال : (وبضدها تتميز الأشياء) ! إنك — من غير شك — قرأت قول الطغرانى :

حب السلامة يثنى هم صاحبه عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

ولكننى لا إخالك لقيت من عبث الأقدار ما يقفك ذلك الموقف الذى يجعلك تحس (بنفسك) ما يريده الشاعر من (حب السلامة) ، كأنْ يخيرك بين أمرين : إما الحياة ، وإما الموت ! وإنه لاختيار عسير ، ندر أن تجد فى الناس من يتردد طويلا فى الانحياز إلى أحد شقيه ! ولعلك لا تعجب أن يختار (بنو الموت) شقه الأول ، فهذا هو الذى يحتمله — على علاته — منطقنا الصحيح أو السقيم لست أدرى !) وهل عسيتك — إن أنت وقفت حيال رجل فر من الموت — أن تستهجن ما صنع ؟ !

وعلى ذلك القياس نجد أن حب السلامة يتساوى فيه الناس جميعاً ، ومن هنا يمتاز من يزهدون فيه ، ويقدمون على الموت بمِلْء اختيارهم ، فى سبيل غاية سامية ، أو ثباتاً على مبدأ يعز عليهم أن يجاوزوا حدوده .. وكذلك كان أصحابى الثلاثة ، فقد أقدم أحدهم على الموت كما رأيت ، لأنه أحب أن يقول فيفعل ، وقال غيره (وهم كثيرون !) أبلغ من قوله ، ولكنهم آثروا العافية ، وهتف بهم (حب السلامة) فخفوا إليه راغبين مسرعين ، كأنما أرهف مسمعهم لندائه شاعريتهم البدعة ، فسمعوه قبل أن يسمعه أحد سواهم . وسرعان ما انتثروا بين القاهرة وبغداد (ومنهم من جاز البحر إلى قبرص) ، وجعلوا من هناك يحرضون الناس على القتال ! ولكن ذلك الأديب المجاهد ، ثبت لا يبرح مكانه متجاهلا (سلامته) ، فبذل حياته ثمن ذلك التجاهل ، وإنه لثمن لا يملك صاحبه أعز منه .

وقد فعل رفيقاه مثل ما فعل ، إلا أنه لكل أجل كتاب ! فهذا أحدهما تصبح قريته (قلقيلية) فى صميم خطوط القتال ،

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ ابراهيم البطراوى

قليل من المصلحين الاجتماعيين هم أولئك الذين يبحثون مشكلات الشباب بحثاً جدياً خالصاً لوجه الحق . وأقل من هؤلاء أولئك الذين يوفقون فى حل لا تتدخل فيه الأغراض الخبيثة ولا العناصر الذاتية التى تختلف وتتعدد تبعاً لاختلاف الأفراد وتعدد الجماعات .

والشباب بين هؤلاء وهؤلاء يضطرب فى مسالك الحياة حائراً لايدرى — وسط هذا التناقض الفكرى والمذهبى فى كل مظاهر الحياة تقريباً — لا يدرى ما يأخذ ، ولا يدرى ما يترك ، ولا يدرى ما يفعل ؛ ولكن لديه طاقة فتية يتأجج أوارها ولا بد له من استنفادها على أى وجه من الوجوه .

وإنا لنراه — برغم تعدد السبل التى يسلكها فى استجابته لرغباته ونزعاته — يصل إلى نتيجة واحدة هى (الشك) : الشك فى القيم والمثل ، لأنها لم تتكاتف فى الأخذ بناصره وتحقيق غايته ؛ والشك فى العرف والأوضاع ، لأنها تتجاهله فى أكثر الأحيان ؛ والشك فى السياسة ، لأنها تتماقه لنيل مآربها ؛ والشك فى كل شىء حتى فى نفسه ، لأنه أصبح لا يرضى عن شىء حتى عن نفسه : لهذا نراه قلقاً متبرماً بكل شىء ، ثائراً على كل شىء .

ويحاول المصلحون الاجتماعيون أن يعزوا هذه الظاهرة — ظاهرة الثورة فى الشباب — إلى عوامل فسيولوجية وسيكولوجية (معينة) يستغلها أرباب المذاهب السياسية والاقتصادية فى تحقيق غاياتهم بإثارتها بأنواع المثيرات المغرية .

ويبدأ أولو الأمر يعالجون المشكلة على هذا الأساس ، ولكنهم عبثاً يحاولون أن يصلوا إلى نتيجة .

وإنهم ليخطئون كثيراً حين يقدرون أنهم حصروا العلة فى هذه الدائرة الضيقة .

والواقع أن الأمر أعظم وأخطر بكثير مما نتصور ، بحيث تتضاءل بجانبه جميع الاحتمالات التى قدرنا حتى الآن : إنه يتخطى العوامل الفسيولوجية والسيكولوجية إلى ما وراءها : إلى تلك

فلا يضن بحياته على تلك القرية ، ويندفع فى سواد أبنائها يقاتل كما يقاتلون ، ويسعه ما يسعهم من شظف العيش وعنائه ، ثم يعدهم ألا يبرح مكانه بينهم ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا . ويحين له فرصتان ، إحداهما فى العراق والأخرى فى الشام ؛ ولكنه لا يحول عن عهده الذى قطع ، ليغتنم فرصة العمل — على حاجته إليه — بينما اغتنمها الكثيرون من زملائه ! وما زال الأستاذ (أحمد السبع) إلى اليوم هناك ، يرتقب ما الله صانع ، فحيا الله المجاهد الكريم ، فقد صدق الوعد وحفظ العهد !.

وذاك ثالثهم يعود إلى قريته « روقين » ، وهى التى حدثتك أنها : (نكرة فى القرى) ، بعد أن يجاهد حتى تغلق فى وجهه مسالك الجهاد ، ويقبع فيها إلى أن تحل تلك الليلة المشؤومة ، ليلة سقوط مدينة اللد ، وهى منها على غلوة أو غلوتين . (ومنذا الذى لم يسمع بكارثة اللد وجارتها الرملة ؟) وينطلق أهل القرية يعدون العدة للجلاء ، ويتفقون على ذلك جميعاً كبيرهم قبل صغيرهم ؛ ولكنه هو وحده يعارضهم فيما اتفقوا عليه ، ويعلن لهم أنه لن يبرح مكانه حذر الموت ، ولن يسلمه ما دام فيه عرق ينبض ! فثبت بقوله خائر العزائم ، فلم يبرح أحد بيته !

وما زال هذا الأستاذ الفاضل هناك ، يصدر جريدته (البعث) على مقربة من هذه القرية ، ويضرب صفحاً عما يعرض له من فرص ، وإن اختصاصه النادر يضاعف الحاجة إليه ، وإن آثاره العلمية بين مخطوط ومطبوع ، تدل على سعة اطلاعه فى موضوعه الذى انصرف إلى التخصص فيه ، ولكنه لم يستغل السانحة التى استغلها سواه ، وذلك ثباتاً منه على مبدئه الذى أنف أن يحول عنه — على رغم ما حاطه من سيئ الظروف — وقليل ما ألثك !

لقد سبق أن تحدثت فى (الرسالة الزاهرة) عن هذا المجاهد ، وأتيت على ذكر آثاره مفصلاً حين تحدثت عن ذوى الآثار العلمية فى موضوع (الأدب فى فلسطين) منذ عام . وذلك هو الأستاذ (عبد الله الريماوى) ، ثالث ثلاثة جاهدوا فصدقوا ، فحق لى أن أسجل جهادهم الصامت ، وأنا أردد فى أعقاب ما سردت قول الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

محمد سليم الرشدان
« ماجستير فى الآداب واللغات السامية »

الحواجز القوية التي تضبطها وتمنع انفجارها وانحرافها ، بل وتحول بينها وبين الاستجابة لأي مؤثر في غير ما رسم لها .

نعم ، إن الاتجاه يهدف إلى ما وراء هذه الجزئيات ، إلى الكليات ، محاولا القضاء عليها حتى لا يكون ثمة شيء يقف في سبيله بعد ذلك . هذا الشيء الذي يخشاه أرباب المذاهب السياسية والاقتصادية ، ويحسبون له ألف حساب ، متحينين كل فرصة وكل وسيلة للقضاء عليه ، هو (الدين) . ويتذرعون بمختلف الحيل والأحابيل لإلغاء فطرة الله : تارة باسم الحرية الفردية ، وتارة باسم الأدب والفن ، وتارة باسم العلم والفلسفة ، وتارة باسم الوجودية ، وتارات بإشاعة الفجور ومغرياته بمهوناته من الحاديات وأشياء يزعمون أنها طابع العصر وعنوان المدنية !

والشباب موزع يحس صراعاً في ذات نفسه — من حيث يدري أو لا يدري — بين هذه الفلسفات والمثيرات ، وبين ما ورثه من حقائق الدين ، وعقائد الألوهية ، ومواضعات العرف . ونتيجة لهذا تتشتت قواه وتنقسم شخصيته بين عاملي الشك واليقين ، وثمّ تتملكه الهموم ويتنازعه الشقاء ، وما يستتبع ذلك من نزعات منحرفة قد تودي بحياة الشاب في بعض حالاتها . وأظننا ما زلنا نذكر تلك النزعة الرومانتيكية التي طغت على أوربا حيناً فنشيتها آنئذ موجة الانتحار المشهورة ، والتي هونت على الشاعر الألماني الفيلسوف جوته سبيل الانتحار تخلصاً من يأس الشك ، حتى يرى ما ذا يكون وراء الطبيعة ، أحقيقة هو أم كذب بقوله لنفسه : « لتقتحمي الطريق الذي يوصلك إليه حتى ولو اعترضتك نيران الجحيم المتسعرة » ... لولا أن تداركه لطف الله . وربما يحدث غير ذلك ، فينغمس الشاب في الشهوات تخلصاً من آلامه حتى يهلك . وما إلى ذلك من مآس لا يسمح المقام بذكرها .

ولكن أين إذن موضع الحق من ذلك كله ؟

هذا ما سنحاول الكشف عنه فيما يلي :

رأينا فيما سبق كيف أن الاجتماعيين جانبهم التوفيق في تلمسهم أسباب الثورة عند الشبيبة في حدود العوامل الفسيولوجية والسيكولوجية ليس غير ؛ فتورطوا في غلطة لن يغتفرها التاريخ لهم أبداً ، وهي نصحهم بالعلاج السيكولوجي لنفسيات الشبيبة ، فما ذا ترون إذن يكون هذا العلاج ؟

لا شيء عند السيكولوجيين غير حل العقد الفرويدية وما إليها بالطرق التي نعرفها جميعاً ، وغير تجنب عوامل الكبت بما يسمونه (التنفيس) ؛ وفي سبيل هذا التنفيس يهون كل مرتخص وغال .

ويجب قبل كل شيء أن نعرف أن الحياء مرض نفسي ، ولا يمكن أن تكون النفس كاملة إلا بإزالة هذا المرض الخطير (يعني بقلة الحياء) !

ومن أجل التنفيس لا بأس عندهم من إباحة شيء من المحرمات (ولكن في حدود الاعتدال) هكذا يقولون ! ومن عوامله في الغريزة الجنسية مثلا الاختلاط والرقص وترويج الوريقات الخليعة التي تسير على مذهب الصراحة الجنسية ، وما في هذا المعنى الفاجر .

وكأن لسان حال السلطات يقول : إن لم تكن هذه الأشياء مجدية ، فهي على كل حال ملهية ! إي والله ! إن هذا هو ما حدث !

ويل لهؤلاء المحترمين[1] إن سكتوا بعد اليوم عن هذه الحال وظلوا هكذا متشبثين بذنب الحية دون رأسها !

ألم يعلموا أن في هذا العلاج الجنسي والنفسي إشاعة للفجور ، وأن ترويج المفاسد والفجور هو أفعل سلاح قضى على العقائد والمبادئ حتى الآن ؟!

والقانون الذي يمكن أن نستنتجه من استقراء حوادث التاريخ قديمها وحديثها هو [أن الثورات وليدة الفجور والإباحية التي هي معول الأديان والعقائد] . وإن أصحاب المبادئ السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تنتسم مبادئهم الحياة إلا عن طريق هذا الذي استنتجناه الآن وسميناه — ولو على سبيل المجاز — قانون الهدم الاجتماعي .

والقاعدة التي نستخلصها من تطبيق هذا القانون هي أن كل ملحد أو داع إلى الإلحاد لا يمكن أن يكون غير واحد أو أكثر من هذه الثلاثة : (استعماري ، إباحي ، مغفل كالقرد لا هم له إلا أن يقلد ، فهم أو لم يفهم) . ولا يجوز أن يتعدى الملحد بأي حال هؤلاء الثلاثة .

تلك مقدمات لا بد منها لكي نعرف هل الملحدون الذين بلبلوا أفكارنا وورطونا في هذه الأزمات النفسية الخطيرة — يؤمنون حقاً بمبادئهم تلك ، أم أن لهم غايات أخرى وراء ما يظهرون ؟

وإذا كانوا هم لا يؤمنون بهذه النظريات ذاتها إلا بقدر ما تحقق لهم من أغراض كما أثبت التاريخ على نحو ما رأينا ؛ فواضيعة

---

(١) الذين يشيرون بالعلاج السيكولوجي دون غيره .

أعمارنا وزهرة شبابنا فى شىء ليس له حق عند أصحابه وجود ! على أننا متى عرفنا هذا وتيقناه؛ فلن تسحرنا أقوالهم ولن نقع — بعد اليوم — فى شباكهم، وكفانا بهذه المعرفة العاملة سعادة !

والآن يبدو لى أننا بحاجة لأن نمتطى الزمن لحظات عبر التاريخ فى سياحة علمية نلم فيها إلمامة قصيرة بشىء من ختل هؤلاء الممثلين البارعين :

هذه هى فرنسا ظهر فيها فولتير وروسو « باسم حماة العدل، ورافعى الظلم، ودعاة الحرية بإنارة الفكر، وهداية العقول » .

وبدأ راهبا (الحرية) هذان ينشران مبادئهما التى تتلخص فى تسفيه الأنبياء وإنكارهم الألوهية بزعم أنها خرافات . وأن الدين الحق هو دين الطبيعة الحرة، والمعبود الحق هو الشهوة ...

وبذلك حدثت المآسى الخلقية التى يذكرها التاريخ خجلا، والتى رأينا صورة منها فى اعترافات روسو نفسه .

وعلى أثر تسمم الناس بهذه الآراء قامت الثورة المعروفة على أنقاض الدين .

وهذه هى الروسيا لم تتمكن فيها مبادىء ماركس من الوجود إلا على أساس الشيوعية الإباحية التى أعقبتها الثورة على الدين والنظم السياسية والاجتماعية والقضاء على ذلك كله .

والأمثلة تفوق الحصر ولكن ليس هذا محلها : إنما اقتصرت على مثالين حديثين يذكرهما ويعرف تفاصيلهما كل منا، وإن التاريخ أجمع من أوله إلى آخره هو حجتى وبرهانى على صدق الأرقام التى ذكرت : فما من صاحب مذهب إلحادى إلا وله قصد غير الإلحاد فى ذاته .

أما فى الأمم التى لم تنضج ثقافتها فإنى أصدق أن فيها من يلحدون إخلاصاً للالحاد فى ذاته، أو لأن الإلحاد قال به ديكارت أو فلان من الناس، أو للاشتهار بالمخالفة ...

ويعلم الله أنهم — على حسب مقاييس سادتهم الغربيين — لا يفهمون من معانى هذه الألفاظ التى يتشدقون بها غير أسمائها، وأن هذا التقليد الجاهل فيما يضر ولا يفيد — إن دل على شىء — فليس إلا على أحط دركات الانحطاط الخلقى والعلمى

أما الذين يدعون إلى الشك بدعوى العلم لأن ديكارت قد قال به فى يوم من الأيام، فلست أدرى إن كانوا يفهمون حقاً منهج ديكارت ذاك، هل شك ديكارت فى الأديان وفى العلوم وفى التاريخ وفى كل قديم لأنه قديم وكفى ؟ وهل كان يصل إلى نتيجة لو أنه قدر وحدث هذا ؟

ومهما يكن فياليت هؤلاء فعلوا ما فعل ديكارت؛ إذن لكنا جنينا من ورائهم خيراً كثيراً كما جنت العلوم بل والأديان من نهج ديكارت هذا الذى يضللون به السذج ممن لم يعرفوا حقيقته

« جاء فى الجزء الثالث من دائرة معارف Chambero :

« من قواعد فلسفة ديكارت أن ما وجد فى الذهن واضحاً جلياً فهو حق يجب أن يسلم به تسليما » أين هذا من قولهم بالشك فى التاريخ والدين وفى كل قديم لأنه قديم وهذا حسبه ؟ « لم تكن عظمة ديكارت راجعة إلى أنه شك؛ ولكن إلى أنه اهتدى بالبحث إلى طريق وصله إلى اليقين » « على أنه حين أخذ الشك يساوره كان غلاماً ناشئاً لم يجاوز سنه العشرين (ولما يتم دراسته الجامعية) فشكه حينئذ لم يكن ليحتج به »

ولكنه على كل حال بحث وجد فى بحثه حتى توصل إلى أن قال كلمته المشهورة « أنا أشك فأنا إذن موجود » ثم قال بعد ذلك « إنى مع شعورى بنقص ذاتى أحس فى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة، وأرانى مضطراً إلى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذاتى تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهى الله »

وقد اعتذر ديكارت الكهل نفسه عما بدر منه أيام الشباب برسالة صغيرة أخرجها للناس فى سن الأربعين بين فيها كيف تخلص من أزمة الشك إلى اليقين بهذه الطريقة العلمية الرائعة التى يعرفها التاريخ باسمه عنوانها (مقال فى الطريقة).

ومن أهم مبادئها كما شرحت فى دائرة المعارف البريطانية

إننا لا نقبل شيئاً ولا نسلم به ما لم يختبره العقل اختباراً دقيقاً ويتحقق من وجوده بما ليس فيه أدنى ريب؛ فكل ما كان مصدره الحدس والتخمين يجب رفضه ونبذه قطعاً .

يجب أن يكون بحثنا على الترتيب الآتى من البسيط إلى المركب ومن الصعب إلى الأصعب .

ومن أهم شروط صحة البحث ألا نحكم بصحة رأى أو مقدمة أو خطأ حتى نتحقق من ذلك بالامتحان .

ولو أننا طبقنا هذه الحقيقة على ما يرجف به السادة المشككون باسمه، لقضت على آرائهم فى مهدها، ولاستراح الشباب والشيوخ من سفسفاتهم وترهاتهم ...

(للكلام صلة) إبراهيم البطراوى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

شاعرة حائرة تسأل عن الفن والحياة :

أحييك وأهنئك ، فقد سموت بفن النقد الذى لم نكن نعرف عنه سوى أنه إما مدح أو تملق يحط من كرامة الكاتب ، وإما ذم وتحقير متعرض لا هوادة فيه ولا رحمة ... لقد أعجبنى وأقلقنى مقالك عن الأستاذ توفيق الحكيم تحت عنوان « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » ، ولكنه لسوء الحظ ساءنى وأفزعنى !

لقد قرأته مراراً ثم قلت لنفسى : إذا كان إنتاج الأستاذ الحكيم قد تأثر بسبب انطوائه على نفسه وابتعاده عن الحياة ، وإغلاقه « تلك النافذة المفتوحة التى كان يطل منها على ميدان الحياة الفسيح المترامى أمام عينيه » ، إذا كان هذا قد حدث مع الأستاذ الحكيم فكيف آمل أنا أن أكون شاعرة ناجحة ؟! أنا ربيبة الانطواء المرير والعزلة الطويلة ، أنا التى لم أر العالم ولم أعرف المجتمع إلا عن طريق الصحف والكتب والخيال !

لقد كان كل أملى فى الحياة أن أتعلم إلى آخر مرحلة من مراحل التعليم ، ولكننى حين أتممت تعليمى الثانوى فوجئت بوحش ضار اعترض طريقى إلى الجامعة وقال بصوته الرهيب : إلى أين أيتها الحالمة ؟ قلت : إلى الجامعة . قال : حذار وإلا أشقيت أسرتك ، ألا تعلمين أن سلطانى عليهم عظيم ؟ وأننى سأقلق مضاجعكم جميعاً إذا لم تتبعونى ؟ وسألته واجفة خاشعة : ومن أنت أيها السلطان الجبار ؟ قال : أنا سلطان التقاليد ! تفقدت الوجوه الواجمة من حولى وعز على وجومها ، وقلت لن ألتحق بالجامعة ولأ كن كبش الفداء ... وما أنا بأول ضحية من ضحايا التقاليد ولم تثن تلك المحنة القاسية من عزيمتى وداومت على القراءة ليلا ونهاراً ...

وأخيراً أخذت الغيوم الكثيفة تنقشع عن سمائى ، وأذن لى بنشر شعرى بالجرائد اليومية . ولكننى ما كدت أشعر بالسعادة وبأن حلم حياتى قد تحقق حتى هب الكثيرون والكثيرات يهيبون بى أن أترك انطوائى وعزلتى ، وأن أخرج إلى المجتمع وأن أتردد على زيد وعبيد من كبار الكتاب والشعراء . وقيل لى إن لم تفعلى ذلك فسينحط إنتاجك وينضب معينك ! . ومما زاد فى شقوتى وارتباكى وكاد يطيح بى إلى هوة سحيقة من اليأس القاتل ما أقرأه لك حول هذا المعنى فى هذه الأيام . فهل من المحال أن يكون الأديب أو الشاعر قديراً ناجحاً ما دام منطوياً على نفسه بعيداً عن دنيا الناس ؟ وهل الكتب لا تكفى ولا يمكن أن تكفى ليكون الإنسان مثقفاً كما يقول الدكتور مندور ؟

إذا كانت هذه هى الحقيقة فيا لمرارتها ويا لقسوة المقادير ويا لظلم التقاليد ! . إذا كانت هذه هى الحقيقة فسلام على وفى ذمة الله آمالى وأحلامى ومستقبلى الأدبى الذى حلمت به السنين الطوال !

إن رجائى الحار هو أن تجيب عن هذين السؤالين على صفحات مجلتى الحبيبة « الرسالة » ، ولست أدرى لماذا أشعر شعوراً قويا أنك لن تخيب رجائى ولن تهمل الرد على .

شاعرة حائرة

إنسانة فنانة ، وشاعرة حائرة ... وكلمات أحس فيها لوعة القلب وألمس حيرة القلم ، وأكاد أشم رائحة الدموع ! وأعود بذاكرتى إلى الوراء أستعرض ما قرأت من شعر على صفحات الجرائد اليومية ، عسى أن أضع يدى على مفتاح هذه الشخصية المجهولة التى تعرض على قضيتها فى انتظار الجواب ... وقد يسأل سائل عن سر هذا الاهتمام فأقول له : إنه شغف الملكة الناقدة بتتبع سير الحياة الأدبية ، والكشف عن ظواهر هذه الحياة ، والربط بين شخصية الكاتب وما كتب !

وأقف بالذاكرة طويلا عند صحيفة من صحف المساء ، لأسترجع عن طريق التمثل الفكرى بعض ما كنت أقرأ فيها من شعر لآنسة مجهولة .. آنسة كانت ترمز إلى شخصيتها بالحروف الأولى من اسمها ولا تزيد ! لماذا لاتفصح عن اسمها صاحبة هذا الشعر؟ لماذا أحس فى روحها هذه الهوبعات التى يئن فيها النبض وتختنق العاطفة ؟ لماذا تهب على من شعرها رائحة الفن السجين ؟ لماذا تحلق بخيالها فى أفق يغلب فيه الضباب على الإشراق ؟ أسئلة لم أكن أجد لها غير جواب واحد أطمئن إليه ، هو أن صاحبة هذا الشعر إنسانة منطوية على نفسها قد فرضت عليها التقاليد أن تبتعد عن الحياة ! .

وكم قلت لنفسي : هنا أقباس من وهج الشاعرية ولكن لماذا تطل من تحت الرماد ؟ وهنا جناح يملك القدرة على التحليق ولكن لماذا تحد الرياح من رفاته ؟ وهنا روح تود أن تنطلق ، ولكن لماذا ألح في انطلاقها أثر القيود والأصفاد ؟! هذه الخواطر التي كانت تجيش في النفس منذ حين قد ردتني إليها اليوم رسالة الشاعرة الحائرة ، وجعلتني أتساءل بيني وبين نفسي: ترى أتكون صاحبة هذه الرسالة التي تلقيتها منذ أيام هي صاحبة الشعر الذي طالعته في إحدى صحف المساء منذ أسابيع ؟ إن الروح هي الروح ممثلة في التحدث إلى الحياة والناس من وراء حجاب ، وإن اللوعة هي اللوعة مصورة في شكوى التقاليد وظلم التقاليد ... رباه ، هل يقدر لهذه الإنسانة الفنانة أن تحطم قيودها يوماً ما ، وأن تستشعر حرارة الحياة كما يستشعرها كثير من الأحياء ؟!

إنها تسألني هل من المحال أن يكون الأديب أو الشاعر قديراً ناجحاً ما دام منطوياً على نفسه بعيداً عن دنيا الناس ؟!

إن الجواب يا آنستي هو أن الفن بعيداً عن الحياة جسد تنقصه الحركة ، وفكرة يعوزها الروح ، ولوحة تخلو من الأضواء والظلال .. والفن كما قلت غير مرة ما هو إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور ، ولن يتحقق الصدق في الفن ما لم يستخدم الفنان كل حواسه في تذوق الحياة : يرقب ، ويتأمل ، ويهتك الحجب ، وينفذ إلى ما وراء المجهول . فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفني فهو الفنان ... وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما في القلب الإنساني من نبض وخفوق فهو الفنان الإنسان . وعلى مدار القوة والضعف في خفقة القلب ودفقة الحياة يفترق العمل الفني عن مثيله في كل فن من الفنون !

الحياة يا آنستي هي المنبع الأصيل لكل أثر من آثار الفن يترك ظله في النفس وبقاءه على الزمن . في أدب الكاتب ، في شعر الشاعر ، في لحن الموسيقار ، في لوحة الرسام ! لتكن الحياة نقمة أو نعمة ، لتكن مأساة أو ملهاة ، لتكن ألماً أو لذة ، لتكن دمعة أو ابتسامة . حسب الفن أن يعبر عن الحياة فيصدق في التعبير ، وحسبه أن يترجم عن رؤية العين وإحساس القلب فيسمو بالأداء ! « أدولف » لكونستان ، « آلام فرتر » لجيتة « مانون ليسكو » لبريفوست ، « رفائيل » للامرتين ، « البعث » لتولستوي ، « نانا » لإميل زولا ، « أرض الميعاد » لأندريه موروا « الباب الضيق » لأندريه جيد ... كل تلك الآثار القصصية وما يماثلها في أدب الغرب قد تنفست فيها الحياة فعبقت بعطر الخلود .

آلام بتهوفن التي صبها في أنغامه خالدة لأنها من الحياة ، لذات بايرون التي تدفقت في أغنياته خالدة لأنها من الحياة ، دموع هاينى التي ترقرقت في أناته خالدة لأنها من الحياة ... وقولي مثل ذلك عن بسمات جورج صاند وتشاؤم ليوباردي وصرخات بودلير

وإذا ما تركت الأدب والشعر والموسيقى إلى التصوير ، فهناك لوحات كتب لها البقاء ما بقيت الحياة التي ألهمت الريشة المبدعة وأوحت إلى الخيال الوثاب ... ترى هل سعدت بالوقوف لحظات أمام « الجيوكندا » لدافنشي ، و « الربيع » لبوتشيللي و « الخريف » لهالي نوبل و « الحرية تقود الشعب » لدلاكروا ، و « وحي الشاعر » لبوسان و « حارس الليل » لرمبرانت و « نجوى الراعي » لبوشيه و « الينبوع » لآنجر ؟

الحياة يا آنستي هي الدعامة الأولى التي يقوم عليها كل بناء فني جدير بالخلود ... هي النهر الجبار المتدفق وكل ما عداه روافد هي البذرة النادرة التي تنشق عنها تربة الفن فإذا الغصن المزهر والثمرة الناضجة !

وتسألينني هل الكتب لا تكفي ولا يمكن أن تكفي ليكون الإنسان مثقفاً ؟ ... إن جوابي عن هذا السؤال هو أنها لا يمكن أن تكفي لسبب واحد هو أن ثقافة من هذا الطراز يشوبها النقص ويعتريها القصور ؛ لأنها تفقد عنصراً خطيراً هو عنصر التطبيق على الحياة ! كيف تستطيعين أن تتذوقي آثار الفن وأنت بعيدة عن منابعه ؟ وكيف تستطيعين أن تحكمي على نتاج القرائح وليس بين يديك قاعدة ولا ميزان ؟ إن الثقافة يا آنستي ليست قراءة فحسب ، ولكنها فهم وتذوق وهضم وتطبيق واستيعاب ... وحياة من وراء هذا كله تعين الذهن على الإحاطة ، وتسعف الحواس على التوهج ، وترفع من قيم المواهب والملكات !

معذرة يا آنستي فهذه هي الحقيقة ... ومع ذلك فلا موجب لهذا اليأس الذي ألهب مني الشعور في كلماتك ، إنني أشعر شعوراً عميقاً بأن القيد سيتحطم يوماً ما ، وعندئذ يمكنك أن تستشعري حرارة الحياة كما يستشعرها كثير من الأحياء !

رأي في مقدمة « أوديب الملك » حول الفلسفة الإسلامية :

كتب الأستاذ سيد قطب — رد الله غربته في الوطن والروح — كتب في عدد « الرسالة » الماضي موجهاً حديثه إلى الأستاذ توفيق الحكيم : « فكرة أريد أن أصححها عن « الفلسفة الإسلامية » كما يصورها ابن رشد وابن سينا والفارابي فقد ألمت بهذا في بحثك الممتع الطويل . إن هذه الفلسفة قد تصح تسميتها « الفلسفة الإسلامية » بمعنى أنها وجدت في أرض إسلامية على يد أفراد مسلمين . ولكن يكون من الخطأ العميق اعتبارها « فلسفة الإسلام » ، وقد آن أن نصحح هذه الغلطة القديمة الحديثة ! إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة إن هي إلا انعكاسات الفلسفة الإغريقية في ظل إسلامي . وهي لا تبلغ أن تصور الفكرة الكلية للاسلام عن الكون والحياة والإنسان . هذه الفكرة الخالصة الكاملة المتناسقة » !

معذرة يا صديقي إذا قلت لك إن هذه الفكرة عن « الفلسفة الإسلامية » قد صححت في أحد أعداد (الرسالة) منذ ثلاثة أشهر عند ما تناولت بالنقد مقدمة « أوديب الملك » في « التعقيبات » ولقد قدر لهذه الغلطة القديمة الحديثة أن ترد إلى الصواب في هذه الكلمات التي لم تطلع عليها لبعدك عن أرض الوطن حيث قلت : « ثم يقول الأستاذ الحكيم في موضع رابع إن فلاسفة العرب قد صبغوا آثار أفلاطون وأرسطو بلون تفكيرنا وطبعوها بطابع عقائدنا ... في رأيي أن شيئاً من هذا لم يحدث ، إن كل ما فعله فلاسفة العرب هو أنهم نظروا في الفلسفة اليونانية فنقلوا بعض ما فيها من آراء ومذاهب نقلا يحفل بالخلط والتشويه ؛ ذلك لأنهم حاولوا أن يوفقوا بين تعاليم الفلسفة اليونانية وبين تعاليم الدين الإسلامي فكانت محاولة انتهت بأصحابها إلى الإخفاق . أما الإخفاق فرجعه إلى بعد الشقة بين العقلية اليونانية والعقلية العربية من جهة ، وبين منهج الفلسفة اليونانية ومنهج الديانة الإسلامية من جهة أخرى ... ومن هنا كانت الفلسفة الإسلامية خليطاً عجيباً من أفكار مضطربة لا تقترب كثيراً من الدين ولا من الفلسفة »

بقي أن أبعث إليك بعاطر الشوق على صفحات « الرسالة » وبخالص الشكر على تفضلك بإهدائي كتابك الجديد القيم عن « العدالة الاجتماعية في الإسلام » .

ثلاثة كتب لأحمد الصاوي محمد :

صديقي الأستاذ أحمد الصاوي محمد رجل وهبه الله قدرة على الإنتاج لا تحد ، واستجابة لدعاء القلم لا تنتهي ، وجلداً على إرهاق العمل لا يعتريه وهن ولا فتور ؛ فهو لا يكاد يفرغ من كتاب يقدمه إلى القراء حتى يدفع إلى المطبعة بكتاب آخر ... أستغفر الذاكرة بل بكتب أخرى تنقل إلى الشرق كثيراً من روائع الغرب!

من هذه الكتب التي ظهرت له منذ قريب « كفاح الشباب » و « مآسي الشباب » و « زواج الشباب » ، ومن قبلها بضعة وعشرون كتاباً في شتى ألوان الأدب والفن ... وبهذا الإنتاج الضخم يشارك الصاوي في بناء نهضتنا الثقافية بدعائم من الجهد الأدبي الجدير بالإعجاب .

وكتب اليوم الثلاثة التي تعرض لكفاح الشباب ومآسيه صور من الحياة وللحياة ... يصبها الصاوي في قالب قصصي ممتع يحتفظ بروح الواقع المحس ، داخل إطار من طلاوة العرض والتحليل والأداء . هي فصول نشرها في « أخبار اليوم » يوم أن كان يدرس مشكلات الشباب من رسائلهم إليه ، ليقدم العلاج في رأي يدلي به أو نصح أو مشورة ؛ ومن هنا جاءت هذه المجموعة التي تنتظم كتباً ثلاثة هي « كفاح الشباب » و« مآسي الشباب » و « زواج الشباب » ، جاءت كما يقول الأستاذ الصديق في مقدمتة : « أسطع نبراس للشباب المتطلع لحياة أفضل وأنفع وأكرم ، وأثمن مرجع للمصلحين الحريصين على توجيه شباب الجيل وتقويمه ونفعه ليكون جديراً بوطنه » .

مشكلة في حياتنا الأدبية :

يقول الأديب الأسكندري الفاضل عمر عبد السلام مجاهد في رسالة بعث بها إلي : « يا أخي في يدك قلم وفي كتابتك عمق وحياة ، فلماذا لا تخرج كتاباً في الأدب أو الفن أو النقد تمدنا فيه بمثل هذه الأفكار التي تطالعنا بها في مقالاتك وتعقيباتك ؟ إن هذه الرغبة ليست رغبتي وحدي ولكنها كما أعتقد رغبة الكثيرين من المعجبين بك » .

أود أن أجيب الأديب الفاضل بعد شكره على حسن ظنه وجميل رأيه بأنني قد فكرت في هذا الأمر أكثر من مرة ، ولكنني اقتنعت أخيراً بأن الإحجام خير من الإقدام ، لماذا ؟ هذه هي المشكلة التي سأتناولها في الأسبوع المقبل بالعرض والتحليل ؛ وهي مشكلة لا تتعلق بي ولكنها تتعلق بهذا الجيل من القراء !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عيسى بن هشام يبتذل في الإذاعة :

أشرت في الأسبوع الماضي إلى القضية التي ستنظر أمام محكمة مصر الكلية يوم ١٣ يونيه القادم بشأن التمثيليات التي تذيعها محطة الإذاعة بعنوان «عيسى بن هشام» وقد رفع الدعوى إلى المحكمة خليل المويلحي بك شقيق محمد المويلحي بك مؤلف كتاب «عيسى بن هشام أو فترة من الزمن» مطالباً وزير الشؤون الاجتماعية ومدير الإذاعة ومؤلف التمثيليات ومخرجها ، بأن يدفعوا إليه ألف جنيه متضامنين .

وقد بدأت قصة هذه المسألة في سنة ١٩٤١ حينما عرض الأستاذ أحمد شكرى على خليل المويلحي بك أن يصرح له باقتباس تمثيليات إذاعية من الكتاب ، فوقع له بالتصريح ، ولكنه لما سمع التمثيلية الأولى رأى أنها مسخت مقاصد مؤلف الكتاب ، إلى أنها أعدت باللغة العامية المبتذلة ، فألغى ذلك التصريح ، وأفضى بالأمر إلى الدكتور طه حسين بك — وكان إذ ذاك المستشار الفني للاذاعة — فمنع الدكتور الاستمرار في هذا العمل . وفي سنة ١٩٤٨ استأنفت الإذاعة تلك التمثيليات ، وراح المذيع يقول في عبارته التقليدية : «محمد الغزاوي يقدم عيسى بن هشام تأليف أحمد شكرى وإخراج محمد الغزاوي ... الخ» فأرسل شقيق المؤلف الحقيق إلى الإذاعة يطلب عدم إذاعة التمثيلية والكف عن التمادى في هذا التصرف . ولكن الإذاعة استمرت تذيع حلقات متتابعات تدور حوادثها على ما تضمنته قصة الكتاب مع تشويه الأهداف الأدبية فيه وابتذال اللغة ، ففي إحداها إزراء بالمنيكلي باشا بطل قصة الكتاب ، من أحد (الخواجات) مما لا يتفق مع تصور المؤلف الأصيل لهذه الشخصية ، وفي إحداها تقول امرأة في المحكمة الشرعية للباشا : (يا منيل على عينك ... يا مدهول ..)

وهكذا إلى هذه الحال يصير ذلك الأثر الأدبي القيم الذي يعد المحاولة الأولى للقصة المصرية الحديثة الأصيلة ، بل هو في رأى التاريخ الأدبي المعبر من المقامة إلى القصة في عصرين من عصور الأدب العربي .

ولنفرض أن الإذاعة ليس فيها أدباء يعرفون مكان «عيسى ابن هشام أو فترة من الزمن» وعلى هذا أذاعت مراراً أن مؤلف «عيسى بن هشام» هو أحمد شكرى ، ولكن ما بالها تستمر في ذلك وقد علمت وعلم مديرها — من الخطاب المرسل إليه ومن الاتصالات التي حدثت من أجل الموضوع والتي احتج فيها المدير بالتصريح السابق — أن مؤلف «عيسى بن هشام» هو كاتب مصرى كبير اسمه محمد بك المويلحي — ما بال الإذاعة وقد علمت ذلك لا تزال تعلن أن المؤلف هو أحمد شكرى بعد أن تعلن أن الغزاوي يقدم .. ؟ وكيف تستبيح الإذاعة ومن يعملون فيها الحقوق الأدبية العامة — بصرف النظر عن حقوق الورثة المادية — فتحيل الأدب الرفيع إلى كلام مرذول ، والفن العالي إلى بضاعة مما تزجيه إلى الناس ... ؟

تمثيل كريمات الرسول :

طلبت جمعية الشبان المسلمين من محطة الإذاعة ، إذاعة مسرحية تمثلها على مسرحها ، فاطلعت المحطة على المسرحية فرأت فيها مشهداً تظهر فيه شخصيات تمثل بعض الصحابة وآل الرسول وخاصة فاطمة الزهراء ، فأرسلت إلى فضيلة مفتي الديار المصرية تستطلع رأيه فيها قبل إذاعتها ، فرأى فضيلته أنه لا يليق إطلاقاً أن تمثل شخصية فاطمة الزهراء أو يسمع الناس ممثلة تتحدث باسمها .

وقبل ذلك أذاعت المحطة تمثيلية قصيرة اسمها «زينب وأبو العاص» ونشرت مجلة آخر ساعة صور هذه التمثيلية وهي تمثل في دار الإذاعة ، ومن بينها صورة زوزو حمدى الحكيم تمثل شخصية زينب بنت رسول الله ... فلماذا لم تستفت الإذاعة فضيلة المفتي قبل إذاعة تمثيليتها وقبل الإذن بنشر صورها في المجلة ؟ وهل يا ترى تمنع إذاعة «تسجيلها» ؟

مظاهر النشاط المدرسي مظاهر فقط :

نحن الآن في أواخر العام الدراسي وقد حفل الشهر الأخير

كما يحتفل كل عام، بمظاهر النشاط المدرسى أو بالحفلات النهائية لهذا النشاط، من تمثيل وألعاب ومعارض فنية وغير ذلك ...

ويبذل المشرفون على المداوس جهداً كبيراً فى ذلك، ولكن هل تتجه هذه الجهود نحو الفائدة التربوية المتوخاة من هذا النشاط أو هى تتسرب نحو أغراض أخرى ؟

لا أنسى منظر ذلك الناظر الذى رأيته فى مكتب أحد رجال الوزارة الكبار، وهو يتحرق شوقاً إلى تشريف الكبير حفلة التمثيل التى ستقيمها المدرسة، إنه يلح على السكرتير فى طلب الإذن له، وكل ملامحه تنطق بالأهمية القصوى التى يعقدها على حضور الشخصية الكبيرة حفلة المدرسة. إن الرجل يبغى الظهور بالقدرة والنشاط أمام الرؤساء، وتصور ما وراء ذلك وما سبقه من إعداد.

هؤلاء نفر من الطلاب اختارهم المشرفون لتمثيل الرواية التى تعتزم المدرسة تقديمها على أحد المسارح فى آخر العام، وعكف المدربون — وقد يختار بعضهم من خارج المدرسة — على تدريبهم، وكثيراً ما يحتاج الأمر إلى ترك الحصص والدروس للقيام بهذا التدريب فى الوقت الذى يستعد فيه جميع الطلاب للامتحان آخر العام. والنتيجة هى أن تنجح الحفلة ويتباهى الناظر. أما الطلبة فسبعة أو ثمانية منهم دربوا على التمثيل تدريباً شاغلا عن بعض الدروس، وباقى الطلاب كل غنمهم مشاهدة التمثيل ...

وهذا معرض يشتمل على أعمال فنية تنسب إلى التلاميذ، ويعلم الله أن أيدى المدرسين، أو بعض الفنيين من الخارج، هى الغالبة عليها ... وقد دعيت فى هذا الأسبوع إلى حفلة شاى أعدت لمناسبة افتتاح معرض مدرسى، ولا أقدر نفقات الحفلة بأقل من خمسين جنيهاً، ثم نهضنا إلى المعروضات فإذا هى لا تساوى كل هذا الزئاط، ولمحت الطلبة بجوارها لا يفقهون أسرارها، والبركة فى شرح المدرسين ..

لو أن وراء تلك المظاهر ما يدل على أصالة الطلاب فيها وعلى استفادتهم من الدربة عليها استفادة شاملة أو غالبة، لكان الأمر على ما نحب لهم. ولكن يبدو أن مظاهر النشاط المدرسى خطوط متوازية مع الخط الرئيسى وهو السباق نحو الفوز فى الامتحان. وكل ذلك دون العناية بما هو فى الأصل غاية.

كرسى الاعتراف :

يميش الكردينال «جيوفانى»

كشكول الأسبوع

□ اختير السيد منير القاضى رئيساً للمجمع العلمى العراق خلفا لمعالى الأستاذ محمد رضا الشبيبي، وكان الأستاذ القاضى قبل ذلك عميداً لكلية الحقوق في بغداد.

□ كان الدكتور زكى نجيب محمود كتب مقالا بالأهرام نقد فيه تمثال مصطفى كامل وأثنى على تماثيل إبراهيم باشا ولا ظوغلى وسليمان باشا، قائلا بأن سبب ذلك هو أن صانعى التماثيل القديمة أجانب، أما صانع تمثال مصطفى كامل فهو مصرى... وقد رد عليه الأستاذ مختار الوكيل بكلمة فى الأهرام أيضاً تضمنت أن صانع التمثال الأخير مثال فرنسى هو مسيو سافين.

□ جاء من كراتشى أن محطة الإذاعة الباكستانية ستعمل على إذاعة أحاديث لمشاهير الكتاب والمفكرين إلى مصر بعد تسجيلها فى القاهرة.

□ كتبت الحكومة الهندية إلى الحكومة المصرية فى شأن التبادل الثقافى بينهما، وذلك بأن ترسل الهند إلى مصر بعثة جامعية لمدة ثلاث سنوات، وكذلك تفعل مصر، على أن تقوم البعثة الهندية بدراسة أحوال مصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتقوم البعثة المصرية بدراسة التاريخ الإسلامى وفنونه فى عصور الإسلام المختلفة بالهند.

□ تضمن تقرير اللجنة المالية بمجلس النواب عن طلب اعتماد فى الميزانية لإنشاء فرقة نموذجية من خريجى معهد التمثيل، أن الممثلين القدماء يحسون بنقص إزاء المستوى العلمى والفنى لخريجى المعهد، وأن التعاون غير ميسور بين الفريقين فى الفرقة المصرية، وأن الأولين ينفردون بالأدوار الهامة ... الخ. وقد ثار لذلك الممثلون القدماء وطلب فريق منهم دعوة مجلس إدارة النقابة للرد على ما جاء فى ذلك التقرير.

ومهما يكن من شىء فالمشاهد حقيقة أن الممثلين الكبار ينفردون بالأدوار الهامة حتى فيما يتطلب صغر السن.

□ تعقد رابطة الأدباء اجتماعات عامة فى أيام الآحاد، تلقى فيها أشعار مبرحة ... ومحاضرات يعقب عليها الدكتور ابراهيم ناجى بأطول منها ! وفى يوم الأحد الماضى خرج أحد الأدباء من دار الرابطة متعباً متصدعاً، فلما سئل عما به قال: (أنا خدت قصيدة!) فما رأي الدكتور ناجى فى هذه الإصابة المرضية ..؟

□ انعقد في لندن أخير مؤتمر مسرحى برياسة السير ستافورد كريبس وزير المالية، ومن أهم القرارات التى انتهى إليها، إنشاء كرسى للمسرح والدراما فى كل الجامعات الإنجليزية

□ انتهت اللجنة العامة فى وزارة المعارف من إعداد مناهج اللغة العربية فى مرحلة الدراسة المتوسطة، وقد استبدل فيها النقد بالبلاغة وروعى فى الأدب الإكثار من النصوص الأدبية والإقلال من مادة التاريخ.

□ ظهرت فى باريس مناديل منقوش عليها شعر فى الغزل لشاعر فرنسى، فطالبت جمعية حقوق المؤلفين صانع المناديل بتعويض كبير فما أشد تسامح شاعرنا المجهول المنقوش بيتاه التاليان على السرادقات:

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب
الله يعطى من يشا . فقف على حد الأدب

أحد رجال الكنيسة بروما، فى قصر أسرته العريقة « آل ميدتشي » مع والدته التى تأمل أن يصل ولدها الكردينال إلى كرسى البابوية ، ومع أخيه الشاب « جوليانو » ، بجوار أسرة « تشيجى » أحد أشراف روما . ويحب « جوليانو » ابنة « تشيجي » واسمها « فليبرتا » وهى تحبه . ويحاول « أندريا ستروتسى » الذى يقربه البابا لأنه يجاهد فى خدمة الكنيسة بسيفه — يحاول أن يظفر بالفتاة « فليبرتا » فيخطبها من أبيها ، فيرفض الأب ، ويدور بينهما نقاش حاد ينتهي بأن يقتل « جوليانو » « تشيجى » بخنجره ، ويأمر تابعين له بنقله إلى باب داره ، ويذهب إلى الكردينال ، ليعترف بخطيئته أمام كرسى الاعتراف ، ثم يذهب إلى حرب أمره البابا بالسير إليها . وعندما يكون « جوليانو » وخطيبته التى فقدت أباها عند أخيه الكردينال ، يقبل محافظ روما ليقبض على « جوليانو » متهماً بقتل « تشيجى » لأنه وجد خنجره بجوار الجثة وكان قد وقع منه عند ما خف لنجدته ولأن اسم « جوليانو » كان آخر ما لفظه القتيل . ويصعق الكردينال لهذه المفاجأة ويؤكد للمحافظ أن أخاه برىء ، ولكن المحافظ لا يعبأ به ويسوق المتهم إلى السجن ، ثم يحاكم ويُقضى بإعدامه ؛ وتمر المحنة بالكردينال شديدة عاصفة لأنه يعرف القاتل ولا يستطيع أن يفشى سر « الاعتراف » وأخوه يساق إلى الإعدام ... وفى خلال ذلك يقبل أندريا القاتل الحقيق من ميدان القتال ظافراً ، فتستقبله روما بالحفاوة ، ويطلب إليه الكردينال أن يكشف عن الحقيقة فى قتل « تشيجى » ولا بأس عليه لأن البابا لا بد أن يعفو عنه جزاء بلائه فى الحرب ، فيطلب ثمناً لذلك أن يتزوج « فليبرتا » فيمنف الكردينال فى مخاطبته ويطرده ويلعنه . ثم يتصنع الجنون ويهيىء الجو بحيث يستدرج « أندريا » إلى الإقرار بجريمته على مسمع من محافظ روما الذى كان لدى الكردينال عند ما أقبل « أندريا » وهم بالانصراف ولكنه لما سمع الجدال يعلو بين الرجلين اختبأ قريباً منهما خشية أن يعتدى « أندريا » على الكردينال . ثم يهجم المحافظ على « أندريا » ويمسك به ويطلق سراح « جوليانو »

هذه هي قصة فلم « كرسى الاعتراف » الذى يعرض بسينما أوبرا ، والذى أخرجه يوسف وهبي ومثل دور الكردينال فيه ، وهى قصة مسرحية قديمة مترجمة عن الإنجليزية ، ومثلها يوسف وهبي على المسرح مراراً قديماً وحديثاً ... وأخيراً قدمها على الشاشة كما هى بحوارها وشخصياتها ، لم يغير فيها إلا قليلاً مما اقتضته الحركة السينمائية ، فبدت فى ثوب سينمائى يكاد يتمزق ليكشف عن مناظر مسرحية بحتة ، وقد عدمت من السينما ألزم لوازمها وهى المناظر المنوعة ، فقد جرت كل الحوادث فى قصر « آل ميدتشى » ولم نر شيئاً يذكر من روما مدينة السحر ومهد الفن ومبعث الشعر ، كما تقول الأغية التى بدأ بها الفلم .

ويخيل إلى أن هذا الفلم يتمثل فيه « التقتير » من ناحيتين ، فالتقتير من جانب المنتج فى عدم الإنفاق على المناظر والاكتفاء بهذ الاسم الدوى فى عالم الفن : يوسف وهبي ، وهو أى يوسف وهبي يبدو رائماً فى مظهر الكردينال كما ترى فى صورته بالإعلان فى الصحف وقد رفع يديه فبدت فتحتا القميص الرشيقتان ... وقد عنى مصور الفلم بالتقاط مناظره فى المواقف المختلفة عناية ظاهرة .

والتقتير من جانب يوسف وهبي بتقديم بضاعة قديمة ؛ لا تكلفه مجهوداً ولا عناء ، فقد حفظ دوره فى الرواية وأجاد تمثيله ، وأقوم ما فى الفلم إتقان يوسف وهبي فى تمثيل دوره الذى مرن عليه فى المسرح ، ولا آخذ عليه إلا ما ينتابه من الصياح فى بعض المواقف دون داع إليه ، كما صنع وهو يتمشى مع أمه منفردين فى جو هادئ ، إذ هب يخطب فجأة قائلا إنه لا بد أن يحافظ على مجـــد « آل مدينشى » ولا جمهور يخطبه غير أمه والمائدة .

ويبدو لى أن هـذه الرواية لم تصل إلى السينما حتى كان « زبنها » قد اعتصر ... فلم تكن تحتمل كل هذا الذى جرى لها فى مصر ... ألم يكن يكفى تمثيلها على المسرح والاعتبار بشكوى « الخشبة » من تكراها عليها حتى تبلى بها « الشاشة » فى آخر المطاف ؟ أو لم تكن أولى بهذه الجهود السينمائية رواية مصرية جديدة ؟ وما ذا يهم الجمهور المصرى من « آل مدينشى » وحب السيد « جوليانو » واعتراف « أندريا ستروتسى » ؟ لقد كان الممثلون أنفسهم — فيما بدا لى — ضائقين بهـذا الجو يؤدون أدوارهم فيـه (والسلام !) وإلا فبماذا أفسر جمود فاتن حمامة (فليبرتا) وفاخر فاخر (جوليانو) وظهورهما فى مواقف الفلم كأنهما يتفرجان بمناظر قصر « آل مدينشى » وما حوى من العجائب والغرائب ... وهما من أقدر الممثلين .؟

عباس خضر



الأزهر والفلسفة الإسلامية :

فى مقال للأستاذ سيد قطب فى عدد الرسالة رقم ٨٢٨ كتب الأستاذ هذه العبارة التالية موجهاً الكلام إلى الأستاذ توفيق الحكيم :

« ... ومالى ألومكم أنتم والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام » .

وأود أن أطمئن الأستاذ الكاتب الفاضل على أن الأزهر فى تاريخه لم يدرس الفلسفة الإسلامية على اعتبار أن تمثل فلسفة الإسلام ، أو تحكى مبدأ من مبادئه ، أو هدفاً من أهدافه .

فى ماضيه كان يحرم دراسة النوع الإلهى من الفلسفة الإسلامية ، لأنه كان يرى فى هذا النوع انحرافاً واضحاً عن الإسلام . ومن أجل ذلك كان يلوم فلاسفة المشرق ، أمثال الكندى والفارابى وابن سينا ، على اشتغالهم به ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، وجارى الغزالى فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ، و كفر هؤلاء الفلاسفة لمسايرتهم الفكر الإغريقى فى القول بقدم العالم ، وقصر علم الله على الكليات ، وإنكار بعث الأجسام .

وفى العصر الحديث يدرس الأزهر فى كلياته الفلسفة الإسلامية كما يدرس أنواع الفلسفات الأخرى من الإغريقية ، إلى الدينية فى القرون الوسطى ، إلى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة ... على أنها اتجاهات للفكر الإنسانى فى أزمنة متعاقبة وفى بيئات مختلفة ، وقد يكون بعضها ترديداً لبعض ، أو إضافة جديدة لما سبق .

وهو فى هذه الدراسة يوازن بين إنتاج الفكر الإنسانى فى عصوره المختلفة ، وبين الإسلام كدين أوحى به من عند من له الكمال المطلق .

ومع شكرى للأستاذ الفاضل سيد قطب على غيرته القومية والإسلامية ، ودفاعه عن « أصالة » الشرق فى تفكيره ، ورغبته الشديدة فى أن يرى اعتزاز أهل الشرق والإسلام بما لهم من ثقافة وتوجيه فى المرتبة الأولى مما يمتز به إنسان مثقف ، أؤكد له أن الأزهر الحاضر تسيطر عليه فى البحث والتوجيه روح إسلامية شرقية عرفت ما فى الغرب من ثقافة واتجاه بعدما وعت ما فى الإسلام من مبادئ ، ودرست ما كان لشعوبه من خصائص فى الأدب والحكمة .

ويسعدنى أن يكون كتابى « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى » وسيلة يعرف بها الأستاذ هذه الروح فى الأزهر .

دكتور محمد البهى

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين بالأزهر

النكتة :

جاء فى شرح القاموس النكتة النقطة ، ونقل شيخنا عن الفنارى فى حاشية التلويح هى اللطيفة المؤثرة فى القلب من النكت كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة فى القلب التى يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الاصبع .

وفى التعريفات النكتة هى مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر من نكت رمحه بأرض إذا أثر فيها ، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر فى استنباطها اه

وفى (الكليات) النكتة هى المسألة الحاصلة بالتفكير المؤثرة فى القالب ، التى يقارنها نكت الأرض بنحو الاصبع غالباً ، والبيضاوى أطلق النكتة على نفس الكلام ، حيث قال هى طائفة من الكلام منقحة ، مشتملة على لطيفة مؤثرة فى القلوب . وقال بعضهم هى طائفة من الكلام تؤثر فى النفس نوعاً من التأثير قبضاً أو بسطاً ، وفى بعض الحواشى هى مايستخرج من الكلام ، وفى بعضها هى الدقيقة التى تستخرج بدقة النظر ، أو يقارنها غالباً نكت الأرض باصبع أو نحوها ، وفى حاشية الكشاف ونكت الكلام أسراره ولطائفه لحصولها بالتفكر ، ولا يخلو صاحبها غالباً من النكت فى الأرض بنحو الاصبع اه

وجمعها نكت ونكات ، وفى (أساس البلاغة) ومن المجاز جاء بنكتة ونكت فى كلامه ونكت فى قوله تنكيتاً ، ورجل منكت ونكات اه . وقد ألفت كتب باسم التنكيت والنكت .

هذا ، ومن هذا يظهر لك تطور الكلمة وصحة استعمالها فى الفكاهة ونحوها .

على حسن هلال

بالمجمع اللغوى

١ — من قوة المرأة :

فى (تاريخ الإسلام للذهبي) المطبوع بالقاهرة : كان صلة بن أشيم فى الغزو ومعه ابن له ، فقال : أى بنى ، تقدم فقاتل حتى أحتسبك ! فحمل يقاتل حتى قتل ، ثم تقدم هو فقتل ! فاجتمع النساء عند امرأته معاذة المدوية ، فقالت : إن كنتن جئتن لتهنئنني فرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن!

٢ — يعطيهم من ماله ليرخصوا الغلة :

يذكرنا عمل الحكومة اليوم بما فعله نصر بن أحمد العابدى السمرقندى الدهقان ، فقد كان كثير المال والغلات ، فوقع بسمرقند قحط ، فباع غلاته بنصف أثمانها ، وكان يعطى الذين يجلبون الطعام من ماله ليرخصوا الغلة ... الخ ما أورده ابن الأثير فى كتابه (اللباب فى الأنساب ج ٢ ص ١٠٣) المطبوع بالقاهرة .

عبد الله معروف

الكساء :

خطأ الأستاذ عبد السميع على محمود استعمال الكتاب للكلمة « كساء » فى كل ملبوس وقال : الحق الذى تؤيده النصوص أن الكساء ثوب بعينه ، وهو نحو العباءة من الصوف . والصواب أن يقولوا « الكُسا » جمع كسوة الخ .

والصواب الذى تؤيده النصوص — هو ما يستعمله الكتاب ، فالكساء يطلق ويراد به مطلق ملبوس لا ثوب بعينه ، كما ادعى الناقد الكريم — ولو لم يكن كذلك لما احتاج الشاعر إلى تخصيصه بما ذكره من فأمك نعجة — البيت — كما أنه لا حاجة إلى استعمال « كُسًا » جمع كُسوة « فكِساء » جمع كُسوة أيضاً . قال فى القاموس : الكُسوة بالضم وتكسر الثوب وجمعها كُساً وكِساء .

(القاهرة) كيلانى حسن سند

إعلان عن جوائز فاروق الأول سنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٥٠ هى :

١ — علوم الحياة ، ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح الإشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية .

٢ — أ — العلوم الكيميائية ، مثل الكيمياء العضوية ، وغير العضوية ، والكيمياء الحيوية ، والتغذية .

ب — العلوم الجيولوجية ، مثل الجيولوجية ، وعلم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) والتعدين .

٣ — العلوم الاجتماعية :

أ — علم الاجتماع ، وعلم التربية ، وما يتصل بذلك من العلوم .

ب — الفلسفة وعلم النفس ومايتصل بذلك من العلوم .

ج — التاريخ .

د — الجغرافيا .

هـ — الآثار .

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم لنيل الجوائز :

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القومى ، وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى :

ويرسل الانتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٩ . ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٥٠ . لمناسبة عيد الميلاد الملكى السعيد .

وزير المعارف العمومية

على أيوب

١٧٨٤



نظرات فى كتاب الأشربة

للاستاذ السيد أحمد صقر

اختلفت كلمة العلماء في « الأشربة » منذ فجر الإسلام ، وذهبوا فى موقعها من الحل والحرمة مذاهب شتى ، ولجت بينهم الخصومة ، وابتغى كل فريق أن يظهر على خصمه ، ويدفع عن رأيه ، فاج الشك فى عقول الناس وأفكارهم ، وتداخلتهم الحيرة ، وتنازعتهم الروايات المتشاجنة ، والأحاديث المتباينة . وكانوا منها فى أمر مريج . وقد ألف فى الأشربة كثير من العلماء . وممن ألف فيها أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، وقد ظل هذا الكتاب مطوياً فى الخزائن حتى عثر عليه المستشرق الفرنسى « أرتوركى » فأعجب به ونشر أكثره فى سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م فى مجلة « المقتبس » التى كان يصدرها فى القاهرة الأستاذ محمد كرد على . وقد رأى الأستاذ أن الكتاب خليق بالعناية ، جدير بأن يطبع مستقلا ، فبذل وسعه فى تحقيقه وأدرجه فى مطبوعات المجمع العلمى ، وقدم له بمقدمة طويلة يبدو أنها جاءت وحى ساعتها ، وفيض جلستها ، لم يجمع لها عزماً ، ولم يشحذ فهماً ، ولم يعمل فكراً ؛ وإنما أطلق لقلمه العنان يجول هنا وهناك حسبما توحى به النظرة الطائرة ، والفكرة العابرة ، والهوى الجموح .

ومما جاء فى هذه المقدمة العجيبة قول الأستاذ فى ص ٤ : « اشتد ابن قتيبة على مخالفيه ولا سيما المعتزلة منهم ، وفى كتابه « تأويل مختلف الحديث » طعن مبرح فى الجاحظ قال فيه : إنه أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل ، فتجلى حسده تجلياً ظاهراً ، هجن ابن قتيبة الجاحظ وكفره ، ورماه بأعظم كبيرة وهى الكذب ، وسجل عليه أنه أكذب واحد فى الأمة لأنه كتب أشياء تنفع فى تربية العقول فى الدنيا ، كما كتب كل ما ينفع فى الدين ، وابتدع أدباً يحلى ويعلم ، فهل من العدل أن يرمى بوضع الحديث ، وتشدده وتشدد أهل مذهبه فى تحرى السليم من السقيم فى الحديث لا يحتاج إلى دليل ؟ »

إن ابن قتيبة لم يظلم الجاحظ ، ولم يهجنه حسداً من عند نفسه ، ولم يتهمه بالكذب لما زعمه الأستاذ ، بل أنصفه وقال فيه ما له كاملا غير منقوص ، ونقده فى بعض رأيه بما لا يسع المسلم الحقيقى إلا نقده ورده على قائله كائناً من كان . وإليك نص كلام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث ، جاء فى ص ٧١ من هذا الكتاب ما يلى : « ثم نصير إلى الجاحظ ، وهو آخر المتكلمين ، والمعاير على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم ، وتصغير العظيم حتى يصغر ، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشئ ونقيضه ، وتجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ ، ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود وأنه كان أبيض فسوده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا ، ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة ، وأشياء من أحاديث أهل الكتاب فى تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدهد أمه فى رأسه ، وتسبيح الضفدع ، وطوق الحمامة ، وأشباه هذا مما سنذكره فيما بعد إن شاء الله ، وهو مع هذا من أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل » .

هذا هو رأى ابن قتيبة فى الجاحظ ، وهو يلقف ما يقوله عنه الأستاذ . ولست أدرى كيف استباح لنفسه الطعن فى ابن قتيبة بذلك الأسلوب التهكمى مع أنه لم يستطع أن ينقد مما قاله حرفاً واحداً ، أتراه كان ينتظر منه تقريظ الجاحظ لاستهزائه بحديث الرسول ؟

وإن تعجب فعجب قول الأستاذ بعد ذلك « وكيف لعمرى قضى ابن قتيبة على خصمه فى مذهبه هذا القضاء وهو القائل فى عيون الأخبار من تأليفه : وليس الطريق إلى الله واحداً ، بل الطرق إليه كثيرة ، وأبواب الخير واسعة ، وصلاح الدين بصلاح الزمان ، وصلاح الزمان بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير » ما هذا الكلام ؟ وما ذا

يريد الأستاذ بإيراده ؟ بل ما معناه ؟ وما علاقته بالموضوع ؟ ولست أدرى ، ولعل الأستاذ وحده يدرى !

وأعجب مما سبق قول الأستاذ بعد ذلك عن ابن قتيبة : « ورمى أيضاً أبا الهذيل العلاف بما ليس فيه ، ووصفه بأنه كذاب أفاك ، وطعن فيه أشنع طعن . وكذلك كان حظ ثمامة بن الأشرس منه ، وهما الأئمة ، ورمى هذا برقة الدين وتنقص الإسلام والاستهزاء به . وطعن فى النظام أيضاً وهو الذى رد على الملحدين والدهريين شطراً كبيراً من عمره »

من أين علم الأستاذ أن ابن قتيبة افترى على أبى الهذيل الكذب ووصفه بما ليس فيه ؟ هل قرأ كتب التوحيد والفى فيها ما يكذبه ؟ هل قرأ كتب التراجم ووجد فيها نكأة له فى تكذيبه؟ إنه لم يقرأ شيئاً من هذه ولا تلك ! وآية ذلك أنه وصف ابن قتيبة له بالبخل ورقة الدين مسطور فيها جيعاً . وقد كرر الجاحظ فى كتبه وصفه له بالبخل ، وقال عنه : « إنه كان أبخل الناس » ووصفه كذلك بأوصاف كثيرة وفى طليعتها النفاق . واتفق المترجمون له والباحثون لمذهبه فى كتب التوحيد على أن دينه كان أوهى من بيت العنكبوت . قال الخطيب البغدادى فى ترجمته ٣ / ٣٦٦ « وكان أبو الهذيل خبيث القول ، فارق إجماع المسلمين ورد نص كتاب الله إذ زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها حتى لا ينطقوا ولا يتكلموا بكلمة ، فلزمه القول بانقطاع نعيم الجنة عنهم والله يقول : (أكلها دائم) ، وجحد صفات الله التى وصف بها نفسه ، وزعم أن علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ، فجعل الله علماً وقدرة ، تعالى الله عما وصفه به علواً كبيراً » ومذهب أبى الهذيل فى انتهاء حركات أهل الجنة والنار قريب من مذهب جهم بن صفوان الذى زعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شىء معه . بل إن مذهبه شر من مذهب جهم كما يقول البغدادى فى « الفرق بين الفرق » . « لأن جهماً وإن قال بفناء الجنة والنار فقد قال : إن الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم أن ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن أو إحياء ميت أو إحداث شىء » . ويقول البغدادى عنه أيضاً فى ص ٧٢ « وفضائحه تترى ، تكفره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه فى الاعتزال ومن غيرهم » أفبعد ذلك يصر الأستاذ على اتهام ابن قتيبة بأنه وصف أبا الهذيل بما ليس فيه طعناً بغير الحق وتشنيعاً ؟ وكما كان ابن قتيبة صادقاً منصفاً فى حكمه على أبى الهذيل العلاف فإنه كان كذلك صادقاً منصفاً فى حكمه على ثمامة بن الأشرس بأنه كان يتنقص الإسلام ورسول الإسلام ويحقد عليهما حقداً غليظاً ، ولا أريد أن أنقل من حصائد لسانه فى ذلك شيئاً وحسبى أن أنقل للأستاذ الناشر ما ذا قاله البغدادى عنه فى ص ١٠٢ ، ١٠٤ « وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق ، وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما »

وأما طعن ابن قتيبة فى النظام فيكفى فى تبريره فوق ما ذكره بالتفصيل فى كتابه قول البغدادى فى ص ٨٠ « وجميع فرق الأمة من فريقى الرأى والحديث ، مع الخوارج والشيعة والنجارية ، وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام » . ولعل الأستاذ « محمد كردى على » يؤمن بعد هذا بأن ابن قتيبة لم يغال « فى طعنه بما لا يناسب عظمة علمه وأخلاقه » وأنه إنما انتهج النهج الذى رسمه لنفسه ، وهو أن يُصحر برأيه فيما ارتآى ، لا يظلم الخصم ولا يؤثر الهوى ...

(يتبع) السيد أحمد صقر



العقد الفريد

للأستاذ محمود أبو ريه

كتاب العقد أو العقد الفريد — لابن عبد ربه أشهر من أن ينبه عليه، أو ينوه به، فهو من كتب الأدب الممتعة بل هو موسوعة أدبية غزيرة ضمت بين صفحاتها مما يفيد الأديب ويمد الكاتب، ويُعينُ المنشئ ما لا يوجد في غيرها؛ ففيها أدب وتاريخ ولغة وشعر وعروض، وما إلى ذلك مما لم يُجمع مثله في كتاب.

ولو رأينا أن نجمل الكلام في هذا الكتاب لقلنا: إن ابن عبد ربه قد حشد فيه خلاصة ما جمع من قبله، كالجاحظ والمبرد وأبي عبيدة والأصمعي والكلبي وابن قتيبة، وغيرهم مما يطول القول بذكرهم.

وهو لم يقف في مختاراته عند ما وقف غيره ممن سبقه، على ما عُرف عن العرب ولا على ما أثر عنهم من أدب، بل نقل مما ترجم إلى العربية عن الهندية واليونانية والفارسية، وقد قال هو عن كتابه:

« وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من مُتخير جواهر الآداب، ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب، وإنما لي تأليف الأخبار وفضل الاختيار وحسن الاختصار وفرش في صدر كل كتاب؛ وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والأدباء، واختيار الكلام أصعب من تأليفه. وقد قالوا: اختيار الرجل وافد عقله. فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال؛ ثم قرنت كل جنس إلى جنسه، فجعلته باباً على حدته.. وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهراً وأظهرها رونقاً وألطفها معنى وأجزلها لفظاً، وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة، آخذاً بقبول الله تبارك وتعالى:

(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)(١).

مؤلف الكتاب:

أما مؤلف الكتاب فهو: أبو عمر أحمد بن عبد ربه ولد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بقرطبة وتوفي سنة ٣٢٨ هـ

وقد قال فيه ياقوت «.. وكانت له بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة» وقال الفتح بن خاقان « إنه حجة الأدب وإن له شعراً انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الإحسان ومهاه »:

وقال ابن خلكان: « كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس.

وقال فيه ابن سعيد:

إمام أهل أدب المائة الرابعة وفرسان شعرائها في المغرب كله » ولقد كان فوق ثقافته العالية في الأدب والتاريخ والفقه والتفسير والحديث، له شغف بالموسيقى والغناء.

طبعات هذا الكتاب:

طبع هذا الكتاب أكثر من أربع طبعات أميرية وأهلية — وكلها — كما يقول الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك: « في العيوب سواء — إذ ملئت بالتحريف والتصحيف والنقص والزيادة حتى كاد يكون شيئاً آخر »(٢).

ولقد كان هذا الكتاب من الكتب التي قرأناها في صدر شبابنا، وذقنا من أغلاطه وتحريفاته مثل ما ذاق غيرنا. وكم كنا نتمنى — كما يتمنى سوانا — لو أن هذا الكتاب القيم قد خرج في طبعة صحيحة منقحة كما خرج غيره من أمهات كتب الأدب مثل الكامل للمبرد الذي شرحه شيخ الأدب الشيخ سيد المرصفي رحمه الله، وعيون الأخبار الذي طبعته دار الكتب،

(١) ص ٣ ج ١

(٢) ص ل من تصدير الكتاب.

وكتاب الأغانى الذى لا يزال يطبع ! وغيرها .

وحوالى سنة ١٩٣٨ كنت فى زيارة الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك فى دار لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكان من حديثى معه أن اللجنة التى يرأسها قد وجهت أكثر غايتها — وكان هذا يومئذ أمرها — إلى التأليف والترجمة ، ولم تعن بالنشر ؛ ولو أنها حولت نصيباً من جهودها إلى النشر لكان ذلك خيراً للناس ولها . وبخاصة فإن النشر من صميم عملها .

ومما ذكرته لحضرته حينئذ ، وحبذا لو اهتمت اللجنة بطبع كتاب العقد الفريد على نفقتها ، فإنه لا يستطيع أحد أن ينشره صحيحاً غيرها ، فأجابنى حفظه الله بأن اللجنة قد أخذت فعلا فى نشر هذا الكتاب وأنها تعد العدة لذلك .

عمل اللجنة :

أما عمل اللجنة فى طبع هذا الكتاب فإنا ندع القول فى بيانه إلى الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك .

قال حضرته — بعد أن ذكر عمل الأستاذ محمد شفيع أستاذ العربية فى جامع بنجاب الذى بذل مجهوداً كبيراً فى العقـــد ، وأخرج جزءين كبيرين منه ، وأن اللجنة قد استفادت من عمل هذا الأستاذ فوائد عظيمة — « ثم ها نحن أولاء نحاول أن نخرج الكتاب إخراجاً علمياً — مصححين ما استطعنا — أغلاطه معارضين نسخه المختلفة بعضها على بعض مثبتين أصحها ذاكرين فى حواشى الكتاب ما ورد فى النسخ الأخرى مكملين ما نقص من عباراته مفسرين ما أبهم من كلماته ، شارحين ما غمض من مشكلاته ، ضابطين ألفاظه ، متحرين أصح الأقوال فى نسبة المقطوعات الشعرية والنثرية والأخبار إلى أصحابها مبينين اختلاف الروايات فى الشعر والنثر ، منبهين على أحسنها معنونين كل خبر وكل مقطوعة بعنوان خاص يدل عليه ويجمع ما فيه من الإيجاز وكان أول ما فعلنا أن كتبنا إلى الأستاذ ريتر المستشرق الألمانى بالآستانة نرجوه أن يتحرى نسخ (العقد) فى مكاتب الآستانة ليتبين خيرها وأصحها وأحسنها فكتب لنا وصفاً مطولا بالموجود من نسخ الكتاب ومزاياها وعيوبها ، وقد اخترنا خيرها — بناء على وصفه — ورجوناه أن يصورها لنا بالفوتوغراف ، ففعل مشكوراً ، وقد استعنا إلى جانب هذه النسخة بجميع نسخ العقد الموجودة فى دار الكتب المصرية خطة ومطبوعة »(1) .

وبعد أن جمعت اللجنة من هذه النسخ نسقاً أخذت فى طبع هذا الكتاب ، وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ ، وقد ظهر منه إلى الآن خمسة أجزاء فى حوال ٢٧٠٠ صفحة من أكبر قطع وبقى على ما نظن جزء غير الفهارس .

هذا هو كتاب العقد فى حالته البديعة التى أخرجته بها لجنة التأليف والترجمة والنشر ونشرته على الناس بتصحيح فائق ، وتنسيق رائق ، وطبع جميل وورق صقيل ليكون من كل طالب على حبل الذراع بعد أن ظل قروناً لا يجد من يعنى به أو يهتم بأمره على نفاسته وعظم شأنه وحاجة الناس إليه . وقد أصبحت هذه الطبعة التى خرجت اليوم بهذه الدقة وهذا الرواء ، هى التى يطمئن إليها قلب الأديب ويثق بها فكر الباحث ، وما سواها من كل ماطبع — ولا نستثنى — إن هو إلا عمل (تجارى) لا يقصد منه إلا الربح المادى .

وإنا إذ نقدم اليوم إلى المتأدبين — فى هذه الكلمة الموجزة — هذا الكتاب الممتع لا نحسب أنا قد وفيناه حقه من التعريف الكافى أو البيان الوافى ، لأن ذلك يدعو ولا ريب إلى إنشاء مقالات مستفيضة . فلندع هذا كله إلى الذين يقرأونه ويستمتعون بما فيه . ولعلنا ننشط يوماً لنُرى قراء الرسالة نماذج تبين الجهود العظيمة التى بذلت فى سبيل تصحيح هذا الكتاب

ولا يسعنا إلا أن نزجى خالص الشكر إلى هذه اللجنة الموقرة فى شخص رئيسها الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك ، على إخراج هذا الكتاب خاصة ، وعلى ما قدمت — وتقدم — كل يوم للعلم والأدب والتاريخ والفن من أسفار جليلة وذخائر نفيسة تقرأ فى كل عصر ويظل نفعها على وجه الدهر ...

(المنصورة) **محمود أبو رية**

---

(1) س م من تصدير الكتاب

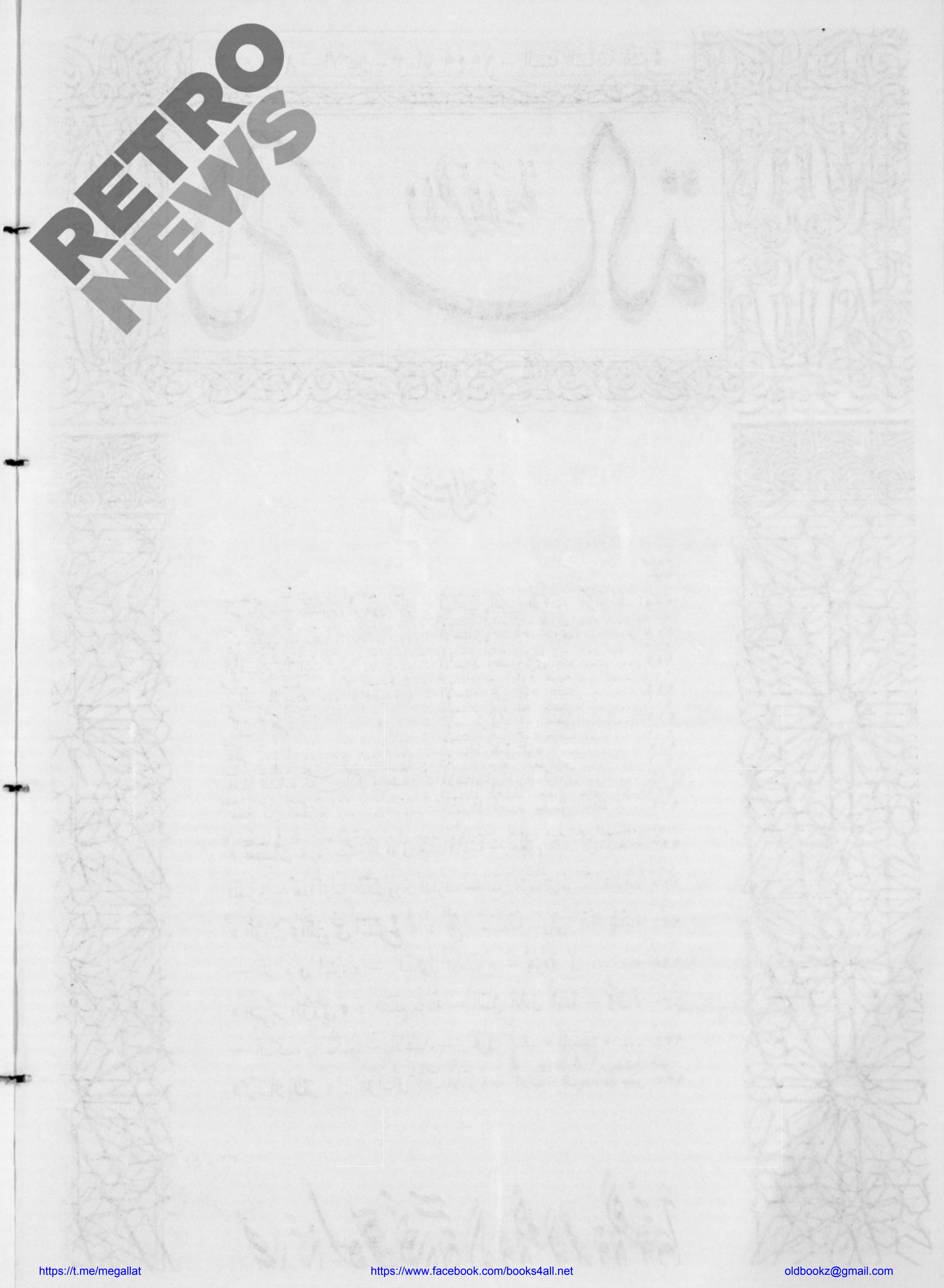
مطبعة الرسالة



العدد ٨٣٠ — الاثنين ٣٠ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

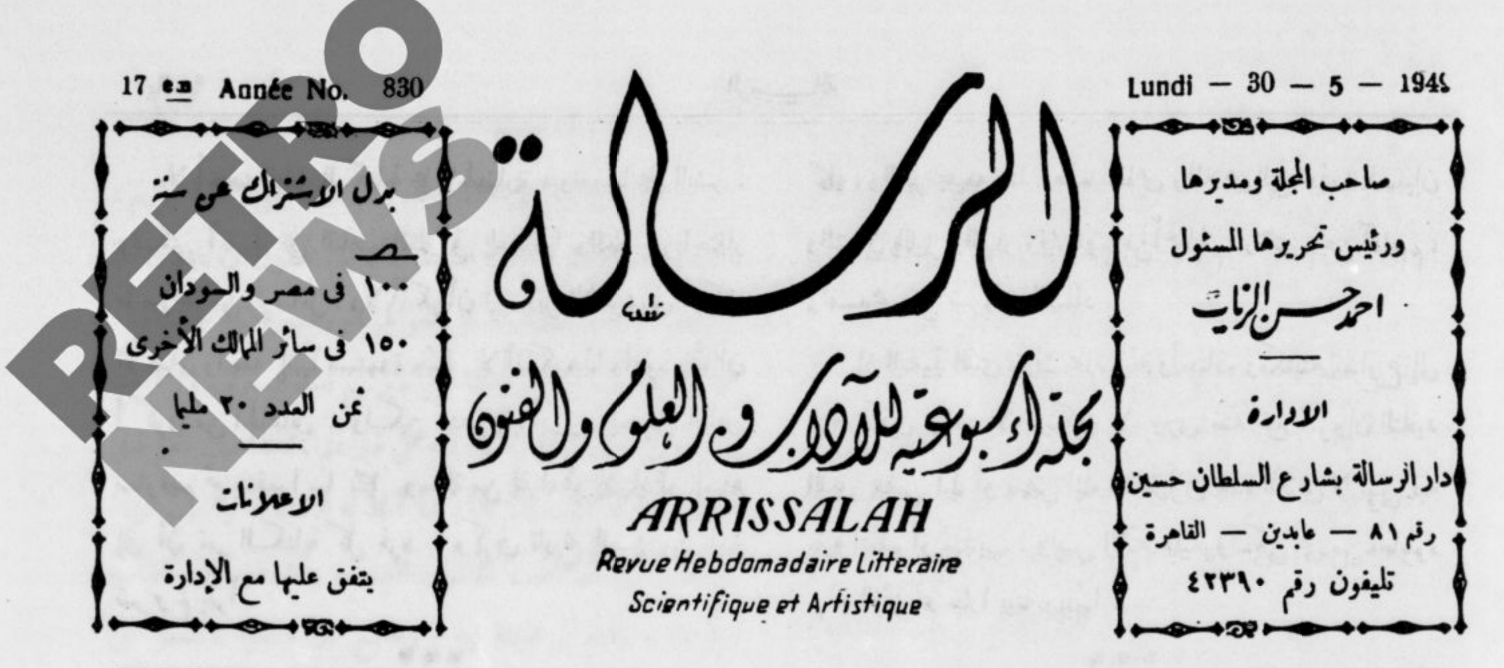


فهرس العدد



17 ème Année No. 830

Lundi — 30 — 5 — 1949



العــــدد ٨٣٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٣٠ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٥ - أمم حـــائرة

المدارس أو دور العلم

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

أعني كل موضع درس ، من المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية والمدارس العالية ومنها الجامعات ، فلنتوجه إليها لعلنا نجد هدى بعد حيرة ، واطمئناناً بعد قلق . ولعلنا نجد صلاحاً لأمورنا ، وطباً لأدوائنا ، وتأليفاً لنفرتنا ، وجمعاً لشملنا :

كان من عناية الأمم والحكومات بالتعليم والتربيـة أن أنشئت هذه الأنواع من المدارس وعم نظامها ؛ وقد سرنا على نهج الأوربيين في أنواعها ، وموضوعات دروسها ، ومناهجها ، إلا قليلا . وكثرت هـذه المدارس وشاعت في المدن والقرى ولا تزال تكثر وتشيع .

وزالت ، أو كادت تزول ، ضروب الدراسة القديمة ؛ سواء ما كان لتعليم الصبيان مثل الكتاتيب أو دور الكُتّاب ، وما كان لتعليم الكبار كالمدارس التي كانت في القاهرة والأسكندرية وأسيوط وقوص وغيرها ، ومدارس العلماء الخاصة في بيوتهم أو مساجدهم . وتم قيام الحكومة على التعليم وإشرافها عليه ، واضطلاعها بأعبائه ، وانفرادها بتدبيره .

غفلنا في فتنة المدارس والشهادات عن ضروب من الدراسة للمبتدئين والمنتهين كان يضطلع بها ناس في القرى والمدن ابتغاء خير الناس أنفسهم . ولو عنينا بهم ، وحمدنا فعلهم ، وأثبناهم عليه ، وحفزناهم إليـه ، لمضوا يحملون عن الحكومة بعض العبء ، ويسدون بعض الحاجة . ولكنا أغفلنا أمرهم ، وهجرهم الناس إلى المدارس الجديدة فحملت الحكومة العبء باهظاً ، واحتملت الأمانة وحدها .

وقد سرنا سيراً ، وتقدمنا تقدماً ، وأصبنا مغانم كثيرة . فازداد إقبال الناس على المدارس ، وعظمت عناية الحكومة بها ، واستجابت لرغبات الراغبين في دخولها والحصول على شهاداتها فنيـل وظائفها . فكثرت المدارس ثم كثرت ، وازدحمت بالمدرسين ثم ازدحمت .

وغلونا في الإعتداد بالتعليم المدرسي غلواً دفعنا إلى الإسراع فيه قبل الإعداد له ، وإلى الازدحام على المدارس بأكثر مما تسع .

وغفلنا في هذا الغلو عن ضروب من التعليم والتهذيب خارج المدارس وحسبنا أن القراءة والكتابة هي وسيلة التثقيف لا وسيلة غيرها . وكم من أناس نبغوا وهم لا يقرءون ، ودرسـوا وهم لا يكتبون ، هدتهم التجارب وهـداهم السمع والبصر إلى ما اهتدى إليه القارئون أو قصروا عنه .

لا أجحد فضل الكتابة على الحضارة ، ونعمتها على البشر . ولكنى آخذ على الناس الغلو فى إعظامها والغلو فى احتقار ما سواها من الوسائل . ولا أنكر أن الوسائل الأخرى فى أكثر الأحيان راجعة إليها مستمدة منها . لا أنكر هذا وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . ولكن أدعو إلى أن يسجل الناس معارفهم ثم ينتفعوا بها بكل وسيلة من إقراء أو إشهاد أو إسماع إلى أن تعم الكتابة كل فرد . وكم فى تاريخ العلم من نابغ ضرير لم يقرأ .

***

وانتبهنا فراعنا جموع تغدو وتروح إلى دور العلم ، لا تمس الثقافة أرواحها ، ولا يتصل العلم بقلوبها ، وإذا المدارس كالمطابع تخرج كتباً لا عقولاً ، وتكثر أمثلة لا أنفسا ، أو كالمصانع ترمى بقوالب متشابهة وأشكال متماثلة .

وانتبهنا فراعنا أن نرى هم الطالب فى الجامعة أن يمضى سنوات تنتهى به إلى شهادة ، وأن نراه يكتفى بما يجتاز به الامتحان ، ويجتاز الامتحان بأية وسيلة ، فإذا طوى السنين واجتاز الامتحان وظفر بالشهادة شرع يطالب بحقه فى الوظائف ، وينادى بما فى يده ، لا فى عقله وقلبه ، من شهادة ، ويخدع نفسه بما يدعى من علم ، ويزدرى الناس إذ لم يبلغوا من العلم ما بلغ ، ولم تشهد لهم الأوراق كما شهدت له .

وتنظر إلى المتعلم فى الطريق وفى المدرسة فلا يرضيك هيئته ، وتكلمه فلا يعجبك حديثه ، وتختبره فلا يسرك علمه ولا اعتقاده ولا رأيه ، إلا قليلاً من الطلبة الصالحين غلبت طبائعهم وأخلاقهم وأسرهم هذه البيئة الفاسدة المفسدة الحائرة الجائرة .

وننظر فإذا التلاميذ يهجرون الدروس إن استطاعوا ، ويقعدون عن دور العلم إن قدروا ؛ وإذا طلبة الجامعة ، وقد أوتوا نصيباً من الحرية ، يهجرون المحاضرات أو يكتفون بالقدر الذى يحتمه القانون ، بل يحتالون له بتوقيعات مزورة أحياناً ليسجلوا لأنفسهم هذا المقدار .

لقد رأيت تلميذاً خارجاً من الجامعة ضحوة النهار ينادى صاحبه فى غير خجل (الأمريكين الساعة ١١) . ويكاد يكون الداء كله ، والشر جميعه هنا . هذه المقاهى والملاهى التى تجذب الصبيان والشبان بالليل والنهار وتشغلهم عن أعمالهم ، وتفتنهم عن آدابهم ، وتفسدهم بكل ضروب الفساد .

إن التلميذ الذى يترك محاضرته وأستاذه ومكتبته ليسارع إلى الأمريكين وغير الأمريكين لا يرجى منه خير . وإن التلميذ الذى يمضى ليله أو بعض ليله ساهراً فى هذه الملاهى لا تبقى فيه بقية لتعليم أو تهذيب . وليس الإثم عليه ولكن على من أحاطوه بهذه الفتن ثم خلوا بينه وبينها .

***

ثم نظرنا فإذا التلميذ خارج على كل نظام ، مزدر بكل قانون ، مستهين بمعلمه ومدرسته وحكومته وأمته ، من حيث يدرى ولا يدرى ؛ وإذا أقرب شىء إلى نفوس التلاميذ أن يصيح صائح بهجر الدرس ، أو ينعق ناعق بتدمير المدرسة ، أو يأمر شيطان بالهجوم على معلم أو ناظر ، أو الاقتحام على مجلس الجامعة وفيه كبار الأساتيذ ، فتردد الصيحة ، وتستجاب الدعوة ، فينطلق الشر من عقاله إلى غير غاية . ونظرنا فإذا هذا الهرج والمرج وما هو أشنع من الهرج والمرج .

ويقولون الحرية ! لنا الحرية أن نخرج إذا شئنا ، وأن نضرب إذا أردنا . ويمضون فى دعوى الحرية فإذا لهم الحرية فى أن يخرجوا غيرهم من دور العلم قسراً ، وإذا لهم الحرية فى أن يحرموا إخوانهم حريتهم فى الاستماع إلى الدرس ، وينكروا على معلميهم الحرية فى التدريس ، وإذا الفئة القليلة الشاغبة لها الحرية فى أن تخرج الفئة الكثيرة الحريصة على العلم ، وإذا هذه الكثرة المستمعة إلى الدرس ليس لها الحرية فى أن تستمع ، ولهذه القلة الصاخبة كل الحرية فى أن تمتنع عن الدرس وأن تمنع غيرها .

وانتبهنا فراعنا أن شفقة الآباء وبر الأولاد — وكانا عماد ما بين التلميذ وأستاذه — قد ضلاَّ فى هذه الضوضاء ، وامَّحيا فى هذا الشقاء . وإذا آلات كآلات المكينة تدور لا عقل لها ولا قلب ، ولا سمع ولا بصر .

فنقول رحم الله زماناً كان سرور التلميذ وفخره بأن يكلمه أستاذه ، وأن يكبَّ هو على يد أستاذه يقبلها فى المدرسة وغير

المدرسة ! ورحم الله أيام كان طلبة الأزهر يقبلون يد الشيخ عقب كل درس ويتنافسون فى حمل حذائه إلى الباب .

* * *

وعلى ذكر الأزهر أقول : إنه لم ينج من هذه الفتن ، وكان الرجاء أن ينجو ، ولم يبعد عن هذا القلق ، وكان الأمل أن يبعد ، فزهد طلابه فى العلم زُهدَ غيرهم ، وضربوا واختصموا وكان منهم ما كان من طلبة المعاهد الأخرى لم يتخلفوا عنهم ، ولم تقبتهم سُنن الإسلام ، ولا وقرهم تاريخ الأزهر ووقاره وسمته ، ولا عصمهم من هذا البلاء عاصم .

ذلك بأن الأمة عامة لا تحرص على السنن ، ولا تعنى بالاحتفاظ بالتاريخ ، وأن الأزهر خاصة أخذته فتنة الحديث والقديم ، فأشفق من تاريخه ، وجهد أن ينافس غيره فى الأخذ بالمحدثات ، وخشى أن يقال إنه دون غيره معرفة بالعصر ، ومسايرة له ، واقتباساً منه ، فغلبه التقليد حقيقة وإن تظاهر بالاستقلال والاجتهاد . ولو ثبته الفكر الحر ، ووقره التاريخ المديد ، لأخذ من العصر شيئاً ورد أشياء ، ووافق فى أمر وخالف فى أمور ، وخط لنفسه من تاريخه ومما أحدثت المدنية من علوم وآداب خطة تميزه ، وسار على طريقة هى طريقته ومنهج هو منهجه ، ولكان للأمة ملجأ إذا حارت الأفكار وتنازعت الأهواء ، ولكان للأمة قدوة فى الدين الحق ، والعمل الصالح ، وفى مقاصد الإسلام ووسائله وسننه وغاياته ، وفى البعد عن سفساف الأمور والأخذ بجلائلها .

لقد حافظت جامعات انكلترا على سنتها أكثر مما حافظ الأزهر ، وهى لا تتصل بالدين اتصاله ، ولا توغل فى التاريخ إيغاله .

إننا فى حاجة إلى من يقتبس الصالح غير متردد ، ومن يتمسك بالصالح غير هياب ، ومن يعتد بنفسه وأمته وتاريخه فيقول : هذا حسن وهذا قبيح ، وهذا يصلح لى وهذا لا يصلح . ذلكم هو الأساس الذى يرسو عليه البناء ، وتلكم الخطة التى تستقيم بها الأمور .

* * *

وأنا حين آخذ على الطلبة هذه المآخذ لا ألقى التبعة عليهم ، وأرد الذنب إليهم ، فإنهم يَنْشئون كما يُنَشَّئون ، وينبتون كما يزرعون ، وتصوغهم البيئة على أحوالها ، وتربيهم الأمة على مثالها . لا ألومهم ولكن ألوم البيئة التى سيرتهم هذه السيرة ، ولا أحقد عليهم بل أرحمهم مما تهافتوا فيه على غير علم . فأنا أعيب المعلم قبل المتعلم ، وآخذ الأستاذ بأشد مما آخذ به التلميذ ، وأعيب البيئة والنظام قبل أن أعيب الناشئ الغِرّ ، وأشفق على الشاب وأرحمه ، وأذم أثر البيئة فيه ، وطابع التربية عليه ، لنعمل على إصلاحه ، ونجهد فى إنقاذه .

ولست فى قولى هذا يائساً ولا متشائماً ؛ ولكنى أدعو إلى تدارك الشر قبل استفحاله ، ومداواة الداء قبل إعضاله ، إلى تجنب هذه الطرائق ، والحذر مما تؤدى إليه ، وأنهى عن السير على غير هدى ، والأخذ بغير تمييز ، والقبول بغير نقد .

أرى أمورنا فى حاجة إلى بحث ودرس ، ونقد وتمييز ، وإلى أن تسيرها آراء العلماء على خطة واضحة ، وطريقة مستقيمة ، فلا تترك الأمور فوضى ، ولا تبحث الأشياء فُرادى ، بل يتناولها النظر المحيط ، والنقد الشامل ، ويجمعها النظام التام ، والخطة الجامعة ، يضعها علماء التربية وعلماء النفس وعلماء الأخلاق وعلماء التاريخ وعلماء الدين .

نريد مدارسنا ومعاهدنا دور تعليم وتثقيف ، ومباءة إصلاح وتهذيب ، ومصدر محبة ومودة وألفة وأخوة ، يتجلى فيها الخضوع للقانون ، والإجلال للنظام ، والقيام بالواجب ، وإيثار الخير العام ، والكلف بالمروءات ، والتحلى بالآداب ، والترفع عن الدنايا . نريد أن يكون بين المعلمين والمتعلمين ما بين الأب الرحيم والابن البار ، وأن تكون المعاهد كلها أسراً كبيرة قائمة على التراحم والتعاضد ، تخرج للأمة كل حين من يتولى إصلاحها ويكفل هدايتها . نريد أرواحاً لا أجساداً ، وأشخاصاً لا أعداداً ، ومعانى لا ألفاظاً ، وحقائق لا صوراً . ونسأل الله التوفيق .

(للكلام صلة)　　**عبد الوهاب عزام**

من أعلام رجال الفكر فى عصر الحروب الصليبية :

ابن دقيق العيد

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

تقى الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين أبى الحسن على بن وهب ابن مطيع القشيرى .

ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٢٥ بظهر البحر الأحمر ، قريباً من ساحل مدينة ينبع بالحجاز ، وأبواه متوجهان من قوص للحج ، قالوا : وحمله والده على يديه ، ودعا ربه ، وهو يطوف به الكعبة أن يجعله من العلماء العاملين ، فاستجاب الله دعوته .

وكانت أسرة ابن دقيق العيد قد اتخذت قوص موطناً لها بعد أن هجرت مدينتها الأولى منفلوط ، فنشأ الفتى بقوص ، وكانت من أهم مراكز الثقافة فى ذلك الحين ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم درس فقه مالك على والده الذى كان من أئمة المالكية ، كما أخذ عنه الحديث والأصول ، ودرس فى قوص على غير والده أيضاً ، فأخذ فقه الشافعية عن تلميذ والده بهاء الدين القفطى ، ودرس الأصول على علم من أعلام هذه المادة وهو شمس الدين الأصبهانى ، والنحو على شرف الدين المرسى ، ثم رحل فى طلب العلم إلى القاهرة والأسكندرية ودمشق والحجاز ، وأخذ عن كبار علماء عصره مثل الحافظ المنذرى وعز الدين بن عبد السلام ، وعليه درس فقه الشافعى أيضاً ، وبهذا أتقن وهو شاب مذهبى الشافعى ومالك إتقاناً عظيما بلغ به درجة الإفتاء بهما ، وقد قال فيه ابن القوبع من قصيدة يمدحه بها :

صبا للعلم صبًّا فى صباه ... فأعْلِ بهمة الصب الصبى
وأتقن والشباب له لباس ... أدلّة مالك والشافعى

وعاد الشاب إلى مدينته وقد درس الفقه على المذهبين ، وأصول الفقه ، والحديث وعلومه ، وعلم الكلام ، والتفسير والنحو واللغة والأدب ، وكان أكبر ما امتاز فيه الفقه والحديث .

أما فى الفقه ، فقد ارتفع عن مستوى التقليد المطلق الذى يقف فيه عند نصوص الأئمة لا يحيد عنها ، بل يرتفع إلى حيث يستخلص الأحكام من أدلتها فى الكتاب والسنة .

قال مؤرخه فتح الدين اليعمرى : « وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعانى من السنة والكتاب ، بلب يسحر الألباب ، وفكر يفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب ، مستعيناً على ذلك بما رواه من العلوم » .

وقال عنه أبو حيان : « هو أشبه من رأيناه يميل إلى الاجتهاد »

ولعل ابن دقيق العيد كان يرى نفسه مجتهد عصره ، فإنه كان يؤمن بأن كل وقت لا يخلو من مجتهد . وقد وضع كتاب الإلمام ، جمع فيه الأحاديث التى يستنبط منها الأحكام ، مما يدل على ما وصل إليه من درجة ممتازة فى الاستنباط والاستدلال .

وأما فى الحديث ، فقد برع فى معرفة متنه وإسناده وعلله ، حتى أصبح أوحد عصره فيه ، وله فى علوم الحديث مؤلف دعاه « الاقتراح فى معرفة الاصطلاح » ، وإليه أسند والى قوص التدريس فى دار الحديث التى أنشأها بها .

وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة من العلم ذكاء ممتاز ، ودأب على التحصيل ، وسهر بالليل للدرس ، وشره فى القراءة ، وغرام بالاطلاع . قال الأدفوىّ فى الطالع السعيد : « كان له قدرة على المطالعة . رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص فيها جلة كتب ، من جملتها عيون الأدلة لابن القصّار فى نحو من ثلاثين مجلدة ، وعليها علامات له . وكذلك رأيت كتب المدرسة السابقية ، رأيت على السنن الكبير للبيهقى ، فيها من كل مجلدة علامة ، وفيها تاريخ الخطيب كذلك ، ومعجم الطبرانى الكبير ، والبسيط للواحدى ، وغير ذلك » ؛ وأخبرنى شيخنا الفقيه سراج الدين الترندى أنه لما ظهر الشرح الكبير للرافعى اشتراه بألف درهم وصار يصلى الفرائض فقط ، واشتغل بالمطالعة إلى أن أنهاه مطالعة . ويقال إنه طالع كتب مكتبة المدرسة الفاضلية عن آخرها ، وكانت ذات مكتبة ضخمة حافلة .

وإلى جانب غرامه بالقراءة كان كثير النقد والتحرى والتدقيق فيما يقرأ ، لا يقبل الشىء من غير أن يعمل فيه فكره فيقبله أو يرفضه .

ولعل كثيرين من مقدريه وعارفى فضله قد نصحوه بمغادرة

قوص إلى القاهرة ، حيث يظفر فيها بالتقدير وبعد الصوت والرزق الواسع ، وحيث يجد المجال واسعاً لذيوع علمه والشهرة ورفيع المناصب ، وقد تردد ابن دقيق العيد فى قبول هذا العرض ، ظنًّا منه أن نيل ذلك كله لا يكون إلا بفقد شىء من الكرامة ، والتهاون فى كثير من أمور الدين ، وهو يحدثنا عن ذلك فى قوله :

يقولون لى: «هلا نهضت إلى العلا ... فما لذ عيش الصابر المتقنع
وهلا شددت العيس حتى تحلها ... بمصر إلى ذاك الجناب المرفع
ففيها من الأعيان مَن فيض كفه ... إذا شاء روى سيله كل بلقع
وفيها قضاة ليس يخفى عليهمُ ... تيقن كون العلم غير مضيَّع
وفيها شـــيوخ الدين والفضل والأولى
يشـــير إليهـــم بالعـــلا كل إصبع
وفيها ... وفيهـا ... والمهـــابة ذلة
فقم، واسع، واقصد باب رزقك، واقرع»
فقلت : « نعم أسعى إذا شئت أن أُرَى
ذليـــلا مهاناً مســـتحقاً لموضع
وأسعى إذا ما لذ لى طول موقفى ... على باب محجوب اللقاء ممنع
وأسعى إذا كان النفاق طريقتى ... أروح وأغدو فى ثياب التصنع
وأسـعى إذا لم يبق فىَّ بقية ... أراعى بها حق التقى والتورع
وكم بين أرباب الصدور مجالس ... يشب لها نار الغضا بين أضلع
فإما توقى مسلك الدين والنهى ... وإما تلقى غصـة المتجرع »

وكان فى صميم قلبه يرجو أن يظفر بالرفعة من غير أن يفقد فى سبيلها كرامته ، وهذا هو السر فى نقمته على أرباب المناصب الذين لم يعرفوا قدره ، ولم ينزلوه ما هو جدير به من رفيع المنازل ، تحس بذلك فى قوله :

أهل المناصب فى الدنيا ورفعتها ... أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم ... منازل الوحش فى الإهمال عندهم
فمـــا لهم فى توقى ضرنا نظر ... وما لهم فى ترقى قدرنا همم
فليتنا لو قدرنا أن نعرّفهـم ... مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان: من جهل وفرط غنى ... وعندنا المتعبان : العلم والعدم

ولـكن يظهر أن الحالة المـالية لابن دقيق العيد دفعته إلى المجىء إلى القاهرة ، حيث ولى المدرسة الصلاحية سنة ٦٨٠ ، ودرس الحديث بدار الحديث الـكاملية وكان له منزل بها ، وعلم الفقه على مذهبى الشـافعى ومالك بالمدرسة الفاضلية ، كما درّس أيضاً بالمدرسة الصالحية والقبة المنصورية .

ومع ذلك لم يُثرِ ابن دقيق العيد ، بل لم يدفع عن نفسـه شر الفاقة ، وكان يضطر إلى الاستدانة أحياناً ، وإن كان قد ظفر أخيراً بالثراء والرخاء ، فاستمتع وأكثر من التسرى ، وكان ينعى حظه قائلا :

سحاب فـكرى لا يزال هامياً ... وليـــل همى لا أراه راحلا
قد أتعبتنى همـــتى وفطنتى ... فليتنى كنت مهينـــاً جاهلا

وربما كانت رغبة ابن دقيق العيد فى الاستمتاع بمباهج الحياة هى التى دفعته إلى أن يعترف للشيخ زكى الدين بأنه أدين منه . حكى تاج الدين الدشناوى قال : « خلوت به مرة فقال : يا فقيه ، أفزت برؤية الشيخ زكى الدين عبد العظيم ؟ فقلت : ورؤيتك ؛ فـكرر الـكلام ، وكررت الجواب؛ فقال : كان الشيخ زكى الدين أدين منى ؛ ثم سكت ساعة وقال : غير أنى أعلم منه !

وظفر ابن دقيق العيد بشهرة واسعة ، وصوت بعيد ، وتقدير عميق فى قوص والقاهرة ، حتى فى أيام أساتذته . وفى سنة ٦٩٥ ولّى قضاء قضاة الشافعية فى الديار المصرية ، وقد استقبل كثير من مقدريه قبوله هذا المنصب بشىء من العتب عليه واللوم ، ورأوا فيه حطاً من عظيم قدره ، وكانوا يفضـلون بعده عن مناصب السلطان ويعدون ذلك زلة له ، ولـكننى لا أوافقهم على ما ذهبوا إليه ، ولا سيما أن ابن دقيق العيد كان أحب الناس برعاية الحقوق وإحقاق العدالة ، ورسائله إلى من كان يعينهم من القضاة يحثهم فيها على تحرى الحق ، ويخوفهم من الظلم ، ويشعرهم بما عليهم من التبعة تدلنا على مقدار ما ظفر به المنصب يوم حله هذا العالم الممتاز . وكان هو نفسه يشعر بثقل العبء الملقى عليه قاضياً ، فكان يقول : « والله ما خار الله لمن بلى بالقضاء » ؛ ويقول : « لو لم يكن إلا طول الوقوف للسؤال والحساب لـكفى » . وأثر عنه فى القضاء آثار حسنة ، منها انتزاع أوقاف كانت أخذت واقتطعت لمقطعين ، ومنها أن القضاة كان يخلع عليهم الحرير، فخلع على الشيخ الصوف واستمرت ، ورتب على الأوصياء مباشراً من جهته ، وكان يكتب إلى نوابه ينذرهم ويحذرهم .

ولم ينج ابن دقيق العيد وهو فى منصب القضاء من ساخطين

عليه ، هجوه بالشعر حيناً ، وبالزجل حيناً آخر . قال برهان الدين المصرى الحنفى الطبيب ، وكان قد استوطن قوص سنين : « كنت أباشر وقفاً فأخذه منى شمس الدين محمد بن أخى الشيخ وولاه لآخر ، فعز علىّ ، ونظمت أبياتاً فى الشيخ فبلغته ، فأنا أمشى مرة خلفه وإذا به قد التفت إلىّ وقال : « يا فقيه ، بلغنى أنك هجوتنى ؟ » فسكت زماناً فقال : « أنشدنى » ؛ وألح علىّ ، فأنشدته :

وليت فولى الزهد عنك بأسره ... وبان لنا غير الذى كنت تظهر
ركنت إلى الدنيا وعاشرت أهلها ... ولو كان عن جبر لقد كنت تعذر

فسكت زماناً ، ثم قال : ما حملك على هذا ؟ فقلت : أنا رجل فقير ، وأنا أباشر وقفاً أخذه منى فلان ؛ فقال : ما علمت بهذا . ورد الوقف إليه .

وارتفعت منزلته عند سلاطين عصره ، فكان السلطان لاجين ينزل له عن سريره ويقبل يده . وفى سنة ٦٩٨ بعد وفاة الخليفة العباسى الحاكم بأمر الله ، أرسل إليه السلطان الناصر محمد يستشيره فيمن يوليه الخلافة بعده .

واستمر ابن دقيق العيد فى منصب القضاء ، وإن كان قد عزل منه نفسه أحياناً ، حتى مات يوم الجمعة حادى عشر صفر سنة ٧٠٢ ، ودفن يوم السبت بسفح المقطم .

قال الأدفوى فى الطالع السعيد : « وكان ذلك يوماً مشهوداً عزيزاً فى الوجود ، سارع الناس إليه ، ووقف جيش مصر ينتظر الصلاة عليه ، رحمه الله تعالى ، وهو ممن تألمت على فوات رؤيته ، والتملى بفوائده وبركاته » .

ورثاه الشريف محمد بن محمد القوصى بقصيدة طويلة منها قوله :

سيطول بعدك فى الطلول وقوفى ... أروى الثرى من مدمعى الذروف
لو كان يقبل فيك حتفك فدية ... لفديت من علمائنا بألوف !
ياطالبى المعروف ، أين مسيركم ؟ ... مات الفتى المعروف بالمعروف !
ما عنّف الجلساء قط ، ونفسه ... لم يخلها يوماً من التّعنيف
يا مرشد الفتيا إذا ما أشكلت ... طرق الصواب ، ومنجد الملهوف
من للضعيف يمينه أنّى أتى ... مستصرخاً ، ياغوث كل ضعيف
أفنيت عمرك فى تقى وعبادة ... وإفادة للعلم أو تصنيف
علياه من زمن الصبا مشفوف ... لهفى على حبر ، بكل فضيلة
لكن على الفجار غير خفيف ... كان الخفيف على تقىّ مؤمن
أمنت أحاديث الرسول به من التبديل والتحريف والتصحيف
ومضى وما كتبت عليه كبيرة ... من يوم حل بساحة التكليف
صبراً بنيه ، قوة من بعده ... صبر الكريم الماجد الغطريف

كما رثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص .

وترك كثيراً من الأولاد ، فكان له من الذكور عشرة سماهم بأسماء الصحابة ، وأخذ عنه عدد ضخم نبغ من بينهم جم غفير صار منهم المحدثون والنحويون وقضاة القضاة .

وألف كثيراً من الكتب : منها كتاب الإلمام ، الجامع أحاديث الأحكام ، وقد أثنى العلماء ثناء جما على هذا الكتاب ، حتى ادعى بعضهم أنه ما وضع فى هذا الفن مثله . وقال عنه تقى الدين بن تيمية : « هو كتاب الإسلام » وشرع فى شرحه ؛ ولكن يظهر أنه لم يتمه . وقد اشتمل الشرح فضلا عن الأحكام المستنبطة على أنواع أدبية ، ونكت خلافية ، ومباحث منطقية ، ولطائف بيانية ، ومواد لغوية ، وأبحاث نحوية ، وعلوم حديث ، وملح تاريخية ، وإشارات صوفية . ومنها كتاب الإمام فى الأحكام ، وهو فى عشرين مجلداً ، وشرح كتاب التبريزى فى الفقه ، ومقدمة المطرزى فى أصوله ، كما شرح بعض مختصر ابن الحاجب فى الفقه ، ووضع فى علوم الحديث كتاب الاقتراح فى معرفة الاصطلاح . وله مصنف فى أصول الدين .

وكان ابن دقيق العيد إلى جانب امتيازه فى التدريس والتأليف خطيباً بارعاً سمعه الشاعر المعروف أبو الحسين الجزار وهو يخطب بقوص فأعجب ببلاغته ، ثم أنشده مادحاً له :

يا سيد العلماء ، والأدباء ، والبلغاء ، والخطباء ، والحفاظ
شنفت أسماع الأنام بخطبة ... كست المعانى رونق الألفاظ
أبكت عيون السامعين فصولها ... فزكت على الخطباء والوعاظ
ستقول مصر إذ رأتك لغيرها ... ما الدهر إلا قسمة وأحاظ
ويقول قوم إذ رأوك خطيبهم : ... أنسيتنا قسّا بسوق عكاظ

وجمع له ديوان خطب .

وكان يقول الشعر ، وقد رأينا بعض نماذج له ، وتستطيع

بقراءته أن تعرف بعض خلجات نفسه ، وروى مؤرخوه كثيراً من هذه النماذج ، فتسمعه حيناً ينقم على حظه ويقول :

الحمد لله ، كم أسمو بعزمى فى نيل العلا ، وقضاء الله ينكسه
كأنى البدر أبغى الشرق والفلك الأعلى يعارض مسعاه فيعكسه

كما جأر مرة أخرى بالشكوى من الفقر حين قال :

لعمرى ، لقد قاسيت بالفقرشدة وقعت بها فى حيرة وشتات
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى
وإن لم أبح ، بالصبر خفت مماتى
وأعظم به من نازل بملمة يزيل حيائى أو يزيل حياتى

ويلجأ إلى الله قائلا :

وقائلة : مات الكرام ، فمن لنا إذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها : من كان غاية قصده سؤال مخلوق فليس بنابه
لئن مات من يرجى فمطلبهم الذى يرجونه باق فلوذوا ببابه

وتلمس حبه للوقار وغرامه به ، حتى قالوا : إن العادّ يستطيع إحصاء كلامه ، لأن كثرة الكلام تذهب بالوقار فى قوله :

تمنيت أن الشيب عاجل لمّتى وقرب منى فى صباى مزاره
لآخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصر المشيب وقاره

وله شعر كثير فى مدح الرسول ، ومن ذلك موشحة أوردها صاحب الفوات منها قوله :

بنى العزللتوحيد من بعد هدمه وأوجب ذل المشركين بجده
عزيز قضى رب السماء بسعده وأيده عند اللقاء بجنده
فأورده للنصر أعظم مشرع

وله نثر لايخرج عن طريقة أهل عصره الذين أغرموا بالسجع والمحسنات البديعية ، وتجد له نماذج فى كتبه وفى الطالع السعيد ، كما كان مطلعاً على كتب الأدب ، حتى لقد كان الشهاب محمود يقول عنه : « لم تر عينى آدب منه » .

ويثنى مؤرخوه على أخلاقه الاجتماعية والشخصية ، وكان خفيف الروح لطيفاً على نسك وورع ، ودين متبع ، يقابل الإساءة بالعطف والإحسان ، شفيعاً بالمشتغلين ، كثير البر لهم ، جواداً كريماً ، يحاسب نفسه ويشتد فى حسابها .

كل ذلك قد دفع معاصريه ومؤرخيه إلى أن يغمروه بإعجابهم إلى آخر درجات الإعجاب . فهذا فتح الدين بن سيد الناس يقول : « لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت أنى بأجل منه فيما رأيت ورويت ، لا يشق له غبار ، ولا يجرى معه سواه فى مضمار » .

وقال الذهبى عنه : « كان إماماً متفنناً ، مجوداً محرراً ، فقيهاً مدققاً ، غواصاً على المعانى ، وافر العقل ، كثير السكينة ، تام الورع ، سمحاً ، جواداً ، زكى النفس ، عديم الدعوى » .

أما السبكى فيقول عنه : « شيخ الإسلام ، الحافظ الزاهد الورع ، الناسك المجتهد المطلق ، ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة ، الجامع بين العلم والدين ، والسالك سبيل الأقدمين ، أكمل المتأخرين وبحر العلم الذى لا تكدره الدلاء ، ومعدن الفضل الذى لقاصده منه ما يشاء ... ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة ، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً » .

وذكره ابن أبى الإصبع صاحب كتاب البديع فى كتابه فقال : « هو من الذكاء والمعرفة على حالة لا أعرف أحداً فى زمنى عليها » .

وهكذا ظفر ابن دقيق العيد بإعجاب لا حد له ، ولا يزال اسمه إلى اليوم يذكر فى الفقه محاطاً بهالة من الإكبار والإجلال .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

المراجع :

(١) الدرر الكامنة ح ٤ ص ٩١
(٢) فوات الوفيات ح ٢ ص ٢٤٤
(٣) النجوم الزاهرة ح ٨ ص ٨٩ ، ١٤٨ ، ٦ ، ٢
(٤) السلوك للمقريزى الجزء الأول فى مواضع شتى
(٥) خطط المقريزى ح ٤ ص ٢٥١ و ٢٦٢
(٦) طبقات الشافعية للسبكى ح ٦ ص ٢
(٧) طبقات الحفاظ للسيوطى ح ٢ ص ٦٥
(٨) حسن المحاضرة له ح ١ ص ١٤٣ و ح ٢ ص ١١٣ و ١٥٧ و ١٥٩
(٩) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الخامس ص ٤١٧
(١٠) الطالع السعيد ص ٢٩ و ٧٢ و ٣٢٧ و ٣٥٢
(١١) الديباج للمذهب ص ٣٨٣
(١٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ح ٤ ص ٢٧٢

الأعلام والرايات

للأستاذ أحمد رمزي بك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

السلطان وأتباعه من الملوك المتغلبين :

كان أولَ من ملك مع خلفاء الإسلام وتلقب بالسلطان هم بنو بويه ، ثم جاءت دولة آل سلجوق ففاق ملوكها من تقدمهم وأصبحت دولتهم امبراطورية ضخمة ، خطب لملوكها فيما بين الصين وأســوار القسطنطينية ، ثم ظهر فى أنحائها المختلفة اتباعها وهم :

بنو طغتكين	بالشام
بنو قطلميش	ببلاد الروم
بنو سكمان	بخلاط وارمينية
بنو ارتق	بماردين
بنو زنكى	بالشام
بنو أيوب	بمصر والشام
ثم الترك	الذين ورثوا ملك مصر (١)

ويهمنا منهم أمر زنكى : لأن صاحب النجوم الزاهرة يقول « أنشأ بنو زنكى بنى أيوب سلاطين مصر وأنشأ بنو أيوب دولة الترك وأول ملوكهم الملك المعز « أيبك » . فانظر إلى أمر الدنيا و كيف أن كل طائفة سبب نعمة طائفة »(٢)

وتم هذا التسلسل فى سيادة الممالك وتولى أراضيها وكل بيت جاء من اتباع من تقدمه وأصل الأتابكة أى آل زنكى هو قسيم الدولة آق سنقر وكان تركيا من أصحاب السطان ركن الدين ملكشاه ابن الب ارسلان السلجوقى .

وكان آق سنقر من اتباع هذا السلطان .

وبدأ ملكه فى حلب(٣) والذى أشار بتوليته هـذه الدينة الوزير نظام الملك .

وكان ملـكشاه هذا من جملة الملوك السجوقين المتغلبين على البلاد .

إذن كانت ولاية البيت الأتابكى فى نطاق الدولة السلجوقية ، واستمرت هذه التبعية قائمة مدة زنكى وفى أيام نور الدين الشهيد ، وهى العلاقة القائمة بين التابع والمتبوع . كانت تنكمش أحياناً حتى لا تصبح شيئاً ثم تظهر فى ترتيب المملـكة وقواعدها ومرد ذلك إلى سلطة المتغلبين على الأراضى التى يفتحونها أو يستولون عليها . وبقدر ما يزيد استقلالهم يزيد تمسكهم بتقليد من كانوا هم تابعين لهم فى أبهة الملك والسلطنة وأخصها الأعلام وترتيب الجيوش ونظام الأقطاع .

وتبدو هذه التبعية فى ثنايا التاريخ غير واضحة تماماً فيما كتبه مؤرخو مصر والشام ، ولـكن مؤرخى المشرق ، أقصد بذلك بغداد وما يليها من الأقاليم يتحدثون عنها فى فقرات متباعدة .

ومن قبيل هذا ما جاء فى ابن الجوزى عن حوادث سنة ٥٣٨(١) من أن العلاقات ساءت بين السلطان وزنكى ، حتى جمع الأول العساكر لقصد الموصل والشام وترددت رسل زنكى « حتى تم الصلح على مائة ألف دينار تحمل فى نوب فحمل ثلاثون ألفاً ثم تقلبت الأحوال فاحتيج إلى مداراة زنكى وسقط المال وقيل بل خرج ابن الأنبارى فقبض المال » .

ولو شئنا تفصيل هـذه العلاقات لخرجنا عن موضوعنا إلى دراسة الامبراطورية السلجوقية وعلاقاتها مع التابعين لها ، ومع ذلك أنقل فقرة لتفسير ما جاء فى ابن الجوزى فنحن نعلم أن زنكى وجد ولايته وقد أحدق بها الأعداء والنازعون من كل جانب. الخليفة المسترشد والسلطان مسعود وأصحاب أرمينية وأعمالها وبيت سكمان وركن الدولة داود صاحب حصن كيفا وابن عمه صاحب ماردين ثم الفرنج صاحب دمشق .

ولذلك جاء فى أعلام النبلاء نقلا عن الروضتين « أن زنكى كان ينتصف منهم ويغزو كلا منهم فى عقر داره ويفتح بلادهم ما عدا السلطان (مسعود السلجوقى) فإنه لا يباشر قصده ، بل

(١) تاريخ بن خلدون صفحة ٢٦ طبعة مصر ١٩٣٦ جزء ١ .
(٢) النجوم الزاهرة صفحة ٢٦٨ جزء ٥ .
(٣) كانت حلب والموصل ضمن أملاك السلجوقين قبل تغلب الأتابكة عليها : إذ استولى عليها ملـكشاه السلجوقى عام ٤٧٩ هجرية .

(١) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم طبع حيدر أباد (فك الله قيدها) جزء ١٠ ص ٥٦ .

يحمل أصحاب الأطراف على الخروج عليه فإذا فعلوا عاد السلطان محتاجاً إليه ، وطلب منه أن يجمعهم على طاعته »[١] وفى هذا تفسير الحاجة إلى مداراته .

ودليلى على أن الخلافة كانت تنكمش أحياناً فلا تملك من الأمر شيئاً أمام سلطان السلاجقة والمتغلبين وأن سلطان هؤلاء كان ينصرف إلى السيطرة على أراضى الممالك ، وهذا ما أجاب به الخليفة سنة ٥٣٠ حينما طالبه زنكى بمال لتجهيز الجند إلى واسط إذ قال « البلاد معكم وليس معى شىء فاقطعوا البلاد »[٢] أى أعيدوا توزيعها .

من هذا يتضح أن الخلافة العباسية أصبحت فى ذلك الوقت مظهراً دينياً أكثر من أن تكون صاحبة قوة وغلبة ، وأن شعائرها هى شعائر الخليفة السنى العباسى وإن مبادرة السلاطين والملوك إلى الحصول على تقليد الخليفة ، كان القصد منه أن يرتكز الملك والفتح على أسس شرعية متفقة مع قواعد الدين : لا الخضوع إلى ملك العباسيين والإقرار بسيادتهم الفعلية[٣] .

فنور الدين حينما يرسل صلاح الدين لفتح مصر ، يفهم أنه يمد فى سلطانه وهذا فى حرصه على الاستقلال بمصر لا يجهر بما يبيته فى نفسه ، بل يحتفظ بمظاهر التبعية فى شعار المملكة وترتيبها ، كما كان يحرص الأتابكة فى الاحتفاظ بمظاهر التبعية لآل سلجوق ما دام هؤلاء على شىء من القوة والعظمة ، فإذا ضعف السلاجقة أو الأتابكة أخذوا البلاد لأنفسهم وحصلوا على إقرار الخليفة كما حصل من قبلهم آل سلجوق على الملك والسلطنة .

وفى ذلك يقول صاحب صبح الأعشى[٤] « واعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها فى الديار المصرية خالفتها فى كثير من ترتيب المملكة وغيرت غالب معالمها وجرت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكى ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام » .

وألمس أن الأتابكة لم يبتدعوا بل ساروا على سنن السلاجقة فى كل ما استحدثوه من أنظمة ثم كانوا حريصين على أن يحتفظوا بمظاهر السلطنة السلجوقية فى الأعلام والرايات وأنظمة الجند والأقطاع وغير ذلك . بل كان اتخاذ الأعلام السلجوقية مما يقوى مركزهم ويجعلهم مساوين لأصحاب هذا العلم ثم جاء صلاح الدين فنحى نحوهم واتخذ شعائر السلطنة على أعلامه ابتداء من فتح حلب كما سيأتى .

الأعلام :

حدد صاحب صبح الأعشى هذه الأعلام بقوله[١] « هى عدة رايات منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه وتسمى العصابة وراية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ورايات صفر صغار وتسمى الصناجق » .

والدخول فى شرح هذا التقسيم واستعمال كل نوع واصله مطلب صعب المرتقى ، ولكنى أكتفى بالإشارة إلى أن استعمال هذه الأعلام كان من عمل الدولة الكبرى أولاً أى من شعائر الدولة السلجوقية قبل أن يستعملها ملوك مصر من الترك أو الأيوبيين أو آل زنكى الذين كانوا فى ذلك مقلدين لا مبتدعين .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه : «وأول من حمل السنجق على رأسه من الملوك فى ركوبه غازى ابن زنكى وهو أخو السلطان نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام » .

ونقل هذا صاحب صبح الأعشى[٢] فقال : « إن غازى أحدث حمل السنجق على رأسه فتبعه الملوك فى ذلك وألزم الجنود أن يشدوا السيوف إلى أوساطهم ويجعلوا الدبابيس تحت ركبهم عند الركوب » .

ويفهم عن عبارته أنه اخترع هذا الشعار الذى أخذ به بعده أبناء عمه فى الشام ، ولكن صاحب النجوم الزاهرة يقول : « الملك غازى ابن زنكى بن آق سنقر التركى أخو السلطان نور الدين محمود الشهيد الأتابكى هو أول من حمل السنجق على رأسه من الأتابكية ولم يحمله أحد قبله لأجل ملوك السلجوقية » .

ويقول صاحب عقد الجمان « وهو أول من حمل على رأسه

---

(١) أعلام النبلاء جزء ١ صفحة ٥١٦ .

(٢) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزى جزء ١٠ صفحة ٥٦

(٣) كان قيام سلطتين فى بغداد وما حولها مما أدى إلى إسراع الخراب إلى كثير من أراضى العراق الخصبة .

(٤) جزء ٤ عند كلامه على ترتيب المملكة .

(١) صفحة ٨ جزء ٤

(٢) من الجائز أن يكون السلجوقية أخذوا الكثير عمن تقدمهم من ملوك الترك .

السنجق من أصحاب الأطراف فإنه لم يكن فيهم من يفعله لأجل السلاطين السجوقية » .

إذن كانت الأتابكية أقل من السلطنة(١) وكان أصحابها من ملوك الأطراف وكانوا يتحاشون الأخذ بمظاهر السلطنة ، التي هي من حق ملوك آل سلجوق الذين لهم وحدهم هذا بانتمائهم إلى البيت المالك الذى يمثله سلطان السلاطين كما يفهم أن ملوك الأطراف كانوا يحاولون أن يتشبهوا بمن هم أعلى منهم ، وأن هؤلاء كانوا يمنعونهم من ذلك حتى لا يرقوا إلى مرتبة تقرب من مرتبة من يتولى الرياسة والصدارة بين السلاطين لأن استعمال شعار السلطنة معناه التساوى فى المرتبة والقوة .

ويظهر من كلام فضل الله فى عهد دولة المماليك الأتراك : « أن من عادة السلطان إذا ركب يوم العيدين ويوم دخول المدينة يركب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهى صفر مطرزة بألقابه وترفع المظلة على رأسه وهى قبة مفشاة بأطلس أصفر مزركش عليها طائرة من فضة مذهبة يحملها بعض أمراء المئين وهو راكب فرسه إلى جانبه وأمامه الطبردارية مشاة وبأيديهم الأطبار » .

ويعلق صاحب المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة(٢) ناقل هذه الفقرة بقوله : « العصائب المذكورة حرام وقد بطلت الآن والحمد لله » مما يدل على كراهية الناس لهذا النوع من مظاهر الأبهة المأخوذة من ترتيب ممالك آل سلجوق وبنى بويه وغيرهم .

ولكن اللون الأصفر بقى حتى نهاية استقلال مصر بل وأدخل على المظلة وهى من بقايا ترتيب الفاطميين مع أنها من صميم المراسم المصرية وليست من تقاليد ملوك الشرق من الأتراك وغيرهم .

اللون الأصفر واللون الأسود :

الذى أمكننى استخلاصه هو أن اللون الأصفر أصبح شعار السلطنة والأسود استمر للخلافة بل أن العصائب أصبحت فى بعض الأحيان من تقاليد الخلافة فى مصر : وهذا من أغرب ما أدخل من شعائر الملوك المتغلبين على نظام الخلافة المفروض أن يستمر عريقاً فى تمسكه بمراسم الأبهة العباسية ولا يأخذ بمظاهر أجنبية عن العروبة والإسلام . فمن ناحية اللونين والعلمين أشير إلى ما جاء فى السلوك(١) .

« إن رسل ملك القبجاق وصلت إلى مصر ومعهم كتاب بالخط المغلى يتضمن أنه أسلم ويريد أن ينعت نعتاً من نعوت الإسلام ويجهز له علم خليفتى وعلم سلطانى يقاتل بهما أعداء الدين » .

وجاء فى تاريخ أبى الفداء(٢) من حوادث ربيع الآخر سنة ٧٣٢ هجرية حينما جاء ابن أبى الفداء بعد وفاة والده إلى القاهرة فى ربيع آخر سنة ٧٣٢ هجرية .

« ركب بشعار السلطنة الملك الأفضل الحموى بالقاهرة ، وبين يديه الغاشية ، ونشرت العصائب السلطانية والخليفية على رأسه وبين يديه الحجاب وجماعة من الأمراء وفرسه بالرقبة وأمامه الشبابة وصعد إلى القلعة » وفى هذا تصديق لما بدأ به هذا البحث من قيام شعارين .

فلا محل إذن للتساؤل عن اللون الأسود العباسى وعدم

---

(١) قال ابن العديم : كان أتابك جباراً عظيما ذا هيبة وكان الشاووش (الجاويش) يصيح خارج باب العراق وهو خارج من القلعة : قارن هذا بنظام النوبة والنفخ فى البوقات وترتيب ضرب الدبادب والكوسات .

(٢) قارن لفظ أتابك مع أتاتورك وأتامان والأخير يطلق على زعماء القوزاق ودخل هذا اللفظ فى اللغات الروسية والبولونية والألمانية . سبب تسمية زنكى بالأتابك : إنه لما تقلد الموصل سلم إليه السلطان محمود السلجوقى ولديه الب أرسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجى ليربيها • فلهذا قيل له أتابك لأن الأتابك هو الذى يربى أولاد الملوك ، أتا بالتركية هو الأب وبك هو الأمير فاتابك مركب من هذين المعنيين .

وكانت القاعدة لدى هذه الشعوب أن يفرق فى سن البلوغ بين الأولاد وآبائهم حتى ينشأوا على تربية بعيدة عن تأثير الوالد والوالدة ولذلك أصبح فى بلاط كل أمير وملك عدد من أولاد الملوك والأمراء يربى فى كنفه كما كان هناك نظام يقضى بتسليم أولاد السلاطين ليربوا فى كنف من يوثق فيه من كبار رجال المملكة .

لاحظ تطور الأتابكة فى مصر إلى أن أصبح اللقب يطلق على من يتولى الوصاية على السلطان القاصر ، ثم انتهى إلى أن أطلق على قائد الجيش فقيل للأمير أزبك أتابك العساكر المصرية : وهو لقب عظيم يشعر بالرابطة بين القائد وجنده •

(١) هو منجو بن طوغان بن باطو بن دوش بن جنجيز خان السلوك صفحة ٧١٦ .

(٢) تاريخ أبى الفداء صفحة ١٠٥ جزء ٤ .

اختياره للاعلام فى مصر بعد زوال الدولة الفاطمية إذ أن ولاية الأيوبيين كانت مرتكزة على آل زنكى وهؤلاء يتبعون آل سلجوق ويتقلدون بهم ولذلك لما دخل صلاح الدين حلب وتيقن من ثبوت ملكه « نشر سنجق السلطان الأصفر على سور القلعة وضربت له البشائر »(١) .

فهو قد شمر فى هذه اللحظة بقوته ، ونحا نحو السلاطين من آل سلجوق ، وطمع فى أن يعامل مثلهم ، فاتخذ شعارهم وجعل علمه أصفر اللون ، وهو علم السلاطين الذين يسيطرون على الأرض(٢) ، وطمع أن يصل إليه التقليد من خليفة بغداد (٣) باقامته سيداً على الأراضى والممالك التى دانت له .

تراث الدولة السلجوقية :

إننى لا أزعم أن آل سلجوق ابتدعوا كل شىء ، بل أقول إن طبيعة الأشياء تحتم أنهم أخذوا ممن تقدمهم أشياء ليس بوسعى تحديدها بواسطة ما لدى من مراجع ، وإنما عمل الباحثين سوى موالاة البحث عنها ، ولكنى أقول أن أثرهم كان كبيراً فى ترتيب نظام الممالك التى جاءت من بعدهم : وأقول أن نظام الأقطاع فى التاريخ الإسلامى لن يقدّر له البحث العلمى الصحيح بدون أن نلم بأصل هذا النظام فى أواسط آسيا ونرجع إلى نشأته الأولى .

وكذلك نظام الجيوش وتعبئتها ومراتبها تأثرت إلى حد كبير بما أدخله السلجوقيون ، ولن تقدر قوة دولتى المماليك العسكرية بدون أن نلم بما كانت عليه أنظمة جيوش السلاجقة .

(١) أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء ص ١٣٢ ج ١٠ نقلا عن الروضتين .

(٢) فى سنة ٦٥٥ أرسل آخر خلفاء بنى العباس المستعصم بالله : الحلقة والطوق والتقليد إلى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز الأيوبى .

(٣) لاحظ العلاقة بين السلطان والأراضى التى يحكمها واللون الخاص بالسلطنة لما سيأتى فى هذا البحث وهى علاقة تفويض لا تملك :

« طلب العادل من السلطان صلاح الدين كتاباً بولاية حلب ككتاب البيع والشراء فامتنع صلاح الدين وقال إنما تكون إقطاعاً : ولما اجتمعا قال له : «أظننت أن البلاد تباع أو ما علمت أن البلاد لأهلها المرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين ... أو ما علمت أن السلطان ملكشاه السلجوقى لما أوقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم به أحد من القضاة ولا الفقهاء » أعلام النبلاء بصفحة ١٥٠ جزء ٢ .

ولم يكن أثرهم قاصراً على مصر والشام بل شمل الجزء الشرقى من العالم الإسلامى وأخذ به ملوك خوارزم من بعدهم(١) « ولما ملك صلاح الدين الديار المصرية جرى على منهجهم أو ما قاربه وجاءت الدولة التركية وقد تنقحت المملكة وترتبت فأخذت فى الزيادة وفى تحسين الترتيب وتمضيد الملك وقيام أبهته ، ونقلت عن كل مملكة أحسن ما فيها ، فسلكت سبيله ونسجت على منواله حتى تهذبت وترتبت أحسن ترتيب وفاقت سائر الممالك وفخر ملكها على سائر الملوك »(٢) .

وفى ذلك يقول الأستاذ فييت : « إن سلاطين المماليك كانوا الوحيدين الذين نجحوا فى تاريخ مصر فى تأسيس امبراطورية ضخمة » (٣) .

أما تفسير اختيار الراية الصفراء الذى أشار إليه بيبرس فى كتابه إلى بومند صاحب طرابلس الشام بقوله «إن رايتنا الصفراء قد علت على رايتكم الحمراء وسادت الأرض » فأرده إلى أواسط آسيا حيث منبت السلاجقة ، فقد وجدت فى كتاب « تاريخ مدنية الأتراك (٤) » تأليف «ضيا كوك ألب» إن الأتراك اتخذوا لعناصر الحياة : الماء والتراب والنار ألواناً : فالسواد للماء والبياض للنار واللون الأصفر للأرض وقال « طوبراغك رنكى صاريدر» .

فهل اتخذت الراية الصفراء من القدم شعاراً لسلطان الأرض ؟

إنه ليصعب على أن أقرر شيئاً من ذلك ، حتى بعد المعلومات المتفرقة التى وضعتها أمام القارىء ، لأن ما نعلمه عن آل سلجوق وبنى بويه وآل سبكتكين وغيرهم من المتغلبين لا يزال فى حاجة إلى الجمع والتبويب والتنظيم .

وإن كنت أقرر أن بحث نظام الإقطاع فى تلك الأزمان سيفتح لنا حتماً الطريق الذى يوصلنا إلى نواح لا تزال مجهولة ، أرجو أن يتولاها المهتمون بالتاريخ الإسلامى بعنايتهم .

أحمد رمزى

(١) تاريخ أبى الفداء ص ١٤٨ جزء ٤ .

ضرب خوارزم شاه لأولاده النوب الخمس فى أوقات الصلاة على عادة الملوك السلجوقية .

(٢) دولة الأتراك بمصر . ترتيب المملكة صبح الأعشى ج ٤ ص ٥

(٣) كتاب مساجد القاهرة ص ٤٧ .

(٤) طبعة استانبول ص ١١١ ج ١

عرائس الربيـــع

للأستاذ على محمود طه

وثبن فى موكب الطبيعـــه وثوب غزلانها الوديعـــه
منشّرات ومُرسَــلاتٍ غلائل الفتنةِ الرّصــيعه
أثار دفء النســيم روحاً فيهن مشبوبة وليعـــه
وهاج عطر الصباح فيهـا ما هاج فى النحلة الرضيعه
فرحن يمرحنَ فى غنـــاء تُصغى ، وتتلو الرُّبى رجيعـه
يحملن ورداً بهـا لورد ينثـــال بالحمرة الينيعـه
كأنمـا الروض قلبُ صَبٍّ أسَلْنَ فوق الثرى نجيعـه
هذا الربيعُ الجـــيلُ يجلو فنونَ إبداعه الرفيعـــه
مشى تُحَيٍّ الرياض منـــه خُطىً على صدرها سريعـه
وديعـةُ الخُــلد فى يديه وبوركت فيهما الوديعـــه
انتشت الأرض من شذاه وأترعتْ كأنهـــا الرصيعه
ولى فمٌ ناضـــبٌ وقلبٌ فارغةٌ كأســـه صديعـه
عرائس الحسن لا تَدَعن الـــمحبَّ للهجر والقطيعـــه
فإنهُ شـــاعرٌ يُغَنّى أحـــلامه الحلوة البديعـه
لـكُنْ يُحيى صِبا الليـالى شدواً ، ويُفنى الهوى دموعه !

عاد ربيعُ الثرَى وعادتْ صوادح الدوحة الوشــيعه
هفتْ بجوقاتهـــا إليـه مُفشــيةً سِرّهُ مُذيعه
وزفّهُ بلبـــل لعــوب فى حِضنه وردةٌ خليعـــه
وحـدّق الزهرُ واشرأبتْ كمائمٌ حوله سميعـــه
شريعة الغــاب ما أراها دماً ولا ميتــةً ذريعه
لكنهُ الحبُّ فوضـوياً يقتحم الذروة المنيعـــة
تدعو له الـكائنـاتُ طراً وقُدّس الحبُّ من شريعه
فيا عروس الربيـــع هاتى من وحيـه وانشرى صنيعه
أنتِ شبابُ الحيـــاة أنت الجمالُ فى موكب الطليعـه
وأنتِ أنتِ الربيعُ ، لا ما تبـدعه ريشـــة الطبيعـه
خدّاكِ ، نهداك ، من جناهُ فاكهـة الجنـــة الضيعه
ثغرك ريّانُ من رحيـق الحبُّ يحيى به صريعـــه
شعرك من نور ناظريه يقبس منه السّنى سطوعه
وُقيت لمح العيون إمّا رَمتك بالنظرة الجميعـــه
وقيت لفح الشـــفاه إما هفت بهـــا قُبلة الخديعـه
وقيت فحّ الصـــدور إما غلتْ بهـا الشهوة الوضيعه
فارجعى يا عروس فنى صِـــباً يود الهوى رجوعه
أيامُ كلُّ الطريـق زهرٌ وكلُّ حافاته مَريعـــه
أيام كلُّ الحيـــاة فجرٌ ترقب عين الفتى طلوعه
وليـله مهرجان عرس قد أوقدوا حوله شموعـــه
إن أنت لم تُحسنى إليه قتلت فى صـــدره نزوعه
ومن لقلب أضاع بين الهوى وبين الصـــبا ربيعه !!

على محمود طه

كـــن زهرة

للأستاذ إيليا أبو ماضى

قل للذى أحصى السنين مفاخراً ياصاح ليس السرُّ فى السنواتِ
لـكنه فى المرء كيف يعيشها فى يقظةٍ أم فى عميق سباتِ
قم عُدّ آلاف السنين على الحصى أتعدُّ شبه فضيلةٍ لحصاةٍ ؟
خير من الفلوات لا حـد لها روضٌ أغنُّ يقاسُ بالخطوات
كن زهرةً أو نفحةً فى زهرة فالمجـدُ للزهرات والنفحات
تمشى الشهورُ على الورود ضحوكة وتنام فى الأشواك مكتئبات
وتموت هذى العقم قبل مماتها وتعيش تلك الدهرَ فى ساعات
تحصى على أهل الحياة دقائق والدهر لا يحصى على الأموات
العمرُ إلا بالمـآثر فارغٌ كالبيتِ مهجوراً وكالموماةِ
جعل السنين جميلةً وكبيرةً ما فى مطاويها من الحسنات

إيليا أبو ماضى

صور من الحياة :

غـــــدر ... !

للأستـــــاذ كامل محمود حبيب

لقد كان عهدى بك — يا صاحبى — فتى مشرق الوجـه وضاح الجبين ريق الشباب ، تتألق — دائماً — فى الغالى الثمين من اللباس فتبدو فى رأى العين حسن الهيئة جميـل الشارة ، تتوثب نفسك سـعادة ومرحاً ويفيض قلبك بهجة وحبوراً ، يشغلك مهل الحياة عن حزنها وتصرفك سعة العيش عن شظفه ، تتفتح لك الدنيا عن مثل بسمة الزهرة النضيرة سقاها ندى الفجر الرطيب ورفت عليها نسمات الصبح الرقيقة ، فتتدفق فى قلبك لذة وهدوءاً ، فـكنت — إذ ذاك — تبدو كفراشة سـعيدة ما بها إلا أن تثب بين الورود والرياحين ترشف الرحيق العذب فى شوق وشغف ثم تنطلق إلى غايتها لا تأسى على شىء . فمالى أراك الآن وقد حال لونك وذوى عودك ، إننى أحس كأن حادثة عصفت بك فلفّت بهجتك فى ثناياها وطوت البشر عن عينيك ، فبدت على جبينك سمـات الحزن وارتسمت على وجهك علامات الـكآبة . يا عجبا ! لقد تغضّن جبينك بعد إشراق ، وتكسرت شوكتك بعد صلابة واستحالت أناقتك إلى أسمال خلقة ! فماذا كان من الأيام وماذا كان منك ، يا صاحبى ؟

وأطرق الرجل حيناً فى خجل ثم قال وفى صوته ضعف وفى نبراته اضطراب « إن لى حديثاً طويلاً لا أستطيع أن أفضى به إلا أن يطمئن بطنى ، فأنا منذ ليلتين أبيت على الطوى لا أجد ما أسد به رمقى ، وحاولتُ جهدى أن أحتال لأمرى فعجزتُ ، وتنـكّرت لى الأيام وعصرتنى الحياة بين فـكين من حديد ، فانسدت مسالـكها وأوصدت مساربها ، وتراءت لى قلوب الناس جامدة لا تنبض بشفقة ولا تهتز برحمة ... »

وحزّ حديثه فى نفسى فانطلقتُ أهيىء له طعاماً وشراباً ، فما راعنى إلا أن يلوك اللقمة ولا يكاد يزدردها ويحركها بين أسنانه ولا يكاد يستسيغها . فقلت له فى دهشة « ما بالك لا تقبل على الطعام ؟ » قال : « يا سيدى ، إن الطير ليزق فراخه وهو خمصان فيحس الشبع والراحة حين تهدأ نفوسها ، وإن الوحش الكاسر ليطعم صغاره دون نفسه وبه قرم إلى اللحم فيجد السعادة والهدوء . وإن لى صبية يتلهّبون جوعاً ... » قلتُ : « إن لعنة الله لتنحط على المـكتظ فتصيبه بالتخمة ليملأ بطنه لا يسع ما يشبع بطنين » ثم أخذتُ أعدُّ لصغاره طعاماً يكفيهم أياماً ، ورأى هو الطعام فهب — فى بشر — يريد أن يحمله إليهم ، فقلت له : « مهلاً ! إن الخادم سيحمله إليهم وستبقى أنت هنا لتقص قصتك ... »

وجلس صاحبى إلى جانبى مطرقاً فى مهوم ، وإن خواطره لتضطرب فى بيداء السنين وإن الحوادث لتشتجر فى قلبه ، وإن نفسه ليتنازعه عن أن يفضى إلى بذات نفسه . فقلت : « يا أخى ، لا بد من شكوى ... ! » قال : « آه ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية » ثم قال : « نشأت أنا وأخى الأكبر وحيدين تجمعنا صلاة الأخوة والصداقة وتضمنا روابط الطفولة واليتم ، لم نشعر بعطف الأب ولم تنتسم حنان الأم ، ولنا دار وتجارة ، فتكفلنا عمنا ، وماله ولد ولا فيه طمع فشملنا بعطفه وخصنا بعنايته وإنه لرجـل دين وقناعة ، فما امتدت يده إلى درهم من مالنا ولا عبث بالضئيل من تجارتنا ولا خلبه بريق الذهب ولا استهواه شره المال ، فماش وعشنا فى كنفه سـنوات ، ثم أصابه الـكبر وعصفت به الشيخوخة على حين قد غـا أخى الأكبر واشتد عوده ، فقام هو على تجارتنا يصرفها ويرعاها ومن ورائه رأى عمى وتجاربه وإخلاصه .

وانطوت السنون تصقل أخى وتحبوه بالمران والدربة ، وأنا منصرف عن شواغل الحياة وعن رواعى العمل إلى عبث الشباب وطيش الصبا ، لا يعنينى إلا أن أجد المتعة واللذة ... وغـرّنى ما ألاقى من حب أخى ووفائه فسـكنت إلى صفاء ودّه وخالص حبه ...

ثم تزوج هو وتزوجت أنا ، ودخلت المرأة بيننا تريد أن تفصم عروة عقدتها يد الزمن ، وأن تقطع آصرة ربطتها جفوة الحياة منذ أن شب كلانا عن الطوق . والمرأة شيطان جميل ينسرب حديثه الطلى إلى القلب رقيقاً فى مثل نسمات الربيع اللطيفة ، وهى ثعبان ينفث سموماً تتدفق فى النفس فى مثل حلاوة الرحيق ... ووجدت كلمات المرأة من أخى أذناً صاغية فما تلبث أن شطر الدار شطرين ، وأقام بينى وبينه جدر ، لا يستطيع واحد أن يظهره .

وأحسست أنا — لأول مرة فى حياتى — مسَّ الأسى والحزن حين أحسست فقد أخى وهو إلى جوارى .

وانجابت غشاوة من على عينى فتراءى لى ما يتوارى خلف أستار الزمان ، وخشيت أن يخلو أخى إلى زوجه يلقى السمع إلى حديثها ويلقى السَّلَم إلى رأيها فإذا تجارتنا شطرين مثلما أصبحت دارنا شطرين ، وغبرتُ أياماً تؤرقنى الفكرة وتزعجنى الخاطرة ، لا أستطيع أن أصرف نفسى عنها ولا أن أمحوها من خيالى ، ثم رحت إلى أخى أكشف له عن هواجس نفسى وأنشر أمامه خلجات فؤاده فقلت : « أىْ أخى ! أنا لا أستطيع أن أجحد فضلك ولا أن أنكر جميلك ، فلولا ما بذلت من جهد وعناية ما زهت تجارتنا ولا ازدهرت ولا درَّت علينا هذا الرزق العميم . ولقد كنتُ فى حياتى كلها أحس منك شفقة الأخ الأكبر وحنان الأب الرحيم ، أطمئن إلى حبك وأسكن إلى إخلاصك . وإنى لأخشى أن توسوس لك نفسك فتستقل بنصيبك فى التجارة وتذرنى ضائماً ، وأنا حريص على ألا تعصف بنا نوازع المادة فتتصدع وحدتنا وتنشق عصانا وتتقطع وشائج القلب وصلات الروح . وهذه تجارتنا بين يديك ، هى لك كلها إن شئت ولك جلها إن أردت ، وأنا قانع بما تنزل لى عنه لأننى لا أرضى بأن يشمت عدو أو أن يتشفَّى حسود » .

وسمع أخى الأكبر حديثى فاستيقظ تاريخنا كله فى قلبه منذ أن كنا طفلين نستشمر الذلة ونحن الضياع فترقرقت فى عينيه عبرات ما تتحدر وفاض قلبه بالعاطفة السامية ، ثم ربت على كتفى وهو يقول « لا يزعجك هذا الأمر فأنا أشد حرصاً عليه . ولقد اقتسمنا الدار لأننى كنت أخشى أن يدب خلاف بين زوجى وزوجك أو أن يطغى ابنى على ابنك فتتهدم سعادتنا وتنقض راحتنا . أما التجارة فهى لى ولك . . »

وقمت من لدن أخى وإن الفرحة لتفعم قلبى .

ومضت سنة واحدة ، ثم انحط علىَّ مرض يعركنى عركاً شديداً . وحبسنى الداء فى حجرة من الدار لا أستطيع أن أبرحها وإلى جانبى زوجى تقدم على حاجاتى فى غير غضاضة ولا ملل ، وأخى يغدو إلىَّ ويروح وإلى جانبه طبيب وبين يديه دواء ، وأنا لا أنوء بأثقال المرض ، وإن زوجى وأخى بين يدى يرفهان عن نفسى شدة الضنى ويخففان عنى صولة العلة ، ومن بينهما طبيب . والطبيب رجل غليظ الكبد ، سقيم الوجدان ، واهى الرجولة ؛ لا يشفى غلته سيل من المال ، ولا ينقع صداه بحر من الذهب ؛ يصرفه الجشع عن الواجب ، ويشغله الشره عن الإنسانية .

وطالت بى العلة ، فما أرمضنى إلا صغارى يحومون حولى ، وإن قلوبهم لتتفطر أسى ولوعة لما أعانى من ألم . ثم برئت — بعد لأى — من سقامى لأخرج للناس شبحاً ضامراً هزيلا شاحب الوجه ، مرتعش اليد ، منحط القوة .

ورأى أخى عجزى وضعفى فتنكر لى وانطوى عنى فلا يزورنى إلا لماماً ولا يحدثنى فى شأن تجارتنا إلا قليلا ، وقبض يده عنى فلا يبض إلا بدريهمات لا تسد حاجة ولا ترأب صدعاً . ولمست أنا فيه الجفوة والقسوة فاضطرب قلبى وانزعج فؤادى ، ولكنى لم أستطع أن أتحدث إليه بأمر . ماذا أقول وأنا أوقن بأن مرضى قد كلفنى فوق الطاقة استنفد الكثير من مالى ، غير أن حاجات العيش ثقال ومن ورائى زوجى وصغارى يطلبون القوت واللباس ولا يقنعون بالتافه من العيش ولا يرضون بالرخيص من اللباس ؛ فذهبت إليه أدفع نفسى دفعاً عنيفاً وأحملها أمراً لا تطيقه .

وجلس وجلست أنا ، وتحدثت إليه بحاجتى فأعرض عنى ولم يلق بالا إلى كلماتى ، بل قام فى أناة وتؤدة ليجمع أوراقه ودفاتره ثم لينشرها أمامى وهو يقول : لقد استنزفت أيام مرضك كل ما ادخرنا وركبنا الدين ونحن الآن نسير إلى الإفلاس فى سرعة . وهذه أوراقنا تدل على صدق ما أقول » ووجمت أنا لحديث أخى ، وتراءى لى أن يداً عبثت بالتجارة وأن عقلا عاث فى الأوراق ولكن الكلمات ماتت على شفتى ، واستمر هو فى حديثه يقول « والآن أصبح لا معدى لنا عن أحد أمرين : إما أن نبيع الدكان بما فيه لرجل غريب ، وإما أن يشتريه أحدنا ويدفع الثمن فوراً » وصدمنى الرأى صدمة عنيفة ، فأخى يثق بأننى خاوى اليد والجيب وأننى أضن بتجارتنا أن تصبح فى يد غريبة وأننى فى حاجة شديدة إلى المال . فقلت فى استسلام وكمد « خذ أنت حصتى » قال « فهى تساوى كذا وكذا يخصم منها ثمن الدواء وأجر الطبيب وهو كذا فيبقى كذا » وأرغمتنى الحاجة على أن أنزل عند رأيه فكتبت له تنازلا عن حق لقاء المبلغ الذى أراد ، ثم انفلت من لدنه وبين يدى جنيهات وفى عينى عبرة وفى قلبى لوعة

آه ، يا صاحبى ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية » ...

كامل محمود حبيب

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوى

— ٢ —

بقى بعد هذا بدعة أخرى ، وهى آخر ما سنتكلم عنه — جاءتنا هذه الأيام من فرنسا ، وفرنسا دائماً بلد العجائب وأم البدع . هذه البدعة الجديدة أعجب ما فى أمرها أنها تدعى لنفسها عراقة نسب فى التاريخ وكرم محتد فى الفلسفة تسمى (الوجودية) L'Existantiolisme

وأعجب من هذا أن يظهر مثيل لهذا المذهب فى ألمانيا على يد الفيلسوف الأديب نيتشه Neizche قبل القرن العشرين ، ويظهر المذهب نفسه بعد ذلك على يد هيد يجر فى ألمانيا أيضاً ؛ فلم يكد يعرفه أحد هنا حتى ظهر هذه الأيام فى فرنسا على يد سارتر Sartre ؛ فسرعان ما وجدنا له أساتذة عندنا وأعواناً قبل أن يجد سارتر الأعوان والأساتذة ؛ لأن فرنسا غدت بعد الحرب فى فقر من الرجال كما يقول سارتر .

لا يدخلن فى روعكم أن هذه الفلسفة أتت بجديد ؛ فهى عين ما جاء به روسو وفولتير ومزدك والإسماعيلية وماركس : البهيمية والإباحية — مع اختلاف فى الأسماء وتزويق فى الألفاظ ! ولكنها على كل حال تجلت فى ثوب جديد ، وعرفت كذلك باسم جديد يلائم ذوق العصر وثقافته L'existentialisme !

فلنعرف أولا ما هى هذه الوجودية ثم ليكن بعد ذلك ما يكون :

خلاصة ما فهمت من شروحهم بعد دراستى لهذا المذهب وبخاصة ما كتب زعيمهم سارتر ولا سيما فى كتابيه (الوجود والعدم) L'étre et le néant والمتوهم L'rmaginaire

أنهم يقابلون قسمة الكائنات الحية فى الدين وعند كل الفلاسفة القائلين «بالإثنينية» Dualism إلى روح وجسد ، أو إلى مثال[1] rideab وصورة ، أو إلى جوهر وعرض . تتقدم الروح فى الوجود ظهور الجسد ، ويتقدم المثال تجسيد الصورة ، ويتقدم الجوهر العرض ، إلى آخر تلك الأشياء التى هى فى واقعيتها ومعقوليتها أقرب إلى أن تكون بداءة ؛ فيزعمون أنها خرافات تأصلت فى النفوس بعد أن ابتليت بداء الدين العضال !!

فلو سألناهم : إذا كان هذا باطلا حقاً يتجافى الواقع كما تدعون فعرفونا ما لديكم من أنباء الأمور الصحائح لعلنا نهتدى بهديكم ، وجدناهم يعمدون إلى الغموض والتعمية وإلى المراوغة والتكايس ، ولم يزد كل أمرهم على أن يقابلوا شيئاً بشىء فيضعوا لفظاً مكان لفظ ، ويغيروا اسماً باسم ، ويقلبوا وضعاً لينصبوا مكانه آخر وهكذا ...

فيقولون إن أى كائن يتكون من شيئين اثنين هما : جِبِلَّته[1] ووجوده .

فالجبلة : هى تلك السمة التى تميز كل نوع من الكائنات عن النوع الآخر ؛ فبها تتميز الأنواع .

والوجود : هو الظهور الفعلى النافذ فى هذه الحياة .

ففكرة المهندس فى تصميمه لآلة من الآلات مثلا هى جبلة هذه الآلة . وتنفيذ هذه الفكرة أو تجسيدها — كما فى المثال المتقدم — هو وجود هذه الآلة .

من هذا نعرف أن الجبلة هى التى تتقدم الوجود ؛ ولكن هذا عند الوجوديين خطأ محض إذا طبقناه على الإنسان : فلنا أن نطبقه على كل شىء إلا الإنسان ؛ فإن له قانوناً خاصاً غير قانون الدين المتقدم ، فهو — كما فى زعمهم — خطأ ! ! وغير قوانين الطبيعة ؛ لأن كل قوانينها (أوهام) اختلقها العقل وقيد بها نفسه . فليس هنالك شىء اسمه القانون ! ولكن لا بأس عليهم أن يلزمونا بقانون ، ولا بأس علينا إذا أخذنا بقانونهم هذا فهم أئمة الهدى المعصومون ! وهو : أن وجود الإنسان هو الذى يتقدم جبلته !

فلم يعد ثمة جبلة خلقها الله ؛ ولكن الإنسان — وهو فى نظرهم ذلك اللقى الذى قذف به فى هذا العالم قذفاً من هاوية

(١) كما عند أفلاطون

(١) الجبلة (بضم الجيم وسكون الباء) والجبلة (بكسر الجيم والباء) الخلقة والطبيعة (قاموس) . قال الشارح : قوله والجبلة (بضم الجيم وسكون الباء) الخ : قال الله تعالى : « واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين » : أى المجبولين على أحوالهم التى بنوا عليها ، وسبلهم التى قيضوا لسلوكها المشار إليها بقوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » .

لا يدريها ولا يحب (إن كان وجودياً عاقلا) أن يفكر فيها ، فما عليه إلا أن يعرف أنه هكذا وجد ! — هو الذي يخلق جبلة لنفسه بنفسه حال صراعه مع الكائنات الأخرى ومع الطبيعة فى سبيل الحياة ... وما عدا ذلك أوهام وترهات !

وأود أن أطمئن من يجد فى هذه النظرية شيئاً من التناقض أو الغموض بأن سارتر نفسه يعانى هـذه الحال ، ويعز عليه أحياناً أن يكون هذا حظه فى فهم المذهب الذى به يعيش ؛ فلا يستحى أن يقول إن التناقض والغموض من أغراض الوجودية ، لأنها تصور (صادق) للحياة بما هى ، والحياة كلها متناقضات ومعميات !

فإذا قلنا لهم : فى أى منطق يصح هذا ويستقيم ، وبأى عقل يمكن أن نسيغه أو نقبله ؟ وجدنا الجواب حاضراً — فهم قوم قد أعدوا لكل شىء عدته ، ولكل محتمل جواباً ، ولا يتهافت على الهبوط إلى وكرهم للاندماج فى عصابتهم إلا كل بارع فى فن الجدال والمداورة ، وفى فن التمويه والمكابرة — فما أسرع مايقولون وما علينا إذا لم تفهم البقر ! .

وفى شرح هذه النظرية والدفاع عنها ألفت كتب وأبحاث . كما أن سارتر يدير مجلة فى فرنسا لهذا الغرض هى (العصور الحديثة) les remps Modernes

والشعار الذى يقدمونه لكل مطلع على مؤلفاتهم هو (الحرية) وأنهم دعاتها وحماتها . وتحت هذا الشعار — مهما خدعوا بالألفاظ المزورة واصطلاحات الشعبذة — تسير جيوش الإباحية وادعة آمنة . « أنا حر فأنا إذن موجود » هذا هو شعار القوم . ولكن الحرية هنا ليست بالمعنى الذى نفهمه معشر الشرقيين ، أو الذى يفهمه معظم سكان العالم ، وإنما هى من ذلك النوع الذى نادى به أجدادهم ومن هم على شاكلتهم قبل اليوم بعشرات السنين

الحرية هنا هى أن يتمتع الإنسان بكل شىء وعلى أى نحو بشرط ألا يندم بفعل أى شىء وإلا كان وجوده ناقصاً (أو كان غير موجود !) واسمحوا لى أن أكون أكثر حرية من ذى قبل حتى أستطيع أن أحدثكم عن هذه الحرية الجديدة .

ومهما يكن من أمر ما نادى به سارتر من «وجوب أن يكون الأدب صورة القارئ» أو الكاتب أو حتى البيئة — وقد أثير ذلك فى بعض مجلات[1] مصر العريقة — فإنى لم أقف على هذا متحققاً فيما بين يدى من مؤلفات سارتر ولم يكن ليهمنى أن أقف عليه قدر ما كان يهمنى أن أحلل هذه المؤلفات من حيث هى ومن حيث هى وسائل وضعت لغرض مخصوص هو نشر مذهب معين وأقصد به الوجودية كما يقول بها سارتر .

وما عدا الخطوط الأساسية التى هى أصول (المذهب) والتى أشرنا إليها آنفاً ، فإن مما يلفت النظر — وقد أجمع جمهور النقاد الفرنسيين عليه — هو أن سارتر يفرض على نفسه دائماً أن يبرز أشخاصه الروائية وهى « تقترف عملا من الأعمال » مريباً أو غير مريب ، فهذا أمر ثانوى ، لأن جميع القيم المتعارفة كلها (مُتَـوَهّمات) — ويشرح اتجاه هذه (الأعمال) وما يجب أن تكون عليه كقاعدة مثلى للآداب عامة والوجودى منها خاصة ، فيقول فى بعض رواياته وهى (سبل الحرية) les chemins de la liberté

« هأنذا موجود أتذوق نفسى ، إنى أحس بالطعم القديم للدم وللماء الحديدى ، وذوق هو أنى أتذوق نفسى . إنى أوجَد والوجود هو هذا : أن أتمتع بنفسى وأرتوى منها بدون ظمأ . أربعة وثلاثون عاماً ، أربعة وثلاثون عاماً أتذوق فيها نفسى ، وقد كبرت — قد اشتغلت وانتظرت وبلغت ما كنت أريد : مارسيل وباريس والاستقلال ، وقد انتهى كل شى فلا أنتظر شيئاً بعد ذلك » (١)

هذا الشذوذ الأعمى هو بيت القصيد فى الوجودية السارترية . ولكى يهون الأمر على الضالين به أخرج قصة غاية فى السخف والتهافت دعاها (الذباب) les mouches ترمى إلى إبطال الألوهية إطلاقاً وإلى إنكار القيم الاجتماعية ، وبالتالى يستتبع هذا بالطبع الإباحية الهمجية حسب القانون الذى استنتجناه فى أول الكلام ، وحسب ما يفهم من كلامه فى غير هذه القصة وإن كان يرمى إلى هذا من طرف خفى ، أو من وراء حجاب بتعبير أوضح ، وهذا أخطر الخطر : فلا شىء هو الإله ولا شىء هو العلم ولاشىء هو الحب أو البغض أو الغنى أو الفقر له وجود ، وإنما هنالك شىء هو الوجود حقيقة ألا وهو الحرية يتمتع بها الآدميون » ...

(يتبع) إبراهيم البطراوى

(١) « الرسالة »

(١) من الاتفاقات الطريفة أننى وأنا أعانى ترجمة هذه العبارة ؛ دخل على الخادم وبيده طائفة من الأوراق والكتب كان قد أيأسه العثور عليها منذ شهر ، ولما تفقدتها وجدت من بينها ما أريد ترجمته منقولا إلى العربية نقلا أميناً بقلم الدكتور أبو ريدة ! فآثرته ، تيمناً بهذه المصادفة السعيدة ، ولم أخالفه إلا فى لفظة أو اثنتين تؤديان نفس المعنى بأدق وأوضح من غيرهما.

نفحـــــة من العبقرية

[فى الذكرى الثانية عشرة للرافعى]

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

« . وسيأتى يوم إذا ذكر فيه الرافعى قال الناس : هو الحكمة العالية مصوغة فى أجل قالبٍ من البيان » مصطفى كامل

المرحوم ، الأستاذ خالد الذكر والأثر ، مصطفى صادق الرافعى أديب عبقرى متفنن ، ذو عقلية وضاءة مبدعة ، مولدة قوية صافية خصت وتميزت باتقادها بالأحاسيس المشبوبة ، والنوازع الطماحة ، والأخيلة الجياشة السيالة ... وتفردت بقدرتها التعبيرية الطيعة ، التى تسمو بنا إلى أجواء رقيقة ندية ... ننسى فيها عالمنا المادى المتطاحن ... ونقبل عليها بكليتنا مشغوفين مأسورين فنسبح فى فيض علوى زاخر ، ملىء بالأنغام العذاب ، مفعم بأطايب نسمات الجنات

نشأ الرافعى فى بيئة دينية نقية ؛ تولت إفتاء مصر وقضاءها زمناً طيباً عادلا ... ففقه النور الإلهى الناصع الباهر ، واستوعب العربية وآدابها ، وفنون أساليبها ... وتعلق قلبه بسـيرة سيد المرسلين ، فأخذت براعته تدبج الفصول الرائعة ، والآيات البينات فى حبه وتقديره صلى الله عليه وسلم ... فكانت لروعتها وسموها كأنها تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم ؛ كما يقول (سعد) المظيم . وظل يعمل ويكافح فى سبيل إعلاء كلمة الشرق ، وتوجيه الأجيال إلى خير منهج يضمن له العز والفخار ويعيد له تراثه المضيع ، ويحقق له نسبه الرائع المختلط ، وكان فى كل ذلك (واحد الآحاد فى فنه)(١) . وكما يحمل رسالته التى أخذ على عاتقه أمر تنفيذها وتحقيقها — وإن كانت المنايا قد عرقلت الكثير من أمنياته — بقوله : (أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التى يأتى بها يوم وينسخها يوم آخر ، والقبلة التى أتجه إليها فى الأدب ، إنما هى النفس الشرقية فى دينها وفضائلها ؛ فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد فى حياتها وسمو غايتها ، ويمكن لفضائلها وخصائصها فى الحياة ... ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ؛ ثم إنه يخيل إلى دائماً أننى رسول لغوى بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه) .

فالرافعى يعد من جهابذة أعلام الإسلام الخالدين إذ كان أعلم أهل عصره وأبرعهم فى تبيان فضائل القرآن ، التى تتفق مع كل زمان ، وتساير كل تطور ... كان يبذل جهد الجبابرة لبعث الثقافة العربية التليدة المجيدة ، وإبراز محاسن (الجملة القرآنية) الناصعة الرائعة المعجزة . كل ذلك بأسلوب رصين مكين ، وعبارة مشرقة مونقة ، ولفظ فخم جزل منتق ... يكسو معـانى أرتنا النجوم والشمس حية ! وجلت صدأ الأذهان وأنارتها ، وفجرت ينابيع الرحمة والحنان ، والإيمان والعرفان ، فى صحراء القلوب المجدبة ! فأضاف إلى العربية كنوزاً نفيسة من الآداب الرفيعة ، والمآثر الجليلة ... الباقية على الدهر ما بقى الدهر ، بل هى أبقى على الدهر من الدهر ! ؟ فأنت إذا ما حاولت أن تستوعب تلك المآثر وتحتويها فى لب لبك ، سوف تجد نفسك أمام بحر عجيب لجب ، واسع عميق ، يحوى كل نفيس من غالى الدرر واللآلئ ، أو قل يحوى ما هو أغلى من ذلك وأنفس ؟ ! فالدرر النضيدة ، واللآلئ الثمينة تتفق مع غرره الفريدة اليتيمة فى جميع المزايا ؛ من حيث الندرة والنفاسة ، وجمال السبك وفنية الصياغة . إلا أن الدرر واللآلئ تنقصها تلك الروح الشهية البهية ، التى تترقرق حياة خلال منطقه السامق السديد المحكم ! . وأنت إذا ما بحثت فى فى تلك المؤلفات ألفيت بحوثاً شائقة رائقة ، وإنشاء وصفياً حكمياً فى الأدب وتاريخه وسموه وعبقرياته .

وأول مؤلفاته ديوانان من براعم الشعر وعيونه .. هما : ديوان الرافعى (فى ثلاثة أجزاء) ، وديوان النظرات ... وفى شعر الرافعى يقول حافظ :

أراك ـ وأنت نبت اليوم ـ تمشى	بشـــعرك فوق هام الأولينا
وأوتيتَ النبوة فى المعانى	وما دانيتَ حـــد الأربعينا
فَزِن تاج الرآسـة بعد سامى	كما زانت فـــرائده الجبينا
وهذا الصولجان فكن حريصاً	على ملك القريض وكن أمينا
فحسبك أن مُطـرِيك (ابن هانى)	وأنك قد غــدوت له قرينا

(١) هذه الجملة لأستاذنا الجهبذ الزيات فى نعيه للرافعى رحمه الله .

ونذكر بعد ذلك من آثاره أخطرها شأناً وأعزها مقاماً فى عالم الأدب المعاصر ؛ ونعنى به كتاب (تاريخ آداب العرب) بأجزائه الثلاثة المنوعة ... الذى تجلت لنا فيه شخصية الرافعى الشاب النابغة ، والمؤرخ العالم المحقق الثقة ، الذى ينيف عمره عن الثلاثين ! ونترك أمر الحكم على هذا الكتاب الجامع ، بعد أن فرغ الكرام الناقدون من هذا الأمر ... فليرجع إليه من شاء أن يستقى الأدب عذباً فراتاً سائغاً ، من موارده النميرية المصفاة .

ثم كتابه (حديث القمر) وله أثر عظيم فى تكوين الأسلوب الإنشائى لكثير من أدبائنا ومتأدبينا المعاصرين ...

ثم كتبه (رسائل الأحزان) و (السحاب الأحمر) و (أوراق الورد) . وهى خلاصة آرائه فى فلسفة الجمال والحب ... وهى من أنضج الثمار لنتاج عبقرية الرجل الملهمة ... وقد أحدثت تلك الكتب الثلاثة ضجة أدبية ، إذ تمخضت عن مجادلات نزيهة صادقة معتدلة قيمة ... ومجادلات أخرى عنيفة عقيمة ، ساخطة متبرمة ، قاسية مريرة ! ...

وأخيراً يأتى دور كتابيه فى النقد (المعركة تحت راية القرآن) و (على السفود) وفيهما تبيان لما كان بينه وبين الدكتور طه حسين ثم المرحوم عبد الله عفيفى والأستاذ عباس محمود العقاد على الترتيب ... ويمتازان بطابع العنف والعنفوان فى أسلوبهما . إلى درجة ينكرها البعض وينفر منها ، ويتحمس لها البعض الآخر ويحبذها ...

ولا يحق لى أن أخوض غمار هذا الحديث المطوى غير الشهى .!

هذا إلى شتيت من المقالات تدخل فى عداد هذا اللون من أدب الرافعى ، بينه وبين الكاتب سلامة موسى والدكتور زكى مبارك وغيرهما ... ثم مقالاته المتفرقة فى الصحف والمجلات ، التى جمعها بين دفتى كتابه (وحى القلم) وهذا الكتاب يعد الصرح الشامخ فى تراث العربية فى العصر الحديث .

وجماع الأمر فقد امتازت أحاديثه ، رحمه الله ، بالتبحر والإفاضة والإشراق بدون إسفاف أو إضجار ، وإن كان يغرق أحياناً فى السبك الفنى لمعانيه وألفاظه ... وبخاصة إذا تكلم فى أدب الوصف والحكمة ...

وللرافعى أناشيد مشهورة مشكورة ... منها الوطنى الملتهب شعوراً وحماسة ونبلا ، ومنها الاجتماعى التهذيبى القوى ، ومنها الشعبى الصادق الساذج الفطرى

ولقد أكسب الرافعى فن القصة القصيرة بهاء ، وأبرزه فى أنصع ديباجة وأروع صياغة ... فشق للأقصوصة طريقاً مستقيما امتاز بخصبه وقوة حججه وأسانيده المؤثرة .

ولقد ظل الرافعى على طبيعته المطمئنة الراضية ، وفيا للأدب يقظاً على تراثه ... غايته وهواه ومشماه أن يستنقذ الشرق مما اعتراه من ألوان الفجور وأسباب الطيش والتبرج والضياع .. ومما نزل به من فساد فى الأرض ، وبوار فى العرض ، وعنس للعذارى — اللائى كسبن الشارع وخسرن الزوج ، وانزلقن فى مهاوى الرذيلة !

وقد انبرى الرافعى — وهو شبه وحيد فى الميدان لا يسنده جاه ولا سلطان حزبى — إلى هدم تخرصات الدجاجلة المغررين ، من شياطين الآدميين الداعين إلى مسايرة مدنية زائفة ، مظهرها خالب وجوهرها كاذب .

وإن رجلا هذا شأنه ، وذاك تراثه يجب على كل رجال الدين والأدب على السواء ، أن يقوموا بدراسته واستيعابه وتدبره ؛ فيكون لهم كمشكاة زيتها لا ينفد ، ونورها لا يخبو ولا يخمد . فالرافعى حجة دينية ، ومصلح اجتماعى ، ولغوى علامة ، وفيلسوف إسلامى مفكر بعيد الغور فى الأدبين القديم والمعاصر

ولقد أطلت الكلام قليلا عن أدبه الدينى ، لأنه عندى أعلى وأرق أدب للراحل الكريم طيب الله ثراه ؛ ولأن النفس تستريح به وتستريح إليه .. لأنه لسان القرآن الفصيح الذى جلى معانيه وبرهن على إعجازه المعجز ، وإطنابه الصافى الوافى الذى لا يلحق

وختاماً أكرر ترحمى على الرافعى الذى مسح الدموع من أعين (المساكين) وسكب الدر فى أفواههم ... كما أشكره وهو فى دار الخلد ، على اللذة العقلية التى أورثنيها خلال قيامى بدراسة آثاره ... وهذه الكلمة اعتراف منى بجميله ، وتقدير خالص لفضله على العرب والعربية . رحمه الله .

أحمد مصطفى حافظ

محرر بمجلة المدينة المنورة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مشكلة القراء فى حياتنا الأدبية :

فى الأسبوع الماضى سألنى أديب فاضل من الإسكندرية : لماذا لا تخرج كتاباً فى الأدب أو الفن أو النقد تمدنا فيه بمثل هذه الأفكار التى تطالعنا بها فى مقالاتك وتعقيباتك ؟ وكان ردى عليه أننى فكرت فى هذا الامر أكثر من مرة ثم خرجت من هذا التفكير بأن الإحجام خير من الإقدام ، لماذا ؟ لأن هناك مشكلة تحول بينى وبين هذه الأمنية الغالية ، هى مشكلة القراء فى هذا الجيل !

إننى لا أعدو الحق إذا قلت إننا نعانى أزمة فى القراء قل أن تجد لها مثيلا فى بلد آخر غير مصر ... وحين أقرر هذه الحقيقة المائلة للعيون والأذهان ، أقررها وأنا أعنى هذه الطبقة من القراء الممتازين فى محيط الأدب والفن ، أولئك الذين يسمون وراء القراءة إيثاراً للعلم وشغفاً بالتثقيف . أما تلك الطبقة الأخرى من قراء الصحف الإخبارية والأدب السهل الرخيص ، أولئك الذين ينشدون الفكرة العارية والصورة العارية فهم ألوف والحمد لله !

ومرة أخرى لا أعدو الحق إذا قلت إن القراء فى مصر قد حد من طموحهم قصور فى الثقافة العامة ، وتمكنت من نفوسهم سموم فى الصحافة اليومية ، وعصف بأناتهم عصر السرعة وما يجر وراءه من جناية على العقول والأذواق ... هذه هى الأمور الثلاثة التى تشل حركة التثقيف فى مصر وتدفع بها إلى الوراء بدلا من تدفع بها إلى الأمام !

أما قصور الثقافة فتسأل عنه برامجنا التعليمية حين تلمس طابعها فى هذه الأمية الفاشية بين صفوف المتعلمين ، وأما سموم الصحافة فيسأل عنها فريق من الكتاب هبط بالفكر إلى مستوى رجل الشارع بدلا من أن يرفع رجل الشارع إلى مستواه ، وأما عصر السرعة فيسأل عنه السائرون فى ركابه القانعون بالسطوح فراراً من الأعماق !

نظرة متأملة إلى الطرقات والمحال العامة تكشف لك عن ألوف الأيدى الفارغة من كتاب مفيد ، وجولة متأنية فى المنتديات ودور اللهو تطلعك على ألوف الأذهان الفارغة من فكر عميق ، ودراسة متغلغلة فى صميم مجتمعنا المصرى تقنعك بأن وقت المتعلمين يتسع لخمسة أيام تنفق بين ملهى وملهى ويضيق بخمس ساعات تنفق بين كتاب وكتاب ... أما ميزانية هؤلاء المتعلمين فتضن بعدد من القروش هنا وتجود بعدد من الجنيهات هناك ! ولا تعجب بعد ذلك إذا امتلأت على سعتها دور السينما وخلت على ضيقها دور الكتب ، وإذا ماجت بالفارغين أسواق اللهو وأقفرت من الوافدين أسواق الفن !!

حتى أولئك الذين يقرأون فى مصر قد أصبحوا قراء مقالة ! إن أعصابهم لم تعد تحتمل عناء البحث العميق يتشعب فيه التحليل والتعليل ، ولامكاره الكتاب الضخم تتعدد فيه الفصول والأبواب إنهم يريدون مقالا خفيفاً لطيفاً يفرغون منه على القهوة مع فنجان الشاى ، ويلهون به فى الترام عن طول الطريق ، ويفزعون إليه فى مقر العمل من فراغ الحياة !

أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة كتاباً للفيلسوف الفرنسى سارتر عنوانه « الغثيان » وطبعته الثامنة والثلاثون ... ولا تنس أن فى كل طبعة من هذه الطبعات ألوفاً من النسخ يتلقفها ألوف من القراء ! هذا فى فرنسا وغير فرنسا من البلاد الأوربية ، أما فى مصر فتعال نسأل الكتاب عن موقفهم من دور النشر ، وتعال نسأل القائمين على دور النشر عن موقفهم من الكتاب ... إعراض من الجمهور القارئ عن شراء الكتب يتبعه فى الكثير الغالب إعراض من الناشرين عن الطبع ، وتكون النتيجة هذا الركود الذى لا يجدى معه الإنفاق على إخراج الآثار الأدبية من أموال المؤلفين .

ولقد نسيت أن أحدثك عن مشكلة أخرى تدخل فى نطاق هذه المشكلة الرئيسية ؛ وأعنى بها مشكلة هذه الفئة من عشاق الاطلاع على حساب الغير . ترى كم يجنى على المؤلف المصرى هذا القارئ الذى يدفع من جيبه عشرين قرشاً ثمناً لكتاب من كتبه ثم يدفع به آخر الأمر إلى عشرات الأصدقاء من هواة الاستعارة الشخصية ؟ ! إن أبلغ ما يمكن أن يساق إلى أمثال هؤلاء المتطفلين على موائد الأدب والمعتدين على حقوق الأدباء ، هذه الكلمات التى قرأتها عن كاتب من كتاب الغرب قدم لأحد مؤلفاته بهذا النداء الساخر العميق : « أيها القارئ ... أرجو أن لا تعير هذا الكتاب

لأحد ! إنك إن فعلت فقد سرقت منى قارئاً » !!

على ضوء هذا كله أرى الإقدام على إخراج كتاب فى هذه الآونة مغامرة غير مرجوة الفائدة ولا مأمولة العواقب ... وما دام عشاق الأدب فى مصر قد طبعوا على هذا اللون الموجز من القراءات فلا بأس من أن ألتقى معهم كل أسبوع فى رحاب هذه التعقيبات؟

هجوم عنيف على الصحافة المصرية :

لا أرانى مبالغاً حين أقول إن الصحافة المصرية تسف كثيراً وتسمو بنفسها قليلا ، وإنها تعرف قوتها ومصادر هذه القوة ، ولكنها تسىء استعمالها ؛ فهى يندر أن تحاول رفع الجمهور إليها ، ولا تتحرج من أن تنزل إلى مستوى السواد الأعظم من الأوساط العاديين ومن أنصاف الأميين أو أنصاف المتعلمين ، على حد قول المتنبى :

فيابن كروس يا نصف أعمى فإن تفخر فيا نصف البصير !

ولا أدرى ماذا يرجى لأمة ثقافة جمهورها الأكبر من هذا النوع الرخيص ؟ ولست ترى فيها أكثر من تفصيل أخبار الجرائم والخيانات والطلاق وصور الفتيات كاسية أو عارية ، بلا أدنى مناسبة ؛ وعلى الجملة كل ما يمكن أن يغرى القارئ الفارغ باقتناء الصحيفة أو المجلة والإقبال عليها والتزود بما فيها . إن الله جميل يحب الجمال ؛ ولكن للجمال معنى أوسع من أن يقصر على الوجوه المليحة المصنمة ، والقدود الرشيقة المشوقة ؛ وإنه لإفساد لعقول الشعب ، وتضييق لأفقها ، وتشويه لمعنى الجمال عنده أن تلح عليه الصحف بهذه الصور التى يراها على كل صفحة تقريباً ؛ ولا مسوغ لنشرها سوى الرغبة فى الفتنة والإغراء !

أما البحوث فهى فى الأغلب والأعم ملهوجة ، أى مسلوقة غير ناضجة ، والآراء التى تبسط خطيرة ، تقل فيها الروية والتقدير السليم المنزه عن الهوى ؛ وكثيراً ما ترى الرأى ينشر لا لأنه هو الصواب أو الذى حصل به الاقتناع ، بل لأنه الخليق أن يعجب العامة ويرضيهم !

إننا نريد من صحافتنا أن تسمو بنفسها ولا تسف ، وترفع الجمهور إليها ولا تهبط إليه ، وتتقى أن تستغل الغرائز الساذجة أو تهيجها ، وتتوق المصلحة العامة ولو بشىء من التضحية ، وتحترم المسئوليات ، وتحرص على التثقيف — مع التبسيط — لا على التهريج ؛ وتدرك إدراكاً صحيحاً عميقاً أنها أداة خير جزيل إذا أحسنت استخدام قوتها ، وأنها تصبح أداة شر وبيل إذا أساءت هذا الاستخدام ! !

هذه الكلمات القوية الملتهبة الصادقة الموجهة ليست لى ؛ ولكنها للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى « أخبار اليوم » منذ أيام ... إن أروع ما فيها أنها تقرر الواقع فى قسوة تخلو من التجنى وعنف يسمو على المغالاة ، ولكن أين كان المازنى منذ زمان؟ ولماذا لم يتناول قلمه قبل اليوم ليعرض للمشكلة الخطيرة بالدرس والعلاج ؟! وفيم كانت هذه الإغفاءة الطويلة والداء يسرى والأزمة تتفاقم والألسنة تضج بالألم والشكوى والصراخ ؟ مهما يكن من شىء فإننا نشكر للأستاذ هذه الغيرة على الأوضاع المهدرة وإن جاءت متأخرة ؛ ونحمد له هذه الثورة على القيم المشوهة ولا نعفيه من تحمل بعض المسئولية ومن تقبل بعض العتاب !

لقد كان المازنى قاسياً وعنيفاً وصريحاً فى ثورته على الصحافة المصرية ، فهل يأذن لى أن أكون على شىء من قسوته وعنفه وصراحته حين أنسب إليه بعض المشاركة فى هذه الأوضاع التى يهاجمها فى غير رفق ولا هوادة ؟ ! ...

معذرة يا سيدى ، فأنا لا أظلمك حين أقول لك إن طريقتك فى الكتابة — منذ سنين — لا ترضينى ، إنك حين تأخذ على الصحافة إغراقها فى تفصيل أخبار الجرائم والخيانات والطلاق والصور العارية ، تنسى أنك كثيراً ما تقدم لقرائك مادة فكرية يشهد الله أنك تهبط بها إلى مستوى السواد الأعظم من الأوساط العاديين دون أن تحاول رفعهم إلى مستواك ... ترى أتذكر ذلك المقال الذى كتبته منذ شهور تحت عنوان « لو أصبحت امرأة »؟! ذلك المقال الذى تخيلت فيه بعض شيوخ الأدب من أمثال طه والعقاد وهيكل والحكيم فى صور نسائية خلعت عليها ما يناسبها من أسماء ... فهذا (توحة) ، وذاك (علية) ، وذلك (ميمى) ، وغير ذلك مما أذكره هنا على سبيل المثال ؟ !

هل يستطيع الأستاذ المازنى أن يدلنى على القارئ الذى يمكن أن يستفيد ويتثقف من أمثال هذه الفكاهات ؟ !

ومن العجيب أنه يهيب بالصحافة ألا تستغل الغرائز الساذجة أو تهيجها ، هو الذى كتب مرة مقالا عن بائعة برتقال أدار فيه الحوار حول أمور جنسية يمنعنى من الإشارة إليها وقار « الرسالة »!

أنا والله يؤسفني أن أهاجم المازني ، هذا الرجل الذي لمست أدبه وظرفه وتواضعه يوم أن لقيته في مكتب الأستاذ توفيق الحكيم ... ولكنني لا أستطيع أن أنسى الحق في غمرة هذه الفضائل التي تكشفت لي منه في ذلك اللقاء !

هذا الرجل العظيم وزير المعارف :

يخيل إلي أن ليس هناك من يبلغ إعجابه بهذا الرجل مبلغ إعجابي به ... إنه مثل أعلى في سماحة الخلق ورحابة الأفق وصفاء الضمير . مثل أعلى يجب أن يحتذيه الشباب في أيامهم المقبلة والشيوخ في أيامهم الموشكة على الذهاب !

إن معالي الأستاذ علي أيوب يفتح في سجل الكرامة العقلية صفحة جديدة لم يرها المصريون منذ أمد بعيد ... صفحة أقل ما يقال فيها إنها مفخرة في ميزان أنصار العهود وأرباب المناصب وأصحاب السلطان . وإلا فمن يدلني على رجل آخر غير علي أيوب قد واجه نداء العاطفة بمنطق العقل ، ولقي غواية المنصب بترفع العظيم ، وبدد ظلام الحزبية بهذا الضوء الباهر من كرامة القوميـــة ؟!

معدن نفسي كريم ما في ذلك شك ، معدن هذا الرجل الذي أجمع على نفاسته الخصوم قبل الأصدقاء ... إنني أشيد بذكره هنا لأنه كرم الأدب والعلم في أشخاص أدباء تربطني بهم صلات من الفكر والروح ؛ أدباء لا أرى حرجاً في القول بأنهم يخالفونه في أهوائه السياسية وميوله الحزبية ، وهذا هو الخلق القويم الذي يندر أن تجد له مثيلاً في هذا العصر الذي نعيش فيه !

جاشت في نفسي هذه الخواطر وأنا أقرأ عن الرجل العظيم هذه الكلمة الطيبة منذ أيام في إحدى المجلات الأسبوعية :

« لا شك في أن معالي الأستاذ علي أيوب وزير المعارف معلم عظيم ، يؤمن بما كان أرسطو « المعلم الأول » يؤمن به ، وهو أن الخير مصدر العلم كله . فهو يفتح ذراعيه لرجال الأدب والفكر ممن خاصمهم غيره من الوزراء السابقين ، ويعيدهم إلى أعمالهم ، أو يكرمهم لوجه الخير العام وحده ... لقد بدأ الوزير عهده بهذا التقدير الرفيع للأدب والعلم في شخص الدكتور طه حسين ، ثم أعاد إلى خدمة الدولة الشاعر المبدع علي محمود طه والكاتب المعروف محمد سعيد العريان . وآخر مأثرة له في هذا الباب تعيين الدكتور زكي مبارك في القسم الأدبي بدار الكتب المصرية .

هذه روح كريمة ينبغي أن نسجلها لأننا في حاجة إلى كثير من هذا التسامح المحبب الذي ينسى كل شيء في سبيل المصلحة العامة والذي يضفي على حياتنا المصرية روحاً من الحب السامي نحن أحوج ما نكون إليها ... »

هذا ما قالته مجلة « الإثنين » في معالي الأستاذ علي أيوب ، وإنها لكلمات تشير في مجال الحديث عن مزاياه إلى قليل من كثير !

بعضهم الرسائل من حقيبة البريد :

رسالة مطولة من « السويس » تناقشني فيها الآنسة الفاضلة ع . عبد الرحمن حول ما كتبته عن حقوق المرأة المصرية ...

يا آنستي ، أشكر لك هذه الغيرة الصادقة ، ويؤسفني أن أقول لك إن رأيي الذي سبق أن أدليت به يعززه الإيمان والدراسة ، فلا تحاولي أن تقنعيني بعدالة قضية تفتقر إلى كثير من عناصر الإقناع ! وهذه رسالة أخرى من « الخرطوم — سودان » أشكر لمرسلها الأديب الشاعر محمد مجذوب كريم تقديره وعاطر ثنائه ، ويسرني أن أبعث إليه في القريب برسالة خاصة أجيبه فيها عن بعض ما سألني عنه . أما الرسالة الثالثة ، فمن « الناصرية — العراق » يعرض فيها الأديب الفاضل عبد الكريم الأمين مأمور مكتبة المعارف العامة لبعض أقوال الأدباء المصريين في مذهب الرمزية ، من أمثال الأساتذة الزيات والعقاد وأبي حديد ، ثم يطلب إلي أن أعقب على أقوالهم ، وأن أتحدث عن هذا النوع من الأدب ، ومتى نشأ ، وإلى أي حد تأثر الأدباء العرب بأصوله ومناهجه ... الحق أن الجواب عن هذا كله يحتاج إلى بحث طويل لا تتسع له « التعقيبات » ، ومع ذلك فأنا أرجو أن أتحدث عن هذا المذهب الأدبي يوماً ما في بحث يخصص له . ورسالة رابعة من « عدن » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل علي باذيب جميل ثقته وحسن ظنه ، أما هديته القيمة فكان لها أبعد الأثر في نفسي ، ولا يسعني إلا أن أستجيب لرغبته في رسالة خاصة .

بقي أن أبعث بخالص التحية إلى الأديب الفاضل س . ع الطالب بكلية الهندسة بجامعة فؤاد رداً على تحيته الكريمة . وأود أن أطمئنه على أنني ما زلت عند موقفي من حقوق المرأة المصرية . أما الأديب الفاضل محمد محمود حسنين الطالب بكلية الآداب بجامعة فاروق فنصيحتي له أن يترك مالا يحسن فهمه إلى غيره مما يحسن فهمه ، وحبذا لو انصرف عن التوافه إلى استذكار دروسه !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

مجمع سلامة موسى للغة العامية :

فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن ، كرسيان خلوا بوفاة الدكتور محمد شرف بك والمستشرق الألمانى الدكتور فيشر ، وقد فتح باب الترشيح لهما ، فتقدم عضوان من أعضاء المجمع ، هما سعادة عبد الحميد بدوى باشا والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، بترشيح سعادة واصف غالى باشا ليملأ أحد ذينك الكرسيين . وحدث قبل ذلك أن كتب الأستاذ سلامة موسى إلى بعض أعضاء المجمع يطلب ترشيحه للعضوية ، ويقول إن سعادة واصف غالى باشا زكيه.

وتدل تلك الرسالة التى كتبها الأستاذ سلامة إلى عدد من أعضاء المجمع ، على أنه غير واقف على حقيقة ما يتبع فى انتخاب الأعضاء ، فإن تزكية أحد من غير الأعضاء ليست سبباً إلى الترشيح للعضوية ، وإنما يجب أن يرشحه عضوان ويقدما مسوغات الترشيح من إنتاج المرشح ومؤلفاته .

ولنفرض أن اثنين من الأعضاء أرادا أن يرشحا الأستاذ سلامة موسى ، فماذا عساهما أن يقدما للمجمع من مسوغات هذا الترشيح ؟ إنهما لا بد يقعان فى حرج شديد بالغ الشدة ما كان أغناهما عن أن يتورطا فيه ، فالأستاذ سلامة دائب — منذ أمسك القلم — على مهاجمة اللغة العربية والأدب العربى والثقافة العربية على العموم ، والمجمع مهمته الأولى المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وهو يعمل على تنمية الثقافة العربية ، ويشجع الباحثين فى الأدب العربى ، بل إن هـذا الأدب الذى لا يعجب الأستاذ سلامة هو معين اللغة التى يتسمى المجمع باسمها ويقوم عليها .

ماذا يقدم العضوان اللذان يجازفان بترشيح الأستاذ سلامة ؟ هذا كتاب يأخذ عنوانه النظر لقربه من موضوع الترشيح ، وهو « البلاغة المصرية واللغة العربية » وهو كسائر مؤلفات الأستاذ سلامة يحتوى « أفكاراً حرة » مما يقذف به هذا « المفكر الحر » كما يقول الذين يشيمون عنه هذه الشائعة .

يهجم الأستاذ سلامة فى كتابه هذا على اللغة العربية ويعيب أدبهـا ويدعو إلى اللغة العامية ، يقول مثلا : « وقد التفت إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود العقاد بشأن الاشتراكيين فى مصر لها مناسبة هنا . إذ هم يدعون ، على غير ما يحب ، إلى اللغة العامية. وقد حسب عليهم هذه الدعوة فى مقدمة رذائلهم . لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت » ومعنى هذا أن الاشتراكيين فى مصر يدعون إلى اللغة العامية ، على ما يحب الأستاذ سـلامة الذى يعتز بفضيلة اللغة العامية ويريد أن يؤلف بها عن غير خالد بن الوليد وحسان بن ثابت ، لأن الكتابة عنهما وعن أمثالهما — فى رأى المفكر الحر المزعوم — من أسباب تأخرنا ! ... لا يا شيخ !

ويقول بعد قليل من تلك الفقرات إن ارتباط اللغة بالتقاليد والمقائد هو سبب التبلد والجمود فى اللغة ، وإن الدعوة إلى غير ذلك هى إحدى الغايات التى قصدها من تأليف الكتاب ، وهو يدعو فى مواضع مختلفة من الكتاب مرة إلى دفن اللغة العربية ، ومرة إلى إلغاء الإعراب والمترادفات فيها ، ومرة يرى أننا بحاجة إلى لغة المجتمع لا إلى لغة القرآن ، ويقرن ذلك أحياناً بحرية المرأة والتقدم الصناعى ! إلى آخر ذلك الخلط العجيب الذى يفتتن به من يشيمون عن الأستاذ سـلامة أنه مفكر حر . وتلك عينة من أفكاره الحرة !

نرجع إلى مجمع اللغة العربية وترشيح الأستاذ سلامة موسى لعضويته ، لنتساءل : هل تتفق تلك الأفكار الحرة وهذه العضوية ؟ أنا لا أنكر على الأستاذ سلامة أن يكون عضواً فى مجمع ، ولكن أى مجمع ؟ هو بلا شك مجمع للغة العامية ، بل أنا أرشحه لرياسة هذا المجمع العامى ، وهذه مسوغاته . وليس هذا فقط فالرجل جدير بالتخليد ، ولذلك يجب أن يسمى المجمع باسمه فيقال « مجمع سلامة موسى للغة العامية » .

الفن « فى أجازة » :

أربعة من الأصدقاء جمع بينهم سوء الحال وبؤس العيش ،

اتفقوا على أن يهجروا أعمالهم التى يزاولونها ويلقون فيها الشقاء ويكونوا عصابة للسرقة ، وانضمت إليهم فتاة راقصة . واختاروا مدينة الأقصر مجالا لعملهم الجديد ، حيث يكون هناك الأغنياء فى موسم السياحة. ويلاحظهم فى الفندق الذى نزلوا به رجل غنى مولع بقراءة الروايات (البوليسية) فيهتم بأمرهم ، ويشجعهم على الاتصال به وخاصة الفتاة الراقصة التى تعرف أن لديه تمثالا من الذهب فتحتال لسرقته، ثم يضبطها وهى تسرقه فيهددها ثم يعفو عنها على أن تعاونه على ما اعتزم من التدبير نحو زملائها الأربعة . ويرتب الأمر بعد ذلك على أن يوهمهم أن صاحبتهم قدماتت ، ويتراءى لهم روحها فيهتف بهم أنهم سيلحقونها عما قريب ، ويدبر لكل منهم حادثة يوقن فيها أنه مات ، ويرمى به إلى كهف أعد ليكون « جهنم » يا كلون فيه البرسيم والتبن والشعير ، ويسامون فيه بعض العذاب ، ثم يفزعون برؤية « الزبانية » يتراقصون من حولهم . وأخيراً يبدو لهم الرجل الغنى فيقول لهم إنهم ليسوا أمواتاً كما وهموا ؛ بل هم أحياء عنده يعذبون لسوء أعمالهم ، ثم يعظهم ويرشدهم

كشكول الأسبوع

□ قررت لجنة الاحتفالات القومية برياسة معالى وزير المعارف ، أن يحتفل بالذكرى المئوية لوفاة محمد على الكبير فى النصف الثانى من شهر نوفبر المقبل ، على أن تضع من الآن مؤلفاً شاملا لتاريخ منشىء النهضة فى مصر ، وأن يتولى الأستاذ محمد شفيق غربال بك وضع مقدمة لهذا المؤلف لتنشر مستقلة عنه .

□ يستعد استوديو مصر لبدء العمل فى فلم محمد على الكبير ، وقد وضع قصة الفلم الأستاذ محمد رفعت بك ، ويقوم بوضع الحوار الأستاذ محمود تيمور بك . وسيقوم بالإخراج أحمد بدرخان وبركات . وينتظر أن يمثل محمد على ، سليمان نجيب بك .

□ يعتزم الدكتور طه حسين بك أن يقول كلمة المجمع اللغوى فى حفلة استقبال الأستاذ الزيات عند افتتاح الدورة القادمة فى أكتوبر المقبل .

□ أصدر معالى وزير المعارف قراراً بتعيين الدكتور زكى مبارك فى القسم الأدبى بدار الكتب المصريه . وهى يد جديدة لمعالى الوزير فى خدمة الأدباء . ولا شك أن الدكتور زكى مبارك أهل لها ولكل تقدير .

□ فرغت إدارة التشريع بوزارة العدل من وضع مشروع قانون لحماية حق المؤلف ، ورفع المشروع إلى مجلس الوزراء . ويتمتع بحماية هذا القانون مؤلفو المصنفات المبتكرة فى الآدب والفنون والعلوم أيا كانت قيمة هذه المنصفات وبصرف النظر عن استعمالها أو الغرض من تصنيفها .

□ تذيع محطة الإذاعة أغنيات للصباح يومياً فى الساعة الثامنة والربع صباحاً ، ومن هذه الأغنيات (يانايم يانايم قوم) كأن الإذاعة تذيع ساعة ونصف ساعة تبدأ من السابعة إلا ربعاً — على النائمين ... ثم يبدو لها أن توقظهم ليستمعوا إلى ختام الفترة الصباحية !

□ وافق معالى وزير المعارف على تعيين السيد على أصغر حكمت وزير خارجية إيران ، والأساتذة إيليا أبو ماضى وميخائيل نعيمة (من لبنان) وعادل جبر (من فلسطين) — أعضاء مراسلين لمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

□ من محاضرات الأسبوع الماضى ، محاضرة لرئيس جمعية هواة طوابع البريد ، عالج فيها مشكلة الطوابع التى تتأثر من الخلف باللصق ! وسبحان موزع الميول والأهواء .

□ لا تزال الرقابة جارية على الكتب والمؤلفات ، وإن كانت قد ألغيت بالنسبة للصحف والمجلات .

□ وافقت اللجنة المالية بمجلس النواب على إنشاء مسرح صيفى تابع للفرقة المصرية .

□ تقرر أن توفد الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، بعثة فنية إلى مكتبة الاسكوريال بمدريد ، لتصوير نفائس المخطوطات التى ألفها علماء العرب بالأندلس .

ويتلو عليهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ... وكنت عندهم فى سينما الكورسال وجيت .وأ كات ورك الديك . كما كانوا يقولون لنا فى نهاية (الحواديت) ونحن صغار .

تلك هى حكاية فلم « أجازة فى جهنم » التى وضعها يوسف جوهر، وقد أخرج الفلم عز الدين ذو الفقار، ومثل الأربعة الأصدقاء حسن فايق واسماعيل يس وكمال المصرى واستفان روستى، ومثل الرجل الغنى عباس فارس واسمه فى الفلم «أدهم بك» أما الراقصة فهى سامية جمال .

وهو فلم فكاهى كما زعموا ، فقد اجتمع فيه جماعة من أبطال التمثيل الفكاهى فى مصر ؛ ولكن ما هدف الفلم وما موضوعه ؟ وهل تكون الفكاهة فى الهواء ؟ هناك فى آخر الفلم يقف أدهم بك على منبر بجهنمه ليبين للمذنبين أن الشرف والاستقامة مع الفقر أحسن مما لجأوا إليه وأنه خير لهم أن يتوبوا ويعودوا إلى أعمالهم الشريفة الأولى . ويذكرنى هذا بما كنا نقرأه فى كتب المطالعة المدرسية القديمة فى ختام كل حكاية : من مثل «والقصود من هذه الحكاية أن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل » :

أما حوادث الفلم فلا تعرض إلا الاعوجاج ومجانبة الشرف ، ولم تعرض عواقب طبيعية لذلك حتى تستخلص العظة من الوقائع وليس مما يقع فى الحياة أن يكون جزاء السارق والمحتال فى الدنيا عذاب الآخرة .. فأحداث القصة خلط بين الحياتين لا هدف له إلا الإضحاك ؛ وحينما يصل الأمر إلى مجرد الرغبة فى الإضحاك يؤدى إلى شىء آخر غير المراد ؛ وهو الإشفاق على القائمين بالأمر لإخفاقهم فيما قصدوا إليه .. وتتركز آفة الفلم فى هذا القصد ؛ فقد جمل منتجوه نصب أعينهم أن يخرجوا فلماً فكاهياً فحشدوا أبطال الفكاهة ، وأوصوا المؤلف أن يضع لهم قصة تميت من الضحك ، فأمات الأبطال وألقى بهم فى الجحيم لكى يضحك الناس . واتجه المخرج أيضاً نحو هذه الغاية ، فضحى فى سبيلها بكل قيمة فنية ، وأظهر مناظر الفلم كأنها فى عالم غير عالمنا ولست أدرى فى أى مكان من القاهرة تقع القهوة التى يغنى فيها أحد المغنين فيرميه المستمعون بالحصى والأحجار ؟ وكيف يسافر أربعة من الفقراء ذوى الحرف إلى الأقصر فى عربة نوم فاخرة بالقطار ولما يسرقوا شيئاً بعد ؟ وكيف يجلس رجل فى ردهة فندق كبير والناس من حوله وقد خرق الصحيفة التى يتظاهر بقراءتها خرقاً واسعاً ليرقب منه أفراد العصابة الجالسين على كثب منه ويستدعى سكرتيره ليشاركه النظر من الخرق ؟ وكيف يتصور الإنسان فى فندق فخم أن يكون بالجدران بين الغرف ثقوب يرى منها الناس بعضهم بعضاً ؟ هذه أسئلة على سبيل المثال فقط ؛ تبين ما فى الفلم من « خروق » واسعة وقع فيها من قاموا به ، لا لشىء إلا للاضحاك ... وقد كنا نستطيع أن نضحك تصنعاً من أجل (خاطرهم) لولا أنهم فى أثناء العمل به سرحوا الفن ومنحوه « أجازة » .

ولا يمنعنى ذلك أن أذكر إجادة الممثلين على قدر ما هيئ لهم وفى حدود القالب الذى وضعوا فيه ، غير أن « استفان روستى » كان جامد الحركة ، قليل التعبير ، وكان الفرق واضحاً بينه وبين زملائه الثلاثة ، وكان عباس فارس موفقاً فى دور « أدهم بك » ولكنه بدا ثقيل الظل فى خطابته الأخيرة ؛ أما سامية جمال فهى فى الفلم فتاة جميلة بارعة الرقص وكفى ...

وقد صاحب بعض مناظر الفلم ، قطع موسيقية جيدة ، كالقطعة التى صاحبت إسماعيل يس وهو يندب نفسه حين يتوهم أنه مات ، وقد وفق واضع هذه القطعة فى تصوير جو المآتم المصرية ، وكان إسماعيل يس يوقع عليها ندب نفسه توقيعاً ظريفاً.

-

يقولون لي :

يقول الأديب عبد العزيز سالم بعد استنكار ما كتبه التابعى عن أسمهان فى « آخر ساعة » : « وقد مات المراغى كما مات مصطفى عبد الرازق فلم تظفر حياتهما بشىء من تقدير حياة أسمهان ، ألأن أسمهان أفادت الفن وخدمت الغناء أكثر مما خدم المراغى الدين ومصطفى الأدب والفلسفة ؟ »

وأقول : لكل صحيفة أو مجلة لونها الخاص ، وما كتبه التابعى يلائم لون « آخر ساعة » ، وليست المجلات مرفقاً من مرافق الدولة ، وإنما هى بضاعة تعرض للراغب فيها . وليس لأحد — كما أرى — أن يقول إن مجلة كذا تشغل صفحاتها بكذا ، لأنها هى تريد أن تكون كذلك ، وما عليك إذا لم يعجبك ما فيها إلا أن تبحث عن غيرها . ثم ما ذنب التابعى إذا كان أصدقاء المراغى ومصطفى عبد الرازق لم يفوا لهما بمثل ما وفى التابعى لصاحبته ؟

ويسألنى الأديب « السيد عوض محمود الجعفرى بمعهد فاروق الأول بقنا » عن مجلة « الرواية » ، وعن انقطاع الأساتذة : سيد قطب ، وشاكر ، والطنطاوى عن الكتابة ؛ والسؤال الثالث : « هل يجب على من تنشر له مقالة ، أو قصة ، أو رد على سؤال ، أو إصلاح كلمة فى مقالة ، أو أى شىء — أن يكون من المشاهير؟ »

أما « الرواية » ، فقد تأخر ظهورها لما أشار به الأطباء على الأستاذ الزيات من الاحتياط لاستكمال الصحة ببعض العلاج ، ولانقضاء موسم النشاط وحلول الصيف . والمأمول بعد ذلك أن تتحقق آمال عشاق القصة الرفيعة فى « الرواية » .

وأما السؤال الثانى ، فيحال إلى الأساتذة المسؤول عنهم ، ولعل الأستاذ سيد قطب قد أجاب إجابة عملية كما رأيت فى عددين ماضيين من « الرسالة » ولعله يجد مندوحات من مهام بعثته فيبعث بنفحاته الشرقية من ذلك العالم الغربى .

وأما الإجابة عن السؤال الثالث فقد فصلتها فى العدد (٧٩٠) من الرسالة ولا داعى للتكرار .

عباس خضر



تصحيح :

فى الجزء الخامس من المجلد السابع لمجلة الكتاب كتب الدكتور مصطفى جواد — من بغداد — مقالاً تحت عنوان « ناصر الدين شافع الكنانى » وهو أحد المؤرخين من ذوى الآثار المغفلة . وقد عرض لى فى تضاعيف مقال التعريف بهذا المؤرخ الأديب أمور أجملها فيما يلى :

نقل الكاتب المؤرخ ما جاء فى الورقة ١٦ هو ما نصه : « .. وطهر منهم البلاد ، وأمن من عدوانهم العباد ، وأحدهم (كذا) عن آخرهم» وأقول : إشارة الأستاذ الكاتب بـ (كذا) لا تغنى شيئاً عن الصواب الذى ينشده الكاتب فيما يكتب والقارىء مما يقرأ ... وحين تقصر المراجع عن الإفادة بالأصل لا يبقى لدى الكاتب والمحقق على الخصوص غير الاجتهاد . وعندى أن أصل الكلمة إن لم يكن « وأبادهم » فهو (وأخذهم) بالخاء والذال المعجمتين ، والمعنى أنه أذهب ريحهم وشتت شملهم وجعلهم فى الأرض بدداً أى أنه أخذهم — مع الفارق — أخذ عزيز مقتدر .

وجاء نقلاً عن هذه الورقة أيضاً : « ووصل إلى غازان ملكهم ما ساءه من خبرهم وأيس من (صدرهم) » قلت : وصواب الكلمة (صدهم) بحذف الراء على الأرجح ، ويرجح هذا ما جاء بعده « وأخذ فى ترقيع جيشه ولا يترقع ، وفى لم شمثه هذا وما فى قوسه منزع ولا فى سهمه منزع » .

وورد أيضاً : « ولم يصل إليه منهم إلا اليسير (أو) جريح أو مذعور » . قلت : ليس لـ (أو) هذه مكان فى جملة الخبر ، وصوابها (من) الجارة وبها يستقيم الكلام .

وجاء أخيراً ما نصه : « .. مجوس بلاده وتعرف (طارده) وتلاده .. » قلت : الصواب (طارفه) بالفاء وهو ضد التالد والتلاد . على أن لجملة (طارده وتلاده) الواردة تخريجاً آخر ولكنه بعيد المراد ، ولا أظن صاحب الرسالة قصد إليه ، وإن جار القصد إليه من طريق غير هذا الطريق .

وبعد فما رأيناه أجملنا صواب هناته مجتهدين ، ونرجو أن يكون فى هذا الاجتهاد السداد ، والسلام .

(الزيتون) عدنان

الضبع مؤنثة :

كتب محرر بالمجمع اللغوى « يثبت » تذكير الضبع على أسلوب عجيب فى التحقيق اللغوى ، فقد اكتفى بنقل « ضعيف » عن المصباح المنير فيه إحالة على مجهول ، إذ قال : « وهي أنثى » — وقيل — تقع على الذكر والأنثى ، ثم أراد « المحرر » التوهيم فنقل ما فى « الإفصاح » فى رواية غير مؤيدة بشاهد عن « المبرد » .

وما ساقه بعيد عن التحقيق فى إيراد « المسموع » ، فإن دوران الكلمة يحقق مدلولها الوضعى ما لم تعارض بنص سماعى ، وهو — كعادته — يعتمد على النقل من المعاجم من دون استعمال المقايسة ، وصنيعه ليس شيئاً يعطى الإفادة ، ونحن لا زلنا نؤثر تأنيث الضبع ، فقد ورد : « فإن قومك لم تأكلهم الضبع » . وفى نظرة إلى ميسرة نأمل بعد التأمل سياق شاهد على التذكير

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

العمل الأدبى أيضاً :

كتب الأديب صبرى حسن علوان بالعدد ٨٢٨ من الرسالة الغراء معقباً على تعريف الأستاذ أحمد أحمد بدوى للعمل الأدبى بأنه التعبير عن تجربة للأديب ، بألفاظ موحية ؛ فقال « قد لفت نظرى هذا التعريف إلى ما عرف به الأستاذ سيد قطب العمل الأدبى فى كتابه « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » أنه « التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية » ثم قال المعقب « ولعل التعريف الثانى أعم وأوحى » والمهم هو هذا التذييل

الأخير فإنه كما يبدو يدل على أن المعقب غير متأكد فى تحقيقه العموم فى التعريفين . والحقيقة أن تعريف الأستاذ أحمد بدوى أعم من التعريف الآخر لأنه لم يقيد التجربة بوصف يحد من نطاقها فصح أن تطلق على التجربة الشعورية وغيرها ؛ أما الأستاذ قطب فقد قيد التجربة « بالشعورية » .

(الأسكندرية) أحمد محمود عرفه

١ — راق له :

تعبير عربى صحيح فقد جاء فى الأفعال لابن القوطية طبع أوروبا ص ١١٠ ما نصه :

راق الشىء أعجب ، والشراب صفا . أه .

وجاء فى مقاييس اللغة (الراء والواو والقاف) أصلان يدل أحدهما على تقدم شىء والثانى على حسن وجمال أه .

ومن هذا يظهر لك صحة استعمال قولهم راق له وراق فى نظاره . أليس هذا مثل قولهم حلا له وساغ له وصفا له .

٢ — الكساء والكسوة :

خطأ أحد أفاضل المدرسين استعمال الكساء بمعنى الملبوس مطلقاً ، لأنه ثوب بعينه وهو نحو العباءة من الصوف ، واقترح استعمال الكسى جمع كسوة لأنها كل ما يكتسى به ، فيقال الغذاء والكسى الخ .

وهذا ليس بصحيح ؛ فقد جاء فى المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ما نصه : الكساء والكسوة اللباس . أه .

ولا يخفى أن الكساء ألطف من الكسى ، حتى أن القدامى عدلوا عنها إلى الكساوى كما نقول الرشاوى والقهاوى .

٣ — الأشقياء :

خطأ أحد المدرسين استعمال الأشقياء بمعنى المجرمين والجناة واللصوص ، لأن الشقى خلاف السعيد ، وأقول إن هذا الاستعمال صحيح بل فصيح لأنه استعمال مجازى . ألا ترى أن المجرم ونحوه غير سعيد ؟ ومعانى الشقاء وهى البؤس والشدة والعسر والتعب ونحوه متوافرة فيه ؛ بل هو شقى الدارين : شقى فى حياته وشقى بعد مماته .

على حسن هلالى

المجمع اللغوى

حول كتاب « المنصف » :

سقطت سهواً أثناء جمع القسم الأول من كلمتى عن كتاب « المنصف » لابن وكيع المصرى جملة لا مناص من ذكرها ، وهى : « وعند صديقى الدكتور خليل محمود عساكر المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول صورة من هذه النسخة الفريدة ظفر بها قبيل الحرب الأخيرة بأيام قلائل ، وقد كتب على الصديق الفاضل أن يظل فى ألمانيا مدة الحرب كلها » .

وإنى أنتهز فرصة هذا التصويب وأتوجه إلى الدكتور خليل بخالص الشكر وجزيل الثناء .

السيد أحمد صقر



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٣ —

ثم يقول الأستاذ محمد كرد على : « ولما عزمت هذه الأيام على طبعه تفضل صديق الأستاذ عباس العزاوى وأرسل لى نسخة من مخطوطة خزانته من هذا الكتاب معارضة على نسخة أخرى ، وبوجود ثلاث نسخ منه سهل الاهتداء إلى أصح روايات المؤلف ، فجاءت هذه الطبعة صحيحة على ما يحب المؤتمنون على نصوص القدماء » .

حسب الأستاذ أن ظفره بهذه النسخ قد هداه إلى أصح روايات الكتاب ، ومكنه من نشره نشراً علمياً صحيحاً يرضى النقاد الأمناء على تراث العرب ، وليس ذلك من الحق فى شىء ، فإنه لم يفطن إلى أصح الروايات إلا قليلا ، وخرج الكتاب من بين يديه مفعما بالتحريف ، مترعاً بالتصحيف ، ووقعت فى حواشى الكتاب التى صنعها أوهام لغوية غريبة عجيبة ما كنت لأعنى بتبيانها لولا أن الأستاذ رئيس للمجمع العلمى العربى بدمشق وعضو فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة .

١ — جاء فى ص ٧٤ « وماذا يقولون فى رجل زنى وهو لا يعلم أن الله حرّم الزنا ؟ وآخر زنى وهو يعلم أن الزنا من الكبائر التى تسخط الرب وتوجب النار ؟ أيهم أقرب إلى السلامة وأولى من الله بالعفو ؟ أو ليس أهل العلم على أن الذى لا يعلم لا حدّ عليه من جَلد وتعزير ولا رجم ؟ وأن على الآخر حد البكر إن كان بِكراً ، وحدّ المحصن إن كان محصناً ؟ فهذه أحكام الدنيا ، وأما أحكام الآخرة فلولا كراهة التألّى على الله لقلنا فى الذى ركب الفاحشة وهو لا يعلم أن الله حرمها ، معفو عنه »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « التالى : التكبر » !!!

وهذا شرح ينبو عنه الذوق ، ولا يسوغ فى شرعة العقل والدين . ولا يتصور أن يكون التكبر على الله قد دار بخلد ابن قتيبة أو طاف بفكره عند ما كتب هذا الكلام

إن ابن قتيبة لم يقصد بكلمة : « التألى » إلا معناها المشهور ، وهو القسم والحكم على الله . جاء فى لسان العرب : « وقد تألّيتُ ، وائتليت : أقسمت ، وفى الحديث : من يتالَ على الله يُكذِّبْهُ ، أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلنّ اللهُ فلاناً النار ويُنجحنّ اللهُ سعي فلان . وفى الحديث : ويل المتألّين من أمتى ، يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون : فلان فى الجنة وفلان فى النار » .

وسيرى القارئ بإذن الله من أمثلة هذا الشرح العجيب ما يستنفد عجبه ، ويستفرغ دهشته .

٢ — ص ١٥ يقول ابن قتيبة فى معرض حديثه عن الله وإكرامه لأمة محمد عليه السلام « وأوسع لنا من طيب الرزق ، وحرم علينا الخبائث ، ولم يجعل فى الدين من حرج ، ولا خطر بالاستعباد إلا ما جمل منه الخلف الأطيب والبذْلَ الأوفر رحمة منه وبراً ولطفاً وعطفاً » .

وليس للبذل هنا أى معنى ، والصواب : « والبدَل الأوفر »

٣ — ص ١٦ محدث ابن قتيبة عن اختلاف الناس فى الأشربة « ... حتى يحتاج ابن سيرين مع ثاقب علمه ، وبارع فهمه إلى أن يسأل عبيدة السلمانى عن النبيذ ، وحتى يقول له عبيدة ، وقد لحق خيار الصحابة وعلماءهم منهم على وابن مسعود ، اختلف علنا فى النبيذ . وفى رواية أخرى أخذت الناس أشربة كثيرة فالى شراب منذ عشرين سنة إلا من لبن أوماء أوعسل »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى ع : علينا والغالب أنها علنا »

وقد أخطأ فى تصويبه ، ولم يدرك أن « اختلف » مبنى للمجهول . والصواب : « اختُلِفَ علينا فى النبيذ . وفى رواية أخرى : أحدث الناس أشربة كثيرة ... »

وابن سيرين هو أبو بكر محمد بن سيرين البصرى روى عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت وأبى هريرة وعائشة وطائفة من كبار التابعين . قال ابن سعد ، وكان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً

فقيهاً إماماً كثير العلم . مات سنة عشر ومائة .

وقد ترجم ابن قتيبة لعبيدة السلمانى فى كتاب المعارف ص ١٨٨ فقال : « هو عبيدة بن قيس السلمانى من مراد . قال ابن سيرين . قال عبيدة : أسلمت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فصليت ولم ألق رسول الله . ومات سنة اثنتين وسبعين »

٤ — ص ١٧ ذكر ابن قتيبة أنه بين مذاهب الناس فى الشراب وحجة كل فريق « لعل الله يهدى به مسترشداً ، ويكشف من غمَّة ، وينقذ من حيرة ، ويعصم شارباً ما دخل على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة ... » .

والصواب « ويعصم شارباً مما أحِلَّ على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة » قال ابن قتيبة فى ص ٣٦ « ... وتتابع الناس فى الأشربة المسكرة على التأويل ... »

٥ — ص ١٧ يقول ابن قتيبة « قد أجمع الناس على تحريم الخمر بكتاب الله إلا قوماً من مَجّان أصحاب الكلام وفساقهم لا يعبأ الله بهم ... »

هكذا ضبط الأستاذ كلة « مجان » بفتح الميم ، والصواب ضمها .

٦ — ص ١٨ ذكر ابن قتيبة بعض أقوال هؤلاء المُجّان ثم عقب عليه بقوله « وليس للشغل بهؤلاء وجه ، ولا لتشقيق الكلام بالحجج عليهم معنى ؟ إذ كانوا ممن لا يجعل حجة على إجماع ، وإذ كان ما ذهبوا إليه لا يختل على عاقل ولا جاهل »

والصواب « لا يُخِيلُ » أى لا يشكل من قولهم : هذا شيء لا يخيل على أحد أى لا يلتبس أو يجوز عليه .

٧ — ص ٢١ قال الشاعر :

نبيذ إذا مرَّ الذباب بدنّه تفطّر أو خر الذباب وقيذا

والصواب « تقطر » بالقاف لا بالفاء ، جاء فى لسان العرب « طعنه فقطره ، أى ألقاه على قطره أى جانبه ، فتقطر ، أى سقط وقال الليث إذا صرعت الرجل صرعة شديدة قلت : قطرته ، وأنشد :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

٨ — ص ٢١ « وقال آخر :

تركت النبيذ وشرابه وصرت حديثاً لمن عابه
شراباً يضل سبيل الرشاد ويفتح للشر أبوابه

والصواب كما فى العقد الفريد ٤/٣١٩ « وصرت خديناً لمن عابه . شراب يضل ... »

٩ — ص ٢١ « عن عمر بن شبيبة بن أبي كبير الأشجعي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خدر الوجه من النبيذ تتناثر منه الحسنات » .

والصواب « عن عمر بن شيبة بن أبى كثير الأشجعى » كما فى الإصابة ٣/٢١٨ — ٢١٩ ولسان الميزان ٤/٣١٢ مجمع الزوائد ٤/٢٣٠ والجرح والتعديل ٣/١١٥ من القسم الأول .

والحديث مذكور فى الإصابة ٣/٢١٩ وفى لسان الميزان ٤/٤٨٢/٤٨٣ وهو حديث منكر .

وشيبة بن أبي كثير هذا هو الذى داعب امرأته فاتت من وقع يده عليها فى غزوة تبوك . وقد سأل النبى عليه السلام عن ذلك فقال : لا ترثها ، كما فى الإصابة ومجمع الزوائد من رواية ابنه عمر عنه .

١٠ — ص ٢٢ « وحدثنى سبابة ، عن عمرو بن حميد ، عن كبير بن سُليم قال : حدثنى أصحاب أنس عنه أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذى يكون فى الخوابى » والصواب « وحدثت شبابة ... عن كثير بن سليم » .

وهو شبابه بن سوار المتوفى سنة ست ومائتين كما فى تهذيب التهذيب ٤/٣٠٠ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٢٩ وخلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٢ وطبقات ابن سعد ٧/٦٦

وأما كثير فهو كما جاء فى خلاصة تذهيب الكمال ٢٧٢ « كثير بن سليم الضبى ، أبو سلمة المدائنى ، روى عن أنس . قال أبو حاتم وهو منكر الحديث .

١١ — ص ٢٢ ، ٢٣ قال ابن قتيبة : وأما السكر فإن فريقاً يذهبون إلى أن كل شيء أسكر كثيره كائناً ما كان ولو بلغ فرقاً فقليله كائناً ما كان ولو كان مثقال حبة من خردل حرام ... عن عائشة رحمة الله عليها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر حرام . وما أسكر الفرق فالحسوة منه حرام » .

شرح الأستاذ كلمة الفرق بقوله « الفرق بكسر الفاء القسم من كل شيء » .

والصواب « الفرق بفتح الفاء والراء » قال ابن قتيبة فى ص ١٠٩ من هذا الكتاب « والعوام يقولون الفرق بسكون الراء ؛ ويذهبون إلى أنه مائة وعشرون رطلا على ما اصطلحوا عليه فى فرق الدوشاب . ومن فى وسعه أن يشرب مائة وعشرين رطلا حتى يعلم ما يسكر منه هذا القدار من الشراب ؟ وإنما هو الفرق بنصب الراء ، وهو ستة عشر رطلا ، قال خداش بن زهير .

يأخذون الأرش من إخوانهم فرَق السمن وشاة فى الغنم

وللعرب أربعة مكاييل مشهورة . المدّ . والصاع . والقسط ، والفرق ، وهو ستة عشر رطلا ، ستة أقساط فى قول الناس جميعاً

١٢ — ص ٢٥ قيل للعباس بن مرداس « بعد ما آمن وأسلم : قد كبرت سنك ، ودق عظامك ، فلو أخذت من هذا النبيذ شيئاً يقويك ! فقال : أصبح سيد قوى وأمسى سفيهم ! وآليت ألا يدخل رأسى ما يحول بينى وبين عقلى » والصواب : « ورق عظامك ... سفيهم آليت ... »

١٣ — ص ٢٧ « ودخل أمية بن خالد بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه آثار فقال : ما هذا ؟ فقال : قمت الليل فأصاب الباب وجهى . فقال عبد الملك :

رأتنى صريع الخمر يوماً فسؤتها وللشاربها المدمنيها مصارع

فقال أمية : لا آخذنى الله بسوء ظنك يا أمير المؤمنين . فقال بل لا آخذنى الله بسوء مصرعك » .

والصواب : « ودخل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد » . والقصة موجودة في العقد ٤ / ٣٢١ ومحاضرات الأدباء ١ / ٣٢٦ وقد ذكر ابن قتيبة أمية بن عبد الله فى عدة مواضع من كتاب « عيون الأخبار » وقد ورد فى الجزء الأول منه ص ١٦٦ هذا النص : وقال عبد الملك بن مروان فى أمية بن عبد الله بن خالد :

إذا صوت العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

وهو خطأ لأن عبد الملك لم يقل هذا البيت وإنما قاله عمرو ابن حرثان . روى العتبى أن عبد الملك بن مروان قال لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : مالك بعمرو بن حرثان حيث يقول فيك:

إذا هتف العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

فقال يا أمير المؤمنين ، وجب عليه حد فأقمته ، فقال : هلا درأت عنه بالشبهات ؟ فقال : الحد أبين ، وكان رغمه على أهون . فقال عبد الملك : يابنى أمية أحسابكم أنسابكم لا تعرّضوها للهجاء . وإياكم وما سار به الشعر ، فإنه باق ما بقى الدهر . والله ما يسرنى أنى هجيت بهذا البيت وأن لى ما طلعت عليه الشمس :

يبيتون فى المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالى من مُدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما :

هنالك إن يُستخبلوا المال يُخبلوا وإن يسألوا يُعطوا وإن ييسروا يُغلوا

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

راجع أخبار أمية بن عبد الله مع أبى فديك الخارجى فى الطبرى ٧ / ١٩٤ ، ١٩٥

١٤ — ص ٢٨ « وكان ابن هرمة الشاعر فى شرفه ونسبه وجوده يشرب الخمر بالمدينة ويسكر فلا يزال الشرط وقد أخذوه ورفعوه إلى الوالى فى المدينة لحده ... » .

والصواب « فلا يزال الشرط قد أخذوه ... فى المدينة يحده »

١٥ — ص ٣٠ « وحدثنا الرياشى عن الأصمعى قال : كان عقيل بن علقمة المرى غيوراً ... »

والصواب « عقيل بن عُلَّفة » . قال البغدادى فى خزانة الأدب ٢/٢٧٨ « وعقيل بفتح العين ، وكسر القاف ، وعلفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلف وهو ثمر الطلح . ونقل الشريف المرتضى فى أماليه ٢/٤٠ معنى العلفة عن ابن الأعرابى وأبى سعيد السكرى وكرر ابن قتيبة ذكر عقيل ابن علفة فى عيون الأخبار ، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى ترجمة طويلة ١١/٨٥ — ٩٣ قال فيها « وعقيل شاعر مجيد مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج جافيا شديد الموج والعجرفية والبذخ بنسبه فى بنى مرة ، لا يرى أن له كفؤاً ، وكانت قريش ترغب فى مصاهرته ، تزوج إليه حلفاؤها وأشرافها » .

(يتبع)

السيد أحمد صقر
المدرس بالليسيه الفرنسية بمصر الجديدة

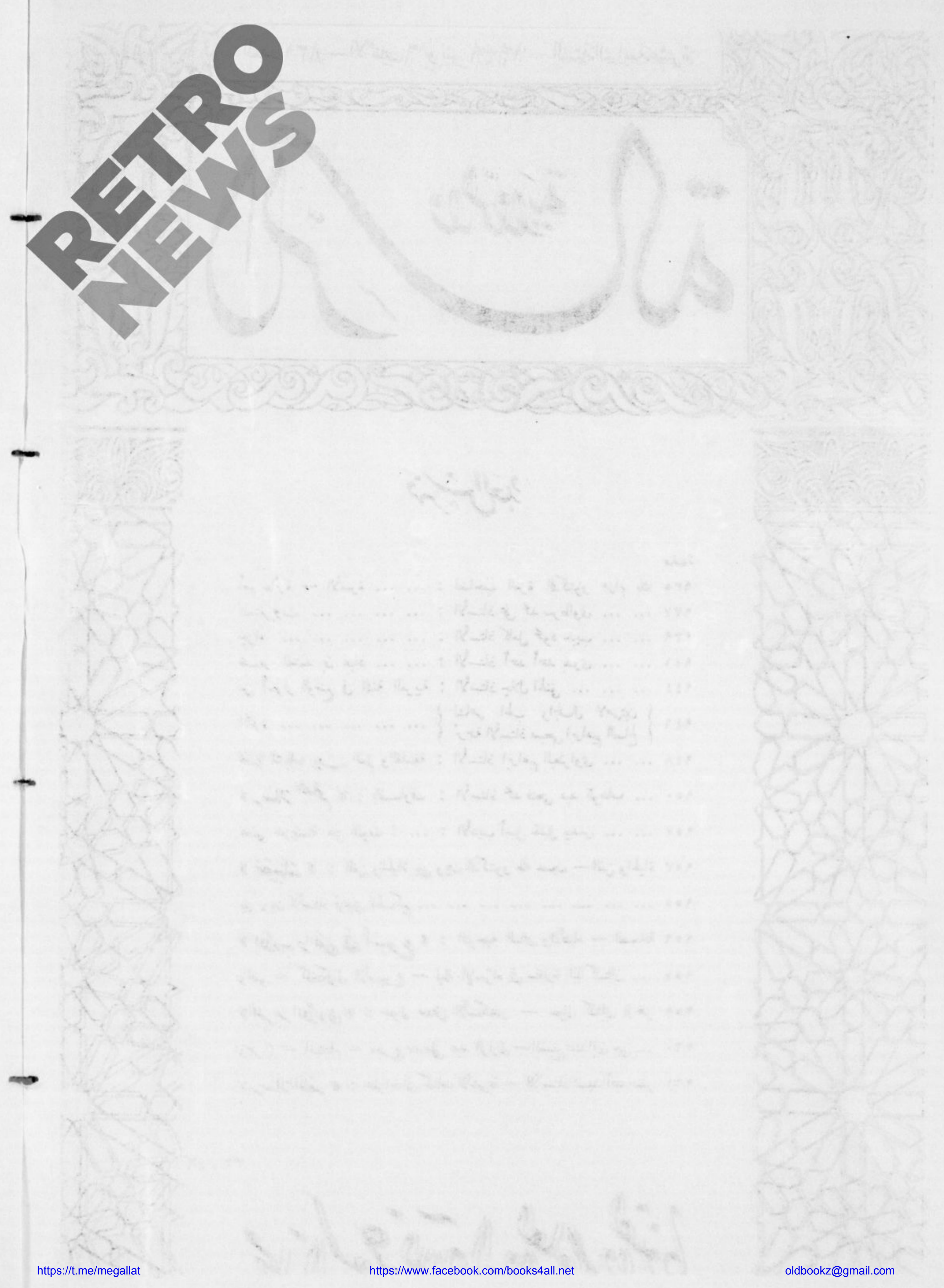
مطبعة الرسالة

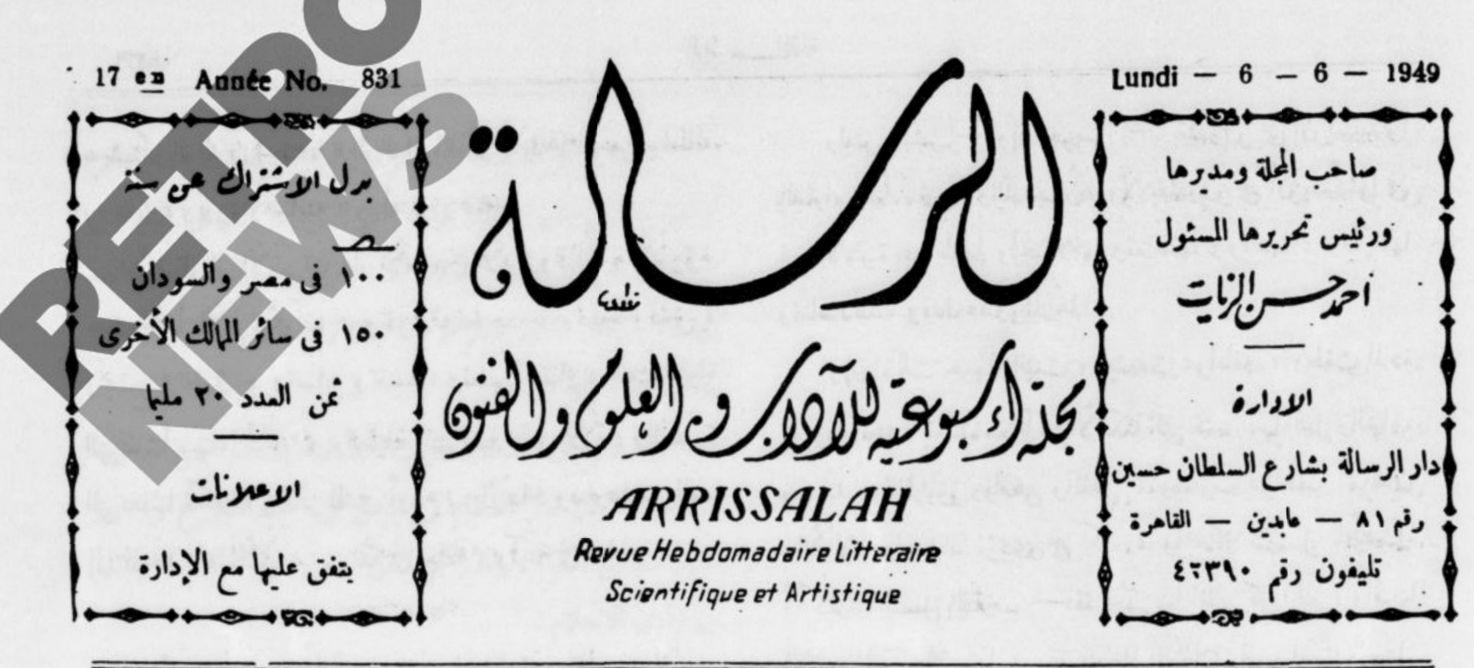


العدد ٨٣١ – الاثنين ٦ يونيو ١٩٤٩ – السنة السابعة عشرة



فهرس العدد





العـــدد ٨٣١ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٦ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٦ — أمم حائرة

الأسرة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

تعالوا نلتمس الطمأنينة في موضعها، والسكينةَ في موطنها، ونظفر بالسعادة في مكانها، ونسعد بالمحبة في دارها. هلم إلى الأسرة، إلى البيت الذي يُنبت الودّ والصفاء، والإخلاص والولاء، إلى الجنة التي يرد سلسبيلها الظماء، ويتفيأ ظلالها من برّحت به الرمضاء، ويأوى إليها من مسّه العناء، فيجد الروح والرَيحان، والسلم والأمان، والغِبطة والرضوان.

هلمّ إلى المعبد الذي تطهر فيه الأشباح، وتصفو الأرواح، وتقام على الإخلاص الشعائر، وتتناجى به السرائر، الحرم الذي تهفو إليه الأفئدة، ويظلله الأمان، وتمحى فيه الأضغان، ويتمكن فيه التوحيد، فإذا نفس واحدة في أجسام متعددة، وإذا ألفاظ كثيرة لمعنى واحد!

تعالوا ننظر إلى المدرسة التي تعلّم الودّ والحب، والتعاونَ والإيثار، وتُنشّىء على الأخلاق العالية، والفضيلة الكاملة، وتعلّم الإخلاص والفِداء، والبر والولاء، والصدق والوفاء.

تعالوا إلى العش يأتلف فيه الزوجان على الخير والشر، والنفع والضر، يأوي إليه الزوج مجهوداً فتمسح تعبه يد رحيمة، ويدخله غاضباً فترضيه كلمة حكيمة، ويفر من ضوضاء الأسواق، ونصب العمل، وكد العيش، فيظفر بالهدوء والسكينة، والقرار والطمأنينة؛ فيتلو الآية الكريمة: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.»

إلى دار الأمومة والأبوة، والبنوة والأخوة، حيث الأم على أولادها مشبلة، ولتربيتهم عاملة، ولنومهم ساهرة، ولراحتهم جاهدة؛ الأم مبعث الشفقة والرحمة، وموئل البر والعطف، أعظم الناس عملاً، وأبلغهم أثراً، وأرفع الخلق مكانة، وأعلاهم منزلة، وأطهرهم فكراً ولساناً ويداً، وأحسن الناس حملاً للأعباء، وأصبرهم احتمالاً للأمانة؛ الأم التي تحمل الأمم وتضعها، وتربيها وتنشئها، وتزكيها وتعلمها. والأب يغدو ويروح بثمار كده، ونتاج سعيه، فيضع ما في يده من تعب، وما في فكره من كد، وما في نفسه من هم، وما في قلبه من بغض، ساكناً إلى زوج كريمة هي أم رحيمة. الوالدان اللذان عظّمهما القرآن، وكاد يؤلّههما الإسلام. فذكرهما مع الله، وقرن البر بهما بتوحيده: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً» «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» «قل تعالَوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم، ألا تشركوا

به شيئاً وبالوالدين إحساناً » الوالدان اللذان أعطاهما الله من سلطانه وبرهانه ، ونوره وهدايته ، ورأفته ورحمته .

هلمّ ننظر إلى الأسرة ، دار الأمومة والأبوة والبنوة والأخوة ، حيث تنشأ الأمم وتموت ، وتقوى وتضعف ، وتسعد وتشقى ، وتجتمع وتفترق ، وتصلح وتفسد ، وتضيء وتظلم ، حيث النواة التى تنشأ منها الجماعة ، والطينة التى فيها تنمو الأمة ، والصورة التى عليها تكبر ، والسر الذى أودع سرائرها ، وسيرها من المهد إلى اللحد ... الأسرة سر الله فى خلقه ، وآيته فى عباده .

* * *

هلمّ ننظر إلى هذا البيت ، إلى هذه الجنة ، إلى هذا المعبد ، إلى هذه المدرسة ، إلى هذا العش ، إلى هذه الدار مشفقين عليها من أعاصير هذا العصر ، خائفين من آفاته ، وَجِلين من فتنه ، فَزِعين أن يمتدّ الرجس إلى طهارتها ، والقلق إلى هدوئها ، والبغض إلى محبتها ، والافتراق إلى اجتماعها ، حَذِرين أن تمتد المادة إلى روحانيتها ، والضوضاء إلى سكونها ، والحيرة إلى طمأنينتها ، جاهدين أن تبقى لها حرمتها وتدوم قداستها ولا يغلب عليها شر الأسواق والأندية والملاهى ، فليس بعدها وَزر ، ولا فى غيرها مستقَر .

احذروا أن تُحرم الإنسانية هذا الينبوع الطاهر الذى يمُد بالعواطف رقراقة ، وبالأخلاق صافية ، فتقسو القلوب ، وتذبل الأخلاق ، ويضل النشء فى الطرق والأسواق وما إليها ، يشرب من ماء كدر ، ويقتات من سم قاتل ، ويذهب به القلق إلى المهالك ، وتسوقه الحيرة إلى الضلال البعيد .

* * *

ألسنا نرى البيت يُهجر يوماً بعد يوم ، تؤثر الأمُّ عليه جولات فى الأسواق أحياناً ، وجلسات فى الملاهى أحياناً ، ويفر الأب إلى المقهى والملهى مؤثراً لذاته وراحته ، ساكناً إلى لهوه ولعبه ، مشفقاً من تبعاته فى داره ، وواجباته فى أسرته ؟

إن تمادى الوالدان فى إيثار الطريق على المسكن ، والملهى على الأسرة ، وأغملا ما يحبب البيت إليهما وإلى الأولاد كان النفور من الدار ، ثم زاد إهمالها ، فازداد النفور منها ... وهكذا حتى تذهب بهجتها ، وتفقد سعادتها ، وتزول حرمتها ، وتختفى قداستها .

وليس البشر — وإن حرصوا — بقادرين على أن يستبدلوا بالدار معهداً للتربية والتهذيب ، ولا بقادرين على أن ينشّئوا فى غير الأسرة عواطفها وأخلاقها وتعاطفها وتراحمها ، وتآلفها وتعاضدها ، وفداءها وإيثارها .

وإن زالت حرمة البيت ، وضعفت عواطفه ، وطغت المادة على روحانيته ، فجعلناه مكاناً من الأمكنة التى نقسم بينها الليل والنهار ، وعدلنا به الطريق والمقهى والملهى ، وصارت عواطف الوالدين والأولاد واجبات تؤدى على كره ، وأعمالا تتصل بالأعضاء أكثرمما تتصل بالقلوب — فقد حُرِمنا الخير كل الخير ، وأصبنا الإنسانية فى صميمها ، وقضينا على الأخلاق فى منابتها ، وعلى السعادة فى مهدها .

ولو أتت المدنية الحاضرة بكل صناعة وكل علم وكل نظام وكل متاع ، وذهبت بسعادة البيت ، فقد باءت بالخسار ، وعملت للبوار .

ولو جاءت الشيوعية بكل طعام وشراب لكل إنسان بغير عناء ، ومتّعت الإنسان بكل متعة ، ويسرت له كل لذة ، ثم حرمته أسرته ، وسلبته رحمة الوالدين وبر الأولاد ، وعواطف الأمومة والأبوة والبنوة ، وأبعدته من ظلال البيت الوارفة ، وأفيائه العاطفة ، وموارده الصافية ، لكانت قد ربّت له الجسم وسلبته الروح ، وهيأت له الصورة وأخذت الحقيقة ، ووفرت له لذات جثمانية قليلة ضيقة ، وباعدت بينه وبين لذات الروح التى لا تُعد ولا تُحد ، ولكانت قد ردته حيواناً لا إنساناً ، ويسرت له العلَف وسلبته الإنسانية !

الأسرة حُوطوها بكل رعاية ، وأحكموا أواصرها ، ووفروا بركاتها ، وادفعوا عنها كل ما يخل بسعادتها وطهارتها وقداستها ، وزودوها بالعلم النافع والتربية الصالحة .

* * *

إنى أرى الأم تُخدع عن سلطانها فى البيت ، وتُنزل عن عرشها فى الأسرة ، وتُضلل عن منزلتها ، وتُفتن عن واجبها ، فيقال لها : دعى البيت إلى السوق ، واهجرى الأولاد إلى المصنع ، اتركى تدبير الأسرة إلى تدبير الشئون العامة .

وأرى الوالد يستبدل بداره الأندية ، وبأسرته جلساء المقاهى و

المســـتغربون

(مهداة إلى الأستاذ عباس خضر)

للاستاذ على محمد سرطاوي

الاستغراب كالاستشراق ، حذوك النعل بالنعل — إذا جاز هذا التعبير — هو الهيام بالغرب والوله فى حبه وكل ما يصدر عنه من خير وشر وأوهام وأباطيل .

والمستشرقون لفيف من أبناء الغرب ، بسقوا من جرثومة شعوب قد استكملت الاستقرار الاجتماعى الصحيح العميق ، وفتحوا عيونهم فى الحياة على كيان قد توطدت أركان الأسرة فيه على أسس من تصميم الزمن ، وبناء من مجتمع قد أرهفت الثقافة الشاملة الفرد فيه .

والشعوب الغربية التى نشأ فيها المستشرقون قد نضج الفرد فيها وفنى فى المجموع فناء تاماً . والمواطن الصحيح عند تلك الشعوب ، ذلك الذى يؤدى واجبه فى الخدمة الاجتماعية تاماً غير منقوص ، وهو الذى يفتش عن أحسن دور يستطيع تمثيله على مسرح الخدمة العامة مهما تجشم من صعاب فى سبيل إتقان ذلك الدور دون أن ينتظر ثناء أو تقديراً .

ولم يكن كل ما قدمه المستشرقون من الدراسات المضنية التى وقفوا حياتهم عليها خالصاً لوجه العلم ؛ بل إنما كان فى كثير من الأحايين ضرباً شاقاً من الخدمة الاجتماعية يؤديه المستشرق لأمته فى هذا الميدان الذى يحطم الأعصاب ، ولا يصمد فيه غير الأبطال والجبارين الموهوبين .

والمستغربون عندنا نكرات اجتماعية بسقوا من جرثومة شعوب لا تزال تمتز بالمظام ، وتعيش على أمجاد التاريخ ، وتدور حول حقائق الحياة ، وتدبر عن النور وتقبل على الظلام ، وتغفو فى وادى الأحلام .

وهؤلاء ليسوا إلا أفراداً تميزوا عن القطيع الذى لا يزال فى مستوى الحيوان يرعى العشب ويرضى بالهوان ويقيم على الضيم كالأذلين : عير الحى والوتد .

والذكاء على قلة عند الفقراء ، والثراء على كثرة عند الأغنياء ، هما اللذان دفعا بعض الشرقيين إلى حضارة الغرب يتتلمذون عليه فى دراسات لا تزيد على بضع سنوات ، كان بعضها خالصاً لوجه العلم بالنسبة للذين كان يصرفهم عن العبث نقص جسدى فى العينين أو مادى فى الجيب ، وبعضها كان ريثاً فى العلم بالنسبة للذين آتاهم الله بسطة فى الجسم وسخاء فى الإنفاق ، ومصدراً لا ينضب له معين من النضار .

هذه السنوات لم تصنع المعجزة فى أولئك الرواد المستغربين فى الشرق ، أو الغربان التى تنعق — على أصح تعبير — وكل ما فى الأمر أنها صبغت ظواهرهم بطلاء براق من الألقاب العلمية ولم تنفذ إلى جوهر الروح الذى بقى مربوطاً بالأمة التى لا تزال مجموعها يعيش فى الجهل ، وبالأسرة التى لا تزال على غرار أسرة الإنسان الأول فى طفولة الحياة البشرية .

ولا نستطيع أن ننكر عقولنا ونسلم جدلا بأن هؤلاء قد أصبحوا — على سوء الحيرة — كالغربيين روحاً وذوقاً وفناً ، وإنما كل ما فى الأمر — وهو الصحيح والواقع — أن حضارة الغرب قد بهرتهم ماديتها ولم يفهموها فهماً صحيحاً ، وفى محاولتهم تجريح الشرق بأظافر مستعارة من روح الغرب ، البرهان الذى لا يقبل الجدل على أنهم يشعرون بذلك فى أعماق نفوسهم ويحاولون التضليل .

ويسهو عن كثير من تبعاته .

وأرى الولد يقسو على والديه ، ويلق بالغلظة أبويه ، ويطلب بحقه ويحاسب عليه ، ويعصى الوالدين أحياناً ويطيعهما أحياناً .

إنى أرى صلة ما بين الوالدين والأولاد تهين ، وسلطان الوالدين على الأولاد يضعف ، وأخشى إن لم نتدارك الأمور أن تزلزل أركان الأسرة ، وتتقطع وشائجها ، ويتبدد نظامها ... وكيف تقوم الأمة على قواعد واهية وأركان متداعية ؟ !

إنى أخاف على الأسرة ، وأشفق على البيت — الجنة والمعبد والمدرسة — أن يُستباح حماه ، وتدخل الفتن إلى مغناه ... والمرأة وقاية من هذا الشر ، وطب لهذا الداء ، وشفاء لهذه العلة ...

وللمرأة حديثنا الآتى إن شاء الله .

(للكلام صلة)
عبد الوهاب عزام

والبيئة الجغرافية تترك أثراً عميقاً من سماتها فى الأخلاق والدين والفن والذوق والاجتماع فى الجماعات التى تعيش فيها وتطبعها بطابع خاص لا تجد سبيلا إلى الخلاص منه مهما أوتيت من عزيمة وجبروت.

ولو أنك غرست شجرة من مناطق خط الاستواء فى غير تربتها ومناخها، وحاولت كل طريقة لاستدامة روعتها ورونقها ولذة فاكهتها، لما وجدت إلى ذلك سبيلا.

والأفكار المستوردة من بيئات بعيدة لا تستطيع الحياة فى مناخ غير مناخها، وفى تربة غير تربتها، وغالباً ما يكون نصيبها الموت.

أرأيت نتيجة تلك المحاولة التى قام بها ملك من الشرق لينقل حضارة الغرب إلى بلاده عن طريق اللباس فى بلاد الأفغان، وهى على بعد سحيق من أوروبا، غير مقدر النتائج الخطيرة التى آلت إليها، وغير مفرق بين موضع تركيا الجغرافى والفارق البعيد بين الأتراك والأفغان؟

وأولئك المربين المستغربين الذين يغيرون على أفكار أساطين التربية فى الغرب — تلك الآراء التى ترعرعت وشبت فى جو ملائم وبيئة جغرافية خاصة — فيملأون بها المجلدات نقلا حرفياً وتقليداً وتشويهاً ومسخاً للعمل بها فى بيئات وشعوب لا صلة لها بالشعوب التى انتزعت من حياتها تلك الأفكار. أليس مثلهم مثل الطبيب الذى يأتيه المريض وقد هد جسمه الداء فلا يستأصل شأفة المرض، وإنما يصبغ وجه المريض باللون الأحمر، وكفى الله المؤمنين القتال؟

والنكسات الروحية والخلقية والقومية التى تصاب بها الأمم والشعوب من حين إلى آخر فى سير الزمن لا تمس جوهر الروح فى تلك الأمم والشعوب، بل لعلها تجدد شبابها وتخلع عليها أبراداً قشيبة من اليقظة فتفيق من سباتها وتعاود السير من جديد، عزيزة الجانب، قوية الخلق، متحدة كالبنيان المرصوص.

والكسب المادى، والأشخاص الذين حرمهم الله نعمة الذوق الذى لا تعلمه الكتب والجامعات، والذين فى نفوسهم مرض — كل ذلك وهؤلاء لا يزيدون فى نظر الواقع على غبار تثيره أقدام الأمة فى مسالك الحياة وهى سائرة إلى غايتها البعيدة.

ولعل شر فئة من هؤلاء المستغربين تلك الفئة الخاملة الجاهلة التى تعيش فى الحياة كالنباتات الطفيلية على أفكار غيرها من مرضى الضمائر وممتلى النفوس، فقد يضمك مجلس مع جماعة فينبرى منها من يكيل الثناء لشكسبير لأنه غربى، ويطعن فى المتنبى لأنه شرقى، حتى إذا حز فى نفسك هذا المسلك وطلبت منه تحديد النقد وتقديم الأمثلة، تكشف لك عن عامية مغرقة فى الجهل، لأنه لم يقرأ المتنبى، ولم يعرف لغة شكسبير، وإنما كل ما فى الأمر أنه يقلد التقليد الأعمى ليضاف إلى قائمة أصحاب الرأى الحر الذين يهدمون بيوتهم ليبنوا من حجارتها بيوتاً للآخرين.

وفى كل قطر عربى مجموعة من هؤلاء المستغربين يحملون الأجازات الدراسية العالية وقد مكنت لهم تلك الدراسات من الجلوس على المقاعد الأمامية فى رواية الحياة وتوجيه الأجيال المقبلة التى تضع الأمة العربية آمالها وأحلامها فيها.

ومن رعاية الله لهذه الأمة أن جعل فى جذورها الغضة التى تستمد حياتها إلى الغد المجهول قوة شديدة تقاوم تلك الرياح اللافحة، وجعل فى كنانته جنوداً يذودون عن المجد التليد والدين الحنيف والتاريخ المشرق، ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم، ومكن «لرسالته» فى النفوس.

(العراق)

على محمد سرطاوى

مدرس فى متوسطة المسيب

صور من الحياة :

جـــزاء . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

آه ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه نزلت به عن معانى الإنسانية !

قال لى صاحبي : وانفلتُّ من لدن أخى بعد أن سخر من ضعفى وسلبنى مالي ... انفلت من لدنه وفى يدى جنيهات ، وفى قلبي لوعة ، وفى عيني عبرة ، وأحسست بقلبي يحتدم غيظاً وكمداً ، وشعرت بفؤادى ينشق أسى وألماً .

ولبسنى الشيطان ، وسيطر علىّ الأرق ، وتناهبتنى الهموم ، فقضيت ليلتى أتقلب فى أراحى وشجونى والشيطان إلى جانبي ما يبرح ينفث فىّ سموماً شيطانية ويسوّل لى أمراً ، وأنا ألقى السمع إلى كلماته ، أطمئن إلى حديثه حيناً ، وأفزع عنه حيناً ، وبين يدىّ جنيهاتى أقلبها ذات الشمال وذات اليمين وفى قلبي قلق واضطراب ، وفى رأسي خواطر سود ما تنقشع ... ولكن أخى هو أخى ، ضمنى وإياه تاريخ سنوات عجاف ، ولطالما استشعرت منه العطف والحنان والتضحية .

وقال لى الشيطان : لقد غالك أخوك وأنت فى مرضك تهفو إلى شفقته وترنو إلى رحمته ، غالك لتصبح فقيراً ترى أبناءك يحسون لذع الفاقة ومرارة العوز وقسوة الحرمان على حين يرفل أبناؤه فى السعة ويتقلبون فى النعيم .

لا عجب ، فهو رجل ترابى العقل ، أرضى العاطفة ، نشر حواليك شباك الجشع — على حين غفلة منك — ليستلبك من مالك ، وأنت فى سقامك لا تستطيع أن تذود عن نفسك بعض طمعه ولا أن تناقشه الرأى ، فاستسلمت — على الرغم منك — فى فتور وضعف . لقد عبث بالأوراق فى خسة ، ورتب الحساب على نسق أراده هو ليبلغ غاية يتلظى الشره من ثناياها منذ أن شطر الدار شطرين ، وأرهقك بالدين من عمد منه ، ثم صدمك بفكرة بيع الدكان ليرغمك على أن تنزل له عن حصتك بثمن بخس . تلك أمور سوّتها إرادة طينية تغلغلت فى نفسه ليستولى على مالك فى غير حق . فأنت عاجز الهمة ، خائر المروءة إن لم تدفع ما أصابك من ظلم وطغيان . ستراه — بعد أيام — يرفل — هو وصغاره — فى الحرير والدمقس ويستمتع بأطايب الطعام ولذيذ المأكل ، على حين لا تجد أنت إلا صبابة من مال لا تغنى من عرى ولا تسمن من جوع . فلا تقعد عن أن تغمد هذا الخنجر فى صدره ، أو تصوب فوهة ذاك المسدس إلى قلبه . تسلل إليه فى سكون الليل ، تحت ستر الظلام ، ثم استل روحه من بين جنبيه وارتد إلى فراشك هادئ البال ، ساكن الجأش ، فتكون قد انتقمت لكرامتك ومالك . وإلا فأنت عاجز الهمة خائر المروءة .

وظل الشيطان يوقع لحن شيطانيته على أوتار أذنى فى دربة ولباقة ، حتى أوشكت أن ألقى إليه السّلم فأتردى فى الهاوية ، وظللت أنا أضطرب فى مضلات لا أهتدى ولا يغمض لى جفن ، فما سكنت جائشة نفسى إلا حين سمعت صوت المؤذن ينادى فى الفجر : « الله أكبر ، الله أكبر » ... فاستيقظت الروحانية فى قلبي ، وقمت فى تراخ وكسل أدس جنيهاتى فى درج مكتبي ، ثم انطلقت صوب المسجد عسى أن أجد هناك راحة النفس وهدوء الضمير ، أو أن أنفض عنى الخواطر الشيطانية وهى مازالت تتدفق فى قلبي منذ الغسق . وهناك — فى المسجد — أحسست بالسكينة والأمن حين ألقيت عن كاهلي متاعبي وشجونى . وكنت كلما سمعت « الله أكبر » شعرت بروح المسجد تغمر قلبي نوراً وهدوءاً ، وتملأ جوانحى ثقة وإيماناً ، وتنفث فى روحى الحياة والنشاط . وللمسجد فى قلب المؤمن معان سماوية تسمو به عن النوازع الأرضية الوضيعة ، وترتفع به عن شواغل المادة الحقيرة . وسكنت إلى المسجد فجلست فى ناحية منه استلهم وحيه السماوى وأجتلى نوره الفياض ، فما أفقت إلى حين ملأ نور الصبح صحن الجامع .

ورجعت إلى دارى يهدنى الجهد والإعياء مما قاسيت فى ليلتى وأنا مؤرق الجفن ، مضطرب البال ، مشتت الذهن ، فبدا علىّ الشحوب والذبول . ورأت زوجى عذاب نفسى مسطوراً على جبيني فنظرت إلىّ فى ذهول وشفقة ، ثم انعقد لسانها فما استطاعت أن تحدثنى بأمر ولا أن تشير برأى ، وخشيت أن تقول كلاماً ينكأ جرحى ويدمى قلبي ويركسنى إلى العلة التى برئت منها منذ أيام ، فأمسكت بالرغم منها .

وقضيت يومى أضطرب فى أنحاء القرية لا أستقر، أريد أن أفر من خواطرى، وأن أهرب من أخيلتى، فلا أستطيع إلى ذلك سبيلا، وظلت هى تلاحقنى وتتشبث بى حتى رجعت إلى دارى عند الأصيل. وألفيت زوجى تختلج اختلاج مكروب أرمضه الأسى، وفى عينيها أثر البكاء والضنى.

وعزّ علىّ أن أحمّلها بعض وزرى، أو أن أشركها فى هذا البلاء، فأطفئ فيها جذوة الشباب وأخمد فيها نور الحياة. وعزّ علىّ أن تتساقط أسفاً وحسرة، وأنا قد لمست فيها العطف والحنان فى ساعة العسرة، فجلست إلى جانبها أحدثها: «ما بك؟» قالت: «لا شيء، إلا أن أراك تأسى على أمر تافه ضئيل». قلت: «لقد غالنى أخى فسلبنى مالى». قالت: «لا بأس عليك، فهو أخوك الأكبر، وهو منك بمنزلة الأب، وله عليك ألف حق وحق». قلت: «أفيذرنى وحيداً عاجزاً يلتهمنى الألم وتمصرنى الفاقة». قالت: «آه، إن فى السماء أموراً غُيِّبت عنا لتكون بلاء للصابرين! وما أقسى فقر النفس!». قلت: «هذه فلسفة عفنة». قالت: «ولكنها فلسفة روحانية تذر النفس هادئة مطمئنة، فكم أخذت من أخيك بالأمس ثمناً لحصتك فى الدكان». فسحبت جنيهاتى من درج المكتب فى فتور، ثم ألقيتها بين يديها فى صمت. ونثرت هى الجنيهات بين يديها تعدها وأنا أرمقها فى سكون، ثم قالت: «الحمد لله، هذا شيء كثير». وعجبت أنا لقولها، ولكن نفسى اطمأنت حين أحسست بكلماتها تزيح عنى عبئاً ثقيلا يمضنى ويضجرنى...

وفاضت روح الإيمان والعقيدة على المبلغ الضئيل فلأته خيراً وبركة، وفاض نور المسجد على قلبى فغمره فاستحال اليأس القاتل إلى أمل واسع جيّاش، وانقلب الفتور إلى نشاط بتوثب، وأحسست بالصحة تسرى فى عروقى، وانطوت الأيام فإذا جنيهاتى تصبح دكاناً يفهق بالبضائع من كل صنف، ورفّت السعادة على دارى فأفعمتها بالهدوء والطمأنينة... ثم... ثم نسيت ما كان من أخى الأكبر.

أما أخى فظل يدل علىّ بماله وصحته وأولاده حيناً من الزمان، ثم ضربته العلة وركبه السقام فأنهدت قوته وذوى نشاطه. أفكان ذلك من أثر الندم الذى يتأجج بين جوانحه على أن غالنى حتى وأنا مهدود القوة لا أستطيع أن أدفع أذى ولا أن أرد شراً؟ أفكان من أثر أكل المال الحرام وهو يتسرب إلى جوفه لظىً يتضرم؟ أفكان من عدل السماء وهو يجازى الشر بالشر ويدفع السيئة بالسيئة؟ من ذا يدرى؟ ولكنه انطلق يطب لداءين: داء نفسه وداء جسمه... وثقلت عليه وطأة المرض فانحط فى فراشه لا يبرحه، وانصرف عن تجارته فأغلق دكانه، وتسلل المال من بين يديه إلى الدواء والطبيب، وبدا على وجه زوجه سمات الجزع والقلق — بادئ ذى بدء — ثم برمت به فهى لا تصغى إلى حديثه إلا فى ملل، ولا تجيب نداءه إلا فى ضجر، ولا تقوم على خدمته إلا فى تثاقل.

واختلفت إليه أريد أن أخفف عنه لوعة المرض، وأن أزيل عنه جفوة الوحدة، فاستقبلتنى زوجه — أول الأمر — فى بشر وتلقتنى فى بشاشة وتحدثت إلىّ فى سرور، ثم تراءى لى أنها تطمع فى أن تصرفنى عن أخى، وأن تخدعنى عن نفسى، وأن تستلبنى من قلبى، فدفعتها فى رفق ونصحتها فى لين، ولكنها كانت فتاة جبلة فيها المكر والمداهنة، تتوسل إلى رغبات نفسها بأساليب شيطانية فيها الإصرار والعناد. وخشيت أن أغلظ لها القول فتنطلق إلى أخى توسوس له وتوحى إليه بأننى أريد أن أعبث بكرامته، أو أن أسطو على عرضه فتقصمه الصدمة، وهى قوية عنيفة، وهو ما يزال يعانى عنت المرض ولأواء العلة.

لشدّ ما آذانى أن أراك — يا أخى — تفقد مالك وصحتك وزوجك فى وقت معاً! ولشدّ ما حزّ فى نفسى أن أرى زوجك تحاول أن تفترنى عن كرامتى وشرفى ورجولتى لأكون حيواناً يرتدع فى حيوانيته فى بيتك أنت يا أخى!

بالرغم منى — يا أخى — أن أزوى عنك فلا أزورك إلا بين الحين والحين، وبالرغم منى أن أصانع زوجك اللعوب لأحفظ ودك... آه، لو أن لك أذناً تسمع حديثى وتطمئن إلى قولى! ولكنى أوقن بأنك لا تسكن إلا إلى حديث زوجك، ولا تستعذب إلا كلماتها، ولا تستسيغ إلا خداعها!

ومضت الأيام، فإذا أخى يخرج إلى الناس يتكفأ فى مشيته من الضعف والهزال، وقد ضربه الإفلاس وركبه الدَّين، لا يجد من يحنو عليه غيرى أنا.. أنا أخوه الذى اغتال مالى وسلبنى حقى ليشبع رغبات نفسه ورغبات زوجه.

فيا أخى، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية!

كامل محمود حبيب

شعر المعتمد بن عباد

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

ولد فى مهاد الملك ، وعاش أميراً فملكا ، لم تدفعه الحاجة إلى الارتزاق بشعره ، وإنما كان كالعصفور الفَرِد ، يمتلىء شعوراً بالحياة ، فيغنى ، وتبهجه آيات الجمال ، فيصدح ، لا يضطر إلى أن يلبس عواطفه غير لبوسها .

وقد رأى والده فيه بادرة هذا النبوغ ، فشجعه على أن يقرض الشعر ، وعرف الابن فى أبيه حبه للشعر ، فاتخذه فى رسائله إليه : يمدحه آنا ، ويستعطفه حيناً ، ويعتذر إليه مرة ، ويطلب منه بعض أنعامه تارة أخرى كما سترى علماً منه بما للشعر من تأثير فى نفس والده ، وبأنه جدير أن يبلغ به ما يريد .

وأغرم المعتمد بالشعر ، حتى إنه ليفضل أن يكتبه فى رقعة الدعوة إذا دعا ، ويستجيز الشعراء ، ويطلب إليهم أن يكملوا ما بدأ ، وكثيراً ما كان يرسل إلى وزرائه ، وندمائه ، وشعرائه رسائل بالشعر بدل منثور الكلام .

— ٢ —

وكان شعره صورة للحياة التى عاشها فى عهد الإمارة والملك ، حياة الترف والجلال معاً ، تراها ممثلة فى قوله :

ولقد شربت الراح يسطع نورها   والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدى البدر فى جوزائه   ملكا تناهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزها فى غربه   جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه   لألاؤها ، فاستكمل الآلاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله   رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته فى الأرض بين مواكب   وكواعب جمعت سنا وسناء
إن نشرت تلك الدروع حنادسا   ملأت لنا هذى الكئوس ضياء
وإذا تغنت هذه فى مزهر   لم تأل تلك على التريك غناء

فخيانه كما ترى بين راح يسطع نورها فى ظلمة الليل ، تحت أضواء بدر يملأ الكون بهاء وبهجة ، تحف به النجوم المتلألئة كما تحف الرعية بمليكها . وهنا يعقد موازنة بين نفسه فى الأرض والبدر فى السماء ، فهو فى ملكه بين مواكب من الجند ، أو بين كواعب أتراب ، يصدحن بأعذب الموسيقى ، وأرق الغناء .

وملهاة أخرى كانت أثيرة لديه ، تلك هى ملهاة الصيد ؛ يطلب من والده حيناً أن يأذن له بساعة ينفقها فيه ، ويرى فى ذلك منة من والده عليه ، وحيناً يرسل إلى أبيه يحدثه عن ساعة قضاها فى الصيد والقنص .

وكان لبعض الأحداث السياسية صداها فى شعره ، ولعل من أعظم تلك الأحداث استيلاءه على قرطبة ، وهو حادث ملأ نفسه زهواً ، وربما أفعم قلبه بالأمل ، فى أن يوحد الأندلس العربية تحت رايته ، ويقيم فى البلاد دولة بنى عباد . ولا جرم فقد كانت قرطبة عاصمة الأندلس كلها ، يوم كان الحكم العربى مزدهراً بتلك الديار . ويبين المعتمد عن هذا الزهو ، وذلك الأمل فى قوله :

من للملوك بشأو الأصيد البطل   هيهات ، جاءتكم مهدية الدول
خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت   من جاء يخطبها بالبيض والأسل
عِرْسُ الملوك لنا فى قصرها عُرُس   كل الملوك به فى مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب ، لا أبا لكم   هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ومن أعظم هذه الأحداث أيضاً تلك المعركة التى دارت رحاها يوم العروبة بين المعتمد بن عباد ، والمرابطين ، وأمراء الأندلس من ناحية ، وبين ألفونس السادس ملك إسبانيا المسيحية من ناحية أخرى ، وعرفت فى التاريخ بمعركة الزلاقة ، وقد تحدث عن صبره على أوار تلك المعركة . والمؤرخون يروون بلاءه فيها ، ويثنون على شجاعته واستبساله ، وسجل ذلك فى حديثه عن ابنه أبى هاشم ، وقد ذكره ورحى القتال دائرة ، إذ يقول :

أبا هاشم ، هشمتنى الشفار   فلله صبرى لذاك الأوار
ذكرت شخيصك ما بينها   فلم يثننى حبه للفرار

ويظهر أنه كان رقيق المعاملة لوزرائه وندمائه ، عظيم التواضع لهم ، كتب مرة إلى ذى الوزارتين أبى الوليد بن زيدون ؛ وكان المعتضد قد أمر أن يكون مجلس الوزير دون مجلس ولده المعتمد :

أيها المنحط عنى مجلسا   وله فى النفس أعلى مجلس
بفؤادى لك حب يقتضى   أن تُرى تُحمل فوق الأرؤس

ولذا لا نعجب أن يجيبه ابن زيدون فيصفه بأنه ملك مالك

بالبرق الأنفس .

كما كان يحب أن يأخذ الأمور بالرفق واللين ، ويدل على ذلك شعره الذى أرسل به إلى ابن عمار عقب نزوع هذا إلى أن يستأثر بمرسية :

متى تلقنى تلق الذى قد بلوته
صفوحاً عن الجانى ، رءوفاً على الصحب

كان شعر المعتمد أميراً وملكاً يفيض بالبهجة ، ويغمر بالسرور ، حتى إذا ما قلب الدهر له ظهر المجن ، فهاجه يوسف ابن تاشفين حليفه بالأمس ، انقلبت تلك الحياة الراضية حياة بؤس وشقاء . ولعل من أوائل الكوارث التى نزلت به وفاة ولديه اللذين كانا على قرطبة ورندة عند ما أغار عليهما جيش يوسف ، وهنا يبدأ عهد المحنة ويفيض شعره الباكى الحزين ، حتى إذا تم أسره مضى الشعر يروى إحساساته الحزينة ، وآلامه الدفينة ،وذكرياته المؤلمة ، وخواطره القاتمة ، كما سنرى .

— ٣ —

كان الغزل أهم أغراض شعر المعتمد فى عهد الإمارة والملك ، وهو غزل حقيقى تحدث فيه عن عواطفه فى حال الرضا والغضب والقرب والبعد ؛ وأظهر ما فيه أنه غير وقف على واحدة بل هن جوارٍ وزوجات عرفنا منهن جوهرة ، وسحر، ووداد ، وأم الربيع، وزوجه اعتماد ، يقول فى الأولى منهن :

سرورنا دونكمُ ناقص والطيب ، لا صاف ولا خالص
والسعد إن طالعنا نجمه وغبت فهو الآفل الناكص
سموك بالجوهر مظلومة مثلك لا يدركه غائص

ويقول فى الثانية :

عفا الله عن (سحر) على كل حالة ولا حوسبت عما بها أنا واجد
أسحرُ، ظلمت النفس واخترت فرقتى فجمعت أحزانى ، وهن شوارد
وكانت شجونى باقترابك نزحا نهاهن لما أن نأيت شواهد

ويقول فى ثالثتهن :

اشرب الكأس فى وداد ودادك وتأنس بذكرها فى انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرآ ه ، وسكناه فى سواد فؤادك

ويقول فى أم الربيع :

تظن بنا أم الربيع سآمة ألا غفر الرحمن ذنباً تواقعه
أأهجر ظبياً فى ضلوعى كناسه وبدر تمام فى جفونى مطالعه
وروضة حسن أجتنيها وباردا من الظلم لم تحظر على شرائعه
إذاً عدمت كفى نوالا تفيضه على معتفيها أو عدواً تقارعه

أما زوجه اعتماد فيقول فيها :

بكرت تلوم ، وفى الفؤاد بلابل سفها ، وهل يثنى الحليم الجاهل
يا هذه ، كفى فإنى عاشق من لا يرد هواى عنها عاذل
حب اعتماد فى الجوانح ساكن لا القلب ضاق به، ولا هو راحل
يا ظبية سلبت فؤاد محمد أولم يروعك المزبر الباسل
من شك أنى هائم بك مغرم فعلى هواك له على دلائل :
لون كسته صفرة ومدامع هطلت سحائبها وجسم ناحل

وهذا الغزل الذى لا يقتصر على واحدة يدل على أن صاحبه مغرم بالجمال ، يعجب به أينما كان ، لا كهؤلاء المحبين الذين لا يرون الجمال إلا ممثلا فى واحدة . وليس حبه حباً عذريا ، يقنع من الحب بالذكرى وطيف الخيال ، فلا ترى فى غزله صوفية ، ولكنه غزل دائم الحديث عن لذة المتعة بالجمال ، فتسمعه يقول :

الصبح قد مزق ثوب الدجى فزق الهم بكفى مهما
خذ بلسما من ريقها خمرة فى لون خديها تجلى الأسى

ويخاطب من يحب قائلاً :

متى أداوى — يا فدا ك السمع منى والبصر
ما بفؤادى من جوى بما بفيك من خصر

ويقول :

وشادن أسأله قهوة فجاء بالقهوة والورد
فبت أسقى الراح من ريقه وأجتنى الورد من الخد

حتى فى النوم عندما يزوره طيف من يهوى لا يقنع إلا بالحب الواصل ، ولا يرضيه إلا أن يظفر فى النوم بما كان يظفر به فى اليقظة ، فهو يرسل إلى من يحب رسالته منها :

إنى رأيتك فى المنام ضجيعتى وكأن ساعدك الوثير وسادى
وكأنما عانقتنى وشكوت ما أشكوه من وجدى وطول سهادى
وكأننى قبلت ثغرك والطلا والوجنتين ونلت منك مرادى

والمعتمد يسجل فى شعره ما ظفر به من متع حسية بالجمال ، ويحن إليها إذا نأى عنها ، وشعره فى الشوق إلى الجمال المفارق بارع قوى ، ومن ذلك ما كتب به إلى ابن عمار يذكر عهده

بشلب (إحدى مدن الأندلس) ولياليه السعيدة بها ، ومعاهد لهوه فيها ، فقال :

ألا حى أوطانى بشلب أبا بكر … وسلهن هل عهد الوصال كما أدرى
وسلم على قصر الشراجيب عن فتى … له أبداً شـــوق إلى ذلك القصر
منازل آســـاد وبيض نواعم … فناهيك من غيل وناهيك من خدر
وكم ليلة قد بت أنعم صبحها … بمخصبة الأرداف مجدبة الخصر
وبيض وسمر فاعـــلات بمهجتى … فعال الصفاح البيض والأسل السمر
وليل بسد النهر لهواً قطعته … بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم … فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر
وبانت تسقينى المدام بلحظها … فمن كأسها حيناً وحيناً من الثغر

وأغلب الظن أن ميدان حبه كان جواريه وحظاياه ، وهؤلاء كن قريبات منه ؛ ولهذا لا تحس فى شعره لوعة ولا حرمانا ، فهجر الجوارى دلال ينتهى بوصل ، وخصام لا يلبث الصلح أن يعقبه ، والفراق إذا كان اليوم ، ففى غد اللقيا والوصال ، وهو حين يغالى فى التعبير عن أساه للهجر والفراق — مدلل لمن يهواه ، وكثيراً ما صور لنا مداعبات جرت بينه وبين من يهوى . ولعل من أرقها تلك التى صورها وقد جرى بينه وبين جاريته جوهر عتاب فكتب إليها يسترضيها ، فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها ، فقال :

لم تصُف لى بعد ، وإلا فلمْ … لم أر فى عنوانهـا جوهره
درت بأنى عاشـــق لاسمها … فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت : إذا أبصره ثانياً … قبّـله ، والله لا أبصره

* * *

وللمعتمد شعر بعث به إلى أبيه تلمس فيه ما كان يحمله الفتى الأمير لوالده من إكبار وإجلال ، فهو حيناً يمدحه إلى التفرد بالمجد والسيادة إذ يقول له :

ألا يا مليكا ظل فى الخطب مفزعا … ويا واحداً قد فاق ذا الخلق أجمعا

وحيناً يرسل إليه يسأله بعض نعمه ، كما كتب إليه يطلب مجنا ، وحيناً يشكره على كثرة ما أولى وأنعم ، ومن ذلك أن أباه أرسل إليه فرساً أصدأ ، فكتب إليه المعتمد :

نوال جزيل يبهر الشكر والحمدا … وصنع جميل يوجب النصح والودا
لقد جدت بالطِّرف الذى لو أباعه … بذلت ولم أغبن به العيشة الرغدا
جواد أتانى من جواد تطابقا … فيا كرم المهدى ويا كرم المهدى
وكم من أيدٍ أوليت موقعها ندٍ … لدى ، ولكن أين موضع ذا الأصدى
لعلى يوماً أن أوفى حقه … فأنمله ممن عصى أمرك الحدا

فإذا ما غضب الوالد على الأمير وجد هذا من شعره وسيلة يستل بها هذا الغضب . ولعل أكبر قصيدة فى الديوان تلك التى بعث إليه بها ، وقد خرج من مالقة منهزماً أمام باديس ، وقد تصرف فى هذه القصيدة تصرفاً بارعا ، فبدأها بالحديث إلى نفسه ، يطلب منها أن تهدأ وتستقر ، إذ لا فائدة فى البكاء ، ولا خير يرجى من الحزن والألم ، ما دام القدر قد عاق عن بلوغ الأمل فيقول :

سكن فؤادك لا تذهب بك الفكر … ماذا يعيد عليك البث والحذر

ثم ينتقل انتقالا طبيعياً إلى مدح والده مدحاً رائعاً قويا بدأه بقوله :

سميدع يهب الآلاف مبتدئاً … ويســـتقل عطاياه ويعتذر

ويمزج المدح بالاعتذار إليه ، طالباً منه أن يبقى عليه ولا يوهنه فهو المدة فى حوادث الدهر ، وهو الناب والظفر وقت الشدة . ويظهر مما وصف به المعتمد نفسه ، معتذراً إلى والده حين يقول :

فالنفس جازعـــة ، والعين دامعة … والصوت منخفض ، والطرف منكسر
وزاد همى ما بالجسم من سقم … وشبت رأساً ، ولم يبلغنى الكبر
وذبت إلا ذماء فىّ يمسكنى … أنى عهدتك تعفو حين تقتدر

يظهر أن وقع الهزيمة كان شديداً على نفس أبيه ، وأكاد ألمح أن والده المعتضد قد أرجع سبب الهزيمة إلى انصراف ولده المعتمد إلى اللهو والغناء ، والخمر والنساء ، ومن أجل هذا بذل المعتمد جهداً كبيراً فى أن يبرىء نفسه منها ، منحياً على قوم ذوى دغل ، لعلهم هم الذين نقلوا إلى أبيه أموراً لا ترضيه ، فقال المعتمد يتنصل :

لم أوت من زمنى شيئاً ألذ به … فلست أعهد ما كاس ولا وتر
ولا تملكنى دل ولا خفر … ولا سبى خلدى غنج ولا حور
ما تركى الخمر من هدز ولا ورع … فلم يفارق لعمرى سنى الصفر
وإنما أنا ساع فى رضاك فإن … أخفقت فيه فلا يفسح لى العمر

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أحمد بدوى

من أسرار الوضع فى اللغة العربية

للأستاذ جـــلال الحنفى

ليس للشك مجال إلى أفكار الباحثين فى أن اللغة العربية ذات سلطان مبين فى عالم اللغات ؛ وأن معجماً واحداً من معاجم اللغة العربية يكفى للدلالة على أن هذه اللغة لغة بالغة أوج المراتب من بين سائر الألسنة ؛ وأن أهلها الذين وضعوها كانوا على جانب عظيم من الرجحان العقلى والنضج والإحساس .

ومن البديهى أن لغة كل قوم حجة لهم أو عليهم . فإذا كانت لغتهم حصيفة موزونة ، فهم أولو أفكار عالية وأذهان خصبة ؛ وإذا كانت لغتهم ركيكة ضئيلة فإن ذلك يدل على أنهم متفككو عرى التفكير ومتقطعو سلاسل الثقافة.

والعرب وإن كانوا أميين لا يمنون بالقراءة ولا بالكتابة فإنهم استطاعوا أن ينشئوا لأنفسهم لغة محكمة مفصلة فى خلال أدوار أميتهم ومن قبل أن ينتقلوا إلى عهود الكتابة والتدوين .

وليس المهم أن يضع العرب الأميون لأنفسهم لغة واسعة للتخاطب كغيرهم من الأمم ؛ وإنما المهم أن تكون اللغة التى وضعوها قائمة على مقاييس فنية عجيبة تدهش العقول وتحلب الألباب . ولم يُعرف أن لغة أخرى غير العربية قام فيها الوضع على مثل هذه الملاحظات والدقائق . فكثير من الألفاظ التى أطلقها العرب على بعض المسميات أو بعض المعانى لم تكن لمجرد التسمية فحسب، بل كانت فوق ذلك لملاحظات فنية بارعة ؛ فمن ذلك أن العرب سموا المتاهة المخوفة (مفازة) تفاؤلا بالسلامة من المكاره وارتقابا للنجاة من المخاطر ؛ وفى ذلك إشماع على النفوس وامداد لها بالطمأنينة والرجاء ... كما أنهم سموا الملسوع الذى لدغته الأفعى (سليماً) ليوحوا إلى نفسه شيئاً من الأمل بالبرء ، وليوقعوا فى ذهنه بعض الرجاء فى الشفاء ... وسموا الأعمى (بصيراً) ليهدئوا فى نفسه ثورة التبرم ولئلا يشعر بأن العمى منقصة فى الحياة أو جناية من الجنايات ، أو أنه شىء مما يقصر بالمرء عن مساواة الناس فى الحقوق ...

ومن هذا النوع الشىء الكثير من مفردات اللغة يستدل منه على أن الوضع فى العربية قام على أركان غير ملحوظة فى سائر اللغات العالمية التى توخى واضعوها تركيب الألفاظ لقاء المعانى المقصودة ليستعان بها على التخاطب والتفاهم ...

وهناك أنواع من المفردات أتقن الواضع العربى أمرها كل إتقان ، وأحكم تدبيرها كل إحكام، فجاءت مهندسة الشكل معينة على بلاغة الأساليب صريحة فى دلالتها على عظمة هذه اللغة وعلى جلالة قدرها وارتفاع شأنها . وقد وضعت هذه المفردات لتدل دلالة مفاجئة على المعانى المقصودة ، فمن ذلك لفظة (ضيزى) فإذا قرأ أحد قوله تعالى : (تلك إذن قسمة ضيزى) علم بالبداهة أن هذه اللفظة إنما تعنى وصف القسمة بالجور والنقيصة ، وإن كان لم يسبق إلى ذهنه شىء من تفسير معنى اللفظة ، وذلك لأن النمط الذى نسجت عليه يدل دلالة واضحة على أن هذه اللفظة لا ترى لغير معنى الجور والنقص . وكذلك الحال فى معظم ألفاظ العربية فإنها جاءت مقارنة لمعانيها فلم توضع فى العربية لفظة خشنة لمعنى رقيق ، ولا وضعت لفظة رقيقة لمعنى ثقيل ... وأسباب ذلك أن الواضع كان يتأثر نفسياً ببعض الأعمال أو ببعض الأمور فيضع لها مسميات بحسب ما يسيطر عليه من الشعور نحو تلك الأعمال والمسميات ، فكان إذا كره شيئاً أو اشمأز منه سماه باسم فيه وعورة وخشونة ، وإذا أحب شيئاً ورغب فيه سماه باسم فيه رقة وليونة ؛ فهو مثلا عند ما بوغت يوماً ما بقسمة جائرة اشتد غضبه وعظم انزعاجه فانبرى يصف تلك القسمة بوصف يثير أكبر مقادير الاشمئزاز فى النفوس فكان لديه من ذلك لفظة (ضيزى) . ويرى الواضع شيخاً هرماً خائر القوى فلا يجد إلا أن يطلق عليه تسمية خشنة تنم عن مبلغ ما اعترى هذا الواضع من الدهشة لذلك المنظر الذى هو رمز من رموز الموت ، تلك التسمية هى : (القشْعُمان) .

ونجد الواضع يستمع إلى شاعر يلقى قصيدة من الشعر الركيك المهلهل فيمج ذوقه مثل هذه القصيدة ويستسخف مثل هذا الشاعر فيؤلف له من بعض الحروف الخاصة تسمية يصب عليها شعوره الحاد ، ثم يطلقها عليه ليثأر منه فينقلب ذلك

الشاعر وقد حمل اسماً جديداً هو (القرزام)

ويمشى الواضع فى طريق كثيرة التلبد والأعقاد فينهكه التعب ويجهده السير فيلقى على الطريق اسماً جديداً ينم عن شدة تذمره منها وذلك الاسم هو (القردودة) وكذلك أطلق نفس الاسم على شدة برد الشتاء ... وينزعج الواضع من امرأة كثيرة الكلام والصخب تقطع عليه راحته وتشوش عليه طمأنينته فيطلق عليها اسم (القُراقِرة) تشويهاً لها . ويرى رجلا متهيئاً للشر متربصا لأسباب الشقاق والخصومات على الدوام فيسميه (المقدَحر) ...

ومن هنا وجدت فى العربية مفردات متنافرة الحروف أو ثقيلة على الأسماع ، وكان البلغاء يظنونها معيبة في البلاغة غير أنها إذا جاءت فى مواقعها الملائمة لها كانت من عرافين البلاغة ومن عيون الكلام ...

ولقد عيب على الشاعر استعماله كلمة (النقاخ) فى هذا البيت

واحمق ممن يكرع الماء قال لى: دع الخمر واشرب من نقاخ مبرّد

مع أن الشاعر نال باستعمال هذه الكلمة توفيقاً عظيماً من البلاغة ، لأنه أراد أن يهجو الماء تحدياً لمن نهاه عن الخمر ، ولم يكن مناسباً لهذا الهجو إلا أن يطلق على الماء أبشع أسمائه .

والعجيب فى هذه اللغة أن كل لفظة موضوعة فيها يمكن الوصول إلى معرفة السر فى وضعها واختيارها ، وما وضعت فى العربية لفظة واحدة لمعنى من المعانى إلا لعلاقة رابطة أو سبب وثيق . فإن الواضع العربى وضع مثلا لفظة (الضجم) لمعنى وضع الجنب على الأرض ، ثم وضع نفس اللفظ لمعنى ميلان النجم للغروب ، وأسباب ذلك أن النجم عندما مال للغروب شابه ميلان الرجل للنوم فأطلق عليه ذلك . ولما كان النائم المضطجع قاصراً عن كل عمل فقد قالوا : تضجّع الرجل إذا قصر فى الأمر ، وأطلقوا (الضجعة) على الوهن فى الرأى ، لأن الرأى الواهن أشبه بحالة الراقد الذى لا يفكر تفكيراً سليماً . وأطلقوا لفظة (الضاجع) على الأحمق لأنه أشبه بالنائم لعدم إنتاجه لشىء من الخير والمصلحة ، وكذلك أطلقوا هذه اللفظة على منحنى الوادى لأنه مائل كالنائم المضطجع ، وأطلقوا لفظة (الضجوع) على السحابة المثقلة بالماء والبطيئة فى سيرها كأنهم شبهوها بمن يريد أن يضطجع من ثقل وتراخ . وهكذا الأمر فى كل لفظة من الفاظهم ...

وليس للألفاظ المشتقة فى العربية أصل لدى الواضع فإنه كان طوراً يبدأ الاشتقاق بالفعل وطوراً يبدأه بالمصدر وطوراً باسم من الأسماء ، فمثلا على ذلك أنه أطلق اسم (الأسد) على الحيوان المفترس المعروف ، وبعد حين احتاج إلى أن يصوغ منه فعلا فقال (أسد) أى صار أسداً فى بعض خصائصه . . وكذلك الأمر فى سائر الألفاظ فإنها تنقسم فى الاشتقاق إلى هذه الأقسام . وقد يضع الواضع المعنى المطلوب لأول مرة بصيغة الأمر ثم يشتق منه الماضى ، أو بصيغة الماضى ثم يشتق منه باقى الأفعال ؛ وربما وضعه بصيغة اسم الفاعل أو اسم المفعول ثم ينتقل فيتصرف فى النحت والاشتقاق ...

وقد أعانت هذه الطرائق فى الوضع على توسيع دائرة البلاغة وإنهاض أساليب الكلام ، فقد هيأ واضع اللغة للشعراء جملة كبيرة من الوسائل الميسرة لقرض الشعر وتجويده ؛ فإعداد مئات من الألفاظ المترادفات أدى إلى انتعاش القافية فى الشعر كما أدى إلى تمدد الأوزان والبحور ، ولولا هذه المترادفات الكثيرة لما حصل لدينا هذا الرقم الكبير من البحور والقوافى والتفاعيل ، فإن الشاعر إذا لم يجد ملاءمة بين بعض الألفاظ ذات المعنى المقصود وبين وزن التفاعيل استطاع الإتيان بألفاظ أخرى تماشى الوزن وتناسب الروى وتقضى المطلوب ...

وهناك حروف إن اجتمعت فى بعض كلمات دلت على معان متقاربة (فالعين) و (القاف) و (الدال) إن اجتمعت دلت على الشدة والأحكام ؛ و (الميم) و (الطاء) و (النون) دلت على الإقامة والثبات ؛ و (الكاف) و (الراء) تدل على الجمع والترديد ؛ و (الهاء) و (الزاى) تدل على الاضطراب والحركة . وهناك حروف إن اجتمعت فى كلمات دلت على أنها منقولة إلى العربية من ذلك (الظاء) إذا جاءت بعد (الخاء) وكذلك (الزاى) بعد (الدال) ...

وهنالك أسرار وأعاجيب فى هذه اللغة المجيدة تثير الدهشة ذلك تخليص الكلام عن أسرار الوضع فى العربية فكيف يا ترى تيسر لسكان جزيرة العرب أن يؤلفوا لغتهم هذا التأليف المحكم ، وكيف كان عليهم أن يضعوا مفرداتها هذا الوضع الفنى الدقيق ؟! ...

إن ذلك شىء عجيب يستحق الكلام الطويل ...

(بغداد) **جلال الحنفى**

ترجمة وتحليل :

الخلود (*)

لشاعر الحب والجمال لامرتين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ١ —

كان لفاجعة لامرتين في حبيبته (جوليا) — وهي موضوع قصة (رفائيل) — أثر عظيم في إرهاف حسه ، وإخصاب خياله ، وتفتيق عبقريته : فله فيها مراثٍ جياد تفور بالعاطفة الجياشة ، وتزخر بالتصوير البارع ، وتمتاز بالنفس الطويل .

ولا ينسى مطلع على كتاب (من الأدب الفرنسي) تلك اليد البيضاء التي أسداها إلى أبناء هذا الجيل أستاذنا الجليل الزيات يوم نقل إلى العربية بقلمه الرشيق ، وحسه الدقيق ، وأسلوبه الذي لا يجارى ، قصائدَ (البحيرة ، والوحدة ، والوادي ، والمساء ، والذكرى ، والدعاء) فأظهرنا على نفسية شاعر عظيم ، وعلمنا كيف نترجم للخالدين ...

أما القصيدة التي نقدمها اليوم إلى الرسالة — بعد غيبتنا الطويلة — فهي إحدى مراثي لامرتين لحبيبته ، وهي فياضة بصوره وأخيلته ، تصف بلباقة ما كان يكظمه من الحزن ، وتفصّل بأسلوب شعري علاقة الروح بالبدن ، وتقوّي في الفطرة السليمة عقيدة (الخلود) .

***

نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٨١٧ بعد أن مضى زمن قصير على موت چوليا وأفول شمسها ، وكان الحزن لا يزال يلاوع قلبه ، ويحطم أعصابه ؛ فلا غرو إذا كانت نغماته في كل فقرة تنطلق كالزفرات وتوشك أن تسكب الدموع ؛ ولا بدع إذا شرع — في استهلال قصيدته — يصور فكرة الفناء بأسلوب يثير الخشوع .

فالشمس ليست عنده آية النهار ومصباح الوجود ، وإنما هي شمس أيامنا السريعة التي ما تكاد تشرق حتى تؤذن بالغروب ؛ فتشحب في صباحها قبيل ضحاها ، وتستبدل اصفرارها بسَنَاها ، وتأفل متعثرةً بخطاها ، وتضنُّ على جباهنا الكليلة الفاترة ، بأشعتها المرتجفة الحائرة ، ثم تمن بها علينا باهتةً حائلة تتهاوت بين يدي الليل الهاجم ، فتتوالد في عقبها ظلمات حوالك يولي منها كل شيء فراراً ، ويمتلئ من سوادها رعباً ، وينمحي في طياتها ذعراً ورهباً .

« إن شمس أيامنا تشحب مع صبحها المتنفس ؛
وعلى جباهنا الكليلة تلقي وهي تتردد
أشعة مرتجفة تقاوم الليل المعسعس :
فيولد الظلام ، ويموت النهار ، وينمحي كل شيء ويتبدد ! »

وجدير بالإنسان الذي وُهب حساسة وشعوراً أن يتمثل فكرة الفناء كلما رأى مغرب الشمس ، وحضر مأتم النهار ، وشهد مولد الليل ! وجدير به أن يقشعرّ جلده ويلين قلبه لهذا المنظر الخاشع المؤثر ، وأن يوجس في نفسه خيفةً من ظلام الدجى وأن يتلمس مواطئ قدميه حيثما أمسى ، فإذا أحس أنه على شفا حفرة أو لدى شفير مهوى ، تراجع منتفضاً ناكصاً على عقبيه ، وظل متراجعاً حتى يثوب حسه إليه .

ولقد يسمع أثناء نكوصه وانقلابه ألحاناً تشكو ، وأنغاماً تبكي ، وزفرات تتصاعد حرّى ، وأنفاساً تختنق كرباً ، ونواقيس تنتحب ولْهى ، وأجراساً تملن نعياً ... فتلك أصوات تعزي المشتاق في فقد أحبابهم ، والإخوان على رحيل صحابهم ، يوم جثوهم على سُرُر الموت لا يتزحزحون ، وتشبثهم بأقدامها لا يتحولون . فلتتمشَّ الرعدة في أوصال الإنسان إذا ما سمع هذه النغمات ، فإنها — مهما بعدت عنه — نذير الفناء ، يعكر في القلب صفو الهناء .

« ما أحرى الإنسان أن يقشعر لهذا المنظر ويلين
ويتراجع منتفضاً عن مهاوي الشقاء ،
ثم يرتعد حين يسمع لحن الموت الحزين
الذي يوشك أن يتعالى في الفضاء ،
ويحتبس الأنفاس من عاشقة ولْهى أو أخ حيران

(*) هذه القصيدة هي الرابعة في ديوان (التأملات الشعرية) ، وهي من مختارات لامرتين وروائعه .

متشبثين بأقدام السرير الرهيــب ،
أو ناقوساً منتحباً يُنبىء صوته الهيمان
أن شمس بائس شــقى آثرت المغيب ! »

أما وإن هذه الشمس الغاربة الخليقة بتحية الشعراء ، فإنها رمز حزين لاحتضار بائس يستحق العزاء ! فليضع الشاعر يده على ما يكمن فى الموت من أسرار ، وليسمِّ المحتضر (فدية) تستغفر بها السماء من ذنوب الأرض وخطاياها ؛ وليناج روحه مخففاً عنه ما غشيه من سكرة الموت ورهبة الحساب ، غابطاً إياه على رحيله من دار الفنـاء إلى الملأ الأعلى ، حيث تتغير حياته ، وتتبدل عاداته ؛ فلن يحمل سيفه الصقيل ليطيح بالرءوس ظلماً وعدواناً ، ولن يقطب جبينه ويحدق بصره ليغاضب إنسـاناً ، ولن يطلب الشر ويسعى إليه ، فسيلهمه الله كل معانى الخير ، وسيجعله ملـكا رحيماً يضىء بنوره ما حوله ، ويحمل بيده مشعلا قدسياً يعض منه بريق الرفق والحنان .

« سلاماً أيها المحتضر ! إنك لم تبدُ لحظة فى دنياك
— يا فدية السماء — بهـــذا المنظر المخيف
الذى غشّـاك به ذعرُك أو خطاياك .
لن تشهر ذراعك أبداً ســـيفك الرهيف ؛
ولم يمُدْ لك جبين عبوس ، ولا بصر حديد :
فسيلهمك الإله الرحيم مواساة الضـعفاء .
وأنت لا تبيد ... بل ستنطلق فى عالم الخلود ،
حاملاً بيدك مشعلاً قدسـياً يا ملك السماء ! »

طوبى لروح المحتضر ! فإن مآله إلى عالم الأنوار الشعشع إلى الأبد ، بينما الأحياء فى دار الفناء يقضون نصف حياتهم بلا نور ؛ فتى ولد الليل هجعت العيون ، وانطفأت الأنوار ، وامتد الظلام . طوبى لهذا الروح ! فإنه سيكون أحد هذه الأرواح العلوية التى تحمل مشاعلها القدسية ، وتنزل من السماء إلى الأرض لتتسور بيوت النائمين ، فتدنو من فراشهم ، وترقد إلى جانبهم ، ثم تسبح بهم فى بحر من نورها الأزلى ، و تغرق أجفانهم فى موج من ضيائها الأبدى ؛ وتريهم فى منامهم أخيلة رائعـة ، وأضواء ساطعة ؛ وتريهم الليل نهاراً ، والسراب أنهاراً ؛ وتريهم الهائمين بين القبور يفتحون بيد الأمل أبواب الخلود ، ويدخلون بسلام آمنين

« وإذا أحيل بين بصرى الحسير وبين النور
أقبلت تغرق جفنى بنهـــار أصفى وأزهى ؛
فيفتح لى الأمل — وأنا قريب منك هائم بين القبور
معتصم بالإيمـان — عالماً أسمى وأبهى ... »

وهذا العالم السرمدى الذى تنعم به الأرواح فى منامها ودّ الشاعر لو يسمو بنفسه إلى آفاقه ، لأنه الوطن الأول الذى نزح الإنسـان منه فينبغى أن يعود إليه ؛ ولـكنه يرى أغلال حسه وقيود بدنه تعوقه عن الطيران ، فليست يداه جناحين فيحلق بهما فى السماء ، وإنما هما وسائر أعضائه سجن ضيق يتحرك فيه بقدر ، ويدور منه على حذر . فمن له بتحطيم أغلاله ، وفك قيوده ، وفتح سجنه ، وجعلِهِ طائراً يطير سوى هذا الروح الطليق الذى يمضى فى اللانهاية حيث يشاء ؟

فليستغث به عله يُصرخه ، وليستعجله إلى نجدته قبل أن يقذف بنفسه إلى العالم المجهول ، وهو فى غمرات الحيرة والذهول .

« تعـال إذن ... تعـال حطم أغلال حسى !
ثم افتح سجنى وأعرنى جناحيك فأطير على رسلى !
ما يبطىء بك ؟ أسرع فإنى قاذف بنفسى
إلى هذا العـالم المجهول غابتى وأصـلى ... »

ويخيل إلى الشـاعر — وما ذاك منه سوى خيال — أن روحا لبى نداءه ، فحطم أغلاله ، وأطلقه من سجنه ، وألقى فى روعه أنّ فى مكنته أن يطير ؛ فينظر فيما حوله حائراً شروداً ، ويرى أنه خُلق خلقاً جديداً ؛ فتعجب نفسه من نفسه ، ويقارن بين حاضره وأمسه . ويتساءل عن الذى فك قيود حسه ، ويستفهم عن منقلبه ومصيره ، وعن سر بعثه ونشوره . ويستعلم عن الضيف المجهول الذى أجابه إلى رجيته ، وعن مثواه العلوى الذى كان فيه وعن غرضه حين سعى إليه .

« من حطم أغلالى ؟ من أنا وما ينبغى أن أكون ؟
إنى أموت ... ولا أفهم سر بعثى ونشورى ...
عبثاً أسألك أيها الضيف المجهول والروح الأمين !
أين كان مثواك قبل أن ترد حياتى وشعورى ؟ »

(يتبع) صبحى ابراهيم الصالح

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوى

— ٣ —

يزعم سارتر أنه أخذ هذه الفلسفة عن الفيلسوف الألمانى المعاصر هيدبجر Heidegger . ويجب أن نعرف أن هيدبجر هذا كان يلوّح للناس لينظروا إلى فلسفته بصفتها بشيراً ورسولا من لدن الإشتراكية الألمانية . وبعد أن دالت دولة هتلر وأبناه فى كل ما وصل إلينا من آرائه تقريباً يتجه اتجاهاً لا هو بالاشتراكى ولا هو بالإلحادى ولا هو بالشيوعى ، وإنما هو أقرب — كل القرب — إلى أن يكون دينياً منه إلى أى شىء آخر . يزاد على هذا أنه يدعو الناس إلى أن ينظروا إلى فلسفته القديمة بهذا المنظار ويؤولوها بما يتفق وهذا المعنى الجديد . فأى شىء بقى إذن للتلميذ وعشاقه ؟

يزعمون أن الوجودية ليست بدعاً وإنما قال بها الفيلسوف الطبيعى باسكال Pascal قبل سنة ١٦٦٣ ، ولكن باسكال هذا حينما أحس وجوده وتعمق هذا الوجود ، وحينما نظر إلى الموجودات الأخرى وتعمق النظر راعه أن يرى الإنسان — وهو أسمى الموجودات طراً — ينغمس فى شهواته الحسية الجامحة مهملا عقله فصاح صيحته الخالدة : « عجبي للانسان يهمل عقله الذى به صار وجوده » ! ولما أدمن النظر العميق فى الكون ، أدرك خالقه الأعظم سبحانه وآمن به أعمق إيمان ، ثم انصرف يبحثه إلى الدين وبدأ يؤلف كتابه المشهور فى الدفاع عن المسيحية فكان أشبه فى ذلك بالرجل المتصوف .

فهل فعل سارتر مثل ما فعل ؟ لقد قال إن للسن عند بسكال عذره !!

وعلى نهج باسكال ، أو قريب منه ، سار كير كجارد Kier Kegard الفيلسوف الدنمركى وكثيرون غيره أخص منهم بالذكر الكاتب المسرحى الفيلسوف جابرييل مارسيل Gabriel Marcel الذى توصل إلى معرفة الله وبين أن أسمى صلة بين الموجودات ما كانت قائمة على المحبة ، وأسمى أنواع المحبة محبة واجب الوجود سبحانه .

لم يبق إذن لاتحاد شركات سارتر وآخرين كما يسمونهم فى فرنسا إلا أن يدعوا أنهم وريثو فلسفة نيتشه وأنهم على طريقه نابليون . فما هى فلسفة نيتشه هذا ؟ وهل الغرض الذى قامت من أجله هذه الفلسفة فى ألمانيا هو الغرض الذى تقوم من أجله فى فرنسا ؟ وهل يمكن لزاعم أن يزعم أنه حتى هذه النظرية — نظرية نيتشه — كتب لها البقاء ؟

أما من الناحية العلمية فلم يعد لهذه النظرية ظل من الوجود بعد زوال ظروفها وبهذا قضت على نفسها بنفسها .

وأما الغرض الذى قامت من أجله هذه الفلسفة فى ألمانيا فهو تخليص الشعب من أزماته النفسية التى حلت به إثر طغيان الروح الرومانتيكية عليه كما قدمنا ، وتخليصه كذلك من سلطان الدين وسيطرة رجاله ، لأن نيتشه كان يظن أنهم أصل كل شر ، وأن الدين علم الناس العبودية للناس ، هذا فضلا عن بث روح الجندية القوية التى لا تعتمد على شىء خارج عن ذاتها والتى لا تبالى بشىء فى الشبيبة ، لأن موقع ألمانيا الجغرافى يحتّم عليها ذلك .

لهذا جعل إنسانه الأعلى Supper Man هو ذلك الذى يحقق لذاته وآلامه وحاجاته ، أو بالمعنى الاصطلاحى (يحقق وجوده) بنفسه وبفعله الإرادى دون خوف أو ترقب لإرادة السموات فهى لا تمطر ذهباً ولا فضة .

وليس لنا إلا اللحظة التى نحن فيها : إما عشنا عظماء وإلا فلنمت عظماء . ومن السخف أن ينظر الإنسان إلى تالد مجده فهذا شىء قد مات ، ومن الغباء النظر إلى الموتى . لنفعل دائماً بإرادتنا شيئاً جديداً نجدد به وجودنا ، ولنكن أقوياء نطفر قدماً نحو الأمام ، وويل لمن ينظر وراءه أو ينتظر عون الإله . فليست الحياة هى التى تحدد للارادة وجهتها ، وإنما الإرادة هى التى تحدد معنى الحياة ووجهتها .

وبفرض أننا تغاضينا عما فى هذه النظرية من التناقض البين فيها بكن من خطئها أو صوابها ، فإنها على كل حال قد ماتت واستنفدت غرضها ووجودها أيضاً فى مهدها ألمانيا . فما ذا يقصد هذا الرجل المعاصر بنشر نزواته فى فرنسا ومحاولة نشرها خارج فرنسا ؟ شتان بين ما أراد نيتشه وبين ما يريد « اتحاد الشذذ » ، فإنهم يهملون الغاية ؛ لأنهم ليسوا لها أكفاء كما أثبتت الحوادث الأخيرة فى حرب هتلر ، ويتشبثون بالوسيلة ولا هم لهم إلا الإباحة وهتك ستر ما بقى للناس من وشل الحياء .

وفي هذا يقول شاب فرنسي من الوجوديين المتحمسين يصف حال الشبان هناك بعد تفشي هـذا المذهب فيهم واعتناقهم له :

« كان الرجل البورجوازي يطالب أسرته بأن تتكلم كلاماً مهذباً وتتأدب بآداب حسنة ... ولـكن ذلك لم يمنع من إتيان المفاسد سراً » . « فالأجيال الناشئة إذ تنبذ هذه الحياة الزائفة تصر عمداً على كل هذه النقط التي يراد الحيلولة بينها وبينهم في سنهم الصغيرة ؛ فهم يقضون كل يومهم في ضروب التسلية في السينما وصالات الرقص والحانات ، وهم يمجدون الـكسل ويمارسونه ، ويتكلمون كما تتكلم شخصيات سارتر ، لغة مشوبة باللهجة الدارجة Argot مملوءة بالألفاظ التي يأباها الحياء . وليس هذا عندهم مجرد ميل طبيعي ، بل هم يضمون إلى ذلك روح عدم الاكتراث ، وهو روح الحياة التي قد خلصت من الأوهام بما فيها وهم اللذة نفسه ، ويجمعون إلى ذلك أيضاً نظراً منيراً يعرفون به أن (الوجود) هو هذا ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يفعل سوى أن يكون موجوداً » اه

ولـكم بعد هذا أن تفرقوا بين غاية نيتشـه وغاية سارتر إن استطعتم إلى ذلك سبيلا .

***

وأخيراً قولوا لي بربكم مالي أرى الإنسان هكذا يأبى إلا أن يكون عبداً ؟

إنه يريد واهماً أن يتخلص من (عبودية) اختيارية سامية يحتمها العقل السليم ويوجهها الذوق المهذب ؛ وأقصد بها عبودية الدين للدائن ، عبودية المحسن إليه للمحسن ، أستغفر الله ! فما كان مثل هذا عبودية ! وإنما هو الشكر : شكر الموجود لمن أوجده ، شكر المخلوق للخالق .

يخدعه الشيطان ويخدع نفسـه بوجوب التخلص من هذه العبودية (الثقيلة البغيضة) ! ثم يخدع نفسـه بوجوب تعطيل الفـكر من النظر في آثار رحمة هذا المعبود لـكي لا يكون في ذلك منغص لوجوده ، وهذا غاية الإفلاس .

ويخدع المسكين نفسه مرة أخرى فيخيل إليها أنه قد صار — بهذا — موجوداً بعد أن لم يكن كذلك ؛ لأنه — في زعمه — قد صار (حراً) . وما هذه الحرية لو تبصرناها إلا ارتماء في هوة أحط دركات العبودية وأقذرها ، وإنها لتتنافى ويستحيل وجودها مع أبسط قواعد التفـكير السليم .

أوتدرون ماذا ؟ إن الفلسفة حين ارتقت وتقدمت اكتشفت هذا الـكشف الباهر وهو أنه إذا كان هنالك إله فهو الشهوة ، وإذا كان لا بد للانسـان من عبودية فأنعم بها من معبود ؛ لأنه يكون حينئذ بكامل حريته ، ومهما تـكن فهي على كل حال خير ألف مرة من العبودية للاله ؟!

رحمك الله يا من قلت : « يظن ابن آدم أنه حر وذلك لجهله مصدر الملل التي تجره لـما يقوم به من عمل »

ولـكن ليس لنا أن نعجب فهـذه بدعة من بدع العصور الحديثة (المودرن) التي تتوهم الحرية في هذا الضرب من الجنون الذي يسمونه الوجودية ، وما زالت الليالي حبالى ... !

فواضيعة هذا الشريد المسكين (الإنسان) ! إن أهون ما يقال فيه هو أنه عبد بفطرته . ذلـكم هو الرأي المتواضع الذي أرجو أن تسمحوا لي بتقريره وقد بلغنا هذا الموضع من حديثنا .

هذه عقدة الفاجعة الإنسانية التي يعاد تمثيلها اليوم على مسرح الدنية باسم الفلسفة الحديثة .

والحق أننا نـكون أسوأ حالا لو انتظرنا منهم غـير هذا . وما ذا تنتظر من قوم (خليين) يجلسون في المقاهي وفي المجتمعات والصالات يزجون فراغهم بالمناقشة في أي شيء : في أصل الـكون وكنه الإله ، ويصفون الميتافيزيقيا وحقيقة الوجود ، وما إلى ذلك من أي شيء يخطر ببالهم ؛ ويحكمون على هذا كله حكم من شاهد واختبر وتثبت ما داموا هم قد اقتنعوا بصحة هذا أو بطلان ذاك ! ما ذا ننتظر من هؤلاء القوم أكثر من انتظارنا من جماعة من الصبية نشأوا في بيت ريفي منعزل : لم يروا أحداً ولم يرهم ولم يختلط بهم أحد ولا يعرفون — فيما عدا بينهم — عن العالم الخارجي شيئاً ؛ ثم ننتظر منهم أن يصفوا لنا حياة الزنج في مجاهل أفريقيا ، وناطحات السحاب في أمريكا ، وطرق المناقشة في هيئة الأمم المتحدة — وصفاً دقيقاً صميماً !

والواقع أنه لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء إلا أن أولئك نسميهم فلاسفة وهؤلاء نسميهم صبية ، كما نطلق على هذا (نبيل) وعلى ذاك (ابن المقفع) .

(يتبع) **إبراهيم الطراوي**



من مشاهير رجال العلم :

بافلــــوف

١٨٤٩ - ١٩٣٦

يعد العلامة أفان بتروفتش بافلوف من أشهر رجال العلم الحديث . وقد تبوأ مكانة سامية ومقاماً ملحوظاً بين علماء روسيا .

بدأت شهرته كعالم فسيولوجي منذ سنوات عديدة ، عندما شرح المبادىء الرئيسية لعملية الهضم ، ونجح في ذلك البحث المظيم . وكان يحافظ على راحة الحيوان الذى يجرى عليه تجاربه أثناء دراسته دورته الدموية . كان يقول إنه إذا تألم الحيوان أثناء إجراء الاختبارات عليه ، فإن أعصابه المضطربة تؤثر فى العمليات الفسيولوجية التى تحدث فى جسمه . فإن الألم يمنع الغدد التى تمد المدة بالعصارات الهاضمة من إفراز هذه العصارات إفرازاً طبيعياً .

وكان هذا الأمر باعثاً له على محاولته التخلص من الألم . فانعدامه شرط من الشروط الرئيسية لنجاح البحث الفسيولوجي . ولذلك سنحت الفرصة لبافلوف — حينما أنشأ الأمير أولد نبرج معهد الأبحاث الفسيولوجية بيترغراد عام ١٨٩١ — أن ينشىء معملاً خاصاً ومستشفى بالمعهد ليمارس فيهما إجراء التجارب على الحيوان بأقل ألم . ويعد هذا المعمل الأول من نوعه فى العالم .

وقد استطاع بافلوف فى أوائل تجاربه على الدورة الدموية ، أن يقلل بقدر المستطاع من آلام الحيوان أثناء إجراء العمليات الجراحية له ، بطريقة فنية دقيقة . وكانت عملياته فى العروق من السرعة بمكان حتى أن الكلب الذى كانت تجرى له هذه العملية لم يكن يشعر بها على الإطلاق . وتعود الكلب أن يقفز طواعية يوماً بعد يوم وفى عروقه أنابيب لقياس ضغط الدم ، دون أن يشعر بوجودها .

وقد ساعدته مهارته الفائقة فى الجراحة أن يثبت — عن طريق الاختبار — أن هناك أعصاباً معينة فى الجسم تتحكم على الغدد التى تمد المدة بالعصارات الهاضمة .

وكان بافلوف يدعو إلى دراسة التركيب الفسيولوجي للجسم الحى دون الإخلال من نظام عمله ؛ ولذلك يقول : « نحن لا نستطيع أن نسمح لأنفسنا بتحطيم التركيب الآلى للجسم الحى ، بما فيه من أسرار خفية تحتل أفكارنا منذ زمن بعيد ، بل طول حياتنا . فإذا كانت الميكانيكا ترفض أحياناً أن تغير أو تتداخل مع تركيب بعض الآلات الدقيقة ، حتى لا تفسد آليتها ؛ وإذا كان الفنان يخشى فى رهبة أن يلمس بريشته إنتاج فنان عظيم ، أليس العلماء الفسيولوجيون الذين يتعاملون مع أدق تركيب آلى — وهو الكائن الحي — أليس لهم نفس هذا الشعور؟»

وقد نال بافلوف جائزة نوبل عن أبحاثه فى عملية الهضم عام ١٩٠٤ . ومع ذلك فقد اشتهر فى أبحاث أخرى ، كبحثه الشهير فى نشاط المخ المعروف باسم « الانعكاسات الشرطية » . ولو أن هذا البحث يبدو مختلفاً عن بحثه السابق ، فإنه يتفق معه فى موضوعين : فعل الغدد الهاضمة ، وإجراء التجارب بدون ألم .

ومن الجلى أنه إذا كان الألم يعرقل عملية المدة الفسيولوجية ، فإنه لا بد أن يعرقل أيضاً عملية المخ الفسيولوجية . إذاً يجب أن تجرى التجارب على المخ بدون ألم ، وتراقب فى عناية زائدة . ولذلك كان على بافلوف أن ينشىء معملاً خاصاً لإجراء اختباراته على الكلاب بعيداً عن تدخل المختبر ، نفسه والأصوات ، بل حتى أشعة الشمس .

إن الصلة بين المخ وعملية الهضم ناتجة من الظاهرة الطبيعية التى تربط الفم بالمدة ، تلك الظاهرة التى تدعى « اللعاب » . فحينما يشاهد كلب أو إنسان ، الطعام ، أو يشمه ، أو حتى عندما يسمع وقع أقدام الخادم وهى مقبلة به ، فإن لعابه يسيل . ويسيل كذلك ، بمجرد أن يضع الكلب الطعام فى فه فيأخذ فى مضغه . ويفسر هذا الفعل بأنه انعكاس بدأ من التأثير الكيماوى للطعام على سطح الفم الداخلى ، تبعته رسالة على طول المسار العصبى ، تصل إلى عضلات الفك . ولكن ، لماذا يسيل لعاب الكلب بمجرد سماعه وقع خطوات الخادم ؟ هل تدخل عقله وفسر ذلك

الصوت إلى الفم ؟ يقول بافلوف : لسنا فى حاجة إلى معرفة أن الكلب لا يعقل . إن الصوت يؤثر على أذن الكلب ، فتذهب رسالة إلى الأغشية ، ثم إلى الفم . ولكن ، لماذا ترسل الأغشية الرسالة إلى الفم ؟ ذلك لأنه فى الحالات السابقة كانت تعقب خطوات الخادم عملية الهضم فى انتظام وبذلك اختلطت الرسائل التى نشأت فى الجهاز العصبى من ذلك الصوت بالرسائل التى ولدت عملية المضغ . ونشأ من ذلك أنه فى مرة ، تبعث الرسائل العصبية التى نشأت من تأثيره ، برسالة إلى الفم ليقوم بعملية يسيل اللعاب .

ويبدو من ذلك ، أن أى رد فعل يعزى إلى ذكاء الحيوان ، كمعرفة أن صوت وقع الأقدام يعنى الطعام ، نستطيع تفسيره تفسيراً صحيحاً بمصطلحات من الرسائل العصبية والانعكاسات . فلماذا إذاً لا تعزو كل فعل نفسره بالذكاء إلى انعكاسات محضة على قدر كبير من التعقد ؟ ذلك كان موضوع بحث بافلوف ، وهذا سبب أهمية آرائه .

جعل بافلوف يجرى الاختبارات على الحيوانات ويبحث هو وأتباعه فى نشاط الانعكاسات وموقعها من السلوك . وبذلك حصل على معلومات قيمة . واستطاع بتنشيط بعض الانعكاسات على بعضها الآخر وضع الكلب فى حالات من النوم والتنويم والنورستانيا .

وعلى ذلك فسلوك الكلب أثناء هذه التجارب يستطاع وصفه بأنه من تدبير الانعكاسات . وتلك نتيجة غريبة !!

* * *

كان بافلوف من رجال العلم الذين يؤمنون بأن رفاهية العالم وسلامته ، ورقى الإنسان وتقدمه ، لا تتوفر إلا عن طريق العلم . ولذلك كان يدعو إلى ذلك فى محاضرات ، وكانت أهمها تلك التى يقول فيها « إنى مقتنع تمام الاقتناع أننا سنجد فى هذا الطريق — أى طريق العلم — أن العقل البشرى قد انتصر انتصاراً تاماً على أعظم معضلاته ، وهو معرفة التركيب الآلى وقوانين طبيعة البشر . وبهذا فقط يستطيع الإنسان أن يحقق لنفسه سعادة دائمة كاملة . دع العقل يسمو من نصر إلى نصر على الطبيعة المحيطة به ، دعه ينتصر للحياة البشرية ، لا على سطح الأرض فحسب ، بل بين أعماق البحار ، بل وفوق أجواز الفضاء . دعه يسخر لخدماته نشاطاً فائقاً يفيض على العالم من بقعة إلى أخرى . دعه يسيطر على السماء حتى تنتقل أفكاره . ومع ذلك ، فالمخلوق الحى ذاته ، ذلك الذى ينقاد بقوى حالكة إلى الحروب والثورات وما فيها من شرور ، ينتج لنفسه من وسائل الدمار ما يجعله يرتد إلى الحياة البهيمية ، ويقاسى من الآلام ما يجل عن الوصف . العلم الصحيح الدقيق فى طبيعة البشر ذاتها ، هو الذى سينقذه من ظلامه الحالى ، ويطهره من عاره على سطح الأرض المعمورة »

* * *

ولد بافلوف فى مقاطعة زيازان بروسيا . وتلقى العلم فى بطرسبرج . وكان والده كاهناً ريفياً ، وأقاربه مشهورين بأنهم محاربون من الطراز الأول . ولذلك كان بافلوف يهوى فلاحة البساتين والملاكمة وغيرها من الألعاب الرياضية التى تحافظ على قوة عضلاته . فقد كانت شيئاً ضرورياً له فى الجراحة التى كان بارزاً فيها . وكان دقيقاً فى مواعيد عمله ، وأوقات راحته ، فيثابر على العمل فى ساعات معينة ، وحينما ينتهى منه يترك معمله ، إلى أن يعود إليه فى ساعة معينة فى صباح اليوم التالى . وكان ذا نشاط عظيم ومقدرة فائقة فى كبح جماح نفسه .

وفى عام ١٨٩٧ عين أستاذاً للفسيولوجيا بالأكاديمية الحربية . وفى عام ١٩٠٧ أصبح عضواً من أعضاء علماء أكاديمية سان بطرسبرج . ومنح وسام كوبلى من الجمعية الملكية عام ١٩١٥ .

وكان بافلوف لا يميل إلى البلشفية ، ولذلك كان يناهضها فى كل مكان ، ولا يخفى كراهيته لها ، بل يصرح بذلك لتلاميذه فى كل مناسبة .

ثم اختفى ذلك الرجل العظيم خلف ستار روسيا الحديدى . وتساءلت الأوساط العلمية فى أوربا إذ ذاك : ما الذى يحدث له هناك ؟ وماذا يعمل فى روسيا ؟ وهل هو حى أو فى عداد الأموات ؟

وأخيراً ، تبين ، أنه على الرغم من عداوته للبلشفية ، فقد بذل لينين مجهودات كبيرة لمده بالمهمات العلمية ، وبذلك حصل على كل ما يلزمه لمواصلة أبحاثه .

وفى عيد ميلاده الخامس والستين ، منحته الحكومة الروسية — وكان لا يزال ينتقدها — مبلغاً كبيراً من المال لتوسيع معامله ، ومعاشاً سنوياً قدره ٢٠ ألف روبل .

وظل يواصل أبحاثه الهامة حتى مات فى سن السابعة والثمانين

محمد فتحى عبد الوهاب

نفسى حزينة حتى الموت (*)

للاديب أميل خليل بيدس

« الكلمة الأخيرة التى قالها خليل بيدس لشريكة حياته قبل أن ينام ليظل نائماً ، فلا يفيق من رقاده الأبدى » !

« نفسى حزينة حتى الموت » ! ما أسمى نفسك هذه يا أبى ! ما أنبل القلب الفياض بالعاطفة ، المختلج بالشعور الهادئ الحزين الذى يستطيع وهو يعانى سكرات الموت ويشرب من كأس الحمام أن يعبر عن خلجاته بهذه الكلمات القليلة البسيطة ؟ !

ما أصفى هـذه النفس الحزينة التى شاركت كل متألم أله ، وعانت مع كل شقى لوعته ، ورمضت مع كل من أرمضته البرحاء ، وأثخنته ضربات الدهر بالجراح ؟ !

هكذا كان حزن نفسـك وألمها ! هكذا كانت تباريحك انعكاساً لتباريح البشرية ، وصدى لبؤس الإنسانية ، وصورة لما يعانيه إحساسك المرهف المصقول من شعور من يكون من المسئولين أمام الله للتخفيف من كروب الإنسانية وأوصابها !

كنت مملوءاً حياة ، وكنت تحب الحياة وتحب كل ما هو حى ، وكانت الحياة فى نظرك هى الحركة والعمل ، وكانت الحياة فى ناموسك كل شىء جميل .

فالفن الجميل هو الحياة ؛ والأدب الجميل هو الحياة ؛ والإنسان الجميـل فى نفسه وقلبه وأخلاقه وأعماله وحزنه وألمه وفرحه وانشراحه ، هو الحياة ؛ وما عدا ذلك جميعاً فهو الموت والاندثار ، وهو الفناء والزوال !

كنت تحب الحياة لأنك عشت فى سبيل الحياة ، وتفانيت من أجل الحياة ، وجاهدت للاعلاء فى شأن الحياة ... والحياة من عمل الله وصنعه ؛ والحياة هى الإنسانية التى أحببت والتى جاهدت من أجلها وضحيت فى سبيلها ، لأنك أحببتها وأخلصت لها .

* * *

ما أرق هذا القلب المشبع بخوف الله ، المستنير بهدى الله ، العامل على خدمة الحياة التى خلقها الله !

ما أرق هذا القلب الذى شع نوراً ساطعاً ساحراً ، وومضت فيه ومضات من القوة السماوية الكامنة فيه !

ما أرق هذا القلب الذى ما نزع يوماً إلى النفاق والرياء ، وما جنح مرة واحدة إلى المكر والخديعة والدهاء ؛ بل كان عنوان الطيبة ورسولا من رسل الخير ، أدى الرسالة التى ناطه الله بها خير أداء وعلى أحسن وجه وأتم صورة .

* * *

كنت تحيى الليل تسطر بدائعك الزاخرة . وكنت تتعذب فى جسمك المتعب المرهق المحتاج إلى الراحة وإلى الغذاء .. كنت تقنع بالقليل من القوت تقيم به الأود ، لأن نفسك الملهمة كانت «حزينة حتى الموت» ولأنك كنت تريد أن تسكب على القرطاس حروفاً متسقة العقود من الكلم الكثير الذى نصب الله لسطوره أبهى المعانى وأبدعها .

* * *

« نفسك حزينة حتى الموت » ولـكن دمى جمد فى عروقى ، وقلبى تحول إلى حجر ساعة أراحك الموت من حزن نفسك ..

« نفسك حزينة حتى الموت » ولـكن صدرى تمزق ، وقلبى سالت دماؤه ساعة رأيت ضبابة الموت منتشرة على محياك ...

وإن فى فؤادى من نار الحزن ما يحرق جسدى .. لأن مرارة الحياة تمثلت لى بانفصالى عمن كان سبب وجودى و كيانى .

أميل خليل بيدس

(*) تأخر نشرها سهواً .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الفن والحياة بينى وبين الدكتور طه حسين :

كان للكلمتين اللتين كتبتهما عن « الفن والحياة » على صفحات « الرسالة » أثرها البعيد عند أديبين كبيرين هما الدكتور طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم ، فقد عقب عليهما الدكتور فى « الأهرام » بكلمة مستفيضة وكذلك فعل الأستاذ الحكيم فى « أخبار اليوم » .

أما الكلمة الأولى فقد حاول فيها الدكتور أن يرسم الطريق نخانه التوفيق ... ومعذرة إذا ما بدأت ردى بهذه العبارة لأنى لا أعرف فى النقد صداقة ولا مجاملة ! وأشهد أننى أعجبت كل الإعجاب بروح الدكتور حين بدأ تعقيبه على ما كتبت بهذه الكلمات : « وكذلك تشيع فى بيئات المثقفين ألفاظ ظاهرة الوضوح شديدة الغموض (يقصد لفظى الفن والحياة) ومع ذلك يخيل إليهم أنهم يفهمونها حق الفهم فإذا أرادوا تفسيرها لم يحققوا منها شيئاً » ... أعجبت بهذه الكلمات لأن صاحبها قد نسى ما بينى وبينه من صلات الود والصداقة فى سبيل إبداء رأى يعتقد أنه الحق ، وكذلك أفعل أنا حين أؤكد لقراء « الرسالة » أننى قد أصبت بخيبة أمل مريرة حين خرجت من مقال الدكتور بحقيقة ناصعة ، وهي أن كل ما كتبه حول « الفن والحياة » لم يكن سوى « لخبطة » من طراز ممتاز ! !

ولن أعيد اليوم ماقلته بالأمس حول « الفن والحياة » فقد قرأه الناس وعرفوا رأيى فيه ، كل ما يهمنى هو أن أنقل إليهم تلك الخطوط الرئيسية التى خرجت بها من مقال الدكتور طه حسين ، ليروا أينا كان أكثر فهماً لموضوعه وأينا كان أوفر احتشاداً لفنه !

لقد تساءل الدكتور فى ثنايا كلمته : هل يتاح للإنتاج الفنى أن يبلغ ذروته دون أن يكون هناك اتصال بالحياة العامة الصاخبة أم لا سبيل إلى تلك الذروة إلا إذا اضطرب الكاتب أو الشاعر أو صاحب الفن فى كل ما يضطرب الناس فيه من شئون حياتهم اليومية على اختلافها وتنوعها واختلاطها وتعقدها فى أكثر الأحيان ؟ إن صاحب الفن فى رأى الدكتور وكذلك الكاتب والشاعر ليسوا محتاجين إلى أن يعيشوا فى أعماق المجتمع لينتجوا فناً تنبض فيه الحياة ؛ « فالقراءة والاستماع من أخصب المصادر التى تتيح للأدباء وأصحاب الفن أن يتصلوا بالحياة ويسيغوها ، وتتيح لهم بعد ذلك أن يصوروها خيراً من الذين يبلون حلوها ومرها ويسعدون بنعيمها ويشقون بجحيمها » !

إلى هنا ونقف قليلا لنناقش هذه الكلمات التى تحفل بطلاوة الأسلوب وتفتقر إلى سلامة المنطق ... إذا أمكنك أن تصدق أن « القراءة والاستماع » من أخصب المصادر للاتصال بالحياة ، فلا بأس عليك إذا كنت من بلد آخر غير مصر أن تقرأ ما نقله إليك عنها بعض الكتاب المغرضين من أمثال وندل ويلكى ، لتستطيع بعد ذلك أن تصور الحياة المصرية خيراً من الذين بلوا حلوها ومرها وسعدوا بنعيمها وشقوا بجحيمها كما يقول الدكتور طه حسين ! ولا بأس عليك أيضاً إذا كنت من بلد آخر غير مصر أن تستمع لكاتب مثل جان كوكتو إذا ما حدثك عن البيئة الشعبية فى مصر لتستطيع بعد ذلك أن تصور هذه البيئة خير تصوير ، مع أن كوكتو مثلا لم يشهد من معالم الحياة المصرية غير فندق الكونتننتال ودار الأوبرا وأهرام الجيزة وجامعة فؤاد !

أريد أن أقول لك إن القراءة قد تنقل إليك الحقائق مشوهة وإن الاستماع قد يطلعك على الوقائع محرفة ، ومعنى هذا أن الأديب إذا اتصل بالحياة عن هذا الطريق فهو اتصال لا فائدة منه فى الأغلب الأعم ولا خير فيه ، لأنه اتصال مشوه المعالم ممسوخ السمات !

إن الدكتور يستشهد على صدق ما ذهب إليه بما كتبه جيته عن الشرق ، فهو « قد كتب مثلاً أشياء رائعة صادقة فيها كثير من الدقة والصدق وحسن الاستقصاء مع أنه لم يزر الشرق ولم يشهد حياة الناس فيه ، وإنما قرأ كتب الذين رحلوا إلى الشرق وقرأ ما ترجم من آثار الشرقيين فى عصره ففهم الشرق خيراً مما فهمه الذين رحلوا إليه والذين ترجموا آثاره » !

هذا كلام لا يقوى على التمحيص ولا يثبت على المراجعة ، لأن جيته الذى استمد كل معلوماته عن الشرق وحياة الشرقيين

من كتب الغير ، لا يمكن أن يكون أكثر صدقاً ولا استقصاء من هؤلاء الذين قرأ لهم ونقل عنهم ، ورأوا الشرق رأى الحس والعين لا رأى الفكر والخيال ! وإذا كان جيته قد صور الحياة فى الشرق تصويراً رائعاً عن طريق « القراءة والاستماع » . فما لا شك فيه أنه لو قدر له أن يزور الشرق وأن يطلع بنفسه على حياة أهله لكتب خيراً مما كتب ولأجاد التصوير خيراً مما أجاد ؛ لأن الواقع المحس شىء والواقع المنقول شىء آخر ... وإذن فلا مبرر إطلاقاً للقول بأن « القراءة والاستماع » من أخصب المصادر التى تتيح للأدباء أن يصوروا الحياة خيراً من الذين بلوا حلوها ومرها وسعدوا بنعيمها وشقوا بجحيمها ، إلى آخر هذه الكلمات التى تحفل بطلاوة الأسلوب وتفتقر إلى سلامة المنطق .

بعد هذا انتقل الدكتور طه إلى رأى آخر حيث يقول : « وليس الأديب المعاصر مضطراً إلى أن يخالط الناس مخالطة مادية ؛ لحياة الناس كلها تحمل إليه ، وليس اتصال الأديب بالحياة هو الميسر الآن وإنما اعتزال الأديب للناس هو الشىء الذى لا يكاد يجد إليه سبيلا » .

إننى أوافق الدكتور على أن الأديب المعاصر متصل حقاً بالحياة ، ولكن الدكتور ينسى أن هذا الاتصال يفترق عند أديب عنه عند أديب سواه ... هناك أديب يرقب مجرى الحياة من حجرة مغلقة ، وهناك اديب يرقب مجرى الحياة من زقاق ضيق ، وهناك أديب يرقب مجرى الحياة من شارع واسع ، وهناك أديب يرقب مجرى الحياة من ميدان عام ، وهناك أديب يرقب مجرى الحياة من كل حجرة وكل زقاق وكل شارع وكل ميدان ! ومعنى هذا أن هناك أدباً هو أدب الجدران المغلقة والآفاق المحدودة ، وأن هناك أدباً آخر هو أدب الهواء الطلق والآفاق الرحيبة ! .

ومالى أذهب بعيداً والدليل قائم بين يدى من أدب الدكتور نفسه ممثلا فى بعض أعماله الأدبية ؟ لقد عالج الدكتور فيما عالج من فنون الأدب فن القصة ، أعنى أنه حاول فيما حاول أن يكون فناناً يصور الحياة وينقل عن الحياة ... وها هو ميزان النقد يقرر فى ثقة واطمئنان أنه قد أحس الحياة يوماً كما يجب أن تحس ، وأنه قد عاش فيها بفكره وقلبه وشعوره ، وأن هذا الإحساس الصادق الكامل الأصيل المتميز قد انعكس فى صورته القوية الرائعة على صفحات « الأيام » ! فى هذه القصة الذاتية تلهب حسك الفنى حرارة الحياة ... الحياة التى نقلها حواس طه حسين لا حواس الناس وكتب الناس وأقوال الناس ! ! ترى هل يستطيع بعض الكتاب عن طريق « القراءة والاستماع » أن يصوروا حياة طلاب الأزهر فى أمسهم الغابر خيراً مما صورها هذا الأديب الذى بلى حلوها ومرها وأعنى به الدكتور طه حسين ؟

نترك « الأيام » لننتقل إلى « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » ، لننتقل من فن الحياة إلى فن المخيلة ، من فن الهواء الطلق إلى فن الجدران المغلقة ... إن الأديب الذى يحاول أن يرسم صورة للحياة والناس فى إقليم من اقاليم مصر وهو جالس فى حجرته من ذلك البيت القائم فى حى الزمالك ، أشبه بمن يحاول أن يرسم صورة للحياة والناس فى منطقة من مناطق القطب الشمالى وهو يعيش فى منطقة من مناطق خط الاستواء ... أقول هذا ولا أزيد !

ويختم الدكتور طه مقاله بهذه الكلمات : « ولكن أريد قبل كل شىء أن يطمئن الشباب الذين لايتاح لهم التنقل ولايتيسر لهم مخالطة الناس ومشاركتهم فى حياتهم بالفعل ، فإن هذا كله لم يتح لكثير من أفذاذ العبقريين ولا لكثير من أوساط الأدباء ، فلا ينبغى أن ييأس الشباب الأدباء وأصحاب الفن إذا لم يتح لهم من ذلك ما يريدون » !

لقد كنت أود أن يذكرلنا الدكتورطه اسم عبقرى واحد من هؤلاء الأفذاذ الذين لم يتح لهم التنقل ولم يتيسر لهم مخالطة الناس عبقرى واحد حتى لا أتهمه بأنه يلقى الكلام على عواهنه ... إننى أؤكد لقراء « الرسالة » أن طه حسين لو قدر له أن يعيش فى بيئته التى نشأ فيها دون أن يرحل إلى أقطار الغرب ليتنقل هنا وهناك ، وليتصل بالحياة فى أوسع آفاقها ممثلة فى مخالطة الناس من كل جنس ولون ، لو قدر له أن يقضى عمره فى تلك البيئة التى نشأ فيها لكان حتى اليوم أديباً محدود الأفق قاصر الأداة !

مرة أخرى أعود فأقول : من أعماق الحياة ينبع الصدق فى الفن ، ولن يتحقق الصدق فى الفن ما لم يستخدم الفنان كل حواسه فى تذوق الحياة . . يرقب ، ويتأمل ، ويهتك الحجب ، وينفذ إلى ما وراء المجهول . فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى فهو الفنان ، وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما فى القلب الإنسانى من نبض

وخفوق فهو الفنان الإنسان . وعلى مدار القوة والضعف فى دقة الحياة وخفقة القلب يفترق العمل الفنى عن مثيله فى كل فن من الفنون !

هذا هو الطريق ، فمن شاء أن يسلكه فليسلك ، ومن شاء أن ينحرف عنه فلينحرف ... ولكل اتجاه من هذين الاتجاهين ميزان يقام .

الفن والحياة بينى وبين الأستاذ توفيق الحكيم :

حلقت بك فى أفق الدكتور طه حسين ، وبقى أن أحلق بك فى أفق الأستاذ توفيق الحكيم ... ومرة أخرى أقدم إليك الخطوط الرئيسية فى كلة هذا الفنان الصديق ، تلك التى يبدأها بقوله : « ولقد رددت الألسن عبارات « الفن والحياة » و « الفن والشعور » ... وهو كلام فى جملته صحيح والخطأ فيه يسير » !

أما تلك العبارات التى أشار إليها الأستاذ توفيق الحكيم فقد وردت فى كلمى عن فنه ، حين تحدثت عن هذا الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة وحين وزنته بميزان القلب والشعور ... من حقه إذن أن يدافع عن نفسه فيما كتب على صفحات « أخبار اليوم » ، ومن حقه أن ينسب إلىّ بعض الخطأ فيما أخذته عليه ، وإن كان الأستاذ توفيق قد اتصل بى عقب أن كتبت عنه ما كتبت متفضلا بإبداء موافقته غير مشير إلى هذا الخطأ اليسير ! مهما يكن من شىء فقد كان فى كلام الدكتور طه شىء كثير من اللخبطة ، أما كلام الأستاذ الحكيم ففيه شىء يسير من المغالطة !

يقول الأستاذ توفيق : « القلب فى الفن هو الصدق ، لا الصدق بمعناه الضيق المقصور على الشعور العاطفى أو الوجدانى ، بل أيضاً الشعور بحقيقة فكرة من الأفكار ... على هذا النحو يجب كذلك أن نحدد معنى « الحياة » فى الفن . ما من شك أن الفن هو التعبير عن الحياة ، وليس من السهل تصور فن منفصل عن الحياة » .

إن الفن يا صديقى ليس هو التعبير عن الحياة ، وإنما هو صدق التعبير عن الحياة ، لأن التعبير عن الحياة حين يخلو من « الصدق » لا يعد فناً ! هذه واحدة ... أما الثانية فهى قولك بأن القلب فى الفن هو الصدق ... ترى أى قلب هذا الذى تقصد ؟ أهو القلب الذى ينبض بشعور صاحبه وحده دون سواه ؟ إن هناك كثيراً من أمثال هذا القلب ، القلب الذى يخفق بعاطفة لا تمثل عواطف كثير من الناس ، وبالشعور بحقيقة فكرة لا تتفق وأفكار كثير من الناس ... صدقنى إن قلباً من هذا الطراز لا يمكن أن يمثل الصدق فى الفن ، لأنه إذا حقق شيئاً من المشاركة الوجدانية بين الفن وصاحبه ، فإنه لا يحقق شيئاً من هذه المشاركة بين الفن ومتذوقه !

كلماتك يا صديقى تحتاج إلى كثير من الدقة وإلى كثير من التحديد ... القلب فى الفن هو الصدق ؟ نعم ، ولكنه القلب الذى تتفق دقاته ودقات قلوب الملايين ، هو القلب الذى يهتز بين جنبى صاحبه فيهتز له الجيل الذى يعيش فيه ومن بعده أجيال ، هو القلب الذى يقبس وهج حرارته من أفراح الناس وأحزان الناس ، هو القلب الذى يرى فيه كل صاحب شعور صورة من قلبه ، هو القلب الذى يستطيع كثير من الأحياء أن يفزعوا إليه فراراً من أنفسهم ! هنا يا صديقى يتحقق الصدق فى الفن ، لأن القلب الذى أعنيه بهذه الكلمات هو الذى يغترف من ماء الحياة !

هذا عن الصدق فى الفن ، أما قولك بأنه ليس من السهل تصور فن منفصل عن الحياة فتجد الرد عليه فى كلمتى عن الدكتور طه حسين .

بقى أن أناقش المغالطة الأخيرة عند ما تقول عن الحياة فى الفن : « لا بد أن تكون الحياة فى الفن ليس فقط كل ما يقع فى العالم الخارجى ويضطرب فيه الإنسان بحسه وقلبه وشعوره ، بل أيضاً كل ما يقع فى العالم الداخلى ويستخرجه الإنسان بفكره وذهنه وتأملاته ... إن الحياة تسكن فى كل جزء من أجزاء الإنسان الحى ، فى قلبه وفى غريزته وفى حسه وفى رأسه ... ولو جئت بإنسان ، شاعر أو مفكر ، وحبسته فى جب وأغلقت عليه بسبعة أختام وتركته الأعوام ، لأخرج بعد كل ذلك حياة ! »

ما هذا الكلام يا أستاذ توفيق ؟ إن أحداً ممن يفهمون رسالة الفن لا يمكن أن يوافقك عليه ! ... شاعر أو مفكر تحبسه فى جب ، ثم تغلق عليه بسبعة أختام وتتركه الأعوام ، ثم يخرج بعد كل ذلك حياة ؟ ! أية حياة تلك يا صديقى ؟ إنها حياة المغاور والكهوف ... ولا يمكن أن ترضى حياة المغاور والكهوف إلا عشاق الفن منذ خمسين ألف سنة ! معذرة يا صديقى فإننا نعيش فى القرن العشرين ، ومن مزايا القرن العشرين أنه يضيق بالحياة محبوسة بين جدران أربعة ، فما بالك لو قدمت إليه فناً تتنفس فيه الحياة داخل جب تغلق عليه بسبعة أختام ؟ ! ... كلا يا أستاذ توفيق ، إننا لا نريد أن نعيش فى الماضى الغابر ، ولكننا نريد أن نعيش فى الماضى المشهود !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

التوجيه السامي والأدباء :

حيا الله الفاروق العظيم ، فقد اقتضت رعايته لهذه الأمة أن يكون توجيهه الكريم السامي فارقاً بين أمر وأمر ، أو قل بين خير وشر . لقد راعه أن رأى روح الحزبية يطغى على الصالح القومي ، ويحول دون استفادة البلاد من كفايات بعض أبنائها ، لأن غباراً مما يثار بين الأحزاب يعلق بأشخاصهم ، بل قد يفضي الأمر إلى استهلاك هذه الكفايات في ضروب من الصراع الشخصي الزائل ، فلا يكاد يبقى من طاقاتهم شيء للعمل الصالح الخالد .

فكانت التفاتة الرعاية من الفاروق لخير هذه الأمة ، التنبيه على وجوب النظر إلى المسائل العامة نظراً قومياً ، وألا يحول شيء دون انتفاع الوطن بكفايات من أنجب .

وكان من أثر ذلك التوجيه الملكي السديد ، أن استجاب له معالي الأستاذ علي أيوب وزير المعارف بما صنع من التقدير والتكريم للأدب في أشخاص أربعة من كرام الأدباء ، هم الدكتور طه حسين بك والأستاذ علي محمود طه والأستاذ محمد سعيد العريان والدكتور زكي مبارك ؛ فأحسن التلقي من القائد الأعلى ، وأحسن عملا ؛ وقد كرم أيضاً بذلك المثل الأعلى لولاة الأمور في شخصه العظيم . وإذا كانوا يقولون : العلم لا وطن له ، فقد أضاف معاليه إلى هذا القول — بلسان العمل — أن الأدب لا حزب له . والعلم والأدب والفن إخوة لأب واحد هو الفكر الفائق .

وبعد فقد وضع معالي الوزير بذلك الصنيع عنوان الكتاب والمأمول بعد ذلك أن يقوم بتأليفه .. فإن هناك غير أولئك الأربعة أربعات من الأدباء ، ما أجدرهم بأن يتم بالالتفات إليهم وتقديرهم تأليف الكتاب ، وما أجدر معاليه أن يبحث عنهم بإبرة العالم ،

ولا يخفى عليه أن الأدباء أهل كبرياء وذوو حماقة ... وأن كبرياءهم وحماقتهم تمنعانهم من كثير مما يظفر به « العقلاء » فليقرب إليهم — متفضلا — ما أبعدته عنهم كبرياؤهم ، وليغض — جزاه الله صالحة — عن حماقاتهم .

في وزارتكم يا معالي الوزير ، ووزارة العلم والثقافة ، جم ذو عدد من الأدباء الذين يعرفهم الجمهور بإنتاجهم ، وقد حشدا كثرهم في الإدارة العامة للثقافة مع من حشد فيها من غيرهم ... للقيام على ما تختطه للتثقيف العام من الوسائل الأدبية والفنية . يعيش هؤلاء الأدباء في غمار الموظفين ، لا ينالون ما هم أهله — بحكم مواهبهم وآثارهم النافعة — من وسائل العيش الكريم ؛ ومما يتذرع به لتأخيرهم شيء اسمه « الأقدمية » يقدم عليهم من لم تقدمهم السنون في غير العلاوات والدرجات ...

ومن أولئك الأدباء من أفسدت الحماقة عليه أقدميته ، ومنهم من ألزمته حماقته العزلة اليائسة الساخرة ، وجعلت هذه الحماقة بعضهم ينتظر ركب الزمن المتواني . والحماقة ، بما فيها من الكبرياء ، فنون ...

والخطير في الأمر يا معالي الوزير ، أن ما تجره حماقة أولئك الأدباء عليهم يكاد يستنفد الطاقات ويستهلك الكفايات . فهلا أنقذت الأدباء من حماقاتهم وأغضيت عن كبريائهم وبحثت عنهم ... لتيسر من أمرهم ما يعسرونه على أنفسهم بحماقتهم ، وتقدمهم إلى ما هم خليقون أن ينهضوا به ، إتماماً للعمل بتوجيه الفاروق العظيم نحو خير هذا الوطن العزيز .

الصحافة والفن :

ألقى الدكتور محمد صلاح الدين بك محاضرة موضوعها « الصحافة والفن » يوم السبت الماضي في قاعة فاروق الأول بنادي نقابة الصحفيين ، فبين أهمية الفنون للمجتمع قائلا بأنها علاج روحي لأمراض الأمم النفسية ، ثم انتقل إلى موقف الصحافة من الفن ، فقال إن صحافتنا تقدمت تقدماً كبيراً في النواحي المختلفة ، ولكنها مقصرة في حق الفن ؛ حقاً إن أكثر الصحف يخصص كل منها صفحة أسبوعية للشئون الفنية وتصدر بعض المجلات خاصة بالفنون ، وحقاً أيضاً إن النقد في هذه المجلات وفي تلك الصفحات قد تجرد مما كان يسوده قديماً من التأثر بالعلاقات الشخصية ، إلا أن

الصحافة على العموم تنظر إلى الفن على أنه شيء كمالي، لا تهتم به كما تهتم بالشئون السياسية والاجتماعية، ولا تضع لها فيه خطة تسير عليها كما تفعل في تلك الشئون، وهي لا تعني بالبحوث الفنية من الناحية العملية التطبيقية، فتنظر مثلا هل عناية الحكومة بالفنون كافية أولا، وهنا ذكر المحاضر أنه تتبع خطب العرش من سنة ١٩٣٤ إلى الآن فلم يجد بإحداها كلمة واحدة عن الفن، وقال إن الصحافة هي التي تستطيع أن تحمل الحكومة والشعب على النظر إلى الفنون باعتبارها ضرورة من ضرورات الحياة، تجب العناية بها كما يعني بسائر الأمور.

وقد تحدث الدكتور صلاح الدين عن تقصير الصحافة والحكومة والشعب نحو الفنون، وبين خاصة موقف الصحافة من حيث أنها لا تختط لها خطة في خدمة الفن كما سبق، ولكنه لم يحدثنا عن أهل الفن وهل هم يؤدون رسالتهم الفنية أوهم أيضاً مقصرون، ولم يذكر لنا الخطة التي رسموها للغايات الفنية في هذا البلد، إن كانت لهم خطة.

ولست أدري أظلم الصحافة أم حاباها حين أخذ عليها أنها

كشكول الأسبوع

□ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأمر بإصدار مجموعة جديدة من المطبوعات على نفقته الخاصة تسمى « مطبوعات المكتبة الخاصة لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول » الغرض منها نشر الوثائق المجهولة المتعلقة بتاريخ مصر الحديث، وفي مقدمتها الوثائق المودعة مكتبة جلالته الخاصة بقصر القبة العامر ومكتبة الديوان الملكي بقصر عابدين.

□ في مساء الجمعة الماضي بدأ الدكتور طه حسين بك سلسلة أحاديث من الإذاعة المصرية موضوعها « الأدب المصري المعاصر » وكان الحديث الأول مقدمة لموضوع السلسلة الذي يتناول فيه الأدباء المعاصرين من أول هذا الجيل. وقد سجلت الإذاعة الأحاديث التالية لإذاعتها في غيبة الدكتور، لأنه سافر إلى فرنسا يوم السبت الماضي.

□ رأت وزارة المعارف في ضوء تجربة إحياء آثار المعري، أن تنشئ لجنة دائمة باسم « لجنة إحياء التراث القديم » وقد فوّع الدكتور طه حسين بك في الإشراف على هذه اللجنة للانتفاع بتوجيهه والاستفادة من صلاته بالمكتبات الغربية الكبيرة ومعرفته ما تحويه من المخطوطات العربية.

□ في سنة ١٩٤٣ أنشئ معهد مصري في لندن للتعاون العلمي وتوثيق الأواصر الثقافية بين البلدين. وأنشئ على غراره معهد ثقافي بواشنطن. وقد بدا لوزارة المعارف أن أولى البلاد الغربية بتحقيق هذه الفكرة فيها هي إسبانيا لما تحويه بلادها من الآثار العربية وللصلات الثقافية القديمة بينها وبين مصر، ولهذا فهي تعمل الآن على إنشاء معهد هناك يسمى باسم « فاروق الأول » ويرجى أن ينفذ في سبتمبر القادم.

□ انتهت الدورة الحالية لمجمع فؤاد الأول للغة العربية بجلسة يوم الاثنين الماضي وتستأنف الدورة القادمة في أكتوبر المقبل.

□ صدر أخيراً كتاب « مختار » للأستاذ بدر الدين أبو غازي، وهو دراسة وافية للمثال المصري الخالد، عرض فيه المؤلف حياة مختار عرضاً مستقصياً، وكتب عن فنه كتابة عاش فيها مع المثال في مصادر وحيه، ودل على مواطن الجمال في أعماله الفنية. وفي الكتاب ٤٤ صورة لأروع آثار مختار وصور أخرى.

□ اجتمعت اللجنة الاستشارية للفنون برياسة معالي وزير المعارف يوم الثلاثاء الماضي، وافتتح معاليه الاجتماع بكلمة قال فيها: إن الفنون يجب أن يقصد بها إلى تطهير الشعوب من المادية الغليظة الخشنة، وقال إننا نريد الوصل بين الفنون وبين الحياة المصرية الصميمة. ومما أثير في هذا الاجتماع مشروع إنشاء مدينة للفنون الجميلة في مصر.

□ عرفت إحدى المجلات الخطيب بأنه رجل يعمل على توزيع منتجات شركات (الاسبيرين) وعلى ذلك يمكن التنويه بما تؤديه رابطة الأدباء لهذه الشركات من خدمات لا يستهان بها.

□ اجتمعت لجنة إحياء ذكرى شوبان بوزارة الخارجية برياسة معالي محمد زكي باشا وزير الدولة، وقررت إقامة مهرجان شوبان في شهر نوفمبر المقبل ويشتمل المهرجان على عزف قطع موسيقية مصرية ثم عزف مقطوعات مختلفة من موسيقى شوبان. ويتولى أحد أعضاء اللجنة وضع مؤلف عن حياة شوبان باللغة العربية.

لم تتخذ لها منهجاً في خدمة الفن ... والذي أراه أن خطة صحفنا ومجلاتنا إزاء الفن وأهله واضحة كل الوضوح، وهذه الخطة ترتبط بالإعلان عن الأفلام والروايات بها ... وتقوم خطة صحافتنا الفنية على استغلال الرشاقة والجمال والفتنة والإغراء لدى الممثلات والراقصات وعلى ما يسود البيئات الفنية من الحرية في العلاقات وعدم التحرج من كثير مما يتحرج منه سائر الناس، فمن أخبار شخصية ماجنة إلى صور مغرية فاتنة، فهذه ممثلة تحافظ على رشاقتها بتمرين تنام فيها على قفاها وترفع رجليها إلى أعلى. وهذه راقصة تبادل ذاك الممثل قبلة عميقة يهتز لها كيان القارئ العزيز. وأيسر ما تشتمل عليه هذه الصحف هو النقد، وكثيراً ما يكون مرتبطاً بالاعتبارات التي قال المحاضر إنه تجرد منها.

ليلة الإسراء في سفارة الباكستان

دعا سعادة سفير الباكستان إلى الاحتفال بليلة الإسراء في دار قسم الصحافة والاستعلامات بالسفارة الباكستانية. وكانت ليلة تجلت فيها وحدة الشعور بهذه الذكرى الدينية المقدسة بين أمتين إسلاميتين، مصر

والباكستان ، وأثيرت فيهـا آمال العروبة والإسلام فى حياة كريمة قوية تليق بسالف المجد وتبعثها عظمة الروح الكامنة فى خير تراث على الأرض .

ابتـدأ الحفل مدير قسم الصحافة بالسفارة ، واختتمه سفير الباكستان ، فرحبا وشكرا ، وأشادا بجـلال الذكرى ونوها بروح الإسلام وحاجة العالم إلى رسالته إزاء المادية التفتشية . وألقى صاحب المعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا كلمة قيمة قال فيها إن لهذا الاحتفال مظهراً اجتماعياً وأدبياً إلى مظهره الدينى ، لما يشتمل عليه من تبادل الشعور وجمال التعبير ، وأشار إلى الاتجاه القويم الذى تسير عليه دولة الباكستان من حيث ربط مصائرها بمصائر البلاد العربية الإسلامية .

وقال الأستاذ محمد مصطفى حمام فى كلمته الظريفة إننا فى هذه المناسبات : ليلة الإسراء ، والمولد النبوى ، والهجرة الشريفة ، وما إليها ، نحتاج إلى تجديد إيماننا بل إلى اعتناق الإسلام من جديد

وأنشـد الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى قصيدة تحدث فيها عن قصة الإسراء والمعراج حديث الشـاعر المفتن الممتع ، وقد ختمها بقوله :

إن من شاقه السمو لواد الـ ـغيب فليحى ليـلة الإسراء
يذهب الدهر ليلة بعد أخرى وهى فيـه حنينه للبقـــاء

وقد أثار الدكتور منصور فهمى باشا مسألة فلسطين ، من حيث مناسبة المسجد الأقصى فى الإسراء ، فعبر عن الألم لما يحيط به من القلاقل والمخاوف ؛ وقد بدأ الدكتور كلامه بأنه لا يحسن الـكلام على ليلة الإسراء لأنه ليس من رجال الدين ، واستند إلى ذلك عند ما أخطأ فى إيراد آية من القرآن الـكريم . ولا أرى هذا العذر خيراً من الذنب ، فقد كان الدكتورعميداً لـكلية الآداب وأستاذ الفلسفة الإسلامية بها وهو عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ومن كان فى مكانه لا تبعد عنه مناهل العلم الإسلامى وأنا لا أحب هذه الـكلمة التى جاءت إلينا من الخـارج وهى « رجال الدين » فـكل مسلم رجل دين .

وقد قفى الدكتور حسن إبراهيم حسن على أثر الدكتور منصور فهمى باشا فتواضع تواضعه ... وقال قولته تلك ، كما قال إنه إنما يعرض للأمر من ناحيته التاريخية البحتة . والدكتورحسن إبراهيم كان أيضاً عميداً لـكلية الآداب ولا يزال أستاذاً للتاريخ الإسلامى بها . وقد سلك فى حديثه عن الإسراء مسلك الرواية ، أعنى أنه روى عن فلان ، كأنه كان يقرأ فى كتاب من كتب السيرة النبوية فلم يقص القصة متماسكة ولم يقل شيئاً من عنده ولا من أسلوبه .

وتطوعت السيدة ملك فى ختام الحفلة لغناء قصيدة « وحقك أنت المنى والطلب » فأبدعت فيما لم تخرج فيه عن التلحين المرسوم فى غناء أم كلثوم ... وقد بدت خفيفة مرحة ، تضحك وتبادل الدعابة ، مما حفز الدكتور زكى مبارك على إدناء مجلسه من المنصة وهو مبرنشق يبدى رغبته فى اختطافها لولا أنهـا فى حمى معالى الوزير ...

عباس خضر



حول مدفن الاسكندر :

أورد الأستاذ عزيز خانكي فى العدد (٨٢٤) من مجلة الرسالة الزهراء تعليقاً على مقالى (إيوان كسرى) فقال : إن الاسكندر توفى فى مدينة بابل وتابوته لا يعرف له مقر حتى الآن ، وأمه عند وفاته كانت تقيم فى بيللا مسقط رأس عائلة الاسكندر .

أما مدينة بابل فقد سبق خرابها قبل ظهور الاسكندر إلى عالم الوجود . وفى ذلك يقول البستانى فى دائرته بمادة بابل م ٥ ص ١٦ : « ولما استولى عليها الاسكندر كانت خربة بالنسبة إلى حالها الأولى فعزم على إعادة بنائها وجعلها عاصمة لمملكته فى آسيا غير أن المنية أدركته قبل إنفاذ مقصده » وليس فى هذا الخبر ما يدل على أن الاسكندر مات فى بابل كما أنها ليست فى ذلك الوقت بالمدينة العامرة الآهلة بالسكان .

والمسعودى لم يتحقق تماماً من المكان الذى مات فيه الاسكندر فذكر فى ذلك أقوالاً ثلاثة لم يرد فيها اسم بابل . قال فى ج ١ ص ١٨٠ : « وسار الاسكندر راجعاً من سفره يؤم المغرب . فلما سار إلى مدينة شهرزور اشتدت علته . وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد إلى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس . فلما مات طافت به الحكماء ... الخ »

وما ادعاه الأستاذ خانكى من أن (تابوته لم يعرف له مقر حتى الآن . وأمه عند وفاته كان تقيم فى بيللا مسقط رأس عائلة الاسكندر) لا ندرى من أين استقاه . والمسعودى يصرح فى ج ٢ ص ١٨٢ من المروج أن الاسكندر « عهد إلى ولى عهده بطليموس بن أذينة أن يحمل تابوته إلى والدته بالاسكندرية » . وقال بعد ذلك : « وأمرت به فجعل فى تابوت من المرمر وطلى بالأطلية الماسكة لأجزائه وأخرجته من الذهب لعلمها أن من يطرأ بعدها من الملوك والأمم لا يتركونه فى ذلك الذهب ، وجعل التابوت المرمر على أحجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد رصمت ، وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ هـ » . هذا ما نص عليه المسعودى وهو من المصادر المتبرة التى يعتمد عليها فى مقام النقل .

وجاء فى تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ١٢٨ ما يلى : وذكر بعض أهل العلم : أنها — أى المدائن — لم تزل مستقره — أى الاسكندر — بعد أن دخلها حتى مات بها ، وحمل منها فدفن بالاسكندرية لمكان والدته فإنها كانت باقية هناك .

وأورد ابن خلكان هذا الخبر ونسبه إلى الخطيب فقال : وحكى الخطيب فى تاريخ بغداد أن الاسكندر جعل المدائن دار إقامته ولم يزل بها إلى أن توفى هناك ... إلى آخر ما وجدته فى كتاب الكنى والألقاب للقمى ج ٣ ص ١٣٢ إذ ذكر القمى هذا الخبر عن ابن خلكان .

ولا يخفى ما لابن خلكان والخطيب من شهرة واسعة فى عالم التاريخ وما لديهما من خبرة ودراية بشؤن الأمم القديمة وأحوال ملوكها وأيامها وغير ذلك .

كاظم المظفر

حول كتابى (خمر وجمر) :

سألنى سائل بالبريد : ما السبب الذى دعا الصفوة من الكتاب إلى الإحجام عن الكتابة والتعريف بكتابك (خمر وجمر) مع العلم بأن كتاباً مثل هذا الكتاب — الفريد فى الباب واللباب (كذا) — يجب أن يكتب فيه ويجب أن ينشر ويذاع فى الناس ؟ ومع العلم أيضاً بأن أضال كتاب — بل أتفل كتاب ! — يصدر فتقرع من حوله الطبول ويحرق من أجله البخور ؟!.. الخ

وأنا بدورى أشكر للسائل الفاضل سؤاله ، وأرجو أن يتفضل فيعلم يقيناً بل ويعتقد — كما يعتقد بوحدانية الله — أن صاحب الكتاب فى أغنى الغنى عن الكتّاب والتعاريف ... ولو أراد أن يكتب فيه وله — وليس عليه — مائة من المأجورين لكان ما أراد ... وأنا حقيقة — وكما تقول — قد بعثت بعشرات النسخ إلى الأصدقاء من الأدباء والشعراء والكتاب ، ولكن ما كان ذلك إلا من باب رد الجميل بالجميل أو من باب الإهداء لا غير .

والكتاب الذى لا يأخذ القراء سبيلهم إليه ليقرؤوه — وليس يأخذ هو سبيله إلى القراء ليقرأ — يعد — عندى على الأقل — من فقع القاع أو من سقط المتاع .

ثم أعود لأعلن على صفحات الرسالة — منبر الحق — أن أية كلة يكتبها الكاتب فى تقريظ كتابى سأعتبره وأستميح القراء كذلك أن يعتبروه مأجوراً من المأجورين ؛ ولو كان الكاتب ممن لا يرقى إليهم الشك فى قليل أو كثير .

على أنى أستثنى من هؤلاء الأديب الشاعر الأستاذ محمد الأسمر الذى تفضل — بادىء ذى بدء — فكتب فى الزمان المسائية — كلمتين مشكورتين حول الكتاب ، وقد كان فى نيته — كما يقول فى رسالة منه إلى — أن يكتب كلة أخرى تعقبها كلمات ... الأمر الذى اضطرنى إلى أن أبعث إليه برسالة شاكرة فيها الرجاء الذى ألجم القلم ... وكان من المشكورين !

وبعد : فالشكر أزجيه بديا للناقدين ثم للسائل الفاضل ، والسلام .

(الزيتون) عرنان

انسجام :

خطأ أحد الباحثين استعمال الانسجام بمعنى الوفاق ؛ لأنه فى اللغة سيلان الماء وانصبابه وأقول : إن استعمال الانسجام بمعنى الوفاق والوئام والائتلاف والانتظام ، والتناسب والتجانس والامتزاج وما أشبه ذلك صحيح بل فصيح لأنه استعمل فى غير هذا المعنى على سبيل التجوز والتشبيه وإليك النصوص التى تؤيد هذا وتبين تطور الكلمة :

فقد جاء فى محيط المحيط للبستانى :

الانسجام : مصدر انسجم ، وعند البديعيين أن يكون الكلام لخلوه من التعقيد متحدراً كتحدر الماء المنسجم ولسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه وعدم تكلفه يكاد يسهل رقة ويكون له فى القلوب موقع وفى النفوس تأثير اه

وجاء فى نفحات الأزهار فى فن البديع ص ٢٩٥ :

الانسجام : هو أن يأتى الشاعر أو الناثر بالبيت أو الفقرة من النثر خالية من المقادة وتكلف السبك ، كانسجام الماء فى انحداره يكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة وعذوبة مع لطافة معناه ورشاقته وخلوه من الأنواع البديعية إلا أن يأتى ضمن السهولة من غير قصد وإن كان الانسجام فى النثر يكون غالب فقراته موزونة ومن غير قصد لقوة انسجامه الخ .

وجاء فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى فى البديع ص ٢٣٦

المراد من الانسجام أن يأتى الكلام لخلوه من المقادة كانسجام الماء فى انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة ... الخ وجاء فى زهر الربيع للحملاوى :

الانسجام ويقال له السهولة أيضاً هو أن يكون النثر أو النظم خالياً من التعقيد وتكلف السبك بحيث يكاد يكون كالماء فى انسجامه وسهولة انحداره عذب الألفاظ متين السياق مع لطافة المعنى ورشاقته وخلوه من أنواع البديع إلا أن أتت بغير قصد وبدون تكلف الخ .

على حسن هلالى

بالمجمع اللغوى

مدرج مصطفى عبد الرازق :

أرسل الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى خطاباً إلى عميد كلية الآداب جاء فيه بعد التحية : أذكر أن هيئة التدريس بقسم الفلسفة اجتمعت عقب وفاة المغفور له الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا واتخذت بعض قرارات لتخليد ذكراه .

منها أن يطلق اسم مصطفى عبد الرازق على أحد مدرجات الكلية إحياء لذكرى العاملين وتخليداً لفضل أستاذنا وقد كان من أعلام المفكرين .

وقد رأيت من واجبى نحو أستاذى الذى أخذت عنه وطلبت العلم عليه أن أتقدم بهذا الاقتراح إليكم راجياً عرضه على مجلس الكلية .

وأحسب أنه سوف يلقى من قلبكم الاستحسان والترحيب ومن ألسنتكم الموافقة والتقدير .

الضبع عند ابن جنى :

تعليقاً على مادار حول « الضبع » فى مجلة « الرسالة » أورد ما يأتى : يقول العلامة الأمير شكيب أرسلان فى (المناظرة اللغوية الأدبية) المطبوعة بالقاهرة ص ٩٤ : هذه مسائل قيل فيها الشىء وعكسه كثيراً ، وما أوسع أبواب العربية لمن عرفها .

وقال الإمام ابن جنى فى (كتاب المذكر والمؤنث) : الضبع مؤنثة ...

عبد الله معروف



نظرات في كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٣ —

١٦ — ص ٣١ يقول ابن قتيبة : « وقد فضح الله بالشراب أقواماً من الأشراف لحدوا ، ودونت في الكتب أخبارهم ولحقت بتلك السـبة أعقابهم ، منهم الوليد بن عقبة ، شهد عليه أهل الكوفة بشرب الخمر ، وأنه صلى بهم الغداة وهو سكران وقال : أزيدكم يشهد الله بذلك ، وبمنادمه أبي زبيد الشاعر — وكان نصرانياً — فحده هناك عمرو بن العاص سراً ، فلما قدم على عمر رضي الله عنه جلده حداً آخر » .

وهذا نص مضطرب أشد الاضطراب ؛ يشوه وجه الحق والتاريخ معاً . فإن الوليد بن عقبة لم يكن والياً للكوفة في عهد عمر، وإنما وليها في عهد عثمان بن عفان؛ ولم يذهب عمرو بن العاص إلى الكوفة ليحده هناك ، ولم يحد الوليد في الكوفة وإنما حد في المدينة ، ولم يشترك عمرو بن العاص في حده بسبب من الأسباب . والذي حده عمرو في مصر سراً وأعاد عليه عمر ابن الخطاب ، كما ذكر المؤرخون ، وكما ذكر ابن قتيبة نفسه في هذا الموضع من كتاب الأشربة . وقد ضلت تلك الحقائق التاريخية عن ذهن كرد علي . ولو وجد ريحها لأحس أن في الكلام سقطاً لا يستقيم معناه إلا بذكره . وهو كما جاء في العقد نقلا عن ابن قتيبة . « ... وأنه صلى بهم الغداة وهو سكران ثم التفت إليهم فقال : إن شئت زدتكم . فجلده علي بن أبي طالب بين يدي عثمان وكان نديمه أبو زبيد الطائي ، وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ... ليزيدهم خيراً ولا يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا ... لجمعت بين الشفع والوتر
كبحوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري

ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده هناك عمرو بن الخطاب سراً . فلما قدم على عمر رضي الله عنه جلده حداً آخر » .

١٧ — وفي صفحة ٣٢ ذكر ابن قتيبة أبيات الأخطل في نديمه العباس بن عبد الله بن العباس التي أولها :

ولقد غدوت على التجار بِمُسْمِيح ... هرّت عـواذله هرير الأكلب

فضل الكياس إذا تمشي لم يكن ... عند الشراب بفاحش متقطب

مر الأستاذ على البيتين الأخيرين ولم يعقب ؛ لأنه لم يدرك معناهما ، ولو أدركه لأصلح ما فيهما من خطأ . وصواب البيت الأول منهما : « خُضِلُ الكياس إذا تشتى » والخضل : الندى والكياس جمع كأس . وتشتى : أي دخل في الشتاء .

وصواب البيت الثاني «وإذا تُعُوِّرت الزجاجة » من التعاور وهو التداول .

١٨ — ص ٣٢ ذكر ابن قتيبة أن من المفضوحين بشرب الخمر « عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي القاضي بالكوفة ، فضح بمنادمة سعد بن هبار فقال حارثة بن بدر :

نهاره في قضـايا غير عادلة ... وليله في هوى سعد بن هبار
ما يسمع الناس أصواتاً لهم عرضت ... إلا دويا دويّ النحـل في النار
فأصبح القوم أطلاقاً أضربهم ... حث المطي وما كانوا بسفار
يدين أصحـابه فيما يدينهم ... كأساً بكأس وتكراراً بتكرار

ولست أدري كيف فهم كرد علي معنى أن القوم أصبحوا « أطلاقاً » وهي لا معنى لها لأنها محرفة وصوابها « فأصبح القوم أطلاحاً » جاء في لسان العرب : « الطلح والطلاحة : الأعياء ، وجمع طلح : أطلاح وطلاح » .

١٩ — ص ٣٤ يتابع ابن قتيبة حديثه عمن فضح بالشراب فيقول : « ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير ، وفيه يقول القائل :

إذا أنت نادمت المتير وذا الندى ... حبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا
أمنت بإذن الله أن تقرع العصا ... وأن يوقظوا من رقدة السكر راقدا

وصرت بحمد الله في خير فتية حسان الوجوه لا تخاف المرابدا

والعجب عندي من قوله : وأن يوقظوا من نومة السكر راقداً وأكثر ما يوقظ السكران للصلاة ، أفتراهم حدهم على تركه إيقاظه للصلاة إذا سكر » .

والصواب « وذا الندى جبيراً » والرواية الصحيحة التي رواها ابن قتيبة كما ذكرها في الجملة السابقة هي : « وأن يوقظوا من نومة السكر راقدا » . ولكن الأستاذ لم يفطن لذلك التخالف البين بين رواية البيت والرواية التي يتحدث عنها ابن قتيبة . وصواب الجملة الأخيرة : « ... أفتراه حدهم ... » على أن في هذا النص خطأ تاريخيا كبيراً لم يلحظه الأستاذ ، وهو من أوهام الناسخين الماسخين وليس من أوهام المؤلف ، فإن ابن قتيبة لم يقل « ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير » وإنما قال : « ومنهم خالد ابن أيوب الأنصاوي » وقد أشار إلى ذلك في كتاب المعارف ص ١٠٥ ، ١٠٦ في تضاعيف حديثه عن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : « ولسهيل عقب بالمدينة . منهم عتير بن سهيل وكان صاحب شراب وفيه يقول الشاعر :

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالداً

وجبير هو ابن أيمن ابن أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخالد هو ابن أبي أيوب الأنصاري » .

ولم يسم ابن قتيبة قائل هذا الشعر لا في كتاب المعارف ولا في كتاب الأشربة ، وهو السريّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم ابن ساعدة الأنصاري . قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ٢٥/١٨ « والسري شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمكثر ولا فحل ، إلا أنه كان أحد الغزلين ، والفتيان النادمين على الشراب ، كان هو وعتير بن سهيل ابن عبد الرحمن بن عوف ، وجبير ابن أيمن ، وخالد بن أبي أيوب الأنصاري يتنادمون ، وفيهم يقول :

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا

وذكر بقية الأبيات ثم أعاد روايتها مرتين في ص ٦٧ ، ٦٦ وروى في هذه الصفحة أنهم قالوا له : « قبحك الله ما ذا أردت إلى التنبيه علينا ، والإذاعة لسرنا ؟ إنك لحقيق أن لا نتادمك ، قال والله ما أردت بكم سوءاً ، ولكنه شعر طفح فقذفته عن صدري ... »

٢٠ — ص ٣٤ يقول ابن قتيبة « وهذا أبو محجن الثقفي شهد يوم القادسية وأبلى بلاء حسناً ، شهر وكان فيمن شهد ذلك اليوم عمرو بن معدي كرب فقال عليه ، وهو القائل :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها »

وهذا نص مضطرب جداً لا معنى له وقد مر عليه الأستاذ مرور الكرام كما يقال وكأنه قد فهمه ، ما معنى « فقال عليه » وما معنى إقحام « عمرو بن معدي كرب » هنا ؟ لست أدري ولعل الأستاذ يتفضل علينا وعلى القراء ببيان معناه .

٢١ — ص ٣٥ « قال العتبي شعراً ذكر فيه كثيراً من مقابح السكر :

دع النبيذ تسكن عدلا وإن كثرت فيك العيوب وقل ما شئت يحتمل

هو المشيد بأسرار الرجال فما يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا

كم زلة من كريم ظل يسبرها من دونها ستر الأبواب والكلل

أضحت كنار على علياء موقدة ما يستسر لها سهل ولا جبل

والصواب « ... ظل يسترها » ثم يقول العتبي :

والعقل علق مصون لو يباع لقد ألفيت يبتاعه ما سألوا

والصواب « يعطون ما سئلوا »

فاعجب لقوم مناهم في عقولهم أن يذهبوها بمل بعده نهل

قد عقدت لخمار السكر ألسنهم عن الصواب ولم يصبح بها علل

وازورت بسنات النوم أعينهم كأن أحداقها حول وما حولوا

والصواب « قد عقدت بخمار ... وازاورّت بسنات النوم أعينهم » أي مالت .

٢٢ — ص ٢٦ ، ٢٧ « وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي ابن أرطاة حين تتابعت الأخبار عليه ، وتتابع الناس في الأشربة المسكرة على التأويل : أما بعد فإنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رغبة الناس حتى بلغت بهم الدم الحرام ، والمال

الحرام والفرج الحرام ، وهو يقول : شربنا شراباً لا بأس به . وإن شراباً حمل الناس على هذا البأس شديد وإثم عظيم ، وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشربة كثيرة ، ليس فى الأنفس منها حاجة : الماء العذب ، واللبن والعسل والسويق ، وأشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب فى أسقية الأدم التى لا زفت فيها ، فإنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الضروف المزفتة وعن الدنان والجرار » .

والصواب « أمر ساءت فيه رِعْيَتُهم ... »

جاء فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٠١ « كان فى الناس من هذا الشراب أمر ساءت فيه رِعْيَتُهم ، وغشوا فيه أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، بلغت بهم الدم الحرام ... » وهذه الجملة أدق من الجملة التى نقلها ابن قتيبة .

والصواب أيضاً « ... من أشربة كثيرة ليس فى الأنفس منها جائحة » .

والصواب أيضاً « .. فإنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الجرّ والدُّبَّاء والظروف المزفتة » وليس لكلمة « الضروف » أى معنى فى لغة العرب .

٢٣ ... ٣٧ ، ٣٨ « وقد شهر المتعاشرون على الشراب بسوء العهد ، وقلة الحفاظ وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر ، وما عوفيت حتى تنكب ، وما غلت دنانك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ، قال الشاعر :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهم مادارت الكأس بينهم ... وكلهم رث الوصال سؤوم
فهذا ثباتى لم أقل بجهالة ... ولكننى بالفاسقين عليم

والصواب « فهذا ثنائى » كما فى العقد الفريد ٤ / ٣٢١ وليس للثبات هنا أى معنى يستقيم به نظم الكلام ، ويقوم عليه بناء معناه .

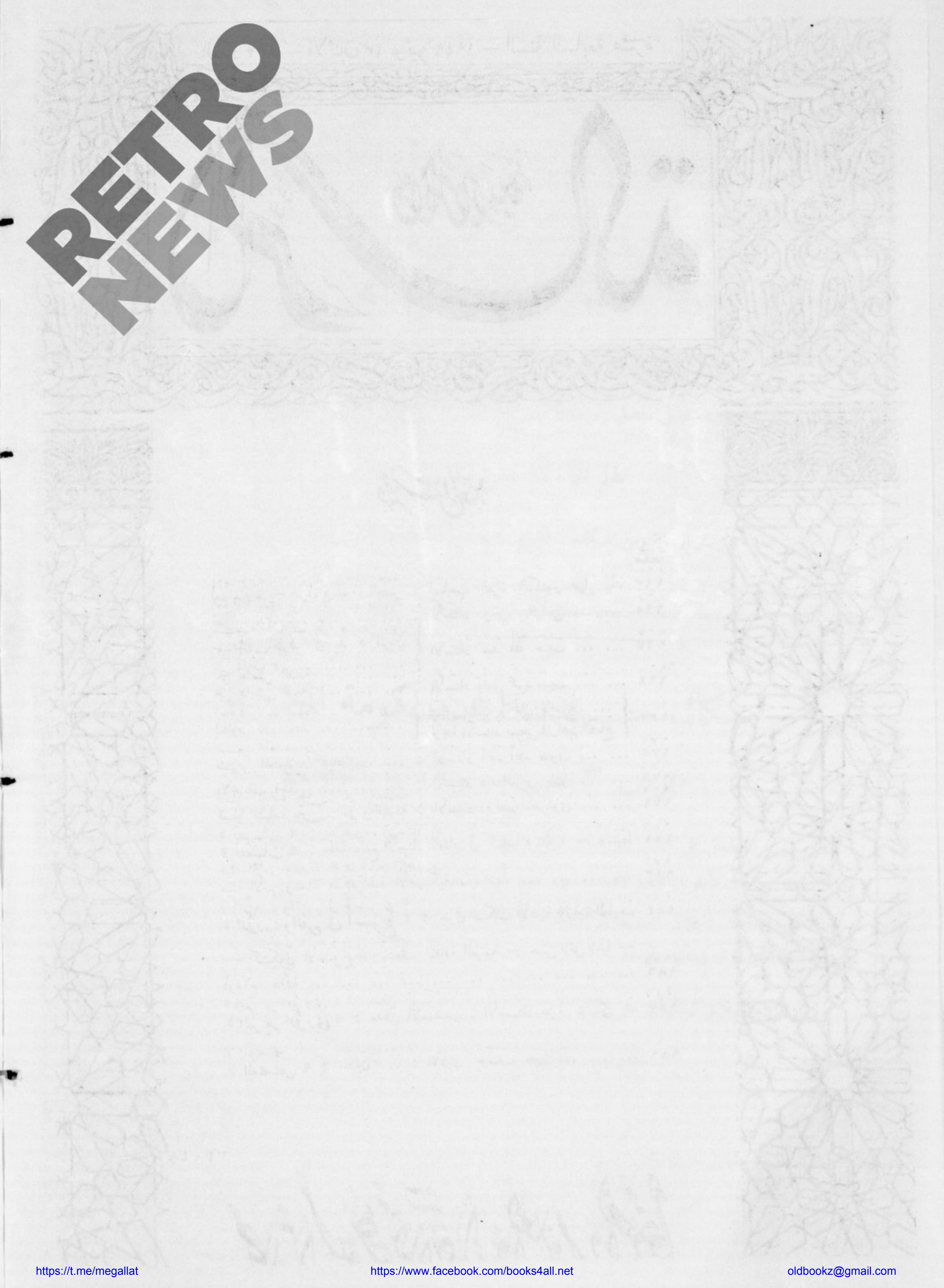
(يتبع)

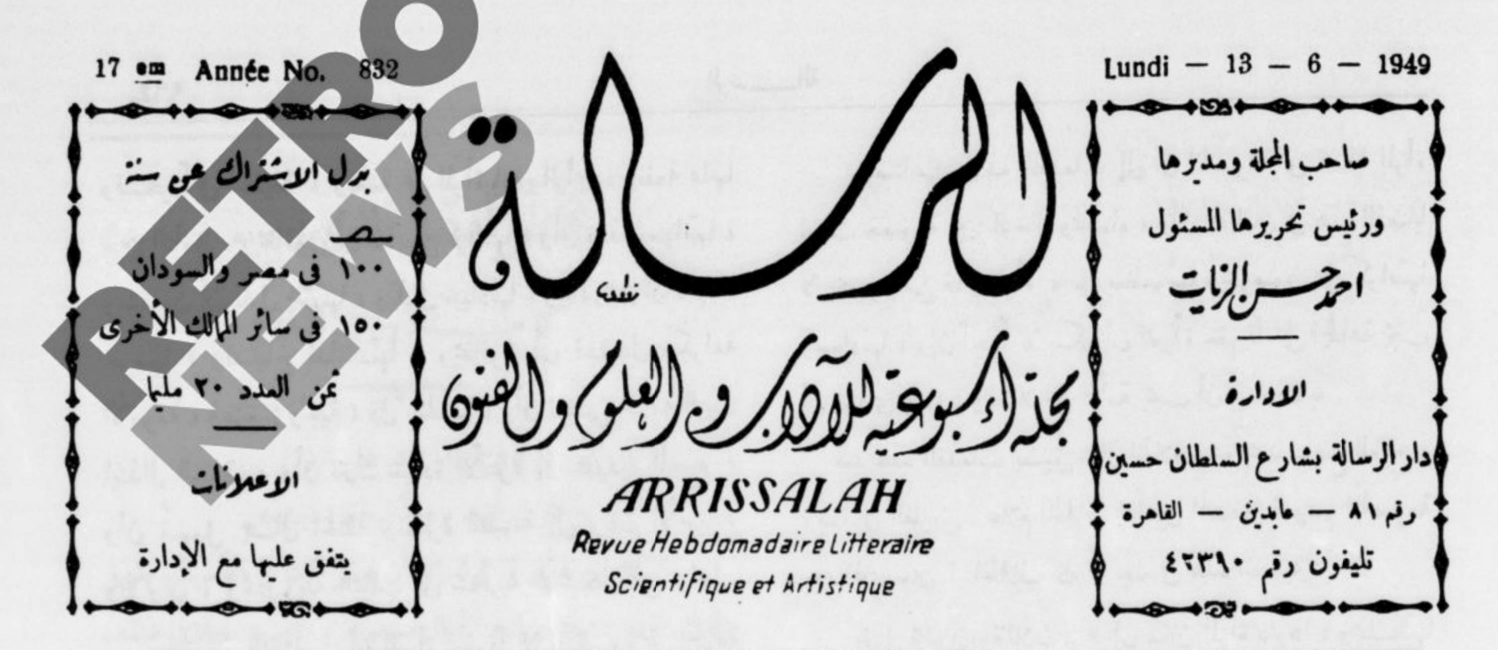
السيد أحمد صقر
المدرس بالهيئة فرنسية بمصر الجديدة




العدد ٨٣٢ — الاثنين ١٣ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة
الرسالة
والرواية

فهرس العدد


RETRO
NEWS


17 em Année No. 832

Lundi — 13 — 6 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٨ — ١٣ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٧ ـ أمم حـــائرة

المرأة فى هذا العصر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قلت فى خاتمة مقالى عن الأسرة وما أخشاه عليها : « والمرأة وقاية من هذا الشر ، وطب لهذا الداء ، وشفاء لهذه العلة » .

وفى هذا المقال نظرات إلى المرأة فى هذا العصر . وأقدم قبل حديث المرأة فى عصرنا هذا ثلاث مقدمات :

الأولى أنه لا يمكن أن تقع خصومة بين الرجال والنساء ، فيكون الرجال فريقاً والنساء فريقاً ، ويتحزب هؤلاء بعضهم لبعض ، ويتحزب أولئك بعضهن لبعض ، وينحاز الذُّكران كلهم إلى جانب ، والأناث كلهن إلى جانب؛ إلا أن تكون الخصومة ضرباً من المزاح وأسلوباً من الفكاهة .

ذلك بأن الرجل أبو المرأة وابنها وأخوها ، وأن المرأة أم الرجل وبنته وأخته . وهيهات أن تثور عصبية بين هذه الأواصر ، أو يقطع تحزبٌ هذه الوشائج ، أو يفرّق خلاف ما جمعه الله ، أو يفصل نزاع ما وصله الخالق .

فالخصومة فى كل أمور المرأة واقعة بين رجال ورجال ، ونساء ونساء ، يقال الرأى فينصره نساء ورجال ، ويخذله نساء ورجال ، وتُدّعى الدعوة فيستجيب لها رجال ونساء ، ويردّها كذلك رجال ونساء .

فالرجال قبل النســاء طلبوا بعض ما يُطلب للمرأة فى هذا الزمان ، والنســاء قبل الرجال عارضوا بعض ما يُطلب للمرأة فى هذا العصر .

وأحسب الرجال المنتصرين لمطالب المرأة أكثر من النساء المنتصرات لهــا ، كما أحسب النساء النافرات من مطالب المرأة أكثر من الرجال النافرين منها .

ولو تعرفنا آراء النساء وحدهن فى كل ما يختلف فيه الرأى من شئون المرأة فى عصرنا هــذا لكانت الكثرة الكاثرة ، والغَلَبة الغالبة ، مخالفة لما ينادَى به من حقوق المرأة أو مطالبها ودعاويها .

ومن كان فى ريبة من هــذا فليجرّبه ، ومَن أكبرَ هذه الدعوى فليستَـفتِ النساء فيها ... هذه المقدمة الأولى .

والمقدمة الثانية ، وهى لا جرم ، متصلة بالأولى :

إن المخالفين فيما يُدّعى للمرأة فى زماننا ، ويُطلب باسمها فى أيامنا ، لا يخالفون استخفافاً بشأن المرأة ، وازدراء لها ، واحتقاراً لمكانتها ، وإنكاراً لفضلها ، وغفلة عن أياديها . بل المخالفون من أولى العلم والفكر والرأى يخالفون فى بعض هذه المطالب إعظاماً لشأن المرأة ، وإجلالا لها ، وإكباراً لمكانتها ، واعترافاً بفضلها ، ومعرفة بأياديها . يرون فى هذه الدعاوى تعظيما ظاهراً ، وتحقيراً باطناً ، ورحمة فى القول ، وقسوة فى الفعل ، وتحريراً فى الوهم ،

وتسخيراً فى الحقيقة ، ونممة على المرأة بادى الرأى ، ونقمة عليها حين التأمل . ويخافون أن تُمتهن كرامتها ، وأن تُبتذل صيانتها ، ويشفقون أن تذِل عزتها ، وتذال سيادتها ، ويحذرون أن تنتهك حرمتها ، وتستباح قداستها . ويخافون أن تستبدل بكرامة الأمومة ، وعزة الزوجية ، ذلَّ الخدمة ، وأن تُعطَى بحرمة البيت ابتذال السوق ، وأن تترك سيادة الأسرة إلى عبودية المصنع ، وأن تُهمل جمال الخلقة ونضرة الطبيعة إلى زيف الأصباغ والألوان ، وتدع زينة الثياب إلى سخرية الأشكال التى نراها .

والمقدمة الثالثة : أن للمرأة حقوقاً لا تنكر ، وعلى الجماعة المرأة واجبات لا يرقى إليها خلاف . ونحن — المسلمين — سبقنا إلى تكريم المرأة ، والإشادة بحقها وفضلها ، وحسبنا من آيات كثيرة هذه الآية الجامعة « ولهنَّ مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » . وحسبنا من أحاديث كثيرة هذا الحديث « سووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء » .

وقد اعترفنا — قبل غيرنا — بحق المرأة فى الميراث والملك ، والتصرف فيما تملك بكل الوجوه ، وتوليها كل أنواع العقود — أمور لم تنلها المرأة الأوربية فى بعض الدول حتى يومنا هذا — ودعونا المرأة إلى التعلم وفرضناه على النساء والرجال سواء ، وزخر تاريخنا بالمحدِّثات والفقيهات والأديبات والشاعرات .

بل بلغنا فى تدليل المرأة أن قال فقهاؤنا : إن المرأة لا تُلزم بخدمة دارها إن كان الرجل قادراً على أجرة خادم ، بل لا يجب عليها إرضاع ولدها إن كان فى مكنة الزوج أن يأتى لولده بمرضع . هذا موضوع يتسع فيه مجال القول ، ولكنه ليس من قصدنا فى هذا المقال .

ولا ننكر أن هذه الشريعة العادلة ، وهذه السنة الكريمة ، غطى عليها الجهل فى أوطان وأزمان ، كما غطى على حقوق كثيرة للجماعات ، وأن المرأة ظُلمت وما تزال مظلومة فى بعض البلدان أو بعض الطوائف ، وأن علينا أن نأخذ بيدها وندفع عنها ونرد إليها كرامتها ومكانتها ، ونعترف بسلطانها فى الأسرة ، ويدها على الأمة .

***

خلصنا من هذه المقدمات إلى أن الخصومة فى قضايا المرأة ليست خصومة بين الرجال والنساء ، وأن المخالفين فى هذه القضايا لا يغضون من قدر المرأة ، بل يعظمونها ويحرصون على كرامتها وسعادتها ، وإن أحداً لا ينكر أن المرأة حقوقاً على الجماعة يجب أن تؤدَّى إليها ، وفضلا على الأمة يجب أن يُعترف به .

بعد هذه المقدمات يضيق مجال الخلاف ، ويُحد موضع النزاع ، ويستبين الطريق . علام الخلاف إذاً بين المختلفين ؟ وفيم الخصومة بين المختصمين ؟ الخلاف كله أو جله فى هذه القضية :

يقول قائلون وقائلات : « إن مكان المرأة دارها ، ومملكتها أسرتها ، ومعقلها بيتها ، وعملها القيام على العش وإسعاد نفسها وزوجها وأولادها فيه ، لا تتجاوز هذه المملكة أو تهملها إلا معتديةً ظالمةً ، ولا تُخرج منها أو تُقهر فيها إلا معتدًى عليها مظلومة » .

وتقول جماعة أخرى : « بل للمرأة السوق ، والمصنع ، والمنصِب ، ومُعترك السياسة ، والمقهى والملهى والمرقص وما وراء هذه ... ولها أن تزاحم الرجل بالمَنكِب فى كل مُزدحم ، وأن تغالبه فى كل معترك » .

فتقول الجماعة الأولى : مَن للبيت إذاً ؟ من للأسرة ؟ من يربى الأولاد وينشِّئ النشء ، ويقوم على هذه المدرسة أو المعبد أو الجنة التى ذكرنا آنفاً ؟ إلى من يسكن الزوج المرهق حين يفر إلى داره من ضوضاء الأسواق ومعترك العيش ؟ وبمن يعتصم الناشئ حين يأوى إلى بيته ؟ وأية يد رحيمة — غير يد المرأة — تُطعم وتُسقى ، وتُفرش وتُنيم ؟ وأى قلب غير قلبها يسع الرأفة والرحمة والحب والود ، ويُشيع النظام والجمال فى الدار ؟ من غيرها يَطب للأدواء ، ويضع فى مواضعه الدواء ؟ !

إنما أخرج المرأة الأوربية من معقلها ، وأزلها عن عرشها هذه الوحشية المدمرة التى قتَّلت الرجال فحرمت المرأة عائلها ، فخرجت تسعى لنفسها ، وتكدح لقوتها ... ولو خيِّرت ما اختارت هذا الشقاء ! وما على وجه الأرض امرأة تؤثر السوق والمصنع على سكينة البيت ونعيم الأسرة ! إن هذه ضرورات أدَّى إليها تعاسة الإنسان وشقاوته ، والضرورة تُقدَّر بقدرها ، وينبغى السعى لدفعها ، وألاَّ نقر لها ونخضع لسلطانها ، ونجعلها قانوناً تسير عليه

المعيشة ، فإنما هي شذوذ عارض ، وخلل طارئ ، في نظام الأسرة وقانون الأمة .

ويقول فريق : حرّرنا المرأة من أغلال العصور الأولى ، وفككناها من إسار العادات القديمة ، وأخرجناها من الظلمات إلى النور ، وأطلقناها تمرح كما تشاء ، وتخالط الرجال في كل مجتمع ، وتغالبهم في كل عمل .

فيقول فريق آخر : نحن ننصركم في التحرير وفك الإسار ، والإخراج من الظلمات ، ولكنا نرى في كثير مما تفخرون به تسخيراً لا تحريراً ، وأسراً لا فكاكاً ، ومهانة لا كرامة ، وشقاء لا سعادة !

إنا ننظر إلى مدنيتكم هذه فنرى فيها مُتعاً وفتناً ، وملاعب وملاهي ، وأسواقاً للذات رائجة ، ومجامع للهو صاخبة ، وفنادق للترف آهلة ، ونرى تجاراً وسماسرة ، وشياطين وسحرة . ثم لا نجد في متعكم وفتنكم وملاهيكم وملاعبكم وأسواقكم ومجامعكم وفنادقكم إلا سلعة واحدة تتداولونها ، وبضاعة مفردة تديرونها ، ومخلوقاً تعبثون به وتلهون ، وتجمعون به المال في أساليب شتى وتتّجرون ، هو المرأة البائسة الشقية ! لقد أدرتم عليها المسارح والمراقص والحانات ، وكل دار للهو ، وكل مباءة للإثم ، وعرضتموها على النظّارة رقيقة في صورة حرّة ، ومُكرهة كأنها مختارة ، وباكية بوجه ضاحك ، وشقية في ثياب سعيدة ، ومبتذلة بدعوى التكريم ، ومسخّرة باسم التحرير ... جعلتموها وسيلة إلى كل كسب ، وشركاً لكل صيد ، وجلبتم بها المشترين إلى متاجركم ، ونشرتم صورها في آلاف الأشكال للترويج لبضائعكم ، وجذب القراء إلى صحفكم ... وأخذتموها إلى سواحل البحار ، وإلى مسابح الملاهي ، فعرّيتموها ولهوتم بها ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، وكذبتم على أنفسكم وعلى الحقائق ، فقلتم : حررناها وأسعدناها ، وليس للمرأة في هذا كله تحرير ، ولا لها من السعادة نصيب . إنها مسخّرة مسيّرة بأهواء الرجال ، وأشراك عبّاد المال . وليس لها في الحق نصيب من هذه المتع ، ولا اختيار في هذه الأسواق . وهان على العابثين كرامة المرأة ، وخفّت على اللاهين كرامة الأمة ، واستوى عندهم صلاحها وفسادها ، وصحتها ومرضها ، وعزها وهونها .

ثم استدرجتم المرأة إلى الطرق والأسواق كاسية كعارية ، وجعلتموها ألهيّة لكل سائر ، ومتعة لكل ناظر ، وحديثاً لكل عابث ، وهوّنتم أمرها على الدهماء ، فلقيها الأوباش بالأقوال والإشارات ، حتى لم تبق للسيدة في الطريق حرمة ، ولا لربة البيت في السوق من الأشرار عاصم !

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

قطرات ندى . .

للأستاذ راجي الراعي

* الكفر ماء الروح إذا جمد .
* سخرية الموت أشد بروزاً فيه من جسمه .
* المنطق الذي لا هم له إلا أن يوثق النتائج بالأسباب حبل قديم ثخين — ينظر إليه الخيال مذعوراً إذ يحسبه حبلا في عنقه .
* كلما تمثلت المد والجزر تمثلت الطي والنشر والوصال والهجر
* المنتحر رجل يستبطئ الموت فيحشو فمه تراباً !
* كأني بالعبارة وهي تذهب في الطول عبارة تائهة تفتش عن محورها أو هدفها الذي انحرفت عنه .
* أترانا نميل إلى تجسيد ما نتخيل ؛ لأن لنا أجساداً .. أفي هذا اليد التي تشير إلى الميثولوجيا والأساطير والتهاويل والهالات والتماثيل ؟
* كل صخرة من صخور الجبل فلذة من كبده ، وكل كثيب من كثبان الرمال منبر من منابر الصحراء .
* يطلبون العناق والإخاء ، وهذه النجوم المتفرقة لا تعرف غير الجفاء والعداء ، ويقولون إن الطبيعة هي الألف والياء في أبجدية الأحياء .
* الدعوات التي تتلقاها العبقريات هي بطاقات الآلهة لحضور الوليمة الخالدة .
* القاعة التي تقام فيها وليمة العباقرة ما تزال مفتوحة الأبواب منذ العبقرية الأولى .
* الوهم ضباب الرأس .

* أتكون الأجيال فصول رواية بدأها الزمان ولم يهتد بعد إلى الخاتمة ؟

* أتكون الحقيقة إطار هذا الرسم الذى ندعوه خيالا ؟

* إن المجهول يستهويكم حتى يصبح معلوماً ، ذلك أنكم لا تحبون أن تمشوا وراء راع ترون عصاه وتنشدون فى تقصكم وضعفكم الكمال فكلما ظهر لكم وجه قائد تحولتم عنه وقد عرفتموه إلى غيره ، ولعل فى هذا السير المستديم وراء القوى الخفية المتعاقبة سر بقائكم .

* الزلزلة أرض انتفض ضميرها وارتعش وجدانها .

* لا يستطيع العظيم أن يتبوأ مقعده فى العلاء إذا لم يرفعه إليه جناح فنان .

* إن الفنانين الخالدين الخلادين هم الذين تقام على قواعدهم تماثيل التاريخ .

* الحياء والكبرياء يلتقيان فى العزلة ، ويفترقان فى الثقة بالنفس .

* هذا الوادى يذهب فى الأعماق كأنه حامل جواهر يريد أن يودعها قلب الأرض أو رجل يرى غير رأى الجبل فيقول له : أنت تحسب العظمة فى الشموخ والقسوة والطموح وأنا أراها فى الوداعة والتواضع واللين ، أو يرى رأيه ويخالفه فى الكبر فيقول له : كلانا طالب عظمة : أنت تطلبها فى آفاقك وأنا أطلبها فى أعماق .

* إذا استطعت أن تجمع بين القوة واللين كان لك جناح العقاب وبيتك فى القمة .

* إذا كان الذكاء لساناً من نار فالماء بلادة .

* للعبقرى موجاته الأربع : موجة الهيب ، وموجة البحر وموجة الأثير ، وموجة الصحراء .

* أنت أول الخونة إذا رضيت أن تتخلى عن قيراط واحد من جنونك الفنى الأدبى السامى إرضاء للجماهير .

* النجوم شظايا ما انفجر فى جوانب القبة الزرقاء يوم غضب الله غضبته فطرد آدم من الجنة .

* العبقرى غنى بنفسه تأتيه عبقريته المستقلة بكل ما يطلب فلا يمد يده إلى العواطف والأحداث والأهواء مستجدياً .

* الطمنة الطمنة طمنة العدالة إذا طامنت بعدية غلافها القانون ودمها مداد النص وبريقها بريق الحق والوجدان .

* سألت عن السياسة الحكيمة المتئدة التى لا تُجزى الأمر على إطلاقه فقيل لى . هى فى البحر ، فى المد والجزر .

* كلما أطبقت الجفنين والشفتين اشتممت رائحة التراب ، وسمعت فىَّ شيئاً كأنه قرقعة المعول فى يد الحفار .

* من أتمس الناس رجل ذو ذاكرة قوية يصرف الساعات الطوال من نهاره وليله فى المطالعة ولا يرى فيه قوة للتعبير عما يشعر به فتظل تلك الخلائق فى أرحامه لا تقوى على الخروج وتتراكم مع الزمن حتى يصاب بالاستسقاء الروحى الذهنى . وفى مساء يوم من أيامه السود ينفجر رازحاً تحت أثقاله ويسلم الروح منتحراً أو مجنوناً ... إن النفس إذا غصت ساحتها بما فيها ولم تجد لها منفذاً أصيبت بالاختناق فلا تصرفوا أوقاتكم فى القراءة إذا كنتم لا تستطيعون أن تكتبوا ... القلم فرجة الروح فاكتبوا كلما قرأتم لترتفع أشجاركم بدورها بين تلك الأشجار التى تتفيأونها فى غابات الفكر والإحساس ... افتحوا كوى أرواحكم بين الحين والحين لئلا يفسد هواؤها .

* كلما تمثلت نفسى محشوراً فى ذلك الوادى الرهيب ، وادى يوشافاط تبسطت ما استطعت فى دنياى وأحلامى مغتنما فرصة البقاء قبل الجلاء إلى ذلك الموقف المخيف بين الملايين التى لا تعد من الموتى الأحياء ، يتلى عليهم الماضى ويحاكمون ..

* البحار ابن البحر رجل كئيب فمن أين أتاه البحر الفسيح الرحاب بالكآبة . ونحن نعرف الرحب الصدر صابراً متفائلا غير كئيب ؟

* أنا أومن بالوراثة ولكن أين خليفة المتنبى فى صحراء العرب .. وأين نظرات الفراعنة فى عيون المصريين اليوم . وأين أثينا القرن العشرين من أثينا أفلاطون وسقراط إلى آخر تلك القافلة الملوية التى جاورت الأولمب وسيطرت بفلسفتها وخيالها على الدنيا .. وأين هذا الإيطالى الناعم الفنان ، صاحب الأوتار والألحان ، فى البندقية وميلان ، من أولئك الجبابرة الرومان الذين ملكوا بشجاعتهم الأرض وخضع لهم الزمان ؟ ألا ترى معى أن هناك سلاسل تقطعت ودماً تحول عن مجراه ؟

* القلم الذى يأتيك بالموجة الطويلة ليس قلماً عربياً .. إن مذياع لغة العرب لا يعرف غير الموجة القصيرة .

راجى الراعى

سفينة المعـــارف

في يد « الربان على أيوب »

للأستاذ عبد الله حبيب

كيف قاد الربان سفينة المعارف ؟ وكيف اجتاز بها مصاخب الأمواج الهوج ، في مصادم البحر ، بين الرياح الرعن ، والمهاوى السحيقة ؟ ؟

الربان مقضى عليه أن يجهد جهده ، فيحسب حساب المد والهواء ، بين أفاعيل الماء والسماء ، ليهتدى فى تعاريج تلك المهاوى بين الضباب والأمواج ، إلى ما ينبئ من سبيل مأمون العواقب ، محقق الثمرات .

وقد جهد وزير المعارف جهده ، فحسب حساب المد والهواء ، ففكر ، ودبر ، وأنعم النظر فيما كان ، وما يجب أن يكون .

واستطاع — فى فترة وجيزة — أن يقود سفينة العلم والأدب بيد ربان حكيم حصيف . وهو الوزير الذى لم يتدرج — قبل أن يلى الوزارة — فى مراحل الوظائف الحكومية ، ولم يعرف من « صناعة الحكم » أو أساليب الحكام ، ما عرف غيره من الوزراء الذين لابسوا شئون الوظائف فى مراحلها المديدة ... وأثبت أن الحكم ليس « صناعة » تستوجب المران والتمرس ، ولكنها تستوجب العقل الراجح والوعى الشامل والأفق الفكرى المترامى الأنحاء .

وقد أقبل على وزارة المعارف مفترضاً أن شئون التعليم وشئون رجال العلم والأدب « قضايا » يجب أن تدرس بعقل المدره المستنير ، لجعل لكل قضية من تلك القضايا واجباً فى عنقه . وراح يقرأ ويقرأ مئات من الأضابير فى مئات المسائل ، وما زال حتى وضحت أمامه المعالم ، واستوى الطريق ، فأخذ يقضى فى تلك القضايا — واحدة إثر أخرى — بأحكام قاض عادل متزن . وحالف التوفيق تلك الأحكام ، فجاءت موضع الإعجاب والتقدير .

وكانت « قضية الأدباء » أول قضية استهل بها عهد أحكامه العادلة ، يوم نظر إليها نظرة وطنية شاملة فرد إلى طائفة منهم حقوقاً كانت ضائعة ، وجعل يبحث ويبحث عن حقوق بقية الأدباء ليردها إليهم ، ويدفع الظلم عنهم ، بقلب وطنى شجاع ، لا يخشى فيما يراه حقاً لوم اللائمين وتعنت المتزمتين ، ويقول فى ذلك : إن العلم والأدب لا وطن لهما ، ولا حزبية فيهما ، وإنه أراد بما فعل أن يوحد الجهود في سبيل العلم والأدب ؛ راجياً أن يكون عمله هذا فاتحة خير لتوحيد الجهود فى سبيل قضية الوطن .

وقد أعلى بذلك شأن الأدب — فى عهد الفاروق — أعلى الله شأنه ، وأكرم الأدباء أكرم الله صنيعه ، ولقى فى سبيل إنصافهم ما لقى من عنت ولوم واحتجاج ، فكان عزاؤه ما لهجت به الألسنة من الثناء عليه ، والدعاء له ، ورضاء الأمة عن عمله ، وعرفانها لجميله .

ونفى عن الأدباء — بما فعل — تهمة التعطل والتبطل والميل إلى الكسل وتلمس الرزق من أيسر طريق . فأظهر الناس على أن الأدباء « كفايات » مذخورة للوطن ، يجب أن يعلو بها الوطن ، وأن الأمة التى تطمس حق أدبائها ، وتأخذهم بجريرة الحزبية البغيضة ، لا خير فيها ولا أمل يرجى فى صلاحها .

أما بقية القضايا فهى فى طريقها إلى النور ، وسوف تظهر أحكامها السديدة الرشيدة لكل ذى عين وبصيرة ، ناطقة بما وهب الله قاضيها من سداد ورشاد وبصر وإيمان .

وأما السفينة بما فيها ومن فيها ، فهى فى طريقها إلى شاطىء السلام وبر الاطمئنان ، يقودها ذلكم « الربان » الذى عرف من أفاعيل الماء والهواء ، والرياح الرعناء ، ما لم يعرفه ربان قديم .

ولم يبق أمام هذا الربان القدير سوى بعض صخور وبعض أعشاب تنساب فيها الأفاعى والحيات . ومن يدرى !! فلعله « رفاعى » يرود الأفاعى والحيات ، ويعرف كيف يخدرها بتعاويذه وأدعيته ، ثم يستلها من بين تلك الأعشاب ، فيكسر أنيابها ويقى الناس من سمومها ، ويصل بالسفينة إلى شاطىء السلام ، بعد القضاء على الصخور والأعشاب .

وسيعرف الناس — بعد ذلك — أى جهد بذل هذا الوزير العادل ، وأى مجد بنى لأمته فى محيط العلم والأدب .

أما أدباء مصر ، فقد أصبح في أعناقهم لهذا الوزير المنصف العادل دين أى دين ، وكذلك علقت بنفوسهم أكبر الآمال فى عدله وبره ورعايته وتعميم فضله وتقديره لأهل العلم والأدب .

عبد الله حبيب

صور من الحياة :

على هامش القبعـــة

للأستاذ كامل محمود حبيب

لقد صادفت مقالات « القبعة » هوى فى نفوس قراء « الرسالة » القراء ممن يحسون فى أنفسهم غيرة وحماسة ، فأهدى إلىّ الأستاذ عدنان أسعد كتابه «خمر وجمر» وقدم هديته الأنيقة المشكورة بقوله « أهدى إليك كتابي المتواضع لقاء مقالك المائع القبعة » ولمست فى تضاعيف كتابه ثورة على هذه الفئة من الناس الذين لبسوا القبعة حيناً من الزمان لينبذوا المعانى السامية للوطن والدين واللغة ، حيث يقول : « ... وهكذا تفرنج الشرق إذ انسلخ من شرقيته وصبأ من تقاليده ، فلبس القبعة وتبرنط ووضع البيبة وتهبّط ، ولوى لسانه اليعربى برطانة الغرب ولغة الهمج ثم تبجح فقال : هى المدنية يا قوم فقلدون ! »

***

وكتب إلى الأستاذ عبد الحميد يونس المدرس بكلية الآداب يقول « ... لم يكن المنظر الذى أثار اهتمامى هو منظر النيل الساحر تقف على ضفتيه عمد النخيل الباسقات والأشجار الخضر المتشابكة وهو يتلألأ صافياً رقراقاً يصافح أشعة الشمس الذهبية عند الأصيل كأنه يودعها وداع الحبيب الوامق إن حمّ الفراق . ولا هو للصحراء الساجية بالليل المتشابتة بالنهار كأنها أمواج البحر المتلاطمة مسحت عليها يد ساحر رهيب فجمدت فى مكانها لا تريم . ولا هو لعاشقين تأجج الهوى فى قلبيهما ضراماً من شباب وشواظاً من عاطفة فذابت أنفاسهما مع لظى النجوى وزفرات الغرام . ولا هو للزهر النضير المتألق وهو يزهو فى رونق ويختال فى بهاء وينفح أريجه فى خيلاء وقد تعهدته يد صناع فبدا على نسق يخطف البصر ويأسر اللب . ولكنه منظر يشغل أذهان العامة وتطرب له أفئدة الأطفال ... هو منظر سيارة عطلت فى عرض الطريق، فتقدم لها حمار يجرها . والسيارة رمز الجديد وشارته والحمار صورة القديم ورسمه .

تحاربا وتخاصما وتدابرا ، وسخر الأول من الثانى فى عزة وكبرياء ، وأغضى الثانى عن الأول فصمت وطأطأ رأسه فى استسلام ، ثم اندفع على سننه لا يعبأ به ولا يلقى السمع إلى حديثه وحاول كل منهما أن يقتل صاحبه ويمحوه ويبيده ، حتى إذا حزب الأمر بأحدهما ونزلت به النازلة وضاقت به سبل الأرض أسرع الثانى إليه يمسح عنه ما أضناه ويهوّن عليه ما آده ويعينه على ما أعضل عليه ... ما أشدهما خصمين وما أكرمهما عدوين !

هـذه - يا صاحبى - هى الحرب الصحيحة بين الجديد والقديم ، ولكنها فى مصر - وطننا العزيز - معركة عنيفة فى ضعف ، شديدة فى فتور ، لا تسمو عن المهاترات الوضيعة والألفاظ النابية والمفارقات العجيبة ، يريد الواحد أن يحط من قدر أخيه على جهل منه وصلف .

وأنت هنا لا تكاد تفرّق بين المجدد والمحافظ إلا من أسماء خاوية تسمى بها البعض دون البعض الآخر ، فليت شعرى هل آن الأوان لأن تفقه السيارة المجددة أنها ستصاب - فى وقت ما - بالعطب فيتقدم إليها الحمار فى رزانة وهدوء ليقيلها من عثرتها وليكون لها عوناً وساعداً . أو أن يفهم حمارنا المحافظ أنَ من سماحة الطبع وسمو الخلق أن يهفو نحو غريمه - فى ساعة الخطر - ليكون صاحب الشدة ورفيق المسرة ؟

والمجدد هنا رجل لبس القبعة حيناً أو بعض حين وقرأ الكتب الغربية سنة أو بعض سنة وانكب على الثقافة الأفرنجية ردحاً من الزمان ، ثم جاء يلوى لسانه برطانة بربرية ويملأ شدقيه بكلمات أعجمية على جهل منه بالغرب ، لا ريب فهو قد عاش زماناً فى بلاد الغرب ولكنه لم ينغمر فى البيئة ولم يتغلغل إلى عاداتهم ولم يكشف من أخلاقهم ، فبدا فج العقل والعقيدة والفكر . وما به إلا أن يهدم تراث الشرق وهو تراث أقامته الأجيال المديدة على دعامات قوية ثابتة .

وداء هذه الأمة أنها تبذر - دائماً - فى القبعة روح الغرور والكبر حين تفسح لها المكان المرموق ، وحين تضعها فى صدر الجماعة ، وحين تهيء لها مجلساً عالياً بين القادة والزعماء . والقبعة - لهذا - تتكلم وتخطب وتملأ فتملأ قلوب الشباب من أبنائنا خلطاً وخرفاً ، وتزين لهم - فى أسلوب سياسى رقيق -

أن يمقوا الدين والوطن اللغة ، وتدفعهم — فى مكر ولين — إلى الهاوية .

وأكبر همّ صاحب القبعة أن يعبث بصورة الوطن الحبيبة لتبدو شوهاء مبتورة تعافها النفس وتزدريها العقل ، وأن ينقب عن النقائص يلصقها بأهله ثم يتحدث بها فى طلاقة وإسهاب ، وأن يأخذ نفسه بالبحث عن نواحى الضعف فى بنى وطنه فيذيعها فى غير اكتراث ولا مبالاة . ثم ينكر عليها النبوغ والعبقرية والسمو ، ويسمنا بالتقصير والخمول والتخاذل ، وينسى أنه واحد من هذه الأمة لا يستطيع أن يهرب من عاداتها ولا أن يتفلت من خصالها .

ولشد ما يحلو لصاحب القبعة أن يتمادى فى الغى وأن يسترسل فى المكابرة ، فيتصنع احتقار المصرى ويحاول جهده أن يحط من قدره ، وأن ينال من كرامته ، فهو لا يؤمن به عالماً ولا أديباً ولا صانعاً ولا ... ثم يتبجح فيجهر برأيه السقيم فى غير تحرج ولا حياء .

وأنا أعرف رجلاً من ذوى القبعات رأى أثراً من آثار الصناعة ، ظنه مصرياً — وفى رأيه أن الصانع المصرى رجل متواكل واهى العزيمة مغلق الحس — فهاله ما فى هذا الأثر من ضعف وتداع ، فراح ينحط على الصنعة والصانع يثلبهما بأقذع الكلم ويسلقهما بألفاظ غلاظ . فلما تبين له أن الصانع أفرنجياً تراجع فى ندم وتخاذل فى ضعف كأنما عزّ عليه أن ينال من الأفرنجى وهو سيده ومثله الأعلى .

وأعرف رجلا آخر من هذه الفئة ترامى إليه أن أجنبياً ذا مكانة أدبية يوشك أن يزور مصر ، فأخذ يترقب مقدمه فى شغف ، ثم اندفع يستقبله فى حفاوة وأفسح له من قلبه ومن قلمه فى وقت معاً ، وملأ صفحات الصحف بما أضفى عليه من إطراء ومدح . ثم حاول أن يمن عليه الأجنبى فيزوره فى داره لتسعد الدار بزورة السيد الأجنبى ، ولتظفر المائدة بفضل الأديب الغربى ، فتشاغل هذا عنه وتعلل بالتعلات ، ثم ضاق بإلحاحه فرده — بادئ ذى بدء — فى هوادة ، ثم ضاق به مرة أخرى فرده فى عنف . وحز فى نفس صاحبنا أن يندفع إلى الرجل فى غير صبر، وأن يتشبث فى غير أناة ، ثم لا يلق — بعد هذا كله — إلا الاحتقار والمهانة ، فأطلق فيه لسانه وقلمه يثلب علمه وأدبه وأخلاقه ، ويزدرى رجولته وإنسانيته وفنه ...

هذه هى أخلاق القبعة ، وهذه هى عقيدتها ، وهذا هو إيمانها ، فتى ... متى نتحلل من قيودها ؟ إن القبعة — ولا ريب — هى بقايا عهد زال منذ زمان ، عهد السيطرة الأجنبية البغيضة ، عهد الاستخذاء والضعف ... فتى ... متى نتحلل من قيودها لنمسح عنا عار التعبد والخضوع ؟

***

وجاءنى صديق من ذوى القبعات هائجاً يهدر وهو يتلظى غيظاً وغضباً ، وفى يده مجلة أسبوعية وصحيفة يومية ، ثم قذف بهما أمامى وهو يرغى ويزبد ، ثم قال : « أرأيت ، أرأيت الصحافة فى بلادنا وهى تشوه الحقائق؟ » قلت : « ماذا ؟ ماذا أصابك ؟ » قال : « هذه الصحيفة نشرت مقالا بعنوان : الشعب الإنجليزى ذهبت أخلاقه . وهذه المجلة كتبت مقالا بعنوان : عشش الترجمان فى لندن! ». قلت : « وماذا يعنيك وأنت رجل مصرى الجنس ؟ » قال : « هذا افتراء بيّن على شعب عظيم ! » قلت : « ومالك أنت ولهذا الشعب ؟ » قال : « لقد عشت هناك سنوات فما شعرت بشئ مما يقولون ! » قلت : « عجباً ! إن فى الصحيفة أرقاماً تنطق ، وإن فى المجلة صوراً تتكلم ! » قال : « فأنت تصدق هذا البهتان الواضح فتنكر على هذا الشعب العظيم خصاله العالية وأخلاقه السامية ، وهو قائد العالم وسيده » قلت : « وأنت تنفض عن الدعايات النكراء ، والشائعات الشوهاء ، يروجها عنا أصحاب الأغراض السقيمة فى البلاد الأجنبية لتحط من كرامتنا و ... » قال مقاطعاً : « إنهم لا يقولون إلا حقاً » قلت : « كأنى بك قد تعلمت هناك — يا سيدى — كيف تنبذ المعانى السامية للدين والوطن واللغة ! »

وأحس هو بأن كلاتى تحزه حزاً شديداً ، فانطلق من لدنى فى ثورة وغضب ، ولكنى لم أعجب أن يكون هذا الفتى قد استحال فى سنوات إلى قبعة تتفلسف فلسفة واهية منحطة ! !

وقص عليّ صديق حبيب إلى نفسى قصة زواج القبعة ...

فليت شعرى هل أفلح صاحب القبعة أن يكون زوجاً وأباً ورب أسرة ؟ !

كامل محمود حبيب

ترجمة وتحليل :

الخـــلود

لشاعر الحب والجمال لامرتين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٢ —

وما ينفك الفضول مستأثراً بلب الشاعر ، فهو يريد أن يعرف كل شيء عن هذا الضيف الكريم الذي فتح عليه سجنه وحطم له قيده ؛ فما الذي حمله على الهبوط من سمائه إلى الأرض ، ومن دار الخلود إلى دار الفناء ؟ وما هذه القدرة الخارقة التي أمسكته عن الطيران ، ووقفته عن الجولان ، ثم حبسته في هذا الكوكب الأرضي بين أجساد مخلوقة من سلالة من طين ؟ وأنى يتسنى له وهو سجين أن يتصل بالبدن الذي تحللت عناصره ، فأمسى رميم العظام ؟ وما هذه العرى المدهشة للعقول ، والصلات الخفية عن الأبصار التي تربط بينهما هذا الربط المحكم الوثيق ؟

« أي قدرة ألقتك على هذه الأرض الفانية ؟
أي يد غيبتك في سجن من الطين ؟
وبأي عرى مدهشـــــة ، وروابط خافية ،
يمسك بك الجسم كما تمسك به وأنت سجين ؟

ولم يكتف لامرتين بهذه الأسئلة ؛ فهو يرتقب بشوق لجوج يوم يُفصل بين الروح والبدن ، يوم لا تنفع العرى والروابط مهما خفيت على الأبصار ؛ وينتظر مفارقة الروح لهذه الأرض وصعوده إلى السماء حيث يجد قصراً مشيداً بدلا من القبر الذي كان يشترك فيه مع البدن .

« متى يوم الفصل بين الروح والبدن ؟
متى تغادر الأرض إلى قصرك المشـــيد ؟
هل نسيت كل شيء ؟ ألن يبعثك الزمن
من أعماق القبر إلى مجهل جديد ؟.. »

وإذا انفصل الروح عن البدن وتحرر من قيوده وطار من هذه الأرض إلى السماء ، وانتقل من قبره إلى قصره — فكيف تكون حياته المقبلة ؟ أهي مماثلة لحياته الماضية ؟ أفيها متع عاجلة وشهوات زائلة ، ومطامح سرعان ما تُنسى ، ورغائب ما أقل ما تبقى ؟ أم فيها نعيم خالد لا يُصدَّع عنه ولا يُنزف ، ولا ينقطع ولا يفتر ، ولا يُمل ولا يُستكره ، لأنه يتدفق من عين قدسية تنبع من الذات الإلهية ؟

« هل ستحيا غداً حيـــاتك المـاضية ؟
أم ستتمتع أخـــيراً بنعـــيم السماء
دافقاً من نفس الإله عينك الجـارية ،
بعد أن تحررت إلى الأبد من قيود الفناء ؟ »

وهنا يثوب إلى الشاعر وعيه ، ويصحو على نفسه ، فيوقن أنه لم يمت ولم يُقبر ، وأنه لم يُبعث ولم يُنشر ؛ وأن نفسه جالت فأكثرت التجوال ، وتخيلت فأسهبت في الخيال ؛ وأن كل ما تصوره وتمثله لم يعدُ أن يكون آمالاً عِذاباً كثيراً ما تراءت أمام عينيه ؛ وإنما شخص له هذه الآمال ذكراه لحبيبته التي انفصلت عنه انفصال الروح عن البدن ، وعرجت إلى ملكوت السماء بعد أن خلفته وراءها جسداً محطماً وأعضاء جامدة ، ومشاعر خامدة ؛ فكيف لا يناجي روحه الذي فارقه ، ولم لا يتمنى أن يلحق به ولو بالموت والفناء ؟

لا . لن يندم لامرتين على جسده إن كان فناؤه قرباناً لروحه ؛ فإن أمله في لقاء المحبوبة يهوّن عليه كل شيء ، وأن هذا الأمل نفسه هو الذي جعله لا يُراع ولا يضطرب حين رأى شحوب الموت على وجه (جوليا) الجذاب كأنه صفرة ألوان الربيع بعد أن تذوي وتحول : كلاهما أمر جرت به سنة الحياة ، وقضت به حكمة الوجود .

من أجل ذلك عاد يناجي روحه — وهو في الحقيقة لا يناجي غير حبيبته — بهذه الكلمة التي لا تفيض إلا من قلب نقي وسريرة طاهرة .

« بلى ... تلك — يانصف حياتي — آمالي العِذاب
فبها استطاعت نفسي أن تجول ،
وترى بلا روع على وجهك الجـــذاب
ألوان الربيع الزاهيات تحول .. »

ويؤكد هذا المعنى النبيل بأن آماله في لقاء (جوليا) ومناقلتها

الحديث ومشاركتها فى نعيم السماء لم تبعثه على الصبر والاحتمال فقط ، وعلى الرضا بحكم القضاء فحسب ، وإنما ستبعثه على الشجاعة وقت الشدة ؛ فهو سيبتسم ساعة يتأرجح بين الوجود والعدم ، ساعة يحتضر على فراش موته ؛ ثم هو لن يأسف على صباه حين يفصم الدهر عُراه ، وإنما سيبكى من فرط سروره بلقيا حبيبته منية نفسه ، ونصف حياته .

« وبها ستـرانى أبتسم وأنا أحتضر ،
بعد أن يفصم الدهر عُرى صباى
وأن دموعى من فرط السرور ستطفر
فى لقائنا … فتتلألأ بها عيناى ! »

ويستمر لامرتين فى نجواه — وما أروعها من نجوى ! — فيتمثل حبيبته ويجثو بين يديها مقلباً لها صفحات الماضى البهيج بذكرياته الحلوة ؛ وما يفتأ يخاطبها على أنها روحه الذى انفصل عنه فيذكر هذا الروح باليوم السعيد الذى ولد فيه الحب بينهما من نظرة عاجلة تلاها حديث لطيف ومجلس عفيف ، ثم جولات جميلة وسكرات نبيلة ، فى محراب الطبيعة حين تأخذ زخرفها وتزيّن تارة على رءوس صخورها الناتئة كأنها رقيب نشوان يرهف أذنيه ليسمع أحاديث الهوى ؛ وتارة حول بحيراتها الحزينة كأنها صديق أسوان يقاسم الحبيبين ما كتبت لهما يد القضاء ؛ وأحياناً على شطئانها الجُرد وكثبانها النواعم التى تكتم السر فلا تفشيه وتحفظ العهد فلا تنساه ؛ والحبيبان — فى تلك الأوقات كلها — لا يحسان مرور الزمن ، ولا يكترثان بالظلال التى تهوى من الجبال ، ماحية القرى فى أذيالها السود ، فإنهما لفى نشوة ، وإنهما لطائران عن هذا العالم المادى المحدود إلى عالم عرضه السموات والأرض تصفو فيه الأنفس ، وتمتزج الأرواح ، وتأتلف القلوب !

« كثيراً ماتستعيد الذكرى فى هذا المقام السعيد
الذى وُلد فيه حبنا الخالد من نظر عجلان ،
تارة على رءوس هـذه الصخور الجلاميد ،
وتارة حول البحيرات الحزينة على موحش الشطئان ،
حيث كنت أقتحم معك الظلمات الغاشية ،
طائرين — بنجوة عن العالم — على جناح الأمل المنشود
وكانت الظلال — وهى من الجبال هاوية —
تمحو أمامنا القرى فى طياتها السود ! »

ولكن الله زين السماء الدنيا بمصابيح جعلها كنثور اللآلى ، موشية برقم الليالى . إن لها لأنواراً رَخية تغشى الفضاء ، وإن لأنوارها لألحاناً توقعها أنامل قدسية فى الخفاء ، وإن فى ألحانها لسراً عجزت عن فهمه العقول ؛ فربما كان رجعاً لزفزفة الرياح ، أو صدى لزقزقة الأطيار ، أو ترديداً لخرير الأنهار ، أو تسجيلاً لسحر العشاق .

وقد اكتفى الشاعر بوصف ألحان الليل بالخفاء ، وبدنوها بلا ضوضاء ؛ فانطوى تحت وصفه الوجيز ما تشاء أخيلة الشعراء من سبْح فى العالم المجهول .

« لكنْ كواكب الليل بألحانها الخفية
— وهى تدنو بلا صخب ولا ضوضاء —
تغشى الفضـاء بأنوارها الرخيـة ،
ملقيةً على كل شىء نقابها الوضاء ! »

وما كان أسرع لامرتين إلى اقتناص التشبيهات المحكمة ! فلقد رأى صورة الكوكب الذى يضىء فى الليل محراب الطبيعة أدنى إلى صورة المصباح الذى ينير بضوئه الخاشع جنبات المعابد بعد أن تنمحى آية النهار : وكما أن هذا المصباح يعوض لألاء الشمس عند الراهب المتبتل، فيحسب ضوءه الباهت الخاشع نوراً ساطعاً وهاجاً ، لأنه يشعره بمعانى الورع والتقى والزهادة ، فإن الكوكب يعوّض النهار الأضحيان ، عند العاشق الولهان ، فيخلع على ضوئه الرخىّ معانى شعرية ، وأسراراً علوية ، إذ يوحى إليه سمراً شجياً ، وحديثاً حلواً ندياً …

« كذلك … حين تشحب رويداً رويداً أشعة المساء
فى معابدنا المقدسة التى تضيئها آية النهـار ،
يملأ المصباح — وهو يرسل خاشع الضياء —
جوانب المحراب بساطع الأنوار . »

ولعلّ ألحان الكواكب — بلطفها وخفائها — هى التى ذكّرت الشاعر بألحان روحه ، وقلما كان هذا الروح يسكر سكرته الوديعة ، وهو يتأمل مناظر الطبيعة ، ويرجع البصر فيها بين السماء والأرض فينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير ، ثم إذا يوقظ بسكرته عينى الشاعر الحالمتين ، ليطلعه على جمال الوجود ، ويسبّح معه للإله المعبود ، ويبرهن له على عقيدة (الخلود) .

شعر المعتمد بن عباد

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وبرغم شهرة شعراء الأندلس بوصف الطبيعة ، وغرام المعتمد بها لم نجد له كثيراً من الشعر فيها ، اللهم إلا حديثاً عرضيا عن البدر الذى كان يساهره ، وهو هانىء بشرب الراح ، كما تحدث عن شمعة سهرت معه كذلك وهو يشرب الخمر أيضاً ، وقد رأى فى نورها ولهبها ممثلا لجمال ساقيه ونار غرامه إذ يقول :

ساهرتها والكاس يسعى بها ... من ريقه أشهى من الكاس
ضياؤها لا شك من وجهه ... وحرها من حر أنفاسى

ويقف ابن عباد فى وصفه للخمر عند حد ما تراه العين ، غير متجاوز ذلك إلى الحديث عن وصف أثرها فى نفسه كما ترى ذلك فى وقوله :

لو زرتنا لرأيت ما لم تعهد ... ذوب اللجين خليط ذوب العسجد

ولعل المعتمد قد شغله الجمال الناطق ممثلا فى المرأة عن الجمال الصامت ممثلا فى الطبيعة .

ووصف المجن عند ما طلب إليه أبوه وصفه ، وكان قوى الخيال عند ما ربط بين منظر المجن وقد أصبح يحكى السماء بما رسم عليه من نجوم وبين بُعد أن تناله طوال الرماح إذ قال :

مجن حكى صانعوه السماء ... لتقصر عنه طوال الرماح

***

وله قصيدتان تهكميتان بلغ فيهما مبلغاً كبيراً من الإتقان والإجادة ، أما أولاهما فتلك التى رد بها على ابن عمار عند ما طمع فى أن يستأثر ببلنسية ، فقال ابن عمار فى ذلك شعراً يشيد فيه بمجده ومجد أسرته ، ولم يكن ابن عمار من أسرة رفيعة الذار ، بل كان خامل البيت ، كما يقول مؤرخوه ، فما هو إلا أن قال :

كيف التفلت بالخديعة من يدى ... رجـل الحقيقة من بنى عمار

حتى أنشد المعتمد قصيدة يعرض فيها بابن عمار وآبائه ، ويذكر نشأتهم ومنبتهم ، ويسخر من فخره بهم فى أسلوب تهكمى لاذع بدأه بقوله يكمل قصيدة ابن عمار :

الأكثرين مسودا ومملكا ... ومتوجا فى سالف الأعصار

والثانية بعث بها إلى ابنه الراضى ، عند ما أرسل إليه يأمره بالخروج لمحاربة عدو هاجم « لورقة » فأظهر الراضى تمارضاً وانصرف إلى القراءة ، فكتب إليه قصيدة تهكمية بدأها بقوله :

الملك فى طي الدفاتر ... فتخل عن قود المساكر

***

وللمعتمد فخر بنفسه وبأسرته فى ثنايا قصائد غزله ورسائله إلى أبيه ، ولم ينشىء قصيدة للفخر قصداً إلا تلك التى أوحى إليه بها فتحه قرطبة ، وإلا ثانية يفتخر فيها بالجود ، وإلا ثالثة أنشأها فى الأسر وسوف نعرض لها .

***

ولم يَرْث غـير بنيه الذين قتلوا وهم يدافعون عن مدنهم ،

وما يبرح لامرتين خالماً على روحه شخص حبيبته ، ليستدل فى هذا الجوّ الباطنى على الإيمان بالله ، مهاجماً من طرْف خفى الفلاسفة الأبيقوريين والماديين الذين ينفون خلود الروح .

وكأنى بالشاعر — فى إصاخته لصوت الغريزة ورفضه البراهين المنطقية — يريد أن يطوى فى غضون شعره مذهبه فى تمثل الإيمان وتمقل معانيه ... فليدع تلك المناقشات البيزنطية المقيمة ، وتلك البراهين الجدلية السقيمة ، ولينطق فى نفس الإنسان لسان حاله إذا ما تأمل معبد الطبيعة القدسى ، وسمع ألحان الأرض والسماء حتى استنارت بصيرته بما رأى بصره ، فتجلت له حقيقة الإيمان .

ألا وإن هذه الحقيقة السامية لتسبيحة خالدة طالما تمتم بها روح الشاعر ، فأيقظه من سباته ، وبعثه من مرقده .

« حينئذ توقظ عينىّ بسكرتك الوديعة
وأنت ترجع فى السماء والأرض طرفك الحيران
قائلاً : « أيها الإله الباطن ! معبدك الطبيعة .
فإذا تأملها البصر شهدتك البصيرة فى كل مكان»

صبحى ابراهيم الصالح

(البقية فى العدد القادم)

وهو حين يرثى يندفع حيناً وراء حزنه ، حتى ليرى من الغدر ألا يفيض جفنه عليهم ، ويرى نفسه أحق بالبكاء من تلك القمرية التي أثارها فقد إلفها :

فالى لا أبكى ؟! أم القلب صخرة وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر

بكت واحداً لم يشجها غير فقده وأبكى لآلاف عديدهم كثر

غدرت إذاً إن ضن جفنى بقطره وإن لؤمت نفسى فصاحبها الصبر

وحيناً تتغلب العاطفة الدينية لديه ، فيخفف ذلك من وقع المصائب عليه :

يخفف عن فؤادى أن ثكلكما مثقل لى يوم الحشر ميزانا

أما عند ما كان فى الأسر فإنه وجد فى رثاء بنيه وبكائهم متنفساً عن آلامه ، ووجد فى الجزع عليهم تعبيراً عن يأسه وتبديد أحلامه ، ولا ريب أن حاله فى الأسر هو الذى أوحى إليه بهذا البيت الباكى :

يقولون صبراً ، لاسبيل إلى الصبر سأبكى ، وأبكى ما تطاول من عمرى

وهو فى هـذه القصيدة يرى الطبيعة تشاركه فى الحزن ، فالبدر والنجوم الزهر فى مأتم كل ليلة ، والغمام يبكى مشاركة له فى مصابه ، ولا غرو فذو المنظار الأسود يرى الدنيا كلها سوداء ، والمعتمد يناجى ولديه ، محدثاً لهما عما خلفه بعدهما فى القلوب ، من جروح وندوب ، وما استحال إليه مجده بعدهما من تبدد وانهيار ، حتى إنهما لوعادا لآثرا الموت على أن يرياه مقيداً مأسورا .

فلوعدتمالاخترتما العودفى الثرى إذا أنتما أبصرتمانى فى الأسر

***

أما شعره فى الأسر فـكان سلواه ، يشكو له بثه ، ويندب إليه حظه ، ويحدثه بآلامه ، ويبكى به مصيره ومصير ملكه .

وقد دافع المعتمد عن عرشه ، وخرج بسيفه يذود عن حماه ، ولم يستمع إلى رأى ناصحيه الذين أشاروا عليه بأن يتخذ خضوعه للمغيرين سياسة ينتهجها ، عساهم يبقونه على العرش ، فأبى ، ورأى استلاب عرشه أفضل من النزول عن شرفه :

قالوا : الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع

وألذ من طعم الخضو ع على فمى السم النقيع

إن يسلب القوم العدا ملكى وتسلمنى الجموع

فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع

لم أستلب شرف الطبا ع ، أيسلب الشرف الرفيع

واستقبل المعتمد أسره لا بالثورة والتهديد والوعيد ، ولـكن بالبكاء والنحيب ، فلم نر فى شعره حديثاً عن أنصار سيثورون ، ولا عن شعب سينتقم ، بل رأينا استسلاما لآسريه ، وبكاء على ماضيه . خرج به يوسف بن تاشفين إلى العدوة بعد أن خلعه ، فوصل إلى موضع منها ، وأهل البلد خارجون للاستسقاء فقال :

خرجوا ليستسقوا ، فقلت لهم دمعى ينوب لـكم عن الأنواء

قالوا : حقيق، فى دموعك مقنع لـكنها ممزوجـة بدماء

ولم نره طول مدة مقامه فى الأسر متوعداً ولا ثائراً ، بل يائساً مستسلماً ، ولم يمر به أمل العودة إلى سابق مجده إلا مروراً عابراً كما يمر به فى حلم إذ يقول :

فيا ليت شعرى هل أبيتن ليلة أمامى وخلفى روضة وغـدير

تراه عسيراً أم يسيراً مناله ألا كل ما شاء الإله يسير

ولم نحس بروح الثورة فى شـعر المعتمد وهو أسير إلا عند ما بلغه نبأ ثورة ابنه عبد الجبار ، فهنا يذكر المعتمد السيف الذى طال رقاده فى جفنه ، والرمح الذى عطش إلى شرب الدماء ، والجواد وقد حيل بينه وبين ارتقاب غرة فى العدو فينادى قائلاً :

ألا شرف يرحم المشرفى ممـــا به من شمات الوثين

ألا كرم ينعش السمهرى ، ويشفيه من كل داء دفين

ألا حنة لابن محنية شديدالحنين ضعيف الأنين

بل إن ذكرى مجده ومجد آبائه الغابر فى القصيدة الفخرية التى أنشأها فى الأسر لم تكن لتثير فيه الطموح إلى إعادة هـذا المجد ، بل يسلى نفسه فيها بقوله .

وإذا ما اجتمع الدين لنا فحقير ما من الدنيا افترق

فالسائد فى شعره روح الاستسلام لجور الدهر وظلم الأيام : يوصى نفسه بالصبر ، ويدعوها إلى تحمل الـكرب ، ويوطنها على الـكره ، عسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيقول :

اقنع بحظك فى دنياك ما كانا وعز نفسك إن فارقت أوطانا

فى الله من كل مفقود مضى عوض فأشـــعر القلب سلواناً وإيمانا

أما سمعت بسلطان شبيهك قد | بزته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره ، وارقب إثره فرجا | واستغفر الله تغنم منه غفرانا

كان هذا الأسر القاسى وما عومل به من إذلال فيه ، والموازنة بين حاضره وماضيه ، مدعاة لإثارة شجونه ، وإدماء عيونه ، وها هو ذا يصف لنا عيداً حزيناً قد أقبل عليه فى منفاه وقد دخلت عليه بناته ، يلبسن ثياباً أخلاقا وفى أيديهن المغزل يغزلن به للناس حتى لمن كان لهن بالأمس خادما ، فثارت فى خاطره أطياف السعادة الماضية ، فتمزق قلبه وقال :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا | فساءك العيد فى أغمات[1] مأسورا
ترى بناتك فى أغمات من عُدُم | يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة | أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين، والأقدام حافية | كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا | فردك الدهر منهياً ومأمورا

وكثيراً ما كان يتذكر قصوره بالأندلس فيحن إليها ، ويحس كأنها تبكى أيامه الزاهرة ، ولياليه المتلألئة ، ويشعر على البعد بما ارتدته من الذل والوحشة بعده .

ومما ضاعف أساه ، هذا القيد الذى غلت به قدماه ، وشعره ملىء بالحسرة التى تمزق قلبه لهذا القيد الثقيل الذى يراه يتلوى كالحية الرقطاء ، وذا أيد وبطش كالأسد ، ومن أروع شعره فى ذلك حديثه إلى القيد ، وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع له :

قيدى ، أما تعلمنى مسلما | أبيت أن تشفق أو ترحما
دمى شراب لك ، واللحم قد | أكلته لا تهشم الأعظما
يبصرنى فيك أبو هاشم | فينثنى القلب وقد هشما
ارحم طفيلا طائشاً لبه | لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله | جرعتهن السم والعلقما

ولم يكن هناك بصيص من أمل فى النجاة والحرية ينفذ إلى قلبه ، وكان الهم يحطمه والأسى يوهنه ، واليأس يعصر قلبه ، فكان يشعر بدنو أجله ، بل كان يتخيل هذا اليوم قد حل ، ولعله كان يراه آلامه وأحزانه ، فرثى نفسه بأبيات أوصى أن تكتب على قبره ، لم يشر فيها لغير ماضيه ، وكأنه يريد بذلك أن يمحو من ذاكرة التاريخ ما بلاه من الأسر والشقاء حيث يقول :

قبر الغريب، سقاك الرائح الغادى | حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
بالطاعن الضارب الرامى إذا اقتتلوا | بالخصب إن أجدبوا بالرى للصادى
نعم هو الحق وافانى به قدر | من السماء ، فوافانى لميعاد
ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه | أن الجبال تهادى فوق أعواد
فلا تزل صلوات الله نازلة | على دفينك لا تحصى بتعداد

وقبل أن أختم هذا الفصل أشير إلى صلة المعتمد بالشعراء فى منفاه ، فقد استقبله فى طنجة الحصرى الشاعر ، وأقبل عليه يلح فى طلب العطاء ورفع إليه شعراً ، فبعث إليه المعتمد بأكثر ما كان معه من مال قليل ، واعتذر إليه بقطعة من الشعر ، فأخذ الحصرى ما أرسل إليه ، ومضى مستقلا للعطاء ، مهملا للمعتمد ؛ ولما سمع الشعراء بعطاء المعتمد أقبلوا عليه يسألونه ، فعجب من أمرهم وقال :

سألوا اليسير من الأسير وإنه | بسؤالهم لأحق منهم فاعجب
لولا الحياء وعزة لخمية | طى الحشا لحكاهمو فى المطلب

ووفى له ثلاثة من شعرائه هم أبو بكر الدانى ، وابن حمديس ، وابن عبد الصمد ، وأبى كرم المعتمد إلا أن يرسل إلى أولهم عند ما زار أغمات بالقليل الذى كان يملكه ، فأبى الدانى أن يأخذ على وفائه أجراً ، وأما الثانى فقد أقبل يريد زيارته فصرفه بعض الخدم ، فأرسل المعتمد إليه قصيدة يعتذر فيها . ولعله كان يرجو أن يرى فى شاعره صورة من مجده الغابر ، وأثراً من آثار عظمته وسلطانه . وأما ابن عبد الصمد فإنه مضى إلى قبر المعتمد بعد صلاة العيد مع ملأ من الناس يتوجعون له ويترحمون عليه ثم أنشد قصيدة طويلة أولها :

ملك الملوك أسامع فأنادى | أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور فلم تكن | فيها كما قد كنت فى الأعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا | وتخذت قبرك موضع الإنشاد

وخر يبكى ، ويعفر وجهه فى تراب قبره .

— ٤ —

أهم ما يتصف به شعر المعتمد الوضوح الذى يدل على وضوح

(١) مدينة تقع جنوبى مراكش أسر فيها ابن عباد وبها مات .

التجربة لدى الشاعر، فلا تعثر في شعره على غموض ولا التواء.

ومما ساعد على هذا الوضوح الوحدة في شعره؛ فكل مقطوعة أو قصيدة تتحدث عن خاطر من نفس المعتمد، وتتضافر الأبيات في إيضاح هذا الخاطر وتسير في اتساق ونظام.

وكثير من شعره في عهد الإمارة والملك مقطوعات تدل على انفعال يكفي هذا القدر في تصويره، مع قدرة المعتمد على الإطالة إذا أراد.

أما موسيقاه فمناسبة لهذه الانفعالات، ولذا ترى أكثر أوزان الغزل مطربة سارة سريعة كقوله:

يابديع الحسن والإحسان ، يا بدر الدياجي
يا غزالا صاد مني بالطلا ليث الهياج
قد غنينا بسنا وجهك عن ضوء السراج

وترى شعره في الأسر يلتزم البحور الطويلة التي تدل على التأمل والأناة لا على الثورة والجموح. وليس في شعره في هذا العهد موسيقى تشعر بالسرعة إلا قطعته التي قالها في أثر ثورة ابنه عبد الجبار؛ فهي من المتقارب السريع الحركة؛ لأنها تعبر عن انفعال سريع، وحركة تضطرم في صدره، كما اختار البحور الطويلة لذلك في رثائه.

وتشبيهات المعتمد مألوفة، ولكن يزينها مايضفيه على الشعر من تناسب كقوله:

ياهلالا، إذا بدا لي تجلت عن فؤادي دجنة الكربات

فأنت ترى التناسب بين الهلال والدجنة. وحينما يفصل التشبيه في الغزل زيادة في بعث اللذة بتصور من يحب حين يقول:

ياهلالا حسن خد، يا رشا غنج لحظ، يا قضيبا لين قد

ولا يتخذ المعتمد الغزل مقدمة لقصائد مدحه لأبيه، كما كان يفعل الشعراء السابقون.

ويميل المعتمد إلى الجمال الطبيعي في شعره، فقل أن يلجأ إلى الصناعة. وإن كنت لا تعدم أن ترى هنا جناسا، وهناك طباقا وهنالك لفا ونشرا، وغيرها، ولكنه مع ذلك يحسن الصوغ، فلا تحس بنبو ولا قلق، وإن كنت لا أنكر أثر الكلفة في قوله، يدعو بعض زملائه إلى الشراب:

أيها الصاحب الذي فارقت عيـ ـني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا حة والمسمع الغنا والغناء
نتعاطى التي تنسيك في اللذ ة والرقة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا قد أعدلك الحيا والحياء

وزادت الصناعة من جمال قوله يتحدث عن قمرية تنوح:

وناحت وباحت واستراحت بسرها
وما نطقت حرفا يبوح به سر

ولم تخل الصناعة من جمال مقطوعته الغزلية التي جعل في أول كل بيت منها حرفا من حروف زوجه اعتماد.

والمعتمد دقيق ذو ذوق مرهف في اختيار ألفاظه التي توحي إلى القارئ بخاطره. وخذ مثلا لذلك كلمة الأوار التي توحي إليك بلهيب النار وقد دل بها على نيران المعركة، وكلمة شخيص المصغرة وهي توحي بضآلة جسم ابنه أبي هاشم، وهذا في البيتين اللذين أوردناهما في معركة الزلاقة، وتأمل كلمة « مسيحا » في قوله يسترضي أباه:

سخطك قد زادني سقاما فابعث إلى الرضى مسيحا

لترى ما توحي به إلى نفسك من مقدرة المسيح على الإبراء، وما في الكلمة نفسها من دلالة على مسح آثار الداء، وهو يصف الليل باعتكار، ويضيف الوسواس للحلى، ويصف النفس بالنرجس في قوله:

فلاقتك بالنفس النرجسي ولاقتك بالملبس المسجدي

وكل ذلك دليل الدقة في اختيار الألفاظ.

وقوافي الشاعر محكمة في أبياتها، لا تشعر فيها بقلق، ولا اضطراب؛ بل هي مستقرة مطمئنة تشعرك بقدرة الشاعر على تذليلها، إذا استثنينا كلمة كبد في قوله:

أغائبة عني وحاضرة معي لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي

فالمحبوب مكانه القلب لا الكبد.

وبعد فإن على شعر المعتمد بن عباد مسحة من الحسن تأسر النفس، وتملك الحس، لصدق العاطفة التي انبعث عنها، وجمال الأسلوب الذي صيغ فيه.

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

الانحــــراف الجنسى

أســـبابه وعلاجه

للأستاذ عبد العزيز جادو

كان الدكتور سيجموند فرويد ، مبتكر التحليل النفسى ، أول من وصف الأطفال بأنهم « ذوو انحراف متعدد الأشكال » Polymorphous pérverts ولقد أثار بذلك عاصفة من السخط واتهم من جميع الأوساط بقذف الطفولة البريئة وطمثها .

ماذا تعنى هذه العبارة ؟

إنها تعنى باللغة السهلة أن كل نوع من أنواع الانحراف الجنسى ينغمس فيه المراهقون ونتغاضى عنه أو نتساهل فيه ، يمكن أن يُبحث فى حالات النشاط العادى عند الأطفال .

وإنا إذا قلبنا هذا الأمر على وجوهه المختلفة ، فلا يكون أسوأ مما كان ، فليس الأطفال هم الذين يتصرفون كالرجال ، ولكن الرجال هم الذين يتصرفون كالأطفال . ويقصد بهذا أيضاً أن كل طفل به انحراف جنسى يكون فى الغالب الأعم ناقص النمو من جهة غريزته الجنسية . ويرقد ارتقاؤه ونضجه وراء تلك الغريزة الجنسية عند المراهق العادى .

وليس الطفل هو المنحرف الضال ، وإنما يعتبر المنحرف طفلا وكلمة « منحرف » Bervert معناها التحول عن المجرى الطبيعى . والمنحرف الجنسى هو الذى لا يستعمل دافعه الجنسى بالطريقة السوية .

وكثير من الرجال لا يستطيعون جعل حياتهم الغرامية متناسقة بقدر الإمكان ، لاعتقادهم أن كل شىء يميل عن الطريق القويم إنما هو انحراف . وهناك بالفعل مجال فى لعب الحب الأوَّلى لكل نوع من أنواع الملاطفة والتودد .

ويمكن استعمال أى صورة من صور الاتصال التى يحتمل أن تكون مقبولة ومنبهة Stimulating لكل من الطرفين على شرط أن تؤدى إلى الاختلاط الجنسى Sexual Union ولا تحل محله

والملاعبة للغرض الجنسى يجب أن تظل بمثابة « المشهيات » لا أن تكون الوليمة ذاتها .

وفى الانحراف الجنسى أصبحت الملاعبة غاية فى حد ذاتها ، وليس الامتزاج أو الصلة بشخص من الجنس الآخر هي الغاية المشتهاة .

فلكى ندرك كيف يحدث هذا ، علينا أن نرجع إلى الطفل . فليس هناك من يقرر بأن الطفل ، بما له من أعضاء ناقصة النمو وبما يحتاجه من إفراز غددى ، يكون فى حالة جنسية كحالة المراهق أو البالغ ؛ ولكنه قادر من أول أمره على جلب المتعة عن طريق الإحساسات الجسدية ، وهذه هى خلاصة اللذة الجنسية ولو أنها لا تهم الغرض الجنسى فى شىء .

وهكذا نرى أن المص ليس وسيلة فحسب لتخفيف الجوع وتهوين أمره ، ولكنه يعطى لذة فى حد ذاته . وهذا ما يلمسه أى فرد من مشاهدته طفلا يلعب بدميته . ويقتنع معظم الناس بأن التدخين ، سواء بالغليون أو بالسيجار يدين بشىء من جاذبيته إلى تخلف اللذة أو بقائها فى الشفة ، وتكون هذه اللذة فى الغالب كلذة التقبيل سواء بسواء .

وهناك فى الواقع عدة أجزاء فى الجسم تلتقى فيها المحتويات الداخلية أى الغشاء المخاطى بالجلد الخارجى . وجميع هذه المناطق ذات حساسية وشعور باللذة . والفم — كما ذكرنا — أحد تلك المناطق ، كما أن الثغرة التى فى الطرف المقابل للقناة الهضمية منطقة هى الأخرى .

وموضع الأعضاء التناسلية فى كل من الذكر والأنثى متشابه . وكلما اطرد التحسن وتدرج النضج وصلت تلك الأعضاء إلى درجة أعلى من المناطق الأخرى . ولو أن هذه المناطق لن تفقد حساسيتها جميعاً ويمكن أن تقوم بدورها فى الحياة الجنسية .

ولقد امتدت هذه الحساسية إلى أن بلغت بشكل واضح الأرداف . أما كيف أحاطت هذه الحساسية بتلك المنطقة حتى أن اللذة والألم صارا أكثر تمييزاً قيها ، فهى مسألة لم يصل العلم إلى حلها . ولكن لاريب فى أن وظيفة الأم المحبوبة عند اعتنائها بنظافة رضيعها شىء له أهميته . كما أن ملاطفات المرأة الفاتنة غير الزوجة عند إعجابها بالطفل لها أهميتها أيضاً . ومما لا شك فيه أن مثل هذه العادات تقوى اللذة الأصيلة المكتسبة وتعززها .

وقليل من الناس فى حاجة إلى أن يعرفوا أن هذه الطاقة من اللذة والألم كائنة . وفى النزوات التى تصحب العادة السرية يحتل الجلد whipping المكانة الأولى . وليس بعجيب أن تأخذ تلك النزوة هذه الهيئة ، إذ أن تخيل تجربة ماضية أسهل من التوسل إلى وصف شيء ليس للمرء معرفة شخصية به ؛ وهذا هو الوضع العادى للاستمناء الصبيانى بالنسبة إلى الامتزاج الجنسى .

ولا يكون الاستمناء انحرافاً إلا حينما يتم فى حياة المراهق بإيثاره إياه على حياة جنسية كاملة ممكنة . وإنه لنشاط عادى للصبى المنقب تنقيباً اختيارياً ليس فيه أى ضرر إلا عند ما يأتى القلق والخوف والجزع ليتجمع ويتركز حوله .

وكثير من المراهقين الذين يعوقهم الطبع أو الظروف عن الزواج ولا يمكنهم التمتع بالعملية الجنسية المحرمة ، ربما يكون هذا هو الحل السوى للحافز الجنسى عندهم . ولكن يجب أن نذكر ونضع نصب أعيننا الحقيقة التى تتركز فى الفعالية الذاتية فهى تشبع الشعور الذاتى إلى حد يصبح فيه معتلا .

واقتران الجلد whipping باللذة الجنسية هو السبيل الذى يمكن أن يوصل إلى القمم الوهمية ، ولذا فقد أصبح عبادة منظمة ذات آداب خاصة ونحياة اجتماعية سفلية .

وله ، كما أسلفنا القول ، أسس طبيعية . ولا ينبغى أن يلتبس علينا الأمر بينه وبين السادية ؛ فالسادية حالة لا يمكن أن تأتى فيها الهزة أو الرعشة الجنسية إلا إذا كانت مصحوبة بالتعذيب والتشويه والبتر ، وتنتهى فى أكثر الحالات بموت الضحية . ويكفى بقاؤها لتذكيرنا بأنه لا وجود لنوع من الرعشات لا يمكن أن يكون ملتوياً فى صالح الغريزة الجنسية .

وبينما نرى أحد الأشخاص فى حاجة إلى التحكم فى الباعث CbJect على رغبته أو مشاغبته والاستبداد به أو تعذيبه ، نرى آخر يختبر اللذة الجنسية الكاملة ويتذوقها حين يكون مغلوباً أو عند ما يُهان ويؤذى ويحتقر . وهذا الأخير هو الذى يطلق عليه : (مازوكى) Masochist

ومتوسط الرجال والنساء يمكنهم أن يكشفوا فى أنفسهم جراثيم الاتجاهين ولا حاجة بهم إلى القلق والانزعاج من هذه المباينة . والملاعبة يمكن أن تضيف صنفاً منسوجاً فى مصلحة الحب بدون خطر من أن يغدو انحرافاً .

والفيتيشية Fetichism انحراف جنسى آخر يأخذ صوراً غريبة . ومعناه فى الأصل أن الباعث على التهييج الجنسى ليس شخصاً بعينه أو أشخاصاً معينين ولكنه بعض شيء . وقد يكون هذا الشيء حذاء أو جورباً أو معطفاً من الفرو أو أى شيء ذا وبر أو خصلة من الشعر أو أى أداة من أدوات الملبس . كما أن أصل الفيتيشية فى جميع الانحرافات قد يرجع إلى بعض تجارب صبيانية يقول الشاعر (ما الحب إلا للحبيب الأول) وهى حقيقة سيكولوجية ؛ ذلك أن سلوك الطفل فى أزمة من الأزمات الانفعالية يمكنه أن يصنع نموذجاً من السلوك حينما تتلافى فيما بعد بعض الحالات بجيل انفعالى يماثلها .

وطبيعى أنه كان ينبغى أن يغير الليبدو ، وهو تيار الحب حينما كان قصده كلما ترعرع الفرد . فهو فى البداية يتركز بكليته فى الذات ، ولكن وظائف الدم تبعث على تحويل التيار إلى نفسها فتغدو محبة لشخص آخر .

وهذا التعلق الأول بالأم جنسى بأوسع معانى الكلمة — ليستبدل به فيما بعد حباً يقوم على تبادل المنفعة والاستحسان .

وإن لم يحوَّل هذا التعلق الأساسى كما يجب ، يحار الفرد فى ارتقائه الجنسى ، ولا تكون شهوته Libido طليقة كما يجب أن تكون لكى تنفذ أو تمر من الأم إلى رفيق الدراسة أو صديق من الجنس ذاته إلى أن تجد أخيراً حبيباً ورفيقاً فى شخص ما من الجنس الآخر . وإنه لو تحرر الدافع الجنسى من الأم ، لكان عرضة لمقابلة الكبت فى اى مرحلة من مراحل النضج والارتقاء ؛ ومن ثم يرتد راجعاً إلى الوراء ، كمجرى من الماء وضعت أمامه السدود ، وينتشر فى مساحة أوسع . ويمكن إذن أن يكون الفرد مراهقاً فى كل شيء ما عدا الحافز الجنسى الذى يظل فى المستوى الصبيانى مضافاً إلى ذلك الشذوذ . وقد يكون نوع الكبت موضحاً بواسطة حالة ثابتة .

يضبط صبى فى السادسة من عمره وهو يقارن هيكله بهيكل أخته التى تصغره ، وبدلا من أن يتغاضى والداه عن هذا الأمر باعتباره دافعاً طبيعياً للاستطلاع ويوجهانه التوجيه الصحيح بتعليمه الحقائق الواضحة ، نراهما يردَّانه عنه بغضب وسخط .

إذن فالارتقاء الجنسى فى الولد قُطع دابره من أول الأمر ، وبعد ذلك حين يأخذ النشاط الغددى فى تنبيه الغريزة والتأثير فيها

لازدياد النمو يشعر نفسه « بعدم الأهمية » فالحادث الأصلي يضاف إليه الشعور بالخطيئة والندم وتأنيب الضمير ، كل هذا لا بد أن ينسى وإلا سيجعله قليل الاهتمام بالجنس الآخر ، وبالتالى تقمع شهوته .

وقد ينجذب وراء تعلقه بأمه واتصاله بها . ولكن بما أنه من غير المعقول أن تظهر فى نزواته ، فإنه يجد بديلا من ذلك فى بعض أشياء فى لا شعوره يقرنها بأمه . وربما تكون رائحة معطفها أو لمسه إياه حين يكون على انفراد هو الذى يؤنس وحدته . وربما يكون الحذاء الذى تركته خارج باب حجرة نومها هو الذى يؤكد له أنها فى الداخل وأنها على استعداد للترحيب به فى سريرها .

وكما أن أى شىء يتناسب غالباً مع ما يشاركه فى العاطفة ، كذلك تأخذ الحياة الجنسية لهذا الشاب صورة العادة السرية تحت المؤثرات الفيتيشية ، وربما لا يرجع إلى عهد بعيد ، ولكنه يرجع إلى أواخر طفولته عند ما شعر فى نفسه بمؤثر سارحين قاده حب الاستطلاع إلى النظر من خلال ثقب مفتاح (الحمام) وقت أن كانت أخته الكبيرة تغتسل .

واحتمال آخر هو أنه قد يصير محباً لإظهار جسده لغيره Exhibitionist غير قادر على اللذة الجنسية السوية ، ولكن يتوق إلى عرض نفسه على بنات المدرسة — وأخيراً ينقاد لبعض نماذج من السلوك المخزون فى الماضى .

هذه كلها أمثلة للانحراف الناتج عن النكوص Regression ولكننا لم نشر إلى التفسير بعد .

ومتوسط البنين والبنات الذين تتراوح أسنانهم بين الحادية عشرة والخامسة عشرة على جهة التقريب يكونون فى مرحلة حب الجنس للجنس Homosexuality حيث يتركز اللبيدو على واحد من الجنس ذاته . وليس معنى هذا أن كل صغير ينغمس فى اللذة الجنسية ، ولكن معناه أن الاهتمام المتيقظ وأوهام أحلام اليقظة تتركز حول بعض زملاء اللعب أو المدرسين .

وهذه الحالة إن كانت فى صورة تبلغ من الصحة والعافية منتهاها يكون صاحبها فيها « شبه بطل » أو يكون « ذا بطش شديد » . وهذه المرحلة تندمج بطبيعة الحال فى المرحلة الثانية والأخيرة من ميل الجنس إلى الجنس الآخر Heterosexuality وضبط اللبيدو وأوصده عن تقدمه كما يحتمل أن يحدث من خوف فى الحياة الجنسية ناتج من مشاهدته مشاجرات عائلية ، أو عن أى سبب من مئات الأسباب المحتملة للأغراض اللاشعورية ، ربما يوقفه (أى اللبيدو) عند مرحلة حب الجنس للجنس . وهنا أيضاً نجد اختلافات وفوارق فى الدرجة والطبع .

ويجد بعض محبى الجنس ذاته أن تصور الامتزاج بواحد من الجنس الآخر يبعث حتما على النفور والاشمئزاز . وآخرون يغالبون شعورهم بكل جهد ليتزوجوا وينسلوا أطفالا .

وبعض الذكور من محبى نفس الجنس تبدو على هيأتهم الذكورة كاملة ، ومزاولة الانحراف الجنسى بين هؤلاء كان يشجع عليها قدماء اليونان إذ كانوا يعتقدون أن هذه الارتباطات إنما جعلت للتدريب الصحيح وللجنود الطيبين . ولقد قيل إن حب الجنس للجنس يقابل اليوم بمثل هذا التشجيع فى بلدان أخرى ولأسباب مماثلة .

وفى الطرف الآخر من السلم يوجد نموذج « اليانسيه » المخنث ، والمرأة المسترجلة . ويوجد غالباً فى مثل هذه الحالات خطأ ما فى الارتقاء الغددى والجسدى . والتقارير الطبية الأخيرة فى أثر تأدية هرمونات الجنس ، فتحت باب الأمل لمثل أولئك الناس ؛ لكى يكونوا عاديين وفى حالة سوية .

ومحبو الجنس ذاته ، من جهة أخرى ليس لديهم الرغبة ليعالجوا ويشفوا وسيجادلون بعد زمن فى تحبيذ طريقهم فى الحياة .

ويجب أن يكون واضحاً للقارئ الآن أن الانحراف الجنسى عصاب Neurosis جوهرى ناشىء عن أسباب مماثلة ، وأنه سهل الانقياد لمعالجة مماثلة شأنه شأن العصابات الأخرى .

والأسباب فى كل الحالات مخبوءة فى اللاشعور . وفى قدرة التحليل النفسى أن يحرر اللبيدو ويجعله يرق إلى طرق سوية . ولكن هذا ليس من الميسور عمله ما دام الانحراف الجنسى يتنحى عن المسئوليات ويتملص منها . والعلاج لا بد أن تصحبه الرغبة فى مواجهة حياة نقية تقية . وليس هناك بالطبع من يرغب رغبة أكيدة فى الشفاء ويترك اليأس يستولى عليه .

عبد العزيز جادو

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوي

— ٤ —

لسائل أن يسألني : إذا كانت جميع الوسائل التي التمسها أولو الأمر لعلاج الأزمات التي يعانيها الشباب قد أخفقت هذا الإخفاق ، فأي باب مأمون يمكن أن يطرقه الشباب وهو على يقين من أنه سيجد فيه ضالته وشفاءه وسعادته ؟

والحق أقول — وأعتذر إذ أضطر إلى الحديث عن نفسي — أنني بعد أن أفنيت كل عمري العلمي حتى الآن وها أنذا أناهز (سن الرشد) التي يقولون ، وبعد أن أذويت شبابي وما زلت في أبحاث شاقة متشعبة — لم أجد ما أجيب به غير كلمتين اثنتين : العلم والدين . أما الدين فأقصد به الدين النقي الخالص ، وأما العلم فأقصد به العلم اليقيني الثابت من ذلك الذي يسميه الإنجليز Science

وكما يقول بعض الباحثين : « إن الدين وإن انحطت درجته بين الأديان ووهى أساسه ، فهو أفضل من طريقة الشك والإلحاد ، وأمس بالمدنية ونظام الجمعية الإنسانية ، وأجل أثراً في عقد روابط المعاملات ، بل في كل شأن يفيد المجتمع الإنساني ، وفي كل ترق بشرى إلى أية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الأولى [1] »

ورحم الله ذلك الفيلسوف العربي الشاعر أبا العلاء حيث يقول :

قال المنجم والطبيب كلاهما : لا تحشر الأجساد ، قلت إليكما
طهرت ثوبي للصلاة وقبله طهر ، فأين الطهر من جسديكما ؟
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

أما العلم الثابت فلأنه يحترم نفسه ويعرف لها قدرها فلا يزج بها إلى ما فوق طاقتها ، ولا يقول عن شيء إنه حقيقة حتى يتثبت بالتجربة الدقيقة الصحيحة ؛ ولهذا فحقائقه ثابتة بعكس الفلسفة فمعظمها آراء ظنية يخيل إلينا أصحابها أن الحقيقة هي ، ومن هنا نشأ الخلط والتناقض فيها مع الغموض ، ولم تكتسب كالعلم صفة البقاء والخلود .

أما العلم فلا يخلط بين الظن والحقيقة — ولا سيما فيما يمس الدين — متعصباً لرأيه كما تفعل الفلسفة ؛ بل يقول في تواضعه المعهود على لسان بعض رجاله : « الفرق بين أي اعتقاد ديني وبين نظرية علمية أن الاعتقاد فيه عند معتقديه عنصر من الحقيقة المطلقة . أما النظرية العلمية ، فهي عند أهلها صحيحة ما دامت نافعة . ويعتبر رجل العلم حتى أحسن نظرياته وسيلة مؤقتة تعينه على طريقه . ولا ينفك ينظر حوله منقباً لعله يجد شيئاً خيراً منها وأشمل .. .

ويرى بعض الفلاسفة من أتباع وليم جيمز أننا حين نقول عن معتقد إنه حق لا نعني أكثر من أنه نافع — أي أن كل حق في رأيهم إنما يحكم له أو عليه بالاختبار والتجربة لا عن طريق آخر [1] »

أما إذا خرج العالم عن دائرته (دائرة الحقائق القطعية) وأدلى برأي فيجب أن نحترس منه ولا نقبل كل قوله من غير تمحيص ؛ لأن العالم أحياناً يتفلسف ولكل عالم هفوة .

ومهما يكن فلكل شيء حد إذا جاوزه اختلت موازينه ، وكما يقول ابن خلدون في مقدمته : « لا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وبأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله ، وسفه رأيه في ذلك . واعلم أن الوجود عند كل مدرك له في بادئ رأيه ينحصر في مداركه لا يعدوها ! والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه : ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في عالم المحسوسات الأربع والمعقولات ، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات ؟ وكذلك الأعمى بالنسبة للمرئيات ... ولو أننا سألنا الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات » من منطق ورياضة ... الخ « وكانت ساقطة لديه كلية » وكذلك الدودة بالنسبة للجهات النائية والسماء . فهل ينحصر الوجود حقاً فيما ندرك وما عداه معدوم ؟ « فاتهم إدراكك ومدركاتك واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقاد وعمل لأنه أعلم بما ينفعك وأحرص على سعادتك » .

« العقل ميزان صحيح ولكنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة الوجود والنبوة وكل ما وراء طوره ؛ فإن ذلك طمع في محال . ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال » اهـ

وهذه الكهرباء والمغناطيسية والجاذبية كلها موجودات نعرفها — فقط — بآثارها ، ولكن العلم الحديث أثبت أنه لا يمكن إدراك كنهها . فهل معنى أننا نعجز عن إدراكها يجعلنا نستطيع أن ننكر وجودها ؟ .

ولله ما أجل تلك العبارة الرائعة التي تنسب لفيلسوف من أجدادنا الفراعين زعموا أنها وجدت منقوشة على هرم في هيكل إيزيس

(١) من كلام فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله .

(١) The Mechnism of nature للعالم الطبيعي الأستاذ أندراد .

بـ « صا الحجر » وهى : « أنا كل شيء كان ، وكل شيء كائن ، وكل شيء سيكون . ومحال على من يفنى أن يزيل النقاب الذى تنقب به من لا يفنى » . ولـكن العلم بنفس التواضع وبنفس الدقة ورغم كثرة مشاغله استطاع أن ينير لنا الـكثير من معالم الطريق ، وأن يقول كلمة الفصل التى ينتظرها منه العالم بفارغ صبر .

فأثبتت جميع تجاربه على طول الخط وجود قوة مدبرة مسيطرة هي الله ، بل ذهب إلى أكثر من هذا فأثبت كذلك أنه تعالى قيوم ever existing ونزهه سبحانه عن الزمنية والمـكانية . كما أثبت له صفات الـكمال ولنى عنه كل صفة نقص . ذكر ذلك العلامة الفلـكى النابغ السير جيمس جينز فى مؤلفاته ولا سيما فى كتابيه The Universe around us—The Mysterious Universe . وكذلك ذكره غيره من مشاهير العلماء الأفذاذ .

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى نمنى فيـه الدين حينما ننطق بكلمة العلم كما تنبأ بذلك أستاذنا العلامة الورع الدكتور محمد أحمد الغمراوى أستاذ الـكيمياء بكلية الطب .

العلم والدين : وهل هنالك لذة أسمى من لذة المعرفة ؟ وهل هنالك سعادة أكمل من سعادة الاطمئنان ؟ « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » « أولم يتفكروا فى ملـكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون ؟ »

سمعاً وطـاعة ! لقد تفكرنا وتحققنا فآمنا ولم يبق إلا أن نفرغ من مشاغلنا المتعددة فنـكمل إيماننا بالعمل .

هذا ما أجاب به العلم الحديث بعد طول تأمل وتدبر .

وإن هذا التفكير العلمى المتأمل فى نظام الـكون أنطق شيخ الإلحاد الفرنسى فولتير فى أخريات حياته بقوله : « إنه لا توجد ساعة بدون ساعاتى يصنعها » :

أما الدين فمعروف أمره وليس هذا مجال البحث فيه . وأما العلم فأى شيء لديه ؟ وحبذا لو قمنا بسياحة إلى أرضه الطيبة فإن هذا يعود علينا بخير كثير . إلا أن عقولنا المتزنة ، وحياتنا المثقلة بالمواعيد ، وأعصابنا الرقيقة المرهفة ، كلها دواع تستلزم الاقتصاد فى الزمن ، وتجعل من العسير إن لم يكن من المستحيل علينا أن نحتمل حصر الأرقام ، أو نطيق المـكث فى المدن العلمية ومعاملها بين هذا الدخن المتصاعد ، والوهج المتطاير ! فلنكتف بالوقوف فى هذه الزاوية إذن حيث آلة التسجيل التى يدون فيها كل شيء .

وأول ما يصادفنا فى هذا المعمل المتواضع توقيع صغير للفلكى الرياضى النابه السير آرثر إدنجتون يقول فيه : « إن صورة الكون كما ترسمها النظريات العلمية الحديثة ، توضح لنا ترتيباً للعناصر الأساسـية لا يترك فرصة للمصادفة فيه إلا بنسبة واحد إلى ملايين متعددة » . يلى هـذا توقيع متمم للعالم الجيولوجى (لل) يقول فيه : « إننا كلما تعمقنا بأبحاثنا فى أية ناحية من نواحى الـكون نجـد أوضح البراهين على وجود عقل الخالق وعنايته وقدرته وحكمته » .

إلا أن هذا الهمس الذى يعلو بعض الشفاه يشعر بأنه ما زال فى النفس شيء ! ولـكن رويداً رويدا ؛ فها هو ذا النابغة الألمانى (ليبج) عالم النبات الشهير يقدم إلينا فى حزمه المعهود أول البراهين التى نتطلع إليها فى لهفة وشوق :

« إننى أفضل الاعتقاد بأن كتاباً فى علم الـكيمياء أو النبات (كتب نفسه) ونشأ من تلقاء ذاته من المواد غير الحية ، على الاعتقاد بأن ورقة من أوراق الشجر أو زهرة من زهوره استطاعت أن تخلق نفسها وتتـكون من تلقاء ذاتها بواسـطة العوامل الطبيعية المجردة » ثم يبتسم وهو يشيح عنا بوجهه قائلا : « حقاً ! » إن دراسة الطبيعة هى الطريق لعبادة الخالق .

ولـكننا وإن سلمنا بهذه النتائج يلوح أنا فى حاجة لأن نخلو بأنفسنا لحظات نتناقش معها بهدوء : فكيف توصل العلم إلى هذه النتائج ؟ وهل هناك براهين أخر ؟

وقبل أن نتم هذا التساؤل — نجد الرجل النشيط ذا الروح اللطيف الجذاب السير جيمس جينز — وكأنمـا أدرك بفطنته ما نعانى — لأنه يعرف طبيعة النفس البشرية التى قالت لربهـا (ولـكن ليطمئن قلبى) — نجد هذا العالم الإنجليزى يقبل نحونا وبيده طائفة من الـكتب وهو يقول متهللا : إليكم الجواب ! ثم يفتح أولها وهو (الـكون المحيط بنا) لنجده فيه يأتى بمقدمات مهما تعددت وتباينت فإنها تصل بنا حتما إلى شيء واحد هو « أن فى الكون آيات ساطعات صحيحات على وجود قوة مدبرة مهيمنة عليه » لنسمها ما شئنا : المدبر ، المتحكم ، الطبيعة ، الله ؛ فإن هذه الأسماء كلها تصل بنا إلى معنى واحد هو « الرب الخالق » الذى نزلت باسمه الأديان .

(النهاية فى العدد القادم)

إبراهيم البطراوى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

لحظات مع الأستاذ العقاد فى كتاب « الله » :

جاء فى كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العقاد ما يلى :

« ولا يرى علماء المقابلة أن عبادة الشمس كانت معدومة فى أطوار الديانات القديمة ، ولكنهم يقررون أن « ديانة الشمس » لم تنتشر فى تلك الأطوار ؛ لأنها تستلزم درجة من الثقافة العلمية والأدبية لا تتيسر للهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ الخ » ص (٢٩)

وإننى لأشذ عن هذا القول ، وأعتقد أن ديانة الشمس كانت أكثر انتشاراً من غيرها فى العهد البدائى ؛ وذلك لعظم تأثير الشمس على حياة الهمج العامة ، وبخاصة تأثيرها على الزراعة ؛ إذ لا بد أن الهمجى قد لاحظ تأثيرها ولو بطريق الصدفة ، ورأى كيف أن نبتة عاشت تحت أشعة الشمس قد زانها الازدهار والنمو ؛ بينما الأخرى التى نمت فى الظلال قد أصابها الذبول والاضمحلال . أليس فى ملاحظة ذلك ما يدعو الهمجى إلى معرفة مصدر الخير وهو « الشمس » فيتجه إليها ويأخذ بعبادتها ؟ !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلا أعتقد أن هناك من يستطيع القول بأن الهمجى كان قليل الاهتمام بالطوارئ التى تحدث امامه ؛ فلا يهتم للتغيير الذى تحدثه الشمس عند شروقها وغروبها فى طقس إقليمه ، بالإضافة إلى كونها هدفاً لأنظار الهمج على الدوام . فلا يعقل أن الهمجى كان يفترش أديم الأرض ، وينام ملء جفنيه دون أن يفكر فيما يجرى حوله وماوراءه ومايحسه من التبديل الطارئ ، ثم لا يقارن بين الحالتين : حالة شروق الشمس وما تبثه فى الكون من الحركة والنشاط ، وحالة غروبها وما يتبعه من سكون وهجوع !

كل هذا يحمل على الاعتقاد بانتشار عبادتها فى ذلك الزمان . كما أنى لا أرى أن للثقافة العلمية والأدبية تأثيراً فى الأمر ؛ لأن الإنسان يستطيع أن يعرف حقيقة بعض الأشياء دون معرفة بعلم أو أدب ، كأن يحدث ذلك عن طريق الصدفة المحضة أو الإحساس الباطنى الذى يتخيل حقيقة الشىء فيدفع الإنسان إلى الإيمان به .

لهذا كله أرجو من الأستاذ المعداوى أن يكشف لنا عن الحقيقة فيما ذهب إليه الأستاذ العقاد وفيما أدليت به من رأى ، فقد أكون مخطئاً فى اعتقادى وبخاصة إن كان هناك شىء خفى على فلم أتبصره وفاتتنى حقيقة معناه … ودمتم سنداً لمحبى المعرفة وطالبى الثقافة الحقة .

(بغداد — العراق) **عبد الواحد محمد**

أستاذ العربية بمدرسة الكرخ الثانوية

أشكر للأستاذ الفاضل جميل ثقته وحسن ظنه ، وأجيبه فى مجال التعقيب على قول الأستاذ العقاد بأن علماء المقابلة لا يرون أن عبادة الشمس كانت معدومة فى أطوار الديانات القديمة الخ … أجيبه فى هذا المجال بأن هناك فارقاً بين « عبادة الشمس » و « ديانة الشمس » فى واقع الأمر وفيما ذهب إليه الأستاذ العقاد وهذا هو الشىء الذى غاب عن السائل الفاضل فلم يتنبه له .

إن القول بأن « ديانة الشمس » تستلزم درجة من الثقافة العلمية لا تتيسر للهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ صحيح لا غبار عليه ؛ وذلك لأن العبادة شىء والديانة شىء آخر … وإذا كانت العبادة لا تحتاج إلى شىء من الثقافة العلمية ؛ فإن الديانة تحتاج إلى مثل تلك الثقافة كل الاحتياج وأهمها الإحاطة ببعض الشىء بالعلوم الفلكية والحسابية . إن العبادة تقوم على أسس من الشعور بالتأليه والخضوع للاله ، أما الديانة فتقوم على أسس أخرى هى تنظيم هذا الشعور عن طريق إبرازه فى صور شتى من إقامة الشعائر وتقديم القرابين وبناء المعابد والمحاريب .

كلام الأستاذ العقاد إذن عن « ديانة الشمس » صحيح لا غبار عليه إذا قصرناه على الثقافة العلمية لا الأدبية . أما كلامه عن « عبادة الشمس » حين يقول إنها لم تكن معدومة فى أطوار الديانات القديمة فليس صحيحاً فى جملته … إن عبادة الشمس مثلا فى العصر البليوليثى المتأخر لم يكن لها وجود على الإطلاق ، وهو العصر الذى عرفته الحياة منذ عشرين ألف سنة على وجه التقريب . فإذا انتقلنا إلى العصر النيوليثى المبكر وجدنا عبادة الشمس على

نطاق ضيق لا يكاد يذكر ، وهو العصر الذى عرفته الحياة منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد . فعبادة الشمس كانت معدومة تماماً فى أقدم عصور التاريخ ، وكانت شبه معدومة فى عصر آخر أقل قدماً ، وهذا هو التحديد الذى يؤكده بالدليل المادى « ورثنجتن سميث » فى كتابه « الإنسان المتوحش البدائى » ، ويؤكده بأدلة أخرى معنوية كل من العالمين الكبيرين « ج . ج . أتكنسون » فى كتابه « القانون البدائى » و « هـ . ج . ولز » فى كتابه « معالم تاريخ الإنسانية » !

بعد هذا التحديد ، نعرض لشىء من التحليل والتعليل لظاهرة انعدام «عبادة الشمس» عند الهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ كما ورد فى كتب هؤلاء العلماء الثقات ، لنرد به على الآراء الخاصة التى أبداها الأستاذ صاحب السؤال .

لم يكن الإنسان الهمجى فى أقدم عصور التاريخ يعرف لوناً من ألوان التفكير الذى يقوده إلى الكشف عما يجرى حوله من ظواهر الكون وأحداث الحياة ؛ لقد كان كل تفكيره محصوراً فى قليل من الأمور التى تهمه كإنسان يتجنب الخطر حرصاً على حياته ويسعى إلى اجتلاب الرزق ليستطيع أن يعيش . فأفق التفكير عنده كان مشغولا بمثل هذا الإجهاد الفكرى الممثل فى طريقة الخلاص من حيوان مفترس قد يعترض طريقه فى الليل أو النهار ، وفى طريقة الحصول على حيوان أليف يهيئ من لحمه طعاماً يرد به غائلة الجوع ! ... ولقد كان قصوره عن التفكير المتغلغل فيما حوله من ظواهر وأحداث مرجعه إلى قصور اللغة التى تمد فى حقيقتها الدعامة الأولى لكل تفكير عميق . إن الرجل الهمجى فى العصر البليوليثى المتأخر لم يكن يعرف لغة تعينه مثلا على أن يفكر لماذا تشرق الشمس فى الصباح ولماذا تغرب فى المساء ، ومن أين جاء ولماذا يعيش ؟ ! لقد كانت لغته هى لغة الحركات والإيماءات ، وكان فكره يدور حول تلك الأشياء التى تقع فى دائرة إحساسه الساذج الذى لا يفترق أبدا عن إحساس الأطفال ؛ لأن اللغة كما يقول « ويلز » هى يد الفكر التى يطبق بها على الأشياء ويختزنها لديه إلى حين !

وليس من شك فى أن الرجل الهمجى فى ذلك العصر لم يؤت درجة من التفكير تهيئ له نعمة التمييز بين ما هو جماد وبين ما هو حى ... لقد كان يرهبه منظر النهر إذا ما تدفق وفاض ، وتخيفه رؤية الظلام إذا ما أطبق بجناحيه على الكون ، ويعصف بجلده وشجاعته زئير حيوان مفترس أو حدوث رؤيا مزعجة تقض مضجعه . وكل تلك الأمور فى وهمه أعداء يخشاها كل الخشية ويأتى من الأعمال ما يستجلب به رضاها عنه وعطفها عليه !

ولدينا من الأدلة المادية ما يثبت أن تفكير الهمج فى العصر البليوليثى لم يكن يتيح لهم بحال من الأحوال أن يستشفوا ماوراء الظواهر الكونية ؛ فرسوم الإنسان حتى التى تنتسب منها إلى العصر البليوليثى المتأخر لا تقدم لنا أية إشارة إلى أنه كان يهتم أدنى اهتمام بالشمس أو القمر أو النجوم أو الأشجار ... لقد كان كل تفكيره مركزاً فى الحيوان والإنسان دون غيرهما مما يقع تحت حسه وبصره من شتى الصور والمرئيات !

ولقد يسأل سائل : ألم يكن هناك نوع من العبادة يحتل مكانه من نفوس الهمج فى ذلك العصر من التاريخ ؟ ونحن نجيبه بأن هناك نوعاً من العبادة كان له أبعد الأثر فى حياة الإنسان البدائى فى العصر البليوليثى وهو « عبادة الرجل المسن » ... لقد كانت خشية الرجل المسن وأثرها العميق فى نفوس أهله وعشيرته هى مقدمة الشعور الدينى عند الهمج البدائيين كما يؤكد ذلك « جرانت ألان » مقتفياً أثر « هربرت سبنسر » فى كتاب « تطور فكرة الإله » هذا الشعور الدينى الأول كان مبعثه إجلال الأهل والعشيرة للرجل المسن ، حتى لقد كان يحرم على كل فرد أن يلمس رمحه أو يجلس فى مكانه ! ومما كان يبث هيبته وخشيته فى النفوس ، ويبعث على احترامه وتقديره ذلك الدور الذى كانت تقوم به الأمهات فى توجيه شعور الأبناء نحو هذا الهدف المقدس !

هذا فى العصر البليوليثى ، فإذا ما انتقلنا إلى العصر النيوليثى لمسنا بعض التطور فى عقلية رجاله من الهمج وأشباه الهمج ... لقد بدأت مرحلة الرعى البدائى الذى يتطلب الترحل من مكان إلى مكان ، ولقد أجبر الراعى النيوليثى المترحل بحكم هذه الحياة الجديدة على أن يشحذ فكره ليدرك الاتجاهات المختلفة وانبساط الأرض كما أجبر على أن يهتم بالشمس فى النهار وبالنجوم فى الليل لأنها كانت أشبه بموازين يزن بها الوقت وتهديه إلى الطريق وترشده

فى تنقلاته ورحلاته . من هنا نبتت فى نفسه بذور لون من الشعور الدينى يختلف عما سبقه من شعور عند الإنسان البليوليثى ... إن توقير « الرجل المسن » هناك قد تحول هنا إلى توقير هذه الظواهر الكونية ممثلة فى اعتقاده بأنها أجسام ذوات أرواح وشخصيات تقدم له من الهداية والعون ما كان يقدمه الرجل المسن إلى أهله وعشيرته ! ولكن عبادة الشمس على الرغم من هذا كله لم تحظ بنصيب وافر من عناية الرجل النيوليثى حيث وجه جل عنايته إلى عبادة النجوم ؛ لأنها كانت فى رأيه أثبت دليلا من الشمس ! هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كان للثعابين أثر كبير فى نفسه ترتبت عليه أن اضمحلت عبادة الشمس أوكادت لتحل محلها « عبادة الثعبان » ، وبخاصة فى تلك المناطق التى كان فيها للأفعى أهمية عملية خطيرة فى الحياة الإنسانية !

وهكذا ظلت عبادة الشمس شبه معدومة حتى أواسط العصر النيوليثى ، ولم يقدر لها أن تنتشر إلا يوم أن تكتل البشر فى مجموعات إنسانية تنتظم دولا مميزة المعالم موحدة الكيان ، هناك حيث توطدت أركان عبادة الشمس وديانة الشمس فى كل من مصر وبابل وفارس والهند واليابان .

وسيط هيئة الأمم وعدالة الديمقراطية الأمريكية :

يقولون إن فى أمريكا ديمقراطية ، ويقولون إن من مبادئ هذه الديمقراطية الأمريكية تلك المساواة بين رعاياها فى الحقوق والواجبات ... إذا لم تصدق هذا الذى يقال فاقرأ معي هذين الخبرين اللذين طالعتهما فى الصحف منذ أيام :

« حجز معهد الشرق الأوسط فى أمريكا حجرة فى فندق بارك لإجراء مباحثات خاصة بين خبراء شئون الشرق الأوسط غير أن خادم الفندق ما كاد يرى الدكتور رالف بانش بين هؤلاء الخبراء حتى انبرى له ومنعه من الكلام لأنه أسود ، ثم قررت إدارة الفندق إلغاء حجز الحجرة وإعادة النقود التى دفعت لذلك إلى المعهد ، لأن الدكتور بانش زنجى لا يسمح له بارتياد مثل تلك الأماكن » !

هذا هو الخبر الأول الذى طالعته فى « المصرى » .

وإليك الخبر الثانى الذى طالعته فى « الأهرام » :

« صرح الدكتور رالف بانش لمندوب مجلة (كوليرز) الأمريكية بأنه رفض منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكية الذى عرضه عليه الرئيس ترومان لأنه (أى بانش) لا يستطيع الإقامة مع أسرته فى واشنطن حيث يلقى الزنوج اضطهاداً شديداً على أيدى البيض » ! !

رالف بانش وسيط هيئة الأمم المتحدة فى المشكلة الفلسطينية هذا الشاب العظيم المثقف الإنسان الذى خلف الكونت برنادوت عقب أن اغتالته الأيدى اليهودية القذرة ، هذا السياسى الممتاز الذى عرض عليه الرئيس ترومان منصب مساعد وزير الخارجية لكفايته ومواهبه ؛ رالف بانش هذا تحول بينه الديمقراطية الأمريكية فى شخص خادم وبين الكلام لأنه زنجى ، وتحول بينه الديمقراطية الأمريكية فى أشخاص أبنائها البيض وبين المنصب الخطير لأنه زنجى ... ترى كم علامة من علامات التعجب تكفينى لأثبتها فى ذيل هذا التعقيب ؟ أغلب الظن أن مئات الألوف منها لا تمكن أن تكفى لتعبر عما يجيش بنفسى من شتى الخواطر والانفعالات !

لقد كان الأمريكيون ينفقون من ميزانيتهم فى خلال الحرب ملايين الدولارات ليقنعوا الشعوب المضللة بتلك الحقيقة الفذة ، وهى أن الألمان برابرة متوحشون ، لماذا ؟ لأنهم يضطهدون جنساً يستحق الاضطهاد ، ويشردون جنساً يستحق التشريد ، ويحتقرون جنساً يستحق الاحتقار ، وأعنى به تلك الفئة من حثالة المخلوقات البشرية فى كل زمان وكل مكان ! ... قالوا هذا عن الألمان وهم يمثلون نفس المأساة ، وما أبعد الفارق بين جنس وجنس فى حساب الإنسانية وحساب الخلق والضمير ، نعم ما أبعده بين موسى شرتوك ورالف بانش فى مجال التمثيل بالفرد الواحد للألوف والملايين ! !

دكتاتورية حين تصدر عن الألمان وديمقراطية حين تصدر عن الأمريكيين ... وصفقوا ما استطعتم للديمقراطية الأمريكية المزيفة !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

حول الكتب الأدبية بوزارة المعارف :

قررت اللجنة المختصة في وزارة المعارف ، تقرير طائفة من كتب الأدب الحديثة للقراءة الأدبية بالمدارس الثانوية في العام الدراسي القادم ، وهي توزع على الطلبة ، ويقدر ما يؤخذ من كل كتاب بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسخة ، وأهم هذه الكتب ما يلي :

« زعماء الإصلاح في العصر الحديث » للدكتور أحمد أمين بك وقد جدد تقريره إذ كان مقرراً في العام الماضي ، و « الشاعر » للمنفلوطي بدلا من « في سبيل التاج » التي كانت مقررة في العام الماضي ، و « أبو الهول يطير » للاستاذ محمود تيمور بك بدلا من « نداء المجهول » ، و « مجنون ليلى » لشوقي بدلا من « الشوقيات » ، و « المهلهل » للاستاذ محمد فريد أبو حديد بك بدلا من « عنترة » ، و « عبقرية الصديق » للاستاذ عباس محمود العقاد بدلا من « عبقرية عمر » ، و « يوميات نائب في الأرياف » للاستاذ توفيق الحكيم ، و « الباسمة » لعزيز أباظة باشا ، وجدد تقرير الجزء الأول من « الأيام » للدكتور طه حسين بك و « فارس بني حمدان » للجارم .

وقد ثار حول هذه الكتب ، أمران: الأول متعلق باختيارها والثاني خاص بثمنها .

أثار الأمر الأول معالي وزير المعارف عند ما اطلع على الكتب التي قررتها اللجنة ، إذ سأل معاليه عن أدباء كبار منهم الأستاذ الزيات ، لم لم تقرر لهم كتب ؟ وسأل عن كتب قررت وكان قد لوحظ بها أخطاء في اللغة والنحو والموضوع — لم قررت؟

وأجابت اللجنة عن أسئلة معالي الوزير ، ومما قالت إن مؤلفات الأستاذ الزيات فوق مستوى الطلبة ، وأن الكتب التي بها أخطاء قد تعهد أصحابها أن يصححوا هذه الأخطاء في الطبعات الجديدة ! وإجابة اللجنة ، وفيها غير ذلك ، لم تستطع أن تزحزح علامات الاستفهام من مواضعها . وهناك علامة استفهام كبيرة تحدق في اللجنة من تحت إلى فوق ومن فوق إلى تحت .. وذلك أن اللجنة مؤلفة من نحو ثلاث سنين ، للنظر في أمثل الطرق للنهوض باللغة العربية في المدارس وتحبيبها إلى الطلاب ، وهي مهمة وقتية غير دائمة ، واتخذت اللجنة طريق تقرير الكتب الأدبية لتحقيق هذه الغاية ؛ هذا حسن ، ولكن علامة الاستفهام تريد أن تعرف لم فرضت اللجنة نفسها سلطة تنفيذية دائمة ، تقرر وتنفذ في كل عام ، ولا تعرف الجهات الأخرى في الوزارة التي لها شأن فني في الوضوع ، إلا الأوامر تأتي إليها للتنفيذ ، حتى سميت « لجنة الأوصياء » وكأن علامة الاستفهام تريد أن تقف باللجنة عند وضعها الفني الاستشاري ، وقد تسائلها لم أعطت نفسها حق الاستمرار .

والمتأمل في الكتب التي تقررها اللجنة سنوياً ، يرى مؤلفيها « طقماً » ثابتاً لا يأتيه التبديل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا أريد أن أمس أحداً من أولئك الأعلام الذين تقرر كتبهم ، فهم أساتذتنا ومكانتهم الأدبية معروفة وكتبهم نافعة من غير شك . ولكن لم الاقتصار عليهم والاحتفاظ بهم في كل عام ، حتى إن من لم يجدد كتابه يقرر له كتاب آخر ، كأن المقرر هو المؤلف ...

أنا أفهم من تقرير تلك الكتب أنه يرمي إلى غرضين : اتصال الطلاب بالحركة الأدبية العامة ، وتشجيع المؤلفين . والغرضان يقتضيان التنويع في الاختيار بحيث يشمل ألواناً مختلفة من آداب العصر لأدباء مختلفين من مؤلفي العصر ، شيوخاً وكهولا وشباباً. وعندنا طائفة من الأدباء ذوي النشاط المحمود في التأليف قد تقدموا إلى الكهولة ، لم لا يقرر الصالح من كتبهم ؟ وأذكر منهم — على سبيل المثـــال — سيد قطب والعريان وعلى طه والخفيف وعلى أدهم ونجيب محفوظ . ولعل هؤلاء أولى بالتشجيع من أولئك المقررة كتبهم لحاجتهم إليه أكثر منهم ، ولاشك أن الناشئين وغير الناشئين يجدون في إنتاجهم ألواناً مختلفة محببة .

ويلاحظ أن بين الكتب المقررة كتباً لبعض أعضاء اللجنة ورئيسها الدكتور أحمد أمين بك ، وأنا أحب هذا الرجل الكبير ،

ومما أحبه فيه أفكاره التقدمية المبنية على أساس من ثقافة أصيلة.

وليس لهذا علاقة بالموضوع ولكنه استطراد أعود منه لأقول: إنى لا أحب أن يسلبنى ذلك الحب حريتى فى تناول الموضوع بما أراه. بين الكتب المقررة «زعماء الإصلاح فى العصر الحديث» وكانت اللجنة قد قررته فى العام الماضى قبل أن يطبع؛ قررته فى إبريل وظهر فى أغسطس، وبينها «المهلهل» ومؤلفه الأستاذ فريد أبو حديد بك عضو اللجنة. وقد يكون بينها كتب أخرى لأعضاء آخرين لم ألتفت إليها، وهذان المثالان يكفيان لما أرمى إليه، وهو أن هؤلاء السادة يحكمون بذلك لأنفسهم مهما قيل فى تبرير موقفهم وتعليله، وفى الوقت نفسه يحكمون على غيرهم ممن لم تسعدهم الحال بعضوية اللجنة..

ولا أدرى لمن الكتب التى اشتملت على أخطاء تعهد أصحابها بإصلاحها، هل هى لأعضاء فى اللجنة أو لغيرهم؟ وهل كتبوا «التعهدات» ووقعوها أو تعهدوا شفويا؟ وهل تعهدوا بأنفسهم أو تعهد عنهم أولياء؟

أما الأمر الثانى الخاص بأثمان الكتب فأرجئه إلى الأسبوع القادم.

كشكول الأسبوع

□ قرر مجلس المجمع اللغوى فى جلسته الأخيرة اعتبار الأستاذ أحمد حسن الزيات خلفاً لأنطون الجميل باشا، والأستاذ ابراهيم مصطفى خلفاً للجارم بك، فى عضوية المجمع. وقد جرت العادة أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه فى حفلة الاستقبال.

□ يتجه الرأى فى لجنة الأدب بالمجمع إلى عدم تعيين موضوعات البحوث الأدبية فى المسابقة المقبلة؛ بل يكون للمتسابق حريته فى اختيار الموضوع.

□ خطب معالى وزير المعارف فى حفلة اختتام العام الدراسى فى كلية فيكتوريا، باللغة العربيـة، وهو أول وزير مصرى يخطب بالعربية فى هذه الكلية الانجليزية.

□ تحتفل جامعة الدول العربية فى العام القادم بالذكرى الألفية لابن سينا. وقد رأت وزارة المعارف أن تشترك فى هذه الذكرى اشتراكا عملياً باقى الأثر، وذلك بنشر كتاب «الشفاء» لصاحب الذكرى، وألفت لجنة لهذا الغرض تعمل بتوجيه الدكتور طه حسين بك.

□ نشرت «آخر ساعة»: أن صاحبة السمو الملكى الأميرة فائقة تهوى الأدب وتنظم الشعر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ويمتاز شعرها بالمرح والسخرية والنقد اللاذع.

□ كتب الأستاذ محمود تيمور بك فى العدد الأخير من «الهلال» بعنوان «أنهم الأدباء» فقال إن الأدباء استكملوا حريتهم فى خارج أنفسهم، ولكنهم لم يوفقوا إلى تحطيم الأغلال التى تقيد مشاعرهم، وحبذا لو ضرب بعض الأمثلة لما يرمى إليه.

□ قال لى الأستاذ كامل محمود حبيب: إنه كان يريد كتابة كلمة عن كتاب «خمر وجمر» ولكنه بعد أن اطلع على كلمة مؤلفه الأستاذ عدنان أسعد فى العدد الماضى من «الرسالة» — خشى أن يعتبره «مأجوراً» فنكل عن الكتابة. ولنفرض أن أحداً قرظ الكتاب فاعتبره المؤلف مأجوراً كما قال، فالسؤال بعد ذلك: ممن هو مأجور؟

□ ابتداء من ١٥ أغسطس القادم تنتظم فى لبنان حلقة للدراسات الاجتماعية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة، وتلقى فى هذه الحلقة محاضرات وتجرى مناقشات فى الموضوعات الاجتماعية المختلفة ويشترك فيها مندوبون من الدول العربية، وقد وافق مجلس الوزراء على تأليف الوفد المصرى فيها من جماعة من المشتغلين بالدراسات الاجتماعية برياسة سعادة محمد العشماوى باشا.

□ طلبت الحكومة السعودية ندب ثلاثة من مهندسى الإذاعة المصريين للعمل فى إنشاء محطة إذاعة فى جدة، وقد وافقت الجهات المختصة على ذلك.

ولا بأس بالمهندسين، ولكن لتحذر الحكومة السعودية من «خبراء» الإذاعة المصرية فى البرامج واختيار ما يذاع.

متحف الثقافة العربية:

احتفلت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية يوم الأربعاء الماضى، بافتتاح متحف الثقافة العربية فألقى سعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة كلمة نوه فيها بأثر الرابط الثقافى بين الأمم العربية من حيث إنه أهم الروابط بينها، وقال إنه إذا وقع اختلاف على خطط عسكرية أو أغراض سياسية فإن الجميع متفقون على الأهداف الثقافية، كما قال إن العمل الثقافى فى الجامعة ليس مقصوراً على الدول المشتركة فيها وإنما هو لجميع الأمم العربية. وأعقبه الدكتور أحمد أمين بك فبين الأعمال التى قامت بها الإدارة الثقافية والأغراض التى تعمل على تحقيقها، وعرف بمتحف الثقافة العربية وذكر المقصود منه وهو جمع المعلومات والوثائق المتعلقة بشئون الثقافة ونظم المعارف فى مختلف الأقطار العربية وتهيئتها للباحثين، ثم عرض خلاصة هذه المعلومات وأهم الوثائق على الأنظار لإعطاء فكرة واضحة عن الحالة الثقافية فى كل قطر من الأقطار العربية.

وقد دلفنا بعد ذلك إلى مكان المتحف فألفيناه مقسما إلى

أقسام ، منها « التعليم الجامعى » و « التعليم الثانوى » و « التعليم الابتدائى » الخ ، وقد عرض فى كل قسم نسخ من كتبه الدراسية وبعض صور للمدارس وما فيها من نشاط ، وما إلى ذلك مما يتعلق بالنظم والحياة المدرسية ، وعلقت بجدران المتحف مصورات ورسوم بيانية .

والمتحف وإن كان وليداً صغيراً إلا أنه عظيم الفكرة ، وقد نسق تنسيقاً جيلاً فى حدوده الضيقة . وقد ساءلت نفسى بعد مشاهدته : هل هو متحف للثقافة العربية ؟ حقاً إن معروضاته تعطى فكرة واضحة عن النظم والمناهج المدرسية فى البلاد العربية ولكن أين ما يمثل الثقافة العامة والنشاط الأدبى خارج النطاق المدرسى ؟ وهل هو متحف ؟ إن كلمة « متحف » أول ما يتبادر إلى الذهن منها أنما تطلق عليه يضم منتوجات من الفنون الجميلة ، وهو خال من هذه المنتوجات ، أللهم إلا بعض صور فوتغرافية ومصورات جغرافية . كنت أوثر أن يسمى « معرض التعليم فى البلاد العربية » ولو مؤقتاً حتى يتسع ويشمل ما يجعله أهلا لاسم « متحف الثقافة العربية » .

حسن فائق باشا :

فى الأسبوع الماضى عقد معالى وزير المعارف اجتماعاً دعا إليه رجال التعليم فى الوزارة وفى الجامعة ، عرض فيه أمر استقالة وكيل وزارة المعارف سعادة حسن فائق باشا من منصبه ، وقال إنه ألح على سعادته فى البقاء واستعان بدولة رئيس الوزراء على إقناعه بالعدول عن الاستقالة ، ولكنه أصر عليها مراعاة لصحته فاضطر آسفاً إلى قبولها .

وقد كان ذلك الاجتماع حفلا رائعاً لتكريم حسن فائق باشا وتوديعه ، تجلى فيه الوفاء الكريم والتقدير العظيم لرجل خدم العلم والتعليم أربعين عاماً كان فيها ، وخاصة أثناء توليته المناصب الكبيرة ، مثلا للرجل العادل النظيف ... وقد كان معالى الوزير دقيقاً فى وصفه إذ قال له : «عرفتك مترفعاً فى غير صلف ، ليناً فى غير ضعف ، متميزاً على نظرائك فى غير خيلاء ولا زهو» وهذه العبارة من كتاب بليغ وجهه معاليه إلى سعادته بهذه المناسبة . ومن معانى ذلك الحفل أنه كما قال فائق باشا فى كلمته ، تكريم للعلم ورجاله فى شخصه .

كان حسن فائق باشا بوزارة المعارف دعامة لحفظ التوازن فيها فلملك تعرف أن فى هذه الوزارة منذ قديم عهدها تيارات مختلفة وعصبيات معهدية وغير معهدية ، وكان الرجل متجرداً من تلك الصغائر ، ينظر إلى الجميع نظرة واحدة ، لا يعين فئة على فئة ، ولا يقصر فى نصرة الجانب الذى يرى فيه الحق . ومن هنا كانت خسارة الوزارة باستقالته عظيمة .

أرواح هائمة :

هذا هو اسم الفلم الذى ابتدأ عرضه هذا الأسبوع فى سينما بارادى وسينما مترو بول . وهو يعرض قصة تبدأ بمنظر فى مكتب رئيس تحرير جريدة « الحرية » حيث نرى الآنسة هدى رئيسة جمعية تحرير المرأة تحتج على المقالات التى يكتبها الأستاذ زهدى ضد حقوق المرأة ، ثم تدعوه إلى حفلة فى (الأوبرج) تقيمها الجمعية للاحتفال بتخريج الفوج الأول من الفتيات اللائى تطوعن للعمل فى حرب فلسطين ، كى يقتنع بأن المرأة تستحق المساواة بالرجل . وفى الحفلة نرى زهدى مع فتاة عابثة مستهترة باللهو هى مخطوبته ، وهدى مع شاب ماجن هو خاطبها . ثم يتطوع زهدى للقتال فى فلسطين ، وتتطوع هدى للتمريض فى الحرب . ويعود زهدى فى إجازة ، وعند وصوله إلى منزله يفاجأ ببرقية تتضمن أن والده يحتضر ، فيسرع إليه فى سيارته التى تنقلب به فى الطريق فيصاب إصابات شديدة ينقل على أثرها إلى المستشفى العسكرى حيث يعالج فيشفى غير أن وجهه يشوه تشويهاً منكراً . ثم يذهب إلى مخطوبته ، وهو يخفى دمامته بقناع يبدى الوجه طبيعياً ، ويلومها على سلوكها ، ويفسخان خطبتهما ، وكذلك تفسخ هدى وخاطبها خطبتهما فى منظر آخر ، وبعد ذلك نرى زهدى يغازل بعض الفتيات ، ثم يخلع القناع ويبدى لهن وجهه فينفرن منه . ثم يلتقى بهدى ، ويغازلها وهو مقنع ، ثم تكشف هى أنه المريض الذى كانت تمرضه فى المستشفى وخرج مشوه الوجه ، فتنفر منه أولا ، ثم تذهب إلى أبيها وتقول له إن زهدى يريد أن يخطبها إليه فيرسل الوالد إليه ويفاتحه فى الأمر ، فيرفض زهدى ويكشف له وجهه ، ولكن هدى تبدى رغبتها فى زواجه لأن تشويهه من التضحيات الوطنية ، ثم يذهب والدها به إلى سويسرا ويعالج وجهه حتى يعود إلى طبيعته .

وفى الفلم فجوات وتضاريس ... منها أن زهدى يلتقى بهدى



مدفن الإسكندر :

قرأت الكلمة التي كتبها الأستاذ كاظم المظفر (حول مدفن الاسكندر) رداً على ردي على ما كتبته من قبل .

لا زلت أقرر وأكرر وأؤيد ما قلته من قبل من أن الاسكندر الأكبر توفي في مدينة بابل وأن تابوته لا يعرف مكانه حتى الآن وأنه عند وفاته لم تسكن أمه في مصر بل كانت في بيللا مسقط رأس عائلة الاسكندر .

يسألني الأستاذ كاظم : من أين استقيت ما أقول ؟ فأقول له : إن جميع المؤرخين اليونانيين والألمانيين والفرنساويين والانجليز وغيرهم حققوا ودققوا وقالوا ما قلت وقولهم هو عين اليقين منهم المؤرخ اليوناني أربيين Arien وها ما قاله عنه صاحب القاموس العام للتراجم والتاريخ والجغرافيا القديمة والحديثة :

C'est Arrien qui, écrivant d'aprés les mémoires de quelques lieutenants d' Alexandre, a composè le livre le Plus consciencieux et le mieux raisonnè sur ce sujet

ومثله المؤرخ دروزن الألماني الذي كتب كتابه المشهور « تاريخ الاسكندر » المطبوع في برلين في سنة ١٨٣٣ [1] .

ومن قبله المؤرخ الإنجليزي وليمس الذي كتب عن (حياة وحروب الاسكندر الأكبر) .

ومثلهم المؤرخ الفرنساوي سنت كروا Sainte Croix الذي وضع كتاباً عن بحث ونقد ما كتبه مؤرخو اسكندر الأكبر . وهذا الكتاب طبع ونشر في سنة ١٧٧٥ وقد وصفه صاحب القاموس سالف الذكر بقوله إنه :

(١) والمؤرخ دروزن Droysen هذا حذق اللغتين اللاتينية واليونانية، ودرس كتب بلوطرخوس وكونت كورس وتوسيديد وكسنوفون وأصبح ثقة في التاريخ .

في المرة الثانية على أنه أول لقاء وقد سبق أن تعارفا ، ولست أدري لماذا جُعلت إصابة زهدي في السيارة بعد أن عاد من الحرب وكان الأولى أن تكون إصابته في الميدان حتى يتحقق معنى التضحية التي قدرتها فيه هدى ؟ وفي حفلة (الأوبرج) لم نر فتيات مجندات غير الست هدى . ولم يكن طبيعياً أن يعنف السيد زهدي مع مخطوبته ويكشف لها وجهه فترى بخاتم الخطبة في هذا الوجه الكريه ، ثم يقبل عليها بعد هذا بشغف وبينها هواه ويذكرها بالذي كان .

ثم أريد أن أسأل عن هدف القصة ، هل هو الاعتراف في آخر الأمر بأن المرأة تستحق المساواة بالرجل ؟ تظهر في القصة هذه المحاولة ولكنها لا تستند إلا إلى شخصية هدى ، وقد انتهت عقدة القصة بقبولها الزواج من الرجل الذي قدرت شخصيته وتضحياته ... ولكن هذا التقدير لم يظهر إلا في كلمات مفتعلة عند ما أبدت رغبتها في هذا الزواج ، ولم يكن لهذا « الشعور » مقدمات ، ثم هل هذا يعني المساواة ؟ وقد أضفى منظر الوجه المشوه على الفلم روحاً ثقيلاً قابضاً ، وقد انطلق صاحبه يخفيه ثم يظهره فيفزع بنات الناس ويروعهن ... ولست أدري هل « الأرواح الهائمة » هي أرواح هؤلاء البنات المروعات ، أو هي روح صاحب الوجه الشاردة وراءهن ، وقد جمعت على « أرواح » اعتباطاً ..؟ فإني لم أجد بالفلم ما يدل على اسمه « أرواح هائمة » غير ذينك الفرضين . أو لا تكون الأرواح الهائمة هي أرواح الجمهور التي شردتها مشاهدة الفلم ... ؟

وقد مثل في هذا الفلم أحمد علام وزوزو حمدي الحكيم ، وقد ظهرا في بضعة مناظر قصيرة ، وكليا (هدى) ولولا صدق (مخطوبة زهدي) وقد أحسنت كليا في دورها غير أنها كانت متكلفة في زيها العسكري وجامدة في التمريض . أما لولا صدق فقد أجادت في تمثيل الفتاة العابثة وقد تخصصت في هذا الدور . وأما سائر الممثلين والممثلات فأكثرهم وجوه جديدة ، ومنهم بطل الفلم (زهدي) واسمه سليمان عزيز ، وكذلك المؤلف سامي عزيز ، وقد أخرج الفلم كمال بركات . وأود لهم التوفيق في مقبل الإنتاج .

عباس خضر

Le principal monument de L érudition de L ' anteur; vérttable trésor de L' histoire d ' Alexandre oû la noble - -sse d' un style un peu prolixe se Joint â La Profondeur et à L'exactitude des recherches

فإذا أضفت إلى كل هـذا كتاب بلوطرخوس Plutraque عرفت صحة المصادر التي استقينا منها ما كتبناه .

على أن من ينعم نظره فيما كتبه الأستاذ كاظم يدرك على الفور بأن المصادر التي استند إليها هو لا تفيده . فمثلا استند إلى البستاني الذي قال (ولمـا استولى الاسكندر على بابل كانت خربة بالنسبة إلى حالتهـا الأولى فعزم على إعادة بنائها وجعلها عاصمة لملـكته في آسيا ، غير أن المنية أدركته قبل إنفاذ مقصده) هذه الجملة ليس فقط لا تفيد أن الاسكندر لم يمت في بابل ، بل ترجح بالعكس أنه مات فيها. وكون المنية أدركته قبل إعادة بنائها وجعلها عاصمة لملـكته في آسيا لاينفي وجوده وموته فيها بعد تجديد بنائها وتعميرها . لأن اسكندر لما رأى الخراب عم مدينة بابل أمر ٢٠ ألفا من جنوده برفع أنقاض العمارات المتخربة ورفع أنقاض معبد بابل ثم البدء فوراً بترميم ما تخرب من المدينـة وتعميرها وتجميلها لتـكون مقراً له ؛ وجعل تنفيذ هذه الأعمال تحت إشراف حاكم بابل ، ثم أمر بحفر ترعة على مقربة من بابل . فما قاله البستاني صحيح في بعضه وغير صحيح في كله .

ثم يقول الأستاذ كاظم إن (المسعودى لم يتحقق تماماً من المكان الذى مات فيه الاسكندر ، وأنه ذكر فى ذلك أقوالا ثلاثة لم يرد فيها اسم بابل) وهذا استدلال غير منتج أيضاً .

على أن من القرائن الواضحة — عـلاوة على أقوال وتحقيق المؤرخين الذين ذكرتهم — على أن الاسكندر توفى فى بابل أن جميع المؤرخين رووا أنه قبل دخول الاسكندر مدينة بابل حذره المنجمون من دخولها وقالوا له إذا دخلت بابل كان دخولك وبالا عليك ، فلم يحفل الاسكندر بتحذيرهم ودخلها فـكانت وفاته فيها فى يوم ١١ يونيه سنة ٣٢٣ قبل الميلاد . ومن القرائن أيضاً أنه عقب وفاة الاسكندر نودى بابنه ملـكا فى مدينة بابل نفسها خلفاً لأبيه . فإن كان الاسكندر مات فى ديار ربيعة أو فى العراق بناء على أن بابل كانت خراباً يباباً لما نودى بابن الاسكندر ملكا فى بابل

أما قولى بأن تابوت الاسـكندر لم يعرف له مقر حتى الآن فتؤيده الأبحاث والحفريات والتحقيقات الجارية حتى الآن . كما يؤيده مضى ٢٣٠٠ سنة على وفاة الاسكندر وعدم العثور على تابوته حتى الآن . وإن كان الأستاذ كاظم يعرف أين مقر هذا التابوت فليرشدنا ليكون له شكر جميع المؤرخين في العالمين القديم والحديث .

أما ما صرح به المسعودى من أن الاسكندر (عهد إلى ولى عهده بطليموس أن يحمل تابوته إلى والدته بالاسكندرية) فقول بعيد عن الحقيقة بُعد الأرض عن السماء ؛ لأن إقامة الاسكندر فى مصر لم تطل أكثر من ستة شهور ما كانت تـكفى وما كانت تستحق سفر أمه من بيللا إلى مصر . ولم يقل أحد من المؤرخين أنها تركت مقدونيا وحضرت إلى مصر ، بل أجمع المؤرخون على أن بطليموس أحد قواد الاسكندر أراد أن ينفذ وصية الاسكندر عندما أوصى بأن يدفن فى واحة سيوه بجوار أبيه آمون رع . وقد حار المؤرخون فى أمر معرفة إن كان تابوت الاسكندر نقل حقيقة من بابل إلى مصر . ولما أشاع بعض المؤرخين أن تابوت الاسكندر موجود فى مصر وعين بعضهم موضعه فى شارع النبي دانيال قام المغفور له الأمير عمر طوسون بعمل حفريات على مقربة من مسجد النبي دانيال فلم يعثر على شيء .

إن الرجوع إلى بعض المؤرخين العرب مثل المسعودى وابن خلكان والخطيب فى جميع الحوادث القديمة وعلى الخصوص فيما تعلق منها بغير العرب من إغريق ويونانيين ورومانيين وغيرهم غير مأمون العواقب ، لأنهم لم يحققوا ولم يدققوا بأنفسهم كما فعل المؤرخون الأفرنج ، لأنهم يكتفون بنقل ما يقوله من سبقهم نقلا بغير تحقيق وبغير تدقيق . فقول الأستاذ كاظم بأنه (لا يخفى ما لابن خلكان والخطيب من شهرة واسعة فى عالم التاريخ وما لديهما من خبرة ودراية بشـئون الأمم القديمة وأحوال ملوكها وأيامها وغير ذلك) لا يكفى لاعتماد ما يقولونه بغير بحث وبغير الرجوع إلى أبحاث العلماء الذين بحثوا وحققوا ودققوا وأصبحوا ثقة فيما يكتبون وفيما يقولون ...

عزيز خانكي



مادلين

للأديب يوسف جبرا

« لم تجف الزهور البيضاء التي وضعوها على قبرك ، ولم تتلاش أصداء النواح من الأفق بعد . لقد كف جرس الموتى عن دقاته الحزينة المتفرقة ، ولكن الأسى لم يكف عن دق الصدور التي اشتملت على صورتك الحبيبة يامادلين ، والدمع لم يكف عن الاشتعال في مآق تسهر الليل بعدك ...

ها هي ذي الشمس تغمض جفنيها بين فلذات من الدم القاتم ، وها هو ذا وشاح الليل يلف الكائنات ، وها هي ذي الأشجار الضخمة في نواحي المكان ساكنة واجمة ... الجميع يشاركونني آلامي ووحدتي ... وأنت في طي لحدك يامادلين راقدة ، كما رقدت ما جد ولين المسكينة من قبل ! »

* * *

أقبلت علينا صاحبة النزُل في صباح تقول : بشرى لكم... إن أسرة صغيرة من مواطنيكم توشك أن تحل هنا : أب وابنه وابنته ... لقد أعددنا الغرفة المجاورة وهيأناها ، وستكون هنا في المساء » .

وانطلقت صاحبة النزل فانضمت إلى أختيها في الغرفة الكبيرة التي كنا نسميها « الإدارة » . كن ثلاث أخوات سوريات يشتغلن بالخياطة ويدرن هذا النزل الصغير الأنيق . وكان للثلاث طابع واحد ... بدانة مفرطة تصحبها رقة وظرف — وكثيراً ما تكون البدانة والرقة صنوان !

أما « الإدارة » فهي المكان الذي تجلس « الركائب » الثلاث في ناحية منه معظم النهار ... بينما تتناثر في النواحي الأخرى ماكينات الخياطة ، والفتيات اللواتي يتعلمن المهنة ، وخليط من الأدوات والأقمشة والسلال ... دائماً ! وفي هذه الغرفة يتشاور الثلاث البدينات همساً في ما يهمهن من الأمور التي تختص بالنزلاء ؛ وفي هذه الغرفة تقوم « الزبونات » بتجربب « البروفة » أمام المرآة وتسلم الثياب التي تكمل خياطتها .

وفي هذه الغرفة تنعقد جلسات عائلية بين الأسر المقيمة بالنزل ، فينصت الجميع إلى حكايات طريفة تحكيها « الركائب » عن أصلهن الرفيع وعن الشبان الذين تقدموا للزواج منهن في غابر الأيام ... وكان نصيبهم جميعاً الرفض !

في ذلك المساء قدمتنا كبرى الأخوات الثلاث إلى مادلين وأسرتها الصغيرة ... أما أبوها فكان رجلاً ، مسناً ، في فمه أسنان صناعية ، وعلى عينيه منظار غائم لا تكاد ترى عينيه من ورائه . أما الأخ فكان شاباً ظريفاً لما ينته من دراسة الطب . أما هي — مادلين — فقد بدت فتاة في الربيع الخامس والعشرين من عمرها ، نحيلة ، سمراء ، في عينيها لهيب قاتم ، وفي خصلات شعرها الأسود المهدل فن وعبقرية .

كانت الصورة الأولى التي وعتها لها ذاكرتي هي تلك ، وكانت إذاك في ثوب بنفسجي اللون ، يزيد لهب عينيها قتامة وسحراً . كانت مرحة كثيرة الضحك ، وكان أول ما فعلته أن دعتني إليها — وكنت إذاك في السادسة من العمر — فقالت لي : ما اسمك ؟ » وحاولت أن أجيب ... ولكن قبلتها كوت في وخدي ، وأرسلتني أعدو إلى أمي في تعثر وخجل ! ..

وسرعان ما اتصل الود بين مادلين وبين أمي ، فكانتا تشتركان في كل أمر من الأمور ... كنت تراهما معاً طيلة الوقت في المطبخ ، أو أمام ماكينة الخياطة ، أو في الخارج تبتاعان شيئاً ... إلى آخر هذا كله !

واتصل الود أكثر من هذا بيني — أنا الصغير — وبين مادلين . كانت دائماً تدخر لي جانباً من الحلوى ، وكانت دائماً تستقل هي بعمل ما أحتاج إليه من قطع الملابس الصغيرة ، وكانت في كثير من الأحيان تصحبني معها إلى الخارج ... ومن قبل ومن بعد كانت تحيطني بساعديها وتضمني إلى صدرها الحار لتغمرني بقبلات لا عداد لها ... قبلات محمومة والهة أشعر أنا

الصغير بأنها تختلف كثيراً عن قبلات أمي وسائر من بالمنزل ...

أما من ناحيتي ، فقد كنت أحب كثيراً أن تقبلني ، وأن أملأ خياشيمي الصغيرة بعطر البنفسج الذي يفوح دائماً من شعرها الحالك . وكنت أحب أن ألوذ بغرفتها التي كانت غالباً ما تخلو من الأب والأخ ... وهناك أطل من نافذة كبيرة على سطح دار مجاورة — كانت على ذلك السطح بقايا لعب ملونة ، وأصص صغيرة في كل واحدة منها زهرة حمراء ! .

... إلى أن كان ذلك اليوم الذي رأتني فيه أمي بين ذراعي مادلين وهي تقبلني تلك القبلات المحمومة ، فدعتني إلى غرفتنا بعيداً عن أنظارها ، ثم عبست في وجهي وحذرتني قائلة : لاتدعها تقبلك مرة ثانية .. أفاهم أنت ؟ لاتذهب إليها إن دعتك .. إياك ! وعرتني الدهشة ، ولم يستطع عقلي آنذاك أن يفسر ذاك التصرف الغريب .. أتحرمني من مادلين ؟ .. لماذا لا أدعها تقبلني ؟ لماذا لا أذهب إليها ..

رحمك الله يا أمي ، فما كنت آنذاك أستطيع أن أدرك شيئاً مما كان يدور بخلدك..أنت يا من حنكتك التجارب وعرفت من أمور الدنيا الكثير . أما الآن ، وقد كبرت واتسعت مداركي ، فإني أعتب عليك يا أمي — أعتب عليك حتى وأنت في عالمك الآخر : لماذا دار بخاطرك ما دار عن مادلين ؟ هل كانت مادلين كغيرها من البشر ؟ لماذا حرمتني منها ، وحرمتها مني ؟ إن الأمر لم يكن أكثر من أنها فتاة جياشة العاطفة طال بها انتظار الزواج والأمومة .. فلماذا قصرت عن فهمها ؟ ...

وقد كان محالا أن أقطع صلتي بها هكذا دفعة واحدة ! أريد على الأقل أن أعود لرؤية الصور الجميلة التي بغرفتها ، وأن أطل أحياناً من النافذة الكبيرة على السطح المليء باللعب وأصص الزهور !.. وهكذا مضيت إلى أمي ، وتوسلت إليها والدموع في عيني قائلا : لا أدعها تقبلني ..لكن دعيني أذهب إليها إذا نادتني مثلا ! فنظرت إلى نظرة حادة ، وقالت : حسن .. سنرى !

« وفي ذلك المساء دعوتني إليك يا مادلين ، وأريتني آلة للتصوير اشتراها أخوك ، ثم حاولت من بعد أن تقبليني . . كدت أن أستسلم أول الأمر حسب ما اعتدت ، لكني تذكرت والدتي .. فاضطربت ! لكنك ألححت يا مادلين ، فلما حاولت أن أتخلص من ذراعيك .. عرت وجهك سمات الدهشة ، وقلت ماذا .. ألا تريد أن أقبلك ؟ »

وحاولت أنا أن أنظر في عينيك لكنني لم أستطع ، فأرخيت أهدابي ، وكان طبيعياً أن تلحظي في تصرفي إزاءك شيئاً غريباً طارئاً ، فوضعت يديك على كتفي ، وحدقت في بعينين تجلت فيهما الحيرة ، وقلت : لماذا ؟ .. لماذا لا تريد ؟! »

وفي براءة الطفل، كأني أريد أن أخلص من هم يجثم على صدري ، أو كأنني أريد أن ألصق التهمة بصاحبتها ، رميت في وجهك بالحقيقة ويدي تخفي اضطراب وجهي ... قلت : أمي قالت لي . لا تدع مادلين تقبلك ! » . فكأنما أصابتك لطمة شديدة ... لقد شحب وجهك الحبيب ، وغامت عيناك فتلاشى منهما ذلك الألق الحار في الضباب . صرفتني في لطف، لكني مضيت إلى تلك الشرفة الكبيرة التي تطل على الميدان الفسيح ، وهناك انتحيت ركناً بعيداً ، وجلست أبكي — لم أكن أبكي وحدي في تلك الساعة .. لقد رأيت في يدك منديلا صغيراً وأنت تحملين الطعام إلى أبيك في الليل!

ولم يكن في مقدورك أن تطيلي الصبر أو السكوت ، ففي صباح اليوم التالي فاتحت أمي في الأمر — كان ذلك وهي تطهو الطعام — فعاتبتها عتاباً رقيقاً ، فأنكرت يامادلين وقالت إنني — أنا — قد اخترعت ذلك الشيء اختراعاً ..!

ولم تصف القلوب في تلك الساعة ، فكان أن تشاجرتما من بعد كطفلتين ، وكان أن انطلقت كل واحدة إلى غرفتها تغسل كبرياءها بفيض من الدموع السخينة .

كان اليوم التالي يوم الرحيل ، فاستطاعت كبرى الشقيقات الثلاث أن تصلح بينكما ، فتعانقتما عناقاً مؤثراً ، وأبت أمي إلا أن ترتدي ثياب الخروج من وقتها وتصحبك أنت وأسرتك الصغيرة إلى القطار .! أما أنا ، فقد أوعزت أمي لإحدى الشقيقات أن تأخذني إلى « الإدارة » لتقص على قصة شائقة ، حتى لا أفكر في اللحاق بك . كانت تعلم مدى تعلقي بك ، فكنت عند « حسن ظنها » وهربت من الأخت الطيبة إلى الشرفة المطلة على الميدان الفسيح ، ومن هناك جعلت أصغي إلى أصوات القطر الغادية والرائحة ، متخيلا إياك وأنت ترحلين إلى السودان!

مضت علي أيام من بعدك قضيتها في ذكرى الحبيبة ، كلما أتاني صفير القطار اغرورقت عيناي بالدموع ، وكلما نظرت إلى غرفتك الخالية أكل قلبي الأسى . ثم كان أن انتهت أيامنا بدورنا ورحلنا إلى السودان — كنت أحس دائماً بفرحة كلما عدنا إليه ، لكنها كانت هذه المرة فرحة زائدة ... تذكرني

بشموري يوم عدت إلى دارنا بعد أن ضللت في إحدى المرات نهاراً كاملاً . ولقد تخيلت أني سرعان ما ألقاك يا مادلين ، لكن آمالي خابت إذ عرفت أنك تقيمين في بلد مجاور ، ومن ثم فلا أمل في شيء أكثر من زيارات معدودة ... ربما اعترضت أمي أيضاً على أن تصحبني فيها .. ما كان أشد فرحتي يوم زرنا بيتك للمرة الأولى ! كان البيت جميلاً يوحي بالرغد والسلام ، وكانت بالفناء شجرة تين جعلت تقطفين منها وتطعمينني ، وكانت بالفناء الآخر «عشة» كبيرة فيها سرب من اليمام الجبلي ، وقبل هذا وذاك كنت أنت هناك .

لقد كانت المرة الأولى والأخيرة يا مادلين ، وإني لا أزال أذكر كيف ظهرت مرحة أمام الجميع حتى لكأنك فتاة مقبلة على الزواج! ما ذا قلت! سامحيني.. فربما أكون قد مسست شعورك! لا أنكر أني تساءلت طويلا ... لم بقيت دون زواج حتى ذلك الوقت؟ لو كنت زوجة آنذاك وكان لك أطفال ، لما أفرغت على كل هذا الحب ، ولما تركت في حياتي ذلك الأثر العميق ! ... ثم كان يا مادلين أن حملوا إلينا ذلك النبأ السيء ، حملته إلينا جارة تمت إليك بصلة قرابة ، قالت إنك شغفت بالقصص وأدمنتها إدماناً شديداً — وجدك أخوك ذات يوم نائمة وعلى صدرك قصة حب ضممت عليها راحتيك ... فما كان منه إلا أن جذبها منك في عنف وهو يصرخ بك : استيقظي ! كانت حماقة منه كلفتك أعصابك . لقد دهتك نوبة حادة انتهت بذلك « الشلل » الذي أصاب إحدى يديك ! أواه يا مادلين ! قالوا إنك بت ضحية للسقم والعلة ، وإنك تذوين كغصن في طريقه إلى الجفاف . كان من سخف الأيام أن منعتنا زيارتك في ذلك الوقت ، وأن شهوراً مرت فكدنا ننسى أمرك كل النسيان .

وفي يوم سعيد — أحد أيام العيد الثلاثة — كانت ساحة البيعة في أوج زينتها ، تموج بالناس رجالا ونساء ، شيوخاً وأطفالا ، وكانت هناك حلقة منهم تحت شجرة « اللالوب » الضخمة في ظل البرج الكبير ، وفي وسط الحلقة شاب ظريف يقوم ببعض الألعاب ليضحك الناس . لمحتك فجأة ، وأنا على حافة الجدار مع ثلة من الرفاق ، مع فتاة أخرى في ناحية من المكان . لم أكد أعرفك يا مادلين ، لكنني أحسست أنه لا بد أن تكوني أنت ، فوثبت إلى الأرض دون أن أعي ، ورحت أخترق جموع الناس وقلبي يدق في خبل !

آه ، كم كنت جميلة في ذلك اليوم يامادلين ! كنت في معطف من الصوف أحمر اللون ، وكانت على رأسك قلنسوة بديعة حمراء أيضاً ، وكنت كأحسن ما تكون الفتاة صحة وجمالا . لم تبخلي على بقبلة صغيرة في خدي ، ولكن ترقرقت في عينيك آنذاك دموع الفرح والسعادة ؟ لقد رأتك أمي في تلك الساعة فأقبلت عليك تحييك في شوق واهتمام .. وأي اهتمام ! لقد أثرت يا حبيبتي يومها حسد النساء وألهبت قلوب الرجال — وصدق أنني فرحت لك كل الفرح إذ قالوا إنك ستتزوجين ... أخيراً !

ستجدين إذن من تفرغين عليه ذلك الحنان المكبوت ، وسيروى حقلك الظامئ أيضاً بفيض من الحب والرعاية .. لكن جاء ذلك اليوم المشئوم .. بعد شهر من الزمن .. اهتز البرج الكبير في الصباح ، ودق الجرس الضخم في أعلاه دقات متقطعة رهيبة ! لقد غرقت سفينة كانت تحمل خطيبك .. وغرق كل أمل باق لك في الحياة ! لم تتحملي الصدمة يا مادلين .. فعادتك نوبة شديدة كانت هي النهاية ! هاهي الشمس تدرج في السماء ، وهاهي الطيور البيضاء تنشر أجنحتها على قبة البيعة ، وهاهو الندى يترقرق بعد على الغصون وإلى الساحة الكبيرة يحملون نعشاً أبيض صغيراً، نعشك أيتها العروس !

يوسف جبرا

مطبعة الرسالة



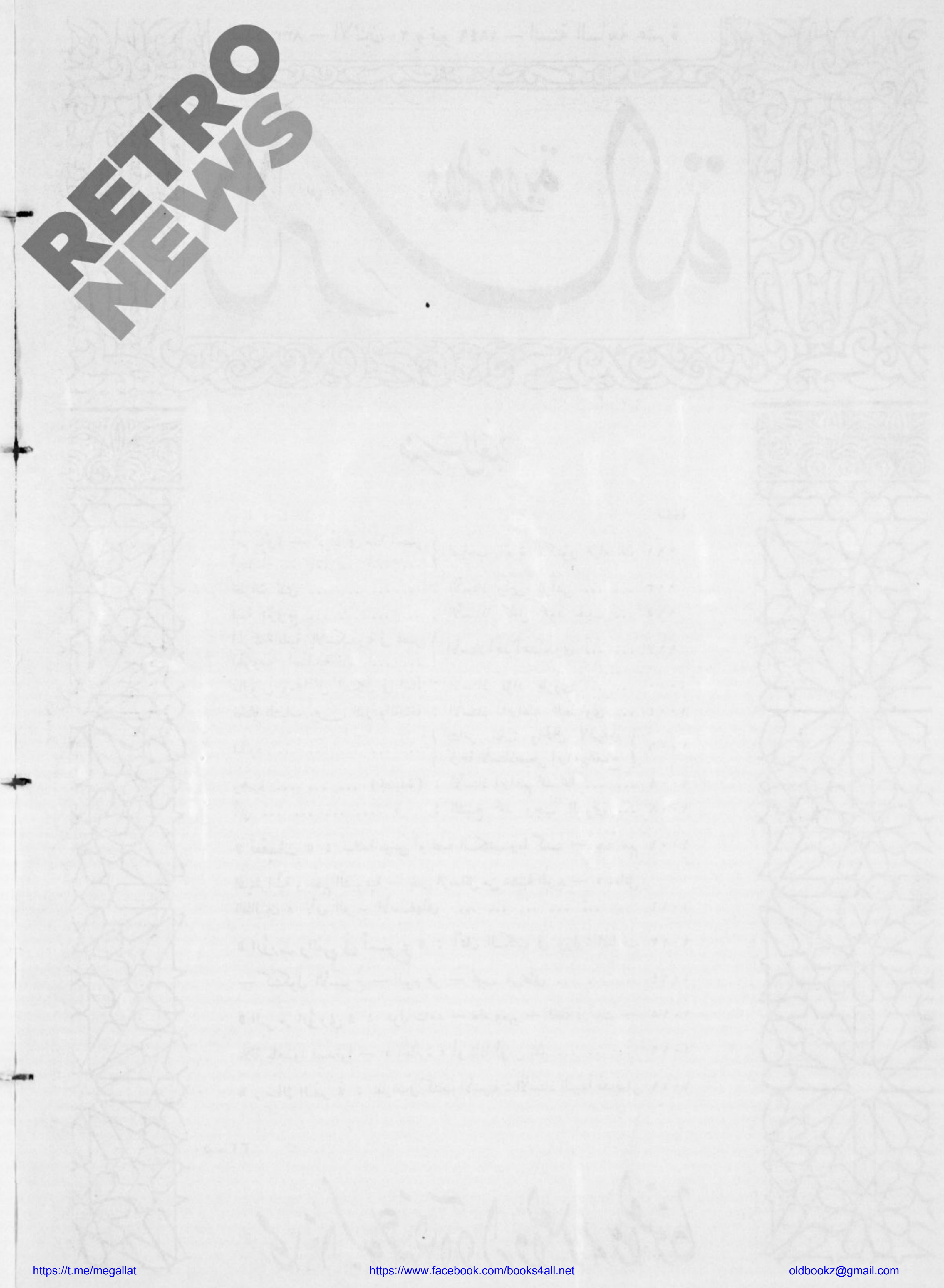
العدد ٨٣٣ — الاثنين ٢٠ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

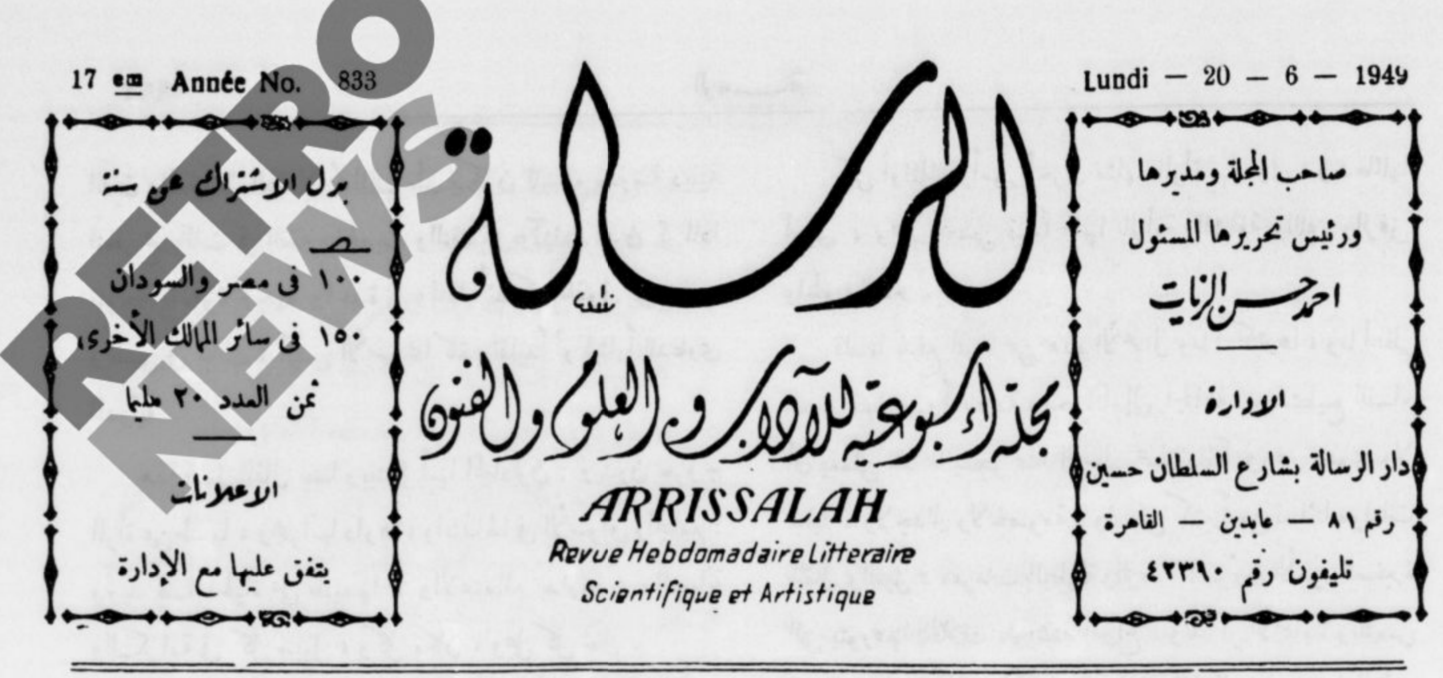


فهرس العدد

٣٢٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




17 em Année No. 833
Lundi — 20 — 6 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٨ ــ أمم حـــائرة

المرأة في هذا العصر أيضاً

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قال الفريق الأول : أتبغون المرأة حبيسة فى دارها ، منقطعة عن دنياها ، محجوبة عن الطرق والأسواق ، ممنوعة من الأندية والمجامع ، محرومة من المسارح والملاهى ؟ أتبغونها قعيدة بيت لا تعرف إلا ما حوته الجُدُر من دارها ودور جيرتها وأهلها ؟ أكذلك تبغونها أيها الظالمون ؟

فيقول الفريق الآخر : كلا كلا . لقد بينا قبلا مكانة المرأة من نفوسنا ، وأعربنا عن إعظامنا بل تقديسنا إياها ، ودعونا إلى أن تبلغ من العلم والخُلق الدرجات العُلى ، وهى أعزّ علينا وأكرم من أن تُحبس أو تُحجب أو تُمنع أو تُحرم .

إننا نريدها أميرة دارها ، وملكة أسرتها ، قوّامة على أولادها ، فى الدار عملها ، وفيها جهادها ، وفيها عبادتها ، وفى الأسرة يتجلى علمها وأدبها . ثم لاحرج عليها بعد هذا أن تخرج إلى الأسواق ، وتسير فى الطرق ، وتغشى المجامع ؛ ولـكن مسير السيدة الـكريمة ربة الأسرة التى تخرج من دارها لشئونها ثم تسرع الأوبة إليها .

نريد أن تكون خارج دارها ملء الناظر إعجاباً وإكباراً ، وكرامة ومهابة ، يُخسِىء العيون عنها تصونها وكبرياؤها ، ويرد السفهاء استقامتها فى طريقها ، وسمتُها فى سيرها .

كذلك نود أن تكون المرأة حيثما توجهت ، وأينما سارت ، ونود أن تحيطها البيئـة بأدب يزيدها كرامة وعزة ، وتلقاها بأخلاق تيسر لها السـيرة الـكريمة ، والخطة القويمة ، والمنزلة العالية . لا كما تعرفون فى شوارعـكم وأسواقـكم ومجامعـكم وملاهيكم ، فنحن لا نخالفكم على الحرية ، ولـكن على الأخلاق والآداب والـكرامة والصيانة .

وليس الذى ندعو إليه محالا ولا عسيراً . نحن لا نزال فى أول الطريق ونخشى العاقبة التى ينتهى إليها هذا المسير ، والنهاية التى تؤدى إليها هذه البداية . وكم رأينا فى بلاد شرقية وغربية المرأة الوسيمة المتجملة جادّة فى طريقها ، مستقيمة إلى وجهتها ، توحى إلى كل من يراها الإجلال والإكرام والأدب والحياء . وكثيراً رأينا بعض هؤلاء عامدات إلى مسجد أو كنيسة معهن أولادهن ، كأنما هن فى معبد على الطريق إلى المعبد . فـكذلك نريد النساء .

وعلى ذكر المسـاجد والـكنائس نقول : هؤلاء الداعون والداعيات إلى ارتياد كل موطن ، وغشيان كل مجمع ، والمزاحمة فى كل مضيق — لماذا لا يدعون إلى حق النساء فى المساجد ؟ لماذا لا يطالبن بأن يغشين المساجد مشاركات للرجال أومنفردات ، ليصلين ويستمعن إلى المواعظ ، بل ليعلّم بعضهن بعضاً من علوم

الدين والدنيا ؟ لماذا لا يُطالب بأن يكون للنساء مدرسة دينية لتخريج عالمات فى الفقه والحديث والتفسير وآداب الدين ؟ لماذا تتوجه الدعوة وجهة واحدة ؟ ولماذا تُذكر الحقوق فى جانب وتُنسى فى جانب ؟ أليس الأمر محاكاة وتقليداً أو إيثاراً للدعاوى المدوّية .

هذا فصل المقال بيننا وبينكم أيها المجادلون : تريدون خروج المرأة عن طبعها ، وهجرانها دارها ، وابتذالها فى الأسواق والمجامع ؛ ونريد لهـا الحياة على طبيعتها ، والاعتصام بدارها ، والصيانة والـكرامة فى كل سبيل ، وكل مكان ، وعلى كل حال .

قال الفريق الأول : إن دعواكم ينقض بعضها بعضـاً ، ويكذب آخرها أولها . تقولون لا نضيق على المرأة ولا نحجبها ولا نمنعها غشيان المجامع ، وتقولون إن عملها فى دارها ، لا تُخرجها منها إلا الضرورات ، وتحرمون عليها العمل فى المصانع وتولى المناصب ، بل كل عمل خارج البيت ، وهـذا التهاتر فى أقوالـكم هو صورة الاضطراب فى أفكاركم ، وتزلزل الأدلة وراء دعاويكم .

ويقول الفريق الثــانى : لو فقهتم ما قدمنا ، وبلغتم غور ما أسلفنا ، لم ترمونا بالتناقض فى القول والاضطراب فى الفكر .

إن الـكلمة الجامعة فى رأينا أن المرأة للدار ، والدار للمرأة ، فـكل عمل ينأى بها عن الدار ، ويحرم الدار تدبيرها محرم عليها إلا ما اضطرتها إليه الضرورات ، والضرورة شر ينبغى دفعه ، وفساد فى الجماعة يجب إصلاحه . وللمرأة أن تتولى كل عمل يلائمها ولا يقطعها عن أسرتها ، ولا يخل بشئون بيتها ، ولا يحرم أولادها تربيتها ورعايتها ، ولا يسلب زوجها إينامها وإسعادها ، والأعمال التى على هذا الشرط كثيرة .

للنساء مجال فسيح فى أعمال البر والرحمة من تربية الأيتام ، والقيام لهم مقام الآباء والأمهات بالشفقة والحنو ، والعمل لتعليمهم وتهذيبهم ، ومواساة الأسر الفقيرة وإنقاذها من العوز والمرض ، وإمدادها سراً بما يحفظ كرامتها ويصون سمعتها ، وإنشاء الملاجئ وما يتصل بها لصيانة الصبايا المشردات اللائى لا يجدن من يأخذ بأيديهن فى هـذا المجتمع اللائم ومن يسمع شكواهن فى هذا العيش الصاخب .

كل أولئك وأمور أخرى مثلها المرأة بها أولى ، وبدخائلها أدرى ، وهى أحسن قياماً عليها بالرأفة والشفقة واللين والرفق والحلم والصبر .

فلسنا ندفع المرأة عن هذه الأعمال وما أكثرها ، وما أعظم العمل فيها ، براً بالأمة وإحساناً إلى الجماعة . ويستطيع النساء أن يعملن هنا ما يعجز عنه الرجال عملا دائباً فى غير دعوى ولا جلبة ، ولاجدال ولاخصومة . ولـكن كثيراً من نسائنا مولعات بالقال والقيل ، مغرمات بالبطولة والزعامة ، يؤثرن الأمور الصغيرة التى يثورفيها الخلاف ، ويشتد النزاع ، وتذكر الأسماء ، ويلتمس الصيت ، فراراً من الأمور الجدية الشاقة التى يقوم بها الدأب والصبر والصمت وجهاد الأفكار والأيدى لا الألسن والأقلام .

ورحم الله الغزالى ! كان يسمى المسائل التى يشتد فيها الجدل ويتمادى عليها النزاع « بالطبوليات » ، ويرى أن كثيراً من فقهائنا يؤثرون هـذه الطبوليات الجوفاء على العلم النافع والعمل الصالح والجهاد الخالص لوجه الله .

فما أشد ولوع بعض نسائنا ورجالنا بالطبوليات ، يُعلأ بها الجو ضوضاء ، وتُشغل الأمة عما هو أجدى وأعظم وأولى بسعيها وجدها وإعدادها فيما تتصدى له من الخطوب ، وما يحيط بها من الحادثات ، وما تضطلع به من أمور الإصلاح الـكبار ، وشئون التدبير الجسام .

(للـكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

قطـــــرات ندى

للأستـــــاذ راجى الراعى

* ليس من السهل على من زخر نفسه بالصور والأحاسيس أن يعرف ماذا يريد .
* كن الشين أو الزاى فى «مستشزرات» ، ولا تكن الواو فى عمرو . أقول كن كيف شئت ولا تكن كمية مهملة .
* قلب الجبان سيف يعلوه الصدأ .
* المثابرة تتحدى القدر .
* الليل ثوب أسود يرتديه النور .
* كلما بكى الإنسان هدم حجراً من كبريائه .
* تتآخى الليالى وتتنادى ثم تندغم فى ليل واحد كثيف تطلع بعده الشمس على ترابك !
* كلما مشيت على التراب هبت علىّ ريح قديمة .
* تكبّر ما شئت ولكن لا تنس أنك الحيوان الكبير .
* ما زال الحكمة تائهة شاردة تفتش عن مكان لها فى هذه الأرض تبنى فيه بناءها !
* لو كنت جبلاً لهويت بقمتى الشامخة إلى السهل نكاية بالمتكبرين .
* العشاق والشعراء هم الذين طبلوا وزمروا للقمر فأحلوه المحل الرفيع .
* عجبت للأثير كيف لم يتكاثف حتى اليوم وفيه ما فيه من زفرات البشر .
* الحكمة كلها فى رأس الميت فاذهب إليه واسأله أن يتلو عليك فصولها .
* إن (أبا الهول) فى صمته المستديم ثائر على كل ثرثار .
* الجلاد والحطاب والحفار : هذا مثلث الموت !
* إذا أفلت من الأحياء لحق بى موتاى فإلى أين المفر ؟
* ماء الشجرة دمها تسكبه فى الثمار .
* الأرض الدائرة أسطوانة تنشد مجد الشمس .
* الندم عاطفة شائكة .
* الشيب ما سحقه فيك الدهر فذرته الحقيقة فى خيالك .
* تقضى العين حياتها بين جفنيها لا تدرى أيهما تختار .
* العبقرية كتاب أبرز ما فيه صفحة القلق .
* ليت للأفلاك أجديتها فأعرف أين تبدأ وأين تنتهى .
* كنت أحسب الفجر مخلصاً فلما رأيت له وجهين الكاذب والصادق شككت فيه . . أفى الفجر كذب أيضاً ؟ أكذبه عدوى أتته من الدنيا ؟
* إذا حلت عليك النعمة حُلّ قيدك .
* إذا كانت الجبال شعراً تجسد معه الخيال وانقلب تماثيل فجبلى (لبنان) بيت القصيد فى الملحمة الجبلية .
* العمود عريان وقح .
* الصحراء جثة بحر مات .
* للقدر أختامه والعبقرى هو الذى يفضها .
* يقيمون للأسد عرشاً ولكنهم ينسون أن أمانة الكلب تعدل شجاعة الأسد .
* اشتمّ فى الليل رائحة عراك وقد فازت الظلمة بالشمس .
* أغصان الشجرة هى اتجاهات روحها المصفدة بالتراب التواقة إلى الانعتاق .
* العين ملتقى الخطوط الصاعدة والمنحدرة والمنحرفة .
* كل موهبة حجر كريم فى تاج الله .
* كم من خيال كثيف كالجدار وعقل يسيل كالماء وذا كرة لا أذن لها وقلب ضاق شريانه وقل ماؤه !
* الفناء شرط البقاء ، إن فناءك فى الله هو الذي يبقيك ..
* الهرم فجر الموت .
* أرقام الرجل الخيالى نجومه فى جدول الأفق .
* رأيت الحياة الصفراء والمنون السوداء والجنة الخضراء والجحيم الحمراء فى حلم واحد يخفق فى الفضاء ، حلم الموتى والأحياء
* بين دورة الزمن ودورة الأرض ودورة الفكر ودورة الدم دورة خامسة هى دورة الدائرة علىّ يوم الحد !

* ما أكثر وجوه الموت وألوانه ! الجنون عقل مات ... والقلب الذى لا يعرف الحب جثة فى الصدر .. والبله شعلة الذكاء انطفأت .. والأعمى ميت يتأمل .. والأصم رجل توارى عن الدنيا .. والأبكم رجل ماتت فيه الكلمة .. والجاهل ميت سقط فى ساحة العلم .. والحائر المتردد قتيل يسيل الدم من إرادته الجريحة .. وابن الطمع والجشع قتيل ترثيه الفلسفة والحكمة .. والعاقر قتيلة فى ساحة الأمومة .. والشيخوخة موت الشباب .. والانتحار موت قبل الموت . والعليل الذى لا برء لدائه يبنى لنفسه فى كل يوم لحداً .. والشاعر الحالم الطموح الذى تخذله الحياة وتهدم له عروش أحلامه هو الميّت الأكبر الذى لا يعلوه ميت !

* الحياة برق خلب فى أفق مبهم .

* الذهب يملأ السموات وما فيها ويبرق فى العظمة والجال ولكن الناس لا يرونه ولا يعرفونه إلا فى مناجمه .

* لا همّ لى فى الحياة إلا أن أوفق بين قصرها وطول أحلامى

* أسرح الطرف فى هذه الطبيعة فلا أرى غير أمهات وأرحام : الأرض تلد الشجرة والشجرة تلد أوراقها ، والجبل يلد الينبوع والينبوع يلد الجدول .

* الخط المستقيم هو الذى جاء بكلمة الاستقامة فى معجم الأخلاق .

* لو كنت بركاناً لابتلعت حممى ولم أطلقها عبثاً فى الفضاء الذى لم يسىء إلى فتبق فى أحشائى ليصطلى بها موتاى .

* من حبل بالروائع ولم يستطع أن يلدها تألبت عليه أجنته السجينة وأخمدت أنفاسه .

* كلما أطلّ علىّ الفجر جمعت شتيت نفسى التى بعثرها الأمس .

* الهوس يشق بمحراثه النفس فيخرج لك ما فيها من قمح وزؤان .

* أحب الذهب إذا كان معدنه الجبين .

* أتموت جوعاً ؟ وسنابل القمح هذه التى تملأ الرحب ، لمن هى ؟؟؟

* لولا المعدة القاهرة لما فكرت لحظة فى المال .

* يقول لى سقراط : اعرف نفسك ولكنه لم يعطنى كتابها لأقرأ هذا الذى يدعونى إلى معرفته ، ويقول غيره : ادخل إلى محراب نفسك ولكنه لم يهدنى إلى الباب .

* لا تعجب لهذا الظالم العاتى فإن لنفسه ساحة احتلتها الشياطين فلم يبق فيها مكان للملاك !

* إن للموت هيكلا عظامه عظام القبور !

* أعجب ما فى الخليقة هذه الأرض التى تنمو سنابل قمحها بين جماجم موتاها وتشع مناجم ذهبها بين فحيح أفاعيها وتندلع ألسنة نيرانها من قلبها الذى تنبجس منه الينابيع ...

راجى الراعى

صور من الحياة :

قبعة تتزوج

للأستاذ كامل محمود حبيب

أما قصة زواجك أنت — يا صاحب القبعة — فهى عجب من العجب ، قصة فيها سلوى للنفس وعظة للعقل ومتعة للقلب .

أتذكر يوم أن جئت ، أيها الفيلسوف ، من البلد الأجنبي — بعد أن نيّفت على الأربعين — وإن رأسك ليزدحم بالخواطر والخرافات ، وإن قلبك ليجيش بالآمال والأماني ، وإن فلسفتك لتتحدث إليك بأمر .

ونظرت حواليك فتراءيت فى عين نفسك عزباً تضطرب فى الحياة وحيداً منبوذاً ، والأيام تنطوى فى سرعة لتدفعك نحو الشيخوخة فى غير هوادة ولا لين ، وأنت تفتقد العطف والحنان فلا تستشعر الهدوء فى الدار ولا الاستقرار فى العمل ، وإن وظيفتك لتدر عليك مايفيض على حاجات نفسك ورغبات قلبك ، وضقت بحياة القلق والاضطراب فعقدت النية على أن تتزوج .

وسيطرت عليك الفكرة فشغلت قلبك وعقلك ، واستولت على مشاعرك فأرّقت جفنيك وأزعجتك عن مرقدك ، وبدا عليك الوجوم والصمت لأنك انطويت على نفسك زماناً ففقدت الأهل والصاحب والصديق فأغلق أمامك السبيل إلى الزوجة .

ثم وجدت متنفساً حين جلست إلى زميل لك تحدثه حديثك وتقول : « إننى أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء ، فالعزب رجل مقطوع الصلات مجذوذ العلائق ، يجد الهم والأسى فى داره ، ويحس الضيق والملل فى خلوته ، ويلمس الضنى والعذاب فى وحدته ، تتراءى له — دائماً — أخيلة مفزعة تزعجه عن الدار ، وتصرفه عن العمل ، وتملأ ذهنه بالخرافات ، وتحطم أعصابه بالقلق ، لا تهدأ له خاطره ولا يقر له قرار ، وأنى له الهدوء وهو يرى نفسه لقىً فى ناحية من حجرة ، مهملا بين همل من الأدوات والأثاث والملابس . فإن أبق الخادم طار صوابه ، وتناثرت خواطره ، وتشعثت حاجاته ، رغم أنه يثق بأن الخادم رجل يسرق ماله ويستلبه من وقته ويزعجه عن راحته ، وهو همّ لايدفع إلا بهم آخر . وإن مرض انحط فى فراشه ليسكون بقايا إنسان قدر تافه تنطوى الساعات وإن نفسه لتئن أنيناً رهيباً ، وإن قلبه ليبكى بكاء مراً . لهذا — ياصاحبى — فأنا أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء » ...

وأطرق زميلك ساعة من زمان ثم قال : « لا بأس عليك ، ستجد فى بيت فلان بك بغيتك وتحس راحة نفسك ، فهو رجل ذو مكانة وشأن وذو ثراء عريض ... وابنته فتاة فى مقتبل العمر ونضارة الشباب ، تتألق بهاء وجمالا وتشع رونقاً وصفاء ، فيها جاذبية الأنثى وخفر العذراء ، لم يلوثها بهرج المدنية ، ولا دنسها زيف الحياة ، وهى قد تخرجت فى الجامعة منذ قريب ... وأبوها — سعادة البك — فيه الحصافة والرأى ، وبينه وبينى صلات قربى ووشائج نسب ... وأنت — فى رأيى — خير من يتقدم ليخطب ابنته ، فهو لايطمع فى مال ، ولايسعى إلى جاه ، ولكنه يريد رجلا فيه الرزانة والعقل ، لأنه يخشى شباب الجيل ، وإن فيهم ميوعة وليناً ، وإن فيهم استهتاراً وضعفاً » ...

وتفتح قلبك — لأول مرة فى الحياة — لحديث زميلك حين أحسست فيه النصيحة والإخلاص فقلت : « لا ضير ، ولكن مَنْ عسى أن يكون رائدى وأنا لا أستطيع أن أجد السبيل إليه وحدى ؟ »

فقال لك الزميل : « إن شئت رافقتك إليه » ..

وفى أمسية يوم من أيام الصيف انطلقت — يا صاحب القبعة — بصحبة زميلك إلى دار سعادة البك ، وجلستما إليه ساعة من زمان ، ثم خرج زميلك وحده ... خرج ليخلفك إلى جوار البك ، وقد أنس كل منكما بصاحبه واطمأن إلى حديثه ، فسميت الفتاة عليك بعد أيام ، ثم خطبت إليك ...

وهدأت جائشة نفسك ، واستقرت أفكارك إلى شاطئ أمين ... ولكن ترى فيم كنت تفكر ؟ آه ... إن فلسفتك العفنة قد لصقت بك فلم تتركك ساعة واحدة فى حياتك ... لقد خيل إليك أن سعادة البك رجل يستطيع أن يشبع نهم طمعك وأن ينقع غلة أنانيتك ، وأن ابنته فتاة تستطيع أن تمهد لك السبيل الوعر ، وتفتح أمامك الباب الموصد ، ثم تدفعك إلى

الهدف فى سهولة ويسر ، وأنت من ورائها تندفع حتى تبلغ ، فتركت مسكنك القذر الوضيع ورحت تمد داراً أنيقة لتستقبل العروس المنتظرة ، ونبذت ملابسك القذرة الشعثة لتتأنق فى الجديد الغالى ليروق مظهرك فى ناظرى أهل الزوجة ، وتصنعت الرزانة والعقل لتخدعهم بثقافتك الفجة ، وتجملت بالرقة والذوق لتصرفهم عن خواطرك السقيمة ، وخرجت من عزلتك القاتلة لتكون رجلا لبس القبعة حيناً أو بعض حين .

وانطلى على سعادة البك ما تكلفت من قول ومن فعل فحباك بالثقة ، وخصك بالتقدير ، وقربك إلى قلبه ونفسه ... واطمأنت الفتاة إليك ففتحت لك باب حجرتها لتجلس إليها فى خلوة ، وتحدثها فى غير رقبة .

واندفعت تزين للفتاة أن تصحبك إلى السينما وإلى المسرح وإلى الندى ، فما تمنعت ولا تأبت ، وهى لا ترى بأساً فى ما تفعل لأنك زوجها ... وتماديت فى غيك فأردت أن تحملها على أن تنزع عن نفسها تقاليد الأسرة ، وأن تمتهن تاريخها — وهو قد تدفق فى عروقها منذ زمان — لترود معك الملاهى الوضيعة ، وإن كثيراً منها لينضم على فنون من الخلاعة والفجور ، ويحوى ألواناً من الخداع والإغراء ، فهى تثير فى الرجل الدوافع الحيوانية ، وتبذر فى المرأة غراس الثورة على الدار والزوج والأولاد ، وألقت الفتاة إليك السلم — بادئ الرأى — ثم استيقظت التقاليد فى عقلها فرفضت أن ترتدغ فى هذه الإباءة ، فرميتها أنت بالجمود والرجعية ، واحتقرتها لأنها تمسكت بالشرف وتشبثت بالكرامة .

لقد كنت تريدها على أن تندفع فى الغواية لحاجة فى نفسك .

وأرادت فلسفتك الثعلبية أن تمكر بالفتاة فتخدعها عن نفسها فتتعلم الرقص وتصاحب رفاقك وتتحدث إلى صحابك ، تأخذ منهم وتعطى ، ولكنها كانت قد جبلت على الحياء وطبعت على الخجل فرأت الطريق أمامها وعراً وبدت لها الغاية صعبة ، فتراجعت ..

وجلست إليها — ذات مرة — تخدعها عن نفسها وتغريها أن تصحبك لتزورا معاً دار فلان باشا ، وزعمت بأنه من ذوى قرابتك ، فانطلقتما معاً إلى داره مرات ومرات . واستقبلها الباشا — بادئ ذى بدء — فى احترام وشملها بالعطف وانهالت عليها منه الهدايا ، ثم راح يداعبها فى رقة ويمابثها فى ظرف ، وهى تطمئن إلى عطفه وتسكن إلى حديثه ، غير أنه ما تلبث أن سقط عن وجهه قناع التصنع فانكشف عن ذئب مفترس فى مسلاخ إنسان ، وامتدت يد الباشا إلى الفتاة فذعرت ، وأوجست خيفة منه ثم أقبلت عليك تنفض أمامك ذات نفسها فأغضيت عن حديثها وامتهنت هواجس نفسها على حين أنك توقن بأن هذا الباشا شيخ داعر شرير لا يتورع عن نقيصة ولا يترفع عن دنيئة . وعزّ على الفتاة أن تلمس فيك هذا الخلق الواهى المنحل فلاذت بعقلها واعتصمت بكريم منبتها ، ورفضت أن ترافقك — بعدها — إلى دار الباشا ، وأصررت أنت وأصرت هى ، ثم فزعت عنك إلى أبيها وفى قلبها أسى يتضرم وفى عينيها عبرات تترقرق .

وعجب البك أن يرى ابنته تنطوى عن زوجها وتهرب من لقياه ، وعلى وجهها أثر الحزن وفى عينيها أثر البكاء ، فجلس إليها يريد أن يهدئ من ثورتها وأن يمسح على أتراحها بقلبه الرفيق ، فأجهشت للبكاء وهى تقص قصة زوجها الفيلسوف الذى لبس القبعة حيناً من الزمان وهو يدفعها إلى الهاوية مرة بعد مرة ثم يسوقها إلى دار الباشا الداعر لتزل هناك عن كرامتها وتتخلى عن شرفها .

وثار البك لما سمع ثورة قذفت بالفيلسوف العبقرى ، صاحب القبعة ، إلى خارج الدار بعد أن سامه الاحتقار والمهانة ، قذفت به إلى خارج الدار لأنه حين لبس القبعة نبذ المعانى السامية للدين والوطن و ...

وأصابتنى الدهشة حين رأيتك — يا صاحب القبعة — تنصرف عن دار البك فلا تزورها وتنفر من زوجك فلا تلقاها ، فذهبتُ أستوضحك الأمر فزورت كلاماً يمتهن عقل الفتاة المصرية ويضع من قدرها ويحط من خطرها ، ويتهمها بالرجعية والجمود . فما انطلى على الزور ، وأنا أعرف أنك استنزفت كل ما ادخرت فى سنى حياتك لتهيئ داراً أنيقة تستقبل فيها عروسك الجميلة ولتخلق من نفسك رجلاً أنيقاً جذاباً ولتغمر فتاتك بالهدايا الثمينة الخلابة . فعلت كل ذلك وأنت كز الجبلة شحيح الكف ضنين بالمال . فيا ليت شعرى هل حملت نفسك مالا تطيق لترضى سعادة البك ولتخدع الفتاة عن نفسها ؟

آه ، يا صاحب القبعة ، لقد خسرت مالك وشرفك لأنك رفضت أن تكون مصرياً يتمسك بالمعانى السامية للدين والوطن و .

كامل محمود حبيب

الحركة العلمية بالاسكندرية في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

كانت الإسكندرية تلى القاهرة من حيث المكانة العلمية فى ذلك الحين، حفلة بطائفة كبيرة من أعيان العلماء، فى مواد الثقافة المختلفة، ودرس فيها كثير من رجال السنة، حتى فى الوقت الذى كان مذهب أهل الشيعة سائداً فيها، وأنشئت فيها أول مدرسة فى الديار المصرية كلها، وإليها رحل صلاح الدين لاستماع حديث رسول الله.

وقبل أن تنشأ المدارس بها، كان جامع العطارين منذ أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٧٧ هـ معهد علم وينبوع ثقافة، وقد ظل يؤدى رسالته طول عصر الحروب الصليبية، ويساهم مساهمة جدية فى نشر العرفان.

وتنوعت الدراسات فى جامع العطارين؛ فهذا عمر بن عيسى السوسى نحوى أخذ عنه النحو أكثر أهل الأسكندرية؛ وكان يقرأ لهم فيه كتاب سيبويه وتوفى سنة ٤٩٨ هـ. وهذا عبد الرحمن ابن أبى بكر بن خلف شيخ الإسكندرية الذى انتهت إليه رياسة الإقراء فيها، ونبغ حتى قال فيه سليمان بن عبد العزيز الأندلسى: ما رأيت أحداً أعلم بالقراءات منه، لا بالمشرق ولا بالمغرب. وهذا محمد بن أحمد بن الخطاب شيخ الأسكندرية فى الحديث وتوفى سنة ٥٢٥. أما أبو القاسم بن مخلوف فأحد كبار المالكية الذين أذاعوا هذا المذهب فى الأسكندرية. وكان لمحمد بن الحسن بن زرارة حلقة فى الجامع لإقراء الأدب كما كان المشرف على خزانة الكتب فيه. وممن سجل لهم التاريخ تدريسهم بالجامع الجيوشى العالم الأديب أحمد بن محمد بن المنير أحد الأئمة المتبحرين فى التفسير وفقه المالكية والأصول والبلاغة كما كانت له اليد الطولى فى علم الأدب. وكان عز الدين بن عبد السلام يقول عنه: الديار المصرية تفتخر برجلين فى طرفيها: ابن دقيق العيد بقوص، وابن المنير بالأسكندرية.

وأول مدرسة أنشئت بهذا الثغر المدرسة الحافظية التى أقيمت فى عهد الحافظ الفاطمى (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) ويظهر أنها أنشئت فى عهد الوزير أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش لتدريس علوم الشريعة. ويحفظ لنا القلقشندى فى كتاب صبح الأعشى (جـ ١٠ ص ٤٥٨) نسخة سجل بتولية مدرس هذه المدرسة. وقد تكفل فيه الوزير برزق طلبة المدرسة وأستاذها الذى سيشرف على هذا الإنفاق. وفى هذا السجل يتحدث عن السبب الذى دعا إلى بناء مدرسة بثغر الأسكندرية فيقول: « ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الأسكندرية — حماه الله تعالى — على غيره من الثغور، فإنه خليق بعناية تامة ... لأنه من أوق الحصون والمعاقل، والحديث عن فضله وخطير محله لا تهمة فيه للراوى والناقل، وهو يشتمل على القراء والفقهاء، والمرابطين والصلحاء، وأن طالبى العلم من أهله ومن الواردين إليه، والطارئين عليه، مشتتو الشمل متفرقو الجمع — أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين، وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية ... »

واختارها ابن السلار الوزير الفاطمى كذلك سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) لإنشاء مدرسة للشافعية فيها، أسند إدارتها إلى السلفى وقد عمرت هذه المدرسة، وكانت تعرف بالمدرسة السلفية حتى بعد وفاة شيخها، وفيها تخرج كثير من العلماء الممتازين ولم يكن للشافعية مدرسة غيرها.

وقبل هاتين المدرستين، سكن الأسكندرية ودرس فيها عالم ممتاز هو محمد بن الوليد الطرطوشى، فقد تزوج من موسرة وهبت له داراً هيأ منها قاعة وهبها للطلبة، وجعلها مدرسة لازم التدريس فيها، وتفقه عنده بها جماعة من الأسكندريين. ولما توفى الطرطوشى سنة ٥٢٠ هـ جلس لإلقاء الدرس بها بعده تلميذه سند بن عنان الفقيه المالكى.

تلك حال المدارس قبل عهد الأيوبيين، فلما جاء صلاح الدين استكثر منها، وفتح أبوابها للأقربين والأبعدين، ونصب فيها مدرسين لجميع ألوان العلوم. وقد شاهد ابن جبير هذه المدارس عندما زار الأسكندرية فى أيام ابن أيوب وقال عنها فى كتابه: « ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه

المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية ، فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم بجميع أحواله . واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء ، الطارئين ، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء . »

والظاهر أن أغلب مدارس الأسكندرية كان لطائفة المالكية ، فقد عرفنا عدداً جماً من أساطين هذا المذهب يسكنون ذلك الثغر ، فمن تلك المدارس مدرسة ابن الأنجب ، وقد عرفت باسم مدرسها على بن الأنجب الفقيه المالكى ، وأحد أكابر حفاظ الحديث وعلومه ، صحب السلفى وانتفع به ، وصحبه العلامة المنذرى وأطال صحبته وعليه تخرج ، وله نظم علماء كقوله :

أيا نفس ، بالمأثور عن خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسكى
عساك — إذا بالغت فى نشر دينه —
بما طاب من نشر له أن تمسكى
وخافى غدا يوم الحساب جهنما إذا لفحت نيرانها أن تمسك

وكان ينوب فى الحكم بثغر الأسكندرية ومات سنة ٦٢١ .

ومنها مدرسة بنى حديد التى درس فيها أحمد بن محمد بن سلامة وهو من رؤساء المالكية توفى سنة ٦٤٥ .

ولست أدرى إن كانت دار الحديث النبيهية التى تولى مشيختها على بن أحمد العراقى المتوفى سنة ٧٠٤ قد أنشئت فى عصر الحروب الصليبية أو بعده .

وعرفت الأسكندرية طائفة من أعلام العلماء درسوا فى دور العلم المختلفة بها ، مما يدل على حركة علمية ناضجة :

فمن فقهاء الشافعية ، وكانوا قليلين بها — أبو الحجاج يوسف ابن عبد العزيز ، وهو من علماء الأصول والجدل ، روى عنه السلفى ومات سنة ٥٢٢ ، ومحمد بن عبد الله بن النن المتوفى عن ثمانين سنة بالأسكندرية سنة ٦٧٩ .

ومن فقهاء المالكية ، وكانوا بها أكثرية — أبو الحرم مكى نفيس الدين ، وقد أدرك السنين الأولى فى الحروب الصليبية ، ومات سنة ٥٠١ ، وألف شرحاً عظيماً لتهذيب المدونة للبراذعى فى مجلد ، وشرحاً على ابن الجلاب فى فقه المالكية أيضاً فى عشر مجلدات ، وأبو الحسن على بن إسماعيل الأبيارى الذى برع فى علوم شتى : الفقه والأصول وعلم الكلام ، وله مؤلفات حسنة ، منها شرح البرهان فى أصول الفقه ، وكان بعض العلماء يفضله على فخر الدين الرازى فى الأصول ، ومنها كتاب سفينة النجاة ، على طريقة إحياء العلوم للغزالى . وكان الفضلاء يقولون : إنه أكثر إتقاناً من الإحياء وأحسن منه . وأصله من مدينة أبيار على شاطئ النيل بالقرب من الأسكندرية ، ومات سنة ٦١٦ . ومنهم ابن رواج تلميذ السلفى ، وهو عالم ورع توفى سنة ٦٤٨ هـ .

ونبغ فى الأسكندرية طائفة كبيرة من القراء ، نذكر منهم الحسن بن خلف القيروانى المتوفى سنة ٥١٤ . واليسع بن عيسى الأندلسى الذى أخذ القراءات عن أبيه ، وكان أبوه من جلة القرئين ، وأقرأ هو بالأسكندرية ، ثم رحل إلى مصر فقربه صلاح الدين ، ورتب له معلوماً وافراً . وكان يكرمه ويشفعه فى مطالب الناس . وكان مقرئاً محدثاً حافظاً نسابة مؤرخاً ، له كتاب تاريخ فى محاسن المغرب وتوفى سنة ٥٧٥ . ومنهم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوى الفقيه المالكى المقرىء المحدث المتوفى سنة ٦٣٦ ، وقد انتهت إليه رياسة العلم فى الثغر . وعبد الله بن محمد النكزاوى المقرىء النحوى المؤلف المتوفى سنة ٦٨٣ . والمكين الأسمر شيخ قراء الأسكندرية المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

ومن رجال التفسير بالأسكندرية يحيى بن محمد التجيبى ، قال الذهبى : حج وجاور ، وسمع بمكة وسكن الأسكندرية ووعظ ، وصنف فى التفسير والرقائق ومات سنة ٦٥٢ .

ومن رجال الحديث بها عبد الله بن عبد الرحمن العثمانى ، من ولد عثمان بن عفان ، كان واسع الباع فى علم الحديث ، كثير الرواية ، متصرفاً فى النظم والنثر ، مات سنة ٥٧٢ . وأبوالطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف ، وهو شيخ المالكية بالثغر ، تفقه على الطرطوشى ، وصار إمام عصره فى المذهب ، وعليه مدار الفتوى مع الورع والزهد ، وله مصنفات منها كتاب التذكرة فى أصول الدين ، وهو الذى قصد إليه صلاح الدين وسمع منه موطأ مالك ومات سنة ٥٨١ هـ . ومنهم الفقيه المالكى المحدث أبو العباس

أحمد ابن عمر القرطبي ، سمع الحديث من مشايخ المغرب وتلمسان وسبتة ، ورحل مع أبيه من الأندلس صغيراً ، وسمع بمكة والمدينة والقدس ومصر ، واستقر به المقام في الإسكندرية ، وكان معروفاً بالبلاغة والتقدم في علم الحديث ، وله على صحيح مسلم شرح سماه المفهم في شرح صحيح مسلم ، واختصر صحيحي البخاري ومسلم ومات سنة ٦٥٦ ، ومنهم ابن العماد منصور بن سليم الذي رحل في طلب العلم إلى مصر وبغداد ودمشق وحلب وغيرها ، وعنى بالحديث وفنونه ورجاله ، وبالفقه ، وألف فيهما كما ألف تاريخاً للإسكندرية ، وصنف معجم شيوخه . وممن روى عنه الشرف الدمياطي ، ومات سنة ٦٧٣ . ولم يخلف في الثغر مثله .

وعرفنا في الإسكندرية طائفة من النحاة ، نذكر من بينهم الحسن بن جعفر بن مروان الذي صنف كتاباً في النحو سماه المذهب ، وكان موجوداً سنة ٥١٧ . ومنهم ثابت بن حسن خليفة اللخمي ، وكانت له معرفة بالنحو ، وينظم شعر علماء كقوله :

العلم يغنم أهله أن يغنما فاسمح به تنل المحل الأرفعا
واجعله عند المستحق وديعة فهو الذي من حقه أن يودعا
والمستحق هو الذي إن حازه يعمل به أو إن تلقنه وعى

ومات سنة ٦٢٥ ، وعيسى بن عبد العزيز بن عيسى ، وكان مقرئاً نحويا ، وترك مؤلفات تزيد على خمسة وأربعين في النحو والحديث والوعظ والتاريخ والأدب والقراءات والتجويد والفقه ، منها كتاب الأمنية في علم العربية ، والرسالة البارعة في الأفعال المضارعة ، والإفهام في أقسام الاستفهام ، وكتاب الجامع الأكبر والبحر الأزخر في القراءات ، وقد قرىء عليه في رجب سنة ٦١٤ بداره في ثغر الإسكندرية . وله ديوان شعر ومات سنة ٦٢٩ هـ . ومنهم العالم المشهور ابن الحاجب فقد وفد على الإسكندرية . وعبد العزيز بن مخلوف الذي قدم إلى الإسكندرية من بلاد المغرب وأصبح بها من أئمة النحو ، وتخرج على يديه نحاة الإسكندرية ولكنه لم يصنف شيئاً ، وله شعر متأثر بالنحو تأثراً بالغاً مثل قوله :

ومعتقد أن الرياسة في الكبر فأصبح ممقوتاً به وهو لا يدرى
يجر ذيول العجب طالب رفعة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

ومات سنة ٦٩٣ .

وأرجو أن أوفق في فرصة أخرى إلى دراسة باقي ألوان الثقافة ومعرفة رجالها .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

مراجع البحث :

١ — الديباج المذهب . ٢ — حسن المحاضرة .
٣ — طبقات الحفاظ للسيوطي . ٤ — السلوك للمقريزي .
٥ — بغية الوعاة للسيوطي. ٦ — طبقات القراء للذهبي .
٧ — كشف الظنون . ٨ — رحلة ابن جبير .
٩ — وفيات الأعيان ١٠ — الدرر الكامنة .
١١ — صبح الأعشى . ١٢ — النجوم الزاهرة .
١٣ — شذرات الذهب . ١٤ — طبقات المفسرين للسيوطي
١٥ — الروضتين في أخبار الدولتين ١٦ — الخطط للمقريزي
١٧ — طبقات الشافعية للسبكي .

مالتـــــوس
ومشاكل السكان فى العالم

للأستـــــاذ فؤاد طرزى

لم يثر أى كتاب من الكتب ضجة كالضجة التى أثارها كتاب توماس مالتوس (بحث فى نظرية السكان) الذى صدر فى سنة ١٧٩٨ فى منتصف فترة النهضة التى تسمى نهضة « الزيادة الكبرى » فى مجموع السكان وفى بلاد إزداد عدد سكانها زيادة سريعة لم تدانها أية زيادة من الزيادات التى حصلت فى بلدان القارة الأوربية الأخرى . فقبل هذه النهضة بـ ١٥٠ سنة كان سكان القارة الاوربية يبلغون قرابة الـ ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة ، ولكن بعد النهضة بـ ١٥٠ سنة أخرى واجهت شعوب أوروبا مشكلة ابتداء حصول نقصان فى مجموع السكان . ولكن فى سنة ١٧٩٨ ، عندما أخذ يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية الذى يبلغ الـ ١٨٧،٠٠٠،٠٠٠ — على الرغم من ارتفاع عدد المهاجرين الذى بلغ ٥٥٠،٠٠٠،٠٠٠ — اكتسبت نظرية مالتوس التى سماها نظرية زيادة السكان أهمية سريعة .

ففى عام ١٦٥٠ كان تعداد سكان العالم يقارب ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ، ثم بلغ هذا التعداد فى سنة ١٩٤٠ بليونين ، وقد حصل نصف بليون من هذه الزيادة خلال المائة سنة بين ١٦٥٠،١٧٥٠ ، فى حين حصلت زيادة البليون الآخر فى السنوات التى تلت ذلك . وبذلك ازداد فى ٣٠٠٠ سنة عدد الأوربيين — الذين يدخل فيهم السلالات المتحدرة النقية التى تعيش فى الخارج — زيادة تبلغ السبعة أضعاف ، وهكذا ، ومع مرور الزمن غدت ظاهرة الزيادة — كما كتب لنكزلى دافيس — شبيهة بسلك رفيع يحترق ببطء وتمتر ، إلى أن أدرك الاحتراق نهايته فانفجر . ولعل أبرز مظهر لظاهرة زيادة السكان فى الغرب — وهى الظاهرة التى أطلقنا عليها اسم نهضة « الزيادة الكبرى » فى مجموع السكان — تتبدى فى إزدياد عدد نفوس الشعوب الناطقة بالإنجليزية . فقد كان تعداد هذه الشعوب يبلغ ٥،٠٠٠،٠٠٠ فى عام ١٦٠٠ فتضاعف إلى ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فى عام ١٩٤٠ . وفى المائة سنة الأخيرة من التاريخ التقويمى إزداد عدد سكان الجزر البريطانية نحو أربعة أضعاف ما كان عليه ، هذا بالإضافة إلى أن أكثر من ١٧،٥٠٠،٠٠٠ قد هاجروا من هذه الجزر إلى أميركا الشمالية ودومنيونات ما وراء البحار .

ويرى العلماء المحدثون أن مالتوس قد وجه نشاطه مبدئياً ، فى الطبعة الأولى من رسالته ، نحو دراسة مشكلة الفقر ، وإن مسألة السكان كانت ثانوية فى آرائه . فقد أراد أن يدرس طبيعة الفقر كما انكب آدم سمث على دراسة طبيعة الثروة ؛ إلا أنه وضع رسالته يرد بها على وليم كودوين والتلاميذ الاشتراكيين مستهدفاً إثارة المحافظين الدينيين والاشتراكيين المتطرفين فى آن واحد . وكتب مؤرخ حياته جيمس بونار يقول : « لقد غدا مالتوس من بعد ثلاثين سنة أمطر خلالها الناس سيلا من الأخطاء أعظم شرير فى عصره ، وأصبح إنساناً يدافع عن الجدرى وعن العبودية وعن قتل الأطفال وعن إلغاء الزواج المبكر ، إنساناً بلغت به الوقاحة أن يتزوج بعد إلقائه وعظاً يبين فيه مساوىء العائلة ، إنساناً ظن أن العالم بمجموعه سلسلة ظواهر تحكمها عوامل الشر حكماً يدفع إلى الاعتقاد بأن خير الأعمال هى ما كانت أكثرها إيذاء . ولم يقدم مالتوس — باعتباره شارحاً لأسباب الفقر — أجوبة مقنعة تتفوق فى شمولها وقناعتها على تلك الأجوبة التى وضعها بعض المتعصبين من ذوى العقول الجافة كهنرى وجورج وكارل ماركس . وإن نظريته التاريخية التى نقحها فى الطبعة السادسة لرسالته هى أكبر ما قدمه » .

قرر مالتوس بأن نسبة الزيادة بين السكان تفوق نسبة الزيادة فى المواد الغذائية ، ولذلك — إذا لم نضبط هاتين النسبتين عند حد متوازن واحد — فستجتاح الإنسانية المصائب والكوارث والنكبات والآلام . وقد أفرغ نظريته فى قانونه المشهور : تجرى زيادة السكان على شكل متوالية هندسية — بهذه الصورة ٢،٤،٨،١٦،٣٢... الخ — وتجرى زيادة المواد الغذائية على شكل متوالية حسابية — بهذه الصور ١،٢،٣،٤،٥ ... الخ — فإذا لم تضف أراض جديدة كما يقول مالتوس فسوف لا يستطيع أى شعب فى العالم أن ينتج من المواد الغذائية سنوياً إلا ما كان

ينتجه فى السنة السابقة ، فى حين أن عدد السكان — كما ظهر فى أميركا — يزداد زيادات متضاعفة من جيل إلى جيل ، ولذلك فإن زيادة السكان لا تسير فى مستوى واحد مع إنتاج المواد الغذائية إلا بوجود تحديدات معينة ، وإن التحديد الحاسم بين هذه التحديدات هو المجاعة التى تعتبر الضابط الذى يوقف ازدياد السكان . وعلى ذلك فإن هناك تحديدات أخرى من الممكن أن يظهر مفعولها قبل ظهور فعل هذا التحديد ، وهى الفقر والحرب وسوء التغذية والفجور . كما أن تقييد الزواج من الوسائل الرئيسية المعينة على التهرب من مثل هذه النتائج المخيفة . وكل مشروع يوضع لإنشاء مجتمع أصلح ولتحقيق حاجات أكبر يستهدف إضعاف مفعول هذا القيد — تقييد الزواج — لا ينجح إلا فى تقوية الجرائيم التى ستأكل قلب الإنسانية .

إن العلماء يميلون اليوم إلى تجنب المناقشات التى لا طائل تحتها بتوجيه سؤال واحد ، هو : كيف يمكن لفروض مالثوس أن تصاغ بشكل تثبت فيه لاختبارات الباحثين فى مشاكل زيادة السكان . ويقول هؤلاء العلماء : دعنا نفترض حصول زيادة كبيرة فى السكان أعقبها هبوط فى استهلاك الأغذية ، وإن ارتفاع معدل الوفيات أدى فى النهاية إلى المجاعة . ففى هذا الفرض — حسب نظرية مالثوس — يجب أن يكون العلاج الوحيد تقليل نسب الزواج بدرجة كافية للتقليل من نسب الاخصاب البشرى . ولكننا إذا ما أخضعنا هذا التقدير الافتراضى إلى حقائق علم السكان نجد — باستثناء حالات الحرب — أن شعباً واحداً فقط من بين شعوب أوروبا قد انطبقت عليه تنبؤات مالثوس وهو الشعب اليهودى . وبتعقب فترة المائة والخمسين سنة التالية لعهد مالثوس ظهر لعلماء السكان بأن هذا الباحث قد عاش فى مرحلة خاصة من مراحل التطور الإنسانى . وعن طريق المصادر العلمية المادية وتقدم الوسائل الاحصائية والرياضية وتطور أساليب إحصاء النفوس يستطيع هؤلاء العلماء أن يحللوا هذه المراحل ليكتشفوا التغييرات الأساسية فى نسب الوفيات والولادات التى تخللتها ، وبذلك تستطيع هذه التحليلات والدراسات أن تعينهم على إعداد العدة للمستقبل . ومن هنا يظهر أن أغلب أساليب التحليل والاحصاء الحديثة قد استخدمت لإصلاح عمل هذا الباحث الذى عبر عن روح العصر الذى كان يعيش فيه

ونحن نعلم علماً تاماً — بعد أن ندع جانبا التطورات التى تعود فى أصلها إلى ظروف الحرب — بأن معدل الوفيات قد استمر فى هبوطه منذ زمن مالتوس كما نعلم بأن ارتفاع معدل الأعمار لا ارتفاع معدل الولادات هو الذى سبب هذه الحركة فى مسائل السكان وهى الحركة التى دفعت مالتوس دفعاً مباشراً لصياغة نظريته . وكان لكارساندرس فضل الكشف عن هذا الهبوط فى معدل الوفيات الذى بدت ظواهره فى انجلترة حوالى ١٧٣٠ فى السنة التى ولد فيها أكبر معمر فى عصر مالتوس . وقد أبان هذا الباحث أن المعدل قد هبط من ٣٥ فى الألف إلى ٢٢ فى الألف فى عام ١٨٣٠ ، أى بعد ثلاث سنين من إخراج مالتوس الطبعة الخامسة من رسالته . ثم مرت بعد ذلك مائة وأربعون سنة أخرى قبل أن تبدو بوادر هبوط فى معدل الولادات عام ١٨٨٠ يعادل الهبوط الذى طرأ على معدل الوفيات فى انجلترة حوالى ١٧٤٠ . وظلت الوفيات تتناقص إلى أن بلغت ١٠ فى الألف فى العقد الأول من هذا القرن ، وظلت تتزايد نسبة الولادات خلال الستين سنة التالية . ويعود سبب ذلك لحد كبير إلى الفرق الكبير بين المعدلين .

ولقد كان من نتيجة التطورات العظيمة فى العلوم الطبية والصحية وفى الشئون الاجتماعية العملية إنقاذ نفوس كثيرة ، ثم تطعم ذلك فى عام ١٧٥٠ بقيام الفلاحين بزرع أرضهم زروعاً زودتهم بالخضروات واللحم الطازج بدلا من تركها بوراً فى الشتاء ، كما وفر استعمال القطن بعد ذلك للطبقات العامة منسوجات رخيصة فازداد هبوط معدل الوفيات .

إن مشكلة السكان التى شغلت مالتوس خاصة ، مشكلة إطعام الشعب الإنجليزى الذى يتزايد عدده مع بقاء جزيرته كما هى من حيث المساحة . هذه المشكلة قد حلت — كما يقول هارولد رايت (١) بعد بضع مئات من السنين بنتيجة الزيادة الهائلة التى حصلت فى إنتاج البضائع المصنوعة ومبادلتها بالأغذية والمواد الخام المنتجة فى القارات الجديدة . فكلما ازدادت النفوس أصبح الغذاء أرخص لازدياد المهاجرين الذين ينتجون الأغذية

---

(١) كتاب السكان طبعة نيورك ١٩٢٣ ص ٣٣

فى الخارج وازدياد العاملين الذين انتشروا فى أوروبا عند استعمال الماكينة الزراعية والبواخر والقاطرات وهى الوسائل التى ساعدت على إنتاج الأغذية ونقلها من مكانها إلى محلات استهلاكها : فالثورة الصناعية قد قضت على أزمات السكان طوال مدة بلغت المائة عام .

وتزايد هذه الوسائل الجديدة مكن أوروبا من إنشاء شعب صناعى كثيف لم تكن تحلم باستطاعتها إعاشته . وكى لا نغمط كل حق لمالتوس يجب أن نشير إلى أنه قد تنبأ بهذه الإمكانيات ولو كان تنبؤه مشوباً باليأس كما يظهر من الملاحظة التالية الواردة فى رسالته .

« وقد نفرض ، ونحن فى غمرة التأملات الشاردة الجدية ، أن أوروبا يجب أن تنمى حبوبها فى انجلترة وأن تكرس نفسها تكريساً تاماً للصناعة والتجارة وتصبح أحسن آلة عاملة على سطح الكرة الأرضية . ولكن حتى إذا ما جارينا المفترضين فى مبالغاتهم وقلنا بأن طبيعة الأشياء ستنتهى بجعل أوروبا آلة عاملة من النوع الذى يفترضونه ، وإنها ستوفر إمكانيات تستطيع بواسطتها هذه القارة أن تزيد نفوسها زيادة تتجاوز مساحة أراضيها ، إلا أنه مع ذلك ستكون النتائج مؤلمة إيلاماً كبيرا ، إذ أن الحقيقة التى لا يصح نكرانها تتطلب أن يقوم كل أقليم ، حسب إمكانياته الطبيعية وقدرته على خلق الثروة ، بالإنتاج لنفسه . فما العمل إذن عند ما تبدأ أمريكا — بمقتضى هذه الظاهرة — بسحب حبوبها من أوروبا لتكفى نفسها ، وحين تصبح المنتجات الزراعية الأوربية غير كافية لسد النقص الذى نحس به ؟ لا شك أنه سيبدو حينذاك بأن الفوائد الوقتية المتحصلة من زيادة نسب الثروة والسكان قد كلفت غالياً ودفعت إلى مقاساة فترة طويلة عامرة بالآلام والمتاعب[1] .

ومع أن الثورة الصناعية قد وقت أوربا من أخطار ازدياد السكان ، إلا أنها لم تعدل تعديلا أساسياً تحدى مالتوس ، ولذلك فانه حين ابتدأت حركات الموازنة اتخذت الأسلوب الذى دعا إليه — اطراد هبوط معدل الولادات — ولو أنها لم تتشكل بالشكل الذى تنبأ به . فإن معدل الزواج ظل فى منطقة واحدة مرتفعاً — فى الروسيا — أما شعوب المدنية الغربية فقد تجنبت أزمات السكان بالإشراف على الولادات عن طريق وسائل التحديدات العائلية . فإذا ما قلنا بأنه قد تخلل عصر نمو السكان هبوط معدل الوفيات فيجب أن نعترف بأن هبوط معدل الولادات قد كان جزءاً مضادا .

فقد كان واضحاً منذ عام ١٨٥٠ بأن معدل الولادات قد هبط فى فرنسا والولايات المتحدة وإرلندا ، كما كانت الدلائل تدل على أن الزيادة الهائلة التى طرأت على الولادات فى أميركا قد ابتدأت فى الهبوط ثانية منذ الإحصاء الأول عام ١٧٩٠ . فبين عام ١٨٤٧ وعام ١٩١٤ هبط معدل الولادات فى فرنسا من ٢٧ فى الألف إلى ١٩ ، وهبط خلال الحرب العالمية الأولى إلى ١١ فى الألف ثم استأنف بعد ذلك الهبوط بعد ارتفاع وقتى . وقد اشتد هذا الهبوط ، مع بعض التغيير حيناً ، أو مع عدمه فى حين آخر ، فى العصر الذى يسمى عصر الزواج ، ويعزى سبب هذا الاشتداد إلى تحديد الولادات داخل العائلة ، إذ المعروف أن عمليات تقليص حجم العائلة قد استمرت فى فرنسا ، ثم انتشرت من هذه البلاد إلى شعوب أوروبا الغربية .

وأما فى انجلترا فإن معدل الولادات قد وصل إلى درجة عالية عام ١٨٥٠ ، إلا أنه من عام ١٨٨٠ أخذ يعانى هبوطاً مستمراً . وفى خلال فترة قصيرة أمدها ستون سنة (بين ١٨٧٠ و ١٩٣٠) هبط هذا المعدل من ٣٥ فى الألف إلى ١٥ . وقد كان لهذا الهبوط أثر كبير على الحياة الإنجليزية .

فكيف إذن فشل مالتوس فى التنبؤ بإمكانية هذا التقلص فى حجم العائلة الذى يعتبر أعظم انقلاب فى شؤون السكان فى العالم الحديث ؟ لقد ظهر لأغلب المفكرين الأحرار بأن مالتوس كان يخدم جبهتين مختلفتين : جبهة المستغلين ، وجبهة ذوى السلطة . واكتشف العالم الألمانى هانس ميوهوف بأن أعمال مالتوس قد تأثرت بدفاعه عن التقاليد ، كما أن العالم جيمس فيلد قد وصل بعد دراسة دقيقة إلى نتيجة أثبت فيها بأن مالتوس كان مطلعاً على الدعاية الموجهة لتحديد الولادات فى زمانه ، ولذلك عارض بقوة كل تدبير طبيعى لتحديد حجم العائلة .

(١) ف . ع مالتوس (بحث فى السكان) طبعة السابعة المجلد ٢ ص ١١ . مجلدات مكتبة الجيب .

ولعل هذا الدفاع عن التقاليد الأرذوكسية — والذى دفع علماء السكان إلى أن يسموا صاحبه « البارسون مالتوس » قد جعل من منافسيه من أمثال فرانسيس بلاس وريشارد كارايك وروبرت ديل والدكتور جارلس نولتون أقدر منه فى معالجة الفروض العلمية

إن الضرورات تقتضى — حسب نظرية مالتوس — أن يكون الزوج قادراً على إعالة زوجة وستة أطفال ، أما علماء السكان فى الوقت الحاضر فيقولون إن إنجاب العائلة ثلاثة أطفال يكفى لاستقرار السكان ، بينما يؤدى إنجاب كل عائلة ستة أطفال إلى مضاعفة السكان من جيل إلى جيل . وليس هناك من يشك فى إخلاص مالتوس فى دفاعه عن الضابط المعنوى ، ولكننا يجب أن نشير فى مقابل ذلك إلى أن الكتاب والمصلحين فى أيامه قرروا ما يقرره اليوم كثير من رجال الدين وعلماء التشريح وقادة الاجتماع بأنه إذا ما أراد المجتمع أن يجعل من الاتصال الجنسى قيمة سامية ؛ فالزواج المبكر خير معوان على ذلك .

ويبدو أن تاريخ الشعب الإيرلندى خير تصوير محزن لفرضية مالتوس ، وهو الشعب الذى كانت المجاعة أكبر آفة أصابته ؛ ففى سنة ١٦١٠ ابتدأ السير والتر راليه بزرع بذور البطاطس المستوردة من أمريكا فى مزرعته ، وبعد مضى جيلين أصبحت البطاطس الغذاء الرئيسى فى إيرلندا . وكان الفرد يزود بهذا المصدر الغذائى الجديد ، فيتزوج شاباً ثم ينمو بسرعة . ولذلك أخذ عدد السكان يتضاعف ابتداء من عام ١٨٤٩ إلى أن بلغ هذا التضاعف أوجه عندما صار تعداد السكان ٠٠٠ر ٣٠٠ ر ٨ . وقد جاء فى كتاب السير جيمس كونور « تاريخ إيرلندا » ما يلى : « لقد شجع السلك الدينى الزيجات المبكرة ، وشجعت السياسة الإيرلندية الزيجات المبكرة كذلك ، وأدى هذا التشجيع المزدوج إلى حصول زيادة سريعة فى السكان . ولكن ظل ما يقارب الثلاثة ملايين والنصف من النفوس ملمومين فى أكواخ موحلة مغطاة بالقش ، كل كوخ يتكون من غرفة واحدة بلا نافذة ولا منفذ . وفى عام ١٨٤٤ ظهرت فى أميركا الآفة النباتية التى تعطن البطاطس خلال بضعة أيام .

وفى صيف ١٨٤٦ اجتاحت هذه الآفة إيرلندا كالوباء الأسود وأهلكت المؤن الغذائية التى يعيش عليها الفلاحون ؛ ومات خلال خمس سنين بين ١٨٤٦ و ١٨٥١ حوالى ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١ شخص . وكان من نتيجة ذلك فيضان هجرة كبيرة من إيرلندا فغادرها خلال عقد واحد ربع السكان متوجهين إلى الولايات المتحدة . ثم أخذ عدد المهاجرين فى التزايد حتى بلغ فى ظرف جيلين ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٥ ولكن الإيرلنديين جابهوا الموقف بإيقاف الزواج أو تركه . ويصعب علينا قياس معدل الولادات فى إيرلندا إلا فيما يتعلق بفترة منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن كارساندرس قال إن هذا المعدل ربما كان حوالى الأربعين فى الألف عام ١٨٥٠ ثم أخذ فى الهبوط بعد فترة قصيرة من هذا التاريخ فصار ٦٢٢ بالألف بين عامى ١٨٧١ و١٨٨١ ، و٢١٢ بالألف بين عامى ١٩١٠ و ١٩٢٦ . وخلال هذه الفترة ازداد معدل نسبة النساء الإيرلنديات غير المتزوجات من اللواتى تتراوح أعمارهن بين الـ ٢٥ و٣٥ من ٢٨ فى المائة فى عام ١٨٤١ إلى ٥٢ فى المائة فى عام ١٩٢٦ . ولا شك أن ترك الزواج بالنسبة لشعب بأكمله فترة طويلة يعنى بالطبع أن عدداً كبيراً سيتركون الزواج نهائياً .

ففى عام ١٨٤١ كان ١٥ بالمائة من النساء الإيرلنديات بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين غير متزوجات . وفى عام ١٩٢٦ ارتفع هذا المعدل إلى ٢٩ بالمائة . وهكذا ، فإن ثلاثة أعشار النساء الإيرلنديات يمشن بلا زواج . وأما بالنسبة لأولئك اللواتى تزوجن فإن معدل الولادات بقى بينهن عاليا . وفى عام ١٨٦١ كان يوجد لكل ١٠٠ امرأة إيرلندية متزوجة من اللواتى دون الخامسة والأربعين ١٣٠ طفلا دون الخامسة . وفى عام ١٨٢٦ كان العدد المماثل ١٣٠ طفلا أيضاً . ويقابل ذلك فى انجلترا وفى نفس الفترة هبوط المعدل من ١٠٠ طفل لكل امرأة متزوجة إلى ٠٧١ وقد استقر الآن عدد سكان إيرلندا حوالى ٠٠٠ ر ٣٠٠ ر ٤ نسمة أى ما يقارب نصف العدد الذى كان عليه عدد النفوس قبل المجاعة . ولهذا السبب نجد أن عدد المنخرطين فى السلك الدينى فى إيرلندا يفوق أى عدد مماثل له فى العالم الغربى إذا لم نقل فى العالم كله . فقد جندت هذه البلاد أبناءها فى سلك الرهبنة ليخدموا الكنيسة الكاثوليكية فى كافة أنحاء العالم . ولكنا إذا عدنا إلى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وجدنا أنه لم يحدث فى هذه البلدان إلا هبوط قليل فى نسبة الأفراد المتزوجين ؛ ولذلك نرى الكنيسة الكاثوليكية

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للاستاذ إبراهيم البطراوى

(تتمة)

وفى هذا الكتاب كما فى كل ما كتب جينز تقريباً نجد أوضح البراهين وأقواها ، تصريحاً أوتلويحاً ، على أن العلم — بعد تجارب مضنية استغرقت القرون الماضية — عجز بل اعترف أنه من المحال عليه أن يجد معلولا من غيرعلة . ودليله على هذا جميع تجاربه الصحيحة الماضية بدون استثناء ، ولذا وضع قانونه الشهير عن (العلة والمعلول) Cause and Effect

ثم يرينا فى (نجومه) دلائل عظمة الله وقدرته ولطفه وحلمه وعطفه ، تلك الدلائل القوية التى تبهر العقول وتصعقها . وإن أصدق ما يوصف به هذا الكتاب هو أنه تسبيحة العالم .

ثم ينظر إلينا قائلا : وها كم البرهان الواضح القاطع — بينما أشار إلى كتابه (الكون الغامض) وإذ فيه :

« إن الطبيعة تتجافى الآلات ذات الحركة المستديمة ... ويفسر علم الديناميكا الحرارية كيف أن كل شىء فى الطبيعة يصل إلى حالته النهائية بعملية يطلق عليها : (زيادة درجة التعادل) Entropy (١)

فدرجة التعادل إذن يجب أن تزيد على الدوام ، وهى لا تقف عن الزيادة إلا إذا وصلت إلى حد لا يمكن أن تتعداه . فإذا وصل الكون إلى هذه الرحلة وأصبحت كل زيادة أخرى فى درجة التعادل (أنتروبى) مستحيلة ، فنى الكون ...

« وقانون الطبيعة دائماً هو أحد شيئين ليس غير : النماء أو الموت . وهى لا تجيز إلا سكوناً واحداً هو سكون القبر ...

وعلى أصح المشاهدات العلمية نجد أن درجة التعادل الكونية فى ازدياد مستمر سريع ، وإذن فقد كانت لهـا بالضرورة بداية وأنه حدث ما يمكن أن يسمى (خلقاً) وفى وقت ليس ببعيد بعداً لا نهائياً »

وإن نهائية الفضاء والزمن على هذا النحو لتضطرنا إلى التسليم بأن عملية الخلق عمل من أعمال الفكر » .

« وإن تحديد الثوابت مثل نصف قطر الكون ، وحجمه ، وكهاربه (ليستلزم) وجود الفكر الذى تقاس خصوبته بضخامة هذه الكميات » .

ثم يبين لنا أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه ، وليس كمثله شىء ، فلا يجوز عليه مايجوزعلى خلقه بهذه العبارة الرائعة : « إن الخالق القادر على كل شىء ، والذى لا يخضع للقيود أياً كان نوعها ، لا يقيد نفسه بالقوانين التى تسود هذا الكون »

ولم يكتف بهذا بل نزهه سبحانه عن الحلول فى زمان أومكان (لأنه خالق الزمان والمكان) بنفس الحجة القاطعة والأسلوب العذب الرنان .

فالزمن والفضاء اللذان هما إطار الفكر قدكان وجودهما من غير شك جزءاً من هذه العملية — عملية الخلق — وقد كانت علوم الهيئة البدائية تتخيل خالقاً يعمل فى الفضاء والزمن فيصوغ الشمس والقمر والنجوم من مادة غفل موجودة من قبل ؛ أما النظرية العلمية الحديثة ، فإنها تضطرنا إلى أن ننظر إلى الخالق على أنه يعمل خارج الفضاء والزمن اللذين هما جزء من خلقه ، كما يعمل المصور خارج لوحته .

وهذا يقابل قول أوغسطين : « لم يخلق الله الكون فى زمن بل خلقه مع الزمن » .

والحق أن هذا الرأى قديم يرجع إلى زمن أفلاطون الذى يقول : « خلق الزمن هو والسموات فى وقت واحد ، وذلك

(١) وهى خارج قسمة مقدار الحرارة على درجة الحرارة المطلقة ، وهى تتزايد فى الطبيعة باستمرار لأن عمادها فناء الذرات الكونية من نجوم وأجرام ... عن طريق الإشعاع Radiation وهذا لا ينقطع لحظة من الزمن . ولنلاحظ على سبيل المثال أن الشمس وحدها تصدر من الإشعاع مايكاد يفصل بالضبط ٢٥٠ مليوناً من الأطنان فى الدقيقة الواحدة ، وهو يساوى متوسط ما يمر من الماء تحت جسر لندن ١٠٠٠٠ مرة تقريباً

خسرت كثيراً من الجندين فى هذه الأقطار . ومن هنا نرى أن تخفيض إرلندا معدل الولادات فيها بترك الزواج يعتبر نتاج سلسلة غريبة من الظروف الاقتصادية قويت بإخلاص أهلها للكنيسة ، وأن قصتها تعتبر نموذجاً لطريقة إنقاص عدد السكان فى العالم وهى الطريقة التى يمكن أن تلفت انتباه مالتوس الأخلاقى أكثر من جلبها انتباه مالتوس العالم علاوة على دلالتها على مبلغ جسامة الوسائل التى يحتاج إليها لهزيمة تفسير مالتوس .

فؤاد طرزى

(البقية فى العدد القادم)

لكي يفنيا معاً إذا أريد فناؤهما . هكذا كان عقل الله وفكره في خلق الزمن »

وحين يهم جينز بتوديعنا لا يفوته أن يؤكد كلامه بقوله : « والآن فإن الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد في الجانب الطبيعي من العلم يقرب من الإجماع — على أن نهر المعرفة يتجه نحو هذه الحقيقة وهي أن الكون بدأ يلوح أكثر شبهاً بفكر عظيم منه بآلة عظيمة ... » .

« ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية — إنما نعني ذلك العقل الكلي الذي توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا » .

وهذا ما يعنيه بعض الفلاسفة المتقدمين من تحويل الفكر إلى مادة ، وما يعنيه العلم الحديث اليوم من محاولات لعله يستطيع رداً لطاقة أو تحويلها إلى مادة .

وفي قول جينز تفسير (إلى حد ما) لمعنى قوله تعالى : إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

على أنه يجب أن نكون أكثر حذراً ولباقة في تمييز حقائق العلم من فروضه وآرائه : فالقانون أو الحقيقة قصدنا ، وما عدا ذلك يكون حكمه حكم غيره من الآراء الإنسانية . وعلى حد تعبير الغزالي : العاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال : « لا تعرف الحق بالرجال . اعرف الحق تعرف أهله . فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول : فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقاً ، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من كلام أهل الضلال عالماً بأن معدن الذهب الرغام » اهـ

هذا هو العلم ، وإن شئنا قلنا الدين ؛ فكلاهما فطرة الله . وكلاهما في تواتره — في حدود قوانينه ومجموعاته الأزلية — خاضع لإرادة الله وسنته التي منها سنة التطور والارتقاء .

ولعل خير ما أوجهه إلى الشباب تلك العبارة الطريفة التي وجهها إليهم وإلى الشيوخ أيضاً قبل اليوم بقرون ، المفكر العبقري الإمام الغزالي . قال رحمه الله في كتابه الممتع (المنقذ من الضلال) : « إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؛ فظهر لي أن العلم اليقين هو الذي ينكشف منه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم . ولا يتسع القلب (أي العقل) لتقدير ذلك ؛ بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكا وإمكاناً : فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة وقال قائل لا ؛ بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً ، وقلبها وشاهدت ذلك منه ؛ لم أشك بسببه في معرفتي ، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه ؛ فأما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه على هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقين » اهـ

***

تلكم هي قضية الشباب بوقائعها وملابساتها . وهذا غاية ما أمكن أن نصل إليه من وسائل علاجها ، والتاريخ بحوادثه شاهدها وأنتم قضاتها العدول ، فالحكم لها أو عليها وما يترتب على ذلك منوط بذمتكم أنتم ، فعليكم وحدكم تقع جميع تبعاته .

وقبل أن أختم كلامي أرى واجب العلم يحتم على أن أثبت ضمن أقوالي هذه الحقيقة :

وهي أننا سجلنا في أفقنا المحلي هذه الأيام ظاهرة تنبئ القرائن أنها تتجه وصالح قضيتنا .

ومهما يكن الباعث عليها فإنا على كل حال نرجو أن نستفيد منها إلى حد كبير .

إبراهيم الطراوي

مراجع لم تذكر في ثنايا البحث :

(١) الرد على الدهريين (للسيد الأفغاني)
(٣) تهافت الفلاسفة (للامام الغزالي)
(٣) النقد التحليلي (للدكتور محمد أحمد الغمراوي)
(٤) سنن الله الكونية (» » » »)
(٥) أسرار الفطرة : (الدكتور الغمراوي والدكتور الكرداني بك)
(٦) الكون الغامض : ت (الأستاذ مرسي)
(٧) الثورة الفرنسية (للدكتور صبري)
(٨) الكاتب المصري
(٩) مذهب داروين الدكتور سوريال

ترجمة وتحليل :

الخـــلود

لشاعر الحب والجمال لامرتين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

[تتمة]

وهذه البصيرة التي تشهد الإله باطناً في كل شيء ، ظاهراً من كل مكان ، ترى فوق ذلك أن العالم — بحيه وجماده — ما يفتأ باحثاً عن الله ، ناشداً نجواه ، حريصاً على عرفان صفاته ، والتقرب إلى ذاته ؛ وأنه بجماله ونظامه وإحكامه صورة تحكي جمال خالقه ، وحكمة مدبره ، وقدرة صانعه ، ومرآة تنعكس فيها معاني رحمته ورأفته ، وفضله وكرمه . فالنهار لا يشمشع بنور الشمس وإنما يشرق من نظرات الإله ، والحسن لا يرثه المرء عن أبويه وإنما يفيض من بسمات الله ؛ فإذا ما ابتسم راضياً عن العبيد ، أذن لمولود جيل سعيد ، أن يبهر هذا الوجود !

فما أجدر القلب الذي ينبض بإذن الله أن يعبده ويهواه !

« إن هذا العالم الذي ينشد الوصول إلى كمال صفاتك
صورة تحكي جمالك ، ومرآة تعكس مزاياك :
فالنهار يفيض من نظراتك ، والحسن يفيض من بسماتك ،
والنفس في كل مكان تلقاك ، والقلب أينما كان يهواك ! »

بيد أن هذا الإله الحي القيوم ، المقتدر الرحيم ، لو اجتمعت لفطر السليمة والأرواح الصافية على أن تصفه لا تستكمل وصفه ولو كان بعضها لبعض ظهيراً ؛ وإن العقول البشرية لأعجز من أن تدرك مزاياه الحسنى : فهي كلما شرعت تصفه أدركها الكلال ، وكلما أخذت تتكلم عنه غلبها الصمت ، وكلما طفقت تتحرك نحوه رزحت تحت ذاته القاهرة ؛ فتستكين وتشعر بضعفها ثم لا تجد الراحة بعد كلالها إلا في طمأنينة الوجدان ، ولا تطيق الكلام بعد سكوتها إلا بألفاظ الحمد والتقديس ، ولا تستطيع الحركة بعد جمودها إلا بالقيام والركوع والسجود .

« لا يستكمل وصفَ اسمك كلُّ هذه المزايا الباهرة
أيهـا القيوم الأزلي المقتـدر الحبيب !
والروح — وهو رازح تحت ذاتك القاهرة —
يقـدس قدرتك حتى في صمته الرهيب ! »

ومهما قدس الروح قدرة الله ، ومهما جدّ في البحث عنه وألقى اليد بذاته وخضع له في جميع أحواله ، فلن يُسلمه شيء من ذلك إلى أكثر من أن يحبه حباً يملك عليه مشاعره ويزيد شوقه وحنينه ؛ فيستحيل هذا الحب في النفس الشاعرة ناراً مضطرمة لا تتراجع دون باب الله مهما طردت عنه حتى يؤذن لها بالدخول فيأخذ لهيبها في الانطفاء حين ترى عن قرب بعض صفات هذا الخالق العظيم .

« رباه ! ما زال يلقي إليـك بذاته
هذا الروح المحطم خاضعاً لإرادتك الأزلية .
ولما ضاق بالحب شاعراً أنه ختام حياته ،
التهب لعرفان صفاتك القدسـية ! »

هذه صلاة الروح في معبد الطبيعة : ألحانها من السماء ، ونورها من الله ، وينبوعها الشعور والوجدان .

ومثل هذه الصلاة الروحية كثيراً ما صفا بها قلبا لامرتين وحبيبته ، فانطلقا على نغماتها إلى العالم المجهول الذي يتخيلان الوصول إليه ، فيجثوان بين يدي الإله الرحيم ، ويصليان لوجهه الكريم ، ويدعان الصباح والمساء يحملان إليه أنفاسهما الطاهرة ثم يستشمران في سكرتهما البون الشاسع بين السماء والأرض ؛ فما الأرض إلا سجن أو منفى ، وما السماء سوى المأمن والمأوى .

« ولما ختمت القول استجمع أنفاسَنا قلبانا
إلى عالم مجهـول حققتـه الآمال ،
ودأب الصباح والمساء ينشـدانه نجوانا
ونحن جاثيان أمامه بالغدو والآصـال ؛
فرأت عيوننا الأرض منفـانا والسماء مثوانا
وهي سكرَى في نشـوة ما تزال ! »

ومع ذلك فما هذه الصور الرائعة التي تبدو لعيني الشاعر في سكرته الروحية سوى نشوة ما أسرع ما تزول ؛ والروح كلما شرد هذا الشرود ، ورأى هذه الرؤى وثب ثائراً هائجاً وراح يضرب الجسد الذي يحبه ، ويريد أن يتخلص منه إلى الأبد لينتقل من

هذه الأخيلة الكواذب إلى عالم الحقيقة الخالد . وهذا ما حرك نفس الشاعر وحمله على التأوه والأنين ، وعلى التضرع إلى الله أن ينعم على الروح بفصله حقاً عن الجسد وإطلاقه من قيوده حين يكونان فى مثل هذه السكرة لكيلا يرتدا بعدها إلى الصحو الذى ليس فيه سوى الواقع المر الأليم .

« وفى هذه اللحظات التى يثب فيها الروح الشرود ،
ويود لو حطم الصدر الذى يحبسه ويخنقه ...
أواه ! لو استجاب لنا الإله من أعلى الوجود ،
فضرب كلاً منا ضربة تفصله وتطلقه ... »

يتمنى لامرتين هذا فى تأوه وأنين ، لأنه يتوقع السعادة يوم تنفصل الأرواح عن الأبدان !

فالأرواح ما دامت أجسادها تكبلها بأغلال من عظام ولحم وشحم وعروق وشرايين ، وتكلفها ما لا تنتهى مطالبه من طعام وشراب ومشتهيات ، لن تستطيع أن تتحرك قيد أنملة ؛ بل ستبقى محجوزة عن كل ما تريد ، محجوبة عن كل ما ترغب ! وما بالأرواح رغبة فى حطام فانٍ أو مادة زائلة ، إنْ تريد إلا أن تسرى فى العوالم أنى تشاء ، وأن تجتاز حزنها وسهلها ، وعاليها وسافلها ، وظاهرها وباطنها ؛ وأن تعرج من سماء إلى سماء فترى ما يغشاها وتتسمع موسيقاها وأن ترق فى لمح البصر إلى موطنها الأول روضة الخلود ، وإلى ينبوعها الذى لا ينضب روح الإله ؛ وأن تطير على جناح الحب فى فضاء واسع لا يحده البصر، ولا ينتهى فى الزمان ولا المكان ؛ وأن تضئ فى طيرانها ما حولها كما يضئ شعاع الشمس فى سطوعه كل شىء ؛ وأن تنفذ أخيراً إلى نفس الخالق وتمتزج فيها إلى الأبد امتزاج الأنفاس ، ثم تهدأ بعد ثورتها ، وتأنس بعد وحشتها ، وترى الحقيقة بعينها بعد أن ذهلت كثيراً فى دنيا الخيال .

ولو استجاب الله دعاء لامرتين ودعاء أمثاله .

« إذن لاجتازت أرواحنا العوالم فى مسراها
وهى ترق بوثبة واحدة إلى ينبوعها الثرّار ،
ولاصّاعدت على جناح الحب فى فضاء لا يتناهى
كأنها شعاع من أشعة النهار ،
ثم امتزجت إلى الأبد فى نفس من براها
بعد أن تصل إليه ولها مستطار ... »

والشعراء مهما استغرقوا فى أخيلتهم لا بد للشك أن يغزو قلوبهم ؛ وما هو إلا أن يصحوا من سكرتهم ، ويصرخوا فى وجه الأقدار مستنسخيها ما تكتب أيديها ، ومستنطقيها عن ما تبيته لياليها ؛ فهل هى خادعتهم عن أمانيهم وضاحكة من آمالهم أم ستجعل أخيلتهم حقائق ، وأحلامهم واقعات ؟

وكذلك فعل لامرتين ... فإنه لما أحس استغراقه فى خياله عاد إلى الأقدار يسألها : هل الكائنات مولودة للفناء ؟ ثم يسألها بشئ من المرارة : هل ستفنى النفس مع الجسد إذا قضت عليها الشركة أن تقاسمه الموت ؟ وهل سيبلع القبر فى جوفه هذه النفس فى ظلام الليل ؟ وما تصير بعد فنائها ؟ أتستحيل غباراً متناثراً ، أم تطير فوق الأحياء ، ثم تذهب فى الفضاء ؟

وفى هذه الأسئلة حيرة الشاعر وتردده ، وفيها خوفه على مصيره ورهبته من عاقبته وعواقب الناس .

« أيتها الأقدار ! هل خدعتنا أمانينا ؟
وهل الكائنات مولودة للفناء ؟
وهل يبلع القبر آناء ليالينا
نفساً تقاسم جسدها حكمَ القضاء ؟
وهل تصير غباراً أم تطير حوالينا
ثم تتلاشى كصوت ذاهب فى الفضاء ؟ »

وحين يختم لامرتين هذا اللحن الحزين فى هذه القصيدة العصماء يأبى إلا أن يصرح بأن الروح الذى خاطبه وناجاه لم يكن سوى حبيبته (جوليا) فتراه يتغنى باسمها فى البيت الأخير ، مستلهماً منها عما امتنعت الأقدار من إعلامه به ، إذ يسألها بعد أن فاضت أنفاسها وفارقت دنياها : هل بقى على حبها شىء مما أحبت ؟ وهل تشعر بحب هذا القيم على العهد أم تريد على وفائه موثقاً ودليلاً ؟ ثم يعلن لها أنه يهبها حياته ، ويرجو أن تشهد مماته مقابل شىء واحد : هو أن تشعر بحب هذا الذى أخلص فى حبها فيكون شعورها برهاناً على خلودها ويكون خلودها جواباً لسؤال خطير طالما خبأته الأقدار ، وعوذته بالأسرار .

« بعد أن فاض نفَسك يوم الوداع الأخير
ألم يبق شىء يحبك من كل ما كنت تحبين ؟
أواه ! لن أسأل سواك هذا السر الخطير ،
فانظرى يا جوليا موت حبيبك ثم أجيبين ! »

وهكذا عاد الشاعر إلى خياله ، واستمسك بآماله ، وختم قصيدته بمعانى الخلود ...

صبحى ابراهيم الصالح

من وحي الربيع :

زهـــرة !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سألتني ذات مره ما تراني ؟ قلت : زهره
عطرها في القلب أفرا ح ، وفي النفس مسره
ولها لون كلون الـ حب ما أعجب سحره !
ولهـا إشراقة النو ر على صدر البحيره
وربيع مسـتهام قد أطال الحب عمره
ليس يمضي عن رباها وصباها قيد شعره
أسرته بهـواها فغدا يعشق أسره !
كلما مرت عليها نسمة تعرف سره
حدثتها عن جواه ومضت تنشد شعره
وتغنت بهـواه وأزاحت عنه ستره
فتثنت وهي نشوى وأغاني الحب خمره

أنت يا زهرة عندي جنة عـذراء نضره
أنت للحيران أفق عنده يبصر فجره
أنت للظمآن عين بالنمير العذب ثره
أنت إلهام وفن يعرف الفنان قدره
أنت في أعماق روحي وفـؤادي مستقره
فيك أحلام حياتي – ياحياتي – مستسره
فيك شيء لا تراه غير روحي وهي حره
فيك سحر لست أنسا ه ، وقد أنسيت غيره
فيك ما أجهل سره فيك ما أعرف أمره !

يا هوى عمري ، ويا نو ر الهوى السامي وعطره
يا رجاء بعد يأس واهتداء بعد حيره
يا صفاء بعد أن كا نت حياتي مكفهره
يا نعيما بعد أحزا ن وحرمان وحسره
إن يكن قصر فني فاعرفي للفن عـذره
هل يحوز الكون ذره أو تضم البحر قطره ؟
إنمـا أنت جمال يترامى الفن إثره
نادر في كل وقت ساحر في كل فتره !
قد تجلى فيه ما لله من فن وقدره
أنت لحن تخشع الأر واح إذ تسمع نبره
زهرة أنت ، ولـكن يا نسيمي أي زهره !
حسب قلبي منك عطر وكفاني منك نظره

من الحانه الوفاء :

أبي ...

للشيخ محمد رجب البيومي

أبي ، لستُ أهوى في الحياة سوى أبي
فلا تلحني إن ضقتَ يوماً بمذهبي
مليكٌ على قلبي توطد عرشُه يُتوجه حبي بتاجٍ مُذهب
تربيتُ طفلا في حدائق برِّه وقد لبست من وشيها كل معجب
فذقت جناها وانتشيتُ بكرمها ولذت بفينان من العيش مخصب
ومازلت في دور الشباب أزورها فأقطف من ريحانها الغض ما ربي
حنانى وللدهر الخؤون براثن تأوهتُ منها بين ناب ومخلب
وآثر تعليمي ولم يك ذا غنىً فأنفق جهداً طال منه تعجبي
يظل وراء الرزق يكدح مُتعبا لأرفل في نعمائه غير مُتعَب
كأنيَ منه مستظلٌ بدوحةٍ نمت فأقامت وحدها بين سبسب
أراه فأنسى الهم مبتهجاً به كسارٍ رأى في الليل طلعة كوكب
وما سر قلبي أنْ أفارق ظله ولو أن لي ما بين شرق ومغرب
إذا مسني سُقمٌ تبدد بِشره فليس يُرى إلا بوجه مقطبِ
فيدعو أطبائي ويسأل ربه ويمكث عندي لا يطيق تجنبي
أقول له هون عليك مطمئنا فللداء وقتٌ إن دنا منه يذهب
ويعلم أني بالقراءة مُولعٌ فيملأ بالأسفار والصحف مكتبي
ويقرأ مثلي ثم يصدر نقدهُ فإنْ أر للتعقيب باباً أعقب
وأطلب منه الرأي إن عنَّ مشكل فينطق عن فكر أصيل مرتب
فإن جاء أضيافي تهلل وجهه فيلقاهمو عني بأهل ومرحب
كأن أمينُ الله أقبل نحوه من الملأ الأعلى على رأس موكب
فياليت شعري هل إذا كنتُ والدا
أكون لأولادي كما كان لي أبي
وهيهاتَ أن أرقى إليه فوالدي ملاك ومن لي بالملاك المحجب
بعثت به يارب والليل حالك يضل به الساري فبدد غيهبي
فعش يا أبي – طوال الحياة فإنما بقاؤك في دنياي غاية مطلبي
لكل أب فضل كبير على ابنه فمن بر و سوء عن أبيه فكذب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

سلامه موسى أو قصة الكاتب وما كتب :

لم أكن أعلم أن للأستاذ سلامه موسى تلميذاً آخر إلا حين وقع فى يدى العدد الأخير من مجلة « المقتطف » ... فى هذا العدد الذى أصدرته المجلة عن شهر يونيو طالعت مقالا آخر فى الرد علىّ تحت عنوان « النقد والتعقيب فى الصحف والمجلات » لكاتب لاداعى لذكر إسمه لأن أحداً لا يعرفه ؛ لا يعرفه على الرغم من أن له كتاباً صدر منذ شهور إسمه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ! ... وأعلم أن هناك سؤالا يتردد فى الأذهان ليأخذ طريقه إلى الشفاه : كيف لا يعرفه أحد وله فى أسواق الأدب كتاب ؟ الجواب عن هذا السؤال هو أن الكتاب « القيم » لم تعرفه أسواق الأدب حتى الآن ، وإنما عرفته أسواق تجار الورق حيث يباع « الفن الرفيع » بالرطل !!

إن لهذا الكتاب قصة ... قصة تكمن فصولها وراء هذا الهجوم الذى شنه علىّ صاحبه فى « المقتطف » منذ أيام . ولا بأس من أن أسرد لك فصول القصة بإيجاز ، لتدرك أن الدافع الأصيل لهذا الهجوم لم يكن بسبب موقفى من الأستاذ سلامه موسى ، ولكنه كان بسبب موقفى من الكتاب « القيم » ! وقبل أن أحدثك عن فصول القصة أقسم لك أن هجوم الكاتب « النابه » قد هزنى هزاً عنيفاً ... إن التافهين يستطيعون أن يهزونا نفس الهزات العنيفة التى نلقاها من المباقرة ؛ فالعبقرى يستطيع أن يزلزل كيانك حين تقرأ له زلزلة تقديس وإعجاب . وكذلك التافه فإنه يستطيع أن يزلزل كيانك أيضاً زلزلة رثاء وسخرية ! ومن هنا هزنى الكاتب « النابه » هزاً عنيفاً خشيت معه على رئتى القويتين أثر الإنفجار ... من الضحك !!

قصة طريفة مافى ذلك شك ، أقصها عليك لتنسى — ولو إلى حين — حر الصيف و « هجوم الذباب » ...

مفتاح القصة أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة ؛ إنه ليس إلا نسخة من كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ... إياك أن تظن أننى من الغفلة بحيث أشترى مثل هذا الكتاب ، ولكن صاحبه هو الذى كان من الغفلة بحيث أهداه يوماً إلىّ لأكتب عنه سطوراً تقدمه إلى القراء ! ويبدو أننى كنت قليل الذوق لأننى تغافلت حتى اليوم عن الكتابة عنه ، على الرغم من أن الكتاب قد أرسل إلىّ مع رسول خاص يحمل إلىّ رجاء صاحبه أن أخصه بشىء من عطفى ، وعلى الرغم من أن صفحته الأولى قد حملت إلى إهداء ضخما يمكن أن يرتفع بى إلى مكانة سانت بيف فى النقد الأدبى !!

ومضت الأيام « والرسول الكريم » يلاحقنى ليلاً ونهاراً موفداً من قبل « الأستاذ » المؤلف لأكتب عن الكتاب ولو كلمة صغيرة فى « الرسالة » ؛ ولكننى تماديت فى قلة الذوق إلى الحد الذى دفعنى إلى مصارحة « الرسول الكريم » بأننى أهين قلمى وأهين « الرسالة » وأهين عقول القراء إذا كتبت عن هذا الكتاب ... وذهل « الرسول الكريم » ولم يجد بداً من نقل كلامى إلى « الأستاذ » المؤلف ، ولعله فعل هذا ليريح لسانه من كثرة الرجاء وقدميه من طول المسير !!

أنا على إستعداد لأن أنقل إليك عبارات الإهداء الضخمة بالزنكغراف ، وعلى استعداد لأن أذكر لك اسم « الرسول الكريم » وعلى استعداد لأن أقدم لك أسماء من شهدوا فصول القصة من الأدباء ، لتدرك الدوافع الأصيلة لهذا الهجوم الذى « عطر » ثلاث صفحات من « المقتطف » ؛ لقد كنت بالأمس فى رأى الكاتب « النابه » أديباً كبيراً يشار إلىّ بالبنان فأصبحت اليوم فى رأى الكاتب نفسه لاشىء ... وسبحان من جرد الكاتب « الجهير » من ثوب الخلق والضمير ، ومن أضاع ماء الحياء من وجوه بعض الأحياء !!

أترك هذا كله لأقول للكاتب « النابه » إن القائمة الطويلة التى قدمها إلىّ عن كتب الأستاذ سلامه موسى راجياً منى أن أعود إليها عسى أن أغير رأيى فيه ، أقول له إن تلك الكتب بما تحمل فى أحشائها من جراثيم الفتك بالقيم والتقاليد والضمائر والأخلاق والعادات ، هى وحدها سبب حملتى عليه ... فليرجع هو إليها ليغترف العلم من منابع الإنحلال !

أما تلك الفقرات التي نقلها إليّ من كتاب « تربية سلامه موسى » ليستدر بها عطفي على رجل « خدم الأدب والفكر قرابة أربعين سنة كي ينير ويعلم ويسمو بالشبـاب إلى مثليات القرن العشرين ويخرجهم من ظلمات القرون الماضية ويكافح هذا الشرق المتعفن الذي تنغل فيه ديدان التقاليد » إلى آخر هذا الكلام المضحك الذي ورد في ذلك الكتاب ، أقول إن تلك الفقرات جديرة بالتصديق من نزلاء مستشفى المجاذيب !!

ليصدقني قراء « الرسالة » إذا قلت لهم إنكم لم تجدوا تلميذاً لهذا الرجل إلا وهو واحد من هذه التشكيلة العجيبة :

متعلم فاشل ، وماجن مستهتر ، وفتاة عابثة ، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه ، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة ...

مع أخلص التحية للأستاذ عباس محمود العقاد !!

بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية :

هذه قصـــة ذات مغزى ودلالة ، وقعت حوادثها في أرض الديمقراطية الحق لا أرض الديمقراطية المزيفة ... هنـاك حيث يتفيأ الناس ظلال الحرية ويستروحون أنسامها الوديعة ! ولقد حدثتك في العدد الماضي من « الرسالة » عن أرض الديمقراطية المزيفة ، تلك التي يلقى فيها « رالف بانش » ما كان يلقاه العبيد في أحلك عصر من عصور التاريخ ... من حق هذه الأرض أن نهدى إليها هذه القصة ، وإن كنا نخص بالإهداء أرضاً أخرى يعرفها الضللون من أصحاب الأفـكار المنحرفة والمبادىء الهدامة !

« حنّ » المستر كليمنت أتلي رئيس وزراء بريطانيـا يوما إلى كليته القديمة فذهب لزيارتها حيث أقيمت له حفلة غداء ... وبدأ الطلبة المحافظون عملهم فكتبوا بحروف كبيرة فوق سيارة رئيس الوزراء (ممنوع الوقوف هنا) ، ثم داروا حول السيارة وأطلقوا سراح الهواء المحبوس في العجلات ثم ذهبوا من حيث أتوا . وفي تلك اللحظة حضر سائق سيـارة رئيس الوزراء وراعه ما أصاب السيارة فجرها إلى أقرب جراج ولم يخرجها منه إلا في اللحظة التي استعد فيها المستر أتلي لمغادرة كليته القديمة ! غير أن الطلبة المحافظين أبوا أن ينتهي نشاطهم عند هذا الحد فأسرعوا إلى الغرفة التي توجد فيها قبعة رئيس الوزراء ، ولما وجدوا بابها مغلقاً داروا حولها حتى وجـــدوا نافذة مفتوحة فتسلقوا بها وانتزعوا القبعة بعصا لأحدهم ثم كتبوا على ورقة بخط جميل (أنتخب المحافظين في الانتخابات القادمة) ، ثم ثبتوا الورقة ببعض الدبابيس في قبعة المستر كليمنت أتلي ... كل ذلك وقع ولا علم لرئيس الوزراء به ، ولـكنه ما كاد يستقل سيارته حتى هرع الطلبة المحافظون إلى نافذة في الطابق الأعلى ورشوا عربة الرئيس بالماء !

وتقبل أتلي كل هذه الأعمال بروح طيبة ، واعتبرها مداعبة مألوفة من الطلبة » ! !

ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحـكوم ، ويلتقون جميعاً في رحابها كأكرم ما يلتقي الإنسان الـكريم بالإنسان الـكريم وما أروعها من أرض تلك التي تنبت الحرية ليجني ثمارها الأحرار ضع أي رجل من رجال « الـكرملين » في مكان كليمنت أتلي ، وضع بعض الطلبة من الروس في مكان بعض الطلبة من الإنجليز وتصور ما حدث هنا وقد حدث هناك ! إن في مجاهل سيبريا متسعاً للجميع ... وهـــذا هو مفرق الطريق بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية !

إلى المضللين من أصحـاب الأفـكار المنحرفة في مصر نهدى هذه القصة ، ونهدى إلى المثقفين منهم — وما أقلهم — كتابين يصوران هذا الجحيم الشيوعي خير تصوير ، وإن كان أحدهما قد نقل عن رأى العين بينما نقل الآخر عن رأى الشعور ... « آثرت الحرية » للـكاتب الروسي كرافتشنكو ، و « الأيدى القذرة » للـكاتب والفيلسوف الفرنسي سارتر ! !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

هناك أصدقاء مجهولون يكتبون إلي من حين إلى حين ... لماذا يؤثرون أن يظلوا مجهولين وهم أصدقاء ؟ إنني أود من الـكاتب المجهول (س) الذي بعث إليّ برسالته الـكريمة حول قصة « من وراء الأبد » أن يكشف عن شخصيته لأرد على تحيته .

وهذه رسالة أخرى نبيلة الهدف جليلة الغاية من « حلفا — سودان » يقترح على مرسلها الأديب الفـاضل الطيب عبد الله جلال الدين أن أطلب إلى الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد أن يكتب الأول كلمة في « الرسالة » عنوانها « أخي الزيات » وأن

يكتب الثانى كلمة أخرى عنوانها « مصطفى صـــادق الرافعى » ليتحقق الصفاء فى الأدب عن طريق الصفاء فى النفوس ... أود أن أقول للأديب الفاضل إن الكلمة التى ينتظرها من الدكتور طه عن الأستاذ الزيات ستأتى قريباً عند مايستقبل مجمع فؤاد الأول للغة العربية صاحب « الرسالة » بمناسبة إختياره عضواً فى المجمع؛ أما الكلمة الأخرى فلعل الأستاذ العقاد يكتبها يوماً ما . ومهما يكن من شىء فقد حسم الموت مابين الرجلين من خلاف . أما الرسالة الثالثة فتحمل إلى من « الخرطوم — سودان » تقديراً كريماً أرده لصاحبه شكراً خالصاً وهو الأديب الفاضـــل أحمد عوض محمد الموظف بالبنك الأهلى المصرى ، وكم أود أن يرجع إلى بعض مؤلفات الأستـاذ سلامه موسى ومقالاته ليدرك سر نقمتى على أفكاره المنحرفة ، هذه الأفكار التى تهدم كثيراً من القيم الخلقية والإنسانية !

وحين أنتقل إلى الرسالة الرابعة أشعر أن إخوانى فى الجنوب قد بلغوا الغاية فى الوفاء للخلق والعقل ... إن الأديب الفاضل عبد الله شلبى من « عطبرة — سودان » يقدم الدليل على هذا السمو الخلقى والفكرى فى ثنايا رسالته . أما الجواب عما سألنى عنه حول شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية فيستطيع أن يستخلصه مما كتبته عنه على صفحات « الرسالة » ، لأننى قد تعرضت لهذا الجانب من جوانب شخصيته فى الكلمة التى جعلت عنوانها « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستى — سودان » إننى قد قضيت مع شعره لحظات تذوق ودراسة ، وسأوافيه برأيى فى رسالة خاصة .

أما الرسالة السادسة فأشكر لمرسلها الشـــاعر الفاضل محمد المديسى نبيل عاطفته وعاطر ثنائه ، وأقول له إن الكلمة التى كتبها صديق الأستاذ عباس خضر رداً على رسالته إليه قد خفف من وقعها وضوح القصد فى رسالته إلىّ ... ولهذا يبادر الأستاذ خضر بشكر الشاعر الأديب مثنياً على هذه الروح الثالية . وهذه هى الرسالة الأخيرة من الأديب الفاضل عبد الرحمن أحمد شادى الطالب بالأزهر ، أنها تحمل سؤالا ينتظر الجواب عن رأى لشوبنهور ورد فى كتاب « قصـــة الفلسفة الحديثة » للأستاذ أحمد أمين بك والدكتور زكى نجيب محمود ... أرجو أن يتسع وقتى للرد على سؤال الأديب الفاضل فى الأيام المقبلة ، لأن التعقيب على آراء الفلاسفة يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والعناء !

« مقاتل الطالبيين » لأبى الفرج الأصفهانى :

إذا قلت عن هذا الكتاب إنه كتاب قيم فلا أعدو الحق والواقع ... حسب القارىء أن يكون مؤلفه هو أبو الفرج صاحب « الأغانى » وحسب أبى الفرج أن يكون « الأغانى » مشـــيراً إليه ودليلا عليه . أما محققه الأستاذ السيد صقر فشاب يضن بوقته على أن ينفق فيما لافائدة منه ولا خير فيه ، كما يفعل كثير من شباب العلم فى هذه الأيام ... وإنما ينفقه فى البحث والتنقيب والتحقيق ليقدم إلى قراء العربية من حين إلى آخر مايقع عليه من نفائس الآثار الفكرية فى التراث العربى القـــديم ؛ يقدمها خالصة من الشوائب فى حدود مابين يديه من مصادر تتصل بموضوع تحقيقه من قريب أو من بعيد : أما موضوع الكتاب فتدرك أهميته ونفاسته من عنوانه : مقاتل الطالبيين !

فى هذا الكتاب ترجم أبو الفرج للشهداء من سلالة أبى طالب ، أولئك الذين استشهدوا فى سبيل الرأى والعقيدة على أيدى الخصوم من بنى أمية أو بنى العباس ! ترجم لهم فى الفترة التى تبدأ من عصر الرسول وتنتهى بنهاية القرن الثالث الهجرى ، سواء أكان المترجم له قد لقى حتفه بالسيف فى ساحة الجهاد ، أم لقى حتفه بالسم فى ساحة الغدر ، أم لقى حتفه بالتعذيب فى غيابة السجن ، أم لقى حتفه فى مكمنه الذى لجأ إليه فراراً من البطش والعدوان !

ولقد رجع الأستاذ السيد صقر فى تحقيق هذا الكتاب إلى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصريه ، كما راجع نصوص الكتاب على الكتب التى نقل منها أبو الفرج أو التى نقلت عنه مثبتاً ما بينها من فروق ... كما حرص على أن يثبت فى أول كل ترجمة كل مايعرف من مراجع عرضت للمترجم له بأى لون من ألوان الذكر ، وعلى أن يصنع للكتاب فهارس مفصلة للرواة والأعلام ، والجماعات ، والفرق ، والأماكن ، والأيام ، والشعر ، والمصادر ، والتراجم .

كل هذا يطلعك على مدى الجهد الذى بذله الأستاذ المحقق واستحق عليه كل تقدير وكل ثناء ... أما الكتاب نفسه فتحفة نادرة من تحف أبى الفرج ينشدها قارىء الأدب وقارىء التاريخ !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثمان الكتب في وزارة المعارف :

أوضحت في الأسبوع الماضي موضوع اختيار الكتب للقراءة الأدبية في المدارس الثانوية وما أثير حوله في وزارة المعارف ، كما أبديت ما عنّ لي من الملاحظات في شأنه . وأريد أن أعرض اليوم لمسألة أثمان تلك الكتب ، وغيرها من الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية .

أما كتب المطالعة الأدبية فقد كانت الوزارة تشتريها من السوق الحرة بأثمانها التي تباع بها الجمهور أو بما ينقص قليلا عن هذه الأثمان ، إذ كانت الوزارة تكتب إلى المكتبات ودور النشر ، تطلب موافاتها بالثمن الأصلي وبمقدار ما هي مستعدة أن تنقصه من أصل الثمن من أجل الوزارة ..

وفي فبراير الماضي قررت الوزارة أن تثمن الكتب بحسب نفقات طبعها وورقها وحبرها وتغليفها وما إلى ذلك ، وتقدر هذه النفقات لجنة خاصة في الوزارة تضم بعض الفنيين في الطباعة والنشر ، وبطبيعة الحال تحصى اللجنة عدد الصفحات والسطور والكلمات والحروف لتقدر ما تكلفته المطبعة في إعدادها . ويضاف إلى هذه النفقات ستون في المائة منها ، للناشر والمؤلف حسبما يتفقان .

وقد كان يقوم بنفسي إزاء الذي كان متبعاً من قبل ، أنه لا يليق بالوزارة أن تطلب من الناشرين وأصحاب الكتب معاملتها معاملة خاصة من حيث إنقاص الثمن بنسبة معينة ، فهذا أشبه بالمساومة التي يترفع عنها كثير من الناس ، ولم تشترى الحكومة بثمن غير الذي يشترى به الناس ؟ وهل هي عندما تشترى السلع الأخرى تطالب بمثل هذا « الخصم » ؟

ولكن ذلك شيء يسير ، يشغلنا عنه الآن هذا القرار الأخير الذي جب ما قبله ، والذي أربى عليه غبنا . ويظهر أن « حرفة الأدب » تدخلت في الموضوع ، فبدت — كدأبها — أن تزرى أهلها : الأدباء ...

وقل لي بربك هل تشترى الحكومة العلف من تبن وشعير وبرسيم لما تملكه من بهائم ، بحسب نفقات الإنتاج ، في غير ما يدخل التسعير العام للجمهور ؟ فما بالها تتخذ هذه الطريقة في غذاء العقول ومنتجات قرائح أصحابها من الطبقة الممتازة في الآدمية ؟

ولم يرح أصحاب الكتب المقررة إلى تلك الطريقة التي تقرر اتباعها في تثمين كتبهم ، ومن أوجه الضرر التي تلحق بهم أن الوزارة حينما تشترى الكتاب بثمن بخس وتأخذ منه عشرة آلاف أو عشرين ألفاً أو ما بين ذلك ، ترخصه في السوق ، فقد يعود إليها بعد التوزيع على الطلبة بثمن أقل . ويرون أن الأمر غير لائق من الوجهة الأدبية كما هو مجحف من الناحية المادية يقول بعضهم : هل نحن نعتصر أفكارنا لتقدر بسعر ما تكتب به من الحبر ؟

وقد حدث أن قدرت اللجنة الجزء الأول من كتاب « الأيام » بسبعة قروش وهو يباع للجمهور بعشرين قرشاً ؛ ولما علم الدكتور طه حسين بك مؤلف الكتاب بهذا التقدير ، رأى الامتناع عن بيعه للوزارة ، فزيد التقدير عدة مرات إلى أن وصل التقدير إلى ثلاثة عشر قرشاً ، حتى رضى الدكتور . وهذا مثل يطلعنا على ما عساه أن يكون لذلك القرار من جرائر وما يسود تنفيذه من اعتبارات . .

ومما يوجه إلى طريقة تثمين الكتب بنفقاتها المادية ، أنها تسوى بين كتاب وكتاب قد يكونان مختلفين في القيمة الأدبية ، وتلك الطريقة لا تكون عادلة إلا في بيع الكتب المتخلفة عن الرواج حينما توزن بالأقات والأرطال . .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أن الكتب التي تقرر لمكتبات المدارس تطبق في تثمينها الطريقة الأخيرة ، فيما يؤخذ منه أكثر من ثلثمائة نسخة ، أما ما دون ذلك فيشترى بأثمان السوق أو بما ينقص عنها قليلا كما تقدم .

أما الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية فلها قصة أخرى : كانت الوزارة تطبع هذه الكتب بالمطبعة الأميرية ، وتوزعها على طلبة المدارس الأميرية . وقد جرت على أن تعطى

المؤلف مكافأة نحو مائة أو مائتين من الجنيهات ، وكثيراً مايكون للكتاب عدة مؤلفين ، وقد يكون له عدا المؤلفين مراجعون ولم تكن المكافأة فى نظر المؤلفين والمراجعين شيئاً مذكوراً إنما كان ربحهم من طبع الكتب فى مطابع أهلية بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالثمن المقدر رسمياً على أساس هذه النفقات ، لطلبة المدارس الحرة فى مصر ، ولبعض وزارات المعارف والمدارس الحرة فى الأقطار العربية الشقيقة.

وفى فبراير الماضى قررت وزارة المعارف أن توزع الكتب المدرسية على المدارس الحرة كما توزعها على مدارسها .

ورأت دور النشر فى هذا القرار ما يهددها فى أرحب مجال لعملها وخاصة فى هذا الوقت الذى قل فيه الإقبال على الكتب وتعذر إصدارها إلى الخارج ، فشكت إلى الوزارة ماينالها من جرائه ومايؤدى إليه من تعطيل عمالها ، وشاركها فى ذلك المؤلفون إذا رأوا أن كل كسبهم من تأليفهم ينحصر فى المكافأة الضئيلة المزيلة التى تمنحها الوزارة لهم ، وقد قرر بعضهم الامتناع عن التأليف المدرسى ما دامت هذه الحال .

ومما لا شك فيه أن امتناع المؤلفين الممتازين عن التأليف وقيام غيرهم به ممن يرضى بالقليل يؤدى إلى ضعف التأليف للمدارس وانحطاط مستواه .

وقد تولى وزارة المعارف معالى الأستاذ على أيوب ، وتلك الحال قائمة ، وقد تلقى شكايات واستمع إلى وجهات نظر مختلفة . والأمر — فى كل ما يتعلق بالكتب مدرسية أو أدبية عامة — بين يدى معاليه قيد البحث والنظر ، ولا شك أن روح القاضى التى يعالج بها معاليه أمور وزارة المعارف منذ وليها ، يبعث الطمأنينة فى نفوس المهتمين بالأمر وذوى الغيرة على الصالح العام .

اليوم خمر :

هى حياة امرئ القيس ، وهى تتلخص فى هاتين الكلمتين « اليوم » و « خمر » فقد كان يعيش فى يومه عيشاً كله خمر ، فلم يعبأ بالغد ولم يجد فيما نازعته إليه نفسه أحياناً من أمر ، فهو يلهو بالشرب والصيد ومغازلة الحسان ، حتى إذا قتل أبوه وبلغه نعيه وهو عاكف على لهوه لم يثنه ذلك عن شرابه ولعبه وأعلن أن « اليوم خمر وغداً أمر » فإذا نال من قتلة أبيه بعض الشىء أعلن خلك الخطر

كشكول الأسبوع

◻ تنفيذاً لرغبة ملكية كريمة قرر معالى وزير المعارف إقامة لوحة تذكارية بدار الأوبرا للمرحوم نجيب الريحانى تقديراً لما أداه من جهود فنية فى خدمة البلاد .

◻ أطلق اسم « ابن سينا » و « الرازى » على مدرجين فى كلية الطب بباريس . وقد اقترحت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية إطلاق اسم « ابن سينا » على أحد مدرجات كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

◻ اعتزمت اليونسكو إخراج مؤلف شامل عن ابن سينا يشترك فى وضعه لفيف من أعلام المختصين فى مختلف الأمم .

◻ نشرت مجلة « الأديب » البيروتية لوكيلها فى القاهرة ، أن العالم الأدبى (ممثلا فى شخصه) استاء من مهاجمة « الرسالة » لسلامة موسى ... وقد كتب ذلك قبل نشر كلمتنا « مجمع سلامة موسى للغة العامية » والمنتظر أن يكتب وكيل المجلة إليها للنشر فى العدد القادم معبراً عن استياء « العالم العامى »

◻ وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد على تعيين الأستاذ عبد الوهاب حمودة أستاذاً لكرسى شوقى بالكلية .

◻ تلقت وزارة المعارف من السيرجون هامرتن ناشر كتاب « تاريخ العالم » الذى تقوم بترجمته إدارة الترجمة بالوزارة وتنشره مكتبة النهضة — رسالة يثنى فيها على توفيق الوزارة فى نشر الكتاب ودقة ترجمته . وقد جاءت الأنباء بأن الناشر توفى ، وكانت وفاته قبل وصول رسالته إلى وزارة المعارف .

◻ اعتاد الدكتور ابراهيم ناجى رئيس رابطة الأدباء ، حينما يلقى محاضراته بالرابطة ، أن يجلس بين فتاتين ، تبتسم له كل منها إذا التفت يميناً أو يساراً ، وتجلس قبالته فتاة أخرى تبدى على أساريرها علامات الإعجاب كأنها تفهم ما يقول . وقد علق أحدهم على ذلك فقال إن الدكتور ناجى يبدو فى هذه الهيئة مثل هارون الرشيد بين جواريه .

◻ أذيع يوم الجمعة الماضى الحديث الثانى من أحاديث « قصة الأدب المصرى الحديث من أول القرن إلى اليوم » المسجلة بالإذاعة للدكتور طه حسين بك ، وقد تناول فى هذا الحديث إنشاء الجامعة القديمة وأثرها فى النهضة العلمية الحرة ، كما تحدث عن بعض أساتذة الجيل وأثرهم فى تحرير الفكر ، وأفاض خاصة فيما كان يكتبه « الشيخ طه حسين » — على حد تعبيره — عن المنفلوطى ، ومما قاله أنه يشعر بالخجل إذا ذكر عنفه فى الهجوم على المنفلوطى وإن كان لهذا الهجوم أثره فى التوجيه إلى حرية النقد والتجرد من تقديس شيوخ الأدب فى ذلك الحين .

◻ تقيم اليونسكو بالاشتراك مع الحكومة الفرنسية ، معرضاً دولياً فى أواخر هذا الصيف بباريس ، لعرض الأطوار التى اجتازها البصر فى سبيل تحريرهم حتى الآن .

واستأنف يومه وخمره، وأعرض عن غده، وأعياه أمره. وتعرض له فكرة الرحلة إلى القسطنطينية للاستعانة بقيصر على استعادة ملك أبيه، فيحزم أمره على الرحلة عند ما يعلم ما فى القسطنطينية من خمر معتقة ومن فيها من حسان فاتنات. وهناك يستبدل حانة ميخايلوس بدارة جلجل، وأين عذارى الغدير من لا ريسكا ومينورقا وابنة القيصر؟

تلك هى حياة الأمير الشاعر امرئ القيس بن حجر الكندى كما صورها الأستاذ محمود تيمور بك فى مسرحيته الجديدة «اليوم خمر» وقد عنى فيها بتصوير الصراع فى نفس امرىء القيس بين حياة اللهو والمرح وبين المجد المؤثل، ويغوص الأستاذ فى طوايا هذه النفس ليستخرج حقيقة معدنها، فإذا هى نفس جادة إذا هزلت وهازلة إذا جدت!

والمعجزة الكبرى فى هذه المسرحية، هى تطويع الجزالة العربية لأسلوب العصر وصب الفحولة الجاهلية فى قالب الرشاقة المصرية، وقد مزجت بعض العبارات الأصيلة المأثورة بأسلوب المؤلف فلا تميزها إلا بمعرفتك إياها من قبل، ومع هذا لا يذهب بك بعيداً عن لغة عصرنا هذا برقتها وسهولتها.. وأعتقد أن الأستاذ تيمور بك توخى بذلك أن يستكمل تصوير عصر المسرحية بأسلوب أشبه بلغته، وقد بلغ بذلك ما أراد مع تجنب الإغراب وترك ما ليس مأنوساً فى هذا العصر.

وتعرض المسرحية صورة صادقة للحياة العربية البدوية الأولى — كما نتخيلها — وتبرز شيمها وطبائعها التى تنزع نفوسنا إليها باعتبارها أصلاً من أصولنا، ولا نزال نترسمها فى مثلنا وحياتنا. وفيها تعبير عن معان وحقائق إنسانية خالدة. وهى تتسم بالجمال، جمال البيان، وجمال التنسيق فى عرض الحوادث والمناظر، وجمال الصدق فى التعبير عن خلجات النفوس ومفارقات الحياة.

وقد آثرت أن أمسك عما لاحظته فى المسرحية مما أظنه مآخذ، إلى أن نلتقى بها فى المسرح، ولعل الفرقة المصرية تفتتح بها موسمها القادم على مسرح الأوبرا، وتهيىء لنا بذلك لقاءها هناك.

نجيب الريحانى:

توفى يوم الأربعاء الماضى، الممثل الكبير الأستاذ نجيب الريحانى، وقد بعث نعيه الحزن فى كافة الطبقات، فلم يكن فقيد طبقة أو طائفة دون أخرى. إنما هو فقيد أمة، عاش لها وخدمها بفنه ظل حياته على المسرح يضىء لها، وأخيراً احترق.

كان رحمه الله فناناً ساخراً، يسخر من الحياة وممن يعقدون أمورها على أنفسهم وعلى الناس، وطالما حل مشكلاتها بحكمته الضاحكة، وطالما بعث المسرة إلى القلوب بفكاهته الرائقة، وأخيراً أسدل الستار على المأساة إذ فارق الحيـــاة. وقد كان يكشف بحاسته الفنية ما فى الحياة من سخف وتفاهة، ولعله بمفارقتها قد بلغ نهاية الفن... إذ أشرف روحه على مهازل الأحياء فسخر منهم السخرية الكبرى.

ووفت له الجماهير، إذ احتشـــدت فى تشييع جنازته التى هرع الناس إليها من جميع الطبقات فكانت جموعهم ودموعهم مرثية رائعة مطلعها مندوب جلالة الملك.

كانت صحة الفقيد الكريم قد اعتلت أخيراً، ولكنه ظل يعمل على المسرح لأنه لم ير للعيش طعماً مع اعتزال الفن والخلود إلى الراحة، ولكن الراحة الكبرى سلبته الاختيار، فخلى مكانه فى المسرح، وأسلم الراية مكرهاً.

كان الريحانى مدرسة فى فن التمثيل تهدف إلى الأغراض الإصلاحية، وتؤدى إلى هذه الأغراض بطريقة فكاهية محببة إلى الخاصة والكافة، فكان المجتمع يتلقى عليه ويستفيد منه وهو يستمتع بفنه ويطرب لدعابته.

فما أشد فاجعة المسرح فى الريحانى، وما أفدح خسارة الأمة فى فنانها العظيم.

عباس خضر



١ — حول شاهد :

استشهد أحد الكتاب على تأنيث الضبع بقول الشاعر :

فإن (قومك) لم تأكلهم الضبع

وقد أخطأ فى استشهاده ، وفى روايته ، كما أخطأ من قبل فى ادعائه التأنيث فقط . فقد جاء فى لسان العرب : الضبع السنة الشديدة المهلكة الجدبة ، قال عباس ابن مرداس :

أبا خراشة أما (أنت) ذا نفر فإن (قومى) لم تأكلهم الضبع

ومثله فى شرح القاموس وغيره .

وجاء فى مادة (خرش) من اللسان وغيره ما نصه :

أبا خراشة أما (كنت) ذا نفر فإن (قومى) لم تأكلهم الضبع

قال ابن برى : البيت لعباس بن مرداس السلمى ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة ، فقال يخاطبه : إن كنت ذا نفر وعدد قليل فإن قومى عدد كثير لم تأكلهم الضبع وهى السنة الجدبة اه ومن هذا يظهر لك خطأ الرواية أيضاً .

والعرب يستعملون هذا كثيراً فى الشكايات ونحوها ، فقد جاء فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير : إن رجلا أتاه فقال قد أكلتنا الضبع يارسول الله ،يعنى السنة الشديدة المجدبة ،وهى فى الأصل الحيوان المعروف ، والعرب تكنى به عن سنة الجدب اه . وفى النهاية أيضاً ومنه حديث عمر «خشيت أن تأكلهم الضبع» .

وفى اللسان : جاء أعرابى إلى رسول الله فقال يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم اه .

وفى شرح القاموس: وفى حديث أبى ذرقال رجل يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم ، وهو مجاز اه . وقوله مجاز أى تجوز فى التعبير بالضبع ، فإن المعنى الأصلى الحيوان المفترس المعروف ، والمعنى المجازى هو العام المجدب ، وهو أشد فتكا من الضبع كما ترى فى المجاعات ولا سيما فى بلاد العرب .

وجاء فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٨١ ترجمة خفاف ابن ندبة ما نصه : قال حمزة الأصبهانى فى أمثاله التى على وزن (افعل) عند قوله (أفسد من الضبع) إنها إذا وقعت فى الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفى به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمها للسنة الجدبة فقالوا أكلتنا الضبع . ومما يؤيد هذا أن العرب يقولون أكلتهم السنة إذا أهلكهم الجدب والقحط (شرح القاموس — سنة)

٢ — هام ومهم

لغتان عربيتان صحيحتان ولا فرق بينهما فى الاستعمال :

فقد جاء فى لسان العرب : همه الأمر هما وأهمه ، وقال أبوعبيدة فى باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه همُّك ما همَّك ويقال : همك ما أهمَّك اه

وجاء فى القاموس والمعيار : همه الأمر هماً كأهمه اه

وجاء فى المصباح : أهمنى الأمر بالألف وهمنى هماً من باب قتل مثله اه

وإنى أحذر الكتاب من النقود المزيفة فى « لغة الجرائد » وغيرها وعليهم أن يرجعوا إلى المعاجم العربية وغيرها من المراجع العربية .

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

لفظ فى بيت :

فى مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب «نظرات فى كتاب الأشربة» للاستاذ كرد على عقب على البيت التالى :

فهذا ثباتى لم أقل بجهالة ولكننى بالفاسقين عليم

بقوله : « والصواب (فهذا ثنائى) كما فى العقد الفريد ، وليس للثبات هنا أى معنى يستقيم به نظم الكلام ، ويقوم عليه بناء معناه » !

قلت : بل للثبات » هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالعقد الفريد وذلك لسببين :

الأول : أن الشاعر يقرر حالة هى إلى قدح القادح أقرب منها إلى « ثناء » المادح . وأى « ثناء » ذلك الذى يوجه إلى قوم

لا يحفظون الحريم ، وينقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ، ومن وفاء إلى عداء ؟!

والثانى أن الأستاذ الناقد فهم من « الثبات » أنه الدوام والاستقرار ، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية العقد الفريد وهي — كما سبق — رواية لا يزكيها واقع الحال ... وإنما يقال فى مقام التصحيح أن « الثبات » بمعنى الحجة والبرهان. تقول : لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أى بحجة وبرهان ودليل . فالشاعر إنما يقول عن علم وليس عن جهالة وهو بالفاسقين عليم ... وحجته معه !

(الزيتون) عمر نان

ثلاثة جاهدوا فصدقوا :

نشرت الرسالة الغراء فى العدد ٨٢٩ مقالاً قيماً للاستاذ محمد سليم الرشدان تحدث فيه عن ثلاثة جاهدوا فصدقوا ، فى فلسطين ، فأجاد وأبدع فى وصف بطولة الشهيد المرحوم عبد الرحيم محمود الشاعر المبدع .

لقد كان بطلاً فى حياته ومماته ، وقد كانت الخسارة فادحة ، والرزء عظيم فيه .

وحينما تحدث الأستاذ عن البطلين الآخرين ، لم يصاحبه التوفيق ، لأن الأستاذ الرشدان من السلط من شرق الأردن ، وليس من فلسطين ، ومعرفته بجغرافية فلسطين وأهلها محدودة جداً ، وهذا ما كان سبب عدم الدقة فى حديثه عن هذين البطلين .

فأما البطل الثانى السيد أحمد السبع فهو من أسرة السبع المشهورة بثرائها وأملاكها الواسعة فى قلقيلية ، فلم يكن فى حاجة إلى العمل خارج فلسطين ، ولا ينتظر من شاب مثقف مثله أن يترك أملاكه وثروته ويتشرد جائماً ، وقلقيلية لم يتطرق إليها خطر مباشر كما حدث فى البلدان الفلسطينية الأخرى ...

وأما البطل الثالث وهو الأستاذ عبد الله الريماوى ، فقد نسبت إليه البطولة لأنه أبى أن ينسحب هارباً من قريته بروقين ليلة كارثة اللد والرملة . والذى يعرف مكان قرية بروقين وبعدها عن اللد والرملة يستغرب كيف خطر للاستاذ الرشدان أن ينسب بطولة لشاب مثقف : يريد أن يفر من مسقط رأسه . وهى تبعد مسافة تزيد على عشر ساعات سيراً على الأقدام داخل الجبال التى يعسر على الإنسان السير فيها عن اللد والرملة .

وللاستاذ الرشدان تحياتى .

راتب يحيى الشامى

« الجائزة » أو لماذا أومن بالله :

كتاب فى ٣١٠ صفحات يدلل على وجود الله فى أسلوب سهل شائق كأنك تقرأ فى قصة . يتناول كل شبهات الملحدين التى ضلوا بها وأضلوا — فينقضها نقضاً ويدحضها دحضا .

من الموضوعات التى عالجها لإثبات وجود الله تعالى : تهيئة البيئة الصالحة للحياة ، إمداد الكائن الحى بجميع معدات الحياة ، للانسان كل ما فى الأرض وهو خليفة لله فيها ، دليل الضبط والتقدير الكونى ... الخ .

ومن الشبهات التى دحضها : الصدفة ، الطبيعة ، القوة والمادة ، نظرية النشوء والارتقاء ، وهل هى تريب إن صحت . شبهة أعطى فكفر ، ضلالات المتدينين وأخطاؤهم فى تعليل الأمور — وما يتعلل به الملحدون علينا بسبب ذلك للآن .

إن الملحدين قد دأبوا على تضليل الناس وتشكيكهم فى عقائدهم باسم العلم وكتاب كهذا يكشف الأمر على وجهه ويرد الحق إلى نصابه . ثمنه ٢٥ قرشاً



نظرات فی كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٤ —

٢٤ — ص ٣٨ « وقال آخر :

بلوت النبيذيين فی كل بلدة ... فليس لأصحاب النبيذ حفاظ

إذا أخذوها ثمَّ أغنوك بالمنى ... وإن فقدوها فالوجوه غلاظ

مواعيدهم ريح لمن يمدونه ... بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا

بطان إذا ما الليل ألقى رواقه ... وقد أخذوها فالبطون كظاظ

يراغ إذا ما كان يوم كريهة ... وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

وعلق الأستاذ على هذه الكلمة بقوله « فی ع : يراعوا »

والصواب « يراعٌ إذا ما كان يوم كريهة » جاء فی لسان العرب : « اليراع : القصب ، واحدته يراعة . واليراعة ، واليراع : الجبان الذی لا عقل له ولا رأی ، مشتق من القصب ، أنشد ابن بری لكعب الأمثال :

ولا تك من أخدان كل يراعة ... هواء كسقب البان جوف مكاسره

٢٥ — يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس إلى عقب الرجل ونجله ، قال المأمون لقوم : يا نطف الخمار ، ونزاع الطاؤور ، وأشباه الخؤولة » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فی الأصل ونزائع الصؤور والذی أثبتناه رواية ع »

والصواب : « ... ونزائع الطاؤورة »

٢٦ — ص ٣٨ « وقال مسلم بن قتيبة : إن آل فلان أعلاج أوباش لئام غدر ، شرابون ما نقع . ثم هذا يُعد فی نفسه نطفة خمار فی رحم صناجة »

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله « فی الأصل بأنقع ، ولعل الصواب ما اخترناه » وقد أخطأ الأستاذ فی تغييره العبارة عن أصلها ، ولم يفطن إلى أن « شرابون بأنقع » تعبير فصيح ، ولم يعرف أنه مثل عربی مشهور . جاء فی لسان العرب : « ومن أمثال العرب : إنه لشرَّاب بأنقع ،

وورد أيضاً فی حديث الحجاج : إنكم يا أهل العراق شرابون علىَّ بأنقع . قال ابن الأثير : يضرب للرجل الذی جرَّب الأمور ومارسها ، وقيل للذی يعاود الأمور المكروهة ، أراد أنهم يجترئون عليه ويتنا كرون . وقال ابن سِيده : هو مثل يضرب للانسان إذا كان معتاداً لفعل الخير والشر » .

وصواب عبارة مسلم بن قتيبة : « .. شرابون بأنقع ، ثم هذا يَعُدُ فی نفسه نطفة خمار ... » .

٢٧ — ص ٣٩ يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة ، وسقوط الرتبة ، وتلف النفس . فإن الرجل ربما استخلصه السلطان لمنادمته ، وأدخله موضع أنسه فيزين له الكأس غمز القينة » .

والصواب : « فتزين له الكأس » لأن الكأس مؤنثة . ومثل ذلك ما جاء فی ص ٤١ « ومن شربة النبيذ الشطار والخلعاء والمجان ، فحملهم الكأس على المجون » والصواب : « تحملهم الكأس على المجون » .

٢٨ — ص ٣٩ « وقد كان عمرو بن هند استخلص طرفة ابن العبد لندامته ، فبينا هو يوماً معه بشرب أشرفت أخته عليهما فرأى طرفة ظلها فی الجام فقال :

ألا أيها الملك الـ (م) ـذی يبرق شنفاه

ولولا الملك القاعد قد ألثمنی فاه »

والصواب : « استخلص طرفة بن العبد لِندامه » أی منادمته .

وقد شرح الأستاذ كلة الشنف بقوله : « الشنف بفتح الشين أعلى القرط » !!!

ولما كنت لا أعرف أن لأجزاء القرط أسماء خاصة بها فقد سألت صديق الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر عما قاله الأستاذ فقال : « هذا كلام لا معنى له ، وكل ما قاله اللغويون أن الشنف هو القرط الذی يلبس فی أعلى الأذن ، والرعثة : هو الذی يلبس

فى أسفل الأذن ولعل صاحبك قرأ ما جاء فى القاموس واللسان والصحاح من قولهم : الشنف القرط الأعلى ، فلم يدرك ما يريدون وصحح لهؤلاء العلماء الأجلاء هذا الخطأ ، فحمل للقرط أعلى وأسفل على ما يتوهم ، وأبى إلا أن يكون الصواب أعلى القرط » .

٢٩ — ص ٤٨ « واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام . فإن هذا منسوخ ، نسخ يشربه الصلب يوم حجة الوداع » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى النهاية لابن الأثير : فى حديث أبى عبيدة : تمر ذخيرة مصلبة أى صلبة ، وتمر المدينة صلب . وقد يقال رطب مصلب بكسر اللام اى يابس شديد »

فيكون معنى كلام ابن قتيبة بناء على شرح الأستاذ « فإن هذا منسوخ ، نسخ بشربه التمر » !

ولو رجع الأستاذ إلى صفحة ٢٠ من هذا الكتاب لوجد ابن قتيبة يقول : « وأما النبيذ فاختلفوا فى معناه فقال قوم : هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل أن يغليا ، فإذا اشتدّ ذلك وصلب فهو خمر » . وجاء فى صفحة ٢٢ « حدثنى أصحاب أنس عنه أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذى يكون فى الخوابى » وفى ص ٢٩ « ... وبأن عمر كان يشرب على طعامه الصلب ويقول : يقطع هذا اللحم فى بطوننا » .

ويمنعنى احترامى للأستاذ محمد كرد على من أن أعقب على شرحه هذا بحرف واحد ...

٣٠ — ص ٤٨ « وبأن ابن مسعود قال : شهدت التحريم وشهدت التحليل وغبتم ، وبأنه كان يشرب الصلب من النبيذ الجر حتى كثرت الروايات عنه ... » .

والصواب : « كان يشرب الصلب من نبيذ الجر ... »

٣١ — ص ٤٨ « ... عن عبد الملك بن أخى القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بقدح فيه شراب فقربه إلى فيه ثم رده ، فقال بعض جلسائه : أحرام هو يارسول الله ؟ فقال: ردوه فردوه ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء » .

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى قول عمر رضى الله عنه إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء قال أبو العباس : يقول : إذا جاوزت حدها الذى لايسكر إلى حدها الذى يسكر »

أخطأ الأستاذ فى فهم النص السابق وحسب أن عمر بن الخطاب هو الذى قال : إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء . ولست أدرى كيف أقحم الأستاذ عمر بن الخطاب هنا وليس فى النص مايشير إليه ؟ ولعله توهم أن ابن عمر روى ذلك عن أبيه أو لعله يقصد أن ابن عمر هو الذى قال هذه الكلمة . وسواء علينا أتوهم الأستاذ ذلك أم قصد هذا فانه مخطىء لامحالة وقائل هذه العبارة — حسب تلك الرواية هو النبى صلى الله عليه وسلم « ... فقال بعض جلسائه أحرام هو يارسول الله ؟ فقال ردوه فردوه ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال : أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء »

وهذا حديث مكذوب على النبى ، وسنده يحمل فى أطوائه دليل وضعه « عن عبد الملك ابن أخى القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال كنا عند النبى الخ »

جاء فى خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٨ « عبد الملك بن نافع أو ابن القعقاع عن ابن عمر . قال أبو حاتم لايكتب حديثه » على أن فى الكلام تحريفاً لم يتبينه الأستاذ وهو « القعقاع بن ثور» والصواب :« القعقاع بن شور» بالشين لابالثاء ، قال ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار ١ — ٣٠٦، ٣٠٧ « كان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً فى ماله وأعانه على عدوه ، وشفع له فى حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً . وقسم معاوية يوماً آنية فضة ودفع إلى القعقاع حظه منها فآثر به القعقاع أقرب القوم إليه فقال :

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير ... وعند الشر مطراق عبوس

راجع القاموس وتاج العروس فى مادتى « شور وقعقع »

ولسان الميزان ٤ — ٤٧٤ والبيان والتبيين ٣ — ٢٠٣
ومحاضرات الأدباء ١ — ٢٣٠ وثمار القلوب ص ١٠٠
والتاريخ الكبير للبخارى ٤ — ١٨٨ من القسم الأول ،
وتهذيب التهذيب ٦ — ٤٢٧

٣٢ — ص ٤٧ « ... عن ابن جرير ، عن عطاء أن عمر وقف على السقاية فوضع يده على بطنه فقال : هل من شراب ؟ فانى أجد فى بطنى غمزاً ، فأتى بشربة من السقاية فشربها ... » وعلق الأستاذ على ذلك بقوله « فى البغدادية : عن أبى جريح » والصواب : « عن ابن جريج عن عطاء ... » وابن جريج كما فى المعارف للمؤلف ص ٢١٤ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٢٥ هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى المكي ، قال ابن المدينى : لم يكن فى الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج . توفى سنة خمسين ومائة . وكانت وفاة عطاء بن أبى رباح القرشى فى سنة ١١٤هـ كما فى تهذيب التهذيب أوفى سنة ١١٥ كما ذكر ابن قتيبة فى المعارف ص ١٩٦

« يتبع »

السيد أحمد صقر
المدرس فى الابتديه بمصر الجديدة

تصويب :

وقع فى الكلمة المنشورة فى العدد الماضى تحريف كثير نذكر بعضه مصوباً فيما يلى :

ص ٩٦١ س ١٣ من العمود الأول « والذى حده عمرو فى مصر سراً وأعاد عليه عمر بن الخطاب الحد هو عبيد الله ابن عمر بن الخطاب ... »

س ١٠ من العمود الثانى « خيضل الكياس »

ص ٩٦٢ س ٢٥ من العمود الأول « وجبير ابن أيمن »

س ٢٠ من العمود الثانى « بياعه يبطون ما سألوا »

ص ٩٦٣ س ١ « وهم يقولون »

س ٢ « على هذا لبأس شديد »

مطبعة الرسالة



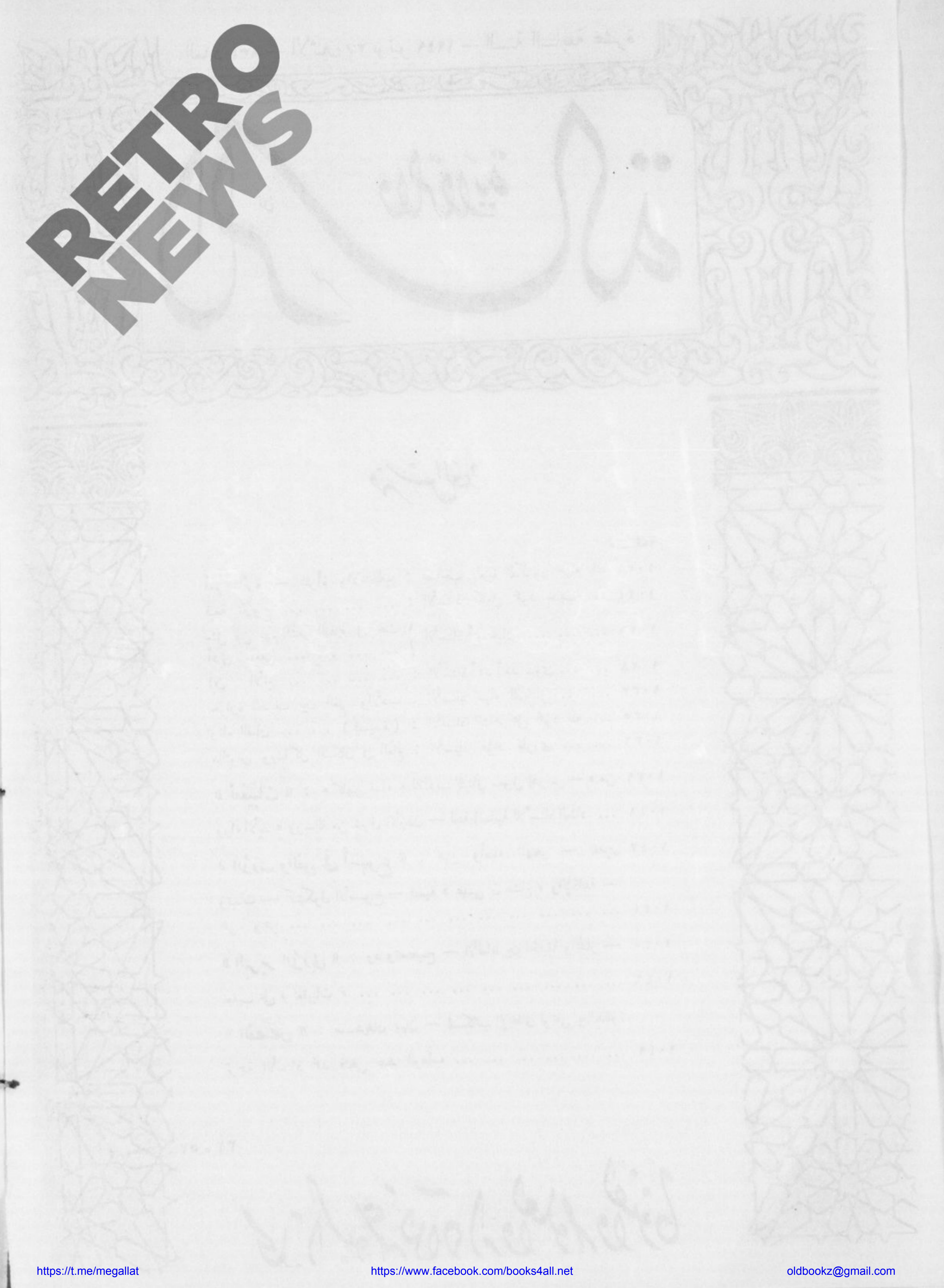
العدد ٨٣٤ — الاثنين ٢٧ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

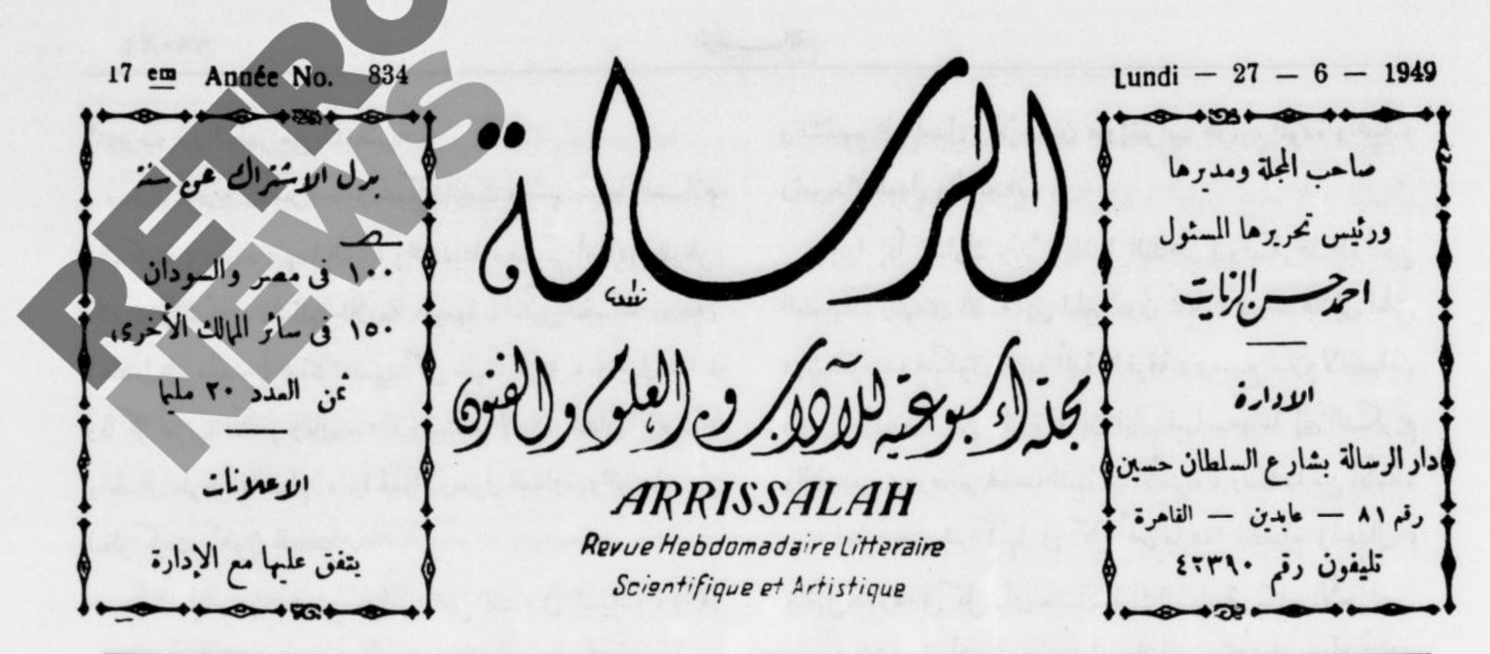


فهرس العدد

٣٢٠٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العـــدد ٨٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين أول رمضان سنة ١٣٦٨ — ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٩ – أمم حـــائرة

المرأة والانتخاب

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

ثار جدال واشتد نزاع على اشتراك المرأة فى الانتخاب . وحسبى فى هذا المقال أن أصور للقراء جدالا فى مجلس ضم جماعة من أولى العلم تختلف آراؤهم فى هذا الشأن .

تحدث حاضرو المجلس فى بعض ما نشر فى الصحف تأييداً لمطالبة المرأة ، أو المطالبة لها بالانتخاب ، وإنكاراً لهذه المطالب .

فبدأ أحد المتكلمين الجدال إذ قال :

حقٌّ للمرأة كيف يجحد ، وكرامةٌ لها كيف تهان ، ومشاركة فى تدبير أمور الأمة كيف تحرَّم عليها ؟ لا أرى لمنكر حجة ، ولا لمخالف عذراً » .

قال أحد المتحدثين : « وددت أنَّا تجنبنا هذا الحديث فى هذا المجلس ، ولكن صاحبنا لا يجد لمنكر حجة ولا لمخالف عذراً ، فحق علينا أن نبيّن حجتنا وعذرنا .

إنا نعوذ بالله من السياسة ومكايدها ، وعصبية الأحزاب وطرائقها ، وتحيز الصحف وجدالها .

ونعوذ بالله أن تسابق المرأة فى هذا المضمار ، وأن تصلى بهذه النار . ونعيذها بالله أن تَشغل نفسها بهذا اللجاج ، وأن تزج نفسها فى هذا المجاج ، ونحذر أن تمتد ضوضاء السياسة إلى سكينة البيت ، وخلافُ الأحزاب إلى وفاق الأسرة .

إن من شئون الأمة لشئوناً ينبغى أن تُنزَّه عن الجدال ، وتُصان عن النزاع والخصام ، ويكتنفها الوفاق والوئام ، وتحوطها السكينة والسلام ، وأولها شئون الأسرة .

إننا لا نرضى لطلبة العلم أن يعملوا فى السياسة فيتفرقوا شيعاً ، ونود أن تكون معاهد التعليم للأمة كلها ، يجمع طلابها الحق ، ويؤلف بينهم العلم ، ويؤكد أخوتهم التعاون على كل بر ، والجهاد لكل خير . وقد خبرنا من عمل السياسة فى الطلبة ما خبرنا ، وبلونا من شرها ما بلونا .

وإن الأمم تنأى بالجيوش عن معارك السياسة وخصومات الأحزاب ، لأنهم للوطن كله ، وللأمة جميعها ، والوطن واحد والأمة واحدة .

ونعوذ بالله من جند يختلف أحزاباً ويتفرق طرائق ! إن الجند سياج الوطن المنيع ، وحرزه الحريز ، ينبغى أن تجتمع قلوبهم وألسنتهم وأيديهم على الذود عن ديارهم ، لا تفرقهم الأهواء ، ولا تتقسمهم النزعات .

وشئون أخرى للأمة لا تصلح إلا باجتماع الرأى فيها ، واتفاق القلوب عليها . وشئون الأسرة أولى هذه الشئون بالتنزه عن

التحزب ، والتطهر من التعصب .

والمرأة ربة الأسرة ، وملكة البيت ، تنشر فيهما السلام والسكينة ، وتبعد عنهما النزاع والضغينة ، فتربّى أولادها للوطن كله ، وتنشّىء ناشئتها للأمة جميعها . مثّل لنفسك زوجين اجتمعا على مائدة ، وقد تعصب كل منهما لحزبه ، وجادل عنه ، وذكر حزب الآخر ونال منه ، واستمع الأولاد لجدال الأبوين ، والجدال طريق الخصام ، والخصام رسول العداوة والبغضاء . ثم انظر كيف تكون العاقبة .

هذا جانب واحد من جوانب عمل النساء في السياسة ، وآفة واحدة من آفات تعصبهن ، ودخول التحزب إلى بيوتهن .

نناشدكم الله والوطن أيها الدعاة أن تدعوا لنا المرأة نسكن إليها من ضوضاء العيش ، ونفر إليها من خلاف المذاهب ، ونستريح عندها من جدال الأحزاب ، ونتعلم في جوارها الحب والود ، والسلام والبر .

نناشدكم ألا تجعلوا من كل أسرة لجنة حزبية ، أو لجاناً متعددة لأحزاب مختلفة ، وألا تنقلوا الجدال والخصام ، والافتراء والبهتان ، إلى المعبد الذي نأوى إليه ، ونلتمس الدعة والسكينة والألفة والمحبة فيه .

حسبنا — أيها الإخوان — هذا النزاع الدائم ، والدوىّ المستمر الذي نلقاه في كل طريق ، وكل ندىّ ، ونقرؤه في كل صحيفة ، ونسمعه في كل مذياع . فنحن منه في شغل بالنهار وهمّ بالليل .

دعوا المرأة تتزوّد من العلوم والآداب والأخلاق ، وأبعدوها من هذا المعترك لتكون داعية وفاق ورسول مودة ، ولتكون — كما خُلقت — مصدر خير وبر ، وألفة وحب .

قال الأول — وقد احتدّ قليلاً — : « إنكم إذاً تحرمونها المشاركة في أمور الأمة ، وتحرمون الأمة تدبير المرأة ، وهي — كما تعترفون — مصدر خير وبر وألفة ووفاق ، فلماذا تحرمون الأمة من برّها ووفاقها في بعض شئونها ؟ »

فأجابه مناظره : « كلا ، كلا ، بل تشارك خير مشاركة بالتربية والتهذيب ، وبالتعليم والإرشاد ، وتدبّر أجدى تدبير بالقيام على أخلاق النشء وأفكارهم ، وبدعوتهم إلى الحق والخير ، وتنشئتهم على العدل والإحسان ، وإشراب قلوبهم المودة والمحبة ، وتعويدهم العدل والإنصاف .

إنها إذاً تشارك وتدبّر بقلبها الطاهر ، وفكرها المبرأ من العصبية ، وتهدى الأمة إلى الخير دون تحيز ، وترشدها إلى الحق دون تحزب ، فتكون داعية ألفة لا فرقة ، ومنبع سلام لا خصام .

وليس هذا بعيداً من المرأة ، إن قبلتم فيها دعوتنا إلى التكريم والتقديس ، ورضيتم لها سلطانها في الأسرة ، ومكانها من الأمة .

إننا نرضى شركتها في كل أمر ما عدا الخصام والجدال ، ونقبل تدبيرها في كل شأن حاشا معارك السياسة ومكايد الأحزاب .

إننا ننزه المرأة — ومكانها في القلوب مكانها — أن تباشر الخصام ، وتتخلل الزحام ، وتسير في مواكب الانتخاب ، وضوضاء المظاهرات ، وترى منافسها ويرميها ، ويبهتها وتبهته .

إنا والله نُشفق عليها أن تسير في المدن والقرى ، وتطرق الأبواب ليلاً ونهاراً ، وإعلاناً وإسراراً ، وتلقى الكريم واللئيم ، والحر والنذل ، والغليظ والرقيق ، مستجدية التأييد ، منفقة من الوعود !

ثم ضحك المجادل وقال مازحاً : « ولسنا نعرض لما وراء هذا من الأقاويل حين يقول السفهاء : هذه المرشحة جميلة ، وتلك دميمة ، وهذه بسّامة ، وتلك متجهمة ، وتلك غليظة في القول ، وهذه لينة ... وهلم جرا .

وإنا والله لنرثى لها حين نتمثلها وقد ابتُليت بالنيابة فجاءت الوفود تستنجز الوعود ، وطرق الناخبون دارها كل حين ، يرفعون الشكايات ، ويقتضون الحاجات ، ويخرجونها من أسرتها طوعاً أو كرهاً ، ويشغلونها عن عيالها ، شاءت أم أبت !

إنا وايم الحق لنشفق على الرجال ونرثى لهم حين نراهم في معركة الانتخاب وبعدها ، وحين نرى تحكم المُبْطِلين فيهم ، وتدلل الطامعين عليهم ، حتى لنتمنى أحياناً أن يُعفى الرجال من الانتخاب ومطالبه ، والتمثيل ومتاعبه . وكم عرفنا وبلونا وأشفقنا ورثينا !

فاشتد صاحبه في الجدال ، واحتد في الحوار ، قائلا : « أيها المدعون المبطلون ، والمجادلون الجاهلون ، إنكم تعطلون نصف الأمة أو أكثر ، وتحرمونه الإبانة عن رأيه ، والإعراب عن حجته في المجالس النيابية . والتمثيل لايصح حتى يمثل كثرة الأمة

ويبين عن آرائها ، فكل أمة لا تشارك نساؤها فى الانتخاب والنيابة ، لا يصح تمثيلها ، ولا يجوز فى الحق تصرفها ... هذه حجة دامغة ، فكيف تحتالون لدفعها ؟ »

قال له صاحبه : قلت آنفاً إن على النساء تنشئة الأجيال وتربيتها ، فآراؤهن منبثة فى نفوس الرجال والنساء ، ممثلة فيها ، وأقول الآن : إن مدار تمثيل الأمة على أن يكون لكل مذاهبها وآرائها من يتكلم بها ويجادل عنها فى مجالس النيابة . التمثيل صحيح ما تحقق هذا الشرط ، فإن عمدت أمة إلى تقليل مشاغل الانتخاب بتقليل عدد الناخبين بأية وسيلة دون إجحاف بطائفة بعينها ، أو تمييز جماعة على أخرى . كان الناخبون ممثلين لآراء الأمة ، وصح التمثيل ، ولم يضر هذا التقليل .

هب أنك أخذت دفاتر الانتخاب فى بلد فحذفت نصفها بالاقتراع ، ألا يكون النصف الباقى ممثلا أفكار هذا البلد ونزعاته ؟ أتقول إن مذهباً أو رأياً فقد أصحابه بهذا الاقتراع ، إن انتصر للرأى ستون من مائة ، أو ثلاثون من خمسين ، أو خمسة عشر من خمسة وعشرين ، لم تختلف النتيجة ، ولم تتغير النسبة .

وليس النساء طائفة ، أو طبقة فى الأمة ، ولكنهن شريكات فى كل أسرة وفى كل جماعة ، فإن أعفت أمة نساءها من مشاغل الانتخاب تمكيناً لهن مما هو أولى بهن ، وتنزيهاً عن معارك السياسة ومطاعن الانتخاب ، لم يخل هذا بتمثيل الأمة ، ولم ينقص من كرامة المرأة .

فسخر صاحبه بهذا الرأى وشرع يجادل فيه ، فصاح به : لقد ضاق الوقت ، لا تجادل ، سأدع كل حجة إلا حجة واحدة ، وأتجنب كل القضايا إلا قضية فذة ، فإن أجبتم عنها ، وخلصتم من سلطانها ، كان بيننا وبينكم ما شئتم من جدال .

إنى أقول لمن يطلب الانتخاب للنساء ، أتطلب هذا عن رضاً من النساء أو كره ، أتكرههن على الانتخاب ، أو تأخذ برأيهن فيه قبولا ورداً ؟

إن فيصل الأمر بيننا وبينكم أن تبدأوا فتعرفوا آراء النساء فى قضيتهن هذه ، أيردن الانتخاب أم يأبينه ، أيحرصن عليه أم يزهدن فيه ؟ فاستفتوا النساء قبل أن تطلبوا لهن ، واسألوهن قبل أن تدّعوا عليهن .

فإن استفتيتم النساء فأعرض أكثرهن عن المشاركة فى الانتخاب ، وأبين أن يكون لهن هذا العناء ، فليس لفضولى أن يتكلم عنهن .

وإن قلتم إن عسيراً أن يعرف رأى النساء فى أحوالهن الراهنة ، قلنا فكيف إذن تحاولون إشراكهن فى الانتخاب ؟ إنهن إن عجزن عن الإعراب عن آرائهن فى قضيتهن فهن فى غيرها أعجز !

وإن قلتم إن أحوال النساء تحول الآن دون تعرف آرائهن ولكنها حال تزول ، وسيكون لهن من الثقافة ما يعربن به عن أفكارهن من بعد ؛ قلنا فانتظروا حتى تحول الأحوال ، ثم عودوا إلى الجدال .

إنها لحجة دامغة لا تستطيعون الفرار منها ، وبرهان مفحم لا تملكون الجدال فيه !

تعرّفوا رأى النساء فى أمرهن ، ولا تفتروا عليهن ، ولهن القول الفصل ، وعلينا السمع والطاعة .

وأخذت المجادل سَورة الحجة ، فوجم وفكر ، وانتهز الحاضرون الفرصة ، فأنهوا الجدال وانفض المجلس .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

قبعــــة تتزوج

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

آه ، يا صاحبي ، لقد خرجت من لدن سعادة البك بعد أن سامك الاحتقار والمهانة ، وبعد أن سفه رأيك وازدرى عقلك ، وبعد أن قذف بك إلى خارج الدار ليحول بينك وبين أن تعبث بكرامة ابنته الشابة ، أو أن تلوث شرفها .

خرجت وفى قلبك أسى ولوعة ، وفى نفسك هم وضيق ... فلشدّ ما آذاك ما رأيت من إباء الفتاة المصرية ومن ترفعها ! ولشد ما أزعجك ما لمست من كبرياء الأب المصرى ومن صلفه ! ولشد ما أفزعك ما أحسست من صلابة الأسرة المصرية ومن تماسكها ! وحز فى نفسك أن يفلت الطائر الجميل من بين يديك بعد أن ظفرت به ، فيطير معه أمل عقدته على جمال الفتاة وعلى جاه الأب وعلى ثراء الأسرة .

وحاولت أن تدارى خيبة أملك خلف ستار من الكذب والرياء ، فذهبت تحقد على الفتاة المصرية وتتهمها بألوان من النقائص ، وتقذفها بفنون من الافتراء ، لأنها استعصت على خداعك الوضيع ، وتمنعت على أساليبك الثعلبية ، وضنت بشرفها أن تعبث به يد ، وصانت كبرياءها عن أن تنحط إلى أسفل .

وقلت لى — ذات مرة — : « إن الفتاة المصرية إنسانة ضعيفة العقل ، خاوية الذهن ، واهية الخلق ، سقيمة الفكر ، تنزعج لكل صوت ، وتفزع من كل نأمة ، وتضطرب لكل حادثة . يلذ لها — دائماً — أن تعيش على حيد الحياة ، بعيدة عن نور المدنية لأنه يعشى بصرها ، وفى منأى عن دوافع العيش لأنها تصعق أعصابها .

هـذا هو تاريخها — تاريخ العزلة والإهمال — يتدفق فى عروقها دماً قذراً تافهاً ، وهى لا تستطيع أن تنهض بعمل ولا تصبر على مسئولية . وإن تعلمت أضافت سخفاً إلى سخف فيها ، وضمت سفهاً إلى سفه ، وجمعت بلاهة إلى بلاهة ، فهى تتحدث بلسان العلم حديثاً فيه السخف والسفه والبلاهة جميعاً ، وهى ... »

فقلت لك مقاطعاً : « وهى فتاة فيها الشرف والكرامة والانزواء من الشرور ، والنأى عن الدنايا ، والفزع عن الفحش . وهى إن تعلمت كانت فى الدار صاحبة ورفيقة ، وفى الجماعة نبراساً وضياء ، وإن تزوجت أصبحت أماً وزوجة ومعلمة » .

وقلت لى فى ملل وضيق : « إن فيها الرجعية والجمود وانغلاق الذهن وفساد الرأى » .

فقلت لك : « وإن فيها بواعث الحياء والخجل والترفع والإباء ، ولكنك أنت — يا صاحبي — قد لبست القبعة حيناً ، فنفثت فيك من روحها ودمغتك بأسلوبها ، فهل كنت تؤمن بما تقول حين اندفعت إلى فلان بك فى غير أناة ولا صبر تخطب إليه ابنته وهى فتاة مصرية ... »

فأرتج عليك ، واضطرب ذهنك ، وتبلبل عقلك ، وخانتك فلسفتك ، وأنت فيلسوف كبير .

لا عجب — يا صاحبي — إن كانت قد عصفت بك صاعقة عنيفة يوم أن طردك سعادة البك من داره فتزلزل كيانك وتصدع قلبك ، لأن رجلاً مصرياً دعّك من داره فى غير هوادة ولا لين ، وامتهنك وأنت فيلسوف عظيم لبس القبعة حيناً من الدهر !

وآدك أن تصبر على ما أصابك من سعادة البك ومن ابنته ، فانطلقت تشوه الحقيقة وتمسخ الواقع لتثلب الأسرة المصرية وتحط من قدرها بحديث تافه فيه المغالطة والمكابرة .

وذهبت تلق أعباء نفسك فى نُزل قاهرى الموقع أجنبى الصبغة بين يدى سيدة عجوز ، ألمانية اللسان يهودية النزعة ، ومن حواليها بناتها الثلاث ، وإن الواحدة منهن لترف رفيف الزهرة النضرة حين تنفح عطرها الجذاب لتأسر به القلب وتسيطر على الفؤاد .

وسكنت إلى هذا النزل ، تعيش بين العجوز وبناتها تمثالاً صامتاً لا ينبض بالحياة ولا يخفق بالإنسانية ؛ فأنت تقضى يومك منطوياً على نفسك فى حجرة لا تندفع إلى حديث ولا تنشط إلى سمر ، ولا تبسم لفاكهة ، ولا تنزع نفسك إلى رفيق . وضاقت العجوز بأسلوبك فى الحياة ، فهى تطمع فى أن تراك طلق الوجه واليدين واللسان تنغمر فى حياة الأسرة تأخذ منها وتعطى ... ضاقت بك العجوز وهى ذات مكر وخداع ، وهى ذات حيلة ودهاء ، لا يعجزها أن تتوسل إلى غايتها بأساليب شيطانية ، ولا يقعدها أن تبلغ الهدف بأفانين أرضية . وانصرفت أنت إلى خلوتك وشغلت بخواطرك ، ولكن العجوز اليهودية لم تنصرف عنك ، فراحت تسعى إليك ، وتنفث فيك سمومها ، وتنقض عليك — بين الحين والحين — تريد أن تنزعك من خلوتك ،

وأن تزعجك عن وحدتك ، وأن تكشف عن سرك ، وإن لنفثاتها لسحراً ، وإن لحديثها لطلاوة ، وبين يديها فتياتها الثلاث وإن فيهن الدلال والجمال وفيهن السحر والجاذبية .
وأخذت العجوز اليهودية تتلو رقى السحر حواليك وتتقرب إليك ثم تنشر عليك شباك التمويه والمداهنة لا تهن عزيمتها ولا تفتر قوتها . واستطاعت — بعد لأى — أن تجذبك إلى المائدة الخضراء لتسرق مالك ؛ واستطاعت — بعد جهد — أن تسقيك الكأس الأولى لتسرق عقلك . وهكذا خطوت أول خطوة فى سبيل الانهيار العقلى والانهيار الاجتماعى ، ولكن عقلك الفلق لم يتوضح الطريق فما شعرت بقدمك وهى تنزلق إلى الهاوية . لقد غطى على عينيك ستار من لذاذات كنت تحسها وأنت تطوى لياليك بين فتيات النزل تصغى إلى حديثهن وتنتشى بخمرهن وتشاركهن اللعب والمزاح والعبث ، تتودد إليهن وهن يتملقنك فبدأت تهوى إلى أسفل وهن من ورائك يدفعنك إلى الهاوية والأم العجوز — من ورائهن — توسوس بأمر وتسعى إلى غاية .
وراقتك الحياة الجديدة وفتنتك زخرفها فاندفعت لا تجد رادعاً من دين ولا وازعاً من خلق على رغم أنك تخسر مالك وتقتل وقتك . لقد أسرك القمار والخمر وخلبك الجمال والإغراء فاعدت ترى أنك أنت الآن — يا صاحبي — رضيت بأن تصبح سجيناً فى قفص من ذهب ، وأغلق باب القفص من دونك حين تزوجت من أصغر فتيات النزل ، وهى فتاة عابثة لعوب ريقة الشباب غضة الإهاب ، ذات دل آسر وجمال خلاب ، وتراءى لك أن الفتاة قد مسحت بيدها الرقيقة البضة على أحزانك ، وآست بحديثها الجذاب جراحك العميقة ، وبدا لك أنك أمسيت روح هذه الدار وريحانها ، وأنك أصبحت فتاها المرموق وسيدها المدلل فاطمأنت نفسك وهدأت نوازعك . ثم أردت أن تحول بين النزل وبين زواره من كل جنس — وهم كثر — فما استطعت إلى ذلك سبيلاً . وأوحت إليك زوجك الأجنبية بأن تتخذا داراً غير هذه تكون عش الغرام ومنزل السعادة ومهبط الأمان ، فانطلقتما معاً تهيئان داراً صغيرة فيها البساطة والأناقة وفيها النظام والترتيب وفيها الهدوء والاستقرار . ثم دفعتك الفتاة إلى السينما وإلى المسرح وإلى النادى ، ورافقتك إلى الملهى وصحبتك إلى المرقص ، وأنست بصحابك تأخذ منهم وتعطى ، وأقبلت أنت على رفاقها فى بشر وإيناس
وهكذا — يا صاحبي — وجدت فى زوجك الأجنبية ما افتقدته فى زوجك المصرية ، وحدثتك نفسك قائلة : « لا ضير فهذه الفتاة تستطيع أن تمهد لك السبيل الوعر وتفتح أمامك الباب الموصد ، ثم تدفعك إلى الهدف فى سهولة ويسر ، وأنت من ورائها تندفع حتى تبلغ » أما هى فكانت تجلس إلى أمها العجوز بين الحين والحين وتستمع إلى حديثها بين الفينة والفينة ، وإن العجوز لتعرض إليها بأمر وتغريها برأى وهى من ورائها تندفع . ووجدت الفتاة فى رفاقك لذة صرفتها عنها ، ولمست فيهم متعة شغلتها عن الدار
وعشت حيناً مع زوجك الأجنبية . وهى ألمانية اللسان يهودية النزعة شيطانية المشرب لا تجد غضاضة فى ما تفعل ولا تحس أذى فى ما تذر . ولكن دمك الشرقى ما تلبث أن ثار وهدر؛ وإن للشرق لكرامة يعز عليه أن تنهار ، وإن له لشرفاً يضن به عن أن يمتهن ، وإنه ليبذل روحه ودمه دون أن يخدش . فأنت حين تغاضيت عن مثالب زوجك كنت قد نزلت عن شرقيتك وانصرفت عن مصريتك لتعيش زماناً فى جو القبعة وترتدغ فى مبادئها ، ولكن دمك الشرقى ما تلبث أن ثار وهدر فعزمت على شىء . وأنى لك ما تريد وإن زوجك — ومن ورائها أمها — لذات حيلة ودهاء ، فهى تترضاك حيناً وتتوسل بوسائلك حيناً ، حتى إذا ضاقت بجهلك وعجزت عن ترويضك راحت تهددك بأن تفصلك عن عملك إن وسوست لك نفسك أن تنالها بأذى ، وإنها لقادرة على أن تفعل .
وجاءك — ذات يوم — رجل من بنى جلدتها ذو جاه ومكانة يحذرك غب طيشك بقوله : « حذار أن تحدثك حماقتك فتطلق زوجك ، وإذن لا تلبث إلا قليلا حتى تطلقك الوظيفة ثم لا تجد بعدها ملجأ ولا ملاذاً إلا الشارع » وصمت لسانك حين شعرت بأن غلاً ثقيلا يشد على عنقك فلا تستطيع أن تفلت منه ، وحين خشيت أن تصبح صعلوكاً تتقاذفك مضلات الحياة وتصفعك متاهات الحاجة ، فألقيت السلم وكبت فى نفسك نوازع ونوازع لتكون فى الدار حملاً وديعاً تتلقى الأمر من زوجك الأجنبية الفاجرة فلا تجد مصرفاً عن الطاعة ، ولتكون خارج الدار ثوراً هائجاً تفرغ همّ نفسك فى موظف صغير لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، وتنفس عن غرائزك المكفوفة فى خادم عاجز لا يملك أن يتقى شرك ليتك ، يا صاحبي ، تعلمت من فلسفتك أن صلات الأسرة تزداد قوة ومتانة حين توثقها روابط الوطن والدين واللغة ، فهى تلم شعثها وتجمع ما تبعثر منها وتبذر فيها غراس الألفة والحنان وتنفث روح العطف والمحبة ! ليتك ، يا صاحبي ، ليتك ... !

كامل محمود حبيب

مثل من فهم الشعر القديم في بحث أدبي جامعي

للأستاذ أبو حيان

قرأت هذه الأبيات التي أُوردها بعد قليل، في كتاب من هذه الكتب الجامعية التي يتعرف بها الناس، عادة، ألوان النشاط العلمى فى الجامعة. وقد زعموا أن هذا الكتاب من خير ما يمثل الجامعة فى سنواتها الأخيرة، إذ لم يجل على الناس إلا بعد أن أقرته الجامعة وأجازت صاحبه، ورأته جديراً بأن يحمل أرفع ألقابها، وهو كتاب « الهجاء والهجاءون، تأليف الدكتور م. محمد حسين، مدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول » كما يتألق به صدره.

أما هذه الأبيات فهى أبيات الخطيل بن أوس، أخى الحطيئة وقد قالها فى حركة الردة وها هى ذى، كما أوردها صاحب ذلك الكتاب، نقلا عن الطبرى، وكما ضبطها هذا الضبط الذى رآه:

فدى لبنى ذبيان رحلى وناقتى   عشية يحدى بالرماح أبو بكر
ولكن يُدَهْدَى بالرماح فهبنه   إلى قدر ما إن تقيم ولا تسرى
ولله أجناد تذاق مهانة   لتحسب فيما عد من عجب الدهر

ثم يعلق على البيت الثانى، شارحاً له، بقوله:

« دهديت الحجر فتدهدى دحرجته. هبنه كذلك هى بالنص (يريد: بالمصدر المنقول عنه)، لعلها من أهاب بالإبل والخيل إذا زجرها قائلا هاب هاب، فيكون المقصود أن هؤلاء الرجال يزجرون أبا بكر وجيوشه، ويدفعونهم إلى قدرهم وحينهم »

أما البيت الأول فلا إشكال فيه عنده، فلا حاجة به إلى التعليق عليه بشرح أو تفسير أو تحرير، وإن كنت أنا لم أفهم — ومعذرة لامرئ بعيد عن منهج المدرسة الحديثة — كيف يحدى أبو بكر بالرماح، فالحادى يحدو الإبل بغنائه، فتنساق خلفه وتطرد وراء حدائه، فكيف يمكن أن تكون الصورة حين يضع الرماح فى موضع الحداء؟

يستطيع كل امرئ — ولو لم يكن من الأساتذة الكبار — أن يتكلف ويتمحل فى الفهم والتخريج، ويلتمس المذاهب المختلفة فى ذلك، وإن لم يمكن أن تستقيم مع ذوق أدبى سليم، أو منهج علمى سديد، ولكن هذه التمحلات لا غناء فيها، ولا جدوى لها، فى أداء الصورة الشعرية الجديرة بذلك الشاعر. والأمر بعد أيسر من هذا المناء، فالدال فى يحدى إنما هى ذال معجمة ذهب إعجامها، فتكون العبارة: « عشية يحذى بالرماح أبو بكر » يعنى يطعن ويمزق جسده، كما هو الأصل فى معنى حذا وأخواتها، كحذ وحذق وخذف وحذم.

هذا هو البيت الأول، ولا بأس على الأستاذ أن يتجاوزه، كما تجاوز — فيما يبدو — كثيراً غيره، إذ ليس بصدد التحقيق والتدقيق والتنقيب والتعقيب، وإذا كان أمر الدرس الأدبى قد صار — فيما يبدو أيضاً — أمر دراسة خاطفة عابرة، يعنيها أول ما يعنيها أن تخطف الأبصار — فيما يخيل إليها — ببعض الظواهر البراقة الباهرة، وأن تصل إلى أهدافها المرموقة... بما تستطيع أن تصطنعه من حركات بارعة ماهرة.

ولكننا لا نغمط الأستاذ حقه، فبقدر ما تجاوز البيت الأول مسرعاً مجلا، وقف عند البيت الثانى مستأنيا محققا متأملا، كما رأينا فى التعليق الذى نقلناه عنه منذ قليل. ففسر كلة «يدهدى» كما لقنته المعاجم، وجزاه الله عن الباحثين خيراً! ولكن هذه المعاجم التى أسعفته فى موقفه من هذا البيت، فى هذه الكلمة، فقدمت إليه تفسيرها، فأسرع إليه يدونه كما هو، أميناً عليه، فرحاً به، جعلت تراوغه وتمابثه وتمكر به فى الكلمة التالية، تخيلت إليه أنها تستطيع أن تمده فيها بما يثبت استاذيته، ويظهر ألمعيته، ويحقق دكتوريته، فتشبث بها، وتعلق بذراعها:

« ولكن يد هدى بالرجال فهبنه »، فهبنه؟ ما عسى أن يكون معنى هذه الكلمة؟ أجيبى أيتها المعاجم العزيزة كما أجبتنى من قبل. ولكن المعاجم لم تجبه فى الأولى إلا لتزلقه وتعيث به وتسخر منه فى الثانية. فها هى ذى تأخذ بيده المتشبثة بها. وتجره معها، وتجول به بين هذا الموضع وذاك من مواضع الهاء والباء، ثم تقف به أخيراً — وقد بلغ منه الكلال والعناء حتى كاد يتساقط من الوهن والأعياء — عند كلمة « أهاب »، وتقول له، وهى تبسم بسمة ساخرة ماكرة: انظر ها هنا ضالتك!

أجل ! ها هنا أخيراً ضالته ، وما يكاد يصدق أنه واجـدها ، ولـكنه يسارع فيصطنع هيئة العلماء المتزمتين ، ويتخـذ سمت الأساتذة المحققين ، ثم يتناول قلمه ، فيكتب : « لعلها من أهاب بالإبل والخيل إذا زجرها قائلا هاب هاب » ، ثم يتنفس الصعداء بعد هذه الرحلة المضنية الموفقة ! مستريحا إلى هـــذه الجملة البارعة الرائعة !

ويا لله لهذه الشرارة التي سطعت له من بين صفحات المعاجم، فأضاءت له أرجاء ذلك البيت وجملته يتبين فيــه سبيله على ذلك الوجه ! . وكذلك أحس الاستاذ من أعماق قلبه بالولاء البالغ لهذه المعاجم ، فهو مخلص لها ، منصرف إليها ، مغمض عينيه بين يديهـا ، متفان في الخضوع لما تشير به ، وإن لم يتبين وجهه ، غير عابئ بما يمكن أن يعارضها فيما يلقفه منها . وكذلك ضرب صفحا عن قوانين النحو والصرف ، وأعرض ، ونأى بجانبه عما تحتمه هذه القوانين ، إذا كان فيها ما يعترض سبيل الفهم الذي فهمه عن المعاجم ، أيا كان هذا الفهم ، أو يخالف ما حسب أن المعاجم تدلى إليه به .

وإذن فلا عليه أن تكون هذه الـكلمة « هبنه » معدولة عما ينبغي أن تكون عليه ، باعتبارها من « أهاب » ، ولا عليه أن تكون بدلا من « أهابوا به » مؤدية ما تؤديه هــذه ، وأنف القوانين اللغوية الأولية المجمع عليها راغم ، ما دام لا بد من هذا فيما تأدى إليه . ومنذ الذي أجاز للغة أن تستعصى عليه ، أو تنفر من بين يديه ؟! وأي شيء هذه القوانين التي تجعل اللغة شيئاً جامداً متماسكا لا يساير الأفهام ، ولا يطوع لأسـتاذيته ، أو لما تريده منه ، وما لا تستطيع أن تفهمه إلا به .

وهكذا يكون معنى البيت ، بعد هذا كله : « أن هؤلاء الرجال يزجرون أبا بكر وجيوشه ، ويدفعونهم إلى قدرهم وحينهم » ، وياله من معنى !

من هم « هؤلاء الرجال » ؟ أهم رجال أبي بكر « يزجرون أبا بكر وجيوشه » أي يزجرون أنفسهم ؟ أم هم بنوذبيان الثائرون على أبي بكر ، والذين يفديهم الشاعر برحله وناقته ، ثم يجعلهم يتدحرجون كما تتدحرج الحجارة ؟ أم ماذا ؟ ما أحوج هــذا الشرح ، بعــد كل ما سبق ، إلى ما يشرحه ، ويزيل ما يبدو صارخا من تهافته .

لا لا ! ما هكذا ينبغي أن يتناول الشـعر . وماذا يبقى لـ « بطن الشاعر » إن كان لا بد للشعر أن يكون ظاهراً واضحاً مكشوف المعنى مستقيم الوضع ؟ وأين إذن فضل الغموض وأثره الوجداني والهزة التي يبعثها في حنايا النفس ؟ ولـكنها المدرسة القديمة ، قاتلها الله ! لا تزال تلجأ إلى قواعد النحو والصرف ، ثم إلى قوانين المنطق والعرف ، دون أن تمنى بالمذهب الجديد في الشعر وأساليب قراءته وإدراكه .

وبعد ، فـا أدرى ما القديم والجديد في فهم الشعر وتذوقه ونقده ، ولـكنى أرى الأمر في هذا البيت أيسر من هذا التخبط والتسكع وتحدى قواعد النحو والصرف والعقل والمنطق والفن أيضاً . فليس هناك أكثر من أن نتعلم كيف نقرأ قراءة صحيحة دقيقة ، ولا نكون كهؤلاء الصحفيين والمصحفين الذين يتندرون بأخبارهم ، والذين يحكون عن أحدهم أنه نظر في المصحف قوله تعالى : « إذ يبايعونك تحت الشجرة » ، فقرأه : اذئباً يعونك تحت الشجرة . وأمضى ليلة يكد نفســه في التماس التخريجات المختلفة من هنا وهنا تحقيقاً لأستاذيته !

فالأمر في هذا البيت شبيه بالأمر في البيت الأول . تصحيف يسير قريب ، ولـكنه أدى إلى ذلك الخلط العجيب . فليست كلمة « فهبنه » المؤلفة من فاء عطف لا يدرى ماذا تعطفه وماذا تعطف عليه ، وفعل لا يعرف من أي أصل هو ، ونون نسوة لا موضع لها ، وضمير غيبة لا مرجع له . ليست هـذه الـكلمة أو الجملة إلا تصحيفاً قريباً لـكلمة واحدة ، هي كلمة « مهينة » من الهوان وبذلك يكون البيت :

ولـكن بدهدى بالرجال مهينة إلى قدر، ما إن تقيم ولاتسرى

وبدهدى بصيغة المبنى للفاعل لا المبنى للمفعول ، والفاعل هو أبو بكر ، وبذلك يستقيم البيت ويطرد المعنى ، دون تحد للنحو أو معاندة للصرف أو معارضة للمنطق .

وأما بعد فهذا مثل من فهم الشعرالقديم في كتاب « الهجاء والهجاءون » ، ولم أقرأ الـكتاب جملة بعد ، ولـكنني أحسست عند هذا الوضع الذي عرضته بالحسرة تلذع قلبي وتفزعنى أشد الفزع ، أن يكون مثل هذا من صور الدرس الجامعي في هــذه السنوات الأخيرة . والمشتكي إلى الله .

« أبو عباده »

من رجال البلاغة في عصر الحروب الصليبية :

ابن الأثير

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

إخوة ثلاثة ، بلغوا حظاً كبيراً من المجد العلمى ، والمنزلة الرفيعة في الحياة ، وخلود الذكر بعد الموت . أما أكبرهم فمجد الدين المبارك (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ) الذى كرس حياته لدراسة القرآن والحديث والنحو ، وله فيها مؤلفات ، لا يزال بعضها باقياً إلى اليوم . وأوسطهم عز الدين على (٥٥٥ — ٦٣٠هـ) المبرز في التاريخ ، والمصنف فيه عدة مصنفات ، أهمها الكامل الذى يعد مرجعاً من أشهر المراجع وأصغرهم ضياء الدين نصر الله ، الأديب الوزير ، وهو الذى نريد الحديث عنه . ومع اختلاف مناحيهم في الثقافة شغفوا جميعاً بالأدب وألفوا فيه . وتحتفظ دار الكتب برسائل المبارك الأدبية ، وبكتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور لعز الدين . أما أصغرهم فكان أوفاهم حظاً من الأدب وبلوغ أسمى المناصب ، وإن قصرت به سياسته عن أن يحتفظ بما ناله من سلطان وجاه .

ولد نصر الله في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣) بجزيرة ابن عمر ، وهى بلدة على دجلة في شمال الموصل وبالقرب منها . وإذا كان التاريخ لم يتحدث عن والده محمد بن محمد بن عبد الكريم فأغلب الظن أنه كان ميسور الحال يسراً هيأ لأولاده أن يغترفوا من الثقافة وأن يتفرغوا لها .

وانتقل نصر الدين مع والده إلى الموصل حيث تثقف بها ، فحفظ كتاب لله وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وأخذ بحظ صالح من النحو واللغة ، أما علم البيان فقد خصص له أكثر وقته ، ووقف عليه معظم جهوده ، قرأ فيه الكتب النظرية ، وأقبل على دواوين الشعراء يحفظ منها ما يشاء ، فدرس ما ألف في البلاغة ، وعرف ما انتهى إليه العلماء فيها ؛ ومن أهم ما قرأه منها :

كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، والتذكرة لابن حمدون البغدادى ، وكتاب أبى العلاء محمد بن غانم ، والأقصى القريب للتنوخى ، وكان معجباً بكتاب الموازنة بين الطائيين للآمدى ، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، « غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا ، وأجدى محصولا » ، كما قال في المثل السائر . أما علمه بالشعر ، وحفظه له ، فقد قال عنه في كتابه : « ولما نصبت نفسى للخوض في علم البيان ، ورمت أن أكون معدوداً من علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لا تنال إلا بنقل ما في الكتب إلى الصدور ، والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور ...

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله ، وكيف ينتهى إلى إحصاء قول لم تحص أسماء قائله ، فمند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم ، في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف ، فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل ، وقد اكتفيت في هذا بشعر أبى تمام حبيب بن أوس ، وأبى عبادة الوليد ، وأبى الطيب المتنبى ، وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته . وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء » .

وأخذ ابن الأثير كذلك بحظ من الحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والهندسة ولست أدرى إن كان قد عرف لغة غير العربية ، مما هيأ له أن يحكم على الالتفات بأنه خاص باللغة العربية دون غيرها من اللغات[1] ؛ وأرجح أنه كان يعرف الفارسية والتركية ، كما يدل على ذلك حديثه عنهما في كتابه[2] ؛ وكان ابن الأثير متعصباً للغة العربية ، مؤمناً بأنها سيدة اللغات ، لما أوتيت من خصائص في تركيب كلماتها ، وما منحته من سعة ودقة جمال .

أما موقفه من الفلسفة فوقف المبغض المزدرى ، يرى في دارسيها من أمثال ابن سينا والفارابى رجالا مغرورين أضلهم أرسطو وأفلاطون .

ولما استكمل ابن الأثير ثقافته ، مضى يريد الاتصال بصلاح الدين ، فأوصله القاضى الفاضل إليه في جمادى الآخرة سنة ٥٨٧

(١) المثل السائر . (٢) ص ١٦٤ ص ٢٥١

وقرر له صلاح الدين مرتباً ، ولكنه لم يلبث فى معية صلاح الدين بضعة أشهر ، حتى طلبه الملك الأفضل نور الدين من والده ، بخيره صلاح الدين بين الإقامة فى خدمته ، والانتقال إلى ولده ، فاختار ولده ، ومضى إليه فى شوال من تلك السنة . ولعل الباعث له على هذا الاختيار رغبته فى أن يكون بمكان يستطيع أن يظفر فيه بسامى المناصب وقوى النفوذ ، ولن يكون ذلك مع صلاح الدين ووزيره القاضى الفاضل . وحقق ابن الأثير أمنيته عند الملك الأفضل ، فقد استوزره ، ونعم بما كان يبغيه من السلطان . فلما مات صلاح الدين ، وصارت دمشق إلى الأفضل انفرد ضياء الدين بتدبير شئون الملك ، وتصريف أمور الرعية ، وأصبح مرجع الحل والعقد . ويجمع المؤرخون على فساد سياسته الخارجية والداخلية فقد توترت العلاقات بين الأفضل وملوك أسرته ، بسوء تدبير وزيره ، ونفرت الرعية من حكمه ، وكان له بلا ريب أكبر الأثر فى المصير المحزن الذى انتهى إليه مليكه بعزله عن الملك . وكثيراً ما أشار العادل على ابن أخيه أن يقبله فلم يكن يفعل ؛ وهجاه الشهاب فتيان الشاغورى فقال :

متى أرى وزيركم وماله من وزر
يقلعه الله فـــذا أوان قلع الجزر (ى)

وبلغ من سخط الشعب أن الناس هموا بقتله عند ما نزل الأفضل عن عرش دمشق ، فأخرجه الحاجب مستخفياً فى صندوق مقفل عليه ، ولكن ذلك كله لم ينزع ثقة مليكه فيه ، فصحبه أنى ذهب وحضر إلى مصر فى معيته ، عند ما جاء الأفضل وصياً على العرش لابن أخيه العزيز . وظل ابن الأثير فى خدمة الأفضل حتى أواخر سنة ٦٠٧ بعد نحو عشرين عاماً قضاها فى صحبته ، ثم تنقل بين حلب عند الظاهر غازى ، والموصل ، وإربل ، وسنجار ، ولكن لم يطب له المقام فى واحد منها ، فعاد إلى الموصل ، واتخذها دار إقامة ، وكتب الإنشاء لصاحبها : ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود ، وكان ذلك سنة ٦١٨ ، وبقى بالموصل زهاء عشرين عاماً أخرى . وفى رحلة له إلى بغداد ، يحمل رسالة من صاحب الموصل توفى بها فى إحدى الجاديين سنة ٦٣٧ (١٢٣٩ م) ، ودفن هناك .

كان أظهر صفات ابن الأثير إعجابه بنفسه ، وإعانه بمواهبه ، تلمس ذلك فى كل خطوة تخطوها فى كتبه ، فتراه حيناً يعرض عليك نماذج من رسائله ، معجباً بها ، منوهاً بقدرها ، مبيناً ما استطاع أن يصل إليه فيها من معان جديدة ، وأفكار مبتكرة ، وحيناً يوازن بين كلامه وكلام غيره ، ليقنعك بجودة ما خطته براعته ؛ وفى نظريات البلاغة كثيراً ما تراه يقدم إليك آراء يمدها من مبتكراته ، أو يأخذ بيدك لتلمس ما زاده هو على آراء من سبقه .

وإنا نقر لابن الأثير أنه كان من مجتهدى هذا الفن ، وأن أكثر كتابه كان ناشئاً عن تجارب لصاحبه ، وعن تقليبه النظر فى ألوان الكلام ليستخلص منه وجوه حسنه ، وإن كنا نعرف أنه يغالى أحياناً فى ادعاء الاختراع لمعانى رسائله ؛ قال ابن خلكان « ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه إلى الديوان العزيز من جملة رسالة وهى : ودولته هى الضاحكة وإن كان نسبها إلى العباس ، فهى خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ، ولم يجمل شعارها من لون الشباب إلا تفاؤلا بأنها لا تهرم ، وأنها لا تزال محبوبة من أبكار السعادة بالحب الذى لا يسلى ، والوصل الذى لا يصوم . وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لا تخطه الأقلام فى صحفها ، ولا أجالته الخواطر فى أفكارها .

أقول : لعمرى ، ما أنصف ضياء الدن فى دعواه الاختراع لهذا المعنى ، وقد سبقه إليه ابن التعاويذى فى قصيدته السينية التى مدح بها الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد ، أول يوم جلس فى دست الخلافة ومنها :

ورأى الغانيات شيبى فأعرضن ، وقلن : السواد خير لباس
كيف لا يفضل السواد ، وقد أضحى شعاراً على بنى العباس

ولا شك أن ضياء الدين زاد على هذا المعنى ، لكن ابن التعاويذى هو الذى فتح الباب ، وأوضح السبيل ، فسهل على ضياء الدين سلوكه .

وتنوعت أغراض الرسائل التى كتبها ضياء الدين بين سلطانية وأخوية ، وهى رسائل دسمة ، فيها كثير من معانى ما حفظه من قرآن وحديث وشعر ، وكثير من الأمثال والإشارات التاريخية ، فقد كان ابن الأثير مثقفاً ثقافة أدبية قوية ، والتزم فى

رسائله السجع ؛ لأنه كان يراه أعلى درجات الكلام ، ولا يرى وجهاً لمن يذمه سوى عجزه عن أن يأتى به ؛ وإلا فلو كان مذموماً ما ورد فى القرآن الكريم ، ويعلل وجهة نظره فى استحسان السجع بأنه اعتدال فى مقاطع الكلام ، والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء ، والنفس تميل إليه بالطبع .

وجمعت رسائله فى ديوان بلغ عدة مجلدات ، يبلغ المختار منها مجلداً واحداً ، ولكنى لم أعثر على هذا الديوان ، بل رأيت نماذج له كثيرة فى كتابيه المثل السائر ، والوشى المرقوم .

وبلغت ثقته بنفسه فى إنشاء الرسائل ، والعلم بقوانين البلاغة حداً كبيراً ؛ فكان يعارض شيخ الإنشاء فى عصره : القاضى الفاضل ؛ يكتب فى أغراض كتبه ، وحيناً يعرض له من المعانى ما يراه قد نقص عبد الرحيم ؛ فمن ذلك أنه قد عرض عليه كتاب له ، أرسله إلى بغداد على لسان صلاح الدين سنة ٥٧١ ، وضمنه ما أبلاه فى خدمة الدولة : من فتح مصر ، ومحو الدولة العلوية ، وإقامة الدعوة العباسية ، وشرح فيها ما قاساه فى الفتح من الأهوال ، فلما تأمله ضياء الدين ، وجده كتاباً حسناً ، قد وفى فيه الموضوع حقه ، إلا أنه أخل بشىء واحد ، وهو أن مصر لم تفتح إلا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات ، وكان الفتح فى المرة الثالثة ، وهذا له نظير فى فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة فإنه قصدها عام الحديبية ، ثم سار إليها فى عمرة القضاء ، ثم سار إليها عام الفتح ففتحها ، فلما عارض ضياء الدين رسالة القاضى الفاضل، أشار فيها أشار إلى الشبه بين فتح مصر وفتح مكة ، وقال بعد أن أورد هذه الرسالة التى أنشأها : وعجبت من عبد الرحيم بن على البيسانى مع تقدمه فى فن الكتابة ، كيف فاته أن يأتى به فى الكتاب الذى كتبه. وانتقد القاضى الفاضل مرة أخرى وإن لم يصرح باسمه عندما رآه يشبه حصناً من حصون الجبال بأنه أغلة ، قال : فأى مقدار للأُغلة بالنسبة إلى تشبيه حصن على رأس جبل ؟ !

وكان يوازن بين رسائله ورسائل الصابىء الكاتب ليرى مقدار تفوقه عليه ؛ وهو يرى فيه أن عقله زائد على فصاحته وبلاغته ، ذلك أنه يورد فى كلامه وصايا وشروطا ، واستدراكات وأوامر ، ما بين أصل وفرع ، وكل وجزء ، وقليل وكثير : إلا أنه عبر عنها بعبارة فى بعضها ما فيه من الضعف .

أما موقفه من علماء البلاغة فوقف الناقد المحاسب لا القابل المسلم ، يورد أفكارهم ، فيقبل منها ، ويرفض ، مناقشاً ، مدعماً رأيه بالحجة ، وإن جانبه الصواب أحياناً . وما كان يرى أن يدخل علماء النحو فى الأمور البلاغية حتى لا يصدروا أحكاماً لم تؤهلهم لها دراستهم ؛ وهو لذلك ينتقد أبا الفتح بن جنى عند ما شرح قول أبى الطيب :

كل جريح ترجى سلامته إلا جريحاً دهته عيناها
تبل خدى كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها

فظن ابن جنى أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبتسم فيخرج الريق من فمها ، ويقع على وجهه فشبهه بالمطر ؛ قال ابن الأثير : وما كنت أظن أن أحداً من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره ، وإذا كان هذا قول إمام من أئمة العربية تشد إليه الرحال ، فما يقال فى غيره ؟!

وأما رأيه فى الشعراء فإنه يرى الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا . « ومن وقف على الأشعار ، ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت إليه ، ولا ينبغى أن يوقف مع شعر امرىء القيس وزهير والنابغة والأعشى فإن كلا من أولئك أجاد فى معنى اختص به حتى قيل فى وصفهم : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا شرب . وأما الفرزدق وجرير والأخطل فإنهم أجادوا فى كل ما أتوا به من المعانى المختلفة . وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام ، وأبو عبادة البحترى ، وأبو الطيب المتنبى ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان فى طبقة الشعراء ، أما أبو تمام وأبو الطيب فربا المعانى ، وأما أبو عبادة فرب الألفاظ فى ديباجتها وسبكها » .

وهو فى هذا الفصل من كتابه يورد آراء بعض الناقدين فى الشعراء ويناقشها كعادته .

ومع تعصب ابن الأثير للعربية ، يقر بفضل العجم فيما أوتوه من المقدرة على الإطالة المفرطة فى الشعر ، « فإن شاعرهم يذكر كتاباً مصنفاً من أوله إلى آخره شعراً ، وهو شرح قصص وأحوال ، ويكون مع ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه ، وهو ستون ألف بيت من الشعر ، يشتمل على تاريخ الفرس ، وهو

قرآن القوم ، وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس فى لغتهم أفصح منه ، وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها ، وتشعب فنونها وأغراضها ، وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر » .

وألف ابن الأثير كتباً بعضها لم أعثر عليه .

١ — كتابه فى السرقات الشعرية الذى حدثنا عنه فى المثل السائر .

٢ — كتاب كنز البلاغة الذى أشار إليه السبكى فى شرحه على التلخيص .

٣ — كتاب مختارات اختار فيه من شعر أبى تمام والبحترى وديك الجن والمتنبى ، قال عنه ابن خلكان : « وهو فى مجلد كبير ، وحفظه مفيد » ، وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ إربل : نقلت من خطه فى آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله :

تمتع به علقاً نفيســـاً فانه اختيار بصـــير بالأمور حكيم
أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى إلى الشعر من نهج إليه قويم

٤ — كتاب المعانى المخترعة فى صناعة الإنشاء .

٥ — الكتاب المرصع فى الأدبيات ، وقد طبع فى القسطنطينية سنة ١٣٠٤ .

٦ — أما أهم كتاب له فهو المثل السائر الذى حاول أن يضبط فيه قواعد البلاغة ، ونهج فى تأليفه نهجاً أدبياً عمليا ، لا نظرياً جافا ، وملأه بالأمثلة وبيان مواضع الجمال ، ونقد مواطن القبح ، وعقد الموازنات ، وهو يعد من أسس كتب البلاغة ، وكان لهذا الكتاب وقع كبير فى الدوائر البلاغية فعندما وصل هذا الكتاب إلى بغداد انتقده المدائنى بكتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر ، وانتصر أبو القاسم السنجارى المتوفى سنة ٦٥٠ للمثل السائر ، فألف كتاباً سماه نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر ؛ وتستطيع أن ترجع إلى كشف الظنون لترى ما أثاره هذا الكتاب من دراسات .

٧ — وكتابه الوشى المرقوم فى حل المنظوم منهج تطبيق لفكرته التى يدعو إليها ؛ ذلك أنه يرى الكاتب محتاجاً لحفظ القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار الكثيرة بقدر المستطاع . وفى هذا الكتاب يبين بطريقة عملية كيف نستفيدهما نقرأ ونحفظ فى ترقية أسلوبنا والثروة فى معانينا ، ولو أن اللفتات التى نبه عليها ابن الأثير ، فى المعانى والعناية بها ، وكيف نستنبطها ، ونبتكرها سارت فى طريقها ، ولم تعقها الدراسات النظرية المحضة لكان لبلاغتنا اليوم شأن جد رفيع .

وله بدار الكتب :

٨ — كتاب مؤنس الوحدة ، جمع فيه أشعاراً وأخباراً فى المدائح والأوصاف والتشبيهات .

٩ — كتاب المفتاح المنشا لحديقة الإنشا ، بدأه مبيناً فضل صناعة الإنشاء وأنها أشرف صناعات الممالك ، « فهي اليد اليمنى التى بها الأخذ والعطاء ، والمنع والإمضاء ، والقبض والبسط » ، فلا جرم كان من الواجب أن يختار لهذه الصناعة رجل تتوافر فيه صفات خاصة بين عقلية وخلقية وثقافية . ورتب الكتاب على بابين : أولهما فى مراتب الكتب والمخاطبات ، والثانى فى الأدعية والانتهاءات ، فذكر ما تبدأ به الرسائل ، والألقاب التى يخاطب بها المرسل إليهم ، والدعاء لهم . وذكر فصلا فى الأدعية لأرباب غير الملة الإسلامية ؛ وأورد الصيغ التى يقدمها الكاتب بين يدى مراده . كما شرح فيه كثيراً من ألوان المحسنات البديعية .

ولابن الأثير شعر قليل ، لا يضارع قوة نثره ، ولعل من أجوده قوله :

وساءلتمونى عندكم كيف حالتى وذلك أمر بين ليس يشكل .
فمن قلبه ، لا تسألوا فهو عندكم وأما عن الجسم المخلف فاسألوا .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

المراجع :

(١) وفيات الأعيان حـ ٢ ص ١٥٨ و ٤٠٨ .
(٢) بغية الوعاة ص ٤٠٤ (٣) شذرات الذهب حـ ٥ ص ١٨٧
(٤) كتبه . (٥) صبح الأعشى حـ ٢ ص ٤٤٦ .
(٦) الروضتين حـ ١ ص ١٩٢ و حـ ٢ ص ٢٢٨ .
(٧) السلوك حـ ١ ص ١١٥ و ١١٦ و ١١٨ و ١٢٣ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٥١ . (٨) نثر الجمان — القطعة الثانية ص ١١٦
(٩) النجوم الزاهرة حـ ٦ ص ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٥ و ١٦٢ و ٣١٨ (١٠) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول — الجزء الثانى ص ٨٢ (١١) معجم البلدان حـ ٣ ص ١٠٢
(١٢) شرح السبكى على التلخيص ص ٨٢ حـ ١ شروح التلخيص
(١٣) عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء حـ ٢ ص ١٨٩
(١٤) اكتفاء التنوع بما هو مطبوع ص ٧٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ .
(١٥) كشف الظنون حـ ٢ نهر ١٥٨٦ و ١٩٤٨
(١٦) معجم المطبوعات العربية لسركيس حـ ١ نهر ٣٥

حرارة الصيف

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

يعانى اليوم قراء (الرسالة) فى أنحاء الشرق الأدنى سطوة عامل فيزيائى يقسو على سكان بعض البلاد العربية ويخف بطشه بآخرين — ذلك هو ويل الأمواج الحرارية التى نصلى شواظها فى هذه الفترة من الزمن فتنصب على رؤوسنا من هذا الكوكب الملتهب الذى سجر لظاه رب السموات . فلنتحدث عن حرارة الصيف وما قال عنها العلم الحديث مخصصين عنايتنا بأثرها فى أجسامنا ، ثم فلنعرض شكوى الأدباء وعويل الشعراء من وهج بلاد العرب وكيف كانوا يتقون عنفها فى المملكة العربية قبل أن ينعم أديسون وإخوانه — على البشرية بالكهرباء ومراوحه السحرية ، ومولدات الثلج فى لحظات تقلب خطو الأماني عبر الدياجى إلى تخوم الوجود .

لعل من مظاهر الرفق ومجالى العطف على القارىء الكريم أن لا تقحمه أبحاث علماء الفيزياء فى الحرارة فالمثل يقول : (لا تكن أنت والزمان عليها) . فليس من لطف الإنسانية أن نخوض به غمار تلك الأبحاث المتعبة التى يشكو اليوم من ويلاتها الطلبة وهم على أبواب الامتحانات فلننفض عن حديث ما تسببه الحرارة من تمدد فى الغازات والسوائل والأجسام الصلبة ، ولنضرب صفحاً عن معاملى التمدد الحجمى والطولى فلا نريد أن نبنى جسوراً فولاذية فى رأس القارىء الكريم وهو يرزح تحت سطوة الحر فى بلاد العرب ، ولنترك للطلبة استظهار الحرارة النوعية وبحث الانصهار والجمود تلك الأبحاث التى اعتادوا أن يجمدوها فى حافظتهم لساعة الامتحان الحرجة حتى إذا انغمروا فى لهو العطلة الصيفية انصهرت معلوماتهم ، فكأنما كانت تماثيل من الثلج أذابتها حرارة الصيف وتلاشى قانون (بويل) كما غاب نفس بويل قبله فى عالم العدم وتصاعدت المعلومات متطايرة بعد أن تكاثفت لخزنها لأوقات الامتحان ولنصم آذاننا عن تعريف الفيزيائيين للحرارة بأنها (عبارة عن طاقة حركية للجزيئات) ولكن لنصغ إلى ذلك الأديب يعرف لنا الحرارة تعريفاً شعرياً . وقديماً عد اليونان فى علم المنطق من أساليب البرهنة — القياس الشعرى وضربوا له المثل بقولهم : (الخمر مرة مهوعة) فالحق أن التعريف الشعرى والبرهان الشعرى أقوى تأثيراً فى نفوس الناس من الأبحاث الدقيقة القائمة على الإحصاءات ، فأكثر الذين اندفعوا إلى الهيام بالخمر جذبتهم أخيلة الشعراء الذين وصفوها بأنها ياقوتة ذائبة تطير بالنفوس بأجنحة الخيال فى عالم الأفراح . ولو قالوا إنها سم يشل مراكز التفكير العليا لكانوا أقرب إلى الحقيقة . ولكنهم يبعدون عن تفكير الجماهير العمياء التى لا يقودها غير عاطفتها . وإذن فلنترك الأديب يحدثنا عن الصيف وحره فيقول (كما أورده النورى فى نهاية الأرب فى فنون الأدب) .

(أوقدت الظهيرة نارها ، وأذكت أوارها . فأذابت دماغ الضب ، وألهبت قلب الصب . هاجرة كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت بنيران الفراق ، حر تهرب له الحرباء من الشمس ، وتستجير بمتراكب الرمس ، لا يطيب معه عيش ، ولا ينفع معه ثلج ولا خيش ، فهو كقلب المهجور ، أو كالتنور المسجور)

هذا مما قيل فى حرارة الصيف نثراً ، وأما الشعر فحسبك منه ما يلى : قال ذو الرمة :

وهاجرة حرها واقد نصبت لحاجبها حاجبى
تلوذ من الشمس أطلاؤها لياذ الغريم من الطالب
وتسجد للشمس حرباؤها كما يسجد القس للراهب

(فى المنجد : حاجب الشمس ناحية منها وأول ما يبدو منها مستعار من حاجب العين ، وحواجب الشمس أشعتها) وقال مسكين الدارمى :

وهاجرة ظلت كأن ظباءها إذا ما اتقتها بالقرون سجود
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كما لاذ من حر السنان طريد

وقال ابن الفقيسى :

فى زمان يشوى الوجوه بحر ويذيب الجسوم لو كن صخرا
لا تطير النسور فيه إذا ما وقفت شمسه وقارب ظهرا
ويود الغصن النضير به لو أنه من لحائه يتعرى

وقال أيضاً :

يا ليلة بت بها ساهداً من شدة الحر وفرط الأوار
كأننى فى جنحها محرم لو أن للمودة منى استتار

وكيف لا أحرم في ليلة سماؤها بالشهب ترمى الجمار

وقال آخر :

ويوم سموم خلت أن نسيمه ذوات سموم للقلوب لواذع
ظللت به أشكو مكابدة الهوى فكوزى ملآن وماقى فارع

وقال محمد بن أبي الثياب شاعر اليتيمة :

وهاجرة تشوى الوجوه كأنها إذا لفحت خدى نار توهج
وماء كلون الزيت ملح كأنه بوجدى يغلى أو بهجرك يمزج

وقال الثعالبي :

رب يوم هواؤه يتلظى فيحا كي فؤاد صب متيم
قلت إذ مسك حره حر وجهى « ربنا اصرف عنا عذاب جهنم »

ولقد تقدم من ذلك الأديب أن وصف حر الصيف بأنه : (لا يطيب معه عيش ولا ينفع معه ثلج ولا خيش) . فما هو الخيش ؟ يحدثنا الطبرى وياقوت فى معجم الأدباء إنه كانت عادة الأكاسرة أن يطين سقف بيت فى كل يوم صائف فتكون قيلولة الملك فيه وكان يؤتى بأطباق الخلاف (وهو صنف من الصفصاف طوالا فتوضع حول البيت ويؤتى بقطع الثلج الكبار فتوضع مابين أضعافها . وكانت هذه عادة الأمويين أيضاً ؛ ولكن فى عهد المنصور العباسى اتخذت طريقة أخرى للتبريد فكانوا ينصبون الخيش الغليظ ولا يزالون يبلونه بالماء فيبرد الجو (فى المنجد : الخيش نسيج خشن من الكتان)

وكان أهل الترف فى ذلك العصر يستعيضون عن دخول السراديب بنصب قبة الخيش أو بيت الخيش .

وفى لطائف المعارف للثعالبي (وكان الخيش ينصب على قبة ثم اتخذت بعدها الشرائع فاتخذها الناس) . وحكى المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم ، فى معرفة الأقاليم) : أنه رأى في دار عضد الدولة البويهى بشيراز بيوت الخيش يبللها الماء على الدوام بواسطة قنوات حولها من فوق .

قال الأستاذ آدم متز فى كتابه (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) يظهر أن طريقة استعمال الخيش وسيلة لتبريد الهواء كانت شائعة فى بغداد جداً ؛ إذ يحكى عن أحد القواد فى القرن الرابع الهجرى أنه لم ير فرقة من الجند أتت من بغداد أهلا للقيام بغزوة هامة لأنهم فى رأيه قد ألفوا بيوت دجلة وشرب النبيذ والثلج وبيوت الخيش المبلل وسماع القيان كما نقل ذلك ابن مسكويه .

وقال الغزولى فى مطالع البدور : وكان يستعمل فى البيوت صيفاً مروحة تشبه شراع السفينة تعلق فى سقف البيت ويشد بها حبل يديرها وهى تبل بالماء وترش بماء الورد ؛ فإذا أراد الرجل أن ينام وقت القائلة جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجئ فيهب منها نسيم بارد طيب .

وجاء فى جمهرة الإسلام للشيرازى و كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقى (أنه كانت حراقات دجلة التى يستعملها رجال الدولة فى قدومهم ورواحهم يمد فيها الثلج ويعلق عليها الخيش المبلل بالماء وكانت ترخى على الخيش ستور الكرابيس) .

وقد رأيت فى كتاب أساس البلاغة للزمخشرى ما نقله عنه فى تاج العروس من أن (الحراقة هى سفينة خفيفة المر) . أما الكرباس فهو كما فى المنجد : الثوب الخشن جمعه كرابيس والكلمة من الدخيل .

وكان أهل بغداد ينامون فى ليل الصيف على سطوح البيوت يدل على هذا ما حكاه معظم المؤرخين كابن الأثير فى الكامل وابن الجوزى فى المنتظم وغيرهما — من ظهور حيوان يسمى الزبزب فى عام ٣٩٤ هـ كان بحسب زعم الناس يأكل الأطفال بالليل من على السطوح وما كان حيواناً بل وهماً نشأ من وجود اللصوص . ويقول ابن الجوزى فى المنتظم إنه فى تموز من سنة ٣٠٨هـ برد الجو حتى نزل الناس من السطوح وتدثروا باللحف ؛ هذا فى مدينة بغداد أما فى آمل وهى كما فى المعجم لياقوت أكبر مدينة بطبرستان فى السهل لأن طبرستان سهل وجبل — لقد كانت السطوح فى آمل مسنمة لكثرة الأمطار صيفاً وشتاء كما نقل ذلك الاصطخرى فى مسالك الممالك .

أما فى اليمن فيحدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب — فكان الغالب على صنعاء البرد حتى كان إذا اشتد بها الصيف ودخل الرجل ليقيل على فراشه لم يكن له بد من أن يتدثر لأن البيوت باردة بسبب القصة (الجصة) التى تشبع بها (تطين) بواطن البيوت لأن الجص فى صنعاء يخلط بمادة غروية هناك فيظهر للبناء بعد جفاف الجص بريق جوهرى كبريق المصقول من الجواهر ؛ وتشبه الجدران فى بياضها الفضة . وربما دخل الرجل فى صنعاء فى المخدع على فراشه وأطبق عليه الباب وأسبل السترين والسجف فلا يتغير ضياء البيت لما فى الجدران والسقف من الرخام ؛ بل إذا كان فى السقف رخامة صافية

نظر عوم الطائر بظله عليها إذا حاذاها وتؤدى الرخامة لمعان الشمس إلى القصة فتقبلها بجوهرها وبريقها .

ولكن فى سامراء من العراق كانوا يستخدمون السراديب تحت الأرض . قال آدم متز : لقد كشفت لنا حفائر سامراء عن طريقة بناء الدور عند أهل العراق فى القرن الثالث الهجرى حيث كانت تشتمل على سراديب للسكنى مهيأة بوسائل التهوية . ولا نجد فيها بين أيدينا من أخبار القرن الرابع فى العراق ما يدل على استعمال السراديب للسكنى فى فصل الصيف ولا تشير إلى ذلك أية حكاية من الحكايات الكثيرة التى ترجع إلى ذلك العصر

وفى كتاب العيون أنه كان السرداب فى ذلك العصر عبارة عن مكان تحت الأرض فيحكى مثلا أن الخليفة المقتدر أمر بحفر سرداب لمؤنس وأن مؤنساً وقع فيه ومات ، هذا ما نقله ولكن الذى فى كتب التاريخ أن مؤنساً هو الذى قتل المقتدر على يد أصحابه.

ويقول عريب وكان عند رجل فى داوه سرداب تحت الأرض عليه باب من حديد . بل يحكى عن مروج الذهب أنه فى عهد المنصور سير جماعة من أبناء على إلى الكوفة وحبسوا فى سرداب تحت الأرض لا يفرقون فيه بين ضياء النهار وسواد الليل .

وفى مقاتل الطالبيين عن رجل كان مسجوناً مع يحيى العلوى فى عهد الرشيد ، وكان الرشيد يعذبه تعذيباً مؤلماً حتى مات من وقع السياط ، وكان اسم السجن المطبق وهو تحت الأرض وكان من شدة ظلامة لا يعرفون أوقات الصلاة فيه .

وإذن فالسراديب لم تكن فى صدر الدولة الإسلامية متعارفاً استعمالها لاتقاء الحر فى بغداد ، وإن كانت موجودة فى السجون التى يحبس بها العلويون الذين كان بنو العباس يخشون من ثوراتهم

قال آدم متز .

ويرجع أصل عادة اتقاء الحر الشديد بالنزول فى السراديب إلى بلاد آسيا الوسطى حيث يحكى لنا الرحالة [وانج بن تى فى عام ٩٨١ م أن بعض أهل تلك البلاد يسكنون فى الصيف غرفاً تحت الأرض . أما فى بلاد الإسلام لذلك العهد فقد كانت مدينة زرنج أكبر مدن سجستان ومدنية ارجان بفارس أول مدينتين اتخذ أهلها فى الصيف سراديب تحت الأض يجرى فيها الماء كما نقل ابن حوقل فى كتابه صورة الأرض .

قال ياقوت فى معجم البلدان إن أرض سجستان كلها رملة سبخة والرياح فيها لا تسكن أبداً ولا تزال شديدة تدير رحيهم وطحنهم كله على تلك الرحى .

وفى القرن الخامس الهجرى يفكر الرحالة الفارسى ناصر خسرو أن من خصائص مدينة ارجان أن فيها من الأبنية تحت الأرض مثل ما فوقها وإن الماء يجرى تحت الأرض وفى السراديب وفى أشهر الصيف يستروح الناس فيها .

ويذكر القريزى بعد ذلك بقرون (إن من محاسن مصر أن أهلها لا يحتاجون فى حر الصيف إلى الدخول فى جوف الأرض كما يعانيه أهل بغداد) . وأما اليوم فقد ضربت مدينة النجف الأشرف فى العراق الرقم القياسى فى استعمال السراديب ، وذلك لأنها واقعة على أرض مرتفعة فى الصحراء قد جذب المسلمين إليها قبر الإمام على (ع) فازدحم حوله علماء الإسلام فقامت حركة علمية جبارة وقصدها طلاب العلم فى أطراف العالم الإسلامى ، ففيها الطلبة من أنحاء إيران والعراق ومن لبنان وسورية والحجاز والصين والهند وأفغانستان وسمرقند وبخارى وغير ذلك فهى مقر (الأمم الإسلامية المتحدة) وإن هؤلاء المهاجرين يعانون من قسوة الصيف ولذع هاجرة الصحراء — أعنف التعذيب لو لم يتفنن النجفيون فى تحت السراديب تحت الأرض فيحفرون فى طبقات الأرض حفراً عميقاً جداً حتى يصلوا إلى طبقة صخرية يسمونها (السن) فيضربونها بالمعاول ضرباً قوياً عنيفاً حتى يثقبوا تحتها ممراً فينتهون إلى طبقة رملية سريعة الإزالة وإن كان فى تضاعيفها صخور كبيرة فإذا حفروا تحتها فسحة تسع أهل البيت رفاهية أووا إليها فى هاجرة الصيف فإذا البرد الشديد الذى لا يطاق إلا بالتدثر باللحف على حين أن الحرارة الملتهبة على سطح الأرض تشوى الوجوه ؛ وبذلك يستغنى النجفيون عن الثلاجات ولاسيما إذا وصلوا تلك السراديب بالآبار حيث تجهزهم بالهواء النقى من أعلى . ولعل هذه العادة اقتبست من أواسط آسيا حيث يكثر فى النجف المهاجرون فى تلك الأنحاء الإسلامية . وتبلغ السراديب أرقى درجات الاتقان فى مدارس الفقهاء ولاسيما مدرسة السيد كاظم اليزدى التى من محاسن مرافقها (الزنبور) وهو طريق للهواء يهبط من أعلاه ثم يمر تحت أرض السرداب فيكوّن تحتها تجويفاً يقلل الرطوبة فيه . ثم إن ذلك الطريق ينتهى بثقب صغير فى وسط أرض السرداب فيخرج منه الهواء الملطف البارد . وهكذا يحتمى الطلبة فتطيب لهم دراسة الفلسفة والمنطق والرياضيات وعلوم الأدب والشريعة وقد أنتجوا الكتب الكثيرة فيها .

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الدخيلى

رثـــاء الفنـــان (*)

للاستاذ الشاعر على محمود طه

أسائلكم : ويح من يُجيب ! ما خطبكم ؟ لم يَمتْ نجيب
ما مات من أضحك المآسى من قَـدَرٍ صُنعُـهُ عجيب
وصـــير الدمع فى المآقى على ابتساماته يذوب
وجمّـل العيش للحزانى فـكل حال به تطيب
وأنصف الدهر من حظوظ تُخطىء فى الناس أو تُصيب
ومثّـل الرِّيف من حياة مُرَقَّع ثوبُهـا القشيب
كادتْ لتمثيـــله الليالى تبكى ، وتستعبر الخطوب
وكاد منه الزمان يُغضى خِزياً ، وتستغفر الذنوب
مُعلِّمٌ مـــاله ضريبٌ معهدُهُ المسرحُ الحبيب
فتىً كطير الربيع روحا موهوبةٌ نفسُـه وهوب
البـــارعُ اللفظ فى بيانٍ يحار فى صوغه الأديب
كأنه ما نـــأىٰ لعينى وعهــــده بالنوى قريب
حلوُ الأشارات فى سِماتٍ له بتصويرهـــا ضروبُ
وصـــوته ملء كل سمع تهفو لأيقاعـــه القلوب
أســـتاذُ جيل إلى نِداهُ عواطفُ الجيل تستجيب
يعـــلمُ الشعبَ أو يُسلى من شفَّهُ الهمُّ واللغوبُ
فى قصةٍ مُرَّة حوتهــــا ملهاته الحـــلوة الطروب
أو مُلحةٍ عذبة جــــلاها أسلوبُه الساخر اللعوبُ
يُلقى بهــــا ضاحكا ويمشى وقلبه ساهم كئيب
حياتنـــا مثلمـــا رآها صـــورها ناقد لبيب
مصرية الذوق لم يشبها تصنع لفظـــه مشوب
ولم تلفق ولم تنمق بها الأباطيـــل والعيوب
حقائق لم يوار منهـــا بجـــامل هازل هيوب
مدرسة مابهــــا كتابٌ ومنـــبرٌ ماله خطيب
لا رينٌ للدارسين فيها طُلاّبُهـــا فتيةٌ وشيب
ويستوى جاهل لديها وعالمٌ فـــاهم أريب
ألكل فيهـــا لهم متاع وفرٌ ومن عله نصيب

(*) ألقيت فى حفلة التأبين التى أقامتها نقابة الصحفيين أول أمس للمرحوم الأستاذ نجيب الريحانى

بالهفة الفن حين أودى وما اعترى نجمه شحوب
ولا زوى أفقه ظـــلام له على موجــه وثوب
فى لحظةٍ لم يجُل بذهن قضاؤها الفاجع الرهيب
حيث يُنادى وحيث يُرجى مشيبه الرائـــع الخصيب

قم يا نجيب انفُض المنايا واسمع نجد أمةٍ تُجيب
صحت على موكب هلوع يخنقه الحزنُ والنحيب
مصر التى قدَّرتك حياً يا أيهـــا النابغ الغريبُ
بمثل ما شيعتك يوم الـــوداع لم تسمع الشعوب
وأنت بالمهد من هواها ربيبها وابنها النجيب
لم ينس « فاروقُ » من إليها انتمى ، ومن باسمها يهيب
ومن رعاها ، ومن حماها هواهُ أو صدرُه الرحيب
مـلكٌ تلوذ الفنون منه بسُدَّة حصنهـا القلوبُ
فى مفرق الفن فى يديه لؤلؤة حرَّةٌ خـــلوبُ
تود منها الشموس قبساً وتصمد الشهبُ أو تصوب
أشعةُ المجد من سناها عن ملكه الضخم لا تغيب !

على محمود طه

مالتـــــــــوس
ومشاكل السكان فى العالم

للأســـتاذ فؤاد طرزى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

لا يتوقع إلا قلائل من الباحثين إمكان الوصول إلى قانون عام فى موضوع نمو السكان ينطبق على الشعوب وفى كل الأزمان ؛ ولهذا تحتل اليوم مشكلة التوازن القسم الأكبر من أعمال الباحثين فى مسائل السكان وفى مسائل المواد الغذائية على السواء . ولـكن فروض مالتوس كانت بمثابة فتيلة ظلت متقدة طوال عصور التاريخ من حين نشر هـذا العالم نظريته . وإذا كان هناك من يميل إلى إنكار هذه الفروض فيجب عليه تبعاً لذلك أن يطلع على الملاحظة الدقيقة التى أثبتها ليناردهوبوس والتى قال فيها « إن نظرية مالتوس ذاتها كانت من جملة الأسباب فى هزيمة تنبؤاتها فقد كان فحواها أن السكان يتزايدون بسرعة فائقة فى الوقت الذى تجرى فيه عمليات غير مباشرة تعمل للحد من هذه الزيادة » .

ويظن علماء الإحصاء اليوم بأن نظرية مالتوس تكون أكثر نفعاً متى اعتبرت على ضوء صلتها بعصور الدورة الإحصائية العالمية وهى العصور التى تمثل مراحل مختلفة مرت بها شعوب ومناطق مختلفة . وقد بذل فرانك نوتستين ومساعدوه فى جامعة برنستون جهوداً كبيرة لاكتشاف هذه الدورة وترتيب هذه المراحل كما يلى: المرحلة الاحتمالية ، والمرحلة الانتقالية ، وتمثلت فى التجربة الأوروبية الغربية التى شهد مالثوس قسما منها ، ومرحلة الهبوط الأولى ، (وهذه المرحلة لم ترد فى نظرية مالثوس) .

يخمن الأستاذ نوتستين بأن ما يقارب نصف سكان العالم هم اليوم فى مرحلة النمو الاحتمالى بالقياس إلى العصور الإقطاعية . وإن الشرق الأدنى وجميع آسيا (باستثناء اليابان والاتحاد السوفياتى) والبلدان المتأخرة فى جنوب ووسط أميركا لا تزال ، مع بعض الاختلافات ، فى هذه المرحلة التى سبقت عهد مالتوس . فهناك ولادات كثيرة ولـكن عدد السكان لا يزال ثابتاً بسبب ارتفاع معدل الوفيات . وهذه هى البلدان التى يمكن إنقاذ النفوس فيها بالوسائل الطبية والصحية ولا يمكن فقدانها إلا بسبب الفقر والمجاعة وفق طريقة مالتوس الأصلية . ومع أنه من الصعب أن نشرح بأى قدر من الدقة الظروف التى تحيط بشعب ما وتؤدى إلى انعدام الطرق الإحصائية الحديثة فيه ، إلا أنه من المحتمل اتخاذ الصين كمثل لتقلبات إحصائيات السكان المتصلة بهـذه المرحلة . فنحن نعرف أن الوسائل الطبية والصحية لم تنتشر إلى الآن بين الجماهير الصينية ، ولذلك فإن عدداً من العلماء يشكون فى إمكان حصول أية زيادة ثانية بين الشعب الصينى الضخم . وعلى كل ففى حالة حدوث أى تغير فى النسبة المتعادلة بين معدل الولادات ومعدل الوفيات فإن للصين شعباً قادراً على إحداث زيادة كبيرة حالما تضبط معدلات الوفيات .

وقد ظهر فى الماضى أن نمو الشعب الصينى قد جرب الأسلوب الدورى الذى جربه العالم الغربى . فحين تسلمت أول عائلة جديدة الحـكم شاع السلام واستتب النظام ورجح معدل الولادات على معدل الوفيات بين طبقات العمال المتزايدة وبين الجماعات المثقفة . ولـكن الصين رغم بلوغها مرحلة عالية من مراحل المدنية لم تعمل على تحسين مواردها الآلية كما فعلت أوروبا ؛ ولذلك بلغ فيها عدد السكان حد الإشـباع . ثم جاءت المجاعات والثورات والحروب فخففت من ضغط السكان . وقد حدثت دورة مالثوس هذه أربع مرات منذ القرن الثانى بعـــد المسيح . واليوم تعيش المرحلة الاحتمالية فى الصين فى حالة سكون فلا يحس خلالها بضغط السكان ولـكن من غير أن تغذى الزيادة فيها كما يحدث فى اليابان .

وأما فى الهند فإن تنظيم الأساليب الصحية وطرق مكافحة الأمراض الوافدة وتحسين طرق المواصلات واتساع سيطرة القانون والنظام قد ساعد على إحداث هبوط فى الوفيات أدى إلى حصول زيادة فى السكان مقدارها ٨٣٫٠٠٠٫٠٠٠ خلال عقدين (من ١٩٢١ إلى ١٩٤١) وهكذا فإن الهند مستعدة الآن لقبول

زيادة أخرى ، ولا توجد حتى الآن دلائل تشير إلى أنها ستمر بالأدوار التى مرت بها كل من فرنسا وإرلندا .

وقد دخلت اليابان فى المرحلة الثانية من مراحل الدورة فحدثت فيها زيادة فى السكان أثر انخفاض معدل الوفيات . إن إمكانيات التصنيع قد استغلت فى هذه البلاد بنطاق واسع ثبت منه بأن فى إمكان الشرق أيضاً أن يخفض الولادات . ولم يسجل معدل الوفيات فى اليابان انخفاضاً ملموساً ؛ بل إن معدل الولادات فى الفترة الحالية تحول نحو الهبوط . وقد أظهرت الإحصائيات اليابانية بين ١٩٢٠ و ١٩٤٠ نتائج مشابهة للاحصائيات التى حصلت فى إنكلترة وويلز بين ١٨٨١ و ١٩١٠ . وخلال العقدين اللذين تخللا الحربين الأولى والثانية كانت معدلات الوفيات والولادات تشبه تقريباً مثيلاتها فى إنكلترة قبل ٤٠ سنة : وبهذه المناسبة من المهم أن نتذكر ، كما يقول الأستاذ نوتستين : « بأن التمدين والتهذيب فى اليابان قد قطعا أشواطاً بعيدة ؛ إلا أن نمو السكان كان من نوع التضاعف الثلاثى فى القرن الواحد . وقد حصلت أكثر من نصف الزيادة بعد أن ابتدأ معدل الولادات فى الهبوط . ومع أن اليابان قد قدمت للعالم مثلا للتصنيع السريع فإن الاتجاه القادم لنمو السكان فيها سيعتمد على المدى الذى ستؤثر فيه الهزيمة على تطورها الاقتصادى . ولكن علماء السكان يقدرون بأن النمو لا يزال يفعل فعله بين الشعب اليابانى .

وإذا عدنا إلى روسيا التى تملك مساحة واسعة من الأرض بين أوربا وآسيا ، وتلتقى فيها خصائص الشرق والغرب المتنوعة التى تتميز بها ظاهرة النمو ، وجدناها تجنى الآن ثمار النهضة الإحصائية ، لأنها البلاد الوحيدة القادرة على استغلال كل إمكانيات النمو الانتقالى . فقد حصل فيها توسع صناعى كبير ، وانخفض معدل الوفيات بنتيجة التقدم الصحى والطبى . ولم يتخلل عهد التصنيع فى هذه البلاد سوى هبوط ضئيل فى معدل الولادات ، ومع ذلك فإن هذا المعدل حسب ما هو ملاحظ آخذ فى الازدياد ؛ لأن السياسة القومية تشجع بنشاط العائلات الكبيرة ، يضاف إلى ذلك أن الوضع الحالى للاتحاد السوفياتى يشير إلى احتمال حصول زيادة فى عدد النساء خلال العقود القادمة . ويتوقع فرانك لوريمر المستخدم فى شعب الإحصاء فى روسيا فى كتابه « سكان الاتحاد السوفياتى » حصول زيادة فى السكان بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٧٠ تقدر بـ ٧٠,٠٠٠,٠٠٠ . وقد وصلت روسيا فى الوقت الحاضر إلى المرحلة الانحدارية من الدورة ، ودخلت كدولة أوربية فى مرحلة الهبوط الأولى . وإذا ما استقرينا قوانين السكان وجدنا أن معدل النمو فى روسيا لا يفوق معدل الزيادة الكبيرة فى نفوس سكان جاوه مثلا تحت ظل النظام الاستعمارى الهولندى ، ولكن فى روسيا مجالات تمدد جديدة تتمثل فى الحركة الصناعية النامية بينما سبق لجاوة أن اجتازت المرحلة النهائية من مراحل التطور الاقتصادى الزراعى . وبالإضافة إلى ذلك أن الاتحاد السوفياتى يملك داخل حدوده منطقة بكر واسعة لا تملكها أية دولة كبيرة أخرى وهى منطقة سيبيريا . فليس هناك من شك بأن روسيا تنتظر توسعاً كبيراً فى السكان ، ولكن السؤال الذى يدور فى بقية أنحاء العالم هو فيما إذا كان فى مستطاع روسيا أن تحتفظ بهذه الزيادات داخل حدودها .

وعندما بحثنا المرحلة الثالثة للدورة الكبرى — مرحلة الهبوط الابتدائى — لم نسر خلف مالتوس لأن توقف الزيادة وهبوطها لم يكونا معروفين فى الفروض المالتوسية . فبلدان أوروبا الوسطى والشمالية الغربية كانت أولى المناطق التى دخلت فى المرحلة الثالثة ، فى حين أن فرنسا والسويد وإيسلندا واستراليا وانكلترا وويلز ستواجه هبوطاً فى عدد السكان ابتداء من سنة ١٩٧٠ . أما إرلندا فقد استمادت كما رأينا قواها ولكنها لم تحقق أية زيادة . ويمكن إضافة ألمانيا إلى هذه المجموعة بسبب خسائرها فى الحرب . كما تعانى بولندا نقصاً فى السكان لم تعانه أية أمة أخرى فى العصور الحديثة . إلا أن طبيعة تكوين شعبها تساعد على العلاج إذا ما توفرت الظروف الاقتصادية الملائمة . ويقول علماء الإحصاء إن شعوب أوروبا الوسطى وأوروبا الشمالية الغربية قد بلغت مرحلة النضج ، وقد أدى تحديد النسل بينها إلى إنقاص نسبة الشباب بينما رفع تقدم مستوى المعيشة من نسبة ذوى الأعمار الطويلة . وما دامت أعمار أغلبية النساء فى هذه المنطقة قد تجاوزت معدل الخمسين فإن ذلك سيجر وراءه زيادة فى طول الأعمار يؤدى إلى توسع إنتاجى إضافى . ففى الولايات المتحدة واستراليا وزيلندا الجديدة من الممكن أن تعيش المرأة البيضاء إلى

سن السابعة والستين، كما أنه من الممكن أن تستطيع المدنية الأوربية أن تزيد معدل الحياة عشر سنوات أخرى خلال العقدين القادمين

وقد كان متوقعاً من دراسة معدلات ١٩٣٥ — ١٩٣٩ أن يبلغ نمو سـكان أميركا نهايته حوالى ١٩٨٠ . إلا أن الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب العالمية الثانية بأرباح غـير متوقعة فى النفوس ، لقد فاقت الولادات مقدار عدد الضحايا بين الشعب الأميركى الذى لم يدخل بعدُ مرحلة الهبوط الابتدائى .

وعند هذه المرحلة من مراحل دراستنا سندخل منطقة يميل عند بلوغها علماء الإحصاء فى العصر الحديث إلى وضع إرشادات تجريبية فقط بشأنها . إن معرفة ما يمكن أن يحدث وماذا يستحب أن يحدث ، إذا ما سـارت القوى الطبيعية فى مجراها الطبيعى ، تدفع الأفراد لأن يستعملوا عقولهم وإرادتهم للوصـول إلى نتائج أ كثر تـكيفاً مع حاجاتهم ورغباتهم . وهنـاك بعض الباحثين لا ينظرون إلى ظاهرة النقص فى السكان نظرة جدية ، فى حين أن هذه الظاهرة قد بنيت على أسس الاتجاهات التى توجه الوقائع والقوانين . ولـكن يتساءل اليوم عمن يستطيع التحدث عن التقلبات الاجتماعية التى ستظهر فعل هذه الاتجاهات ؛ إذ أننا نرى أن ظاهرة زيادة السكان من الممكن أن توجه توجيهاً يساير حركات القوى الاجتماعية والاقتصادية التى تعترضها . فهل يمكن أن تفعل مثل ذلك بالنسبة لمشكلة الخوف من نقص السكان ؟ وهل ضبط النسـل يمثل ثورة على بعض انحرافات النظام الاقتصادى والصناعى ؟ وهل يمكن أن يوقف إذا ما تحسنت مؤسسات اجتماعية أخرى تحسناً مناسباً ؟ وللاجابة على هذه الأسئلة يجب أن تترك المرحلة النهائية من مراحل دورة السكان مفتوحة ، معترفين بأنه من المحتمل حصـول هبوط مطرد بين السكان يسرى قانونه على البلدان المتقدمة فى المدنية الغربية . كما أن هناك بعضاً من الخبراء يعتقدون بإمكان ظهور نوع من أنواع الحركات الميكانيكية توازن بين السكان لتقليل الهبوط الناجم من تحديد النسل .

وإذا ما أردنا أن نطبق هذه التطورات التاريخية على مسائل السكان فى الشرق جابهتنا فى الحال — وعلى الأخص فى البلدان العربية — الصعوبات الناجمة عن تأثر الطرق الإحصائية الحديثة التى يمكن الاعتماد عليها لتنظيم دراسـة متفقة موحدة . وكل ما نستطيع أن نقوله فى هذا الصدد هو أن البلاد العربية لا تزال فى مرحلة النمو الاحتمالى ، وأن مجتمعاتها مستعدة لتقبل زيادات أخرى نظراً لـكثرة الموارد الطبيعية غير المستغلة إلى الآن ، ولانحطاط وسائل الاستغلال الزراعى والصناعى فيها . ولذلك فإن مشا كل السكان الحديثة لا يمكن أن تطبق على هذه المجتمعات إلا بعد أمد طويل نسبياً .

(بغداد) **فؤاد طرزى**

المحامى

وزارة المعارف العمومية

« تقبل عطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلـكى بمصر عن طريق البريد أو بوضعها باليد فى الصندوق المخصص لذلك بإدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الأحد الموافق ١٩٤٩/٧/٣ عن توريد طباشير أبيض لازم لمدارس الوزارة وفروعها عام ١٩٤٩ — ١٩٥٠ .

ويمكن الحصول على الشروط وقوائم المناقصة من إدارة التوريدات بشارع صفية زغلول بمصر مقابل مبلغ ١٠٠ مليم خلاف أجرة البريد .

وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من من فئة الثلاثين مليما . »

٢١٤٢

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

« كاهن نساء » للأديب اللبنانى سهيل ادريس :

لصاحب هذه المجموعة القصصية مجموعتان أخريان صدرا من قبل وكتبت عنهما فى مكان آخرغير « الرسالة »؛ ومعنى هذا أننى تتبعت هذا القصاص اللبنانى الشاب منذ أن كتب أول قصة حتى فرغ من آخر قصة ... هناك تطور لا شك فيه ، فالوثبة الأولى كانت وثبة الأديب الذى يعالج فن القصــة لأول مرة : جناح يصعد به نحو القمة ، وجناح يهبط به إلى السفح ، وبين الصعود والهبوط تلمح موهبة أصيلة ينقصها الزمن والمران لتنضج وتكتمل وهكذا كان سهيل إدريس فى « أشواق » .

ومضت فترة أخرى أخرج بعدها مجموعته القصصية الثانية « نيران وثلوج » ... فى هذه الوثبة الجديدة لمست أن القصاص الشاب قد قطع مرحلة بعد بها عن نقطة البدء حتى أوشك أن أن يبلغ منتصف الطريق . لقد كان خط السير فى المجموعة الأولى بكثرة تعاريجه ، يشعرك أن المؤلف لا يصل إلى نهاية الشوط إلا وهو مكدود فاتر الأنفاس ! أما فى هذه المجموعة الثانية فقد استطاع ان يبصر المسالك التى تدفع به فى خط مستقيم تقل فيه الدروب والمنحنيات ... وكانت محاولة ثالثة تبلورت فيها القطرات الأولى فى بوتقة التجربة النفسية والفنية ، وإذا « كاهن نساء » دليل مادى حى على أن الجهد والمثابرة جديران بخلق عمل فنى مهما حوى من مآخذ فهو جدير بالتهنئة ! وتبقى بعد ذلك حقيقة نسجلها قبل أن نسجل غيرها من حقائق ، وهى أن سهيل إدريس كاتب قصة أدبية ســواء فى مجموعته الأولى أو فى مجموعته الثانية أو فى مجموعته الثالثة ... هذه فى رأيى ميزة كبرى ؛ لأن القصة العربية القصيرة التى تطالعها فى هذه الأيام قد فصلت عن هيكل الفن التصويرى الرفيع ؛ لقد أخرجها القصاصون العوام من حظيرة الأدب ليلحقوها بحظيرة الريبورتاجات الصحفية !

هذا هو قصاص الأمس أشرت إليه فى كلمات ، أما قصاص اليوم فمن حقه على أن أحدد اتجاهه القصصى الجديد على ضوء هذه الخطوط الفنية : الخط الأول هو خط النزعة التحليلية التى تضحى بالحادثة فى سبيل الفكرة ذات الطابع التصورى ، والخط الثانى هو خط التمثيل للواقع الحس عن طريق النماذج النفسية والبشرية ، والخط الثالث هو خط تحديد الزاوية التى تلائم بين الفكرة التصورية والنموذج النفسى ، والخط الرابع هو خط امتداد نقط الارتكاز الفنية فى ثنايا العرض ، والخط الخامس هو خط التقاء العناصر الرئيسية التى تكون الهيكل الأخير للقصة الكاملة ... هذه الخطوط التى تبرز التصميم الفنى العام للقصة ، أو هــذه الخيوط التى تنسج الثوب الفنى العام للقصة ، قد توفرت منها أشياء فى « أشواق » ، وتوفرت منها أشياء أخرى فى « نيران وثلوج » ، وتوفر منها الكثير فى « كاهن نساء » . هناك فى « عودة الماضى » و « أنانية » و « الخطيئة الطاهرة » و « لعنة الحب » و « القصاص » و « دموع فى الكونتنتال » ! ... إن هذا الترتيب الذى تراه هناك أقمته على أساس من الصدق الفنى أولا ، وعلى أســاس من الصدق الشعورى ثانياً ، وأخيراً على مدار اللمحات الفكرية والنفسية فيما حدثتك عنه من خطوط القصة .

بعد هذا أقدم إليك قصة من قصص هذه المجموعة هى « عودة المــاضى » ... هذه القصة فى رأيى من القصص التى تعرض لك موهبة الأستاذ إدريس خير عرض ، وتصور ملكته القاصة أكمل تصوير ، وتطلعك على نموذج قصصى ناضج يشير إلى فنه ويدل عليه . إنها قصة الحب بين فتى وفتاة ، الحب القوى الجارف الذى يجمع فى النهاية بين قلبين تحت ظل وريف من الرباط المقدس وتمضى الأيام وتصبح الفتاة امرأة ويصبح الفتى رجلا ويتخطى كلاهما دور الشــباب ! ويبقى الحب بين الزوجين ما بقى الوفاء المتبادل والبيت الآمن والأبناء الأحباء . ولكن القدر يضرب ضربته ليتصدع البناء ويتفرق الشمل ويتناثر عقد السعادة حبات من دموع ! ستة عشر عاماً ذاق فيها العش الجميل الهادئ ما ذاق من ألوان البهجة وضروب النعيم ، ثم ختمت أيامه بأبشع ما يتلقاه الأحياء من معانى الألم والحسرة والعذاب ... لقد عصفت ريح الغواية بوفاء الزوجة المخلصة فنبذت منطق العقل وانقادت لمنطق

العاطفة ، وفى سبيل حبها الجديد نسيت الزوج والبيت والولد ، وهذا الماضى الأثير بكل ما فيه من ذكريات ! ولم يكن الشيطان الذى طرق أبواب الجنة غير أخ تجمع بينه وبين أخيه رابطة الدم وينتهى الأمر بالزوجة الوفية إلى أن تمل السير فى طريق الشباب الآفل لتنحرف إلى طريق الشباب المقيم ، ولا بد من جمرة تشتعل تحت الرماد لتلهب الضمير الذى مات .. وفى رسالة يتلقاها الزوج من شريكة حياته تقع عيناه على قصة حبه الشهيد ؛ لقد مضت تستعرض فصول القصة كما وقعت على مسرح الحياة : مبتدئة بدور الزوج ، معرجة على دور الزوجة ، منتهية بدور الحبيب . ولم تنس الهاجرة وهى فى غمرة الوفاء للذكرى الباقية أن تطلب الصفح والمغفرة !

هذا هو الإطار الخارجى لقصة الأستاذ إدريس ، إننى لو اقتصرت عليه لبدت لك القصة هيكلا عظميا عاريا من اللحم والدم والروح ... إن الحياة تكمن هناك ، فى تلك الصورة النفسية التى تعرض طبيعة امرأة ؛ امرأة يضع المؤلف بين يديك مفتاح شخصيتها وكل شخصية تمثل المرأة الخالدة ! وهذه هى الصورة التى حملتها رسالة الزوجة إلى الزوج ، أقدمها إليك منتزعة من معرض السطور : « لقد حمل نايف إلى حونا الاضطراب والخوف والعذاب ، ولكنه مع ذلك هز منى الأعماق أعنف الهز ، وكشف أمام عينى دنيا جديدة تزخر بالمتناقضات وتمتلىء بالمفارقات . ولست أدرى يا صبرى كيف أعبر لك عن الأثر الذى تركه أخوك فى نفسى ساعة وصوله ! » ... « وسرعان ما أسبلت جفنىّ ، كأنما خشيت أن تنفر من عينى صور كثيرة ، جلية ، تميد إلى الماضى بحذافيره فتبعث فى نفسى فيضاً غنياً من المشاعر العذبة . أجل ! إن الماضى تدفق ساعتذاك يا صبرى كأنه نبع جار يحمل فى ثنايا أمواجه ذكريات وذكريات » ... « وفتحت عينى مرة أخرى ، لا يا صبرى ! لم يكن نايف يشبهك ، وإنما كان هو نفسك ... أجل ! كان أنت فى شبابك ، يوم عرفتك للمرة الأولى . لقد رجع فى نايف ماضى شبابك يا صبرى ، شبابك ذاك الذى أغرمت به قبل أن يولى وعشقته يوماً حتى الجنون ! » ... « لا يا صبرى ! أنا لم أخنك ! إننى مقيمة على شدة إخــلاصى لك ، إننى أحبك فى نايف ، وسأظل أحبك إلى الأبد . أراك تود أن تسألنى : وأولادنا ؟ وحاضرنا ؟ ومستقبلنا ؟ ... لا تكن ساذجاً يا عزيزى ! أما أدركت أنه لم يبق لى شئ بعد ، وأنه لا حاضر عندى ولا مستقبل غير هذا الماضى الذى يعود ؟! » .

أرأيت كيف حلت الفكرة الناضجة من جسم القصة محل الروح ، وكيف سما بها النموذج النفسى النابض إلى الأوج ؟ ... هكذا تخلق القصة ، وهكذا تحيا ، وهكذا تتنفس ، وهكذا يكتب لها البقاء ! إنك تستطيع أن تجد فى هذه المجموعة القصصية نماذج أخرى لا أقول إنها تبلغ هذا المستوى الممتاز ، ولكنها تقترب منه وتنبع من نفس المنبع وتدور فى نفس الأفق .

وتسألنى بعد هذا كله ما ذا ينقص سهيل إدريس ككاتب قصة ؟ .. إننى أعود إلى ما سبق أن كتبته عنه فى مكان آخر غير « الرسالة » ، أعود إليه لأحذف منه فقرات وأقتطف فقرات ، تبعاً لما جد من أسباب الكمال وما بقى من أسباب القصور .

إن كل ما يؤخذ على فن الأستاذ إدريس ظاهرتان : الظاهرة الأولى هى أنه لا يكاد ينظر إلى الحياة إلا من زواياها الضيقة ، تلك التى لا تتمثل الخلجات النفسية إلا فى إنسان يحب وإنسانة تحب ، مع أن فى الحياة زوايا متعددة وألواناً لا حصر لها من المشاعر الإنسانية ! أما الظاهرة الثانية فهى خلو قصصه من النماذج البشرية ؛ إن سهيل إدريس لا يقدم إليك نموذجاً بشرياً واحداً يمكن أن يمثل شخصية من الشخصيات المحلية فى المجتمع اللبنانى الذى يعيش فيه ، ومن هنا كان نقص النماذج البشرية فى قصصه يفقدها عنصراً ممتازاً من عناصر التصوير الوصفى ، ذلك الذى يعنى برسم الملامح الخارجية للشخوص كما هى فى واقع الحياة ! وتسألنى مرة أخرى عن حكمى الأخير على هذه المجموعة القصصية فأقول لك : إنها عمل فنى جدير بالتهنئة !

« من وراء الأبد » ورسالة من شرق الأردن :

قبل أن أكتب إليك ما أريد كتابته عن قصتك الخالدة « من وراء الأبد » المنشورة فى الرسالة الغراء العدد (٨٣٨) ، أقدم إليك تحية التقدير والثناء ، تحية القلب من الأعماق إلى روحك الطهور الثائر وقلبك الخفاق ، يفيض الإبداع فى شجون القلب وشئون الفكر .

لقد ساقت إليك الأقدار فتاة أحلامك ، فوجدت فيها الجمال الروحي الذي كنت تنشده في سماء الوهم يوم أن هبطت إليك وأنت على أرض البشر لتأخذ باقة من الزهور فأحببتها ، وأنت تعرف جيداً زيارتها لأملها الدفين يوم كنت تقدم لها تلك الباقة في صباح كل ثلاثاء ، لتمطر ثرى ذلك القبر ... ثم تقدمت إلى تلك الروح بغير تردد حين وجدت أنها ضالتك المنشودة ، لتملأ فراغ قلبك ودنياك . فلم كرهت ذهابها إلى القبر بعد الزواج ، حتى أدى ذلك إلى القطيعة والفراق ؟ أليس الحب شعوراً مقدساً قبل الزواج وبعده ؟! ولماذا لم تستطع أن تملأ هذا الفراغ الموحش من قلبها (إن كان موجوداً) بعد الزواج بأحاسيسك وشعورك وأنت صاحب الأحاسيس والشعور والخيال ؟!

إن الحب لا يبلغ أعلى مراتب السمو إلا بالتضحية وأنت هنا لم تضح بشعورك وقلبك في سبيل إسعادها ... إذ الحب المثالي العميق يقضي عليك في هذه الحالة أن تقدم إليها باقة الزهور ، ولو أنك فعلت لتناست ذلك القبر الكئيب البغيض الرابض في صحراء الإمام ، ولأصبح مع الأيام طيفاً ضئيلا وبالتالي تمسي وأنت مسيطر على أحاسيسها ووجدانها مالكا كل قلبها بأطيافه وأحلامه هذا إذا فرضنا جدلاً أنها ما زالت تحن إلى أملها الأول ، ولكنها وهبت لك قلبها وأخلصت لك الحب طيلة مدة الزواج ، بدليل أنك لم تستشف من خلال شعورها أن هنالك طيفاً يملأ فراغ قلبها وتتشوق إليه بقلب مفجوع وأنت صاحب الشعور والنظرات العميقة ، ولو لم تكن تلك العودة لما اكتشفت سرها الذي لم يكن إلا وفاء بعهد .

ألم تشعر أخيراً يا سيدي أنك سببت لها نكبة أخرى فوق نكبتها الأولى ، وسببت لك لوعة تصرخ بين الضلوع كلما عاودتك ذكراها ؟ .. أنا في انتظار جوابك .

محمد دويكات

عمان — شرق الأردن

أود قبل كل شيء أن أشكر للأديب الفاضل هذه العاطفة الكريمة النبيلة التي أملت عليه هذه الكلمات ... الحق أنني لم أتلق في حقيبة البريد أجل من هذه الرسالة ولا أطرف حول قصتي « من وراء الأبد » ؛ هذه القصة التي حركت مشاعر الأديب الأردني الفاضل وأثارت شجونه ، حتى دفعته إلى أن ينقل إلى هذا الفيض من المشاركة الوجدانية العميقة التي عشت في أجوائها يوم أن عكست من الحياة على الورق مأساة فنان جنى عليه الخيال !

لقد ظن الأديب الفاضل أن القصة قصتي الذاتية ، ولعل هذا الظن قد استقر في نفسه من أن القصة كانت في رسالة .. الحق يا صديقي أنني قد نقلت القصة من حياة الناس حيث ألف القدر فصولها لا من حياتي ! وصدقني إذا قلت لك إنني مازلت واقفاً على الشاطئ أرقب كل زورق حالم يمخر عباب النهر المقدس ، منتظراً أن تدفع أمواج السعادة إلى شاطئي بالحلم الجميل الكبير ، بالزورق الذي يمكن أن يحمل إلى أعذب أماني العمر .. وأعني بها رفيق القلب وشريك الحياة ! متى تتحقق الأحلام ؟ متى تتألق الأيام ؟ لست أدري !!

لفتة إنسانية للأستاذ العقاد :

قرأت في « المصور » منذ أيام مقالا تحليلياً للأستاذ العقاد حول نفسية المنتحر ، وقد كتب المقال بمناسبة حادث الانتحار الذي وقع في وزارة المعارف وراح ضحيته موظف بائس .. ولست أبغي من وراء هذه الكلمة أن أعقب على هذا التحليل النفسي الموفق الذي ورد في مقال الأستاذ العقاد ، وإنما أحب أن أشير إلى كلمة حق تهز كل صاحب ضمير كضمير الرجل العادل وزير المعارف . كلمة حق نطق بها العقاد الإنسان حين طالب بمعاقبة المسئولين عن الحالة النفسية التي دفعت بالموظف البائس إلى التخلص من الحياة ، فيما إذا ثبت بالتحقيق الدقيق أن رؤساءه قد حالوا بينه وبين حقوقه التي كان يطالب بها كانسان يحتاج إلى شيء من العطف والرعاية !

إننا نسجل هذه اللفتة الإنسانية للأستاذ العقاد ، ونتوجه بها في نفس الوقت إلى معالي وزير المعارف .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

نحن وأدباء المهجر :

كتب الأستاذ حبيب كتابا من نيويورك إلى جريدة الأهرام، يقول إنه التقى هناك بالأستاذ عبد المسيح حداد صاحب جريدة « السائح » التي تصدر بالعربية في أمريكا ، بعد عودته — عودة الأستاذ حداد — من رحلته الطويلة في البرازيل والأرجنتين وتشيلي ، فأراد أن يستطلع رأيه في الأدب العربي بأمريكا الجنوبية ، فقال الأستاذ حداد :

إن هناك فرقاً أساسياً بين السوريين واللبنانيين في أمريكا الجنوبية وفي أمريكا الشمالية ، ويتجلى هذا الفرق بأجلى مظاهره في البرازيل ، فالسوريون وغيرهم من الناطقين بالضاد هنا — في أمريكا الشمالية — هم عرب ولكن أولادهم ليسوا عربا . أما في البرازيل فهم عرب جيلا بعد جيل » ثم ذكر تعليلا لذلك أن العرب في البرازيل — حيث تسنى له أن يدرس أحوالها درساً وافياً دون غيرها — يحرصون على تعليم أبنائهم وبناتهم اللغة العربية ، وأن هناك كليتين عربيتين تتبعان برنامج البلاد في التعليم المدرسي وتلقنان العلوم العربية بأجمعها من صرف ونحو وبيان وبلاغة وعروض وإنشاء وبعض العلوم الأخرى بالعربية ، وقال إنه سمع كثيرين من خريجي هاتين الكليتين يخطبون ويلقون قصائد بالعربية من نظمهم ، وذكر مع الأسف أن إحدى الكليتين قد اضطرت إلى إقفال أبوابها بعد أن خرجت خمسة عشر ألف طالب ...

وإنا هنا — حين نقرأ هذه الأنباء — لنهفو نفوسنا وتتطلع إلى تلك الآفاق التي انبثقت منها ألوان جديدة معجبة من الأدب العربي الحديث ، واسترعت أنظار الأدباء ، وجرت في مشاعر الشباب ؛ تلك الآفاق التي لمع فيها جبران خليل جبران وأمين الريحاني وميخائيل نعيمة وغيرهم ، وقد امتازت آدابهم بالحرية والانطلاق والتجديد .

تتطلع نفوسنا إلى أدباء العرب في المهجر الأمريكي ، فنحب أن نطلع على كتاباتهم وتتصل أفكارنا بأفكارهم ، كما نحب أن تتوافر لهم وسائل الإبقاء على اللغة العربية وآدابها وازدهارها هناك . وإنه لما يسوؤنا أن نتفقد المجلات العربية الأمريكية في القاهرة مثلا فلا نجدها ، وتلك الأنباء تنقل إلينا أن هناك صحافة عربية زاهرة ، ويودي أن نقرأ لهم ويقرؤون لنا ، ونبدي الرأي فيما يكتبون كما يبدون آراءهم فينا ، وجملة القول أن نعاملهم معاملة أدبية كاملة تعود علينا وعليهم بالفائدة المرجوة في عالم الفكر والأدب والاجتماع .

ولست أدري من المسؤول عن الانقطاع الحالي بيننا وبين أبناء العمومة في عالمهم الجديد ، ولكنا نذكر هذا الانقطاع فنتألم له ، في الوقت الذي نرانا فيه نسعى إلى توثيق الأواصر الثقافية بين جميع بلاد العالم ما عدا العالم العربي في أمريكا ، ولنا مكاتب ثقافية في لندن وباريس وواشنطون للتعاون الثقافي بيننا وبين هذه البلاد ، فليت وزارة المعارف تنشىء مكتباً على غرار هذه المكاتب في إحدى العواصم الجنوبية بأمريكا حيث تكثر الجاليات العربية ، ويكون من عمل هذا المكتب تحقيق التعاون والتبادل الأدبي بيننا وبين أدباء المهجر ، كما يعمل على إمداد المعاهد العربية هناك بما تحتاج إليه من مؤلفات وأساتذة .

والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، لماذا لا تمد يدها إلى هناك ؟ وهي غير مقصورة على الدول المشتركة في الجامعة فالمفروض فيها أن تخدم الثقافة العربية في كل مكان ، ويا حبذا لو ضم « متحف الثقافة العربية » شيئاً مما هناك ؛ وهي ترسل بعثات المخطوطات إلى مختلف البلاد الغربية والشرقية فلماذا لا ترسل بعثة لرياد الثقافة العربية المعاصرة في البرازيل والأرجنتين وتشيلي ؟

وليس الاتصال المنشود بين البلاد العربية وبين أبنائها في أمريكا ، مقصورة فوائده على الآداب والثقافة ، بل هو إلى ذلك يخدم قضايا العرب في الهيئات العالمية ، وإنهم ليستجيبون لداعي

القومية العربية بدافع الشعور المشترك الذى يعززه تنظيم الملاقات ، ويتحقق لنا بذلك ما لا نبلغه باستجداء الأمم الغربية التى تخذلنا لقرب مشاعرها من خصومنا .

ونحن نرى الدول الغربية تعمل دائبة على نشر لغاتها وثقافاتها فى خارج حدودها وخاصة فى بلادنا الشرقية، وهى ترمى بذلك فيما ترمى إلى توسيع نفوذها وكسب أصدقاء موالين لها ، فما أجدر البلاد العربية أن تمين تلك الجاليات العربية الكبيرة فى العالم الجديد ، على تعزيز لغتها وثقافتها العربيتين . ولن يحتاج ذلك فيما أعتقد إلى جهود وأموال كبيرة ، بل يكفى القليل مع العناية بتنسيق وسائل التبادل والاتصال .

تقرير وتبعات :

فى غمرة الأسى على فقيد فن التمثيل المرحوم نجيب الريحانى يستطيع المرء أن يلاحظ ظاهرة تدعو إلى الارتياح ، بل تبعث الاغتباط .

ذلك أنك لا تكاد تفتح مجلة أو تطالع صحيفة منذ توفى الريحانى فى الأسبوع الماضى ، إلا ألفيت بها رثاء له نثراً أو شعراً ، وقد حفلت بعض الصفحات بالكتابة فى تاريخه والتحدث عن فنه وأثره فى هذا الجيل وما إلى ذلك مما يتصل به ولم يكن ذلك إلا اصدى لما يجيش فى صدور الناس على اختلاف طبقاتهم من الأسف لفقد هذا الرجل والشعور بمكانته باعتباره ممثلا أدى رسالته الفنية على أتم وجه . ومعنى هذا أن الجمهور فى مصر قد عرف قيمة فن التمثيل وقدر أهله إذ أصبح لهم فى حسه وشعوره ما هم أهله من مكانة واعتبار ، فإذا قضى علم من أعلام التمثيل أخذ الحزن عليه مظهراً عاماً ، واستشعر الجميع تخيمهم فيه ، وهذا ماعنيته فى صدر هذه الكلمة بالظاهرة التى تدعو إلى الاغتباط ، وهى كذلك لأنها تدل على تطور عظيم فى حياتنا ، إذ تغيرت نظرتنا إلى التمثيل والممثلين من حال إلى حال ، ولا تزال للحال الأولى آثار باقية ، وإن كانت فى سبيل الزوال ، تلمح ذلك فيما تنشره بعض الصحف من أن يوسف وهبى أو عبد الوهاب أو غيرهما من الفنانين ، يعتزم ترشيح نفسه عن دائرة كذا فى الانتخاب القادم لعضوية مجلس النواب ، وهى تنشره على أنه أمر طريف جديد ، ولعله كذلك فعلا لأننا لم نمهد بعد

كشكول الأسبوع

◻ أخذت وزارة المعارف فى العمل على تحقيق رغبة ملكية سامية أبلغت إليها ، وهى أن يلحق بكل متحف من المتاحف التى تقيمها الوزارة بالأقاليم قاعة محاضرات ومكتبة يتردد عليها الراغبون فى التزود من العلوم والآداب والفنون .

◻ تلقت وزارة المعارف كتاباً من جامعة درهام بانجلترا ، ذكرت فيه أنها اعتزمت إنشاء قسم للدراسات الشرقية يبدأ عمله من أول السنة الدراسية المقبلة ، وطلبت موافاتها بطائفة من الكتب العربية القديمة والحديثة ، وبعضها من تأليف مصريين معاصرين .

◻ كانت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية قد كتبت إلى وزارات معارف الدول العربية ، طالبة إلى كل منها تأليف لجنة قومية لتنسيق العمل الثقافى بين دول الجامعة ، وخاصة تمثيلها فى المؤتمر الثقافى العربى ، ولم تتلق اللجنة إلى الآن نبأ بتأليف هذه اللجان إلا من وزارة المعارف المصرية على الرغم من مضى مدة طويلة وأخيراً بعثت بكتاب دورى تستحث فيه سائر الدول العربية أن تسارع إلى تأليف اللجان المطلوبة كما فعلت مصر .

◻ لاحظت إحدى دور الكتب بنيويورك أن بعض الكتب يسرق من قاعة المطالعة ، فأرادت أن تعرف أى الكتب يسرق أكبر عدد من نسخه ، فكانت النتيجة أن الكتاب الذى يسرق كثيراً هو التوراة .

◻ تتخذ الآن إجراءات لتعيين الأستاذ محمود محمد شاكر فى القسم الأدبى بدار الكتب المصرية .

◻ يرى الأستاذ على محمود طه وكيل دار الكتب ، أن يخصص قسم فى قاعة المطالعة بشؤون السودان ، يضم كل ما فى الدار من مؤلفات فى هذه الشؤون ، و يطلق عليه « ركن السودان » .

◻ بعثت جريدة الأهرام إلى الأستاذ على محمود طه بخمسة عشر جنيها ، لقاء نشر قصيدته « عرائس البحر » فى عددها الخاص بالصيف ، ولما علم بذلك الأستاذ توفيق الحكيم أبدى رغبته فى أن يكون شاعراً ... ولعله الآن يعالج قرض إحدى المصبوات .

◻ صدر أخيراً كتاب « الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام » للأستاذ محمد سيد كيلانى ، وهو يشتمل على تاريخ الحروب الصليبية وآثارها فى الحياة الاجتماعية وفى الأدب نثراً وشعراً ، ثم التعريف بمشاهير الكتاب والشعراء فى ذلك العصر . وقد أحسن المؤلف بإكثاره من الشواهد ، لأن أدب تلك الفترة أكثره مخطوط لم تعرفه المطبعة بعد ، فجاء الكتاب جامعاً مفيداً ، إلى ما فيه من بحث مستنير .

◻ وجهت الجامعة العربية إلى وزارة الخارجية كتاباً تطلب فيه الاتصال بوزارة المالية ، للسماح لدور النشر فى القاهرة أن تصدر الكتب إلى البلاد العربية دون اشتراط ورود أثمانها عن طريق البنوك ، وذلك أسوة بما يتبع نحو الصحف والمجلات المصرية .

نواباً من المشتغلين بهذه الفنون مع جدارتهم بأن يأخذوا المكان اللائق بهم في قيادة الأمة .

وقد كان الريحاني من القلائل الذين أعلوا قدر التمثيل في مصر إذ جعلوا له أهدافاً في المجتمع وساروا به ارتقاء العلوم وسائر الفنون في مصر، فأثبتوا أنهم من المضطلعين بترقية الأمة والناهضين بها . والريحاني أول ممثل ظفر بنشان النيل ، وأول ممثل تفضل جلالة الملك بإرسال مندوب عنه لتشييع جنازته ، وأول ممثل أعرب جلالة الملك عن حزنه عليه بعبارة كريمة سامية .

وبعد ، فذلك هو الوعي القومي نحو فن التمثيل وتقدير أهله ولاشك أن هذا التقدير يلقي على فنانينا تبعات نحو فهم والإخلاص له وإفادة الناس منه ، وعلى مقدار شعورهم بهذه التبعات ونهوضهم بمقتضياتها يتوقف مصير الغراس الذي نما وأثمر بعض الشيء ولا يزال في حاجة إلى تعهد وعناية ورعاية ليؤتي أكله على ما يشتهي الجميع .

قضية « عيسى بن هشام » والإذاعة :

عرضت على قاضي التحضير بمحكمة مصر الكلية يوم الثلاثاء الماضي ، القضية المرفوعة من خليل بك المويلحي مؤلف كتاب « حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن » ضد الإذاعة ، لأخذها تمثيليات من الكتاب وإذاعتها بلغة عامية مبتذلة ، على ما فصلناه في عدد مضى من الرسالة . وقد أجل نظر القضية إلى جلسة ٧ نوفبر المقبل أمام محكمة مصر الكلية .

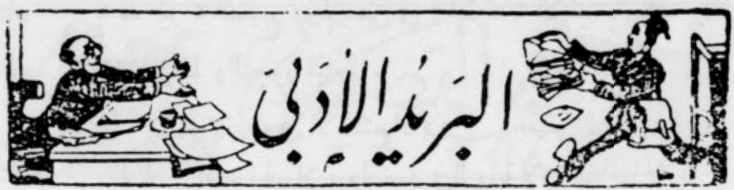
وأذكر بهذه المناسبة أني وقفت على مقال عن ذلك الكتاب للمستشرق الفرنسي هنري برز عضو المعهد الفرنسي بدمشق ، في المجلد العاشر من مجلة الدراسات الشرقية لسنة ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ قال فيه : « إن حديث عيسى بن هشام يعد في طليعة الكتب المؤلفة في الأخلاق والعادات والنقد الاجتماعي ، وما من شك في أنه كان العامل الأول في بناء صرح النهضة الحديثة للغة العربية ، وإن سلاسة لغته وسجعه غير المتكلف بعيدان إلى الذاكرة أسلوب الكتابة الفنية لجنسكور والإنشاء الخيالي لهويسمان . ولقد صور المويلحي الحياة المصرية في شتى مظاهرها الاجتماعية بقلم جريء وصراحة واضحة وإخلاص بلغ حد القسوة في تصوير الحقائق الواقعة تصويراً دقيقاً أذكرنا كتابة بلزاك وفلوبير . وإنه لمن المتعذر على أي أديب أن ينسج على منوال حديث عيسى بن هشام أو أن يصل إلى سمو أسلوبه مقلد ، فقد بلغ المثل الأعلى للإنشاء الوصفي ودقة تصوير المجتمع ولقد بزغ نوره في فجر النهضة الحديثة للأدب العربي ، فمحت آيته مختلف المقامات الأدبية وهدى بنوره الرجعيين القدامى من كتاب الأدب ، واسترشد بسناه المجددون من الأدباء فسلكوا من بعده الطريق المعبد إلى المستقبل المثمر »

والواقع أن حديث عيسى بن هشام يعد المحاولة الوحيدة الناجحة في عصره لإحداث فن قصصي جديد في الأدب العربي الحديث ، ومن المحاولات المخفقة التي عاصرته « ليالي سطيح » و « صهاريج اللؤلؤ » ، ومما يؤسف له أشد الأسف أن تتخذ الإذاعة ذلك العمل الأدبي التاريخي الخالد ، ذريعة إلى إحداث فن جديد في تمثيلياتها العامية الهابطة السفة ، فن يجري فيه الحوار بمثل : (يا حلمبوحة) و (يا مدهول يا منيل على عينك) وغير ذلك من ألفاظ اللغة التي يدعو إليها سلامه موسى بدلا من العربية الفصيحة !

والإذاعة بذلك لا تكتفي باستباحة كتاب لم يتصدق به عليها مؤلفه ، بل تعمد إلى تحريف أهدافه عن مواضعها وتهوى به إلى براجها العامية ، بعد أن سلك سبيله إلى نهضة أدبية مثمرة

خمر وجمر :

تلقيت من الأستاذ عدنان أسعد رسالة ذكر فيها ما دفعه إلى كتابة ما كتبه في « الرسالة » عن كتابه « خمر وجمر » منذراً من يقرظه بأنه سيعتبره مأجوراً ، قال : « إن جماعة من الأدباء والشعراء الأصدقاء أجمعوا على أن كتاب (الخمر والجمر) كتاب يعتاص على الفهم ويحتاج معاني شعره ونثره إلى التذييل والشرح الطويل . ومن ثم ذهبوا إلى أن أية كلمة يكتبها الكاتب في تقريظ الكتاب لا تخرج عن كونها واحداً من اثنين : إما أن الكاتب المقرظ قد غمض عليه معنى في بطن الشاعر أوظهر الناثر .. فأراد أن يظهر للناس علمه وفهمه بكلمة التقريظ حتى يقول الناس : قرأ وفهم ثم هضم . وإما أنه « مأجور » أو « مدفوع » بدافع الصداقة ، وللصداقة تكاليف ، أو « مرجو » يجيب رجاء الراجي



رد وتصحيح :

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الرسالة :

يأبى الأستاذ كاتب التعقيبات إلا أن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة فى إنتاج الأدباء وفى ذواتهم ، وتثور ثورته ، إذا ما وجد كلة حقة هادئة أو متحمسة ، رداً على تعقيباته ، وهذه مجافاة للروح الأدبى الرياضى المنشود .

وقد كان نصيبى من الرد على بعض تعقيباته ، حملة شعواء على شخصى وأدبى ، فى العدد (٨٣٣) المؤرخ ٢٠ / ٦ / ١٩٤٩ أما حملته على شخصى فسأترك جزاءه لمجال آخر ، ويهمنى الآن تصحيح الرد على ما جاء فى هذه التعقيبات من وقائع غير صحيحة

فقد زعم الكاتب أنى سعيت إليه بوساطة رسول كريم لكتابة كلة ، ولو صغيرة عن كتابى « الشعر المعاصر » وإن هذا الرسول الموفد من قبلى — كما يقول — دميت قدماه فى سبيل هذه الكلمة وإن الكاتب صارحه بأنه لو كتب عن هذا الكتاب لأهان قلمه وأهان (الرسالة) وأهان عقول القراء وهذه قصة خيالية ، ابتدعها التوهم ، فإن مركزى الاجتماعى ، وتاريخى الأدبى الطويل ، وخلق الترفع ، تدحض جميعاً ، ما أسند إلىّ من لهفة لكلمة منه ، يقدمنى بها كما يقول ، إلى الناس ، فلست فى حاجة إلى التقديم ، وبحوثى الأدبية والاجتماعية ، منذ أكثر من عشرين سنة وكتبى التى أخرجتها كفلت لى التقدير من الخاصة .

وأما عن كتابى « الشعر المعاصر » فقد حفلت به البيئات الأدبية وأنصفته الأقلام الممتازة ، وحفلت به وزارة المعارف واقتنت منه عدداً « ضخماً » لمكتباتها كما ازدانت مجلة الرسالة ذاتها بكلمة عنه من قلم أحد محرريها ، وهو زميل للكاتب المعقب فى التحرير ، ومما جاء فى قوله بمجلتكم الصادرة بتاريخ ٤ / ١٠ سنة ٤٨ « لا يسع متتبع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت لهذا الكتاب ويهتم به لأنه كتاب جديد فى المكتبة العربية ، وهو أول مؤلف فى موضوعه » وقوله فى خاتمة كلمته : « وحسب الأستاذ السحرتى أنه وضع بكتابه هذا لبنة فى بناء الأدب العربى الحديث » .

فما رأى الأستاذ المعقب فى زميله ، وما رأيه فيما كتبته السيدة الأديبة « ابنة الشاطىء » وهى من جماعة الأمناء التى ينتمى إليها إذ قالت عن الكتاب الذى يباع بالرطل فى الأسواق « والكتاب يكاد يكون دائرة للشعراء المعاصرين فلم يدع الأستاذ المؤلف شاعراً عرفه أو قرأ له إلا سلكه فى هذه الدراسة ، وقدم نماذج من شعره ، ويجد القارىء إلى جانب هذا عرضاً طيباً لمذاهب النقاد وأساليبهم فى وزن الشعر وتقويمه ، كما يقرأ خلاصة لمقاييس النقد الأوربى الحديث مطبقة على شعرنا المعاصر » .

وزعم الأستاذ المعقب أن الدافع لكلمتى بالمقتطف « النقد والتعقيب » راجع إلى أنه لم يكتب كلة عن كتابى ، ونسى أنه ذكر فى صدر كلته أننى تلميذ للأستاذ سلامة موسى وأن كلتى فى المقتطف كانت دفاعاً عنه . والحق يشهد بأنى لا أدافع إلا عن كرامة الأدباء كيفما كانت ألوانهم وإنى قد وهبت قلمى المتواضع للدفاع عن الحقيقة منذ تخرجى فى الحقوق من ثلاثة وعشرين عاماً إلى اليوم ، وقد شهدت منابر القضاء والخطابة والأدب عفة لسانى وقلمى ، كما سجلت صفحات الكتب مبادىء الأدبية والديمقراطية والوطنية ؛ فقول الأستاذ المعقب بأنى من التشكيلة العجيبة ، التى تريد إرهاب كل من يحاول تصحيح آرائه بها يحمل اتهاماً باطلا ، وما كان يساغ بأى حال من الأحوال أن يلوذ الأستاذ الكاتب إلى مثله .

ولا يخيب آمال ذوى الآمال فكان جوابى على هؤلاء إنكم أرضيون ماديون والكتاب على ضآلة شأنه روحانى المذاهب سماوى الجناح مطلق السراح . . وصاحب القلب الكبير والروح الطليق من أسهل السهل عليه أن يستوعب الكتاب من الغلاف إلى الغلاف فى جلسة أو جلسات بغير ما حاجة إلى تذييل أو شرح طويل » .

وأقول للأستاذ عدنان : إنى أراك تقرظ الكتاب ، ولا يسعنى — على الرغم من بيانك السابق — إلا أن أعتبرك « مأجوراً » من المؤلف ... ولك تحيتى .

عباس خضر

وليس هذا المكان مجالا للرد على ماورد فى تعقيبات الأستاذ الكاتب من عبارات مهينة لاداعى لذكرها ؛ لأن قاموسنا الأدبى قد خلا من مثلها خلواً تاماً .

ولكن لنا أن نطرح هذه الأسئلة تعقيباً على كلمة الأستاذ الكاتب وعلى طريقته فى الكتابة ، هل يجوز للكاتب من الوجهة القانونية أو الأدبية أن يترك عمل الأدباء ويتناول أشخاصهم ؟ وهل يباح للأدباء الدفاع عن أنفسهم ، والرد على نقد ناقديهم ؟ وهل يصح فى شرعة الأدب محاولة الغض من كرامة الأدباء للاختلاف فى الرأى ؟

والجواب الصحيح على هذه الأسئلة ، وهو محور النقد الأدبى السليم أن الناقد ليس حاكما بأمره وليس له تناول أشخاص الأدباء تناولا غير كريم وأن للأدباء أن ينقدوا النقدات الموجهة إليهم وهذه الآراء التى ندين بها هى محور الخلاف بيننا وبين كاتب التعقيبات .

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

هذا هو الرد الذى بعث به إلى « الرسالة » الأديب صاحب التوقيع وفى الأسبوع المقبل يقرأ ويقرأ معه القراء تعقيبنا على هذا الرد .

أنور المعداوى

الألفاظ بين الحقيقة والمجاز :

يعرف أبناؤنا دلالات الألفاظ فى حقائقها ومجازاتها ، و « العلاقة » الرابطة بينها سواء أكانت للمشابهة أم للارسال ، وقد كتب مدعى تذكير الضبع — بتصحيح موهم — ينفى رواية (قومى لم تأكلهم الضبع) ... (بقومك) مما لا يبعد الضبع عن أن تكون مؤنثة ! فإن التصحيف فى المضاف إليه واقع فى أشمار الفدامى ، بل إن « زهر الآداب » وغيره محتشد شواهد متعددة دالة على عدم إبعاد المعنى مع وجود هذا التصحيف .

لكن الكاتب — كدأبه — يريد الضرب فى منحى دعوى البحث ؛ فتوقعه الورطة فى مأزق المغالطة ؛ فالإضافة إلى ياء المتكلم أو كاف الخطاب لم تخرج الضبع على أنها « اسم للحيوان المعروف » ! وهى مؤنثة !

أما المباحثة فى الحقيقة والمجاز ؛ فنكبر « المجمع اللغوى » على عرضهما فى معرض الإفادة ، لكنا نشير إلى أن التجوز بلفظة « الضبع » إلى السنة المجدبة لن يبعدها عن وضعها فى حقيقتها ، لأن الحقيقة أصل المجاز !

فما إجداء سياقة الكاتب ومكابرته وهو لم يستشهد على « تذكير » الضبع ، ولم يسق فى « تحقيقه » الأخير ما يباعد بين وضع اللفظ والتجوز فيه ؟ .

إننا لم نخطىء فى الاستشهاد لأن حقيقة اللفظة باقية على مدلولها فى إفادة الحيوان ، ولم نبعد فى الرواية لأن اختلافها لا يقدح فى صحة الإيراد ، ولم نجانب الصواب فى التأنيث لعدم ورود ما يباعده ؛ فلعل الكاتب لا يتورط فيما يدعو إلى المؤاخذة والتوجيه

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

تعقيب على تعقيبات :

قد وردت بالتعقيب الأول من تعقيبات الأستاذ الفاضل أنور المعداوى بالعدد (٨٣٢) من الرسالة — جمل من هذا القبيل : « لم يكن يعرف . لم تكن تتيح » وهى بينة الخطأ . وصوابها حسب استعمالات العرب — أن ترى على هذه الهيئة : « لم يكن ليعرف . لم تكن لتتيح » ؛ لأن كان المنفية بما ، ويكن المنفية بلم لا يرد بعدها الفعل المضارع إلا مسبوقاً باللام المؤكدة للنفى . ويسمونها لام الجحود .

وقد ورد القرآن الكريم بهذا الاستعمال قال تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم » .

محمد غنيم



صديقان حميمان

للكاتب الايطالي لويجي بيراندللو

كان جيجي ميار ينتظر مركبة الترام لتقله كالمعتاد إلى طريق باستربنو حيث مقر عمله وكان متذمراً بمعطفه ذلك الصباح ، وقد وضع منديله على أنفه ، ويديه فى قفاز انجليزى صفيق وإن المرء إذا ما جاوز الأربعين ، فإن ريح الشمال لا تعد مزاحا .

إن كل امرىء يعرف أن مركبة الترام لن تقبل بأية حال إذا كان فى انتظارها . فإما أن تتعطل فى منتصف الطريق لا نقطاع التيار الكهربائى ، أو تختار مركبة تمر عليها ، أو شخصاً سىء الحظ تدهمه تحت عجلاتها . وكانت ريح الشمال الباردة تهب بشدة فى ذلك الصباح . وجعل جيجي ميار يرفع رجلا وينزل أخرى ، وهو يراقب النهر وقد بدا كأن المسكين يشعر بالبرد القارص أيضاً .

وأخيراً أقبلت مركبة الترام تدندن ، وأخذ جيجي يستعد للقفز فيها وهى سائرة دون أن تقف ، عند ما سمع صوتاً آتياً من بونت — كافور ينادى « جيجى ، أيها الصديق العزيز ، جيجى » فالتفت فرأى سيداً يهرول قاصداً نحوه ، يلوح بذراعين كأنهما عمودا التلغراف . وفى تلك الآونة ابتعدت مركبة الترام . وكان عزاء جيجي على ابتعادها أن وجد نفسه بين ذراعى السيد الغريب الذى لا بد أن يكون صديقاً حميا له ، إذا حكم على ذلك من عنف القبلتين اللتين طبعهما الرجل على المنديل الحريرى الذى يغطى وجهه

وقال الرجل — أنعلم أنى عرفتك فى الحال ، أيها العزيز ؟ ! ألا تخجل من نفسك ؟ أعطنا قبلة يا عزيزى لبلوغك هذه السن . إنك تبدو وكأنك كنت واقفاً فى انتظارى . وعند ما شاهدتك تمد ذراعك لتتعلق بمركبة الترام اللعينة قلت لنفسى « هذه خيانة محض خيانة » . فقال ميار وقد علت شفتيه ابتسامة مغتصبة — نعم ، كنت ذاهباً إلى المكتب .

— أرجوك ، لا تحدثنى عن مثل هذه الأشياء المنفرة .

— لماذا ؟ — إنى أعنى ذلك . فى الواقع أخ .

— أنت شخص غريب الأطوار أتعرف ؟

— نعم أعرف . ولكن خبرنى ، إنك لم تكن متوقعاً رؤيتى ، أليس كذلك ؟ إنه يبدو فى وجهك .

— حسن ، كلا ... فى الواقع .

— لقد وصلت مساء أمس . وأخوك يرسل إليك تحياته . وهو — على فكرة ، سأجعلك تضحك — لقد أراد أن يبعث إليك بكتاب يقدمنى فيه إليك ! ... فقلت « ماذا ! كتاب تبعث به إلى جيجى الصغير ؛ ألا تعلم أنى أعرفه قبل أن تعرفه أنت ؟ نحن صديقان منذ الطفولة ، ورفيقان فى الدراسة الجامعية ألا تذكر بادوا القديمة الشهيرة ؟ وذلك الناقوس الضخم الذى لم تكن تسمعه مطلقاً ؟ فقد كنت تنام مثل — مثل — ماذا أقول — مثل الزغبة ! أظن كان يجب أن أقول ، كالخنزير . حسن ... وعند ما سمعته — مرة واحدة — حسبته إنذار حريق ... ما أحلى تلك الأيام ! إن شقيقك فى صحة جيدة ، وشكراً لله ، فنحن مشتركان فى عمل صغير . وأنا هنا من أجله ، ولكن ، ماذا بك؟ إنك تبدو كالجنازة . أمتزوج أنت ؟

فأجاب جيجى ميار فى دهشة وشدة — كلا يا عزيزى !

— على أهبة الزواج ؟ — أمجنون أنت ؟ بعد سن الأربعين ؟ يا إلهى ؟ كلا . لم أفكر فى ذلك مطلقاً .

— أربعون ! إنك تبدو فى الخمسين أيها الصغير جيجى . ولكن ، لم لا ؟ لقد كدت أنسى أن وجه غرابتك هو فى أنك لا تسمع ما يحدث — من الأجراس والسنين . خمسون يا صديق العزيز ، خمسون سنة ، أؤكد لك ذلك . لقد ولدت .. دعنى أفكر .. فى أبريل عام ١٨٥١ ، أليس كذلك ؟ ١٢ من أبريل .

وصاح ميار قائلا فى لهجة من التأكيد — لا تؤاخذنى ، فى مايو . ولا تؤاخذنى أيضاً عام ١٨٥٢ ، أتعرف أحسن منى ؟ ١٢ مايو سنة ١٨٥٢ ، وعلى ذلك فسنى الآن ٤٩ سنة وبضعة أشهر

— وبلا زوجة ! هذا عظيم ! أنا متزوج ، ألا تعرف ؟ آه ، بلى ، إنها مأساة . سأجعل جانبيك ينفجران من الضحك ، وفى أثناء ذلك ، سأعتبر نفسى بالطبع ، مدعواً للغداء عندك . أين تأكل هذه الأيام ؟ ألا زلت تقصد مطعم باربا القديم ؟

وتعجب جيجى فى دهشة بالغة وقال — يا إلهى ، أتعرف أيضاً أنى أذهب إلى باربا ؟ أظنك كنت من رواده .

— أنا ، عند باربا !؟ كيف أكون هناك وأنا فى بادوا ؟ لقد علمت وسمعت عن ذهابك أنت والآخرين ، تقصدون — أيحق لى أن أقول الحانة ، أو الهيكل ، أو مكان الأكل ؟

فأجاب ميار — سمها الحانة ، أو ماشئت ، ولكن إذا كنت ستتناول طعام الغداء معي فلا بد أن أخبر الخادم بذلك .

— صغيرة ، أليس كذلك ؟

— أوه ، كلا ، عجوز يا صديق ، عجوز . فضلاً عن أني انقطعت عن الذهاب إلى باربا . ثم لم أتردد عليه منذ ثلاثة أعوام . فأنت في سن معينة ... — بعد الأربعين

— بعد الأربعين ، يجب أن تتحلى بالشجاعة ، وتدير ظهرك للطريق الذي قد يؤدي بك إلى الهاوية . فإن أردت التردي — حسن ، فليكن ذلك ، على أن تنزلق في بطء ، في منتهى البطء وفي خفة ، محاذراً ألا تتدحرج ، أو تتعثر فتسقط . حسن ، هاقد وصلنا . سأطلعك على ما قمت به من عمل طيب بسيط لداري الصغيرة

وأخذ صديق جيجي ميار يردد قائلا وهو يصعد الدرج خلفه — في بطء ، في منتهى البطء ، وفي خفة .. عمل طيب بسيط .. دارك الصغيرة . مخلوق ضخم التكوين مثلك يتأنق ! مسكين أنت يا جيجي ! ما الذي فعلوه بك ؟ أحرقوا ذيلك ؟ أتود أن تترقرق عيناي بالدمع ؟

فقال ميار وهو ينتظر حتى تفتح الخادم الباب — حسن ، يجب أن نكون في وفاق مع وجودنا اللعين ، عند هذه المرحلة من العمر . دلل هذا الوجود ، تملقه حتى بالتوافه ، وإلا جعلك تافهاً . إني لا أود بأية حال من الأحوال أن أجد نفسي مدفوناً في حفرة عمقها أربعة أقدام . لا ، لست أنا .

فقال الآخر يحاول أن يجادله في هذه النقطة — إذاً فأنت تعتقد في الرجل أنه حيوان من ذوي الساقين ؟ لا تقل إنك تعتقد ذلك يا جيجي الصغير ؟ أنا أعرف أية مجهودات أبذلها لأظل قائما على قدمي . صدقني يا صديق ، لو تركنا الطبيعة تسير في طريقها لأصبحنا من ذوات الأربع . إن هذه المدينة اللعينة تهدمنا لو كنت من ذوات الأربع لأصبحت حيواناً متوحشاً جيلا ، ولرفصتك رفصات عديدة بسبب ما حدثتني عنه ، ولأصبحت بلا زوجة ، وبلا ديون ، وبلا هموم . أتريدني أبكي ؟

ودهش جيجي من حديث صديقه ، ذلك الذي هبط إليه من السحاب وجعل يتأمله وينقب في أركان ذهنه عن اسم ذلك الشيطان ، وكيف ومتى عرفه في بادوا ، سواء في طفولته أو في دراسته الجامعية . واستعرض في مخيلته أصدقاءه الحميمين كل من كان يمهدهم في تلك الأيام ، دون أن يطابق أحدهم ملامح هذا الرجل . على أية حال ، أنه لا يجرؤ على سؤاله ، فقد كان يخشى أن يجرح شعوره بعد أن بدت منه كل هذه المودة . فعزم على أن يعرف الحقيقة عن طريق اللف والمداورة .

ومكثت الخادم مدة طويلة دون أن تستجيب إلى قرع الباب فقد كانت لا تتوقع أوبة سيدها سريعاً . وقرع الباب مرة أخرى وأخيراً سمع وقع أقدامها .

وقال لها ميار : ها أنذا قد عدت ثانية أيتها الفتاة العجوز ومعي رفيق فاعتني به ، وانتبهي ، فلا يقبل مزاحاً مع صديقي هنا ، صديقي ذي الاسم الغريب ...

فقال الرجل وهو يضحك مما جعل المرأة لا تدري هل تشاركه ضحكه أو تعبس في وجهه : « إنسان متسلسل من تيس بقرنين ولحية ! » . ولا يميل أحد إلى التعرف بذلك الاسم الجميل ، اسمي أيتها الفتاة ! لقد جعل وجوه مديري البنوك تلتوي ، والدائنين يترنحون . ما عدا زوجتي . كانت مسرورة به . إنه الاسم الوحيد الذي وهبته لها . ادخل يا جيجي ، ودعني أرى رياشك ومتاعك المسكين . .

وقاده ميار وقد خاب أمله من جراء فشله في معرفة اسمه ، وجعل يطلعه على شقته الصغيرة وغرفها الخمس ، وقد امتلأت بالرياش في عناية وترتيب . وزاد عذابه في غرفة الاستقبال عند ما سمع صديقه يتحدث في مودة كبيرة عن أشيائه العائلية ، ويتطلع إلى الصور القائمة فوق الموقد ويقول :

— وددت يا جيجي الصغير لو كان لي زوج أخت مثلك . لو عرفت أي وغد تزوجت أختي ؟

— أيعامل شقيقتك معاملة سيئة ؟

— كلا ، بل يسيء معاملتي أنا . لقد كان من الهين عليه أن يساعدني في عسري . ولكن لا ، ليس هو الذي يفعل ذلك .

— أرجو المعذرة ، إني لا أذكر اسم زوج شقيقتك .

— لا داعي للاعتذار . إنك لا تذكره ؛ لأنك لا تعرفه . إنه لم يقدم إلى بادوا إلا منذ سنتين . أتدري ما الذي فعله بي ؟ إن شقيقك كان رؤوفاً بي ووعد أن يساعدني ، إذا قبل هذا التعس أن يبدل سنداتي — ولكن صدقني ، لقد رفض أن يفعل ذلك . وشقيقك ، مع أنه غريب ، قبل أن يأخذ مشكلتي بين يديه

وهو ساخط ناقم عليه . فلأُخبرك عن سبب رفض زوج شقيقتى لقد كانت شقيقته سيئة الحظ فوقعت فى شراك حى . يا للفتاة المسكينة ! لقد سممت نفسها ...

فقال ميار : — توفيت ؟

— كلا ، لقد لفظ جوفها ما ابتلعته ؛ ولذلك شفيت . ولكنك تستطيع أن تدرك أنه أصبح من المستحيل على أن أطأ عتبة دار شقيقها بعد هذه المأساة . يا إلهى ألا نأكل ؟ أصبحت لا أرى من الجوع . أكاد أموت جوعاً كالذئب !

وعند ما كانا يتناولان الطعام على المائدة جعل جيجى ميار يدفعه عن طريق الثقة المتبادلة بين الأصدقاء ، على أن يحدثه عن أخباره فى بادوا ، لعله بذلك يزلق لسانه فيذكر اسمه على الأقل . وكان ضيفه إذ ذاك يزداد شيئاً فشيئاً . فقال له حدثنى عن بعض أخبارك — كيف حال فالفيرد مدير بنك إيطاليا ، وزوجه الحسناء وشقيقتها الحولاء ، ألا يزالون فى بادوا ؟

وإذا بصديقه ينفجر ضاحكا . فقال مار فى دهشة — ما الأمر؟ أليست شقيقتها حولاء ؟ فرجاه الآخر أن يكف عن أسئلته وقد ارتجف بدنه وتملكه نوع من التشنج من كثرة الضحك الذى كان يحاول كتمانه دون جدوى ، وقال له — أصمت لحظة ، بحق السماء ، أصمت . حولاء ؟ لم أكن أعتقد أنها كذلك . وذلك الأنف المتسع الذى ترى منه مخها ! نعم إنها نفس المرأة .

— أية امرأة ؟ — زوجتى !

وشده جيجى مار دهشة . ولم يبق له من قوته إلا ما يستطيع بها أن يتمتم بعض كلمات الاعتذار . ولكن ظل الرجل سادراً فى ضحكه أكثر من ذى قبل ، إلى أن هدأ أخيراً ، ثم عبس ، ثم أخذ نفساً عميقاً ، وأخيراً قال : — يا صديقى العزيز ، هناك فى الحياة بطولة لا تستطيع حتى مخيلة الشاعر أن تتصورها .

تنهد ميار قائلا : — نعم ، حقاً ، أنت على صواب ... إنى أعرف ما ذا تعنى .

فعارضه الآخر قائلا : — إنك لا تعرف شيئاً مطلقاً . أتعتقد أنى أنوه عن نفسى ؟ أنا البطل . أنا لست إلا الضحية ! إن الشجاعة صفة نادراً ماتتحلى بها شقيقة زوجتى ، زوجة لوسيوفالفيرد اصغ لى قليلا . يا إلهى ما أغباك أيها الرجل !

— كلا ، أنا أنا ! فى خداع نفسى بأن زوجة لوتشيوفالفيرد تعشقنى ، لدرجة أنها تزوجت زوجها . ولكن ماذا تظنه حدث؟ مثال من الروح التى لا تبالى فى سبيل التضحية ، كما ستسمع . دعتنى ذات مرة إلى دارها ، وكان زوجها متغيباً . وعندما حدثت اللحظة المؤلمة التى فوجئنا فيها سوياً ، أخبأتنى فى حجرة شقيقتها السيدة الحولاء ، فاستقبلتنى فى حياء وخجل ، وبدت كأنها تضحى بنفسها فى سبيل شرف أختها . ولم يكن عندى متسع من الوقت لأصيح .. ولكن يا سيدتى العزيزة ، انتظرى لحظة . كيف يصدق لوتشيو ذلك .. فقد اندفع لوتشيو غاضباً مزمجراً . وتخيل أنت الباقى .

فصاح ميار متعجباً — ماذا ؟ أنت ، بكل ما فيك من ذكاء؟

فقال الآخر — ودبونى ؟ فقد رفض مدى عما يلزمنى من المال . دعنا من ذلك الحديث أرجوك . على أية حال وازنت بين حقيقة كونى لا أملك فلساً ، وبين عدم رغبتى فى الزواج ..

فقاطعه ميار قائلا : — ما ذا ؟ أتزوجتها ؟

— أوه ، كلا ، إنها هى التى تزوجتنى . إنها هى التى تزوجت فقط . لقد حدثتها فى ذلك وكلمتها بكل صراحة . قلت أيتها السيدة ، إذا أردت اسمى . حسن ، إذاً ، خذيه . إنى أكاد لا أعرف ما الذى أفعل به ، أقسم لك . أكاف هذا ؟

وجازف ميار قائلا : — إذاً فهذا ما حدث ؟ لقد كان اسمها فالفيرد ، ثم أصبح الآن ...

فضحك الآخر وهو يهب قائماً — تماماً .

وهتف جيجى ميار ، وقد أصبح لا يحتمل أكثر من ذلك وتمالك شجاعته بين يديه وقال : كلا ، اصغ ، لقد تمتعت معك بصباح طيب . وعاملتك كما لو كنت أخى . والآن يجب أن تقدم لى معروفاً . — لعلك تود أن أقرضك زوجتى ؟

— كلا ، شكراً . أود أن تخبرنى عن اسمك .

فسأله فى دهشة وهو يطرق باصبعه على صدره ، وكأنه يشك فى وجوده — أنا ؟ اسمى؟ ماذا تعنى ؟ ألا تعرف ؟ ألا تستطيع أن تتذكر؟ فأجاب ميار معترفا فى حياء — كلا ، أرجو المعذرة ، سمنى أكبر رجل عديم الذاكرة فى العالم . ولكنى أكاد أقسم أنى لم أرك مطلقاً .

— أوه ، عظيم جداً ، عظيم جداً ! يا عزيزى جيجى الصغير ، ضع يدك فى يدى . إنى أشكرك من أعماق قلبى على حسن

ضيافتك — ولكني سأذهب دون أن أخبرك . وهذا كل ما هنالك !

فانفجر جيجي ميار صائحاً وقد هب واقفاً على قدميه — ستخبرني ، عليك اللعنة ! لقد أرهقت عقلي طول الصباح ، ولن أدعك ترحل دون أن تخبرني .

فأجابه الآخر في هدوء وثبات — اقتلني ، قطعني إرباً ، ولكني لن أخبرك !

فأخذ ميار مرة أخرى يعدل من لهجته وقال — كن رجلا طيباً . إني لم أجرب مثل هذه التجربة من قبل — فقدان الذاكرة — أنت تعرف . إني أقسم لك أنه شعور مؤلم . نخبرني عن اسمك بحق السماء . — ابحث عنه بنفسك .

— استمع إلي . إن ضعف ذاكرتي لم يمنعني عن السماح لك بالجلوس على مائدتي . وفي الواقع ، حتى إذا لم أكن أعرفك على الإطلاق ، فقد أصبحت الآن عزيزاً لدي . صدقني . إني أشعر بشعور الأخوة نحوك ، وأعجب بك ، وأود أن تظل معي دائماً . نخبرني إذاً عن اسمك .

فقال الآخر في حزم — لا فائدة ترجى من ذلك . أنت تعرف أنك ستنساني إذا ما رحلت . كن عاقلا . أتود أن تحرمني من تلك اللذة التي لم أكن أتوقعها ، لذة تركي إياك دون أن تعرف من يكون ضيفك ؟ كلا .. اذهب .. إنك تطلب الشيء الكثير . إني أرى جيداً أنك لا تملك أية ذاكرة نحوي . فإذا لم تكن تود أن تجرح شعوري بذلك النسيان ، فدعني أذهب كما سأفعل الآن

فصاح جيجي بغضب عاصف — اذهب إذاً ، سريعاً ، هذا كل ما أطلبه . إني لا أحتمل رؤيتك بعد الآن .

— حسن ، إني ذاهب . ولكن اسمح لي أولا بقبلة صغيرة يا جيجي الصغير .

فأجاب ميار صائحاً — إني أرفض ، إلا إذا أخبرتني . .

فقاطعه الآخر قائلا — كلا ، كلا ، هذا كل ما هنالك . والآن .. إلى الملتقى . وذهب ضاحكا . والتفت إليه وهو ذاهب في نزول الدرج ؛ وأرسل إليه قبلة في الهواء ...

محمد فهمي عبد الوهاب

مطبعة الرسالة